



جامعة الجزائر (2) الدكتور أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

**دور العلماء في الحياة العامة بالشرق الإسلامي  
(العراق - خراسان - بلاد ما وراء النهر) خلال عصر السلاجقة  
(429هـ - 590هـ / 1031م - 1193م).**

المسودة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط.

- إشراف الدكتور:  
- عبد الحميد خالدي.

- إعداد الطالب:  
- هشام بن سالم.

- أعضاء لجنة المناقشة:

| اللقب والاسم:    | الرتبة:              | الصفة:       | الجامعة:          |
|------------------|----------------------|--------------|-------------------|
| بشار قويدر       | أستاذ التعليم العالي | رئيسا        | جامعة الجزائر (2) |
| خالدي عبد الحميد | أستاذ محاضر (1)      | مشرفا ومقررا | جامعة الجزائر (2) |
| العيفة الحاج     | أستاذ التعليم العالي | مناقشا       | جامعة الجزائر (2) |
| موسى هوارى       | أستاذ محاضر (1)      | مناقشا       | جامعة الجزائر (2) |
| تجافنت مراد      | أستاذ محاضر (1)      | مناقشا       | جامعة البليدة (2) |
| بن حاج ميلود     | أستاذ محاضر (1)      | مناقشا       | جامعة الجلفة      |

- السنة الدراسية: 1440هـ - 1441هـ / 2019م - 2020م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ  
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ  
إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ  
(سورة فاطر، الآية: 28).

# الإهداء.

إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي هدانا الله به للإسلام.  
إلى العلماء المسلمين الربانيين ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.  
إلى نعم الحنان ورمز الوفاء والتضحية، أُمِّي الحبيبة التي مهّرت  
الليالي لرؤية ولدها الأكبر وهو يتم هذه الأُصْرُوحَة.  
إلى روح أُمِّي الصَّاهِرَة رحمة الله عليه، وفاءاً مني وامتناناً له.  
إلى روح جدي لأُمِّي رحمة الله عليه الذي وفاه الأجل قبل أن  
أنهي هذه الأُصْرُوحَة.  
إلى إخوتي الأعزاء: أَسَامة- فَاكْهُمة- أَحْمَد- مَرْيَم.  
إلى خُصِيبتِي وعائِلَتِها.  
إلى أصدِقائِي: يَوسُف- زَين- عَبد الصمَد.  
إلى دَفْعَة المَاجِسْتِين 2011م.  
إلى كُلِّبَة العَلم في كُلِّ مَكان.

-شكر وامتنان.

الحمد لله ثم الحمد لله الذي أصبح علي نعمه  
مُباهرة و بالهنة ووفقني إلى إتمام هذا  
العمل، فالشكر له كما ينبغي لوجهه الكريم  
ولعظيم سلطانه ومنه وكرمه.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي  
المشرف علي الدكتور عبد الحميد خالدي  
الذي قبل الإشراف علي هذه الأُصروحة ولم  
يخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة.  
كما لا يفوتني التوجه بالشكر إلى أعضاء لجنة  
المناقشة كل باسمه ومقامه.



-المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: تبنوا العلماء المسلمون مكانة رفيعة ومنزلة عليا في المجتمع الإسلامي، على طول عصور التاريخ الإسلامي، وفي جميع الدول التي شهدها العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، مما جعلهم يحتلون موقعا وسيطا بين الخلفاء والسلاطين والأمراء ورجال الدولة المسلمين، وعامة المجتمع الإسلامي بكل فئاته وشرائحه، فأدوا بذلك دورا مميزا ومؤثرا وحاسما في أغلب الأحيان، على ما كان يطرأ على المجتمع والدولة من قضايا ونوازل ومسائل تؤثر على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، من خلال الموازنة بين المهمة المنوطة بهم؛ من تعليم ووعظ وتأليف ومناظرات علمية، وبين الحضور الدائم والمستمر والمتواصل في المجتمع، بتتبع أحواله والنظر في أوضاعه وتوجيه أفراده وإرشادهم في أمور دينهم ودنياهم، وكذلك تولي مناصب القضاء والإفتاء والكتابة وغيرها، الأمر الذي يجعلهم من أكثر فئات المجتمع الإسلامي تأثيرا وتأثرا في التاريخ الإسلامي.

إنَّ طبيعة دور العلماء المسلمين في الدولة والمجتمع الإسلاميين يندرج ضمن جدلية العلاقة القائمة بين القطبين الأساسيين: الدين والسياسة/العلماء والسلاطين، والمجال الذي يلتقيان فيه هو المجتمع، حيث تتبلور الأدوار وتشكل المواقع وتتقاطع الغايات وتتكامل الأهداف وتتجسد الأرضية التي تتجاذب فيها القناعات والتوجهات والأولويات، وتصنع فيها المصائر الكبرى للدولة والمجتمع معا، لاسيما أنَّ هناك محطات حاسمة في التاريخ الإسلامي طبعت هذه العلاقة بطابعها، وبخاصة عندما تغير نظام الخلافة من الشورى إلى التوريث، فبعد أن كان الخلفاء الراشدون علماء في الأصل، تولوا منصب الخلافة، غلب على هذا المنصب الساسة والقادة والأمراء الذين تولوه مع وجود علماء في العصرين الأموي والعباسي، باستثناء البعض منهم، فأضحى بذلك العلماء بعيدين عن المنصب الأعلى في الدولة الإسلامية كالخلافة والسلطنة وحتى الملك والإمارة في بعض الحالات، لكن التقارب والتعاون بين هذين القطبين كان دائما حاضرا ومؤثرا، فإذا قُصِّر العلماء في دورهم اتجاه السلطة والمجتمع، اختل التوازن واضطرب الوضع، أما إذا أدوا ما عليهم ووجهوا السلطة وأرشدوا المجتمع، سينجر عن ذلك حضارة راقية تنتظم فيها جميع النظم والمؤسسات والفعاليات الاجتماعية والاقتصادية والتطورات العلمية والحقوق والواجبات.

لقد تمكن العلماء -رغم بعدهم عن السلطة- من القيام بتجارب رائدة في التاريخ الإسلامي، في إدارة الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي والمذهبي في العالم الإسلامي، إذ ساهموا في تأسيس كثير من الدول الإسلامية في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وتوجيهها إلى الجهاد والدعوة إلى الإسلام، وكذا استكمال توحيد ديار الإسلام، وينتقلون بعدها للإصلاح السياسي والإداري، سواء بالمشاركة في مناصب الدولة أو بتقديم النصيحة والإرشاد والتوجيه لحكامها، ثم يعرجون للنظر في الاقتصاد وأوضاعه نظريا وممارسة، كما يتوجهون للمجتمع بإشاعة منهج الإسلام وقيمه ونشر أوامره وأحكامه وتشريعاته ونواحيه، ويعملون في نفس الوقت على التقريب بين المذاهب

الإسلامية من خلال التعليم والتدريس والوعظ والتذكير والتصنيف والتأليف، وبذلك ظل حضورهم عنواناً على مدى قدرتهم على القيام بهذه المهام في وقت واحد دون كلل أو ملل.

إنَّ محاولة التنقيب عن دور العلماء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي في أي عصر من عصور التاريخ الإسلامي، هو بحث على درجة كبيرة من الأهمية، يستقصي دور فئة ذات مكانة هامة في التراتبية الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، ويساهم في إعادة تركيب الأجزاء المتناثرة من التاريخ الحضاري الإسلامي وتوظيفها في حلقة منتظمة لصياغة قراءة جديدة ومعقدة في نفس الوقت، تساهم في نزع ما علق بتاريخنا الإسلامي من شوائب وأكاذيب وافتراءات، كما يساهم بحث من هذا النوع في إقامة جسور البناء المنهجي الموضوعي بين الدين والسلطة والفكر والسياسة، رجل الدين والعلم ورجل السياسة، العلماء والسلطان والمجتمع، ليفضي إلى تسليط الضوء على المساهمة الحضارية الإسلامية التي فاقت غيرها، حينما شارك جميع فئات وشرائح وأفراد وجماعات المجتمع الإسلامي في بنائها وازدهارها وتطورها وإبراز قيامها ومبادئها، وبالتالي تسليط الضوء على حلقات معيّبة من هذا التاريخ الذي تم حصره في الجانب السياسي والعسكري، دون الالتفات إلى الجوانب الحضارية منه، التي تجعلنا أكثر تمسكاً به وأشد تشبثاً بقيمتنا وتراثنا وهويتنا ومكانتنا الضائعة، ويدفعنا دائماً لتذكر مجدنا وعزتنا والسعي لإعادة كل ذلك، من خلال التأريخ للدور الذي أداه العلماء المسلمون عبر هذا التاريخ الطويل.

لذا عزمنا على القيام بموضوع يستقصي دور العلماء في الحياة العامة، بعد سلسلة من القراءات الأولية والمعقدة، والتفتيش في صفحات الكتب وفهارسها، حتى اهتديت بعد طول تفكير وتقليب للأفكار وترتيب للمعلومات وجمع للمادة الأولية، إلى اختيار "عصر الدولة السلجوقية (429هـ - 590هـ / 1031م - 1193م)"، وهي دولة إسلامية تنتسب إلى سلجوق بن دقاق زعيم قبيلة "قنق" التي تنتمي لقبائل الغز أو الأوغوز التركية، قامت في بلاد ما وراء النهر وخضعت لها خراسان والعراق والشام والأناضول والحجاز واليمن، وأضحت بذلك من أهم الدول التي شهدتها العالم الإسلامي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، حيث شغلت مساحة واسعة وأراضي شاسعة من المشرق الإسلامي، الأمر الذي جعلني أقصر على اختيار ثلاثة أقاليم مهمة هي: بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق، فأكمل بذلك التحديد الزمني والمكاني لموضوع الأطروحة الذي قمت بصياغته بحذر شديد ودقة متناهية، وعنوانته بـ:

**{ دور العلماء في الحياة العامة بالشرق الإسلامي (العراق - خراسان - بلاد ما وراء**

**النهر) خلال عصر السلجوقية (429هـ - 590هـ / 1031م - 1193م) }.**

ساعياً إلى تقديم دراسة وافية حول هؤلاء العلماء الذين عاصروا الدولة السلجوقية في المشرق الإسلامي، لعدة دوافع واعتبارات، منها:

-يعد هذا الموضوع أحد المواضيع الهامة المسيرة لسلسلة المشاريع الهادفة إلى إثراء البحث العلمي وتوجيهه نحو مسائل ومواضيع ذات ارتباط وثيق بالتاريخ الإسلامي عموماً وتاريخ المشرق الإسلامي خصوصاً.

-لا يخفى على الباحث في هذا الميدان مدى الدور الريادي لعلماء الإسلام في صناعة تاريخ الأمة الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بالحياة العامة للأمم عامة، والأمة الإسلامية خاصة، ناهيك على ذلك فقد حظي تاريخ السلاجقة السياسي والعسكري، أي ما قام به السلاطين والوزراء ورجال الدولة بعناية الدارسين والمؤرخين.

-الكم القليل من الدراسات حول دور العلماء في التاريخ الإسلامي، الذي لا يزال غير كاف لبناء تصور تاريخي دقيق لاستقراء أحداث ومحطات تاريخ المشرق الإسلامي، الذي لا يمكن فصله عن تاريخ المغرب الإسلامي من حيث التأثير والتأثر، مما يساهم في فهم الكثير من القضايا والمسائل المبهمة.

-الإلمام بالدور الكبير والأهمية البالغة التي لعبها العلماء في العصر السلجوقي، ومشاركتهم الكبيرة في توجيه هذه الدولة وتنظيم أحوال المجتمع وتحسينها، وتطوير الاقتصاد والموارد المالية والنفقات، وترسيخ المذهب السني وبناء المدارس والتأليف في مختلف العلوم.

-الرغبة الملحة في محاولة إثراء وتعميق مستوى المعرفة التاريخية فيما يتعلق بأدوار بعض الفئات عموماً وفئة العلماء على وجه التحديد ودورها الكبير في التاريخ الإسلامي مشرقاً ومغرباً.

-طبيعة موضوع مذكرة الماجستير "**العلماء والسلطة المرينية 668هـ - 759هـ / 1269م - 1358م**" دفعني إلى مواصلة البحث في موضوع لا يختلف عنه إلا في الزمان والمكان، ساعياً إلى بذل جهد أكبر والتنقيب في متون الكتب والدراسات المتخصصة، حتى أوفي البحث حقه.

-الدافع الذاتي المتمثل في التركيز على مواضيع ذات طابع حضاري، وقد أيقنت أنه لا يتوفر مثل هذا الطابع سوى في موضوع "**دور العلماء في الحياة العامة...**" الذي يكتسي طابعاً حضارياً بامتياز.

كل ذلك حملني على الارتباط بهذا الموضوع وزاد من رغبتني في البحث حوله، محاولاً -قدر الجهد- الموازنة بين التأريخ للسلاطين والأمراء والحكام ومن زينت مفارقهم التيجان، ممن احتجزوا صفحاته تاركين للبننة الحقيقين من رجال الفكر والثقافة والدين والعلم والفن أصغر زواياه وأكثرها خفاء وإهمالاً، مع أنهم بناء وحدته، وصانعو ملامحه المتميزة، فلا تجد دولة من دول العالم الإسلامي إلا وللعلماء دور بارز في ثباتها ووحدتها، ونصيب وافر في حضارتها وعظمتها.

ويأتي بحثنا { **دور العلماء في الحياة العامة بالشرق الإسلامي (العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر) خلال عصر السلاجقة (429هـ - 590هـ / 1031م - 1193م)** } ليضيف لبنة أساسية في صرح التاريخ الحضاري الإسلامي، خصوصاً أنَّ العصر السلجوقي شهد تغيرات جذرية في جميع الميادين السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما شهد بروز عدد كبير من العلماء الفطاحل والنوابغ، الذين عبأت أخبارهم صفحات التاريخ والكتب، فكان لابد من خوض غمار هذا البحث، نظرا لما تكتسبه التجربة السياسية السلجوقية من أهمية بالغة في حقل الدراسات التاريخية، فهي تعتبر من أثرى التجارب السياسية الإسلامية في العصر الوسيط، للمعطيات التالية:

-النجاح السريع للسلاجقة، حيث تمكنوا في ثلاثين سنة من الانتقال من قبيلة متنقلة باحثة عن المأوى والكلأ، إلى إمارة في خراسان بعد انتصارهم على الغزنويين في معركة داندانقان سنة 431هـ، إلى سلطنة عظمى مترامية الأطراف تمتد من بلاد ما وراء النهر شرقا إلى الشام غربا ومن الأناضول شمالا إلى الحجاز واليمن جنوبا.

-رفع لواء الجهاد، حيث انتصر السلاجقة على البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة 463هـ وتمكنوا من فتح أجزاء واسعة من الأناضول مركز الإمبراطورية البيزنطية.

-إنقاذ الخلافة العباسية، إذ استطاع السلطان السلجوقي طغرل بك التغلب على البويهيين الشيعة وإنقاذ دولة بني العباس في عهد الخليفة القائم بأمر الله سنة 447هـ، كما تمكن من إزالة النفوذ الفاطمي الشيعي بقضائه على البساسيري حليف الفاطميين في بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

-قدرة السلاجقة على توحيد المشرق الإسلامي، فقد أخذوا على عاتقهم إنجاز واستكمال مشروعهم الوحدوي على المستويين السياسي والمذهبي، حينما ضموا إليهم خراسان والعراق والشام والحجاز واليمن وفتحوا الأناضول، كما اختاروا المذهب السني الحنفي، وواجهوا المذهب الشيعي مذهب الفاطميين والبويهيين.

-النشاط الفكري والعلمي، من خلال بناء المدارس النظامية بأمر الوزير السلجوقي نظام الملك، حيث بنيت هذه المدارس في جميع أقاليم الدولة، واستقدم لها العلماء للتدريس فيها، الذين أثروا الحركة الفكرية والعلمية وساهموا في تطوير نظام التعليم وتنشيط حركة التأليف في مختلف العلوم النقليية والعقلية.

فكان حريا بنا استقصاء تاريخ هذه الدولة بإماطة اللثام عن دور العلماء وعلاقتهم بها، رغم قلة الدراسات

السابقة عن هذا الموضوع، باستثناء دراسة واحدة للدكتورة نادية بنت عبد الكريم مقلية التي عنونها بـ "دور

## **العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي 447هـ - 590هـ / 1055م -**

**1193 دراسة ميامية حضارية**، وحاولت من خلالها تناول الدور الذي أداه العلماء في الحياة العامة سواء في الجانب السياسي والجهادي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي في إقليم العراق خلال العصر السلجوقي، نالت بها شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة أم القرى بمكة المكرمة سنة 1436هـ / 2014م. لكن حينما اطلعت عليها وجدتها تغطي إقليما واحدا هو العراق، في حين إقليمي بلاد ما وراء النهر وخراسان لم تفردهما بالدراسة، كما أنها لم توفق في سبر أغوار هذا الموضوع واكتفت بالتعميم والسطحية دون اللجوء إلى عمق الدور الذي لعبه

العلماء في العراق خلال هذا العصر، بالإضافة إلى عدم تمييزها بين العلماء والسياسيين، فصنفت كثيرا من السياسيين مع العلماء، ناهيك عن ضالة المادة العلمية المستخدمة، وأيضاً تجاوزها للإطار المكاني للموضوع، وعدم تمكنها من وضع خطة شاملة للموضوع ومحكمة البناء.

لقد ضاعفت هذه الدراسة من رغبتني في سد الثغرات التي غفلت عنها صاحبها وتجاوز الهفوات التي وقعت فيها، ومحاولة التوفيق بين ما درسته وعالجته، وبين المبتغى الذي أسعى إليه من هذه الدراسة، وذلك بالحفر في مسائل وقضايا لم تشر إليها أو في نقد بعض الأحكام والآراء التي أبدتها، خاصة وأنا أدرس فترة زمنية مهمة جدا في تاريخ المشرق الإسلامي، وعليها بني مستقبل هذه المنطقة في العصور اللاحقة، فكانت هذه الدراسة بمثابة الأرضية التي ارتكزت عليها في خوض غمار هذه الدراسة.

ولدراسة هذا الموضوع وتحلية مواطن الإشكال فيه، انطلقنا من الإشكالية التالية:

**- كيف كان حضور العلماء وتفاعلهم ومواقفهم وردود أفعالهم اتجاه السلطة والمجتمع في مختلف مجالات الحياة خلال العصر السلجوقي؟ وما هي الأبعاد والنتائج التي تمخضت عن هذا الحضور والتفاعل؟ وما هي القضايا الأساسية التي ساهمت في تعاضد دور العلماء في الحياة العامة أو تضاوله وغيابه؟ وهل أدى ذلك إلى إقبال العلماء على مجال معين في دورهم هذا وإهمالهم لبقية المجالات؟ وهل تمكنوا من تأدية دورهم المنوط بهم بنفس الفاعلية في جميع المجالات التي يشملها، وعلى المستويات المطلوبة؟**

وتنبثق عن هذه الإشكالية جملة من التساؤلات كما يلي:

- هل شارك العلماء في تأسيس الدولة السلجوقية؟ وما هو موقفهم منها؟
- ما هي الجهود التي بذلها العلماء في إضفاء الوحدة السياسية على أقاليم المشرق الإسلامي؟ وما لصيغة الدعم الذي قدموه للمشروع السلجوقي الوحدوي؟
- هل كان للعلماء دور في الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله؟ وهل شاركوا في معركة ملاذكرد سنة 463هـ؟ وما هو موقفهم من الغزو الصليبي لبلاد الشام؟
- ما هي مواقف العلماء وردود أفعالهم من أساليب التداول على السلطة في الدولة السلجوقية؟ وما هو موقفهم من الحركة الباطنية الإسلامية عينية؟

- هل شارك العلماء في وظائف الدولة ومناصبها وكيف كان إقبالهم على تولي هذه الوظائف والمناصب؟.

- ماهي الأسس التي ارتكز عليها العلماء في بناء النظام المالي الإسلامي خلال العصر السلجوقي؟.

- ماهي الآراء والتوجيهات التي قدمها العلماء في مسألة موارد ونفقات الدولة السلجوقية؟.

- ماهي الجهود التي بذلوها في سبيل تطوير وتنمية قطاعات الاقتصاد في هذا العصر؟.

- كيف كانت علاقة العلماء بالمجتمع الإسلامي خلال العصر السلجوقي وما نوع الإصلاح الاجتماعي الذي قدموه؟ وما هي الجوانب التي شملها؟ والنتائج التي حققها؟.

- ما موقف العلماء من الصراع المذهبي خلال العصر السلجوقي؟.

- كيف كان موقف العلماء من نظام التعليم ومن بناء المدارس في العصر السلجوقي؟.

- ما هي أبرز المؤلفات التي صنفها العلماء خلال العصر السلجوقي؟.

يستدعي إنجاز موضوع على هذه الشاكلة الاستعانة بعدد من المناهج التي تساهم مجتمعة في هندسة تصور واضح ورؤية هادفة، يتمكن خلالها الباحث الذي يروم لبحثه بلوغ مراتب العلمية والموضوعية والنوعية، من الإمساك بجشيات موضوعه واستقراء أحداثه ووقائعه، ولا يتسنى له ذلك إلا بتوظيف كل منهج كما يلي:

- المنهج التاريخي الذي يستقرئ الأحداث الماضية والوقائع ويسعى للتأريخ لها كما جرت دون زيادة أو نقصان، فما كان مني إلى تتبع التاريخ السلجوقي في كل من بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق وفق هذا المنهج بإخضاعه وتوثيقه

على المصادر الأساسية المعتمدة والمقاربة بينهما والترجيح بين جميع الروايات المتوفرة.

-المنهج التحليلي هو الآخر كان له حضور لهاغي في هذا الموضوع، من خلال السعي لاستنطاق محتوى المصادر وإعادة ترميم ما تناثر في غيرها لتشكيل منطلقات جديدة لبناء التصور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي، المنبثق من فلسفة إعادة تركيب مفاصل العلاقة القائمة بين العلماء وبقية المواقع السياسية والاجتماعية الفاعلة خلال العصر السلجوقي.

-المنهج الاستقرائي الذي يجعل الباحث أكثر تدقيقاً للمعلومات والمعارف وأشد ثقة في هندسة الأسس التي يتم بها صياغة قراءة فاحصة ودقيقة لتفاصيل الأدوار التي قام بها العلماء في العصر السلجوقي، كما يمنح الباحث إمكانية الغوص في أعماق التوجهات الفكرية لهؤلاء العلماء ومقارنتها بالمشارب المختلفة لهم.

أما خطة هذه الدراسة فقد احتوت على مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة أبواب وخاتمة وعدد من الملاحق، وثبت للمصادر والمراجع، حيث تناولت في الفصل التمهيدي مفهوم مصطلح العلماء لغة واصطلاحاً، بالإضافة إلى أقسامه، وأصناف ومراتب العلماء بدءاً بالمتكلمين وانتهاءً بالأطباء، ثم عرجت للحديث عن جغرافية المشرق الإسلامي، بتسليط الضوء على إقليم العراق وحواضره الكبرى كبغداد والبصرة والكوفة وغيرها، وكذلك إقليم خراسان التي يتكون من أربعة أرباع هي: نيسابور ومرو وبلخ وهراة، بالإضافة إلى إقليم ما وراء النهر الذي يضم خمسة أقاليم هي: إقليم الصغد، إقليم خوارزم، إقليم الصغانيان والختل، وإقليم فرغانة، وإقليم الشاش، وبذلك نكون قد تعرفنا على الأقاليم الثلاثة التي شملها الدراسة، وجاء الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي، الذي يحتوي على خمسة فصول، سعت من خلالها إلى تحليل دورهم السياسي، فقد تطرقت في الفصل الأول إلى مراحل تأسيس الدولة السلجوقية منذ ظهور السلاجقة على مسرح الأحداث في بلاد ما وراء النهر ثم انتصارهم على الغزنويين في معركة داندانقان سنة 431هـ التي انجر عنها قيام دولتهم رسمياً بقيادة السلطان طغرل بك، كما أشارت إلى جهود العلماء في قيام وتأسيس الدولة السلجوقية، واستقصيت في الفصل الثاني ملامح المشروع السلجوقي الوحدوي، بداية بطبيعته المتكونة من عدد من الأنساق والأنماط، التي اعتمد عليها السلاجقة في تجسيده، حيث ساهمت كلها مجتمعة في هندسته على أرض الواقع وامتدت مساحة الدولة السلجوقية من بلاد ما



وراء النهر إلى الشام غربا وإلى الحجاز جنوبا، وبعد ذلك أشرت إلى دخول السلاجقة إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية من خلال الحديث عن المقدمات الممهدة للدخول السلجوقي، وكذا دخول السلطان السلجوقي طغرل بك إلى بغداد سنة 447هـ بطلب من الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وانتقلت بعده للكلام عن استكمال المشروع السلجوقي الوحدوي، بدءا بالقضاء على فتنة البساسيري، فتطور المشروع السلجوقي الوحدوي بعد وفاة السلطان طغرل بك سنة 455هـ، لأصل إلى استقصاء دعم العلماء لهذا المشروع وتوجيهه، بالتطرق إلى موقفهم من الدولة البويهية ومن فتنة البساسيري ومن دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ، وأخيرا أثرهم في استكمال المشروع السلجوقي الوحدوي. وتناولت في الفصل الثالث الدور الدعوي والجهادي للعلماء في العصر السلجوقي، بالحديث عن نظرة العلماء إلى الدعوة وجهودهم في الدعوة إلى الإسلام، ثم عرجت إلى نظرهم إلى الجهاد في سبيل الله وجهودهم في الحث والتحريض على الجهاد في سبيل الله، وكذا مشاركتهم في معركة ملاذكرد سنة 463هـ، لنصل إلى الفصل الرابع الذي سلط الضوء على موقف العلماء من الأحداث والقضايا السياسية خلال العصر السلجوقي، إذ استهلته بموقف العلماء من أساليب تداول السلطة لدى السلاجقة، وأتبعته بأثر العلماء في التصدي للحركة الإسماعيلية الباطنية، وأنهيته بوعظ ونصح العلماء لسلطين ووزراء ورجال الدولة السلجوقية. وختمنا هذا الباب بالفصل الخامس الذي تطرقنا فيه لمشاركة العلماء في وظائف الدولة السلجوقية الدينية والسلطانية، فاستعرضت فيه العلماء الذين تولوا الخطابة وإمامة الصلوات، بالإضافة إلى المفتين والقضاة والمحاسبين والوزراء والسفراء والكتّاب والنقباء وبقية الوظائف الأخرى. وبخصوص الباب الأول فقد جاء كثير الصفحات كبير الحجم، نظرا لتشعب وتعقد الأحداث السياسي التي دار عليها دور العلماء السياسي.

أما الباب الثاني فقد تحدثت فيه عن دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر السلجوقي، حيث تطرقت في الفصل الأول إلى جهود العلماء في بناء النظام المالي في العصر السلجوقي، بتبيين رؤيتهم ونظرهم إلى طبيعة المال في العصر السلجوقي، وآرائهم حول النظام المالي في العصر السلجوقي، بالإضافة إلى دور العلماء في تنظيم الإدارة المالية إبان العصر السلجوقي، وتناولت في الفصل الثاني موقف العلماء من الموارد والنفقات في العصر السلجوقي بدءًا بأساليب تحصيل الزكاة وصرفها عند العلماء، فجهود العلماء في تنظيم الخراج، ثم موقفهم من الجزية، وكذلك تعاملهم مع أموال الفيء والغنائم، بالإضافة إلى موقفهم من الضرائب والمصادرات، ثم ختمنا الفصل بالتطرق إلى نظرة العلماء للنفقات في العصر السلجوقي، وبالنسبة للفصل الثالث فقد عالجنا فيه جهود العلماء في تنمية الاقتصاد وتطوير قطاعاته في العصر السلجوقي، بإبراز جهودهم في إظهار قيمة العمل والكسب في العصر السلجوقي وكذا ممارستهم للأنشطة الاقتصادية من زراعة وحرف وصنائع وتجارة، وتناولت في الفصل الرابع مواجهة العلماء للفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي، حيث أشرت إلى مظاهر الفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي، ثم تطرقت إلى تصدي العلماء لمظاهر الفساد الاقتصادي إبان العصر السلجوقي.

وفي الباب الثالث استقصيت دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي، حيث تناولت في الفصل الأول مكانة ومنزلة العلماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر السلجوقي، فقد ذكرت مكانتهم العلمية والأخلاقية بالإضافة إلى مكانتهم الاجتماعية، وكذلك أحوالهم المعيشية والخدمات الخاصة التي حظوا بها خلال هذا العصر، بينما تطرقت في الفصل الثاني إلى جهود العلماء في إصلاح المجتمع الإسلامي خلال العصر السلجوقي، من خلال تحليلية مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء وكذا مظاهر الفساد الاجتماعي خلال العصر السلجوقي، بالإضافة إلى خطوات الإصلاح الاجتماعي عند العلماء، وأيضاً جهود العلماء ومواقفهم في التصدي للفساد الاجتماعي، وعالجت في الفصل الثالث العلماء بين المجتمع والسلطة، بتبيين أساليب العلماء في إبراز موقفهم في المجتمع والسلطة، وكذلك المحن التي تعرض لها العلماء خلال العصر السلجوقي، كما أشرت إلى الأدوار الاجتماعية الأخرى للعلماء إبان هذا العصر، وأنهيت هذا الباب بالفصل الرابع دور العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث الطبيعية خلال العصر السلجوقي، حينما تطرقت إلى الأزمات والكوارث بأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر في الفترة السلجوقية، وكذلك جهود العلماء في التصدي للأزمات والكوارث إبان العصر السلجوقي.

أما الباب الرابع فقد تناولت فيه دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي، حيث عالجت في الفصل الأول موقف العلماء من الخلافات المذهبية في العصر السلجوقي، سواء موقفهم من الخلاف المذهبي بين أهل السنة والمعتزلة والشيعة، وأيضاً موقفهم من الخلاف المذاهب السنية، في حين تطرقت في الفصل الثاني لجهود العلماء في تطوير نظام التعليم ومؤسساته، بدءاً بالعوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال العصر السلجوقي، ثم عالجت نظام التعليم خلال العصر السلجوقي، وبعدها تحدثت عن المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها، وجاء الفصل الثالث ليستقصي إسهامات العلماء في التأليف في العلوم النقلية والعقلية خلال العصر السلجوقي، من خلال تسليط الضوء على أبعاد التكوين العلمي للعلماء المسلمين، وكذلك أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي، وأيضاً الإنتاج العلمي للعلماء في العلوم النقلية والعقلية. وأنهيت الدراسة بخاتمة استعرضت فيها ما خلصت إليه من نتائج وآراء واقتراحات لأفاق جديدة تساعد على المواصلة في دراسات من هذا النوع في المستقبل، كما وضعت عدداً من الملاحق لإثراء مضمون البحث والربط بين مادته العلمية وأبوابه، كل ذلك تضمنته خطة البحث التي استعرضناها.

تعتبر المادة العلمية أصل البحث ولبه، خاصة فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية والاجتماعية التي هي علوم نقلية تعتمد على النقل وأخذ المعلومات من مختلف الكتب، وأصبح التدوين التاريخي متنوع المشارب والمنايع ولم يعد مقتصرًا على نوع محدد من المصادر، فكلما كثرت وتنوعت موارد البحث كلما ازداد العمل ثراءً وامتلك صاحبه آليات الفهم العميق والصحيح للحدث التاريخي، وبالتالي امتلاك زمام المبادرة في إثراء البحث وتأكيد النتائج التي خلص إليها الباحث، لذا فدراسة فئة العلماء بتنوع تخصصاتها ومراتبها وتقييم دورها في الحياة العامة، لا يقتصر على مصادر معينة بل يتعداها إلى مصادر أخرى تصب في قالب واحد، نذكرها كما يلي:

## 1- كتاب: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية لمحمد بن علي بن

**سليمان الرواندي (ت 607هـ/1210م):** يؤرخ هذا المصدر لتاريخ الدولة السلجوقية من بدايتها إلى غاية سقوطها سنة 590هـ/1194م، بالرغم من أنَّ مؤلفه قد عاصر الأربعين سنة الأخيرة من الحكم السلجوقي، حيث كان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي شهدتها هذه الفترة، مما يؤكد أهمية هذا المصدر الذي غطى فترتي السلطانين السلجوقيين الأخيرين؛ إرسالاً وطغراً، لذلك قام برواية الأخبار المتعلقة بعهديهما بشكل مفصل ودقيق، فقد تمكن من خلال قربه من السلطان طغرل أن يطلع عن كُتب على جميع ما جرى في آخر عهد الدولة السلجوقية، وبالمقابل جاءت المعلومات عن السلاطين الأوائل على جانب كبير من التفصيل والتقصي للأحداث والوقائع التي جرت، غير أنَّها ليست بنفس الأهمية بالنسبة للفترة التي عاصرها.

وقد ألف الرواندي كتابه للسلطان السلجوقي ركن الدين سليمان شاه ملك الأناضول (597هـ-601هـ)، غير أنه تراجع عن ذلك لما علم أنه اغتصب العرش من أخيه الأكبر غياث الدين كيخسرو، وقرر إهداءه لهذا الأخير، لكن لم يستطع تغيير جميع العبارات والفقرات التي مجَّد فيها ركن سليمان شاه، ومع ذلك فقد أكثر من تبجيل ومدح السلطان غياث الدين كيخسرو في كتابه، حتى أنه بالغ في تعظيمه والرفع من قدره على حساب بقية سلاطين السلاجقة العظام كالسلطان ملكشاه وابنه السلطان سنجر الذين حكموا مساحات واسعة تضم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر والأناضول والشام واليمن والحجاز وأذربيجان، في حين لم يحكم كيخسرو سوى الأناضول. استفدت من هذا المصدر في البابين الأول والثاني، حيث اعتمدت عليه في استقراء المعلومات المتعلقة بتأسيس الدولة السلجوقية وتوسعاتها في المشرق الإسلامي وحركة الجهاد التي قادوها في الأراضي البيزنطية، وكذلك عند تطرقي لموقف العلماء من الوقائع والأحداث السياسية في العصر السلجوقي، كما استقصيت من خلاله بعض الحثثيات المتعلقة بموقف العلماء من الموارد والنفقات إبان العصر السلجوقي، كل ذلك جعلني لا أستغني عن هذا المصدر الهام، الذي ألفه الرواندي بالفارسية وقام بترجمته إلى اللغة العربية كل من؛ إبراهيم أمين الشواربي وعبد النعيم محمد حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد، وبمراجعة إبراهيم أمين الشواربي، وتقديم من بديع محمد جمعة وشيرين عبد النعيم محمد حسنين، ونشر من طرف المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة للمرة الثانية سنة 2005م، بعد طبعه سنة 1960م.

## 2- كتاب: زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية لصدر الدين علي بن ناصر

**الحسيني (ت. بعد 622هـ):** يعتبر صدر الدين علي بن ناصر الحسيني من المؤرخين الذين عاصروا أواخر الدولة السلجوقية، حيث شاهد عن كُتب عددا من الوقائع والأحداث التي جرت في عهود السلاطين المتأخرين، وبخاصة السلطان السلجوقي طغرل (ت 590هـ/1194م)، الذي ربطته به علاقة متينة، وقد تناول في كتابه أخبار الأسرة

السلجوقية، سواء السلاطين العظام أو سلاطين العراق، من بداية تأسيس الدولة إلى نهايتها، متتبعا سير وأعمال السلاطين والملوك والأمراء والوزراء وكبار العمال والموظفين، فيما يتعلق بتبوءهم للسلطة وخوضهم للحروب وحياسة الدسائس والعزل والقتل، بالإضافة إلى بعض المعلومات المقتضبة التي تسلط الضوء على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والعمرانية.

إن أهمية هذا المصدر تكمن في عدم استغناء المؤرخ للفترة السلجوقية عن الاستفادة منه، فهو من المصادر القليلة عن العهد السلجوقي التي ألفت باللغة العربية، كما أن قرب مؤلفه من السلطة السلجوقية قد فتح له الباب للاطلاع على كثير من المصادر التي ضاعت وتعرضت لتأريخ السلاجقة منذ قيام دولتهم، لذا استقيت من هذا المصدر كل ما يتعلق بسير السلاطين وأهم الإنجازات التي قاموا بها على الصعيد السياسي، عندما تطرقت لدور العلماء السياسي في العصر السلجوقي في الباب الأول، فكان علي الاعتماد كثيرا على هذا الكتاب لتتبع حيثيات وظروف تأسيس الدولة السلجوقية ومحطات المشروع السلجوقي الوحدوي والحركة الجهادية ضد البيزنطيين وأهم الأحداث والوقائع السياسية التي جرت في هذا العصر، كما أفادني في دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي، وخصوصا في بعض الإحصائيات التي تتعلق بمقايير أموال الجزية والغنائم والنفقات في عهود عدد من سلاطين السلاجقة. وقد تم تحقيق كتاب زبدة التواريخ من طرف الدكتور محمد نور الدين وطبع سنة 1405هـ/1985م، بدار إقرأ في بيروت.

### 3- كتاب: استعراض في تاريخ السلاجقة لمحمد بن محمد بن عبد الله بن النعمان

**الحسيني (ت743هـ):** لا يقل هذا المصدر أهمية عن المصدرين السابقين، فقد استعرض مؤلفه فيه تاريخ السلاجقة من بدايتها إلى سقوطها سنة 590هـ، مستقصيا عهود جميع سلاطين السلاجقة من طغرل بك إلى السلطان السلجوقي طغرل، بالرغم من أن محمد الحسيني لم يعاصر هذه الدولة، إلا أن دافعه للتأليف حول تاريخها هو معاصرته للخان المغولي أوجلايتو، إذ رأى مدى التشابه بين الأتراك السلاجقة والمغول، حيث تمكن السلاجقة بعد تحقيق وحدتهم من تأسيس دولتهم التي حكمت مساحات واسعة من العالم الإسلامي، ولكن مع ذلك يستغرب منه أن يعتبر سنة 590هـ هي سقوط الدولة السلجوقية، في ظل بقاء فرع من السلاجقة يحكم بلاد الأناضول أي سلطنة سلاجقة الروم، فلم يؤرخ لها رغم معاصرته لها.

يؤخذ على هذا المصدر تذبذب صاحبه في أحكامه على أعمال السلاطين وإسرافه في الثناء عليهم، ونسبته أعمالا إليهم لا تتفق مع الحقيقة التاريخية، بالإضافة إلى عدم دقته في التأريخ لبعض الأحداث، ويبدو أن الحسيني قد اقتفى أثر كتاب راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية للرواندي، في أسلوب عرض الأحداث والإكثار من الاقتباسات التي تمنع الترابط بين الأحداث التاريخية.

لقد زودني هذا المصدر بمجموعة من المعلومات التي وظفتها أثناء تطريقي لمبحث العلماء وقيام الدولة السلجوقية وكذلك عند حديثي عن العلماء والمشروع السلجوقي الوحدوي، في الباب الأول من هذه الأطروحة. والكتاب ألف باللغة الفارسية حيث ترجمه وحققه الدكتور حسين أمين، وراجع الترجمة الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، كما له عنوان آخر هو العرّاضة في الحكاية السلجوقية، وتم طبعه سنة 2011م، في دار المدى للثقافة والنشر بدمشق.

#### 4- كتاب: تاريخ دولة آل ملجوق لعماد الخين محمد بن محمد بن حامد

**الأصفهاني (ت 597هـ):** تكمن أهمية هذا المصدر في أنّ مؤلفه قد عاصر السبعين سنة الأخيرة من عمر الدولة السلجوقية، بعد أن عاش في ظل الحكم الأيوبي، حيث رافق السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 589هـ) في حياته ومعاركه، وكانت له علاقة وطيدة بالقاضي الفاضل عبد الرحيم، وهذا الكتاب عبارة عن مختصر للمؤلف الأصلي الموسوم بـ "نصرة الفتره وعصره الفصحة في أخبار الوزراء السلجقية"، قام باختصاره الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، وبدأ ذلك في مستهل شهر ربيع الأول سنة 623هـ، وأهداه للسلطان الأيوبي أبي الفتح عيسى ابن السلطان العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب، وتتبع فيه التاريخ السلجوقي من البداية حتى عصر السلطان السلجوقي أرسلان (ت 571هـ)، مسلطا الضوء على سير سلاطين الدولة السلجوقية ووزرائهم، كل ذلك جعلني أنهل منه بعضا من المعلومات في فصل العلماء وقيام الدولة السلجوقية من الباب الأول من هذه الدراسة، وكذلك في فصل العلماء والمشروع السلجوقي الوحدوي من الباب نفسه. وقد تم طبع هذا المصدر سنة 1425هـ/2004م، بقرأة وتقديم من الدكتور يحي مراد، ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت.

#### 5- كتاب: سير الملوك أو ميامت نامه للوزير السلجوقي نهم الملك

**الهومري (ت 485هـ):** لهذا المصدر أهمية خاصة تكمن في تأليفه من قبل الوزير نظام الملك الذي شغل منصب الوزارة في الدولة السلجوقية لمدة ثلاثين عاما، وعاصر أول ثلاثة سلاطين السلاجقة وهم طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه، وكان له الدور الرئيسي في توجيه السلطنة السلجوقية وبناء نظمها الإدارية ومؤسساتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية والعمرانية، فألف كتابه هذا ليكون دليلا للسلاطين في تسيير الدولة، حيث صنّفه في أواخر عهد السلطان ملكشاه، وذلك بطلب من هذا الأخير، وسماه سياست نامه أي سير الملوك، فهو مدون باللغة الفارسية وتم ترجمته إلى اللغة العربية الدكتور يوسف بكار. كما أشار نظام الملك أنه أفرد في كتابه كل ما عرفه ورأه وخبره من تجارب في حياته أو تعلمه من أساتذته، وأكد أنّ على كل ملك أو حاكم اقتناء هذا الكتاب، لأنه يساعده على ازدياد درايته بأمور الدين والدنيا، وتوسع رؤيته في معرفة أحوال الصديق والعدو، وتفتح

أمامه سبل تصريف الأمور وإدارتها، وتتضح له قواعد تدبير شؤون البلاط، والقصر والديوان والمجلس والميدان والأموال والمعاملات والعسكر والرعية.

وكتاب سياست نامہ ليس كتابا في نظم الحكم والإدارة فحسب، بل تضمن معلومات وإشارات تاريخية واقتصادية واجتماعية وعلمية وحتى عمرانية، إذ لم يكتف نظام الملك باستعراض آرائه، وإنما ساق عدد كبيرا من قصص الملوك وسيرهم في كل باب من أبواب كتابه، وذلك لتدعيم وجهة نظره، وبالتالي أفادني مؤلفه هذا في كثير من النقاط التي عاجلتها في فصل موقف العلماء من الموارد والنفقات في العصر السلجوقي، ضمن الباب الثاني من هذه الأطروحة، وخصوصا نظام الخراج والإقطاع العسكري، وكذلك نفقات الدولة السلجوقية. فلا يمكن للباحث في التاريخ السلجوقي أن يستغني عن هذا المصدر الهام الذي يعتبر دستورا للدولة السلجوقية.

#### 6- كتاب: **المنتظم في تاريخ في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن**

**علي بن محمد ابن الجوزي (ت 597هـ):** يكتسي هذا المصدر مكانة مميزة في التاريخ الإسلامي، فهو يعد من المؤلفات ذات الطابع الموسوعي، وأحد المصنفات التاريخية الحولية التي تعنى بالتأريخ لجميع الأحداث والوقائع التاريخية وفق نمط السنوات والأعوام، مما يفسر ضخامة هذا الكتاب الذي بلغ ثمانية عشر جزءا، وقد صنفه العالم الفقيه عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي الذي عاصر الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، وكان شاهد عيان على ما جرى من أحداث ووقائع في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، إذ أدى به قربه من خلفاء الدولة العباسية لتسجيل وتدوين كل ما شاهدته وحضره وسمعه وأخبر به من قبل العلماء وما اطلع عليه من خلال الكتب التاريخية التي كتبت قبل العصر الذي عاش فيه، كما أن منهج الحوليات الذي سار عليه في كتابه، كفل له التتبع المستمر لما حدث، وتمكن بذلك من تسليط الضوء على أوضاع الدولتين العباسية والسلجوقية في الأجزاء 15-16-17-18، راصدا لنا نظم الحكم والإدارة فيهما وعهود الخلفاء العباسيين والسلطين السلاجقة، والعلاقة بين الطرفين منذ تأسيس الدولة السلجوقية إلى غاية دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد سنة 447هـ، وتعرض أيضا لتطور العلاقات بين الجانبين حتى سقوط الدولة السلجوقية سنة 590هـ، وأشار في ذات السياق إلى الحروب التي وقعت بينهما، وأرخ للفتوحات السلجوقية في الأراضي البيزنطية، وتكلم عن الأوضاع الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، والتغيرات التي شهدتها، وكذلك الموارد والنفقات المالية، وحتى الأزمات الاقتصادية التي شهدتها كلا الدولتين وتأثيرها عليهما، ولم يفته التعرض للأوضاع الاجتماعية، كأحوال المجتمع الإسلامي والتغيرات التي طرأت عليها، وطبقاته وفئاته، وكذلك مختلف الأزمات والكوارث التي حلت عليه، وأخبرنا عن الحياة العلمية التي تأثرت بالصراعات المذهبية بين أهل السنة والجماعة وبقية الفرق الإسلامية، واستقصى أيضا أوضاع نظام التعليم ومؤسساته وحركة التأليف العلمي.

لقد سبر ابن الجوزي غور أحداث التاريخ العباسي والسلجوقي بمنهج تاريخي دقيق، حيث كان يختم حديثه عن أحداث كل سنة من سنوات هذا التاريخ، بذكر وفيات عدد كبير من العلماء الذين ساهموا في هذه الأحداث والوقائع، كل ذلك جعلني لا أستغني عن هذا المصدر الذي رافقني في جميع أبواب وفصول ومباحث هذه الأطروحة، حيث نخلت منه كما هائلا من المعلومات في تتبعي لأدوار العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية واستقصائي لما قاموا به في هذه المجالات خلال العصر السلجوقي، وخاصة في إقليم العراق وحاضرتة بغداد وباقي المدن الأخرى.

تم دراسة وتحقيق كتاب المنتظم من قبل محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ومراجعة وتصحيح نعيم زرزور، وطبع في دار الكتب العلمية ببيروت.

## 7- كتاب: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لشمس الدين أبي المنصور يوسف بن

**قزويني بن عبد الله المعروف بسبكه ابن الجوزي (ت 654هـ):** يعد هذا الكتاب أشهر مؤلفات سبط ابن الجوزي، وهو تاريخ عام كتبه السبط على منهج الحوليات، مقتفيا بذلك أثر جده لأمه عبد الرحمن ابن الجوزي، حيث تطرق فيه لما جرى منذ بدء الخليقة إلى غاية وفاته سنة 654هـ، والكتاب له أهمية كبيرة من الناحية السياسية والحضارية، وأن قيمته العلمية تتفاوت تبعا للمصادر التي نقل عنها، وأن قيمته العلمية تتفاوت تبعا للمصادر التي نقل عنها، فقد اعتمد السبط على مصادر تاريخية مهمة مفقودة تعد شاهدة عيان على الأحداث والوقائع، وعلى الرغم من عدم معاصرة سبط ابن الجوزي للدولة السلجوقية، إلا أنه عاصر العصر العباسي الأخير، فقد ولد في خلافة الناصر لدين الله العباسي (575هـ-622هـ) الذي أنهى النفوذ السلجوقي في العراق، وبالمقابل عاصر الدولة الأيوبية في مصر والشام ودولة المماليك التي خلفتها، ولا ننسى الغزو المغولي للمشرق الإسلامي، وكذلك الحروب الصليبية في بلاد الشام.

لقد أرخ سبط ابن الجوزي للدولة السلجوقية منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها سنة 590هـ، معتمدا على كتاب جده لأمه عبد الرحمن ابن الجوزي "المنتظم" الذي انتهى منه سنة 586هـ، ولكن توقف عن التأريخ في حدود سنة 574هـ، أي أن ستة عشرة سنة الأخير من عمر الدولة السلجوقية لم يتطرق إليها عبد الرحمن ابن الجوزي، لذا يمكن اعتبار كتاب سبط ابن الجوزي تنمة لكتاب جده، إذ بدأ من حيث انتهى عبد الرحمن ابن الجوزي، وزاد عليه ما شاهده وعاصره من أحداث عرفها التاريخ العباسي الأخير. والكتاب موسوعة تاريخية ضخمة بلغت اثنان وعشرون جزءا، حاز فيها العصر السلجوقي ستة أجزاء (17-18-19-20-21-22).

أفادني كتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان بكثير من المعلومات التي وظفتها في أغلب أبواب وفصول ومباحث هذه الدراسة، وخصوصا تراجم العلماء الذين ترجم لهم في كتابه، كل ذلك جعلني لا أستغني عن الاعتماد

عليه، شأنه في ذلك شأن كتاب جده المنتظم، وقد حققه وعلق عليه محمد أنس الخن وكامل محمد الخراط، طبع في دار الرسالة العالمية بدمشق سنة 1434هـ/2013م.

8- كتاب: **الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن**

**عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعن**

**العرين (ت 630هـ):** يعد كتاب الكامل في التاريخ أحد أفضل وأهم مصادر التاريخ الإسلامي، نظرا للمنهج

التي سار عليه مؤلفه، فقد أراد أن يكون محتويا على أحداث تاريخ العالم من بداية الخليقة إلى عصره، والتي جرت في ربوع العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، بالإضافة إلى الصين والهند، متبعا أسلوب الحوليات (السنن) في ذلك. والكتاب عبارة عن موسوعة تاريخية ضخمة بلغت عشرة أجزاء، دونها ابن الأثير مستعرضا ما جرى من وقائع وأحداث، وخصوصا تاريخ الدولة السلجوقية والخلافة العباسية والدولة الزنكية والدولة الأيوبية، حيث عاصر أواخر العصر السلجوقي والعباسي المتأخر، بالرغم من إقامته مع أسرته في البداية في جزيرة ابن عمر، ثم انتقل للعيش في الموصل التي كانت عاصمة الزنكيين، كل ذلك جعله شاهد عيان للكثير من الأحداث التاريخية، إذ أرخ للصراعات السياسية والعسكرية التي جرت بين السلاجقة والخلافة العباسية، والتطورات التي نتجت عنها، وتحدث كذلك عن الحروب الصليبية وبين جهود السلاجقة في محاولة استرداد بلاد الشام من الصليبيين، وأهم المعارك التي جرت بين الطرفين، مشيرا في السياق ذاته إلى القائد السلجوقي عماد زنكي مؤسس الدولة الزنكية وجهوده في مواجهة الصليبيين وكذا علاقته بالسلاجقة في العراق وخراسان، كما تعرض في كتابه إلى الجوانب الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية والتطورات العلمية في العصر السلجوقي، ولم يفته الحديث عن الصراع المذهبي الذي شهدته هذا العصر وخاصة بين أهل السنة والجماعة والشيعة، وخصص حيزا واسعا للمواجهة التي كانت بين السلاجقة والحركة النزارية الباطنية بزعامة الحسن بن الصباح (ت 518هـ)، ولم أيضا الحديث عن العلماء وحضورهم في هذه الأحداث خلال العصر السلجوقي، فكان يختم كلامه عن كل سنة من السنوات بذكر تراجم العلماء الذين ماتوا في هذه السنة، وبالتالي الذي يطلع على هذا المؤلف الهام سوف يلم بجميع تفاصيل تاريخ الدولة السلجوقية منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها سنة 590هـ.

إنَّ شغف ابن الأثير بالتاريخ واهتمامه المتزايد به جعله يؤلف مصنفه هذا، من خلال اعتماده على والده في بعض المعلومات، بالإضافة إلى الرحلات التي قام بها إلى بغداد والحجاز ودمشق وحلب، حيث أتاحت له اللقاء بالعلماء والأدباء والمفكرين، وإطلاعه أيضا على الوثائق الرسمية الموجودة في الموصل وكتب التاريخ العام والتراجم والأنساب، كما شارك في بعض المعارك التي خاضها السلطان صلاح الدين ضد الصليبيين، وكذا ما سمعه من معاصريه الذي شهدوا الأحداث والوقائع أو سمعوا عنها، كل ذلك جعله يعرض مادة كتابه باستخدام مهارات



أسلوبية لغاية تنظيم مادته، ولمساعدة القارئ على الإحاطة بالموضوع دون عناء، كالعناوين التي وضعها للأحداث لتعبر عن مضامينها والعرض المتناسك للمعلومات وأيضا التمهيد للخبر وتلخيصه والربط بين الموضوعات المختلفة.

لقد استفدت من كتابة الكامل في التاريخ بشكل كبير، حيث أخذت منه معلومات كثيرة في جميع أبواب وفصول ومباحث هذه الدراسة، إذ استطعت من خلال المادة التاريخية التي احتوى عليها أن أتبع دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية في العصر السلجوقي، لدرجة أنني اعتمدت عليه بشكل رئيسي وخصوصا أنه أشار في الجزأين الثامن والتاسع إلى كثير من الأحداث والقضايا التي لم تتطرق لها المصادر الأخرى حول دور العلماء إبان الفترة السلجوقية. وتمت مراجعة وتصحيح كتاب الكامل في التاريخ من قبل الدكتور محمد يوسف الدقاق، وطبع في دار الكتب العلمية ببيروت سنة 1434هـ/2004م.

## 9- كتاب: الأنساب للإمام أبي محمد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي

**السمعاني (ت 562هـ):** يعتبر كتاب الأنساب من كتب التراجم الهامة التي صنفت خلال العصر السلجوقي، فهو عبارة عن موسوعة ضخمة تعنى بتتبع أنساب العلماء والخلفاء والسلطين والقادة والأعيان والفضلاء والشعراء وحتى عامة الناس، مرتبة على الأحرف الهجائية، حيث تضمن الكتاب عددا كبيرا جدا من التراجم، قام السمعياني بجمعها من خلال استعراض أفراد الأسرة الواحدة بدءا بالجد فالأبناء ثم الأحفاد، وبعدها يذكر مناقبهم ومآثرهم وسنوات ولادتهم ووفاتهم، كما اتبع في استقصاء الأنساب، التطرق أولا إلى نسب العائلة المنحدرة من قبيلة من القبائل، فإذا لم يجد ذكر النسبة إلى إقليم من الأقاليم أو مدينة من المدن أو قرية من القرى، وإن لم يجد يشير للنسبة إلى أحد المذاهب العقدية والفقهية، أو إلى صنعة من الصنائع أو حرفة من الحرف أو مهنة من المهن.

لقد ساهمت الرحلات العلمية التي قام بها السمعياني إلى أقاليم وحواضر ومدن المشرق الإسلامي، والتقاءه بالعلماء والشيخ والفضلاء وأصحاب الشأن، في صقل شخصيته ونضجه واكتمال تحصيله العلمي، وانصرافه للتأليف والتصنيف، بعد أن طلب العلوم على آلاف العلماء، فقرر تأليف كتابه لمعرفة الأنساب ومدى أهميتها ودورها في ائتلاف الناس وتوافقهم واجتماعهم، خصص فيه للعلماء حيزا كبيرا، تخليدا لمشايخه الذين أخذ عنهم صنوف العلم، فقد تسنى له التحصيل المباشر عنهم، وبذلك ترجم لهم تراجم تراوحت بين الطول والإطناب أحيانا والاختصار والإيجاز أحيانا أخرى، بأسلوب رصين وسلسل وواضح، مع ذكر مؤلفاتهم والمناصب التي أسندت لهم والأقوال التي قالوها والمواقف التي أبدوها والصنائع والحرف والمهن التي زاولوها.

زودني كتاب الأنساب للسمعاني بمعلومات هامة عن العلماء وأدوارهم في الحياة السياسية من خلال ذكره للعلماء الذين تولوا خطط الدولة السلجوقية، كالخطابة والإفتاء والقضاء والوزارة وغيرها، كما استفدت منه كثيرا لما تطرقت دور العلماء في الحياة الاقتصادية، حينما تحدث عن ممارسة العلماء للأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، ونهلت منه أيضا عندما تناولت دور العلماء في الحياة الاجتماعية، وخصوصا في معرفة العلماء الذين تصدوا لإصلاح المجتمع عن طريق الوعظ، كل ذلك جعلني لا أستغني عن هذا المصدر الهام في موضوعي هذا، وقد حقق نصوصه وعلق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله تعالى، وتم طبعه في القاهرة سنة 1400هـ/1980م، ووصل عدد أجزائه إلى اثنا عشرة.

#### 10- كتاب: المنتخب من معجم شيوخ الإمام الحافظ أبي سعد عبد الكريم ابن محمد

**بن منصور السمعاني التميمي (ت 562هـ):** إنَّ هذا الكتاب يضم تراجم للشيوخ الذين تتلمذ عليهم السمعاني، والتقى بهم في أثناء رحلاته إلى الأمصار وتحصيله العلمي، صنفه أبو بكر بن عبد الكافي بن عثمان الهراسي المراغي في الثاني والعشرين من ذي حجة سنة سبع وأربعين وستمائة، حيث انتخب فيه 1446 شيخا من شيوخ السمعاني، وقام باستقصاء ترجمة كل عالم على حدا، بذكر نسبه ومولده ومناقبه ومؤلفاته والمناصب التي أسندت إليه، والعلم الذي نبغ فيه والمجالس العلمية التي عقدها، والإجازات التي أجازها للسمعاني، وحتى المهنة التي زاولها، والمحن التي تعرض لها، وأخيرا يذكر سبب الوفاة، كل ذلك انتقاه أبو بكر المراغي على لسان السمعاني ومن خلال مؤلفاته ونقلًا عن تلاميذه أيضا، بأسلوب إخباري دقيق، كما يضم الكتاب في طياته عددا من الأحداث التاريخية التي شهدها العصر السلجوقي، وخصوصا الصراع بين السلطان السلجوقي سنجر والخوارزميين، وكذلك فتنة قبائل الغز وهزيمة السلطان سنجر سنة 548هـ على أيديهم، وما قاموا به من تخريب للمدن والقرى وتقتيلهم للعلماء واستباححتهم لدماء الناس وأموالهم وممتلكاتهم، وإنهائهم للحكم السلجوقي في خراسان.

إنَّ كتاب المنتخب من معجم شيوخ السمعاني عبارة عن ثروة هائلة من المعلومات التاريخية، يستطيع الباحث على ضوءها التعرف على مختلف المعطيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمذهبية والجغرافية والعمرانية، وبالتالي استفدت منه في تتبع المناصب والوظائف التي أسندت للعلماء في العصر السلجوقي، وزودني أيضا بتفاصيل هامة عن العلماء الذين مارسوا بعض الأنشطة الاقتصادية من زراعة وحرف وصنائع وتجارة، كما أفادني كذلك في تناولي لدور العلماء في الحياة الاجتماعية، وخصوصا فيما يتعلق بفصل العلماء بين المجتمع والسلطة، لذا فإنَّ هذا المصدر لا يقل أهمية عن كتاب الأنساب، وقد حقق من قبل الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، وطبع سنة 1417هـ/1996م في مدينة الرياض.

**11- كتاب: التحبير في المعجم الكبير للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد**

**السمعاني التميمي (ت 562هـ):** هذا المصدر يكتسي أهمية خاصة تتمثل في كونه آخر مؤلفات عبد الكريم السمعاني، فقد ألفه في أواخر حياته، حيث جاءت فيه معلومات عن سنة 560هـ وسنة 561هـ، ومحرم من سنة 562هـ، أي قبل وفاة السمعاني في غرة ربيع الأول من سنة 562هـ.

ترجم السمعاني في كتابه لـ 1123 عالماً، و 89 عالمة تتلمذ على أيديهم وقرأ عليهم وأخذ الإجازات منهم، حيث تراوحت تراجمهم بين التطويل والإيجاز والإطناب والاختصار، فقد ذكر أسمائهم وكناهم وأنسابهم مرتبة ترتيباً هجائياً، كما أشار إلى سنوات ولادتهم ووفاتهم، والكتب التي قرأها عليهم والمهن التي زاولها والخطط التي تولوها وكثيراً من التفاصيل عن حياتهم، مما يجعل كتاب التحبير في المعجم الكبير ينفرد عن كتابي الأنساب والمنتخب من معجم الشيوخ، ينفرد بكثير من المعلومات والتفاصيل والحديثات والأحداث التاريخية، نظراً لأنه آخر كتاب صنفه السمعاني وبالتالي دون فيه جميع ما شاهده وعاصره ورآه ووقع له أثناء رحلاته وتحصيله العلمي في حواضر ومدن المشرق الإسلامي التي زارها، لذا استفدت منه كثيراً في تراجم العلماء ودورهم في الحياة الاقتصادية، من خلال ذكره لكثير من الحرف التي زاولها هؤلاء العلماء، وأفادني أيضاً في إحصاء العلماء الذين تولوا خطط الدولة مثل القضاء والحسبة والكتابة والسفارة والوزارة، والخطابة وإمامة الصلوات والتدريس في المساجد والخانقاهات والمدارس النظامية، بالإضافة إلى دور العلماء في الحياة الاجتماعية وخصوصاً ما تعرضوا له على أيدي قبائل الغز في خراسان. وقد حقق الكتاب من قبل الدكتورة منيرة ناجي سالم في جزئين، بجامعة بغداد.

**12- كتاب: المختصر من كتاب السيلق لتاريخ نيسابور للإمام الحافظ أبو الحسن**

**الفارسي (ت 529هـ):** يعد هذا الكتاب أحد كتب التراجم الهامة في التاريخ الإسلامي، حيث خصصه مؤلفه لتراجم علماء نيسابور، الذين عاصروهم أو تتلمذ عليهم، أو عاشوا فيها أو ارتحلوا إليها من باقي حواضر العالم الإسلامي أو عاشوا قبل عصره، فالكتاب يسلط الضوء على الأوضاع العلمية في مدينة نيسابور التي تعتبر من أهم الحواضر العلمية في خراسان والعام الإسلامي، فقد كانت عاصمة هذا الإقليم لعهود طويلة، وبلغت في العصر السلجوقي شأواً كبيراً في التطور العلمي، وقد احتوى على 2321 ترجمة أكثرها للعلماء، بالإضافة إلى بعض الأمراء والحكام والوزراء والتجار والأعيان، فأضحى بذلك أحد المصادر المهمة والجديرة بالنظر في تاريخ العصرين الغزنوي والسلجوقي، حيث استطاع مؤلفه أن يشير لكثير من الأحداث والوقائع التي شهدتها نيسابور على ضوء تراجم العلماء، سواء التطورات السياسية وبعض الملامح الاقتصادية والمعالج الاجتماعية والصراعات المذهبية والحركة العلمية والفكرية.

لذا اعتمدت كثيرا على هذا المصدر في إحصاء أعداد العلماء الذين أسندت إليهم وظائف الدولة في العصر السلجوقي، فتعرفت من خلاله على القضاة والخطباء وأئمة الصلوات والمحتسبين والمفتين والمدرسين وغيرهم، وقد حقق الكتاب على يد محمد كاظم المحمودي، وطبع في طهران سنة 1382هـ.

### 13- كتاب: **القند في ذكر علماء سمرقند لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد**

**النسفي (ت 537هـ):** هذا الكتاب من الكتب التي اعتنت بتاريخ حاضرة علمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، هي مدينة سمرقند إحدى عواصم إقليم بلاد ما وراء النهر ومن أهم مدنه على الإطلاق، وصاحب هذا الكتاب أحد علماء هذه المدينة، عاصر الدولة السلجوقية، وقام بتصنيف مصنفه حول تراجم علماء سمرقند الذي عاشوا فيها وأثروا الحركة العلمية بها، سواء العلماء الذين قرأ عليهم وأخذ عليهم مختلف العلوم الدينية واللغوية، أو العلماء الذين أقاموا فيها أو أدركتهم الوفاة بها، كما يلاحظ أن نجم الدين النسفي ركز على علماء الحديث الذين بلغ عددهم 1232 بشكل كبير، فهو يذكر ترجمة عالم من العلماء وينهيها بعرض الحديث الذي قرأه عليه وأجازه فيه، مما يبين لنا ملامح تطور علم الحديث خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، وكذا معالم نظام التعليم في المشرق الإسلامي في هذه الفترة، كل ذلك يجعل من كتاب القند في ذكر علماء سمرقند من أهم كتب التراجم التي يحتاجها الباحث في تاريخ المشرق الإسلامي زمن السلاجقة، لذا استفدت منه في تتبع وإحصاء وجرد العلماء الذين شغلوا منصب القضاء والخطابة والإفتاء، وساعدني في التعرف على العلماء الذين مارسوا الوعظ والتذكير والتدريس في المساجد والربط والخانقاهات والمدارس، فتكاملت بذلك الصورة حول دور العلماء في الحياة السياسية والعلمية إبان العصر السلجوقي. تم تحقيق الكتاب من قبل يوسف الهادي وطبع في طهران سنة 1999م.

### 14- كتاب: **الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعلامة أبي الحسنات محمد عبد الحي**

**الكنوي المندبي:** يكتسي هذا الكتاب أهمية خاصة، نظرا لاعتناؤه بفقهائ الحنفية، فقد تتبع مؤلفه هؤلاء الفقهاء الذين تمذهبوا بمذهب أبي حنيفة النعمان رحمه الله، في بلاد ما وراء النهر وخراسان والهند والعراق والشام والأناضول، وأفرد لهم تراجم مرتبة ترتيبا هجائيا، عرض فيها تفاصيل حياتهم وتحصيلهم العلمي ورحلاتهم وتنقلاتهم وأماكن إقامتهم، بالإضافة إلى مؤلفاتهم والمناصب التي أسندت إليهم من قضاء وخطابة وحسبة وغيرها، وقد تنوعت هذه التراجم بين الإطناب والاختصار، نظرا لاحتواء الكتاب على عدد معتبر من تراجم فقهاء الحنفية بلغ عددها 233 ترجمة، غطت تقريبا القرون الثمانية من التاريخ الإسلامي، مع التضارب بين عدد الفقهاء الأحناف المترجم لهم في كل قرن، ولكن من المؤكد أن السادس والسابع والثامن للهجرة، قد أخذوا حصة الأسد من هذه التراجم، وبالتالي تم تسليط الضوء على فقهاء الحنفية الذين عاشوا خلال العصر السلجوقي في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر. الأمر الذي جعلني أخذ منه الكثير من المعلومات التي وظفتها في استقصاء الخطباء والمفتين

والقضاة والمحتسبين والمدرسين، والكتب التي ألفوها في علم الكلام والتفسير والفقه والحديث واللغة وغير ذلك، فأكون بذلك قد تعرفت على أهم فقهاء الحنفية الذين تولوا هذه الخطط في العصر السلجوقي. والكتاب اعتنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، ونشر من قبل دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

## 15- كتاب: الأحكام السلطانية للإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب

**البصري الماوردي (ت450هـ):** تكمن أهمية هذا المصدر في احتوائه على معلومات قيمة تتعلق أساسا بالنظم السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية للدولة الإسلامية، إذ صنفه أبو الحسن الماوردي للخليفة العباسي القائم بأمر الله، ليكون دليلا يسير عليه، حيث أكد فيه على منزلة ومكانة وشرعية الخلافة العباسية ومؤسساتها التي هي تطور طبيعي لمؤسسات دولة النبي صلى الله عليه وسلم ودولة الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية، خصوصا أن الماوردي يعتبر من فقهاء السنة الذين تولوا منصب قاضي القضاة، كما كان قريبا من السلطة السياسية، مما دفعه لتأليف كتابه هذا الذي يعكس خبرته الطويلة في عالم السياسة والقضاء، ابتداءً بالحديث عن منصب الخلافة وشروطه وتطوره، وختمه بالكلام عن وظيفة الحسبة وما يتعلق بها.

بالرغم من أن كتاب الأحكام السلطانية يندرج ضمن كتب السياسة الشرعية والآداب السلطانية، إلا أن الباحث في التاريخ الإسلامي وتاريخ النظم الإسلامية، لا يمكنه الاستغناء عنه، فقد استخدمته كثيرا عند حديثي عن تولي العلماء لمناصب الدولة السلجوقية من خطابة وإمامة للصلوات وإفتاء وقضاء وحسبة ووزارة وسفارة وغيرها، وخصوصا تعاريف هذه الخطط وشروط توليها، كما أفادي أيضا في الباب الثالث من هذه الدراسة؛ دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر السلجوقي، سواء فيما يتعلق بضبط المصطلحات الاقتصادية والمالية كالزكاة والخراج والفيء والغنيمة وغيرها، وتتبع موارد ونفقات بيت المال، كل ذلك جعلني أستقي منه المعلومات التي تصب في المجال الاقتصادي وتفاعل العلماء معه، نظرا لمعاصرة الماوردي لكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي شهدتها الدولة السلجوقية في بدايتها، وقد تم تحقيق هذا الكتاب من قبل أحمد جاد، وطبع في دار الحديث بالقاهرة، سنة 1427هـ/2006م.

## 16- كتاب: الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفرلي

**الحنبلي (ت458هـ):** يعتبر هذا الكتاب نسخة طبق الأصل لكتاب الأحكام السلطانية للماوردي، فقد استعرض فيه أبو يعلى الفراء نفس النظم الإسلامية التي ذكرها الماوردي في كتابه، حيث استهل كتابه بالحديث عن منصب الخلافة وشروطه وتطوره، وختمه بالكلام عن خطة الحسبة وما يتعلق بها، وإذا كان الماوردي يميل إلى رأي إمامه الشافعي في كثير من الأحكام الفقهية التي فصل فيها أو رجع بعضها أو أفتى فيها، فإن أبا يعلى هو الآخر

مال إلى رأي إمامه أحمد بن حنبل، إذ استشهد بكثير من أقواله أثناء تتبعه لنظم الدولة السياسية والإدارية والاقتصادية والعسكرية، ودائما كان يرحح باجتهادات أحمد بن حنبل، ولا ننسى أن أبا يعلى الفراء كان قاضيا في بغداد وقريبا من السلطة العباسية في بغداد، كما عاصر أواخر الدولة البويهية، وعان دحول السلطان السلجوقي طغرل بك إلى بغداد سنة 447هـ، وعاش في السنوات الثلاث الأولى من سلطنة ألب أرسلان حيث توفي سنة 458هـ، مما يجعل كتابه مصدرا أساسيا ورئيسيا استفاد منه الباحث في استقصاء الوظائف التي تولها العلماء خلال العصر السلجوقي، وأيضا في دور العلماء في الحياة الاقتصادية في هذا العصر.

قام محمد حامد الفقي رحمه الله تعالى بتصحيحه والتعليق عليه، وتم طبعه في دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1421هـ/2000م.

### 17- كتاب: الفياثي غياث الأمم في الثيات الظلم لضياء الحرمين أبي المعالي عبد

**الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري إمام الحرمين الجويني (ت 478هـ):** يندرج

هذا الكتاب ضمن كتب السياسة الشرعية، حيث صنفه أبو المعالي الجويني للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي (ت 485هـ)، استقصى فيه جميع ما يتعلق بأحكام السياسة الشرعية في مسألة نظام الحكم والإدارة والنظام المالي والاجتماعي خلال العصر السلجوقي، حيث ابتدأه بتسليط الضوء على قضية وجوب نصب الأئمة/الخلفاء، ومن هي الجهات التي تعين الإمامة/الخلافة وتوجب الزعامة، كما أشار إلى صفات أهل العقد وعددهم، وكذلك صفات الإمام/ال خليفة، وتحدث عن الخلع والانحلال، وإمامة المفضول، ومنع نصب إمامين، وفيما يناط بالأئمة والولاة من الأحكام؛ سواء نظر الإمام/ال خليفة في الأمور المتعلقة بالدين، وكذا نظر الإمام/ال خليفة فيما يتعلق بالدنيا، وأيضا نجدة الإمام وعدته، والقول في مستخلفي الإمام، وبعدها ينتقل للحديث عن مسألة شائكة هي خلو الزمان عن الإمام/ال خليفة، بدءا بانحرام الصفات المعتمدة في الأئمة/الخلفاء، ثم القول في ظهور مستعد بالشوكة مستول، وما يتعلق به من حكم تخلي الإمام/ال خليفة عن منصبه، ومنزلة فروض الكفاية وحكم خروج نظام الملك إلى الحج، ومتى يجوز لنظام الملك الحج وواجبات الإمام/ال خليفة، ومعها واجبات نظام الملك، وعرج بعدها للكلام في شغور الزمان عن وال أو متول بغيره. وأشار أيضا في كتابه إلى المفتين وصفاتهم، وإلى شغور الزمان عن المجتهدين، وناقش كذلك قضية خلو الزمان عن المفتين ونقل المذاهب معا، يضاف إلى هذا كلامه عن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم، والأمور الكلية والقضايا التكليفية، والمناكحات، وختم الكتاب بمسألة خلو الزمان عن أصول الشريعة.

لقد ناقش إمام الحرمين هذه المسائل والقضايا بمنهج علمي دقيق استقصى فيه جميع الآراء والأفكار والأحكام التي ساقها الفقهاء وناقشوا بها جميع هذه الحيات، كما قام بنقدها جميعا وخصوصا كتاب الأحكام السلطانية

للماوردي، ولم يكتف بالنقد فقط بل أظهر اجتهاده ورأيه وترجيحه وخصوصا في اعتبار الوزير نظام الملك إماما بوجود السلطان السلجوقي ملكشاه والخليفة العباسي المقتدي لأمر الله، فقد اعتبر أن شروط الإمامة تنطبق عليه تماما، لذا استفدت كثيرا من هذا الكتاب في حديثي عن الدور الدعوي والجهادي للعلماء خلال العصر السلجوقي، وكذلك في الباب الثاني من هذه الدراسة؛ دور العلماء في الحياة الاقتصادية، إذ أضحى مصدرا رئيسيا استقصيت من خلاله جميع فصول ومباحث هذا الباب، فقد اشتمل على معلومات مهمة جدا تتعلق بالنظام المالي والاقتصادي إبان العصر السلجوقي، وخاصة أن أبا المعالي الجويني عاصر الدولة السلجوقية وتولى التدريس في المدرسة النظامية بنيسابور في عهد السلطان ملكشاه، وذلك بعد المحنة التي تعرض لها في عهد السلطان طغرل بك الذي أمر بلعن الأشاعرة، ومع تولي نظام الملك الوزارة ارتفع شأن الأشاعرة وعاد الجويني إلى خراسان وقام بتأليف هذا الكتاب ردا لصنيع نظام الملك الذي كان أشعريا شافعيًا، لذا لا يمكن لأي باحث في التاريخ الاقتصادي الإسلامي الاستغناء عن هذا الكتاب الهام. وقد قام الأستاذ الدكتور عبد العظيم محمود الديب رحمه الله بتحقيقه ووضع فهرسه، وطبع في دار المنهاج للنشر والتوزيع ببغداد سنة 1432هـ/2011م.

#### 18- كتاب: إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت505هـ): يعد

هذا الكتاب أشهر كتب أبي حامد الغزالي، فقد طبقت شهرة الكتاب الآفاق وبلغت مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وصار يدرس ويلقن لطلبة العلم في المساجد والمدارس، حيث ألفه الغزالي أثناء عزله التي قام بها بعد أن توقف عن التدريس في المدرسة النظامية في بغداد، وسافر إلى بلاد الشام، وهناك مكث يفكر ويقلب النظر ويشحذ الذهن وينظر في أحوال العالم الإسلامي، وأسباب تراجع المسلمين حتى غزاهم الصليبيون، فعمل على تلمس مكنم الداء وتقديم الدواء الناجع الذي يخرج العالم الإسلامي من قوقعته، فاستهل الكتاب بالكلام عن العبادات، بدءا بكتاب العلم فكتاب قواعد العقائد، ثم أسرار الطهارة والصلاة ومهماتها والزكاة والصوم والحج، وتحدث أيضا عن آداب تلاوة القرآن والأذكار والدعوات وترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل، وتكلم كذلك عن آداب الأكل والنكاح والكسب والمعاش والحلال والحرام وآداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وآداب العزلة والسفر والسماع والوجد، كما فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأشار إلى آداب المعيشة وأخلاق النبوة، وشرح عجائب القلب ورياضة النفس، وكسر الشهوتين وآفات اللسان، وذم الغضب والحقد والحسد وذم الدنيا وذم البخل وذم حب المال، وذم الجاه والرياء وذم الكبر والعجب وذم الغرور، كما سلط الضوء على التوبة والصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والأنس والرضا، والنية والإخلاص والصدق والمراقبة والمحاسبة والتفكير، وختم كتابه بذكر الموت وما بعده.

إنَّ النقاط التي أفردتها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، سعى من خلالها لتقديم برنامج إصلاحية شامل للعبادات والمعاملات ويربط بين الدنيا والآخرة، ويمس الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والعقدية والمذهبية، منطلقا من عدد من المعطيات والتجارب والخبرات التي توفرت لديه، ومن الأحداث والوقائع التي عاصرها وشاهدها، إذ عاش في العصر السلجوقي وعانين بنفسه العصر الذهبي للسلاجقة وبالمقابل رأى انقسام السلاجقة وصراعهم على الحكم وتفتت دولتهم وتعرض العالم الإسلامي للغزو الصليبي، مما يجعل الباحث لا يستغني عن هذا المصدر الذي يمثل خلاصة فكر الغزالي، حيث وظفته في تناولي للإصلاح الاجتماعي عند العلماء إبان العصر السلجوقي، بعرضي لهذا الإصلاح عند الغزالي وكان كتاب الإحياء المصدر الرئيسي للتعرف على برنامجه الإصلاحية، كما استفدت منه كثيرا في معالجة دور العلماء في الحياة الاقتصادية من خلال احتوائه على معلومات غزيرة وملاحظات قيمة حول الاقتصاد الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري.

تم طبع هذا الكتاب في دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت سنة 1426هـ/2005م.

وساهم في إنجاز هذه الدراسة مجموعة قيمة من المراجع التي وظفتها إلى جانب المصادر، واستفدت منها بشكل متفاوت، كل على حسب أهميته وفائدته للبحث والنقاط التي يغطيها، فنجد في مقدمتها كتب الدكتور محمد سهيل

طقوش التي تدرس تاريخ السلاجقة السياسي، مثل: **تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران**

**والمراق (429هـ-590هـ/1038م-1194م)، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام (471هـ-**

**511هـ/1078م-1117م)، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، تاريخ الحروب**

**الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) 489هـ-690هـ/1096م-1291م، ولا يخفى على**

الباحث أهمية هذه المراجع نظرا لمقدرة مؤلفها على استقصاء التاريخ السلجوقي بأسلوب ممتع قائم على التحليل وموضوعية في تناول الأحداث، لذا استخدمتها في تتبعي لتاريخ السلاجقة منذ تأسيس الدولة إلى سقوطها.

ومن المراجع الهامة التي استخدمتها في هذه الدراسة، كتاب **"أثر الحروب الصليبية على العلاقات**

**السنية الشيعية"** للدكتور محمد بن المختار الشنقيطي، الذي رصد فيها العلاقات بين السنة والشيعية خلال

الحروب الصليبية، ولكنه ركز كثيرا على تاريخ السلاجقة منذ بدايات قيام دولتهم، ثم توسعاتهم وفي المشرق

الإسلامي من بلاد ما وراء النهر إلى بلاد الشام والأناضول، كما أشار إلى الصراع المذهبي بين السلاجقة السنة

والفاطميين الشيعة وأثره في تطور أوضاع المشرق الإسلامي، بالإضافة إلى تسليطه الضوء على الدور الذي قام به

السلاجقة في الحروب الصليبية، لذا كان حريا مني الاستفادة من هذا المرجع في جميع النقاط التي تخدم موضوعي

وخصوصا الجوانب السياسية والمذهبية.



استفدت كذلك من كتاب **"هكذا نهمر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس"** للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، حيث تتبع فيه مؤلفه العملية الإصلاحية التي تمت في العراق والشام على يد الغزالي وعبد القدر الجيلاني وأسفرت عن استرجاع بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد ابتدأ المؤلف كتابه برصد عام لجميع الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والمذهبية التي كان يعيشها المشرق الإسلامي قبيل الغزو الصليبي لبلاد الشام، واستقصى بعدها ردود الفعل الإسلامية على المحجمة الصليبية، ودخل إلى لب الموضوع وهو ما قام به العلماء وعلى رأسهم الغزالي في تكوين جيل رباني لاسترجاع بيت المقدس، مما جعلني أستفيد من هذا المرجع الهام في معالجة لقضية الإصلاح الاجتماعي للعلماء خلال العصر السلجوقي.

استعنت كذلك بكتاب **"دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (490-648هـ/1097-1250م)"** للدكتور لؤي البواعنة، الذي استعرض فيه جهود العلماء في مقاومة الغزو الصليبي لبلاد الشام على جميع المستويات السياسية والعسكرية والعلمية والإصلاحية، وقيامهم بدفع سلاطين السلاجقة للتصدي للصليبيين، وخصوصا العالم الفقيه السلمي الذي أدى دورا مؤثرا في تحريض حكام المسلمين لقتال الصليبيين، سواء من خلال دروسه ومواعظه وخطبه أو من خلال كتاب الجهاد الذي ألفه، فتمكنت من خلال هذا المرجع معالجة كثيرا من النقاط المتعلقة بدور العلماء في الجهاد خلال العصر السلجوقي.

ومن الكتب التي أعانني كثيرا كتاب **"تاريخ العراق في العصر السلجوقي"** للدكتور حسين أمين، الذي عرض فيه تاريخ العراق إبان العصر السلجوقي أي من دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ إلى نهاية النفوذ السلجوقي في العراق سنة 590هـ، مركزا على سلاطين السلاجقة الذين حكموا العراق، كما استقصى نظم الإدارة الحكم والتعليم والحركة المدرسية والسياسة العامة للدولة السلجوقية، والتراث السلجوقي في العراق، لذا استقيت معلومات غزيرة من هذا المرجع الهام في تناولي لتاريخ السلاجقة في العراق.

استخدمت كذلك كتاب **"إيران والعراق في العصر السلجوقي"** للدكتور عبد النعيم محمد حسنين، الذي تناول فيه تاريخ هذين الإقليمين في العصر السلجوقي سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا ومذهبيا وحضاريا، مما جعلني لا أستغني عن هذا المرجع المهم في تتبع توسعات السلاجقة في المشرق الإسلامي وحروبهم مع البيزنطيين وصراعهم مع الفاطميين، فذلك كفيل بتشكيل صورة واضحة عن هذه الأحداث والوقائع التي تفاعل معها العلماء خلال العصر السلجوقي.

ومن المؤلفات التي خدمت الموضوع كتاب "الفقيه والسالمان جدلية الدين والسياسة في

**تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية-القاجارية**" للدكتور وجيه كوثري، الذي تناول في الفصل الأول من كتابه نظرة تاريخية في مرحلة ما قبل العثمانية والصفوية، سلط الضوء في هذه النظرة على الدولة السلطانية المتمثلة في دولة السلاجقة السنية ودولة البويهيين الشيعة، ورصد كذلك تفاعل فقهاء الشيعة الإمامية مع الدولة البويهية، وأثر فقهاء السنة وعلى رأسهم الماوردي ونظام الملك والغزالي في الدولة السلجوقية، فكان لزاما علينا الاستفادة من هذا الفصل المحوري في هذا الكتاب، من خلال المعلومات القيمة التي احتوى عليها.

استفادت الدراسة كذلك من كتاب "الحياة الثقافية في إقليم الصغد منذ قيام الدولة

**السلجوقية حتى الغزو المغولي (429هـ-617هـ/1031م-1220م)**" للدكتورة ميرفت رضا أحمد حسنين، التي قامت باستقصاء مختلف مظاهر الحياة الثقافية في إقليم الصغد، أحد أهم أقاليم بلاد ما وراء النهر، حيث تناولت عوامل ازدهار الحركة العلمية وأهم المؤسسات التعليمية وأصناف العلوم النقلية والعقلية وأشهر العلماء خلال العصر السلجوقي، مما جعلني اعتمد عليه كثيرا في الباب الرابع من هذه الدراسة؛ المتمثل في دور العلماء في الحياة العلمية.

ومن الدراسات الجادة التي دعمت موضوعي بمعلومات هامة، كتاب "التاريخ السياسي والفكري

**للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوطه**

**بغداد**" للدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، الذي خصص الباب الثاني من كتابه للحديث عن السلاجقة واتجاههم السني، وسلط الضوء في الفصل الأول من الباب الثالث على المدارس النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك، الأمر الذي جعلني أستفيد منه كثير في معالجي لموقف العلماء من الصراعات المذهبية خلال العصر السلجوقي.

ولم تقتصر في بحثنا على هذه المصادر والمراجع، بل تنوعت مادته العلمية وتكونت من عدد معتبر من الكتب والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه والمراجع الأجنبية والمعاجم والقواميس والموسوعات، فما على القارئ إلا تفحص ومعاينة هوامش الأطروحة وثبت المصادر والمراجع في آخرها.

وقد أسهمت المادة العلمية التي استخدمناها لإنجاز هذه الأطروحة في إثراء أبوابها وإغناء فصولها ومباحثها، وتجدد بها بناء معالم هذه الدراسة التي مست ما قام به العلماء من دور في الحياة العامة خلال العصر السلجوقي، إذ كان لكل مصدر ومرجع من موقعه وأهميته وفائدته؛ إسهام في تشكيل البنية الرئيسية التي صاغتها مختلف الآراء والأفكار والتوجهات والرؤى والتصورات التي عالجتها الأحداث والوقائع التاريخية التي استقينا

منها، الدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي للعلماء في الفترة السلجوقية، فاكتملت بذلك هذه الأطروحة التي دام عمرها خمس سنوات، كلها بحث وتفتيش وتقصي وتتبع حتى بلغنا المبتغى منها بفضل الله تعالى. لا يمكن الإنكار بأنَّ الباحث قد غامر في خوض دراسة من هذا النوع التي تتطلب الكثير من الوقت والجهد والمال والصبر، فضخامة الموضوع قد جعل مادته العلمية كبيرة جدا ومتنوعة، ولكنها تكثرت في جوانب من الموضوع وتقل في أخرى، مما صعب مهمتنا في استقصاء الدورين الاقتصادي والاجتماعي للعلماء في العصر السلجوقي، ومع ذلك لم نفقد الأمل وواصلنا المسيرة حتى تمكنا بفضل الله تعالى من إنجاز هذه الدراسة التي نرجو من الله تعالى أن تكون خالصة لوجهه الكريم، وأن تضيف شيئا جديدا للباحثين الجزائريين والعرب، وأن يستفيد منها الطلبة وجمهور القراء.

اللهم لك الحمد والشكر أن وفقني لإنجاز هذه الأطروحة، فما أصبت فيه، فإنه منك وحدك يا الله، وما أخطأت فيه فمني ومن الشيطان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**-المالك الباحث: هشام بن سالم-**

**-حي عبد المؤمن بن علي بوجليدة- تلمسان-**

**-يوم الجمعة: 09 محرم 1442هـ / 28 أوت 2020م-**

# -الفصل التمهيدي: مفاهيم وإصطلاحات.

- أول- العلماء:- المفهوم والدلالة.
- ثانيا- جغرافية المشرق الإسلامي

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم ومصطلحات-

إنَّ البدء في البحث في موضوع "دور العلماء في الحياة العامة بالشرق الإسلامي (العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر) خلال عصر السلاجقة 429هـ/590م-1031م-1193م" يستدعي التمهيد له بالحديث عن المصطلحات المفتاحية التي يدور حولها هذا الموضوع، فقد ارتأينا استهلاله بتحليلية ماهية مصطلح العلماء ودلالته، إذ عرف هذا المصطلح تطورا منذ بداية ظهوره إلى غاية العصر السلجوقي، بسبب التطورات التي شهدتها العلوم الإسلامية، العقلية والعقلية، فالتحديد الدقيق كفيل بأن يرفع الالتباس الذي يمكن أن يقع فيه الباحثين، إذا ما راموا تتبع أدوار العلماء في فترات إسلامية مختلفة، فلا يعقل أن يعني مصطلح العلماء الفقهاء وحدهم، بل إن الفقهاء هم جزء هام من العلماء المسلمين، ولا يمكن أن يعني الأطباء أو اللغويين أو المتكلمين أو غيرهم، فنحن نرى أنَّ هذا المصطلح يشمل ويعم كل هذه الأصناف، نظرا لطبيعة التكوين العلمي للعلماء المسلمين الذي يتسم بالطابع الموسوعي في العلوم، فتجد الواحد منهم فقيها وأصوليا ومحدثا ومتكلما ونحويا ومؤرخا وأديبا وطبيبا وفلكيا، وبالتالي لا يمكن الاقتصار في العصر السلجوقي على الفقهاء دون غيرهم أو على الأطباء دون سواهم وهكذا...، بل على العكس تماما ظهر جليا أنَّ مصطلح العلماء هو الأنسب لتوظيفه ليكون شاملا لجميع فترات هذا العصر، حتى تتكامل الصورة التي نروم استقصاءها في هذه الدراسة، وكلي لا نقع في التناقضات والمغالطات ونقفز على المصطلحات ودلالاتها.

كما سلطنا الضوء على جغرافية الأقاليم الثلاثة التي اخترناها لهذه الدراسة، وهي العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، بحيث إن التعرف على جغرافيتها وحدودها التاريخية والإدارية وكذا مدنها وعواصمها وكورها وقراها، سوف يتماها مع العلماء الذين أدوا دورهم في الحياة العامة إبان العصر السلجوقي، مما يسهل علينا تتبع هؤلاء العلماء في هذه الأقاليم، خاصة أنها تعتبر من أهم الأقاليم في المشرق الإسلامي، فقد كان العراق مركز الخلافة العباسية ومحل اهتمامها ونظرها وقبلة للعلماء من كافة أنحاء العالم الإسلامي، أما خراسان هي الأخرى بلغت شأوا عظيمة في عهد المأمون العباسي والطاهريين والسامانيين والغزنويين، ما جعل السلطان طغرل بك يتخذها مركزا للدولة السلجوقية نظرا لموقعها الاستراتيجي واتساع مساحتها وكثرة سكانها ومواردها الطبيعية والاقتصادية والزراعية، واهتم السلاجقة ببلاد ما وراء النهر التي تعتبر منطلق قيام وتأسيس ودولتهم، وتعد البوابة الشرقية للدولة الإسلامية، نظرا لأهميتها التجارية، كل ذلك حاولنا استقصاءه في الفصل التمهيدي من هذا الدراسة حتى تترابط جميع أجزائها.

1- مصطلح العلماء: المفهوم والدلالة:

1-1- تعريف العلماء.

أ- لغة.

ب- اصطلاحاً.

1-2- تصور مصطلح العلماء:

أ- علماء الآخرة.

ب- علماء الدنيا.

1-3- مراتب وأصناف العلماء:

أ- المتكلمون

ب- الفقهاء.

ج- المفسرون

د- المقرئون

هـ- الأصوليون

و- المحدثون

-المسنخ.

-المحدث.

-المفيد.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

-الحافظ.

-الحجة.

-الحاكم.

-أمير المؤمنين.

ز- علماء اللغة.

ح- علماء التصوف.

هـ- الفلاسفة.

ي- المناطقة.

ك- الأطباء.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم ومصطلحات-

### 1- مصطلح العلماء: المفهوم والدلالة:

يعد مصطلح العلماء من المصطلحات ذات الأبعاد الفكرية والدينية والاجتماعية والسياسية، التي عرفت جدلاً واسعاً بين المختصين، في تحديد تعريف واحد يكون محل إجماع بينهم، فمصطلح العلماء هو الإطار الأوسع مفهوماً والأعم دلالة، والذي خرجت من تحت عباءته وتخرج جميع المسميات الأخرى، مما زاد من صعوبة ضبط هذا المصطلح، لذا سنحاول التعامل معه باستقصاء أكثر وأهم التعاريف التي وضعت حوله، وذلك من خلال تفكيكه بتعريف الأصناف المدرجة تحته، من أجل تحديد الماهيات المنفردة لهذه الأصناف ثم الجمع بينها وصولاً إلى الماهية الكلية المركبة الناتجة عن الارتباط التفاعلي للماهيات الجزئية، والآلية التفكيكية-التركيبية هي الآلية التي سيتم استخدامها في هذه الدراسة لتعريف العلماء وتحديد ماهيته وتعيين دلالاته تجنباً لمواضيع النقد والقصور في الأنواع التعريفية الأخرى.

### 1-1- تعريف العلماء:

#### أ- لغة:

جاء في مادة "علم" في القاموس المحيط إشارة إلى مصطلح العلماء كما يلي: "علمه، كسمعه، علماً، بالكسر: عرفه، وعلم، هو في نفسه، ورجل عالم وعليم، ج: علماء وعلام، كجهال، وعلمه العلم، تعليماً وعلماً، ككذاب، وأعلمه إياه فتعلمه. والعلامة، مشددة وكشداد وزنار، والتعلمة، كزبرجة، و العلامة، العالم جداً، والنسابة. وعالمه فعلمه، كنصره: غلبه علماً. وعلم به، كسمع: شعر، والأمر: أتقنه كتعلمه...<sup>1</sup>"، أما في كتاب تاج العروس من جواهر القاموس، فقد ساق مؤلفه عدداً من التعريفات عزاهما لأصحابها كما يلي: "... ورجل عالم وعليم. ج: علماء، فيهما جميعاً، قال سيويه: يقول علماء من لا يقول إلا عالماً. قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاوله له وطول الملازمة صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلماً لا عالماً، فلما خرج بالغريزة إلى باب فعل صار عالم في المعنى، كعليم، فكسر تكسيره، ثم حملوا عليه ضده فقالوا: جهلاء كعلماء، وصار علماء كعلماء، لأن العلم محملة لصاحبه... قال ابن بري: ويقال في جمع عالم علام أيضاً.... وعلمه العلم تعليماً وعلماً - ككذاب - فتعلم، وليس التشديد هنا للتكثير كما قاله الجوهري، وأعلمه إياه فتعلمه وهو صريح في أن التعلم والإعلام شيء واحد، وفرق سيويه بينهما

1- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبو الوفا نصر الموريني المصري الشافعي (ت 1291هـ)، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث، 1429هـ-2008م، ص 1136.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات-

فقال: علمت كأذنت، وأعلمت كأذنت. وقال الراغب: إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير، حين يحصل منه أثر في نفس المتعلم...<sup>1</sup>، بينما يرى ابن منظور أن عليم على وزن فعيل من أبنية المبالغة، كما أن العلم نقيض الجهل من علم علما وعلم هو نفسه ورجل عالم وعليم من قوم علماء، وأيضا علام وعلامة إذا بالغت في وصفه بالعلم أي عالم جدا والهاء للمبالغة<sup>2</sup>.

لقد أعطت هذه التعاريف اللغوية لمصطلح العلماء فكرة واضحة تساعدنا على الإحاطة بالمعنى المقصود من هذا المصطلح، إذ حاول أصحابها تلمس أصل مصطلح العلماء وصيغ اشتقاقه وصلته بألفاظ وكلمات أخرى تشترك معه في نفس مادة "علم"، وأضحى واضحا أن التعريف للعلماء جامع مانع، حيث دل بشكل جلي على كنه مصطلح العلماء، وأصبح بإمكاننا التطرق للتعريف الاصطلاحي واستقصاء أبرز التعاريف التي تصدت لتعريفه.

**ب- اصطلاحات:** ليس من السهل الخروج بتعريف اصطلاحى شامل لمصطلح العلماء نظرا لاختلاف الباحثين الذين تصدوا لتعريفه، حول المرتكزات التي استندوا عليها في تحديد تعريف جامع مانع، ومع ذلك سنحاول استقراء أهم التعاريف التي وضعت حول مصطلح العلماء كما يلي:

- يطلق مصطلح العلماء في التاريخ الإسلامى على فئة معينة من الأشخاص الذين اشتغلوا بالعلوم الدينية واهتموا بها، وهم المفسرون والمتكلمون، وأصبح يطلق فيما بعد على مجموعة من المثقفين والعارفين في الفقه والعلوم الدينية إضافة إلى الفلسفة. كما يعني أيضا شريحة معتبرة من الناس أتموا عدة سنوات من التحصيل العلمي في العلوم الإسلامية، وشغلوا مناصب دينية مثل: الإفتاء والقضاء والإمامة والخطابة وغيرها<sup>3</sup>.

- العلماء هم عدد من الأعلام اتسمت ثقافتهم بالطابع الموسوعي، حيث شملت فروعاً متباينة من المعرفة جمعوا فيها بين حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية وبين معرفة بالعربية وبصر بالفتوى، واصطلاح في علوم الكلام والفرائض والحساب واللغة والأدب<sup>4</sup>.

1- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم التزوي، مراجعة الدكتور محمد سلامة رحمة وآخرون، ج33، ط1، الكويت، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1421هـ-2000م، ص128.

2- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الخرجي المصري الإفريقي، لسان العرب، طبعة خاصة، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الكويت، دار النوادر، 1431هـ/2010م، ص311.

3- فريدة محمد علي جاموس، دور العلماء في النظام التعليمي في القدس في أواخر العهد العثماني 1800م-1917م، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، 2010م، ص02-03.

4- بن صخرية عبد الحميد، شعر الفقهاء في الأندلس، ص22، نقلا عن بن عبيد فؤاد، الاجتهاد المقاصدي عند الإمام أبي الوليد الباجي وتطبيقاته الفقهية من خلال كتاب المنتقى، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفقه والأصول، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م، ص45.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

-العلماء هم المبدعون والمنتجون للعلوم الإسلامية(النقلية والعقلية)، وفيهم فطاحلة الثقافة العربية الإسلامية من مختلف المذاهب والفرق الإسلامية بما فيهم الفلاسفة وعلماء الكلام والمتصوفة، فالعالم هو من اتصف بالعلم والمعرفة ومتخصص في علم معين من العلوم، ولهؤلاء العلماء آثار باقية حتى اليوم في شتى العلوم<sup>1</sup>.

-العلماء هم الذين يعرفون شرع الله ويفقهونه ويعملون به، المتبعون لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والسلف الصالح على هدى وبصيرة<sup>2</sup>.

-والعلماء هم بوجه عام، الذين لهم رصيد كبير من العلم بالشرعية حتى ولو شاركوا في معارف أخرى.

-يدل مصطلح العلماء على اختصاص نخبة من أفراد المجتمع باكتساب وتحصيل المعرفة وتفوقهم عن باقي شرائح المجتمع، ويتعين عليهم أن يكونوا مشاركين أي أن يكونوا على إلمام ودراية، بمختلف العلوم السائدة في عصرهم، من هنا فإن مفهوم العالم يختلف باختلاف الحقب الحضارية وباختلاف التصور السائد حول العالم، غير أن الثابت في هذا الصدد، هو صفة المشاركة، ويتبين أن مصطلح العلماء يقصد به الملمين بالعلوم الشرعية<sup>3</sup>.

لقد ضاعفت هذه التعاريف من رغبتني في وضع تعريف للعلماء من إنشائي الخاص، وذلك انطلاقاً مما قيده أصحابها من وجوه المفردات والألفاظ ذات الدلالات والمعاني المتباينة، كما يلاحظ على هذه التعاريف بعض النقائص، نظراً لتركيزها على العلوم الدينية؛ أي الشرعية، وإقصائها لبقية العلوم الأخرى، لذا أقول: إن العلماء هم الذين بلغوا درجة راقية في النظر والبحث والمدارسة لكل العلوم النقلية والعقلية وتمكنوا من استيعابها وحفظ مسائلها ومظانها، وتدريسها وتلقينها، والتأليف والتصنيف فيها، بمنهج علمي دقيق ومتكامل.

**1-2- تصور مصطلح العلماء:** يقتضي السياق المنهجي التطرق إلى تطور مصطلح العلماء عبر الحقب التاريخية المتتابعة إلى غاية عصر السلاجقة محل الدراسة، فمعرفة تطور هذا المصطلح كفيل بأن يساعدنا على معرفة أبرز الأصناف أو الأنواع التي يتشكل منها أو المندرجة تحته.

ورد مصطلح العلماء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر: 28)، وفي السنة النبوية الشريفة أيضاً، وتعارف أهل العلم وجمهور الناس على هذا

1- عبد الله بن عبد المعطي مقاط، الوراقون وأثرهم في الحديث، مذكرة لنيل درجة الماجستير في الحديث الشريف وعلومه، كلية أصول الدين، قسم الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الإسلامية-غزة، 1436هـ/2015م، ص51.

2- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (491هـ-692هـ/1097م-1292م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، الجامعة الإسلامية بغزة، 1431هـ/2010م، ص68.

3- حسني عبد اللطيف، العالم والسلطة في المغرب خلال القرن 19م، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 09-10-11، دجنبر، 1993م، ص301.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

المصطلح، بحيث رأوه الأنسب والأكثر دقة ودلالة، على كنه وجوهر هذه الفئة "والسبب في ذلك: أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني، وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن، أمورا كلية عامة؛ ليحكم عليها بأمر على العموم، لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس..<sup>1</sup>، فلا غرو أن مصطلح العلماء دل في عهد النبوة وعهد الخلفاء الراشدين (11هـ-41هـ) على الصحابة رضوان الله عليهم، الذين اشتغلوا بالعلوم الشرعية وغيرها، باعتبار العلم خطة دينية لها مفهومها ومصادرها ومقاصدها ووظائفها وأحكامها، ولها منهاجها الذي يضبط عملية التعلم والتعليم و يؤثر أساليب التدريس وقواعده، وفي إطاره تحدد واجبات المعلمين وأحكام المتعلمين<sup>2</sup>. وعلى كل ينبغي معرفة ما المقصود بالعلماء والفقهاء في عصر النبوة والخلافة الراشدة.

إن العالم والفقهاء في اللغة مصطلحان بمعنى واحد<sup>3</sup>، يقول أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: "قولهم رجل فقيه، معناه عالم وكل عالم بشيء فهو فقيه فيه، من ذلك قولهم ما يفقه وما ينقه معناه ما يعلم ولا يفهم..<sup>4</sup>، وأيضا يقول في ذلك علي بن عبد الكافي السبكي "وفقيه اسم فاعل من فقه بضم القاف إذا صار الفقه له سجية، وهو وصف له في نفسه لا يتعدى إلى غيره..<sup>5</sup>.

وقد أشار الدكتور فريد الأنصاري إلى "أن مصطلح العلم، في عهد الصحابة إنما كان يطلق على النصوص الشرعية فحسب، وكذلك بقي هذا المعنى في عهد التابعين وأتباعهم ولو أنه بدأت في أواخر هذه المرحلة تتبلور المعاني الجديدة للمصطلح، المتعلقة بالمصطلحات العلمية، والقواعد، والمناهج..<sup>6</sup>، مما يدل يقينا أن الصحابة الكرام شكلوا طائفة علماء الأمة وإليهم مرجع العلم، وقد عدّهم كذلك جمهرة من العلماء المعتمدين في عهدي التابعين وأتباعهم<sup>7</sup>، يقول بقية بن الوليد: "قال الأوزاعي: يا بقية، العلم ما جاء عن أصحاب محمد، وما

1- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، طبعة جديدة منقحة، بيروت، دار الشرق العربي، 1425هـ/2004م، ص533.

2- الأنصاري محمد، أحكام ولاية العلم والعلماء تجاه الدولة والمجتمع، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1433هـ/2012م، ص41.

3- المرجع نفسه، ص209.

4- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، الفقيه والمتفقه، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل يوسف العزاوي، المجلد1، ط1، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1417هـ/1996م، ص190.

5- السبكي عبد بن عبد الكافي، الإبهاج في شرح المنهاج، ج1، ص37. نقلا عن الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص209.

6- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، ج1، سلسلة كتاب الأمة، العدد47، السنة الخامسة عشرة، جمادى الأولى 1416هـ، قطر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص118.

7- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص49.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم"<sup>1</sup>، لذا توافق رهط من علماء السلف على اعتبار العلماء هم الصحابة رضوان الله عليهم<sup>2</sup>، منهم-أي العلماء-"مجاهد" الذي قال: "العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>3</sup>، وعليه فدلالة مصطلح العلماء في بداية ظهوره تدل على الصحابة الكرام الذين رووا نصوص القرآن والسنة، وحفظوها وفهموها وبلغوها إلى التابعين، وأيضاً العلم الذي فهموه واستنبطوه منهما-أي القرآن والسنة- اجتهداً<sup>4</sup>.

والواقع أنَّ مصطلح العلماء أصبح يطلق في العصر الذي تلا عصر الصحابة رضوان الله عليهم، على التابعين الذين أخذوا علوم الشريعة عن جيل الصحابة الكرام، خصوصاً بعد أن تبلور النسق المعرفي للعلوم العربية الإسلامية مع عصر التدوين، وأضحى جيل التابعين حلقة الوصل بين عصرين يشكّلان معاً تطور مصطلح العلماء الذي تزامن مع الانطلاقة الفعلية لتأسيس العلوم وتعميد أصولها وضبط مسائلها، وعليه فالمراد من مصطلح العلماء في هذا العصر هو الإحاطة بكل أمور الدين من قبل السادة التابعين، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت الأمية عن العرب بممارسة الكتاب، وتمكن الاستنباط وكمل الفقه وأصبح صناعة وعلماً فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء..."<sup>5</sup>، إذن تبوأ جيل التابعين مكانة عالية استحقوا بها أن يكونوا علماء الأمة ومقدميها في تعليمها أمور دينها عقيدة وتشريعاً ومعاملة، وحفظوا لها علومها المتواترة عن جيل الصحابة رضوان الله عليهم وأورثوها للجيل الذي أعقبهم.

ويعد عصر الخلفاء الراشدين هو عصر الانبعاث الرسمي للعلم بكل أبعاده، حيث اتسع مع اتساع رقعة دولة الإسلام، ودخول أجناس مختلفة في الدين الجديد، مما أدى إلى ظهور وتشكل عدد من المدارس؛ نظراً لاجتهادات الصحابة، أسسها طلبتهم من التابعين الذين صاروا قادة تلك المدارس وأئمتها. وكانت أهم تلك المدارس مدرستا المدينة والكوفة، أي: مدرستا الحجاز والعراق<sup>6</sup>.

1- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطاء، الجزء 2، ط 1، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1415هـ/1995م، ص 245.

2- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 50.

3- ابن عبد البر، المصدر السابق، ج 2، ص 252.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 50.

5- المصدر السابق، ص

6- بن خيرة نجيب، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالشرق (خراسان وبلاد ما وراء النهر) بين القرنين الثالث والخامس

الهجريين 205هـ-432هـ/820م-1040م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1424هـ-1425هـ/2003م-2004م، ص 318.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

إنَّ مصطلح العلماء في الفترة الممتدة بين عصر التابعين إلى عصر السلاجقة-عصر الدراسة-شهد تطوراً في الدلالة المقصودة به والفئات التي يشملها، نظراً لتطور العلوم العقلية والعقلية واكتماها، بحيث يشكل العصر العباسي الثاني (247هـ-337هـ) العصر الذهبي لبلوغ العلوم الإسلامية نهايتها من حيث ضبط مسائلها وقواعدها وتفريعاتها وكلياتها وجزئياتها ومضامينها، لذا فإنَّ العلماء في هذه الفترة هم الذين اكتهلوا وكملت سنهم، وقوي نظرمهم وبرعوا في حفظ الرأي ورواية الحديث والتميز فيه ومعرفة طبقات رجاله، ويحكمون عقد الوثائق ويعرفون عللها ويطلعون الاختلاف، ويعرفون مذاهب العلماء والتفسير ومعاني القرآن<sup>1</sup>، فكان منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والمتكلم والنحوي وغيره<sup>2</sup>، مما يدل على الطابع الموسوعي الذي تميز به العلماء المسلمون حينما جمعوا بين كل العلوم، حيث "لم يتجه العلماء... في الإسلام إلى التمييز بشكل حاد بين صنوف المعرفة المختلفة؛ بل تداخلت لديهم صور المعرفة، تساند بعضها في منظومة فكرية رائعة تثبت تكاملها، وتقاطع بعضها مع البعض الآخر ليشير إلى حدود للعلوم لا بد من وضعها في الاعتبار..."<sup>3</sup>. وعليه فما هي أقسام العلماء التي ظهرت كنتيجة لتطور مصطلح العلماء؟.

بعد تطرقنا لبيان مفهوم ودلالة وتطور مصطلح العلماء، سوف نورد في هذا السياق أقسام العلماء، انطلاقاً من أنَّ هذه الأقسام جاءت على حسب قصدهم من العلم وأثره فيهم عملاً وحالاً، لذا يمكن تقسيمهم إلى قسمين لكل واحد منهما علامات وصفات تميزه عن الآخر.

**أ- علماء الآخرة:** وهم مرتبتان: الأولى: علماء الآخرة علماً وعملاً وحالاً وتعليماً، والثانية: علماء الآخرة علماً وعملاً<sup>4</sup>. من صفات علماء الآخرة أن يفعلوا الأوامر ويتعدون عن النواهي وأن يكونوا زاهدين، وأن لا يعرضوا عن المباحات، وكذلك يؤثرون الآخرة على الدنيا وذلك عن طريق إيمانهم بحقارة الدنيا وشرف الآخرة، وهم الذين يتطابق علمهم وقولهم وفعلهم، كما يميلون للعلوم النافعة لهم في آخرتهم ويتعدون عن العلوم قليلة النفع، والأكثر من ذلك فإنهم ينقبضون عن السلاطين، ويحززون من مخالطتهم، ولا يتسرعون في الإفتاء، ولا يقومون به-أي الإفتاء-إلا بعد التأكد من إتقانهم لذلك وصحة إفتائهم، وزيادة على ذلك فهم يبحثون فيما يفسد الأعمال، حتى يقوموا باتقاء

1- ابن فرحون إبراهيم نور الدين، الديباج المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجناة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ-1996م، ص350.

2- الشرعة عودة رافع، القوى الفاعلة في المجتمع الشامي وعلاقتها مع بعضها في العصر المملوكي (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، أطروحة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، 2012-12-26م، ص110.

3- ماهر عبد القادر محمد علي، أثر الإسهام الإسلامي في علوم الطب في أوروبا (كتاب القانون في الطب لابن سينا نموذجاً)، الندوة العلمية الدولية الأولى حول تاريخ العلوم في الإسلام، أيام 09-10-11 ربيع الأول 1430هـ/24-25-26 فبراير 2010م، مركز ابن البناء المراكشي، الرابطة المحمدية، المملكة المغربية، ص198.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص213.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

ذلك، وأيضاً يفتشون في أسرار الأعمال الشرعية والملاحظة لحكمها وإذا عجزوا عن معرفة العلة، عندها يسلمون للشرع، حريصين على إتباعهم للصحابة وخيار التابعين، ويتوقون في الأمور المحدثّة، يتوادون ولا يتحاسدون، لا يحبون الجمع والثناء ولا يسعون للرئاسة، يدعو بعضهم لبعض، ويستفيد كل منهم من الآخر<sup>1</sup>. وقد لخص بعض العلماء علامات علماء الآخرة، فحصرها في خمس صفات فهمها من خمس آيات<sup>2</sup>، فقال: "خمس من الأخلاق هي من علامات الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية، والخشوع، والتواضع، وحسن الخلق، وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد، فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28). وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: 199)، وأما التواضع فمن قوله تعالى: ﴿وَلَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجرات: 88)، وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: 159)، وأما الزهد فمن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (القصص: 80)<sup>3</sup>.

**ب- علماء الدنيا:** المقصود بهم علماء السوء الذين جعلوا العلم مطية من أجل التنعم بالدنيا وحياسة الجاه وبلوغ مكانة مرموقة عند أصحاب السلطان وأرباب المال، ولعلماء الدنيا علامات وصفات تميزهم عن علماء الآخرة، كما يلي<sup>4</sup>:

- الافتقار للميزان الذي توزن به الأشياء، والمنهج الذي به يهتدى إلى سواء السبيل، فيقرؤون باسم المادة، ويهتدون إلى منهج المادة؛ حيث لم يقرؤوا بمعيار الإسلام ومنهجه الذي يقوم على القراءة "باسم الله" لكل مقروء.

- قصور علمهم، فهم إنما يعلمون صور الأشياء وأشكالها، وهي نتيجة حتمية لضلالة المنهج وخسارة الميزان، فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (6) **يَعْلَمُونَ** **لَهُمْ** **الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** (7) (الروم: 6-7)، وقوله أيضاً: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ

1- فكرت إبراهيم أحمد عوض، الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في التربية الإسلامية، الجامعة الأردنية، 2005/5/3م، ص 127-128.

2- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 217.

3- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، ط 1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م، ص 91-92.

4- المصدر نفسه، ص 147.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

ذَكَرْنَا وَلَمْ يُرَخَّ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (30) ﴿النجم: 29-30﴾، وهذا العلم لا يعتبر علماً في نظر الإسلام، والعلماء به ليسوا علماء، لضلالتهم عن منهج قراءة الأكوان باسم المكون، وكيف للضال أن يصير عالماً مرشداً وهو فاقد لمقومات العلم ومنهج الرشده فيه.

-الغاية من العلم هو التمتع بزينه الحياة الدنيا، وهي نتيجة حتمية لضلالتهم منهج الإقراء المستقيم<sup>1</sup>، فصدق عليهم قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرَخَّ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29)﴾ (النجم: 29)، وحق فيهم قول الشاعر:

**عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى      ومن يشتري دنياه بالدين أعجب**

**وأعجب من هزين من باع دينه      بدنيا سواه فهو من ذين أعجب<sup>2</sup>**

-القصد من العلم التباهي والممارسة والسمعة<sup>3</sup>؛ حيث لم يعتبروا بقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لَتَبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَتَمَارَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلِتَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ<sup>4</sup>﴾.

-فراغ قلوبهم من معرفة الله وحبه، وامتلائها بالردائل والنفاق، فقد حذر الفاروق عمر رضي الله عنه من هذا الصنف من علماء السوء فقال: "إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَنَافِقَ الْعُلَمَاءَ، قَالُوا: وَكَيْفَ يَكُونُ مَنَافِقًا عُلَمَاءُ؟ قَالَ: عَلِيمٌ اللِّسَانُ جَاهِلُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ".<sup>5</sup>

ومحمل القول فإن الثمرة التي يجنيها علماء الآخرة هي نيل مرضاة الله تعالى والفوز بالثواب العظيم ودخول الجنة، أما علماء الدنيا فيحصدون غضب الله تعالى وعقابه ودخول النار يوم القيامة، وهذا مصيرهم لأن علمهم كان حجة عليهم، حيث أنهم لم ينتفعوا به، فخالفوا مقتضاه، وعملوا بمقتضى أهوائهم وشياطينهم، فصار العلم عندهم بلا روح<sup>6</sup>، فحق فيهم قوله تعالى: ﴿فَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَابُ فِيهِمَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (الشعراء: 94)، قال أبو جعفر

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 217.

2- الغزالي، المصدر السابق، ص 72.

3- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 218.

4- ابن عبد البر، المصدر السابق، ج 1، ص 148.

5- الغزالي، المصدر السابق، ص 72.

6- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 218.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

محمد بن علي: المراد بهم "قوم وصفوا الحق والعدل بألسنتهم، وخالفوه إلى غيره"<sup>1</sup>، وقوله صلى الله عليه وسلم في الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة: {ورجل تعلم العلم وعلمه وقرئ القرآن، فأُتِيَ به فعرّفه نعمه فعرّفها فقال: ما علمت فيما قال: تعلمت فيك العلم وعلمته، وقرئت القرآن، قال: كذبت، ولكن لي قال فلان قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار...}<sup>2</sup>. وعليه فلا نستغرب إذا علمنا أن مصير هؤلاء العلماء هو النار، عقاباً لهم من الله تعالى لمقصدهم الفاسد، فهم ضد علماء الشرع الربانيين، لأنهم آثروا أن يتاجروا بالفتوى ويتملقون للسلطين الظلمة ويبررون لهم السوء والظلم، فثبطوا بذلك الهمم وشوهوا صورة العلم والعلماء، فالتعاليم عندهم ضحك ونفاق وكذب وأهواء، والفتاوى ضلال وتضليل<sup>3</sup>.

**1-3- مراتب وأصناف العلماء:** لا يمكن بأي حال من الأحوال استقصاء مراتب العلماء وأصنافهم، دون الإشارة إلى مدى التداخل بين كليهما، بحيث يصعب علينا الفصل بينهما، لذا سنحاول التركيز على أبرز أصناف هؤلاء العلماء ونستطلع من خلالها مراتبهم، بالإضافة إلى إمكانية اللجوء إلى أكبر عدد من الترجيحات نظراً لاختلاف العلماء أنفسهم في حصر هذه الأصناف والمرتبات.

**أ- المتكلمون:** يسمى العارف بالشرعية، العالم بأحكامها، متكلماً<sup>4</sup>، "والمتكلم هو الذي ينظر في أعم الأشياء، وهو الموجود"<sup>5</sup>، والمتكلمون هم المقدمين في مراتب العلماء، فقد قال عبد القاهر البغدادي- في سياق كلامه عن خصال علماء أهل السنة والجماعة- عنهم: "...أعلم أنه لا خصلة من الخصال التي تعد في المفخر لأهل الإسلام من المعارف والعلوم وأنواع الاجتهادات، إلا لأهل السنة والجماعة في ميدانها القدر المعلى، والسهم الأوفر، فدونك أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة..."<sup>6</sup>، أما الشهرستاني

1- الشاطبي، الموافقات، ج1، ص62-63، نقلاً عن الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص218.

2- مسلم في الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة رقم 3527.

3- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص218.

4- عبد الرضا حسين الطعان وآخرون، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، ط1، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، دار الروافد الثقافية- ناشرون، 2015م، ص139.

5- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق الدكتور حمزة بن زهير حافظ، الجزء 01، كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت، ص12.

6- أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، 2005م، ص200.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

فقد نقل عن "بعض المتكلمين أنه يقسم ما جاء به الدين إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل، والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً، والأصول هي موضوع علم الكلام، والفروع هي موضوع علم الفقه..<sup>1</sup> بالإضافة إلى بلوغ المتكلمين أعلى مراتب العلماء، انطلاقاً من أنَّ المتكلم يستند ويعود إلى ما جاء به الدين وتواتر من الاعتقادات المبنية على النصوص، ثم يجتهد ويلتمس الحجج العقلية التي تدعمها ويدفع عنها كل شبهة واعتراض ولا يلجأ إلى التأويل إلا عند تعارض النصوص<sup>2</sup>، خصوصاً بعد أن كثرت الاختلافات والشبه والضلالات بين الفرق الإسلامية حتى خاضوا في القواعد الفلسفية، فتصدى المتأخرون لبسط أدلة تلك العقائد وتفصيلها ودفع الشبه والضلالات الواردة عليها، وجعلوا المسائل المتعلقة بذلك من علم الكلام<sup>3</sup>، وقد نحا الغزالي (ت505هـ) نحو عبد القاهر البغدادي في إقرار مرتبة المتكلم على أنها أولى مراتب العلماء وأعلاها حيث يقول: "... فيقسم -أي المتكلم- الموجود أولاً إلى قديم ومحدث، فيأخذ المفسر من جملة ما نظر فيه المتكلم واحداً خاصاً وهو الكتاب فينظر في تفسيره، ويأخذ المحدث واحداً خاصاً، وهو السنة، فينظر في طرق ثبوتها، والفقيه يأخذ واحداً خاصاً وهو فعل المكلف، فينظر في نسبته إلى خطاب الشرع، من حيث الوجوب والحظر والإباحة، ويأخذ الأصولي واحداً خاصاً، وهو قول الرسول الذي دل المتكلم على صدقه، فينظر في وجه دلالاته على الأحكام، إما بملفوظه، أو بمفهومه، أو بمعقول معناه ومستنبطه..<sup>4</sup>، والواقع أنَّ الإسلام لم يقف عند التعايش مع العلم، وإنما أصبح كل موضوع علمي ذا صلة بالعتيدة الدينية، وصار الارتباط بين الدين والمعرفة العقلية، أو بين علم الطبيعة وعلم ما وراءها ارتباط تفاعل وتمازج، ونشأ من ذلك اتجاه نحو الحياة والسلوك فيها، يدفع به العامل الديني الاعتقادي في كل وجه من وجوهه، وسبيل من سبله، فصار الداعي الديني يتجلى فيما يصنع العالم، وما ينتج الأديب، وما يصوغ صاحب الفن، وصارت المعرفة العلمية سندا لكلام المتكلم، وفقه الفقيه، وتصوف الصوفي، على الصورة التي ربطت عناصر المعرفة، وأخرجت كتب العتيدة الإسلامية جامعة للمعارف الطبيعية والرياضية والإنسانية، مع الحقائق الاعتقادية، يتجانس فيها العلم مع الدين، ويتساند العقلي والنقلي<sup>5</sup>.

1- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، الجزء 01، القاهرة، مؤسسة الحلبي، 1388هـ/1968م، ص41.

2- الحسيني علي بن محمد الشريف، التعريفات، بيروت، 1996م، ص162.

3- محمد عليان المرزوقي الشافعي، اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم، ص222-223، نقلاً عن عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص46.

4- الغزالي، المستصفى...، المصدر السابق، ج1، ص15.

5- عمارة محمد، في فقه الحضارة الإسلامية، ط2، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 1427هـ/2007م، ص110-111.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

لقد احتل علماء الكلام المرتبة الأولى في أصناف العلماء المسلمين نظرا لأهمية علم الكلام في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد المشككين والطاعنين فيها من قبل الفرق والنحل وأيضا أهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة والمجوس، لذا عده العلماء أهم علم في الجهاز المعرفي الإسلامي للعلوم، حيث يشكل محور الالتقاء بينها.

**ب- الفقهاء:** الفقيه هو العالم بالفروع<sup>1</sup>، فمن تكلم في الطاعة والشرعية كان فروعيًا، والفروع هي موضوع علم الفقه<sup>2</sup>، الذي يمثل علم التشريع القانوني الديني الفروعى المحدد للأفعال الإنسانية الواجبة والمحظورة، المباحة والمندوبة والمكروهة<sup>3</sup>، ذلك أن "... الفقيه يأخذ واحدا خاصا، وهو فعل المكلف، فينظر في نسبته إلى خطاب الشرع من حيث الوجوب والحظر والإباحة..."<sup>4</sup>، مما دفع بعبد القاهر البغدادي إلى عد الفقهاء في المرتبة الثانية من أصناف العلماء؛ حيث يقول: "...وأما أئمة الفقه في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم فقد ملأوا العالم علما، وليس بينهم من لا يناصر السنة والجماعة وهم أشهر من نار على علم..."<sup>5</sup>، والفقيه يحتل منزلة الوساطة بين مضامين الدين كما جاءت في الكتاب والسنة وبين الأمة المتلقية لتحقيق هذه المضامين في الواقع<sup>6</sup>. من خلال تعامله مع الأدلة التفصيلية، مع ما يملكه من قدرة على الاستنباط<sup>7</sup>، وبذلك يصبح عارفا بالأحكام اجتهدا وتقليدا، في حين ترى الدكتور صابرة خطيف أن ذلك على المستوى النظري، أما عمليا توجد صعوبة كبيرة في ضبط مقدار المعارف التي يتلقاها الطالب ليرتقي إلى درجة فقيه، واستنتجت أن تحديد ذلك يتبلور بمزاولة أحد الخطط التي تتطلب تكوينها فقهيًا، كالقضاء والإمامة والخطابة، أو التدريس أو التأليف في هذا المجال في الفقه أو أصول الفقه أو العلوم المرتبطة بالفقه كعلم الفرائض وعلم الشروط والسجلات أو اعتبارا للمكانة العلمية ضمن هذا الإطار<sup>8</sup>، ومن هذا المنطلق فإن الفقهاء امتازوا عن بقية الأصناف الأخرى من العلماء بحضورهم المكثف في

1- عبد الرضا حسين الطعان وآخرون، المرجع السابق، ص139.

2- الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص41.

3- عبد الرضا حسين الطعان وآخرون، المرجع السابق، ص139.

4- الغزالي أبو حامد، المستصفى...، المصدر السابق، ج1، ص16.

5- البغدادي عبد القاهر، المصدر السابق، ص270.

6- العابد عبد الحميد، علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول (132هـ-232هـ/750م-847م)، مشروع مذكرة بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر-باتنة، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م، ص40.

7- ولد خصال سليمان، جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام السياسي الإسلامي بين سنة (633هـ-962هـ)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، قسم الشريعة، جامعة الجزائر، 2007م-2008م، ص49.

8- خطيف صابرة، النخب الدينية في العهد الزياني خلال القرن السابع والثامن الهجري، الثالث عشر ميلادي: إشكالية المصادر والتصنيف وآليات المعالجة، أعمال المؤتمر الدولي الأول، النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب الطبقات، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، 2012م، ص290.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

حياة وواقع المجتمع الإسلامي، حيث سعوا دائما لتتبع الأسئلة التي تطرح على المسلم، بفعل التغيرات والمستجدات التي يشهدها أي عصر من العصور، والاجتهاد للمحافظة على التطابق والتلازم بين الشريعة والتشريع الفقهي والحياة الاجتماعية<sup>1</sup>، ذلك أنَّ الفقهاء لم يكونوا بعيدين عن واقعهم ولا منعزلين عن مجتمعاتهم، مكتفين بإصدار فتاوى نظرية، وإيجاد حلول لوقائع فرضية، بل إنَّ الفقهاء كانوا أبناء بيئتهم يعيشون مع الناس وبين الناس يشهدون من الحوادث ما يشهدونه، ويقفون أمام ما يحمله العصر من مستجدات وتطورات، فكان من السهل عليهم التعامل مع النوازل المعروضة عليهم لمعايشتهم<sup>2</sup> للنوازل اليومية والحوادث الطارئة، والقضايا الصادرة من صميم الواقع الفردي والجماعي، والمتفرعة عن شبكة العلاقات والمعاملات الإنسانية في شتى نواحي حياتهم بكثير من الملبسات بالقرائن التي لا تفهم حقيقتها ولا يتوصل إلى أحكامها إلا من قبل من خبر هموم الناس، وأحوال الواقع وأسرار الشرع<sup>3</sup>.

وفي السياق ذاته يوجه إمام الحرمين الجويني طلبه العلم إلى كيفية نقل المسائل بقوله: "لا يستقل بنقل مسائل الفقه من يعتمد الحفظ، ولا يرجع إلى كيس وفطنة وفقه، طبع، فإن تصوير مسائلها أولا، وإيراد صورها على وجوهها، لا يقوم به إلا فقيه. ثم نقل المذاهب بعد استتمام التصوير لا يتأتى إلا من مرموق في الفقه خبير، فلا ينزل نقل مسائل الفقه منزلة نقل الأخبار والأقاصيص والآثار، وإن فرض النقل في الجليات (من واثق بحفظه، موثوق به في أمانته، لم يمكن فرض نقل الخفيات من غير استقلال بالدراية"<sup>4</sup>، وهذا يتجسد فعليا بمعرفة أحوال الناس ودراسة ما يحصل في مجتمعهم، وما ترمي إليه مقاصدهم، وأعرافهم مطلعاً على مكائدهم، وصور حيلهم في التصرفات والمعاملات<sup>5</sup>. خصوصاً إذا اعتبرنا الفقهاء أنهم بشر قبل كل شيء، فهم خاضعون لقانون التأثير والتأثر، وتختلف هذه المؤثرات باختلاف المكان والزمان، كما يختلف وقع هذه المؤثرات من

---

1- الريسوني أحمد، مؤسسة العلماء في الإسلام من التأصيل إلى التنفيل، دور العلماء في المجتمعات الإسلامية، منشورات كلية الآداب، المحمدية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001م، ص13.

2- مزينة أمينة، فقه النوازل عند علماء القرويين وأثره في الحركة الاجتهادية، بحوث الندوة العلمية الدولية بعنوان جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي الأصالة والامتداد، قصر المؤتمرات بفاس، الرابطة المحمدية للعلماء، 17-18-19 جمادى الأولى 1432هـ/21-22-23 أبريل 2011م، ص286.

3- الخادمي نور الدين، المقاصد في المذهب المالكي خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، ص197، نقلاً عن مزينة أمينة، المرجع نفسه، ص286-287.

4- النيسابوري ضياء الدين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الغياني غياث الأمم في التياث الظلم، حققه ووضع فهارسه أ.د عبد العظيم محمود الديب رحمه الله تعالى، ط3، بيروت، دار المنهاج، جدة، دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص489.

5- مزينة أمينة، المرجع السابق، ص287.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

فقيه إلى آخر، سياسيا واجتماعيا ودينيا وفكريا<sup>1</sup>، لذا أضحي للفقهاء مكانة في المجتمع وشأن بين العامة عظيم تنقاد لهم وتستجيب لأقوالهم. فقد مثلوا حلقة الوصل بين الحكام وجمهور الأمة، فهم مناط الاستقرار في الدولة، ومحل التقدير من كلا الطرفين<sup>2</sup>، ومع ذلك فإنَّ الفقهاء لم يبلغوا هذه المنزلة بين أصناف العلماء إلا لأنهم أكثر هذه الأصناف حضورا وتواجدا وتأثيرا كما قلنا، وأيضا لحاجة السلطة إليهم في الخطط الدينية للدولة، بالإضافة إلى الشيوع الواسع للمذاهب في العالم الإسلامي وتمذهب السلطات الحاكمة بأحد هذه المذاهب.

**ج-المفسرون:** المفسر يأخذ من جملة ما نظر فيه المتكلم واحدا خاصا، وهو الكتاب فينظر في تفسيره<sup>3</sup>، ذلك أنَّ "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن"<sup>4</sup>، لهذا اشترط العلماء جملة من الآداب والشروط ينبغي توفرها في طالب العلم حتى يبلغ درجة المفسر:

- صحة الاعتقاد لزوم سنة الدين: فلا يطعن في عدالته ولا في مذهبه وأن يتجنب الهوى والخذاع.
- اعتماده على النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحابه ومن عاصرهم.
- ترجيح الاستدلال من حيث قوة الطريق.
- صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد.
- الامتلاء من عدة الإعراب<sup>5</sup>.

"...وحملة التفسير بالرواية، وكذلك المفسرون بالدراية.."<sup>6</sup> من أصناف العلماء الذين حازوا قصب السبق ومنزلة رفيعة نظرا لأنَّ ما اشتغل به علماء المسلمين من العلوم مرجعه إلى القرآن، فهو المحور الذي تدور عليه العلوم الأدبية واللسانية، فضلا عن الدينية<sup>7</sup>، وعليه فعلم التفسير يجب أن يكون أول علم يعتنى به على وجه الصحة والدقة

---

1- كرتالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9هـ-10هـ/15م-16م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (01)، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م، ص08

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص321.

3- الغزالي أبو حامد، المستصفى....، المصدر السابق، ج1، ص15.

4- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط واعتناء وتعليق مصطفى شيخ مصطفى، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1429هـ/2008م، ص762.

5- المصدر نفسه، ص763-764.

6- البغدادي عبد القاهر، المصدر السابق، ص272.

7- جرجي زيدان، تاريخ التمدن، ج3، ص43، نقلا عن عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص33.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

والدقة العلمية، لحصول القدرة على استنباط الأسرار القرآنية بحسب الطاقة البشرية، ومعرفة معاني كلام الله سبحانه من الأوامر والنواهي وغيرها، ثم كيف بنا وإن أحب الخلق إلى خالقهم سبحانه وتعالى أعلمهم بما أنزل<sup>1</sup>.

**٢- المقرئون:** بعد علم القراءات من أجل العلوم الشرعية وأسمائها قدرا ومزية وأشرفها ذكرا وأفضلية لاتصاله بكتاب رب العالمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونزول القرآن بقراءاته المتعددة على النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الأمة الإسلامية بهذه الرخصة نعمة عظيمة، ومنقبة فضلى؛ ودرجة كبرى لذلك انبرى الصحابة منذ نزول الوحي فاعتنوا بضبطها وإتقان طرق أدائها فكانوا ومن بعدهم مفاتيح الحفظ من التبديل والتحريف قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ حَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: 09). وينبج فضل علم القراءات من مشكاة فضل القرآن العظيم، لأنه وقوف على تفاصيل الأداء القرآني<sup>2</sup>، قال صلى الله عليه وسلم: {خيركم من تعلم القرآن وعلمه}<sup>3</sup>، أما ابن الجزري فيقول: "إن علماء هذه الأمة لم تزل من الصدر الأول، إلى آخر وقت يستنبطون منه الأدلة والحجج والبراهين والحكم وغيرها، ما لم يطلع عليه متقدم ولا ينحصر لمتأخر، بل هو البحر العظيم الذي لا قرار له ينتهي إليه، ولا غاية لآخره يوقف عليه"<sup>4</sup>، كما تتأسس فضيلة علم القراءات وتتأصل بوجهين:

-أنه حوى علوما جليلة، كعلم رسم المصحف، وعلم الضبط، وعلم توجيه القراءات والاحتجاج لها، وعلم الفواصل قال القسطلاني: "القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراق على معانيه لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه، ولا يطمع في حقائقها التي لا تنتهى لغرائبها ودقائقها إلا بعد العلم بوجوه قراءاته، واختلاف رواياته، ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات..."<sup>5</sup>.

1- العك، أصول التفسير وقواعده، ص28-29، نقلا عن بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص256.

2- فلاح خير الدين، أثر اختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإعجاز القرآني، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات

القرآنية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م، ص37.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه رقم...

4- ابن الجزري، النشر، ج1، ص05، نقلا عن فلاح خير الدين، المرجع السابق، ص37.

5- القسطلاني أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المجلد01، مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د.ت، ص03.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

-أنه أصل يعتمد عليه، ويحتاج إليه في التفسير ولطائفه، وفي الإعجاز وعجائبه، وفي النحو والصرف واللغة، والفقه واستنباط الأحكام، "ولم تزل العلماء تستنبط من كل حرف يقرأ به قارئ معنى، لا يوجد في قراءة الآخر ذلك المعنى، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط، ومحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط"<sup>1</sup>.

لذا فإنَّ المقرئين هم المتضلعون في أوجه النطق بحيث يستطيعون التحكم في طرق الرواية واختلاف الشكل والمدود وعلامات الوقف ومخارج الحروف ومبادئ السور وخواتيمها، لذلك وضع العلماء شروطاً لمن يشتغل بعلم القراءات وهي أن يكون عالماً بما يلي:

-العلم بالفقه فذلك أصلح لدينه، ولا بأس لأن يكون حذقاً فيه.

-معرفة الأصول وذلك لدفع شبهة من يقدح في بعض القراءات، والقدرة على إقامة الحجة الدامغة على خصومه، وهذا لا يكون إلا في العلم بالقواعد الأصولية.

-تحصيل جوانب من النحو والصرف بالقدر الذي يمكنه من توجيه كل قراءة على حدة، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة قواعد الإعراب والبناء والاشتقاق، وهذا أهم ما يجب عليه معرفته والتقيد به<sup>2</sup>.

وفي السياق ذاته يوصي ابن فضل الله العمري المقرئين بكوكبة من النصائح، فيقول: "...وليدم على ما هو عليه من تلاوة القرآن فإنه مصباح قلبه، وصلاح قربه، صباح القبول المؤذن له يرضى ربه، وليجعل سوره له أسوار، وآياته تظهر بين عينيه أنوار، وليتل القرآن بحروفه وإذا قرأ استعاذ، وليجمع طرقه وهي التي عليها، الجمهور ويترك الشواذ، ولا يرتد دون غاية لإقصار، ولا يقف فبعد أن أتم لم يبق بحمد الله إحصار، وليتوسع في مذاهبه ولا يخرج عن قراءة القراء السبعة أئمة الأمصار، وليبذل للطلبة الرغبة، وليشيع فإنَّ ذوي النهمة سغاب، ولير الناس ما وهبه الله من الاقتدار فإنه احتضن السبع ودخل الغاب، وليتم مباني ما أتم "ابن عامر" و"أبو عامر" له التعمير، ولفه "الكسائي" في كسائه ولم يقل جدّي "ابن كثير" وحمّ به "لحمزة" أن يعود ذاهب الزمان، وعرف أنه لا "عاصم" من أمر الله يلجأ معه إليه وهو الطوفان، وتدفق يتفجر علماً وقد وقفت السيول الدوافع، وضرَّ أكثر قراء الزمان بعدم تفهيمهم وهو "نافع"، وليقبل على ذوي الإقبال على الطلب، وليأخذهم بالتربية فما منهم إلا من هو إليه قد انتسب، وهو يعلم ما من الله عليه بحفظ كتابه العزيز، من النعماء، ووصل سببه منه بحبل الله الممتد من الأرض إلى السماء فليقدر حق هذه

1- القسطلاني، المصدر السابق، مج 01، ص 171.

2- ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق عبد الحي الفرواوي، ط 1، دار الفكر للطباعة، 1977م، ص 66.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

النعمة بحسن إقباله على التعليم...<sup>1</sup>. وانطلاقاً من ذلك فإنَّ المقرئين يعدون من أصناف العلماء الذين احتلوا مرتبة هامة بين هذه الأصناف، وأضحى هؤلاء أكثرهم انتشاراً وحضوراً في المناسبات والأعياد والأفراح والأفراح، وأعرف الناس بأحوال المجتمع شأنهم في ذلك شأن بقية العلماء الآخرين بجميع مراتبهم.

**هـ- الأصوليون:** الأصوليون لا ينظرون إلاَّ في أدلة الأحكام الشرعية خاصة، كما يأخذون واحداً خاصاً، وهو قول الرسول الذي دل المتكلم على صدقه، فينظرون في وجه دلالة على الأحكام، إما بملفوظه، أو بمفهومه، أو بمعقول معناه ومستنبطه<sup>2</sup>، "...فأما من كان فقيه النفس متوقفاً القريحة بصيراً بأساليب الظنون، خبيراً بطرق المعاني في هذه الفنون، ولكنه لم يبلغ مبلغ المجتهدين لقصوره عن المبلغ المقصود في الآداب، أو لعدم تبحره في الفن المترجم بأصول الفقه- على أنه لا يخلو عن أصول الفقه الفقيه المرموق الفطن في أدراج الفقه، وإن كان لا يستقل بنظم أبوابه وتهذيب أسبابه...<sup>3</sup>، ولا غرو أنَّ نظر الأصولي في وجه دلالة الأدلة السمعية على الأحكام الشرعية المقصود منه معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلة<sup>4</sup>، من خلال اطلاعه- أي الأصولي- على أصناف الأحكام المتعلقة بالمكلفين من أمور الشرع، ويستنبط ويستخرج دلالة الحكم من النصوص القرآنية والنبوية، بالرجوع إلى الأصول ويشرحها شرحاً يتوافق ويتطابق مع قواعد وتشريع المذهب وينسجم مع أحكامها، ثم يقيس ويرجح<sup>5</sup>. وفي السياق ذاته فإنَّ جمهور الأصوليين كصنف من أصناف العلماء احتل مرتبة مهمة ضمن هذه الأصناف، لم تتأت إلا بظهور علم أصول الفقه على يد الإمام الشافعي رحمه الله (ت204هـ)، الذي يعد أول من دون هذا العلم بشكل مستقل، حيث صنف كتابه الرسالة، وهو أول كتاب وصل إلينا مدونا في علم أصول الفقه<sup>6</sup>، وأضحى علماً مهماً يحتاجه كل مسلم، مما زاد في مكانة المشتغلين به من العلماء، فالأصوليون حازوا مكان الوسط بين المتكلمين والفقهاء، وبين المفسرين والمحدثين، وكذا اللغويين والمناطقية، فاستحقوا أحياناً أن يكونوا

1- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408هـ/1988م، صص 173-175.

2- الغزالي، المستصفى...، المصدر السابق، ج1، ص15.

3- النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، المصدر السابق، صص 493-494.

4- الغزالي، المستصفى...، المصدر السابق، ج1، ص18.

5- فيلاي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ج2، ط1، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002م، ص378.

6- الصويحي أحمد بن عبد الله بن محمد، علم أصول الفقه من التدوين إلى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تاريخية استقرائية تحليلية)، ج1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1427هـ، ص227.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

أول أصناف العلماء وأعلامهم مرتبة وأكثرهم حضوراً في تقرير الأحكام الشرعية المنبثقة عن مصادر التشريع الإسلامي، والأصولي إنما يعرف أنواع الأحكام وأنواع الأدلة على الجملة من غير تعيين آحادها<sup>1</sup>.

**و-المحدثون:** هم من علموا علم طرق إثبات الحديث وأسماء رواته وعدالته، وأنه هل زيد في الحديث شيء أو نقص أم لا، فلا يصدق على من ليس له إلا مجرد سماع الحديث أو تحمله، بل خصوص من له علم بهذا الشأن<sup>2</sup>، يقول الغزالي: "ويأخذ المحدث واحداً خاصاً، وهو السنة فينظر في طرق ثبوتها"<sup>3</sup>، وقد أعطى ابن سيد الناس تعريفاً للمحدث بقوله: "والمحدث في عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطة، واشتهر فيه ضبطه"<sup>4</sup>، أما عبد القاهر البغدادي فقد أشار- في سياق كلامه عن علماء أهل السنة والجماعة- إلى المحدثين بقوله: "...وأما أئمة الحديث الإسناد فهم سائرون على هذا المهيح الرشيد ولا يوصم أحد منهم ببدعة وفي طبقاتهم كتب كثيرة خاصة تغني عن ذلك أسمائهم هنا، وآثارهم الخالدة لم تزل بأيدي حملة العلم مدى الدهر..."<sup>5</sup>، وخاصة أن علم الحديث كانت حصته من التنوع، فكان هناك مناهج للتصنيف على الأبواب: كالجامع-الصحيح-السنن-المصنفات-المستدركات-المستخرجات-الموطآت-الزوائد. وهناك على الأسماء: كالمسانيد-الأطراف-المعاجم-المشيخات. وهناك التصنيف على الألفاظ كالكتب المصنفة على أوائل الحديث، إلى غير ذلك من أنواع التصنيف في علوم الحديث الشريف، ولكل نوع من هذه الأنواع مناهج متعددة قامت عليها، وقد اعتنى علماء مصطلح الحديث بالكلام عن هذا كله<sup>6</sup>.

لقد أطلق العلماء على طلاب الحديث ألقاب مختلفة، ومرجع ذلك إلى مدى نشاطهم في الرحلة والتجوال وسعة حفظهم وإتقانهم وأشهر الألقاب التي نهوا على التمييز بينها ثلاثة: المسند، الحافظ، الحاكم<sup>7</sup>، ولكن اللقب المتواتر هو المحدث وهذه الألقاب مندرجة تحته وتابعة له، فأولها:

---

1- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، اعتنى به محمد مرابي، ط1، الجزائر، دار الإمام مالك للكتاب، 1434هـ/2013م، ص18.

2- إبراهيم حسين سرور، المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية (الفقه-الأصول-الفلسفة-المنطق)، ج1، ط1، بيروت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م، ص518.

3- المستصفى... المصدر السابق، ج1، ص15.

4- العثماني ظفر أحمد، قواعد علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط3، بيروت، دار القلم، 1972م، ص27.

5- المصدر السابق، ص270.

6- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص29.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص284.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

-**المسند:** هو من يروي الحديث بإسناده، سواء كان عنده علم به أو ليس له إلا مجرد رواية<sup>1</sup>، ويعد-أي المسند-من الألفاظ المستعملة في كتب الرجال التي لا تفيد مدحا وقدحا<sup>2</sup>، والمسند أيضا هو من يهتم بالإسناد من حيث اتصاله وانقطاعه، أو تسلسله، وإن لم يكن له خبرة بالمتون<sup>3</sup>.

-**المحدث:** هو من عرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية، هذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطباقي ودار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والمسانيد كان في أول درجات المحدثين<sup>4</sup>. كما يعد المحدث الأستاذ الكامل وكذا الشيخ والإمام بمعناه<sup>5</sup>، وفي النفس السياق يضيف السيوطي نقلا عن السبكي: "ومن أهل العلم طائفة طلبت الحديث وجعلت دأبها السماع على المشايخ ومعرفة العالي من المسموع والنازل وهؤلاء هم المحدثون على الحقيقة..<sup>6</sup>"، أما التهانوي فيرى أنَّ المحدث من كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب الحديث ودرسه وتدرسه بإجازة الشيوخ له، مع معرفة معاني الحديث رواية ودراية<sup>7</sup>.

-**المفيد:** هو من جمع شروط المحدث، وزاد عليه خبرة ودراية، بأن يعرف العالي والنازل، ويعرف أحوال الرجال مع معرفة العلل<sup>8</sup>.

-**الحافظ:** أعلى رتبة من المفيد والمحدث، فهو أعلاهم درجة، وأرفعهم مكانة، فمن صفاته أن يكون عارفا بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خبيرا بطرقها، مميزا لأسانيدها، يحفظ منها الشيء الكثير، وما أجمع أهل المعرفة على

1- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م، ص10.

2- إبراهيم حسين سرور، المرجع السابق، ج1، ص524.

3- عبد الهادي أحمد الحسين، الحديث والمحدثون في العصر الميرني (668هـ-869هـ/1269م-1464م)، ط1، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1437هـ/2016م، ص304.

4- السيوطي، تدريب الراوي...، المصدر السابق، ص12.

5- القنوجي صديق بن حسن، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، ج1، أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1978م، ص227.

6- تدريب الراوي...، المصدر السابق، ص12.

7- التهانوي، قواعد في علوم الحديث، ص28، نقلا عن محمد إسماعيل محمد شريف، الحديث والمحدثون في بلخ عبر العصور، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) من قسم العلوم الإسلامية، جامعة البنجاب، لاهور، 1416هـ/1996م، ص36.

8- عبد الهادي أحمد الحسين، المرجع السابق، ص305.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

صحته، وما اختلفوا فيه للاجتهاد في حل نقله، ويطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، ويعرف شيوخه وشيوخ طبقاته بعد طبقة، بحيث يكون ما يعرفه عن كل طبقة، أكثر مما يجله، ويشتهر فيه ضبطه. وفوق كل هذا، يكون له التعمق في العلم والفهم والدراية، لا مجرد الإكثار والتوسع في الرواية<sup>1</sup>. وتصدر الإشارة إلى أنَّ السيوطي قد أضاف بعض الحثيات المكملّة لتعريف الحافظ بقوله: "...فهو سهل لمن جعل فئة ذلك دون غيره من حفظ المتون والأسانيد، ومعرفة أنواع علوم الحديث كلها ومعرفة الصحيح من السقيم والمعمول به من غيره، واختلاف العلماء واستنباط الأحكام..<sup>2</sup>، ورأى الزهري أنَّ الحافظ لا يولد إلا في كل أربعين سنة<sup>3</sup>، وهو نوعان: نوع على طريقة الفقهاء، ونوع ثان، حافظ على طريقة المحدثين، وهذا الأخير هو الغالب على أهل الحديث خاصة<sup>4</sup>.

-**الحجة:** وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديث<sup>5</sup>، أو من كان قوله إنَّ الحديث في الحديث كذا حجة بين أقرانه لا ينكرونه عليه<sup>6</sup>.

-**الحاكم:** وهو من له خبرة كاملة بجميع الأحاديث المروية<sup>7</sup>، ويلم بكل الأحاديث ولا يفوته منها إلا اليسير<sup>8</sup>.

-**أمير المؤمنين:** أما رتبة أمير المؤمنين في الحديث، فهي الرتبة العليا في الحفظ والإتقان، لا رتبة فوقها، وليس لأهل الحديث منقبة أشرف منها، وهاته الرتبة لم يحصل عليها إلا القلائل من المحدثين الكبار<sup>9</sup>.

ونختم حديثنا عن صنف المحدثين بوصية العمري لهم حيث يقول: "وقد أصبح بالسنة النبوية مضطلعا، وعلى ما جمعته طرق أهل الحديث مطالعا، وصح في الصحيح أنَّ حديثه حسن، وأنَّ المرسل منه في الطلب مقطوع كل ذي لسن، وأنَّ سنده هو المأخوذ عن العوالي، وسماعه هو المرقص منه طول الليالي،.... فليعامل الطلبة إذا أتوه للفائدة معاملة من جرب، ولينشط الأقرباء منهم ويؤنس الغرباء فما هو إلا ممن طالب آونة

1- عبد الهادي أحمد الحسين، المرجع السابق، ص305.

2- تدريب الراوي...، المصدر السابق، ص14.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- عبد الهادي أحمد الحسين، المرجع السابق، ص305.

5- عبد الهادي أحمد الحسين، المرجع السابق، ص304.

6- التهانوي، قواعد في علوم الحديث، ص28، نفلا عن محمد إسماعيل محمد شريف، المرجع السابق، ص36.

7- عبد الهادي أحمد الحسين، المرجع السابق، ص304.

8- السيوطي، تدريب الراوي...، المصدر السابق، ص10-11.

9- عبد الهادي أحمد الحسين، المرجع السابق، ص305.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

من قريب وآونة تغرب، وليسفر لهم صباح قصده عن النجاح، ولينتق لهم من عقود الصبح، وليوضح لهم الحديث، وليرح خواطرهم بتقريبه ما كان يسار إليه السير الحثيث، وليؤتهم مما وسع الله عليه فيه المجال ويعلمهم ما يجب تعليمه من المتون والرجال، ويصرهم بمواقع الجرح والتعديل، والتوجيه والتعليل، والصحيح والمعتل الذي تنتثر أعضاؤه سقما كالعليل، وغير ذلك مما لرجال هذا الشأن به عناية، وما ينقب فيه عن دراية أو يقنع فيه بمجرد رواية؛ ومثله ما يزداد حلما، ولا يعرف بمن رخص في حديث موضوع أو كتم علما...<sup>1</sup>.

**ن- علماء اللغة:** يعد علماء اللغة أبرز أصناف العلماء الذين يشكلون أحد الأقطاب الهامة ضمن التراتبية الهيكلية في البناء الفكري للعلوم الإسلامية، خصوصا بعد توسع وتعمق آفاقهم ومباحثهم، وإحاطتهم بمختلف أنواع فروع علم اللغة<sup>2</sup>، نظرا لإدراكهم أهمية اللغة في معرفة "مقاصد الشريعة و بها يتمكن المجتهد أو الفقيه من معرفة معرفة الحقيقة، والمجاز، والإطلاق، والتقيد، والمنطوق، والمفهوم، والاشتراك اللفظي، والعموم، والخصوص، إلخ، وهذه كلها من مباحث علم اللغة...<sup>3</sup>، والأكثر من ذلك فإن القرآن الكريم صفى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال آملا من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب<sup>4</sup>، وهذا التنوع في علوم اللغة راجع بكونها... خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها، من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المرؤة وسائر أنواع المناقب...<sup>5</sup>، مما دفع بمؤرخي الإنتاج العلمي الحضاري، إلى تصنيف علماء اللغة مرة في اللغويين، وثانية في النحويين، وثالثة في الأدباء، ورابعة في الأصوليين<sup>6</sup>، وقد احتل علماء اللغة مرتبة هامة فاقت حتى المفسرين والمقرئين عند عبد القاهر البغدادي الذي يقول: "وكذلك جمهرة أهل النحو واللغة والأدب كانوا على معتقد أهل السنة"<sup>7</sup>، ولا غرو أن في هذا الكلام ما

1- المصدر السابق، ص175.

2- رشاد عباس معتوق، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويعي (334هـ-447هـ/945م-1055م)، أطروحة دكتوراه في الحضارة والنظم

الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1410هـ/1990م، ص319.

3- الزحيلي وهبة، الوجيز في أصول الفقه، ط1، دمشق، دار الفكر، بيروت دار الفكر المعاصر، 1419هـ/1999م، ص15-16.

4- الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، ص، نقلا عن بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص421.

5- الثعالبي أبو منصور عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق حمدو طماس، ط1، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر

والتوزيع، 1428هـ/2007م، ص15.

6- رشاد عباس معتوق، المرجع السابق، ص319.

7- المصدر السابق، ص271.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

ما يعضده إذا أقررنا بتركيز علماء الشريعة على الشق التطبيقي فيما بين اللفظ والمعنى من علاقات مع تركيز واضح على مدلولات العبارات، لاستخراج الأحكام الشرعية وتطبيقاتها، بينما ركز علماء اللغة على الألفاظ من زوايا متعددة بشكل يتناسب مع أهميتها ودورها في خدمة لغة القرآن الكريم فكانت عنايتهم شديدة في بيان أصول الألفاظ ودلالاتها بالنسبة للمعنى، فميزوا بين اللفظ الذي تعددت معانيه، والمعنى الذي تعددت ألفاظه، فعلماء اللغة يبحثون في التعرف على العلاقة الدلالية بين اللفظ والمعنى، وعلماء الشريعة يأخذون هذه الألفاظ ومعانيهم في دراساتهم الشرعية<sup>1</sup>.

**ح- علماء التصوف:** أدرج عبد القاهر البغدادي علماء التصوف في أهل السنة والجماعة، وجعلهم في المرتبة الرابعة بعد المتكلمين والفقهاء والمحدثين، قال: "...وكذلك أئمة الإرشاد والتصوف كانوا على توالي القرون على هذا المنهج السديد في المعتقد..."<sup>2</sup>، ولم يحز علماء التصوف هذه المرتبة ضمن أصناف العلماء، إلا لأن علم التصوف له صيغته الخاصة ومنهجه الخاص التي ينفرد به عن غيره العلماء، بالإضافة إلى أن غايته هي توحيد الله ومعرفته ومحبته والخضوع، وكذلك هو تزكية للنفس والعمل على الوصول بها إلى الكمال في العلم والعمل والمعرفة، والأكثر من ذلك يعد تجربة يمتزج فيها الفكر بالواقع، والعلم بالعمل، وفي جوهره تجربة روحية خالصة<sup>3</sup>، لذا نعتقد أن القرآن الكريم أعان المتصوفة كما أعان المتكلمين والفقهاء على نصرة آرائهم، لأن كتاب الله تعالى في العالم الإسلامي قاموس للنحاة واللغويين، ومشار فلسفة للباحثين والمفكرين، وذكر يتقرب به المبتهلون والمتضرعون، وقانون يرجع إليه المشرعون، وعقيدة يحتج بها المتكلمون، والقرآن الكريم لا يخاطب العقل وحده بل يناجي كذلك القلب، ولا يعنى بالظاهر أكثر من عنايته بالباطن، وكم فيه من تحاليل شائقة وأساليب جذابة تصف أحوال النفس<sup>4</sup>.

إن التصوف الإسلامي ما هو إلا تذوق حقائق الإسلام، ولا شيء في التصوف الصحيح يخرج عن سياق الشريعة الإسلامية، ول يسع الصوفي مهما كانت مرتبته الروحية أن يسقط قاعدة شرعية وإلا صار زنديقا، ولا يمكن أن تتعارض الحقائق الصوفية مع صريح الكتاب والسنة<sup>5</sup>. وقد أطلق على علماء التصوف عدة ألقاب منها "الصوفي" الذي اقترن استعماله بتجربة التصوف الأولى عند المسلمين منذ القرن الثاني للهجرة، كما شاع وانتشر

1- الحازمي زيني بن طلال، الحياة العلمية في العراق خلال عصر نفوذ الأتراك (232هـ-334هـ/847م-946م)، بحث مقدم لنيل درجة

الماجستير في الحضارة الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1421هـ-2000م، ص357-358.

2- المصدر السابق، ص271.

3- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص500.

4- مذكور إبراهيم، في الفلسفة الإسلامية-منهج وتطبيق، ج1، ص59-60، نقلا عن عصام الدين الزفتاوي، المرجع نفسه، ص500.

5- يوسف زيدان، الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر، ص11، نقلا عن عصام الدين الزفتاوي، المرجع نفسه، ص505.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

إطلاقه بشكل واسع بعد ارتباطه بالتزام منتحليه بالنظريات الصوفية المشرقية والأندلسية المستمدة من كتب التصوف، وعليه اتصل مفهوم الصوفي بمنظومة صوفية فكرية وسلوكية معالمها الكبرى الزهد في الدنيا والمواظبة على المجاهدات والنزوع إلى الكشف واكتساب العلوم الدينية والزهد في المآهات والعطايا الإلهية<sup>1</sup>، وهذا ما عناه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: "الصوفي هو المحافظ على أعمال القلب ويمتاز بالنظر في أفعال القلوب واعتقاداتها ونظر المتصوف تتعلق بمصالح الآخرة"<sup>2</sup>. أما لقب "الولي" فقد أطلق أيضا على علماء التصوف، واقتزن بمعاني النصرة والتدبير والملك والتصوف والقرب والتمكين<sup>3</sup>، يقول لسان الدين بن الخطيب: "الولاية أن يتولى الله، الواصل إلى حضرة قدسه بكثير مما تولى به النبي، من حفظ وتوفيق وتمكين واستخلاف وتصريف فالولي يساوي النبي في أمور منها، العلم غير طريق العلم الكسبي، والفعل بمجرد الهمة، فيما لم تجر به العادة أن يفعل بالجوارح والجسوم، مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم"<sup>4</sup> وهناك لقب ثالث هو "الصالح" أطلقه أصحاب كتب الطبقات في القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، على العلماء و الفقهاء والزهاد الذين مارسوا تجربة الزهد والتعبد المقرونة بالشرعية، ثم ما لبث أن خضع في القرون اللاحقة إلى التطور التاريخي الذي عرفه المشرق الإسلامي ليكتسي بعد ذلك اتساعا في مجاله الدلالي، وأضحى مركبا من عدة أنماط من المعرفة هي: الفقه والتصوف السني والتصوف الفلسفي<sup>5</sup>. وأخيرا أطلق لقب العارف على علماء التصوف وقد عرفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: "وكذلك المريد ومجاهداته، وعبادته لا بد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدات وتلك الحال، ولا يزال يترقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة، وعند الكشف ربما يعرض له توهم الوحدة، ويسمى ذلك مقام الجمع، ثم يترقى إلى التمييز بين الموجودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق"<sup>6</sup>، ومن هناك يكون العارف هو من استشعر الحقيقة الإلهية بمعرف التوحيد والعبودية والربوبية، فيدرك معنى الربوبية ويقر بالوحدانية وينفي الأنداد عن الله سبحانه وهي الخطوة التي تحصنه في مراحل المقامات التي يقطعها وصولا إلى مقام

1- بونابي الطاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15) الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429هـ-1430م/2008م-2009م، ص156-157.

2- المقدمة، المصدر السابق، ص...

3- بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص159.

4- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ط1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1997م، ص256.

5- بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص168.

6- المقدمة، المصدر السابق، ص295-298.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الجمع، حيث يتوهم الوحدة التي تكون فيها في اتصال دائم مع الحق لكن وصوله إلى مقام الفرق بما اكتسبه من استشعار للحقيقة الإلهية ومعرفة بالتوحيد والعبودية والربوبية<sup>1</sup>.

إنَّ تاريخ التسمية باسم "الصوفي" يعود إلى فترة إنشاء مدينة بغداد التي شرع المنصور ببنائها سنة 145هـ، ففي رواية عن الحسن البصري (ت 110هـ) يقول فيها: "رأيت صوفيا في الطوائف فأعطيته شيئا فلم يأخذه"، ويذكر عن سفيان الثوري (ت 161هـ) أنه قال: "لولا أبو هاشم الصوفي (ت 150هـ) ما عرفت دقيق الرباء"، وبناء على ذلك ينفي السراج الطوسي أن تكون التسمية محدثة أحدثها البغداديون<sup>2</sup>، أما القشيري فيؤكد أنَّ التسمية أطلقت قبل سنة مائتين للهجرة<sup>3</sup>، وقد أورد الجاحظ (ت 255هـ) اسم الصوفية ضمن ما أسماه "الصوفية من النساك"، و"الصوفية" في كتابه البيان والتبيين، والحيوان<sup>4</sup>.

**هـ- الفلاسفة:** من الصعب تحديد مفهوم واحد للفلاسفة، نظرا لشموليته واحتواءه على عدد من أصناف العلماء الذين تمت الإشارة إليهم، بحكم استحالة الفصل بين العلوم في المنظومة المعرفية الإسلامية، لذا فإننا نعتبر الفلاسفة المسلمين من أهم الأصناف المندرجة ضمن مصطلح العلماء، باعتبار أنَّ الفلسفة الإسلامية نشأت وتطورت في ظل الإسلام وحضارته، واتصلت به اتصالا وثيقا في عدة محطات كالدفاع عن عقائده، أو بالتفهم الدقيق لأحكامه الشرعية العملية الفروعية، واستنباطها عن أدلتها أو أصولها، أو بالعبادة بجانب التذوق الروحي لأحكامه وأخلاقه، أو بالملائمة والتقريب بينه وبين فلسفات أخرى وافدة إلى المسلمين، فعلماء المسلمين الذين نهضوا للدفاع عن عقائد الإسلام مستندين إلى الأدلة العقلية هم المتكلمون، ويعرف علمهم باسم علم الكلام، والذين شغلوا أنفسهم بالأحكام الشرعية الفروعية من حيث تصنيفها وكيفية استنباطها عن أدلتها هم الأصوليون، ويعرف علمهم باسم علم أصول الفقه، والذين عنوا بجانب السلوك والأخلاق على أساس من التجربة الروحية العميقة هم الصوفية ويعرف علمهم باسم علم التصوف أو علم الحقيقة أو علم السلوك<sup>5</sup>، وعليه فإنَّ الفلاسفة هم الطلاب و الشراح الشراح الذين بنوا عملهم على النص الإغريقي، وأنَّ وصف الفيلسوف كان يطلق على الذين كانوا يدرسون النص الإغريقي دراسة مباشرة، إما باعتبارهم مترجمين، أو طلابا للفلسفة أو من تلاميذ من استخدموا النص

1- بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص 168.

2- السراج أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي، اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، ضبطه وصححه ملا مصطفى الهنداوي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 24-25.

3- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، دار التربية، بغداد، د. ت، ص 12-13.

4- التل عمر سليم عبد القادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري/الثاني الميلادي دراسة تاريخية، ط 1، دار المأمون للنشر، 1430هـ/2009م، ص 49.

5- التفتازاني أبو الوفا الغنيمي، علم الكلام وبعض مشكلاته، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ت، ص أ.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الإغريقي، وتدل الكلمة باستعمالها على نسق من باحثي العرب ظهوروا في القرن الثالث الهجري، وانتهوا في القرن السابع، وكان منشؤهم من دراسة أرسطو<sup>1</sup>.

يضاف إلى هذا الرأي أنّ الفيلسوف هو الذي يتعاطى الفلسفة، أو العالم بالفلسفة، ويسمى كذلك حكيمًا، حيث يبحث -أي الفيلسوف- عن ثبوت الأشياء على ما هي عليه في الأعيان ويتبين عوارض الموجودات بما هي موجودات، ويبحث أيضا عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى للأشياء، كما يؤمن بقيمة العقل ويحاول التقيد به في علمه وعمله، بخلاف الرجل الذي يبنى عليه على معطيات الإلهام<sup>2</sup>.

إنّ فلاسفة الإسلام لم يحدوا أنفسهم في دائرة المعارف اليونانية وحدها، بل فتحوا أمام أنفسهم كل النوافذ، وألما إلى جانب الثقافة اليونانية بالثقافة الهندية والفارسية، فكان من الطبيعي أن يؤدي هذا إلى توليد أفكار جديدة، وانبثاق نظريات فلسفية<sup>3</sup>، ولا غرو أنّ الفلاسفة في المفهوم الإسلامي هم علماء موسوعيين حازوا قدرا كبيرا من العلوم الإسلامية، سواء النقلية أو العقلية، من خلال معالجتهم لكثير من أمهات القضايا الفلسفية، وبخاصة المشاكل التقليدية الكبرى، وهي مشكلة الإله والعالم والإنسان، وحاولوا أن ينفذوا إلى العلل الأولى لهذا العالم، وأدلو برأيهم في الزمان والمكان والمادة والحياة، وبحثوا نظرية المعرفة بحثا مستفيضا، ونظروا في الأخلاق والمنطق، كما حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، وكثيرا ما اختلطت الفلسفة لديهم بالطب وعلوم الحياة والكيمياء والنبات والفلك، وهذا يدل على نزعة علمية أصيلة في تفكيرهم<sup>4</sup>.

**ب- المناهضة:** المنطق هو الكلام وعلم يعصم الذهن من الخطأ في الفكر، ويقال: فلان منطقي أي يفكر تفكيراً<sup>5</sup>، ويعد المنطق من العلوم الآلية؛ حده وكنهه جميع المسائل التي لها دخل في عصمة الذهن عن الخطأ في الفكر الفكر أو القدر المعتقد به منها. ورسمه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر فهو علم عملي آلي كما أنّ الحكمة علم نظري غير آلي. فالآلة بمنزلة الجنس -والقانونية يخرج الآلات الجزئية لأرباب الصنائع- وتعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر يخرج العلوم القانونية التي لا تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ والضلالة في الفكر بل في المقال كالعلوم العربية. وإنما سمي هذا العلم منطقاً لأنّ المنطق يطلق على الظاهري وهو التكلم. وعلى

1- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص145.

2- إبراهيم حسين سرور، المرجع السابق، ج2، ص628.

3- عصام الدين الزفتاوي، المرجع السابق، ص155-156.

4- المرجع نفسه، ص160.

5- الإكفاني، إرشاد القاصد، ص126.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات-

الباطني وهو إدراك الكليات<sup>1</sup>، نظرا لأنه عبارة عن "قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات"<sup>2</sup>، أو هو علم يتعرف منه كيفية اكتساب المجهولات التصورية أو التصديقية من معلوماتها<sup>3</sup>، لذا فالمناطقة هم كل من ساهم في حقل المنطق، أيًا كانت صورة هذه المساهمة، سواء كانت في صورة مؤلفات أو مترجمات أو شروح أو حواشي تدور حول مسائل منطقية<sup>4</sup>، كما يعتبرون من العلماء الذين جمعوا خلاصات الفكر الإسلامي الذي يؤسس لنسق العلاقات البنائية والوظيفية بين العلوم النقلية والعقلية في التأصيل الإسلامي المنبثق من النظرة الشامل للكون والإنسان والحياة، وخصوصا أنهم اعتمدوا اعتمادا كبيرا على الصلة التي بين الفلسفة وموضوعاتها-زيادة على المنطق-كالطبيعيات وعلم الأخلاق<sup>5</sup>، مما جعلهم يمثلون همزة الوصل الجامعة بين علم الكلام في الإسلام وبين الفلسفة، التي تركز على العقل واعتماد المنطق والحجة والبرهان سبيلا من أجل البحث عن الحقيقة<sup>6</sup>. خصوصا أنَّ علم المنطق يعد عند بعض الحكماء بمثابة الرئيس للعلوم العقلية، وهو فرض عين لدى العلماء<sup>7</sup>، وهكذا يرى أبو حامد الغزالي في المنطقيات بأنها لا يتعلق شيء منها بالدين بالدين نفيًا وإثباتًا، بل هو نظر في طرق الأدلة والمقاييس، وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبه. وأنَّ العلم إما تصور: وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق: وسبيل معرفته البرهان، وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات، وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشعبات<sup>8</sup>.

- 1- عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية حسن هاني فحص، الجزء الثالث، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ/2000م، ص232-233.
- 2- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص
- 3- طاش كبرى زاده أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، المجلد 01، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م، ص272.
- 4- نيقولا ريشر، تاريخ علم المنطق عند العرب (مراحل، مدارسه وسجل شامل لفلسفة المنطق ومؤلفاتهم)، ترجمة ودراسة وتعليق الدكتور محمد مهران، تصدير الدكتور زكي نجيب محمود، باريس، منشورات أسمار، 2005م، ص15.
- 5- زيني بن طلال بن حامد الحازمي، النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق الإسلامي من منتصف القرن (2هـ/8م) إلى نهاية القرن (13هـ/13م)، بحث مقدم العالمية العالية (الدكتوراه) في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ/2006م، ص332.
- 6- عيساني أحمد، أصول النقد والتجديد في الخطاب الفلسفي العربي الإسلامي الوسيط (من خلال رسائل الكندي)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2010م/2011م، ص109.
- 7- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، مج1، ص265.
- 8- المنقذ من الضلال....



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

**ك-الأطباء:** إنَّ الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحفظ الصحة حاصله، ويستردّها زائلة<sup>1</sup>، أو هو علم يعرف به حفظ الصحة وبرء المرض<sup>2</sup>، وبذلك يندرج الأطباء في العلماء العلماء المسلمين، فقد دأب العلماء على تعلم علم الطب أثناء تحصيلهم العلمي، نظر لتعلقه بجسم الإنسان الذي هو أمانة من الله تعالى ينبغي المحافظة عليها، ويدخل ذلك في مقصد حفظ النفس، ولا يبلغ أحدهم مرتبة الطبيب إلا بـ: "...وليتعرف أولاً حقيقة المرض بأسبابه وعلاماته، ويستقص أعراض المريض قبل مداواته، ثم ينظر إلى السن والفصل والبلد، ثم إذا عرف حقيقة المرض، وقدر ما يحتمله المزاج من الدواء لما عرض، يشرع في تخفيف الحاصل، وقطع الواصل، مع حفظ القوى. ولا يهاجم الداء، ولا يستغرب الدواء، ولا يقدم على الأبدان إلا بما يلائمها، ولا يبعد الشبه، ولا يخرج عن جادة الأطباء ولو ظن الإصابة حتى يقوى لديه الظن ويتبصر فيه برأي أمثاله. وليتجنب الدواء، ما أمكنه المعالجة بالغذاء، والمركب، ما أمكنه المعالجة بالمفرد؛ وإياه والقياس إلا ما صحَّ بتجريب غيره في مثل مزاج من أخذ في علاجه، وما عرض له، وسنّه، وفصله، وبلده، ودرجة الدواء. وليحذر التجربة... ثم إذا اضطر إلى وصف دواء صالح للعلّة نظر إلى ما فيه من المنافاة وإن قلّت، وتحيل لإصلاحه بوصف يصلح معه، مع الاحتراز في وصف المقادير والكميات والكيفيات، في الاستعمال والأوقات، وما يتقدم ذلك الدواء أو يتأخر عنه. ولا يأمر باستعمال دواء، ولا ما يستغرب من غذاء، حتى يحقق حقيقته، ويعرف جديده من عتيقه: ليعرف مقدار قوته في الفعل؛ وليعلم أنَّ الإنسان هو بنية الله وملعون من هدمها..."<sup>3</sup>، ومن هنا اهتم الأطباء في الدولة الإسلامية بهذا العلم غاية الاهتمام وخدموه، وأعطوه من جهدهم ووقتهم الكثير، وصنفوا فيه العشرات من الكتب القيمة التي تناولت أهميته وشرفه بين العلوم، وتناولت أيضاً علومه وفنونه المختلفة، والتي أعطتنا صورة واضحة عن فكرهم وتوجههم في تقييم هذا العلم وأهميته<sup>4</sup>.

تلك أغلب أصناف ومراتب العلماء الذي يدور عليها مصطلح العلماء، فقد حاولنا تناوله في هذه الدراسة على ضوء المدلول الذي أضحي يعنيه خلال العصر السلجوقي، فخلصنا إلى أنَّ المقصود بالعلماء في هذا العصر هم

1- أبو علي الحسين بن علي بن سينا، القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي، الجزء الأول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1420هـ/1999م، ص13.

2- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، كتاب إتمام الدراية لقراء النقاية، ضبطه وكتب حواشيه الشيخ إبراهيم العجوز، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م، ص209.

3- العمري فضل الله، المصدر السابق، ص178.

4- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، علم الطب أهميته وشرفه ومعايره الأخلاقية والعلمية عند المسلمين، جامعة أم القرى، سلسلة مركز بحوث الدراسات الإسلامية، 1416هـ، ص33.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

علماء العلوم الشرعية الذين أفنوا حياتهم في تحصيل هذه العلوم، حتى بلغوا مرتبة الاجتهاد فيها، ثم بذلوا جهودا كبيرة في استقصائها وتمحيصها واستنباط الأحكام الفقهية منها، وتكييفها مع متغيرات الزمان والمكان<sup>1</sup>، وهذا الذي ظهر من خلال الأدوار التي أدوها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، مع حدوث استثناءات في بعض الحالات التي رأيناها في هذه الأطروحة، كما أننا في تناولنا للعلماء في العصر السلجوقي سوف نتدرج في هذا التناول بحسب كثافة هؤلاء العلماء في الأقاليم الثلاثة (العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر)، وتبعاً لمدى دورهم وتأثيرهم في الحياة العامة (سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعلمياً) وحضورهم في مجرياتها، فكان من الطبيعي أن يكون دور العلماء كبيراً في العراق ثم خراسان وأخيراً بلاد ما وراء النهر، فمعايير التناول لدورهم في هذه الأقاليم يرتبط بالآثر السياسي والديني لها، ووقوفها لأهميتها بالنسبة للدولة السلجوقية، وبحسب درجة الاحتكاك بينها وبين هذه الأقاليم.

---

1-عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص23.

## 2- جغرافية المشرق الإسلامى (العراق وخراسان بلاد ما وراء النهر):

### 2-1- إقليم العراق:

أ- بغداد.

ب- مدينة البصرة.

ج- مدينة الكوفة.

د- مدينة واسط.

هـ- مدينة الموصل.

و- مدينة واسط.

### 2-2- إقليم خراسان:

أ- نيسابور.

ب- مدينة مرو.

ج- هراة.

د- بلخ.

### 2-3- إقليم بلاد ما وراء النهر:

- التسمية.

أ- إقليم الصفد.

- ممرقند.

-الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

-بخاري.

ب- إقليم خوارزم.

ج- إقليم الصفاريان والختل

د- إقليم فرغانة.

ه- إقليم الشاش

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

يعد الإطار الجغرافي لكل إقليم ذا أهمية كبيرة، خصوصاً في معرفة أبرز المعالم الجغرافية والملامح الاجتماعية والاقتصادية التي يتميز بها، وإظهار أهمية الموقع الذي يحتله، والتجاذبات السياسية والإستراتيجية التي يحققها موقعه، وطبيعة الأدوار التي يلعبها ويؤديها مع بقية الأقاليم الأخرى المجاورة له، ذلك أنّ الأقاليم التي اختزناها في هذه الدراسة، استطاعت أن يكون لها ثقل كبير في صنع إستراتيجية دولة السلاجقة من أجل التمدد الشامل لضم بقية المناطق والأمصار والبلدان التابعة لدار الإسلام، فالعراق كان حاضرة الخلافة العباسية ومركز الدولة ومحل الحل والعقد، وكذلك خراسان احتلت المنزلة الثانية بعده، وأضحت محط الأنظار ومستقر ملك بني العباس ومادة الدولة والجيش، أما بلاد ما وراء النهر فكانت محور المشرق وهمزة الوصل بين أقصى الشرق ومركز الخلافة العباسية في العراق. لهذا اتبعت الدولة العباسية سياسة جديدة تتمحور أساساً في السعي إلى مسح جميع أراضي الأقاليم التابعة لها، وبذلك أضحت هذه السياسة النموذج الفعلي المتبع من قبل عدد من الدول التي قامت بعيدة عن سلطة العباسيين، كدولة الأمويين في الأندلس والدولة الفاطمية في مصر والمغرب والشام واليمن والبحرين والحجاز، وأخيراً دولة الموحدين في المغرب الإسلامي، فلا غرو أن التصور السياسي من قبل العباسيين لدار الإسلام ينبىء عن مجهوداتهم لبناء أمة متعددة الأجناس في إطار الإسلام، خاضعة بعد توجهمهم الشرقي أي العالمين الإيراني (الفارسي) والتركي الأفغاني والعمل على إدماجهما في الفلك الثقافي الإسلامي<sup>1</sup>.

لقد تشكل التأليف الجغرافي العربي في نواته الأولى من وصف للبلدان وتعيين لموقعها وحدودها في الطول والعرض، وذكر لسكانها وطبائعهم وعوائدهم في المعاش، إلى جانب معطيات إحصائية عن ميادين مختلفة، مثل تحديد المسافات بين مختلف أرجاء دار الإسلام، لذا وجدت في الدواوين السلطانية رسومات تخطيطية للطرق والمسالك، شكلت المواد الخام التي نسجتها أقدم التصانيف الجغرافية العربية الإسلامية. ويعود الجدل بشأن قيمة هذه المصنفات لدى المسلمين إلى زمن رواد هذا العلم، نظراً للاتجاهات التي صنفتم من أجلها، فالإتجاه الأول يقترب من العلوم الدقيقة، خاصة بعد تعرف العرب على التراث اليوناني والفارسي والهندي في الجغرافيا والفلك ونقله إلى العربية، بينما الإتجاه الثاني تمثل في الجغرافيا الوصفية، التي قصد بها أصحابها في المقام الأول إرضاء مطالب الدولة الإسلامية، عندما اشتدت الحاجة إلى معرفة حدود البلدان وخصائصها الطبيعية والاجتماعية، وكذلك الطرق اللازمة للقيام بالتجارة، وتسيير الجيوش والمسافرين وأصحاب البريد، والواقع أنّ الجغرافيين المسلمين سعوا لفهم طبيعة الأرض بأسرها، من قبيل تحديد شكلها، ومعرفة حدودها القصوى واتجاهاتها المختلفة، وقد قادتهم روح البحث

1- علاوة عمارة، دراسات تاريخية وفكرية، ط1، الجزائر، موفم للنشر، 2008م، ص168.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

والتقصي والتأمل العلمي، والاستبصار الميداني إلى أن يكونوا روادا في اكتشاف بعض الحقائق العلمية التي لم تتضح للعالم الأوروبي حتى أواخر العصر الوسيط<sup>1</sup>.

كما لم يقتصر اهتمام كتب المسالك والممالك والبلدان والرحلات على وصف البلدان والأماكن وتحديد البقاع، والمسافات بين البلدان، بل تجاوز الأمر إلى دراسة أخبار المكان والعادات والتقاليد، بالإضافة إلى الكيانات السياسية وعجائب وغرائب هذه البلدان، وكل ما له علاقة بتاريخ المكان<sup>2</sup>، وباختصار كل ما أورده حول تحديد جغرافية كل إقليم من الأقاليم الثلاثة-موضوع الدراسة- فإننا سنتناول كل واحد باستقصاء النقاط التالية، على ضوء المادة المتحصل عليها:

- 1- وصف المدن والأقاليم، من حيث تاريخها وبنائها وسكانها وأهم آثارها.
- 2- الحديث عن طرق المواصلات، واتجاهاتها، والمدن التي تقع عليها، والمسافات بين المدن.
- 3- الاهتمام بوصف المظاهر الطبيعية مثل مجاري المياه والأنهار والبحار والبحيرات.
- 4- الاهتمام بذكر الزراعات والصناعات والمعادن والحالة الاقتصادية.
- 5- ذكر الأخبار المتعلقة بالبلدان والأماكن، مع إيراد تفصيلات عن سكان البلاد وأديانهم ومذاهبهم وعاداتهم وتقاليدهم<sup>3</sup>.

وسنراعي في ذلك تميز كل إقليم عن الآخر بأربعة وجوه:

- الأول: اختلاف الماء والهواء والتراب والحرارة والبرودة.
  - الثاني: الاختلاف في الأديان والشرائع والمذاهب.
  - الثالث: الاختلاف في اللغات والألسن.
  - الرابع: اختلاف الملوك.
- وأيضاً نشير إلى أنه هناك ثلاثة أمور تفصل حد كل إقليم عن الآخر:
- الأول: بجبل صغير أو كبير يكون بينهما.
  - الثاني: بنهر صغير أو كبير يقطع ما بينهما.

---

1-الجمعاطي عبد السلام، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف (316هـ-483هـ)، ط1، بيروت، دار ابن حزم، الرباط، منشورات دار الأمان، 1431هـ/2010م، ص22.

2-يوسف بن عبد العزيز بن محمد الحميدي، ياقوت الحموي مؤرخاً من خلال كتاب معجم البلدان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، 1418هـ-1998م، ص10.

3-المرجع نفسه، ص20.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات-

-الثالث: مفازة صغيرة أو كبيرة تكون بينهما<sup>1</sup>.

وعلى ضوء ذلك تعد كلمة الإقليم عربية الأصل، وجمعها أقاليم، وسمي إقليمًا لأنه مقلوم من الأرض التي تتأخه، أي مقطوع، وقال محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني: الإقليم على ما ذكر أبو الفضل الهروي في المدخل الصاحي هو الميل، فكأنهم يريدون المساكن المائلة على معدل النهار، ويعني كذلك- أي الإقليم- الرستاق، ويقابله المخلاف، وأيضا الكورة والطحسج<sup>2</sup>. وقد اختلف في هيئة الإقليم وصفاتها على أربعة اصطلاحات:

1- اصطلاح العامة وجمهور الأمة: وهو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى إقليمًا كخراسان والعراق مثلاً.

2- الاصطلاح الثاني خاص بأهل الأندلس، حيث يسمون كل قرية كبيرة جامعة إقليمًا.

3- الاصطلاح الثالث متعلق بالفرس، فقد أطلقوا على الإقليم "كشور" و"كشخر"، اشتقاقها من كشسته وهو اسم الخط في لغتهم.

4- الاصطلاح الرابع: وعليه اعتماد أهل الرياضة والحكمة والتنجيم، وهو عندهم يمتد طولاً من المشرق إلى المغرب<sup>3</sup>. وقبل الولوج إلى تبيان أقاليم المشرق الإسلامي (العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر) التي تدور حولها دراستنا، يمكن القول أنَّ طبوغرافية هذه الأقاليم هي تبع لأهميتها الجغرافية والسياسية، حيث تباينت وتعددت بما يحيط بها من عوامل طبيعية وجغرافية، وهو مراعاة المخططين الأوائل عند شروعهم في تمصير مدنهم الأولى في العراقين والشام ومصر، وغيرها من البلدان الإسلامية<sup>4</sup>.

2-1- إقليم العراق: أدرج ياقوت الحموي إقليم العراق ضمن الإقليم الثالث الذي "أوله حيث يكون الظل نصف النهار إذا استوى الليل والنهار ثلاثة أقدام ونصفاً وعشراً سُدس عشر قدم، وآخره حيث يكون ظل الاستواء فيه نصف النهار أربعة أقدام ونصفاً وثلاث عشر قدم، فيبلغ النهار في وسطه أربع عشرة ساعة، وهو

---

1- مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة وتحقيق يوسف الهادي، طبعة مزبدة ومنقحة، الدار الثقافية للنشر، 1423هـ/2002م، ص72.

2- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الأول، ط1، بيروت، دار صادر، 1397هـ-1977م، ص25.

3- المصدر نفسه، مج1، ص27.

4- جيهان بنت سعيد الراجحي، النظافة وصحة البيئة في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي (132هـ-656هـ/749م-1258م) دراسة حضارية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، 1433هـ-2012م، ص31.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

يبتدئ من المشرق"<sup>1</sup>، كما حصر المدن وهي: البصرة و واسط والكوفة وبغداد والأنبار وهيت، والجزيرة، باستثناء الموصل التي عدّها ضمن الإقليم الرابع<sup>2</sup>.

أما صاحب كتاب "حدود العالم من المشرق إلى المغرب" فيعتبر العراق بلادا قريبة من وسط العالم وأكثر نواحي الإسلام عمارة، لها حدود مع خوزستان وبلاد الجبال في الشرق، ومن الجنوب بعض خليج العراق وبعض بادية البصرة، وغربا باديي البصرة والكوفة، وفي الشمال شيء من حدود الجزيرة وأذربيجان<sup>3</sup>. بينما يرى ابن حوقل رأيا آخر، حدد من خلاله امتداد إقليم العراق وأهم أمصاره وحواضره وحدوده، يقول: "...وأما العراق فإنه في الطول من حد تكريت إلى عبّادان، وعبّادان مدينة على نحر بحر فارس، وعرضه من القادسية على الكوفة وبغداد وحلوان، وعرضه بنواحي واسط من سواد واسط إلى قرب الطيب، وبنواحي البصرة من البصرة إلى حدود جبّى. والذي يطيف بحدوده من تكريت فيما يلي المشرق حتى يجوز بحدود سهرورد وشهرزور ثم يمر على حلوان وحدود السيروان والصيمرة وحدود الطيب والسوس حتى ينتهي إلى حدود جبّى، ثم إلى البحر فيكون في هذا الحد من تكريت إلى البحر تقويس، ويرجع على حد المغرب من وراء البصرة في البادية على سواد البصرة وبطائعها إلى واسط، ثم على سواد الكوفة وبطائعها إلى الكوفة ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى حد تكريت من الدجلة والفرات، وفي هذا الحد من البحر على الأنبار إلى تكريت تقويس أيضا..."<sup>4</sup>.

والواقع أنّ أساليب دراسة الأقاليم الجغرافية اختلفت وتباينت ما بين كاتب وآخر، بحيث يلاحظ أنّ أهم اتجاهاتها هي الزيجات وقوائم تحديد أطوال المدن، وعروضها باستخدام خطوط الطول والعرض<sup>5</sup>، مما يفسر التضارب بين الجغرافيين في تحديد واحد ومتفق عليه بين الجميع، وفي مقدمتهم الخوارزمي في كتابه صورة الأرض الذي حدد فيه درجات الطول والعرض لخمس مئة وسبع وثلاثين مدينة، وزعها على الأقاليم السبعة، أما ابن الفقيه الهمداني فقد ذكر أهم الظاهرات الجغرافية في كتابه "البلدان" والتقسيم السباعي للأقاليم، وأهم ما يميز الإقليم ومنها المدن، حيث نجد أطوالها وعروضه، كما نحا القزويني نحوه في تحديد مواقع المدن بهذه الطريقة، وتحدث عن المدن في كل إقليم من الأقاليم السبعة آنذاك، كما في حديثه عن الإقليمين الثالث والرابع، حيث تولى الحديث عن هذه

1- الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 30.

2- المصدر نفسه، مج 1، ص 31.

3- المصدر السابق، ص 159.

4- النصيبي أبو القاسم بن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، 1992م، ص 208.

5- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 24.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الأقاليم بتفصيل وتحليل تاريخي، وجغرافي، وسياسي إلى غير ذلك. في حين قسم المقدسي العالم إلى أربعة عشر إقليماً، ستة منها عربية، وثمانية للعجم، وعلل المقدسي اقتصاره في كتابه "أحسن التقاسيم" على ذكر الأقاليم الإسلامية، وعدم دراسته لبقية أجزاء العالم بقوله: "لم ندخلها، ولم نر فائدة من ذكرها، بل قد ذكرنا مواضع المسلمين منها..."<sup>1</sup>، وذكر المقدسي أنَّ أقاليم العرب الإسلامية هي: جزيرة العرب، العراق، الشام، مصر، المغرب، البادية، والأقاليم الأعجمية هي: المشرق، الديلم، الرحاب، الجبال، خوزستان، قارب كرمان، السند<sup>2</sup>. كما أفرد أبو الفداء في كتابه "تقويم البلدان" تقسيماً لأقاليم الأرض إلى جداول شملت بلدان المشرق الإسلامي، كما أدخل في هذه الجداول معلومات عن جغرافيته من المشرق، بذكر الاسم وضبطه وتحديد الإقليم الحقيقي من الأقاليم السبعة، والإقليم العربي الواقعة فيه المدينة سياسياً وإدارياً، ثم ذكر خطوط الطول والعرض، وأخيراً الأوصاف العامة للمدينة التي تتضمن المعلومات التاريخية والجغرافية، وقد أحصى في مصر ثمان وثلاثين مدينة<sup>3</sup>.

إنَّ إقليم العراق يعد أحد أهم أقاليم العالم الإسلامي في عصر الدراسة، بحكم احتلاله لموقع إستراتيجي هام، جعل من العباسيين يتخذونه مركزاً لحكمهم، لذا أشاد الجغرافيون المسلمون به وأطنبوا في ذكر حواضره وسكانه ومحاسنه، ولعل من نافلة القول أن نورد بعض ما وصفه وقاله هؤلاء حول إقليم العراق:

يقول ابن حوقل: "...هذا الإقليم أعظم أقاليم الأرض منزلة وأجلها صفة وأغزرها جباية وأكثرها دخلاً، وأجملها أهلاً وأكثرها أموالاً وأحسنها محاسن وأفخرها صنائع، وأهله فأوفرهم عقولاً وأوسعهم حلوماً وأفسحهم فطنة في سالف الزمان والأمم الخالية، وبثله تجري أمور أمة الآخرة يقر لهم بذلك أهل الطاعة والفضائل، ولا يمتري فيه أهل الدراية والخصائل..."<sup>4</sup>. ويرى صاحب كتاب "حدود العالم في المشرق والمغرب" أنَّ العراق "...بلاد قريبة من وسط العالم، وأكثر نواحي بلاد الإسلام عمارة، وبها مياه جارية وسواد نزه، محط رحال التجار، ذات تجارات كثيرة، غاصة بالسكان وذات علماء كثيرين، ومستقر الملوك الكبار. وهي من الجرود، ترتفع منها التمر التي تحمل إلى الآفاق والثياب المختلفة، وربما ارتفعت منها أغلب الأدوات التي يستخدمها الملوك..."<sup>5</sup>، ووصفه المقدسي بأنه إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيب الهواء، مختار

1- المقدسي محمد بن أحمد، رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها وأقدم لها شاكراً لعيبي، ط1، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003، ص9.

2- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص25.

3- المرجع نفسه، ص26.

4- المصدر السابق، ص210.

5- المصدر السابق، ص159.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الخلفاء<sup>1</sup>، وأثنى الهمذاني على أهل العراق بقوله: "أهل العراق هم أهل عقول صحيحة، وشهوات محمودة، وشمائل موزونة، وبراعة في كل صناعة، مع اعتدال الأعضاء، واستواء الأخلاط وسمرة الألوان، وهي أعدلها وأقصدها..."<sup>2</sup>.

اختلف الجغرافيون في تحديد أصل تسمية العراق، نظرا لأنه إقليم سهلي عظيم أطلق عليه اليونان اسم "ميزوباتامية" أي بين النهرين، دجلة والفرات<sup>3</sup>، و"سمي العراق عراقا لأنه سفل على نجد، ودنا من البحر، كعراق القرية وهو الخرز المشي الذي في أسفلها وهو الذي يضعه السقاء في صدره..."<sup>4</sup>، بالإضافة إلى ذلك فقد أورد ياقوت الحموي بعض الآراء المتضاربة حول تسمية هذه البلاد بالعراق، يقول: "...إنما سمي العراق عراقا لأنه دنا من البحر وفيه سباح وشجر، يقال: استعرق إب لهم إذا أتت ذلك الموضع، وقال الخليل: العراق شاطئ البحر، وسمي العراق عراقا لأنه على شاطئ دجلة والفرات مدا حتى يتصل بالبحر على طوله.... قال أبو عمرو سميت العراق عراق لقربها من البحر، قال: وأهل الحجاز يسمون ما كان قريبا من البحر عراقا... وقال حمزة في الموازنة: وواسطة مملكة الفرس العراق، والعراق تعريب إيراف بالفاء، ومعناه مغيض الماء وحدود المياه..."<sup>5</sup>، وعلى ضوء ذلك قسم الجغرافيون المسلمون إقليم العراق إلى منطقتين: المنطقة الجنوبية ويسمونه (العراق) والمنطقة الشمالية ويسمونها "الجزيرة"، كما هناك اتصال بين مصطلح العراق والسود، هذا الأخير الذي يعني مجموعة الأراضي الغربية التي يكون عامة أراضي منطقة العراق، لذا أشار كل من ابن خرداذبة (272هـ/885م) و الإصطخري (318هـ-321هـ/930م-933م)، وابن رسته (حوالي 300هـ/912م) والمسعودي (332هـ/943م)، وابن حوقل (367هـ/977م) بأنَّ السواد يمتد من العلت وحري شمالا إلى الخليج العربي جنوبا ومن حلوان شرقا إلى العذيب بجوار القادسية غربا<sup>6</sup>.

لقد شهدت جغرافية إقليم العراق تنوعا في التضاريس من شماله إلى جنوبه، ولعل أهمها السهل المنبسط ما بين النهرين وفيه مجراهما، حيث تغطي المنطقة الشمالية مجموعة من المراعي، وهو سهل حجري في الأصل، أما جنوبا

1- المصدر السابق، ص122.

2- الهمذاني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، ط1، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1416هـ/1996م، ص199.

3- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص37.

4- الهمذاني، المصدر السابق، ص199.

5- المصدر السابق، ج4، ص95.

6- الدوري عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط3، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م، ص20.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

فأرضه رسوبية خصبة يكثر فيها النخيل، وتسقيها أنهار الري، وتعد هذه البلاد من جنان الدنيا الأربع، لوفرة خصبها<sup>1</sup>.

تعد منطقة العراق الأدنى أكثر مناطق إقليم العراق سكاناً، وبها كبريات الحواضر، خاصة بعد أن اتخذها العباسيون مركزاً لخلافتهم، مما جعلها تشهد نهضة عمرانية كبيرة، وأضحى مدنها تعرف توسعاً ونمو مطرداً وكثافة سكانية عالية، ومن أبرز هذه الحواضر الكبرى بغداد والبصرة والكوفة والموصل، وسامراء، وكذلك واسط<sup>2</sup>. وعليه سنحاول استقصاء أهم مدن العراق في العصر السلجوقي التي شهدت بروز عدد هام من العلماء كما يلي:

**(أ- بغداد):** هي حاضرة الخلافة العباسية، وتسمى مدينة السلام<sup>3</sup>، يقول عنها صاحب كتاب "حدود العالم في الشرق والغرب": "...مدينة عظيمة، وقصبة العراق ومستقر الخلفاء، وأكثر البلدان عمارة في العالم، ومحط رحال العلماء؛ ذات تجارات كثيرة، بناها المنصور في العصر الإسلامي، يمر نهر دجلة من وسطها..."<sup>4</sup>.

لقد تم بناء بغداد سنة 145هـ/762م في مكان قرية تعرف باسم بغداد على ضفة نهر دجلة، وهي تقع على خط طول 75 درجة، وعلى خط عرض 34 درجة مما يجعلها داخلية في الإقليم الثالث<sup>5</sup>، ناهيك عن ذلك فقد اختار الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (136هـ-158هـ) موقعها، بعد استقصاء دقيق وفق اعتبارات اقتصادية ومناخية وعسكرية، بحيث أسست على سهل خصب صالح للزراعة على ضفتي النهر وهذا الموضع لبغداد في وسط بلاد الجزيرة يجعلها تنعم بجو صحي معتدل، وتشتد أمطارها شتاءً حتى يسقط عليها الثلج، كما يتميز مناخها بشدة البرودة في الشتاء وشدة الحر في الصيف<sup>6</sup>، بالإضافة إلى وقوعها في وسط العراق<sup>7</sup> وأنت متوسط للبصرة والكوفة والكوفة والموصل والسواد كله وأنت قريب من البر والبحر والجبل<sup>8</sup>، مما جعلها تشرف على الطرق التجارية التي تكفل لها التموين وسهولة الاتصال بينها وبين أنحاء الخلافة ورواج التجارة، يقول المقدسي: "تجيك الميرة في السفن الفراتية والقوافل من مصر والشام في البادية وتجيك الآلات من الصين في البحر ومن الروم

1- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 37.

2- المرجع نفسه، ص 38.

3- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 217.

4- المصدر السابق، ص 159.

5- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 39.

6- المرجع نفسه، ص 40.

7- الدوري عبد العزيز، العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي)، ط 2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009م، ص 103.

8- المقدسي، المصدر السابق، ص 120.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

والموصل في دجلة...<sup>1</sup>، ويضيف اليعقوبي وصفا لبغداد وصفه بها الخليفة العباسي المنصور بقوله: "أنها مشرعة للعالم، كل ما يأتي في دجلة من واسط والبصرة والأبلة والأهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فإليها ترقى و بها ترسي، وكذلك ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وأذربيجان وأرمينية مما يحمل في السفن في دجلة، وما يأتي من ديار مضر والرقعة والشام والثغر ومصر والمغرب مما يحمل في السفن في الفرات فيها يحط وينال، ومدرجة أهل الجبل وكور خراسان..."<sup>2</sup>، كما اهتم المنصور بحصانة موقعها<sup>3</sup>، بحيث أشاروا عليه بما يحتويه من تحصينات "وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة، فإذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل إليك عدوك..<sup>4</sup>، لذا عني بإقامة التحصينات اللازمة لها، فبنى سورين يحيطان يحيطان بها وحفر خندقا يدور حولهما، وخصص لها أربعة أبواب في كل واحد منها برج للحراسة، وجعلها لها أبوابا حديدية محكمة الصنع، ثم أضاف سورا داخليا ثالثا يحيط بالقصر والدواوين، حتى يتفادى شغب العامة.

وتختلف الروايات في اشتقاق اسم بغداد، وإن كانت تتفق في أنه فارسي، ويرجح "السترنج" أنه يتشكل من كلمتين "بغ"، أي "الله"، و"داد" أي "تأسست" أو "تأسيس"، فيكون معنى بغداد "أسسها الله"<sup>5</sup>. أما تخطيط المدينة بشكل دائري، فهو اتجاه جديد في فن بناء المدن الإسلامية، كما لا حظ مؤرخو العرب<sup>6</sup>. ويرى الخطيب البغدادي أن مزية الاستدارة هي كون المركز على مسافات متساوية من أجزاء الدائرة<sup>7</sup>، والظاهر أن الخليفة المنصور قد تأثر بهندسة العواصم الآسيوية القديمة كمدينة أكتان-محل همدان الحالية-عاصمة الميديين، فإنها كانت محاطة بسبعة أسوار لا ترتفع عن بعضها إلا بمقدار المشارف، وكان محل قصر الملك وبيت ماله في وسط السور الداخلي، بينما تقع بيوت الرعية بين الأسوار<sup>8</sup>، "ويظهر الأثر الفارسي في تخطيط المدينة، إذ فصل الخليفة عن الرعية وجعل له مقاما ساميا يصعب الوصول إليه، كما إن ضخامة القصر والإيوان تظهر روعة الملك. ثم إن فكرة الاستدارة، وحصر بيوت السكان في أحياء منفصلة، يمكن غلقها ليلا وحراستها بصورة دقيقة، يشير إلى

1-المصدر السابق، ص120.

2-اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، ليدن، مطبعة برية، 1892م، ص06.

3-الدوري عبد العزيز، العصر العباسي...، المرجع السابق، ص103.

4-الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج9، ص240. نقلا عن المرجع نفسه، ص103.

5-الدور عبد العزيز، المرجع نفسه، ص104.

6-المرجع نفسه، ص105.

7-الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطنيها من العلماء من غير أهلها ووآرديها، تحقيق وضبط وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، المجلد الأول، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1422هـ/2001م، ص382.

8-الدوري عبد العزيز، العصر العباسي...، المرجع السابق، ص105.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

السلطة المطلقة المقتبسة من الفرس، والتي تتعارض مع أرستقراطية العرب الأمويين ومع الديمقراطية الإسلامية على السواء...<sup>1</sup>. لقد استغرق بناء المدينة المدورة ما بين 145هـ و 149هـ/762م و 766م، وهي تعتبر رابع مدينة بناها المسلمون في العراق، حيث سبقها بناء الكوفة والبصرة و واسط، وجاء بناؤها كضرورة ملحة لاستقرار الدولة العباسية وتنظيم نظمها ومؤسساتها السياسية والإدارية والعسكرية، لذا كان تمصيرها ينبئ عن توجه جديد سيشهده العالم الإسلامي، هذا التوجه يظهر حجم التغيرات التي عرفها الواقع الإسلامي، وأضحت بغداد عاصمة المسلمين لمدة تفوق الخمسة قرون، حيث سقطت في أيدي المغول سنة 656هـ/1258م، وشهدت تطورات كثيرة سنسلط الضوء عليها عند حديثنا عن العصر السلجوقي.

**ب- مدينة البصرة:** تقع البصرة في الإقليم الثالث<sup>2</sup>، وهي مدينة عظيمة اختطها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أمر عتبة بن غزوان بتمصيرها<sup>3</sup>، وتعد من أهم حواضر الإسلام، نظراً لأنها تعتبر من أولى المدن الإسلامية تأسيساً وأقدمها على الإطلاق حيث بنيت سنة 14هـ/635م<sup>4</sup>، لاعتبارات عسكرية وأمنية في نفس الوقت، فعمر بن الخطاب أراد ضمان الحماية التامة للبلاد من الهجمات الفارسية الارتدادية، فأوماً إلى عتبة بن غزوان لإقامتها بالقرب من ميناء الأبله الذي كانت ترسو به سفن فارس والهند<sup>5</sup>، يقول الطبري: "اجمع أصحابك في موضع واحد، ولكن قريباً من الماء والمرعى، واكتب إلي بصفته. فاختر موضع البصرة وكتب إلى الخليفة بصفته فاستحسنه واطمأن إلى موقعه..."<sup>6</sup>، وأضحى بها اثنتا عشرة محلة لكل محلة منهن عدة مدن مدن منفصلة عن بعضها<sup>7</sup>، وقسمت إلى خطط موزعة على القبائل، كما يحيط بغربها البادية وبشرقيها مياه الأنهار<sup>8</sup>. وعلى خلاف المدن العربية الأخرى فإن مدينة البصرة استمرت تلعب دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ولم تؤسس البصرة لاعتبارات تجارية واقتصادية، أو لكونها على طرق المواصلات والقوافل التجارية البرية، إنما كان تأسيسها نابعا من التطورات العسكرية، لتكون مركز إمداد عسكري أثناء الفتوحات

1- الدور عبد العزيز، العصر العباسي الأول...، المرجع السابق، ص 105.

2- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 1، ص 30.

3- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 212.

4- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 42.

5- طقوش محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين (الفتوحات والإنجازات السياسية)، ط 2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر

والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص 214.

6- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثالث، مصر، دار المعارف، 1960، ص 590.

7- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 160.

8- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 212.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الإسلامية، وسرعان ما اتسعت هذه المدينة هي والكوفة من عواصم العراق، واتخذت البصرة اسمها من الطبيعة الجغرافية لتربة المنطقة، فهي تعني الحجر الأبيض الرخو والحجارة الرخوة، فارتباط الكلمة بأرض البصرة وترتبطها هو أكثر واقعية لاشتهار تربة البصرة من نهر شط العرب، بأنها تربة حمراء طينية، بينما كانت الأرض حجرية جصية كلما ابتعدنا غربا باتجاه البادية وفي شمال البصرة وجنوبها<sup>1</sup>، كما أنها "...من بين سائر العراق مدينة عشيرة ولها نخيل متصلة من عبداسي إلى عبادان نيف وخمسين فرسخا متصلة، لا يكون الإنسان منها بمكان إلا وهو في نهر ونخيل أو يكون بحيث يراهما.... ومن مشاهير أنهارها نهر الأبله وطوله أربعة فراسخ ما بين البصرة والأبله، وعلى جانبي هذا النهر قصور وبساتين متصلة كأنها بستان واحد قد مرت على خيط، ورصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الأنيفة والأبنية الفاخرة والعروش العجيبة والأشجار المثمرة والفواكه اللذيذة..."<sup>2</sup>. وخلاصة الكلام أن البصرة عكست بموقعها الممتاز، وكذا نمط بنائها، توجهها جديدا لدى السلطة في العهد الراشدي، فقد سعى عمر بن الخطاب من خلال بنائها إلى إضفاء توجه جديد على سياسة المسلمين في البلدان المفتوحة، توجه جديد ينبئ على مقدرة العرب المسلمين واستطاعتهم التامة لبلورة نسق حضاري متكامل فيه خصوصيات البيئة العربية الخالصة في الجزيرة العربية وبيئة العراق المتنوعة، وهذا ما سنراه في العصر الأموي، عندما تحولت البصرة إلى مركز تجاري وعلمي وسياسي مهم، وتواصل الأمر على حاله في العصر العباسي الأول والثاني والثالث، وسنرى ماهي أبرز التغيرات والتطورات التي شهدتها خلال العصر السلجوقي؟.

**ج- مدينة الكوفة:** مدينة الكوفة قريبة الأوصاف من البصرة، وهواؤها أصح وماؤها أعذب، وهي على الفرات وبنائها كبناء البصرة<sup>3</sup>، مصَّرها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه<sup>4</sup>، يقول عنها الحميري: "المدينة الكبرى بالعراق والمصر الأعظم وقبة الإسلام، وهي أول مدينة اختطها المسلمون بالعراق"<sup>5</sup>.

يعد الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص بإجماع المؤرخين المؤسس الأول لمدينة الكوفة، فقد اختار موضعها، وأصدر الأمر بتخطيطها خاصة بعد الانتصارات التي حققها المسلمون على جيوش الفرس في جبهة المدائن، لذا اتفق بناؤها مع بناء البصرة، حيث كان للبعد العسكري أثر أساسي ومركزي في سعي سعد بن أبي

1- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص42.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، ص212.

3- المصدر نفسه، ص215.

4- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص161.

5- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط2، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م، ص501.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

وقاص إلى التفكير في اتخاذ موضع أو مخيم للمجاهدين، وذلك بعد أن طبق توجيهات الخليفة عمر بن الخطاب والمعايير التي حددها<sup>1</sup>.

سميت مدينة الكوفة بهذا الاسم لاستدارتها، أو لاجتماع الناس بها، أو لأنها قطعة من البلاد، مأخوذة من رملة يخالطها حصباء فسميت كوفة، أما طولها فهو تسع وستون درجة ونصف، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان وهي في الإقليم الثالث<sup>2</sup>. والكوفة جعلت خططاً لقبائل العرب إلا أنها خراج بخلاف البصرة، لوجود عدد من الضياع قبل تمصيرها، فهي قديمة أزلية وليس كالبصرة التي كانت أراضيها موات استصلحت من قبل المسلمين<sup>3</sup>. تضم الكوفة مدن حمام ابن عمر، الجامعين، سورا، النيل، القادسية، عين التمر<sup>4</sup>.

منذ تأسيس الكوفة سنة 17هـ، أوضحت من أهم مدن الخلافة الراشدة التي عول عليها الخلفاء الراشدون في بلورة السياسة العامة للدولة، وغدت بذلك تشهد في عهدي عثمان بن عفان (24هـ-35هـ) وعلي بن أبي طالب (35هـ-40هـ) تزايداً كبيراً في الكثافة السكانية، مما جعلها تؤدي أدواراً طلائعية في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية، شأنها في ذلك شأن مدينة البصرة بحيث "ارتفع شأن البصرة، والكوفة بعد تمصيرهما، وعظم أمرهما، وأصبح لهما شهرة عظيمة في قيادة الجيوش، وحمل لواء العلم، والأدب في العالم الإسلامي كله، بل وانتقلت إليهما القوة من الحجاز، فاتخذ علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- الكوفة مقراً لخلافته بعد أن انتقل مركز الثقل الإسلامي إلى الأمصار على وجه الإجمال"<sup>5</sup>، وهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى الخليفة عمر رضي الله عنه الذي وضع تخطيط الكوفة على قاعدة صحيحة محكمة، فقد وسع طرقها وجعلها على نظام جميل، وهي في شكلها العام تدل على عبقرية الفاروق في المجال العمراني، فقد كانت الكوفة تجمع بين سكن المدن، وهواء البادية، وتربتها، وذلك أدعى لصحة الأجسام، وجودة الهواء؛ لأنَّ سعة الطرق للبلاد بمثابة الرئة للجسم<sup>6</sup>.

ازدادت أهمية الكوفة ومكانتها في خلافة علي رضي الله عنه (35هـ/40هـ) الذي اتخذها عاصمة للدولة، وأوضحت قاعدة الخلافة، وكان هو المسؤول مباشرة عن أحوالها وما يتبعها من ولايات، وأصبح لها مكانة

---

1- الصلابي علي محمد محمد، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره، ط4، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص231.

2- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج4، ص490-491.

3- ابن حوقل، المصدر السابق، ص215.

4- المقدسي، المصدر السابق، ص123.

5- عبد الوهاب النجار، الخلفاء الراشدون، ص182، نقلاً عن الصلابي، المرجع السابق، ص232.

6- الصلابي، المرجع نفسه، ص232.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

خاصة بقية عصره، ومنها حكم وأدار وسير مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سببا في جذب السكان إليها، ولا شك أنَّ هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرائية في الكوفة طيلة خلافة علي رضي الله عنه<sup>1</sup>، وزادها شرفا وعلوا أنَّ عليا دفن بها، وابنه الحسن بويع بها خليفة للمسلمين وأبقاها عاصمة للخلافة، وقاد منها جيوشه لقتال معاوية وأهل الشام<sup>2</sup>. واستمرت في طليعة المدن الهامة في العصر الأموي، إذ كانت مقر ولاية العراق والمشرق كله، خاصة بعد تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي (41هـ-95هـ) واليا على هذه الولاية من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65هـ-86هـ)، كما اعتبرت قاعدة مكينة وحصينة في مواجهة حركة الخوارج الأزارقة<sup>3</sup>. ثم اتخذها العباسيون عاصمة لدولتهم قبل تأسيس بغداد، فقد بويع أبو العباس السفاح (132هـ-136هـ) أول الخلفاء العباسيين بها، وخطب في أهلها وأثنى عليهم<sup>4</sup>، وبقيت حاضرة الدولة العباسية في عهد المنصور (136هـ-158هـ) إلى غاية انتقال العاصمة إلى بغداد سنة 149هـ<sup>5</sup>.

إنَّ الأهمية والمكانة التي حازتها مدينة الكوفة، والأدوار التي أدتها كحاضرة سياسية وعسكرية واقتصادية وعلمية، تبرز لنا مدى الأبعاد الحضارية التي تمخضت عن بنائها، بحيث تعتبر مدينة إسلامية خالصة بناها المسلمون وفق معايير تناسبهم، وأضحت مصرا إسلاميا مؤثرا في صنع فعاليات التاريخ الإسلامي، وقد عكس ذلك الاهتمام المتزايد من قبل السلطة السياسية في العهد الراشدي والأموي والعصر العباسي الأول، وسنحاول أن نسلط الضوء أكثر ونسبر أغوار أدوارها ومكانتها عند استقصائنا لعلمائها في العصر السلجوقي.

**د- مدينة واملح:** مدينة كبيرة يقسمها دجلة إلى نصفين<sup>6</sup>، وسميت بهذا الاسم لتوسطها مدينتي البصرة والكوفة، حيث تبعد عنهما مسافة خمسين فرسخا<sup>7</sup>، وهي مدينة محدثة في الإسلام استحدثها الحجاج بن يوسف

---

1- الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه شخصيته وعصره، ط4، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص372.

2- الصلابي، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما شخصيته وعصره، ط4، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص155.

3- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41هـ-132هـ/661م-750م)، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/2008م، ص471.

4- الدوري عبد العزيز، العصر العباسي... المرجع السابق، ص64-65.

5- المرجع نفسه، ص103.

6- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص159.

7- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص347.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الثقفي<sup>1</sup>، واستغرق بناؤها سنتين واكتمل في سنة 86هـ<sup>2</sup>، ومن مدنها فم الصلح، درمكان، قراقبة، سيادة، باذيين، السكر، الطيب، قرقوب، قرية الرمل، نهر تيرى، لهبان، بسامية أودسة<sup>3</sup>.

أما طولها فهو إحدى وسبعون درجة وثلثان، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلث، وهي في الإقليم الثالث<sup>4</sup>، وهي تحتوي على أراضي خصبة بها الكثير من الأشجار والنخيل والزرع، بالإضافة إلى سعة أرضها ونواحيها الفسيحة وعمارتها المتصلة، كما أن هواءها أصح من هواء مدينة البصرة<sup>5</sup>. ولها جانبين وجامعين وجسر بينهما، خيرها كثير، عذبة الماء حسنة الأسواق واسعة السواد، وقد جعل في طريقي الجسر موضعان يدخل فيهما السفن<sup>6</sup>، "...وكان السفن<sup>6</sup>، "...وكان سبب بنائها، أن عبد الملك أرسل جنودا من أهل الشام إلى الحجاج بن يوسف، ليكونوا عوناً له على الحروب، فضاعت منهم أهل العراق، لأنهم كانوا ينزلون عليهم في الدور، ويتطاولون إلى نسائهم فشكوا ذلك إلى عبد الملك بن مروان، فأمر الحجاج أن يبنى لأهل الشام مدينة ينقلهم إليها..."<sup>7</sup>. لم يكن هذا السبب الوحيد الذي دفع بالحجاج إلى بناء واسط، وإنما فكر في تمصيرها لما فرغ من حروبه ضد مناوئي الحكم الأموي في العراق، وأقام في الكوفة ولكنه آنس من أهلها الملل والبغض له<sup>8</sup>.

تمتعت واسط بموقع ممتاز يتوسط الحاضرتين الكبيرتين البصرة والكوفة، فقد اختار الحجاج هذا الموقع حتى يسهل عليه إدارة إقليم العراق الذي كانت حدوده الإدارية تشمل الدولة الفارسية القديمة كلها، بالإضافة إلى أقاليم ما وراء النهر وإقليم السند، وكان الأمويون في أغلب الأحوال يجعلون العراق والمشرق كله تحت حكم وال واحد، أي يكون والي على العراق، هو الذي يعين والي خراسان، وهذا يعين الولاية من قبله على أقاليم ما وراء النهر، وأحيانا كان والي خراسان يتبع الخليفة مباشرة وهكذا<sup>9</sup>. لذا كان اتساع صلاحيات الحجاج في إدارة ولاية العراق بشكل شبه مستقل عن الإدارة المركزية في دمشق، جعله يفكر جدياً في تمصير مدينة واسط لكي يتفرغ لحكم ولايته من مكان واحد، وليس الانتقال كل مرة بين الكوفة والبصرة، فذلك يؤثر على متابعته المستمرة لأوضاع ولايته.

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 214.

2- بن الحسين إسحاق، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، اعتناء الدكتور فهمي سعد، ط 1، بيروت، عالم الكتب، 1408هـ/ 1988م، ص 41.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص 123.

4- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 5، ص 347.

5- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 214.

6- المقدسي، المصدر السابق، ص 125-126.

7- بن الحسين إسحاق، المصدر السابق، ص 42.

8- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 5، ص 348.

9- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 464-465.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

وعليه تعد مدينة واسط إحدى المدن الجديدة التي بناها الأمويون، وهي إضافة إلى سلسلة المدن التي بنيت في مختلف عصور الدولة الإسلامية، وأضحى من أهم حواضر العراق في العصر الأموي بعد أن أصبحت عاصمة ولاية العراق في عهد الحجاج والولاة الذين جاؤوا بعده. وشكلت واسط آخر معقل للمقاومة الأموية بقيادة الوالي الأموي يوسف بن عمر بن هبيرة، حيث حاصرت جيوش العباسيين المدينة بقيادة أبي جعفر المنصور، وقد استمر الحصار أحد عشر شهراً، إلى أن طلب ابن هبيرة الصلح، وكتب له الأمان كما اشترط بعد مفاوضات طويلة، ولكن العهد لم يحفظ وقتل ابن هبيرة<sup>1</sup>، واستولى العباسيون على واسط وألحقوها بدولتهم.

عرفت واسط تطورات عدة في العصر العباسي، التي أصبحت ولاية تابعة للخلافة العباسية، ويعود ذلك إلى التغيرات التي استحدثت في التقسيم الإداري للعراق بصورة عامة، والتقسيم الإداري في منطقة واسط بصورة خاصة<sup>2</sup>، "...وأول أعمال واسط من شرقي دجلة فم الصلح ومن الجانب الغربي زرقامية، وآخر أعمالها من ناحية الجنوب البطائح وعرضها الخيشمية المتصلة بأعمال باروسما وعرضها من ناحية الجانب الشرقي عند أعمال الطيب..."<sup>3</sup>. ويظهر مما جاء في المصادر أن ولاية واسط كانت مقسمة إلى خمسة مناطق إدارية يقال لها "أعمال"، وتضم كل منطقة منها مجموعة من المدن والقرى، وهذه الأعمال هي: أعمال الصلح، وأعمال واسط، وأعمال الصينية، وأعمال الغراف، وأعمال الشرطة<sup>4</sup>.

شهدت واسط تطورات سياسية كبيرة في العصرين العباسي الثاني والثالث، حيث كانت محط التجاذبات السياسية بين السلطات الحاكمة التي تعاقبت على حكم العراق، نظراً لأهميتها الاقتصادية وقربها من البطائح والمشرق، ووقوعها على طريق المشرق-بغداد، فقد ظلت هذه المدينة تشارك في الأحداث السياسية الهامة التي حدثت في العراق طيلة العصور العباسية المتأخرة<sup>5</sup>.

**هـ- مدينة الموصل:** تعد مدينة الموصل من مدن العراق التي رفدت الحضارة السابقة للإسلام<sup>6</sup>، يقول ياقوت الحموي: "الموصل: بالفتح، وكسر الصاد؛ المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظماً وكثرة خلق وسعة رقعة فهي محط رحال الركبان ومدنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب

1-الدوري عبد العزيز، العصر العباسي...، المرجع السابق، ص68-69.

2-المعاضدي عبد القادر سلمان، واسط في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية (324هـ -

656هـ/953م-1258م)، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1426هـ/2006م، ص123.

3-الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج6، ص348.

4-المعاضدي عبد القادر سلمان، المرجع السابق، ص129.

5-المرجع نفسه، ص24.

6-جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص45.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان..<sup>1</sup>، وقد سميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة<sup>2</sup>، أو بين الجزيرة والعراق، أو بين بلد سنجار والحديثة، وقيل بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل<sup>3</sup>. فلا غرو أنها استمدت اسمها من جغرافيتها وموقعها الجغرافي، فقد أطلقه العرب على موضع المدينة القديمة منذ عهود سابقة سبقت الفتح الإسلامي لها عام 16هـ/637م، فكلمة الموصل عربية الاشتقاق بمعنى الملتقى، وتسمى أم الربيعين لأن فصل الخريف فيها يشبه الربيع، وتسمى أيضا الفيحاء لجمال ربيعها وكثرة أزهارها، وسموها آخرون بالبيضاء، لأن دورها بيضت بالحص والرخام، وتسمى الموصل الحدباء لاحتماد دجلتها واعوجاجه في جريانه<sup>4</sup>، أما طولها فهو تسع وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وتقع في الإقليم الرابع، ومن بغداد إلى الموصل أربعة وسبعون فرسخا<sup>5</sup>. ومدينة الموصل "...بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء، كبير الاسم قديم الرسم، حسن الأسواق والفنادق، كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من إسناد عال وفقهه مذكور. منها ميرة بغداد وإليه قوافل الرحاب، وله منازة خصائص وثمار حسنة وحمامات سرية ودور بهية ولحوم جيدة وأمور جامعة، غير أن البساتين بعيدة وريح الجنوب مؤذية وماء النهر بعيد المستقى. والبلد شبه طيلسان مثل البصرة..."<sup>6</sup>، وأهل الموصل على طريقة حسنة ومروءة، لا تلقى منهم إلا ذا وجه طلق، ولهم بر بالغرباء وإقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم<sup>7</sup>، لذا لا يمكن لأي باحث أن يغفل أهمية الموقع الجغرافي الجغرافي وتأثيره على التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فقد منح هذا الموقع المدينة مزايا إستراتيجية أزلية أدركتها كل سلطة راغبة في التوسع الإقليمي، فإن من يسيطر على مسالكها العمودية (البرية والنهرية) والأفقية يتفوق على خصمه في أمرين: أولهما أنه يشل أطماع الخصم ونوابه والثاني أنه يتخذ من المنطقة قاعدة عسكرية لد نفوذه في الأقاليم المجاورة<sup>8</sup>.

1- المصدر السابق، مج 6، ص 223.

2- الحميري، المصدر السابق، ص 563.

3- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 6، ص 223.

4- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 46.

5- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج 6، ص 223.

6- المقدسي، المصدر السابق، ص 144.

7- الحميري، المصدر السابق، ص 564.

8- علي شاكور علي، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر دراسة سياسية-إدارية-اقتصادية، تصوير أحمد ياسين، ط 1، دار غيداء للنشر

والتوزيع، 1431هـ-2011م، ص 33.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

وبخاصة لأنَّ القاصد إلى الجهتين، نيسابور ودمشق، قل ما لا يمر بها<sup>1</sup>، وكانت تنقسم تضاريسها إلى المنطقة الجبلية والتلال، والمنطقة المتموجة، والهضاب، ويختلف مناخها ومزاجها باختلاف تضاريسها السطحية لمناعة موقع الموصل وخصب سهولها وقربها من دجلة<sup>2</sup>. وفي ضوء ما سبق يمكن القول، إن الموقع الجغرافي لمنطقة الموصل هو من أهم ما ينبغي ملاحظته لفهم الدور الكبير الذي نضت به القوى السياسية الحاكمة في المدينة التي تقع بين الجبل والسهل، أي بين مناطق الصخور والأخشاب وبين مناطق الإنتاج الزراعي، وهذا ما جعلها سوقا طبيعيا لتبادل المنتجات بين الإقليمين اللذين يتميز كل منهما عن الآخر بثرواته. كما جعلها بؤرة تلتقي فيها عناصر بشرية مختلفة تنصهر في بوتقة هذه المدينة العربية الأصيلة، ومن جانب آخر فإنَّ هذا الموقع الجغرافي جعلها المنفذ المهم للوصول إلى الأناضول وكذلك إلى حلب وموانئ البحر المتوسط، وهي في مثل أضرور في أهميتها الإستراتيجية من حيث موقعها الجغرافي. على أنَّ الموصل تنفرد بخاصيتها الجغرافية المتميزة، وذلك لأنها منطقة الاتصال بين جبال كردستان الوعرة والسهول والصحاري التي تبدأ من جنوب الموصل وتمتد حتى الخليج العربي<sup>3</sup>.

لعبت مدينة الموصل دورا هاما في التراث العربي الإسلامي على مستوى جميع مجالات الحياة العلمية والفنية والمعمارية المبتكرة، وانتقل تأثيرها الحضاري إلى المناطق الإسلامية الأخرى، وأدت وظائفها إبان العصر العباسي<sup>4</sup>، ولعل المزايا الجغرافية لمدينة الموصل هي التي جعلتها تتحكم في معظم أراضي الجزيرة الفراتية حتى اقترن اسم الموصل بالجزيرة الفراتية، على الرغم من أنها لا تحتل إلا الزاوية الجنوبية الشرقية منها. وظل هذا الاقتران ما يبرره سياسيا حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، حيث سقطت الدولة الأتابكية الأخيرة<sup>5</sup>. وللموصل نواح عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي إلى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع<sup>6</sup>.

ساهم موقع مدينة الموصل في بروزها كقاعدة سياسية وعسكرية واقتصادية، حيث سعت القوى السياسية للاستحواذ عليها والاستفادة من إمكانياتها الاجتماعية والاقتصادية، وأضحت تمثل مركز الثقل وحجر الزاوية في التطورات السياسية التي شهدتها الدولة الإسلامية، من ذلك إلحاق مدينة الموصل بإقليم الجزيرة الفراتية في التقسيم

1- الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج6، ص223.

2- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص46.

3- علي شاكر علي، المرجع السابق، ص34-35.

4- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص45.

5- علي شاكر علي، المرجع السابق، ص35-36.

6- ابن حوقل، المصدر السابق، ص196.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الإداري الذي سار عليه الخلفاء الأمويون<sup>1</sup>، كما كانت الموصل مسرحاً للمعركة الفاصلة بين الأمويين والعباسيين، وسميت معركة الزاب التي جرت يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من جمادى الآخرة من سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وانتهت بهزيمة الأمويين وسقوط دولتهم<sup>2</sup>، وقد استمرت المعركة أحد عشر يوماً، حيث انسحب مروان بن محمد بعد الهزيمة باتجاه الموصل، لكن المدينة أغلقت أبوابها في وجهه مما دفعه للانسحاب نحو حران مقره السابق<sup>3</sup>.

أما في العصر العباسي الأول فقد ازدادت أهميتها كعاصمة لولاية الجزيرة الفراتية، إذ تولى إدارتها والإشراف عليها في عهد أبي العباس السفاح (132هـ-136هـ) أخوه الأمير أبو جعفر المنصور، الذي كان ولياً لعهد<sup>4</sup>، وفي عهد خلافة هذا الأخير ولى عليها العباس بن محمد<sup>5</sup>، وكانت الموصل مقر الإمارة الحمدانية، التي يعد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله مؤسسها الحقيقي في محرم سنة 318هـ/شباط 930م، عندما ولاه الخليفة العباسي المقتدر على ما بيد أبيه من أعمال قردى وبازيدى، وعلى إقطاع والده وضياعه، ثم ولاه الموصل بعد وفاة واليها نحرير الصغير، فراح منذ أن تولى أعمال والده يسعى حثيثاً لتكوين إمارة خاصة به في الجزيرة الفراتية تكون الموصل حاضرتها متبعاً في ذلك سياسة ملتوية<sup>6</sup>، كما كانت الموصل محل صراع بين الحمدانيين والبويهيين، حيث شهدت حملات متكررة من قبل البويهيين للسيطرة عليها والقضاء على الإمارة الحمدانية<sup>7</sup>. وعليه ستواصل مدينة الموصل تأدية دور كبير في العصر السلجوقي، إذ ستكون محطة هامة لاستكمال المشروع الوحدوي السلجوقي.

**و-مدينة سامراء:** هي عاصمة الخلافة العباسية زمن المعتصم بالله العباسي (218هـ-227هـ)، وتسمى "سر من رأى" أو سامراء ممدود، وسامراء مقصور وسر من رأى مهموز الآخر، وسر من را مقصور الآخر، وسر من رأى ممدود الآخر، وسامراء مقصور، وسر من رأى وساء من رأى، وسراء، ويقال لها سر من رأى فخففها الناس وقالوا

1- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 465، الخضري بك محمد، تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، اعتنى به الدكتور درويش جويدي، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 1431هـ/2010م، ص 393.

2- محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، د.ت، ص 486.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الأموية (41هـ-132هـ/661م-750م)، ط 7، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ/2010م، ص 181.

4- الدوري عبد العزيز، العصر العباسي...، المرجع السابق، ص 73.

5- المرجع نفسه، ص 107.

6- طقوش محمد سهيل، تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين، ط 1، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م، ص 225.

7- المرجع نفسه، ص 242-245.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

سامراء<sup>1</sup>، بناها المعتصم ونزلها سنة إحدى وعشرين ومائتين<sup>2</sup>، ومن مدنها: الكرخ، عكبرا، الدور، الجامعين، بت راذانان، قصر الحص، حوى، أيوانا، بريقا، سندي، راقفروبة، دما، الأنبار، هيت، تكريت، السن<sup>3</sup>، وسامراء<sup>4</sup>... هي المدينة الثانية من مدن خلفاء بني العباس سكنها ثمانية منهم، وهم: المعتصم، وهو ابتدأها وأنشأها، والواثق هارون ابنه والمتوكل جعفر بن المعتصم والمنتصر محمد بن المتوكل والمستعين أحمد بن محمد بن المعتصم والمعتز أبو عبد الله بن المتوكل والمهتدي محمد بن الواثق والمعتد أحمد ابن المتوكل<sup>5</sup>... وهي تقع في الإقليم الرابع، طولها تسع وستون درجة وثلاثا درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وسدس<sup>6</sup>، وأضحت مصرا عظيما ومستقر الخلفاء في القديم، زاد فيها المتوكل العباسي، وصارت مرحلة<sup>7</sup>، بينها وبين بغداد ثلاثين فرسخا<sup>8</sup>، وهواؤها وثمارها أصح من ثمار بغداد وهواؤها ولها نخيل وكروم و غلات تحمل إلى مدينة السلام<sup>9</sup>، ومنذ تمصيرها في عهد المعتصم كما ذكرنا، روعي في تخطيطها الجانبين الاجتماعي والعسكري، حيث كان تقسيمها تقسيما اجتماعيا عسكريا يتناسب وكونها معسكرا أولا، ومركزا حضريا ثانيا<sup>10</sup>، بالإضافة أننا نلاحظ التأكيد على الأسوار أو على بناء مدينة محصنة، وذلك لثبوت أركان الدولة العباسية، وكذا التأكيد على العمارة<sup>11</sup>، من خلال البنائين والحدادين والنجارين وسائر الصناعات<sup>12</sup>، كما شجع المعتصم أنواع الصنائع وعمل على إدخالها لسامراء<sup>13</sup> من كل بلد من يعمل عملا من الأعمال أو يعالج مهنة من مهن العمارة والزرع والنخل والغرس وهندسة المياه ووزنه واستنباطه والعلم بمواضعه من الأرض، وحمل من مصر من يعمل القراطيس وغيرها، وحمل من البصرة من يعمل الزجاج والخزف والحصر، وحمل من الكوفة من يعمل الأدهان ومن سائر البلدان من أهل كل مهنة وصناعة...<sup>14</sup>، واعتنى بالناحية التجارية فوسع "صفوف الأسواق"<sup>15</sup>، وعمل شارعا على دجلة جعله رصيفا مرسى

1- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج3، ص173.

2- الهمداني، المصدر السابق، ص367.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص123.

4- الحميري، المصدر السابق، ص300.

5- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج3، ص173.

6- المقدسي، المصدر السابق، ص123.

7- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج3، ص137.

8- ابن حوقل، المصدر السابق، ص218.

9- الدوري عبد العزيز، العصر العباسي...، المرجع السابق، ص260.

10- المرجع نفسه، ص259.

11- اليعقوبي، المصدر السابق، ص25.

12- اليعقوبي، المصدر السابق، ص31.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

لسفن التجارة التي تأتي من حواضر العراق، وقام بزراعة الجانب الغربي منها، وفصل الجيش والدواوين عن السكان<sup>2</sup>. استطاع المعتصم بناء عاصمة جديدة للدولة العباسية، ولكن جل سكانها كانوا جنداً، فأصبح الخليفة شبه سجين بينهم، فكان لذلك نتائج فظيعة في عهد أخلافه<sup>3</sup>.

أما بقية كور العراق، فهي متساوية من حيث الأهمية والموقع والأدوار السياسية والاقتصادية، والتنوع الاجتماعي والكثافة السكانية، وحتى التنوع المناخي وكذا التضاريس، وعليه سنورد هذه المدن كما يلي:

المدائن<sup>4</sup> ومدينة النعمانية<sup>5</sup>، وأيضاً دير العاقول<sup>6</sup>، ومدينة جبل<sup>7</sup>، وجراري<sup>8</sup>، ومدينتي عبد سى، ينم رودى<sup>9</sup>، بالإضافة إلى مدينة مفتح<sup>10</sup> وكذا مدينة بيان<sup>11</sup>، و سلمانان<sup>12</sup> و عبادان<sup>13</sup> و مادرايا<sup>14</sup> ومدينة إسكاف بني جنير<sup>15</sup>.

والنهر<sup>1</sup> ومدينتي جلولاء وخانقين<sup>2</sup> وقصر شيرين<sup>3</sup>، ومدينة حلوان<sup>4</sup>، و كوش ربا<sup>5</sup>. ومدينة بابل<sup>6</sup> و صرصر<sup>7</sup> ونهر صرصر<sup>7</sup> ونهر الملك<sup>8</sup> وقصر ابن هبيرة<sup>9</sup>، ومدينة الجامعين<sup>10</sup>، وكذلك مدن الحيرة<sup>11</sup> والقادسية<sup>12</sup>.

1-المصدر نفسه، ص25.

2-الدوري عبد العزيز، العصر العباسي...، المرجع السابق، ص259-260.

3-المرجع نفسه، ص260.

5-المدائن: مدينة إلى شرقي دجلة، كانت مستقر الأكاسرة، وبها إيوان يدعى إيوان كسرى، يقال إنه لا يوجد في العالم إيوان أعلى منه. وكانت هذه المدينة كبيرة وعامرة وقد نقل عمرانها إلى بغداد، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص159.

6-النعمانية: بالضم، كأنها منسوبة إلى رجل اسمه النعمان: بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة معدودة من أعمال الزاب الأعلى وهي قصبته، ينظر: الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص294.

6-دير العاقول: إلى الشرق من دجلة، وكلا هاتين المدينتين عامر، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص159.

7-مدينة جبل: مدينة قليلة العمارة، وأغلب أهلها كرد، المصدر نفسه، ص159.

9-جراري: إلى الشرق من دجلة فم الصلح: إلى الشرق من دجلة سابس إلى الغرب من دجلة. والمدن المذكورة أنفا عامرة ذات خيرات، المصدر نفسه، ص159.

9-عبد سى، ينم رودى: مدينتان عامرتان فيهما تمور كثيرة، المصدر نفسه، ص159.

10-مفتح: مدينة عامرة تقع إلى الشرق من دجلة يخرج منها نهر مقل، المصدر نفسه، ص160.

11-مدينة بيان: مدينة إلى الشرق من دجلة عامرة ونزهة، المصدر نفسه، ص160.

12-سلمانان: مدينة إلى الشرق من دجلة ونزهة، المصدر نفسه، ص160.

14-عبادان: مدينة في جزيرة بين دجلة العراق ونهر خوزستان على البحر ليس وراءها بلد ولا قرية إلا البحر، فيها رباطات وعباد وصالحون، أكثرهم صنّاع الحصر من الحلفاء، غير أنّ الماء بها ضيق والبحر عليها مطبق، ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص125.

14-مادرايا: مدينة عامرة ونزهة ذات فواكه و زروع، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص160.

15-مدينة إسكاف بني جنير: موضع ينتفع به من الباقي من مياه نهر النهران في الزراعة، المصدر نفسه، ص160.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

وبرذان وعكبرا<sup>13</sup> وسامرة<sup>14</sup> والكرخ والدور<sup>1</sup> وتكريت<sup>2</sup> ومدينة الأبله<sup>3</sup> والأنبار<sup>4</sup>.

- 1- **النهران:** بالعراق، مدينة صغيرة من بغداد إليها شرقاً أربعة فراسخ، ويقال بضم الراء وفتحها وكسرهما مع النون، ويقال بضم النون والراء معاً أربع لغات، ولها نهر جليل تجري فيه المراكب العظام ينبعث من جبال أرمينية ويستمد من القواطل، فإذا صار بباب كسرى سمي النهران، وفي الجانب الغربي منها أسواق ومسجد جامع و نواحر تسقي أرضها، وفي الجانب الشرقي مسجد جامع أيضاً وأسواق، وحول المسجد خانات ينزلها الحاج والميابة. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 82.
- 2- **جلولاء:** بالعراق في أول الجبل، وهي مدينة صغيرة عامرة بها نخل و زروع، المصدر نفسه، ص 167. **خانقين:** هي من أعمال الجبل بقرب شيرزور سمي الموضع بذلك لأنَّ النعمان حبس به عدي بن زيد وخنقه فيه حتى مات... وبخانقين نهر كبير قد بنيت عليه قنطرة عظيمة طبقاً بالحص والآخر. ومن خانقين إلى قصر شيرين ستة فراسخ، ينظر: المصدر نفسه، ص 210.
- 3- **قصر شيرين:** قرية كبيرة لها سور من الصخر وبها إيوان واسع من المرمر، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 160.
- 4- **حلوان:** قصبة صغيرة سهلية جبلية يحيط بها بساتين وأعناب وتين، قريبة من الجبال ولها سوق طويل وحصن عتيق ونهر صغير و قهندز فيه الجامع، ولها ثمانية دروب: درب خراسان، درب الباقات، درب المصلي، درب اليهود، درب بغداد، درب برقيط، درب اليهودية، درب ماجكان، وثم كنسية اليهود يعظمونها خارج البلد من الحص والحجارة، وبيت المقدس أكبر وأجل وأعمر وأظرف وأكثر مشايخ وعلماء منها. ومداين هذه الكورة صغار خراب لا يسوى ذكرها. ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص 130.
- 5- **كوش ربا:** مدينة حواليتها تلال من الرماد يقال إنها بقايا النار التي أوقدها النمرود ليحرق بها إبراهيم النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 160.
- 6- **بابل:** بالعراق... وهي مدينة ضاحكة المنظر جميلة المنصب زاهرة البناء واسعة الفناء قد جمعت إلى حسن المنظر من كل جانب رصانة البنيان وبهاء المنصب، وكانت سهلة بطحاء ديمومة فيحاء مربعة لها في كل ترييع حصنان عظيمان، وسائر ذلك من سورها لا يكاد من يبلغه خبرة يصدق بصفته لكثرة ارتفاعه وفرط إتقانه، وكان خمسين ذراعاً عرضاً في ارتفاع مائتي ذراع في دور أربعة وستين ميلاً، مبنياً بالآجر المرصص، وقد خندق حولها بخندق يجري فيه الفرات وفيه مائة باب من نحاس، وسعة السور في أعلاه كسعته في أسفله، وقد بني في أعلاه مساكن للمقاتلة والجواري متصلة في جميع دوره، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ص 5، ص 73.
- 7- **صرصر:** مدينة عامرة ذات نعمة وفيرة، يمر من وسطها نهر صرصر، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 160.
- 8- **نهر الملك:** مدينة عامرة ذات نعم، المصدر نفسه، ص 160.
- 9- **قصر ابن هبيرة:** مدينة كبيرة جيدة الأسواق، يجيئهم الماء من الفرات كثيرة الحاكاة واليهود والجامع في السوق، ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص 128.
- 10- **مدينة الجامعين:** مدينة بين نهر الفرات ونهر سورا، لا طريق إليها من أية جهة إلا عن طريق الماء، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 161.
- 11- **الحيرة:** بالكسر ثم السكون، وراء: مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به، وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية.... وقيل سميت الحيرة لأنَّ تبع الأكبر لما قصد خراسان خلف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم حيروا به أب أقيموا به، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ص 328-329.
- 12- **القادسية:** مدينة على سيف البادية، تعمر أيام الحاج ويحمل إليها كل خير، بما بابان وحصن طين، وقد شق لهم نهر من الفرات إلى حوض على باب بغداد، وثم عيون عذبية وماء آخر يجرونها عند باب البادية أيام الحاج، وهي واحد الجامع فيه، ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص 124.
- 13- **برذان، عكبرا:** مدينتان في الشمال الشرقي من بغداد، مواضع عامرة، ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 161.
- 14- **سامرة:** مدينة إلى الشرق من دجلة، ذات سواد، و زروعها وفواكهها إلى الغرب من دجلة، المصدر نفسه، ص 161.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

وفي ختام حديثنا عن إقليم العراق واستقصائنا لأهم مدنه وحواضره، نورد مقولة لابن حوقل يصف فيها المدن التي أشرنا إليها بعد المدن والحواضر الكبرى، قائلا: "..... فأما عكبرا والبرذان والنعمانية ودير العقول وجبل وجرجرايا وفم الصلح ونهر سابس وسائر ما ذكرته على شط دجلة من المدن، فهي متقاربة في الكبر وليس بها مدينة كبيرة وهي مشتبكة العمارة ولكل مدينة من ذلك كور..."<sup>5</sup>، كما يضيف المقدسي كلاما شبيها بقول ابن حوقل، بقوله: "وسائر مدن هذا الوجه على ما وصفنا مثل النيل وعبدسى وكرثا... وهذه المدن التي ذكرناها على غربي دجلة وسائر المدن صغار"<sup>6</sup>.

**2-2- إقليم خراسان:** خراسان هو الاسم الذي يطلق على البلاد الواقعة شرقي الدولة العربية الإسلامية<sup>7</sup>، وقد اختلف في تحديد دلالة اسم خراسان، حيث أورد الحميري هذه المعاني بقوله: "خراسان قطر معروف، قال الجرجاني: معنى خر: كل، و اسان معناه سهل، أي كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس..."<sup>8</sup>.

ويضاف إلى هذه المعاني، معنى البلاد الشرقية في اللغة الفارسية<sup>9</sup>، الذي هو أقرب إلى الحقيقة والواقع<sup>1</sup>، وهناك تسميات أخرى أوردتها حافظ آبرو في تاريخه في جغرافية خراسان قائلا: "خورسان يعني أفتاب مانند" ومعناه

---

1- الكرخ والدور: مدينتان بناهما المعتصم وأتم بناءهما المأمون، عامرتان ذواتا نعمة، المصدر نفسه، ص161.

4- تكريت: بالعراق بين دجلة والفرات، وقيل هي من كور الموصل، من سر من رأى إلى تكريت، وهي مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد، غاصة الأهل، أهلها أحسن أخلاقا وقسطا في الموازين من أهل بغداد، ودجلة منها في جوفها ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبتها المنبعة ويظف بالبلد سور، وهي من المدن العتيقة، وهي على شاطئ دجلة في الجانب الغربي ينزلها قوم يقال لهم الجرامقة وبها تجار مياسير، ومنها تأخذ فوهة النهر الاسحاقي الذي حفره المعتصم إلى الضياع التي استنبطها في الجانب الغربي بسر من رأى، وبين تكريت والموصل ثلاث مراحل، والغالب على أهل تكريت أنهم نصارى وأبنيتهم بالحص والآجر، ومن تكريت يشق نهر دجيل الآخذ من الدجلة فيشق روضها ويمر إلى سواء سر من رأى فيعبره إلى قريب بغداد. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص133.

5- الأبله: على دجلة عند فم نهر البصرة من قبل الشمال، الجامع أعلى القرية، عامرة كبيرة أرفق من البصرة وأرحب، ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص125.

4- الأنبار: مدينة كبيرة أول ما نزل المنصور بها وغم داره وقد خفت، المصدر نفسه، ص129.

5- المصدر السابق، ص219-550.

6- المصدر السابق، ص128-129.

9- زينب مهدي رؤوف العزاوي، أفضية خراسان حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1425هـ/2004م، ص07.

8- المصدر السابق، ص214.

1- العمادي محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي، إريد، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، 1997م، ص01.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

بالعربية شبيه بالشمس<sup>2</sup>، أما الدكتور محمد معين فقد أورد في مادة خراسان من معجمه كلمتين "خورآسان مشرق" وتعني بلاد الشمس المشرقة، والتي تشتمل على مساحة واسعة<sup>3</sup>، وربما سبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى طبيعة أرضها التي جعلت سكانها يطلقونه على المنطقة، إذ يرون الشمس وكأنها بزغت منها وهم على مرتفعات إيران الشرقية<sup>4</sup>.

وعليه فإن معنى خراسان يحتمل الاثنين معاً، أي مطلع الشمس والبلاد الشرقية نظراً لوقوعها في المشرق، وارتفاعها الكبير عن سطح البحر، جعل منها أقرب إلى شروق الشمس زمناً ومكاناً، لذا استمرت هذه التسمية حتى أوائل القرن الرابع الهجري، وقد أطلق الجغرافيون العرب كلمة خراسان بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة حتى حد جبال الهند<sup>5</sup>.

أما فيما يخص حدود إقليم خراسان، فهي كغيرها اختلفت باختلاف الواقع السياسي وتغير السلطات الحاكمة، حيث عرفت حدودها توسعاً وتقلصاً على ضوء ذلك، خصوصاً أنها أضحت مقر عدد كبير من الدول الحاكمة منذ العصر العباسي الأول وحتى العصر السلجوقي، وسنحاول استقصاء حدودها من خلال النصوص التي وردت في تصانيف الجغرافيين المسلمين، فياقتو الحموي يرى أنَّ خراسان بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان و غزنة و سجستان و كرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها<sup>6</sup>، بينما يحدد الحميري إقليم خراسان بقوله: "...وحدها الذي يحيط بها من شرقها سجستان وبلد الهند، وغربها مفازة الغزية ونواحي جرجان، وشمالها ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك وجنوبها مفازة فارس و قومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان و طبرستان والري وما يتصل بها..."<sup>7</sup>، وعند صاحب كتاب "حدود العالم من المشرق إلى المغرب" أنَّ خراسان تحدها من الشرق بلاد الهند؛ ومن الجنوب بعض حدود خراسان وقسم مفازة كركس كوه؛ ومن الغرب نواحي جرجان وحدود الغور؛ ومن الشمال نهر جيحون<sup>8</sup>، أما ابن حوقل فيرى أنَّ خراسان يحدها من الشرق سجستان وبلد الهند، كما ضم إلى سجستان ما

1- زينب مهدي رؤوف العزاوي، المرجع السابق، ص 07.

2- العمادي محمد حسن، المرجع السابق، ص 01.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 21.

5- العمادي محمد حسن، المرجع السابق، ص 01.

6- المصدر السابق، مج 2، ص 350.

7- المصدر السابق، ص 218.

8- المصدر السابق، ص 114.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

يتصل بها من ظهر الغور كله إلى الهند وجعل ديار الخلع في حدود كابل، وخان على ظهر الختل كله، وغير ذلك من نواحي بلد الهند، ومن الغرب تحدها مفازها الغزية ونواحي جرجان، وشمالا بلد ما وراء النهر وشيء من بلد الترك يسير على ظهر الختل، وجنوبا مفازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان و طبرستان والري وما يتصل بها<sup>1</sup>.

وأشار القزويني إلى أنَّ نهر جيحون يحد خراسان شرقا، وغربا قوهستان<sup>2</sup>، وحدد الاصطخري -وهو من بلدانيي القرن الرابع الهجري- إقليم خراسان<sup>3</sup> بقوله: "يحيط بها من شرقيها نواحي سجستان وبلد الهندي وغربيها مفازة الغزية ونواحي جرجان وشمالها من وراء النهر وشيء من بلد الترك وجنوبها مفازة فارس وقومس..<sup>4</sup>"، كما عد الاصطخري خوارزم وإقليم ما وراء النهر من حدود خراسان<sup>5</sup>، "...وضممنا خوارزم إلى ما وراء النهر لأنَّ مدينتها وراء النهر وهي أقرب إلى بخارى منها إلى مدن خراسان..<sup>6</sup>".

يستفاد من النصوص آنفة الذكر بخصوص تحديد إقليم خراسان ما يأتي:  
- يتفق أغلب البلدانون على أنَّ خراسان إقليم منفصل عن خوارزم وبلاد ما وراء النهر، وأكد ذلك بشكل قطعي ياقوت الحموي عندما عقب على رواية البلاذري: "...الصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولا... لأنَّ جميع ما ذكره البلاذري مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها..<sup>7</sup>".

- إنَّ ما ذهب إليه البلاذري من ضم خوارزم وبلاد ما وراء النهر و سجستان وغيرها من المناطق في المشرق إلى خراسان يمثل مفهوما سياسيا لا صلة له بالواقع الجغرافي في تحديد إقليم خراسان<sup>8</sup>، ولعل في عبارة ياقوت الحموي: "...إنَّ جميع ما ذكره البلاذري كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها..<sup>9</sup>"، تصديق لقولنا هذا، كما أن ليسترنج أشار إلى هذا المفهوم عندما تحدث عن حدود

1- المصدر السابق، المصدر السابق، ص358.

2- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د.ت)، ص361.

3- عبد الستار نصيف جاسم، إقليم خراسان دراسة في نشاطه التجاري من خلال كتب البلدانيين، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد7، العدد2017، ص397.

4- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، ليدن، أبريل1937م، ص227-253.

5- عبد الستار نصيف جاسم، المرجع السابق، ص397.

6- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المصدر السابق، ص253.

7- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج2، ص351.

8- عبد الستار نصيف جاسم، المرجع السابق، ص398.

9- المصدر السابق، مج2، ص351.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

خراسان<sup>1</sup>، بقوله: "...وفي أوائل القرون الوسطى كان هذا الاسم يطلق على جميع الأقاليم الإسلامية شرق المفازة الكبرى حتى جبال الهند، وفي مدلولها الواسع هذا كانت تضم بلاد ما وراء النهر في الشمال الشرقي من نهر جيحون..."<sup>2</sup>، في حين أكد قحطان الحديثي -بعد أن تحدث بشكل مفصل عن جغرافية خراسان- أنَّ التقسيمات الإدارية في خراسان تستوجب ملاحظة مدى التطابق بين المفهومين الجغرافي والإداري في القرنين الثالث والرابع الهجريين<sup>3</sup>. وواضح أنَّ أغلب الجغرافيين اتفقوا على أنَّ إقليم خراسان يحده من الشرق سجستان والهند، وغربا مفازة الغزية ونواحي جرجان، وشمالا ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك وجنوبا مفازة فارس وقومس. ولكن حدود إقليم خراسان هذه صارت بعد ذلك أكثر حصرا وأدق تعيينا من خلال التحديد الذي أورده ياقوت الحموي<sup>4</sup>، ولعل السبب في اختلاف التحديد الجغرافي لإقليم خراسان يرجع إلى تغير حدود خراسان عبر فترات الحكم الإسلامي كثيرا؛ وذلك بتغير الظروف السياسية في البلاد وقوة السلطة الحاكمة وما حفلت به مدن خراسان من تغيير لواقعها الجغرافي والتنظيمي لإدارتها. أما خراسان في الوقت الحاضر فتتقسم إلى ثلاثة أقسام، يشمل القسم الأول: المنطقة الممتدة من مرو الشاهجان إلى نهر جيحون وتعرف بتركمانستان، وهي جمهورية تتبع لما يعرف الآن بروسيا الاتحادية، وأهم مدنها مرو، ويشمل القسم الثاني المنطقة الواقعة إلى الشرق من سرخس في الشمال، ويمتد إلى الجنوب مارا بمنتصف المسافة بين طوس وهرات وهذا القسم جزء من أفغانستان، ومن مدنه: هرات وبلخ، وما تبقى يشكل القسم الثالث وهو جزء من إيران، وأهم مدنه نيسابور وطوس<sup>5</sup>.

يعد إقليم خراسان أحد الأقاليم الهامة للعالم الإسلامي، حيث شكل بالنسبة للخلفاء والسلطين والأمراء المسلمين عبر العصور الإسلامية، مركزا هاما في سياساتهم التوسعية على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي وحتى المذهبي والعلمي، بالإضافة إلى شساعة مساحة خراسان وامتلاكها لمقومات النهوض الحضاري. وقد ارتبط اسم خراسان في التراث الإسلامي بالكثير من الأحداث التاريخية والإنجازات الحضارية ذات دلالات هامة في عمق التاريخ، بدءا بحركة التاريخ الإسلامي زمن الخلافة الراشدة إلى العصر العباسي، حيث غدت خراسان موطن الدعوة، ومنطلق الثورة، وعاصمة الدولة في "مرو" زمن المأمون، حتى أنَّ بعضهم قال عن خراسان في حضرة المأمون: "هي المملكة بأسرها". أما الحياة العلمية فقد أحرز أهل خراسان فيها أفضل منزلة، لما خصوا به من

1- عبد الستار نصيف جاسم، المرجع السابق، ص398.

2- ليسترنج كي، بلدان الخلافة الشرقية، بغداد، مطبعة الرابطة، 1954م، ص423.

3- عبد الستار نصيف جاسم، المرجع السابق، ص398-399.

5- إيمان محمد زكي، الأحوال الاقتصادية في خراسان زمن السلاجقة (485هـ-590هـ/1092م-1194م)، ط1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2014م، ص15.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص21.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

الاستعداد لقبول الحضارة، وأعانهم عليه دين الإسلام الذي رُفِرَ على ديارهم، وعاشوا به أمة قديرة على الفعل والإبداع، مترعة بالحيوية والفاعلية، وليس غريباً أن يقال بعد ذلك: "إنَّ العلم شجرة جذورها في مكة والمدينة، ونقل ورقها إلى العراق، وثمرها إلى خراسان"<sup>1</sup>.

وانطلاقاً من ذلك فقد أشاد الجغرافيون المسلمون في وصف خراسان وإبراز مكانتها وإظهار مناطقها، يقول صاحب كتاب "حدود العالم من المشرق إلى المغرب": "...وهي بلاد واسعة ذات تجارة واسعة وخيرات وفيرة. وتقع وسط عمارة العالم. وفيها معادن الذهب والفضة والجواهر التي يؤتى بها من الجبال. وفي هذه البلاد تكثر الخيول. وأهلها مقاتلون. وهي بلاد الترك وتنتج فيها الثياب والذهب والفضة و الفيروزج والعقاقير وهي بلاد ذات هواء صحيح وأهلها أصحاب أشداء..."<sup>2</sup>، أما الحميري فيرى أنَّ "...خراسان تشتمل على كور عظام وأعمال جسام.... وخراسان اعتدال الهواء وطيب الماء وصحة التربة وعدوبة الثمر وإحكام الصنعة وتمام الخلقة وطول القامة وحسن الوجوه و فراهة المراكب من الخيل والإبل والحمير وجودة السلاح والدروع والثياب..."<sup>3</sup>، كما يصف المقدسي خراسان بقوله: "اعلم أنَّ لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب ويشعره في أكثرها جانب هيطل، إلا أنَّ هذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب خص بالذكر وعرف عند النسبة،.... وقرأت في كتاب بخزانة عضد الدولة: خراسان في غذاء الهواء وطيب الماء وصحة التربة وعدوبة الثمرة وأحكام الصنعة وتمام الخلقة وطول القامة وحسن الوجوه و فراهة المراكب... واعلم أنَّ هذا الجانب في الحقيقة خراسان وهو أجل الجانبين لأنَّ به المصر الأعظم وأهله أطرف وأحلم وبالخير والشر أعلم وإلى أقاليم العرب ورسومهم أقرب و قصباته أبهى وأطيب، وهو أقل برداً في الهواء والناس وأحسن آئينا وأكثر أجلة وعقلاء من هيطل مع العلم الكثير والحفظ العجيب والمال المديد والرأي السيد..."<sup>4</sup>، وأشار ابن الفقيه إلى نفس الوصف الذي ذكره الحميري عن خراسان<sup>5</sup>.

إنَّ إقليم خراسان مثل بقية الأقاليم الأخرى، اشتهر بعدد من الحواضر و الكور ذات الأهمية الكبيرة، يقول ليسترنج: "وكان إقليم خراسان في أيام العرب، أي في القرون الوسطى، ينقسم إلى أربعة أرباع، نسب كل ربع

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص7-8.

2- المصدر السابق، ص114.

3- المصدر السابق، ص215.

4- المصدر السابق، ص259-260.

5- ابن الفقيه، المصدر السابق، ص605.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

إلى إحدى المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم الإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هي: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ...<sup>1</sup>. وعلى ضوء ذلك قسمت خراسان إلى أربع أرباع هي: 1- نيسابور. 2- مرو. 3- هراة. 4- بلخ، يرى الدكتور إحسان الثامري أنّ هذه الأرباع الأربعة هي حواضر خراسان في الغالب، خاصة أنّ بعض الجغرافيين يجعلون ما وراء النهر أحد أرباعها، ولعل ذلك يعود للأنظمة الإدارية السامانية كما أنّ البعض يلحق هراة بنيسابور<sup>3</sup>، واعتبر بن حوقل هذه الأرباع والحواضر "أعظم هذه النواحي منزلة، وأكثرها جيشاً وشحنة، وأجلها منزلة وجباية نيسابور، ومرو، وبلخ، وهراة..."<sup>4</sup>، وقد جمع ربعي بن عامر عدة مدن خراسانية عند غزوه لخراسان سنة 18هـ في قوله:

**ونحن ورعنا من هرات مناهلا روع من المروين إن كنت جاهلا**

**وبلخ ونيسابور قد شقيت بنا وصور ومرو قد أزرنا القنابلا**

**أنخنا عليهم كورة بعد كورة نقضم حتى لحتوبنا المناهلا**

**فلك عينا من رأى مثلنا معا غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا**<sup>5</sup>

وعليه سنعرض فيما يلي نبذة مفصلة عن كل ربع من هذه الأرباع لنخلص في الأخير إلى التعرف على جغرافية إقليم خراسان التي تعد مهمة ومؤثرة في الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها العصر السلجوقي.

**أ- نيسابور:** تقع مدينة نيسابور في الإقليم الرابع<sup>6</sup> وهي إحدى مدن خراسان المهمة، وكانت من المدن الفارسية القديمة<sup>1</sup>، وتعتبر أكبر مدينة في خراسان<sup>2</sup>، طولها خمس وثمانون درجة، وعرضها تسع وثلاثون درجة<sup>3</sup>، أما عن تسميتها

1- المرجع السابق، ص 424.

2- الثامري إحسان ذنون، الحياة العلمية زمن السامانيين (التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين)، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2001م، ص 30.

3- الثامري، المرجع السابق، ص 30.

4- المصدر السابق، ص 361.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 22.

6- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 1، ص 31.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

تسميتها بنيسابور؛ فقد ساق لنا ياقوت الحموي عدة احتمالات حيث يقول: "...واختلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأنَّ سابور مر بها وفيها قصب كثير فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقليل لها نيسابور، وقيل في تسمية نيسابور و سابور خواست و جند يسابور: إنَّ سابور لما فقدوه حين خرج من مملكته يقول المنجمين... خرج أصحابه يطلبونه فبلغوا نيسابور فلم يجدوه فقالوا: ليست سابور أي ليس سابور، فرجعوا حتى وقعوا إلى سابور خواست فقليل لهم ما تريدون؟ فقالوا: سابور خواست، معناه سابور نطلب، ثم وقعوا إلى جند يسابور فقالوا وند سابور أي وجد سابور..."<sup>4</sup>، كما عرفت نيسابور بعدة أسماء مثل: أبرشهر<sup>5</sup> أو إيرانشهر<sup>6</sup>، ومعنى أبرشهر مدينة الغيم في الفارسية، وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها فيها الخلفاء الأمويون والعباسيون.

كما أنَّ اسم نيسابور يلفظ في الفارسية الحديثة بنيشابور وهو مشتق من نيو شاه بور في الفارسية القديمة، ومعناه (شيء أو عمل أو موضع) سابور الطيب. وإنما سميت المدينة بذلك، نسبة إلى الملك سابور الثاني الساساني الذي جدد بناءها في المئة الرابعة للميلاد، إذ أنَّ مؤسس نيسابور كان سابور الأول بن أردشير بابكان<sup>7</sup>، وهي بلد واسع كثير الأكوار<sup>8</sup>، يضاف إلى ذلك أنها واسعة الرقعة جليلة القرى<sup>9</sup>، وأيضاً هي مدينة في أرض سهلة أبنيتها من طين وهي كانت مفترشة البناء نحو فرسخ في مثله<sup>10</sup>، وعدها الحموي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء، ولم ير أثناء طوافه في البلاد مدينة مثلها<sup>11</sup>، أما المقدسي فقد قال عنها: "وهي كورة واسعة جليلة الرساتيق والضياح والقني... وهي قوية الهواء..."<sup>12</sup>، في حين اعتبر ابن حوقل أنه "...ليس بخراسان مدينة أصح هواء وأفسح فضاء وأشد عمارة وأدوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة

1- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص48.

2- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص114.

3- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص331.

4- المصدر نفسه، مج5، الصفحة نفسها.

5- ابن حوقل، المصدر السابق، ص361.

6- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص331.

7- ليسترنج، المرجع السابق، ص424.

8- إسحاق بن الحسين، المصدر السابق، ص72.

9- المقدسي، المصدر السابق، ص260.

10- ابن حوقل، المصدر السابق، ص361.

11- المصدر السابق، مج5، ص331.

12- المصدر السابق، ص262.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

من نيسابور..<sup>1</sup>، فلا غرو أنها قاعدة خراسان<sup>2</sup>، وقد وصفها الأدباء بـ"عين خراسان وغرتها"<sup>3</sup>، وأنها "أحسن مدينة وأجمعها للخيرات بخراسان"<sup>4</sup>، وكذلك تعد "قلبا لما حولها من البلاد والأقطار"<sup>5</sup>، كما مدحها الشعراء الشعراء لطيبها وكثرة خيراتها<sup>6</sup>، قال المأموني:

### ليس في الأرض مثل نيسابور بلد لحبيب ورب غفور<sup>7</sup>

وفي سياق متصل، شغلت نيسابور أراضي واسعة، معظمها عامرة بالمدن والقرى وآهلة بالسكان، بحيث بلغت قمة ازدهارها منذ القرن الثالث الهجري، لذا فإن من الصعب تحديد حدودها، لأن مساحتها كثيرا ما تتسع حيناً وتقلص أحيانا أخرى طبقا للتطورات السياسية التي تتناوب عليها، ذلك أن المصادر زودتنا بمعلومات مضطربة لحدودها، وأيضا بالنسبة للمسافات التي كانت تقدر بين نيسابور وبين مدن خراسان الكبرى<sup>8</sup>، ومن أهم مظاهرها الجغرافية نهر "بدخشان" من الشرق ونهر جيحون وصحراء خوارزم من الشمال<sup>9</sup>، الأمر الذي جعلها تشتهر بخصوصيتها، ونتيجة لذلك كانت نيسابور واحدة من أعظم مدن العالم نظيرة لبغداد والقاهرة في العالم الإسلامي<sup>10</sup>، وعلى ضوء ذلك احتوت نيسابور على "اثنان وأربعون محلة منها ما يكون نصف شيراز، ودروبها المؤدية إلى الأبواب زهاء الخمسين، ومسجدها الجامع أربع رحبات، بناه عمرو الصفار..<sup>11</sup>"، وبهذه الإشارة كان المقدسي يريد أن يبين لنا مساحة المدينة حيث كانت تقدر بفرسخ في فرسخ وهذه المساحة بالطبع تشغل حيزا كبيرا بالنسبة إلى السكان في تلك الفترة إذا ما قيست بالمدن الكبرى في وقتنا الحاضر التي تسكنها الملايين

1-المصدر السابق، ص362.

2-الثامري، المرجع السابق، ص31.

4-ابن الوردي سراج الدين، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زناتي، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1428هـ/2008م، ص212.

5-السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، حققه وراجعته الأستاذ أكرم البوشي، الجزء12، ط1، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1404هـ/1984م، ص456.

5-الاصطخري، مسالك الممالك، بيروت، صادر مصور عن نسخة ليدن، مطبعة بريل، 1927م، ص145-146.

6-الثامري، المرجع السابق، ص31.

8-الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري، حسن كامل الصبري، مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1960م، ص195.

9-الفاجالو محمد، الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة 290هـ-548هـ/901م-1153م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1421هـ/2000م، ص05.

9-جهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص55.

10-إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص23.

11-المقدسي، المصدر السابق، ص299.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

من السكان<sup>1</sup>، أما ابن رسته فقد ذكر أنَّ لها ثلاثة عشر رستاqa وأربعة أرباع<sup>2</sup>، وأشار إلى هذه الرساتيق<sup>3</sup> والأرباع<sup>4</sup>، في الرساتيق<sup>3</sup> والأرباع<sup>4</sup>، في حين جعلها ابن خرداذبة اثني عشر رستاqa في كل رستاqa مئة وستون قرية<sup>5</sup>.

تمثل نيسابور الربع الغربي من خراسان<sup>6</sup>، لذا فإنَّ مناخها يتميز بشدة الحرارة في الصيف، والبرودة الشديدة في الشتاء، إضافة إلى هوائها الصحي، وانعدام الأمراض الجلدية التي تنتشر في المدن الجبلية<sup>7</sup>، كما تجدر الإشارة إلى ارتباط مدن الإقليم وقراه بشبكة كبيرة من الطرق الحافلة بالأرطعة، هذه الطرق الآمنة شجعت الحركة التجارية خاصة مع وفرة المعادن النفيسة، والأحجار الكريمة التي تستخرج من نيسابور، وبالتالي قيام صناعات تتطلب ترويج منتجاتها، مما ساعد على قيام حركة اقتصادية كبيرة في أسواق نيسابور صاحبها رواج تجاري جعل المدينة تعيش رفاها اجتماعياً<sup>8</sup>، حيث بلغ خراجها "ألفا ألف وثمانمائة وستون درهما"<sup>9</sup>، نظراً لاحتوائها على كميات كبيرة من المياه التي أدت على أهل نيسابور محاصيل كثيرة، وليس هذا فحسب، ذلك أنَّ أكثر المياه الصالحة للشرب موجودة في قنوات تجري تحت الأرض متصلة بمجموعة من السرايب<sup>10</sup>، ومع ذلك لم يخل الأمر من مشاكل حدثت بين أهل نيسابور حول القنى، فجمع أمير خراسان عبد الله بن طاهر جميع فقهاء خراسان وبعض فقهاء العراق ووضعوا كتاباً في أحكام القنى أسموه "كتاب القنى"، وهم يعملون على حسب الأحكام التي وردت فيه وهذا الكتاب موجود حتى الآن وأحكام القنى والتقنيات تدور حول هذا المعنى تسير بموجب هذا الكتاب<sup>11</sup>.

ولابد أنَّ الكتاب كان يضم الكثير من المعلومات عن وسائل الري وكيفية بناء القنى وسقي المدن بها، والأسس الإدارية والفقهية التي اتخذت لتدارك السليبيات التي تحدث جراء السقي. ومع أننا لا نملك معلومات عن الكتاب

1-العمادي محمد حسن، المرجع السابق، ص3.

2-الأعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل، 1892م، ص171.

4-الرساتيق: كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن وهو أخص من الكور والإنسان، ينظر: بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص23، الهامش رقم 01.

4-الربيع: الدار بعينها حيث كانت، ج: ربيع وربوع وأربع وأرباع، والمحلة، والمنزل، ينظر: الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص611.

5-المسالك والممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1899، ص24.

7-الدوري رفاة تقي الدين عارف، أثر علماء خراسان في الحركة العلمية في بغداد (132هـ-334هـ/749م-945م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب جامعة بغداد، 1425هـ/2004م، ص14، الثامري، المرجع السابق، ص31، إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص22.

7-جهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص55.

8-الثامري، المرجع السابق، ص55.

9-ابن الفقيه، المصدر السابق، ص629.

10-الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج5، ص331.

11-الكرديزي أبو سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمود، زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م، ص199-200.

## - الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات.

وعن هؤلاء الفقهاء الذين وضعوا بنوده ومدى الاستفادة منه، إلا أنه بلا شك كان يمثل رمزا لاهتمام الولاة بأمر الري والزراعة في خراسان<sup>1</sup>. أما بخصوص النسيج العمراني لمدينة نيسابور، فهي تحتوي على قهندز<sup>2</sup> وريض عامرين، ومسجد جامع في هذا الريض بمكان يعرف بالمعسكر، وكذلك دار للإمارة بمكان يعرف بميدان الحسين، وبقرىها الحبس، كما تقدر المسافة بين الحبس ودار الإمارة وبين المسجد الجامع بربع فرسخ، ولقهندزها بابان وللمدينة أربعة أبواب: فأحدها يعرف بباب رأس القنطرة والثاني بباب سكة معقل، والثالث بباب القهندز، والرابع بقنطرة درميكين، وهناك أبواب للريض منها باب القباب الذي يخرج منه إلى العراق وجرجان، وباب جيک الذي يخرج منه إلى بلخ ومرو وما وراء النهر، وباب أحوص اباز الذي يخرج منه إلى فارس وقوهستان، والباب الذي يخرج منه إلى طوس، وباب سوخته وباب سرسپريس. أما أسواقها فإنها خارج من المدينة والقهندز في الريض وخيرة أسواقها سوقان: إحداها تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة، وفي خلال هذه الأسواق خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات، وفيها الخانات للبيع والشراء فيقصد كل فندق بما يعلم أنه يغلب على أهله من أنواع التجارة<sup>3</sup>. ولم يغب عن بال الجغرافيين المسلمين إبراز النواحي الجمالية للمدينة، فهي تزخر بالمتنزهات كاستجابة طبيعية لعوامل المناخ، إضافة إلى جهود الولاة العرب المسلمين بشؤونها، حيث حفروا القنوات في باطن الأرض<sup>4</sup>.

كانت كورة نيسابور تشتمل على رساتيق عامرة ومدنا أخرى كثيرة تتبع نيسابور في الإدارة وتعتبر من أعمالها، ولقد فصلت المصادر المختلفة ذلك كله، ويلاحظ في بعض المصادر أنَّ هذه المدن والرساتيق تغيرت أسماؤها، وسميت بأسماء عديدة، وأدخل بعضها في بعض، بسبب الظروف والأحداث السياسية المختلفة وتطاول الزمن، وتلك صبغة عرفت في جميع مدن المشرق غير المشهورة<sup>5</sup>. وقد أسهب الجغرافيون في ذكر وتعداد مدن وقري نيسابور بصورة لا نستطيع حصرها بشكل مفصل في هذا البحث، وإنما سنكتفي بالإشارة إلى بعضها وفقاً للأهمية التاريخية، وما يتعلق في مجال البحث من الناحية العلمية وأثر هذه المدن على الثقافة والعلوم<sup>6</sup>. يذكر البلاذري: أنَّ نيسابور تشتمل على؛ زام، باخرز، جوين، بيهق، پشت، اشبنذ، ورخ، زاوه، خواف، اســــــــــــفرايين،

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 25.

3- **القهندز**: يفتح أوله وثانيه، وسكون النون، وفتح الدال، وزاي وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كانوا لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، ينظر: الحموي ياقوت، المصدر السابق، ج4، ص419.

3- ابن حوقل، المصدر السابق، ص362، الحميري، المصدر السابق، ص588.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 25.

5- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 16.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 28.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

أرغيان، أبرشهر، نسا، أبيورد، طوس<sup>1</sup>، أما اليعقوبي فقد حصر كور نيسابور في: الطبسين وقوهستان ونسا وأبرشهر وجام وباخرز وطوس وزوزن واسفرايين<sup>2</sup>، وأيضاً ابن رسته عدّد لنا مدنها وهي: زام وباخرز وجوين وبيهق وأستوا وأرغيان وأسفرايين وبشت ورخ وزاوة وزوزن وأشبند وخاب وريوند وتكاب ومازل<sup>3</sup>، في حين يقول ابن الفقيه أنها تشتمل على زام، وباخرز، وجوين، وبيهق<sup>4</sup>، ولا ننسى الاصطخري الذي حصر كذلك مدن نيسابور كـ: بوزجان، وجام، وباخرز، وزوزن، وكندر، وازازوار، وخسروكرد، وسابزوار، واسفرايين، وخوجان-نسا-وطوس، وطابران، ونوقان<sup>5</sup>، كما أورد أبو الفداء منها: خبوشان، وبيهق، وجاجرم، وجام، واسستوا وباخرز، وبشتنقان، وبشت، وطوس، ونسا، وشاذياخ، وطابران، وأبيورد، وخواف<sup>6</sup>. بالإضافة إلى ابن حوقل الذي أشار إلى مدن نيسابور وهي: البوزجان ومالن وخايمند وسلومك وسنكان وزوزن وكندر وترشيز، وخان روان وازادوار وخسروكرد وبهمن اباد ومزينان وسبزوارة، ومهرجان واسفرايين وخوجان وريوند وطوس<sup>7</sup>.

وأيضاً المقدسي أحصى أهم مدن نيسابور وهي: بشت، بيهق، كويان، جاجرم، أسفرايين، أستوا، أسفند، جام، باخرز، خواف، زاوه، رخ، ريوند، مازل، بشتفروش، زوزن، بوزجان، طوس، نسا، أبيورد<sup>8</sup>، وعند كل من السمعاني وياقوت الحموي وغيرهم أكثر مما ذكرنا هنا، ومن هنا كان لابد لآبد من القول بأن كورة نيسابور لها مدن كثيرة ومشهورة هي الأخرى، وتشتمل هذه المدن على عدد كبير من القرى، وكل هذه المدن التي تقع في كورة نيسابور كانت مراكز علمية نشطة، وينسب إليها المئات من مشاهير العلماء والفقهاء والأدباء والفضلاء نالوا شهرة واسعة في فروع شتى من العلوم والفنون<sup>9</sup>.

شهدت نيسابور عدة تطورات في العصور الإسلامية، فقد كان لها أهمية كبيرة لدى القوى السياسية المختلفة التي تعاقبت عليها مما جعلها أهم وأشهر بقاع خراسان منذ عهد الدولة الطاهرية<sup>10</sup>، حيث اتخذها طاهر بن الحسين عاصمة لدولته وبدأ يوطد حكمه في خراسان والمشرق ويبدو أنّ شكوك الخليفة كانت في محلها فلم تمض سنتان

1- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادي، فتوح البلدان، القاهرة، 1991م، ص 410-412.

2- المصدر السابق، ص 278.

3- المصدر السابق، ص 171.

4- المصدر السابق، ص 611.

5- المصدر السابق، ص 146.

6- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، بيروت، دار صادر، د.ت، ص 443-446.

7- المصدر السابق، ص 363.

8- المصدر السابق، ص 263.

9- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 17.

10- الفاجالو، المرجع السابق، ص 49.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

على حكمه حين أعلن طاهر سنة 207هـ، إسقاط اسم الخليفة من الخطبة، وهذه علامة التمرد على السلطة المركزية في بغداد<sup>1</sup>، ثم أصبحت نيسابور مقراً لكل من يتولى قيادة الجيش بخراسان في العهد الساماني<sup>2</sup>، كما كانت إحدى إحدى مرتكزات الحكم الغزنوي، فقد استقر المقام للسلطان محمود الغزنوي بنيسابور، وجعل أخاه نصراً على قيادة الجيش بخراسان في نيسابور<sup>3</sup>.

لقد كان للأهمية التي حظيت بها نيسابور والمكانة التي بلغتها أن "انتابها الكتاب والأدباء بمقامهم بها وطراً إليها العلماء والفقهاء عند إيثارهم لها، وقد خرجت نيسابور من العلماء كثرة ونشأ بها على مر الأيام من الفقهاء من شهر اسمه وسمق قدره وعلا ذكره..<sup>4</sup>"، وأخيراً نستطيع أن نؤكد أن نيسابور بالفعل كانت واحدة من أعظم مدن العالم الإسلامي<sup>5</sup>.

**ب- مدينة مرو:** تعتبر مرو من أشهر مدن خراسان<sup>6</sup>، وكانت تسمى أم مدن خراسان لكبرها وكثرة أهلها<sup>7</sup>، وتعد أهلها<sup>7</sup>، وتعد الربع الشمالي لإقليم خراسان حتى قيل عنها ملكة الدنيا<sup>8</sup>، يقول عنها المقدسي: "تعرف بمرو الشاهجان قصبة طيبة ظريفة..<sup>9</sup>"، وهي مدينة قديمة أزيلت البناء<sup>10</sup>، وقد سماها الحموي بـ "مرو" العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، أما معنى الشاهجان في نظره هو نفس السلطان؛ لأنَّ الجان هي النفس أو الروح والشاه هو السلطان، وسميت بذلك لجلالته عندهم<sup>11</sup>، تقع مرو الشاهجان في الإقليم الخامس وتبعد عن خط المغرب بخمس وثمانون درجة، وعن خط الاستواء ثمان وثلاثون درجة<sup>12</sup>، وهي تشمل المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم مما يلي مرو إلى الشمال الشرقي من نهر جيحون عند آمل حيث معبر الطريق إلى بخارى<sup>13</sup>، أما المسافات بين مرو

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 93.

2- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 54.

3- المرجع نفسه، ص 58.

4- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 363-364.

5- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص 28.

6- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 55.

7- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص 21.

8- رفاة تقي الدين، المرجع السابق، ص 15.

9- المصدر السابق، ص 269.

10- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 364.

11- المصدر السابق، مج 5، ص 112-113.

12- ابن الحسين إسحاق، المصدر السابق، ص 74.

13- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 28-29.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الشاهجان وغيرها من حواضر خراسان، فالمسافة بين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا اثنان وعشرون منزلا<sup>1</sup>، وهي في أرض مستوية بعيدة من الجبال فلا يرى منها جبل بالقرب وليس في شيء من حدودها جبل وأرضها سبخة كثيرة الرمال وأبنيتها من طين<sup>2</sup>، وهي كثيرة الأعناب والحبوب والحمام<sup>3</sup>، خصوصا أنها تقع على نهر المرغاب<sup>4</sup>، وحدها من المشرق شاطئ جيحون، وفي الجنوب حدود الترمذ والبحر، وفي الشمال أوائل دروب خوارزم وفي المغرب أول حد سرخس<sup>5</sup>، ويرى البلديون أنَّ المدينة القديمة تعود إلى ذي القرنين<sup>6</sup>، الذي بناها ودعا لها بالبركة وأن لا يصاب أهلها بسوء<sup>7</sup>، وكانت مرو الشاهجان تعرف بمرو الكبرى والنسبة إليها مروزي، تميزا لها عن مرو الروذ، وهي مرو الصغرى الواقعة على بعد مائة وستين ميلا، فوق مرو الكبرى والنسبة إليها مروروذي<sup>8</sup>، وجغرافيتها ليست ببعيدة عن جغرافية نيسابور<sup>9</sup>، أما قهندزها قهندزها فقد بناه طهمورث، كما أنَّ لها ثلاثة مساجد الجمعات، فأما أول مسجد أقيمت فيه الجمعة، فمسجد بني داخل المدينة في أول الإسلام، فلما كثر الإسلام بني المسجد المعروف بالمسجد العتيق على باب المدينة ويصلي فيه أصحاب الحديث، وبني من بعد ذلك المسجد الذي على ماجان، ويقال أنَّ ذلك المسجد والسوق ودار الإمام من بناء أبي مسلم ودار الإمارة على ظهر هذا المسجد، وفي هذه الدار قبة بناها أبو مسلم كان يجلس فيها، وفيها يجلس أمراء مرو. وبها قهندز خراب ومقداره مقدار مدينة وهو مرتفع وقد سيقَّت إليه قناة ماء يجري فيه<sup>10</sup>. ومرو بلد له أرباع معروفة الحدود ولأرباعه أنهار معروفة، فمنها نهر هرمزفر، وهو عليه أبنية كثيرة من البلد وهو مما يلي سرخس<sup>11</sup>، وفي شرقه نهر الماجان، ثم نهر الرزيق وآخرها نهر أسعدي<sup>12</sup>، وعلى المدينة والأنهار الأربعة سور يحيط بها، ويحيط بالمدينة ورساتيقها سور آخر<sup>13</sup>، وللمدينة أربعة أبواب: باب المدينة يلي الجامع، باب سنجان من الوجه

1- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج 5، ص 113.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 364.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص 262.

4- نهر المرغاب، هو نهر رزيق، الحميري، المصدر السابق، ص 534.

5- المصدر نفسه، ص 532.

6- رفاه تقي الدين، المرجع السابق، ص 15.

7- الحميري، المصدر السابق، ص 532.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 29-30.

9- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص 55.

10- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 364.

11- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 364.

12- الاضطخري، المصدر السابق، ص 258.

13- المصدر نفسه، ص 258.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الآخر، باب بالين، باب درمشكان عليه كان قصر المأمون<sup>1</sup>، وأكثر شرب أهلها منها، أما مناخ مرو فهو شديد الحرارة الحرارة في الصيف، وشديد البرودة في الشتاء كثير الثلوج، ومياهها قليلة<sup>2</sup>.  
ولـ "مرو الشاهجان" قرى ومدن كثيرة منها<sup>3</sup>: سنج<sup>4</sup>، دندانقان<sup>5</sup>، ومدينة كشميهين أو كاشمهن<sup>6</sup>، وآمل<sup>7</sup>، بالإضافة إلى كاشمهن<sup>6</sup>، وآمل<sup>7</sup>، بالإضافة إلى بهرمزفره وجيرنج والقرنين وباشان وخرق وسوسقان<sup>8</sup>، وصهبة و كيرنك وسنك وعبادي<sup>9</sup>. نالت مرو شهرة واسعة في إنتاج السمسم، كما يكثر فيها الحنطة والشعير<sup>10</sup>، حتى قيل "إنها أطيّب بلاد خراسان أطعمة"<sup>11</sup>، كما تميزت مرو بأراضيها الخصبة لزراعة القطن المعروف بجودته ولينه في أنحاء الإقليم، وتعد مرو بلد اليابس من الفواكه وخاصة الزبيب الذي يفضل على سائر الأماكن لامتيازته بالطعم والجودة وكذلك موصوفة بكثرة أعنابها. أما في مجال الصناعة فإن مرو قد اختلفت بصناعة الأنسجة القطنية والصوفية، فكانت ثيابها المنسوجة منه من أفخر الثياب وخاصة الملاحم، فكان العرب يسمون كل ثوب صفيق يحمل من خراسان "المروي" وكل ثوب رقيق يجلب منها "الشاهجان" وهي من أرقى الملاحم، كما قيل إن مرو جيد الثياب الموصوفة من ثياب خراسان، ويبدو أن الثياب المروية من ألبسة الأرستقراطية، واشتهرت مرو بصناعة الحرير والبريسم لوجود القرّ الكثير بها، وهي التي تنسج منه المقانع. وفي مجال الصناعة الجلدية، فإن صناعة مرو في الركب المروزية الشهيرة، والأحذية والسراجة والمكاعب والجعباب والمداسات قد عرفت بها، وخاصة عائلة الداغوني فيها. هذا إلى

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص364.

2- جيهان بنت سعيد الراجحي، المرجع السابق، ص55.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص30.

5- سنج: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره جيم: من أعظم قرى مرو الشاهجان على نهر هناك يكون طولها نحو الفرسخ إلا أن عرضها قليل جدا، بنيت دورها على النهر ثم صارت مدينة عظيمة، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج3، ص264.

5- دندانقان: مدينة ذات سور ارتفاعه خمسمائة قدم. وهي وسط المفازة وخارجها خان لنزول القوافل. ينظر: مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص118.

6- كاشمهن: من أعمال مرو، ينظر: المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

9- آمل: وهي ست مراحل من مرو على نهر جيحون وهي مجمع طرق خراسان إلى ما وراء النهر، ولها ماء حار وبساتين و زروع، بينها وبين مرو رمال صعبة وتسمى أيضا آمو، وآموية، وآمل جيحون، وآمل شط، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص77، الاصطخري، المصدر

السابق، ص157، ليسترنج، المرجع السابق، ص446.

8- ابن حوقل، المصدر السابق، ص265-266.

9- المقدسي، المصدر السابق، ص260.

10- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص31.

11- الاصطخري، المصدر السابق، ص149.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

جانب صناعة مرو في المكائس وأنواع الإنتاج من الحديد وصناعة الزجاج والمري، ومرو من مدن خراسان في صناعة الملابس والسكريات<sup>1</sup>.

وكانت مرو معسكر الإسلام في أول الإسلام ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين، لأن يزيدجرد ملك الفرس قتل بها في طاحونة الزرق ومنها ظهرت دولة بني العباس، وفي دار أبي النجم المعيطي صبغ أول سواد ولبسته المسودة<sup>2</sup>، ثم أضحت مرو عاصمة الدولة العباسية في عهد المأمون (198هـ-218هـ) مدة سبع سنين (198هـ-205هـ)<sup>3</sup>.

**ج- هراة:** تعد هراة ثالث أرباع خراسان، الذي يحتل القسم الجنوبي<sup>4</sup>، ويقع هذا الربع برمته حالياً في شمال غرب أفغانستان وما تزال تعرف باسمها القديم<sup>5</sup>، وهراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان<sup>6</sup>، تقع على نهر يسمى باسمها، والذي ينبع من جبال الغور ويجري من الشرق إلى الغرب ماراً بمدينة هراة فمدينة بوشنج ثم ينعطف شمالاً إلى سرخس حيث تفنى مياهه في المفازة الواقعة إلى الشمال منها<sup>7</sup>. والمدينة في منطقة جبلية على درجة عالية من الارتفاع ويحدها من الشمال باذغيس ومن الجنوب فراه، ومن الشرق بلاد الغور، ومن الغرب بوشنج، كما تمتد في واد نضر يرويه نهر هراة "هريرود"، لذا تمتعت بموقع جغرافي ممتاز كان له أثر واضح على إنعاش اقتصاديات هراة<sup>8</sup>، وهي ضمن الإقليم الخامس<sup>9</sup>.

حيث تبلغ مساحتها مقدار نصف فرسخ<sup>10</sup>، أما طولها فهو ثلاثون ميلاً وعرضها خمسة عشر ميلاً<sup>11</sup>.  
لقد أطنب الجغرافيون المسلمون في الإشادة بمدينة هراة، يقول الحموي: "...لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة 607هـ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلاً منها، وفيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص31.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، ص365.

3- عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010، ص85.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص32، الثامري، المرجع السابق، ص33.

5- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج5، ص396.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص32.

8- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص29-30.

9- بن الحسين إسحاق، المصدر السابق، ص77.

10- ابن حوقل، المصدر السابق، ص366.

11- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص30.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وإصلاحات-

وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثناء...<sup>1</sup>، وكذلك القزويني وصفها بأنها "مدينة عامرة من مدن خراسان ما كان بخراسان مدينة أجل ولا أعمر ولا أحسن ولا أكثر خيرا منها"<sup>2</sup>، وأشاد ابن رسته بعظمة هراة وعمارتها<sup>3</sup>، فقال: "مدينة هراة عظيمة وحواليها دور وفي رساتيقها أربع مائة قرية كبار وصغار، وفيما وصغار، وفيما بين هذه القرى سبع وأربعون دسكرة تشتمل كل دسكرة على عشرة أنفس إلى عشرين نفسا ولها من الأرجاء ثلثمائة وأربع عشرون..."<sup>4</sup>، أما الحميري فقد قال عنها: "...وهي مدينة عامرة لها ريبض محيط بها من جوانبها، وداخلها مياه، والنهر جار على باب المدينة وعليه قنطرة وعلى سائر أبوابها مياه جارية وبساتين،... وفي هراة قهندز ومسجد جامع ودار الإمارة خارج الحصن بمكان يعرف بخراسان أباد منقطع عن المدينة.... ولها أربعة أبواب: منها باب من ناحية الشمال يخرج منه إلى بلخ يعرف بباب سراي، والمسجد الجامع في المدينة وحوله الأسواق..."<sup>5</sup>، ولا ننسى الأديب الزوزني الذي قال في سحرها وجمالها:

هراة أرعت مقامي بها شتى فضائلها الوافرة

نسيم الشمال ولعنا بها ولعين غزلها الساحرة<sup>6</sup>.

أما المقدسي فقد بين ما لهرآة من مكانة رفيعة بين مدن المشرق بوفرة خيراتها، وطيب غلاتها<sup>7</sup>، فقال: "هراة قصبة جليلة هي بستان هذا الجانب معدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة، أهلة عامرة حسنة السواد مشتبكة العمارة جليلة القرى، (وأهلها) أهل أدب وبلاغة وظرف ودراية، من عندهم تحمل صنوف الحلوات وبزهم يحمل إلى الأقاليم والأطراف حصينة طيبة..."<sup>8</sup>.

1- المصدر السابق، مج5، ص396.

2- المصدر السابق، ص281.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص32.

4- ابن رسته، المصدر السابق، ص173.

5- المصدر السابق، ص594-595.

6- القزويني، المصدر السابق، ص481.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص33.

8- المقدسي، المصدر السابق، ص267.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

ومن مدن هرة: كروخ<sup>1</sup>، وأوفه<sup>2</sup>، و مالن<sup>3</sup>، وخيسار<sup>4</sup>، و استريان<sup>5</sup>، و ماراباذ<sup>6</sup>، وباشان، وباسفزار وهي أربع مدن؛ كواسان و كواران و كوشك وإدرسكن وهي متقاربة في الكبر ولها مياه وبساتين، بالإضافة إلى بوشنج التي تحتوي على عدد من المدن؛ خرکرد وفرکرد و كره، وهناك كوسره وباذغيس بها كوه و كوغباذ وبست وجاذوا و كابرون و كالون ودهستان<sup>7</sup>.

لقد اشتهر ربع هرة بزراعة الفستق والحنطة وعرفت بزراعة قصب السكر، وإنتاجها لصنوف الحلوات<sup>8</sup>، كما وصفت هرة بأنها معدن الأعناب الجيدة، والفواكه النفيسة، وهي مشهورة بالكشمش "الطائفي والكشمهاني"<sup>9</sup>، وفي الكشمهاني<sup>9</sup>، "وفي مدنها ورسايقها يذكر مائة وعشرون لونا من الأعناب وفيها صنفان لا يوجد في جهة أخرى هما: البريتان والكلنجري"<sup>10</sup>. وهرة مشهورة بصناعة أنواع من الأنسجة الهروية المعروفة كما تصنع فيها البز الكثير والديباج والكرايس والمبارم والحواصل التي هي في غاية في الجودة، وفيها أيضا صناعة طرائف الصفريات والأعمدة الهروية المشهورة. وتعد هرة من بين أرباع خراسان المشهورة في صناعة الحلوى وفيها يعمل العنجد الأخضر ودوشاه وناطفة والبولاذ وأكثر حلالات خراسان وكذلك شراب الكشمش والزبيب الطائفي اللذان يحملان منها الأواني والأقاصي<sup>11</sup>.

فتحت مدينة هرة على يد الأحنف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه<sup>12</sup>، حيث وجه ابن عامر جيشا إلى هرة عليه أوس بن ثعلبة بن رقي، فبلغ عظيم هرة ذلك فشخص إلى ابن عامر وصالحه على هرة وباذغيس وبوشنج باستثناء طاغون وباغون فإنهما فتحا عنوة<sup>13</sup>.

1- كروخ: هي أكبر مدن الكورة ذات مياه وبساتين، ينظر: المقدسي، المصدر السابق، ص267.

2- أوفه: صغيرة والجامع في محله سيبدان بناؤهم طين وهي بين جبلين سعة رستايقها عشرون فرسخا، كلها بساتين مشتبكة ومياه جارية وقرى عامرة، ينظر: المصدر نفسه، ص267.

3- مالن: تكون نحو أوفه لها بساتين ومياه وبنائهم طين، ينظر: المصدر نفسه، ص267.

4- خيسار: متوسطة قليلة الأشجار والمياه وهي أصغر من مالن، ينظر: المصدر نفسه، ص267.

5- استريان: ذات مياه جارية وبساتين قليلة الغالب عليهم المزارع وهي في الجبال، ينظر: المصدر نفسه، ص267.

6- ماراباذ: أصغر من مالن كثيرة البساتين غزيرة المياه خصبة نزهة، ينظر: المصدر نفسه، ص267.

7- ابن حوقل، المصدر السابق، ص368.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص34.

9- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

10- ابن حوقل، المصدر السابق، ص367، الاصطخري، المصدر السابق، ص266-267.

11- المقدسي، المصدر السابق، ص279، بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص34.

12- بن الحسين إسحاق، المصدر السابق، ص77.

13- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص64.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

**٢- مدينة بلخ:** بلخ بفتح الباء الموحدة وسكون اللام في آخرها خاء<sup>1</sup>، وهي رابع أرباع خراسان، وآخرها الذي يمثل القسم الشرقي وهو أعظم ربع فيه<sup>2</sup>، خاصة أنَّ بلخ مدينة كبيرة ونزهة<sup>3</sup>، وهي مدينة خراسان العظمى<sup>4</sup>، نظرا لما لما كانت تتمتع به من أهمية دينية منذ ما قبل الإسلام<sup>5</sup>، فقد أشار ابن الفقيه إلى وجود معبد بها يسمى النوبهار بناه البرامكة<sup>6</sup>، جعلها تحظى بهذه المكانة الكبيرة، وبشهرة واسعة، لذا ذكر المقدسي أنَّ اسمها في كتب الأعاجم بلخ البهية<sup>7</sup>، "...وهي مدينة تاريخية قديمة، كانت عاصمة (إيرانا) القديمة وكانت تحمل اسم (باكتريا)، وتقع على نهر يعرف باسمها حيث تصل قناة (إيسكاباد)، وهي إلى الغرب من مدينة (مزار شريف) على مسافة مائة كيلومتر منها تقريبا، وتعرف المقاطعة اليوم باسمها على الرغم من أنَّ حاضرتها مدينة (مزار الشريف)"<sup>8</sup>، تقع بلخ في الإقليم الخامس، طولها مائة وخمس عشرة درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة<sup>9</sup>، وهي في شمال هراة بالقرب من نهر جيحون<sup>10</sup>، كما تعتبر بلخ مدينة جليلة مثل مرو وهراة، وهي في مستواة وبينها وبين أقرب الجبال إليها نحو أربع فراسخ<sup>11</sup>، وقد أشار المؤرخون المسلمون إلى أنَّ مدينة بلخ كانت في العصر الساساني مركزا لأحد المرازية الأربعة الذين تولوا شؤون خراسان حيث لم تكن سيادة الساسانيين فعلية على تلك المنطقة وخاصة منذ القرن السابع على أقل تقدير<sup>12</sup>.

أما عن بناء مدينة بلخ، فقدت تعددت الروايات المشيرة لذلك<sup>13</sup>، منها ما قاله ابن الفقيه: "...ويقال إنَّ الهراسف بنى بلخ وعمرها وخرب مدينة بيت المقدس.... ويقال إنَّ الاسكندر بنى بلخ وقيل إنه

1- أبو الفداء، المصدر السابق، ص46.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص35، الثامري، المرجع السابق، ص34.

3- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص121.

4- الحميري، المصدر السابق، ص96.

5- الثامري، المرجع السابق، ص34.

6- المصدر السابق، ص617.

7- المصدر السابق، ص263.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص35.

9- الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج1، ص479.

10- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص31.

11- ابن حوقل، المصدر السابق، ص373.

12- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص35.

13- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، الحياة العلمية في بلخ خلال الفترة (25هـ-617هـ/820م-1220م)، دراسة مقدمة للحصول على

درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، 1434هـ/2013م، ص18.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

مات (فيها)"<sup>1</sup>، كما امتدحها كثير من المؤرخين ووصفوها بشتى النعوت<sup>2</sup>، يقول الثعالبي عنها: "إحدى أمهات خراسان، من أقدم البلاد وأخصها بالملوك، ويقال إنَّ في بلخ شبيها من العراق، وخراسان، والهند"<sup>3</sup>، أما ابن حوقل فيقول: "وهي مدينة قديمة أزلية تجمع جميع التجارات وتقصد بالأمتعة من سائر الجهات، وفي أهلها علم ويغلب عليهم الأدب ودقة النظر في الفقه والعلوم الغامضة وقد خرجت غير رئيس وعرف من أهلها غير نفيس"<sup>4</sup>، ويصف ياقوت الحموي بقوله: "بأنها من أجل مدن خراسان وأشهرها وأذكرها وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان، وإلى خوارزم..."<sup>5</sup>، وأنشد الشعراء فيها الأشعار لطيب موقعها، يقول يحيى بن معاذ الرازي<sup>6</sup>:

رحلنا غدوق عن أهل بلخ على بلخ وما كنما السلام

أقمنا ما أقمنا في سرور وخين، إنهم قوم كرام

إذا رمت المقام بأرض قوم ففي بلخ يلحى لك المقام<sup>7</sup>.

وكان يحيط بقرى بلخ وضياعها ومزارعها سور عظيم فمن باب من أبواب السور الذي يحيط بالمزارع القرى إلى الباب الذي بإزائه اثنا عشر فرسخا وليس خارج السور عمارة ولا ضيعة ولا قرية وإنما خارجها الرمال ولهذا السور الأعظم الذي يحيط بأرض بلخ اثنا عشر بابا وللسور الثاني الذي يحيط بربض المدينة أربعة أبواب من السور الأعظم إلى السور الثاني خمسة فراسخ وفي الربض النوبهار، وهي منازل البرامكة ومن باب سور المدينة إلى الباب الذي بإزائه فرسخ فكان مساحة المدينة ثلاثة أميال في ثلاثة أميال وبلخ سبعة وأربعون منبرا<sup>8</sup>، وقد بني سور المدينة المدينة كباقي الأبنية من الطين، وكان المسجد الجامع في وسط المدينة تحيط به الأسواق بشكل دائري من جميع نواحيه، وهو على ضفة نهر متوسط مقدار ما يدير ماؤه عشرة أرجاء يجري على باب النوبهار ويسقي الرساتيق<sup>9</sup>، وحازت بلخ مكانة أطمعت الملوك والفاخرين فيها، إلا أنها بقيت تقاوم بطشهم صامدة لتقلبات الدهر

1-المصدر السابق، ص616.

2-إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص18.

3-المصدر السابق، ص18.

4-المصدر السابق، ص374.

5-المصدر السابق، مج1، ص479.

6-إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص18.

7-الثعالبي، المصدر السابق، ص203-204.

8-اليعقوبي، المصدر السابق، ص288.

9-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص35.

## - الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات.

حتى أتاها الفتح الإسلامي، ولمكانتها الجلييلة تلك فقد أطلقوا عليها ألقاباً منها: "قاعدة خراسان" و"أم الدنيا" و"أم البلاد" و"أم المدائن"، أما في الإسلام فقد لقبوها "قبة الإسلام"، وقد امتد عمرها امتداداً عظيماً، وسكنها أشرف من العراق وتركستان والهند والشام وطخارستان<sup>1</sup>، والجدير بالذكر أنَّ كورة بلخ تشمل أراضي واسعة، ومعظمها عامرة بالمدن والقرى وأهلة بالسكان، وقد بلغت قمة مجدها وازدهارها خلال فترات الحكم المتعاقبة عليها، وبناءً على هذا فإنه من الصعوبة بمكان تحديد المدن والقرى والكور التابعة لمدينة بلخ تحديداً دقيقاً، وكذلك تحديد حدودها، ذلك وفقاً للتطورات السياسية المتعاقبة عليها، واختلاف المصادر في تحديد المدن والقرى والكور التابعة لها<sup>2</sup>.

تضم مدينة بلخ مدنا وقرى ورساتيق عامرة تتبع بلخ في الإدارة، وقد اختلفت المصادر في ذكر المدن والرساتيق التي تضمها<sup>3</sup>، ومن مدنها: أشفورقان، سليم، كركو، جا، منر، برواز، ومن نواحيها: طخارستان التي تضم كل من ولوالج، الطالقان، فلم، غرينك، سمنجان، اســـــــــــــــكلكند، رؤب، بغلان الســـــــــــــفلى، بغلان العليا، اسكميشث، روان، آرهن، أندراب، خست، سراي، عاصم. وناحية الباميان بها كل من بسغورفند، سكاوند، لخراب، ولـ "بلخ" أيضا من الرستاق: بدخشان، بنجهير، جاربايه، بروان، جميعهن مدن جلييلة وأعمال واسعة<sup>4</sup>.

عرفت بلخ بكثرة المحاصيل الزراعية كالسمسم ودهنه، والجوز واللوز والفستق والأرز والحمص وقصب السكر وجميع أنواع الخضروات، إضافة إلى الفواكه من الزبيب والعنب والتين والرمان والبرتقال وسائر الحمضيات والتوابل<sup>5</sup>، وفي مجال الثروة الحيوانية توصف بلخ بأنفس الدواب وتشتهر بالنوق البخاتي والبقر والغنم التي لا نظير لها لها في قطر من الأقطار<sup>6</sup>، كما تحتوي بلخ على نفائس المعادن وأندرها، فقد ذكر ابن خرداذبة وجود أجود أنواع الذهب وأصفاه وأحمد<sup>7</sup>، بالإضافة إلى الكبريت والرصاص وإسبرك والزرنخ<sup>8</sup> والنحاس والزبيق<sup>9</sup>، والفضة كما استخرجوا الجواهر واللازورد والبياقوت وكثيرا من المعادن الثمينة والأحجار الكريمة<sup>10</sup>.

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 36.

2- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 19.

3-المصدر نفسه، ص 30.

4- المقدسي، المصدر السابق، ص 260-261.

5- المصدر نفسه، ص 279-280، بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 37.

6- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 37.

7-المصدر السابق، ص179.

8- المقدسي، المصدر السابق، ص 279.

9- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 289.

10- الثامري، المرجع السابق، ص 34.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

أما الصناعة فلبخ أيدي باسطة في صناعة البرود ودباغة الجلود وصناعاتها والصابون والسمن والأذهان، والرماح، وصقل المصنوعات الحديدية كالسيف والمرآة والدروع. إضافة إلى صناعة الحلويات والمربيات كالزبيب والعنجد والعسل الشمسي المصنوع من العنب والتين ولب الرمان<sup>1</sup>، "...وبدل هذا التنوع في الصناعات الصناعات على الدور الكبير الذي تلعبه الأسواق في المدينة الخراسانية بصفتها عنصرا أساسيا لترويج سلع تلك النواحي، بل هي المجال الحيوي للنشاط المالي. يؤدي بالضرورة إلى رخاء المدينة وازدهارها اقتصاديا واجتماعيا ومن ثم تصبح مركزا حضاريا تزدهر فيه العلوم والمعارف والثقافات المختلفة..."<sup>2</sup>. وهكذا يتضح لنا أهمية بلخ البوابة الشرقية لإقليم خراسان والتي أفاض المقدسي في ذكر بمائها وجمالها<sup>3</sup>، بقوله: "...ثم انظر إلى بهاء بلخ وحسن موقعها وسعة طرقها وبهجة شوارعها وكثرة أنهارها والتفاف شجرها وصفاء مائها وإشراق قصورها وسور مدينتها ومسجد جامعها وإحكام صنعتها وجلالة موضعه ليس بإقليم العجم مثلها حسنا ويسارا..."<sup>4</sup>، وقد عرفت بلخ تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية خلال العصر السلجوقي، سنسلط الضوء على الأدوار التي لعبتها في هذا العصر.

### 2-3- إقليم بلاد ما وراء النهر

يعتبر إقليم ما وراء النهر أو آسيا الوسطى أو بلاد التركستان أو ما يعرف عليه اليوم بالجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي السابق، من أهم أقاليم العالم الإسلامي، إذا مثل هذا الإقليم أحد الروافد التجارية الهامة للعالم كله بوقوعه على أهم طريق تجاري آنذاك وهو طريق الحرير العظيم الذي كان يحمل تجارات الشرق كله من الصين مروراً بما وراء النهر حتى خراسان والعراق وأوروبا والهند وغيرها<sup>5</sup>.

**-التسمية:** ما وراء النهر تسمية أطلقها الجغرافيون المسلمون على هذه المنطقة، يقول ياقوت الحموي: "ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر..."<sup>6</sup>، لذا اعتبروا-أي الجغرافيون المسلمون-نهر جيحون الحد الفاصل بين خراسان وما وراء

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص38.

2- المرجع نفسه، ص38.

3- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص32.

4- المصدر السابق، ص263.

5- ذهبية عاشور أبو بكر قري، إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي في الفترة من 429هـ-558هـ/1037م-1162م، أطروحة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، فرع التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق، 1429هـ-1430هـ/2007-2008م، ص05.

6- المصدر السابق، مج5، ص45.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

النهر<sup>1</sup>، وأطلقوا هذه التسمية على المناطق الواقعة في حوض نهر جيحون (أموداريا Amoudarya)، وسيحون (سيرديريا Siradarya)، اللذين وصفوهما بأوصاف عديدة من أهمها: أنهما يجمدان في الشتاء لدرجة تصبح الملاحاة فيهما خطرة أو مستحيلة، ويجفر الناس الآبار في الثلج للحصول على الماء<sup>2</sup>، كما سميت بلاد الهياطلة<sup>3</sup>، وبلاد توران<sup>4</sup>، ولم يدخل الجغرافيون بلاد ما وراء النهر ضمن تركستان، لأنهم يقصدون بهذا الاسم بلاد الترك عامة، أي المنطقة التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين، حيث سكنها البدو الرحل من الترك والمغول<sup>5</sup>. وقد فرق بارتولد بين مفهوم "بلاد ما وراء النهر" و"تركستان"، فما وراء النهر عنده هو تلك المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهر جيحون وسيحون، ولم تكن هذه المنطقة في مفهوم الجغرافيين المسلمين - كما يقول - تدخل ضمن تركستان، بل إن تركستان هي الأصقاع المترامية الأطراف والممتدة بين بلاد الإسلام ومملكة الصين، وتقطعها القبائل المترحلة من الترك والمغول، ويتفق ليسترنج مع بارتولد في دلالة ما وراء النهر، إذ يصفها بالمنطقة الخصبة بين نهر جيحون وسيحون<sup>6</sup>.

وفي السياق ذاته حدد الجغرافيون المسلمون حدود ما وراء النهر، فقد حددها صاحب كتاب حدود العالم من المشرق إلى المغرب، بقوله: "بلاد يحيط بها من شرقيها حدود التبت، ومن جنوبيها خراسان والمناطق التابعة لها؛ ومن غربيها الغوز وحدود الخلق، ومن شماليها حدود الخلق أيضا..."<sup>7</sup>، أما ابن حوقل الذي حصر حدودها كما يلي: "وأما ما وراء النهر وما يحيط به من شرقيه فغامر والراشت وما يتاخم الختل من أرض الهند على خط مستقيم، وغريه بلاد الغزية والخرلخية من حد الطراز ممتدا على تقويس حتى ينتهي إلى باراب وستكند وسغد سمرقند ونواحي بخارا إلى خوارزم حتى ينتهي إلى بحيرتها، وشماليها الترك الخرلخية من أقصى بلد فرغانة إلى الطراز على خط مستقيم، وجنوبه نهر جيحون من لدن بذخشان إلى بحيرة خوارزم على خط مستقيم..."<sup>8</sup>، ثم يضيف ابن حوقل سبب اعتبار خوارزم والختل من بلاد ما وراء النهر بقوله: "...وخوارزم والختل في ما وراء النهر لأن الختل بين هنر وخشاب وخراب وعمود جيحون وخراب

1- الثامري، المرجع السابق، ص22.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص38.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص240.

4- بلاد توران: بالراء، والألف، والنون، بلاد ما وراء النهر بأجمعها تسمى بذلك، ويقال لملكها تورانشاه، ينظر الحموي، المصدر السابق، مج2، ص57.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص39.

6- الثامري، المرجع السابق، ص23.

7- المصدر السابق، ص126.

8- المصدر السابق، ص381.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

وما دونه من وراء النهر وخوارزم مدينتها وراء النهر، وهي إلى مدن ما وراء النهر أقرب منها إلى مدن خراسان وقد كررت ذلك مرارا فيما تقدم...<sup>1</sup>، وتتباين التضاريس في بلاد ما وراء النهر تباينا واضحا، فتوجد الجبال والهضاب والسهول والصحاري، ثم توجد الأنهار الكبيرة التي تجري في الصحاري، إضافة إلى سقوط الثلج في بعض المناطق، وتبعاً لهذا التباين في التضاريس يحدث تباين في المناخ فتكون المنطقة قليلة الأمطار، شتاؤها بارد، وصيفها حار قياساً إلى المناطق التي تقع إلى الشمال<sup>2</sup>، وكانت بلاد ما وراء النهر تسمى "تركستان الغربية" وهي اليوم تمثل الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الاتحاد السوفييتي المنهار، بعد احتلال لها دام أكثر من ستين عاماً، وهذه الجمهوريات هي:

- **أوزبكستان**: وتقع في الجزء الشرقي من الاتحاد السوفييتي السابق، وتشترك حدودها مع أفغانستان<sup>3</sup>، وتبلغ مساحة هذه الجمهورية حالياً حوالي 447 ألف كيلومتر مربع<sup>4</sup>.

- **طاجيكستان**: ويحدها من الغرب والشمال "أوزبكستان" ومن الشرق "تركستان الشرقية".

- **تركمانستان**: (تركمانيا) وتقع غرب أوزبكستان<sup>5</sup>، تبلغ مساحة تركمانيا 445 ألف كيلومتر مربع، وأغلب هذه المساحة ضمن صحراء قره قورم، حيث الأنهار كثيرة، والسلاسل الجبلية، فضلاً عن المناطق السهلية التي تكثر فيها الحشائش<sup>6</sup>.

- **قيرغيزيا**: وتحيط بها جمهوريات أوزبكستان وتركمانستان، كما تحيط بها الصين من الجنوب الشرقي<sup>7</sup>، تبلغ مساحة قيرغيزيا حالياً 198.50 كيلومتر مربع، وحدير بالذكر أنَّ هذه الجمهورية هي إقليم فرغانة الذي كان يعرف بخانية خوقند. عدد المسلمين 2.729.003 ويمثلون نسبة 92 بالمائة<sup>8</sup>.

---

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 381.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 39.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- يسري عبد الرزاق الجوهري، جغرافية الشعوب الإسلامية، ص 269، نقلاً عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 40.

6- محمود شاكر، تركستان الغربية، ص 88.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 40.

8- محمود أبو العلا، جغرافية العالم الإسلامي، ص 62، نقلاً عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

-**قازاخستان:** وتقع شمال أوزبكستان<sup>1</sup>، تبلغ مساحة قازاخستان 2.300.717 كيلومتر مربع. وهذه الجمهوريات تعد المداخل الطبيعية لسهول سيبيريا<sup>2</sup>.

قام المقدسي بتقسيم إقليم بلاد ما وراء النهر إلى ست كور وأربعة نواح هي: فرغانة-إسبيجاب-الشاش-أشروسنة-الصغد-بخارى، أما النواحي هي: إيلاق-كش-نسف-الصغانيان<sup>3</sup>.

وهناك تقسيم لإقليم ما وراء النهر اعتمده الجغرافيون المسلمون، ذكره ليسترنج بقوله: "وقد يكون من الملائم تقسيم هذه البلاد بين خمسة أقاليم، أجلها شأنًا كان الصغد، وهو صغديانا Sogdiana القديمة مع قصبته بخارا وسمرقند. وفي غرب الصغد: خوارزم، وهو الإقليم المعروف بـ "خيو" ويشتمل على دلتا نهر جيحون، وفي الجنوب الشرقي: الصغانيان ومعه الختل وغيرها من الكور الكبيرة... ثم إقليما نهر سيحون، وهما فرغانة في أعلى النهر وإقليم الشاش..."<sup>4</sup>.

لقد نالت بلاد ما وراء النهر نصيبها من وصف الجغرافيين المسلمين لها، حيث أبرزوا في مؤلفاتهم ما احتوته من أراضي وأنهار ومدن وقرى وبساتين وصناعات وأشجار، والسكان الذين يعمرونها، لذا أبدع الباكوي (ألف كتابه بين 806 هـ و 816 هـ / 1403 م و 1413 م)، وفي وصف بلاد ما وراء النهر قائلاً: "وهو من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً، وليس بها موضع خال من العمارة من مدينة أو قرية أو مزارع. هواؤها أصح الأهوية، ومياهها أعذب المياه، وترابها أطيب الأتربة. أهلها أهل الخير والصلاح في الدين والعلم والسماحة... ما نزل أحد إلا كأنه نزل بدار نفسه من غريب وبلدي، وهمة كل امرئ منهم على الجود وما ملكت يده من غير سابق معرفة وتوقع مكافأة، وإنَّ الغالب عليهم الرباطات وعمارة الطرق والوقف على سبيل الجهاد وأهل العلم، وجميع ما وراء النهر تغور من حدود خوارزم إلى فرغانة..."<sup>5</sup>، أما صاحب كتاب حدود العالم، فيصف بلاد ما وراء النهر بقوله: "...وهي بلاد عظيمة ذات نعم وفيرة بتركستان، يجتمع فيها التجار. وأهلها مقاتلون غزاة ورماة حسنو الديانة. وهي بلاد يسودها العدل. وفي جبالها معادن الذهب والفضة الكثيرة وجميع الجواهر التي يؤتى بها من الجبال، إضافة للعقاقير التي في الجبال كالنك والزنيخ والكبريت

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 40.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر السابق، ص 240-241.

4- المرجع السابق، ص 476-477.

5- الباكوي، تلخيص الآثار، ورقة 62أ-62ب، نقلاً عن الثامري، المرجع السابق، ص 23.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

والنوشادر...<sup>1</sup>، ويضيف المقدسي وصفاً آخر لبلاد ما وراء النهر بقوله: "اعلم أنَّ هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وفقها وعمارة ورغبة في العلم واستقامة في الدين وأشد باساً وأغلظ رقاباً وأدوم جهاداً وأسلم صدوراً وأرغب في الجماعات مع يسار وعفة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم. وعلى الجملة الإسلام به طري والسلطان قوي، والعدل ظاهر والفقيه ماهر والغني سالم والمحترف عالم والفقير غانم، قل ما يقحطون، منابر أكثر من أن توصف، ونواحيه أوسع من أن تنعت...<sup>2</sup>، واعتبرها الحموي "...من أنزه الأقاليم وأخصبها وأكثرها خيراً وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير والسخاء واستجابة لمن دعاهم إليه مع قلة غائلة وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة شوكة ومنعة وبأس وعدة وآلة وكراع وسلاح، فأما الخصب فيها فهو يزيد على الوصف ويتعاضد عن أن يكون في جميع بلاد الإسلام وغيرها مثله، وليس في الدنيا إقليم أو ناحية إلا ويقحط أهلها مراراً قبل أن يقحط ما وراء النهر... وليس بما وراء النهر موضع يخلو من العمارة من مدينة أو قرية أو مياه أو زروع أو مراعي لسوائهم، وأما مياههم فإنها أعذب المياه وأخفها فقد عمت المياه العذبة جبالها ونواحيها ومدنها...<sup>3</sup>."

لقد أفصحت هذه الأوصاف على ما زخرت به بلاد ما وراء النهر من مقومات النهوض الحضاري والاضطلاع بأدوار كبيرة ومؤثرة في منطقة المشرق الإسلامي، خاصة وأنها شكلت مركز الدولة السلجوقية وحاضرتها، ومنها كان تأسيس هذه الدولة، لذا سنبرز خصائص وأوصاف كل إقليم من أقاليم هذه البلاد كما يلي:

**أ- إقليم الصغد:** الصغد: بالضم ثم السكون، وآخره دال مهملة، وقد يقال بالسين مكان الصاد<sup>4</sup>، هو أهم إقليم يتصل بنهر جيحون من الشرق، بل يعد من أهم أقاليم ما وراء النهر على وجه العموم، لأنه يشمل أراضي خصبة واقعة بين نهري سيحون وجيحون، تسقى بنهر الصغد، وعليه تقع مدينتا "بخارى" و "سمرقند" والنهر الثاني: هو نهر أسرود المنساب حيال مدينتي كس ونسف<sup>5</sup>، والصغد "ناحية كثيرة المياه، نضرة الأشجار مؤنقة الرياض والأزهار ملتفة الأغصان تمتد مسيرة خمسة أيام، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها، ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة من سمرقند إلى قريب من بخارى"<sup>6</sup>، كما أنها أهلة بالسكان، يجري فيه نهر كبير هو

1- المصدر السابق، ص 126.

2- المصدر السابق، ص 240.

3- المصدر السابق، مج 5، ص 45-46.

4- الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 409.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 40-41.

6- البغدادى صفى الدين، مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد الجاوي، مج 2، بيروت، دار الجيل، ص 176-

177، القزويني، المصدر السابق، ص 543، الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 409-410.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

نهر الصغد (يسمى نهر بخارى) الذي تنهمر مياهه من جبال البتّم<sup>1</sup>، أما قصبه الصغد فهي مدينة سمرقند، وقيل هما صغدان: صغد سمرقند وصغد بخارى، وقيل جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق وصغد سمرقند ونهر الأبله وشعب بوان<sup>2</sup>. والصغد عبارة عن قرى متصلة، خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى، لا يتبين القرية حتى يأتيها لالتحاف الأشجار بها، وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار، متجاوبة الأطيّار، غزيرة الأنهار<sup>3</sup>.  
يقع إقليم الصغد في وسط مملكة ما وراء النهر، يحده من الشمال بلاد صغانيان وكش ونسف ومن الشمال الغربي خوارزم، ومن الجنوب طخارستان ومن الشرق خجند، ومن الغرب بخارى، ومن الجنوب الغربي خراسان يفصل بينهما نهر جيحون ومساحته ستة وثلاثون فرسخا في ستة وأربعين فرسخا أي ما يعادل 1656 فرسخا مربعا<sup>4</sup>، كما يضم إقليم الصغد مدنا أخرى غير التي سبق ذكرها منها: بيكند<sup>5</sup>، وكرمينية<sup>6</sup>، ودبوسية<sup>7</sup>، ولكن مدينتي سمرقند وبخارى تعد أهم كور هذا الإقليم، نظرا لأهميتها السياسية والفكرية، ويمكن القول أنّ الأولى كانت المركز السياسي للصغد، في حين كانت الثانية عاصمته الدينية، إلا أنّ كلا من المدينتين كانتا في مرتبة واحدة<sup>8</sup>، لذا سنفردهما بالحديث لمكانتهما الكبيرة.

**-سمرقند:** هي الحاضرة والعاصمة السياسية لإقليم الصغد<sup>9</sup>، وسمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران<sup>10</sup>، وكانت تعرف في العصور القديمة باسم: ماراقندا. وينسب بعض الأوروبيون هذه التسمية إلى الأصل القديم من الكلمة السنسكريتية Samarya أي: جمعية، وذكر أيضا أنها وردت في وصف مؤرخي حملات الإسكندر المقدوني (329 ق.م) باسم Mrknshs سمرقنس<sup>11</sup>، وقد ذكر قدامة بن جعفر والحموي أنّ الإسكندر ذو القرنين هو

1- العمري، مسالك الأبصار، ج1، ص84.

2- الحموي، المصدر السابق، مج3، ص409.

3- القزويني، المصدر السابق، ص543.

4- ميرفت رضا أحمد حسنين، الحياة الثقافية في إقليم الصغد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي (429هـ-617هـ/1032م-1220م)، مكتبة...، ص24-25.

5- بيكند: بلدة تقع بين بخارى ونهر جيحون، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص632.

6- كرمينية: بلدة تقع بين بخارى ونهر جيحون، ينظر: المصدر نفسه، مج4، ص518.

7- دبوسية: بلدة من إقليم الصغد بين بخارى وسمرقند، ينظر: المصدر نفسه، مج2، ص499.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص41.

9- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص21.

10- الحموي، المصدر السابق، مج3، ص246.

11- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص45.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الذي بنى مدينة سمرقند<sup>1</sup>، بينما يضيف أبو الليث السمرقندي تفسيراً آخر لمعنى كلمة سمرقند: "سمرقند كلمة مركبة مركبة من (سمر) و(قند) والمقطع الأخير هو كلمة فارسية معناها المدينة، والمقطع الأول وحده لم يتفق على معناه، على أن كلمة سمر بالتركية تفيد ما يوضع على ظهر الدابة من بردعة وما إليها لربط الأثقال والأحمال، فعلى ذلك يكون المقصود بكلمة سمرقند المدينة العالية لكونها مرتفعة على وادي الصغد كبردعة الدابة..."<sup>2</sup>. تقع سمرقند جنوب وادي الصغد مرتفعة عليه وبالتحديد على بعد 07 كلم جنوب الوادي<sup>3</sup>، وهي في الإقليم الرابع، وطولها تسع وثمانون درجة ونصف، وعرضها ست ثلاثون درجة ونصف<sup>4</sup>، وتبعد عن أشروسنة 26 فرسخاً، وبثلاثة وخمسون فرسخاً عن فرغانة<sup>5</sup>، وهي في أعلى النهر على نحو من 150 ميلاً من شرق شرق بخارى<sup>6</sup>، واليوم هي اسم إقليم ومدينة بجمهورية أوزبكستان، وقد قسمت سنة 1924م بين جمهوريات: طاجيكستان، وأوزبكستان، وتركمانستان<sup>7</sup>.

أما عن مساحة سمرقند، فكانت أرياض المدينة بما في ذلك المدينة نفسها، تشغل مساحة مقدارها ستة آلاف جريب، والمدينة تشغل خمسة آلاف جريب، بينما شغلت المدينة الداخلة (الشهرستان) ألفين وخمسمائة جريب<sup>8</sup>، كما جريب<sup>8</sup>، كما أن لها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات، وعليها سور تراب متسع<sup>9</sup>، يصفها المقدسي بقوله: "...بلد سري جليل عتيق، ومصر بهي رشيق، رخي كثير الرقيق، وماء غزير بنهر عميق. بناء قوي سني وثيق.... ذو رساتيق جلييلة ومدن نفيسة وأشجار وأنهار..."<sup>10</sup>، وأما سمرقند فيشتمل عليها حصن ولها أربعة أبواب: باب مما يلي المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن وجه الأرض ينزل عنه بدرج كثيرة العدد مطل على نفس وادي الصغد، ومما يلي المغرب باب النوبهار وهو على نشز من الأرض، ومما يلي الشمال باب بخارا، ومما يلي الجنوب كش وهي مدينة فيها أسواق كبار وفيها ما في المدن العظام من المحال والحمامات والخانات

1-قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص199، الحموي، المصدر السابق، مج3، ص246.

2-السمرقندي أبو الليث، خزنة الفقه وعيون المسالك، تحقيق صلاح الدين الناهي، مج1، بغداد، 1965م، ص10.

3-ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص26.

4-الحموي، المصدر السابق، مج3، ص247.

5-ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص29-30.

6-ليسترنج، المرجع السابق، ص506.

7-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص46.

8-ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص27.

9-الحميري، المصدر السابق، ص323.

10-المصدر السابق، ص248-249.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

والمساكن<sup>1</sup>، ولها مياه جارية تدخل إليها في نهر بعضه رصاص معلق وهو نهر قد بني عليه مسناة عالية من الأرض، وفي بعض المواضع بل في وسط السوق بناحية الصيارفة من حجارة يجري عليها الماء من الصفارين إلى أن يدخل المدينة من باب كش، ووجه هذا النهر رصاص كله وذلك حوالي المدينة مستغل لأنه استعمل طينه في سور البلد فبقي خندقا عظيما بحسب ما خرج منه من التراب والطين واحتيج إلى مسناة في هذا الخندق حتى يجري الماء إلى المدينة، وهو نهر قديم جاهلي في وسط أسواقها وموضع يعرف برأس الطاق من أعمر مواضع بسمرقند<sup>2</sup>، وأرباض بسمرقند<sup>2</sup>، وأرباض سمرقند تمتد بامتداد ضفة النهر، في بسيط من الأرض، وعليها سور نصف دائري طوله فرسخان، يحيط بها من ناحية البر، والنهر من ناحية الشمال؛ إحاطة القوس بالوتر، فيتم بذلك خط دفاعها<sup>3</sup>، وقد أشاد الجغرافيون بجمال سمرقند، وبهائنها، وكثرة بساتينها، وطيب هوائها، فوصفها الحصين بن المنذر الرقاشي فقال: "كانها السماء المخضرة، وقصورها الكواكب للإشراق، ونهرها المجرة للاعتراض، وسورها الشمس للأطباق"<sup>4</sup>، أما القرطبي فيقول عنها: "ليس على وجه الأرض أطيب ولا أنزه منها ولا أحسن، وهي تشبه بخارى بخارى في العمارة والحسن وبها قصور عالية شاهقة، ونهور دافقة تخترق أزقتها ودورها..."<sup>5</sup>، وقال أحمد ابن ابن واضح في صفة سمرقند:

علت سمرقند أن يقال لها زين خراسان جنة الكور  
 ليس أبراجها معلقة بحيث لا تستبين للنظر  
 ودون أبراجها خنادقها عميقة ما ترام من نهر  
 كأنها وهي وسط حائلها محفوفة بالكلال والشجر  
 بدر وأنهارها المجرة والأكمام مثل الكواكب الزهر<sup>6</sup>

وقال البستي:

للناس في آخرهم جنة وجنة الدنيا سمرقند

1- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 406.

2- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 406.

3- ليسترنج، المرجع السابق، ص 507.

4- الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 248.

5- كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت، منشورات عالم الكتب، 1978م، ص 352.

6- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 373.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

### يا من يسوي أرض بلخ بما هل يستوي الحنكل والقند<sup>1</sup>.

ذكر المقدسي مدن سمرقند بقوله: "ولها اثنا عشر رستاقا، ستة جنوبي النهر: بنجكت، ثم ورغسر ثم مايمرغ ثم سنجر فغن ثم الدرغم ثم أوفر فأما الشمالية فأعلاها: ياركث ثم بورنمذ ثم بوزماجن ثم كبوذنجكت ثم وذار ثم المرزبان في بعضها مدائن نصفها في الرساتيق وبقية مدن الكورة ريودد، أبغر، إشتيخن، كشاني، دبوسية، كرمينية، ربنجان قطوانة..."<sup>2</sup>، وأشار الحموي إلى عدة مدن بسمرقند مذكورة في مواضعها، منها: كرمانية ودبوسية وأشروسنة والشاش ونخشب وبناكث<sup>3</sup>. وتشتهر سمرقند بزراعة الحبوب وخاصة البندق والجوز، ولها من البساتين الكثيرة والمشجرة الخصيبة التي تنتج أنواع الفواكه وخاصة الأعناب والكروم. وفي الثروة الحيوانية فإن سمرقند لها شهرتها في النوق السمرقندية، بل إن أكبر أموالهم من المواشي، لكثرة مراعيها. أما بالنسبة للصناعة في سمرقند، فقد ساعدت وفرة المواد الخام بها وتنوع المعادن كالذهب والفضة، والنشادر والنحاس، والزئبق على تنوع الإنتاج الصناعي بها<sup>4</sup>.

كما اشتهرت سمرقند بالأخبية والركب والحكمات وسيور<sup>5</sup>، بالإضافة إلى تميزها بصناعة الورق الذي حل محل كواغد مصر وغيره<sup>6</sup>، لذا فأول ظهور للكاغد في الإسلام كان في سمرقند، صنعه هناك أسارى من الصين أسرهم الأمير زياد بن صالح في وقعة "أطلخ" سنة 134هـ<sup>7</sup>. ومن سمرقند انتقلت صناعة الورق إلى عاصمة الخلافة بغداد ومنها إلى أقاليم كثيرة من العالم الإسلامي<sup>8</sup>.

وفي السياق ذاته عرفت سمرقند بثياب سيمكون والسمرقندية والقذور العظيمة من النحاس والقماقم الجياد<sup>9</sup>، وكذا الجياد<sup>9</sup>، وكذا صقل المصنوعات الحديدية كالسيوف والدروع، إضافة إلى صناعة الأواني والزجاج، "وقد ساعد موقع سمرقند الاستراتيجي وكثرة مسالكها وتعدد أسواقها على تقدمها في مجال التجارة. فهي تقع على طريق تجاري هام، يربط بغداد بالشرق، وهو يمر شرقا بالمدن الواقعة على نهر ديبالي، ثم يسير إلى همذان فالري

1- الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 248.

2- المصدر السابق، ص 242.

3- المصدر السابق، مج 3، ص 248.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 48.

5- المقدسي، المصدر السابق، ص 325.

6- الثامري، المرجع السابق، ص 26.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 49.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9- المقدسي، المصدر السابق، ص 325.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

فيسابور فمرو، ويسير هذا الطريق إلى بخارى وسمرقند، وتتفرع من هذا الطريق طرق أخرى تربطه بالمدن التي تقع على مسافة منه. ولهذا الطريق أهمية كبيرة منذ العصور القديمة فقد تسلكه تجارة الصين البرية، وكان يسمى في القديم الطريق السلطاني، وقد ازدادت أهميته في العصور العربية الإسلامية لأنه يربط بغداد بالهضبة الإيرانية وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتقع عليه مدن لها أهمية كبيرة في الدولة العربية الإسلامية<sup>1</sup>.

**-بخارى:** مدينة بخارى مدينة كبيرة عامرة من بلاد ما وراء النهر ومقر ملك الشرق<sup>2</sup>، ويقال إنَّ أصل اسم بخارا "كوه خوران" وطرحت الهاء والواو للتخفيف فصارت كخارا ثم أبدلوا من الكاف باء ليوهموا على الناس فصارت بخارا<sup>3</sup>، أو أن يكون اسم بخارى أصله "بخر" وهو صيغة تركية، مغلبة للكلمة السنسكريتية "قهاره"، ومعناها: دير أو صومعة، وذكر المؤرخ الجويني أنه كان يوجد معبد في مدينة بخارى أو على مقربة منها في بلخ وسمرقند<sup>4</sup>، وأول نص صريح يشير إلى مدينة بخارى وجد في المصادر الصينية في القرن السابع الميلادي، لكن الاسم الأصلي للمدينة وجد على النقود مما يدل على أنَّ اسم مدينة بخارى استخدم منذ فترة تاريخية بعيدة<sup>5</sup>، ومن أسماء بخارى "بوجكث"<sup>6</sup>، علما أنه في نظر النرشخي لا يوجد "بخراسان كلها مدينة تعددت أسماؤها كبخارى"<sup>7</sup>.

وبخارى هي حاضرة الإقليم منذ عهد السامانيين، وتشير أقدم الكتب الجغرافية الخاصة ببلاد ما وراء النهر إلى أنَّ هذه المدينة كانت أيام ازدهارها تعد أعظم مدن العالم الإسلامي كله<sup>8</sup>، وتعد بخارى مدينة جميلة جدا، وليس في بلاد الإسلام بلد أجمل منها، فإذا علوت قلعتها، يقع بصرك على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء، فكأن السماء بها مكبة خضراء مكبوبة على بساط أخضر، تلوح القصور فيما بينها كالنوائر وأراضي ضياعهم منعوتة

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 49.

2- مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 126.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص 332.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 41.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 42.

6- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 398.

7- النرشخي أبو بكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارى، ترجمة وتعليق أمين عبد المجيد بدوي ونصر الطرازي، القاهرة، دار المعارف، 1965، ص 41.

8- فاميري، المرجع السابق، ص 25.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

بالاستواء كالمرآة<sup>1</sup>، بالإضافة إلى ذلك تعتبر بلدا واسعا يشف على المدن كبرا ومحاسن وكثرة أشجار<sup>2</sup>، كما تتكون كغيرها من مدن المشرق الإسلامي من:

1-القلعة(مقر الحكم)وتسمى قهندز.2-المدينة وتسمى شهرستان.3-الريض<sup>3</sup>.

"وهي مدينة في مستواة وبنائها خشب مشبك، ويحيط بهذا البناء المشتبك من القصور والبساتين والمحال والسكك المفترشة والقرى المتصلة ما يكون اثني عشر فرسخا في مثلها"<sup>4</sup>، تتوسط القلعة-القهندز-مدينة بخارى مثلها في ذلك مثل معظم مدن خراسان وما وراء النهر، وكانت هذه القلعة مقر أمراء السامانيين وفيها المسجد الجامع والخزانة والسجن وبيت الحريم، وعلى بوابتها الرئيسية دواوين الدولة المركزية العشرة التي أنشأها الأمير نصر بن أحمد<sup>5</sup>. ولها روض عريض طويل والمسجد الجامع بها على باب القهندز في المدينة والحبس بها في القهندز وأسواقها في روضها<sup>6</sup>، ويحيط بهذا الريض سور ثالث لزيادة التحصين والمنعة<sup>7</sup>، أما أبوابها فهي فهي سبعة مصنوعة من الحديد، منها باب يعرف بباب المدينة، وباب نور، وباب حفره، وباب الحديد، وباب القهندز، وباب بني أسد وهو باب مهر، وباب بني سعد<sup>8</sup>، ولا ننسى خرائب بخارى القديمة التي كانت قبل الإسلام، تقع على بضعة أميال من شمال غربي المدينة الإسلامية قرب ضفة النهر، وللمدينة سور، ومن دون هذا السور سور آخر نحو فرسخ في مثله، ولها خمس مدن داخل هذا السور يمنع غارات الأجناس من الترك عليها<sup>9</sup>، كما عليها<sup>9</sup>، كما تعتبر جميع أبنيتها مشتبكة البناء والتقدير في المساكن وارتفاع أراضيها وتحصينها بالقهندزات والاجتماع، ولها مدن في داخل حائطها وخارجة عنه، فأما داخله فالطواويس ونجكث وزندنه ومغكان وخجاده، ومن خارجه بيكبد وفريز و كرمينية وخديمكن وخرغانكث ومذيابجكث<sup>10</sup>، وطارت مدينة بخارى شهرة، وقصدها الناس من كل حدب وصوب، وخاصة طالبي الرزق والتنعم<sup>11</sup>، "من يطلب النعمة والحياة

1-الاصطخري، المصدر السابق، ص293.

2-الحميري، المصدر السابق، ص82.

3-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص42.

4-ابن حوقل، المصدر السابق، ص398.

5-الثامري، المرجع السابق، ص24-25.

6-ابن حوقل، المصدر السابق، ص398.

7-الثامري، المرجع السابق، ص25.

8-ابن حوقل، المصدر السابق، ص399.

9-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص42-43.

10-ابن حوقل، المصدر السابق، ص402-403.

11-بن خيرة، المرجع السابق، ص43.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

والرخص والفواكه عليك بخمسة أمصار دمشق والبصرة والري وبخارى وبلخ...فاختر ما شئت منها فإنها منزله الإسلام..<sup>1</sup>، وقد وصف المقدسي "نموذجك" قصبة بخارى قائلا: "...ولم أر في الإسلام بابا أجل ولا أهيأ من هذا الباب، ولا في الإقليم بلد أشد عمارة وأكثر زحاما على سكناه من هذا، مبارك على قصد، منعش لمن تعيش فيه، رفق بمن سكناه، به أطعمة مريية، وحمامات طيبة، وشوارع واسعة، وماء خفيف، وبناء ظريف، رفقة في المطاعم والمعاش، كثيرة الفواكه والمجالس..."<sup>2</sup>، وعرفت بخارى بكثرة عمرانها عمرانها وسكانها<sup>3</sup>.

ولما كانت بيوتها تبنى من الخشب فقد تعرضت لكثير من الحرائق في أوقات متقاربة، وقد ذكر النرشخي حريقين هائلين كانا في عهد نصر الساماني الأول سنة 313هـ، والثاني سنة 325هـ<sup>4</sup>. وبخارى مكان رطب ذات فواكه كثيرة ومياه جارية<sup>5</sup>، إذ عرفت بإنتاج الحنطة واللوز والبندق، كما أن فواكهها تعد أصح الفواكه وألذ طعاما في ما وراء النهر، ولهم البطيخ الذي يعرف "بالساف" والكمثري والأعناب والشمام، كما تربي في حقولها ومراعيها الخيول المشهورة التي تسمى "الشهاري البخارية"، ويستخرج من أراضي بخارى الصنف وحجر اللسان-وهو صنف من النحاس-والنفط<sup>6</sup>، ويشير ابن حوقل إلى توفر المواشي والثياب والرقيق وسائر الأمتعة من الصفر والنحاس والأواني وأسباب القنية مما يتسع به أهلها، ثم يضيف أنه يرتفع من بخارى ونواحيها ما يحمل إلى العراق وسائر البقاع ثياب تعرف بالبخارية كرايس ثقال الأوزان غليظة السلك مبرمة الغزل، فيرغب العرب فيها وكذلك البسط وثياب من الصوف للفرش في غاية الحسن ومقاعد ومصليات محارب<sup>7</sup>. "...ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش الفندقية وصفر المناير والطبري وحزم الخيل تنسج في المحابس وثياب أشموني والشحم وجلود الضأن ودهن الرأس"<sup>8</sup>، وعرفت بخارى بالصناعات الخشبية المتنوعة، والصناعات المعدنية من صفر صفر المناير والأواني الصفرية، وفيها تصنع الأواني المفخورة من الطين الخاص المستخرج من (جبل وركة) القريب من المدينة. ولما تنوعت ثروات بخارى وخيراتها وازدانت تجارتها بأنواع البضائع والسلع فقد انتشرت أسواقها العامة في

1-المقدسي، المصدر السابق، ص35.

2-المقدسي، المصدر السابق، ص281.

3-الحميري، المصدر السابق، ص83.

4-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص43.

5-مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص126.

6-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص44.

7-المصدر السابق، ص404.

8-المقدسي، المصدر السابق، ص324.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

كل أرجائها ونواحيها، وهي أسواق على نوعين: موسمية ودائمة، ومن أسواقها المهمة: سوق مغان، وسوق خجادة<sup>1</sup>. وقد وصفها المؤرخون بقولهم: "ولها أسواق وتجارات قائمة أي دائمة وكانت توصف بالتساع، والازدحام البشري والعمراني ونلاحظ أن معظم هذه الأسواق كانت في ربض المدينة، وذلك لحمايتها وصيانة الأموال والثروات الاقتصادية العامة من أيدي المعتدين وعبث العابثين"<sup>2</sup>. تعد بخارى عاصمة الصغد الدينية<sup>3</sup>، وظلت من أبهى مدن المشرق الإسلامي وأجل بلاد ما وراء النهر، يقصدها العلماء والفضلاء<sup>4</sup>، قال عنها الثعالبي: "كانت بخارى مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجتمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر"<sup>5</sup>.

**ب- إقليم خوارزم:** هو أحد أقاليم بلاد ما وراء النهر، وقد ضبط ياقوت الحموي اسم الإقليم بقوله: "خوارزم: أوله بين الضمة والفتحة، والألف مشرقة مختلصة ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفظون..."<sup>6</sup>. أما البلاذري فقد رسمه بـ "خارزم" بحذف الواو، لأنها كما يبدو الأصل في التسمية<sup>7</sup>. ويروي المقدسي قصة لا تخلو من الطابع الأسطوري لنشأة خوارزم وسبب تسميتها<sup>8</sup>، فيقول: "...إنَّ أحد ملوك الشرق القدماء قد غضب على أربع مائة رجل من أهل مملكته وخاصة الحاشية فأمر بحملهم إلى موضع منقطع عن العمران بحيث يكون على مائة فرسخ منها، فاتفق ذلك بموضع "كاث" وبعد مدة بعث إليهم من يستقصي أخبارهم، وكانوا قد بنوا لأنفسهم بيوتا واستقروا فيها وكانوا يصيدون السمك، يشوونه على النار التي يضرمونها من الحطب الموجود هناك وهو كثير، فلما رجعوا إلى الملك أعلموه بذلك، فسألهم: وماذا يسمون اللحم؟، قالوا "خوار" قال: والحطب؟ قالوا: "رزم" قال: فإني قد أقررتهم بتلك الناحية وسميتها خوارزم، وأمر أن يحمل إليهم أربع مائة جارية تركية. فإلى اليوم قد بقي فيهم شبه من الترك..."<sup>9</sup>، وسواء

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص45.

2- الثامري، بخارى، ص466، نقلا عن بن خيرة، المرجع السابق، ص45.

3- ذهبية عاشور أبو بكر قري، المرجع السابق، ص06.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص45.

4- الثعالبي أبي منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، الجزء4، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م، ص101.

6- المصدر السابق، مج2، ص395.

7- المصدر السابق، ص410.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص49.

9- المصدر السابق، ص285.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

صحت هذه الرواية أم لم تصح، فإنَّ المسلمين لما جاؤوا إلى تلك البلاد وفتحوها كانت تسمى بهذا الاسم، وبقيت على ما هي عليه، بعد الفتح الإسلامي<sup>1</sup>.

وإقليم خوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملة، طولها مائة وسبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة، وهي في الإقليم السادس، وقيل: هي في آخر الإقليم الخامس، وطولها إحدى وتسعون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها أربع وأربعون درجة وعشر دقائق<sup>2</sup>. وإذا أردنا تحديد موقع إقليم خوارزم، فهو خوارزم، فهو يقع غرب إقليم الصغد<sup>3</sup>، وهو منقطع عن خراسان وما وراء النهر وتحيط بها المفاوز من كل جانب، حيث يحيط بها من الشرق نهر جيحون ومن الغرب بلاد الترك، ومن الشمال بحيرة خوارزم التي تفصلها عن بلاد الترك، أما من الجنوب فتحيط بها بلاد الترك التي يفصلها عن خراسان<sup>4</sup>.

وعليه فإن إقليم خوارزم يقع على جانبي نهر جيحون<sup>5</sup>، ومدينته الكبرى في الجانب الشمالي من جيحون، ولها في الجانب الجنوبي مدينة كبيرة تسمى الجرجانية<sup>6</sup>، وعلى ضوء ذلك فإنَّ خوارزم شأنها في ذلك، شأن إقليم الصغد لها قصبتيْن كبيرتين، الأولى تسمى بالخوارزمية "كاث درخاش"، والأخرى تسمى الجرجانية وأهلها يسمونها "كركانج"<sup>7</sup>.

أما كاث العاصمة الأولى فمعناها بلغة أهل خوارزم، الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء، وهي بلدة كبيرة من نواحي خوارزم إلا أنها من شرقي جيحون وجميع نواحي خوارزم إنما هي من ناحية جيحون الغربية<sup>8</sup>، يقول الغربية<sup>8</sup>، يقول عنها المقدسي: "كاث يسمونها شهرستان وهي على الشط نحو نيسابور وهي شرقي النهر، لها جامع في وسط الأسواق على أساطين حجارة سود إلى قامته ثم فوقها سوارى الخشب، ودار الإمارة وسط البلد، ولهم قهندز قد خربه النهر، ولهم أنهار في البلد..."<sup>9</sup>، ومدينة كاث ما زالت قائمة. إلا أن مدينة العصور الوسطى العظيمة ربما كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي البلدة الحديثة وفي أوائل المئة

---

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص50، إنَّ أصل خوارزم هو "خوارزم" فخفف وقيل خوارزم استقلاً لتكرير الراء، وقد جاء به بعض العرب على الأصل فقال الأسدي: **وخافت من مال السفند نفسي وخافت من مال خوارزم**، ينظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص396.

2- الحموي، المصدر نفسه، مج2، ص395.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص50.

4- ذهبية أبو بكر قري، المرجع السابق، ص07، ابن حوقل، المصدر السابق، ص395.

5- الحميري، المصدر السابق، ص225.

6- ابن حوقل، المصدر السابق، ص395.

7- الحموي، المصدر السابق، مج2، ص395، بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص50، الثامري، المرجع السابق، ص27.

8- المصدر نفسه، مج4، ص427.

9- المصدر السابق، ص255.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

الرابعة(العاشرة)خرب بعضها طغيان نهر جيحون،وقد أتى فيضان النهر على هذه الأجزاء جميعها،فلم يبق منها رسما ولا طللا حين كتب ابن حوقل.فابتنى الناس مدينة جديدة إلى الشرق من الأولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طغيانه<sup>1</sup>.

وفيما يخص مدينة الجرجانية قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد سقوط كاث أولى مدن الإقليم<sup>2</sup>،فهى مدينة عظيمة على شاطئ جيحون،وأهل خوارزم يسمونها بلسانهم كركانج فعربت إلى الجرجانية وكان يقال لمدينة خوارزم في القديم فيل ثم قيل لها المنصورة،وكانت في شرقي جيحون فغلب عليها جيحون وخرمها،وكانت كركانج هذه مدينة صغيرة في مقابلة المنصورة من الجانب الغربي فانتقل أهل خوارزم إليها وابتنوا بها المساكن ونزلوها،فخربت المنصورة جملة حتى لم يبق لها أثر وعظمت الجرجانية،وكنتم رأيتها-يعني الحموي-في سنة616هـ قبل استيلاء التتر عليها وتخريبهم إياها،فلا أعلم أنى رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالا وأحسن أحوالا<sup>3</sup>،وقد ساق لنا الحميري وصفا وصفا لمدينة الجرجانية بقوله:"هى المدينة الكبرى والقاعدة العظمى من خوارزم،وهى مدينتان على ضفة النهر يجاز بينهما بالمراكب،واسم المدينة الشرقية منها درغاش والمدينة الغربية هى الجرجانية،وهى كبيرة عامرة ذات أسواق وربض وسور محيط بالربض،والمدينة طولها نحو تسعة أميال فى مثلها،وهى متجر الغزية،ومنها يخرج الرفاق إلى أرض جرجان وكانت تخرج إلى الخزر على مر الأيام وإلى سائر بلاد خراسان.قالوا:ومرو ونيسابور وبلغ مع عظم كل واحدة من هذه تقصر عن الجرجانية بانفرادها"<sup>4</sup>.

وإذا عدنا إلى الحديث عن إقليم خوارزم وأردنا تحديد مساحته،فهى تبلغ أربع وثمانون وخمس دقائق طولاً،واثنان وأربعون دقيقة وخمس درجات وأربعون دقيقة عرضاً،وأَنَّ بحيرة خوارزم طولها ثمان وثمانون وقيل تسعون،وعرضها ثلاثون وأربعون<sup>5</sup>،وفي السياق ذاته تعد خوارزم في نظر المقدسي:"...كورة جلييلة واسعة كثيرة المدن ممتدة العمارة على عمل بلاد الروم وسجستان وكازرون لا ينقطع المنازل والبساتين،كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات،مفيدة لأهل التجارات،أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب وأقل إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمي..."<sup>6</sup>،أما الحموي فقد أطنب في وصفها فقال:"...فما رأيت ولاية قط أعمر منها،فإنها على ما هي عليه من رداءة أرضها وكونها سبخة كثيرة النزوز متصلة العمارة

1-ليسترنج،المرجع السابق،ص489-490.

2-المرجع نفسه،ص491.

3-الحموي،المصدر السابق،مج2،ص122.

4-المصدر السابق،ص162.

5-ذهبية قري أبو بكر،المرجع السابق،ص08.

6-المصدر السابق،ص253.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصلاحات-

مقارنة القرى كثيرة البيوت المفردة والقصور في صحاريها، قل ما يقع نظرك في رسائيقها على موضع لا عمارة فيه... ولا فرق بين المار في رسائيقها كلها والمار في الأسواق، وما ظننت أن في الدنيا بقعة سعتها سعة خوارزم وأكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وفي النادر أن يكون قرية لا سوق فيها مع أمن شامل وطمأنينة تامة...<sup>1</sup>. وقد وصفت خوارزم بكثرة بساينها ومزارعها وأشجارها وكثرة المعاصر فيها، في بلد الحبوب كالبنديق والسمسسم والجوز والحنطة والأرز والحبوب الأخرى، إضافة إلى فواكهها المتنوعة كالبطيخ والعنب والرمال والكمثري. ويذكر أن بطيخ خوارزم كان يقدر ويبيع في الشمس في القواصير ويحمل إلى بلاد الهند والصين<sup>2</sup>، وتعد خوارزم معدن السمك والأغنام<sup>3</sup>.

وتربى في مراعيها الأبقار والجمال<sup>4</sup>، "وليس ببلدهم معدن ذهب ولا فضة ولا شيء من جواهر الأرض، وعمامة يسارهم من متاجرة الأتراك واقتناء المواشي وأكثر رقيق الصقالبة والخزر وما والاها مع رقيق الأتراك والأوبار من الفنك والسمور والثعالب والدلق وغير ذلك من أصناف الأوبار فعندهم يحط وبهم ينزل. ولهم تجار يدخلون إلى نواحي ياجوج وماجوج لاستخراج الخرز والأوبار...<sup>5</sup>، ولما كانت المدن هي المراكز الرئيسة الرئيسة للحياة الاقتصادية في الإقليم، فإن ازدحام السكان فيها، وتعقد الحياة وارتفاع مستوى المعيشة يؤدي إلى التخصص في العمل وإلى ازدهار الصناعة، ويكثر المتخصصون في مجالاتها<sup>6</sup>، وحرى بنا أن نشير إلى أهم صناعة تخصص فيها أهل خوارزم، هي الصناعة الجلدية مثل صناعة الفراء وسائر أنواع الوبر من السمور والفنك والقاقم والسنجاب والثعالب، ويهتمون بأنسجة الجباب من جلود الغنم وصناعة السفن وهي المراكب التي تعمل من جلود الجمال والكيمنت<sup>7</sup>.

لقد استكثر الخوارزميون هذه الصناعات وبالغوا فيها، بسبب البرد الشديد في إقليم خوارزم، حيث أشار ابن فضلان إلى ذلك بقوله: "فأرأينا بلدا ما ظننا إلا أن بابا من الزمهير قد فتح علينا...<sup>8</sup>"، بالإضافة إلى صناعة

1- المصدر السابق، مج2، ص396.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص51-52.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص254.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص52.

5- بن حوقل، المصدر السابق، ص398.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص52.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص52-53.

6- بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد أحمد، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ/921م، حققها وعلق عليها وقدم لها الدكتور سامي الدهان، ط1، دمشق، مطبوعات الجمع العلمي العربي، 1379هـ/1959م ص82-85.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

الشمع والنشاب والقلائس والسيوف والدروع والخلنج<sup>1</sup>، فلا غرو أنه تميز الخوارزميون بكثرة السفر والانتشار في الإقليم خراسان، وليس بخراسان مدينة إلا وبها من أهل خوارزم جمع كبير، مما جعل النشاط التجاري مطرداً، وغصت أسواقها وعمرت، وأضحت مقصد التجار من الآفاق<sup>2</sup>، وقد وصفها ابن بطوطة بقوله: "لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الأثيرة"<sup>3</sup>.

أما ما تبقى من مدن وقرى إقليم خوارزم فهي: -الهيظلية. -غردمان. -إيخان. -أرذخيوة. -نوكفاغ. -كردر. -مزداخكان. -جشيرة. -سدور. -زردوخ. -قرية براتكين. -مدكمينيه. -نوزوار. -زمنخشر. -أوزارمند. -وزارمند. -دسكاخان خاس. -خشمش. -مداميشن. -خيوة. -كردرانخاس. -هزاراسب. -جكريند. -جاز. -درغان. -جيت. -جرجانية الصغرى. -سدفر. -مساسان. -كاردار. -أندريستان<sup>4</sup>.

**ج- إقليم الصغانيان والختل:** الصغانيان والختل: ناحيتان تمثلان مع بقية المناطق الواقعة جنوبي شرق نهر جيحون إقليمًا واحدًا<sup>5</sup>، فالصغانيان "بالفتح، وبعد الألف نون ثم ياء مشاة من تحت، وآخره نون، والعجم يبدلون يبدلون الصاد جيما فيقولون جغانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر متصلة الأعمال بترمز"<sup>6</sup>، وقد وصفها المقدسي بقوله: "الصغانيان هي ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات... مشاربهم من أنهار تمتد إلى جيحون... فيها جبال وسهولة... بها ستة عشر ألف قرية... وأسواق القصبة مغطاة... والجامع وسط السوق لطيف على سوازي آجر بلا طيقان..."<sup>7</sup>، والختل "بضم أوله، وتشديد ثانيه وفتحه"<sup>8</sup>، كورة واسعة كثيرة المدن منهم من ينسبها إلى بلخ ذلك خطأ لأنها خلف جيحون وإضافتها إلى هيطل -أي بلاد ما وراء النهر- أوجب، وهي أجل من الصغانيان وأوسع خطة وأكبر مدنا وأكثر خيرا<sup>9</sup>.

أما مدن الصغانيان، فأهمها مدينة ترمذ (أو الترمذ) في شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به، وكان لترمز في المئة الرابعة (العاشرة) قلعة فيها دار الإمارة، والريض حول المدينة التي كان عليها

1- المقدسي، المصدر السابق، ص 325.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 53.

3- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي، الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق علي المنتصر الكناي، الجزء 1، بيروت، 1975م، ص 403-404.

4- المقدسي، المصدر السابق، ص 254-255.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 56.

6- الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 408-409.

7- المصدر السابق، ص 283.

8- الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 346.

9- المقدسي، المصدر السابق، ص 257.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

سور داخل، وعلى الرض ثان، ومسجدها الجامع من اللبن في أسواق المدينة، وكانت أسواقها بالآجر ومعظم سككها مفروش بالآجر<sup>1</sup>، وعرفت ترمذ بالصابون والحليث<sup>2</sup>، وتعتبر ترمذ مع آمل وزم من أهم المدن التجارية الواقعة الواقعة على نهر جيحون حيث كانت المراكب تقلع إليهم من كل جانب<sup>3</sup>، بالإضافة إلى المدن الأخرى ك: باسند، دارزنج، دستجرد، ثومان، الواشجرد<sup>4</sup>.

وكذلك الختل لها من المدن: مرند-انديجارغ هلاورد-لاوكند-كارنك-تمليات-أسكندرة-منك-فارغر-بيك-هلبك. ونكتفي بالإشارة إلى هلبك التي هي قسبة الختل وبها مستقر السلطان، تكون أصغر من الصغانيان، الجامع وسط البلد، شربهم من نهر عذبي ومن غيرهم<sup>5</sup>، وعرفت الختل بكثرة الدواب خاصة البراذين الختلية والدواب البيكية البيكية التي تكثر في هلبك<sup>6</sup>، كما اشتهرت الختل باستخراج الذهب ومكانس الذهب الذي يستخرج من النهر قطعاً صغاراً أشبه برؤوس الإبر، وأيضاً واشجرد والصغانيان اشتهرتا بالأنسجة القطنية والصوفية حيث تنسج البزاة الرفيعة القرطاسية الشهب والدرهمية المغرقة، بالإضافة إلى الأوبار من السمرور والسنجاب والثعالب وكذلك في صناعة الطرائف من الحديد<sup>7</sup>.

**٢- إقليم فرغانة:** "فرغانة: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون، مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك"<sup>8</sup>. ولا غرو أن إقليم فرغانة الذي كان إلى وقت قريب يعرف بخانية خوقند، وقد أعادت إليه الحكومة الروسية الروسية رسمياً اسمه القديم، فكانت قصبته في أوائل العصور الوسطى مدينة "أخسيكث"، وسماها ابن خرداذبه وغيره مدينة فرغانة، وهي تقوم على ضفة نهر سيحون الشمالية<sup>9</sup>، وقد أشار السمعاني إلى فرغانة بقوله: "هي منطقة واسعة واسعة بما وراء نهري جيحون وسيحون"<sup>10</sup>، وهي أشهر المراكز الإدارية والثقافية وأهمها في وادي فرغانة في

1- ليسترنج، المرجع السابق، ص 484.

2- المقدسي، المصدر السابق، ص 324.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 56.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- المقدسي، المصدر السابق، ص 257.

6- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 290، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 180.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 57.

8- الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 253.

9- ليسترنج، المرجع السابق، ص 520.

10- الأنساب، المصدر السابق، ج 9، ص 275.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

جمهورية أوزبكستان كلها، وتقع في الجزء الجنوبي من الوادي نفسه<sup>1</sup>. أهلها أتم الناس أمانة وديانة على مذهب الإمام الإمام أبي حنيفة<sup>2</sup>، كثيرة الخير، يقال أنَّ بها أربعين منبرا، قصبتها أخسـيـكـث ومن مدنها: الميانروذية، نصراباذ، منارة، رنجـد، شـكـت، زاركان، خيرلام، بشبشـان أشـتـيـقان، زرنـدارمش، أوزكـند. ومن النسائية: أوش، قبا، برنك، مرغينان، رشـتـان، وانكت، كند. ومن الواغزية: بوكند، كاسان، باب، جارك، أشـت، توبكار، أوال، دكركد، نوقاد، مسكان، بيكان، جدغل، شاودان<sup>3</sup>، وأغلبية هذه هذه المدن لا تزال قائمة<sup>4</sup>.

أما ابن حوقل فقد ذكر كور فرغانة بقوله: "...وليس بما وراء النهر أكثر قرى من فرغانة وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشيهم ومراعيهم. ومن كور فرغانة: نسيا العليا ونسيا السفلى واسبره ونقاد وميان روذان وجدغل واورست ويسفر واشت..."<sup>5</sup>، عرف إقليم فرغانة واشتهر بغزارة الغلات والمحاصيل الزراعية الزراعية والثمار والفواكه؛ كالأرز والجوز والأعـنـاب والتفاح والفسـتـق، بالإضافة إلى الماشية والسوائم<sup>6</sup>، كما احتوت على معادن الذهب والفضة، والزئبق والفيروزج والحديد والنحاس والفحم والنوشادر<sup>7</sup>، وأيضا عرفت فرغانة بصناعة الثياب البيض والأحذية وآلات السلاح والسيوف، وقد كانت العلاقات الاقتصادية بين إقليم ما وراء النهر والأقاليم المجاورة له من الجهة الشرقية والشمالية قوية نشطة. حيث عني أهل تلك البلاد بالاتصال بقبائل الترك الكيماكية والخزجية والتغزر الساكين في السهول المطلة على حدود الصين وهضبة التبت، وهناك طريق تجاري هام يمر من فرغانة إلى نوشجان الأعلى بالاتجاه الشرقي إلى مدينة خاقان الترك التغزر لتصل بهضبة التبت<sup>8</sup>. وكانت هناك مراصد على هذه الطريق يقف عندها التجار ليدفعوا الضريبة، ويذكر البلخي أنَّ في "أوش" إحدى مدن فرغانة "مرب الأحرار على الترك". ولعل هذا المرصد كان يقوم بجمع ضريبة المكس على التجارة الواردة إلى خراسان<sup>9</sup>.

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص57.

2- ذهبية عاشور أبو بكر قري، المرجع السابق، ص10.

3- المقدسي، المصدر السابق، ص241.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص58.

5- ابن حوقل، المصدر السابق، ص420-421.

6- المصدر نفسه، 421، المقدسي، المصدر السابق، ص271.

7- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص421-422.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص58.

9- المرجع نفسه، ص59.

## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

**ه- إقليم الشاش:** يقع إقليم الشاش غربي إقليم فرغانة على ضفة سيحون اليمنى<sup>1</sup>، أي: الشمالية الشرقية، وتقع حاليا داخل جمهورية أوزبكستان وتعرف باسم طشقند<sup>2</sup>. وكلمة الشاش تتكون من حرفين أساسيين هما شينان معجمتان وبينهما ألف<sup>3</sup>، وهذا الاسم يطلق على الإقليم والمدينة في نفس الوقت ويقابل هذا الاسم بعض الأسماء الأخرى التي أطلقت عليه في اللغات الأخرى مع تطور العصور أيضا ومنه ما كان يقابله في اللغة الصينية (جاج) في العصور الإسلامية ولكن حدث بعض التطورات لهذا الاسم على أيدي العرب فقد استبدوا حرف (ج) بحرف (ش) وبالتالي كسر نطق هذا الاسم بـ (ش) حتى تلاشى حرف (ج) عند العرب<sup>4</sup>. وقبل هذا الاسم أيضا في اللغة الفارسية بـ (جاج) ثم تطورت إلى (جاجكند ثم تاشكند ثم طشقند) وهذا يؤكد أن السكان الناطقين بالتركية قد حرفوه إلى هذه المصطلحات السابقة<sup>5</sup>. والخرائب المعروفة اليوم بـ (طشقند) القديمة هي موضع المدينة التي سماها العرب (الشاش)، والفرس: (جاج) وكان يقال لمدينة الشاش (بنكث) أو (بيكث)، وهي قسبة إقليم الشاش وقد كان لكثير من أسماء المدن في بلاد ما وراء النهر تسميتان: إيرانية وتورانية<sup>6</sup>.

يتضح مما سبق أن إقليم الشاش يحمل اسما في العصر الحديث هو طشقند، ومن الملاحظ أن هناك ظاهرة عامة في أسماء المدن في آسيا الوسطى الإسلامية حيث أن أكثرها ينتهي بـ (قند) أو (كند) وهي كلمة تركية الأصل بمعنى (صور) أو (القسبة) في التقسيمات الإدارية وما زالت مستعملة اليوم ونلاحظها في تركيب بعض أسماء المدن مثل طشقند<sup>7</sup>. وتاشكنت وإن اختلفت في الحروف عن طشقند ولكن النطق واحد وهو اسم المدينة والإقليم سابقا فهي فهي لغويا تعني مدينة الحجر وباسمها هذا قد أصبحت اليوم عاصمة تركستان الإسلامية، أي جمهورية أوزبكستان. ومن المصطلحات التي أطلقت أيضا على إقليم الشاش اسم (الشاش). "...وهو إقليم كثير القرى والعمارات والمنابر، وأرض سهلة كثيرة المزارع والرياض وبالشاش وإيلاق مدن كثيرة ذوات أبواب وأسوار وأرباض وقلاع وأسواق وأنهار تخترق بعض المدن..."<sup>8</sup>، ومدينة الشاش طولها وأربع وعشرون درجة، وعرضها

1- الثامري، المرجع السابق، ص28.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص59.

3- الأندلسي البكري أبو عبيد الله، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، ط1، مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1949م، ص775.

4- محمود عبد الله جمعه مراد، إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الحضارات الآسيوية، معهد الدراسات والبحوث، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، 2006م، ص13.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- لسترنج، المرجع السابق، ص523.

7- محمود عبد الله جمعه مراد، المرجع السابق، ص13.

8- الاصطخري، المصدر السابق، ص328.



## -الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلحات-

خمس وأربعون درجة، وهي في الإقليم السادس، ومقدار عرضة الشاش مسيرة يومين في ثلاثة، وليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقداره من المساحة أكثر منابر منها ولا أوفر قرى وعمارة<sup>1</sup>. ولإقليم الشاش مدن كثيرة تزيد على خمس وعشرين مدينة أسماؤها أعجمية وهذا مما يدل على سعة مساحته مع تفاوت مساحة المدن والقرى التي فيها<sup>2</sup>.

وله مدن كثيرة تتداني وتتقارب مسافاتها فمنها: بنكث ودنفغا نكث وجينا نكث، ونحاكث وفناكث وخرسكت واستيغوا واردلا نكث وخذنيكث وكنكراك، وكلشجك وغركنده وغناج وجبوزن ووردوك وكبرنه وغدرانك، ونوجكث وغرك وبردكث وبغنكث وبركوش وخاتونكث وجبغوكت، وفرنكث وكذاك وتكال<sup>3</sup>.

اشتهرت الشاش بكثرة الأشجار والخضر والمراعي والبساتين، كما ترتفع منها الأقواس والسهم المصنوعة من الخدنك، وكذا خشب الخلنج الكثير، بالإضافة إلى معادن الذهب والفضة، والنفط والفيروزج والحديد والصفير والأنك والذهب، مما جعل الصناعات بها تزدهر وتتوسع وتشمل الكثير من الأصناف<sup>4</sup>. ومن أشهر صناعات إقليم الشاش رواحا وأعظمها شهرة صناعة الأنسجة القطنية والصوفية كالثياب البيض الكثيرة، ونوع من الثياب على الطراز التركستاني والقلائس والكرابيس الكندجيه الغلاظ والأرز والمصليات، كما اشتهرت بصناعة السيوف وغيرها من السلاح، وآلات النحاس والحديد كالإبر والمقاريض والقذور، ويرتفع منها أيضا سروج الكميخت (جلود الحمر الوحشية) الرفيعة، والجعب والقسي الجيدة وجهود تجلب من الترك، وتدبغ... كما يرتفع من رستاقها الرز والكتان والقطن<sup>5</sup>. وقد كان من شأن هذه الموارد وتنوع هذه الصناعات، وتعدد النشاطات الاقتصادية في الإقليم أن يساعد على انخفاض أسعار الأطعمة والأشربة والألبسة انخفاضاً كبيراً، يبعث على الرخاء في العيش وازدهار الحياة العلمية في تلك البلاد<sup>6</sup>.

بعد استعراضنا لجغرافية الأقاليم الثلاثة؛ العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، اتضح جلياً لنا مدى التنوع التي تميزت به هذه الأقاليم، سواء على مستوى التضاريس والمناخ والمقومات الزراعية والصناعية والتجارية، وكذلك المقومات البشرية والديمقراطية، إذ شكلت بلاد ما وراء النهر وخراسان وحدة جغرافية واجتماعية واقتصادية متكاملة، أما العراق فقد كان أعلى شأنًا وأعظم شأنًا ولا متلاكه موقعاً جغرافياً ممتازاً ومركزاً إستراتيجياً توسط الجناح

1- الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 308.

2- محمود عبد الله جمعه مراد، المرجع السابق، ص 15.

3- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 416.

4- المصدر نفسه، ص 418، القزويني، المصدر السابق، ص 538، مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 133، بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 60.

5- ليسترنج، المرجع السابق، ص 531.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 60.

## -الفصل التمهيدى: مفاهيم وأصطلحات-

الشرقي للعالم الإسلامي، بالإضافة إلى امتلاكه لإمكانيات طبيعية واقتصادية واجتماعية ساهمت بشكل كبير، في جعل العلماء يشدون الرحال إليه ويرغبون بالإقامة فيه، ويعملون على تفجير طاقاتهم العلمية والفكرية، لذا غصَّ العراق بالعلماء الوافدين إليه من بلاد ما وراء النهر وخراسان، وخاصة بعد أن صارت هذه الأقاليم الثلاثة تحت سلطان السلاجقة، الذين رفعوا من شأن العراق الذي كان المحور الرئيسي لإستراتيجيتهم التوسعية، وبذلك أضحت هذه الأقاليم بما امتلكته من مقومات تشكل وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية ومذهبية، أدت إلى اضطلاع العلماء بأدوار سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية كبيرة ومؤثرة، كما ظلت هذه الأقاليم تشكل العمق الحيوي والعسكري للدولة السلجوقية، بحيث لما خرجت من سيطرتها سقطت الدولة.



-الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر

السلجوقي

-امتثال

-الفصل الأول:العلماء وقيام الدولة السلجوقية.

-الفصل الثاني:العلماء والمشروع السلجوقي

الوحدوي.

-الفصل الثالث:الدور الدعوي والجهادي

للعلماء في عصر السلاجقة.

-الفصل الرابع:موقف العلماء من الأحداث

والقضايا السياسية في العصر السلجوقي.

# -الفصل الخامس: مشاركة العلماء في وظائف الدولة السلجوقية.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

**-استملاال:** يعكس حضور العلماء وتواجدهم في البدايات الأولى لدولة السلاجقة خاصية مميزة، عرفت بها الدولة الإسلامية واستمرت في العهود اللاحقة، وأظهرت مدى قدرة المجتمع الإسلامي على تجديد دمائه وطاقاته وكفاءاته، والقابلية على الصمود في وجه الأزمات والمحن، والخروج من المأزق، لذا فإن علماء العصر السلجوقي يعدون بحق أنموذجاً فريداً في التعامل مع التغيرات التي شهدتها هذا العصر، والتطورات التي انجرت عنه وطبيعة التناقضات التي عرفها، وأضحوا مثالا يحتذى به في العصرين الأيوبي والمملوكي، وأرسوا لقاعدة هامة هي أنَّ تفاعل وتحرك العلماء في كل عصر، والتأثير في المجتمع وإرشاد الحكام، ينبئ عن ملمح حضاري ذو أبعاد عميقة تظهر شكل وهيكل النسق البنائي المحكم الذي ينبثق عن منظومة الإسلام الشاملة لكل المحاور والميادين التي تكفل استمرارية الشريعة الإسلامية في إدارة الكون والإنسان والحياة.

يعد دور العلماء السياسي من الأدوار الرئيسية التي أدوها خلال العصر السلجوقي، حيث استطاعوا الموازنة بين حضورهم الدائم في المجتمع وحلق العلم ودروسه، وكذا التأليف والتنظير للمسائل والقضايا والنوازل الجديدة، وبين ممارسة المهام المنوطة بهم في الجانب السياسي، كتوجيه سلاطين ورجال الدولة، والمشاركة في الجهاد والقيام بواجب الدعوة لدين الله، وإبداء النصيحة والمشورة في القضايا والأحداث السياسية وتخفيف الصراعات والمنازعات، والمشاركة في وظائف الدولة المختلفة سواء الوظائف الدينية أو السلطانية أو الجمع بين كليهما، واستطاعوا القيام بهذا الدور من خلال قدرتهم على التفاعل مع جميع الفعاليات التي شكلت الأرضية الرئيسية التي تكاملت فيها جميع المحاور الجسدة لطبيعته وتطوره.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

### -الفصل الأول:العلماء وقيام الدولة السلجوقية.

- 1-أصل السلاجقة وبداية دولتهم.
- 2-التمدد السلجوقي في خراسان وقيام الدولة.
- 3-قرلة في أبعاد تأسيس الدولة السلجوقية.
- 4-جمود العلماء في قيام وتأسيس الدولة السلجوقية.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

إنَّ بداية أية دولة جديدة يستدعي جهوداً جبارة لبنائها وتأسيس أركانها على أسس متينة، والفاعلون الرئيسيون هم من يحملون هذا العبء الثقيل، كما ينبغي أن يصاحب حركة قيام الدولة الجديدة وضوحاً في الأهداف والغايات، وتقديمها للأولويات المتمثلة في إعادة بعث تلك الطاقات الكامنة في أعماق المجتمع، لذا يسعى مؤسس الدولة أن يكون هو الفاعل المركزي الممسك بجميع الأنساق نظراً لامتلاكها معايير عناصر القوة وممارسة النفوذ، ويعمل على توظيف الفاعلين الآخرين المؤثرين في الحراك الاجتماعي، سواء على صعيد النخب أو عامة الناس، لخدمة مشروعه في تأسيس الدولة وضمان استمرارها، ومع ذلك فإنَّ الإمساك بحيثيات قيام الدولة السلجوقية بالتركيز على حضور العلماء في هذا القيام، يستتبع جملة من الأنماط التشاركية بين أمراء هذه الدولة وعلماء البلاد التي تمددوا وتوسعوا فيها، وتحول هؤلاء إلى فاعل مركزي مشارك وأحياناً معارض في نفس الوقت بحكم البعد الاجتماعي والديني الذي يجذبهم ويجعلهم يؤدون تفاعلاً مزدوجاً في إنهاء دولة وإقامة دولة جديدة، والوقوف في وجه الأنماط السلطوية الجديدة التي تحاول استغلال فترة الفراغ بين عهدين مختلفين للتمكين لتواجدها وفرض منطقتها، وعليه: **هل كان هناك حضور**

### **للعلماء عند قيام الدولة السلجوقية؟ وما هو شكل وأبعاد هذا الحضور؟**

**1- أصل السلاجقة وبداية دولتهم:** تعد السلطنة السلجوقية التركية من أقوى الدول الإسلامية، فقد بسطت سلطانها على مساحة كبيرة، وخضعت لها الخلافة العباسية في بغداد، وأضحى يخطب لسلطينها على المنابر، وتضرب الدنانير والدرهم بأسمائهم<sup>1</sup>. فقد اعتبر عبد الرحمن ابن خلدون اختراق قبائل الأتراك لقلب العالم الإسلامي، وهيمنتها العسكرية على زمام الأمور فيه، عناية إلهية ولطفاً ربانياً خفياً، جاء في وقته لصيانة حدود الملة الإسلامية، وتجديد نضارة الحضارة الإسلامية<sup>2</sup>، يقول في ذلك: "...حتى إذا استغرقت الدولة في الحضارة والترف، وليست أثواب البلاء والعجز، ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسي الخلافة، وطمسوا رونق البلاد، وأدالوا بالكفر عن الإيمان، بما أخذ أهلها عند الاستغراق في التعم، والتشاغل في اللذات، والاسترسال في الترف، من تكاسل الهمم، والقعود عن المناصرة، والانسلاخ من جلدة اليأس وشعار الرجولية. فكان من لطف الله سبحانه أن تدارك الإيمان بإحياء رmqه، وتلافي شمل المسلمين... بحفظ نظامه وحماية سياجه، بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها العزيزة المتوافرة أمراء حامية، وأنصار متوافية... يدخلون في الدين بعزائم إيمانية، وأخلاق بدوية، لم يدنسها لؤم الطباع، ولا خالطتها أقدار اللذات، ولا دنستها عوائد الحضارة، ولا كسر من سورتها غزارة

1- ابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر محمد مايو، مراجعة أحمد عبد الله فرهود، ط1، حلب، دار القلم العربي، 1418هـ/1997م، ص281.

2- الشنقيطي محمد بن مختار، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، ط1، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016م، ص35.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الترف... فيستترشح من يستترشح منهم لاقتعاد كرسي السلطان، والقيام بأمر المسلمين، عناية من الله تعالى سابقة، ولطائف في خلقه سارية. فلا يزال نشء منهم يردف نشئا، وجيل يعقب جيلا، والإسلام يستهيج بما يحصل به من الغناء، والدولة تترف أغصانها من نضرة الشباب...<sup>1</sup>، يظهر كلام ابن خلدون مدى وعيه بالإسهام الإيجابي الذي أسهمت به الشعوب القريبة العهد بالبداءة والمفعمة بروح البطولة، في الدفاع عن حضارة الإسلام وتجديد دمائها، فهذه القوى الاجتماعية مثلها العرب في صدر الإسلام أحسن تمثيل، لكنها لا تقتصر على العرب<sup>2</sup>، وإنما في معانهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب، والأكراد، والتركمان، والترك بالمشرق...<sup>3</sup>، فمن خلال التقصي الدقيق لدور هذه الأمم البدوية في التاريخ الإسلامي، يتضح لنا بأن ميلاد أي حضارة جديدة يبدأ بمادة اجتماعية بدوية فطرية. ومثل ذلك يقال عن انبعاث حضارة توشك على ذبول روحها الدافعة وعنفوانها الأول؛ وهذا الأمر ينطبق على تاريخ الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط. فالعرب كانوا المادة الفطرية الأولى، والترك كانوا المدد الذي مكنها من الانبعاث بعد كبوتها وتكالب الأعداء عليها<sup>4</sup>.

يعود أصل السلاجقة إلى قبيلة "قنق" الغزية التركية<sup>5</sup>، وينتمون إلى جدهم سلجوق بن دُقَاق أو تُقَاق<sup>6</sup>، و... كانت السلجقية ذوي عدد وعدد، وأيد ويد، لا يدينون لأحد ولا يدنون من بلد، وميكائيل بن سلجوق زعيمهم المبجل، وعظيمهم المفضل، وقد سكنوا من أعمال بخارى موضعا يقال له نور بخارى، وما زالوا في أنصر شيعه، وأنصر عيشة. وهم في الرعي يكلئون الكأ، وفي الربع يملأون المأ، لا يذعرهم ذاعر، ولا يردعهم

1- المصدر السابق، ص

2- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص36.

3- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص

4- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص37.

5- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، ج15، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص348، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن الأثير الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ج8، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ/1987م، ص236، ابن الطقطقي، المصدر نفسه، ص281.

6- دقاق أو تقاق كما أورده ابن الأثير، معناه القوس من الحديد، وكان شهما ذا رأي وتدير وكان مقدم الأتراك الغز ومرجعهم إليه، لا يخالفون له قولا ولا يعتدون أمرا، ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص236. V.M.Zaporozhets, THE SELJUKS, Hannover, 2012, p113.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

داعر. والسلاطين يرونهم للملمات ولا يرونهم، ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم...<sup>1</sup> استوطن السلاجقة بلاد ما وراء النهر، حيث كانت منازلهم في الشتاء في "نور بخارى"، وفي الصيف في "سغد سمرقند".<sup>2</sup> إنَّ الجدور التاريخية للسلاجقة تبدأ إرهاباتها الأولى منذ أن تولى دقاق الوزارة للخاقان "بيغو" أحد خانات تركستان وكذلك قيادة الجيوش، وقد حدث نزاع بين الاثنين بخصوص الغارات التي اعتزم الخاقان بيغو القيام بها على ثغور المسلمين، واستطاع دقاق حسم الموقف لصالحه وانتهى الأمر باسترضائه، وبقي في خدمة بيغو حتى توفي.<sup>3</sup> كما اعتنق السلاجقة الإسلام على المذهب السني<sup>4</sup>، فقد أشارت المصادر إلى أنَّ "دُقَّاق" هو أول من دخل إلى الإسلام من قبائل الغز، وتعد أسرته أولى الأسر الغزية اعتناقاً للدين الإسلامي<sup>5</sup>، مما دفع بأحد الباحثين إلى اعتبار إسلامهم سبباً هاماً في مستقبلهم المجيد، وكذا دورهم الرائد في المقاومة الإسلامية للحملات الصليبية<sup>6</sup>، الأمر الذي جعل "دقاق" يمنع الخاقان "بيغو" بالقوة من غزو الثغور الإسلامية.<sup>7</sup> آلت زعامة قبيلة "الْقَنْقُ" إلى سلجوق بعد وفاة "دُقَّاق"، وكان محترم الجانب بين فرسانه، على تمام الأهمية والعدة بين عسكره، وقد تهيأت له أسباب الملك بما وهبه الله من فرسان أقوياء وعدد كثير من الجند<sup>8</sup>، فقربه الخاقان "بيغو" واختص

1-الأصفهاني عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، تاريخ دولة آل سلجوق، قرأه وقدم له الدكتور يحي مراد، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م-1425هـ، ص184.

2-الرواندي محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، مراجعة إبراهيم أمين الشواربي، تقلبم بديع محمد جمعة وشيرين عبد المنعم محمد حسنين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص145.

3-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص236، طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط3، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م، ص77.

4-نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي (447هـ-590هـ/1055م-1193م) دراسة سياسية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1436هـ/2014م، ص16.

5-سولاف فيض الله حسن، مظاهر البذخ والترف عند السلاجقة في العصر العباسي، مجلة الأستاذ، ع221، المجلد الثاني لسنة 1438هـ/2017م، جامعة بغداد، ص29.

6-Sanders, J.J. A History of Medieval Islam, London: Routledge, 1978, p143-6

7-يبدو أنَّ ابن الأثير هو المؤرخ الوحيد الذي أشار إلى ما جرى بين دقاق والخاقان بيغو في مسألة الإغارة على أراضي المسلمين، ينظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص236.

8-الرواندي، المصدر السابق، ص147. SALAH.A.A.SULYMAN, The expansion of the Seljuk in Asia Minor and the Levant at the expense of the Byzantine Empire, Global Libyan Journal, number08, july2016, University of Benghazi, p03.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

به ولقبه "شَبَاسِي" أي القائم على الجيش، فنبغ سلجوق بعلو همته واستمال قلوب الرجال بكرمه وعقله، وانقادت الأكابر إليه<sup>1</sup>.

إنَّ المكانة التي بلغها سلجوق أثارت حفيظة زوجة الخاقان "بيغو"، فأغرته بقتله وألحت على ذلك<sup>2</sup>، خصوصاً أنَّ "بيغو" لم يكن له عقب يرث عرشه وملكه<sup>3</sup>، ولكن "بيغو" تردد في قتله حتى علم سلجوق بما يدبره، وشعر بتبدل معاملته له، فحزم أمره وقرر المغادرة مع قبيلته وحلفائه وأتباعه من بلاد الترك إلى بلاد المسلمين أي بلاد ما وراء النهر<sup>4</sup>، ولا ندري متى تمت هذه الهجرة ولعلها كانت في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي<sup>5</sup>، ولكن الظروف كانت مواتية لإنسياح سلجوق بن دقاق وقبيلته في هذا المصر الإسلامي الكبير، الذي كانت تتجاذبه الطموحات السياسية والأوضاع التوسعية والسياسية بين السامانيين<sup>6</sup> و القراخانيين<sup>7</sup>، فقد امتلك سلجوق قوة كبيرة جعلته حليفاً استراتيجياً للسامانيين، الذين طلبوا منه الإعانة في حركهم ضد هارون بن إيلك خان القراخاني، الذي استولى على عدد من أملاكهم، فتحالف معهم لمحاربة القراخانيين<sup>8</sup>، كما لم يهمل العمل على تحسين أوضاع قبيلته من خلال انتهاز الفرص التي تلوح له، وبذلك يكون التحالف بينه وبين السامانيين الأول بين الطرفين، والتجربة الأولى كذلك في

1- ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص 281.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 236.

3- محمد حمدي سعيد مدوخ، واقع حقوق الإنسان في الدولة السلجوقية (447هـ-485هـ/1055م-1092م)، رسالة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 1438هـ/2017م، ص 11.

4- ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص 281.

5- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 77.

6- السامانيون: ينتسب السامانيون إلى جددهم الأعلى سامان خداة، وهو نبيل فارسي انحدر من بهرام جوبين أحد ملوك الدولة الساسانية، وأصله من بلخ، يدين بالديانة الزرادشتية، وفي خلافة هشام بن عبد الملك وفد سامان على أسد بن عبد الله القسري والي خراسان، فأرسله أسد، وقهر أعداءه، وأعاد إليه بلخ، فاعتنق سامان الإسلام على يديه وسمى ابنه أسدا تبركا به. وقد تأسست الدولة السامانية بعد تمكن إسماعيل بن أحمد الساماني من إنهاء النفوذ الصفاري من خراسان سنة 287هـ، واستمرت مائة وثمانية وعشرين عاماً من سنة 261هـ إلى سنة 389هـ، ينظر: بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 99.

7- القراخانيون: ينتسب القراخانيون إلى العنصر التركي وينتمون إلى قبيلة القارلوق على الأغلب الذين يشكلون بدورهم فرعاً من مجموعة قبائل تركية متحالفة أهمها اليغما وتحسي وتشغل، وكانت منازلهم في المناطق الوسطى من حوض نهر سيحون، وتمتد شرقاً حتى السهوب الغربية لجبال ألثاي، وجنوباً إلى المناطق الواقعة بين وادي نخري سيحون وإيلي ومناطق حوض نهر جو في الشمال، ويحمل زعيمهم لقب إيلك، يمكن تحديد قيام إمارة القراخانيين في بلاد ما وراء النهر في عام (383هـ/993م) وهو تاريخ سيطرتهم على بخارى عاصمة السامانيين، لكن الواقع أن سيطرتهم على المدينة كانت مزعزعة ومهددة، فخرجوا منها تحت الضغط الساماني الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ودام الصراع بين القوتين حوالي اثني عشر عاماً سيطر القراخانيون في نهايتها على مدينة بخارى سيطرة تامة ونهائية وذلك في أواخر 394هـ/خريف 1004م، ويمكن اعتماد هذا التاريخ بداية رسمية لقيام الإمارة القراخانية. ينظر: طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق (429هـ-590هـ/1038م-1194م)، ط 2، دار النفائس للطباعة والنشر

والتوزيع، 1437هـ/2016م، ص 30-31.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 236.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

التدخلات السياسية<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك تسامح السامانيون عن وجود سلجوق وقبيلته على أراضيهم<sup>2</sup>، وأخذوا ينظرون ينظرون إليهم نظرة إيجابية حذرة، وقد تضاعفت قوة سلجوق وانضم إليه الأتراك المسلمون بعد أن ذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق، وزادت ثروته واثرة أتباعه أيضا، نظرا لما غنموه في حروبهم ضد الأتراك غير المسلمين، مما هيا لهم ظروفًا معيشية مناسبة، أثرت على أوضاع السلاجقة التي شهدت نموًا ديمغرافيًا، فتزايدت قوة سلجوق لسببين، الأول داخلي والآخر خارجي، فاستوجب ذلك وضع تنظيمات في هذه المرحلة المبكرة، حيث حافظ سلجوق على الالتزام بالأعراف التركية البدوية القديمة، ولعل ذلك ما عزز وحدة القبيلة وأدى إلى تماسكها وانسجامها وصلابتها<sup>3</sup>.

قضى سلجوق بقية حياته راعيا لمصالح قبيلته، ساعيا إلى توطيد نفوذها، كما أقام التحالفات وحافظ على التوازنات السياسية<sup>4</sup>، حتى توفي بـ "جند" وعمره مائة سنة وسبع سنين ودفن بها<sup>5</sup>، وكان له أولاد، هم: إسرائيل و ميكائيل وموسى وموسى بيغو ويونس<sup>6</sup>، "...ثم نشأ أولاده في القوة والنعمة والدولة، واستولوا على كل موضع استضعفوه من بلاد بلاد العجم، وما زال أمرهم ينمى..."<sup>7</sup>.

والواقع أنَّ أبناء سلجوق الأربعة ساروا على نهجه، وورثوا عن أبيهم وجدهم صفات القوة والنجابة، مما دفع بملوك تلك المناطق أن يحاولوا استمالتهم للتقوي بهم تارة، والإيقاع بهم وغدرهم تارة أخرى، وتتابعت الأحداث العاصفة والمتتالية التي برهنت على بعد نظر السلاجقة<sup>8</sup>، انطلاقًا من كشف وتعيين أبرز خصائص بنية المجال السياسي لجهة ما انطوت عليه تيارات فكرية وقوى اجتماعية متنوعة احتضنت فاعلية سياسية متعددة الأوجه، شكلت الإطار الذي احتضنت عملية انبثاق السلطنة السلجوقية وما تفرع عنها من مؤسسات مختلفة، إلا أنَّ عملية الانبثاق هذه خالطها دور سياسي خاص للأسرة السلجوقية ضمن خارطة القوى الفكرية والسياسية التي أسهمت مجتمعة في إرساء دعائم الدولة الناشئة، وتتطلب الإحاطة بخصوصية هذا الدور السياسي، تبيان معالم السياق الاجتماعي والسياسي والفكري

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص78.

2- أديل سليمان محمود وهبي، مدينة الري في العصر السلجوقي (434هـ-590هـ/1042م-1193م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004م، ص05.

3- عزام عبد الله محمد نور باشا، النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي (432هـ-485هـ/1040م-1092م)، رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ والحضارة، قسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1407هـ/1987م، ص38-39.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص43.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص237.

6- الرواندي، المصدر السابق، ص146.

7- ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص282.

8- محمد محمدي سعيد مدوخ، المرجع السابق، ص12. V.M.Zaporozhets, op.cit, p114.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الذي وفر جملة الأسباب التي كانت في أساس ما تبوأته الأسرة السلجوقية من مكانة سياسية خاصة ضمن مشروع بناء السلطة السياسية المركزية للدولة<sup>1</sup>.

آلت زعامة القبيلة إلى أرسلان بيغو أكبر إخوته<sup>2</sup>، الذي اتبع نفس أسلوب والده في غزو قبائل الأتراك الوثنية، ولكنه الوثنية، ولكنه قتل في إحدى هذه الغزوات، فتولى بعده أخوه ميكائيل الذي قتل وهو يغزو بلاد الأتراك، وخلفه ولديه طغرل بك محمد، و جغري بك داود<sup>3</sup>. والظاهر أنَّ السلاجقة لم يستطيعوا العيش في وفاق مع المسلمين الذين حرروهم، وذلك بفعل تأثيرهم بأصلهم القبلي، إذ كانوا يألفون حياة البداوة التي تميل إلى التنقل و الترحال<sup>4</sup>.

**2- التمدد السلجوقي في خراسان وقيام الدولة:** استشراف سلجوق قبل وفاته ملامح القيادة في ابني ولده ميكائيل، طغرل بك و جغري بك داود، فحظيا برعايته فيما تبقى من عمره<sup>5</sup>.

يعد التمدد السلجوقي في خراسان البداية الفعلية لمشروعهم الكبير المتمثل في تأسيس الدولة، ورغبة جامعة في التحكم بالوضع السياسي فيها، والموازنة بين التناقضات و التجاذبات الإستراتيجية التي شهدتها الأوضاع السياسية، وكان انتقال السلاجقة من بلاد ما وراء النهر إلى خراسان بناء على مراسلات أعيان البلاد، وأرباب الضياع لهم ودعوتهم لتخليصهم من حكم الغزنويين<sup>6</sup>، وبخاصة من المظالم التي ارتكبتها حاكم خراسان أبو الفضل سوري بن المعتز<sup>7</sup>، ومع ذلك فليس هذا هو السبب الرئيسي، بل هناك دوافع أكثر موضوعية، إذ "لما مضت مدة على هذه الواقعة المؤلمة والحادثة المحرقة أرسلوا شخصا إلى حضرة السلطان محمود، وطلبوا منه أن يأذن لهم بعبور نهر جيحون، والإقامة في خراسان بين نسا و باورد لأنَّ مراعيهم في بخارى قليلة ولا تكفي أعشابها

1-الضيقة حسن، الدولة العثمانية: الثقافة، المجتمع، والسلطة، ط1، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1417هـ-1997م، ص53.

2-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص237. SALAH.A.A.SULAYMAN, op.cit, p06.

3-الرواندي، المصدر السابق، ص145-146.

4-طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص79.

5-فاروق عمر ومرتضى حسن النقيب، تاريخ إيران، دراسة في التاريخ السياسي لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة (21هـ-

906هـ/641م-1500م)، بغداد، منشورات بيت الحكمة، 1989م، ص163. A.M.Zaporozhets, op.cit, p115.

6-الغزنويين: نسبة إلى مدينة غزنة وهي بأفغانستان حاليا، أسس هذه الدولة سبكتكين الذي تولى إمارة غزنة سنة 366هـ، وهو أحد الغلمان الأتراك الذين كانوا يعملون مع ألبتكين واستطاع سبكتكين أن يوسع حدود ملكه من ناحية الهند، وكان يعترف بسلطة السامانيين عليه رغم استقلاله، وقد عمرت هذه الدولة إلى غاية سنة 582هـ، ينظر، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، إشراف ومراجعة قاسم عبد الله إبراهيم ومحمد عبد الله صالح، تقلد الدكتور راغب السرجاني، الجزء الأول، ط7، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2007م، ص359.

7-أديل سليمان محمود الوهبي، المرجع السابق، ص65.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لمواشيهم، فسمح لهم السلطان بالعبور والإقامة هناك...<sup>1</sup>، والواقع أنَّ قوة السلاجقة قد قضت مضاجع السلطان محمود الغزنوي (388هـ-421هـ)، نظراً لانشغاله بفتح الهند، فحاول الموازنة بين بقاء سلطانه في خراسان والتوسع في الهند، واستعمل سياسة الهروب إلى الأمام بقبول طلب السلاجقة بالعبور إلى خراسان، خاصة بعد أن أسر زعمائهم وشتت اتحادهم، والأكثر من ذلك أنَّ السلاجقة لم يحركوا ساكناً اتجاه ما حدث لمقدميهم وزعيمهم، فأغره ذلك بالسماح لهم بالإسباح في المنطقة<sup>2</sup>. وكان السلاجقة بعامة، منذ دخولهم في الإسلام، يحاولون تحت ضغط الأحداث السياسية والأوضاع الاقتصادية، أن يجدوا لهم مخرجاً وأرضاً يهاجرون إليها، وقد حققوا هدفهم بعبور النهر إلى خراسان<sup>3</sup>.

تميزت حركة السلاجقة في خراسان بسياسة الهدوء وضبط النفس والوفاء بعهودهم للسلطان محمود الغزنوي في البداية، وبالمقابل سعوا سعياً حثيثاً لتطوير قدراتهم العسكرية، فقد أتاح لهم الاستقرار في خراسان حرية في التحرك والانتشار في مرج داندانقان، وأضحوا يتحينون الفرص لضم أملاك الغزنويين، وطغت عليهم بداوتهم وقاموا بأعمال الشغب ومضايقة الناس والإغارة على المدن والقرى المجاورة، مما دفع بسكانها إلى مطالبة السلطان محمود الغزنوي بإبعادهم<sup>4</sup>. لذا أضحى التصادم بين السلاجقة والغزنويين حتمياً، ذلك أنَّ خراسان كانت القاعدة الرئيسية للغزنويين وسقوطها في يد السلاجقة سيؤدي إلى زوال السلطة الغزنوية، ولم تكن للغزنويين سياسة واضحة في هذا الاتجاه، وكانوا يلاحظون في انتشار السلاجقة واعتداءاتهم على المدن والقرى التابعة لهم، الأمر الذي عدوه مشكلة عويصة يجب حلها ومعالجتها، كما تطلب من السلطان الغزنوي اتخاذ موقف حازم اتجاهها<sup>5</sup>، وقد ارتكب السلطان محمود الغزنوي خطأ كبيراً حينما وافق على السماح لجموع السلاجقة باحتياز النهر إلى خراسان، وندم فيما بعد على ذلك<sup>6</sup>، وأصبح لزاماً عليه أن يكبح جماح القوة السلجوقية، حيث اضطر إلى النظر في أمر الشكاوى التي بلغته وخرج من حضرته غزنة سنة 419هـ/1028م على رأس جيش كبير ميمماً طريق طوس عبر بست، فاجتمع بعامله أرسلان الجاذب الذي

1- محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام الحسيني، استعراض في تاريخ السلاجقة، ترجمة وتحقيق الدكتور حسين أمين، راجع الترجمة الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، ط1، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 2011م، ص44-45.

2- الرواندي، المصدر السابق، ص147-148، عليان عبد الفتاح محمد الجالودي، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (447هـ-590هـ/1055م-1193م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1996م، ص27.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ-2008م، ص24.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- فاروق عمر ومرتضى حسن النقيب، المرجع السابق، ص164.

6- طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص24.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

شرح له الوضع، وقرر إرساله على رأس الجيش ليجلي السلاجقة عن المنطقة، ولكنهم ألحقوا الهزيمة به<sup>1</sup>، عندها عزم السلطان محمود على قتالهم بنفسه، والتقى بهم في معركة ضارية برياط فراوة، حصل فيها انتصار كبير له، وقتل من السلاجقة أربعة آلاف فارس، وأسر عدد كبير منهم، وفر من نجا إلى بلخان ودهستان<sup>2</sup>.

توفي السلطان محمود الغزنوي سنة 421هـ بعد هذه المعركة، ولم يتمكن من وضع حد نهائي لقوة السلاجقة واستئصال شأفتهم، وقد تولى السلطنة ابنه مسعود، بعد أن قضى على أخيه محمد الذي عهد إليه محمود الغزنوي، أي بنفس الأسلوب الذي استخدمه السلطان محمود حين تخلص من أخيه إسماعيل بقوة السلاح<sup>3</sup>. وتم تنصيب مسعود ومبايعته سلطانا سنة 422هـ في مدينة غزنة، فقد خرج الناس لاستقباله، في حفل مهيب، وقدم له العلماء والفقهاء والأعيان التهاني والتعازي، ووعد مسعود بالعدل بين الرعية والنظر في المظالم<sup>4</sup>، ثم ما لبث أن "أنته رسل الملوك من سائر الأقطار إلى بابه واجتمع له ملك خراسان و غزنة وبلاد الهند والسند و سجستان وكرمان و مكران و الري و أصبهان وبلاد الجبل وغير ذلك وعظم سلطانه وخيف جانبه..."<sup>5</sup>.

استعاد السلاجقة عافيتهم ولملموا قوتهم وأصبحوا أكثر استعدادا لمجابهة قوة الغزنويين، خصوصا بعد أن تولى قيادتهم الأخويين طغرل بك و جغري بك كما أشرنا سابقا، نظرا لامتلاكهما نفوذا واسعا داخل العشائر السلجوقية، وقد بدا من أمر هذين الفرعين الصغيرين ما ينبئ بأنهما سوف يبلغان في الوقت المناسب بجنسهما إلى ذروة القوة فتنتشر بطونه فيما بين الصين شرقا وشواطئ البحر الأبيض المتوسط غربا، وفيما بين بحر آرال شمالا والخليج الفارسي جنوبا، ولقد مضى الأخوان مؤتلفين تربطهما أوثق أواصر الإخلاص المتبادل على أهداف واحدة<sup>6</sup>.

أدرك السلطان مسعود الغزنوي خطورة الإنسياح السلجوقي في خراسان، وكذا تعاظم قوتهم يوما بعد يوم، وأضحت مسألة السلاجقة أكبر مشكلة تهدد سلطانه<sup>7</sup>، حيث فشلت جيوشه التي أرسلها في القضاء عليهم، وتعود الحيشات الفعلية لمحاولات مسعود الغزنوي إلى سنة 426هـ، عندما "طلب السلاجقة من والي نيسابور أن يسمح لهم بالنزول

1- الرواندي، المصدر السابق، ص154، أديل سليمان محمود الوهبي، المرجع السابق، ص66، طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص24.

2- أبو سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمود الكرديزي، زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م، ص270-271، أديل سليمان محمود الوهبي، المرجع نفسه، ص66، طقوش محمد سهيل، المرجع نفسه، ص24، الجالودي، المرجع السابق، ص28.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص125.

4- عبد الكريم عبده طالب حتاملة، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1988م، ص57.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص190.

6- فامبري أرسنيوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد محمود الساداتي، مراجعة وتقديم الدكتور يحيى الخشاب، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، د.ت، ص129.

7- فاروق عمر ومرتضى حسن النقيب، المرجع السابق، ص164.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

بالقرب من المدينة والإقامة حولها، فرفض الوالي، وأحس بالخطر الذي يتهده، فاستنجد بالسلطان مسعود وطلب منه الحضور إلى نيسابور، للقضاء على هذا السلجوقي الداهم..<sup>1</sup>، وقد أشار ابن الأثير إلى أنَّ السلاجقة راسلوا السلطان مسعود الغزنوي وعرضوا عليه أن يكونوا عوناً له ويقاتلون منائيه، ولكنه ألقى القبض على رسلهم، وأرسل جيشاً جراراً بقيادة حاجبه "إيلنقدي" وعدد من الأمراء الكبار، والتقوا عند مدينة نسا في شعبان 426هـ، وأسفرت عن هزيمة مبدئية للسلاجقة، ولكن اختلاف جند الغزنويين حول الغنائم جعل السلاجقة يعيدون الكرة عليهم حتى هزمهم<sup>2</sup>، بعد ذلك حاول مسعود الغزنوي استمالة طغرل بك و جفري بك وأغراها بالإقطاعات حيث "...أقطع دهستان لداود و نسا لطرغل بك و فراوة لبيغو ولقب كل واحد منهم بالدهقان فاستخفوا بالرسول والخلع وقالوا للرسول: لو علمنا أنَّ السلطان يبقي علينا إذا قدر علينا لأطعناه ولكننا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكنا لما علمناه و أسلفناه فنحن لا نطيعه ولا نثق إليه..."<sup>3</sup>، فاضطر مسعود إلى عقد صلح معهم، ترك بمقتضاه المنطقة لهم، وبادر بالرحيل إلى بلاد الهند لترتيب أمورها وإقرار الأوضاع فيها بعد اشتعال الفتن والمنازعات بها<sup>4</sup>. وهكذا خلا الجو للسلاجقة في إقليم خراسان، وتهيأت لهم الأسباب لتدعيم نفوذهم، وبسط سلطانهم، وإقامة سلطنة لهم في ربوعه تكون نذراً للغزنويين<sup>5</sup>.

وفي سياق متصل رجع السلطان مسعود من الهند إلى حاضرتة غزنة ووقف على جلية الأمر واستشعر قوة السلاجقة المتنامية، فكتب إلى والي خراسان يأمره بمحاربتهم، ولكن رده حمل في طياته عجزه عن مناجرتهم، ومع ذلك امتثل لأمر السلطان مسعود، والتقى بالسلاجقة في سرخس في آخر شعبان سنة 429هـ، وأسفرت المعركة عن هزيمته<sup>6</sup>، وبعدها انسحب الجيش الغزنوي من المنطقة تاركاً إقليم خراسان كله لقمة سائغة للسلاجقة، الذين أضحت قوتهم أعظم قوة في خراسان<sup>7</sup>، "...فكانت هذه الوقعة هي الوقعة التي ملك السلجوقية بعدها خراسان ودخلوا قصبات البلاد..."<sup>8</sup>، والحق أنَّ معركة سرخس تعد انعطافاً حاسماً لصالح القضية السلجوقية، وتم الإعلان الفعلي عن قيام الدولة السلجوقية، وعجل طغرل بك بالمسير إلى نيسابور حتى حازها، وجلس على عرش السلطان مسعود، وأعلن نفسه

1- عبد النعيم محمد حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، ط1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1402هـ-1982م، ص34.

2- المصدر السابق، ج8، ص239.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص239.

4- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص34.

5- طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص27.

6- الرواندي، المصدر السابق، ص157.

7- ابن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص127.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص241.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

سلطانا في ذي القعدة 429هـ/آب 1038م<sup>1</sup>، وأصبح يلقب بلقب "السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد"<sup>2</sup>.

والواقع أنَّ عام 429هـ/1037م ينبغي أن يعد البداية الفعلية والحقيقية لقيام الدولة السلجوقية، فقد باشر طغرل بك مهامه باعتباره سلطانا للدولة منذ ذلك التاريخ؛ صحيح أنَّ الخليفة العباسي لم يعترف بقيام دولة السلاجقة، و بـ "طغرل بك" سلطانا عليها إلا في عام 432هـ/1040م، حيث وصلت إليه رسالة السلاجقة تطلب الاعتراف بدولتهم، مما جعل أكثر المؤرخين يعدون هذا العام بداية لدولة السلاجقة. غير أن من الإنصاف أن نقرر أن هذه الدولة قامت فعلا في عام 429هـ/1037م، لأنَّ اعتراف الخليفة العباسي حينذاك كان من الأمور الشكلية لإعطاء الدولة صفة شرعية، حتى يرضى الناس بها، ويقبلوا حكمها، خاصة أنَّ الخليفة العباسي لم تكن له قوة مادية في ذلك الوقت بحيث يستطيع التدخل والمساهمة في توجيه سير الأحداث<sup>3</sup>.

كان من المتوقع أن يكون رد السلطان مسعود الغزنوي قويا جدا، وسوف لن يسمح أبدا بقيام دولة جديدة على أراضيه، فقرر الخروج بنفسه على رأس جيش ضخم، يقول البيهقي واصفا خروج مسعود الغزنوي لقتال السلاجقة: "وفي يوم الأربعاء الثامن عشر من شهر صفر، سار السلطان رضي الله عنه من هراة عن طريق بوشنك، مع جيش جرار كامل العدد فيه فيلة القتال ورجال كثيرين وأحمال خفيفة، وفي بوشنك أمر السلطان بالتعبئة.... وأجمع كل من رأى هذا الجيش على أنه لم ير له من قبل مثيلا..."<sup>4</sup>، وعلى الرغم من ضخامة هذا الجيش إلا أنَّ حالته كانت كانت سيئة؛ "...وركب السلطان وسلك طريق مرو، فسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقا يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى، وكان اليوم شديد القيظ، والمؤن قليلة، والعلف لا وجود له، والدواب هزيلة والناس صيام..."<sup>5</sup>، ويبدو أنَّ السلطان مسعود لم يقدر تماسك جيوش السلاجقة، رغم محاولته منع اجتماع طغرل بك الذي كان في طوس مع أخيه جغري بك في نسا و باورد، حيث هاجم طغرل بك في طوس ولم يفلح في أخذها، وفشل في خطته العسكرية التي أعدها لمهاجمة جيوش السلاجقة قرب سرخس، ومع ذلك استحوذ على مدينتي بلخ و نيسابور مؤقتا، وحدث ما كان يخشاه مسعود الغزنوي، فقد اجتمع الأخوان واستعدوا لمواجهة الغزنويين عند داندانقان بين سرخس و مرو<sup>6</sup>، حيث "...جرى القتال لا يصفه الواصفون، وكان في تلك الصحراء عدد من عيون الماء، وكان

1-الأصفهاني، المصدر السابق، ص 185-186، طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 53.

2-الرواندي، المصدر السابق، ص 159.

3-عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 36.

4-البيهقي أبو الفضل، تاريخ البيهقي، ترجمة يحي الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، د.ت، ص 663.

5-المصدر نفسه، ص 680.

6-المصدر نفسه، ص 663-690.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

السلاجقة قد تزودوا بحاجتهم من الماء قبل القتال... ثم ردم السلاجقة منابع الماء وغيونته فتمرغ جيش مسعود في تراب المذلة بسبب فقدانهم الماء، وخشوا أن تذروهم الرياح من حرارة نار العطش، فانفرط عقد الجيش... وتركوا السلطان وحيداً، فلما رأى السلطان نفسه وحده.. فصمم على الفرار..<sup>1</sup>، وقد انتهت معركة داندانقان بهزيمة كبيرة للغزنويين، وذلك في 09 رمضان 431هـ/24 حزيران 1040م<sup>2</sup>، أما السلطان مسعود فقد تمكن من الهرب رغم ملاحقة السلاجقة له حتى بلغ غرستان، وغنم السلاجقة معسكره، ثم انصرفوا إلى نيسابور وحازوها سنة 432هـ<sup>3</sup>.

لقد وضعت معركة داندانقان حداً نهائياً لحكم الغزنويين في خراسان، ونصب طغرل بك التخت في مكان المعركة وجلس عليه، وجاء الأعيان يسلمون عليه بإمارة خراسان، كما حرر طغرل بك الرسائل إلى الأمراء المجاورين لإعلامهم بخبر الانتصار، أما القوات السلجوقية فقد طاردت القوات الغزنوية المنهزمة حتى شواطئ نهر جيحون بهدف قسرهم على الهرب إلى ما وراء النهر حتى يقدموا برهاناً ملموساً على النصر، مما أتاح قيام سلطنة إسلامية جديدة و انحسار ظل واحدة، كما تعد معركة داندانقان إحدى المعارك الكبرى الفاصلة في التاريخ الإسلامي، بل إن نتائجها تعدت العالم الإسلامي وأثرت على عالم العصور الوسطى<sup>4</sup>.

**3- قراءة في أبعاد تأسيس الدولة السلجوقية:** جاء تأسيس الدولة السلجوقية في سياق التحولات الكبرى التي شهدتها أقاليم المشرق الإسلامي، وتراجع قوة السلطة المركزية المتمثلة في الخلافة العباسية ببغداد، وتنامي قوة الأطراف أمام ضعف العباسيين وعم مقدرتهم على ضبط القوى السياسية الصاعدة، وسعيها الحثيث للقيام بدور المركز في تسيير مقدرات العالم الإسلامي، لذا لا يمكن الحديث عن الأبعاد الناجمة عن تأسيس دولة السلاجقة، دون الإمساك بمختلف التناقضات والصراعات والمواجهات بين السلطات السياسية التي حكمت بلاد ما وراء النهر وخراسان، وكان قيام الدولة الجديدة يحمل في طياته جملة من التغيرات في المناخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، الذي عاشته هذه المناطق من حيث الأنساق والأنماط، والواقع أن السلطنة السلجوقية أثرت بشكل كبير في تاريخ المشرق وغرب آسيا بخاصة والتاريخ الإسلامي بعامه، فقد ساهمت في توجيه الأحداث السياسية في المشرق

1- الحسيني، المصدر السابق، ص51.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص54. Ozgor Tokan, **Viziers of the Seljuk Empire during the Reign of Toghrul-Beg ibn Mikail 1040-1063**, International Journal of Science Culture and sport, 4-1-, March 2016, p129.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص242.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص55.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الإسلامي بشكل بارز وفي رسم سياسة توسعية باتجاه العالم النصراني لنشر العقيدة الإسلامية<sup>1</sup>، وهكذا ولدت سلطنة جديدة لتأخذ مكانها على مسرح السياسي في العالمين الإسلامي والنصراني<sup>2</sup>. فقد "كان من قدر العالم الإسلامي أن يواجه قوة أوروبا، فتفجر ينبوع الفروسية المسيحية في وجه الهلال، مفعماً بآمال النجاح حسب كل التوقعات. وفي هذه اللحظة الحرجة انبعثت قوة الإسلام من جديد في إحياء من النوع الذي يملأ قلب المؤرخ انبهاراً...، لقد أنقذ العالم الإسلامي من تدمير الصليبيين له بإحدى تلك الاندفاعات التي تأتي في إبانها. فنزوح السلاجقة غرباً أثمر عنصراً فتيماً في العالم الإسلامي مكن المسلمين من الصمود في وجه الغزاة الأوروبيين، وقد غير تدخل السلاجقة تاريخ آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر..."<sup>3</sup>، الأمر الذي يجعل قيام دولة السلاجقة متماهياً تماماً مع التراجع الكبير الذي شهدته الدولة العباسية على جميع المستويات، أي جاءت هذه الدولة في اللحظة الفاصلة لتداعي قوة العباسيين وبداية أفولها، إذ مع مطلع القرن الخامس الهجري بدى واضحاً أن عصبية العرب قد استنزفت طاقة اندفاعها الأولى وأصابها الإرهاق<sup>4</sup>، وأضحت دولة بني العباس مرهقة كغيرها من "الإمبراطوريات المرهقة"<sup>5</sup>. وحينما أصاب العرب هذا الإرهاق الحضاري، وتحول الإسلام من الاندفاع إلى الدفاع، برز الأتراك على مسرح التاريخ، فأصبحوا درع الإسلام، وكأنما انتقلت مصائر العالم الإسلامي إلى أيديهم. وقد برهن الأتراك على صلابته والتزام في الدفاع عن حدود دار الإسلام لا مثيل لهما لأي من الشعوب الإسلامية الأخرى في العصر الوسيط<sup>6</sup>.

لكن الريادة التركبية الحقيقية في المجتمعات الإسلامية لم تبدأ إلا في القرن الخامس الهجري، حينما غدا الأتراك السلاجقة قادة للمجتمع الإسلامي، ومدافعين عن حوزة الإسلام. وكانت بداية هذا التحول الثقافي والاجتماعي العظيم هي اعتناق السلاجقة الإسلام، وغزوهم قلب العالم الإسلامي، ليفتحوا بذلك الحقة التركبية من تاريخ الإسلام

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام...، المرجع السابق، ص 89.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص 30-31، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 56.

3- Herbert M.J. Loewe, **The Seljuqs**, in *The Eastern Roman Empire 717-1453*, vol, 4 of *The*

Cambridge Medieval History, ed, J.R. Tanner, C, W, Previte and Z.N. Brooke. Cambridge: Cambridge University Press, 1923, p. 302.

4- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص 40.

5- David Nicolle, **The Great Islamic Conquests AD632-750**, Oxford: Osprey, 2009, p35.-5

6- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص 40.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

التي دامت أكثر من ثمانية قرون<sup>1</sup>. وقد ساعد السلاجقة على هذا التصدر في التاريخ الإسلامي ابتداء من القرن الخامس الهجري، هو التمرس العسكري والولاء للخلافة العباسية والأعداد الوفيرة<sup>2</sup>.

شكل النمط الأسري أحد المرتكزات الأساسية لقيامها، وذلك انطلاقاً من مرونة التداول على السلطة بدءاً من سلجوق حتى طغرل بك وأخيه جغري بك، كان كفيلاً بربط وحدة العمليات العسكرية بشخص أمير السلاجقة، كما لم يحدث تغير في شكل الهيكلية من حيث التراتبية السلطوية وحجم الصلاحيات والنفوذ، وجوهر الحركة البنائية لمصادر القرار، كما ظهرت اللحمة الأسرية السلجوقية في حدود المستوى الاجتماعي، باعتبارها إحدى تكوينات شبكة العلاقات الاجتماعية التي تنصهر في مدار الاجتماع الإسلامي العام، وأضحى الارتباط وثيقاً بباقي التكوينات الاجتماعية المجسدة لوحدة مجالها، بغض النظر عن التغيرات في طبيعة المعاش وخصائصه<sup>3</sup>، وعلى ضوء ذلك اقتسمت العشائر السلجوقية بعد الانتصار الأراضي التي استولوا عليها، وكان نصيب جغري بك مدينة مرو وقد اتخذها عاصمة له، كما ملك أكثر خراسان، أما أبو علي الحسن بن موسى فكان نصيبه ولاية بست و هراة و سجستان وما يجاور ذلك من النواحي، ونال قاورد أكبر أبناء جغري بك، ولاية الطبسين ونواحي كرمان، وحصل إبراهيم ينال على همذان، و ياقوتي بن طغرل بك على أهر و زنجان ونواحي أذربيجان، و قتلмыш بن إسرائيل على جرجان و دامغان<sup>4</sup>. وهذا ينبي عن طبيعة الصيرورة التاريخية التي تدافعت في رسمها معطيات إستراتيجية، تم إعادة بنائها في سياق ما وفرته الظرفية التاريخية للاجتماع الإسلامي من رؤى مخصصة<sup>5</sup>، من ذلك السرعة المذهلة التي تأسست فيها دولة السلاجقة وتمدها وتمدها إلى مناطق واسعة، وتقويضها لعدد من الكيانات السياسية المتواجدة على هذه الأراضي، فقد رافق الحركة السلجوقية عنفوان جامع اكتسح قوة السامانيين و القراخانيين و الغزنويين، ثم البويهيين والفاطميين فيما بعد، وتمكن السلاجقة من بلورة حركتهم إلى دولة كبرى مترامية الأطراف، واستطاعوا الانتقال في وقت قياسي من عشائر باحثة عن مكان تستوطنه، إلى قوة فاعلة تؤثر في سيرورة الأحداث، ومن ثم التموقع بين القوى السياسية والتفاعل معها، وأخيراً بناء الدولة، إذ "كان دخول السلاجقة إلى آسيا الغربية في النصف الثاني من القرن الحادي عشر فاتحة حقبة من أهم حقب التاريخ العالمي. فقد أضاف أمة ثالثة -إلى جانب العرب والفرس- إلى الأمم الممسكة بمصائر العالم الإسلامي، وأطال عمر الخلافة (العباسية) -وقد كانت محتضرة يومها- لقرنين من الزمان، وانتزع آسيا الصغرى من العالم المسيحي، وفتح الباب للغزوات العثمانية التالية داخل أوروبا، ومكن المسلمين السنة من

1- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص 47.

2- المرجع نفسه، ص 49.

3- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 54.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام...، المرجع السابق، ص 88، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص 29-30.

5- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 54.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

سحق البدعة الإسماعيلية، واستنار أعمالاً انتقامية من طرف القتلة الحشاشين، وأنهى هيمنة العرب في الشرق الأدنى، ونشر اللغة الفارسية والثقافة الفارسية على امتداد جغرافي واسع من الأناضول إلى شمال الهند، وأثار- بما مثله من تهديد للقوى المسيحية- الهجوم المضاد المعروف باسم الحروب الصليبية...<sup>1</sup>.

والظاهر أنَّ تقاسم الإقطاعات بين أمراء السلاجقة، مناقض للفكرة الإيرانية حول الملك باعتباره صاحب السلطة المطلقة في الدولة، ولكن السلاجقة كانت غايتهم من ذلك إحاطة السلطنة الغزنوية والحيلولة بينها وبين محاولة استعادة خراسان، ثم تأمين فتح طريق جيحون من أجل قدوم مهاجرين (غز) جدد<sup>2</sup>.

إنَّ جدلية الأدوار التي اضطلعت بها السياسة السلجوقية، تحمل سماتها الخاصة باعتبارها امتداداً لطبيعة السلطة الحاكمة، والمفارقة هنا تتمثل في كون ما تبلوره قوى المجتمع من سياسات يغلب عليها طابع الثبات والاستمرارية، وذلك بما يتناسب مع منطق عملية الاستيعاب، في حين أنَّ سياسات السلطة المركزية، تنطوي على خصوصية تتمثل في تأرجحها وتجاوزها بين عناوين متنافرة، تدفع باتجاه تيسير وتفعيل عملية التكيف والاستيعاب عندما يغلب عليها طابع التواصل مع دورة الاجتماع العامة التي انبثقت منها<sup>3</sup>. والواضح أنَّ عملية التطور التي أوصلت الأسرة السلجوقية إلى الحكم، قد ابتدأت منذ معركة داندانقان في عام 431هـ/1040م، إذ شكل النصر السلجوقي على الغزنويين بداية فتح الطريق أمامهم لتأسيس دولتهم، ومن ثم التمدد باتجاه العراق قلب العالم الإسلامي للسيطرة على الخلافة العباسية وإقامة دولة سلجوقية مترامية الأطراف، خاصة بعد سيطرتهم الكاملة على خراسان، فكان طبيعياً أن يكون امتلاكهم لها تمهيداً للوصول إلى مركز العباسيين، شأنهم في ذلك شأن كل من السامانيين و الصفاريين و الغزنويين<sup>4</sup>، ولكن المشروع السلجوقي كان أكثر فاعلية واستمرارية وتمكناً وتأثيراً كما سنرى في المباحث القادمة، وهذه الإشارات أومأت إلى طبيعة الأنساق التي بلورت مركز العائلة السلجوقية داخل المجال الاجتماعي العام، هذا المركز الذي تنبثق عنه أدوار سياسية خاصة، تستدعي مقارنة خاصة بغية تغيير معالمها الأساسية وما يطرأ على هذه المعالم من تطورات وتحولات في ضوء أليات الحراك السياسي العام<sup>5</sup>.

إنَّ النسق السياسي المرتبط بالعائلة السلجوقية تجسد في حجم العلاقات البنائية بين مختلف العشائر المنضوية تحت سلطة السلاجقة، وضمن استمرارها وتواصلها، وتعدد أنماط السلطة وفاعليتها، وكذا استجابتها للأدوار المركزية والغايات البعيدة والأهداف التشاركية، وقد تجلّى ذلك في ضم السلاجقة إيران وكرمان والعراق وتمددوا إلى بلاد الشام وآسيا

1- Saunders, opcit, p141.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص30.

3- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص55-56.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص31.

5- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص56.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الصغرى، فانقسموا بذلك إلى خمسة بيوت حكم كل بيت ناحية من النواحي، حيث حكم السلاجقة العظام خراسان والري والجلال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز، وحكم سلاجقة كرمان منطقة كرمان، وهناك سلاجقة العراق بعد انفصالهم عن السلاجقة العظام، وسلاجقة الشام وسلاجقة الروم<sup>1</sup>، لذا فإن فهم طبيعة هذه الأدوار يشترط معرفة المعادلات السياسية العامة المخصصة لها والناظمة لأهدافها، والمقننة لأشكال وأساليب النهوض بها، وصولاً إلى استيعاب النتائج المترتبة عليها. بهذا المعنى، ينطوي هذا النمط من الأدوار السياسية على العديد من التعقيدات التي تفرض كشف ما تنفرد به من خصائص<sup>2</sup>. كما يسهم ممارسة الدور المنوط بالعائلة السلجوقية في تعميق لحمتها الداخلية على قاعدة تمثلها لأنظمة من القيم وأنماط السلوك والرؤى والتجارب التي تؤهلها للارتقاء إلى مستوى انفتاحها على أدوار كبرى، أضف إلى ذلك ما يترتب على ممارسة هذه الأدوار من بلورة تقاليد سياسية وقاتلية تنتظمها رابطة الأخوة المجاهدة، التي تشكل إحدى الشروط الأساسية لقيام مشروع سياسي موحد لجموع القوى المرابطة على اختلاف أصولها الفكرية والاجتماعية.

لقد أدى تفعيل النمط التشاركي إلى الدفع بوتيرة الحركة السلجوقية، التي ستصدي لمتطلبات المشروع السياسي العام، وكذا تهيئتها لامتلاك الشرعية التي تؤهلها للقيام بأعباء أدوار سياسية محددة، وذلك على قاعدة وحدتها والتحامها بكافة القوى السياسية والفكرية المشاركة في توفير أسس قيام مشروع الدولة المقبلة، وعلى قاعدة تمثلها وخضوعها لجملة النظم والتشريعات التي تبلورها التيارات الفكرية والسياسية التي تحتل المشهد السياسي العام، ومن هذا المنطلق فإن خصوصية الدور السياسي للعائلة السلجوقية، باعتبارها سلطة قائمة، تجدد مسوغاتها في قدرتها على الانخراط ضمن مسار سياسي أسهمت في رسم معالمه المختلفة كافة القوى السياسية والاجتماعية التي تحتضنها دورة المجتمع العامة<sup>3</sup>. ليس من السهل الإمساك بكل السياقات التي تفاعلت فيها، جهود أمراء السلاجقة في إقامة دولتهم، فقد تمحورت حركة بعث الدولة الجديدة، حول الهيكلية البنائية وسبل دمجها في المتغيرات البيئية والسياسية والاجتماعية، ومن ثم العمل على تداخل وتفاعل عدد من الديناميات في النسق السياسي، وربطها بجملة من الأوليات التي ستوفر شروط لحتمته الداخلية، وأيضاً تأمين شروط تطوير خطوط سياساته الإستراتيجية في مواجهة ما استجد من أزمات ومعطيات ألفت بثقلها على بنى المجتمع الفكرية والسياسية والاجتماعية محدثة فيضاً من التصدعات التي تتخطى مفاعيلها حدود السلطات القائمة لتبلغ مستوى توازنات المدار الاجتماعي العام على اختلاف تعبيراته<sup>4</sup>.

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام...، المرجع السابق، ص 89.

2- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 57.

3- المرجع نفسه، ص 58.

4- المرجع نفسه، ص 59.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تفضي جملة التوضيحات المنهجية والنظرية التي أوردناها في المقدمات السابقة إلى توفير مسوغات تهافت كافة المقاربات المعرفية التي اتخذت من متغير محدد أو مجموعة متغيرات نقطة ارتكاز في سعيها للإحاطة بأواليات تشكل الدولة السلجوقية، وذلك باعتبار أنه لا يمكننا انتزاع أي من هذه المتغيرات-وما ينطوي عليه من فاعلية خاصة-من سياقه الحاضن له والمعين لمغزى ودلالات فاعليته، بتعبير آخر يشكل المجال الاجتماعي العام الإطار العام الذي يخصص مكانة ووظيفة كل من مبانيه ومرتكزاته الفرعية<sup>1</sup>. وفي ذات السياق تعد مقارنة أواليات التدافع في المجال الإسلامي، وسرعة تأقلم السلاجقة في خراسان، وأيضا مرونة حركتهم ونشاطهم السياسي، وتمكنهم في فترة وجيزة من ولوجهم إلى المدن والكور الخراسانية، من التموقع بين نسيجها الاجتماعي والعشائري والتعاون مع مصادر النفوذ بشكل سلسل، وضمن أشكال التبعية والطاعة على مستوى الأعيان وعامة المجتمع الخراساني، بالإضافة إلى ربط الصلة بمجتمع ما وراء النهر، ووضع عدد من الطرائق الكفيلة ببلورة نسق امتزاجي في طبيعة العلاقات بين خراسان وبلاد ما وراء النهر، تمهيدا لصهرها ببقية الأقاليم التي ستدخل تحت سلطانهم، وفق فلسفة حكم السلاجقة ونظامهم السياسي وأنواع المؤسسات التي استحدثوها، وعليه شكل كلا الإقليمين مركز الدولة الجديدة وقاعدتها المكيئة، وقد عول عليهما السلاجقة وبذلوا جهودا كبيرة في الإبقاء عليهما تحت إشرافهم المباشر، من ذلك اتخاذهم خراسان حاضرة للدولة ومدنها الكبرى عواصم على فترات معينة ك: نيسابور و مرو والري وأصفهان، بالرغم من تعدد بيوتات السلاجقة الحاكمة لأقاليم المشرق الإسلامي.

لذا تعد الدولة السلجوقية امتدادا أو نتاجا لتفاعل عوامل داخلية وأخرى خارجية أفضت إلى ولادتها، مما يترتب على هذا النمط من المقاربات العديد من المنزلاقات النظرية والمنهجية المغيبة للخصائص المركزية التي حكمت تجربة بناء الدولة السلجوقية، وذلك باعتبار أن الدولة السلجوقية لا تشكل انقطاعا تاريخيا عما راكمته دورة الاجتماع الإسلامي من تجارب تاريخية، وباعتبار أن هذه الدورة بالرغم مما طرأ عليها من تحولات مختلفة لم تفقد وحدتها في مواجهة التحديات الوافدة، ولا غرو أن من شروط أية مقارنة معرفية للدولة السلجوقية، الأخذ بعين الاعتبار ضرورة التمييز بين ما يمثلته المجال الاجتماعي الإسلامي كما استقرت معالمه في بلاد ما وراء النهر وخراسان، من وحدة مجال ينتظم مبانيه وسياقاته منطق خاص مثبت لهذه الوحدة ومحدد لمكانة ووظيفة شتى أنشطته<sup>2</sup>.

لقد أضحي جليا ثنائية المحتوى البنائي المتصل مع سياق التطورات الجارية في مركز الخلافة العباسية، إذا كان تراجع قوة العباسيين رافدا أساسيا طعم صيرورة عملية بناء الدولة السلجوقية، وكشف أبعاد الصراع والتفاعل بين هذا المجال

1- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 61-62.

2- المرجع نفسه، ص 62-63.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الحضاري وبين ما فرضته المجالات الحضارية الأخرى من تحديات متعددة الأزمنة الثقافية والاجتماعية والتاريخية<sup>1</sup>. كما لا يفوتنا التنويه بخصوصية النمط السلطوي الذي تبلور بتأسيس الدولة السلجوقية، ممثلاً في الدولة السلطانية التي... لم تكن تدعي مشروعية دينية أو تاريخية، بل فرضت سلطانها بالقوة والتغلب، فما كان لهذا الوضع إلا أن يطرح السؤال عن مشروعية التغلب المستبد، وعما يستتبع ذلك من معضلات تمس مسألة مشروعية الحكم السياسي والدولة بصفة عامة...<sup>2</sup>، لذا تتيح التظاهرات التي سوقناه في سير أغوار جملة المركبات والأسس التي أسهمت في تشكيل وتكوين بني المجال السياسي العام، الذي احتضن عملية انبثاق السلطة السلجوقية. أضف إلى ذلك ما انطوت عليه عملية الانبثاق هذه من معطيات أكسبتها مشروعية مجتمعية ثابتة متعددة الأوجه، إلا أن اكتمال نشوء الدولة، وما رافقته من تحولات أسهمت في تكون وترسخ مؤسسات السلطة السياسية المركزية، كان يؤسس لإدخال متوالية جديدة ضمن الحقل السياسي العام، ونجد مقومات هذه المتوالية فيما تتولاه السلطة السياسية الناشئة من وظائف خاصة تغطي شتى جوانب الحياة الاجتماعية<sup>3</sup>.

وأخيراً فإن تأسيس الدولة السلجوقية ينبئ عن عبقرية مؤسسيها، في التعامل مع مختلف التغيرات والتناقضات والصراعات، وقدرتهم على الإمساك بزمام المواقف واقتناص الفرص التي لاحت لهم، ويعد تأسيس دولة بهذا الحجم حكمت مساحة واسعة زمنياً طويلاً، إضافة جديدة في سلسلة عمليات تأسيس الدول التي شهدتها العالم الإسلامي منذ بداية العصر العباسي الأول، وصار النموذج السلجوقي، نموذجاً يقتدى به في جميع الدول التي ورثت هذه الدولة، ابتداءً من الزنكيين فالأيوبيين، ثم المماليك وأخيراً العثمانيين. إذاً لقد كان تأسيس دولة السلاجقة يعبر عن توجه جديد، وتغيير كبير، وتأثير عميق وتجديد في النظم في النظم والمؤسسات والأفكار والتوجهات، وإضافة دماء جديدة أعادت الحيوية وساهمت في الإبقاء على دولة الخلافة الإسلامية في بغداد.

**4- جمهور العلماء في قيام وتأسيس الدولة السلجوقية:** كان قيام الدولة السلجوقية بداية لمرحلة جديدة، وأضحى واضحاً أن السلاجقة أظهروا مقدرة كبيرة في حكم المشرق الإسلامي بعد توحيد أقاليمه، وبدؤوا حركة الفتوحات التي توقفت مدة طويلة، حتى بلغوا أراضي البيزنطيين.

إنّ تتبع جهود العلماء في قيام وتأسيس الدولة السلجوقية، يستدعي التفتيش عن حجم هذه الجهود، وكذا طبيعتها، وأبرز مواقف العلماء المؤيدة أو الراضية، فذلك كفيل بمعرفة مدى قدرة العلماء على التعامل مع السلطة السياسية، وأيضا الإمساك بجذلية العلاقة بين هؤلاء العلماء وسلطين السلاجقة، فإذا كان العلماء حسب ابن

1- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 63.

2- فازيو نبيل، دولة الفقهاء، بحث في الفكر السياسي الإسلامي، ط 1، بيروت، منتدى المعارف، 2015م، ص 18-19.

3- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 65.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

خلدون، يلجأ إليهم في إقامة مراسم الشريعة<sup>1</sup>، فهل يمكن الجزم بأنهم المهندسون الفعليون لقيام دولة سلطانية مثل الدولة السلجوقية، أو أنهم اتخذوا موقعا وسيطا بين لحظة انهيار الدولة الغزنوية وقيام الدولة السلجوقية، أم حاولوا أن يمسكوا بحيثيات التوجه الجديد للدولة القائمة ذات النمط السلطاني المتغلب.

الواقع أن إقليم المشرق الإسلامي شهد مرحلة انتقالية بين نفوذ الغزنويين المنحسر، والسلطنة السلجوقية الفتية الساعية لإثبات وجودها من خلال البحث عن الشرعية المتمثلة في العلماء واكتساب دعم هذه الفئة، فقد ذكر الرواندي سعي سلاطين السلاجقة للتقرب إلى العلماء، حيث أورد رواية عن علاقتهم بعلماء الحنفية، يقول: "...وقد روى جدي لأمي الإمام السعيد، والمرحوم الشهيد مولانا الإمام، ولي الإنعام، سيد الدين جمال الإسلام، سيد الأئمة والعلماء، سند الأصحاب محمد بن علي بن أحمد الرواندي رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة منقلبه ومثواه، عن الإمام الكبير ظهير الدين الاستراباذي رحمه الله أنه قال: سمعت بإسناد صحيح عن أئمة الدين ثقة عن ثقة أنه بينما تعلق الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفي رضي الله عنه بحلقات الكعبة في حجته الأخيرة دعا الله قائلا: إذا كان اجتهادي صحيحا ومذهبي حقا فانصره، فلقد وضحت مسائل الشريعة الإسلامية من أجل وجهك، فصاح هاتف من الكعبة قائلا: حقا قلت ما زال مذهبك ما دام السيف في يد الأتراك، وحمد الله أن قوى ظهر الإسلام به، وهاهم أصحاب أبي حنيفة هانتون ناعمون، قريرو الأعين، لأنَّ السيف في يد الأتراك في بلاد العرب والعجم والروم والروس، وقد رسخ سلطانهم في القلوب، وهم سلاطين آل سلجوق، رحم الله الباقين منهم وأبقى، فلطالما اختصوا العلماء من أصحاب أبي حنيفة بالعطف والرعاية، بحيث استقرت محبتهم في قلوب الناس جميعا شيئا وشيانا..."<sup>2</sup>. وانطلاقا من هذا التوافق يحق لنا القول أنَّ العلماء اضطلعوا بهذا الدور وسعوا إلى دعم الدولة السلجوقية، حيث أفصحت المصادر عن سيرة أمراء السلاجقة في بداية أمرهم، واتصافهم بصفات الصلاح والتقوى، فهذا السلطان طغرل بك كان حريصا على إعلاء معالم الشرع والدين، غيورا على تقديم مصالح الإسلام والمسلمين<sup>3</sup>، وأضحى "...من الضروري أن ينتمي المؤسسون إلى الصف العلمي حتى يكون لحركتهم السياسية والعسكرية مشروعية، وأنَّ المجتمع لم يعط الولاء لدولة وينقض أخرى إلا إذا كان المسؤول عنها عالما..."<sup>4</sup>، وهكذا يبرز التوجه العام للسلاطين الأوائل، حيث شكل اتصافهم بتقريب العلماء والصلحاء والتبرك بهم

1- المصدر السابق، ص 139.

2- المصدر السابق، ص 56.

3- الرواندي، المصدر السابق، ص 160.

4- بوزيدي أحمد، العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المريني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة

التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله-ظهر المهرار-فاس، 1428هـ-1429هـ/2007م-2008م، ص 92.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

بداية للمشروع التأسيسي، وتحلى ذلك في لقاء السلطان طغرل بك بثلاثة من العلماء على مقربة من أحد جبال همدان يسمى جبل الخضر، فلما أبصرهم أتاهاهم برفقة وزيره وبعض جنوده، وقام بتقيل أيديهم، وهم "بابا طاهر" الذي كان مجذوبا، و"بابا جعفر"، والشيخ "حمشا"، قال "بابا طاهر" له: أيها التركي ما عساك فاعل بخلق الله، قال السلطان ما تأمرني به، قال "بابا طاهر": افعل ما أمر الله به عندما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، فبكى السلطان وقال: سأفعل ذلك، عندئذ تناول "بابا طاهر" يد السلطان وقال: هل تقبل عهدي...؟ قال السلطان: نعم أقبله. وكان "بابا طاهر" يضع في إصبعه رأس إبريق مكسور اعتاد أن يتوضأ منه سنوات طويلة، فأخرجه من إصبعه ووضع في إصبع السلطان وقال له: لقد وضعت في يدك ملك العالم فالزم العدل. فكان السلطان يحمل دائما رأس الإبريق بين التعاويذ التي يحملها فإذا قامت معركة من المعارك أخرجه ووضع في إصبعه<sup>1</sup>. لقد أطنبت المصادر في ذكر سيرة طغرل بك واتصافه بالتقوى والصلاح، ومنها ما قاله عنه الذهبي: "وكان حليما كريما محافظا على الصلوات في جماعة، يصوم الخميس والاثنين ويعمر المساجد ويكثر الصدقات"<sup>2</sup>، أما ابن الجوزي فقال أنه "كان خيرا مصليا محافظا على الصلاة في أول وقتها يداوم صيام الاثنين والخميس، حليما عمن أساء إليه، كتوما للأسرار"<sup>3</sup>، ووصفه الرواندي بصفاء عقيدته وطهارة معتقده، وأنه لم يوجد من هو أكثر منه تدينا وحرصا على الشريعة الإسلامية<sup>4</sup>.

عكس لقاء طغرل بك بالعلماء في همدان، الدعم الذي كان يبحث عنه السلاجقة لدولتهم والشرعية التي تلزمهم لإقامة صرحها وقبولها لدى الخليفة في بغداد، وعامة الناس في بلاد ما وراء النهر وخراسان، فقد أبدى طغرل بك قبوله التام لما طلبه منه الشيخ "بابا طاهر" وامتنالا لنصح له بلزوم العدل، ومن ثم تبركه به وتبجيله له. وغير خاف في هذا السياق أن تعرف الإمارة السلجوقية الجديدة انضمام أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء والمتصوفة، الذين قاموا بدور روحي هام في تحويل تقاليد الفتوة، التي عرفها المجتمع السلجوقي، إلى فكرة الجهاد الديني<sup>5</sup>.

إن تتبع العلماء الذين شاركوا في تأسيس الدولة السلجوقية يظهر جملة من المعطيات الهامة، تسمح بتعيين مرتكزات العلاقة الناشئة بين جمهرة العلماء والسلطة الآخذة في التكوين والترسخ. فهم في غالبيتهم علماء عارفون توصلوا إلى تبوء مكانة خاصة داخل تكوينات دورة الاجتماع الإسلامي، بعد أن اجتازوا مسالك معقدة تداخلت في تشكيل

1- الرواندي، المصدر السابق، ص 160-161.

2- الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف، المجلد 10، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م، ص 59.

3- المصدر السابق، ج 16، ص 85.

4- المصدر السابق، ص 161.

5- طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط 3، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر

والتوزيع، 1434هـ/2013م، ص 21.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

مبانيها تجارب معرفية وأخرى عملية ترتبط ارتباطا وثيقا بشتى القضايا التي فرضتها سياقات تفسخ وانحيار الدولة الغزنوية. بداية تفيد سيادة نموذج الفقيه العارف في سير غالبية العلماء الذين ساهموا في إرساء دعائم الدولة السلجوقية، إلى أننا لسنا بصدد وقائع إفرادية منعزلة، بل نحن أمام ظاهرة عامة استطاعت عبر مخاض تاريخي طويل أن تفرض نفسها عنوانا كاشفا لما طورته ديناميات الاجتماع الإسلامي من تيارات فكرية محددة<sup>1</sup>. هذه التيارات التي استطاعت أن تتخطى جوانب أساسية من أزمة الفقيه المنخرط ضمن مدار السلطة البويهية. بهذا المعنى شارك العالم العارف في نشأة الدولة السلجوقية بما هو تعبير عن ائتلاف وتوحد تيارات فكرية واجتماعية وسياسية لها مركزاتها الثابتة المتمثلة بشتى المؤسسات العلمية (المدارس) والتعبدية (المساجد والزوايا) والاجتماعية (طوائف الحرف والمهن) والسياسية (الطرق، الأخيان، جمهرة المرابطين والمجاهدين)، هذه المؤسسات التي تشكل نسيج دورة الاجتماع الإسلامي، هي التي وفرت مكانة خاصة للعالم العارف تتيح له المشاركة الفاعلة في رسم معالم توازناتها وآفاق حراكها، سواء منها المتصل بأهداف ومقاصد فرعية أو المنفتح على قضايا المدار الاجتماعي العام التي تتوزع بين محاور عديدة منها محور الدعوة ومحور الجهاد بتعبيراته الداخلية أو الخارجية، ومحور التشريع والقضاء، هذه الصيرورة تدفع باتجاه بلورة أدوار ثقافية واجتماعية وسياسية مركبة أتاحت للعالم أن يقيم علاقة تواصل مع "أهل الثغور"، محكومة بجملة الضوابط والتوجهات التي تحكم تشكيلات المجتمع. لهذا فعندما يقوم العالم العارف بمبايعة "السلطان" المؤسس للدولة السلجوقية، فإنه في الواقع لا يبايع "صاحب السيف" بما هو قوة متأصلة بذاتها، بل تأخذ البيعة هنا مدلولها<sup>2</sup>، الخاص باعتبارها إضفاء للشرعية، من قبل المجتمع وعبر علمائه، على أطر جهادية متفرعة عن مداره العام. هذه الأطر التي تستمد شرعيتها انطلاقا مما تنهض به من أدوار عامة صاغت تكوينات المجتمع على اختلاف مواضعها، تشكل المدخل الرئيسي لتكون مباني السلطة لاحقا. وهي بهذا المعنى مستوى من مستويات الاجتماع السياسي العام الذي تتقاطع وتتكتف داخل متونه كافة التعبيرات السياسية لدورة الاجتماع العامة، وبالتالي لا يمكننا مقارنته باعتباره متغيرا مستقلا مالكا لشروطه الذاتية التي تؤهله لفرض مشروعيته الخاصة.

في ضوء هذه الخاصية، تشكل عملية المبايعة تعبيرا عن سياق سياسي كثيف أفضى إلى ولادة مرجعية سياسية عامة للمجتمع ومالكة لمقومات نشوء ونمو وترسخ مؤسسات السلطة السياسية الحاكمة، ولكن كما سبقت الإشارة فإن عملية بناء مؤسسات السلطة وترسخ مركزات قوتها الذاتية، ينطوي على العديد من الإشكاليات نتوقف هنا عند إحداها، فإذا كانت السلطة الناشئة هي بمعنى ما نتاج وصلة لمباني وتوازنات الاجتماع السياسي، فإنها بالمقابل تستطيع أن تنتزع موقعا مستقلا عبر تصديدها لأدوار خاصة، ففي صيرورة التصدي هذه، تراكم مؤسسات السلطة الناشئة

1- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 103.

2- المرجع نفسه، ص 104.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

مصادر قوتها الذاتية التي تؤهلها للانتقال من موقع التابع لما دوها من توازنات إلى موقع يمتلك خاصية الاستقلال والفاعلية الذاتية في علاقته بمداره العام<sup>1</sup>. تفضي هذه النقلة النوعية في وضعية السلطة إلى ولادة حقل سياسي جديد يمتلك القدرة على التدخل الفاعل في إعادة تشكيل توازنات المجتمع التي انبثق عنها، إنَّ باستطاعة العالم أن يضبط هذه المعضلة في المراحل الأولى من نشأة السلطة، ونظرا لما يمتلكه من ثقل اجتماعي له امتداداته السياسية داخل حقل السلطة سواء في مواجهة معضلات الداخل أو تحديات الخارج، كما أنَّ بإمكانه عن طريق ما يختص به من أدوار تشريعية وقضائية أن يسهم في صياغة وتقنين الأطر التشريعية النازمة لمباني المجتمع من جهة وتولي تنفيذها من جهة ثانية، غير أنَّ هذه الإسهامات التي تتيح لجمهرة العلماء انتزاع مواقع مفصلية داخل أبنية السلطة الناشئة لا تختصر كامل المسائل المتفرعة عن قيام السلطة، بما هي حقل سياسي مؤسسي يمتلك القدرة على إنشاء مرتكزاته وفقا لمنطوقه الخاص. بهذا المعنى، فإنَّ جملة الضوابط التشريعية والسياسية والقضائية التي يستطيع العالم عن طريقها احتلال مكانة مركزية داخل حقل السلطة، لا تغطي شتى الجوانب المتصلة بمسألة الحكم<sup>2</sup>.

كانت العلاقة بين العلماء والسلطين تتشكل كجزء من علاقات المجتمع بالدولة، وكجزء من أشكال التعبير التاريخي التي قدمتها واقعات المرحلة التاريخية آنذاك، فقد وضع طغرل بك صوب عينيه هدفا واحدا وهو إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلامي كله كما تمنى السلاجقة<sup>3</sup>، إذ أصبح لهم كيان سياسي واضح ورقعة فسيحة من الأرض وحاكم له الزعامة التي منحها له رعاياه<sup>4</sup>. والواقع أنَّ العلماء حاولوا الولوج إلى نسق الحركة السلجوقية، بالسعي إلى أداء الدور المركزي في تحريكها أولا، ومن ثم توجيهها ثانيا، وكذا إعطائها الشرعية والمباركة من قبلهم، حتى ولو استدعى الأمر عدم مقدرتهم ضبط الأنماط السلطوية الرافضة لحضورهم ودورهم المركزي، ومن ثم محاولتهم ربط بقية المواقع الفاعلة التي تعمل على توجيه حركة الدولة الجديدة وفق رؤيتها وتوجيهها السلطوي والمصلحي، ومع ذلك فإنَّ الدعم الذي أبداه العلماء للدولة السلجوقية ينطوي عن رؤيتهم لحجم التغيرات التي شهدتها النظام السياسي الإسلامي، وانفراط وحدة العالم الإسلامي، وضعف الخليفة الذي يشكل حكمه جميع بلاد الإسلام، وسيطرة القوى السياسية المتغلبة على مقدرات الخلافة العباسية، فاستدعى حركية حثيثة من قبلهم في هندسة وتطوير وتجديد الطاقات والكفاءات التي يجسدها المشروع التأسيسي للدولة السلجوقية، ووضعها في سياقها الصحيح، وتحديد الأولويات في محاصرة والقضاء

1- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 105.

2- المرجع نفسه، ص 106-107.

3- ذهبية عاشور أبو بكر قري، المرجع السابق، ص 56.

4- سماح محمد عواد محيسن، دولة الأتراك السلاجقة عصر السلطان سنجر (511هـ-555هـ/1117م-1160م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في

التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الرقازيق، ص 11.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

على الفكر الشيعي المتسلط الجاثم على صدر العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، وكذا إعادة تفعيل حركة الفتوحات لمواجهة البيزنطيين.

لا غرو أن السلاجقة بعد انتصارهم على الغزنويين في معركة داندانقان سنة 431هـ عملوا على "...إحياء رسوم الأمن والأمان، وإرساء قواعد العدل والإحسان. ورأينا هذا فرضا علينا، وسعينا قدر طاقتنا بجهد المقل أن نمنع الظلم والطغيان، ونهدم أسوار العدوان، ونعد الاستمرار في انتهاج هذه الطريقة إلى طول مدة توفيقنا، وسببا في ازدياد رونقنا وظفرنا، وموجبا لتضاعف عزنا وعلانا وامتداد زمان بقائنا"<sup>1</sup>، لقد أشار هذا الكلام إلى أحد المرتكزات التي انطلق منها العلماء لدعم الدولة السلجوقية، ألا وهو العدل ورفع الظلم والطغيان، ولا ننسى اللقاء الذي جرى بين طغرل بك والعلماء في همدان-الذي تمت الإشارة إليه سابقا- وحصوله على المباركة والدعم من قبلهم، كما استمر هذا الأمر من قبل العلماء، خصوصا عندما أرسل السلاجقة إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله في بغداد بشأن دولتهم، يقول الحسيني: "وقد رأينا أن تحقيق هذه الأمنية يحتاج إلى مستمسك قوي وحبل متين، ونريد أن يكون هذا الأمر على نهج الدين المبين، وبأمر وإذن من أمير المؤمنين"<sup>2</sup>، وكان أحد العلماء في مقدمة من باركوا ودعموا هذا المستمسك الذي بحث عنه السلاجقة وقام بسقارة إلى الخليفة في بغداد، هذا العالم هو الشيخ "أبو إسحاق الفقاعي"<sup>3</sup>، الذي حمل رسالة السلطان طغرل بك، وقد ذكر محتواها الرواندي: "...إننا معشر آل سلجوق قوم أطعنا دائما الحضرة النبوية المقدسة وأحبيناها من صميم قلوبنا، ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار وإعلان الجهاد، وداومنا على زيارة الكعبة المقدسة، وكان لنا عم مقدم محترم بيننا اسمه إسرائيل بن سلجوق، قبض عليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين بغير جرم أو جناية، وأرسله إلى قلعة "كالنجر" ببلاد الهند، فبقي في أسره سبع سنوات حتى مات، واحتجز كذلك في القلاع الأخرى كثيرا من أهلنا وأقاربنا. فلما مات محمود وجلس في مكانه ابنه مسعود لم يتم على مصالح الرعية واشتغل باللهو والطرب.... فلا جرم إذا طاب منا أعيان خراسان ومشاهيرها أن نقوم على حمايتهم. ولكن مسعودا وجه إلينا جيشه فوقعت بيننا وبينه معارك تناوبناها بين كر وفر وهزيمة وظفر حتى ابتسم لنا الحظ الحسن فانحاز إلينا آخر عون لمسعود ومعه جيش جرار وظفرنا بالغلبة بمعونة الله عز وجل بفضل إقبالنا على الحضرة النبوية المطهرة، وانكسر مسعود وأصبح ذليلا، وانكفأ علمه وولى الأدبار تاركا لنا الدولة والإقبال... وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح ونصر، فنشروا عدلنا وإنصافنا

1- الحسيني، المصدر السابق، ص 54.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ص 55، الأصفهاني، المصدر السابق، ص 186.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

على العباد وابتعدنا عن طريق الظلم والجور والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا الأمر قد نهجنا وفقاً لتعاليم الدين ولأمر أمير المؤمنين...<sup>1</sup>.

وفي ذات السياق، فإن تقدم أبي إسحاق الفقاعي تحمل رسالة السلاجقة إلى الخليفة، له دلالة الخاصة، حيث ينبئ هذا الأمر على حجم العلاقة بين العلماء والسلاجقة، وأن هؤلاء العلماء هم همزة الوصل بين السلاجقة والخلافة العباسية وحجر الزاوية في إتمام تأسيس الدولة السلجوقية، بالإضافة إلى ذلك فإن إرسال أحد العلماء كسفير بين الطرفين، يبرز حرص الطرف السلجوقي على إقامة وشائج العلاقة بين مع الخليفة العباسي، من خلال ما يتمتع به العلماء من مكانة ومنزلة وصدق وأمانة، تخولهم أداء المهمة المنوطة بهم على أحسن وجه، وأيضاً مقدرتهم على نصح كلا الطرفين وتذكيرهم بأوامر الله تعالى، والأكثر من ذلك تقديمهم للمصلحة العامة وصالح المسلمين جميعاً. وعليه رحب أبو إسحاق الفقاعي بهذه الخطوة، وذهب إلى بغداد وأطلع الخليفة بحال الدولة الجديدة، واستعداد سلطانتها للانضواء تحت سلطانه وطاعته، ونصرة الخلافة العباسية السنية، فتمت بذلك أولى خطوات ومراحل المشروع التأسيسي، وأصبح السلاجقة مستعدين لإكمال تأسيس دولتهم، والإجهاز على الدولة الغزنوية كما أشرنا سابقاً.

تلقي الخليفة القائم بأمر الله العباسي (422هـ-467هـ) رسالة طغرل بك بكل سرور وتقدير، وأدرك أنه ينبغي عليه عدم تفويت الفرصة التي لاحت له، للتخلص من سيطرة البويهيين على الخلافة العباسية، خصوصاً أن السلاجقة كانوا على المذهب السني، لذا أرسل العالم هبة الله محمد المأموني إلى العراق العجمي لاستدعاء طغرل بك<sup>2</sup>، "وزوده بالرسائل الطيبة؛ وكان الخليفة يختص هبة الله بوده وإخلاصه، فأمره بأن يتقرب من طغرل بك حتى يحضره إلى بغداد لتتشرّف دار الخلافة بحضوره، فإنّ فرصة الوصال سريعة العبور كوميضة الخيال. ولكن هبة الله أقام لدى طغرل بك ثلاث سنوات لأنه كان مشغولاً بفتح النواحي الولايات ولم يفرغ لزيارة بغداد..."<sup>3</sup>.

إنّ تواجد العلماء في السفارة بين السلطان طغرل بك والقائم بأمر الله، حيث أرسل الأول رسالته مع أبي إسحاق الفقاعي ورد عليه الثاني بإرسال هبة الله محمد، وهذا يعكس سعي العلماء إلى إتمام تمتين الصلة بين الطرفين، حيث لبث هبة الله محمد ثلاث سنوات عند طغرل بك وهو يضم عدداً من الأقاليم قبل وصوله إلى العراق ودخوله بغداد سنة 447هـ، مما يؤكد أنّه باستطاعة العالم بما هو تعبير سياسي لدورة الاجتماع العامة، داخل مجال السلطة، أن يسهم في صياغة هيئتها وضبط توجهاتها عبر جملة الأدوار التشريعية والعلمية والقضائية التي يتولاها، فإنّ السلطة بالمقابل تعمل بشكل بطيء ولكن ثابت على تطويع هذه الأدوار بما يتناسب واحتياجاتها في كل طور من أطوار

1- المصدر السابق، ص 166-167.

2- الحسيني، المصدر السابق، ص 55.

3- الرواندي، المصدر السابق، ص 169.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

حراكها<sup>1</sup>. ومن الطبيعي أن تكون علاقة السلاطين بالعلماء حسنة، تقوم دائما على إظهار الاحترام والتقدير لهم، إذ ليس من المنطق أن تكون علاقتهم بهم سيئة، وهم في حاجة ماسة إلى تأييدهم وتعاونهم والاستفادة منهم<sup>2</sup>. لقد عكس التقارب بين الخلفاء العباسيين وسلاطين السلاجقة تأسيسا لأرضية قائمة على تقاسم للأدوار والمكانة: حيث استأثرت النخبة العربية السنية-وعلى رأسها الخلافة العباسية-بالشرعية الدينية والثقافية، وأمسكت النخبة العسكرية التركية بزمام السلطة السياسية والعسكرية<sup>3</sup>.

وبهذا نكون قد استقصينا حجم حضور العلماء في تأسيس الدولة السلجوقية، فقد كان حضورهم واضحا وحقيقا بدورهم الحساس المنوط بهم، حيث عملوا على توجيه هذه الدولة الوجهة الصحيحة لإقامة العدل وإحقاق الحق، ودعموا قيامها وباركوا جهود سلطانها طغرل بك، وكانوا خير وسيط بينه وبين الخليفة العباسي في بغداد، ثم سيواصلون هذا الدور بإتمام الوحدة بين كلا الطرفين، كما سنرى في المباحث القادمة.

---

1- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 109.

2- نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 59.

3- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص 54.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

### -الفصل الثاني:العلماء والمشروع السلجوقي الوحدوي.

#### 1-كصيغة المشروع السلجوقي الوحدوي:الأنساق والأنماط.

##### 1-1-النسق الاستشراقي

##### 1-2-النسق السلطوي التشاركي

##### 1-3-النسق العصبي التوسعي

##### 1-4-النمط المؤسستي

##### 1-5-النمط المركزي العالمي

##### 1-6-النمط الجماهيري.

#### 2-صيرورة المشروع الوحدوي السلجوقي

##### 2-1-دخول السلاجقة إلى بغداد.

##### أ-مقدمات الدخول السلجوقي إلى بغداد.

##### ب-دخول السلطان كغزل بك إلى بغداد سنة 447هـ / 1055م.

##### ج-امتكمال المشروع الوحدوي السلجوقي

##### د-ذيول القضاء على فتنة البساسيري.

#### 3-تصور المشروع الوحدوي السلجوقي بعد وفاة السلطان كغزل بك

سنة 455هـ.

#### 4-دعم العلماء للمشروع الوحدوي السلجوقي وتوجيهه.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- 4-1- موقف العلماء من الدولة البويهية.
- 4-2- موقف العلماء من فتنة البساسيري.
- 4-3- موقف العلماء من دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ.
- 4-4- أثر العلماء في استكمال المشروع الوحدوي السلجوقي.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

إنَّ التموُّع السلجوقي في خراسان، جعل السلطان طغرل بك يفكر في التمدد غرباً نحو العراق مركز الخلافة العباسية، فقد كفل له موقع خراسان الإشراف على كل أقاليم المشرق الإسلامي، وسهل له الإنسياح في المناطق القريبة منها، وتمكن من ضمها إلى سلطانه. وكان لظهور السلاجقة على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي أثر كبير في تغيير الأوضاع السياسية، إذ أسس السلاجقة دولة تركية ظهرت في القرن الخامس الهجري، لتشمل خراسان وبلاد ما وراء النهر وإيران والعراق وبلاد الشام وآسيا الصغرى<sup>1</sup>.

كان توحيد العالم الإسلامي من جديد يكتسي خصوصية في الواقع الذي أضحت أقاليم المشرق تشهده، خاصة بعد غياب سلطة الخلافة العباسية المركزية بنهاية العصر العباسي الأول، لذلك شغلت فكرة إعادة الوحدة وبعث سلطان الخلافة والدولة التي تجمع الناس في أمة واحدة، فكر العلماء، الذين سعوا لبلورة هذه الفكرة سعياً حثيثاً ومستمرّاً، بالإضافة إلى وقوفهم بجانب الدولة السلجوقية التي كانت أكثر مقدرة على تجسيد هذا المشروع العظيم، منذ اللحظة الأولى لإعلان تأسيسها، فلا غرو أنَّ البعد الوحدوي كان أهم الركائز التي ارتكز عليها المشروع السلجوقي في هيكل الدولة الجامعة المانعة. لذا أضحي للعلماء دوراً حاسماً في دعم سياسة السلاجقة الوحدوية، خاصة بعد أن طلب الخليفة العباسي القائم بأمر الله من السلطان طغرل بك القدوم إلى بغداد، وما تمخض عن هذا الطلب من نتائج أثرت على تطور أقاليم المشرق سياسياً واجتماعياً ومذهبياً وعلمياً، لذلك عملوا جاهدين على المشاركة في هذا المشروع الوحدوي، مدركين في نفس الوقت ضرورة وحدة المسلمين التي هي الضامن للوقوف في وجه الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي، وانطلاقاً من ذلك سبر أغورا هذا المشروع، وكذا تتبع طبيعته وماهيته، ومدى النجاح الذي حققه.

### 1- لصبيعة المشروع السلجوقي الوحدوي: الأنساق والأنماط

إنَّ الدارس لتاريخ الأمة الإسلامية، يدرك جيداً أنَّ حياة المسلمين مجتمعا ودولة وشعوبا وأمة، في فترات تاريخية معينة، أساسه حياة علمائها، وقيامهم برسالتهم ووظيفتهم الربانية، وإحلالهم في الأمة محل النبوة في تعليم الناس، ودعوتهم إلى الخير ونصحهم، ووعظهم والحكم فيما بينهم بما أنزل الله، وإفتائهم وإيجاد الحلول الشرعية لمستجدات حياتهم، والتنظير لقضايا الدولة والمجتمع والأمة، انطلاقاً من نصوص الوحي المعصوم لإحلال شريعة الإسلام في حياة المسلمين، وأسلمة نظم وقوانين وتشريعات الدولة، حتى تكون دولة إسلامية. إنَّ قيام العلماء بهذه الوظائف هو السر في حياة الأمة وقوة الدولة الإسلامية ونفوذ سلطاتها، وشهادة المسلمين على الناس في العصور الذهبية الأولى، ويمثل العصر النبوي وعصر الخلافة الراشدة النموذج الحي لذلك، ثم العصر الذي تلاه<sup>2</sup>.

1- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 17.

2- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 205.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يعد المشروع السلجوقي أحد الحركات السياسية البارزة والمؤثرة في التاريخ الإسلامي، إذ جاء هذا المشروع في ظروف سيئة جداً، شهدتها المشرق الإسلامي والخلافة العباسية، وشكل نفساً جديداً، وأضحى الحل الشامل لمأزق العالم الإسلامي، وعليه سنحاول استقصاء فعاليات هذا المشروع بإبراز أهم الأنساق والأنماط التي نسجت حيثياته، وفعلت آلياته، وجسدت مرتكزاته.

**1-1- النسق الاستشرافي:** من الواضح أنَّ السلاجقة كان لهم طموح كبير لحكم العالم الإسلامي، وإنقاذه من حالة التراجع والتشرذم والانكماش، وسيطرة المذهب الشيعي، وتراجع حركة الفتوحات، واشتداد خطر البيزنطيين، فكان سبيلهم إلى ذلك، بوضع إستراتيجية محكمة تكفل لهم المضي قدماً إلى تجسيد طموحهم، عن طريق توظيف جميع الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية، والعمل على تقديم الأولويات واستعمال سياسة التدرج والإمساك بجميع الفعاليات والكفاءات.

إنَّ طبيعة النسق الاستشرافي تتجسد في مقدرة السلاجقة على التموّج بين السلطات القائمة في بلاد ما وراء النهر وخراسان، وبعد ذلك أحكموا صلتهم مع الخلافة العباسية في العراق، بحيث استطاع طغرل بك بعد انتصاره على الغزنويين في معركة داندانقان سنة 431هـ/1039م، أن يحوز ثقة الخليفة العباسي خاصة بعد أن "وصل إليهم كتاب القائم بأمر الله أمير المؤمنين يخوفهم ويذكرهم بالله ويحملهم على رعاية عبادته وعمارة بلاده فخلعوا على الرسول بأبي بكر الطوسي ثلاثة عشرة خلعة، وتباهوا برسالة الخليفة وازدادوا بها قوة ورفعة..."<sup>1</sup>، وأضحى طغرل بك يسير وفق خطة استشرافية بعد أن صارت الأمور تسير لصالحه، وأثبت من جديد توجه دولته وسياسة السلاجقة، وسعيه إلى الامتثال الكامل لأوامر الخلافة العباسية، يقول الأصفهاني: "وجلس على سرير الملك الذي كان لمحمود بن سبكتكين في نيسابور ونهى وأمر وأعطى وأخذ وأبرم ونقض، وأحكم وقوض، وجلس يومي الأحد والأربعاء لكشف المظالم. وبسط المعدلة وبث المكارم، وسير أخاه داود إلى سرخس فملكها، ونهج له طريقة في العدل فسلكتها..."<sup>2</sup>.

لقد سعى طغرل بك والسلاجقة إلى إظهار حسن نيتهم ورغبتهم في الانضواء تحت راية الخلافة العباسية، كما استفاد من تراجع قوة الغزنويين، وضعف البويهيين ففتح الطريق أمامه لاستكمال بناء دولة مترامية الأطراف ضمت بلاد ما وراء النهر وخراسان وإيران والعراق والشام والأناضول. والواقع أنَّ قوة السلاجقة كانت آخر حل للخليفة

1- المصدر السابق، ص 185.

2- المصدر نفسه، ص 186.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العباسي لإنقاذ الخلافة من السقوط، فأراد الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن يعيد قوة دولته<sup>1</sup>، بمنحهم اعترافه بدولتهم في خراسان، وخصوصاً أن السلاجقة كانوا على المذهب السني الذي يعد الخليفة العباسي رئيسه الأعلى<sup>2</sup>. من هذا المنطلق فقد انطوى النسق الاستشرافي على حجم الأدوار التي نسجت فعالياته، ذلك أن السلاجقة أرسوا لمشروع سياسي واجتماعي واقتصادي وإستراتيجي ومذهبي وفكري وإثني طويل المدى، سيعرف انكماشاً وتراجعاً، ثم تجديداً وعودة في حقبة السلطنة العثمانية التي استكملت فيها جميع أنماطه وفعالياته، لذا فإن السلطنة السلجوقية عرفت محطات تاريخية مفصلية تدافعت في صياغة مكوناتها وقائع اجتماعية كبرى وتحولات إستراتيجية عديدة<sup>3</sup>، فلا غرو أن السلاجقة استطاعوا في زمن قياسي أن يوسعوا مساحة دولتهم عدة أضعاف، وتمكنوا من التوفيق بين طموحاتهم التوسعية وبين إنقاذ العالم الإسلامي من الأخطار المحدقة به، وأضحى انقسام دولتهم تحت حكم عدد من البيوتات، نموذجاً فريداً من أنماط الحكم لم يشهده النظام السياسي الإسلامي، ذلك أن السلطان طغرل بك جعل من أملاك البويهيين نطاقات نفوذ لأفراد أسرته وذلك وفقاً لنظام الإقطاع الإداري السلجوقي، وأنماط بكل واحد منهم بعضها ليتولى غزوها ثم حكمها كولايات إقطاعية تحت راية السلاجقة الموحدة<sup>4</sup>.

**1-2- النسق السلجوقي التشاركي:** يعتبر هذا النسق ذا أهمية كبيرة في مراحل المشروع السلجوقي، نظراً لحجم الأبعاد التي اكتسبها، فلا يمكن الإمساك بجشيات هذا النسق، إلا بالتعرف على مرتكزات السلطة عند السلاجقة، من خلال التطرق لعدد من المفاهيم التي تشخص السمة البنيوية التأسيسية مثل: "التقسيم"، "الإشراك"، "السيطرة المتعددة"، "السيطرة المشتركة"، "التملك الخصوصي للمجال الترابي"، و"التوزيع المسبق للأرض" وغيرها، نظراً للبعد القبلي الذي تمحورت عليه السلطنة السلجوقية، والانتقال من المعطى القبلي إلى المعطى الدولي. مما حتم على السلاطين السلاجقة القيام بمجموعة من الإجراءات المحسدة لهذه المفاهيم، وبالمقابل ضمان استمرارية السلطة في عدد من البيوت السلجوقية مع تركيز جميع مصادر القرار وكل الصلاحيات في يد السلطان. وقد أدرك طغرل بك الطبيعة القبليّة، ونزوع أفراد عائلته لحب السيادة والزعامة، لذا قام بإقرار نسق سلطوي تشاركي، يقضي بتوزيع إقطاعات عليهم، درءاً للتنازع والتقاتل على السلطة، ويضمن به وحدة قوتهم وصفهم في مواجهة أعدائهم، وبالفعل عقد اجتماعاً بأخيه الأكبر جغري بك وعمه بيغو، وأبناء عمه وكبار رجالات السلاجقة، وتدارس

1- سماح محمد عواد محيسن، المرجع السابق، ص 14-15.

2- الزهراني محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ-590هـ (العهدان البويهي والسلجوقي)، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1400هـ/1980م، ص 33.

3- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 14.

4- محمد نصر عبد الرحمن، سلاجقة كرمات (442هـ-582هـ/1050م-1186م) دراسة في مظاهر الحياة السياسية، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد 2004، 04-2005م، يصدرها سنمار التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، القاهرة، ص 199.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

معهم الآليات والطرائق والخطوات التي ينبغي عليهم أن يخطوها بعد إعلان قيام دولتهم، واعتراف الخلافة العباسية بها، فاتفق رأيهم على التحرك غربا للسيطرة على إيران والعراق، وتعاهدوا على أن يظلوا متحدين متماسكين حتى يظلوا أقوياء مظفرين، وعلى أن يدعوا التنازع حتى لا تتفرق صفوفهم فتذهب ربحهم<sup>1</sup>، وفي السياق ذاته هناك فرق جوهري بين السلطة السلجوقية والسلطة العباسية فيما يخص توزيع السلطة؛ بين جهاز هرمي ذي التراتبية الصارمة بالنسبة للعباسيين، والتوزيع الأفقي للامتيازات بالنسبة للجهاز السلجوقي، هذا التوزيع كان مصحوبا بمهيئة تنفيذية تتأسس بالفعل توزيع الامتيازات ولها الإشراف المباشر على التراتبية الرمزية التي تضمن التنسيق بين المستفيدين والسكان<sup>2</sup>.

وبهذا يكون السلاجقة قد أقاموا حكمهم وطوروه على أساس التوزيع والإشراك المنفعي، وتميزوا منذ ظهورهم، وبسبب ظروف ظهورهم، بمفهومهم السلطوي التشاركي، وهو مفهوم يقوم على التوزيع والانتفاع المشترك، حيث قاموا بمبايعة السلطان طغرل بك سلطانا على الدولة السلجوقية الكبرى، مهما اتسعت حدودها، كما عينوه قائدا أعلى للجيش السلجوقي مهما كثرت، وأقسموا جميعا على أن يدينوا له بالطاعة والولاء دائما<sup>3</sup>. والظاهر أن ثمة مفهومين للسلطة غير قابلين للمطابقة: المفهوم العباسي والمفهوم السلجوقي، ولكنهما يشتركان في كونهما يحملان حقيقة قبلية انتقائية، تعطي في كلا النسقين وضعاً خاصاً للعناصر القبلية المؤسسة، مع محاولة إدماج واحتواء عناصر حليفة، ثم إنَّ النسق العباسي كان يركز على أساس نجده غائبا في المشروع السلجوقي، هذا الأساس الجوهري هو الإيديولوجية التبريرية المناضلة الضامن الأساس للمشروعية السلالية<sup>4</sup>.

شكل النسق السلطوي التشاركي دجما المؤسسات السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية، وتكاملا في الصلاحيات، وتوزيعا للأدوار، بالإضافة إلى ضمان فاعلية هذه المؤسسات ومدى استجابتها لمتطلبات المجتمع، وكذا التحديات المواجهة لها، كما جسد هذا النسق عملية التجديد التي مست مؤسسات الخلافة العباسية، خاصة أنَّ السلاجقة كانوا بمثابة المنقذ لدولة العباسيين، وهذا الأمر كان كفيلا باستحداث هيكل تراتبي سلطوي يجمع سلطة السلطان السلجوقي وسلطة الخليفة العباسي، والوزير السلجوقي وكذا وزير الخليفة، بشكل يوضح تمثلات هذا النسق، ويظهر الأبعاد السياسية والإستراتيجية التي ضمنت استمرارية وتواصل المشروع السلجوقي.

**1-3- النسق العصبي التومعي:** لقد طغى النسق العصبي التوسعي على مراحل المشروع السلجوقي، فالسلاجقة هم قبائل تبحث على ضمان الاستقرار والحصول على أراضي جيدة صالحة للعيش، ومراعي لأنعامهم، لذا نجحوا كما

1- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 39.

2- الشريف محمد، إصدارات في تاريخ الغرب الإسلامي (قراءات نقدية)، ج 01، ط 01، الرباط، 2005، ص 76-77.

3- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 40.

4- الشريف محمد، المرجع السابق، ص 77.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

قلنا في سياق حديثنا عن تأسيس دولتهم، في التأقلم مع قوة السامانيين والقراخانيين والغزنويين، كما تمكنوا من الحصول على عدد من الإقطاعات في ما وراء النهر وخراسان، ويفرضوا قوتهم على أرض الواقع، وأضحى محور العصبية القبلية التي هي وسيلة التغلب للوصول إلى الملك، وهو المحور الذي أكد عليه ابن خلدون وجعله أساسا لقيام الدولة ونشوءها<sup>1</sup>، ومع ذلك فإن نظرية ابن خلدون في الدولة يتجاوزها عنصرها: العصبية من جهة، والدعوة من جهة ثانية، فهو عندما يؤكد على أهمية العصبية في قيام الدولة، لا ينفي أهمية الدعوة في بروزها وإضفاء القوة عليها<sup>2</sup>.

والواقع أن حضور النسق العصبي التوسعي في المشروع السلجوقي، أمر طبيعي يعكس ظاهرة بشكل كبير في القرنين الرابع والخامس الهجريين، تتمثل في تعاظم قوة الإمارات الانفصالية وانحسار نفوذ الخلافة عن أقاليم الأطراف التي أضحت تخضع لحكومات إقليمية مستقلة إلى حد كبير، لا يربطها بالخلافة العباسية سوى رباط شكلي يتمثل في منحها الشرعية، وذكر اسم الخليفة العباسي في الخطبة<sup>3</sup>. أما الدولة ذات الأهمية الطاغية فهي الدولة السلجوقية<sup>4</sup>، التي فعلت هذا النسق ووظفت أبعاده، على جميع الأصعدة بدءا بالتوسع في بلاد ما وراء النهر، بعد أن انخرط السلاجقة في خدمة السامانيين، ثم في خدمة الحاكم القراخاني سيد بلاد ما وراء النهر، فخبروا أحوال هذه البلاد واطلعوا على قوة هاتين الدولتين ومكانن الضعف، ورأوا أن يسير رهط منهم إلى خراسان للدخول في خدمة السلطان محمود الغزنوي واستقروا بهذا المصر، في حين انتقل نفر آخر إلى خوارزم تحت زعامة تشاغري بيك و طغرل بيك<sup>5</sup>. وفي السياق ذاته التقى النسق العصبي التوسعي بالحلم السلجوقي لتوحيد العالم الإسلامي، فكان حافزا كبيرا لاستثمار كل الفرص التي لاحت لهم، وفي إعادة ملمة القوة السلجوقية بعد حركة السلطان محمود الغزنوي في القضاء على أبرز قادتهم، فلم تؤثر في قوتهم، وسعوا إلى إحراز نصر كبير يكفل لهم تأسيس الدولة أولا، ثم الحصول على الاعتراف بها من قبل الخليفة العباسي ثانيا، وأخيرا إنقاذ العالم الإسلامي من حالته والقضاء على دولة البويهيين.

فلا غرو أنه انفتح أمام طغرل بك طريقان: طريق خراسان-بغداد، والطريق المؤدي عبر أذربيجان إلى آسيا الصغرى الأرمنية البيزنطية، وانساق السلاجقة وراء الغنائم والإقطاعات، بحماس مستمد من كونهم غزاة، علاوة على أنه لم يكن بإمكانهم أن يكتفوا بجهلهم التي لا تطيق الحر مع مناخ المناطق الجنوبية الحارة، ولذا كانوا يحلمون بقتال المسيحيين في

1-وجيه كوثراني، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988م، ص36.

2-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3-طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص60.

4-كلود كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة حسين جواد قبيسي، مراجعة على نجيب إبراهيم، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010م، ص413.

5-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

آسيا الصغرى، ولئن كان طغرل بك يعتزم استخدامهم لأغراض أخرى، تفاديا لعصيانهم وكسبا لشرف الجهاد أمام المسلمين، وهذا ما يفسر التناوب في السير في الاتجاهين وعلى كلا الطرفين. ولما أتم طغرل بك ضم إيران، كان في بغداد بالذات من يحملون -وعلى رأسهم الوزير ابن المسلمة- باتفاق يمكن للخليفة بموجبه أن يستعيد بعض صلاحياته السابقة ولو تحت وصاية لا بد أنها على مذهب السنة، لكنها أكثر قدرة على حفظ الأمن من الأمير البويهى<sup>1</sup>. كما لم يكن بإمكان طغرل بك ولا بإمكان أي من خليفتيه المقتدرين، ألب أرسلان (455هـ-465هـ/1063م-1072م) وملكشاه (465هـ-485هـ/1072م-1092م) أن ينجح في ضم مصر، فتأخر هذا الضم قرنا من الزمن، لكنهم جميعا استغلوا أفضل استغلال الخلافات التي كانت قائمة بين إمارات متخاصمة ومجزأة، فاستطاعوا أن يحبطوا مشروع تحالف فاطمي-عربي، وأن يضموا إليهم آسيا الغربية جملة باستثناء طرف الجزيرة الأقصى، وأن يوحدا تحت سلطتهم النصف الشرقي بأكمله من العالم الإسلامي (بما في ذلك أنطاكية و الرها اللتان انتزعهما من البيزنطيين)<sup>2</sup>. إنَّ حجم النسق العصبي التوسعي كان كفيلا ببلورة أنماط جديدة للسلطة السلجوقية، تمثلت في تركيز السلطات في شخص السلطان وموازنته بسلطة الخليفة، وفي نفس الوقت السماح بانثاق سلطات موازية لقادة السلاجقة تتكامل مع قوة السلطان المركزية وقراراته وأوامره النافذة.

**1-4- النمط المؤسسي:** يتبدى النمط المؤسسي كإطار جامع لمراكز قوى متعددة الوظائف ومختلفة الأوزان، إلا أنَّ هذه الوضعية ينتظمها منطق موحد لها يجد تعبيرا عنه في جملة المبادئ التنظيمية والتشريعية المقننة لمباني مؤسسات السلطنة السلجوقية ولشتى سياساتها<sup>3</sup>، وقد سعى السلاجقة لإقامة مؤسسات ونظم تسير مشروعهم الوحدوي وتوفر أسباب بقاءه واستمراره، وبالتالي يعكس هذا النمط إحدى أهم الفعاليات المنوطة بمنطق هندسة السلطة وربط مؤسساتها في بوتقة الدولة، وكذا توثيق صلتها بمؤسسات الخلافة ذات الأبعاد المركزية والاجتماعية والدينية، لذا فإنَّ اشتغال السلطة كمؤسسة جامعة ببلورة مؤسسات القوى السياسية المختلفة التي شاركت في نشأة السلطة تمتلك شرعيتها الخاصة، بما هي امتداد لكتل اجتماعية توحدت في المجال السياسي حول مشروع سياسي تنتظمه أهداف ومقاصد جامعة وتقننه نظم تشريعية وإدارية ترتبط ارتباطا محكما بينى الدورة الاجتماعية<sup>4</sup>.

1- كلود كاهن، المرجع السابق، ص 415.

2- المرجع نفسه، ص 416.

3- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 69.

4- المرجع نفسه، ص 70.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

فلا غرو أنَّ هذا النوع من الأنماط جعل الدولة السلجوقية تتولى دوراً مركزياً في نظام تعدد القوى<sup>1</sup>، في ظل قيام البويهيين والفاطميين والغزنويين والزييريين والحماديين والبيزنطيين، مما جعل كل المؤسسات السلجوقية المستحدثة تتوافق مع جملة القواعد التي تستجيب لمتطلبات مشروع سياسي إستراتيجي صاغت مكوناته<sup>2</sup>، عدد من الأنساق المنبثقة من مظهرات سلطة السلطان السلجوقي وأبعادها المجسدة للاتجاه الغالب الذي حكم منطق النمط المؤسساتي والسماح لصعود عدد من القوى ذات السلطة الموازية. وهذا ما تكشفه سير السلاطين السلاجقة في تصديهم لمتطلبات السياسة العامة وفي إدارتهم لشؤون السلطة، وما يتفرع عنها من رسم للأهداف الكبرى وتعيين سياسات إستراتيجية تتناسب وطبيعة هذه الأهداف<sup>3</sup>. تعرض النمط المؤسساتي لانعطفات أساسية منذ عهد السلطان طغرل بك، خاصة في الحقبة التي تلت دخوله إلى بغداد، ففي تلك المرحلة شهدت السلطنة قوينة رسمية وشاملة لمؤسسات السلطة، تفرع عنها مبادئ تشريعية وإدارية وتنظيمية، جعلت مركز السلطان العقدة التي تنتظم عبرها شتى مراكز السلطة. فالسلطان هو رأس السلطة وصاحب الكلمة الأولى فيما تبلوره مؤسسات السلطة من سياسات تتعلق بسياسات الدولة العامة أو شتى شؤونها الإدارية والتنظيمية<sup>4</sup>. وأخيراً أضحت النمط المؤسساتي نمطاً حاضراً في جميع السياقات والتطورات التي شهدتها المشروع السلجوقي الوحدوي، وتمكن سلاطين السلاجقة خلاله من "...رصد توجهات سياسية عديدة تستهدف توفير شروط قيام سلطة مركزية قوية تتداخل في رسم مكوناتها المعطيات التاريخية التي وفرتها دورة الاجتماع الإسلامي مع معطيات جديدة وفرتها بنية السلطة نفسها..."<sup>5</sup>.

**1-5- النمط المركزي العالمي:** مر تاريخ دولة السلاجقة بعدة مراحل متتالية: مرحلة النشأة وبلورة القوة والدور الإقليمي (429هـ/455هـ)، مرحلة الدور العالمي بين الازدهار وبداية الانحيار (455هـ-552هـ)، مرحلة الانحيار والسقوط (552هـ-590هـ). ويتكون نسيج كل مرحلة من هذه المراحل كما يتكون نسيج عمليات الانتقال من مرحلة إلى أخرى من خيوط عديدة متداخلة اقتصادية واجتماعية وعسكرية، ولقد ساهم في نسج هذه الخيوط أطراف إسلامية عديدة (تركية، فارسية، عربية...)، كما تعرضت هذه الخيوط لاختبارات عدة حيث برزت عديد من القضايا المحورية التي تثير الاهتمام بطبيعة السياسات السلجوقية، ومسارها، ودوافعها، والعوامل المؤثرة على نتائجها. ومن هذه القضايا جذور نشأة هذه الدولة كإمارة غزو، عوامل قوة وازدهار هذه الإمارة وعوامل نجاحها في مرحلة التوسع

1-نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي (منظور حضاري مقارن)، تقدم طارق البشري، الجزء 01، ط1، مصر، دار البشير للثقافة والعلوم، 2015م، ص358.

2-الضيقة حسين، المرجع السابق، ص71.

3-المرجع نفسه، ص72.

4-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

حتى دخول بغداد،العلاقات السلجوقية مع الدول الإسلامية قبل ضم خراسان والعراق واليمن والأناضول،وبعد هذا الضم مع مراكز القوة الإسلامية الأخرى المستقلة في مصر والمغرب والأندلس،العلاقات السلجوقية البيزنطية في مرحلة امتداد الفتوحات<sup>1</sup>. وهذه القضايا وغيرها تثير العلاقة بين الأبعاد الداخلية والخارجية للسياسات السلجوقية،التي هندست فعاليات النمط المركزي العالمي،وجعلت دولة السلاجقة تتحول من إمارة إلى سلطنة إلى دولة عالمية تتحكم في صنع السياسة في المشرق الإسلامي،وفق عدد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والدينية في آن واحد.إنَّ التحول التدريجي للدولة السلجوقية إلى قوة عظمى في العالم الإسلامي،حمل في طياته مدى قدرة العالم الإسلامي على التأقلم مع الهزات والأزمات التي تعصف به،لذا شكل النمط المركزي العالمي أحد الأنماط المؤثرة في صيرورة المشروع السلجوقي،وبالفعل كان دخول السلاجقة إلى العراق تجسيدا لهذا المشروع الكبير،وتمكنوا من إقامة نظام سياسي متكامل شمل الفكر السياسي والنظم السياسية والإدارة المركزية والعامية والخطط الاقتصادية والاجتماعية للسلطنة<sup>2</sup>،وأدى النمط المركزي العالمي إلى استئثار السلطان السلجوقي بالسلطة دون الخليفة،فأقيم نظام جديد قائم على الثنائية من واقع الفصل بين سلطان الخليفة الروحي وبين السلطات المدنية التي اختص بها السلطان السلجوقي،فالخليفة هو القائد الروحي والسلطان السلجوقي هو الحاكم الفعلي المدني،وصارت هذه الثنائية بعد ذلك أمرا مقررًا معترفًا به في الوضع الدستوري الإسلامي<sup>3</sup>.

والواقع أن مظهرات النمط المركزي العالمي ساهمت في بلورة الأبعاد الوحيدة بين السلاجقة والخلافة العباسية،فالسلطان طغرل بك تمكن من إنقاذ الخلافة العباسية والمذهب السني،مما أضفى عليه مكانة خاصة في العالم الإسلامي،واستطاع بذلك أن يحقق للمسلمين نوعا من الوحدة كانوا بحاجة ماسة إليها،فأضحت إيران والعراق تؤلفان وحدة كبيرة دانت بالزعامة الروحية للخليفة العباسي وبالزعامة السياسية للسلطان السلجوقي<sup>4</sup>.

**1-6-النمط الجمادي:**يمثل هذا النمط الرؤية السلجوقية في إدارة العلاقات السياسية مع البيزنطيين،فقد كان الباعث على التوسع السلجوقي باتجاه الأراضي البيزنطية ثلاثة أسباب:دينية،اقتصادية وسياسية.ففيما يتعلق بالسبب الديني،فقد وضع السلاجقة الكبار نصب أعينهم هدفا راحوا يعملون على تحقيقه،ألا وهو نشر الإسلام في أوسع رقعة ممكنة،وبخاصة بين جيранهم النصارى وأعني بهم الأرمن والبيزنطيين،الأمر الذي يكسب حروبهم طابع الجهاد

1-نادية محمود مصطفى،المرجع السابق،ج1،ص446-447.

2-طقوش محمد سهيل،تاريخ الخلفاء الراشدين(الفتوحات والإنجازات السياسية)،ط1،بيروت،دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،1432هـ/2011م،ص324.

3-طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في خراسان...،المرجع السابق،ص83.

4-المرجع نفسه،ص82-83.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الديني، كما يكسبهم عطف المسلمين جميعاً، وأنَّ اقتراحهم من حدود الكرج والبلاد الأرمينية والبيزنطية هيأ لهم الفرصة لأن يواصلوا حركة الجهاد المقدس الذي سبق أن قاموا به في الشرق ضد الأتراك الوثنيين، وقد حرص السلطان السلجوقي طغرل بك على أن يجعل أتباعه الأتراك تحت تصرفه بشكل دائم يوجههم في حملات مختلفة ويستفيد منهم في الجهاد ضد الكفار<sup>1</sup>. ساهم النمط الجهادي في إعادة حركة الفتح الإسلامي والضغط على بيزنطة، ومحاولة إقامة نوع من توازن القوى بين الطرفين، وكذلك السعي إلى تجميد حركة البيزنطيين، والانتقال من أسلوب الدفاع إلى أسلوب الهجوم والغزو والتوسع، وفي هذا السياق كان الدفع بأعداد كبيرة من السلاجقة إلى ولوج أراضي البيزنطيين، السبب الاقتصادي، بحيث يؤكد ابن الأثير هذا السبب عند كلامه عن غزو إبراهيم ينال أخ السلطان طغرل بك للأراضي البيزنطية، يقول: "أنَّ خلقاً كثيراً من الغز مما وراء النهر قدموا عليه، فقال لهم: بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه، والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم (البيزنطيين) وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا..."<sup>2</sup>، أما السبب السياسي فتمثل في محاولة السيطرة على بلاد الأرمن ذات الأهمية السياسية والعسكرية في علاقة المسلمين ببيزنطة، لذا أدرك السلطان طغرل بك عندئذ أهمية الاستحواذ على أرمينية وكسر الطوق البيزنطي من أمام المسلمين تمهيداً للتوغل داخل الأراضي البيزنطية لمواصلة حركة الجهاد وإشباع رغبة أتباعه<sup>3</sup>.

### 2- صيرورة المشروع الوحدوي السلجوقي:

تنطوي حركة المشروع الوحدوي السلجوقي على توظيف مجموعة من الأنساق والأنماط التي هندست منطلقاته وأبعاده و مآلاته، فالمعروف أنَّ مشروعاً بهذا الحجم ينبغي أن يمتلك من الإمكانيات والوسائل ما يمكنه من النجاح، وبالتالي توفير عدد من المكتسبات التي ستساهم في جلب دعم جميع القوى الموجودة على أرضية هذا المشروع، مما يسمح بتوفير عدد من الآليات والوسائل القادرة على تأسيس العلاقات بين أصحاب المشروع وبين القوى الطامحة للتموقع في دائرة الأدوار المركزية له.

إنَّ الحديث عن صيرورة المشروع السلجوقي الوحدوي، هو حديث عن إعادة التناسق والانسجام والتلاحم بين أمصار بلاد المشرق الإسلامي، ذلك أنَّ هذه المنطقة شهدت عدداً من الدول قياماً وسقوطاً التي حاولت السيطرة على الخلافة العباسية والتحكم في جميع العالم الإسلامي، ولكنها فشلت في ذلك، باستثناء البويهيين الذين تمكنوا -رغم تشيعهم- من التحكم في مقدرات الخلافة العباسية والعمل على القضاء عليها باعتبارها رأس المذهب السني في العالم الإسلامي، أما السلاجقة فمشروعهم كان أكثر تأصيلاً وشرعية بحكم إسقاطهم لدولة البويهيين وإنقاذهم للخلافة

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 85-86.

2- المصدر السابق، ج 8، ص 68-69.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 87.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العباسية بعد دخولهم إلى بغداد، مما جعلهم مطالبين بإعادة توحيد المشرق الإسلامي وإقامة رسم الجهاد، أضيف إلى ذلك أنهم كانوا أقوى هذه الدول، من حيث تعداد الجيوش وتوفر المدد والدعم، حيث عرف الجهاز السلجوقي على طول تاريخه تناقضا فعليا بين المعطى القبلي والمعطى الدولي، وذلك حول الإدارة الفعلية وتسيير البلاد وحول سلطة القرار.

لم يخرج المشروع السلجوقي عن السياق العام الذي تأصل منذ تأسيس الدولة السلجوقية، كما تجدر الإشارة إلى أنَّ المشروع كان حاضرا على الصعيد الرسمي، إذ شكل حجر الزاوية في البرنامج السياسي للسلاجقة، ولا يمكن استبعاد علاقة المشروع بالوحدوي السلجوقي بأثر العوامل الداخلية والتناقضات القبلية وكذلك الصراع مع دار الحرب، التي عجلت في ميلاد هذا المشروع. ولا يمكن الإمساك بجثثيات المشروع السلجوقي وتتبع تطوره، إلا بتفسير وفهم الأوضاع السائدة في العراق مركز الدولة العباسية، وبالتالي فهم الحركات الانفصالية التي أدت إلى تفكك الدولة العظمى، وتحاذب أطرافها من قبل أجناس وأعراق مختلفة<sup>1</sup>. وكان من الطبيعي في ظل ضعف المركز أن تنمو النزعات الاستقلالية ليس فقط في الأقطار النائية كما كان الحال في العصر العباسي الأول، بل وفي الأقطار القريبة من المركز أيضا، فبعد أن شهد العصر العباسي الأول خروج المغرب الإسلامي من قبضة الدولة العباسية، فإنَّ العصر العباسي الثاني شهد تفكك المشرق ذاته منذ منتصف القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، فظهر الصفاريون بعد الطاهريين في خراسان عام 254هـ، وظهر السامانيون في بخارى قبلهم عام 250هـ، وظهر الطولونيون في مصر عام 254هـ، ثم بعدهم الإخشيدون عام 323هـ، وظهر الزيديون في اليمن قبل ذلك عام 246هـ، والحمدانيون بعد ذلك في الموصل وحلب عام 317هـ، حتى وصل الأمر في سنة 247هـ إلى مقتل المتوكل وتقلص نفوذ العباسيين واقتصره على العراق والجزيرة<sup>2</sup>. إنَّ الأوضاع المتردية التي آلت إليها الخلافة العباسية، كانت قمينة بأن تنخر جسم الأمة الواحدة وتجعل الجسد المتماسك تتناثر أشلاؤه، لا شيء إلا أنَّ الجسد اعتورته أدواء وعلل تمثلت في:

- 1- تخلي الدولة الإسلامية عن أداء واجبها اتجاه الجماعة في تحقيق الشهود الإيماني في حراسة الدين وسياسة الدنيا به.
- 2- لما كان الرباط العقيدي يمنح المسلم حق الانتماء إلى كل من الدولة والأمة والجماعة انتماء عقيدا فإنَّ هذا المعنى كاد يغيض عندما شعر العرب بأنهم أعلى مقاما، وأقوم مسلكا، وأشرف نسبا، من جميع الأرومات المختلفة، الأمر الذي هيج الشعوبية الكامنة وبعثها من مرقدتها، وجعل مصالح الأمة تضيق بين تطرفين: التطرف القومي العربي والتطرف الأعجمي الشعوبي.

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 87.

2- المرجع نفسه، ص 89.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

3- غياب مبدأ الشورى في الأمة جعل أصنافا من الخلفاء من ذوي الهمم الهابطة، والكفاءات المعدومة والمواهب المنحطة، تتولى شؤون دولة عظمى مترامية الأطراف متباينة الأعراق، وهذا لعمرى يجعل النزعة إلى الانفصال والاستقلال ترجح على النزعة إلى تركيز السلطة والإبقاء على الوحدة<sup>1</sup>.

إنَّ التركيز على المشروع السلجوقي من حيث الأبعاد و المآلات، هو إقرار منا باختلاف هذا المشروع في صيورته عن كثير من المشاريع الأخرى التي صنعتها الكيانات السياسية الأخرى عبر أقاليم العالم الإسلامي، فهو يختلف مع المشروع الفاطمي الشيعي الذي سعى للقضاء على دولة الإسلام وسحق خلافة العباسيين، وكذلك المشروع الموحدى (الدولة الموحدية) الذي كان امتدادا للمشروع الفاطمي، أضف إلى ذلك أنَّ المشروع السلجوقي ظل إلى عهود طويلة أنموذجا يقتدى به، حيث استلهمت منه كثير من الدول التي قامت في المشرق كالزنكيين والأيوبيين والمماليك، وكان العثمانيون هم بحق من استكملوا هذا المشروع بنجاحهم في حكم العالم الإسلامي كله.

من هذا المنطلق فإنَّ جذور المشروع السلجوقي لتوحيد الأمة الإسلامية، تعود إلى ظهور السلاجقة الذي أحدث تغيرا كبيرا ومهما في مسار التاريخ الإسلامي بشكل عام والخلافة العباسية بشكل خاص، حيث تزامن ظهورهم مع حالة الضعف والتجزؤ التي أصابت الخلافة العباسية من جهة، والصراع السياسي والفكري مع الفاطميين من جهة ثانية، وإليهم يرجع الفضل في تحديد قوة الإسلام وإعادة تكوين وحدته السياسية<sup>2</sup>. لذا فإنَّ "...فكرة ومشروع الوحدة عند السلاجقة وتأسيس دولة إسلامية كبرى يعني مفهوم الأمة الذي طرحه الإسلام، ويرى بعض الباحثين أنَّ فكرة الوطن عند السلاجقة فكرة عامة أثرت فيها طبيعتهم البدوية، وإنَّ اعتناق الإسلام جعلهم يرون أنَّ العالم الإسلامي كله هو الوطن، ولذلك نراهم يستهدفون تكوين دولة تشمل العالم الإسلامي كله معترف بها من قبل الخليفة العباسي ويسعون إلى إضعاف جميع القوى المناهضة لدولتهم..."<sup>3</sup>.

يعد السلطان طغرل بك المهندس الحقيقي للمشروع الوحدوي السلجوقي، فقد انطلق هذا السلطان مما حققه السلاجقة قبل تأسيس الدولة من توطيد لمركزهم وحصولهم على الشعبية، نظير تمسكهم بأهداب الدين والغيرة على الإسلام والتقرب إلى العلماء المسلمين<sup>4</sup>، وأدرك أنَّ السلاجقة يواجهون تحديات كبيرة جعلتهم بين احتمالين، إما النهوض والاستمرار وإما الفشل والخضوع للقوى الأخرى، لذا سعى إلى بناء الدولة السلجوقية أولا، ومن ثم إقامة التحالفات السياسية وتجنب الصراع مع الدولة الغزنوية حتى يستكمل تأسيس الدولة، وحسن التعامل مع الخلافة

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 89.

2- عكاك يوسف جمعة، المشروع السلجوقي لتوحيد الأمة الإسلامية في عهد السلطان طغرل بك (429هـ/455هـ)، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العدد 03، المجلد 07، سنة 2012م، ص 02.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المرجع نفسه، ص 03.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العباسية ومحاولة كسب الرأي العام الإسلامي لصالحه، وبهذا استطاع طغرل بك أن يحقق إنجازات مهمة عند توليه زعامة السلاجقة، وشهدت حقبة حكمه تحولات مهمة كان لها بالغ الأثر في تاريخ السلاجقة خاصة والعالم الإسلامي عامة<sup>1</sup>.

إن نجاح طغرل بك في إقامة دولة للسلاجقة، كان المرحلة الأولى والبداية الفعلية للمشروع السلجوقي الحدودي، فبعد انتصاره على الغزنويين في معركة داندانقان سنة 431هـ، أعلن نفسه سلطاناً على السلاجقة ولقب نفسه بالسلطان ركن الدنيا والدين، معبراً بذلك عن مشروع سياسي توسعي ذو صبغة دينية<sup>2</sup>، وأضحت القوة السلجوقية الجديدة مرهوبة الجانب، ودفعت بالمسلمين في إيران والعراق وبقية المشرق إلى التفكير في الانضمام تحت لوائها، وإظهار الطاعة لها، وأخذ طغرل بك يفكر في العمل على تكوين دولة عظمى تسيطر على جميع أنحاء العالم الإسلامي<sup>3</sup>.

لقد بذل السلطان طغرل بك كل جهده لإتمام تأسيس الدولة السلجوقية وضمان الاستقرار والوحدة بين أفراد البيت السلجوقي، تمهيداً لحركة التوسع في إيران والعراق والثغور الشمالية المحاذية للبيزنطيين، وكان محور المشروع السلجوقي هو العراق، إذ يعتبر وصول طغرل بك إليه بمثابة إتمام أهم مرحلة من مراحل الكبرى، فما هي أهم التطورات التي عرفها المشروع السلجوقي قبل دخول طغرل بك إلى بغداد؟.

استغل طغرل بك الفرص التي لاحت له، بعد انتصاره على الغزنويين وتراجعهم إلى الهند، بالإضافة أنه لم يكن بوسع الخلافة العباسية في ظل أوضاعها المضطربة المتمثلة بضعف البويهيين وتدهور أحوالهم وتزايد التهديد الفاطمي ولتحقيق الاستقرار في المشرق لاسيما بعد بروز السلاجقة كقوة إسلامية فتية على حساب الغزنويين، لم يكن بوسعها في ظل تلك التحولات إلا استبدال الغزنويين بالسلاجقة كنصير وسند قوي لها يمكن أن يلعب دوراً مؤثراً في مستقبل الأحداث<sup>4</sup>، وأدى ضعف البويهيين وتنازعهم على السلطة وفقدانهم للتأييد من المجتمع الإسلامي في إيران والعراق، إلى سرعة بلورة خطة طغرل بك، الذي امتثل لأوامر الخليفة في فتح باب التقارب مع البويهيين، تمهيداً للإجهاد عليهم، حيث أثر في البداية الضغط على أطراف دولتهم لمعرفة قوتهم ولتشيت وحدتهم.

يقول ابن الطقطقي ملخصاً حركة السلطان طغرل بك: "...وما زال أمرهم ينمى حتى ملك طغرل بك وهو أول سلاطينهم طائفة من بلاد العجم، وما زال أمره يقوى حتى تغلب البساسيري على بغداد ونهبها وقتل من

1- عكايب يوسف جمعة، المرجع السابق، ص 04.

2- المرجع نفسه، ص 05.

3- المرجع نفسه، ص 06.

4- المرجع نفسه، ص 06.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

بها، وأخرج الخليفة القائم فحبسه بقلعة الحديثة وكانت فتنة البساسيري فتنة عظيمة، فحينئذ كتب القائم إلى طغرل بك السلطان يستدعيه إلى بغداد لينصره على البساسيري، فسار طغرل بك بعساكره إلى بغداد فلما سمع البساسيري بذلك انتقض عليه أمره وفارق بغداد، دخل طغرل بك إلى بغداد، وأعاد رونق الدولة الخليفة وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد....<sup>1</sup>، كانت جرجان وطبرستان المحطة الأولى لطغرل بك حيث استولى عليهما وملكهما سنة 433هـ... فسار إليها-أي طغرل بك-وقصد جرجان ومعه مرداويج بن بسو فلما نزلها فتح له المقيم لها فدخلها وقرر على أهلها مائة ألف دينار صلحا وسلمًا.... وأقيمت الخطبة لطغرل بك في البلاد كلها...<sup>2</sup>، ثم انتقل طغرل بك لأخذ خوارزم، حيث حاصرها حتى أذعنت له ودخلها منتصرا سنة 434هـ<sup>3</sup>، وبعد ذلك واصل مسيره إلى الجبل-أي العراق العجمي-حيث وصله كتاب جلال الدولة البويهية يطلب منه منع جنوده من أعمال النهب والسلب وبضرورة الإحسان إلى أهل البلاد وذلك سنة 435هـ<sup>4</sup>، وبالموازاة استولى إبراهيم ينال أخو طغرل بك على همدان سنة 434هـ<sup>5</sup>.

التقى طغرل بك مع أخيه إبراهيم ينال في همدان، حيث سارا منها إلى كرمان في جنوبي إيران للاستيلاء عليها، فصدّهما أهلها، كما أرسل الملك أبو كاليجار جيشا من العراق لصدّهما أيضا، فاضطرا تحت ضغط المقاومة إلى تركها، غير أنّ نشاط السلاجقة اتسع حتى غطى كل الأقاليم الإيرانية، من بحر قزوين في الشمال إلى كرمان في الجنوب، وشملت أراضيهم خراسان وكرمان وأذربيجان وهمدان وجرجان<sup>6</sup>.

بعد أن ضم طغرل بك جميع هذه المناطق، مكث يتربص تطور الوضع في العراق تمهيدا لضمه ودخول بغداد حاضرة الخلافة العباسية وإنهاء الدولة البويهية، فأدرك طغرل بك ضرورة الإسراع في استكمال حركته إلى العراق، فاستعمل أسلوب توطيد العلاقة بين العباسيين من جهة و البويهيين من ثانية، فالبويهيون كانوا يدركون جيدا الخطر السلجوقي، ولكن ضعفهم وفقدانهم لدهم الخلافة العباسية، أدى بهم إلى السعي لمزيد من التقارب مع طغرل بك، حيث أرسل ملك البويهيين أبو كاليجار إلى السلطان طغرل بك لإبرام صلح بين الطرفين، فقبل طغرل بك وأمر أخاه إبراهيم ينال بالكف عن التوسع في أراضي البويهيين، وتمت المصاهرة بين الطرفين بزواج طغرل بك بابنة أبي كاليجار، وكذلك

1-المصدر السابق، ص282.

2-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص250.

3-المصدر نفسه، ج8، ص255.

4-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص289.

5-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص257.

6-المصدر نفسه، ج8، ص256، طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص57.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

زوج طغرل بك ابنة أخيه الملك داود بالأمير أبي منصور بن أبي كاليجار، وقد عقد هذا الصلح في شهر ربيع الثاني سنة 439هـ<sup>1</sup>.

لقد جاء هذا الصلح في سياق تطور العلاقات بين الأطراف الثلاث الفاعلة؛ السلاجقة والخلافة العباسية والبويهيين، لذا لا يمكن فهم دوافع وأسباب عقد هذا الصلح بين السلاجقة والبويهيين إلا من خلال النقاط التالية:

- 1- استحكام قبضة البويهيين على مقاليد الخلافة العباسية التي عرفت أسوأ حالات الضعف والوهن.

- 2- إدراك الخلافة العباسية أن التوسع السلجوقي قادم لا محالة باتجاه العراق، فلماذا لا تبادر للاتصال بهم على أمل رسم ملامح العلاقة المقبلة بين الطرفين، ولتكون صاحبة السبق في فتح آفاق التعاون والتحالف معهم انطلاقاً من المركز الشرعي والديني للخلافة العباسية، باعتبارها مسؤولة عن البلاد والعباد.

- 3- اتصال المراسلات بين السلاجقة والخليفة العباسي، حيث بدأت المراسلات على وجه التقريب بين سنة 433هـ- 434هـ/1041م-1042م، وكانت بمثابة تذكير من قبل الخلافة العباسية بضرورة مراعاة حرمة المناطق المفتوحة والحفاظ عليها.

- 4- استمرار المراسلات بين الطرفين حتى سنة 436هـ/1044م، ولكنها شهدت توقفا بسبب رفض الخليفة العباسي القائم بأمر الله (420هـ-465هـ/1028م-1072م) مطالب السلطان طغرل بك (432هـ-455هـ/1040م-1063م) بمنحه ألقاباً تناسب طموحه، واستمر الانقطاع حتى سنة 440هـ/1048م.

- 5- عودة العلاقات بين طغرل بك والقائم بأمر الله العباسي، فقد كان الانقطاع ينم عن محاولة كل منهما الضغط على الآخر، والحد من طموحاته، فالخلافة العباسية أرادت أن تحد من طموح طغرل بك السياسي الذي ظهر من خلال مطالبته بمنحه ألقاباً تناسب توسعه وسيطرته، مما يظهر خفايا مخططات السلاجقة التوسعية نحو العراق ومناطق الخلافة العباسية، وتنبيه طغرل بك إلى أهمية مركزها الديني، وأنها لا زالت صاحبة مكانة مؤثرة من الناحية الدينية على العالم الإسلامي السني، وطغرل بك أراد أن يشعر الخلافة العباسية بتوسع مناطق سيطرته وسلطاته وقوته خاصة أن هذه الرسائل قد جاءت بعد انتصار السلاجقة في داندانقان على الغزنويين مما أشعرهم بالقوة التي أصبحوا عليها، وأنه قادرة على التحرك دون التواصل مع الخليفة العباسي.

- 6- إظهار طغرل بك للخلافة العباسية أنه يختلف عن بقية الأمراء الذين حكموا المشرق باسمها، ففي آخر رسائله قبل الانقطاع، قارن نفسه بالسلطانين محمود الغزنوي (378هـ-421هـ/988م-1030م) وابنه مسعود (421هـ-432هـ/1030م-1014م)، وطالب أن تكون الامتيازات الممنوحة له أكثر من الامتيازات التي كانت ممنوحة

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص276.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

للحكام الغزنويين وفي هذا إشارة واضحة إلى طموح طغرل بك وتطلعاته السياسية للاستيلاء على سلطنة العالم الإسلامي<sup>1</sup>.

لقد أثرت طبيعة العلاقة بين السلاجقة والعباسيين من جهة والعلاقة بين البويهيين والعباسيين من جهة ثانية، وكذلك العلاقة بين السلاجقة والبويهيين من جهة ثالثة، وأيضاً علاقة العباسيين بالفاطميين، في ظهور التقارب السلجوقي البويهي، خاصة بعد أن حدث تذبذب في العلاقة السلجوقية العباسية، فمن الواضح أنَّ السلاجقة أرادوا الموازنة بين قوة البويهيين المتداعية وقوة الفاطميين الساعية للتمدد إلى العراق، خشية قيام تحالف بين الطرفين يؤدي إلى إنهاء خلافة العباسيين وفرض المذهب الشيعي، بالإضافة إلى اشتداد ضغط البيزنطيين على الثغور الشمالية، ما جعل طغرل بك يوافق على إبرام الصلح بين الطرفين وكذلك المصاهرة سنة 439هـ، ومع عودة العلاقة بينه وبين العباسيين سنة 440هـ، سيحاول طغرل بك الإمساك بهذا المتغير في الموقف العباسي ويسعى إلى تمتين العلاقة أكثر، مع الأخذ في الحسبان الموقف العباسي من البويهيين الذي بدا متردداً. ولكنه سيتغير بسبب فتنة البساسيري التي كانت من العوامل التي دفعت الخلافة العباسية للتحالف مع السلاجقة بحكم التقارب المذهبي بين الفريقين باعتبارهما على المذهب السني، إضافة إلى ورود أنباء عن وجود اتصالات بين البساسيري والفاطميين، مما شكل مصدر خطر وقلق للخلافة العباسية؛ فكان لا بد في ظل هذه الظروف التي تعيشها الدولة العباسية من الاستنجاد بالسلاجقة لإنهاء خطر البساسيري<sup>2</sup>.

وانطلاقاً من ذلك فقد أضحي وصول السلاجقة إلى إقليم العراق وحاضرتهم بغداد مسألة وقت ليس أكثر، إذ كل المؤشرات والحوادث والوقائع المتتالية أنبأت عن اقتراب طغرل بك وجيشه من العراق، وبالمقابل أدرك طغرل بك أنَّ البويهيين لن يسكتوا عن اقترابه من إقليم العراق، لذا استعمل أسلوب التميويه ووضع خطة محكمة لأجل ذلك، يقول ابن الأثير: "... فلما فرغ من الري عاد إلى همدان في المحرم من هذه السنة، وأظهر أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر صاحبها..."<sup>3</sup>، أما ابن الجوزي فيقول: "ولما قرب طغرل بك وانتشر عسكره في طريق خراسان فانزعج وشملهم الخوف ودخل إلى الحريم أهل السواد ثم ورد رسوله إلى الديوان في نحو ثلاثين من الغز وانزعج العسكر وركبوا بالسلاح فسلم الرسول كتاباً يتضمن الدعاء والثناء وأن قصد الحضرة الشريفة للتبرك بمشاهدتها والمسير بعد ذلك إلى الحج وعمارة طريقه والانتقال إلى قتال

1- القعايدة عبد الهادي نايف، الإدارة السلجوقية في بغداد - الشحنة أنموذجاً - خلال الفترة (447هـ - 536هـ / 1055م - 1142م)، مجلة دراسات

العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 42، ملحق 2015، 1م، الجامعة الأردنية، ص 1207-1208.

2- المرجع نفسه، ص 1208.

3- المصدر السابق، ج 8، ص 322.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أهل الشام وكل معاند...<sup>1</sup>، فاستعد طغرل بك لأي طارئ يطرأ في بغداد، وأظهر من الحنكة والدهاء السياسي والعسكري ما يمكنه من المضي قدماً إلى استكمال مشروعه الكبير، ومكث ينتظر الفرصة السانحة عندما تلوح له، وقد جاءته أخيراً عندما "شهد عنده-أي الخليفة-جماعة من الأتراك أنَّ البساسيري عرفهم وهو إذ ذاك بواسطة عزمه على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة فكاتب الخليفة أبا طالب محمد بن ميكائيل المعروف بطغرل بك أمير الغز وهو بنوحي الري يستنهضه على المسير إلى العراق...<sup>2</sup>، ولا غرو أنَّ استدعاء الخليفة العباسي لطغرل بك جاء متماهياً ومتناسقاً مع الخطة التي سطرها حتى لا يلفت النظر الأنظار إليه من قبل البويهيين والبساسيري، هذا الأخير الذي كانت قوته في تعاظم يوماً بعد يوم، وخاصة حين صار "مقدم الأتراك.. والبساسيري كان يخاطب الأمير القائم بأمر الله بتحكم لا يراعي فيه جانب الحرمة ويجرعه أنواع الغصص...<sup>3</sup>، ولكن طغرل بك لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد أن أصبحت المناطق الواقعة جنوب العراق تحت السيطرة السلجوقية. وفي ذات الوقت كان السلطان طغرل بك قد أدان له حكام الجزيرة الفراتية سواء الإمارة المروانية سنة 441هـ أو الإمارة العقيلية سنة 444هـ/1052م، ولم يبق إلا بغداد التي تهيأت الظروف المناسبة لدخولها، وذلك باستدعاء الخليفة القائم بأمر الله للسلطان طغرل بك<sup>4</sup>.

لقد أدى ضعف البويهيين وانقسامهم إلى تنامي قوة البساسيري أحد قاداتهم في بغداد، ومن جهة ثانية أثار التقارب الشديد بين طغرل بك والخليفة القائم بأمر الله فزع وخوف البساسيري<sup>5</sup>، خاصة بعد أن تغير الخليفة عليه حينما علم بسوء عقيدته، حينئذ كان البساسيري بواسطة-أي خارج بغداد-حيث انفض عنه من كان معه ورجعوا إلى بغداد واتفقوا على حرق داره وهدمها<sup>6</sup>، والأكثر من ذلك فإنَّ البساسيري مثل آخر حلقة من الدولة البويهية التي عملت الخلافة العباسية على التخطيط للقضاء عليها نهائياً، خاصة عندما تنامت في عهدها قوة الشيعة سواء كانت إمامية أو

1-المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص348.

2-المصدر نفسه، ج15، الصفحة نفسها.

3-الحسيني صدر الدين علي بن ناصر، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق الدكتور محمد نور الدين، ط1، بيروت، دار إقرأ، 1405هـ/1985م، ص59.

4-المدخلي محمد ربيع هادي، المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة الأوائل (431هـ-485هـ/1040م-1092م) دراسة سياسية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1412هـ/1992م، ص168.

5-Mohammad Ther Ya'ghoubi, The Shi'a of Baghdad at the time of the 'Abbasid Caliphs-5 and the Seljuq Sultanate (447-575ah), Journal of Shi'a Islamic

Studies, Winter 2013, Vol 04, No01, p56. 176.

6-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص348.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

إسماعيلية، وذلك منذ عهد القادر بالله العباسي، ثم استمر هذا الأمر إبان فترة خلافة القائم بأمر الله<sup>1</sup>. والحق أن البويهيين هم أنفسهم ساهموا في إنهاء دولتهم، فقد شهدت مرحلة حكم الملك الرحيم البويهي عددا من الحروب والفتن بينه وبين إخوته<sup>2</sup>، كما لم يتعاون البويهيون مع الخلفاء الفاطميين الشيعة في مصر وبلاد الشام ليكونوا جبهة واحدة ضد الأمراء السنة في المشرق، ولم ينجحوا في كسب الشيعة في العراق كليا على الصعيد الشعبي، بسبب تأييد جندهم من الأتراك للسنة من أهل بغداد، دون أن يمنع البويهيون ذلك لاعتبارات عسكرية وسياسية، وهذا الفشل البويهي في استغلال العامل المذهبي لتأكيد سلطتهم السياسي، قابله نجاح كبير للخليفين القادر بالله وولده القائم بأمر الله بالنهوض بالخلافة العباسية، والحد من سيطرة البويهيين، والاستئجاد بقوة السلاجقة<sup>3</sup>. لذا كان من مصلحة الخليفة القائم بأمر الله التنسيق مع السلاجقة لاختيار الوقت الملائم لدخولهم بغداد بعد إزالة آخر عائق أمامهم ألا وهو قوة البساسيري ومن يتبعه من الأتراك<sup>4</sup>.

### 2-1- دخول السلاجقة إلى بغداد:

**أ- مقدمات الدخول السلجوقي إلى بغداد:** إن مقدمات الدخول السلجوقي إلى بغداد جاءت في سياق تطور الأحداث، إذ كانت البداية عندما... اتصلت الفتن بين أهل باب الطاق وسوق يحي اتصالا مسرفا وركب صاحب الشرطة والأتراك لإطفاء الفتنة فلم ينفذ ذلك وانتقل القتال إلى باب البصرة وأهل الكرخ على القنطريتين. ووقعت بين الحنابلة و الأشاعرة فتنة عظيمة حتى تأخر الأشاعرة عن الجمععات خوفا من الحنابلة وكان أبو الحارث البساسيري قد حضر الديوان وأحلف على الطاعة ثم إن الأتراك ضجوا بين يديه وذكروا أنه لا يوصل إليهم حقوقهم...<sup>5</sup>، وبالتزامن مع هذه المقدمة، سمع الملك الرحيم البويهي بقرب طغرل بك من بغداد، فتحول إليها على وجه السرعة من واسط وكان معه البساسيري الذي انفصل عنه في الطريق لما وصله كتاب القائم بأمر الله، الذي يحمل في طياته أن البساسيري خلع طاعة الخليفة وراسل الفاطميين، كما ذكره الخليفة بأن له عليه عهود، فإن هو آثره فقد قطع ما بينهما وإن أبعد وأصعد إلى بغداد تولى الديوان تدبير أمره فقال الملك الرحيم ومن معه نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون<sup>6</sup>، كما لا ننسى أن قبول الملك الرحيم بقطع علاقته بالبساسيري

1- المدخلي، المرجع السابق، ص 177-178.

2- المرجع نفسه، ص 178.

3- الجالودي، المرجع السابق، ص 45-46.

4- المدخلي، المرجع السابق، ص 178.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 15، ص 347.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 322.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وقبوله بأوامر الديوان الخلفي، جاء في سياق التقارب العباسي السلجوقي حينما أمر القائم بأن يخطب باسم طغرل بك على منابر بغداد وأن ينقشوا اسمه على السكة، وذكروا بعد اسمه اسم الملك الرحيم أبي نصر بن أبي الهيجا وألقابه<sup>1</sup>.

ومعنى هذا أن الدولة البويهية رضيت أن تكون دولة تابعة للسلاجقة، آملة أن يتاح لها نوع من البقاء<sup>2</sup>، ولا ننسى أيضا أن قائدا كبيرا للبويهيين يدعى فولاذ صاحب قلعة اصطخر استولى على شيراز وقطع الخطبة لطرغل بك وردها للملك الرحيم وأخيه أبي سعد<sup>3</sup>، مما جعل طغرل بك يعد هذا التصرف بمثابة انقلاب على الوجود السلجوقي في إيران، وخطر يهدد دولته الناشئة، ما دفعه إلى التحرك لإزالته من خلال القضاء على البويهيين في إيران والعراق، فاستغل تردّي الأوضاع في هذا البلد وتحرك باتجاهه<sup>4</sup>، وزيادة على هذا أن البساسيري كان خارج بغداد حيث سار إلى بلد نور الدولة ديبس بن مزيد لمصاهرة بينهما<sup>5</sup>.

وتبدو النبرة السنية واضحة في الحجج التي ساقها طغرل بك لتسويغ ضم العراق، بهدف كسب الشرعية، وضمن إتمام مشروعه هذا بكل سهولة ويسر، دون أدنى مقاومة محتملة، وأسهمت هذه التصريحات بإنعاش آمال الخليفة القائم بأمر الله في إمكانية استغلال هذه القوة السنية الناشئة، بهدف تحقيق وحدة الأمة، وتخليصها من الاستبداد البويهي، والتهديد الفاطمي، واستعادة ما كان للخلافة العباسية من نفوذ في بلاد الشام ومصر والحرمين واليمن وبعض النواحي في إفريقيا والمغرب التي يحكمها بنو زيري، الذين يدينون بالولاء للدولة الفاطمية<sup>6</sup>.

**ب- دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد سنة 447هـ/1055م:** تعد سنة 447هـ/1055م فاصلة في تاريخ الدولة البويهية وانعطافة كبرى في تاريخ الخلافة العباسية التي انتقلت من عصر إلى عصر<sup>7</sup>، كما كانت هذه السنة منعطفًا تاريخيًا في تشريع الهيمنة السلجوقية التركية على المشهد الإسلامي. ففيها توج الخليفة العباسي القائم بأمر الله السلطان السلجوقي طغرل بك (385هـ-455هـ/995م-1063م) أول سلطان سلجوقي لعموم دار الإسلام، ومنحه لقب "سلطان المشرق والمغرب". وقد جاء ذلك التتويج ثمرة مهمة دبلوماسية قادها الفقيه والقاضي السني أبو الحسن الماوردي (ت 450هـ) أقنع خلالها طغرل بك -بناء على التماس الخليفة- أن ينتقل من بلاد فارس إلى

1- الرواندي، المصدر السابق، ص 169.

2- حسين أمين، المرجع السابق، ص 59.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 320.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 74.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 322.

6- الجالودي عليان، المرجع السابق، ص 56-57.

7- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 74.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العراق، ويتخذ بغداد عاصمته السياسية والعسكرية، وتعبيراً للتوقير التركي التقليدي للخليفة العباسي، ولرسوله الماوردي<sup>1</sup>، فقد "خرج طغرل بك فتلقيه على أربعة فراسخ إجلالا لرسالة الخليفة..."<sup>2</sup>. كان دخول السلطان طغرل بك إلى بغداد، حدثاً كبيراً غير خريطة التوازنات بين القوى السياسية في المشرق الإسلامي، وأدى إلى أفول الدولة البويهية وزوالها نهائياً وانكماش وتراجع الدولة الفاطمية، وبالمقابل تعاظم قوة السلاجقة وتعافى الخلافة العباسية واسترجاع مكانتها وقوتها على الصعيد السياسي والمذهبي والوحدوي.

لقد أرخت المصادر لدخول طغرل بك إلى بغداد بشكل متباين بين الإيجاز والتفصيل، يقول الحيسي: "...وفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة أمر أمير المؤمنين بالدعاء للسلطان طغرل بك على المنابر بعد أداء الفرائض، وأن تتضمن الخطبة ذكر اسمه، وفي رمضان من هذا العام صمم طغرل على الحج إلى كعبة جلال أمير المؤمنين وناظم أمور المسلمين فتوجه إلى دار السلام، فوصل طغرل بك إليها في هذا الشهر، وكانت قاعدة الإسلام وعشه فقدم فروض العبودية وفقاً للقواعد المرعية، فأكرمه الخليفة غاية الإكرام، وأنعم عليه بالخلع والهدايا الوفيرة، وشرفه بخلعة شريفة هي "إني جاعل في الأرض خليفة" (سورة البقرة: 30) وأصدر منشوراً بتوليته موقعا تعالى "وجعلها كلمة باقية في عقبه" (سورة الزخرف: 28) وختم منشور ورجع طغرل بك في سنة تسع وأربعين وأربعمائة من بغداد مدينة السلام محقق الرغبة والمرام..."<sup>3</sup>، أما الرواندي فيضيف كلاماً آخر: "...وفي رمضان من تلك السنة قصد طغرل بك إلى بغداد فأرسل إليه أمير المؤمنين كثيراً من الأموال والهدايا وذهب الملك الرحيم إلى النهروان لاستقباله فأمر بالقبض عليه وأرسله مقيداً إلى قلعة طبرك بالري وبهذا استراحت الرعية وأكثروا من الدعاء لطغرل بك..."<sup>4</sup>، بينما يسوق لنا ابن الطقطقي وصفاً آخر بقوله: "...حتى ملك طغرل بك (وهو أول سلاطينهم) طائفة من بلاد العجم، وما زال أمره يقوى حتى تغلب البساسيري على بغداد ونهبها وقتل من بها. وأخرج الخليفة القائم فحبسه بقلعة الحديثة وكانت فتنة البساسيري فتنة عظيمة، فحينئذ كتب القائم إلى طغرل بك السلطان يستدعيه إلى بغداد لينصره على البساسيري فسار طغرل بك بعساكره إلى بغداد فلما سمع البساسيري بذلك انتفض عليه أمره وفارق بغداد، دخل طغرل بك بغداد، وأعاد رونق الدولة الخليفة وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد..."<sup>5</sup>، ولكن ابن الأثير فصل أكثر في الموضوع بقوله: "...وأرسل طغرل بك

1- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص 57.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 15، ص 289.

3- استعراض في تاريخ السلاجقة، المصدر السابق، ص 55-56.

4- المصدر السابق، ص 169-170.

5- المصدر السابق، ص 282.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

رسولا إلى الخليفة يبالغ في إظهار الطاعة والعبودية وإلى الأتراك البغداديين يعدهم الجميل والإحسان فأنكر الأتراك ذلك، وراسلوا الخليفة في المعنى، وقالوا إننا فعلنا بالباساسيري ما فعلنا وهو كبيرنا ومقدمنا بتقدم أمير المؤمنين ووعدنا أمير المؤمنين بإبعاد هذا الخصم عنا ونراه قد قرب منا، ولم يمنع من المجيء وسألوا التقدم في العود فغولطوا في الجواب، وكان رئيس الرؤساء يؤثر مجيئه ويختار انقراض الدولة الديلمية. ثم إنَّ الملك الرحيم وصل إلى بغداد منتصف رمضان وأرسل إلى الخليفة يظهر له العبودية وأنه قد سلم أمره إليه ليفعل ما تقتضيه العواطف معه في تقرير القواعد مع السلطان طغرل بك وكذلك قال من مع الملك الرحيم من الأمراء فأجيبوا بأنَّ المصلحة أن يدخل الأجناد خيامهم من ظاهر بغداد وينصبوها الحريم ويرسلوا رسولا إلى طغرل بك يبذلون له الطاعة والخطبة فأجابوا إلى ذلك وفعلوه وأرسلوا رسلا إليه فأجابهم إلى ما طلبوا ووعدهم الإحسان إليهم، وتقدم الخليفة إلى الخطباء بالخطبة لطغرل بك بجوامع بغداد فخطب له يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان من السنة، وأرسل طغرل بك يستأذن الخليفة في دخول بغداد، فأذن له فوصل إلى النهروان وخرج الوزير رئيس الرؤساء إلى لقائه في موكب عظيم من القضاة والنقباء والأشراف والشهود والخدم وأعيان الدولة، وصحبه أعيان الأمراء من عسكر الرحيم، فلما علم طغرل بك أرسل إلى طريقهم الأمراء ووزيره أبا نصر الكندري فلما وصل رئيس الرؤساء إلى السلطان أبلغه رسالة الخليفة واستحلفه للخليفة وللملك الرحيم وأمراء الأجناد وسار طغرل بك ودخل بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من الشهر ونزل بباب الشماسية ووصل إليه قريش بن بدران صاحب الموصل وكان في طاعته في هذا الوقت على ما ذكرناه...<sup>1</sup>، ولا ننسى ابن الجوزي الذي نقل ما وقع كما يلي: "...ووصل طغرل بك إلى بغداد في رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة.... ثم خرج رئيس الرؤساء لتلقي السلطان معه الموكب فلقبه حاجب السلطان في جماعة من الترك ومعه شهري فقدمه إليه وقال هذا الفرس مكن مراكب السلطان الخاصة وقد رسم ركوبك أياما فنزل عن بغلته وركبه وجاء بعده عميد الدولة أبو نصر الكندري وزير السلطان فاستقبله ورام أن يترجل له فمنعه وتعانقا على ظهور دوابهما وتمما إلى النهروان ولقي السلطان فذكر له ما يصلح ذكره عن الخليفة فشكر وأوماً إلى تقبيل الأرض وقال ما وردت إلا منصرفا عن الأوامر السامية وممثلا للمراسم العالية ومتميزا عن ملوك خراسان بالدنو من هذه الخدمة الشريفة ومنتقما من أعدائها وسائرا إلى الشام لفتحها وإصلاح طريق الحج...<sup>2</sup>.

1- المصدر السابق، ج8، ص322-323.

2- المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص348-349.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لقد أفصحت هذه المصادر- بالرغم من اختلافها- عن السياق العام الذي طبع دخول طغرل بك إلى بغداد، وأظهرت طريقة تعامل كلا الطرفين مع الآخر، وكذا موقف أنصار الملك الرحيم وحاشية الخليفة، بالإضافة إلى قدرة طغرل بك على الإمساك بكل هذه المتغيرات وتوظيفها لصالحه، وهكذا تحقق للسلاجقة ما كانوا يطمحون إليه، فقد جاؤوا الخلافة العباسية رمزهم الديني وجعلوا من الدولة البويهية دولة تابعة لهم، ودخل طغرل بك بغداد دخول الفاتحين، كما دخل العراق ضمن دائرة نفوذهم<sup>1</sup>.

**ج- استكمال المشروع الوحدوي السلجوقي:** لم يكن دخول بغداد من قبل السلطان طغرل بك خاتمة المطاف ونهاية المشروع الوحدوي السلجوقي، بل على العكس تماماً حدثت أحداث ووقائع جديدة كان لها بالغ الأثر على استكمال مشروع السلاجقة بضم الشام والإنسياح في الأناضول وقتال البيزنطيين، كما أنَّ السلطان طغرل بك لم يتمكن من استكمال مشروعه الذي سطره لضم الشام ومصر واستئصال شأفة الفاطميين نهائياً، إذ توفي سنة 455هـ، وخلفه السلطان ألب أرسلان (455هـ-465هـ) الذي واصل المشروع السلجوقي، ومن بعده السلطان ملكشاه (465هـ-485هـ).

كان القضاء على الدولة البويهية المحطة الأولى لاستكمال المشروع السلجوقي الوحدوي، حيث أمر السلطان طغرل بك بالقبض على الملك الرحيم البويهى وأرسله مقيداً إلى قلعة طبرك بالري<sup>2</sup>، وبذلك لا يدع منافساً أو قسيماً له في الخطبة والألقاب، على الرغم من أنَّ الملك الرحيم البويهى قبل أن يكون تابعا له، وأنَّ السلطان السلجوقي أعطى الخليفة العهود والمواثيق بعد التعرض له، ولكنه اتهمه بتحريض العامة ضده، ثم أسقط اسمه من الخطبة بعد أن قبض عليه، مما جعل الخليفة القائم يغضب من تصرف السلطان على الرغم من ترحيب الدوائر العباسية الرسمية بهذه الخطوة، وبذلك زالت الدولة البويهية الديلمية الشيعية المذهب لتأخذ مكانها الدولة السلجوقية التركية السنية المذهب<sup>3</sup>، وبذا انتهى عهد البويهيين وجاء دور السلاجقة<sup>4</sup>، وموت الملك الرحيم البويهى انتهى الوجود البويهى في العراق<sup>5</sup>، وتزامن إنهاء الدولة البويهية مع حدوث الثورة في بغداد ضد السلاجقة، يقول ابن الأثير: "...لما وصل السلطان طغرل بك بغداد دخل عسكره البلد للامتيار وشراء ما يريدونه من أهلها وأحسنوا معاملتهم فلما كان الغد وهو يوم الثلاثاء جاء بعض العسكر إلى باب الأنج وأخذ واحداً من أهله ليطلب منه تبناً وهو ما يفهم ما

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص75.

2- الرواندي، المصدر السابق، ص169.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص75-76.

4- السرجاني راغب، الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، ج1، ط7، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، أبريل 2007م، ص314.

5- الجالودي عليان، المرجع السابق، ص57.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يريدون فاستغاث عليهم وصاح العامة بهم ورجموهم وهاجوا عليهم وسمع الناس الصياح فظنوا أن الملك الرحيم وعسكره قد عزموا على قتال طغرل بك فارتج البلد من أقطاره، وأقبلوا من كل حذب ينسلون يقتلون من الغز من وجد في محال بغداد إلا أهل الكرخ فأنهم لم يتعرضوا إلى الغز حماية فأمر بإحسان معاملتهم...<sup>1</sup>، لقد زاد الأمر سوءا بعد أن استباح أهل بغداد دماء الجند السلاجقة ولم يكتفوا بذلك بل خرجوا إلى ظاهر بغداد ومعهم جماعة من العسكر يقصدون العسكر، ولكن الملك الرحيم لم يخرج معهم، وحتى أعيان أصحابه دخلوا إلى دار الخلافة حتى يبرئوا أنفسهم، وبالمقابل فإن الجيش السلجوقي قاتل عامة بغداد وقتل أعداد كثيرة من الطرفين، وفي الأخير انهزمت العامة وجرح فيهم وأسر كثير ونهب الغز درب يحيى ودرب سليم وبه دور رئيس الرؤساء ودور أهله فنهب الجميع ونهبت الرصافة وترب الخلفاء وأخذ منها من الأموال ما لا يحصى<sup>2</sup>.

لقد وجد طغرل بك الفرصة لانتقام الملك الرحيم وأنصاره عند الخليفة بأن له يدا في هذه الثورة، وطالب الخليفة بحضوره حتى يتأكد من براءته ومن معه، وقد بذل لهم العهد بالأمان، ولما حضروا إلى معسكره قبض عليهم وصادر إقطاعاتهم و استصفى أموالهم، مما جعل الخليفة يغضب خاصة عندما توسط بين الطرفين واعتبر ذلك إهانة له وإنقاصا من قدره وهيبته، وبمثابة تراجع طغرل بك عن تعهداته التي أبدأها واحترامه وتعظيمه لمقام الخلافة، ولكنه لم يعبأ بتهديد الخليفة فقد أبقى الملك الرحيم في الحبس وكل أملاكه وإقطاعاته استولى عليها، وأطلق شطر من جنده بعد أن جردهم من أموالهم<sup>3</sup>. والواقع أن أحداث بغداد هي نتيجة طبيعية في هذه الحال، فالجيوش السلجوقية هي جيوش أجنبية لا يتقبلها الأهالي للوهلة الأولى على الأقل<sup>4</sup>.

وفي سياق متصل فقد منح الخليفة القائم بأمر الله للسلطان طغرل بك تفويضا بحكم جميع المناطق التي تحت يده، إذ... خلع الخليفة على السلطان طغرل سبع خلع، وطوقه وسوره، وكتب له عهد على ما وراء بابه، وخاطبه سلطان المشرق والمغرب، فعظمت هيئته، وكثرت شوكته، واتسعت مملكته...<sup>5</sup>، كما لم يأل الخليفة جهدا في إكرام هذا الفاتح الكبير، ولم يرتكب في حقوق خدمته أي تهاون أو تقصير، ثم ولاه الخليفة حكم العالم وقرر له السلطنة على ممالك العراق والجلال (قهنستان)<sup>6</sup>، ثم بعد ذلك خطى السلطان طغرل بك خطوة كبيرة لاستكمال مشروعه، بتزويج ابنة أخيه بالخليفة القائم بأمر الله العباسي، يقول البنداري: "...ودخلت سنة 448هـ وفي المحرم

1-المصدر السابق، ج8، ص323.

2-المصدر نفسه، ج8، ص324.

3-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص324-325.

4-طوقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص76.

5-الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص58.

6-الرواندي، المصدر السابق، ص170.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

منها عقد الخليفة على ابنة أخي طغرل بك أرسلان خاتون خديجة بنت داود بن ميكائيل، وقصد بذلك تعظيمه والتبجيل، ولئلا يجد الأعداء بهذه الوصلة إلى قطع سبيل المودة بينهما...<sup>1</sup> لقد أراد السلطان طغرل بك الاتصال بمصاهرة يتجمل بها على الملوك فزوج ابنة أخيه جفري إلى الخليفة في شعبان سنة 448هـ/1056م<sup>2</sup>، وكان صداقها مائة ألف دينار<sup>3</sup>، وكان يوما مشهودا جلس فيه الخليفة بنفسه، وحضر عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك وجماعة من الأمراء منهم أبو علي بن الملك أبي كاليجار و هزارسب بن بنكير بن عياض الكردي وابن أبي الشوك، بالإضافة إلى نقيب النقباء أبو علي بن أبي تمام وعدنان بن الشريف الرضي نقيب العلويين وأقضى القضية الماوردي، وقد عقد العقد رئيس الرؤساء وقبل الخليفة النكاح بنفسه، وزفت إليه في شعبان بعد أن سارت أم الخليفة ليلا وتسلمتها وأحضرتها إلى الدار<sup>4</sup>.

وعلى صعيد آخر اضطر السلطان طغرل بك إلى مغادرة بغداد بسبب كثرة الجند الذين أقاموا بالمدينة وزاحموا أهلها حتى ضاقت بهم وقلت الأقوات، مما جعل الخليفة يطلب من وزيره رئيس الرؤساء أن يكتب إلى عميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك للمثول أمامه من أجل أن يبلغ السلطان بخطورة الوضع وما نال الناس من تعسف وتجاوز، فأرسل إليه كتابا فيه مواعظ حمله عميد الملك له، فاعتذر بكثرة العساكر وعجزه عن تهذيبهم وضبطهم وأمر عميد الملك أن يكرر بالجواب إلى رئيس الرؤساء ويعتذر بما ذكره<sup>5</sup>، بضاف إلى ذلك أن السلطان طغرل بك رأى في تلك الليلة في منامه النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وكأنه يسلم على النبي وهو معرض عنه لم يلتفت إليه وقال له: يحكمك الله في بلاده وعباده فلا تراقبه فيهم ولا تستحي من جلاله عز وجل في سوء معاملتهم وتغتر بإمهاله عند الجور عليهم. فاستيقظ فزعا وأحضر عميد الملك وحدثه ما رأى وأرسله إلى الخليفة يعرفه أنه يقابل ما رسم بالسمع والطاعة، وأخرج الجند من دور العامة وأمر أن يظهر من كان مختفيا وأزال التوكيل عمن كان وكل به<sup>6</sup>. عندها طابت قلوب الناس وفتحوا دكاكينهم، وعادت الحياة إلى ما كانت عليه سابقا، وتوجه السلطان طغرل بك إلى الموصل، ومعه

1-المصدر السابق، ص11.

2-سبط ابن الجوزي شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق محمد أنس الخن وكامل محمد الخراط، الجزء 18، ط1، بيروت، الرسالة العالمية، 1434هـ/2013م، ص497.

3-الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص58.

4-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص327، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص4-5.

5-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص332.

6-المصدر نفسه، ج8، الصفحة نفسها، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص3-4.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الحزائن وآلات الحصار بعد أن أقام في بغداد ثلاث عشر شهرا وثلاث وعشرين يوما، لم يقابل فيها الخليفة القائم على العادة<sup>1</sup>.

غير أن أكبر عائق واجه السلطان طغرل بك لاستكمال مشروعه هو البساسيري الذي مثل آخر ورقة عند الفاطميين للسيطرة على الخلافة العباسية والقضاء عليها، وبخاصة عندما تفاقت فتنة البساسيري وانضم إليه كثير من أمراء العرب، طمعا بالثروة والجاه والحصول على الخلع والهدايا والأموال التي يقدمها الدعاة الفاطميون، وشارك فيها كل من شبيب بن وثاب النمري صاحب حران ونور الدولة ديبس بن مزيد الأسدي صاحب حلة بني مزيد، الذي كانت تربطه بالبساسيري روابط المصاهرة، وقد قلده داعي الدعاة الفاطمي إمرة غرب العراق، وجعل له كل ما يفتحه من البلاد بعهد من الخليفة المستنصر بالله الفاطمي<sup>2</sup>، ولقبه بالأمير سلطان الدولة وملك ملوك العرب سيف الخلافة وصفي أمير المؤمنين<sup>3</sup>.

لقد استجابت الدولة الفاطمية في تدعيم مواجهة البساسيري للسلاجقة وإن كانت قد اكتفت بتزويده بالأموال والعتاد لأن جناحها الغربي وهو إفريقية كان مسرحا للقتال مع المعز بن باديس، ولم تتردد الدولة الفاطمية في مساندة البساسيري على هذا النحو بسبب العداء الشديد بين العباسيين والفاطميين، والتنافس بينهما على زعامة العالم الإسلامي. وهو ما ازداد خطورة بعد أن علم الفاطميون عن طريق جواسيسهم بما تعهد به السلطان السلجوقي طغرل بك قبل دخول بغداد وبعد دخوله بغزو بلاد الشام ومصر، وإنهاء الحكم الفاطمي<sup>4</sup>، ومن هذا المنطلق عمل الفاطميون الفاطميون بكل قوتهم على تهيئة الجو للبساسيري، بدءا بالسعي لإحداث شرخ بين السلاجقة وزرع الانقسام بينهم، للحيلولة دون سيطرتهم على العراق ومن ثم مد نفوذهم إلى بلاد الشام، فقد قام المؤيد في الدين داعي الدعاة بنشاط سياسي مكثف بهدف إحداث الانقسام في صفوف السلاجقة، فاتصل بعميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك، يحثه على خلع الخليفة العباسي والدخول في طاعة المستنصر بالله الفاطمي، واتصل بإبراهيم ينال شقيق طغرل بك، يحرضه ضد شقيقه واعداء إياه بتقديم المساعدة. وبالرغم من أن قوات السلاجقة تمكنت من استعادة واسط وسنجار والموصل من البساسيري سنة 449هـ/1057م، وخيبة مساعي الفاطميين في نجاح الحركة، ومغادرة المؤيد في الدين داعي الدعاة الرحبة عائدا إلى مصر<sup>5</sup>، فقد أضحى المشروع الوحدوي السلجوقي على وشك الانهيار، بسبب فتنة فتنة البساسيري من جهة، وتمرد إبراهيم ينال أخ السلطان طغرل بك من جهة ثانية، يقول الرواندي: "...فلما عاد

1- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج18، ص509.

2- الجلودي عليان، المرجع السابق، ص57.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص644.

4- المدخلي، المرجع السابق، ص194-195.

5- الجلودي عليان، المرجع السابق، ص58.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

طغرل بك من بغداد خرج البساسيري على الخليفة سنة تسع وأربعين وأربعمائة وكان قائد جيشه في بغداد. فأرسل أمير المؤمنين إلى طغرل بك يستدعيه إلى بغداد ويتعجله إليها. وما كاد طغرل بك يتجه إليها حتى هرب البساسيري ومن معه من الجند الثائرين إلى الشام. وفي الطريق تخلف إبراهيم بن ينال عن السلطان طغرل بك وقصد إلى همدان طالبا الملك فذهب السلطان في أثره وتعبه حتى قتله...<sup>1</sup>. لقد أوجز الرواندي ما فصل فيه غيره من المؤرخين، وبخاصة أن خروج طغرل بك من بغداد كان الفرصة التي انتظرها البساسيري لإنجاز وعوهد التي قطعها للفاطميين، مقابل دعمهم له، لذا قدمها يوم الأحد 08 ذي القعدة سنة 450هـ/1058م حاملا معه الرايات المصرية، وضرب مضاربه على شاطئ دجلة، فتلقاه أهل الكرخ ووقفوا في وجه فرسه وتضرعوا إليه أن يجتاز عندهم، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الروايا، فخيم بها، وكان على رأسه أعلام عليها مكتوب الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين، وكان قد جمع العيارين وأهل الرساتيق وأطعمهم في نهب دار الخلافة، والناس إذ ذاك في ضر ومجاعة، ونزل قريش ابن بدران في نحو مائتي فارس على مشرعة باب البصرة، فلما استقر بالقوم المنزل ركب عميد العراق من الجانب الشرقي في العسكر وحواشي الدولة والهاشميين والعوام والعجم إلى آخر النهار، فله يجابهوا عسكر البساسيري بشيء، ونهبت دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني، وهلك أكثر السجلات والكتب فبيعت على العطارين، ونهبت دور المتعلقين بالخليفة، ونهب أكثر باب البصرة بأيدي أهل الكرخ تشفيا لأجل المذهب، وعاود أهل الكرخ الآذان "بحي على خير العمل" وظهر فيهم السرور الكثير، وعملوا راية بيضاء نصبوها وسط الكرخ وكتبوا عليها اسم المستنصر بالله، وأقام بمكانه والقتال يجري في السفن بدجلة<sup>2</sup>. ثم أمر البساسيري بأن يخطب يوم الجمعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، في جامع المنصور وجامع الرصافة<sup>3</sup>، وبذلك قطعت الخطبة للعباسيين وخطب في سائر الجوامع باسم المستنصر الفاطمي<sup>4</sup>، وأخذ البساسيري على الخليفة القائم كتابا أشهد فيه العدول من أنه لا حق لبني العباس في الخلافة، مع وجود بني فاطمة الزهراء<sup>5</sup>.

1- المصدر السابق، ص 171.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 32.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 342.

4- الجالودي عليان، المرجع السابق، ص 59.

5- المقرئ تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، الجزء

الثاني، القاهرة، 1973، ص 253، الجالودي عليان، المرجع نفسه، الصفحة نفسها، وبقي هذا العهد محفوظا بقصر الخلافة الفاطمية في القاهرة حتى سقوط الدولة الفاطمية في مصر سنة 567هـ/1171م، عندما بعث به الناصر صلاح الدين الأيوبي إلى الخليفة المستضيء بالله ضمن الهدايا التي أنفذت إلى بغداد بعد وفاة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين، ينظر، المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرئية، الجزء الأول، بيروت، دار صادر، د.ت، ص 439.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وحمل هذا الكتاب مع منديل القائم والشباك<sup>1</sup> الذي كان يتوكأ عليه، بالإضافة إلى الذخائر والكتب والقضيب والبردة إلى القاهرة<sup>2</sup>، وقد أثار وصولها إلى القاهرة موجة عارمة من الفرح، وأعد المستنصر القصر الذي بناه العزيز بالله (365هـ-386هـ/375م-996م) وهو القصر الغربي الصغير ليكون مقراً للخليفة القائم إذا ما تحقق أمله في القبض عليه<sup>3</sup>، ومع ذلك فإن نجاح الدعوة الفاطمية في بغداد لا يدل على أي قوة حقيقية كانت للفاطميين بعدما ضعفوا وتقلصت ممتلكاتهم، وأثرت عليهم الأزمات الاقتصادية المتتالية، بقدر دلالة على الدسائس والمكائد السياسية في دار الخلافة<sup>4</sup>.

وفي السياق ذاته "جرى بين الطائفتين حروب في أثناء الأسبوع وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ويرى المحاجزة ومطاوله الأيام انتظاراً لما يكون من السلطان ولما يرى من المصلحة بسبب ميل العامة إلى البساسيري، أما الشيعة فلمذهب، وأما السنية فلما فعل بهم الأتراك..."<sup>5</sup>، مما جعل الوضع الوضع يتطور لصالح البساسيري في بغداد وينجح نجاحاً كبيراً في الانتصار على جند رئيس الرؤساء ابن مسلمة الذين ساروا مع القاضي الهمداني، الذي ضمن لرئيس الرؤساء قتل البساسيري، فأذن له دون مشورة عميد العراق وكان معه الخدم والمهاشميون والعجم والعوام، فساروا إلى الحلبة حتى صاروا في قبضة البساسيري الذي هزمهم وقتل جماعة منهم، كما مات جماعة أخرى من الأعيان ونهب باب الأزج واضطر رئيس الرؤساء إلى الهروب، في حين أن عميد العراق لما بلغه ما حدث لطم على وجهه نظير فعلة رئيس الرؤساء الجاهل بأمور الحرب<sup>6</sup>.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل حين رجع البساسيري إلى معسكره بعد هذه الواقعة، قام الخليفة باستدعاء عميد العراق وأمره بالقتال على سور الحرث، ولكنه لم يفلح في ردهم عن دار الخلافة، مما اضطر الخليفة إلى الخروج لابسا للسواد وعلى كتفه البردة ويده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زمرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلحة فرأى النهب قد وصل إلى باب الفردوس من داره فرجع إلى ورائه، وبعدها ذهب إلى عميد العراق فوجده قد طلب الأمان من قريش، فرجع وصعد المنطرة<sup>7</sup>، عندئذ "...اطلع أبو القاسم ابن المسلمة وصاح بقريش: يا علم الدين، أمير

1- الشباك: هو الشرفة التي يجلس فيها الخليفة، ويتوكأ بيديه على حافتيها، وقد نقل من دار الخلافة الفاطمية إلى دار الوزارة في عهد الوزير الفاطمي الأفضل

بن بدر الجمالي أمير الجيوش الفاطمية، ثم نقل إلى الخانقاه التي شيدها ركن الدين بيبرس الجاشنكير، ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص439.

2- المقرئ، اتعاظ الحنفا...، المصدر السابق، ج2، ص253، الجالودي عليان، المرجع السابق، ص59.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص80.

4- المرجع نفسه، ص81.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص342.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص342-343.

7- المصدر نفسه، ج8، ص343.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

المؤمنين يستدنيك. فدنا فقال له: قد أتاك الله رتبة لم ينلها أمثالك، فإنَّ أمير المؤمنين يستد منكَ على نفسه وأهله وأصحابه بدمام الله تعالى ودمام رسوله صلى الله عليه وسلم، ودمام العرب، فقال له قريش: قد أذم الله تعالى له. فقال: ولمن معه؟ قال: نعم. وخلع قلنسوته من تحت عمامته فأعطاهم الخليفة دماما فتسرح ابن المسلمة إليهم من الحائط، ونزل الخليفة ففتح الباب المقابل/لباب الحلبة وخرج، فقبل الأرض بين يديه دفعات، فبلغ البساسيري ذلك فراسل وقال: أتدُم لهما وقد استقر بيني وبينك ما استحلقتك عليه؟ وكانا قد تحالفا أن لا ينفرد أحدهما بأمر دون الآخر، وأن يكون جميع ما يتحصل من البلاد والأموال بينهما. فقال له قريش: ما عدلت كما استقر بيننا، وعدوك هو ابن المسلمة فخذهُ وأنا آخذُ الخليفة بإزائه، ففنع بذلك وحمل ابن المسلمة إلى البساسيري<sup>1</sup>. يظهر هذا النص بوضوح استحكام قبضة البساسيري وحليفه قريش على زمام الأمور في بغداد وتغلبهما على جند الخلافة العباسية، مما اضطر الخليفة القائم بأمر الله إلى طلب الأمان من قريش، أما بخصوص رئيس الرؤساء ابن المسلمة فقد صار أسيرا لدى البساسيري الذي رفض اعتذاره وطلبه للعفو، ثم شهَّر به في شوارع بغداد حتى سبته العامة، ثم أخذه إلى خيمته وأمر بضربه ضربا كثيرا وقيد<sup>2</sup>. يضاف إلى ذلك أنَّ البساسيري ظفر بزوجة الخليفة فأكرمها وسلمها إلى أبي عبد الله ابن جرادة ومضى الخليفة إلى المعسكر حيث أقام له قريش خيمة إزاء بيته بالجانب الشرقي، وعلى صعيد آخر قام العوام بنهب دار الخليفة، وأخذوا منها ما يعتذر حصره من الديباج والجواهر واليواقيت، كما أحرقوا رباط أبي سعد الصوفي ودار ابن يوسف، ثم نودي برفع النهب، وحمل البساسيري الطيار إلى عسكره، ثم نقله إلى الحرثم الظاهري وعليه المطارد البيض<sup>3</sup>. وبعدها سلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارش بن المجلي وهو رجل فيه دين وله مروءة فحملة في هودج وسار به إلى "حديثه عانه" فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من خدمه وأصحابه إلى السلطان طغرل بك مستنفرين، فلما وصل الخليفة إلى الأنبار شكَا البرد فأنفذ إلى مقدمها يطلب منه ما يلبسه فأرسل له جبة فيها قطن ولحافا<sup>4</sup>. وفي عيد الأضحى عبر البساسيري إلى شرق بغداد حاملا مع الألوية المصرية، وأظهر الإحسان إلى الناس، كما أجرى الجرايات على المتفقهة ولم يتعصب لمذهب، وأفرد لوالدة الخليفة القائم بأمر الله دارا وكانت قد قاربت تسعين سنة وأعطاهم جاريَتين من جواريهما للخدمة وأجرى لها الجراية، وعين محمود بن الأخرم أميرا على الكوفة، وبالمقابل مات رئيس الرؤساء بعد أن بالغ البساسيري في التشهير به، وقتل عميد العراق<sup>5</sup>، كما

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص33.

2- المصدر نفسه، ج16، ص34.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص34.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص343.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العراق<sup>1</sup>، كما ضرب دنائير سماها المستنصرية، وكان عليها من فرد جانب: لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله علي ولي الله، ومن الجانب الآخر: عبد الله ووليه الإمام أبو تميم معد المستنصر بالله أمير المؤمنين<sup>2</sup>. وبذلك يكون البساسيري قد أنجز غايته التي سعى إليها وحقق طموحاته بالسيطرة على بغداد وإحاقها بخلافة الفاطميين.

كانت السيطرة على بغداد مقدمة لإخضاع بقية المدن الأخرى في العراق، فقد سار البساسيري من بغداد إلى واسط والبصرة واستولى عليهما، كما عزم على السير إلى الأهواز، فأرسل صاحبها هزارسب بن بنكير إلى دبيس بن مزيد يطلب منه أن يصلح الأمر على مال يحمله إليه فلم يجب البساسيري إلى ذلك، وقال: لا بد من الخطبة والسكة باسمه، فلم يفعل هزارسب ذلك ورأى البساسيري أنَّ طغرل بك يمد هزارسب بالعساكر فصالحه وأصعد إلى واسط في مستهل شعبان من سنة إحدى وخمسين وفارقه صدقة بن منصور بن الحسين الأسدي ولحق بهزارسب<sup>3</sup>.

لقد استغل البساسيري غياب السلطان طغرل بك عن بغداد وحواضر العراق، بسبب عصيان أخيه إبراهيم ينال الذي قيل أنه كاتب البساسيري باطنا، وأشار عليه البساسيري بعصيان أخيه وأطماعه بانفراده بالملك فترك إبراهيم ينال الموصل وتوجه إلى همدان<sup>4</sup>، وأضحى أمر البساسيري متوقفا على المواجهة بين طغرل بك وأخيه إبراهيم ينال، خاصة أنَّ الخلافة الفاطمية لم تكن تملك القوة الكافية لإمداد البساسيري حتى تحتفظ بما وصلت إليه، كما يبدو أنَّ ثقتها في هذا الرجل لم تكن كبيرة، لذلك لم تتحرك للقيام بعمل جدي وتركته يواجه الموقف منفردا أمام قوة السلطان السلجوقي<sup>5</sup>.

أدرك السلطان السلجوقي طغرل بك وأيقن بخطورة الوضع وخرج موقفه أمام السلاجقة والخلافة العباسية، لذا عمل على إعادة الأمور إلى نصابها بتدبير محكم ودقيق، وإلا سينهار المشروع السلجوقي كلياً في حالة تسرعه، خاصة أنَّ العدو في هذه المرة هو أخوه من أمه إبراهيم ينال، الذي طمع بالسلطنة وهدد الدولة السلجوقية، يقول الحسيني: "فلما وصل نصيبين، انفصل عن السلطان طغرل بك أخوه لأمه إبراهيم بن ينال، وعاد إلى العراق ومعه من الجيوش 12-1" أسود خوارد، فانفصل السلطان عن نصيبين على أثره. فلما وصل السلطان طغرل إلى همدان، اشتد ساعد إبراهيم وقوي أمره. وبقي السلطان طغرل في همدان محصوراً، واجتمعت العساكر على إبراهيم. وكان السلطان ألب أرسلان بسجستان، فورد عليه كتاب عمه السلطان طغرل وقال: إنَّ أخي نازعني حقي، وسعى في إفساد ملكي، ولا بد لي من إعانتك وإمدادك، فسار السلطان ألب أرسلان من سجستان إلى

1- المصدر السابق، ج 8، ص 344.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 37.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 344.

4- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 19، ص 60-61.

5- طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط 7، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م، ص 241-242.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

حدود العراق في مدة عشرة أيام، على طريق المفازة، فورد حضرة السلطان طغرل. فأصبحا وجهز الجيوش في التاسع عشر من جمادى الآخر سنة إحدى وخمسين وأربع مائة. ولما قام قائم الظهيرية، أخذ السلطان ألب أرسلان إبراهيم بن ينال، وقاده أسيرا إلى سرير عمه السلطان طغرل. وانفصل السلطان ألب أرسلان سالما غانما تلقاء خراسان. وقتل إبراهيم بن ينال في يوم الأربعاء التاسع عشر من جمادى الآخر سنة إحدى وخمسين وأربعمائة...<sup>1</sup>، وفي السياق ذاته اشتدت عداوة الناس للبساسيري، كما فرّ ايتكين السليماني شحنة بغداد، وجاء إلى حلوان، فوصلته هناك رسالة من الخليفة طلب إليه فيها أن يبلغها إلى السلطان طغرل بك. وكان قد كتب في هذه الرسالة ما يأتي: بحق الله أدرك الإسلام فقد ساد العدو اللعين وأخذ ينشر مذهب القرامطة. فلما وصلت رسالة الخليفة ورسالة ايتكين إلى السلطان غضب كثيرا وقال إنّ هذه الحركات دليل على دناءة أصله<sup>2</sup>.

ولا غرو أنّ السلطان السلجوقي طغرل بك حزم أمره وعزم على دخول بغداد وإنقاذ الخليفة والخلافة والقضاء على البساسيري والمذهب الشيعي، وكخطوة عملية أرسل إلى وزيره عميد الملك أبا نصر الكندري يأمره أن يكتب رسالة إلى ايتكين يأمره فيها بالمحافظة على الطرق وأن يتربص وصوله فهو حاضر في إثر هذه الرسالة، كما أمره أن يبعث برسالته إلى الخليفة حتى تحصل له السكينة والطمأنينة<sup>3</sup>، وبعد ذلك اتجه السلطان إلى العراق ومعه جند اهتزت الأرض لوطأتهم واضطربت الجبال من كثرتهم<sup>4</sup>، فقد تم له الأمر وقضى على تمرد أخيه إبراهيم وضبط أمر ملكه، واتفق مع الخليفة بشكل سري، ومكث يرقب الوضع عن قرب تمهيدا لدخول بغداد واستعادة العراق مرة واحدة، ثم سار متوجها إلى بغداد، وكتب إلى علم الدين قریش بن بدران وكلفه رد أمير المؤمنين القائم بأمر الله إلى دار الخلافة. فوصل القائم بأمر الله إلى مدينة السلام يوم الاثنين الحادي عشر من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وأربع مائة<sup>5</sup>، وفي هذا السياق ذكر ابن الجوزي نصا يصور حال الخليفة العباسي بعد إخراجهم من بغداد، ودعائه على البساسيري، يقول: "...ولما جرت نوبة البساسيري، كتب القائم بأمر الله، دعاء، وسلمه إلى بدوي، وأمره أن يعلقه على الكعبة. ونسخته: إلى

1- زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 60-61.

2- الرواندي، المصدر السابق، ص 172.

3- الرواندي، المصدر السابق، ص 173، أما بخصوص الرسالة فقد استدعى عميد الملك الصفي أبا العلاء حسول- وهو بقية الكتاب الفضلاء- وأعطاه رسالة ايتكين وصور له كيفية الحال وأمره أن يكتب إجابة مختصرة لهذه الرسالة بحيث إذا عرضت على الخليفة وثق من أننا قادمون مع جندنا في إثرها. وأخذ

الصفي أبو العلاء الرسالة وكتب على ظهرها الآية التالية ﴿لَزِمَ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ

صَاغِرُونَ﴾. فلما عرض عميد الملك هذا الجواب على السلطان طغرل بك وبين معناه، أعجب السلطان به كثيرا وقال: هذا فأل حسن وبمشيئة الله سيكون الحال على هذا المنوال.

4- المصدر نفسه، ص 175.

5- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 62.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الله العظيم، من عبدك المسكين اللهم إنك العالم بالسرائر، والمحيط بمكنونات الضمائر، اللهم إنك غني بعملك، وإطلاعك على أمر خلقك، عن إعلامي بما أنا فيه، عبد من عبيدك قد كفر نعمتك، وما شكرها، وألغى العواقب وما ذكرها، أطفاه حلمك، وتجبر بأناتك، حتى تعدى علينا بغيا، وأساء إلينا عتوا وعدوانا، اللهم قل الناصرون لنا، واغتر الظالم، وأنت المطلع العالم، والمنصف الحاكم، بك نعتز عليه، وإليك نهرب من بين يديه، فقد تعزز علينا بالمخلوقين، ونحن نعتز بك يا رب العالمين، اللهم إنا حاكمناه إليك، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك، وقد رفعت ظلامتي إلى حرمك، ووثقت في كشفها بكرمك، فاحكم بيني وبينه، وأنت خير الحاكمين، وأرنا به ما نرتجيه، فقد أخذته العزة بالإثم، اللهم فسلبه عزه ومكنا بقدرتك من ناحيته يا أرحم الراحمين...<sup>1</sup>، وإذا عدنا إلى السلطان طغرل بك فإنه لما علم بوصول الخليفة إلى بلد بدر، بعث وزيره الكندري ومعه عدد من الأمراء والحجاب، يحملون الخيام العظيمة والسرادات والتحف من الخيل بالمراكب الذهب وغير ذلك، فوصلوا إلى الخليفة وخدموه ورحلوا ووصل الخليفة إلى النهروان في الرابع والعشرين من ذي القعدة<sup>2</sup>، ثم ما لبث أن "...وصل إليه السلطان، و تابشرت بقدمه الأوطار والأوطان واستأذن عميد الملك في حضور السلطان فأذن ودخل وقبل الأرض سبع مرات وأتى من أدب الخدمة الممكن وقدم له الخليفة مخدة من دسسته وقال اجلس فقبلها وجلس. وآنسه فأنس. وجعل عميد الملك يفسر لهما ويترجم، ويعرب و يعجم، والسلطان يعتذر عن تأخره وتراخيه. بما شغله من وتر أخيه. فمهد عذره، وحمد ذعره، وقلده الخليفة سيفاً يتبرك به وكان قد خرج معه من الدار وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين من ذي القعدة واستقر أن يدخل إلى الدار غداً. ويبعد بعوده عيش الإسلام رغداً. فلما أصبح السلطان تقدم إلى باب النوبى وجلس مكان الحاجب، فلما قرب الخليفة قام وأخذ بلجام بغلته ومشى في خدمته إلى باب حجرته، وذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 451هـ فعادت الأنوار إلى الطلوع والأنوار إلى الهموع، وحل الشرف في موطنه وفاض الكرم من معدنه...<sup>3</sup>، أما البساسيري فقد خرج من بغداد قبل وصول السلطان طغرل بك وجيوشه، وذهب إلى حلة دبس بن علي بن مزيد<sup>4</sup>، خصوصاً أنَّ الفاطميين تخلوا عنه، على الرغم من الجهود التي بذلها البساسيري في خدمة الدولة الفاطمية ومحاولته نشر النفوذ الفاطمي في بغداد، فإنه لم يتلق من المستنصر ما يشجعه على مواصلة القيام بيسط سلطانه على العراق، ويبدو أنَّ المستنصر لم يكن يملك القوة الكافية لإمداده حتى يحتفظ بما وصل إليه من نفوذ، كما

1-المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق الدكتورة ناجية عبد الله إبراهيم، ط1، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2000م، ص450.

2-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص346.

3-البنداري، المصدر السابق، ص16-17.

4-المصدر نفسه، ص17.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يبدو أنَّ ثقته في هذا الرجل لم تكن كبيرة، والراجح أنَّ حقد الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر المغربي عليه، كان وراء ذلك، وكان هذا الوزير قد رحل إلى بغداد وانضم إلى البساسيري وما لبث أن انقلب عليه، وفر إلى مصر وأخذ يحذر المستنصر من عاقبة أطماعه، فخشيه المستنصر وأهمل طلباته، ولم يقم بعمل جدي لنجدته<sup>1</sup>، وفي ذلك يقول ابن تغري بردي: "ولولا تخوف المستنصر من البساسيري وترك تحريضه على ما هو بصدد، لكانت دعوته تتم بالعراق زمنا طويلا..."<sup>2</sup>، يضاف إلى ذلك أنَّ البساسيري تأمر على الفاطميين من وجهة نظرهم لما شارك مع قریش بن بدران في الاحتفاظ بالخليفة القائم بأمر الله في العراق واحتجاجة لهم بأنَّ قریشا لم يمكنه من إرساله إليهم وأنَّ الأخير قد أعطى ذمما له، مما ولد انطبعا لدى الفاطميين أنَّ البساسيري استغلهم لصالحه بدلا من أن يعمل لصالحهم، بما أظهره من استقلالية في اتخاذ القرارات التي نفذها في العراق عند دخول بغداد. ويبدو أنَّ البساسيري كان في قرارة نفسه ينظر إلى أنَّه هو المتفرد بهذا الإنجاز الكبير الذي تحقق للدولة الفاطمية ويكفيهم منه أن يقيم لهم الخطبة في العراق في مقابل الأموال والدعم الذي قدموه، وهو غير مستعد أن يكون ثمن المساعدة رضوخا كاملا لسلطتهم، وكان بإمكانه أن يساوم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي طغرل بك ليعود إلى بعض مكانته التي كانت قبل دخول السلاجقة بغداد، لكن طموحه أبى عليه أن يفعل ذلك، وبالتالي فهو لم يكن مستعدا أن يستبدل نفوذا بنفوذ وهيمنة بهيمنة، وربما يكون أيضا شعورا منه بأنه أول من سيدفع ثمن هذه المغامرة من قبل السلاجقة ولذلك استحسن فكرة بقاء القائم بأمر الله في الحديثة ليساوم عليه السلاجقة فيما بعد. وعلى كل فكما ساهم الفاطميون بدعمهم للبساسيري وإنجاح مساعيه بالاستيلاء على بغداد، كانوا هم من أهم الأسباب في فشله والقضاء عليه بسهولة من قبل السلطان طغرل بك<sup>3</sup>.

والظاهر أنَّ السلطان السلجوقي طغرل بك أراد أن يكسب الوقت أولا، ثم يمسك بالتوازنات في إقليم العراق، كما أراد أن يقيم الحجة على البساسيري، فقد أرسل إليه يطلب منه إعادة الخليفة إلى بغداد مقابل ألا يدخل العراق ويقنع بالخطبة والسكة<sup>4</sup>، لكن البساسيري رفض ذلك، وفي الوقت نفسه وصلته رسالة من قریش يقول فيها: "قد دعوت إلى السلطان على ستمائة فرسخ فخدمناه، وفعلنا ما لم يكن يظنه، ومضى لنا ستة أشهر مذ فتحنا العراق ما عرفنا منه خبرا، ولا كتب إلينا حرفا، ولا فك فينا، وقد عادت رسلنا بعد سنة وكسر صفرا من شكر وكتاب، فضلا عن مال ورجال، ومتى تجدد خطب فما يشقى به غيري وغيرك، والصواب المهادنة والمسالمة، ورد الخليفة إلى

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 81.

2- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، الجزء الخامس، مصر، طبعة مصورة، دار الكتب، مطابع كونتسا برس، 1933م، ص 11.

3- المدخلي، المرجع السابق، ص 224-226.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 345.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أمره، والدخول تحت طاعته، وأيستكتب أمنه...<sup>1</sup>، لينتقل إلى الخطوة الموالية وهي شق صفوف حلفاء البساسيري وفي مقدمتهم قریش، الذي حاول استمالاته إلى جانبه وطرح أمامه خيارين أحدهما أن يتولى قریش إعادة الخليفة إلى بغداد ويكون هو النائب عن السلطان في العراق بأسرها ولا يدخلها الجند السلجوقي إلا بإذنه ولمعاونته ومناصرته، وأما الخيار الآخر فهو أن يقوم قریش باستقدام الخليفة إلى بلاده ويحفظه عنده إلى أن يقدم عليه السلطان ليقوم هو بإعادته إلى مقر خلافته<sup>2</sup>.

كان لرجوع الخليفة إلى بغداد واستلامه لعرشه، بمثابة أكبر نجاح للسلطان السلجوقي طغرل بك، فقد ضمن استقرار دولته وخلافة بني العباس، التي تشبث بها وحصل منها على الشرعية لإقامة سلطنته، لذا... لما نزل الخليفة خدمه السلطان واستأذنه في المسير وراء البساسيري، فأذن له، فانصرف وعبر إلى معسكره، فجاءه سرايا ابن منيع متقدم بني خفاجة، فقال له: الرأي أيها السلطان أن تنفذ معي ألفي غلام من العسكر حتى أمضي إلى طريق الكوفة، فأشغل البساسيري عن الإصعاد إلى الشام...<sup>3</sup>، ثم بعد ذلك أنفذ السلطان جيشاً بقيادة خمارتكين الطغرثاني في ألفي فارس نحو الكوفة ومعهم سرايا بن منيع الخفاجي، كما سار السلطان طغرل بك في أثرهم فلم يشعر ديبس بن مزيد والبساسيري إلا والسرية قد وصلت إليهم ثامن ذي الحجة من طريق الكوفة بعد أن تم نهبها من قبلهم، فهرب نور الدولة ديبس برحاله إلى البطيحة، وأيضاً رحل أصحابه وأهاليهم، ولكن الأتراك لحقوا بهم، عندها تقدم نور الدولة لرد العرب إلى القتال فرفضوا الرجوع، ومضي من سبيله، أما البساسيري فوقف في جماعته، حيث هجم عليه الجيش، وتم أسر عدد من أصحابه كأبي الفتح بن ورم ومنصور وبدران وحماد بنو نور الدولة ديبس، وقد ضرب فرس البساسيري بنشاب وأراد قطع تحفاه لتسهيل عليه النجاة فلم ينقطع وسقط عن الفرس ووقع في وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى فأخذه كمشتكين دواتي عميد الملك الكندري وقتله وحمل رأسه إلى السلطان ودخل الجند في الظعن فساووه جميعه وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيري مع نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم وأمر السلطان بحمل رأس البساسيري إلى دار الخلافة فحمل إليها فوصل منتصف ذي الحجة سنة إحدى وخمسين، فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به وصلب قبالة باب النوى. وكان في أسرى البساسيري جماعة من النساء المتعلقات بدار الخلافة فأخذن وأكرمن وحملن إلى بغداد<sup>4</sup>. وبعدها ورد أغلب أمراء العرب إلى السلطان السلجوقي طغرل بك لتقديم فروض الطاعة<sup>5</sup>، وعليه فقد تمكن السلطان طغرل بك من القضاء على حركة البساسيري التي أفضت مضاجع

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص45.

2- المدخل، المرجع السابق، ص229-230.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص52.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص347.

5- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص63.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الخلافة العباسية<sup>1</sup>، وأنهى بذلك كل أمل للفاطميين في الوصول إلى بغداد مرة أخرى<sup>2</sup>، وبمقتل البساسيري انتهت فتنته وزالت، تلك الفتنة التي حملت عوامل نجاحها بدعم من الفاطميين وتمرد إبراهيم ينال، كما خسرت مقوماتها بمقتل إبراهيم ينال وتوقف دعم الفاطميين<sup>3</sup>.

**د- ذيل القضاء على فتنة البساسيري:** لقد شكلت فتنة البساسيري أكبر تهديد للسلطان طغرل بك وخلافة بني العباس، حيث نجح البساسيري في مد النفوذ الفاطمي إلى عقر دار الخلافة العباسية وأن يعطلها سنة كاملة، ويرفع الأذان بالصيغة الشيعية ويخطب للفاطميين على منابر جوامع بغداد حاضرة العباسيين وأن يسيطر على كبريات حواضر العراق وضرب السكة باسم المستنصر بالله الفاطمي، كما استطاع أن يجعل أمر السلاجقة يضطرب حتماً أغرى إبراهيم ينال أخ السلطان السلجوقي طغرل بك بالسلطنة مقابل التحالف معه، ما كلف طغرل بك جهداً كبيراً في القضاء عليه وإعادة ترتيب أوضاع السلاجقة الداخلية، ثم استعادة الخليفة آمناً ورده إلى بغداد، وبعدها سخر كل قوته وجهده للقضاء على البساسيري حتى ظفر به وقطع رأسه وجعله عبرة لمن يعتبر.

وكان أول شيء قام به السلطان السلجوقي هو قطع الخطبة للفاطميين وإعادة لها للعباسيين، ويستتبع ذلك كل رسوم الخلافة العباسية ورموزها، وبذلك استعادت الدولة العباسية هيبتها ومكانتها وشرعيتها وزعامتها للعالم الإسلامي ورمزيتها السياسية والدينية، وبالمقابل أصبح السلاجقة يسيطرون على بلاد الخلافة العباسية سيطرة تامة بعد أن استقر نفوذهم في إيران والعراق تماماً، وصار السلطان طغرل بك سيد الموقف بعد انتصاراته المتلاحقة، وإنقاذه للخليفة العباسي، فأصبح يستطيع كسب موافقة الخليفة على كل ما يريده السلاجقة<sup>4</sup>، كما علا شأن طغرل بك وسلطانه وناله بجدارة رضا الخليفة لدوره في حفظ الخلافة، وظهر بذلك بمظهر الفاتح المنقذ وليس المحتل المستبد<sup>5</sup>.

والواقع أن السلاجقة أدركوا مدى الخطر الذي يتهددتهم نتيجة انتشار النفوذ الفاطمي، لذلك وجهوا جهودهم، بعد أن قبضوا على زمام الأمور في بغداد إلى مناهضته<sup>6</sup>، وتعقبوا دعاة الإسماعيلية الذين قاموا بنشر الدعوة الفاطمية في بلاد بلاد فارس، كما قاموا بإقصاء الموظفين المتشيعين للمذهب الإسماعيلي عن دواوين الحكومة والوظائف الدينية وعينوا من أهل السنة بدلاً منهم، فقد تم عزل أبي الحسين بن المهدي من الخطابة بجامع المنصور لأنه كان قد أقام الخطبة

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 82.

2- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 49.

3- المدخلي، المرجع السابق، ص 233.

4- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 49-50.

5- عكاوب يوسف جمعة، المرجع السابق، ص 10.

6- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 82.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

للخليفة المستنصر بالله الفاطمي ببغداد خلال فتنة البساسيري وعين أبا علي الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله خطيباً في مكانه سنة 451هـ<sup>1</sup>.

والحق أنَّ السلطان السلجوقي طغرل بك قطع أشواطاً كبيرة في تحقيق مشروعه الكبير، بدأ بتأسيس الدولة على أسس متينة وقواعد ثابتة، ثم بصون وحدة صف السلاجقة والقضاء على كل تمرد أو عصيان على سلطانه، وبعدها إنقاذ الخلافة العباسية على مرحلتين، حيث أنهى الدولة البويهية أولاً، وبعدها فتنة البساسيري و اجث المذهب الشيعي الإسماعيلي من أقاليم المشرق الإسلامي. ويبدو أنَّ السلطان طغرل بك أراد أن يصل إلى آخر نقطة وهي ربط البيتین العباسي والسلجوقي<sup>2</sup> بالمصاهرة من كلا الجانبين، فقد تزوج الخليفة القائم بأمر الله بابنة أخيه داود، ثم أقدم على خطبة ابنة الخليفة، يقول ابن الجوزي: "... ثم خطب طغرل بك بنت الخليفة لنفسه بعد موت زوجته وكانت زوجته سديدة عاقلة، وكان يفوض أمره إليها فأوصته قبل موتها بمثل هذا، واتفق أنَّ قهرمانة الخليفة لوحت للسلطان بهذا، وقد نسب إلى عميد الدولة أيضاً، فبعث أبا سعد بن صاعد يطلب هذا..."<sup>3</sup>، وهو بذلك تجاوز كل تقاليد الخلافة العباسية، وهذا مطمح لم يسع إليه أحد من قبل، كما يظهر أنَّ إقدامه على هذه الخطوة كان وسيلة لتدعيم نفوذه السياسي برابطة أدبية قوية مع الخلافة العباسية، لكن الراجح أن السلاجقة طمعوا في منصب الخلافة، إلا أنهم افتقروا إلى شرط النسب بوصفهم أعاجم، وهدى التفكير السلطان طغرل بك إلى الزواج من ابنة الخليفة أملاً في أن يلد منها ولداً يكون له من شرعية النسب وقوة السلاجقة ما يوصله إلى سدة الخلافة<sup>4</sup>. وبالمقابل فإنَّ الخليفة رفض طلب السلطان بخطبة ابنته إذ رأى في ذلك تطاولاً على مقام الخلافة وشرفها، فامتنع من إجابة رسول السلطان طغرل بك، وأرسل له جوابه مع أبي محمد ابن التميمي يظهر فيه انزعاجه من هذا الطلب واستغفاه السلطان، لكن هذا الأخير لم يعف، فاشتراط الخليفة صداقاً قدره ثلاثمائة ألف دينار وأعمال واسط لتعجيزه وإبطال الزواج<sup>5</sup>، فأوماً السلطان السلطان طغرل بك إلى وزيره عميد الملك أن يشرف على مراسيم زواجه من بنت الخليفة ويعقد له عليها، بالرغم من تضايق الخليفة كثيراً وعدم رضاه، ولكن عميد الملك ما زال يضيق الخناق على عماله -أي الخليفة-، ويوقف أرزاقهم حتى اضطر الخليفة إلى إجابة مطلبه<sup>6</sup>، وقبل ذلك لما أبا الخليفة أن يوافق على خطبة السلطان طغرل بك لابنته بحضور بحضور جماعة من الأمراء والحجاب والقضاة والشهود، كتب السلطان إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن

1- الصلابي، دولة السلاجقة...، المرجع السابق، ص 66.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 84.

3- المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 65.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 84.

5- البنداري، المصدر السابق، ص 18.

6- الرواندي، المصدر السابق، ص 176-177.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يوسف يعتب ويقول: هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وأنفقت أموالاً في نصرته وأهلكت خواصه في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب إليه بالاعتذار<sup>1</sup>. على أية حال، وبعد أخذ ورد تم الزفاف ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر سنة خمس وخمسين وأربع مئة بخراسان<sup>2</sup>، كما عبر الخليفة عن استيائه من معاملة السلطان الجائرة له في رسالة بعثها إليه<sup>3</sup>، ومما جاء فيها: "ما رجونا من ركن الدين ما صنع، وما توقعنا ما وقع، وبين يديك الإقطاعات فأقطعها، وقد ارتفعت الموانع فامنعها..."<sup>4</sup>.

لم ينجم عن زواج السلطان طغرل بك بابنة الخليفة القائم ما خطط له السلطان، بفعل أنه كان عقيماً طاعناً في السن، كما أنه كان عليلاً وقت الزواج، فلم ينعم بعروسه، فتوفي من دون أن يترك ورثاً في الحكم، وكان ذلك يوم الجمعة 08 رمضان 455هـ/04 أيلول 1063م عن عمر يناهز السبعين عاماً<sup>5</sup>. وهكذا تمكن طغرل بك وفق الإستراتيجية التي سار عليها في معالجة الأحداث أن يضع أسساً متينة لمشروع توحيد الأمة الإسلامية، وإعلاء شأنها فضم المشرق وإيران والعراق وجزء من آسيا الصغرى ورفع راية الجهاد ونشر الإسلام، واستطاع أن يحقق للمسلمين نوعاً من الوحدة كانوا بحاجة ماسة إليها تدين بالزعامة الروحية للخليفة، وبالزعامة السياسية للسلاجقة<sup>6</sup>.

### 3- تطور المشروع السلجوقي الموحدوي بعد وفاة السلطان طغرل بك سنة 455هـ:

إنَّ أية دولة تقوم في فترة ما ونطاق جغرافي معين، تحتاج إلى رجال يسيرونها ويديرونها ويحفظونها، ويحمونها ويستमितون من أجل بقائها وتوسعها وازدياد مساحتها ومداخلها وتعاضل نفوذها وسطوتها وهيبتها، وفي مقدمة هؤلاء الرجال حاكم هذه الدولة الذي يشغل المنصب الأعلى فيها، وبه يتكامل جميع العمال والموظفين وتتمركز في يده جميع السلطات، ولكن هذا السلطان ينبغي أن يؤسس نظاماً يضمن المرونة في التداول على السلطة، حتى يصل إلى الحكم من يواصل بناء هذه الدولة ويكمل ما بدأه سلفه، وعلى ضوء ذلك يمكن القول أنَّ السلطان السلجوقي طغرل بك يعتبر بحق من السلاطين الذين كان لهم الدور الرئيس في بناء الدولة السلجوقية وزيادة أراضيها ومد مساحتها إلى مناطق شاسعة، كما أنقذ الخلافة العباسية من الزوال وإعادة الوحدة السياسية والمذهبية لكل من وراء النهر وخراسان والعراق، ووصلت جيوشه إلى بلاد الشام وأرمينيا وأذربيجان ومشارف الأناضول، فصار بذلك من أعظم سلاطين

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص358.

2- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص63.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص84.

4- البنداري، المصدر السابق، ص20.

5 - طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص85.

6- عكاب يوسف جمعة، المرجع السابق، ص10.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

السلاجقة وأقواهم، لذا عمل على ضمان استمرار السلطنة السلجوقية بتهيئة رجل على شاكلته، يواصل ما بدأه ويحفظ الدولة ويوسع مساحتها ويقضي على كل خطر يهددها، وعليه ما هي أبرز التطورات التي عرفها المشروع السلجوقي الموحدوي بعد وفاته؟.

اعتلى ألب أرسلان عرش السلطنة السلجوقية بعد أن عزل سليمان بن داود بك الذي عهد إليه السلطان طغرل بك بالحكم من بعده، وقضى على حركة قتلمش بن إسرائيل حتى صفا له العرش، فاتجه إلى مواصلة ما بدأه عمه طغرل بك في توحيد العالم الإسلامي وفتح المناطق البيزنطية، حيث توسعت الدولة السلجوقية في عهده توسعا كبيرا<sup>1</sup>، كما عمل على تقوية دولة السلاجقة، ورفع بنيانها، حتى تبلغ أوج قوتها<sup>2</sup>. وقد اتفقت رؤية السلطان ألب أرسلان مع طبيعة المشروع السلجوقي الموحدوي، هذا المشروع الذي سخرت له إمكانيات ضخمة مادية وبشرية، والدعم الكبير من قبل شرائح المجتمع الإسلامي في أقاليم المشرق الإسلامي، وصار استمرار هذا المشروع ضمن أهدافه التي سطرها، خاصة بعد أن ورث دولة راسخة القواعد، متينة الأساس، نافذة الحكم في إيران والعراق، يدعمها جيش قوي، وكان ألب أرسلان قائدا ماهرا مظفرا، مارس الحرب، واشترك في المعارك في عهد عمه طغرل بك وساهم في بسط نفوذ السلاجقة في إيران والعراق، كما كان وزيره نظام الملك رجلا حكيما، واسع الثقافة، وسياسيا محنكا، ثاقب الفكر، بعيد النظر، ذا ذكاء ودهاء، وهكذا اجتمع لدولة السلاجقة حسن القيادة، وحسن السياسة.

والواقع أنَّ السلطان تدارس مع وزيره الأوضاع في دولة السلاجقة، كما درس أحوال الدول المجاورة لها، وحددا أهداف السلاجقة القريبة والبعيدة على ضوء تلك الدراسة، فاتفق رأيهما على أن تكون أهداف السلاجقة في جميع الأراضي الخاضعة لهم في إيران والعراق، وأن تكون أهدافهم البعيدة بسط نفوذ السلاجقة على مناطق جديدة حتى تتسع رقعة دولتهم، فيعظم شأنهم، ويرتفع قدرهم، ورجح السلطان والوزير أن تكون المناطق الجديدة التي تتحقق بها أهداف السلاجقة البعيدة، هي المناطق النصرانية المجاورة لإيران كبلاد الأرض وبلاد الروم، بهدف نشر الإسلام فيها، الأمر الذي يكسب حروب السلاجقة طابع الجهاد في سبيل الله، لنصرة دينه الحق، وإعلاء كلمته، فترتفع بذلك راية الإسلام حفاقة في أرجاء جديدة من العالم، مما يرفع من قدر السلاجقة ويكسبهم حب المسلمين جميعا، ويرهب أعداءهم، وأعداء الإسلام والمسلمين في كل مكان<sup>3</sup>.

كان الاستيلاء على أرمينية أول خطوة خطاها السلطان ألب أرسلان لاستكمال مشروعه، فقد أثاره احتمال تقارب بين البيزنطيين والفاطميين، لذا حرص على أن يحمي نفسه بيزنطية بالسيطرة على أرمينية، وبلاد الكرج، والاستقرار في

1- حسين أمين، المرجع السابق، ص74.

2- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص56.

3- المرجع نفسه، ص58.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

ربوعهما قبل أن يمضي لتحقيق هدفه الأساس، وهو مهاجمة الفاطميين في بلاد الشام، وبدا واضحا أنَّ الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين سوف يزداد عنفا وبخاصة أنَّ البيزنطيين أدركوا أخيرا مدى فداحة الخطر الذي يهدد الإمبراطورية في الشرق<sup>1</sup>.

لم ينتظر السلطان ألب أرسلان طويلا للخروج إلى الغزو، فقد توجه من الري للقاء الروم في أوائل ربيع الأول سنة ست وخمسين وأربعمئة، ولكن قبل ذلك قام بربط دولة السلاجقة برباط المصاهرة مع دولتي الغزنويين والخانين، حيث تزوج أحد أبنائه بابنة السلطان إبراهيم الغزنوي وتزوج ابنه الأكبر ملكشاه ابنة طغماج خان ملك الخانين، وهيأت المصاهرة للسلطان ألب أرسلان أن يتفرغ لغزو الروم ببال هادئ<sup>2</sup>، بالإضافة إلى هذا فإنَّ السلطان ألب أرسلان كان متلهفا للجهاد في سبيل الله، ونشر دعوة الإسلام في داخل الدولة المسيحية المجاورة له، كبلاد الأرمن وبلاد الروم وكانت روح الجهاد الإسلامي هي المحركة لحركات الفتوحات التي قام بها ألب أرسلان وأكسبتها صبغة دينية، وأصبح قائد السلاجقة زعيما للجهاد، وحريصا على نصرة الإسلام ونشره في تلك الديار، ورفع راية الإسلام خفاقة على مناطق كثيرة من أراضي الدولة البيزنطية<sup>3</sup>. وانطلاقا من ذلك قاد السلطان ألب أرسلان جيشا يتكون من أربعين ألف جندي جنوب أذربيجان، حيث بدأ بفتح الأقاليم النصرانية المجاورة لحدود السلاجقة، ثم اتجه غربا لفتح بلاد الأرمن وجورجيا والأجزاء المطلة على بلاد الروم<sup>4</sup>، وكانت أول محطة بلغها هي "مرند" حيث انضم إليه أمير تركماني يدعى طغديكين أو طغتكين الذي كان يكثر من غزو المنطقة، خبيرا بطرقها ومسالكها ومضائقها، وصار دليلا للجيش السلجوقي، واقترح على السلطان أن يقصد بلاد الكرج<sup>5</sup>، بحيث "سار معه فسلك بالعساكر في مضائق تلك الأرض ومخارمها فوصل إلى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر رأس، فقليل له إنَّ سكان خوي وسلماس من أذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وإنهم قد امتنعوا ببلادهم، فسير إليهم عميد خراسان ودعاهم إلى الطاعة وتهدهم إن امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه واجتمع عليه هناك من الملك والعساكر ما لا يحصى، فلما فرغ من جميع العساكر والسفن سار إلى بلاد الكرج..."<sup>6</sup>، وكخطوة عملية أناب ولده الأمير ملكشاه ووزيره نظام الملك مع قوة عسكرية، حيث حاصروا قلعة أهلة بالجند، الذين باغتوا المعسكر وقتلوا عددا كبيرا من جند السلاجقة، مما دفعهم إلى

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 100، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص 40.

2- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 60.

3- الصلابي، دولة السلاجقة، المرجع السابق، ص 60.

4- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 60.

5- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 87.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 368.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تشديد حصارها حتى قتل أميرها ومن بداخلها وملكوها، ثم انتقلوا إلى قلعة سرماري<sup>1</sup>، وحاصروها حتى وقعت في أيديهم، ثم أخرجوا السكان منها، وكذلك قلعة قريبة منها فتحها ملكشاه، وبعدها سار ملكشاه ونظام الملك إلى مدينة مريم نشين ففتحها بعد حصار شديد<sup>2</sup>، واستدعى ألب أرسلان ابنه ملكشاه إليه، وفي طريقه إليه فتح عددا من القلاع والحصون، ثم جهز السلطان الجيوش لفتح سبيد شهر و أغاك لال، واستطاع فتحهما بعد جهد جهيد<sup>3</sup>، كما فتح قلعة حصينة بجانب أغاك لال، وسار منها إلى ناحية فرس ومدينة آني بالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونورة اللتين دخل أهلها إلى الإسلام، فواصل طريقه إلى مدينة آني الحصينة، فحاصرها حصارا شديدا، واستمات أهلها في الدفاع عنها، حتى اضطر إلى التراجع ورفع الحصار، فظن السكان أن الجيش السلجوقي تراجع ليعيد تنظيم صفوفه ليعيد الكرة مرة ثانية على المدينة، فهرب قسم كبير منهم، وعاد الجيش لحصارها حتى اقتحمها وسيطر عليها عام 465هـ/1064م<sup>4</sup>، "...وسارت البشرية بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على ألب أرسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها..."<sup>5</sup>، وأمام هذه الانتصارات "أرسل ملك الكرج الرسل والهدايا، وقرع باب المصالحة ومهد قواعد الاعتذار. وعاد من حضرة السلطان مع رسل الكرج الأمير تمرا حاجب وانك الخاص، وكتب السلطان إلى ملك الكرج، أنه لا بد لك من التدين بدين الإسلام، أو قبول الجزية فقبل الجزية..."<sup>6</sup>. نتيجة لهذا التوغل السلجوقي، سيطر السلاجقة على أرمينية التي كانت بمثابة الحصن المنيع للبيزنطية من الشرق، وأضحى الطريق مفتوحا أمامهم للعبور إلى شمالي بلاد الشام والأناضول<sup>7</sup>.

كان نجاح السلطان ألب أرسلان في فتح أرمينية مقدمة لاستتمام أهدافه التوسعية التي سطرها، على صعيد الجبهة الغربية، وهو التوسع على حساب الأراضي البيزنطية وكذا طرد الفاطميين من بلاد الشام والحلول مكانهم، ثم استخلاص مصر منهم، لذا بعد أخذه لأرمينية صار الطريق مفتوحا أمامه للعبور إلى شمالي بلاد الشام والأناضول<sup>8</sup>. والواقع أن السلطان السلجوقي ألب أرسلان أراد القيام بحملة سريعة يستطيع من خلالها السيطرة على شمالي بلاد الشام، بحيث

1- سرماري: قلعة عظيمة، وولاية واسعة بين تفليس وخلاط، ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص44.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص68.

3 - الحسيني، زبدة التواريخ... المصدر السابق، ص80.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص369، طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان... المرجع السابق، ص102.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص370.

6- الحسيني، زبدة التواريخ... المصدر السابق، ص91.

7- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان... المرجع السابق، ص102.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص112.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يصير على مشارف الأناضول ويضمن بذلك التحكم في محور الشام والجزيرة الفراتية والأناضول،وبعدها يصبح الطريق مفتوحا أمامه لغزو قلب الأناضول والتوسع جنوب بلاد الشام حتى مشارف مصر.أما على الصعيد الميداني فمن الصعب على السلطان السلجوقي سياسيا وعسكريا،تجاوز محور الرها إلى جنوبي بلاد الشام،ثم مصر من دون تقدير الموقف البيزنطي من جهة ومواقف أمراء الجزيرة وبلاد الشام من جهة أخرى،لأن أي اضطراب في العلاقة مع هذه الأطراف،من شأنه أن يهدد بقطع خط الرجعة على جيشه الذي سيكون بعيدا عن قواعده الخلفية<sup>1</sup>.ومن جهة ثانية كثرت غزوات الأتراك وغاراتهم للأراضي البيزنطية،متخذين حلب مركزا للانطلاق،وقد توغلوا في عمق أراضيها،واستطاع هارون بن خان فتح أرتاح،في 27 شعبان 460هـ/01 تموز 1068م،بعد حصار استغرق خمسة أشهر<sup>2</sup>.

لم يقف البيزنطيون مكتوفي الأيدي،أمام هذه التطورات،بل..."في سنة 462هـ أقبل كلب في جموعه وأخنى على من بمنبج واجتاحها،واستبي حاميتها واستباحها،وعاد إلى قسطنطينية وقد ساءت آثاره..."<sup>3</sup>،يضاف إلى ذلك فقد قاد الإمبراطور رومانوس الرابع حملتين عسكريتين ضد الأجزاء الشمالية لبلاد الشام بين عامي 461هـ و462هـ فهاجم منطقة حلب،عقدة المواصلات التجارية والعسكرية بين العراق وأرمينية والأناضول وبلاد الشام،واضطدمت قواته بقوات محمود بن نصر المرداسي وبني كلاب،وابن حسان الطائي ومن معهم من جموع العرب وانتصر عليهم<sup>4</sup>.غير أنَّ الإمبراطور تراجع وانسحب من المنطقة على عجل دون أن يستثمر انتصاره،بعد ورود أخبار عن توغل قوات تركية بقيادة الأفشين في عمق الأراضي البيزنطية،وفتحه مدينة عمورية،وأنها بصدد التوجه نحو القسطنطينية،كما أنَّ نفاذ المؤن كان سببا آخر دفعه إلى العودة لبلاده<sup>5</sup>.لذا لم يكن لهاتين الحملتين نتائج خطيرة،ولم ينجم عنهما أي تغيير في وضع الأراضي باستثناء الاستيلاء على أرتاح و منبج وبالس،وما أحرزه الإمبراطور من انتصارات جزئية لم يكن حاسما بدليل مواصلة الأتراك ضغطهم على أراضي الإمبراطورية وتوغلهم في أرجائها ما اضطره إلى القيام بحملته الثالثة لوضع حد لتعدياتهم<sup>6</sup>.

1-المرجعان نفسهما،ص103،ص113.

2-طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في خراسان...،المرجع السابق،ص103،تاريخ السلاجقة في بلاد الشام،المرجع السابق،ص113.

3-البنداري،المصدر السابق،ص35.

4-عثمان عبد الباقي المجتبي محمد،السلاجقة ودورهم في الخلافة العباسية في الفترة(429هـ-552هـ/1037م-1157م)،بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،قسم التاريخ،جامعة النيلين،2017م،ص35.

5-طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في بلاد الشام،المرجع السابق،ص113.

6-طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في خراسان...،المرجع السابق،ص105.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أمام هذا التطور الذي حدث صار بمقدور السلطان ألب أرسلان التوجه إلى حلب، التي أقام أميرها محمود بن صالح بن مرداس الخطبة للخليفة القائم بأمر الله والسلطان ألب أرسلان، فقد هالته قوة السلاجقة وخشي أن يزيلوا ملكه<sup>1</sup>، وبعد سنة سار ألب أرسلان إليها وحاصرها شهرا، حتى خرج إليه أميرها فأكرمه وأعادته إلى ولايته<sup>2</sup>، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "...ووصل إلى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار إلى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل، فسار إلى حلب وقد وصلها نقيب النقباء أبو فراس طراد بالرسالة القائمة والخلع فقال له محمود صاحب حلب: أسألك الخروج إلى السلطان واستغفائه لي من الحضور عنده، فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمة وخطب فقال: أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطي. فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلّت الأسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الأمر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري، فدخل على السلطان وقالت له: هذا ولدي فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود وأعادته إلى بلده فأنفذ إلى السلطان مالا جزيلا..."<sup>3</sup>. يظهر هذا الكلام أنَّ حملة السلطان ألب أرسلان إلى حلب وشمال الشام لم تحقق مبتغاها، وإنما كانت عبارة عن استعراض لقوة الجيش السلجوقي، وفي نفس الوقت استطلاع واستكشاف المنطقة تمهيدا لضمها، وفي الأخير قبل السلطان اعتذار أمير حلب ورفع الحصار بعد أن دخل في طاعته وحضر إليه وأدى مراسيم البيعة. وذكر كمال الدين ابن العديم كلاما يظهر هيمنة السلاجقة على المشرق الإسلامي، حيث قال: "ولما قطع السلطان معظم الفرات من نهر الجوز، نزل بعض المروج على الفرات، فرآه حسنا، فأعجب به، فقال له الفقيه أبو جعفر: يا مولانا أحمد الله تعالى على ما أنعم به عليك، فقال: وما هذه النعمة؟ فقال: هذا النهر لم يقطعه قط تركي إلا مملوك، وأنتم اليوم قد قطعتموه ملوكا. قال: فلعهدي به وقد أحضر جماعة من الأمراء والملوك، وأمرني بإعادة الحديث، فأعدته، فحمد الله هو وجماعة من حضر عنده حمدا كثيرا"<sup>4</sup>.

قرر السلطان ألب أرسلان، بعد أن أخضع حلب ولم يدخلها، العودة إلى خراسان دون أن يستكمل مشروعه بالزحف نحو بلاد الشام ومصر، وكلف محمودا وإيتكين السليماني، وهو أحد أعيانه، وقد تركه في حلب، بإتمام هذا العمل، فتوجه إلى أرمينية وعبر الفرات وعند وصوله إلى أذربيجان علم بأنَّ الإمبراطور البيزنطي وصل إلى أعمال

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص387.

2- محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، دار الفكر العربي، د.م، د.ت، ص60.

3- المصدر السابق، ج8، ص387-388.

4- بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4، دمشق، دار الفكر، د.ت، ص1984.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

خلاط<sup>1</sup>، ويبدو أنَّ الإمبراطور قرر القيام بمحاولة أخرى لاسترداد أرمينية ووقف غارات الأتراك على آسيا الصغرى، مستفيدا من توغل ألب أرسلان في بلاد الشام، لكن الواقع أنَّ خطته كانت أوسع من ذلك، إنه أراد اختراق ثغور المسلمين من ناحية الجزيرة والتوغل في عمق الأراضي الإسلامية، بدليل أنه أقطع قاداته الذين يرافقونه مصر والشام وخراسان والري والعراق، مستثنيا بغداد، وأوصى بعدم التعرض للخليفة لأنه كان صديقه<sup>2</sup>. على كل لن نفصل في أخبار معركة ملاذكرد في هذا الفصل، نظرا لاندراجها في فصل الدور الجهادي والدعوي للعلماء خلال العصر السلجوقي. ونكتفي بالقول أنها كانت منعطفًا حاسمًا في تاريخ الصراع السلجوقي البيزنطي، فقد تمكن السلطان ألب أرسلان من تحييد البيزنطيين لمدة طويلة من التدخل في بلاد الشام، مما جعله يتفرغ لإكمال مشروعه بضم بلاد الشام ومصر، ولكنه غادر المنطقة بعد ذلك عائدا إلى بلاد ما وراء النهر للقتال هناك، تاركا وراءه عددا من عساكره وأتباعه بزعامة أئسز بن أوق الخوارزمي، وكان معه إخوته، جاولي والمأمون وقرلو وشكلي، وأذن لهم بالاصطدام مع الفاطميين وإخراجهم من بلاد الشام<sup>3</sup>، يقول ابن الأثير ملخصا العمليات العسكرية: "في هذه السنة قصد أئسز بن أوق الخوارزمي.. بلد الشام فجمع الأتراك وسار إلى فلسطين ففتح مدينة الرملة، وسار منها إلى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرهما وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الأمر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد، فعاد عنه وأدام قصد أعماله وتخريبها حتى قلت الأقوات عندهم..."<sup>4</sup>، وعليه فقد أسفرت هذه الحملات عن السيطرة على جميع فلسطين ما عدا عسقلان وعكا<sup>5</sup>، كما يبدو أنَّ انتصارات أئسز وأصحابه قد فتحت الآمال للأتراك الآخرين بالتحرك إلى بلاد الشام، وبخاصة بعد أن انسحب بدر الجمالي من عكا في عام 466هـ/1074م وذهب إلى القاهرة بدعوة من الإمام الفاطمي لمساعدته على تمرد الجيوش هناك، جعل بلاد الشام خالية من أي مقاومة فاطمية ومهد للأتراك الطريق لضمها إلى الأملاك السلجوقية<sup>6</sup>.

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 116-117.

2- المرجع نفسه، ص 117.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 117.

4- المصدر السابق، ج 8، ص 390.

5- المدخلي، المرجع السابق، ص 297.

6- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 118.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

على الرغم من أنَّ السلطان ألب أرسلان قتل سنة 465هـ في العاشر من ربيع الأول، 24 تشرين الثاني 1072م ودفن بمرور إلى جانب والده<sup>1</sup>، لكنه استطاع أن يقطع شوطاً كبيراً جداً في مواصلة المشروع السلجوقي على الصعيد السياسي والعسكري، بحيث في سنة 462هـ "ورد أمير الحرمين محمد بن أبي هاشم الحسني إلى بغداد على قصد الوفادة إلى السلطان فكتب الخليفة معه بعد أن شرفه ورفعته. وعاد في محرم سنة 463هـ من المعسكر السلطاني إلى باب آمد. وقد استفاد الفوائد وأفاد المحامد..."<sup>2</sup>، وبذلك دخلت الحجاز في طاعته وطاعة الخليفة العباسي، وزيادة على ذلك فقد تزوج المقتدي بأمر الله ولي عهد القائم بأمر الله من سفري خاتون بنت السلطان ألب أرسلان سنة 464هـ، مما وطد الرابطة بين البيتين العباسي والسلجوقي<sup>3</sup>، كما تمكن ألب أرسلان من هزيمة البيزنطيين في ملاذكرد هزيمة ساحقة، وقبلها فتح أرمينية واستطاع أن يضم أجزاء معتبرة من الأناضول، بالإضافة إلى سيطرته على بلاد الشام بضم حلب ودمشق وبيت المقدس والرملة. وعليه تكمن أهمية السلطان ألب أرسلان في أنه أرسى دعائم دولة السلاجقة ووسع رقعتها، فامتدت من أقاصي بلاد ما وراء النهر إلى بلاد الشام وآسيا الصغرى، بعد أن انتصر على البيزنطيين، ويعد عهده من أهم عهود سلاطين السلاجقة، وأقام لخلفائه دولة قوية ثابتة الأركان.

خلف ملكشاه أباه ألب أرسلان في الحكم، حيث بويغ بالسلطنة وأضحى ثالث سلاطين الدولة السلجوقية، "وكان السلطان ملكشاه ملكاً جباراً نافذ السلطة، سعيد الحظ، موفق الأيام، مهياً الأسباب، ميسر الأغراض، مؤيداً بالتأييد الإلهي، موفقاً بالتوفيق الرباني"<sup>4</sup>، ويعد عهده العصر الذهبي لدولة السلاجقة، فقد تولى آباؤهم فتح العالم، فلما جاءت نوبته تولى إدارته وتعميره، وغرسوا له شجرة الدولة فجنى قطافها، وأسسوا له عرش السلطنة فتربع على دسسته، وصار عهده شباباً للدولة، ربيعاً لأيام الملك، وطراراً للأبهى حلة، فالعلم مسلم له، ورايته منصورة، ورعيته هائلة، وبلادهم معمورة<sup>5</sup>.

بعد أن ثبت السلطان ملكشاه أقدامه في الحكم، واطمأن على سلطنته، التفت إلى بلاد الشام، وأحيا مشروع أبيه السلطان ألب أرسلان بغزو هذه البلاد وضم مصر إليها والقضاء على الدولة الفاطمية، فاختار أن يولي على هذه الجبهة البعيدة أمير سلجوقياً لصيقاً به وبالأسرة السلطانية، يعمل على إدخال هذه البلاد تحت حماية السلطنة

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 393، الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 119، البنداري، المصدر السابق، ص 45، طقوش محمد

سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 118.

2- البنداري، المصدر السابق، ص 35-36.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 118-119.

4- الرواندي، المصدر السابق، ص 197.

5- المصدر نفسه، ص 198.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

السلجوقية،ويشغله في الوقت نفسه عن التفكير بالشغب عليه أو منافسته،ويؤمن الإقطاع لقسم كبير من الجيش السلجوقي المتزايد<sup>1</sup>،أما بلاد الأناضول فقد أخذ سليمان بن قتلмыш على عاتقه إدارة شؤون المنطقة الشمالية الغربية بعد رحيل ألب أرسلان عن آسيا الصغرى،وعزم على أن يقيم لنفسه سلطنة في قونية و آق سرا وغيرهما من المدن التي كانت تحت حكم أبيه قتلмыш،ويتولى حكمها مع الاعتراف بسيادة ملكشاه سلطان السلاجقة العظام الذي خلف أباه ألب أرسلان،وكان الأول قد عهد إليه بإدارة المنطقة لصالح الأتراك.لذا فمن الخطأ الاعتقاد بأن امتداد السلاجقة غربا في عهد ملكشاه إنما جاء ثمة جهوده الشخصية،لأنه من الحقائق التي تسترعي الانتباه أن هذا السلطان لم تطأ قدمه أرض الأناضول<sup>2</sup>.

يبدو أن الاضطرابات و التمردات التي شهدتها السلطان ملكشاه في بداية عهده،والجهود التي بذلها للقضاء عليها،بالإضافة إلى اتساع رقعة الدولة السلجوقية،جعلته يغير الأسلوب الذي يدبر به المشروع السلجوقي الموحدوي،من خلال انتداب أمراء من الأسرة السلطانية لاستكمال هذا المشروع باسمه هو،في بلاد الشام والأناضول،ليتفرغ هو لإدارة دولته الكبيرة ويعمل على تثبيت أركانها وضمان لحياتها ووحدتها،فقد اعتبر نفسه الموحد للأسر السلجوقية،لأنه كان يعد نفسه سلطانا على كل السلاجقة بمختلف فروعهم في الشرق والغرب،وكان يتدخل في كل مرة يحاول فيها أي فرع من فروع السلاجقة الظهور بمظهر المستقل<sup>3</sup>.

كان التوغل السلجوقي في بلاد الشام قد بدأ في عهد السلطان ألب أرسلان،حيث تمكن قائده أئمز التركماني من تحقيق نجاح كبير بالاستيلاء على وسط الشام وجنوبها،وبعد تولي ملكشاه السلطنة واصل أئمز توسعه وقرر أن يبادر إلى اجتياح مصر،حيث جهز جيشا من التركمان والعرب والترك وسار قاصدا مصر سنة469هـ بعد أن أغراه بفتحها ابن بلدكوز الذي احتفى به على أثر قدوم بدر الجمالي إلى مصر،وأهدى إليه بعض التحف التي استولى عليها أبوه من خزائن المستنصر بالله الفاطمي.لقد استطاع أئمز أن يتوغل بقواته في عمق الأراضي المصرية دون أن يصادف مقاومة تذكر،وعسكر خمسين يوما في الدلتا بدلا من أن يسير إلى القاهرة،وأساء أصحابه معاملة الأهالي وأخذوا أموالهم؛فأرسل رؤساء القرى إلى المستنصر بالله يشكون إليه ما نزل بهم،وكان الرد الفاطمي بقيادة بدر الجمالي الذي استطاع تجنيد ما يمكنه من الرجال القادرين على حمل السلاح،كما دعا ثلاثة آلاف حاج كانوا متأهبين للسفر إلى بلاد الحجاز لمعاونته في قتال السلاجقة فأجابوا دعوته،وبذلك أصبح جيشه يتألف من كثير من العرب وأهل

1-طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في بلاد الشام...،المرجع السابق،ص125.

2-طقوش محمد سهيل،تاريخ سلاجقة الروم...،المرجع السابق،ص53-54.

3-طقوش محمد سهيل،تاريخ السلاجقة في خراسان...،المرجع السابق،ص145-146.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

البلاد، يضاف إلى ذلك أنه تمكن من استمالة العرب الذين كانوا مع أتسز، مثلما فعل المعز من قبل مع القرامطة؛ وكان ذلك مما عجل في هزيمته، وفر إلى غزة وأقام بالرملة حتى لحق به من بقي من عسكره ثم رحل إلى دمشق<sup>1</sup>.

على الرغم من هزيمة أتسز أمام الفاطميين في عقر ديارهم، إلا أنَّ النجاح الذي حققه السلاجقة بالوصول إلى مصر، يدخل في صلب إستراتيجية تحول الدولة السلجوقية إلى أعظم قوة في المشرق الإسلامي، خاصة بعد أن فشل الفاطميون في استغلال الفرص التي لاحت لهم، بدءاً من البساسيري الذي نجح في السيطرة على العراق والخلافة العباسية وأن يشق صف السلاجقة، وسمحوا لهم بالانتقال من الدفاع والحفاظ على خلافة العباسيين والمذهب السني والعراق، إلى الهجوم فأخذوا الشام وتمددوا حتى مصر، كما لم يستغلوا الصراع السلجوقي البيزنطي في التمدد إلى العراق، فبد انتصار السلاجقة على البيزنطيين في ملاذكرد سنة 463هـ، أضحى الطريق مفتوحاً أمامهم لضم الشام ومصر والجزيرة الفراتية، ولم تعد هناك أية قوة تقف أمامهم لاستكمال مشروعهم الوحدوي.

نجح عن هزيمة أتسز نوعان من ردود الفعل:

الأول: داخلي، تجلّى بوقوف أهل دمشق إلى جانبه اصطناعاً بفعل ضعفهم، وعصيان مدن بلاد الشام الجنوبية على حكمه بعد أن عدت هزيمته بمثابة النهاية له.

الثاني: خارجي، تمثل في شعور الدوائر السلجوقية في المشرق بعجز أتسز عن القيام بمثل هذه المهمة الضخمة، وعلى الرغم من أنَّ الرجل لم يكن سلجوقياً إلا أنَّ هزيمته كانت أول هزيمة بارزة للنفوذ السلجوقي أمام القوة الفاطمية، وقد أدرك أتسز هذه الظاهرة، لذلك أسرع بالكتابة إلى بغداد بأنه ينوي العودة إلى مصر، وأنه يجمع العساكر<sup>2</sup>.

وفي السياق ذاته قرر السلطان ملكشاه إقطاع بلاد الشام إلى أخيه تتش سنة 470هـ وما يفتحه من تلك النواحي<sup>3</sup>، وقد كان هذا القرار ناتجاً عن اقتناعه بعدم مقدرة أتسز على مهاجمة مصر مرة ثانية، أو لعله أراد استغلال تراجع قوته للعودة إلى مشروعه السابق بمنح بلاد الشام إقطاعاً لأخيه تتش، وبخاصة أنَّ الأوضاع لم تجر على نحو طيب هناك بعد ثورة سكان بيت المقدس على حكمه وعصيان بعض المدن الرئيسية في بلاد الشام، مما يعني أنَّ أتسز سوف يخضع للنفوذ السلجوقي المباشر<sup>4</sup>.

تمكن تاج الدولة تتش من إعادة سيطرة السلاجقة على حلب ودمشق وبيت المقدس، وتثبيت أقدام السلاجقة فيها، ويؤسس فرعاً لدولة السلاجقة في الشام واتخاذ مدينة دمشق مقراً لهذا الفرع الذي عرف في التاريخ

1- محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 61-62.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 131.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 418.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص 124.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

باسم "سلاجقة الشام"، وخطوة عملية اتجه في عام 471هـ/1078م إلى حلب واستطاع أن يخضعها لحكمه وينهي النفوذ الفاطمي، وعاد إلى دمشق التي تعرضت لحصار الفاطميين ولكنهم فشلوا في اقتحامها، فدخلها دخول الظافرين في عام 472هـ/1079م. وعليه فقد نجح تتش في تثبيت نفوذ السلاجقة في بلاد الشام واستطاع في أثناء خمس سنوات أن ييسط نفوذ السلاجقة على أكثر أجزاء بلاد الشام، بحيث صارت قلعة من قلاع السلاجقة المنيع، فخرجت نهائياً من قبضة الفاطميين وانضمت إلى دولة السلاجقة وصارت داخل دائرة نفوذ المذهب السني<sup>1</sup>.

لقد حقق السلطان ملكشاه على يد أخيه تاج الدولة تتش ما كان يسعى إليه أبوه السلطان ألب أرسلان، حيث أصبحت الشام إحدى أقاليم الدولة السلجوقية، كما استكمل ضمها كذلك على يد سليمان بن قتلمش الذي فتح الرها وأنطاكية، ولأول مرة منذ جلوسه على عرش السلطنة قدم إلى بلاد الشام في (23 شعبان 479هـ/03 كانون الأول 1086م)، وفي الطريق استولى على حران، ثم سار إلى الرها ومنها إلى حلب، حيث دخلها وتسلمها من دون قتال، كما تسلم القلعة من سالم بن مالك، وأقطعه قلعة جعبر بدلا عنها. أمضى السلطان ملكشاه أياما عدة في حلب قبل أن يستأنف زحفه باتجاه أنطاكية، فتسلمها من الحسن بن طاهر وزير سليمان بن قتلمش وعاد إلى حلب، وتسلم وهو فيها رسالة من نصر بن علي بن منقذ أمير شيزر يعترف له بالطاعة ويتنازل له عن اللاذقية و أفامية و كفرطاب<sup>2</sup>. ونظم السلطان أوضاع منطقة شمالي الشام وآسيا الصغرى، وتجنب التطرق إلى أوضاع جنوبي الشام، وكأنه جدد ثقته بأخيه تتش وأقره على ما في يده من أملاك، فمنح حلب ومناطقها وحماة ومنبج واللاذقية وما يتبعها إلى حاجبه آق سنقر، مؤسس البيت الزنكي، وأقطع أنطاكية لأحد ضباطه وهو ياغي سيان التركي، ومنح الرها لقائد تركي آخر هو بوزان، وعين الأمير برسق حاكما على أملاك السلاجقة في آسيا الصغرى، وقد حدث هذا التوزيع في المناصب في شوال 479هـ/كانون الثاني 1087م. وحتى يؤمن السلطان ملكشاه حدود دولته الغربية، دخل في مفاوضات مع الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس (474هـ-512هـ/1081م-1118م) لتسوية الأوضاع العامة في آسيا الصغرى، وعرض على الإمبراطور:

-أن يسحب الأتراك من الشواطئ الغربية لآسيا الصغرى.

-أن يصلح القلاع المدمرة كافة.

-أن يساعد الإمبراطور عندما تدعو الحاجة.

-أن يتزوج أميرة بيزنطية.

1-عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص70-71.

2-طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، المرجع السابق، ص144.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

غير أنَّ المفاوضات لم تستكمل بسبب مغادرة السلطان ملكشاه المنطقة عائداً إلى الشرق. وعلى هذا الشكل استقر السلاجقة في بلاد الشام والأناضول<sup>1</sup>.

لقد فاق السلطان ملكشاه والده ألب أرسلان وأضحى أعظم سلاطين السلاجقة العظام، إذ بلغت الدولة في عهده أقصى اتساعها وذرورة قوتها، فامتدت من بحيرة خوارزم شمالاً إلى حدود الصين جنوباً، ومن حدود الصين شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً، وملك من الأقاليم ما لم يملكه أحد من السلاطين آنذاك، فخطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن أقاصي البلاد الإسلامية في الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وحمل إليه الأباطرة البيزنطيون الجزية، وخضع له ملوك طراز، أسبيجاب، كاشغر، بلاساغون وغيرها من الأقطار البعيدة، وكذلك حكام سمرقند وما وراء النهر<sup>2</sup>. وأضحت الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه أكبر قوة ضاربة في العالم في ذلك الوقت، إلى جانب تمسك السلاجقة بالإسلام، وظهور صبغته في جميع ألوان النشاط البشري في عصرهم، فكانوا حينذاك يسمون جنود الخلافة العباسية المخلصين، الذين يحمون دولة الخلافة، وينشرون الإسلام ومبادئه القومية، في بلاد غير إسلامية، يزيدون بها دولة الإسلام قوة واتساعاً، وبذلك بلغ السلاجقة في عهد ملكشاه أوج قوتهم ورفعته<sup>3</sup>.

وبهذا يكون المشروع الوحدوي السلجوقي قد بلغ مداه واستكملت كل مراحله وأشواطه، وأثبت السلاطين السلاجقة العظام في مراحل وأشواطه مقدرتهم الكبيرة على إنجاز هذا المشروع العظيم وتوظيف كل الإمكانيات والوسائل في سبيل تحقيق هذه الغاية، والأكثر من ذلك أنَّ توحيد المشرق الإسلامي كان غاية عزيزة وأمنية كبيرة لجميع المسلمين، ظلت تراودهم منذ أن ضعفت الخلافة العباسية وانشقت أقاليمها المختلفة واستقلت عنها، بالإضافة إلى التوغل الشيعي الفاطمي والبويهري وسيطرته على مقدرات العالم الإسلامي، لذا فإنَّ السلاجقة أعادوا للعالم الإسلامي وحدته وهيئته ومكانته وتأثيره ووزنه في العالم.

**4- دعم العلماء للمشروع السلجوقي الوحدوي وتوجيهه:** من الصعب الإمساك بجشيات دعم العلماء للمشروع السلجوقي الوحدوي وتوجيهه، ذلك أنَّ هذا المشروع استغرق زمناً معتبراً قارب الخمسين سنة، وتداول عليه ثلاث سلاطين من السلاجقة العظام، واشتمل على أقاليم إستراتيجية، كان السيطرة عليها من قبل أي دولة سيؤدي حتماً إلى التحكم في المشرق الإسلامي ومن ثم العالم الإسلامي كله، كما أنَّ هذا المشروع حمل في طياته الأمل للمسلمين لإعادة الوحدة والتلاحم والتعاقد فيما بينهم، لذا فإنَّ العلماء بحكم منزلتهم ومكانتهم وموقعهم المؤثر في المجتمع والدولة، لم يكونوا بمنأى عن هذا التطور في أوضاع المشرق والعالم الإسلامي، وخاصة إذا علمنا أنَّ فكرة

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 146.

2- المرجع نفسه، ص 153.

3- عبد النعيم محمد حسنين، المرجع السابق، ص 73.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الإصلاح ليست غريبة عن متن العلماء ونصوصهم، بل هي سلبية احتفالهم بالمشروعية السياسية، وخوفهم على مآل الأمة، مدركين بحكم شدة صلتهم بالواقع السياسي ومعتزكه، أنَّ مسألة الإصلاح محيطة لكل تفكير في الدولة والسياسة لاسيما وأن ما حملهم على الانخراط في الاهتمام بالإشكالية السياسية في الإسلام، ما لاحظوه من فجوة، باتت أكثر فأكثر غير قابلة للجسر، بين نموذج الدولة الذي يدافعون عنه، والواقع الذي يعيشون في كنفه<sup>1</sup>. ويبدو أنَّ العلماء سعوا إلى وضع بصمتهم في هذا المشروع بالرغم من تعدد أنماط مشاركتهم فيه، فقد أيقنوا حجم الأزمة التي تعاني منها الدولة الإسلامية، على الصعيد السياسي والاقتصادي والعسكري، والأكثر من ذلك المذهبي، وضرورة إيجاد الحل لهذه الأزمة الكارثية التي مزقت شمل المسلمين وأضعفتهم وأطمعت فيهم عدوهم المتربص الدوائر.

لقد أدرك العلماء صعوبة إعادة نخط الدولة الإسلامية الكبرى الموحدة من أولها إلى آخرها التي تأثر بأمر رجل واحد هو الخليفة أمير المؤمنين، وإن شاب مؤسسة الخلافة بعض التغيير، بالانتقال إلى النظام الوراثي منذ العصر الأموي، لكن حاولوا رفع صوتهم في كل فرصة تلوح لهم في الأفق لتحقيق هذه الغاية، حتى لو استدعى الوضع تحقيق جزء منها فقط، فلم تعد إمكانيات ومقدرات الخلافة العباسية قادرة على إعادة الأمور إلى نصابها، خاصة بعد أن تحكم بأمرها البويهيون وحاصروا الفاطميون حتى انتزعوا منها بلاد الحرمين، لذا احتاجت إلى قوة جديدة تعيد رونق الخلافة وأبهرتها ومكانتها التليدة، فكان السلاجقة هم الحل الذي ظهر في الأفق، لاعتبار المذهب واحترام وتقدير مقام الخلافة العباسية، وصار الاثنان يحتاجان إلى بعضهما البعض وكلاهما يكمل الآخر، وأضحى السلاجقة المنقذين للعالم الإسلامي وصار مشروعهم أكثر نجاحا، بل بعد سقوط دولتهم، حاول الزنكيون إعادة مشروعهم وتجسيدهم ونجحوا في ذلك ولو بأقل من المساحة التي شغلتها الدولة السلجوقية، ثم واصل بعدهم الأيوبيون والمماليك، وأخيرا العثمانيون الذين وضعوا التجربة الوحدوية السلجوقية كركيزة أساسية في بلورة مشروعهم الكبير الذي شمل كل العالم الإسلامي.

لقد شهد المشروع السلجوقي الوحدوي عدة محطات تفاعل معها العلماء وأبدوا مواقفهم منها، سنحاول سبر أغوارها والحفر في أعماقها وتبيان حثياتها حتى نتيقن فعلا من دورهم الحاسم في هذا المشروع الكبير، وما هي الوسائل والطرق والرؤى التي انتهجوها للتعامل مع جميع التطورات التي عرفها؟ وبالمقابل ما هو حجم تواجدهم في هذا المشروع ومدى تأثيرهم فيه بشكل أو بآخر؟.

**4-1- موقف العلماء من الدولة البويهية:** بطبيعة الحال فإنَّ العلماء يشكلون جزءا مهما ومؤثرا في صناعة الموقف العام من الدولة القائمة، هذا رغم أنَّ الروايات التاريخية التي لدينا لا تذكر ذلك صراحة لأنَّ موقف هؤلاء

1- فازيو نبيل، المرجع السابق، ص 427.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العلماء وتأثيرهم على الدولة يكون بأساليبهم وطرقهم الخاصة<sup>1</sup>، خصوصاً أنَّ السلاطين البويهيين لم يطرحوا أبداً مسألة شرعية الخلافة العباسية السنية، وإمكان استبدال خليفة علوي شيعي بها، ذلك أنَّ مذهبهم الشيعي لم يستتبع تغييراً في مفهوم الخلافة وواقعها كما آلت إليه في عصرهم. فقد دخلوا دار الخلافة، وكان "أمير الأمراء" صاحب الحول والطول، قد انتزع من الخليفة معظم صلاحياته، فاستكمل الأمير البويهي انتزاع ما بقي من هذه الصلاحيات، حتى أضحي الخليفة شبه موظف لدى الأمير البويهي المقيم في بغداد<sup>2</sup>.

وبالمقابل ينطلق العلماء والفقهاء في إظهار موقفهم من الدولة البويهية، أنهم يعد مؤسسه الخلافة مؤسسة تمثل الشرعية والخليفة هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لذلك كانوا يساندون الخلفاء ويوحدون الأمة خلفهم ويدرون الفتنة من أي جهة كانت<sup>3</sup>. وبالأخص إذا علمنا "أنه من أصل عشرة أمراء توالوا على حكم فارس طوال العهد البويهي فإن ستة منهم جمعوا بين إماراتهم في فارس وملكهم في العراق. وهم عضد الدولة، مشرف الدولة، سلطان الدولة، وأبو كاليبجار بالإضافة إلى صمصام الدولة الذي حكم المنطقتين بشكل مستقل دون أن يجمع بينهما في نفس الوقت.... وكانت القاعدة العامة التي حكمت علاقات الأمراء البويهيين بالخليفة هي أن يكون أمير العراق، صاحب العلاقة المباشرة مع الخليفة هو الصلة ما بين باقي الأمراء البويهيين والخلافة..."<sup>4</sup>، وعلى ضوء ذلك، فإنَّ السلطة توزعت في العصر البويهي بين محاور ثلاثة:

1- أمير الأمراء البويهي الذي جمع بيده الصلاحيات الفعلية كلها التي تقتضيها العملية السياسية في الحكم.  
2- الخليفة العباسي الذي ما زال يمثل بحكم استمرارية الخلافة العباسية رمزا معنوياً لوحدة الأمة، فأبقي عليه لمنح العهد للأمير البويهي.

3- الفقهاء الذين أنيطت بهم مناصب القضاء ومراكز التعليم<sup>5</sup>.

يعكس هذا الشكل الهرمي للسلطة خلال العصر البويهي، أنَّ البويهيين بحثوا عن الشرعية لحكمهم، بالرغم من سيطرتهم على الخلافة العباسية، فلم يستطيعوا أن يقضوا على الخلافة لتمكين حكمهم ويحصل لهم القبول عند العامة. لذا نستطيع أن نقول منذ البداية بأنَّ المواجهة بين الطرفين أمر لا يمكن تلافيه، إذ أن خصوصية التاريخ

---

1- زينب خلف علي حراشة، موقف فقهاء العراق من السلطة العباسية من 198هـ-334هـ/813م-945م، رسالة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، 2002م-2003م، ص147.

2- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان (جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية-القاجارية)، ط4، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نيسان/أبريل 2015م، ص46.

3- زينب خلف علي حراشة، المرجع السابق، ص152.

4- منيمة حسن، تاريخ الدولة البويهية، ص182، نقلاً عن كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص46.

5- كوثراني وجيه، المرجع السابق، ص47.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الإسلامي وطبيعته هي التي جعلت من العلماء هم الوكلاء الشرعيين لهذا الدين والناطقين باسمه، ومن ثم هم قادة الجماعة الإسلامية التي أسسها الدين وصاغتها تشريعاته، وفي المراحل الانتقالية والتحوليات الكبرى التي تتميز بالاضطراب والاهتزاز وكذا فقدان الأمن السياسي والاقتصادي والاجتماعي، كالذي حصل عندما اجتاحت البويهيون العراق ودخلوا إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية، حينها يتحول الدين إلى مصدر عزاء وأمان للخائفين، ويزداد تشبث المجتمع الإسلامي بالعلماء، ولما كان كل من السياسي والعالم يجتمعان في أن كلا منهما يتخذ من المجتمع موضوعا لفعله وتأثيره فإنَّ المواجهة بينهما كانت حتمية<sup>1</sup>.

تبلور موقف العلماء من الدولة البويهية من خلال عدد من المحطات المفصلية، التي شهدت تشنجا في العلاقة بين الطرفين، وكان محور العلاقة هو مدى سعي السلطة البويهية إلى احتواء هؤلاء العلماء وإسكاتهم وإخماد شوكتهم وتأثيرهم في العامة، وبالمقابل عملت على نشر التشيع والمبالغة في ذلك وتكوين جيل من العلماء الشيعة المناهضين عن مذهبها، على الرغم من إبقاء البويهيين على خلافة بني العباس السنية، ولكنهم حاولوا دائما تجريدتها من سلطانها الروحي وزعامتها السنية على العالم الإسلامي، لذا يندرج موقف العلماء ضمن السياق العام الذي طبع علاقتهم بالخلافة العباسية وسعيهم للمحافظة عليها والدفاع عنها وعن مذهبها. يقول ابن الأثير: "...فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير، وإنما كان له كاتب يدبر إقطاعه وإخراجاته لا غير. وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد. وكان من أعظم الأسباب في ذلك، أنَّ الديلم يتشيعون ويغالون في التشيع، ويعتقدون أنَّ العباسيين قد غصبوا الخلافة، وأخذوها من مستحقها فلم يكن عندهم باعث ديني يحثهم على الطاعة..."<sup>2</sup>، يظهر هذا بوضوح أنَّ البويهيين كانوا شيعة، ولا يرون أنَّ العباسيين لهم حق في الخلافة، وهذا ما يتعارض مع رؤية العلماء لمدلول الخلافة في هذا العصر بأنها رمز وحدة المسلمين جميعا، وأنَّ دولة العباسيين هي دولة الخلافة الإسلامية، على الرغم أن رأي العلماء فيهم لما أسسوا دولتهم، أنهم قد نالوا الخلافة بالقوة وبالتغلب، والحيل واكتنف دعوتهم وثورهم القتل والعنف، مما ألحق الضرر بالمسلمين، ثم آل الأمر إلى غير أهله من ذوي التقوى والورع، فضلا عن أنَّ هذه الثورة قد استنفذت طاقة الأمة وأهدرت كثيرا من إمكاناتها المادية والبشرية، وأغرقت بها أعداءها المتربصين بها<sup>3</sup>. وهذا ديدن العلماء المسلمين في الصدع بالحق والوقوف في وجه الباطل، ولكن التطورات التي شهدتها الدولة الإسلامية بعد نهاية العصر العباسي الأول، جعلت الأوضاع تسوء أكثر فأكثر حتى إذا ما جاء العصر البويهي، انقسمت هذه الدولة العظيمة إلى ثلاث خلافات وإمارات للمؤمنين، الأولى خلافة بني العباس والثانية

1- العابد عبد الحميد، المرجع السابق، ص 67.

2- المصدر السابق، ج 8، ص 208.

3- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 83.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

خلافة الفاطميين، والثالثة خلافة الأمويين بالأندلس، ولأن كان العباسيون أخذوا الخلافة بالقوة، فالفاطميون ادعوا نسبا غير نسبهم وأظهروا التشيع وأرادوا نقض عرى الإسلام وهدم شريعته واستئصاله نهائيا، وبالمقابل يقول الوزير الصيمري عن خلافة العباسيين لمعز الدولة البويهية: "إذا بايعته-أي أبو الحسن محمد بن يحيى الزيدي العلوي-استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان وأطاعه الديلم ورفضوك وقبلوا أمره فيك، وبنو العباس قوم منصورون تعتل دولتهم وتصح مرارا وتمرض تارة وتستقل أطوارا، لأن أصلها ثابت وبنائها راسخ..<sup>1</sup>"، لقد أصبحت الدولة العباسية الملاذ الوحيد للعلماء للتصدي للخطر الشيعي الباطني بشقيه، البويهيون الذين كانوا شيعة زيدية، والفاطميون الذين كانوا شيعة إسماعيلية، لذا كان التمسك بهذه الدولة والإبقاء عليها قائمة وصامدة في وجه التغلغل الشيعي أمرا من الأهمية بمكان.

وطالما أن ضعف الخلافة العباسية قد استشرى، وتضائلت قدرتها على استعادة سلطتها وقوتها في الحكم العالم الإسلامي حكما فعليا، واشتداد تحكم البويهيين في أمرها وحلها وعقدها وتوجيهها لصالح أغراضهم ومن أجل تثبيت شرعيتهم في حكم المشرق والعراق، أضحى دور العلماء حاسما في هندسة تصور ورؤية من خلالها يتحدد مستقبل الخلافة العباسية والمذهب السني معها. لذا كان الفكر الفقهي السني واعيا لهذا الإشكال وأهميته، فإذا كانت مؤسسة الخلافة لا تزال هي "مصدر الشرعية" لأمراء الاستيلاء والمتغلبين في المركز والأطراف، فإن المهمة تصبح في الدفاع عن هذه المؤسسة، والعمل على تقويتها أمام السلاطين والأمراء، ودون تنكر للأمر الواقع أو إغفال للمستجدات الطارئة على مستوى مؤسسات الدولة وأهلها وأشكال تنظيمها، وأوجه وسبل تدبرها لأحوال المجتمع عبر الوزراء وأمراء الاستيلاء، والوسائط الأخرى للسلطة كالحسبة والنقابة والشرطة وغيرها.<sup>2</sup>

يعد أبو الحسن الماوردي أحد العلماء الذين أثبتوا دعمهم للخلافة العباسية، فقد حاول من خلال آرائه التي سطرها في مصنفاة الموازنة بين الجهود المبذولة لإحياء المذهب السني، التي بدأت بالتعبير عن نفسها في محاولات الخليفين اللذين عاصرها الماوردي في بغداد وهما: القادر بالله (382هـ-422هـ)، والقائم بأمر الله (422هـ-467هـ)، على ممارسة بعض صلاحياتهما في الخلافة، وبين واقع الأمر في السلطة الفعلية وكما يتمثل في واقع الأمراء المستولين على مراكز القرار في الجيش والوزارة وباقي الولايات<sup>3</sup>. ولا غرو أن طبيعة العلاقة بين العلماء والخلافة العباسية وعلى رأسهم الماوردي، جعلتهم يهتمون بالمشاكل العملية التي تواجه الخلافة في الأمور المالية والقضائية، كما لجأوا إلى استيعاب

1- الهمداني، تكملة، ص149، نقلا عن رائد فخري خليف كريشان، مؤلفات نصائح الملوك في المشرق في القرنين الرابع والخامس الهجريين (نصيحة

الملوك للماوردي نموذجاً)، رسالة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الثاني 2004م، ص12.

2- كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص49-50.

3- المرجع نفسه، ص50.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

خطوات الخلافة العملية، وإلى إضفاء الشرعية على خط سير الخلافة العباسية، وعلى ضوء ذلك أضحي الفكر السياسي للعلماء عن الخلافة، ما هو إلا انعكاس لسلطة الأمر الواقع<sup>1</sup>، لذا وضع الماوردي نظريات في الدفاع عن الخلافة كمؤسسة تاريخية ضرورية لاستمرار وحدة الأمة، وفي عقلنة الإمارة (السلطنة الجديدة) لاستيعاب مشروعيتها الواقعية في شرعية إسلامية<sup>2</sup>.

لقد كانت الخلافة العباسية تشهد مرحلة انتقالية، سعى من خلالها الخليفين العباسيين القادر بالله وابنه القائم بأمر الله، إلى استغلال الفرص وتوظيف جميع الإمكانيات والوسائل المتاحة من أجل استعادة سلطتها ونفوذها، وفي مقدمة ذلك العلماء الذين اعتبروا الورقة الأكثر نجاعة، فقد شكلوا السند المذهبي الذي استند عليه هذين الخليفين، سواء على المستوى النظري من خلال التنظير والدفاع عن مؤسسة الخلافة العباسية كما قلنا، أو على المستوى العملي من خلال عدد من المواقف العملية التي انبرى لها هؤلاء العلماء في وقوفهم مع خلافة العباسيين ومساندة قراراتها لمواجهة المد الشيعي البويهى ومن ورائه المد الشيعي الفاطمي في مصر والشام وإفريقية. فعلى المستوى التنظيري صنف أبو الحسن الماوردي كتابه الأحكام السلطانية ليظهر مكانة مؤسسة الخلافة وينظر لبقية المؤسسات العليا في هرم السلطة، حيث يقول: "فإنَّ الله جلت قدرته ندب للأمة زعيماً خلف به النبوة، وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة، ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع فكانت الإمامة أصلاً عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة حتى استثبتت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، فلزم تقديم حكمها على كل حكم سلطاني، ووجب ذكر ما اختص بنظرها على كل نظر ديني؛ لترتيب أحكام الولايات على نسق متناسب الأقسام، متشاكل الأحكام..."<sup>3</sup>، يظهر هذا النص الذي هو مقدمة كتاب الأحكام السلطانية والولايات الدينية، عظم منزلة الخلافة أو الإمامة وأنها مقدمة في المرتبة والشرف على كل حكم سلطاني، وبالتالي يتجلى لنا أنَّ الماوردي قد تجاوز دوره العلماء الآخرين الذين عملوا في القضاء والتدريس، بحكم مخالطته لدواليب السياسة، إذ كان جزءاً من العملية السياسية الكبيرة التي تدور بين الخليفة والسلطين، وبذلك يعتبر هذا الكتاب الخلفية النظرية المسوغة لسياسة الإحياء السني التي بدأت مع الخليفة القادر، واستمرت مع ابنه القائم<sup>4</sup>. وفي السياق ذاته لم يقتنع العلماء تمام الاقتناع بالدولة السلطانية التي عاشوا في كنفها، بسبب ما استشعروه فيها من تناقض مع النموذج الذهني

1- رائد فخري خليف كريشان، المرجع السابق، ص40.

2- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص50.

3- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص13.

4- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص51.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الذي تمثله الخلافة، غير أنَّ ذلك لا يعني أنهم أحجموا عن التفكير في سبل إصلاح الدولة انطلاقاً مما هو متاح وممكن بالنسبة لهم<sup>1</sup>.

يرى أحد الباحثين أن ما قعدت له الأحكام السلطانية لم يكن في الحقيقة إلا الواقع الذي كانت الدولة الإسلامية توجد عليه؛ فكتابا الماوردي وأبو يعلى الفراء لا يتضمنان اقتراحاً لمؤسسات جديدة بقدر ما يسوغان شرعياً لجهاز قائم، وهذا ما يجعل كل حديث عن إصلاح مؤسساتي لدولة الخلافة مجرد تحصيل حاصل، ما دامت الهندسة التي يتضمنها الكتاب أمراً واقعاً انطلق منه الفقهاء في استنباط قوانين الدولة<sup>2</sup>.

لقد جاء الموقف التنظيري الذي أبداه العلماء اتجاه الخلافة العباسية متماهياً مع السياق السياسي المتمثل في المقاومة التي بدأت تظهر في المناطق الشرقية ضد النفوذ البويهي. فمن جهة كانت انتصارات السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي السني (ت421هـ) باتجاه الهند، ثم باتجاه البويهيين في الري وأصفهان، وبعد ذلك كانت بدايات الزحف السلجوقي<sup>3</sup>، لذا أضحي للخلافة العباسية مستمسكات استطاعت من خلالها استعادة بعض من كلمتها والوقوف ضد الشطط البويهي المتواصل، فكانت البداية "...جمع الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب طويل عمله الخليفة القادر بالله يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب السنة..."<sup>4</sup>، ثم عزل خطيب جامع براثا الذي عرف أنه يذكر في خطبته مذهباً فاحشاً من مذاهب الشيعة، وتم القبض عليه في دار الخلافة، وعين مكانه أبو منصور بن تمام ليخطب الجمعة يوم التاسع عشر من ذي القعدة، ولما صعد المنبر دق بعقب سيفه، على ما جرت به العادة، والشيعة تنكر ذلك، ثم خطب خطبة لم يذكر فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وختمها بقوله: اللهم اغفر لجميع المسلمين ولمن علي مولا، عندئذ غضب العامة ورموه بالآجر حتى أدموا وجهه، ثم صلى بهم ركعتي الجمعة خفيفة بعد أن حماه المشائخ، وقد بلغ ذلك الخليفة فغاضه وأحفظه، وقام باستدعاء الشريفين أبي القاسم المرتضى، وأبي الحسن الزيني، ونظام الحضرتين محمد بن علي والقاضي أبي صالح<sup>5</sup>، حيث كتب رسالة مطولة شرح فيها الوضع لهم وللأمير البويهي ووزيره وأظهر فيها غضبه وحميته وغيّره على الإسلام، واعتبر مسجد براثا جامعاً للكفرة والزنادقة، وشبهه بمسجد الضرار، وعاب ما يقوله الخطباء عن علي بن أبي طالب عليه السلام من الغلو المبتدع الذي تقشعر منه الجلود في نظره، كما ذكر ما حدث للخطيب أبي منصور بن تمام، ثم يطلب من أمير الجيوش الضرب على يد أولئك الشيعة ويجعل عساكره يتعاضدون ويتلاحمون ويقفوا يداً واحدة لحماية خطيب الجمعة، وبذلك يتم

1- فازيو نبيل، المرجع السابق، ص429.

2- المرجع نفسه، ص432.

3- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص51.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص197.

5- المصدر نفسه، ج15، ص198.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تقوم الخطبة الإسلامية، ورغم من زعم، ولا يكون ذلك إلا بعد نكاية تظهر وتعم، فإن هؤلاء الشيعة قد درسوا الإسلام وقد بقيت منه بقية، وأن لم يدفع هؤلاء الزنادقة المرتدة عن سنن الإسلام وإلا هدم وذبحت هذه البقية<sup>1</sup>.

وفي السياق ذاته تطورت الأحداث في الجانب الشرقي من بغداد وكثر التنازع حتى قطعت الخطبة في مسجد براثا، ووقعت فتنة في هذا المسجد يوم عيد النحر، حيث انزعج الناس واختلطوا وانقطعت الصلاة، عندها اجتمع قوم من مشايخ أهل الكرخ، فساروا مع الشريف المرتضى إلى دار الخلافة، فأحالوا سفهاء الأحداث فيما جرى على الخطيب، وسألوا الصفح عن هذه الجناية، وأن لا يخلي المسجد من المراعاة وإقامة الخطبة فيه، فأقيم لهم خطيب وعادت الصلاة في مسجد براثا منذ يوم الجمعة غرة المحرم بعد أن عملت للخطيب نسخة يعتمد عليها فيما يخطب وإعفائهم الخطيب من دق المنبر بعقب سيفه، ومن قوله اللهم: "اغفر للمسلمين ومن اعتقد أن عليا مولاة"<sup>2</sup>. وفي يوم الجمعة لثمان بقين من ربيع الأول، تدخل الخليفة في الفتنة التي تجددت بين السنة و الروافض واشتدت، وقد كتب إلى الملك و الاصفهارية ينكر ذلك عليهم إنكارا شديدا، وأمر بإقامة الحد في الجناة، فركب وزير الملك فوقعت في صدره آجرة وسقطت عمامته، وقتل من أهل الكرخ جماعة<sup>3</sup>.

وتتابعت التحركات العملية في عهد الخليفة القائم بأمر الله عندما أرسل كتابا إلى الملك البويهى أبي كاليجار في الأهواز، وانتدب لهذه المهمة الفقيه أبو الحسن الماوردي، لكي يهتئ به بالسلامة، وفي يوم الجمعة جرى الخوض فيما طلبوه من اللقب واقترحوا أن يكون اللقب السلطان المعظم مالك الأمم، فقال الماوردي: هذا لا يمكن لأن السلطان المعظم الخليفة، وكذلك مالك الأمم، فعدلوا إلى ملك الدولة، فقلت: هذا رما جاز، وأشرت أن يخدم الخليفة بألطف، فقالوا: يكون ذلك بعد التلقيب، فقلت: الأولى بأن يقدم ففعلوا<sup>4</sup>، لقد أنبأ هذا الموقف من قبل الماوردي حرصه الشديد على مكانة الخلافة كما قلنا، لذا لم يجز أن يتلقب أبو كاليجار البويهى بألقاب الخليفة التي لا تليق إلا به، كما بذل جهده في أن يحمل عددا من الهدايا إلى الخليفة في بغداد، قبل أن يخرج مرسومه بإقرار تلقيب أبي كاليجار بملك الدولة<sup>5</sup>. وتجدر الإشارة كذلك إلى موقف آخر يظهر استعادة الخلافة العباسية لهيبتها، يقول ابن الأثير: "...في هذه السنة انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد حتى إن بعض الجند خرجوا إلى قرية يحي، فلقيهم أكراد فأخذوا دوابهم فعادوا إلى قراح الخليفة القائم بأمر الله فنهبوا شيئا من ثمرته وقالوا للمارين فيه: أنتم عرفتم حال الأكراد ولم تعلمونا. فسمع الخليفة الحال فعظم عليه ولم يقدر جلال الدولة على أخذ أولئك الأكراد لعجزه

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص198-199.

2- المصدر نفسه، ج15، ص200-201.

3- المصدر نفسه، ج15، ص213-214.

4- المصدر نفسه، ج15، ص225-226.

5- المصدر نفسه، ج15، ص226.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

ووهنه واجتهد في تسليم الجند إلى نائب الخليفة فلم يمكنه ذلك، فتقدم الخليفة إلى القضاة بترك القضاء والامتناع عنه وإلى الشهود بترك الشهادة وإلى الفقهاء بترك الفتوى، فلما رأى جلال الدولة ذلك سأل أولئك الأجناد ليجبوه إلى أن يحملهم إلى ديوان الخلافة ففعلوا.<sup>1</sup>، يضاف إلى ذلك تدخل الخليفة القائم في إعادة جلال الدولة البويهى وإقرار أمر الجند الذين ثاروا عليه وأرادوا إخراجهم، فاضطر إلى الذهاب إلى تكريت، بعد أن هرب متخفياً، عندئذ قام الخليفة بالتوسط بينه وبين الجند، فأمر أن يرجع إلى بغداد ولبي مطالبهم.<sup>2</sup> كما كان للخليفة القائم بأمر الله دور في إبرام الصلح بين جلال الدولة وأبي كاليجار، وإنفاذ المصاهرة بين كليهما، وقد أرسل أبا الحسن الماوردي وأبا عبد الله المردي.<sup>3</sup>

ويبدو أن الخليفة القائم بأمر الله كان يسير وفق خطة راتبة، حيث أبدى مواقف حاسمة ضد تصرفات البويهيين، وأظهر امتعاضه وتذمره وعدم رضاه من كثير من الأفعال التي قام بها هؤلاء، فمثلاً جاء جلال الدولة البويهى ودخل إلى دار الخلافة مع ثلاثة من حواشيه، وبدأ يشرب النبيذ وأمر الزامر أن يزمر فزمر، فلما رأى ذلك القائم بأمر الله شق عليه وأزعجه هذا الفعل، وفي الغد استدعى المختص أبا غانم والقائد أبا الوفاء وقال لهما: قد عرفتما ما جرى أمس وأنه أمر زاد عن الحد وتناهى في القبح وقابلناه بالاحتمال والحلم، وأرسل تهديداً معهما مفاده "والآن فإما رجع معنا إلى الأولى وسلك الطريق المثلى، وإلا فارقنا هذا البلد ودبرنا أمورنا بما يجب" فذهبوا إليه وأخبراه بذلك فحضر يوم الجمعة وأشعر القائم بقدمه من أجل الاعتذار، وقد قبل القائم اعتذاره.<sup>4</sup>

وعلى الرغم من هذا التصرف غير اللائق من قبل جلال الدولة البويهى، إلا أن الخليفة قبل أن يلقب جلال الدولة بلقب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك، حيث أمر الخليفة الخطباء أن يخطبوا له بهذا اللقب، لكن العامة نفرت ورمي الخطباء بالآجر، ووقعت فتنة، حتى أرسل إلى الفقهاء في ذلك، مما يدل على أن الخليفة القائم وافق على هذا الأمر من أجل جس النبض فقط، وتعميق الصدع بين جلال الدولة وأبي كاليجار، فقد رأينا أن الفقيه الماوردي لم يجز أن يتلقب أبو كاليجار بالسلطان المعظم مالك الأمم، وهو نفسه منع من جواز ذلك، بالرغم من أنه كان مختصاً بخدمة جلال الدولة، وأوضحى بينا أن القائم وظف الفقهاء للضغط على جلال الدولة.<sup>5</sup> وفي سنة 433هـ تم قراءة الاعتقاد القادري في الديوان، ويتمثل في رسالة مطولة كتبها الخليفة العباسي القادر بالله احتوت على توحيد الله سبحانه وتعالى وإقرار العبودية له وتنزيهه عن الشرك وذكر جميع ما تواتر من أصول العقيدة الصحيحة التي جرى بها العمل منذ عصر النبوة

1- المصدر السابق، ج8، ص215.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص219.

3- المصدر نفسه، ج8، ص224.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص228-229.

5- المصدر نفسه، ج15، ص264-265.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

إلى هذا العهد، وختم هذا العهد بقوله: هذا قول أهل السنة والجماعة الذي من تمسك به كان على الحق المبين وعلى منهاج الدين والطريق المستقيم. وقد حضر العلماء كأبي علي بن عمر القزويني، الذي كتب خطه تحته قبل أن يكتب الفقهاء، وكتب الفقهاء خطوطهم فيه<sup>1</sup>.

واستمرت المواقف العملية للخليفة من جلال الدولة، عندما أخذ هذا الأخير أموال إقطاع الخليفة أو الجوالي، وعين من يتولى جبايتها، فشق ذلك على الخليفة وترددت فيه المراسلات ولم تنفع، فأظهر العزم على مفارقة البلد وتقدم بإصلاح الطيار والزبازب و روصل وجوه الأطراف والقضاة والفقهاء والشهود بالتأهب للخروج في الصحبة وتحديث بأن الخليفة قد عمل على غلق الجوامع ومنع الصلاة يوم الجمعة سابع هذا الشهر، وقد انتدب أبو الحسن الماوردي كرَسُول لحمل رسالة الخليفة إلى جلال الدولة، الذي اعترف بوجوب الطاعة للخليفة<sup>2</sup>. وهناك موقف آخر للخليفة القائم بأمر الله من السلطان البويهبي الجديد، الذي تولى العرش بعد وفاة أبيه أبي كالحجار، يقول ابن الأثير: "... فلما وصل خبر وفاته إلى بغداد و بها ولده الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز أحضر الجند واستحلفهم وراسل الخليفة القائم بأمر الله في معنى الخطبة له وتلقيبه بالملك الرحيم، وترددت الرسل بينهم في ذلك إلى أن أجيب إلى ملتسمه سوى الملك الرحيم فإنَّ الخليفة امتنع من إجابته، وقال لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى، واستقر ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة..."<sup>3</sup>. كما تدعمت سلطة الخلافة، وفرضت هيبتها على الأمراء البويهبيين المتنافسين، ففي سنة 436هـ/1044م رفض الخليفة الخروج لاستقبال الأمير البويهبي أبي كالحجار عند قدومه إلى بغداد، كما كان يفعل أسلافه الخلفاء مع أمراء بني بويه، وفي سنة 447هـ/1055م، أمر الخليفة الملك الرحيم البويهبي بإبعاد أبي الحارث البساسيري أبرز مقدمي الأمراء الأتراك في بغداد، فلم يكن أمام الأمير البويهبي من خيار إلا الانصياع لأوامر الخليفة<sup>4</sup>.

لقد عكست مواقف الممانعة التي أبدتها كل من العلماء والخليفتين العباسيين القادر بالله وابنه القائم بأمر الله اتجاه السلطنة البويهبية، طبيعة التحولات التي ستعرفها أقاليم المشرق الإسلامي، على المستوى السياسي والمذهبي، فبعد أن فقد الخلافة العباسية نفوذها وسلطانها في بداية العصر البويهبي ومنتصفه، ها هي تستعيد هيبتها وكلمتها وتبدي عددا من ردود الفعل ضد تجاوزات سلاطين بني بويه المتأخرين وتنجح في أخذ زمام المبادرة ضدهم في كثير من المواقف والفعاليات والتطورات السياسية والمذهبية كما رأينا، أما العلماء فكانوا يمثلون شريحة واسعة تضغط على تجاوزات

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، صص 279-282.

2- المصدر نفسه، ج15، ص285.

3- المصدر السابق، ج8، ص284.

4- الجالودي عبد الفتاح، المرجع السابق، ص53.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

البويهيين في كثير من المسائل السياسية، كالألقاب السلاطين البويهيين التي تجاوزت المتعارف عليه، فكان العلماء لا يجيزون هذه الألقاب، كما دعموا الخلافة العباسية في إقرار أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، أو ما يسمى بالاعتقاد القادري، وكانوا كذلك يخففون من التشنجات والتصادمات التي تحدث بين الخلفاء والبويهيين، ومع ذلك فإن علاقة العلماء بالدولة البويهية هي مرتبط القصيد في بلورة موقفهم منها، هذا الموقف الذي يحمل في طياته أشكال التعامل التي أبداهها العلماء من مختلف الأحداث التي جرت في العصر البويهي، آخذين في عين الاعتبار تطور وتباين موقفهم بحسب قوة وضعف الدولة البويهية، وكذا مدى توظيفها للورقة المذهبية، أي الانحياز للشيعية ونشر مذهبهم، وإقصاء السنة والتضييق على مذهبهم، ففي هذه أضحي موقف العلماء من الدولة البويهية، جزءاً لا يتجزأ من موقف الخلافة العباسية من البويهيين، فإذا كان بيد البويهيين نفر من العلماء الشيعة يستعملونهم لخدمة مذهبهم ونشره، فكذلك الخلافة العباسية جيشت كوكبة من علماء السنة لدعمها والدفاع عنها لمواجهة الخطر الشيعي البويهي والفاطمي. وعليه لم يثر ضعف الدولة البويهية وبداية تفككها إلى سقوطها أي اهتمام عند العلماء، كما لم يعثر لهم في هذا المجال على أي موقف أو فتوى.

**4-2- موقف العلماء من فتنة البساسيري:** كانت فتنة البساسيري أجراً محاولة قامت بها الخلافة الفاطمية، للقضاء على الخلافة العباسية قضاء مبرماً، ذلك أنَّ البساسيري نجح في تحقيق ما كانت تسعى إليه الخلافة الفاطمية منذ قيامها سنة 296هـ، ولكن هذا النجاح لم يستمر إلا سنة واحدة، ثم استعاد العباسيون خلافتهم بمساعدة السلاجقة وتم القضاء على البساسيري، وأمام تطور من هذا النوع على صعيد الصراع العباسي الفاطمي الذي أخذ أبعاداً مذهبية وسياسية، كيف كان موقف العلماء؟.

لقد جاء موقف العلماء متماهياً مع موقفهم من الدولة البويهية التي تتمذهب بالمذهب الشيعي الزيدي، والبساسيري هو أحد رجالات هذه الدولة وكان ولاؤه للفاطميين الشيعة الإسماعيليين، وبالتالي فإن ردود الفعل التي تجسد موقفهم ستجعل من وتيرته أكثر فاعلية وقدرة على التأثير في المخططات الحاسمة التي ستشهدا فتنة البساسيري. وطالما أنَّ العلماء رغبوا بالتدخل السلجوقي في بغداد كما رأينا، ومن ثم إخماء أمر الدولة البويهية من قبلهم، بعد أن قبض طغرل بك على الملك الرحيم آخر سلاطين البويهيين ونفاه إلى قلعة طبرك بالري سنة 447هـ، عندها أضحي الصراع مكشوفاً بين العباسيين والفاطميين واتضح خيوط اللعبة، ورمى كلاهما بكل ثقله، فالعباسيون استعملوا ورقة السلاجقة والفاطيون استخدموا رجلهم البساسيري ومعه دعاة الذين بثوهم في العراق والمشرق لاستمالة العامة وأمراء الأقاليم في العراق والجزيرة الفراتية وخراسان. وأمام هذا التحول صار لزاماً على العلماء العمل على الوقوف في وجه التمدد الفاطمي بكل ما يملكونه من رصيد علمي يستخدمونه في سبيل ذلك، وعليه كانت البداية عندما قام الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة 444هـ بالطعن في نسب الفاطميين "وفيها

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

عمل محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلويين أصحاب مصر وأنهم كاذبون في إدعائهم النسب إلى علي عليه السلام وعزوهم فيه إلى الديصانية من المجوس والقداحية من اليهود وكتب فيه العلويون والعباسيون والفقهاء والقضاة والشهود وعمل به عدة نسخ وسير في البلاد وشيع بين الحاضر والباد...<sup>1</sup> لقد وقف العلماء والفقهاء مع الخليفة في قضية نسب الفاطميين، لا لشيء إلا لإدراكهم خطر الفاطميين على الخلافة العباسية والمذهب السني، وعلى أية حال فإن سكوت البويهيين على هذه الخطوة الاستباقية ما هو إلا إقرار منهم بالتهديد الذي يواجههم في حالة الاعتراض، باستدعاء الخليفة للسلاجقة إلى بغداد، فغضوا الطرف عن هذه الحادثة، ولكن البساسيري لن يقف موقف المتفرج من التقارب بين الخلافة العباسية والسلاجقة، وسيحاول البحث عن المبررات من أجل الضغط على الخليفة لإبعاد هؤلاء الذين إن تمكنوا من دخول بغداد فإنه سيفقد مكاسبه التي كان يتمتع بها وسيدافع عن مكانته هذه بكل ما أوتي من قوة.<sup>2</sup>

كان اختيار الخليفة القائم بأمر الله لأحد العلماء وهو علي بن المسلمة لمنصب الوزارة، دور كبير في الوقوف في وجه البساسيري، ذلك أن تولي ابن المسلمة لأعلى منصب في الدولة العباسية؛ وخصوصاً أنه كان أحد العلماء الذين يتقنون عدداً من العلوم الشرعية<sup>3</sup>، يقول عنه الذهبي: "اجتمع فيه من الآلات ما لم يجتمع في أحد من قبله مع سداد مذهب و وفور عقل وأصالة رأي..."<sup>4</sup>، كما اعتبر أنه من خيار الوزراء العادلين<sup>5</sup>؛ جعل علماء السنة يبلغون إلى مواقع النفوذ، وتصير بأيديهم الوزارة وقضاء القضاة، وقد رأينا ما قام به الماوردي، وأتى الدور على ابن المسلمة الذي لقبه الخليفة برئيس الرؤساء وخلع عليه وقرئ توقيع بما لقب به من جمال الوري شرف الوزراء<sup>6</sup>، ووضع فيه كل ثقته لغرض التخطيط لمستقبل الخلافة في ظل قوة فتية أصبحت قاب قوسين من بغداد، والتدبير كذلك للإجهاز على الدولة البويهية<sup>7</sup>، لذا يرى أحد الباحثين أن ابن المسلمة لم يكن إلا أداة استخدمها القائم بأمر الله في تحقيق هذه الأهداف، كما سيكون هو واجهة الصراع بين الخليفة والبساسيري<sup>8</sup>.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص310.

2- المدخلي، المرجع السابق، ص176-177.

3- المدخلي، المرجع السابق، ص177.

4- تاريخ الإسلام...، المصدر السابق، مج09، ص750.

5- سير أعلام النبلاء، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج18، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1405هـ/1984، ص216.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص344.

7- المدخلي، المرجع السابق، ص176.

8- المرجع نفسه، ص177.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وفي السياق ذاته ابتدأ الصراع بين الخليفة والبساسيري بسبب قدوم أبي الغنائم وأبي سعد ابني المخلبان صاحبي قريش بن بدران سرا إلى بغداد، فأزعج ذلك البساسيري وقال هؤلاء وصاحبهم كبسوا حبل أصحابي ونهبوا وفتحوا البشوق وأسرفوا في إهلاك الناس، ثم حاول البساسيري القبض عليهما فلم يستطع<sup>1</sup>، عندها ذهب إلى حربي وعاد ولم يقصد دار الخلافة كعادته، ثم أمسك سفينة لبعض أقارب ابن المسلمة وطالب بالضريبة التي عليها، كما أسقط مشاهرات<sup>2</sup> الخليفة والوزير من دار الضرب وجواشي الدار وأراد هدم دور بني المخلبان لكنه لم يقدر على ذلك، عندئذ صرح أنه يشكو من رئيس الرؤساء الذي خرب البلاد وأطمع الغز وكتبهم<sup>3</sup>. ولعل البساسيري لم يستطع اتهام الخليفة مباشرة بهذا الاتهام فاتهم وزيره بذلك<sup>4</sup>، ولكن البساسيري استغل ذهاب أبي الغنائم بن المخلبان إلى الأنبار، فسار إليها وفي الطريق أحرق ناحيتي دما والفلوجة وحاصر الأنبار بمساعدة نور الدولة ديبس، حيث ضربها بالمجانيق ورماها بالنفط، حتى تمكن من دخولها، حيث أسر 100 من بني خفاجة، وأسّر أيضا أبا الغنائم، ونهب الأنبار وأسّر كذلك 500 رجل، ثم عاد إلى بغداد ومعه أبو الغنائم<sup>5</sup>. ولا غرو أن ابن المسلمة بدأ يعمل على إحداث صدع بين أتباع البساسيري من الجند الأتراك، كما أنه استعدى عليه طائفة لها ثقلها في المجتمع البغدادي ولها أيضا مكانتها عند الخليفة القائم بأمر الله وأعني بها طائفة الفقهاء الذين قاموا بتحريك في ربيع الثاني سنة 447هـ/يونيو 1055م هدفه إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحصلوا على الإذن من ديوان الخليفة لإقامة هذه الشعيرة<sup>6</sup>، وخاصة عندما "...وصل زورق فيه شراب للبساسيري في ربيع الآخر إلى مشرعة باب الأزج فنزل إليه ابن سكرة الهاشمي وجماعة من أصحاب عبد الصمد فكسروه..."<sup>7</sup>، في حين أن ابن الأثير يضيف كلاما أكثر تفصيلا بقوله: "...ثم إن أبا سعد النصراني صاحب البساسيري حمل في سفينة ستمائة جرة خمرا ليحدرها إلى البساسيري بواسطة في ربيع الآخر، فحضر ابن سكرة الهاشمي وغيره من الأعيان في هذا الباب، وتبعهم خلق كثير وحاجب باب المراتب من قبل الديوان وقصدوا السفينة، وكسروا جرار الخمر وأراقوه، وبلغ ذلك البساسيري فعظم عليه ونسبه إلى رئيس الرؤساء

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص317-318.

2- المشاهرات: جمع مشاهرة وتعني المعاملة شهرا بشهر، وهذا يعني دفع الأرزاق أو الأعطيات أو تقدير النفقات أو جباية الأتاوات شهرا بشهر، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص432.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص318.

4- المدخلي، المرجع السابق، ص179.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص318.

6- المصدر نفسه، ج8، ص321، المدخلي، المرجع السابق، ص180.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص347.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وتجددت الوحشة<sup>1</sup>، ويبدو أنَّ عثور العلماء على هذه الكمية من الخمر لم يكن مصادفة وإنما بتتبع ومراقبة ابن المسلمة لكل ما يخص البساسيري<sup>2</sup>.

لقد وضعت هذه الحادثة البساسيري في موقف محرج وقللت من اعتباره في نظر الجميع، وعلى رأسهم الخليفة، لذا سعى إلى تلافي هذا الأمر "...فكتب فتاوى أخذ فيها خطوط الفقهاء الحنفية بأنَّ الذي فعل من كسر الجرار وإراقة الخمر تعد غير واجب، وهي ملك رجل نصراني لا يجوز وتردد القول في هذا المعنى..."<sup>3</sup>. وخصوصاً أنه أنه لما وقعت بين الحنابلة والأشاعرة فتنة عظيمة حتى تأخر الأشاعرة عن الجمعات خوفاً من الحنابلة، تم إحضار البساسيري قبل وقوع الفتنة إلى الديوان الخلفي، حيث أقسم على إخلاص الطاعة، بالإضافة إلى ذلك قام بمنع وتأخير رواتب الجند الأتراك وتمردوا عليه<sup>4</sup>. والواقع أنَّ هذه التصرفات من قبل البساسيري قد منحت الفرصة لابن المسلمة لكي يطلق لسانه فيه ويذكر قبح أفعاله، كما اتهمه بمراسلة الخليفة الفاطمي وخلع بيعة الخليفة القائم بأمر الله، وطلب من الخليفة التخلص منه ولكنه قال ليس الآن إهلاكه<sup>5</sup>. وطلب من الملك الرحيم البويهري إبعاده بملزم العهد والمواثيق التي بينهما فأثر الخروج من بغداد والنأي بنفسه ومن معه، منتظراً الفرصة السانحة للعودة إليها، وسعى للحصول على دعم الخليفة الفاطمي وقرر دخولها بعد أن غادرها السلطان طغرل بك، وإقامة الخطبة للمستنصر الفاطمي وعزل القائم بأمر الله، ثم حاصر دار الخلافة التي دافع عنها ابن المسلمة ومن معه حتى قبض عليه، وتم قتله على يد البساسيري، وكان آخر كلامه أن قال: الحمد لله الذي أحياني سعيداً وأماتني شهيداً<sup>6</sup>. والحق أنَّ ابن المسلمة دفع حياته ثمناً في سبيل وقوفه ضد البساسيري والتمدد الفاطمي الشيعي إلى العراق، وقد ثبت أنه كان على حق في موقفه من البساسيري، وبعد نظره وفراسته، ولو أنَّ الخليفة استجاب وقضى على البساسيري، ما وصلت الأمور إلى هذا الحد، أما البساسيري الذي قتل ابن المسلمة وأجبر الخليفة عن التنازل عن الخلافة نهائياً للفاطمين، فقد كان يضمّر المذهب الشيعي ويوالي الفاطميين، ولم يكن صراعه مع ابن المسلمة لاستعادة مكانته فحسب، بل كان يبيت السيطرة على الخلافة العباسية بأكملها، إذ لم يكفه دخول بغداد بل عمل على القضاء على المذهب السني، إذ "...تلقاه أهل الكرخ، فوقفوا في وجه فرسه وتضرعوا إليه أن يجتاز عندهم، فدخل الكرخ.... ونهب أكثر باب البصرة بأيدي أهل الكرخ تشفياً

1- المصدر السابق، ج8، ص321.

2- المدخلي، المرجع السابق، ص180.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص321.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص347.

5- المصدر نفسه، ج15، الصفحة نفسها.

6- ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص756-757.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لأجل المذهب...<sup>1</sup>، وعلى كل فإنَّ موقف العلماء من فتنة البساسيري، كان جادا كل الجدا، حيث بذل ابن المسلمة قصارى جهده في سبيل الوقوف في وجهه، وكلفه ذلك فقدان حياته، وقد عكس هذا الأمر طبيعة الموقف العام الذي أبداه العلماء من الفاطميين ومذهبهم<sup>2</sup>، لذا لم يختلف رد فعلهم عند قتل البساسيري عن رد فعلهم عند سقوط الدولة البويهية، بل عدوا القضاء على البساسيري بداية الطريق للقضاء على المذهب الشيعي الباطني.

**4-3- موقف العلماء من دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ:** شكل دخول السلطان السلجوقي طغرل بك مع جيشه إلى بغداد سنة 447هـ، أكبر نجاح للعباسيين والسلاجقة، فقد رمى كلاهما بكل ثقله لإنجاح هذه الخطوة، التي جاءت متماهية مع تطور المشروع السلجوقي الوحدوي، وعلى ضوء ذلك انبرى العلماء لهندسة عدد من المواقف التي كانت مصاوبة للموقف العام الذي أبدوه من دخول السلاجقة إلى بغداد، وأضحى لزاما عليهم العمل على أكثر من صعيد وجبهة لإتمام عملية بهذا الحجم الكبير التي ستغير وضع المنطقة جذريا.

لقد كان وصول السلاجقة إلى بغداد مخططا له من قبل العلماء، الذين وقفوا إلى جانب الخليفة القائم بأمر الله ودعموه ووافقوا على استدعائه للسلطان السلجوقي طغرل بك، لكي ينقذ الخلافة العباسية والمذهب السني من تعاضم سطوة البساسيري والمذهب الشيعي.

أشار ابن العمري إلى دور الوزير رئيس الرؤساء ابن المسلمة في مراسلة السلاجقة، وحثهم على دخول بغداد، بسبب تطور المنافسة بينه وبين البساسيري<sup>3</sup>. وقبل استقصائنا للتطورات التي شهدتها موقف العلماء بكل حيثياته وتفصيله، قام الخليفة بجس نبض السلاجقة عندما أرسل قاضي القضاة أبو الحسن الماوري برسالة لطغرل بك تتضمن تقبيح ما فعل في البلاد ويأمره بالإحسان إلى الرعية، فمضى الماوري وخرج طغرل بك فتلقيه على أربعة فراسخ إجلالا لرسالة الخليفة<sup>4</sup>، وعاد الماوري سنة ست وثلاثين وأخبر عن طاعة طغرل بك للخليفة وتعظيمه لأوامره ووقوفه عنده<sup>5</sup>، خاصة عنده<sup>5</sup>، خاصة بعد أن اطلع السلطان طغرل بك على محتوى الرسالة وقام بختمه وكتمان ما جاء فيه، وبقي على احترامه احترامه وإكرامه المعهود بهما اتجاه الماوري، تأكيدا منه على أنَّ مكانة العلماء وموقف السلاطين منهم محفوظ وعلى عهدهم لهم من خلال الاحترام والتقدير الكبيرين اللذين كانا يحظيان بهما علماء عصرهم، وهو ما ساعد السلاجقة

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 32.

2- لمزيد من التفصيل حول المذهب الباطني، ينظر: الصلابي، دولة السلاجقة...، المرجع السابق، ص 50-52.

3- ابن العمري، ص 188.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 15، ص 289.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 266.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

على كسب شريك قوي في دعم مشروع دولتهم العلمي والفكري بالمشرق<sup>1</sup>. ثم استمر تفاعل العلماء مع اقتراب وصول طغرل بك إلى بغداد، ذلك أن ابن المسلمة يعتبر المهندس الحقيقي للتمدد السلجوقي نحو العراق مركز الخلافة العباسية، فقد هيا الوضع لإنجاح هذا المشروع بإخفاء أمر البساسيري أولاً وجعل الخليفة يستدعي طغرل بك إليه... ثم خرج رئيس الرؤساء لتلقي السلطان معه الموكب فلقبه حاجب السلطان في جماعة من الترك ومعه شهري فقدمه إليه وقال. هذا الفرس من مراكب السلطان الخاصة وقد رسم ركوبك أيام فنزل عن بغلته وركبه وجاء بعده عميد الدولة أبو نصر الكندري وزير السلطان فاستقبله ورام أن يترجل له فمنعه وتعانقا على ظهور دوابهما وتمما إلى النهروان ولقي السلطان فذكر له ما يصلح ذكره عن الخليفة فشكر وأوماً إلى تقبيل الأرض...<sup>2</sup>. لقد أشرف ابن المسلمة بنفسه على إبرام الاتفاق مع السلطان السلجوقي طغرل بك، وواصل دوره التفاوضي في إبداء رغبة الخليفة للإبقاء على الملك الرحيم البويهى، بقوله: "إن الله تعالى أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها وابتغ فيما آتاك الله الآخرة وسأله في الملك الرحيم أن يجريه مجرى أولاده فأعطاه يده..."<sup>3</sup>.

**4-4- أثر العلماء في استكمال المشروع السلجوقي الوحدوي:** أضحى العلماء من أهم الفاعلين المؤثرين في استكمال المشروع السلجوقي الوحدوي، وذلك انطلاقاً مما قاموا به عبر محطات مهمة، كالتخفيف من الضغط البويهى على الخلافة العباسية وإعادة الاعتبار لها ودعمها، والمساهمة في تطوير المذهب الشيعي بفرقيته الزيدية والإسماعيلية، كما أنهم عملوا على إزالة نفوذ البساسيري من بغداد، ودعم توجه الخلافة العباسية في طلب الإعانة من السلاجقة، ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فالمشروع السلجوقي لا يزال مستمرا ولم تنجز بقية محطاته، وعلى ضوء ذلك سيتواصل تفاعلهم مع هذا المشروع، ويضعون بصمتهم ويتركون أثرهم بمجموعة من المواقف وردود الفعل وأشكال الرؤى وإبداء الآراء وإسداء التوجهات، على قدر استطاعتهم.

لقد عمل العلماء على توثيق الصلة بين الخلافة العباسية والسلاجقة، عن طريق المصاهرة، حيث تزوج الخليفة القائم بأمر الله العباسي بابنة داود بك أخو السلطان طغرل بك في سنة 448هـ، وقد ذكر ذلك ابن الجوزي بقوله: "...وفي يوم الخميس لثمان بقين من المحرم: عقد الخليفة القائم بأمر الله على خديجة بنت أخي السلطان طغرل بك، على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وحضر قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغانى، وأقضى القضاة أبو الحسن

1- قنفيي عبد الرزاق، علاقة علماء العصر السلجوقي بسلاطين ووزراء عصرهم ودورها في دعم ازدهار الحركة الفكرية والعلمية بالمشرق الإسلامي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 20، أبريل 2018م، جامعة الوادي، ص 286.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 15، ص 348-349.

3- المصدر نفسه، ج 15، ص 349.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الماوردي، ورئيس الرؤساء أبو القاسم ابن المسلمة، وهو الذي خطب، ثم قال: إن رأي سيدنا ومولانا أمير المؤمنين أن ينعم بالقبول فعل. فقال: قد قبلنا هذا النكاح بهذا الصداق. فلما دخل شهر شعبان مضي ابن المسلمة إلى السلطان، وقال له أمير المؤمنين: يقول لك إنَّ الله تعالى ﴿يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ

**أَهْلِهَا**﴾ (سورة النساء: الآية 58)، وقد أذن في نقل الوديعة الكريمة إلى العزيزة فقال: السمع والطاعة...<sup>1</sup>، يثبت هذا الكلام إشراف كل من أبي الحسن الماوردي وابن المسلمة وأبي عبد الله الدامغاني، بالإضافة إلى نقيب النقباء أبو علي بن أبي تمام وعدنان بن الشريف الرضي ونقيب العلويين علي حد رواية ابن الأثير<sup>2</sup>، على مراسيم زواج الخليفة القائم بأمر الله بآبنة أخي السلطان طغرل بك وإتمامها.

كما واصل العلماء في عملية ترسيخ المذهب السني واستئصال المذهب الشيعي الباطني، فقد أمر ابن المسلمة بنصب الأعلام السود شعار العباسيين في منطقة الكرخ الشيعية، رغم انزعاج أهلها، كما بالغ في إيذائهم<sup>3</sup>، وفي السياق ذاته تم إقامة الآذان في المشهد بمقابر قریش، ومشهد العتيقة، ومساجد الكرخ "بالصلاة خير من النوم"، وأزيل ما كانوا يستعملونه في الآذان "حي على خير العمل" وقلع جميع ما كان على أبواب الدور والدروب من "محمد وعلي خير البشر"، يضاف إلى ذلك إنشاد الأشعار في مدح الصحابة في الكرخ من قبل منشدي أهل السنة، وبالموازاة أمر ابن المسلمة ابن النسوي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل وصلب على باب دكانه، وهرب أبو جعفر الطوسي، ونُحِت داره<sup>4</sup>. ولما دخل البساسيري إلى بغداد نُحِت دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني، هذا الأخير الذي يعد أحد العلماء الذين أظهروا ولاءهم التام للسلاجقة سنة 450هـ/1058م ودعمهم للسلطان السلجوقي طغرل بك، مما عرضه للسجن نتيجة هذا الموقف<sup>5</sup>، "...ثم أفرج عن قاضي القضاة الدامغاني بعد أن قرر عليه ثلاثة آلاف دينار، فصَح منها سبعمائة، وأمسك البساسيري عن مطالبة الباقي..."<sup>6</sup>، ويبدو أنه أعفي من التزامه المادي نتيجة قبوله وقبول بعض الوجهاء أخذ البيعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ومع ذلك عندما عاد طغرل بك إلى بغداد، لم يتردد أبو عبد الله في الخروج لملاقاته والترحيب به. وبالفعل

1- المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص4-05.

2- المصدر السابق، ج8، ص327.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص06.

4- المصدر نفسه، ج16، ص7-08.

5- نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص38، قنيقي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص285.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص38.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

كان أبو عبد الله الشخصية المهمة الوحيدة التي رحبت بالسلطان السلجوقي العائد وكان بصحبة أبي عبد الله ثلاثة شهود. وما كان هذا الموقف إلا ليثبت ثقة طغرل بك الكاملة بأبي عبد الله<sup>1</sup>.

والجدير بالذكر أنَّ السلطان طغرل بك لما قضى على تمرد أخيه إبراهيم ينال، عمل جاهدا على استعادة بغداد وإنقاذ الخليفة القائم بأمر الله والقضاء نهائيا على البساسيري، فكتب كتابا إلى قريش بن بدران ذكره ابن الجوزي<sup>2</sup>، يطلب منه إرسال الخليفة إليه وأن يشرف على حمايته وصون شخصه الكريم العالي، واختار لهذه الغاية أحد العلماء وهو الأستاذ العالم أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب فورك ليشراف على خدمة الخليفة وينظر في أحواله، كما أرسل معه معتمد الدولة أبا الوفاء زيرك، بمهدية مكونة من أربعين ثوبا، وعشرة دسوت ثياب مخيطة، وخمسة آلاف دينار، وخمسة دسوت مخيطة من جهة خاتون زوجة القائم<sup>3</sup>. لقد التقى ابن فورك بالخليفة القائم بأمر الله في قلعة تل عكبرا، وسلم إليه الأشياء التي أرسلها طغرل بك، ثم أرسل إليه يخبره فيها بالوضع ويطلب منه إرسال سرادق كبير، وخيم وفروش، وتزامنت هذه الرسالة مع وصول طغرل بك إلى بغداد ففرح لذلك، وقام بتوفير الحاجات المطلوبة وبعث مع وزيره عميد الملك وثلاثمائة من الأمراء والحجاب، وكان في استقبالهم ابن فورك الذي شرح ما حدث لعميد الملك، ثم أشرف بنفسه على تهيئة إقامة للخليفة، كما شارك في إيصال الخليفة إلى بغداد<sup>4</sup>.

إنَّ إقبال العلماء على تنفيذ المهام الجسام، كما فعل ابن فورك يعكس استعدادهم الكامل لتعريض أنفسهم للخطر من أجل صالح الأمة، حكاما ومحكومين، ويبرز لنا مدى ثقة السلطان طغرل بك في العلماء، لذا انتدب ابن فورك للقيام بأخطر مهمة، ألا وهي حماية الخليفة وخدمته والنظر في أموره كلها، وتهيئة الجو لأخذه لبغداد بالتنسيق مع السلطان طغرل بك، وفي النهاية نفذ المهمة على أحسن وجه ولم يخيب ثقة السلطان فيه.

ويتواصل تفاعل العلماء مع هذا المعطى، أي وضع الخليفة القائم بأمر الله وإتمام أمر عودته إلى بغداد ظافرا منتصرا، فكان أبو عبد الله الدامغاني من العلماء الذين استقبلوا الخليفة، وفي ذلك يقول ابن الأثير: "...ولم يبق ببغداد من أعيانها من يستقبل الخليفة غير القاضي أبي عبد الله الدامغاني وثلاثة نفر من الشهود وتقدم السلطان"<sup>5</sup>. وتجدر الإشارة أيضا إلى أنَّ العلماء لعبوا دور الوسيط بين الخليفة القائم بأمر الله والسلطان طغرل بك في

1- سعادة صفية، من تاريخ بغداد الاجتماعي (تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية)، ط1، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م، ص110-111.

2- حول رسالة طغرل بك لقريش بن بدران، ينظر: المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص46-47.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص47.

4- المصدر نفسه، ج16، ص49-50.

5- المصدر السابق، ج8، ص346.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

في مسألة زواجه بابنة الخليفة، وصاروا ملجأ لكلا الطرفين، ويحسن بنا تسليط الضوء على هذه الأزمة التي كادت تعصف بالمشروع السلجوقي الوحدوي برمته.

لقد أرسل السلطان طغرل بك قاضي الري أبو سعد بن صاعد في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وهو أحد العلماء لخطبة ابنة الخليفة، فثقل الأمر على الخليفة وانزعج منه، فأخذ ابن صاعد يتكلم في بيت النبوة بكلام يشبه التهديد إن لم تقع الإجابة<sup>1</sup>، ويبدو أن التهديد الذي أظهره قاضي الري هو الذي جعل الخليفة القائم بأمر الله يبدو مترددا بشأن إجابة السلطان طغرل بك إلى طلبه<sup>2</sup>، وأراد إحراج السلطان لكي يعدل عن طلبه هذا فاشترط عليه، تسليم واسط وجميع ما كان لختون من الأملاك والإقطاع والرسوم في سائر الأصقاع وثلاثمائة ألف دينار عينا منسوبة إلى المهر، وأن يرد السلطان إلى بغداد يكون مقامه فيها، ولا يحدث نفسه بالرحيل عنها<sup>3</sup>، وقد وافق عميد العراق أبو الفتح المظفر بن الحسين نيابة عن السلطان على شروط الخليفة المالية، أما ما يتعلق ببقائه في بغداد فلا بد من أخذ رأي السلطان فيه<sup>4</sup>. وعليه فقد اختار الخليفة أحد علماء الحنابلة وهو أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي لإرساله إلى السلطان طغرل بك، بغرض إبداء رغبة الخليفة بعدم قبول خطبة السلطان لابنته، كما أرسل كذلك نقيب الهاشميين طراد بن محمد الزيني لأجل ذلك، يضاف إلى هذا أن الخليفة قام بحس نبض السلطان بإرسال أبي غانم صاحب قریش بن بدران في معنى قریش وإظهار الرضا عنه، والتقدم برد أعماله المأخوذة منه، وكان قد بذل للخليفة عند تمام ذلك عشرة آلاف دينار، وحلف له الخليفة على صفاء النية، وخلوص السريرة، والتجاوز عما مضى<sup>5</sup>.

ولما أخذ الخليفة في حسبان عدم قبول السلطان برفضه، طلب من التميمي والزيني طرح تلك الشروط للإجابة عليها، كما أوصاهما بأن يستعينا بعميد الملك الكندري وزير السلطان طغرل بك في هذه المسائل، وأن ترجع الأمور إلى نظره، ظنا منه أن عميد الملك سيحسن التصرف، غير أن هذا الأخير أخذ يفند على الخليفة طلبه وشروطه<sup>6</sup>، يقول ابن الجوزي: "...فاجتمع أبو محمد التميمي بعميد الملك وفاوضه في ذلك الأمر وعرض عليه التذكرة، فقال له: هذه الرسالة والتذكرة لا يحسن عرضها، فإن الامتناع لا يحسن في جواب الضراعة ولا المطالبة بالأموال في مقابلة الرغبة في التجمل، ومتى طرق هذا سمع السلطان، حتى يعلم أن الرغبة في الشيء لا فيه، والإيثار للمال لا له تغيرت نيته، وهو يفعل في جواب الإجابة أكثر مما يطلب منه. فقال له أبو محمد الأمر إليك، ومهما رأيت

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 65.

2- المدخلي، المرجع السابق، ص 444.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 65.

4- المدخلي، المرجع السابق، ص 445.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 66.

6- المدخلي، المرجع السابق، ص 445-446.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

فافعل...<sup>1</sup>، كما أنَّ عميد الملك استغل إرجاع الأمر إليه في هذا الشأن واجتمع بالسلطان وأخبره بموافقة الخليفة على تزويجه من ابنته، وسر السلطان بهذا الخبر سرورا عظيما جمع من أجله كبار رجال دولته وخطب فيهم عميد الملك<sup>2</sup>، "أنَّ السلطان يذكر نعمة الله عنده وبلوغه ما لم يبلغه أحد من قبله بسبب هذه الوصلة بأمير المؤمنين..."<sup>3</sup>، يضاف إلى ذلك فإنَّ السلطان أراد التأكد من صدق قول الرسل الذين بعثهم الخليفة، فطلب من عميد الملك الكندري بأن يأخذ ورقة رسمية من أبي محمد التميمي على تلك الموافقة<sup>4</sup>، "...فكتب خطه بمقتضى الرسالة والتذكرة، فشق ذلك على عميد الملك..."<sup>5</sup>، وعلى ضوء ذلك أمر السلطان طغرل بك عميد الملك بالسير بالسير إلى بغداد ومعه زوجة الخليفة لاستكمال أمر الزواج، بالرغم من المخاوف التي أبدتها عميد الملك، والإحراج الذي يمكن أن يقعوا فيه إذا لم يتم الخليفة أمرهم<sup>6</sup>، وبالفعل حدث ما تخوف منه عميد الملك، فقد "بان للخليفة أنَّ الشروط التي شرطها مع أبي محمد التميمي والاقتراحات لم يكن عنها جواب محرر، والمهر إنما حمل منه مائة ألف مثقال، وقبح الخليفة الأمر من كل جهة، وقيل إنه تشع فيه ما لا خفاء به، إذ كان ما لم تجر به عادة أحد من الملوك بأحد من الخلفاء مثله، فامتنع من العقد وقال: إن أعفيت، وإلا خرجت من البلد..."<sup>7</sup>، الأمر الذي جعل عميد الملك يبدي امتعاضه، وتلفظ بكلام قبيح، واعتبر أنَّ هذا الأمر كان ينبغي ألا يتم من البداية، وحتى دون شروط واقتراحات، وبلغ به الغضب إلى حد الخروج وإقامة نوبه بالنهروان، عندها تدخل قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني وأبو منصور بن يوسف وسألاه التوقف، كما كاتبوا الخليفة وأرهباه وساقا الأمر إلى العقد، واشترطا أن يشهد عميد الملك وقاضي الري بحكم وكالتهما في هذا الأمر على نفسيهما أنهما لا يطالبان بالجهة المطلوبة مدة أربع سنين، واستفتى الخليفة الفقهاء في هذه المسألة، فقال الحنفيون: العقد يصح والشرط يلغى، وقال الشافعيون: العقد يبطل إذا دخله شرط<sup>8</sup>.

التقى عميد الملك بالخليفة ليلة الجمعة ثامن جمادى الآخرة فوعظه ونهاه عما قد لج فيه، ورد عليه الخليفة، أنه ينبغي إحضار جماعة ممن جاؤوا بصحبته، ويكون هو المدبر ورأيه هو الصواب، ثم أضاف قائلا: فيظهر جلوسنا وإجابتنا

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 66.

2- المدخلي، المرجع السابق، ص 446.

3- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 78، ص 78.

4- المدخلي، المرجع السابق، ص 446.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 66.

6- المدخلي، المرجع السابق، ص 446.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 67.

8- المصدر نفسه، ج 16، الصفحة نفسها.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

للخاص والعام، وتكفيها أنت بحسن نياتك في هذا الأمر في الباطن، ففيه الغضاضة والوهن، ولم تجر لبني العباس بمثله عادة من قبل<sup>1</sup>. لذا حضر عميد الملك يوما عند الخليفة ومعه جماعة من الأمراء والحجاب والقضاة والشهود فأخذ المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه، وقال للخليفة: أسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه، ليعرفه الجماعة فغالطه، وقال قد سطر في المعنى ما فيه كفاية، فانصرف عميد الملك مغیظا ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة وأخذ المال معه إلى همدان<sup>2</sup>. وعندئذ كتب السلطان السلجوقي طغرل بك برسالة إلى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور يوسف، يظهر فيها عدم رضاه من رد الخليفة ومذكرا بما قام به من نصرة الخليفة وخدمته، وما فعله لأجله من قتل لأخيه وإنفاق للأموال وإهلاك خاصته، وأطال في عتابه، مما جعلهما يرسلان رسالة يعتذران فيها عما جرى، ولم يكتف بهذا بل طلب طغرل بك ابنة أخيه زوجة الخليفة لتعاد إليه وجرى ما كاد يفضي إلى الفساد الكلي<sup>3</sup>. وهنا تدخل القاضي الدماغاني والأعيان لدى الخليفة باستدراك الأمر<sup>4</sup>، "وإلا بعد المرام واتسع الخرق"<sup>5</sup>، لقد لعب أبو عبد الله الدماغاني دورا مهما في تغيير موقف الخليفة وإقناعه بتزويج السلطان، مؤكدا له أن السلطان طغرل بك فور سماعه بهذا الرفض سيقوم باحتياح بغداد وأخذها عنوة، ويبدو أن هذا الحوار كان كافيا لإقناع الخليفة<sup>6</sup>.

أثبت العلماء حضورهم مرة أخرى وتفاعلهم مع التطورات التي شهدتها العلاقة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، من خلال زواج طغرل بك بابنة الخليفة القائم بأمر الله، وما انجر عن ذلك من اختلال في العلاقة بسبب رفض الخليفة وتصلب موقف السلطان، فكان تدخل العلماء فعلا لحل هذه المسألة المستعصية، فمرة تدخلوا كرسل تم إرسالهم من قبل كلا الطرفين لإبرام أمر الزواج، وتارة كانوا هم الوكلاء والمدبرين والنواب عن الخليفة والسلطان، وأخرى ناصحين واعظين ساعين للإبقاء على الوحدة وعدم توتر العلاقة بين أمير المؤمنين والسلطان السلجوقي، وفي الأخير تم عقد الزواج بين طغرل بك وابنة الخليفة في شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بظاهر تبريز.

توفي السلطان طغرل بك سنة 455هـ دون استكمال مشروعه، الذي سعى من خلال للتمدد والتوسع إلى أقصى نقطة ممكنة، ألا وهي مصر وبذلك يقضي على خلافة الفاطميين، بعد أن وحد بلاد ما وراء النهر وخراسان وللعراق وفتح أرمينية وأذربيجان وأنقذ الخلافة العباسية من السقوط المحتم، ولئن كان طغرل بك قد أدركه الأجل، فإن خلفه

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 67-68.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 358.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 358.

4- المدخلي، المرجع السابق، ص 448.

5- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 88.

6- نادية بنت عبد الصمد مقلية، المرجع السابق، ص 39.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

السلطان ألب أرسلان سيضطلع بمهمة إتمام مشروعه الكبير، وعلى ضوء ذلك سيشهد المشروع السلجوقي محطات أخرى كما رأينا في الصفحات السابقة، وسنرى كيف تفاعل العلماء مع السلطان الجديد مع التطورات الجديدة التي سيعرفها عهده.

لقد شارك العلماء في إتمام تنصيب السلطان ألب أرسلان على عرش السلطنة وذلك بإنفاذ الخلع، بحيث "...لما وقع الفراغ من الخلع سأل العميد الخليفة الجلوس العام والمشافهة بتقليد ألب أرسلان وتسليم الخلع إلى الرسول بمشهد من الخاص والعام، فجلس يوم الخميس في دار الخلافة في البيت المتصل بالتاج المشرف على دجلة، واستدعى الوزير والقاضي والعميد، وسلم إليهم الخلع والعهد على ما جرت به العادة، وشافههم بأنه قد فوض الأمور إلى عضد الدولة، وجهز معهم الكامل نقيب العباسيين وأبا محمد التميمي وموفق الخادم الخاص، وخرجوا بذلك..."<sup>1</sup>، بالإضافة إلى ذلك فإن السلطان ألب أرسلان حاول ملمة ما تضعضع من وشائج العلاقة بين الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية في عهد طغرل بك، لذا أرسل إلى السيدة ابنة الخليفة في الحال بالإذن لها في المسير إلى بغداد، وأنفذ إليها خمسة آلاف دينار من أجل نفقتها، وقد وصلت إلى بغداد عشية يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، واجتمع العوام لمشاهدة دخولها فدخلت ليلاً، وكان في صحبتها القاضي أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن، كما أنفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير في الصحبة، وهو من رؤساء أصحاب الشافعي بنيسابور ولكنه توفي بالموذقان<sup>2</sup>. ومرة أخرى أرسل الخليفة القائم بأمر الله في الرابع من ذي القعدة 458هـ رسولا إلى السلطان يهنئه بسلامته ومعه خلع للسلطان، وسار معه العالم أبو محمد التميمي الحنبلي<sup>3</sup>.

كان السلطان ألب أرسلان يطمح في السلطنة منذ البداية وذلك لما تتوفر فيه من المؤهلات الذاتية التي تجعله قادراً على إدارة السلطنة، كقوة الشخصية وتفوقه على غيره من إخوته، وذلك بالتعاون مع وزيره نظام الملك في إدارة دفة النزاع، فكان ذا شخصية غاية في الحنكة وحسن التدبير<sup>4</sup>. والحق أن الوزير نظام الملك الطوسي لعد دوراً محورياً في استكمال المشروع السلجوقي في عهدي السلطانين ألب أرسلان وملكشاه، لذا يعزى نجاح السلاجقة في بناء دولة مركزية واسعة إليه<sup>5</sup>، فقد كان وزير صدق يكرم العلماء والفقراء، وساهم في تثبيت موقف السلطان ألب أرسلان في صراعه مع شهاب الدولة قتلمش، حيث قال للسلطان: أيها الملك لا تخف، فإني قد استمدت لك جنداً ما بارزوا

1- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 19، ص 164.

2- المصدر نفسه، ج 19، ص 162.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 97.

4- علي حسن غضبان، السلطان ألب أرسلان (455هـ-465هـ/1063م-1072م) ومهارته في القضاء على المشكلات الداخلية، مجلة

الأستاذ، العدد 222، المجلد الأول لسنة 2017م-1438م، ص 273.

5- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص 54.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

عسكراً إلا كسروه، كائناً ما كان. قال له الملك: من هم؟ قال: جند يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم، وهم العلماء والفقراء والصلحاء، فطابت نفس الملك بذلك. كما عمل بكل جهده على اجتماع الكلمة على ألب أرسلان بعد أن قضى على شهاب الدولة قتلش نهائياً<sup>1</sup>.

والواقع أنَّ الوزير نظام الملك الطوسي، أدى نفس الدور الذي لعبه رئيس الرؤساء ابن المسلمة في الخلافة العباسية، حيث استعمل العلماء بكل مراتبهم ومناصبهم وأصنافهم لخدمة التوجه السني للدولة السلجوقية، ومواجهة التمدد الشيعي بكل ثقله، وأضحى نظام الملك أحد المهندسين المركزيين لوجهة المشروع السلجوقي الوحدوي، وفق رؤية بعيدة المدى وتصور واضح الأهداف، بالاعتماد على ثلاثة تيارات وقوى فكرية وسياسية:

- القوة العسكرية التي تمثلها العصبية السلجوقية الموحدة للقبائل التركية المقاتلة، حيث شكلت هذه الأخيرة الأداة العسكرية للسلطنة في مواجهاتها الداخلية والخارجية.

- الإرث الإداري المؤسساتي الإيراني في تنظيم الدولة وإدارتها، ويبرز هذا في تدابير هذا الوزير وسياسته<sup>2</sup>.  
- نظريات الماوردي السياسية من زاوية شرعيتها الفقهية والإسلامية، ومن حيث كونها مرجعية نظرية للدولة المحدثة التي يؤسسها نظام الملك في ظل الاستمرارية التاريخية لمؤسسة الخلافة، أي في ظل الأيديولوجيا السائدة عن وحدة الأمة والدولة، وبواسطة أداة سلطانية قوية توظف هذا الفكر السائد في خدمة الأحكام السلطانية، أي في خدمة الأمر الواقع<sup>3</sup>.

بعد أن تمكن السلطان ألب أرسلان من توطيد حكمه بقضائه على منائيه واحداً تلو الآخر<sup>4</sup>، "...أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكرج، ففتحوا حصوناً كثيرة، وغنموا أموالاً جزيلة، وفرح المسلمون بنصرهم، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر، وزفت إليه، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة، واجتمع الملكين السلجوقي والمحمودي..."<sup>5</sup>، سيتفرغ للاتجاه إلى بلاد الشام لضمها إلى الدولة السلجوقية ومنها إلى مصر، ولن نسرده هنا ما جرى إلا بالقدر الذي يتعلق بدور العلماء في بسط النفوذ السلجوقي على بلاد الشام، فقد أرسل أحد الفقهاء وهو أبو جعفر البخاري إلى السلطان السلجوقي ألب أرسلان يستدعيه إلى مصر للاستيلاء عليها، وليكون هو نائباً عن السلطان فيها<sup>6</sup>. كان لظهور السلطان ألب

1- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، بيروت، مكتبة المعارف، 1412هـ-1991م، ص90.

2- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان...، المرجع السابق، ص54.

3- المرجع نفسه، ص55.

4- ينظر في ذلك، علي حسن غضبان، المرجع السابق، ص271-276.

5- ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص91.

6- المدخلي، المرجع السابق، ص292.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أرسلان كرافع للواء المشروع السلجوقي حيث أدرك كسلفه وزن العلماء في الاختيارات الحاسمة في إقامة دولة مترامية الأطراف، كما تعاضمت منزلة العلماء في عهده، وزادت مشاركتهم في فعاليات المشروع السلجوقي، فهو يعد من أعرف السلاطين السلاجقة بالطريقة المثلى التي يحقق بها بسط ملكه واسترجاع الإرث العباسي السني مشرقا ومغربا منتهجا سياسة دينية علمية واجتماعية تتمحور أساسا على استقطاب العلماء واسترضائهم واحتوائهم وكسبهم إليه. إنَّ استقصاء حضور العلماء على جميع الأصعدة في صلب إستراتيجية المشروع السلجوقي، مرده إلى كثرة العلماء بشكل يدعو للإعجاب، وهذا راجع لكثرة مراكز العلم وحواضره، لذلك جعلهم السلاجقة ركيزة يرتكزون عليها في سبيل توحيد العالم الإسلامي من جديد، مما يجعل المنطقة تضطلع بدور ريادي في إعادة حركة الفتوحات الإسلامية، لهذا نجح المشروع السلجوقي نجاحا كبيرا ارتبط بقوة الدولة السلجوقية وطموح سلاطينها، وعلى ضوء ذلك كان حضور العلماء حاسما في مدى صيرورة المشروع ونجاحه وسعوا إلى دعمه وتوجيهه، فقد كانوا أكثر إدراكا لمدى خطورة التمزق والتشرذم والاختلاف بين المسلمين، خصوصا أمام وجود عدو متربص على حدود العالم الإسلامي يسعى سعيا حثيثا للقضاء على الإسلام واستعادة ما فقده من أراضي في الشام ومصر وبلاد المغرب، والقضاء على خلافة العباسيين.

لقد كان تبوأ العلماء لمناصب مؤثرة في الدولتين العباسية والسلجوقية له بالغ الأثر، في إنهاء المشروع السلجوقي إلى غايته، حيث استتبع بلوغ هؤلاء العلماء مواقع النفوذ والتأثير في صياغة المواقف السياسية، أن صاروا أحد الفاعلين المركزيين في بلورة التوجه العام لهذا المشروع، خاصة أنَّ توقعهم كان انطلاقا من مدى فهمهم للواقع المعاش، إذ أدركوا أنَّ كثيرا من الأمور والأحداث والوقائع تتجاوز سلطتهم التأثيرية، التي من المفروض أن تكون هي الضابط لطبيعة التجاوزات التي ستحدث وتؤثر سلبا على صيرورة مشروع له هذه الأهداف العظيمة، كما وجدوا أنفسهم في الوسط بين سلطتين، لكليهما باع في هندسة وصناعة وبلورة أهداف هذا المشروع، الذي حمل في طياته عددا من المتناقضات التي لا يمكن الجمع بينها إلا بسلطة جامعة مانعة توافقية، حيث امتزج الطموح السياسي بالصراع المذهبي والجهاد في سبيل الله، فلما احتل أحد هذه الأقطاب، كان لابد من تدخل العلماء لفرض التوازن وعدم السماح بأن يطغى أي أحد منها على الآخر. وبالفعل سار نقيب النقباء طراد بن محمد الزيني من قبل الخليفة إلى محمود بن صالح بن مرداس في حلب حاملا معه الخلع إليه نظير إقامته لدعوة العباسيين والخطبة للخليفة القائم بأمر الله<sup>1</sup>، ولا ننسى كذلك أنَّ إعلان صاحب حلب تبعيته للعباسيين والسلطان السلجوقي ألب أرسلان، جاء في سياق استعداد السلطان ألب أرسلان للقيام بحملة كبيرة إلى الشام ومصر، خاصة بعد أن بعث ناصر الدولة حسين بن حمدان الفقيه أبا جعفر محمد بن أحمد بن البخاري رسولا منه إليه، يسأله أن يسير إليه العساكر ليقم الدعوة العباسية بديار مصر، وتكون مصر

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص387.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

له<sup>1</sup>. لقد استطاع السلطان ألب أرسلان أن يضم بلاد الشام ويتنصر على البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة 463هـ، وأن يوثق الصلة بالخلافة العباسية عن طريق تزويج ابنته خاتون السفيرية بابن الخليفة القائم الأمير عدة الدين<sup>2</sup>، ليدع ابنه ملكشاه يواصل مشروعه من بعده.

وقد أثبت السلطان السلجوقي ملكشاه الذي خلف أباه ألب أرسلان مقدرة فائقة في الحرب، ورغبة نادرة في الإصلاح والتعمير حتى عده أحد المؤرخين المؤسس الحقيقي للإمبراطورية السلجوقية المتزامية الأطراف وذلك لنشاطه وحنكة وزيره إذ نفخا فيها روح التزكية الإسلامية حقاً<sup>3</sup>، والحق أنَّ السلطان ملكشاه مدين لكل من السلطانين طغرل بك وألب أرسلان اللذين بذلا جهوداً جبارة لإنشاء هذه الدولة وتوطيد دعائمها، وتوسيع رقعتها، حتى امتدت في عهده من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن، وقد خطب له من حدود الصين إلى آخر الشام<sup>4</sup>.

لقد أدى العلماء في عهد السلطان ملكشاه نفس الدور الذي قاموا به في عهد طغرل بك وألب أرسلان، حيث رضوا بتوليه للسلطنة، كما عملوا على توثيق الصلة بينه وبين الخلافة العباسية، أما فيما يخص حملته على بلاد الشام فإنَّ المصادر لم تسعفنا في تسليط الضوء على ما قاموا به، لذا فإنَّ علماء بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق، كان لهم أثر بارز على تطور المشروع السلجوقي خاصة في عهد السلطانين طغرل بك وألب أرسلان، كما رأينا في الصفحات السابقة، يضاف إلى هذا سعيهم الحثيث إلى الحفاظ على المكتسبات التي تحققت في مدة نصف قرن، فقد استعادت الخلافة العباسية قوتها بفضل السلاجقة، وعاد المذهب السني ليتبوأ مكان الصدر كما كان، وانكمش المذهب الشيعي في معاقله وقضي على دولة البويهيين وحوصرت الدولة العبيدية من كل الجهات، واستؤنفت حركة الفتوح من جديد بفتح مناطق أرمينية وأذربيجان ووسط الأناضول.

وعمل العلماء على ضمان استمرار نظام الخلافة على هيئته، حيث كانوا في مقدمة من بايعوا الخليفة المقتدي بأمر الله العباسي عقب وفاة القائم بأمر الله وذلك يوم الجمعة 03 شعبان 467هـ، وهؤلاء العلماء أبو عبد الله الدامغاني قاضي القضاة، وأبو طالب الزيني، وابن رضوان، وابن جرادة، والشريف أبو جعفر الحنبلي وأبو إسحاق الشيرازي، وأبو نصر بن الصباغ الشافعيان، وأبو محمد التميمي الحنبلي<sup>5</sup>.

1-المقريزي تقي الدين أحمد بن علي، انعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج2، مطابع الأهرام التجارية، د.ت، ص302.

2-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص140.

3-عبد الهادي محمد رضا محبوبة، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (408هـ-485هـ) كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، دراسة تاريخية في سيرته وأهم أعماله خلال استيلائه، ط1، القاهرة، الدار المصرية، رمضان 1419هـ/يناير 1999م، ص346.

4-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص165، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج19، ص295، ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص111.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وفي الأخير يمكن القول أنَّ المشروع السلجوقي الوحدوي مثَّل أحد أهم المخططات التي عرفها تاريخ المسلمين، فقد حاول السلاجقة إعادة الوحدة والترابط والتلاحم بين أقاليم العالم الإسلامي، للوقوف كتلة واحدة ضد أي خطر يمكن تحقيق بدولة الإسلام، وبالفعل لو نجح السلاجقة في حكم كل العالم الإسلامي من خلال دولة واحدة، لوفرت كثيرا من الجهود والطاقات التي ضاعت بسبب تواصل الحروب بين المسلمين، بعد تمزق شمل وحدتهم في نهاية العصر العباسي الأول، ولتجنب العالم الإسلامي ويلات الغزو الصليبي والمغولي، ولتمكن من فتح مناطق جديدة ونشر الإسلام في ربوعها، ولهذا فإنَّ المشروع السلجوقي الوحدوي حمل في طياته الأمل بتجديد كيان الأمة الإسلامية الذي تصدع وكاد ينهار، ذلك أنَّ هذه الأمة لا تستطيع أن تعيش مفرقة مشتتة تتقاذفها الأهواء والمصالح الضيقة، بل تقوى بوحدتها وتلاحمها وتضعف بتفرقها، وأضحى هذا المشروع النموذج الذي يقتدى به في العصور اللاحقة والدول التي جاءت بعد السلاجقة، كالزنكيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين.



-الفصل الثالث:الدور الدعوي والجهادي للعلماء في عصر السلجقة.

1-تعريف الدعوة.

أ-لغة.

ب-اصطلاحاً.

2-نصرة العلماء إلى الدعوة.

3-جهود العلماء في الدعوة إلى الإسلام في العصر السلجوقي.

4-تعريف الجهاد.

5-نصرة العلماء إلى الجهاد في سبيل الله.

6-جهود العلماء في الحث والتخريض على الجهاد في سبيل الله.

7-مشاركة العلماء في المعارك الحربية خلال العصر السلجوقي.

7-1-لمسيمة الفتوحات السلجوقية.

7-2-دوافع الفتوح السلجوقية بين الجهاد والمصالح.

7-3-حضور العلماء في معركة مانزيكرت-ملاذكرد-سنة 463هـ.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يعد الدور الدعوي والجهادي للعلماء في عصر السلاجقة، أحد أهم الأدوار التي اضطلع بها هؤلاء العلماء، نظرا لاتصال الجانب الدعوي والجهادي الوثيق بهم، حيث كانوا في طليعة شرائح المجتمع الإسلامي الذين حملوا على كاهلهم عبء الدعوة إلى دين الله، هذه الدعوة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم برسلا من عند الله تعالى لهداية الناس وإدخالهم إلى دين الحق وإنقاذهم من عبادة غير الله تعالى وعذاب الآخرة، لذا شكلت الدعوة عند العلماء واجبا محتما عليهم، يجب القيام به بحكم أنهم ورثة الأنبياء عليهم السلام والقائمين على هذا الدين العظيم، وأعلم الخلق بأحكامه وتشريعاته وأوامره ونواهيه، فصار لزاما عليهم دعوة غير المسلمين إلى الدخول فيه والسعي إلى ذلك والعمل على استخدام كل الوسائل من أجل هذه الغاية العظيمة، فكان دورهم الدعوي في العصر السلجوقي هاما جدا، إذ جاء متماهيا ومتطابقا مع الدور الجهادي، من خلال المشاركة مع السلاجقة في الفتوحات وخوض المعارك والسير إليها، ورفع همم الجند والدعاء لهم بالنصر وتعبئتهم إلى ميادين المعارك مع الأعداء المتربصين بديار الإسلام، وعليه فقد جمع العلماء في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر بين الواجب الدعوي الذي يركز على الحوار والمناظرة وتبيان حقيقة الإسلام إلى من يدعوهم إليه، وبين الواجب الجهادي الذي يستدعي المجاهدة والمواجهة والصدام المسلح بين المسلمين وأعدائهم، فكانوا أهلا لأداء هذا الدور الذي أنيط بهم وضربوا أروع الأمثلة في ذلك، وسنحاول أن نستقصي في هذا الفصل دورهم الدعوي والجهادي، الذي كان مكملا لدورهم التأسيسي لدولة السلاجقة، وجهدهم لتوحيد أقاليم المشرق الإسلامي.

### 1-تعريف الدعوة:

**أ-لغة:** المرة الواحدة من الدعاء، وتداعى القوم دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا. والدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت التاء فيه للمبالغة<sup>1</sup>. وأدخلت التاء التي للتأنيث باعتبار الدعوة المؤنثة<sup>2</sup>، وفي تهذيب اللغة: المؤذن داعي الله، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته<sup>3</sup>.

1-ابن منظور، المصدر السابق، ج14، ص258.

2-بن مصطفى زواقة بدر الدين، إدارة المؤسسات الدعوية، محاولة لصياغة نظرية إسلامية في: التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم تخصص دعوة وإعلام، قسم أصول الدين، فرع الدعوة والإعلام، جامعة باتنة 1430، 01-1431هـ/2009م-2010م، ص47.

3-تهذيب اللغة لأبي منصور، ج3، ص120.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

قال عز وجل مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا إلى قومهم منذرين<sup>1</sup> ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (الأحقاف: 31). وفي تاج العروس: "ودعوة الحق شهادة أن لا إله إلا الله"<sup>2</sup>، وفي المصباح المنير: "دعوت الله دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله، والجمع دعاء وداعون مثل قضاة وقاضون والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الخلق إلى التوحيد"<sup>3</sup>، وفي المعجم الوسيط: "دعاه إلى الشيء حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب، حثه على اعتقاده..."<sup>4</sup>. ومن هذا يتبين أن الدعوة في اللغة تدور حول الطلب والسؤال والنداء والحث على الشيء ونحو ذلك<sup>5</sup>.

**ب- اصلاحاً:** تعددت التعاريف الاصطلاحية للدعوة، فهي حث الناس على قبول دين الله، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه مع ما يتبع ذلك من إقامة الحجة للدين ورد الشبهات منه<sup>6</sup>، أما أحد الباحثين فقد عدها علماً بالأحكام العقديّة والفقهية والأخلاقية وفن تبليغها إلى الناس ومنهج متكامل في إدارة عرضها من حيث الوسائل والأساليب لتحقيق مقصد من الوجود في عبادة الله وعمارة الأرض وسياسة الدين ودنيا ومراعاة مستلزماتها ومقتضياتها<sup>7</sup>. أو هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشرعية وأخلاقاً<sup>8</sup>.

**2- نصرة العلماء إلى الدعوة:** إنَّ الدعوة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان بحاجة إلى الداعية الحريص على دعوته، المخلص لها، يدعو إلى الله على بصيرة، دون فتور أو تخاذل، غايته هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى

1- بن مصطفى زواقة بدر الدين، المرجع السابق، ص47.

2- تاج العروس للزبيدي، ج1، ص128.

3- الفيومي أحمد، المصباح المنير، ص194.

4- المعجم الوسيط، ج1، ص286.

5- بن مصطفى زواقة بدر الدين، المرجع السابق، ص47.

6- الخالدي إسماعيل عبد العزيز، المغول والدعوة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ/1982م، ص121.

7- بن مصطفى زواقة بدر الدين، المرجع السابق، ص49.

8- البيانوني محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة، ص14، نقلاً عن عبد الباسط دردور، التكامل بين الدعوة والتزكية من خلال حكم الشيخ عبد

الحفيظ الخنقي وشرحها، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية، تخصص: دعوة وإعلام، قسم العلوم الإسلامية، جامعة

بائنة 1434هـ، 01-1435هـ/2014م-2015م، ص36.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

النور، متأسيا في ذلك بأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، الذين حرصوا أشد الحرص على هداية أقوامهم ودعوتهم إلى الله تبارك وتعالى<sup>1</sup>.

تعتبر الدعوة إلى الإسلام في نظر العلماء من أهم الوسائل والأساليب التي ينبغي توظيفها في سبيل هذا الدين، لأنَّ نشر الإسلام، الذي هو غاية المسلمين الأولى لم يكن يتطلب بالضرورة أعمالا حربية؛ فالدين إيمان يقر في القلوب، والقلوب لا يستطيع أحد أن يفرض عليها شيئا بالقوة، وكل ما كان يطلبه المسلمون أن يفسح الناس لهم طريق الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، بدون عوائق أو موانع<sup>2</sup>. لقد انبرى العلماء إلى تحديد ماهية الدعوة إلى الإسلام وخصائصها وغاياتها، وكذا أساليبها ووسائلها وأدواتها، وخاصة لما شهد العالم انقساماً سياسياً ومذهبياً، زاده سوءاً ضعف السلطة السياسية وعدم قدرتها على تعبئة الجيوش لمواصلة الفتوحات، كما أنَّ العالم الإسلامي كان يعجز بأهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية، فأصبحت الحاجة ماسة أن يضطلع العلماء في العصر السلجوقي بمهام الدعوة للإسلام كأسلوب فعال ووسيلة ناجعة وأداة تأتي أكلها، وكانت نظرهم للدعوة تعكس مدى فهمهم لواقع الحال ووضع المسلمين، مدركين في الوقت نفسه أنَّ الدين في النسق الرباني: الوضع الإلهي الذي نزل به الروح على الأنبياء والمرسلين، لسوق ذوي العقول، باختيارهم المحمود، إلى الهداية والخير في الدنيا والآخرة<sup>3</sup>.

إنَّ نسق الدعوة إلى الإسلام سار وفق وتيرة واضحة الأهداف والرؤى، تدور حول عالمية الدين الإسلامي الذي يلائم كل الناس من كل جنس ولون وأنه دين مفتوح لكل البشر وطريق الدخول إليه كلمة يقولها الإنسان فيصبح بعدها مسلماً له كل الحقوق وعليه كل الواجبات مثل بقية المسلمين مهما كان جنسه أو لونه، تلك الكلمة هي: "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" فهو ليس دين الصفوة المختارة كما يدعي اليهود ولكنه دين كل الناس، وسبيل دعوة الناس إليه في الظروف العادية حددها القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup>، في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (سورة النحل: 125).

1- سليمان بن عبد الله بن منصور الحبس، وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني (232هـ/333هـ) دراسة تحليلية تقويمية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، ج2، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، 1417هـ، ص377.

2- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص191.

3- عمارة محمد، المرجع السابق، ص22.

4- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، قراءة ورؤية جديدة، ط2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/208م، ص137.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وعليه شكلت الدعوة إلى الإسلام أحد أهم ركائز نشر هذا الدين، فهي مستمرة متواصلة في كل عصر وحين، نظرا لأسلوبها القائم على الحوار والنقاش وتبيان الحق من الباطل، بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما أرشد إلى ذلك القرآن الكريم، ما جعل العلماء كماوردي يرى أن المشركين في دار الحرب صنفان:

-صنف منهم بلغتهم دعوة الإسلام فامتنعوا منها وتابوا عليها، فأمر الجيوش بخير في قتالهم بين أمرين يفعل منهما ما علم أنه الأصلح للمسلمين وأنكأ للمشركين من بياتهم ليلا ونهارا بالقتال والتحريق، وأن يندبرهم بالحرب ويصافهم بالقتال.

-والصنف الثاني: لم تبلغهم دعوة الإسلام، وقل أن يكونوا اليوم لما قد أظهر الله من دعوة رسوله، إلا أن يكون قوم من وراء من يقابلنا من الترك والروم في مبادئ المشرق وأقاصي المغرب لا نعرفهم، فيحرم علينا الإقدام على قتالهم غرة وبيانا بالقتل والتحريق، وأن نبداهم بالقتل قبل إظهار دعوة الإسلام لهم، وإعلامهم من معجزات النبوة وإظهار الحجة بما يقودهم إلى الإجابة، فإن أقاموا على الكفر بعد ظهورها لهم حاربهم، وصاروا فيه كمن بلغتهم الدعوة<sup>1</sup>.

لقد كانت الدعوة إلى الإسلام دائما مقدمة على الجهاد وقتال الكفار والمشركين، فالإسلام ليس ديناً يحتم على المسلمين أن يحملوا سلاحهم لفرض الإسلام على الناس بالقوة كما يدعي أعداء الإسلام<sup>2</sup>، لأنه يتعارض مع التوجيه القرآني، الذي يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256)، وخير دليل على ذلك الدعوة الإسلامية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد استغرقت 13 سنة في مكة المكرمة بأسلوب الدعوة السلمية الذي يعرف بدين الإسلام وشريعته، ولكن الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة كانت الحد الفاصل بين هذا المهيح، وبين أمر الله تعالى بقتال المشركين ومواجهتهم وإعداد الجيوش والعدة والأسلحة لمحاربتهم، لأن الوسيلة السلمية كانت هي الأصل في انتشار الإسلام، ولما صار أعداؤه يريدون استئصاله والقضاء عليه وعاندوا دعوته وأنفقوا أموالهم وخاطبوا الدسائس والكمائن لتشويهه وتكذيب نبيه، انقضت مرحلة دعوتهم سلمياً، وصار لابد من إخضاعهم وإظهار دين الله وإقامة الدولة الإسلامية التي يشمل سلطانها جميع مناطق العالم وتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين عاندوا هذا الدين هي السفلى.

كما تجدر الإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا ملوك العالم إلى الإسلام بإرسال الرسل إليهم، فكان ذلك إعلاماً لهم بأنه نبي مرسل من عند الله تعالى وأن عليهم معرفة ذلك، وأنه جاء برسالة خاتمة لكل الشرائع السابقة لها من يهودية ومسيحية، ولكنهم أبوا الدخول في الإسلام، بل أرادوا القضاء على الإسلام ودولته الناشئة، عندها لم يعد هناك مجال للدعوة السلمية، وأزف أوان الجهاد حيث بدأت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وتواصلت

1-الماوردي، المصدر السابق، ص72.

2-عبد الشافي محمد عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية...، المرجع السابق، ص137.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

في العهدين الأموي والعباسي ثم توقفت زمنا، وتجددت في العصر السلجوقي-عصر دراستنا-وقويت بشكل مطرد في العهد العثماني، لذا فإن أسلوب الدعوة الذي اتضحت أسسه، كان متماهيا متوازيا مع أسلوب الجهاد بحيث شكلا وجهين لعملة واحدة.

وفي السياق ذاته، فقد وافق الفراء في كتابه الأحكام السلطانية، رأي الماوردي فيما أفردته عن صنفين المشاركين في دار الحرب<sup>1</sup>، أما إمام الحرمين الجويني فيرى أن الدعوة إلى الإسلام مقرونة بالأدلة والبراهين، والمقصود منها إزالة الشبهات، وإيضاح البينات في الدعاء إلى الحق بأوضح الدلالات. يضاف إليها دعوة قهرية مؤيدة بالسيف المسلول على المارقين الذين أبوا واستكبروا بعد وضوح الحق المبين، والملاحظ أن إمام الحرمين قد سمى الجهاد دعوة قهرية، حيث كيف مصطلح الدعوة مع واقع الحال الذي كانت عليه دار الإسلام، وعلاقتها مع دار الحرب التي انحصرت نطاقها وتقلصت مساحتها وعمت دعوة الإسلام كل العالم الذي سمع بها، لذا يرى أن البراهين التي تدل على هذه الدعوة، قد ظهرت ولاحت ومهدت، فصار الكفار بعد شيوعها في رتب المعاندين؛ فيجب وضع السيف فيهم، حتى لا يبقى عليها إلا مسلم أو مسلم<sup>2</sup>، وسواء كانت الدعوة أو الجهاد باللسان أو بالسنان، فينبغي أن يكونا لإعلاء كلمة الله، وعلى ضوء ذلك قرر الجويني أن المسلك الثاني مرتب على الأول، ذلك أن جهاد الكفار ودعوتهم إلى الإسلام لا بد أن يبدأ بإقامة الحجة عليهم، فإن أبوا وأصروا على كفرهم، فحينئذ يصار إلى دعوتهم بالقوة<sup>3</sup>.

هذا ما تم رصده من أقوال لعلماء العصر السلجوقي عن نظرهم للدعوة إلى الإسلام في هذا العصر، فقد عكست أقوالهم وآراؤهم واقع الحال الذي كانت عليه ديار الإسلام خلال عهد السلاجقة، لذا فإن أقوالهم في هذا السياق جاءت مقتضبة، تظهر رؤيتهم لمفهوم الدعوة وأقسامها، وخاصة الدعوة السلمية التي تركز على دعوة غير المسلمين وإبراز صورة الإسلام وأحكامه وتشريعاته لهم، كما حصروا اهتمامهم في إظهار طبيعة الدعوة السلمية وأساليبها ووسائلها، وسنرى كيف بذلوا جهدا كبيرا في سبيل الدعوة إلى الإسلام.

**3-جمود العلماء في الدعوة إلى الإسلام في العصر السلجوقي:** لقد اقتضت فترة السلاجقة السنة أن يكون للعلماء دور فعال في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وقد تركز دور العلماء في الدعوة إلى الله تعالى خلال فترة البحث على نشر الإسلام، وترغيب الكفار في اعتناق الإسلام، من خلال توضيح خصائص الدين الحنيف لهذه الفئة، وإيضاح تميز الشريعة الإسلامية في الكثير من النواحي الإنسانية التي تلامس احتياجات الكفار<sup>4</sup>.

1- الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق حامد الفقي رحمه الله، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ-2000م، ص41.

2- النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، المصدر السابق، ص344.

3- هشام بن سعيد أزهري، مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين وآثارها في التصرفات المالية، ط1، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، 1431هـ-2010م، ص318.

4- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص106.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أدرك العلماء أنَّ الدعوة السلمية يجب تستمر في كل الأحوال، لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، عن طريق استعمال وسائل التأثير كالوعظ والترغيب والترهيب والقصص ونحوها<sup>1</sup>، فهم مطالبون أكثر من غيرهم بتبليغ هذا الدين ونشره، باعتبارهم ورثة الأنبياء عليهم السلام، واحتساباً للأجر العظيم الذي سينالونه في الآخرة لقاء إدخال الكفار في الإسلام، وعلى ضوء ذلك اتجهوا إلى أهل الذمة الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية لدعوتهم إلى الإسلام، مطبقين بذلك أسلوب الدعوة السلمية الذي يناسب وضع أهل الذمة في هذا العصر.

وإذا أردنا تعريف أهل الذمة، فالذمة بالكسر معناها العهد والكفالة<sup>2</sup>، وأهل الذمة هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكتابهم التوراة والإنجيل، ويجري مجراها الجوس والصابئين والسامرة<sup>3</sup>، وهي كلمة توحى بأنَّ لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنين، وهؤلاء بالتعبير الحديث (مواطنون) في الدولة الإسلامية<sup>4</sup>.

دخل عدد من اليهود والنصارى في الإسلام في عصر الدراسة، والأسباب التي ساعدت على دخولهم في الإسلام متعددة، منها: احتكاكهم بالمسلمين ومعايشتهم لهم، وكذلك تشديد الخلفاء والوزراء على أهل الذمة وإلزامهم بلبس الغيار، ومنعهم من العمل في دواوين الدولة، مما كان يدفع البعض إلى اعتناق الإسلام للاحتفاظ بوظيفته أو للهرب من الضغط الذي كان يواجهه، في حين دخل بعض أهل الذمة في الإسلام لتحقيق ما يصبو إليه من مكانة وطموح في الحياة العامة، وهناك من أسلم طمعا في المال، أو بسبب خلاف مع أهل طائفته<sup>5</sup>.

كان دور العلماء في اعتناق أهل الذمة للإسلام، أحد العوامل الرئيسة في ذلك، من خلال مجالس الوعظ التي أقاموها لهذه الغاية، عن طريق توظيف جميع آليات الحوار والجدل والمناظرة، وإظهار الدلائل العقلية والحجج المنطقية، ومن العلماء الذين كان لهم أثر في إسلام الكثير من أهل الذمة:

---

1- أبو لحية نور الدين، الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، دراسة علمية حول فكر الغزالي وآثاره الإصلاحية، ط2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 1437هـ/2016م، ص40.

2- الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص597.

3- الماوردي، المصدر السابق، ص223.

4- محمودي محمد الصديق، دور أهل الذمة في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة، 1439هـ - 1440هـ/2018م - 2019م، ص10.

5- يحيى أحمد عبد الهادي حسين، أهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي (447هـ - 590هـ/1055م - 1193م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2000م، صص 214-217.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي (ت561هـ)<sup>1</sup>، الذي أسلم على يديه معظم اليهود والنصارى. والفقيه أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي<sup>2</sup> هو الآخر أسلم على يديه عشرون ألف يهودي ونصراني<sup>3</sup>. وكذلك أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري (ت514هـ)<sup>4</sup>، الذي "... كان قلما يخلو مجلس من مجالسه عن إسلام ذمي..."<sup>5</sup>، مما يعد حسنة من حسنات مجالس الوعظ، وهي إسلام أهل الذمة<sup>6</sup>.

وإذا عدنا إلى أبي محمد عبد القادر الجيلي، فقد قال عنه الشيخ عمر الكيساني: "لم تكن مجالس سيدنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى، ولا ممن يتوب من قطاع الطرق وقاتلي النفس، وغير ذلك من الفساق ولا ممن يرجع عن معتقد سيء..."<sup>7</sup>، كما اعتبر عبد القادر الجيلي أن الله عز وجل وجل قد وفقه لمنفعة الخلق، وجعله سببا لإسلام أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى<sup>8</sup>. أما أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، فقد كانت مجالسه مليئة بالناس، حيث ذكر ذلك بقوله: "وفي يوم السبت غرة جمادى الآخرة: عبرت إلى جامع المنصور فوعظت فيه بعد العصر وعبر الناس من نهر معلى واجتمع أهل المحال فحزر الجمع مائة ألف ورجعنا إلى نهر معلى والناس ممتدون من البصرة كالشراك إلى الجسر وكان يوما مشهودا..."<sup>9</sup>. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما كان يتميز به من فصاحة وبلاغة، ودقة في التعبير، وعلم واسع، وقدرة متناهية على اجتذاب قلوب العامة وإثارة مشاعرهم الدينية<sup>10</sup>.

هذه عينة من علماء العصر السلجوقي الذين انبروا للدعوة والوعظ، وتحقق على أيديهم إسلام عدد من أهل الذمة، وقد اقتصرنا على هذه النماذج التي سقناها، نظرا لشح المصادر وسكوتهما عن العلماء الذين أبلوا بلاءا حسنا في

1- ترجمته في: ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص183.

2- ترجمته: سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج22، ص93-118.

3- المصدر نفسه، ج22، ص94.

4- ابن الصلاح الشهرزوري أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن، طبقات الفقهاء الشافعية، هذبه ورتبه واستدرك عليه الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (631هـ-676هـ)، بيض أصوله ونقحه الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني (654هـ-742هـ)، حققه وعلق عليه محي الدين علي نجيب، ج1، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1413هـ/1992م، ص546-549.

5- المصدر نفسه، ج1، ص547.

6- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص106.

7- الندوي أبو الحسن علي الحسني، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تقدم الدكتور مصطفى السباعي والدكتور مصطفى الخن، ج2، ط3، دمشق، بيروت، دار ابن الكثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م، ص300.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9- المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص228.

10- نادية عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص107.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

هذا المجال، ولعل ذلك راجع إلى استطراد حركة الجهاد في عصر الدراسة، فكان العلماء في طليعة الخارجين إلى الجهاد وعلى رأس الجيوش السلجوقية، ويحسن في هذا المقام ذكر بعضا ممن أسلموا على أيدي هؤلاء العلماء وأمثالهم: -  
الطبيب أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة الذي كان على دين النصارى، وقد تقرب من أبي علي بن الوليد ولازمه لأخذ علم المنطق عليه، هذا الأخير عمل جاهدا على دعوته إلى الإسلام وأظهر له الدلالات الواضحة، والبراهين البينة، حتى أسلم<sup>1</sup>.

- أمين الدولة أبو سعد العلاء بن الموصلايا (ت 497هـ/ 1104م)، الذي أسلم سنة 484هـ، وعاد عن دين النصارى وكان بليغا فصيحاً، كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف أملاكه على أبواب البر<sup>2</sup>، وابن أخته تاج الرؤساء أبو نصر هبة الله بن الموصلايا (ت 498هـ/ 1104م- 1105م)، وكان كاتباً للخليفة، وعمره سبعون سنة، ولم يخلف وارثاً لأنه أسلم وأهله نصارى، وكان يخل إلا أنه كان كثير الصدقة<sup>3</sup>.

- الطبيب أبو البركات هبة الله بن ملكا الذي كان يهودياً، يقول عنه القفطي: "أبو البركات اليهودي في أكثر عمره المهتدي في آخر أمره أوحد الزمان طبيب فاضل عالم بعلوم الأوائل من يهود بغداد..."<sup>4</sup>، وقد أسلم حين أدرك أنه لن يحصل على المنزلة التي يصبو إليها إلا بالدخول في الإسلام، وأيضاً سمع هجاء لشخصه من ابن أفلح الذي هجاه بقوله:

**لنا نصيب يهودي حماقته إذا تكلم تبعو فيه من فيه**

**يتيه والكلب أعلا منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه**

ولما اطمأن على بناته حين طلب من الخليفة الإنعام عليهن لبقائهن على دين اليهودية، عندما أظهر إسلامه وجلس للتعليم والمعالجة<sup>5</sup>. ومع ذلك فإن العلماء وضعوا ضوابط للتعامل مع أهل الذمة، وفق منظور الشرع الحنيف، إذ يجب أن يكون التعامل معهم، فيه نوع من التحقير لهم<sup>6</sup>، يقول الغزالي: "وأما الذمي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضييق الطرق وترك المفاتحة بالسلم، فإذا قال السلام عليك قلت: وعليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته و مؤاكلته وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 61.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 75.

3- المصدر نفسه، ج 9، ص 87.

4- القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تعليق إبراهيم شمس الدين، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ/ 2005م، ص 256.

5- القفطي، المصدر السابق، ص 257.

6- يحيى أحمد عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص 221.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

مكروه كراهة شديدة...<sup>1</sup>، أما ابن الجوزي فقد ضرب المثل في أكثر من موضع بذلة أهل الذمة من اليهود<sup>2</sup>، وأجاز الغزالي أيضاً أن يقول شخص لعنة الله على اليهود والنصارى<sup>3</sup>.

**4-تعريف الجهاد:** يعتبر الجهاد من النظم الإسلامية والولايات الدينية والمؤسسات الشرعية الماضية إلى يوم القيامة، فهو نظام له أحكامه وقواعده وضوابطه التي تعنى بتنظيم الجنود والعساكر، واستعمال الأسلحة والتدريب عليها، كما تعنى بضبط شروط وصفات أهلية الإمارة على مؤسسة ولاية الجهاد، وتأطير ولائها وضباطها وجميع أعضائها، وتدريب أمورها وإدارة شؤونها، وتحديد وظائفها ومقاصدها والغاية منها<sup>4</sup>. كما يعد من أشرف الولايات الدينية وأكبر المؤسسات والنظم الإدارية التي تكون النظام الإسلامي الذي تقوم عليه الدولة باعتبارها الرمز الحقيقي لإقامة الدين وسياسة أحوال الأمة في واقع الحياة<sup>5</sup>.

والجهاد أيضاً هو ذروة سنام الإسلام، وطور متقدم من أطوار الدعوة ووسيلة من وسائل إزالة العوائق المعترضة سبيل انتشار الحق<sup>6</sup>. لقد شكل الجهاد صمام الأمان لدولة الإسلام في مواجهة أعدائها المتربصين بها، والذين ينتظرون أية لحظة لكي ينقضوا عليها، فقد فهم العلماء الجهاد بأنه الدعوة إلى الإسلام، والقتال في سبيل الله تعالى، وأضحى حرباً هجومية على كل من يقف حجرة عثرة في سبيل نشر الإسلام في العالم، وعلى كل من يحول دون سيادة الشرع الإسلامي الخفيف في الأرض<sup>7</sup>.

لذا فإنَّ الله سبحانه وتعالى يهيئ لهذه الأمة في أزمتها من يصونها ويحميها، بتسخير دول تحمل لواء الجهاد وتقوم به خير قيام حتى إذا ما ضعفت دولة سخر الله للأمة من يحيي هذه الفريضة العظيمة التي ذكرها القرآن الكريم، وحثت عليه الأحاديث النبوية الشريفة، وإذا ما تقاعست أية دولة عن أداء واجب الجهاد إذا هاجم العدو بلاد المسلمين، فقدت مبرر وجودها، وكان مآلها السقوط، لتحل محلها دولة أخرى تقيم هذه الفريضة<sup>8</sup>، فقد أكدت خبرات

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، مج2، ج5، ص160.

2- يحيى أحمد عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص222.

3- المصدر السابق/مج3، ج9، ص17.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص744.

5- المرجع نفسه، ص744-745.

6- بن بيه محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، ط1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر

والتوزيع، 1421هـ/2000م، ص288.

7- البدر عبد العزيز، الإسلام بين العلماء والحكام، تحقيق وتعليق وتقدم الشيخ صالح العود، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 1435هـ/2014م، ص312.

8- باحويرث سماح بنت سعيد عبد القادر، الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك (648هـ-923هـ/1250م-

1517م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى

مكة المكرمة، 1431هـ/2010م، ص12.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

التاريخ وعبره في الماضي والحاضر، أن الذين لا يملكون إرادة المحجوم يفقدون القدرة على الدفاع، وتسحقهم الإرادات الأقوى منهم<sup>1</sup>.

كان لظهور السلاجقة كحاملين للواء الجهاد في سبيل الله، دوراً مؤثراً في دفع الحركة الجهادية من جديد، التي انكفأت وتراجعت منذ نهاية العصر العباسي الأول، حيث ضعفت الخلافة العباسية ولم تعد قادرة على رد خطر البيزنطيين الذين استعادوا قوتهم وأضحوا يهددون دار الإسلام ويعملون على استعادة ممتلكاتهم التي خسروها في الشام ومصر وبلاد المغرب، وعلى ضوء ذلك قام السلاجقة بفتح مناطق جديدة وضمها إلى الدولة الإسلامية، واستعانوا في ذلك بما توفر لهم من عدد وعدة، حتى انتصروا على البيزنطيين في معركة ملاذكرد سنة 463هـ، وأسسوا دولة جديدة لهم هي دولة سلاجقة الروم، وفي السياق ذاته كان للعلماء دور وأثر في الجهاد خلال هذا العصر، حيث تصدوا للقيام بهذا الواجب العظيم، سواء على المستوى التنظير الفقهي أو على مستوى الوعظ والتعبئة الشعبية أو على مستوى الخروج مع الجيش والمشاركة في المعارك، وسنستقصي هذا الدور كما يلي:

-الجهاد من جهد يجهد جهداً، والجهد بفتح الجيم، المشقة والمبالغة والغاية، وبضمها الوسع والطاقة<sup>2</sup>، ومنه الجهاد وهي الأرض الصلبة المستوية الغليظة الظاهرة التي لا نبت بها<sup>3</sup>، ومنه الجهاد الذي نعنيه، وهو المجاهدة العدو ومقاتلته، فيكون الجهاد استفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل في مجاهدة الأعداء<sup>4</sup>، تارة بالمال وتارة بالنفس وأحياناً بهما معاً<sup>5</sup>. وعلى ضوء ذلك صار الجهاد الحلقة المحورية التي انبنت عليه دول المسلمين المتعاقبة، فهو من بدهيات ديننا، وخاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، ومن نافلة القول أن الله نشر هذا الدين بفضل الجهاد في سبيل الله. والله تعالى حض النبي صلى الله عليه وسلم وأُمته على الجهاد، وعده من أجل أعمال المسلم وأعمالها وأعظمها أجراً<sup>6</sup>.

والجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل لأمرين:

1-عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص420.

2-ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص708.

3-المصدر نفسه، ج1، ص709.

4-المصدر نفسه، ج1، ص710.

5-عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص418.

5-العبدلي الغامدي خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (92هـ) حتى سقوط غرناطة (897هـ) دراسة عقدية، ط1، الرياض، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، جهاد الأستاذ لخدمات الطباعة، ربيع الآخر 1429هـ، ص532.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-الأمر الأول:دفع الاعتداء،وقد وقع الاعتداء على الأنفس والأموال بالفعل،وما كان صلى الله عليه وسلم وهو الذي يدعو إلى الحق الذي لا ريب فيه أن يترك الباطل يستغلظ ويقوى و يستخفي هو ويستسلم فلا بد أن يضرب الباطل ممثلاً بالحكام المستبدين الظالمين،وكان ماضياً إلى يوم القيامة ما بقي الشر ينزع الخير،فقال عليه الصلاة والسلام: {**الجماد ماض إلى يوم القيامة**}، لأنَّ اعتداء الشر على الخير ماض إلى يوم القيامة<sup>1</sup>.

-الأمر الثاني:تأمين الدعوة الإسلامية،أو "كفالة حرية العقيدة وانتشار دعوة الإسلام،ومنع الفتنة في الدين"<sup>2</sup>؛ لأنها دعوة الحق،وكل مبدأ سام يتجه إلى الدفاع عن الحرية الشخصية يهم الداعي إليه أن تخلو له وجوه الناس،وأن يكون كل امرئ حراً فيما يعتقد،يختار من المذاهب ما يراه بحرية كاملة،ويختار ما يراه أصح وأقرب إلى عقله،إذا وقف طاغية أو ملك قد أزهق شعبه من أمره عسراً،وحال بينه وبين الاستماع إلى الدعوة الصالحة فإنَّ حق صاحب الدعوة إذا كانت في يده قوة أن يزيل تلك الحجز بينه وبين دعوته ليصل إلى أولئك المستضعفين كي يروا نور الحقائق ليعلموا اعتناقها إن رأوا ذلك وآمنوا به،وإن لم يؤمنوا فمن اهتدى فلنفسه،ومن كفر فعليها،ولكن محمد النبي الأمين الرحيم لم يلجأ إلى ذلك ابتداء حتى لا يظن الجهلاء أنه فعل ذلك ابتداء ليفرض دينه،بل إنه دعا أولئك الطغاة أولاً ثم تركهم ليرى ماذا يفعلون،فاضطهدوا الذين آمنوا؛ فكان لابد من القتال لتأمين دعوته ممن اعتدوا عليها فعلاً ومنعوها<sup>3</sup>.

لقد اتصل الجهاد بالدين الإسلامي وتطور بتطور الدعوة الإسلامية في مرحلتها، وخاصة المرحلة المكية التي تخللها مضايقات ومواجهات بين المسلمين ومشركي قريش، حتى أذن الله تعالى لنبيه وصحابته بالهجرة إلى المدينة، وأنزل عليه قوله: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْنَهُمْ لُحُومًا وَلَنْ يُفْلَحَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (سورة الحج:39) الذي فيه الإذن بقتال الكفار، وهي أول آية نزلت في القتال. والواقع أنَّ فرض الجهاد في سبيل الله انتهج فيه مبدأ التدرج، فقد فرض الله تعالى على المسلمين قتال من يقاتلهم بقوله: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (سورة البقرة:190)، وبحلول السنة الثانية للهجرة فرض الجهاد وصار مشروعاً نظير قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ**﴾ (سورة البقرة:216)، خصوصاً أنَّ فكرة القتال والجهاد في سبيل تعد عبئاً ثقيلاً لا يستسيغه الناس ويكرهون القيام به، ولكن للضرورة أحكام، وما لا يتم

1- إبراهيم عبد الرحيم، السياسة الشرعية (مفهومها-مصادرها-مجالاتها)، ط1، القاهرة، دار النصر للتوزيع والنشر، 1427هـ/2006م، ص1140.

2- الزحيلي وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام، نقلاً عن إبراهيم عبد الرحيم، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- إبراهيم عبد الرحيم، المرجع السابق، ص1140-1141.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الواجب إلا به فهو واجب، لذا نزلت الآيات ترغب فيه وتحذر من مغبة التخلف عنه<sup>1</sup>، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة التوبة: 39).

وعليه أضحى للجهاد في سبيل الله أهمية كبرى في حياة المسلمين دولة ومؤسسات ومجتمع، حكاما ومحكومين، فهو كفيل بضمان أمنهم واستقرارهم، وراحتهم وكرامتهم، كما يحمون به دينهم وعقيدتهم وشعائرهم وديارهم وأعراضهم ودماءهم وأموالهم، وبالمقابل ينشرون به دينهم الذي هو دين الحق والعدل والمساواة، ويفتحون أراضي جديدة تضاف إلى ديار دولة الإسلام، كما يعد خير الأعمال وأفضلها وأعظمها ثوبا عند الله، لأنه ينطوي على بذل النفس والمال وهما قوام الحياة الدنيا<sup>2</sup>، ولذلك فإنَّ الجهاد يكون "غاية الطاعة لله تعالى"<sup>3</sup>، لأن كان الجهاد في سبيل الله له كل هذه الأهمية، فإنه في نفس الوقت له أهداف متماهية ومتوافقة معها، في مقدمتها حماية العقيدة تطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ لَنتَمَوْلَا فَلِئِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (39) ولين قولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (40)﴾ (الأنفال: 39-40)، إذ حمايتها... واجب على الجماعة المسلمة، وهو أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة، وإبلاغها للناس في حرية، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة، وتفتن الناس عنها، وأن تظل تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين بالله غير ممكنة لقوة في الأرض، ويكون الدين لله؛ لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان، ولكن بمعنى استعلاء دين الله في الأرض، بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول، ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله أن يبلغه، وأن يستجيب له، وأن يبقى عليه، وبحيث لا يكون في الأرض وضع، أو نظام يحجب نور الله وهده عن أهلهم، ويضلهم عن سبيل الله بأية وسيلة، وبأية أداة، وفي حدود هذه المبادئ العامة كان الجهاد في الإسلام. إنه الجهاد للعقيدة، لحمايتها من الحصار، وحمايتها من الفتنة، وحماية منهجها، وشريعتها في الحياة، وإقرار رايها في الأرض؛ بحيث يرهبها من يهيم بالاعتداء عليها، وبحيث يلجأ إليها كل راغب فيها، لا يخشى قوة أخرى في الأرض تتعرض له، أو تمنعه، أو تفتنه. وهذا هو الجهاد الوحيد الذي يأمر به الإسلام، ويقره ويثبت عليه، ويعتبر الذين يقاتلون فيه شهداء، والذين يحتملون

1- البواعنة لؤي، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (490هـ-648هـ/1097م-1250م)، ط1، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2007م، ص126.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص420.

3- الرازي، مناقب سيدنا الإمام مالك، ص369.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أعباءه أولياء...<sup>1</sup>، ومن أهدافه كذلك حماية الشعائر والعبادات ودفع الفساد عن الأرض، وأيضاً الابتلاء والتربية والإصلاح، وكذا إرهاب الكفار، وإخزاؤهم وإذلالهم وتوهمين كيدهم، بالإضافة إلى كشف المنافقين وإقامة حكم الله ونظام الإسلام في الأرض، ودفع عدوان الكافرين، وهذه كلها أهداف سامية للجهاد، ينتج عنها مصالح كريمة وفوائد عظيمة تتحقق للمسلمين وغيرهم، فهو من آثار الهجرة النبوية ونتائجها المهمة، ويعد من الدعائم التي أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم لبناء الدولة الإسلامية، وتوطيد أركان الإسلام<sup>2</sup>، "...لأنَّ الأمة بغير جيش قوي عرضة للضياع، إذ يطمع فيها أعداؤها، ولا يهابون قوتها، فإذا كان لها جيش قوي احترم العدو إرادتها، فلا تحدثه نفسه باعتداء عليها، فيسود عند ذلك السلام..."<sup>3</sup>.

**5- نصرة العلماء إلى الجهاد في سبيل الله:** إنَّ نظام الجهاد في الإسلام نظام دقيق للغاية، اعتنى العلماء ببيان أحكامه الشرعية، وأفردوا له أبواباً مستقلة في كتبهم تبرز أهميته ومقاصده، وحاجة الأمة إليه في كل زمان ومكان؛ لأنه هو السبيل إلى عزتها وكرامتها وحياتها، إذ بدونه تذلل وتغلب، وتفقد أهم عنصر من عناصر خيريتها واستحقاقها الشهادة على العالمين<sup>4</sup>.

لقد أدرك العلماء خطورة تقاعس الأمة الإسلامية -حكاماً ومحكومين- عن هذا الواجب العظيم، وإقامته كفيلة برد غائلة العدو وحماية بيضة المسلمين، وبه تمتلك الأمة القدرة على المبادرة وإقامة النظام الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى، وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى. كما عملوا على توضيح كل ما يتعلق بنظام الجهاد في سبيل الله، نظراً لطبيعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي عرفها هذا العصر، فسعوا إلى إبراز كل ما له صلة به، من خلال ما أفردوه من آراء وأحكام حوله لأجل رفع الالتباس وإرشاد حكام السلاجقة وبني العباس لإقامة هذا الواجب، من ذلك ما أورده إمام الحرمين بقوله: "...فأما الجهاد فيتعلق به أمر كلي، وقد يغفل المتجرد للفقهاء عنه، فأقول: ابتعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين، وحتم على المستقلين بأعباء شريعته دعوتين: إحداهما -الدعوة المقرونة بالأدلة والبراهين، والمقصد منها إزالة الشبهات، وإيضاح البينات في الدعاء إلى الحق بأوضح الدلالات والأخرى -الدعوة القهرية المؤيدة بالسيف المسلول على المارقين الذين أبوا واستكبروا بعد وضوح الحق المبين. فأما البراهين، فقد ظهرت ولاحت ومهدت، والكفار بعد شيوعها في

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص187، نقلاً عن الصلابي علي محمد محمد، السيرة النبوية عرض وقائع تحليل أحداث دروس وعبر، ج1، ط7، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص496-497.

2- الصلابي، المرجع نفسه، ج1، ص497-502.

3- سيف الدين، الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي الميزان، ص62، نقلاً عن الصلابي، المرجع نفسه، ج1، ص502.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص744.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

رتب المعاندين، فيجب وضع السيف فيهم، حتى لا يبقى عليها إلا مسلم أو مسالم...<sup>1</sup>، ويستنتج من قول إمام الحرمين أنَّ الجهاد في عصره ينبغي أن يقدم على الدعوة السلمية لأنَّ البراهين والأدلة قد أظهرت دين الإسلام حتى شاع ذكره وذاع صيته في أرجاء الدنيا، فلم يعد مجال إلا وضع السيف على الكفار المعاندين، شأنه في ذلك شأن كل من الماوردي وأبي يعلى الفراء، إذ قررا أنَّ الدعوة الإسلامية نوعين، النوع الأول وهو الدعوة السلمية بإظهار الحق وتوضيحه بالحجة والدليل والبرهان، والنوع الثاني هو الجهاد أو الدعوة القهرية، وهي متعلقة بالذين بلغتهم دعوة الإسلام فامتنعوا عن إجاباتها<sup>2</sup>. كما تجدر الإشارة إلى أنَّ الإسلام حينما أمر بقتال الأعداء، ممن كانوا خارج دولته، وليس بينهم وبين الدولة الإسلامية ميثاق ولا معاهدة بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ فإنه أمر أن يسبق هذا القتال دعوة هؤلاء الأعداء للدخول في دين الإسلام دعوة تعطيهم فكرة عامة وواضحة عن هذا الدين، وعن حياتهم التي سيعيشونها بظله وتحت رايته، فإنَّ هم استجابوا وصاروا مسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. وإن لم يستجيبوا لدعوة الإسلام والدخول فيه، دعوا إلى إعطاء الجزية، وهي ضريبة مالية تؤخذ من القادرين عليها مما بلغوا الحلم من الرجال دون النساء، مع ضمان حق القيام بعباداتهم وإجراء عليهم كل ما يتعلق بأحوالهم الخاصة، ومن مطعومات ومشروبات ومن طلاق وزواج وميراث، ولا يكرهون على الدخول في دين الإسلام استجابة لأمر الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: 256) ولهم في هذه الحالة، من حقوق إقامة العدل والرعاية، كالمسلمين لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِصُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِصِينَ﴾ (الممتحنة: 08)، كل ذلك مقابل أن يرضوا بحكم الإسلام، وأن يستظلوا تحت رايته، ويحملوا التابعية للدولة الإسلامية، أما إذا لم يستجيبوا لهذه الدعوة أيضاً، فأبوا الرضا بسلطان الإسلام وحكمه، فإنَّ الله تعالى أمر بقتالهم، قتالا اشترط فيه أن لا يتخلله غدر ولا إفناء ولا تدمير أو تخريب، كما ليس فيه قتل لمن لم يقاتل من المدنيين، ولا يد له في تعويق نشر الإسلام وعرقلة سيادة الشرع، كالنساء والأطفال والعجزة، مع إطعام أسراهم وعدم تعذيبهم<sup>3</sup>.

ومن هذا المنطلق يرى إمام الحرمين أنَّ الجهاد عند طوائف من الفقهاء هو من فروض الكفايات، فإذا قام به من فيه كفاية، سقط عن الباقي، وإن تعطل الجهاد حرج الكافة<sup>4</sup>، ويبدو أنَّ الغزالي هو الآخر قد نحا منحى الجويني والماوردي

1- الغياثي...، المصدر السابق، ص344.

2- الماوردي، المصدر السابق، ص72، الفراء أبو يعلى، المصدر السابق، ص41.

3- البدري عبد العزيز، المرجع السابق، ص312-313.

4- المصدر السابق، ص344.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

والفراء، بقوله: "طائفة مالت عن اعتقاد الحق كالكفرة والمبتدعة، فالجافي الغليظ منهم الضعيف العقل الجامد على التقليد المبتدئ على الباطل من مبتدأ النشوء إلى كبر السن لا ينفع معه إلا السوط والسيف فأكثر الكفرة أسلموا تحت ظلال السيوف؛ إذ يفعل الله بالسيف والسنان ما لا يفعل بالبرهان واللسان..."<sup>1</sup>، فهو يرى أنَّ الجهاد في سبيل الله هو الأسلوب الأنجع في عصره شأنه في ذلك شأن بقية العلماء الذين أوردنا آراءهم، وإذا عدنا إلى مشروعية الجهاد عند الجويني فقد اعتبره فرض كفاية، وشدد على ضرورة إدامته أي استتباع الغزو لبلاد الكفار على قدر الإمكان دون التقييد بأمد معلوم في الزمان، وإن تزامن إرسال البعوث والسرايا والكتائب على عدد من الجهات والمناطق، فعلى الخليفة أو السلطان فعل ذلك<sup>2</sup>، كما أنه يعتبر الجهاد فرض عين يقوم به الخليفة بقوله: "وأما الجهاد فموكول إلى الإمام، ثم يتعين عليه إدامة النظر فيه على ما قدمنا ذكره، فيصير أمر الجهاد في حقه بمثابة فرائض الأعيان، والسبب فيه أنه تطوق أمور المسلمين، وصار مع اتحاد شخصه كأنه المسلمون بأجمعهم، فمن حيث انتاط جر الجنود وعقد الألوية والبنود بالإمام، وهو نائب عن كافة أهل الإسلام، صار قيامه بها على أقصى الإمكان كصلاته المفروضة التي يقيمها..."<sup>3</sup>، وفي السياق ذاته يقول ابن الجوزي في تفسيره لآية "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم"، "...اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين، أحدهما: أنها منسوخة، واختلف أرباب هذا القول في المنسوخ منها على قولين، أحدهما: أنه أولها، وهو قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) قالوا: وهذا يقتضي أنَّ القتال يباح في حق من قاتل من الكفار، ولا يباح في حق من لم يقاتل، وهذا منسوخ بقوله (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) والثاني: أنَّ المنسوخ منها: (ولا تعتدوا) ولهؤلاء في هذا الاعتداء قولان، أحدهما: أنه قتل من لم يقاتل، والثاني: أنه ابتداء المشركين بالقتال، وهذا منسوخ بآية السيف. والقول الثاني: أنها محكمة، ومعناها عند أرباب هذا القول: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) وهم الذين أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من ليس بمعد نفسه للقتال، كالرهبان والشيخ الفناة، والزمنى، والمكافيف والمجانين، فإنَّ هؤلاء لا يقاتلون، هذا حكم غير منسوخ"<sup>4</sup>، والحق أنَّ ابن الجوزي من العلماء الذين يرون إباحة الجهاد في سبيل الله بعد أن ساق عددا من الأقوال المفسرة للآيات التي نزلت في إباحة القتال<sup>5</sup>.

1- الاقتصاد في الاعتقاد، ومعه كتاب السداد في الإرشاد إلى الاقتصاد في الاعتقاد للدكتور مصطفى عبد الجواد عمران، ط1، القاهرة، دار البصائر، 1430هـ/2009م، ص85-86.

2- النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، المصدر السابق، ص345.

3- المصدر نفسه، ص346.

4- زاد المسير في علم التفسير، ج1، المكتب الإسلامي، ص197-198.

5- المصدر نفسه، ج1، ص198-200.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أما الماوردي فيرى أنَّ الجهاد في سبيل الله متعلق بأمر الإمام/الخليفة ويتفق مع ما ساقه الجويني عنه، فقد أورد في كتابه الحاوي الكبير؛ أنه تجب طاعة وامتثال أمر الإمام/الخليفة في إنفاذ الجيوش إلى دار الحرب لقتال العدو، وإذا لم يطيعوه مع انتفاء السبب سقطت أرزاقهم التي يأخذونها في مقابل جهادهم، وإذا تمادوا في ذلك سقط ما يعطونه عليه من الرزق، يضاف إلى ذلك أنَّ على الإمام/الخليفة أن يستكثر من الجهاد مع المكنة إتباعاً لأمر الله تعالى واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحقيقاً لوعده تعالى في إظهاره على الدين كله<sup>1</sup>، وبذا يصير لزماً عليه القيام بالغزو كل عام مرة إما بنفسه، أو خلفائه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركه في عام منذ فرض عليه الجهاد ولثلاً يمضي عطاء هدرًا، ولثلاً يقوى العدو بالمشاركة، ولثلاً يألف أهل الجهاد الراحة. والماوردي يرى رأي إمام مذهبه الشافعي في رد الأمر إلى رأي الإمام/الخليفة في إنفاذ أمر الغزو، واختيار الزمان الذي يأمرهم بالغزو فيه والمكان والعدد الذي يقتصر عليه<sup>2</sup>.

وفي كتاب "إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم" للوزير عون الدين يحيى ابن هبيرة البغدادي (ت560)، يلخص لنا أقوال الأئمة الأربعة وإجماعهم في باب الجهاد، فقد اتفقوا على أنَّ الجهاد فرض كفاية إذا قام به قوم من المسلمين سقط عن باقيهم ولم يأثموا بتركه، كما أنَّ من لم يتعين عليه الجهاد فإنه لا يخرج إليه إلا بإذن أبويه إن كانا حيين مسلمين، وكذلك إذا كان عليه دين فليس له أن يسافر إلا بإذن غريمه، وكذلك يجب على أهل كل ثغر أن يقاتلوا من يليهم من الكفار، فإن عجزوا ساعدتهم من يليهم، ويكون ذلك على الأقرب فالأقرب ممن يلي ذلك الثغر وأيضاً اتفقوا: على أنه إذا التقى الزحفان وجب على المسلمين الحاضرين الثبات، وحرّم عليهم الانصراف والفرار إذا قد تعين عليهم، إلا أن يكون متحرفاً لقتال، أو متحيزاً إلى فئة، أو يكون الواحد مع ثلاثة، أو المائة مع ثلاثمائة فإنه أبيض لهم الفرار، ولهم الثبات لاسيما مع غلبة ظنهم بالظهور<sup>3</sup>.

واتفقوا على وجوب الهجرة عن ديار الكفر لمن قدر على ذلك، وبعدم قتل النساء الكافرات اللواتي لم يقاتلن المسلمين، باستثناء ذوات الرأي منهم فيقتلن، ونفس الأمر ينطبق على الأعمى والمقعّد والشيخ الفاني وأهل الصوامع منهم إن كانوا أصحاب رأي وتدبير، فيجب قتلهم، ولكنهم في الدين لم يكن لهم رأي ولا تدبير، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: لا يجوز قتلهم. وعن الشافعي قولان، أظهرهما: أنه يجوز قتلهم<sup>4</sup>.

1- العمري سعود عمر عبد الله، كتاب قسم الفيء والغنيمة من كتاب الحاوي الكبير لأبي الحسن الماوردي، (دراسة وتحقيق)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1413هـ، ص211.

2- المرجع نفسه، ص212.

3- ابن هبيرة البغدادي الحنبلي عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد، إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم، دراسة وتحقيق محمد حسين الأزهرى، مج2، ط1، دار العلا للنشر والتوزيع، 1430هـ-2009م، ص327.

4- ابن هبيرة، المصدر السابق، ص328.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

نظر العلماء إلى الجهاد خلال عصر الدراسة على أنه من أكد الأمور التي يجب إقامتها والقيام بها، حيث شددوا على السلاطين والخلفاء وجعلوهم ملزمين بجهاد الكفار ورد غائلتهم وشحن الثغور بالعساكر وترتيب الجيوش لغزوهم في كل سنة مرة على الأقل، كما أبرزوا أحكام الجهاد وما يتعلق به من خلال ما أفردوه في كتبهم في هذا السياق، منطلقين في ذلك مما أجمعت عليه الأمة ومراعين واقع عصرهم وأحواله، فقد شهد العصر السلجوقي تحولات عديدة وتغيرات كبيرة في العلاقة بين المسلمين والكفار استدعت تفعيل الجهاد ضدهم بعد أن استعادت الدولة العباسية عافيتها بفضل السلاجقة، فكان توحيد الأمة مقترنا بالجهاد ضد عدوها وغزوه وفتح أراضيه وحكم شعوبه وفرض الجزية عليهم إذا لم يسلموا، وهذا ما ذهب إليه أحد المفكرين بقوله: "ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليته عن منهجه، وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً، وتعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، لا بقهرهم على اعتناق عقيدتهم، ولكن بالتخية بينهم وبين هذه العقيدة... بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخية بينها وبين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها... وبهذا نستطيع تقرير ألوهية الله وحده وربوبيته للعالمين، وتحطيم مملكة الهوى البشري في الأرض، إقامة مملكة الشريعة الإلهية في عالم الإنسان..."<sup>1</sup>.

**6- جمهور العلماء في الحث والتحريض على الجهاد في سبيل الله:** لعل أهم الجهود التي أسهم بها العلماء في الحياة السياسية في العصر السلجوقي، هو توجيههم الناس إلى الجهاد، لنشر الدعوة، والتمكين للدين، مستعينين على ذلك بحشد من الأحاديث النبوية، التي تحبب الجهاد وتدعو إليه، وتبين مكانة المجاهدين عند الله تعالى، وما ينتظرهم عنده تعالى من ثواب في الآخرة<sup>2</sup>، لذلك بذل العلماء جهوداً معتبرة للتحريض على الجهاد باللسان والتأليف والوعظ والإرشاد والدعاء ووهبوا أموالهم وأنفسهم في سبيل هذا المطلب العظيم<sup>3</sup>، كما عملوا على توعية الأمة بمخاطر الغزو، عن طريق إلقاء الدروس في المساجد، واستغاثات مبكية على أعتاب دار الخلافة والسلطنة السلجوقية منددة بضعف المسلمين، وقادتهم داعية إلى العون والمساعدة، وتلبية نداء الجهاد<sup>4</sup>.

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج9، ص1432-1436، نقلاً عن الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص752.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص421.

3- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص351.

4- البواعنة لؤي، المرجع السابق، ص130.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

ومن أولى من العلماء في القيام بأفضل الأعمال، وأجل القربات وأعظم الطاعات وأكرم العبادات وهو الجهاد في سبيل الله، بل من أولى منهم لنيل الشهادة في الجهاد، والشهيد كما يعلمون من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وله درجة تدنو من الأنبياء والمرسلين، بل هو معهم في جنات النعيم<sup>1</sup>.

لقد أدرك العلماء خطورة الموقف إذا لم يبادر المسلمون إلى الجهاد حين اجتاحت الصليبيون بلاد الشام، وأصبح المسلمون في موقف لا يحسدون عليه، لذا اضطلعوا بهذه المهمة العظيمة والغاية المباركة لإنقاذ ديار الإسلام وتحريرها من يد الغزاة المحتلين، فالعلماء هم الذين يقفون في الأزمات التي تصيب الأمة الإسلامية ويعملون على الإبقاء على صلابتها وعافيتها خلال الامتحانات التاريخية، تمكن فيها الأغيار من إلحاق انكسارات بنظامها السياسي والعسكري، لكن الأمة استعصت على محاولات الاجتثاث والاستئصال<sup>2</sup>.

إنَّ الغزو الصليبي أو ما اصطُح عليه بالحروب الصليبية<sup>3</sup>، شكلت أكبر ضربة للعالم الإسلامي، حيث تعرض لغزو أراضيه من قبل مسيحي أوروبا واحتلوها وأقاموا فيها إمارات لهم، فقد واجه عددا من الحملات على فترات متقاربة أحيانا ومتباعدة أحيانا أخرى، الأمر الذي يعتبر أكبر محنة رزئت بها الأمة الإسلامية منذ تأسيس الدولة الإسلامية وامتدادها إلى مشارق الأرض ومغاربها.

وفي السياق ذاته وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق في وقت كان فيه العالم الإسلامي يعاني من الانقسامات السياسية والمذهبية الدينية، فقد تفككت دولة السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه في عام (485هـ/1092م) بفعل الصراع على السلطة ونشوب الحرب الأهلية بين أبنائه، ثم بينهم وبين عمهم تاج الدولة تتش حاكم دمشق، وكان للسلطان السلجوقي أربعة أبناء هم بركياروق ومحمد وسنجر ومحمود، الذين دب بينهم الخلاف وخاصة بين محمود البالغ من العمر خمس سنوات وأمه خاتون من جهة، وبين بركياروق الابن الأكبر للسلطان المتوفى والبالغ من العمر خمسة عشر عاما، وانتهى بأن احتفظ محمود بأصفهان وإيران على أن تكون بقية أجزاء الدولة من نصيب بركياروق ويحتفظ هذا بلقب سلطان، على أن ترکان خاتون لم تلبث أن توفيت في (رمضان 487هـ/أيلول 1094م)، ولحقها ابنها

1- البدري عبد العزيز، المرجع السابق، ص 317.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 16.

3- يقصد بالحروب الصليبية، الحملات ذات الطابع الديني التي أرسلها مسيحيو غربي أوروبا إلى الشرق الإسلامي بين علمي (489هـ-690هـ/1096م-1291م) لانتزاع الأرض المقدسة في فلسطين من المسلمين، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى شارة الصليب التي اتخذها الغزاة علامة لهم، وهي أيضا هجرة واسعة قام بها سكان أوروبا الغربية إلى الشرق الإسلامي لاحتلاله، وعليه شكلت الحروب الصليبية مرحلة من مراحل الصراع بين الشرق والغرب عبر عصورها التاريخية، والذي لا يزال مستمرا إلى يومنا هذا، لتحقيق مصالح سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، ينظر: طقوش محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) 489هـ-690هـ/1096م-1291م، ط1، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص 13.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

محمود في آخر شوال/11 تشرين، فتوجه بركياروق عندئذ إلى أصفهان وملكها<sup>1</sup>، ولم تحل سنة 489هـ/1096م إلا وكانت دولة السلاجقة قد انقسمت إلى خمس دول هي:

-سلطنة سلاجقة إيران برئاسة السلطان بركياروق بن ملكشاه.

-سلطنة سلاجقة خراسان وما وراء النهر برئاسة أبو الحارث سنجر بن ملكشاه.

-سلطنة سلاجقة الشام، وقد انقسمت إلى دولتين، سلطنة حلب وعلى رأسها رضوان بن تاج الدولة تتش وسلطنة دمشق وعلى رأسها أخوه دقاق.

-سلطنة سلاجقة الروم وعلى رأسها قلع أرسلان الأول بن سليمان بن قتلмыш.

أما بخصوص بلاد الشام فإن سلطنة السلاجقة بها بدأت سيادتها تنحسر، ذلك أن ابني تاج الدولة تتش لم يتمتعا بالمقدرة السياسية التي تمكنهما من مواجهة الأوضاع القلقة التي عانت منها هذه البلاد في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الميلاديين، ولعل المظهر الأبرز لهذا الانحسار ظهور الأتابكيات كوحدات سياسية مستقلة مثل أتابكيات دمشق والموصل وكيفا و ماذرين والجزيرة الفراتية و إربل وأذربيجان وغيرها<sup>2</sup>.

أمام هذا الوضع الذي كانت تشهده بلاد الشام، نجح الفرنج في إحكام سيطرتهم عليها، وسقوط مدنها واحدة بعد أخرى، فقد سقطت نيقية عام 490هـ/1096م، وأنطاكية في جمادى الأولى من عام 491هـ/1098م بعد أن تمكنوا من خلال تواطؤ أحد سكانها الأرمن مع الفرنج وتسليمهم إياها فسبوا نساءها وأطفالها. وعلى الرغم من محاولات عسكر الموصل استعادة المدينة بعد سقوطها، بمحاصرتها وتضييق الخناق على الفرنج فيها، إلا أن جهودهم باءت بالفشل لانقسامهم وانعدام وحدتهم<sup>3</sup>.

أدرك علماء الشام فداحة الكارثة التي حلت بالمسلمين، لذا هبوا من أجل الوقوف أمام هذا الغزو قبل استفحاله وامتداده لبقية مدن الشام، مؤكدين على الدعوة للجهاد، يتقدمهم في ذلك الفقيه والمحدث الدمشقي أبو الحسن السلمي<sup>4</sup>، وعلى الرغم من أن دور علماء الشام يندرج خارج الإطار الجغرافي للدراسة، إلى أن علاقتهم أكيدة بالسلطنة السلجوقية والخلافة العباسية، وخاصة أبو الحسن السلمي الذي كان أول من نبه إلى مخاطر الغزو ودعا إلى مقاومته بالحض والحث على الجهاد والوحدة بين المسلمين في دروسه ومجالسه التي كان يعقدها في الجامع الأموي لتوعية أبناء الشام وترغيبهم وتحفيزهم على الجهاد، وهذه الدروس جمعت في كتاب من اثني عشر جزءا تحت عنوان "كتاب

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية...، المرجع السابق، ص 66.

2- المرجع نفسه، ص 68.

3- البواعنة لؤي، المرجع السابق، ص 130.

4- هو علي بن طاهر بن جعفر السلمي النحوي الدمشقي، ولد عام 431هـ/1039م، كان فقيها ثقة ديناً، ورواية للحديث، كانت له حلقة في الجامع الأموي بدمشق، وقف فيها كتبه، توفي بدمشق عام 500هـ/1106م، ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام...، مج 10، ص 828.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الجهاد"، وقد أظهرت دروسه أهمية دور المسجد في مقاومة العدوان الخارجي على الأمة الإسلامية<sup>1</sup>. وقد علق (هولت) Holt على مجالس السلمي هذه بالإشارة إلى أن الدعوة للجهاد ضد الفرنج بدأت وانطلقت من دوائر العلماء والكتاب والأتقياء وليس في مجالس الحكام<sup>2</sup>.

ركز السلمي على ثلاث قضايا رئيسة لها صلة أكيدة بمقاومة الغزو الصليبي، أولها دور السلطة السياسية في المشرق الإسلامي في إقامة فرض الجهاد والدفاع عن البلاد من الأعداء، وثانيها إحياء فكرة الجهاد في نفوس أهل الشام وحفزهم على القتال، والقضية الثالثة هي ضرورة وحدة العالم الإسلامي وضرورة نبذ التنازع والتخاصم بين المسلمين<sup>3</sup>، من ذلك ما قاله: "...وأما الإجماع فقد وقع بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء الأربعة، وجميع الصحابة على وجوب الجهاد على الكافة ولم يتركه أحد منهم.. ولم يزل الأمر كذلك إلى الوقت الذي تركه بعض الخلفاء لضعفه وقصور يده عنه. ثم اتبعه على ذلك غيره. فأوجب قطعه مع ما أطرحه المسلمون من المفترضات اللازمة لهم واحترصوه من الأمور المحظورة عليهم (إلى) أن شئت الله شملهم، وخالف بين كلمتهم وألقى الدواة والبغضاء بينهم وأطمع أعداءهم في انتزاع بلادهم من أيديهم..."<sup>4</sup>.

لقد بذل السلمي جهوده عبر خطبه ودروسه، بالتركيز والتأكيد على أمرين أساسيين مرتبطين ببعضهما هما: المحافظة على فريضة الجهاد، ودور القيادة السياسية فيها؛ لما للجهاد من أهمية بالغة في المحافظة على هبة الدولة وكيانها إضافة لفضله وثوابه عند الله عز وجل. كما اعتبر السلمي الجهاد من مسؤوليات السلطة وواجباتها حيث دعى السلطان السلجوقي والخليفة العباسي إلى إرسال الجيوش وقيادتها بأنفسهما أو إنفاذ من ينوب عنهم، وذلك خوفا ورهبة من تعطيل فرض الجهاد، وحذر في الوقت نفسه من تركه، مبينا لهم أن من واجبات الحاكم نصح المسلمين والدفاع عنهم وعهن بلادهم، وبخلاف ذلك فإنه سيلقى عقابا إلهيا.

يعد العالم السلمي من العلماء المسلمين القلائل الذين تميزوا ببعد النظر واستشعار الخطر الذي يحيط بالعالم الإسلامي، ورأى في الغزو الصليبي حربا دينية شعواء تستهدف الإسلام، ابتداء بصقلية ثم الأندلس حتى الشام، تمكنهم من تحقيق أمانهم باحتلال بيت المقدس، وقد أشار إلى كل ذلك بقوله: "فوثبت طائفة على جزيرة صقلية على حين تباين وتنافس وتملكوا بمثل ذلك بلدا بعد بلد من الأندلس، ولما تناصرت الأخبار عندهم بما هي عليه هذه البلاد من اختلاف أربابها، وتقرض أكابرها مع اختلالها واضطرابها أمضوا عزائمهم على الخروج إليها وكانت

1-البواعنة لؤي، المرجع السابق، ص130-131.

2-نقلا عن البواعنة لؤي، المرجع نفسه، ص131. Holt, The Age the Crusades, p27.

3-البواعنة، المرجع نفسه، ص132.

4-السلمي، مخطوطة كتاب الجهاد، ج2، ص174، نقلا عن البواعنة، المرجع نفسه، ص132.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

القدس مهائر أمانهم منها"<sup>1</sup>. والجدير بالذكر أيضا أنَّ السلمي لم يقتصر في دعواته وتحذيراته في جامع دمشق على إظهار خطورة الغزو الصليبي وأسبابه، وبيان ما كان عليه المسلمون من فرقة، بل عمل على الحث الجهاد في سبيل الله لأنه الهدف الرئيسي من خطبه ودروسه، وخير دليل على ذلك كتابه الذي احتوى عليها<sup>2</sup>، وعد الجهاد واجب على كل "ذي قدرة وهو من لا مرض به قاطع ولا زمانة ولا عمى ولا عجز من شيخوخة، فأما من سوى هؤلاء من غني وفقير وذو الدين، ومن هو مرتهن بدين، فواجب عليهم النفير في هذا الحال، و البدار لحسم ما يخشى من عاقبة الونية فيها والتناقل عنها، ولا سيما الآن مع قلة العدو وبعد ناصرهم واتفاق كلمة أهل هذه البلاد المتقاربة وتظاهروهم..."<sup>3</sup>، وحصر دعوته للجهاد في أهل الشام عامة بدءا بحكامها وإنهاء بفلاحيتها، حيث قرع حكام الشام وحملهم مسؤولية ترك الجهاد والتقاعد عنه واعتبرهم سبب الذل والهوان الذي تعاني منه الأمة وفي ذلك استشارة لهممهم، ولم يفته التبشير بنصر الله إن هم جاهدوا عدوهم<sup>4</sup>، "فالعجب كل العجب من سلطان يتهنأ بعيش أو يخلد إلى استقرار مع إظلال هذه النازلة التي مغبتها استيلاء هؤلاء الكفار والإخراج من البلاد... والإقامة على الذل والصغار فو الله يا معشر سلاطين هذه البلاد ومن تبعهم من الأعوان والأجناد وغيرهم من المستعانة والأحداث والإنجاد الأجلاء وأرباب الطارف من المال والتلاد. ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ (التوبة: 41)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَلَا تَنَازَعُوا فْتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (سورة محمد: 07) وثقوا بنصر الله سبحانه وإياكم"<sup>5</sup>، وأشار أيضا في معرض حديثه عن الجهاد إلى أهمية المال بقوله: "وينبغي لكافة الناس من الأجناد والرعايا والفلاحين، وسائر الناس أجمعين معاضدتهم بكل ما يقدرون عليه وتصل أيديهم وقدرتهم... ويجتزئ المقل منهم بيسير النفقة..."<sup>6</sup>، يضاف إلى هذا تربيته وتخويفه لحكام المسلمين "واعلموا يقينا أن هجوم هذا العدو على بلادكم ووصولهم إلى ما وصلوا إليه من بعضكم إنما هو تخويف من الله لمن بقي منكم، ليرى ما يكون من إقلاكم عن معاصيه فينصركم عليهم فيؤمن خوفكم أو تماديكم..."<sup>7</sup>.

1- السلمي، مخطوطة كتاب الجهاد، ج2، ص174، نقلا عن البواعنة لؤي، المرجع السابق، ص133.

2- البواعنة، المرجع نفسه، ص133.

3- السلمي، المصدر نفسه، ج2، ص176، نقلا عن البواعنة، المرجع نفسه، ص134.

4- البواعنة، المرجع نفسه، ص135.

5- السلمي، المصدر السابق، ج2، ص177، نقلا عن البواعنة، المرجع نفسه، ص136.

6- المصدر نفسه، ج2، ص189، نقلا عن البواعنة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المصدر نفسه، ج2، ص180، نقلا عن البواعنة، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وبالمقابل عمل على ترغيبهم في الجهاد للفوز بالجنة" واغتنموا غزوة قد هيأها الله تعالى لكم من غير كبير تعب ولا نصب وجنة قد زفت إليكم تنالوا بتوفيق الله سبحانه، واحذروا كل الحذر أن تتخلفوا عن ذلكم فتصلوا نارا ذات لهب..."<sup>1</sup>.

لقد عكست كلمات ومواظ وخطب ودروس السلمي قلقه وخوفه واهتمامه البالغ بمصير أمة الإسلام وأرض الإسلام، حيث هدف إلى توعية أهل الشام بغاية الجهاد وضرورته، وتأكيد على أهميته ووجوبه والتفصيل في أحكامه، وقد لذلك دوافعه وظروفه المرتبطة بالغزو، إذ رأى أن من واجبه كعالم وفقه إيضاح لهم ذلك. وربما كان لتقاعس البعض عن القيام به سبب في بيانه ما إن كان جهاد الفرنج فرض كفاية أم فرض عين؟ معتمدا في ذلك على تفسيرات من سبقه من الفقهاء وخاصة الإمام أبي حامد الغزالي<sup>2</sup>. وتواصلت جهود العلماء في الحث على الجهاد ضد الصليبيين، من خلال تزعمهم لوفود تضم المستغيثين والمتضررين من الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، وذهابهم إلى دار الخلافة في بغداد لحث الخليفة على الجهاد، بعد أن لمسوا تحاذله، فكان الاستنفار والاستنجاد، من الوسائل التي لجأ إليها العلماء للتعبير عن مقاومتهم لهذا الغزو والتصدي له<sup>3</sup>.

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما "...أخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم... وورد المستنفرون من بلاد الشام، وأخبروا بما جرى على المسلمين وقام القاضي أبو سعد الهروي قاضي دمشق (في الديوان)، وأورد كلاما أبكى الحاضرين، وندب من الديوان من يمضي إلى العسكر ويعرفهم حال هذه المصيبة..."<sup>4</sup>، وكان الرد من قبل الخليفة بتسيير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفا بن عقيل وأبو سعيد الحلواني وأبو الحسين بن سماك إلى حلوان<sup>5</sup>، للوقوف على أمر سقوط بيت المقدس والتحقق مما ارتكبه الفرنج<sup>6</sup>، يقول ابن كثير: "وندب الخليفة الفقهاء إلى الخروج إلى البلاد البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس فلم يقد ذلك شيئا، فإنا لله وإنا إليه راجعون"<sup>7</sup>، يضاف إلى ذلك مشاركة العلماء لأهل حلب الذين ساروا إلى بغداد مستنفرين على الفرنج، فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم، فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا

1- السلمي، المصدر السابق، ج2، ص177، نقلا عن البواعنة، المرجع السابق، ص136.

2- البواعنة، المرجع نفسه، ص137.

3- المرجع نفسه، ص139.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص47.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص20.

6- البواعنة، المرجع السابق، ص140.

7- المصدر السابق، ج12، ص156.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان إنفاذ العساكر للجهاد<sup>1</sup>. وفي هذا تأكيد واضح للدور الذي أولاه العلماء للعامة وذلك عن طريق استغلال حماسهم وحميتهم للدين بالترويج لفكرة الجهاد، من خلال منابر رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة في يوم الجمعة لما له من أهمية، بإثارتهم للفوضى والتنديد بإبطال فرض الجهاد والدعوة إلى إقامته.

كما تجلّى أثر هذه الاستغاثة واضحة باستجابة السلطان السلجوقي من خلال إصدار أوامره للأمرء ومقدمي العسكر بالاستعداد للسير إلى جهاد الفرنج، حيث سير حملة عام 505هـ/1110م، تمكنت من فتح عدة حصون في سنجار، ومحاصرة الرها، وتقدمت نحو حلب، وقتلت عددا من الفرنج المقيمين فيها. ولعل في هذه الحملة التي سيرها السلطان أكبر دليل على تأثير العلماء ونجاحهم في الدعوة إلى الجهاد<sup>2</sup>.

**7- مشاركة العلماء في المعارك الحربية خلال العصر السلجوقي:** لم يكتف العلماء بالدعوة للجهاد باللسان والتأليف وتحريض الناس فقط، بل اعتبروا أنفسهم أكثر أفراد المجتمع الإسلامي مسؤولية لإقامة رسم الجهاد، فلم يفوتوا أي فرصة تسنح لهم للخروج إلى المعارك والمشاركة فيها، حيث أضحي حضورهم بجانب الجنود يكتسي طابعا خاصا، ويعطيهم الحيوية وقوة الإقدام وشدة البأس ورياسة الجأش والثبات في حرب العدو حتى النصر أو الشهادة.

لقد تفاعل العلماء مع سلاطين السلاجقة الذين كانوا حريصين على جهاد البيزنطيين وفتح بلادهم ودخول عاصمتهم القسطنطينية التي صمدت في وجه الجيوش الإسلامية واستعصى فتحها، فرأوا أنّ هذه الدولة التي بذلوا جهودا كبيرة في تأسيسها وساهموا في توحيدها لأقاليم الخلافة العباسية ومواجهتها للغزو الشيعي الإسماعيلي والقضاء عليه، واعتبروا أنّ هذه الدولة أعادت القوة لدولة الإسلام وهيبته، آخذين في اعتبارهم ضرورة توحيد كلمة المسلمين وأن العدو لا يقوى إلا باختلافهم "...بما وهبهم الله من وعي لتدابير الأعداء، وسير لمكائدهم؛ بما يدركونه من واجب عليهم اتجاه دينهم وأمتهم هبوا يستنفرون الناس، ويستنهضون الهمم ويلهبون المشاعر، ويستثيرون الحماس، ويذكرون جذوة الإيمان في القلوب لمجاهدة ذلك العدو، والتصدي لأعماله العدوانية، وغاراته التخريبية، ومخططاته التوسعية..."<sup>3</sup>.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص141.

2- البواعنة، المرجع السابق، ص145.

3- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عهدي المرابطين والموحدين (483هـ/1090م - 640هـ/1242م)، ط1، السعودية، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، 1422هـ/1998م، ص153.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

كانت مشاركة العلماء أساسية في الغزوات وأعمال الجهاد، حيث كان يدعى العلماء إلى المشاركة ليكونوا قدوة لغيرهم، ومن أجل تجميع الجيش وتبصيره بواجباته الدينية ومسؤوليته في الدفاع عن العقيدة، فهم أدرى الناس بأهمية هذا الواجب بحكم صفتهم<sup>1</sup>. وقبل التفصيل في مشاركة العلماء المعارك الحربية خلال العصر السلجوقي يحسن بنا التطرق إلى طبيعة الفتوحات في هذا العصر وكذا دوافعها كما يلي:

**7-1- لصيغة الفتوحات السلجوقية:** تنطوي حركة الجهاد في العصر السلجوقي بانطلاقة الجيوش السلجوقية التوسعية إلى قلب الأراضي البيزنطية وتأسيس فرع آخر سلطنة السلاجقة عرف بسلاجقة الروم، خاصة بعد توقف حركة الفتح منذ تأسيس الدولة العباسية سنة 132هـ، فقد أدى الهدوء النسبي لحركة الفتوحات الإسلامية في عهدها، إلى إتباعها سياسة المحافظة على ما قد تم فتحه في العهود السابقة، مع القيام ببعض الحملات الروتينية (الصوائف والشواقي) - إلى جانب انتهاز الدولة البيزنطية بعض أوقات الاضطرابات في الدولة الإسلامية للإغارة على حدودها الشمالية - إلى الاهتمام بتحصين حدود الدولة، خصوصاً الشمالية مع البيزنطيين ببناء المدن الثغرية، وإحاطتها بالخنادق والحصون والقلاع، وشحنها بالمقاتلة والسلاح<sup>2</sup>.

إنَّ الحديث عن حركة الفتوحات الإسلامية يندرج ضمن تطور الدولة الإسلامية، ككيان واحد جامع للمسلمين في بوتقة واحدة وحجم هذه الدولة ومساحتها وفترات القوة والضعف، والوحدة والانقسام، والتحالفات الكبيرة والمحاولات الحدودية، وأنماط وأشكال وأساليب التعامل مع أعداء الإسلام منذ تأسيس هذه الدولة في المدينة المنورة على يد النبي صلى الله عليه وسلم إلى غاية عصر الدراسة - العصر السلجوقي - وما بعده من عصور. كما كان لظهور الإسلام وانتشاره في الجزيرة العربية، ومنذ أن برز إلى الناس مشروعاً حضارياً يستند إلى قدسية الوحي ويعتمد قدرته الفارقة على مخاطبة الكيان البشري وعلى تفجير الحركة في النفس المؤمنة<sup>3</sup>، لذا كان له الدور الحاسم في إنجاح وثبة المسلمين الأولى على الإمبراطوريتين أيام الراشدين، فلقد استطاع المسلمون في زمن قياسي أن يقوضوا أركان الإمبراطورية الفارسية فمحوها من على الخريطة الدولية، وتمكنوا كذلك من فتح الشام ومصر وبلاد المغرب وإخراجها من سلطان البيزنطيين، وبقوا يهددون حدودهم الجنوبية التي لم تخلوا أراضيها من المعارك، ولم يوقف حركة الفتوحات الإسلامية الأولى إلا أحداث الفتنة التي شهدتها المراحل الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان وما تلاها من حروب داخلية بين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام حينئذ، ولقد أدت الفتنة إلى انشغال المسلمين

1- الحميدي غانم سعد عبد الكريم، فقهاء الأندلس في عصر الخلافة ودورهم السياسي والإداري والثقافي (316هـ-399هـ/928م-1008م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2002م، ص 48.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 433.

3- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 11-12.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

عن تثبيت أقدامهم في البلاد المفتوحة، وعن نشر الدعوة، مما يعكس الأثر السلبي للخلافات الداخلية على وضعية الدولة الإسلامية الناشئة على الساحة الدولية<sup>1</sup>.

شكلت سنة 41هـ فاتحة لعهد جديد أعاد حركة الفتح الإسلامي لعنفوانها واندفاعها، حيث أن تأسيس الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان قد جعلها تستأنف اكتساحها لسواد العالم القديم شرقه وغربه، وبخاصة عندما تمكن معاوية من لم شمل الأمة قبل أن تنفتت تماما وبعد أن كاد الأمل يضيع في إمكانية الحفاظ على الوعاء الذي يوحد الأمة ويحفظ الشريعة فأقام دولة قوية استطاع أن يبدأ بها مرحلة نشطة في العلاقات الدولية والتي كان قطباها حينئذ هما الدولة الأموية والدولة البيزنطية<sup>2</sup>.

سعى الأمويون إلى لعب دور الفاعل المركزي في العالم، ولا يتأتى ذلك إلا بجعل دولتهم صاحبة الكلمة العليا فيه، لها الحل والعقد، "...فقد أثبت خلفاء بني أمية أنهم على قدر عال من الاقتناع بسياسة رسول الله الخارجية، فالدولة الأموية استوعبت حجم وطبيعة الخطر القادم من الدول غير الإسلامية على الإسلام وآمنت أن خير وسيلة لمواجهة هذا الخطر هي الهجوم وليس الدفاع، أما غايتها النهائية من تعاملها الخارجي فكان حمل راية الإسلام إلى أرجاء العالم القديم كله، وهذه الغاية لها دلالة عظيمة فيما يتعلق بشكل النظام الدولي التي كانت الدولة الأموية تسعى إلى إقامته..."<sup>3</sup>.

وعليه أضحت الدولة الأموية أحد الأقطاب الهامة-إن لم تكن القطب الهام الأوحدها-المتحكم في مقدرات النظام الدولي وقتئذ، فكانت سياسة العالم تصنع بحق في مركز الخلافة الإسلامية، ولكن تأسيس الدولة العباسية يعد تحولا جذريا في إستراتيجية التعامل الخارجي للدولة العباسية بما يترتب على ذلك من تغيرات حاسمة في شكل العلاقات الدولية، ذلك أن سيطرة العباسيين على مقدرات الدولة الإسلامية كانت مقدمة لتغير شامل جذري كنا قد شهدنا إرهاباته في الدولة الأموية بداية من سليمان بن عبد الملك، ثم خبرنا التردد في تبنيه والتذبذب بين إقراره ورفضه عند بعض من جاء بعده من خلفاء وحتى سقوط الدولة الأموية. هذا التوجه هو التحول عن سياسة التوسع والفتوحات العسكرية كأساس أوحده للتعامل مع الأطراف غير الإسلامية<sup>4</sup>.

---

1-علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة الأموية... دولة الفتوحات 41هـ-132هـ/661م-750م (من استئناف الدولة الأموية القوي والمؤثر لحركة فتوحات الراشدين إلى بلوغ المد الفتح حدوده الطبيعية في المشرق والمغرب، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م، ص 07.

2-علا عبد العزيز أبو زيد، المرجع السابق، ص 08.

3-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4-علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة العباسية من التخلي عن سياسات الفتح إلى السقوط (132هـ-656هـ/750م-1258م)، ط 1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م، ص 07.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لقد أثبتت التجارب التاريخية أنَّ الدولة العباسية تعد من أعظم الدول الإسلامية في التاريخ الإسلامي، حيث عمرت أكثر من خمسة قرون، ولعل الخصيصة الأساسية التي انتهجتها منذ قيامها هي التخلي عن السياسة التوسعية على حساب أطراف النظام الدولي الأخرى والتوجه نحو علاقات دولية أكثر سلمية، وهذا التحول الجذري في إدارة الدولة الإسلامية لعلاقاتها الدولية جاء استجابة منطقية لعوامل طبيعية ولتغيرات داخلية ما كان في استطاعة الدولة العباسية أن تتجاهلها وإلا كانت كالسباح ضد التيار يحكم على نفسه بالموت مهما طال جهاده للأمواج العاتية. فالدولة العباسية إذا ما أخذنا في الاعتبار الظروف التي ولدت فيها، قد سلكت أفضل السبل المؤدية إلى بقاء الدولة الإسلامية بوصفها الوعاء الذي يحفظ الأمة ويحفظ الشريعة الإسلامية، بل وساهمت بطريقتها في نشر الإسلام في ربوع لم يصلها من قبل عندما حملته التجار والدعاة المسلمون معهم إلى الأمم التي كانوا يتاجرون معها والتي استقر الكثيرون منهم فيها.

أضحت الخلافة العباسية الفاعل الرئيسي المؤثر في النظام الدولي والمتحكم في التجاذبات السياسية والحضارية حتى نهاية العصر العباسي الأول سنة 232هـ، إذ نجح التوجه الخارجي لها في الاحتفاظ بها بمركز التسيد والعلو في النظام الدولي كأكبر دولة تجارية في العالم القديم وقبل هذا وأهم منه أنها نجحت في التمكين للإسلام في أنحاء الأرض التي وطأها أقدام التجار المسلمين طالما كانت الدولة العباسية قوية تفرض سياسة التعايش السلمي من منطلق قوة، ولكن لما أصاب الضعف الدولة العباسية وأكلتها الصراعات في الداخل وسيطر الجند المشاغبين على مقدراتها نظرت الأطراف الدولية إلى منطلق السلم الذي استندت إليه الدولة العباسية على أنه خضوع فتنمروا هم وتقهرت الدولة العباسية إلى موقف المدافع غير القادر وغير المتمكن فكيلت لها الضربات من قوى النظام الدولي الموجودة على الساحة بالفعل أو الصاعدة بين الحين والآخر حتى سقطت في النهاية لقوة حربية هائلة قادمة من الشرق هي قوة المغول كانت ضربتهم هي القاضية بعد الضربات المتوالية التي كيلت لها على مدار أربعة قرون بعد عهد ازدهار وقوة قصير لم يستغرق أكثر من قرن الزمان<sup>1</sup>.

إنَّ احتفاظ الدولة العباسية بالقدرة على إدارة العالم الإسلامي وغير الإسلامي، تلاشت أمام الحركات الاستقلالية التي نجحت في اقتطاع أجزاء هامة من مساحتها، مما أضعف مقدرتها على الاستمرار في لعب دور الفاعل المركزي القابض على جميع الفعاليات السياسية والدينية وحتى الاقتصادية، فما إن حل العصر العباسي الثالث (337هـ-447هـ) إلا والدولة العباسية أضحت فاعلا ثانويا في النظام الدولي، أمام التغيرات الجذرية التي جرت في خريطة القوى الدولية على الجانبين الإسلامي والمسيحي على حد سواء، فعلى الجانب الإسلامي اختفت الدولة الأموية من على

1-علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة العباسية...، المرجع السابق، ص12-13.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

مسرح الأحداث في المغرب وحلت محلها دولة المرابطين وتلتها دولة الموحيدين ليحفظا للمغرب والأندلس إسلامهما في مواجهة استرداد مسيحي قوي<sup>1</sup>.

ويرى أحد الباحثين أنَّ تفرغ الدور الرئيسي للدولة العباسية، خلفه أو ناب عنه بالمقابل الدول المستقلة في المشرق والمغرب، التي أدت دور المركز الخلفي في حمل عبء الجهاد ضد أطماع الأطراف الدولية الأخرى، وأحببت خططهم لاستغلال ظرف انحلال مركز الخلافة العباسية في المشرق، بل واستطاعت في المغرب الإسلامي أن تستكمل دور الفتح والملا الإسلامية في الأراضي غير الإسلامية والذي كان قد بدأ في العصر العباسي الأول، وسيضعف هذا الدور على الساحة الدولية بقيام الدولة الفاطمية الفتية لتعوض بشبابها هرم الدولة العباسية وعجزها. وهذا دليل على ما كانت تنطوي عليه الأمة الإسلامية من حيوية، وما تملكه من رؤية مشتركة للمسير والمصير واستطاعت أن تمتص الصدمة إلى حد كبير، وتحويلها إلى حركة إيجابية في مجالات العقيدة والسياسة والحضارة<sup>2</sup>.

لقد نتج عن تراجع قوة الخلافة العباسية، تغول القوى المسيحية الطامعة في اجتياح أراضيها، وفي مقدمتها الإمبراطورية البيزنطية التي استغلت هذه الفرصة التي لاحت لها وراحت ترمي بكل ثقلها لاسترجاع ما فقدته من أراضي في الشام ومصر والمغرب. ورغم ما بذله الحمدانيون في حلب بقيادة سيف الدولة لحماية ثغور الشام والجزيرة الفراتية ويدافع العدو عنها، جنباً إلى جنب مع مولاة نصر الذي ولاه حماية هذه الثغور، فكانا يتناوبان الغزو، ولكن لم تكن لديهما القوة الكافية لمقاومة عدو كالبيزنطيين، كانت الخلافة العباسية تهتم به أعظم اهتمام<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر أنَّ الحروب أضحت بين سيف الدولة الحمداني والبيزنطيين سجالات تعتمد أسلوب الكر والفر، إذ كلما غزا أحدهما الآخر، رد عليه الطرف الثاني بغزو المناطق التابعة له<sup>4</sup>، وقد استطاع البيزنطيون خلال العصر العباسي الثالث استرداد جميع الثغور الإسلامية الكبرى، وصارت لهم الهيبة في قلوب المسلمين من أهل الجزيرة والشام، وبنو بويه وبنو حمدان يغزو بعضهم بعضاً وهم عما نابهم من عدوهم مشتغلون<sup>5</sup>.

1- علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة العباسية... المرجع السابق، ص 110.

2- المرجع نفسه، ص 65.

3- عماد عبد الكريم أحمد خلوف، ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية (334هـ - 447هـ / 945م -

1055م) أسبابه وآثاره، أطروحة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة، تخصص التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد.

الأردن، 2012/07/12م، ص 170.

4- المرجع نفسه، ص 172.

5- المرجع نفسه، ص 180.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وفي نهاية الأمر توقفت الحروب والمعارك بين المسلمين والروم، فلم يعد أحد منهم يحاول غزو الآخر، لأن كل منهما لديه ما يشغله من أمور داخلية تغنيه عن الغزو، ولعل من أهم الأمور هو الصراع على السلطة ومن أجلها، وهي القاسم المشترك الذي جمع بين الروم والمسلمين، في نهاية فترة السيطرة البويهية على الخلافة العباسية على أقل تقدير<sup>1</sup>.

كان لصعود القوة السلجوقية أثر كبير في تحديد حركة الفتح الإسلامي ضد البيزنطيين، إذ تبدل الموقف السياسي والعسكري بالنسبة لهم، فبعد أن كانوا يواجهون دولا إسلامية ضعيفة، منقسمة على نفسها سياسيا ومذهبيا، فإذا بهم يجدون سلطنة قوية متماسكة، مكنت المسلمين من استئناف التوسع على حسابها، بعد أن دبّت في أرجائها حالات الضعف والركود، نتيجة زوال الأسرة المقدونية في عام 449هـ/1057م وما تبع ذلك من صراع بين الطبقتين العسكرية والمدنية<sup>2</sup>.

إنّ النجاح السريع الذي حققه السلاجقة في مد رقعة دولتهم من بلاد ما وراء النهر شرقا إلى الأناضول شمالا والشام غربا والحجاز جنوبا، وجسدوا موجة جديدة من الفتوحات الإسلامية بدأت في قلب الأراضي البيزنطية، وبذلك استكملوا شروط دور قوة إقليمية نشطة وفاعلة لتصبح الفاعل الإسلامي الأول على ساحة التفاعلات الإسلامية الكبرى. وبقدر ما تثير نشأة هذه الدولة ودوافع توجهها نحو الفتوح والعوامل التي ساعدتها عليها اهتماما خاصا بقدر ما يعلن دورها هذا عن بداية العصر الثاني للدولة الإسلامية والذي قادته العناصر التركية المسلمة بعد أن قادت العناصر العربية الموجة الأولى من الفتوح الإسلامية<sup>3</sup>.

**7-2- دوافع الفتوح السلجوقية بين الجماد والمصالح:** تميزت دوافع الفتوح السلجوقية بالجمع بين الدافع الجهادي والبعد المصلحي، فقد اعتبر السلاطين السلاجقة الغزو محركا أساسيا في إقامة دولتهم والدفع بها إلى أقصى نقطة يمكن أن يصلوا إليها، وأضحى الغزو الدافع الرئيسي للفتوح السلجوقية في أرمينيا وأذربيجان والأناضول، وامتزج بالدافع المصلحي الذي تجسد في الدفع بأعداد هائلة من قبائل الغز السلجوقية إلى الهجرة إلى مناطق جديدة وتأسيس سلطنة مستقلة هناك هي دولة سلاجقة الروم، إنّ المصاقبة تعكس طبيعة نظام الحكم السلجوقي القائم على توزيع السلطة بين أشياخ قبائل الغز، وهذا الذي تجلّى في عدد من السلطنات التي أسسها السلاجقة، كما أضحى الغزو والفتح يحمل الطابع الجهادي الذي طغى على الدافع المصلحي على الأقل في بدايات

1- عماد عبد الكريم أحمد خلوف، المرجع السابق، ص181.

2- Vasiliev: **History of the Byzantine Empire**-vol 01, p429. Setton: **History of Crusades**, vol-2

طقوش محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم...، المرجع السابق، ص35، 136، 01

3- نادية محمود مصطفى، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الصليبية الثانية، ط1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م، ص52.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الفتوح السلجوقية، وخير دليل على ذلك فتوح كل من السلطانين طغرل بك وألب أرسلان، ثم غلب البعد المصلحي بعد ذلك خاصة بعد بقاء فرع واحد للسلاجقة وهم حكام الأراضي البيزنطية. وهناك ملمح آخر يتجلى فيه توافق الدافعين وهو أنَّ الهدف الأول للسلاجقة كان توحيد العالم الإسلامي، والقضاء على الدولة الفاطمية؛ من خلال إزالة الدولة البويهية أولاً، ثم ضم الشام والقضاء على الإمارات التابعة الفاطميين، وبعدها الإجهاز عليهم في عقر دارهم، مما جعل الفتوح السلجوقية تأخذ اهتماماً رئيسياً لدى السلاطين السلاجقة، إذ القضاء على البيزنطيين يدخل ضمن صلب إستراتيجية تحول الدولة السلجوقية إلى فاعل رئيسي مؤثر وموجه للسياسة العالمية، ومتحكم في التوازنات الدولية، حيث أن بلوغ السلاجقة إلى العراق كان مقدمة لبداية الفتوح في عمق الأراضي البيزنطية، عندئذ توفرت أفضل فرص "الحرب المقدسة" حيث جذبت المتطوعين من جميع أنحاء أقاليم الدولة السلجوقية وبذا تمكن السلاجقة حين استجابوا لهذه الفرصة من إقامة إمبراطورية عظيمة ذات سلطان هائل<sup>1</sup>، حينما اعتبروا أنفسهم المدافعين عن الأمة الإسلامية من منطلق إسلامي، وذلك يحتم عليهم الوقوف في وجه البيزنطيين ودرء الخطر وتخليص ثغور الإسلام في كل مكان من السيطرة الاستعمارية الاستيطانية، ونشر الإسلام في قلب الأناضول<sup>2</sup>.

وعليه كان التمسك بالجهاد هو مبعث الجهود السلجوقية وسبب النجاح، إذ جذب إقدامهم عليه عدداً غير قليل من المتطوعين الذين عبأهم شعور إسلامي دافق وعاطفة متأججة، ومن ثم توافر للقيادة السلجوقية موارد بشرية هامة وعبئت طاقات إضافية، وقد جسدت هذه العملية لدى البعض ثقافة مناطق التخوم أي الثقافة التي سيطر عليها مفهوم الجهاد الإسلامي أو الغزوة، وأضحى الجهاد هو حجر الزاوية في سياسة الدولة السلجوقية خاصة بعد توحيد المشرق الإسلامي، وكان مفهوم "الغزو" يثير حماسة ومبادرة الفرد والمجتمع، ولذا قام العثمانيون بنجاح وجدية بواجب حماية ونشر الإسلام<sup>3</sup>.

### 7-3- حضور العلماء في معركة مانزيكرت - ملاذكرد - سنة 463هـ:

بدأت الفتوحات السلجوقية عندما تمكن طغرل بك من توطيد ملكه في فارس بحيث اتصلت حدود دولته بالأراضي البيزنطية في أرمينيا، فأغار عام 440هـ/1049م على أرمينية وديار بكر حيث كان حاكمها المسلم يدفع الجزية للروم البيزنطيين ثم زحف عام 1050م على مانزيكرت في حملة كانت تدريبا وتمهيدا للاستيلاء عليها والذي سيتم عام 1057م، كما استكمل ألب أرسلان ما بدأه عمه من حركة مد وفتح في الأراضي البيزنطية ففتح

1-نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص56.

2-المرجع نفسه، ص57.

3-المرجع نفسه، ص59.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

عام 456هـ/1046م أذربيجان وأرمينية وبلاد الكرج واستولى مدينتي أني وقارص اللتين تمثلان الخط الدفاعي الأول عن الإمبراطورية البيزنطية في هذه الجهات ووسط هذا المد الجارف لحقت الهزيمة بالسلاجقة عام 1070م فظن الروم البيزنطيون أنهم انكسروا<sup>1</sup>.

كان العلماء في مقدمة الجيوش السلجوقية المنطلقة للفتح وقاتل أعداء الإسلام، حيث أثبتوا حضورهم في المعارك الحاسمة التي جرت بين المسلمين والكفار، من ذلك معركة ملاذكرد التي جرت بين السلطان ألب أرسلان والإمبراطور البيزنطي رومانوس سنة 463هـ، إذ لما أوشك الجيشان على الاقتراب من بعضهما، بعث السلطان ألب أرسلان إلى الإمبراطور رومانوس من أجل الهدنة، ولكن هذا الأخير رفض طلبه ورد عليه قائلاً: لا هدنة إلا بالري، أي بعاصمة السلاجقة، فانزعج السلطان من ذلك، وعندئذ يأتي دور العلماء الفاعل والمؤثر والمثبت لكي يبعث الأمل في نفس السلطان وجيشه، فقد قال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالتقم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة، وهذا ما انعكس على نفسية السلطان واستعد لخوض المعركة بهذه الروح العظيمة، حيث صلى بهم في تلك الساعة وبكى فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من أراد الانصراف فليتنصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال: إن قتلت فهذا كفني. وزحف إلى الروم وزحفوا إليه فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى وأكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاءوا وأنزل الله نصره عليهم فانهمز الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم<sup>2</sup>.

يصور لنا هذا الموقف الذي أباده الفقيه العالم أبو نصر البخاري مدى ثقته في نصر الله لجنده، كما يعكس تفاعله مع هم المسلمين ووقوفه معهم في شدتهم ورحائهم وحرهم وسلمهم، مشاركة بالفعل والقول والروح والجسد، كما كان يسير على هذا المنهج وعلى هذه الطريقة فقد كان عارفاً بربه موقناً بنصره، ومن هذا كله ندرك اهتمام أبي نصر البخاري بأمر المسلمين، ويمثل دور العلماء الأقوياء الذين لا يرضون هزيمة أياً من كان عدوهم<sup>3</sup>.

1- علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة العباسية... المرجع السابق، ص 114.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 388-389.

3- تهماني بنت محمد بن علي التوجيري، دور العز بن عبد السلام في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والمملوكي (577هـ-660هـ/1181م-1262م)، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة

القصيم، 1438هـ/2017م، ص 181.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وأهمية موقعة مانزيكرت الحقيقية ليست في الجانب المادي والمعنوي الملموس لانتصار المسلمين مثل أسر الإمبراطور البيزنطي ذاته، والأعداء العظيمة من القتلى والأسرى وسطوع براعة السلاجقة في القتال لكن أهميتها الحقيقية تكمن في الآثار البعيدة التي تركتها على مسار العلاقات الدولية بين القوى الإسلامية وغير الإسلامية، فمعركة مانزيكرت تعتبر نقطة تحول في موازين ضخمة في موازين القوى ليس فقط بين الشرق الإسلامي والشرق المسيحي (الدولة البيزنطية) ولكن أيضا بين الشرق المسيحي والغرب المسيحي، فإذا كانت هذه المعركة قد أعادت للشرق مناعته وقوته في صراعه مع الدولة البيزنطية ومهدت لعودة مد الفتوحات الإسلامية مرة أخرى إلى داخل آسيا الصغرى حيث قامت الدولة السلجوقية باتخاذ نيقية-قلب آسيا الصغرى-عاصمة لها فجعلت منها نقطة انطلاق وتوسع شمالا في جهة البحر الأسود وجنوبا في جهة البحر المتوسط، بل واستطاعت تحرير التخوم الشامية وإعادة فتحها مرة أخرى أرضا إسلامية، وهكذا أضحت معركة مانزيكرت في نظر العديد من المحللين هي نقطة التحول التي أرخت لبداية سقوط الدولة البيزنطية وانتهاء دورها كقوة دولية كبرى، كما أنها أرخت لبداية فكرة الحروب الصليبية بكل ما ستحملة من آثار على مستقبل العالم الإسلامي كقوة دولية.

ومن الآثار المباشرة لهذه المعركة والتي ساعدت السلاجقة على الميل أكثر بميزان القوى ناحية دار الإسلام، أنها فحرت داخل الدولة البيزنطية حروبا أهلية وثورات داخلية وصراعات على العرش استغلها كلها السلاجقة بمهارة للتقدم وكسب مناطق جديدة في آسيا الصغرى من أهمها نيقية التي جعلوها عاصمة لسلطنة سلاجقة الروم في الأناضول، وكذا أزمير على بحر إيجه، وهكذا بحلول عام 1081م أضحت السلاجقة هم سادة آسيا الصغرى الحقيقيين من الفرات شرقا إلى بحر مرمرة غربا<sup>1</sup>.

ولقد اتسمت حركة التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى بسمة هامة كان لها آثار خطيرة عند مجيء الحملات الصليبية، فالسلاجقة كانوا يتوسعون في خطوط أفقية من الشرق إلى الغرب، ورغم أن حركة التوسع هذه أكسبتهم مدنا جديدة وهامة جدا إلا أنها حرمتهم أيضا من أقاليم غاية في الأهمية في الجزء الجنوبي من آسيا الصغرى مثل طوروس والرها وأنطاكية، والهام في هذا الأمر أن وجود السلاجقة في وسط آسيا الصغرى على امتدادها من الشرق إلى الغرب فصل هذه المناطق في الجنوب عن الدولة البيزنطية في الشمال، فأدى حدوث حركة إحياء أرمنية في طوروس دخل في حمايتها المسيحيون في أنطاكية والرها وغيرها من أقاليم الجنوب والشرق مكونين إمارات صغيرة مستقلة تحت حماية أرمن طوروس<sup>2</sup>.

1- علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة العباسية...، المرجع السابق، ص 114-115.

2- المرجع نفسه، ص 116.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وكانت الحرب ضد الدولة البيزنطية تعد جهادا لأنها تشن ضد أعداء الإسلام، لذلك أطلق لقب غازي (مجاهد) على من يشترك فيها، وأصبح الجهاد دافعا قويا للتركمان للاشتراك في تلك الحملات، فضلا عن الحصول عن الغنائم والمكاسب المادية<sup>1</sup>.

---

Teachner, **The Turks and The Byzantine Empire**, C.MED.H, VOL04, pp737-739-1

الزبياري محمد صالح، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ط2، دار جلة، 2009م، ص60.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

### -الفصل الرابع:موقف العلماء من الأحداث والقضايا السياسية في العصر السلجوقي

1-موقف العلماء من أساليب تداول السلطة عند السلاجقة(ولاية العهد).

2-أثر العلماء في التصدي للحركة النزارية الحشيشية بالهنية خلال العصر السلجوقي

2-1-الصراع بين السلاجقة والحركة النزارية الحشيشية.

2-2-جمود العلماء في مقاومة الحركة النزارية الحشيشية.

3-جمود العلماء في وعظ ونصح سلاطين ووزراء ورجال الدولة السلجوقية.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تشعبت الأحداث والقضايا السياسية خلال العصر السلجوقي، وإن شئنا القول فإنَّ هذا العصر عرف من التحولات والتغيرات والتناقضات في آن واحد ما جعل المؤرخين يتحIRONون في تقييم هذا العصر، فقد كان عهد السلاجقة عهد القوة والعظمة والوحدة والفتوح، وفي نفس الوقت عهد التناحر والتقاتل والمصالح الضيقة والصراعات السياسية على الملك والسلطان، لذلك يندرج موقف العلماء من طبيعة الأحداث والقضايا السياسية الكبرى زمن السلاجقة ضمن تفاعلهم ودورهم المؤثر وموقعهم الهام في المجتمع الإسلامي حكاما ومحكومين، إذ مهمتهم حمل الدعوة الإسلامية إلى الناس، وبيان أحكام الله في كل مشكلة وحادثة، ومن واجبهم مناقشة الحكام، ومحاسبة المسؤولين، وإبداء النصيحة لهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو العمل السياسي، الذي يقتضي أيضا الاشتغال بأمور السياسة، ويدعو إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية، كما يدعو إلى ويناقدش المسؤولين، ويعظ الرجال، ويهذي الأطفال. والعالم في الوقت الذي يكون فيه حليف محراب وأليف تقوى، يكون بطل جهاد، وفارس ميدان، وحين نراه واعظا ومدرسا في المسجد، نراه خطيبا ومرشدا في مجلس الشورى، فيه الاستعداد الكامل ليكون جنديا وقائدا، جامعا بين الرحمة والشدّة، يفهم الحياة فهما خاصا يؤهله هذا الفهم المستنير، أن يستولي على الدنيا بحققها، وينال الآخرة بالسعي لها<sup>1</sup>.

إنَّ جدلية الحضور والغياب أو الخفاء والتجلي بالنسبة لإسهام العالم في أحداث عصره ظاهرة وسمت التاريخ الثقافي والسياسي للأمة الإسلامية عبر امتداده الطويل، فكانت بعض فترات التاريخ أحظى بحضور العلماء من غيرها، ومن ثمَّ صح أن توسم بأنها أزمّة ذهبية لحضور العلماء ومشاركتهم الفاعلة في الأحداث والقضايا المختلفة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعلميا ودينيا<sup>2</sup>.

والواقع أنَّ العلماء في العصر السلجوقي كان لهم الأثر الواضح في قيام الدولة السلجوقية، وفي دعم مشروعها الوحدوي وكذا شاركوا في الجهاد معها على المستوى النظري والميداني، فصار حقا عليهم الحفاظ عليها وضمان استمرارها، والعمل على دفع حكامها وسلاطينها إلى إقامة العدل واجتناب الظلم، ونصحهم ووعظهم، والسعي إلى الإبقاء على وحدتها وتخفيف الصراع بين سلاطينها وأمرائها، وتوثيق الصلة بينها وبين الخلافة العباسية ومواجهة كل ما من شأنه إضعافها وتفتيتها وإزالتها، فإن لم يستطيعوا ذلك وبلغوا المنى منها وزاغ سلاطينها عن طريق الحق والعدل، فقدت مشروعيتها في نظرهم وصار لزاما عليهم إزالتها وبناء دولة إسلامية جديدة مباركة تقيم قواعد الإسلام وتحكم بشرعه وترفع كلمته ولواءه وتصون أرضه وأهله.

1- البدرى عبد العزيز، المرجع السابق، ص 96.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 145-146.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لقد انبرى رهط من العلماء لإبداء موقفهم من مختلف المستجدات التي عرفها العصر السلجوقي على مستوى النظام السياسي، سواء ولاية العهد التي هي أبرز أسلوب لتولي السلطنة عند السلاجقة، أو التناحر والتقاتل والتصادم بين الأمراء السلاجقة عند وفاة السلطان الحاكم، أو عندما انقسموا إلى عدد من السلطنات الحاكمة واستحكام العداوة بينهم والقتال والتوسع كل على حساب الآخر، أو الصراع مع الخلافة العباسية في العراق، ما يجعل هؤلاء العلماء أكثر حضوراً على مستويات عدة وفي أماكن متعددة ومتباعدة وأوقات حرجة وضيقة في أحيان كثيرة، ويؤدي بهم إلى بذل جهود جبارة للعمل على تشخيص هذه الأحداث والقضايا والأزمات، ومن ثم إيجاد الحلول والاجتهاد قدر الإمكان للإبقاء والمحافظة على ما تم إنجازه في مراحل سابقة، فكان موقفهم إذن يعكس مدى تفاعلهم مع أحداث عصرهم، وكذا مدى قدرتهم في حل المشاكل، وأيضاً رؤية كل منهم لهذه الأحداث وتجاوبهم معها سواء على المستوى النظري أو العملي أو التنفيذ أو القبول أو الرضا أو الرفض، إضافة إلى الوسائل التي اعتمدها والمواقف التي أبدوها وردود الفعل التي أظهروها، والأثر الذي خلفته في نفسية السلاطين والأمراء ورجال الدولة خلال العصر السلجوقي.

### 1- موقف العلماء من أساليب تداول السلطة عند السلاجقة (ولاية العهد): شكلت السلطة أبرز

القضايا التي تمحور عليها الفكر السياسي الإسلامي، نظراً لأهميتها وخطورتها في آن واحد، فقد اعتبرت مسألة جوهرية وأساسية لدى المفكرين المسلمين ورؤيتهم للدولة الإسلامية وسعيهم لإعطاء تصور واضح ومثالي لهذه الدولة التي شهدت تغيرات كبيرة منذ تأسيسها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى نهاية العصر الوسيط، إذ استطاع النبي العظيم أن يبني دولته من العدم من خلال ابتكار نظام جديد يختلف عن ما عرفه العرب، باستبدال العصبية القبلية والروابط الدموية بأواصر العقيدة والولاء للإسلام الذي هو فوق الولاء للقبيلة<sup>1</sup>.

إنَّ التداول على السلطة في التاريخ الإسلامي عرف عدة أنماط، نظراً للتغيرات التي شهدتها واقعة الدولة الإسلامية منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هناك أنواع مختلفة من الأساليب والطرق التي انتهجت في كيفية الوصول إلى السلطة والتداول عليها، فبعد أن كان النمط الشوري هو الأسلوب الذي استخدم في عهد الخلفاء الراشدين (11هـ - 41هـ)<sup>2</sup>، فإنَّ النمط الوراثي هو الذي طغى على السلطة في العهد الأموي والعباسي، وصار شائعاً في جميع دول العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً ولم يعد بالإمكان تغييره، هذا النمط فتح الباب على مصراعيه للسيطرة والاستبداد الفردي وتقزيم سلطة القضاء واستئصال كل معارضة، مما أدى إلى تباعد الفئات القاعدية عن السلطة واتساع الهوة، وأضحت

1- غوردو عبد العزيز، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"، ط2، الكويت، دار ناشري النشر الالكتروني، 2011م، ص33.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص273.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الجيوش هي التي تحسم النزاع والصراع وتم تغيب ممثلي الأمة وحكمائها وزعمائها<sup>1</sup>، وقد اعتمدت الدول السلطانية هذا النمط الذي يعد مكوناً أساسياً انبنت عليه وركنا متيناً قامت عليه، وصار الأسلوب الوحيد في تداول السلطة عند حكامها وسلاطينها، من ذلك الدولة السلجوقية التي لم تخرج على هذا النمط، وشهدت تغيرات في طرق الوصول إلى السلطنة وصراعاً بين أفراد البيت السلجوقي الحاكم.

والعلماء باعتبارهم من أهل الحل والعقد ويدهم القدرة على اختيار السلطان الأنسب كانت لهم مواقف من الأساليب التي اعتمدها السلاجقة للوصول إلى السلطة وتداولها فيما بينهم، ساعين-أي العلماء-في ذلك لبناء نظام سياسي متكامل يكفل مشاركة جميع أفراد المجتمع الإسلامي في اختيار الحاكم ومباركته، وسنرى إلى أي حد تمكن العلماء من تحقيق هذا المبتغى على ضوء مواقفهم العملية في العصر السلجوقي.

إنَّ نجاح السلاجقة في تأسيس دولتهم، كانت نتيجة لتوحيد جهودهم في نسق واحد وتحت قيادة واحدة، وأضحى السلطان السلجوقي طغول بك صاحب العليا في هذه الدولة المترامية الأطراف، الأمر الذي حفظ الدولة من حركات التمرد والعصيان في بداية تأسيسها، ولكن السلطان السلجوقي سيعمل على توريث العرش، ومن هنا برزت فكرة ولاية العهد، التي تنبئ عن رغبة جامحة عند السلطان السلجوقي الذي يلي السلطنة في الاحتفاظ بالملك والسلطة في عقبه وضمان تداوله فيما بينهم، وذلك حرصاً على المحافظة على الدولة من النزاعات والصراع على الحكم في حال شغور منصب السلطنة، يقول ابن خلدون: "...أن ينظر (السلطان) لهم بعد مماته، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها، يثقون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل..."<sup>2</sup>، وبالرغم من قوة الدولة السلجوقية وبراعة سلاطينها وحنكتهم وكفاءة وزرائها وذكائهم، وأيضاً ما استحدثوه من نظم إدارية هامة لتسيير أقاليم دولتهم، إلا أنَّ منصب ولي العهد لم يتم هيكلته ووضع نظام محكم ينبني عليه ويتأسس وفقه أسلوب واضح يكفل نقل السلطة بأسلوب سلسل مرن يتفق عليه جميع الفاعلين السياسيين في الدولة السلجوقية، فعندما نتتبع التطورات المتعلقة بانتقال السلطة نجد خللاً واضحاً في صلب البنية الهيكلية النازمة لأنساق السلطة، إذ طغى نمط التوريث الأفقي "ذلك أنَّ نمط التوريث المصادق عليه حتى ذلك العهد كان هو النمط الأفقي، أي نمطاً مساواتياً وهذا النمط، ولو أنه كان بالضرورة ذو توجه مضاد لهدوء المجال السياسي، فإنه كان يسمح بتداول السلطة من أخ إلى أخ بطريقة تقليدية منظمة، وبالتالي كان يسمح بضمان نوع من التلاحم النسبي، والمتراضى عنه من قبل الأهل..."<sup>3</sup>.

1- حركات إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، ط1، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1995م، ص158.

2- المقدمة...، المصدر السابق، ص135.

3- الشريف محمد، المرجع السابق، ص70.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يعكس النمط الأفقي في التوريث فلسفة السلطة عند السلاجقة، حيث اعتقدوا في أنفسهم الأهلية ليكونوا سلاطين للإسلام، بسبب اتساع رقعة دولتهم التي ضمت أجزاء واسعة من مشرق العالم الإسلامي بما فيها بغداد حاضرة الخلافة، إلى جانب إقرار الخليفة لهم بهذا اللقب، وعلى ضوء ذلك لم تكن فكرة السلطنة بعيدة عن الإرث القبلي الذي يقضي بتوزيع السلطة بين أفراد العائلة بمعناها الواسع تحت إشراف الولد البكر<sup>1</sup>.

كما يظهر نمط التوريث الأفقي مدى التلازم بين السلطة والغزو والإقطاع في العصر السلجوقي، بحيث أن أي سيد قبيلة من قبائل السلاجقة يسعى إلى إثبات سلطته وفرضها عن طريق امتلاك إقطاعات ويتم توسيعها وزيادتها بالغزو، وبذلك يصير حاكما لما يملكه من إقطاعات ويورثها لأبنائه وإخوته، والشاهد هذا النمط بكل أبعاده، أنه "...اقتسم أفرادها الولايات التي تم فتحها على أساس إقطاعي. فالدولة لها رئيس واحد يحمل لقب سلطان، ويخضع بقية أفراد الأسرة لسلطنته، ويحصل كل منهم على لقب ملك، ويعطى إقطاعا يصل إلى ولاية بأكملها، وقد كانت خراسان من نصيب جفري بك داود الشقيق الأكبر للسلطان طغرل بك، وأعطيت ولايات بست وهرارة وسجستان لموسى بيغو ابن عم السلطان، أما ولايات جرجان والدامغان فكانت من نصيب قتلмыш بن إسرائيل، وولايات أبهر وزنجان من نصيب الأمير ياقوتي السلجوقي. ومنح قاورد بن جفري بك ولايات الطبسين وكرمان، وأعطى إبراهيم ينال شقيق السلطان لأمه ولاية قهستان ونواحي جرجان، وأعطى موسى بن سلجوق وابنه الحسن ولايات بوشنج، وبلاد الغور. أما ألب أرسلان محمد بن جفري فقد استبقاه السلطان طغرل بك إلى جانبه في عاصمته الري، ليساعده في شؤون الحكم..."<sup>2</sup>، وعليه لم يكن من السهل خرق هذا النمط وإزالة هذه التراتبية في هرم السلطة باستحداث نمط التوريث العمودي، أي أن يعهد السلطان السلجوقي إلى ولده بالسلطنة دون إخوته وأعمامه الذي ن يملكون عددا من الإقطاعات التي يصرفون شؤونها بشكل مستقل، مقابل إرسال مبلغ من المال سنويا إلى خزينة السلطان ويستطيعون أيضا التوسع وزيادة مساحة إقطاعاتهم، طالما أن لكل واحد منهم جيشه الخاص، مما حتم على السلطان ألب أرسلان الاستمرار في هذا التوزيع الإقطاعي، الذي أضحي عاملا من عوامل قوة الدولة في فترة السلاطين الكبار وساعد على سرعة إنجاز السلاجقة لفتوحاتهم الواسعة<sup>3</sup>.

والواقع أن ولاية العهد بمفهومها ومكانتها وصلاحياتها لم تتبلور بشكل واضح في العصر السلجوقي إلا في عهد السلطان ألب أرسلان عندما عهد لابنه ملكشاه بالسلطنة من بعده، ولكن السلطان ألب أرسلان كان قد رفض

1- الجالودي، المرجع السابق، ص75.

2- المرجع نفسه، ص75-76.

3- المرجع نفسه، ص76.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

مبايعة سليمان بن داود، ابن أخ السلطان طغرل بك، وكان طغرل بك قد نص عليه<sup>1</sup>، إذ "...لما خطب له بالسلطنة اختلف الأمراء فمضى باغي سيان وأردم إلى قزوين وخطبا لعضد الدولة ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك، وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون إليه، فلما رأى عميد الملك الكندري انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالري للسلطان ألب أرسلان..."<sup>2</sup>. إنَّ اعتلاء ألب أرسلان عرش السلطنة هو تكريس لنمط التوريث الأفقي، باعتباره ابن أخ السلطان طغرل بك وليس ابنه، وحتى سليمان الذي عهد له طغرل بك أيضا، ولكن هذا الأخير لم يكن عمره يتجاوز 04 سنوات، وكذلك لم يعهد إليه عمه السلطان بالعهد بمشورة أمراء السلاجقة وأهل الحل والعقد من العلماء والأشراف والأعيان ووجوه الناس ومقدميهم، لذا انحاز السلاجقة إلى ألب أرسلان وبايعوه باعتباره صاحب خراسان وبلاد ما وراء النهر التي ورثها عن أبيه جغري بك شقيق السلطان طغرل بك، فكان أقوى الأمراء وأوسعهم إقطاعا وأكثرهم مكانة وأشجعهم، فاستحق السلطنة.

أما بخصوص موقف العلماء من تولي السلطان ألب أرسلان، فإنهم رضوا بذلك، على اعتبار أنهم من أهل الحل والعقد، وبعد الجهود التي بذلوها في قيام الدولة السلجوقية، رأوا أنه لا يهم من يتولى منصب السلطان أي قد رضخوا للأمر الواقع، وسعوا إلى وحدة الصف ودرء الفتن والاضطرابات، مشفقين من مغبة الخروج على الحاكم الجائر لعظم الضرر، فأضحى عليهم مسaire الوضع والتأثير بالقول والفعل في مواطن ذلك، وأيضا فإنَّ كفاءة ألب أرسلان وخبرته وحنكته واجتماع كلمة السلاجقة عليه وبلوغه سن الحكم وقيادة المسلمين، أفضل في نظرهم من سليمان الذي كان طفلا عمره أربع سنوات، ولا خبرة له ولا دراية عنده بالحكم والحرب وقيادة المسلمين وتسيير الدولة، فقبلوا بسلطنته - أي ألب أرسلان -.

ولا ننسى أيضا أن موقف الفقهاء والعلماء من سلطنة ألب أرسلان، هو استتباع لموقفهم وآرائهم حول التنظير لحالة وواقع السلطة في العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، الذي طغى فيه أسلوب التغلب والاستيلاء على السلطة، من قبل أمراء وملوك وسلاطين، مع بقاء مؤسسة الخلافة، التي فقدت دورها السياسي والعسكري، في حين أنَّ دورها الشرعي لم يمكن تجاوزه من طرف هؤلاء العلماء، والذي يمثل مصدر الشرعية للسلطان أو الملك المتغلب، بالرغم من إمكانية خلع الخليفة إن لم يتوافق مع رغبة السلطان متى أراد، لذا انساق العلماء وشددوا على استمرارية وتواصل الخلافة لأجل وحدة المسلمين، وبالمقابل الإقرار بالسلطنة للحكام المستبدين، إذ أنَّ الضرورات تبيح المحظورات والغاية من ذلك إعزاز الأمة وإبقاء وحدتها وهيبتها، كما انصرفوا للتأكيد على واجبات الخليفة والسلطان

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 95.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 262-263.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وأنَّ الهدف من الإمارة هو حماية الدين<sup>1</sup>، حيث انبرى السلاطين المتغلبين لمداغة العدو الخارجي المهدد للخلافة الإسلامية، ومقاومة الحركة المذهبية المخالفة لدولة الخلافة، وحفظ الأمن في البلاد، وحماية وحدة الجماعة، والخضوع للمتطلبات التي تفرضها الشريعة الإسلامية على الحاكم المتغلب<sup>2</sup>.

ومن هذا المنطلق أقر العلماء سلطنة ألب أرسلان بعد أن أقره الخليفة العباسي القائم بأمر الله عليها، فكان هذا التفويض شرعة لسلطنته، كما أنَّ العلماء آزره في حربه مع ابن عم أبيه شهاب الدولة قتلش، حيث قال نظام الملك للسلطان ألب أرسلان قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك، ويرمون ذلك بسهام لا تخطئ وهم العلماء والزهاد<sup>3</sup>.

وفي سياق متصل أيضا، فقد تركز نمط التوريث العمودي أكثر وصار شائعا في عهد السلطان ألب أرسلان، الذي عهد لابنه ملكشاه بولاية العهد، منهيًا بذلك النمط الأفقي في التوريث، بعد أن قضى على كل حركات العصيان والتمرّد ضده، ووثق صلته بالخلافة العباسية وملوك المشرق بالمصاهرة، عندها اختار الظرف المناسب وجاءته الفرصة المواتية وهو متوجه لقتال الروم في معركة ملاذكرد، يقول ابن الأثير: "...وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الأتقال مع زوجته ونظام الملك إلى همذان وسار هو فيمن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد في السير وقال لهم: إنني أقاتل محتسبا صابرا فإن سلمت فنعمة من الله تعالى وإن كانت الشهادة فإنّ ابني ملكشاه ولي عهدي..."<sup>4</sup>.

يعكس هذا التصريح والأمر من قبل السلطان ألب أرسلان أنَّ ولاية العهد ستكون لابنه ملكشاه، ويصير السلطان من بعده، فقبل الجميع بذلك وخاصة العلماء الذين شاركوا في هذه المعركة، وعلى رأسهم الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي، ذلك أنَّ ضمان استمرار الدولة أمر من الأهمية بمكان، خاصة وهي تواجه خطر الأعداء، فأراد السلطان ألب أرسلان الاطمئنان على مصيرها في حالة استشهاد أو وقوعه في أسر العدو، بأن يرشح لمنصب السلطنة شخصا يتولاه، مؤكدا في الوقت نفسه على منصب ولاية العهد ونمط التوريث العمودي لأول مرة في العصر السلجوقي.

1- خضر عيد مفلح السرحان، نظام السلطنة وولاية العهد في العصر الأيوبي (567هـ-658هـ/1172م-1259م)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، 2015م-2016م، ص16.

2- المرجع نفسه، ص17.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص366-367.

4- المصدر نفسه، ج8، ص388.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تبوأ السلطان ملكشاه عرش السلطنة بعد وفاة أبيه ألب أرسلان، حيث اجتمع أعيان الدولة وقادة الجيش وبايعوه بالسلطنة وعمره 18 سنة<sup>1</sup>، كما حصل على تفويض الخليفة له بالسلطنة وخطب له على منابر بغداد<sup>2</sup>.  
والجدير بالذكر أنَّ الصراع على الحكم تجدد بين السلاجقة، فرغم سعي ألب أرسلان إلى الرفع من مكانة السلطان السلجوقي وإنقاص صلاحيات جميع أمراء السلاجقة، إلا أنَّ النمط الأفقي في التوريث بقي متجذرا في نفوس أمراء السلاجقة، وإذا كان الصراع حدث في بيت ميكائيل بعد وفاة السلطان طغرل بك، فإنَّ الصراع والتنازع انتقل إلى بيت جغري بك والد السلطان ألب أرسلان، حيث لم يرض أخوه الملك قاورد بسلطنة ابن أخيه ملكشاه، وكتب إليه يقول: "...أنا الأخ الأكبر، وأنت الولد الصغير، وأنا أولى بميراث أخي السلطان ألب أرسلان منك..."<sup>3</sup>، وكان رد السلطان ملكشاه مقرا ومؤكدا أنَّ النمط العمودي هو الساري في عهده، فقال: الأخ لا يرث مع وجود الابن<sup>4</sup>، ولكن الملك قاورد رفض ذلك وقاد تمردا على السلطان ملكشاه وحاول أخذ السلطنة لنفسه، ولكنه لم يفلح في ذلك وباءت محاولته بالفشل<sup>5</sup>.

لقد استمر عهد السلطان ملكشاه عشرين سنة، حكم فيها الدولة السلجوقية المترامية الأطراف، ولكنه لم يستطع طول هذه المدة تكريس فكرة واضحة عن وراثة العرش وطبيعة النمط الذي ينبغي إتباعه، وإن كان يميل إلى النمط العمودي الذي أقره والده السلطان ألب أرسلان، وبه صار سلطانا على السلاجقة، ويبدو أنَّ الصراع حول السلطنة سوف يعرف محطات أساسية بددت طاقة الدولة، إذ لم يختار ملكشاه وليا للعهد من بعده، وكانت أكبر مشكلة واجهت السلاجقة عقب وفاته، بل حتى قبل وفاته، لكن موته المفاجئ حال دون الوصول إلى حل حاسم فيها، وانحصر التنافس على العرش بين بركياروق الابن الأكبر للسلطان المتوفى، والبالغ ثلاثة عشر عاما من العمر، وكان في أصفهان، وتلقى تأييدا ومساندة من أتباع الوزير نظام الملك، وبين أخيه الأصغر محمود، البالغ من العمر أربعة أعوام وبضعة أشهر وكان يوم وفاة والده، وهو ابن ترکان خاتون الزوجة المحبوبة ذات النفوذ الواسع، كما حظي بدعم الوزير تاج الملك أبي الغنائم الشيرازي، وبذلك انقسم السلاجقة على أنفسهم إلى فريقين متنازعين كل منهما يجاهر الآخر بالعداء<sup>6</sup>.

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 120.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 395.

3- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 122.

4- المصدر نفسه، ص 122.

5- المصدر نفسه، ص 123-124.

6- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 155-156.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

والواقع أنَّ والدته الأميرة محمود بن ملكشاه عملت بكل جهدها لاعتلاء ابنها للسلطنة، فقد كتبت أمر وفاة السلطان ملكشاه، وبعثت إلى الأمراء المواليين لها سرا، وأخذت عليهم الأيمان بمبايعة ابنها محمود الذي كان عمره أربع سنين وبضع شهور، وبعدها كتبت إلى الخليفة المقتدي لمنح السلطنة لابنها وأن يخطب له بذلك، فأقرها على ذلك، ولكنه اشترط أن يكون اسم السلطنة لمحمود والخطبة له، ويكون قائد الجيش ورعاية البلد الأمير "أنز" ويصدر عن رأي تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الأموال إلى تاج الملك.

لقد حاول الخليفة المقتدي التحكم في الوضع قبل أن يطالب بالعرش أمير سلجوقي قوي يفرض شروطه عليه، وبالمقابل امتنعت والدته محمود عن قبول ما اشترطه الخليفة، عندها تدخل أحد العلماء وهو أبو حامد الغزالي (ت505هـ)، وقال لها: إن ولدك صغير ولا يجوز الشرع ولايته، فأذعنت له وأجابت إليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين، وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال من السنة، وخطب له بالحرمين الشريفين<sup>1</sup>.

إنَّ هذه الخطوة التي قامت بها ترکان خاتون قد أجمعت الصراع بين السلاجقة، إذ ذكر الرواندي أنَّ السلطان ملكشاه قد عهد بولاية العهد لابنه بركياروق<sup>2</sup>؛ وسواء صح هذا الكلام أم لا، إلا أنَّ الأكيد في الأمر هو ما قامت به ترکان خاتون لتأمين سلطنة ابنها، وذلك بالقبض على بركياروق، ولكن المماليك النظامية أخذوا أسلحة نظام الملك وثاروا في أصفهان وأخرجوا بركياروق من السجن، وبايعوه بالسلطنة وأقاموا له الخطبة في أصفهان. وبالمقابل حدث اضطراب في جيش محمود وأمه حينما طالب العسكر بأعطياتهم من الوزير تاج الملك، فنهبوا خزائنه التي كانت فارغة، ولما بلغت الخاتون ومحمود أصفهان خرج منها بركياروق واتجه إلى الري، وانضم إليه عدد من الأمراء الناقمين على تاج الملك لزلوعه في قتل نظام الملك، وقام بركياروق بحصار قلعة طبرك حتى دخلها، ثم هزم الجيش الذي بعثت به ترکان خاتون في أواخر ذي الحجة سنة 485هـ<sup>3</sup>.

شجع هذا الانتصار بركياروق على استتمام ما بدأه، حيث سار إلى أصفهان وضرب عليها الحصار وشدد الخناق حولها، مما جعل ترکان خاتون تبذل الأموال وتدفعه وتهب أمراء الجيش وضباطه الأموال الطائلة، وعقد اجتماع بين الطرفين نتج عنه قبول بركياروق رفع الحصار عن أصفهان، وحصوله على خمسمائة ألف دينار من ميراث أبيه<sup>4</sup>، واتفق الطرفان على الصلح وتقسيم أراضي السلطنة السلجوقية بين الأخوين على الشكل التالي:

-أن تكون بلاد أصفهان وفارس لترکان خاتون وابنها محمود.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص484.

2- المصدر السابق، ص215.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص484-485.

4- الرواندي، المصدر السابق، ص218.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-أن تكون باقي أراضي السلطنة، لاسيما القسم الغربي، من نصيب بركياروق وهو السلطان. ويبدو أن موافقة بركياروق على مبدأ الصلح والقسمة له علاقة بعاملين:

الأول: بروز خطر منافس سلجوقي آخر على السلطة هو عمه تتش، حاكم دمشق وما جاورها من بلاد الشام.  
الثاني: عدم جهوزية قواته لفرض حصار قد يكون طويل الأمد، فأراد تجهيز جيش آخر كثير العدد، قوي العتاد، حتى يستطيع الاستيلاء على أصفهان<sup>1</sup>.

لم يستتب الأمر للسلطان بركياروق إلا بعد صراع طويل ضد المتمردين عليه من إخوته وأعمامه، إذ لم تف تركان خاتون بشروط الصلح وأرسلت إلى إسماعيل بن ياقوتي خال بركياروق تعده بالزواج وتدعوه لقتال بركياروق، فقبل وجمع أعدادا كبيرة من التركمان، وخرج لمحاربة بركياروق بعد أن تلقى مددا من تركان خاتون، والتقى الجيشان عند الكرج، حيث انتهت المواجهة بهزيمته بعد أن انحاز الأمير "يليرد" إلى جيش بركياروق<sup>2</sup>، عندها هرب إسماعيل إلى أخته زبيدة خاتون والددة بركياروق في شهر رجب سنة 486هـ، ثم أمر السلطان بركياروق بقتله في رمضان<sup>3</sup>.

كان لوفاة تركان خاتون سنة 487هـ، وقبلها انهزام بركياروق أمام عمه تتش صاحب دمشق، محفزا له من أجل دخول أصفهان، ولكن أهلها صدوه، ثم أذنوا له، خديعة منهم ليقبضوا عليه، فلما اقترب من المدينة خرج أخوه السلطان محمود لاستقباله، وما إن دخلها حتى قبض عليه الأميران "أنر" و"بلكابك" وسجناه في كوشك ميدان، وهما بسملى عينييه، ولكن إصابة أخيه بالحمى والجذري ثم وفاته، حال دون ذلك، وانتهى الأمر بإطلاق سراحه ومبايعته سلطانا على السلاجقة كلهم<sup>4</sup>. وخطب له بالسلطنة في بغداد بأمر من الخليفة العباسي، حيث ذهب بنفسه إليها في أواخر سنة 486هـ، ولقب بركن الدين، كما بعث إليه الخليفة المقتدي بالخلع فلبسها وعرض التقليد عليه ليعلم عليه فعلم فيه، ولكن الخليفة توفي فجأة، وتولى الخلافة ابنه المستظهر، فأرسل هو الآخر الخلع والتقليد إلى السلطان بركياروق، فأقام ببغداد إلى ربيع الأول من السنة وسار عنها إلى الموصل<sup>5</sup>.

لقد تمكن السلطان بركياروق من القضاء على منافسيه، بحيث انتهى الصراع بينه وبين عمه تاج الدولة تتش، بانتصاره عليه ومقتل هذا الأخير في 17 صفر 488هـ/ 27 شباط 1095م، وعندها أضحي بركياروق حاكما منفردا على الدولة السلجوقية، إلا أنه اكتفى بحكم إيران وبغداد، ولم يحاول حكم الشام، ولكن آثار هذا الصراع لم تنته، فقد

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 157-158.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 489-490.

3- الرواندي، المصدر السابق، ص 218.

4- الرواندي، المصدر السابق، ص 219، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 496، طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 158-159.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 493.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تمزقت وحدة السلاجقة العظام وأصبحوا شيعة وأحزابا يتناحرون فيما بينهم من أجل الحصول على السلطة واعتلاء العرش، وتخلوا عن أهدافهم التوسعية<sup>1</sup>. أما عمه أرسلان أرغون الذي طمع في السلطة، فقد حاول السيطرة على خراسان كلها بالاستيلاء على مرو وبلخ وترمز ونيسابور، حيث نجح في ذلك وهزم بوربوس عم بركياروق الذي أرسله لقتاله، الأمر الذي جعل بركياروق يبعث أخاه سنجر، الذي عينه واليا على خراسان، فلما وصل إلى دامغان بلغه مقتل أرسلان أرغون، فتريث في هذه المدينة حتى لحق به السلطان بركياروق وساروا جميعا إلى نيسابور، فملكوها في 05 جمادى الأولى 490هـ/20 نيسان 1097م ودانت للسلطان بلاد خراسان كلها، ثم عاد إلى بغداد، وقد تولى سنجر الحكم على هذه البلاد في عهد أخيه السلطان بركياروق مدة عشرين عاما، وكان واليا على بلاد ما وراء النهر أيضا، ومن ثم فقد سمي ملك المشرق<sup>2</sup>.

لم يهنأ السلطان بركياروق باستحواذه على السلطة الكاملة في الدولة السلجوقية، إذ خرج عليه أخوه محمد بن ملكشاه ونأواه حتى كاد يأخذ منه العرش، وانقسمت الدولة إلى قسمين، توزعت أراضيها بين الأخوين<sup>3</sup>.

حكم السلطان بركياروق اثني عشرة سنة قضاها في الحروب والصراعات على السلطنة، وتوفي في 02 ربيع الآخر 498هـ/22 كانون الأول 1104م، بعد أن مرض بالسل والبواسير، وفي أثناء ذلك عهد إلى ابنه ملكشاه بولاية العهد وأشهد على ذلك عددا من الأمراء، واستحلفهم على ذلك فحلفوا له وأمرهم بالمسير إلى بغداد<sup>4</sup>.

لم يستمر النمط العمودي في التوريث، إذ لم يتقبل السلطان محمد حكم ابن أخيه ملكشاه، الذي خطب له في بغداد بالسلطنة، فسار إليها مع عدد من الأمراء والجند، الذين بلغ عددهم 15 ألف فارس و 10 آلاف راجل إلى بغداد، ونزل عند الجانب الغربي بأعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربي وملكشاه بن بركياروق بالجانب الشرقي، أمام هذا الوضع قرر السلطان ملكشاه بن بركياروق أن يتنازل عن السلطنة لعمه السلطان محمد، فأرسل وزيره الصفي أبا المحاسن لإتمام ما قرره<sup>5</sup>. ومرة أخرى أشرف أحد العلماء على إتمام الاتفاق، "فلما كان من الغد حضر قاضي القضاة والنقيبان والصفي وزير أياز عند السلطان محمد فقال له وزيره سعد الملك: إن أياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب العهد لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللأمراء الذين معه، فقال السلطان: أما ملكشاه فإنه ولدي ولا فرق

1- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص 162.

2- المرجع نفسه، ص 163-164.

3- المرجع نفسه، ص 168.

4- المرجع نفسه، ص 180، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 77.

5- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 9، ص 80، ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 164.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

بيني وبين أخي وأما أياز والأمراء فاحلف لهم ألا ينال الحسامي وصاباو، فاستخلفه الكيا الهراس مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين...<sup>1</sup>.

أعاد السلطان محمد نمط التوريث العمودي، حين اختار ابنه محمود لخلافته، فأمره أن يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في أمور الناس، ففعل، وكان عمره آنذاك أربع عشرة سنة، توفي السلطان محمد بأصفهان يوم الخميس (24 ذي الحجة 511هـ/8 نيسان 1118م) إثر مرض مزمن ألم به، وعمره سبع وثلاثون سنة وأربعة أشهر وستة أيام، ودفن في مدرسة عظيمة، وقد حكم اثنتي عشرة سنة وستة أشهر<sup>2</sup>.

تولى محمود السلطنة بعد وفاة السلطان محمد، فأرسل إلى بغداد وزيره الربيب أبو منصور ليطلب من الخليفة العباسي المستظهر بالله أن يخطب له بالسلطنة بعد أبيه، فخطب له في يوم الجمعة ثالث عشر المحرم 512هـ<sup>3</sup>. ثم تعرض السلطان محمود لعصيان تزعمه أخوه طغرل ولكنه تمكن من إيقافه<sup>4</sup>، ولم يبق من الأمراء السلاجقة الكبار إلا السلطان سنجر الذي كان حاكماً على خراسان وبلاد ما وراء النهر، الذي لم يرض بسلطنة محمود، واعتبر نفسه أحق منه بالسلطنة، وأنف أن يكون تابعا له، وهو شيخ السلاجقة وكبيرهم<sup>5</sup>، لذا قرر أخذ العرش السلجوقي، حيث لقب نفسه بمعز الدين وهو لقب أبيه ملكشاه، بعد أن كان لقبه ناصر الدين، واتجه بجيوشه إلى بلاد الجبل والعراق، أما السلطان محمود فقد أرسل إليه شرف الدين أنو شروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف وبذل له النزول عن مازندران، وحمل مائتي ألف دينار كل سنة فوصلا إليه وأبلغا الرسالة فتجهز ليسير إلى الري فأشار عليه شرف الدين أنو شروان بترك القتال والحرب فكان جوابه ذلك أن ولد أخي صبي وقد تحكم وزيره والحاجب علي<sup>6</sup>. والواقع أنَّ الموقف حسم لصالح السلطان سنجر في المعركة التي جرت بالقرب من ساوة بين الري وهمدان في (جمادى الأولى 513هـ/آب 1119م)، وفي أثناء المعركة انكسر جيش السلطان سنجر وهزمت ميمنته وميسرته، ولكن رباطة جأشه وشجاعته وعزمه وتصميمه، جعله يثبت في أرض المعركة، كما استخدم الفيلة وانتصر على جيش السلطان محمود، ثم أرسل من أرجع المنهزمين من أصحابه إليه، ووصل الخبر إلى بغداد في عشرة أيام، عندها بعث ديبس بن صدقة إلى الخليفة العباسي المسترشد بالله يطلب منه إقامة الخطبة للسلطان سنجر، فخطب له في السادس والعشرين

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص81.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص202.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص172.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص227-228.

5- المرجع نفسه، ص203.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص182-183.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

من جمادى الأولى وقطعت الخطبة للسلطان محمود<sup>1</sup>. تطور الموقف بين الطرفين إذ "...لما انهزم العسكر سير السلطان سنجر إلى ابن أخيه السلطان محمود، وطمئنه وأخبره أنه إنما جاء لإصلاح أمره، وإزالة الأمر المنكرين عليه وتوكيد عهده والرجوع عنه. وكان الوزير نظام الدين كمال الملك السميرمي قد ورد على السلطان محمود ودخل عليه وقال له: هذا عمك وهو في مقام والدك والكبير في البيت، والرأي موافقته، وأنا أسير إليه عنك، وأصلح الحال بينكما. فسيره فمضى من أصفهان قاصدا الري لحضرة السلطان سنجر. وبلغ السلطان سنجر أن وزير ابن أخيه قد جاء رسولا في الصلح، فأكرمه إكراما لم يقع في باله واجتمع معه في أمر الصلح. وأقام الوزير في المخيم السنجري، وسير السلطان سنجر إلى السلطان محمود رسولا من عنده. فأقبل محمود من أصفهان واجتمع معه وزيره قبل لقياه لعمه السلطان سنجر، وأوصاه أنه إذا دخل على عمه أن يترك رسوم السلطنة من النوبة الحمراء، وينزل في نوبتين سوداء وبيضاء، ويبطل ضرب الخمس نوب، ويقبل الأرض إذا دخل عليه، ويقف ويمشي في ركابه من الباركاك إلى السراشق، وأنه لا ينفرد عن عمه بوطاق بل ينزل في جوار خيمته. ففعل ذلك وخلع عليه عمه سنجر وأكرمه و ولاه البلاد..."<sup>2</sup>.

أسفر هذا الصلح عن تولي سنجر لعرش السلاجقة وتعيين السلطان محمود وليا للعهد ونائبا عن عمه في العراق، وأن يلقب بلقب سلطان ويذكر اسمه بعد اسم الخليفة واسم عمه، وبذلك يعد السلطان وفقا لبنود الصلح أول من جلس على عرش سلطنة السلاجقة في العراق، وأصبح سلطان العراق من الناحية الرسمية تحت سلطة السلطان الأعظم سنجر في خراسان. واعترف الخليفة العباسي المسترشد بمضمون هذا الصلح على الرغم من صغر سن السلطان محمود، وخطب له، وبذلك وجد سلطانان سلجوقيان في وقت واحد، إلا أن السلطان محمود كان يحكم تحت إمرة عمه السلطان سنجر، ومن ثم فهو خاضع له خضوعا في جميع أمور السلطنة<sup>3</sup>.

لقد أعاد السلطان سنجر النمط الأفقي في التوريث، إذ يعد هذا السلطان آخر السلاطين السلاجقة العظام، فهو شبيه بالسلطان طغرل بك والسلطان ألب أرسلان وأبيه ملكشاه، حيث اعتبر نفسه سلطانا على كل السلاجقة، وبالمقابل أبقى السلاجقة في حكم الولايات، وهذا ما تجلّى في الحوار الذي جرى بين السلطان سنجر ووالداته "...فراسله في الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة وأعمالها وما وراء النهر وملكت ما لا حد عليه وقررت الجميع على أصحابه فاجعل ولد أخيك كأحدكم، وكانت والدته سنجر هي

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص184.

2- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص179-180.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص204.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

جدة السلطان محمود فأجاب إلى قولها...<sup>1</sup>. وعلى ضوء ذلك صار سنجر السلطان الأعظم وبسط على سائر الأنحاء، وقرئت الخطبة باسمه من حد كاشغر إلى أقصى بلاد اليمن، ومكة والطائف ومكران وعمان وأذربيجان إلى حدود بلاد الروم، وقد ظلت الخطبة تقرأ باسمه بعد وفاته أكثر من عام<sup>2</sup>.

حكم السلطان سنجر إحدى وأربعين سنة، وتوفي يوم الاثنين 14 ربيع الأول 552هـ/26 نيسان 1157م، وشكل موته خاتمة هذا الحكم، ويعد هذا السلطان أعظم وأفضل سلاطين السلاجقة العظام في خراسان وما وراء النهر، اجتهد في تعمير البلاد، ورعاية الرعية، وإحلال الأمن والاستقرار<sup>3</sup>.

لقد زال الحكم السلجوقي من بلاد ما وراء النهر وخراسان، وانحسر في العراق، وتداول على حكم العراق السلطان محمود (513هـ-525هـ/1119م-1131م) والسلطان طغرل (525هـ-529هـ/1131م-1135م)، وكذلك السلطان مسعود (529هـ-547هـ/1135م-1153م)، وبلغ الصراع على الحكم حدا لا يمكن تصوره وانتهى بزوال الدولة السلجوقية من العراق سنة 590هـ.

إنَّ موقف العلماء من ولاية العهد في العصر السلجوقي، حمل في طياته مدى قدرتهم على الحضور والتأثير في قرارات السلطة السياسية، وكذا الموقع الذي توقعوه في خضم الأحداث والصراعات والنزاعات على السلطنة، والمتبع لموقفهم يستنتج عدم استطاعتهم الوقوف في وجه أنماط التوريث للسلطة، وتداخل هذه الأنماط، وأيضا تداول السلطة بين عدد من الإخوة والأعمام والأبناء وحتى الأحفاد، لذا كان تفاعلهم وتأثيرهم في هذه المسألة خافتا وليس بنفس الحجم، حيث لم نرصد إلا موقفين أبداهما كل من الغزالي و الكيا المراسي حول ولاية عهد السلطان محمود بن ملكشاه، والصلح بين محمد وابن أخيه ملكشاه ابن بركياروق.

## 2- أثر العلماء في التصدي للحركة الإسماعيلية الباطنية خلال العصر السلجوقي:

تعد الحركة الإسماعيلية الباطنية من أخطر الحركات الدينية التي شهد العالم الإسلامي، فقد أدت دورا هداما قوض استقرار الدولة العباسية، وساهم في إضعافها خطوة خطوة، حتى صارت عاجزة تماما عن مواجهة الأخطار الخارجية، كما كانت معول هدم وإسقاط لكثير من الدويلات الإسلامية التي تأسست في عدد من أقاليم المشرق الإسلامي، وعلى رأسها الدولة السلجوقية، التي كانت هدفا مباشرا لها، نظرا لنجاح السلطان السلجوقي طغرل بك في القضاء على الدولة البويهية، ثم حركة البساسيري وإزالة الخطر الشيعي الفاطمي من مركز الخلافة العباسية.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص184.

2- الرواندي، المصدر السابق، ص260.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص221.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لكن هذا الفشل لم يثن الحركة الإسماعيلية الباطنية عن مواصلة مشروعها من أجل القضاء المبرم على المذهب السني الذي تتزأسه الخلافة العباسية ودولة السلاجقة، حيث عمَّ نشاطها أراضيها، واستغرق عهود عدد من الخلفاء العباسيين والسلطين السلاجقة، ونتج عنه نتائج وخيمة على كلا الدولتين.

من هذا المنطلق كان للعلماء أثر ملحوظ في التصدي لها، فقد دعموا الخلافة العباسية والسلطان طغرل بك في هذا المسعى كما رأينا، ثم سيواصلون ذلك بنفس النسق ويعملون جاهدين على القضاء عليها بكل ما يملكونه، استكمالاً لجهودهم التي بذلوها في إنقاذ المذهب السني والخلافة العباسية، مضحين بالغالي والنفيس في سبيل هذه الغاية. وقد تباينت صور وأساليب ومواقف التصدي للحركة الإسماعيلية الباطنية التي أبداها العلماء، فمنهم من ناظرهم، وبعضهم أفتى بقتالهم وقتلهم، وهناك من ألف كتب تبين خطرهم على الإسلام، ومنهم من دفع حياته ثمناً جراء موقفه منهم، ولكنها جميعاً تظهر توافقهم على مقاومتها واتفاقهم على خطرها وتعاونهم على اجتثاثها من جذورها، وتحذير الخلفاء والسلطين منها.

كانت وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله سنة 487هـ/1094م نقطة تحول كبيرة شهدتها الحركة الإسماعيلية الباطنية، فقد تعرضت لهزات عنيفة جراء تدخل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، مما أدى إلى إنقسامها إلى قسمين، فانعكس ذلك على وضع الخلافة الفاطمية داخل مصر وخارجها، خصوصاً أنَّ المستنصر بالله ترك عدداً من الأولاد وهم نزار وعبد الله وإسماعيل وأحمد<sup>1</sup>.

وتبعاً للنظرية الإسماعيلية التي تنص على انتقال الإمامة من الأب إلى الابن الأكبر، كان نزار هو صاحب الحق الشرعي في خلافة أبيه في منصب الإمامة، على الرغم من أنَّ المستنصر أبدى رأيه في النص على خلفه، وقد رشَّح نزاراً ليخلفه، لكن لم تجر أي احتفالات لتنصيبه ولياً للعهد، بل سلك اسمه على العملة، وربما أشار إلى خاصته بولايته<sup>2</sup>، لكن الوزير الأفضل ماطله حتى مات، بسبب كرهه لنزار<sup>3</sup>، وصرف الحكم إلى أحمد أصغر أبناء المستنصر حيث "بويع له في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، سنة سبع وثمانين وأربعمائة، حين مات أبوه المستنصر. وذلك أنَّ الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي عندما مات المستنصر بادر إلى القصر وأجلسه ولقَّبه

1- المقرئزي، إيعاظ الحنفاء...، المصدر السابق، ج3، صص 7-11.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام (296هـ-567هـ/910م-1171م)، ط2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م، ص388.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص147.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

بالمستعلي، وبعث فأحضر إليه نزارا وعبد الله وإسماعيل، أولاد المستنصر، فلما حضروا وشاهدوا أخاهم أحمد وكان أصغرهم، قد جلس على تخت الخلافة أنفوا من ذلك..<sup>1</sup>، ولعل الأسباب الذي دفعته لفعل ذلك هي:

1- سهول التحكم في المستعلي بالله وبالتالي السيطرة على أمور الحكم في الدولة، نظرا لصغر سنه الذي لم يتجاوز العشرين بالمقارنة مع أخيه نزار الذي بلغ الخمسين سنة.

2- المصاهرة بين المستعلي بالله والأفضل بن بدر الجمالي، فقد كانت أخت هذا الأخير ست الملك زوجة المستعلي.

3- الغيرة، فقد كان الوزير الأفضل يغار من نزار، لذلك وقف موقف العداء منه، وكان يقلل من قيمته، ولا يقرب أحدا من غلمانة وحاشيته، بل عرّضهم للأذى، وحذّر رجال الدولة من قبول بيعته، وخوّفهم منه.<sup>2</sup>

لم يرض نزار بتولي المستعلي بالله لعرش الخلافة الفاطمية ورفض مبايعته قائلا: إن قطعت ما بايعت من هو أصغر سنا مني وخط والدي عندي بأني ولي العهد وأنا أحضره؛ وخرج مسرعا ليحضر الخط، فمضى من حيث لا يشعر به أحد وتوجه خفية إلى الإسكندرية<sup>3</sup>. والواضح أن هذا كان حجة من نزار لكي يتخلص من الموقف الحرج، وأيده بعض رجال الدولة بمن فيهم أحد غلمان بدر الجمالي<sup>4</sup>، كما أنّ إقصاء نزار عن الإمامة على الرغم من أحقيته، أدى إلى نتائج بعيدة الأثر في تاريخ الدعوة الإسماعيلية والدولة الفاطمية، وبعد إبعاده وتولية المستعلي انقلابا مذهبيا وسياسيا واضحا قام به الوزير الأفضل ليحافظ على مكتسباته وسلطاته التي كان يتمتع بها منفردا منذ أواخر عهد المستنصر<sup>5</sup>.

قام نزار بالثورة على أخيه المستعلي والوزير الأفضل في الإسكندرية لكن فشل في تحقيق مبتغاه، نظرا لتأييد الجيش للوزير، هذا الأخير الذي نجح بعد محاولتين في هزيمته والقبض عليه، حيث سجنه في القصر وضيّق عليه حتى مات أو قتل بالقصر<sup>6</sup>. واعترف بإمامة المستعلي القسم الأكبر من الإسماعيلية، في مصر وبلاد الشام، وكل الطائفة الإسماعيلية في اليمن والهند، وعرفوا بالمستعلية، نسبة إلى المستعلي، أو بالإسماعيلية الغربية<sup>7</sup>.

1- المقرئزي، إتعاظ الحنفا...، المصدر السابق، ج3، ص 11.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين...، المرجع السابق، ص389.

3- المقرئزي، إتعاظ الحنفا...، المصدر السابق، ج3، ص 11.

4- طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين...، المرجع السابق، ص390.

5- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص147.

6- الجويني علاء الدين عطا ملك، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي (في تاريخ منكوقا آن، وهولاكو، والإسماعيلية)، تحقيق وحواشي وتعليقات محمد بن عبد الوهاب القزويني، نقله عن الفارسية وقدم له محمد السعيد جمال الدين، الجزء 03، ط1، القاهرة، المركز القومي، 2015، ص165، المقرئزي، إتعاظ الحنفا...، المصدر السابق، ج3، ص 14.

7- طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين...، المرجع السابق، ص392.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

غير أنَّ شطرا من الإسماعيلية قالوا بإمامة نزار، وكان رئيسهم الحسن بن الصباح قد زار الخليفة المستنصر سنة 469هـ واجتمع به وخاطبه في إقامة الدعوة له في بلاد العجم، وقال للمستنصر من إمامي بعدك؟، فقال: ابني نزار<sup>1</sup>، لذا حرص على تكوين مجتمع إسماعيلي صرف يعمل أعضاؤه على نشر المذهب الذي عرف بعد وفاة المستنصر بالإسماعيلية الجديدة، ويعتقدون بأحقية نزار بالإمامة بعد أبيه، لذا عرفوا بالنزارية أو الإسماعيلية الشرقية، كما عرفت فرقة الحسن بن الصباح بالحشيشية، وهو الاسم الذي اشتهرت به، نظرا لتعاطي أفرادها الحشيش أثناء قيامهم بعمليات انتحارية، وسماهم أعداؤهم بالباطنية، يضاف إلى ذلك أنَّ الحسن بن الصباح خطب لنزار بعد وفاة المستنصر واعتلاء المستعلي للخلافة الفاطمية، وأذاع بين أنصاره أن المستعلي اغتصب الإمامة من نزار، وبذل جهدا كبيرا في الرد على حجج طائفة المستعلي/الإسماعيلية الغربية، وبذلك انقسمت الحركة الإسماعيلية إلى فئتين متنافستين هما النزارية والمستعلي<sup>2</sup>.

استولى الحسن بن الصباح على قلعة ألموت سنة 483هـ/1090م واتخذها مقرا لدعوته وتمكن أن يوجه أتباعه الشديدي الولاء له، لتحقيق أهداف سياسية مناهضة لخصومه، حيث نجح في ذلك نجاحا باهرا، حينما سيطر على المنطقة الواقعة جنوبي قزوین وقلاعها المتناثرة التي تبلغ نحو ستين قلعة، نذكر منها: طبرس وخالنجان، على خمسة فراسخ من أصفهان، وأستونانوند بين الري وآمل، وأردهن وكردكوه وهي مشهورة، والنظر بخوزستان، والطنبور على مقربة من أرجان، وخلا دخان بين فارس وخوزستان، وتشمل هذه القلاع مناطق الطالقان في الجنوب الشرقي حتى حدود قزوین جنوبا، وتمتد غربا حتى بهرام آباد وروذبار على الحدود المتاخمة لشرقي أذربيجان، ويعني ذلك أنَّ المناطق التي سيطر عليها الحشاشون الإسماعيليون كانت ذات حدود سياسية تفصلها عن المناطق المجاورة والتي تقع تحت سيطرة السلاجقة وغيرهم، غير أنَّ هناك ولاية تقع خارج نطاق هذه الحدود، استطاع الحشاشون الاستيلاء عليها وضموها إلى دولتهم هي ولاية قهستان الواقعة بين هراة ونيسابور، وذلك في عام (484هـ/1091م). والملاحظ أنَّ القلاع الرئيسة التي استولوا عليها كانت تقع في أماكن تتوفر فيها الحياة الاقتصادية وهي في الغالب وسط وديان صالحة للزراعة، وبالقرب من موارد المياه، وبخاصة نهر شاهرود وفروعه، وشكلت وحدة اقتصادية-عسكرية مستقلة بذاتها بفضل وفرة وتنوع المحاصيل الزراعية التي يمكن أن تزرع فيها وطبيعة الأرض الجبلية المحيطة بالقلاع، وكان رؤوساء القلاع يتبعون الحاكم الإسماعيلي في قلعة ألموت الذي كان يمثل السلطة العليا<sup>3</sup>.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص497. الجويني علاء الدين عطا ملك، المصدر السابق، ج3، ص172.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص148.

3- المرجع نفسه، ص148-149.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

### 2-1- الصراع بين السلاجقة والحركة النزارية الحشيشية:

شكل الصراع بين السلاجقة والحركة النزارية نقطة تحول كبيرة في تاريخ الصراع السني الشيعي، وقد أدى الصراع بين الطرفين إلى نتائج وخيمة على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية في المشرق الإسلامي، إذ أنَّ السلاجقة استنزفوا قوتهم في التصدي للحركة النزارية، التي انتشرت في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه آخر سلاطين السلاجقة العظام الذين بلغت الدولة في عهدهم أقصى اتساعها وأوج قوتها، حيث تراوحت سياسته معها بين المهادنة والعداء وفقا لتقلب الظروف السياسية، ونظرا لقيام الحركة النزارية بعدد من الاغتيالات، قرر السلطان ملكشاه إرسال أحد العلماء لمناظرة الحسن بن الصباح، هذا العالم هو الإمام أبو يوسف يعقوب بن سليمان الذي كان فقيها عالما بالأصول على مذهب أهل السنة، لكن المناظرة بينهما لم تحقق هدف السلطان بإقناع الحسن بن الصباح بالحكمة والموعظة الحسنة، فما كان من السلطان إلا استعمال منطق القوة، بإرسال قوة عسكرية بقيادة الأمير طاش في عام 485هـ/1092م لمحاصرة قلعة ألموت، لكنها هزمت، ثم بعث قوة أخرى لحصار قلعة ديرة وهي إحدى مراكزهم<sup>1</sup>. كان رد الحسن بن الصباح على فشل قوات ملكشاه في النيل منه، باغتيال وزيره نظام الملك الطوسي، يقول الراوندي في ذلك: "فلما وصل الجيش إلى نهاوند أغرى تاج الملك الملاحدة المخاذيل (أي الإسماعيلية من أتباع حسن الصباح) فضربوا نظام الملك بالخنجر وقتلوه..<sup>2</sup>، أما الحسيني فيورد سبب مقتل نظام الملك بقوله: "...ولما التجأ الحسن بن الصباح إلى قلعة ألموت، سد نظام الملك مسالك تلك القلعة بالعساكر، بعدما تأكدت فتنة ابن الصباح وانتشر شررها وكثر ضررها، فخرج رجالان من القلعة، ونعال فرسهما معكوسة، فظن العسكر المحيط بالقلعة أنهما دخلا القلعة. فخرج نظام الملك من الحمام، وهو في المحفة، فاستقبله واحد من هذين الرجلين، على هيئة متظلم، من موضع سماطه وضربه بسكين وهرب، فعثر بأطناب الخيمة فقتلوه... وكان قتله ليلة السبت عاشر رمضان سنة خمس وثمانين وأربعمائة بيد الباطنية. وسبب قتله أنَّ تاج الملك أبا الغنائم صاحب خزانة السلطان ملكشاه، والناظر في أمر دوره، وفي وزارة أولاده، قد أفسد قلب السلطان على الوزير نظام الملك. وظهر من السلطان ملل وأراد عزله فلم يقدر على ذلك، لميل العساكر والأجناد إليه. وكان الوزير نظام الملك قد أنافت ممالكه على عشرين ألف، فلما عجزوا عنه أوثبوا عليه رجلا ديلميا في صورة مستمنح، ضربه بسكين..."<sup>3</sup>.

1- الجويني علاء الدين عطا ملك، المصدر السابق، ج3، ص181-182، المقرئ، إتعاظ الحنفاء...، المصدر السابق، ج2، ص324، بدوي عبد المجيد أبو

الفتوح، المرجع السابق، ص136، طقوش محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في خراسان...، المرجع السابق، ص149.

2- المصدر السابق، ص209.

3- زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص140-141.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وبعد وفاة السلطان ملكشاه سنة 485هـ تعاظمت قوة النزارية بسبب التصارع على السلطنة بين ولديه بركياروق ومحمود، فقاموا بسلسلة من علميات السطو والنهب وتقتيل الناس في أصفهان عاصمة الدولة السلجوقية<sup>1</sup>، ولكن الرد السلجوقي كان في سنة 494هـ حيث "في هذه السنة قتل جاولي سقاوو خلقا كثيرا منهم. وسبب ذلك أن هذا الأمير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان، فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد، وافق جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية وأظهروا أنهم معهم وعلى رأيهم فأقاموا عندهم حتى وثقوا بهم، ثم أظهر جاولي أن الأمراء بني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وأنه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير إلى همدان، فلما ظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأي: إننا نخرج إلى طريقه ونأخذه وما معه من الأموال فساروا إليه في ثلاثمائة من أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا إلى الجبل وهربوا وغنم جاولي ما معهم من دواب وسلاح وغير ذلك..."<sup>2</sup>، كما تم قتل صاحب كرمان تيرانشاه بن تورانشاه الذي كان باطنيا على يد أرسلانشاه في سنة 494هـ<sup>3</sup>.

لقد زاد نفوذ النزارية في عهد السلطان السلجوقي بركياروق، بعد أن استعان بهم في نزاعه مع أخيه محمد على عرش السلطنة<sup>4</sup>، ثم قرر السلطان السلجوقي بركياروق في هذه السنة أيضا التخلص من النزارية وأمر بقتلهم واستئصالهم، نظرا لتسرب نفر منهم إلى معسكره ونجحوا في ضم عدد من جنده إليهم وصاروا يهددون بقية الجند بالقتل إن لم يوافقوهم، مما أدخل الرعب في نفوس قادة جيش السلطان بركياروق حتى لبسوا الدروع، وعقد اجتماع نتج عنه مطالبة القادة من السلطان بضرورة الإسراع بالقضاء عليهم قبل فوات الآوان، وأعلموه ما يتهمة الناس به من الميل إلى مذهبهم حتى أن عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك، وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون: يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها، فأذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم وأخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم إلا من لم يعرف<sup>5</sup>، فبلغت عدتهم ثمانمائة ونيفا، ووقع التتبع لأموال من قتل منهم، فوجد لأحدهم سبعون بيتا من الزوالي المحفور، وكتب بذلك إلى الخليفة، فتقدم على القبض على قوم يظن فيهم ذلك

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص37.

2- المصدر نفسه، ج9، ص40-41.

3- المصدر نفسه، ج9، ص41.

4- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، المرجع السابق، ص200.

5- المصدر نفسه، ج9، ص42.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

المذهب، ولم يتجاسر أحد أن يشفع في أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب، وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا، وصار كل من في نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب، فيقصد وينهب حتى حسم هذا الأمر فانحسم<sup>1</sup>.

استمرت جرائم النزارية رغم ما فعل بهم من قبل السلطان بركياروق والخليفة العباسي، فقد اشتد أمرهم سنة 498هـ وقويت شوكتهم ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم، الأمر الذي جعلهم يتعرضون لقافلة الحج التي تضم حجاج بلاد ما وراء النهر وخراسان والهند وبقية الأمصار عند وصولها إلى جوار الري، فداهمهم وقتلوهم وغنموا أموالهم ودوابهم ولم يبقوا شيئاً من القافلة<sup>2</sup>.

وقام النزارية باغتيال فخر الملك أبو المظفر بن نظام الملك في عاشوراء سنة 500هـ الذي كان وزير السلطان السلجوقي سنجر، ولكن الأمر لم يتنه عند هذا الحد، بل لما قبض على قاتله أقر بضلوع جماعة من أصحاب فخر الملك كذبا، فأمر السلطان بقتلهم وهم بريئون، ثم قتل قاتل فخر الملك<sup>3</sup>.

جاء رد السلاجقة على استفحال خطر النزارية على يد السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، يقول ابن الأثير: "... فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده أمر أهم من قصد الباطنية وحربهم والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة أصفهان التي بأيديهم لأن بها أكثر وهي متسلطة على سرير ملكه. فخرج بنفسه فحاصرهم في سادس شعبان، وكان قد عزم على الخروج أول رجب فساء ذلك من يتعصب لهم من العسكر، فأرجفوا أن قلع أرسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها وافتعلوا في ذلك مكاتبات، ثم أظهروا أن خللا قد تجدد في خراسان فتوقف السلطان لتحقيق الأمر فلما ظهر بطلانه عزم عزيمة مثله وقصد حربهم وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت في أعلاه، واجتمع له من أصبهان وسوادها لحربهم الأمم العظيمة للذحول التي يطالبونهم بها وأحاطوا بجبل القلعة ودوره أربع فراسخ ورتب الأمراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم أمير، فضاق الأمر بهم واشتد الحصار عليهم وتعذرت عندهم الأقوات..... فلج حينئذ السلطان في حصرهم فلما رأوا عين المحاققة أذعنوا إلى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضا قلعة خالنجان وهي على سبعة فراسخ من أصبهان..."<sup>4</sup>، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قبل السلطان رحيلهم إلى قلعة الناظر بأرجان وقلعة طبس وقلعة ألموت تحت حمايته، رغم غدرهم ونقضهم للعهد ومحاولتهم قتل أحد أمرائه، ثم استولى على قلعة أصبهان وخربها، ولما أحس السلطان الغدر من ابن عطاش قرر استئصال شأفتهم، فأمر

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 62-63.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 84.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 99.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 108.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

بالزحف عليه في الثاني من ذي القعدة سنة 500هـ، وتم اكتشاف مكائهم على يد رجل أئنه السلطان، وكان عددهم 80 شخصا، حيث تم قتل أغلبهم، وأسر ابن عطاش، وتم التشهير به في جميع البلد وسلخ جلده حتى مات فحشي جلده بالتبن وقتل ولده وحمل رأسهما إلى بغداد<sup>1</sup>، وبذلك استطاع السلطان محمد توجيه ضربة كبيرة زعزعت الحركة النزارية في أصفهان وأرجائها.

لم يتوقف السلطان محمد عن قتال النزارية، وقرر في سنة 501هـ إرسال جيش إلى قلعة ألموت، حيث "...سار ضياء الملك أحمد بن الوزير نظام الملك وزير السلطان ومعه الأمير جاوли إلى ألموت، فهزموا الباطنية وقتلوا منهم مقتلة عظيمة..."<sup>2</sup>، ثم ندب الأمير أنوشتكين شيركير صاحب آية وسادة وغيرهما لقتال الحسن بن الصباح، فاستولى على عدد من قلاعهم، كقلعة "كلام" في جمادى الأولى سنة 505هـ، وقلعة "بيرة" التي تبعد سبع فراسخ عن قزوین، وبعد سار إلى قلعة ألموت لحصارها، فشدد عليها الخناق بعد أن أمده السلطان محمد بالميرة والذخائر والرجال، حتى نفذت أقوات المحاصرين في القلعة، فطلبوا الأمان بعد أن أخرجوا نساءهم وأولادهم، ولكن أنوشتكين رفض منحهم الأمان وأعادهم إلى القلعة، ولما أوشكوا على الموت والهلاك، وصلهم خبر وفاة السلطان محمد، فقرروا الاستماتة وعدم الاستسلام، وعلم أنوشتكين بوفاته في اليوم التالي، فحاول ثني الجند على رفع الحصار، وقال لهم: إن رحلنا عنهم وشاع الأمر نزلوا إلينا وأخذوا ما أعددناه من الأقوات والذخائر والرأي أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها، وإن لم يكن المقام فلا بد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفذ منا ثقلنا وما أعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذ العدو. فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما أمسوا رحلوا من غير مشاورة، ولم يبق غيره، فنزل إليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقتلهم وحملهم من تخلف من سوقه العسكر وأتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عنهم<sup>3</sup>. ومن هنا يتبين أن السلطان محمد كان يتمتع بغيرة دينية كبيرة متمثلة في تعقبه للنزارية ومحاولة القضاء عليهم وعلى مذهبه المخالف للسنة والحد من نفوذهم بأية وتصفية قلاعهم<sup>4</sup>.

استفحل خطر النزارية بعد موت السلطان محمد سنة 511هـ/1118م بسبب الصراع حول السلطنة السلجوقية بين سلطان خراسان سنجر بن ملكشاه والسلطان محمود بن محمد، وقد كانت النزارية تتحين الفرصة في مثل هذه الانقسامات وتعمل على زيادة نشاطها والترويج لدعايتهم<sup>5</sup>، من ذلك إحراقهم لجامع أصفهان سنة 515هـ في الليل

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص109.

2- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص170.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص168-169.

4- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، المرجع السابق، ص205.

5- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص236.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وهو أعظم الجوامع وأحسنها<sup>1</sup>، وفي سنة 516هـ قاموا بقتل أبي طالب علي بن أحمد السيرمي وزير السلطان السلجوقي محمود في بغداد<sup>2</sup>، وبعد سنتين توفي الحسن بن الصباح رئيس النزارية، وبالمقابل ثار أهل "آمد" عليهم -أي النزارية- بعد أن كثر عددهم بها، وتمكنوا من قتل 700 رجل، مما أدى إلى ضعفهم وانكسار شوكتهم<sup>3</sup>.

شهد عصر السلطان السلجوقي سنجر تحولات في الصراع بين السلاجقة والحركة النزارية، فقد حاربها سنجر لما كان ملكاً على خراسان في عهد أخيه السلطان بركياروق وكذلك أثناء حكم أخيه السلطان محمد، وبعد أن اعتلى عرش السلطنة السلجوقية قرر مهادنتها وعقد صلح معها، نظراً لتهديدها وإرهابها له، فقد أدرك مدى خطورتها عليه، حيث استيقظ ذات يوم من النوم فوجد خنجرًا بجوار فراشه، وعثر على رسالة بجانب الخنجر مكتوب عليها "إنَّ الذي وضع الخنجر هنا قادر على وضعه في رأسك"، الأمر الذي جعله يوفد وفداً إلى قلعة الموت من أجل إبرام الصلح، ولما عاد أعضاء الوفد أخبروه بأنَّ فدائي النزارية يطيعون زعيمهم طاعة عمياء وأنهم على أتم الاستعداد لبذل حياتهم وروحهم من أجل ذلك ومن أجل عقيدتهم، وكان من شروط الصلح، أن يكفوا عن بناء الحصون وشراء الأسلحة والدعوة إلى مذهبهم، غير أنهم واصلوا عمليات النهب والسلب واغتيال المعارضين لهم، والواضح أن السلطان سنجر كان يحاول كسب الوقت، من أجل الاستعداد لقتالهم، وذلك ريثما يثبت أقدامه في السلطنة، فجاءته الفرصة لما توفي الحسن بن الصباح سنة 518هـ وتجدد نشاطهم<sup>4</sup>، فأعد العدة لقتالهم وأرسل جيشاً سنة 520هـ، يقول ابن الأثير: "في هذه السنة أمر الوزير المختصر أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم، وجهز جيشاً إلى طريث وحيثما كان لهم وجيشاً إلى بيهق من أعمال نيسابور وكان في هذه الأعمال قرية مخصوصة بهم اسمها طرز ومقدمهم بها إنسان اسمه الحسن بن سمين، وسير إلى كل طرف من أعمالهم جمعا من الجند ووصاهم أن يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة إلى الجهة التي سيرت إليها، فأما القرية التي بأعمال بيهق فقصدوها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها فهلك. وكذلك العسكر المنفذ إلى طريث قتلوا من أهلها فأكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا..."<sup>5</sup>، ولكن النزارية ردت بإغتيال أمير الموصل قسيم الدولة آقسنقر البرسقي يوم الجمعة 08 ذي القعدة 520هـ، بجامع الموصل أثناء صلاة الجمعة<sup>6</sup>، وكذلك إغتيال وزير السلطان سنجر معين الملك أبو

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 211.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 212-213.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 231.

4- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، المرجع السابق، ص 206-207.

5- المصدر السابق، ج 9، ص 235.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 236.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

أبو نصر أحمد بن الفضل سنة 521هـ الذي أبلى بلاءاً حسناً في قتالهم<sup>1</sup>، فغضب السلطان سنجر لمقتله وقرر الخروج على رأس جيش جرار إلى قلعة الموت، ودارت بين الطرفين حرب عنيفة، قتل السلطان فيها من النزارية ما يقارب 10 آلاف<sup>2</sup>، ثم في سنة 528هـ خرج الأمير "أرغش" في على رأس جنده لحصار قلعة "كردكوه" بخراسان التي تعد من قلاع النزارية، حيث حاصروها حصاراً طويلاً حتى نفذت مؤنتهم، فأصاب المحاصرين تشنج وكزاز وعجز كثير منهم عن القيام فضلاً عن القتال والدفاع عن القلعة، ولما أوشك الجيش السلجوقي على فتحها، رفع الأمير "أرغش" الحصار وغادر المكان، مقابل ما أعطوه من الأموال والأعلاق النفيسة<sup>3</sup>، وبعد سبع سنوات أي سنة 535هـ قام عباس مولى جوهر صاحب الري من قبل السلطان سنجر، بمقاتلة النزارية التي إغتالت سيده جوهر بعد أن تقوى بعساكر هذا الأخير ومماليكه الذين بلغوا 40 ألفاً، وتتبعهم عساكر عظيمة، فأخذ بثأر مولاه حتى بنى من رؤسهم منارة وأذن عليهم المؤذن، وقتل منهم ما لا يحصى إلا الله تعالى<sup>4</sup>، واستمرت الحملات العسكرية على النزارية، ففي سنة 546هـ خرج الأمير الأمير قجق من قبل السلطان سنجر إلى قلعة "طريثيث" بخراسان، فنهب وسبي وخرب وأحرق المساكن، وفعل بهم الأفاعيل العظيمة، ثم عاد سالماً<sup>5</sup>.

لقد بذل السلطان السلجوقي سنجر جهده للقضاء على النزارية، من خلال الحملات العسكرية التي قادها بنفسه أو كلف بها وزراءه وأمرائه، ولكن هزيمته في المعركة ضد الغز في عام 548هـ/1154م وأسره له، تسببت في ضعف ووهن الدولة السلجوقية، وحالت دون القضاء عليها قضاءً مبرماً، فاستغلت النزارية هذه الفرصة للاستيلاء على خراسان، حيث انطلقوا من قهستان وكان عددهم 70 ألف رجل، فحاربهم الأمير فرخشاه بن محمود الكاساني مع جماعة من حشمه وأصحابه، ونظراً لعدم تكافؤ القوى أرسل إلى الأمير محمد بن أنز أقوى أمراء خراسان وأشجعهم، يخبره بالوضع، ويطلب منه القدوم إليه مع جيشه، لقتال النزارية، فلبى طلبه وسار إليه وضم جيشه إلى جيش فرخشاه، وتقاتلا الجيشان قتالاً طويلاً، حتى انتصر الجيش السلجوقي في الأخير، وكثر القتل في النزارية وأخذهم السيف من كل مكان، وهلك أعيانهم، وسادتهم، وبعضهم قتل، وبعضهم أسر، ولم يسلم منهم إلا القليل الشريد، وخلت قلاعهم وحصونهم من حام ومانع، لكن السلاجقة لم يجهزوا عليها بسبب انشغالهم بفتنة الغز<sup>6</sup>.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص244.

2- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، المرجع السابق، ص208.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص276.

4- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص218.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص371.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص399.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

إن بقاء فلول من النزارية، جعلها تعاود نشاطها في سنة 551هـ بالهجوم على "طبس" بخراسان، فأوقعوا بها وقعة عظيمة، وأسروا جماعة من أعيان دولة السلطان، ونهبوا أولادهم ودوابهم، وقتلوا فيهم<sup>1</sup>.

وبعد وفاة السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه سنة 552هـ، قام حاكم طبرستان رستم بن علي بن شهریار بتجهيز جيش وسار به إلى قلعة ألموت لقتال النزارية، فأغار عليها وأحرق القرى والسواد، وقتل فأكثر، وغنم أموالهم، وسبي نسائهم، واسترق أبناءهم، فباعهم في السوق، وعاد سالماً غانماً، وانخذل النزارية، ودخل عليهم من الوهن ما لم يصابوا بمثله، وخرب من بلادهم ما لا يعمر في السنين الكثيرة<sup>2</sup>.

غير أنَّ هذه الضربة التي وجهها صاحب طبرستان للنزارية لم تفت في عضدها، فكان ردها بالإغارة على حجاج خراسان في ربيع الأول 552هـ، يقول ابن الأثير: "...في هذه السنة في ربيع الأول، سار حجاج خراسان، فلما رحلوا عن بسطام، أغار عليهم جمع من الجند الخراسانية قد قصدوا طبرستان، فأخذوا من أمتعتهم وقتلوا نفراً منهم، سلم الباقون، وساروا من موضعهم، فبينما هم سائرون، إذ طلع عليهم الإسماعيلية، فقاتلهم الحجاج قتالاً عظيماً، وصبروا صبراً عظيماً، فقتل أميرهم، فانخذلوا، وألقوا بأيديهم، واستسلموا، وطلبوا الأمان، وألقوا أسلحتهم مستأمنين، فأخذهم الإسماعيلية، وقتلوهم ولم يبقوا منهم إلا شردمة يسيرة، وقتل فيهم من الأئمة العلماء والزهاد الصالحاء جمع كثير، وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الإسلام، وخصت خراسان، ولم يبق بلد إلا وفيه المأتم، فلما كان الغد طاف شيخ في القتلى والجرحى ينادي: يا مسلمون، يا حجاج ذهب الملاحدة، وأنا رجل مسلم، فمن أراد الماء سقيته، فمن كلمه قتله، وأجهز عليه، فهلكوا أجمعين إلا من سلم وولى هارباً - وقليل ما هم..."<sup>3</sup>.

استطاع السلطان السلجوقي مسعود الاستيلاء على قلعة جهان كشاي بولاية قهاب التي بناها النزارية فوق جبل مرتفع، بعد أن حاصرها لمدة ثلاثة أشهر، حتى سقطت، ولكن التنازع بين أمرائه أدى إلى انسحابه وترك جميع الآلات وأدوات الحصار. فاستعادها النزارية إلى أن تمكن السلطان السلجوقي إرسالاً من أخذها بعد استيلائه على قلاع قزوين، وسمها إرسال كشاي<sup>4</sup>.

لقد عكست محطات الصراع بين السلاجقة والحركة النزارية الحشيشية، حجم الجهود التي بذلها سلاطين السلاجقة في سبيل مواجهة ومقاومة هذه الحركة الخطيرة الهدامة، التي استطاعت القيام بمجموعة من عمليات التقتيل والاعتقالات

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص411.

2- المصدر نفسه، ج9، ص417.

3- المصدر نفسه، ج9، الصفحة نفسها.

4- الرواندي، المصدر السابق، ص414-415.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لأمراء وزراء وقادة وجنود السلاجقة، وتهديدهم لحياة سلاطين الدولة السلجوقية، بالإضافة إلى تقتيل العلماء والحجاج والمهجوم على الأسواق وسفك دماء عامة الناس، وكل مرة توجه الدولة السلجوقية ضربة كبيرة وموجعة للنزارية، ترد النزارية على الضربة مستغلة ضعف الدولة أو وفاة أحد السلاطين أو الصراع على الحكم، وبالمقابل حاول بعض السلاطين التحالف معها وتوظيفها في صراعه على السلطنة ضده أخيه أو ابن أخيه، كالسلطان بركياروق في صراعه مع أخيه السلطان محمد، ومع ذلك فإن السلاجقة أدركوا خطورة وتهديد هذه الحركة على العالم الإسلامي والمذهب السني وعملوا على القضاء عليها، واستطاعوا تحقيق انتصارات كبيرة واسترجاع عدد من القلاع منهم والقضاء على رؤسائهم، ولكن انخرام السلطان سنجر سنة 548هـ على يد قبائل الغز ووفاته سنة 552هـ حال دون استئصال شأفتها الإجهاز عليها وتخليص البلاد والعباد منها.

### 2-2- جهود العلماء في مقاومة الحركة النزارية الحشيشية:

شكلت مقاومة العلماء للحركة النزارية الحشيشية محطة حاسمة في الصراع السني الشيعي، فقد جاءت هذه الجهود متماهية مع جهود السلاطين السلاجقة للقضاء على هذه الحركة، لذا تنوعت أساليب المقاومة، وتمثلت في فتاوى ومناظرات ومؤلفات صنفها العلماء لتبيين ضلال وأكاذيب هذه الحركة، بالإضافة إلى دعمهم للدولة السلجوقية والخلافة العباسية السنييتين بكل ما يملكونه من سلطة دينية واجتماعية، إلى درجة أن الكثير منهم قتلوا من طرف الحركة النزارية الحشيشية، لذا سنتبع هذه الأساليب ونتعرف على ضوئها على ما بذله هؤلاء العلماء في مقاومتها.

بدأ العلماء مقاومتهم للحركة النزارية في عهد السلطان ملكشاه، حينما قبل الفقيه الأشعري أبو يوسف الخازن القيام بمناظرة الحسن بن الصباح، بعد أن طلب منه السلطان ملكشاه ذلك، يقول المقرئزي: "وكان إذ ذاك ملك العراقيين السلطان ملكشاه الملقب جلال الدين بن ألب أرسلان، فاستدعى الإمام أبا يوسف الخازن لمناظرة أصحاب ابن الصباح، فناظرهم، وألف كتابه المسمى بالمستظهر، وأجاب عن مسائلهم...<sup>1</sup>"، من الواضح أن المقرئزي كان متحاملا على النزارية ورؤيسها الحسن بن الصباح، ما جعله يروي لنا هذه المبادرة التي قام بها السلطان ملكشاه بإرسال الفقيه أبي يوسف الخازن لمناظرة النزارية، ثم ينسب كتاب المستظهر له، وهذا غير صحيح لأن مؤلف هذا الكتاب هو أبو حامد الغزالي، مما أدى بالمقرئزي إلى رواية حادثة ملفقة، نظرا لسكوت المصادر الأخرى عن روايتها، وعلى كل فإن أبا يوسف ناظر الحسن بن الصباح، ولكن لا نعرف موضوع المناظرة ومتى جرت ومن انتصر فيها وأفحم خصمه، ومع ذلك تبقى محاولة هادفة من قبل العلماء لمقاومة الحركة النزارية الحشيشية.

1- المصدر السابق، ج2، ص324.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

واصل العلماء مقاومتهم للنزارية باستخدام الفتاوى، فقد أفتوا بقتل رجل من النزارية في شوال سنة 490هـ، قدم من إحدى قلاع خوزستان واستقر في بغداد، ومن هؤلاء العلماء أبو الوفاء بن عقيل الذي كان من أشدهم عليه، حيث جرى بينه وبين هذا الرجل الذي قال له: كيف تقتلونني وأنا أقول لا إله إلا الله؟، فرد عليه أبو الوفاء بن عقيل قائلاً: أنا أقتلك. فقال: بأي حجة؟ قال: بقول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾<sup>1</sup>.

وفي سنة 494هـ قام الفقيه الشافعي أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي بجمع العامة لمواجهة النزارية في أصبهان، يقول ابن الأثير في ذلك: "لما عمت هذه المصيبة الناس بأصبهان أذن الله تعالى في هتك أستارهم والانتقام منهم فاتفق أن رجلاً دخل دار صديق له فرأى فيها ثياباً ومدايات وملابس لم يعهدها، فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا أنه من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وأنهم كانوا إذا اجتاز بهم إنسان أخذوه إلى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك، وكان على باب درب منها رجل ضريب فإذا اجتاز به إنسان يسأله أن يقوده خطوات إلى باب الدرب فيفعل ذلك، فإذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي، وجمع الجَمَّ الغفير بالأسلحة وأمر بحفر أخاديد وأوقد النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون في النار وجعلوا إنساناً على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقاً كثيراً..."<sup>2</sup>، يظهر هذا الكلام تجرد الفقيه الشافعي مسعود الخجندي للتصدي للنزارية بالتعاون مع عامة أهل أصبهان، وكذا العقاب الرهيب الذي أوقعه بهم، حيث أمر بإحراقهم جميعاً.

كما تدخل العلماء لتبثرة الفقيه أبي الحسن علي بن محمد الكيا هراسي، الذي اتهم من قبل السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه بأنه على مذهب النزارية، "...في يوم الخميس سادس محرم سنة 495هـ قبض على الكيا أبي الحسن علي بن محمد المدرس بالنظامية، فحمل إلى موضع أفرد له، ووكل به جماعة، وذلك أنه رفع عنه إلى السلطان محمد بأنه باطني، فتقدم بالقبض عليه فتجرد في حقه أبو الفرج بن السبيي القاضي، وأخذ المحاضر، وكتب أبو الوفاء بن عقيل خطه له بصحة الدين، وشهد له بالفضل وخوطف من دار الخلافة في تخليصه فاستنقذ..."<sup>3</sup>.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 39.

2- المصدر السابق، ج 9، ص 37-38.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 74.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

والجدير بالذكر أن الحركة النزارية الحشيشية قامت بقتل عدد من العلماء، فقد قتل القاضي أبو العلاء صاعد بن أبي محمد النيسابوري الحنفي، سنة 499هـ بجامع أصبهان<sup>1</sup>، كما قتل سنة 502هـ قاضي أصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي بهمدان، بسبب تجرده في أمر النزارية الباطنية تجردا عظيما، وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط ويحتز، فقصدته إنسان عجمي يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله، وقتل أيضا في هذه السنة قاضي نيسابور صاعد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء وذلك في عيد الفطر<sup>2</sup>، وفي سنة 519هـ "...قتل القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان قتله الباطنية، وكان قد مضى إلى خراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة غزيرة وتقدم كثير في الدولة السلجوقية..."<sup>3</sup>، وكذلك في سنة 523هـ وثب النزارية على عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية بأصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير<sup>4</sup>.

لم يكتف العلماء بالمواقف العملية الميدانية التي مرت بناء بل واصلوا التصدي لهذه الحركة الهدامة، من خلال تأليف مؤلفات تظهر حقيقتها، من ذلك كتاب "فضائح الباطنية" لأبي الغزالي الذي ألفه على ضوء طلب الخليفة العباسي المستظهر بالله، وهو ما أشار إليه في مقدمة كتابه: "...حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم، وفنون مكرهم واحتيالهم، ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم، وإيضاح غوائلهم في تلييسهم وخداعهم، وانسالاتهم عن ربة الإسلام، وانسلاخهم وانخلاصهم وإبراز فضائحتهم وقبائحهم -بما يفضي إلى هتك أستارهم وكشف أغوارهم..."<sup>5</sup>، وقسم الغزالي كتابه إلى عشرة أبواب، حيث تناول في الباب الأول المنهج الذي سار عليه في كتابه، وتحدث في الباب الثاني عن ألقاب الباطنية والسبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة المضلة، وتطرق في الباب الثالث لبيان درجات حيلهم في التلييس والكشف عن سبب الاغترار بحيلهم مع ظهور فسادها، وعالج في الباب الرابع مذهبهم جملة وتفصيلا، وخصص الباب الخامس للحديث عن تأويلاتهم لظواهر القرآن واستدلالهم بالأموار العددية، وتكلم في الباب السادس عن أدلتهم العقلية على نصرة مذهبهم والكشف عن تلييساتهم التي زوقوها بزعمهم في معرض البرهان على إبطال النظر العقلي، وأشار في الباب السابع إلى بطلان استدلالهم بالنص

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص97-98.

2- المصدر نفسه، ج9، ص133.

3- المصدر نفسه، ج9، ص234.

4- المصدر نفسه، ج9، ص252.

5- فضائح الباطنية، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، الكويت، مؤسسة دار الكتب الثقافية، ص03.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

على نصب الإمام المعصوم، وتطرق في الباب الثامن إلى مقتضى فتوى الشرع في حقهم من التكفير والتخطئة وسفك الدم، أما البابين التاسع والعاشر فقد خصصهما للخليفة العباسي المستظهر بأمر الله<sup>1</sup>.

بيّن الغزالي في الباب الثاني ألقابهم بقوله: "في ألقابهم التي تداولتها الألسنة على اختلاف الأعصار والأزمنة وهي عشرة ألقاب: الباطنية، والقرامطة، والقرمطية، والخرمية، والخرمدينية، والإسماعيلية، والسبعية، والبابكية، والمحمرة، والتعليمية. ولكل لقب سبب..."<sup>2</sup>، وفي الباب الثامن الذي يعتبر محور الكتاب، ناقش الغزالي مسألة الكشف عن فتوى الشرع في حقهم من التكفير وسفك الدم، وقد قسمها إلى أربع نقاط أساسية:

1- التكفير والتضليل والتخطئة، الذي يتم بمرتبتين؛ إحداهما توجب التخطئة والتضليل والتبديع، والأخرى توجب التكفير والتبري<sup>3</sup>.

2- في أحكام من قضى بكفره منهم<sup>4</sup>.

3- في قبول توبتهم وردها<sup>5</sup>.

4- في حيلة الخروج عن إيمانهم وعهودهم إذا عقدوها على المستجيب<sup>6</sup>.

إذن شكل كتاب "فضائح الباطنية" للغزالي إحدى أهم المحاولات التي قام بها العلماء للتصدي للحركة الباطنية، من خلال تصنيف مؤلفات تظهر ماهية وحقيقة هذه الحركة الخطيرة، فالغزالي بتأليفه لهذا الكتاب ولو بطلب رسمي من قبل الخلافة العباسية، أثبت لنا مدى التوافق الحاصل بين العلماء والسلطة في مواجهة أي ظرف غير عادي أو فكر دخيل على المجتمع الإسلامي، وبالتالي يعد الغزالي من العلماء الذين تصدوا لهذا للحركة الباطنية، فقد عاصرها وشاهد ما أحدثته من شرخ بين المسلمين، في الوقت الذي هجم الصليبيون على بلاد الشام، وكذا استنزاف طاقة الدولتين السلجوقية والعباسية وانعدام الأمن وفساد معاش الناس وسفك الدماء وانتهاك الأعراض، كل ذلك دفعه لاستجلاء حقيقتها وتقديمها للمسلمين حتى لا ينخدعوا بها ويدركوا بطلان عقيدتها ومنهجها.

ومن العلماء الذين بينوا حقيقة هذه الحركة، الفقيه أبي الوفاء ابن عقيل الذي أرسل برسالة إلى السلطان السلجوقي ملكشاه، لما أفسدت الباطنية عقيدته ودعته إلى إنكار الصانع، بقوله: "أيها الملك، اعلم أنّ هؤلاء العوام والجهال يطلبون الله من طريق الحواس، فإذا فقدوه جحدوه. وهذا لا يحسن بأرباب العقول الصحيحة. وذلك أنّ لنا

1- الغزالي، فضائح الباطنية...، المصدر السابق، ص5-6.

2- المصدر نفسه، ص11.

3- المصدر نفسه، ص146-155.

4- المصدر نفسه، ص156-160.

5- المصدر نفسه، ص160-163.

6- المصدر نفسه، ص164-168.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

موجودات ما نالها الحس، ولم يجحدها العقل، ولا يمكننا جحدها لقيام دلالة العقل على إثباتها. فإن قال لك أحد من هؤلاء: لا تثبت إلا ما ترى. فمن ههنا دخل الإلحاد على جهال العوام، الذين يستثقلون الأمر والنهي، وهم يرون أن لنا هذه الأجساد الطويلة العميقة: التي تنمي ولا تفسد، وتقبل الغاية وتصدر عنها الأعمال المحكمة، كالطب، والهندسة. فعلموا أن ذلك عن أمر وراء هذه الأجساد المستحيلة وهو الروح والعقل، فإذا سألناهم: هل أدركتم هذين الأمرين بشيء من إحساسكم قالوا: لا، لكننا أدركناهما من طريق الاستدلال بما صدر عنهما من التأثيرات قلنا: فما لكم جحدتهم الإله، حيث فقدتموه حساً، مع ما صدر عنه من إنشاء الرياح والنجوم، وإدارة الأفلاك، يدركهما الحس، لكن شهدت بهما أدلة العقل من حيث الآثار، كذلك الله سبحانه -وله المثل الأعلى- ثبت بالعقل، لمشاهدة الإحساس من آثار صنائعه، وإتقان أفعاله...<sup>1</sup>.

كما عكف ابن الجوزي على تحليل حقيقة الحركة الإسماعيلية الباطنية، وبطلان عقيدتها وضلال أتباعها وخطورة منهجها وأهدافها، حتى يتعرف عليها خلفاء بني العباس وسلاطين السلاجقة وجمهور المسلمين، من ذلك ما قاله ابن الجوزي حولها: "...الباطنية قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة، فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أن الله حق، ومحمد رسول الله، والدين صحيح، ولكنهم يقولون: لذلك سرٌّ غير ظاهر..."<sup>2</sup>، وحصر ثمانية أسماء أطلقت عليها وتسمى بها أتباعها وهي:

-الباطنية<sup>3</sup>. -الإسماعيلية<sup>4</sup>. -السَّبعية<sup>5</sup>. -البابكية<sup>6</sup>. -المحمرة<sup>7</sup>.

-القرامطة<sup>8</sup>. -الخرّمية<sup>9</sup>. -التعليمية<sup>10</sup>. نلاحظ أن ابن الجوزي اقتفى أثر الغزالي في كتابه "فضائح الباطنية"، حيث نهج منهجه في إبراز وإظهار أمر الباطنية، حيث نجد ذلك واضحاً في كتابه تلبس إبليس.

1- ابن رجب، المصدر السابق، ج3، ص123-124.

2- تلبس إبليس، ص622.

3- المصدر نفسه، ص623.

4- المصدر نفسه، ص624.

5- المصدر نفسه، ص628.

6- المصدر نفسه، ص630-631.

7- المصدر نفسه، ص632.

8- المصدر نفسه، ص633-637.

9- المصدر نفسه، ص638.

10- المصدر نفسه، ص639.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وعليه استطاع العلماء مجابهة الحركة الباطنية النزارية الحشيشية على خطين متوازيين ومتكاملين، تمثلا في المواجهة المباشرة بينهم وبينها، والتأليف لتبيين حقيقتها وكنهها، وبذلك أثبتوا أنهم لم يكونوا بعيدين عن ما يحدث في العالم الإسلامي، بل كانوا في الصف الأول لمواجهة فكر خطير هدام كالفكر الباطني الشيعي، بل بذلوا جهودا جبارة للقضاء عليها، إلى درجة فقدان كثير منهم لحياته، كل ذلك بلور لنا ما قام به العلماء لمحاربة هذه الحركة.

### 3- جهود العلماء في وعظهم ونصح ملأهين ووزراء ورجال الدولة السلجوقية:

شكل الوعظ والنصح وجها آخر من وجوه العلاقة بين العلماء وسلاطين ووزراء ورجال الدولة السلجوقية، وهو يحمل في طياته كثيرا من المواقف الحاسمة وردود الفعل حول عدد من القضايا التي عرفها العصر السلجوقي، تداخلت أحيانا وتشابكت وانفردت أحيانا أخرى، كما يظهر أيضا مدى حضور العلماء في فعاليات الشأن السياسي في الدولة السلجوقية، وقدرتهم على فهم طبيعة السياسة العامة للسلاجقة، والعمل على توجيه الفاعلين السياسيين الرئيسيين لصالح المسلمين، والتخفيف من بعض التصرفات التي تمس الشأن المجتمعي والوقوف في وجه التجاوزات وإرشادهم إلى اتخاذ القرار الصحيح. لذا ضاعف العلماء من جهودهم في هذا الباب، الذي رأوا فيه فسحة يلجون منها للتأثير على السلطة السلجوقية، فلم يخلوا بالنصيحة والإرشاد للسلاطين والوزراء ورجال الدولة في موضع النصح، وكذلك لم يرضوا عليهم بالوعظ والتذكير في موضع الوعظ، متدرجين في ذلك بين اللين والشدّة.

لقد كان منهج النصح والوعظ منهجا متكاملا ذو أبعاد حضارية، منبثقا مما تقرر في آيات القرآن العظيم، يقول الله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (سورة النحل: 125)، وقال أيضا موجهها نبيه الكريم إلى هذا المنهج، ومخذرا إياه من مخالفته: "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إِنَّ الله يحب المتوكلين" (آل عمران: 159)، وقال تعالى موجهها نبيه موسى عليه السلام إلى إتباع هذا المنهج، عندما أرسله وأخاه هارون إلى فرعون "فقلوا له قولا لنا" (طه: 44)، وقال كذلك مؤكدا على هذا المعنى والتوجه "ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" (فصلت: 34)، وغيرها من الآيات القرآنية التي تدعو القائمين بإصلاح أحوال الناس، إلى الرفق واللين معهم، خصوصا إذا كان الخطاب موجهها إلى الخلفاء والسلاطين والأمراء<sup>1</sup>، وكذلك فيما تقرر في توجيهات السنة النبوية الشريفة سواء القولية منها والفعالية لعموم لعموم المسلمين، وللعلماء بالتحديد إلى نهج منهج الرفق واللين لإصلاح أحوال الناس، وخصوصا الحكام<sup>2</sup>، لذلك قال

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 226.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبدعه له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا فقد أدى الذي عليه"<sup>1</sup>، كما تتضح ملامح هذا المنهج أكثر إذا كان الناصح ينصح لأخيه سرا فقد رفع من قدره، وإذا نصحه علانية فقد أنزل من قدره<sup>2</sup>، وقد تعرض العديد من العلماء إلى هذا المنهج على طول التاريخ الإسلامي إلى أهمية إتباع هذا المنهج في تقديم النصح والوعظ للخلفاء والسلاطين والأمراء، من ذلك ما قال الشيرازي: "...وليكن (يقصد الذي ينصح الحكام) وعظه وقوله في ردهم عن الظلم لطيفا طريفا، لين القول بشوشا، غير جبار عبوس..."<sup>3</sup>، كما أكد ابن الجوزي على ضرورة التزام العلماء بهذا المنهج الهادئ خصوصا مع الحكام حيث يقول: "...ينبغي لمن وعظ سلطانا أن يبالغ في التلطف، ولا يواجهه بما يقتضي أنه ظالم، فإن السلطين حظهم التفرد والقهر والغلبة، فإذا جرى نوع من التوبيخ لهم، كان إذلالا وهم لا يحتملون..."<sup>4</sup>.

يمكن تعريف كلمة النصح على أنه إخلاص العمل عن شوائب الفساد والنصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد<sup>5</sup>، أما الوعظ فهو التذكير بالخير فيما يرق له القلب<sup>6</sup>، وعلى ضوء ذلك تعددت الأحداث والمخططات التي أبدى فيها العلماء نصائحهم ووعظهم للسلطين السلاجقة، لعل أبرزها نصيحة الفقيه أبي نصر محمد بن عبد الملك البخاري للسلطان ألب أرسلان قبل معركة ملاذكرد، حيث قال له: "...إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره، وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالتقهم يوم الجمعة، في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر..."<sup>7</sup>، وبالفعل نفذ السلطان نصيحة أبي نصر والتقى جيشه بجيش البيزنطيين في الساعة وحقق الله على يده النصر للمسلمين<sup>8</sup>. كما أسدى الفقيه أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي (ت 467هـ) نصيحة للوزير نظام الملك عندما دخل عليه وقعد بين يديه، حيث قال له: "إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم"<sup>9</sup>. أما حجة الإسلام أبي حامد الغزالي فقد قال للوزير أنو شروان الذي زاره ناصحا له: "زمانك محسوب عليك وأنت كالمستأجر فتوفرك

1- رواه أبو عاصم في السنة، كتاب كيفية نصيحة الرعية للوالي، حديث رقم 1096، تحقيق محمد ناصر الألباني، ج2، بيروت، المكتب

الإسلامي، 1400هـ/1986م، ص521.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص227.

3- الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، د.د.م.ت، ص115.

4- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص190.

5- الجرجاني، المصدر السابق، ص167.

6- المصدر نفسه، ص176.

7- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص388.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص389.

9- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص168-169.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

على ذلك أولى من زيارتي، فخرج أنو شروان، وهو يقول: لا إله إلا الله، هذا الذي كان في أول عمره يستزيدني فضل لقب في ألقابه كان يلبس الذهب والحريز فآل أمره إلى هذا الحال"<sup>1</sup>، وكذلك الفقيه الواعظ المعمر بن علي بن المعمر أبو سعد بن أبي عمامة (ت506هـ) الذي وعظ الوزير السلجوقي نظام الملك لما دخل إلى بغداد وصلى صلاة الجمعة في جامع المهدي، حيث قال له: "الحمد لله ولي الإنعام، وصلى الله على من هو للأنبياء ختام، وعلى آله سرج الظلام، وعلى أصحابه الغر الكرام، والسلام على صدر الإسلام ورضي الإمام زينه الله بالتقوى وختم عمله بالحسنى وجمع له بين خير الآخرة والدنيا معلوم، يا صدر الإسلام إنَّ آحاد الرعية من الأعيان مخيرون في القاصد والوافد إن شاءوا وصلوه، وإن شاءوا قطعوه، فأما من توشح بولائه وترشح لآلائه فليس مخيرا في القاصد والوافد، لأنَّ من هو على الحقيقة أمير فهو في الحقيقة أجير، قد باع نفسه وأخذ ثمنه، فلم يبق له من نهاره ما يتصرف فيه على اختياره، ولا له أن يصلي نفلا ولا يدخل معتكفا دون التبتل لتدبيرهم والنظر في أمورهم، لأن ذلك فضل وهذا فرض لازم، وأنت يا صدر الإسلام وإن كنت وزير الدولة، فأنت أجير الأمة استأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة لتتوب عنه في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا ففي مصالح المسلمين، وأما في الآخرة فلتجيب عند رب العالمين، فإنه سيقفه بين يديه ويقول له: ملكتك البلاد وقلدتك أزمة العباد فما صنعت في إقامة البذل وإفاضة العدل؟ فلعله يقول: يا رب اخترت من دولتي شجاعا عاقلا حازما وسميته قوام الدين نظام الملك وها هو قائم في جملة الولاة، وبسطت يده في السوط والسيف والقلم، ومكنته من الدينار والدرهم، فسأله يا رب ماذا صنع في عبادك وبلادك؟ أفتحسن أن تقول في الجواب نعم تقلدت أمور العباد وملكنت أزمة العباد فبشت النوال وأعطيت الأفضال حتى إنني أقربت من لقائك ودنوت من تلقائك اتخذت الأبواب والنواب والحجَّاب والحجاب ليصدوا عني القاصد ويردوا عني الوافد، فاعمر قبرك كما عمرت قصرك، وانتهاز الفرصة ما دام الدهر يقبل أمرك، فلا تعتذر فما ثم من يقبل عذرک، وهذا ملك الهند وهو عابد صنم ذهب سمعه فدخل عليه أهل مملكته يعزونه في سمعه، فقال: ما حزني لذهاب هذه الجارحة من بدني ولكن لصوت المظلوم كيف لا أسمعه فأغيثه، ثم قال: إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري، فليؤمر كل ذي ظلامة أن يلبس الأحمر حتى إذا رأته عرفته فأنصفته. وهذا أنو شروان قال له رسول ملك الروم: لقد أقدرت عدوك عليك بتسهيل الوصول إليك، فقال: إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظلامة وأقضي حاجة، وأنت يا صدر الإسلام أحق بهذه المأثرة، وأولى بهذه المعدلة، وأحرى من أعد جوابا لتلك المسألة، فإنَّ الله الذي تكاد السماوات يتفطرن منه في موقف ما فيه إلاَّ خاشع أو خاضع أو مقنع، ينخلع فيه القلب، ويحكم فيه

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص127.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الرب، ويعظم الكرب، ويشيب الصغير، ويعزل الملك والوزير: ﴿يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكر﴾ (الفجر: 23)، ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ (آل عمران: 30)، وقد استجلبت لك الدعاء وخلت لك الشاء مع براءتي من التهمة، فليس لي في الأرض ضيعة ولا قرية ولا بيني وبين أحد حكومة ولا بي بحمد الله فقر ولا فاقة. فلما سمع نظام الملك هذه الموعظة بكى بكاء طويلاً وأمر له بمائة دينار فلم يأخذها، وقال: أنا في ضيافة أمير المؤمنين ومن يكون في ضيافته يقبح أن يأخذ عطاء غيره، فقال له: فضها على الفقراء، فقال: الفقراء على بابك أكثر منهم على بابي. ولم يأخذ شيئاً<sup>1</sup>.

وقدم الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي غالب الوراق المعروف بابن الطلاية (ت 548هـ)<sup>2</sup>، نصيحة للسلطان السلجوقي مسعود، حينما زاره في مسجده بالحرية، فتشاغل أبو العباس بالصلاة عنه، وما زاد عن أن قال: يا مسعود اعدل وادع لي. الله أكبر. وأحرم بالصلاة. فبكى السلطان مسعود وأبطل المكوس والضرائب وتاب<sup>3</sup>. ولعل عبارة يا مسعود اعدل وادع لي، تلخص لنا المكانة الكبيرة للعلماء لدى السلاطين، تلك المكانة التي تجعل السلطان يتقبل من العالم قولاً مثل قول أبي العباس، ولكن كلمة (وادع لي) فيهما تذكير للسلطان أن الإمام العادل مستجاب الدعوة<sup>4</sup>. أما حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) فلم يدخر وسعاً في تقديم النصيح وبذل الوعظ لسلاطين ورجال الدولة السلجوقية، وكانت عباراته في غاية الصرامة والقوة والوضوح، فقد دخل على السلطان سنجر بن ملكشاه<sup>5</sup>، وقال له: "انظر إلى الناصح الصامت - أي الموت - ماذا تقول بلسان الحال؟ أيها الملك إذا أوفقت في مقام المؤاخذه والسؤال، وقالوا لك: ماذا فعلت بعبادنا الذاكرين لكلمة لا إله إلا الله، الذين جعلناهم رعيتك، وأعطيناك عدة مواش: فاهتممت بها، حتى خصصت لها كل رحبة خصبة، وغفلت عن عبادنا، ولماذا قدمت حرمة مواشيك على أعزتنا، فماذا عندك من الجواب على هذا السؤال"<sup>6</sup>، كما وجه نصيحة للوزير فخر الملك بن نظام

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 131-132.

2- ولد بعد الستين وأربعمئة، وقرأ القرآن وسمع شيئاً قريباً من الحديث، وسمع أيضاً من عبد العزيز الأنطاقي وغيره، وانفرد بالجزء التاسع من "المخلصيات" حتى أضيف إليه، واشتغل بالتعب، وكان ملازماً للمسجد يتعبد فيه ليلاً ونهاراً، وكان قد انطوى من التعب حتى كان إذا قام فرأسه عند ركبته. توفي يوم الاثنين حادي عشرين رمضان سنة 548هـ، ودفن إلى جانب أبي الحسين ابن سمعون بمقبرة باب حرب، ينظر: المصدر نفسه، ج 18، ص 91، الذهبي، العبر في خبر من غبر، ج 3، تحقيق وضبط أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م، ص 05.

3- الذهبي، المصدر نفسه، ج 3، ص 5، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 20، ص 434-435.

4- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 46-47.

5- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 50.

6- أيها الولد، تحقيق علي محي الدين الغزه داغي، بدون طبعة، القاهرة، دار الاعتصام، د.ت، ص 23-24.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الملك (ت500هـ) بقوله: "اعلم-يا فخر الملك-أن هذه الكلمات لاذعة، مرة قاسية، لا يجرؤ عليها إلا من قطع أمله عن جميع الملوك والأمراء، فأقدر قدرها، فإنك قد لا تسمعها من غيري، وكل من يقول غير ذلك، فاعلم أن طمعه حجاب بينه وبين كلمة الحق"<sup>1</sup>. ووجه أيضا نصيحة للسلطان محمد بن ملكشاه قائلا: "أسفا إن رقاب المسلمين كادت أن تنقض بالمصائب والضرائب، ورقاب خيلك كادت تنقض بالأطواق الذهبية"<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر أيضا، أنه لما وصل السلطان السلجوقي بركياروق بجيشه إلى مدينة واسط، قام عسكره بنهبها، قصده القاضي أبو علي الفارقي وقام بوعظه وسأله منع جنوده من النهب<sup>3</sup>. أما أبو المعالي الصالح (ت496هـ) حينما جاءه شحنة بغداد سعد الدولة، أمر بغلق الباب، فجاء فطرق الباب، وقال: ها أنا قد نزلت عن دابتي، وما أبرح حتى يفتح لي، ففتح له فدخل، فجعل يوبخه على ما هو فيه، وسعد الدولة يبكي بكاء كثيرا، فانفرد بعض أصحابه وتاب على يده<sup>4</sup>. وفي السياق ذاته تدخل ابن المكواز في مسألة جباية العقار التي أمر بها السلطان السلجوقي مسعود، وانجر عنها شدة كبيرة لقيها الناس، فوعظه قائلا: أنت المطالب بما يجري على الناس فما يكون جوابك فانظر بين يديك، ولا تكن كمن قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم، فأسقط ذلك<sup>5</sup>.

وقام القاضي ابن الرطبي بتقديم نصيحة للخليفة العباسي المسترشد بالله على شكل قصة، حينما أمر في صفر من سنة 517هـ بجباية الأموال من أهل بغداد لبناء السور، وكلف ابن الرطبي، الذي بادر بإحضار أبو الفرج قاضي باب الأوج ليقوم بهذه المهمة، فابتدأ بأصحاب الدكاكين، الأمر الذي أقلق الناس، ولكنه جمع مالا كثيرا، ثم أعيد هذا المال على الناس، وتكلف الخليفة بنائه من ماله، فأكثر الناس الدعاء له، عندها كتب ابن الرطبي إلى الخليفة قائلا: "الخادم أدام الله ظل المواقف المقدسة طالع بما يعتقد إن أداه أدى حق النعمة عليه، وإن كتبه كان مقصرا في تأدية ما يجب عليه وعالما أن الله يسأله عنه، فلو فرض في وقته قضاء شخص يقول له يا أحمد بن سلامة قد خدمت العلم منذ الصبي حتى انتهيت إلى سن الشيوخ، وطول العمر في خدمة العلم نعمة مقرونة بنعمة وخدمت إمام العصر خدمة زال عنها الارتياح عنده فيما تنهيه، وعرفت بحكم مخالطتك لأبناء الزمان أن الناصح قليل والمشفق نادر، وهو أدام الله أيامه بنجوة عما تتحدث به الرعية لا تصل إليه حقائق الأحوال إلا من جانب مخصوص، فما عذرك عند الله في كتمانك ولست ممن يراد وأمثالك إلا لقول حق وإيراد صدق لا لعمارة ولا

1- الندوي أبو الحسن، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ج2، ط3، بيروت، دار ابن كثير، 1428هـ، ص114، البدري عبد العزيز، المرجع السابق، ص114.

2- التبرك المسبوك...، المصدر السابق، ص11.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص67-68.

4- المصدر نفسه، ج17، ص83.

5- المصدر نفسه، ج17، ص320-321.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لجمع مال، فلم يجد لنفسه جواباً يقوم عنده فكيف عند الله تعالى، وهذا الوقت الذي قد تجدد فيه من يتوهم أنه على شيء في خدمة وإثارة مال من جباية يغمر بنفسه مع الله تعالى ويمجد مولانا وأولى الأوقات باستمالة القلوب وإذاعة الصدقات وأعمال الصالحات هذا الوقت وحق الله يا مولانا إن الذي تحدثت به الناس فيما بينهم من أن أحدهم كان يعود من معيشتته ويأوي إلى منزلة فيدعو بالنصر والحفظ للدولة قد صاروا يجتمعون في المساجد والأماكن شاكين مما قد التمس منهم، ويقولون كنا نسمع أن في البلد الفلاني مصادرة فنعجب ونحن الآن في كنف الإمامة المعظمة نشاهد ونرى، والناس بين محسن الظن ومسيء، والمحسن يقول: ما يجوز أن يطلع أمير المؤمنين على ما يجري فيقر عليه، والمسيء الظن يقول: الفاعل لهذا أقل أن يقدم عليه إلا عن علم ورضا، وقد كاد كل ذي ولاء وشفقة يضل ويتبدل، وفي يومنا هذا حضر عند الخادم شيخ فقيه يعرف بإسماعيل الأرموي والخادم يذكر الدرس، فقال: لبيك على الإسلام من كان باكياً. وحكى أن له دويرات بالجعفرية أجرتها دينار قد طولب بسبعة دنانير، فيا مولانا الله الله في الدين والدولة اللذين بهما الاعتصام، فما هذا الأمر مما يهمل، وكيف يجوز أن يشاع عنا هذا الفعل الذي لا مساغ له في الشرع ويجعل الخلق شهوداً وما يخلو في أعداء الدولة من يكون له مكاتب ومخبر يرفع إليهم، فما يبلع الأعداء في القدح إلى مثل هذا وما المال ولماذا يراد إلا لإنجاد الأنصار والأولياء، وهل تصرف الحقوق المشروعة إلا في مثل هذا، وليس إلا عزمة من العزمات الشريفة يصلح بها ضمائر الناس ويؤمر بإعادة ما أخذ من الضعفاء، وإن كان ما أخذ من الأغنياء باقياً أعيد، وإن مست حاجة إليه عوملوا فيه، وكتب قرضاً على الخزائن المعمورة وجعل ذلك مضاهياً لما جرت به العوائد الشريفة عند النهضات التي سبقت واقترن بها النظر في تقديم الصدقات، وختام الختمات والخادم وإن أطل فإنه يعد ما ذكره ذمراً بالعرض لكثرة ما على قلبه منه والأمر أعلى...<sup>1</sup>.

لقد كانت النصائح والمواظب التي أسداها العلماء للسلطين والوزراء ورجال الدولة، عنواناً على مقدرة هؤلاء العلماء على متابعة ما تقوم به السلطة بشكل دوري، يكفل لهم الحيلولة دون حدوث أية مفاصد ومظالم، ويتمكنون من إيجاد الحل والوقوف ضد الانزلاقات التي يقع فيها أصحاب الشأن في الدولة السلجوقية، أو على الأقل تذكير السلطين ورجال دولتهم بالظلم وعواقبه الوخيمة، وقد عكست هذه المواظب والنصائح مدى استجابة السلطين لها وتأثيرها في نفوسهم وقرارتهم.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 218-219.

-الفصل الخامس: مشاركة العلماء في وظائف الدولة السلجوقية-

- 1- الخلباء وأئمة الصلوات.
- 2- الإفتاء والمفتين.
- 3- النكاح القضائي.
- 4- الحسبة.
- 5- الوزارة.
- 6- السفارة.
- 7- الكتابة.
- 8- نقابة الصالبيين والعباسيين.
- 9- وظائف أخرى.
- أ- كسوة الكعبة وعمارة الحرمين.
- ب- الإشراف على البيمارستانات.
- ج- الولاية على الأوقاف.
- د- إدارة السجلات (المدير).

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

تأتي مشاركة العلماء في مختلف وظائف الدولة السلجوقية، لتؤكد سعي العلماء إلى القيام بدور أكثر فعالية وتأثير من أجل توجيه هذه الدولة وتكملة عملية الإصلاح السياسي التي تنبأها السلاجقة واستطاعوا من خلالها توحيد وحكم أقاليم المشرق الإسلامي وصهرها في بوتقة واحدة، لذا ارتأ عدد من العلماء ضرورة تولي عدد من الخطط والدواوين في السلطنة السلجوقية، حتى يكونوا قريبين من سلاطينها ويتمكنوا من الاطلاع عن كثب على القرارات الصادرة من قبلهم، ويصير لهم يد طولى في التدخل من أجل إبداء واجب النصيحة والوقوف ضد تجاوزات السلطة والعمل على تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، نظرا لتغلغل نفوذهم في كافة مجالات الحياة لضرورة تسييرها وفق أحكام الشرع، وهم أهل الاختصاص في اشتقاق هذه الأحكام، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ السلطة السياسية تدير القسم الأعظم من أمور الحياة وفق أحكام الشرع، وتسهر على سير الباقي بموجبها، لذلك كانت حاجتها للعلماء كبيرة، الأمر الذي جعل السلطة تعتبرهم ضمن أداتها المساعدة في تنفيذ مهامها وأعمال إدارتها<sup>1</sup>، على أنَّ العلماء لم يتخرجوا في الغالب من الإقبال على تولي المناصب الإدارية بقسميها الديني والسلطاني، ليس فقط لما يعلمونه من ميسر الحاجة إلى خدماتهم في ظل نظم سياسية كان الاحتكام فيها إلى مقررات الشريعة أمرا معلنا، ولكن أيضا لما تعلموه بحكم التجربة من أنَّ تقلدهم وظائف مهمة ومؤثرة في الدولة، من شأنه أن يدعم سلطتهم الرقابية بإزاء السلطة السياسية الحاكمة، ويؤكد حضورهم الفاعل فيما يتصل بمباشرة شؤون الجمهور<sup>2</sup>، لكن هذا التوافق بين الطرفين ينطلق من "معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق، ويلزموا الوقوف على حدوده..<sup>3</sup>"، الذي أعطى بعدا اجتماعيا طاغيا للعالم باعتباره "من يملك معرفة تتمتع بإجماع حول أولويتها وضرورتها، مما يضيف عليها سلطة مؤثرة بكيفية ما"<sup>4</sup>، امتزج بإشرافهم المباشر على المناصب الدينية والسلطانية، فاشتغلوا في الوزارة وأعمال الاستيفاء (المستوفي)، وخزانة بيت المال، والبريد، وأعمال الكتابة في الدواوين المالية والإدارية المختلفة. ويعد القضاء من أوسع الوظائف التي اشتغل بها العلماء، لصلته بتكوينهم العلمي وثقافتهم الفقهية، وجمعت لبعضهم وظائف أخرى إلى جانب القضاء كالبريد، والإشراف على الأوقاف، والشرطة، والإشراف على أموال اليتامى، والحسبة، والإشراف على المكاييل والموازين، وولاية المظالم، إلى جانب تولي تركية الشهود العدول في مجالس

1- الحميدي غانم سعد عبد الكريم، فقهاء الأندلس في عصر الخلافة ودورهم السياسي والإداري والثقافي (316هـ-399هـ/928م-

1008م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2002م، ص 61.

2- بولطيف لخضر محمد، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدة في الغرب الإسلامي (510هـ-668هـ/1116م-1269م)، ط 1، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1429هـ/2009م، ص 237-238.

3- الغزالي، الإحياء... المصدر السابق، ص

4- الصغير عبد المجيد، الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام (قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة)، ط 1، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1415هـ/1994م، ص 14.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

القضاة، بالإضافة إلى التدريس في المدارس والجوامع والأربطة، ومنهم من تولى وظيفة إعادة الدروس على الطلبة، إلى جانب وظيفة خزانة دور الكتب (المكتبات)، والإشراف عليها وحفظها، وكذلك وظيفة التأديب (التعليم)، كما اشتغلوا على نطاق واسع في الوظائف الدينية، مثل: الخطابة، وإمامة الجوامع، والفتيا، إلى جانب عدد من المسؤوليات الدينية التي نهضوا بها تطوعاً، من بينها: الوعظ، والتذكير، والآذان، والإقراء (المقري)، وتولى بعضهم نظارة الأوقاف المخصصة للإنفاق على المساجد والمدارس والأربطة، إلى جانب وظيفة ترتيب الصفوف في الجوامع للصلاة<sup>1</sup>.

**1- الخُصَاء وأئمة الصلوات:** هي أرفع الخطط الدينية كلها، وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة<sup>2</sup>، كما تعد من الوظائف الهامة في المسجد وتليها الخطابة<sup>3</sup>، ولعل الأهمية التي حظيت بها الإمامة كونها تتعلق بالركن الثاني من أركان الإسلام، مما أعطى للقائم بها مكانة كبيرة فهو يمثل القائد الروحي لجماعة المؤمنين في أداء صلواتهم<sup>4</sup>. والإمامة على الصلوات تنقسم ثلاثة أقسام: -أحدها: الإمامة في الصلوات الخمس. -والثاني: الإمامة في صلاة الجمعة. -والثالث: الإمامة في صلوات النَّدب<sup>5</sup>، لذا وضع العلماء شروطاً لمن يتولى هذه الخطة، كما يلي: -يرى الإمام الكاساني أنَّ من يصلح للإمامة في الجملة؛ كل عاقل مسلم، حتى تجوز إمامة العبد والأعرابي، والأعمى، وولد الزنا والفاسق<sup>6</sup>.

-حدد أبو الحسن الماوردي خمس صفات معتبرة في تقليد إمام المسجد هي: أن يكون رجلاً عادلاً قارئاً فقيهاً سليم اللفظ من نقص أو لثغ. فإن كان صبيّاً أو عبداً أو فاسقاً صحت إمامته ولم تنعقد ولايته، لأنَّ الصغر والرق والفسق يمنع من الولاية ولا يمنع من الإمامة. ولا يجوز أن يكون هذا الإمام امرأة ولا خنثى ولا أخرس ولا ألثغ، وإن أمت امرأة أو خنثى فسدت صلاة من أئتمَّ بهما من الرجال والخنثى، وإن أمَّ ألثغ أو أخرس يبدل الحروف بأغيارها بطلت صلاة من أئتمَّ به، إلا أن يكون على مثل خرسه أو لثغه. وينبغي على الإمام أن يكون حافظاً لأَم القرآن، عالماً بأحكام الصلاة؛ لأنه القدر المستحق فيها، وإن كان حافظاً لجميع القرآن عالماً بجميع الأحكام كان أولى. وإذا اجتمع فقيه ليس بقارئ، وقارئ ليس بفقيه، فالفقيه أولى من القارئ إذا كان يفهم الفاتحة؛ لأنَّ ما يلزم من القرآن محصور وما ينوبه من

1- الجالودي عبد الفتاح عليان، سبل عيش العلماء في ضوء كتاب "الأنساب للسمعاني" (ت562هـ/1166م)، المجلة الأردنية للتاريخ

والآثار، المجلد 08، العدد 2014، 01م، صص 61-63.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 203.

3- خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزبانية، ط1، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص 148.

4- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقدم تحقيق الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الجزء الأول، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002م، ص 149، خطيف صابرة، المرجع نفسه، ص 149.

5- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 160، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 94.

6- المصدر السابق، ج 1، ص 666.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الحوادث في الصلاة غير محصور. ويجوز أن يأخذ هذا الإمام ومأذونه رزقا على الإمامة والأذان من بيت المال من سهم المصالح، ومنع أبو حنيفة من ذلك<sup>1</sup>.

- حصر الفقيه الحنبلي ابن هبيرة أقوال الأئمة الأربعة حول شروط الإمام في النقاط التالية:

وأجمعوا: على أنه لا يجوز إمامة المرأة للرجال في الفرائض، ثم اختلفوا: في جواز إمامتها بهم في صلاة التراويح خاصة، فأجاز ذلك أحمد بشرط أن تكون متأخرة، ومنعه الباقر رضي الله عنهم. ثم اختلفوا: في إمامة الأمي بالقارئ، والأمي هو الذي لا يتقن قراءة الفاتحة، فقال أبو حنيفة: تبطل صلاتهما، وقال مالك، وأحمد: تبطل صلاة القارئ وحده. وقال الشافعي: صلاة الأمي صحيحة، وفي صلاة القارئ قولان، الجديد: كقول مالك وأحمد، والقديم: تصح، وللشافعي قول ثالث: تصح في صلاة الإسرار بناء على قوله: لا تجب على المأموم القراءة في حال جهر الإمام؛ فأما من لا يتقن قراءة الفاتحة إذا كان يتقن غيرها تجزئ به الصلاة، وأما من لا يتقن الفاتحة ولم يقرأ الإمام الفاتحة، فإن أبا حنيفة قال: تصح صلاته مع كونه أميا، والأولى تقديم من يتقن قراءة الفاتحة وإلا لا تصح صلاته.

ثم اختلفوا: في الأولى بالإمامة، هل هو الأفقه أو الأقرأ؟ فقال أبو حنيفة، ومالك، والشافعي: الأفقه الذي يحسن الفاتحة أولى، وقال أحمد: الأقرأ الذي يحسن جميع القرآن ويعلم أحكام الصلاة أولى، وإن كان الآخر يعرف من الفقه أكثر مما يعرف ويحسن من القرآن ما تجزئ به الصلاة. واختلفوا: في إمامة الفاسق، فقال أبو حنيفة، والشافعي: تصح، وقال مالك: إن كان فسقه بغير تأويل لا تصح، وإن كان بتأويل فإنه ما دام في الوقت يقضي، وعن أحمد روايتان، أشهرهما: أنها لا تصح<sup>2</sup>.

وانطلاقاً من ذلك أخذت السلطة على عاتقها تقليد أئمة للصلوات الخمس ابتداءً، إذ نصب الإمام معتبر بحال المساجد من حيث كثرتها وانقسامها إلى مساجد سلطانية<sup>3</sup> ومساجد عامية<sup>4</sup>، فاقتصت السلطة بالمساجد السلطانية التي هي المساجد والجوامع والمشاهد، وتعرف كثرة من الناس وإقبال المصلين بأعداد كبيرة فأصبح لزاماً على السلطة أن تنتدب أئمة للصلوات، حتى لا تعمل الرعية بدون أمرهم<sup>5</sup>. كما يدخل في ولاية هذا الإمام تقليد المؤذنين ما لم يصرح له بالصرف منه؛ لأنَّ الأذان من سنن الصلوات التي ولي القيام بها فصار داخلاً في الولاية، وله أن يأخذ المؤذنين بما يؤديه اجتهاده إليه في الوقت والأذان، ويجب مراعاة مذهب الإمام الذي يتبعه، فإن كان شافعيًا يرى تعجيل الصلوات في أول الأوقات، وترجيح الأذان وإفراد الإقامة أخذ المؤذنين بذلك، وإن كان رأيهم بخلافه، وإن كان حنفيًا يرى تأخير

1- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 162-163.

2- المصدر السابق، ج 1، ص 181-182.

3- هي الجوامع والمشاهد، وما عظم وكثر أهله، من المساجد التي يقوم السلطان بمراعاتها، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 94.

4- التي بينها أهل الشوارع والقبائل في شوارعهم وقبائلهم، المصدر نفسه، ص 98.

5- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 160.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الصلوات إلى آخر الأوقات إلا المغرب، ويرى ترك الترجيع في الأذان وتثنية الإقامة أخذهم بذلك، وإن كان رأيهم بخلافه<sup>1</sup>. بالإضافة إلى ذلك يعمل الإمام على رأيه واجتهاده في أحكام صلاته، فإن كان حنبلياً يرى ترك ترك القنوت في الصبح وترك الجهر بالبسملة، عمل على رأيه، ولم يعارض فيه، وكذلك إن كان شافعيًا يرى الجهر بالبسملة والقنوت في الصبح لم يعرض له<sup>2</sup>.

وفي السياق ذاته قد يقلد للمسجد الواحد أكثر من إمام للصلوات الخمس، فينتدب له إمامين يتعاقبان على الصلوات الخمس بالنهار والليل، أو يوماً بيوم<sup>3</sup>.

أما صلاة الجمعة فيقلد لها إمام خاص، وليس لهذا الأخير أو لإمام الصلوات إقامة صلوات الندب إلا إذا قلد جميع الصلوات<sup>4</sup>.

لقد أراد الإسلام لصلاة الجمعة وما يتم فيها من خطابة وتوجيه، أن تكون فعلاً تعبويًا إسلاميًا يتواصل فيه الخطيب باعتباره الرائد الذي لا يكذب أهله مع مجموعته التي تأتيه واثقة بصدق خطابه، وهي ترى فيه الناصح الأمين المنجرح لإبلاغ رؤية شرعية لما يطرأ من الوقائع والمستجدات ولمسيرة المجتمع عموماً<sup>5</sup>، والخطبة في المتعارف اسم لما يشتمل على على تحميد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم والدعاء للمسلمين، والوعظ والتذكير لهم<sup>6</sup>. وعلى لهم<sup>6</sup>. وعلى ضوء ذلك قدم ابن فضل الله العمري نصائح للخطباء قائلًا: "...وليرق هذه الرتبة التي رفعت له ذرى أعوادها، وقدمت له من المنابر مقربات جياها؛ وليصعد منها أعلى درجة، وليسعد منها بصهوة كأنما كانت له من بكرة يومه المشرق مسرجه، وليرع حق هذه الرتبة الشريفة، والذروة التي ما أعدت إلا لإمام فرد مثله أو خليفة، وليقف حيث تخفق على رأسه الأعلام، ويتكلم فتخرس الألسنة وتجف في فم الذرى الأقلام، وليقرع المسامع بالوعد والوعيد، ويذكر بأيام الله ﴿مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَمِيعٌ﴾ (سورة ق: 37) ويلين القلوب القاسية وإن كان منها ما هو أشد قسوة من الحجارة أو الحديد، وليكن قد قدم إلى نفسه قبل أن يتقدم، وليسبل عليه درع التوبة قبل أن يتكلم، وليجعل لكل مقام مقالاً يقوم به على رؤوس الأشهاد، ويفوق منه سهما لا يخطيء موقعه كل فؤاد، وليقم في المحراب قيام من يخشى ربّه، ويخاف أن لا

1-الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص161-162.

2-أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص96.

3-الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص161.

4-المصدر نفسه، ص167، خطيف صابرة، المرجع السابق، ص151.

5-بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص225.

6-الكاساني، المصدر السابق، ج2، ص196.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

يخطف الوجل قلبه؛ وليعلم أن صدقة ذلك المحراب ما انفقت عن مثل درته المكنونة، وصناديق الصدور ما أطقت على مثل جوهريته المخزونة، وليؤم بذلك الجسم الغفير، وليتقدم بين أيديهم فإنه السفير؛ وليؤد هذه الفريضة التي هي من أعظم الأركان، وأول الأعمال التي توضع في الميزان، وأقرب القرب التي يجمع إليها داعي كل أذان، وليقم بالصلاة في أوقاتها، وليرح بها الناس في أول ميقاتها؛ وليخفف مع الإتمام، وليتحمل عن وراءه فإنه هو الإمام، وعليه بالتقوى في عقد كل نية، وأمام كل قضية، والله تعالى يجعله ممن ينقلب إلى أهله وهو مسرور، وينصب له مع الأئمة المقسطين يوم القيامة على يمين الرحمن منابر نور...<sup>1</sup>.

أولى السلاجقة أهمية كبرى لخطة إمامة الصلوات بتعيين عدد من العلماء في المساجد السلطانية المنتشرة عبر مناطق العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، يقول نظام الملك: "...كذلك، يجب اختبار الخطباء الذي يصلون بالناس في المساجد الجامعة، للتأكد من تقواهم، وحفظهم القرآن. فالصلاة من الأمور الدقيقة، وصلاة الناس مرهونة بالإمام، فإذا ما اختلت صلاته، اختلت صلاتهم أيضا..."<sup>2</sup>، لذا قمنا بإحصاء للأئمة والخطباء كما يلي:

- أبو المعالي عبد الملك الجويني (ت487هـ) الذي تولى الخطابة والمحراب والمنبر<sup>3</sup>.
- أبو سعيد القشيري الذي تولى الخطابة<sup>4</sup>، وكذلك أبو الفتح المنيعي<sup>5</sup>.
- أبو محمد بن الهيصم الذي تولى الإمامة<sup>6</sup>، وأيضاً أبو سعد السكري<sup>7</sup>.
- أبو الحسن الصندلي الذي تولى الخطابة<sup>8</sup>.
- الإمام الخطيب أبو محمد عبد الرحمن بن يحيى بن يونس الحكلي<sup>9</sup>، وأيضاً الإمام أبو الفتوح عبد الصمد بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري<sup>10</sup>، والشيخ الإمام الحافظ الخطيب الفاضل عبد الجبار بن أبي

1-المصدر السابق، ص164-165.

2-المصدر السابق، ص82.

3-النسفي نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد، القند في ذكر علماء سمرقند، تحقيق يوسف الهادي، ط1، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة

والإرشاد الإسلامي، 1999م، ص226، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص245.

4-النسفي، المصدر نفسه، ص237.

5-المصدر نفسه، ص251.

6-المصدر نفسه، ص257.

7-المصدر نفسه، ص293.

8-المصدر نفسه، ص305.

9-النسفي، المصدر السابق، ص372.

10-المصدر نفسه، ص390.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- طاهر بن المفتي ابن علي بن أبي الأشعث بن موسى النحوي السمرقندي<sup>1</sup>، وكذلك الشيخ القاضي الإمام الشهيد أبو عصمة عبد الواحد بن طاهر محمد الكرمني<sup>2</sup>.
- الشيخ الإمام الجليل الزاهد الخطيب أبو القاسم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن زيد ابن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن حرب النيسابوري المعروف بأبي القاسم الحكيم<sup>3</sup>.
- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الريغموني الذي تولى الإمامة والخطابة<sup>4</sup>، وأحمد بن محمد موفق الدين الذي كان خطيب خوارزم<sup>5</sup>، وأيضاً حماد بن إبراهيم بن إسماعيل قوام الدين الصفار أبو المحامد البخاري<sup>6</sup>.
- محمد بن نصر بن منصور بن علي بن محمد بن محمد بن الفضل أبو المعالي العامري الذي تولى الخطابة<sup>7</sup>.
- الخطابة بجامع المنصور: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسن الهاشمي<sup>8</sup>.
- الخطابة بجامع الحرية: محمد بن عبد العزيز بن العباس بن محمد بن المهدي، أبو الفضل الهاشمي<sup>9</sup>.
- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، أبو عبد الله الأصبهاني المعروف بابن اللبان<sup>10</sup>.
- الخطابة بجامعي الرصافة والقصر: تمام بن محمد بن هارون بن عيسى، أبو بكر الهاشمي الخطيب<sup>11</sup>.
- الخطابة بجامعي المنصور والمهدي: محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسن الهاشمي<sup>12</sup>، ومحمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله، أبو الحسين، ويعرف: بابن الغريق<sup>13</sup>.

1-النسفي، المصدر السابق، ص403.

2-المصدر نفسه، ص410.

3-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4-اللكنوي الهندي أبو الحسنات محمد عبد الحي، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعاني، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ص24.

5-المصدر نفسه، ص41.

6-المصدر نفسه، ص69.

7-المصدر نفسه، ص202.

8-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص328.

9-المصدر نفسه، ج16، ص339.

10-المصدر نفسه، ج16، ص346.

11-المصدر نفسه، ج16، ص351.

12-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر نفسه، ج16، ص141.

13-المصدر نفسه، ج16، ص152.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- مطلب الهاشمي تولى الخطابة وإمامة الصلوات<sup>1</sup>، كما تولى الخطابة صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، أبو العلاء الخطيب<sup>2</sup>، ومحمد بن عبد الكريم بن عبيد الله بن محمد بن أحمد، أبو بكر الخطيب السجزي ثم البلخي<sup>3</sup>، وأيضاً البلخي<sup>3</sup>، وأيضاً أسعد بن صاعد بن إسماعيل أبو المعالي الحنفي<sup>4</sup>، وكذلك عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي بن جعفر أبو القاسم<sup>5</sup>.
- محمد أبو محمد السهلوكي الخطيب<sup>6</sup>، وأحمد أبو الحارث الهاشمي تولى إمامة الصلوات<sup>7</sup>، والخطيب محمد أبو محمد بن بن الخضر بن إبراهيم أبو بكر الخولي تولى الخطابة والإمامة<sup>8</sup>، وتولى الخطابة أيضاً كل من محمد بن محمد أبو الحسن بن بن أبي الغنائم<sup>9</sup>، ومحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي سهل أبو طاهر<sup>10</sup>.
- أبو عبد الله الحسن بن هبة الرحمن بن عبد الواحد ابن عبد الكريم بن هوازن، القشيري الصوفي الخطيب من أهل نيسابور<sup>11</sup>.
- الإشراف على المسجد الجامع بسنج: أبو أحمد ذاكر بن أبي بكر بن أحمد، السنجي الغرابيلي، من أهل قرية سنج<sup>12</sup>.
- أبو القاسم رجاء ابن أبي المطهر حامد بن رجاء المعداني من أهل أصفهان<sup>13</sup>، وأبو محمد سعد بن محمد ابن أبي عبيد الدستجردي المروزي<sup>14</sup>.
- الإمامة بجامع أصفهان: أبو العلاء صاعد الأصفهاني<sup>15</sup>.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص265.

2- المصدر نفسه، ج17، ص129.

3- المصدر نفسه، ج17، ص159.

4- المصدر نفسه، ج17، ص278.

5- المصدر نفسه، ج17، ص337.

6- المصدر نفسه، ج18، ص23.

7- المصدر نفسه، ج18، ص28.

8- المصدر نفسه، ج18، ص35.

9- المصدر نفسه، ج18، ص43.

10- المصدر نفسه، ج18، ص94.

11- السمعاني التميمي أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور، المنتخب من معجم الشيوخ، دراسة وتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المجلد الثاني، ط1، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م، ص682.

12- المصدر نفسه، مج2، ص789.

13- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص796.

14- المصدر نفسه، مج2، ص827.

15- المصدر نفسه، مج2، ص900.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- الإمامة بجامع همدان: أبو زيد صالح بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن المعزم الحمداني<sup>1</sup>.
- الخطابة وإمامة جامع فوشنج: أبو الحسن عبد الله بن الحسن بن منصور المطوعي الفوشنجي<sup>2</sup>.
- خطابة الجامع العتيق الكبير: أبو القاسم عبد الله بن محمد المعروف بالخطيبي<sup>3</sup>.
- إمامة مسجد الأستاذ أبي مسلم بالري: أبو سعد عبد الرحمن الرازي<sup>4</sup>.
- نيابة الخطابة: أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الرحيم الدارمي الهروي<sup>5</sup>، أبو عبد الله عبد الرحمن بن علي المفاقي البارنابادي<sup>6</sup>، أبو خلف عبد الرحمن بن هبة القشيري<sup>7</sup>.
- الخطابة: أبو سعد عبد الرحيم بن علي الموفق النعيمي الخطيب البارباري<sup>8</sup>.
- إمام جامع جورجير: أبو الفضل عبد الرحيم بن غانم بن عبد الواحد بن عبد الرحيم المعدل الأصبهاني<sup>9</sup>.
- إمام جامع نيسابور: أبو محمد عبد الجبار الخواري البيهقي<sup>10</sup>.
- إمام مسجد الصاغة بمرو: أبو محمد عبد الصمد بن أحمد بن محمد بن محمد البديسي المروزي<sup>11</sup>.
- الخطابة: أبو محمد عبد الصمد البغوي من أهل بشغور<sup>12</sup>، وأبو تميم عبد المغيث بن محمد العبدى الأصبهاني<sup>13</sup>.
- الخطابة بنيسابور: أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل<sup>14</sup>.
- إمام جامع أشفوركقان: أبو عمرو عثمان بن أحمد بن أبي الفضل الأشفوركقاني الحصري المعروف بنال باف<sup>15</sup>.

1-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص908.

2-المصدر نفسه، مج2، ص937.

3-المصدر نفسه، مج2، ص951.

4-المصدر نفسه، مج2، ص987.

5-المصدر نفسه، مج2، ص993.

6-المصدر نفسه، مج2، ص1003.

7-المصدر نفسه، مج2، ص1023.

8-المصدر نفسه، مج2، ص1025.

9-المصدر نفسه، مج2، الصفحة نفسها.

10-المصدر نفسه، مج2، ص1034.

11-المصدر نفسه، مج2، ص1073.

12-المصدر نفسه، مج2، ص1083.

13-المصدر نفسه، مج2، ص1119.

14-المصدر نفسه، مج2، ص1154-1155.

15-المصدر نفسه، مج2، ص1198.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- الخطابة:أبو عمرو عثمان بن أحمد بن محمد الخليلي الحلبي<sup>1</sup>،وأبو الحسن علي الآملي<sup>2</sup>،وأبو بكر محمد بن أحمد بن بن الجنيد بن محمد بن أحمد بن محتاج الميهني<sup>3</sup>.
- إمام جامع أزجاء:أبو الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن معاوية الأزجاهي الخطيب<sup>4</sup>.
- الآذان:أبو الوفاء محمد بن رجاء بن محمد المؤذن الأصبهاني<sup>5</sup>.
- الخطابة:ذو الكنى أبو بكر وأبو حامد وأبو جعفر محمد بن ظفر بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحيم<sup>6</sup>.
- الإمامة بمسجد عقيل:أبو شجاع محمد بن عمر بن عبد الله الأرغواني الراونيري<sup>7</sup>.
- الإمامة في المدرسة النظامية:أبو جعفر محمد بن علي بن محمد المقرئ الطبري المشاط<sup>8</sup>.
- الخطابة:أبو بكر محمد بن محمد الفضلي البخاري<sup>9</sup>،وأبو جعفر محمد بن محمد الحاكمي الخروبي الجبلي<sup>10</sup>،وأبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن محمد بن الفضل البخاري الفضلي<sup>11</sup>.
- الإمامة بمسجد راعوم:أبو الحجاج يوسف بن محمد بن فارو الأندلسي الإشكري<sup>12</sup>.
- نيابة الخطابة بميمنة:الحسين الباذني<sup>13</sup>.
- الخطابة بالجامع العتيق بأهرزنجان:أبو بكر مكّي ابن محمد بن مكّي بن محمد بن مكّي بن حرب الأبهري الحربي<sup>14</sup>.

1-السمعاني،المنتخب من معجم الشيوخ،المصدر السابق،مج2،ص1199.

2-المصدر نفسه،مج2،ص1273.

3-المصدر نفسه،مج3،ص1356.

4-المصدر نفسه،مج3،ص1381.

5-المصدر نفسه،مج3،ص1455.

6-المصدر نفسه،مج3،ص1466.

7-المصدر نفسه،مج3،ص1516.

8-المصدر نفسه،مج3،ص1551.

9-المصدر نفسه،مج3،ص1595.

10-المصدر نفسه،مج3،ص1598.

11-المصدر نفسه،مج3،ص1608.

12-السمعاني التميمي أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور،الأنساب،حقق نصوصه وعلق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله تعالى،الجزء الأول،ط2،القاهرة،مكتبة ابن تيمية،1400هـ/1980م،ص276-277.

13-المصدر نفسه،مج2،ص26.

14-المصدر نفسه،مج4،ص102.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- الخطابة بجامع سمرقند:أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن أبي نصر بن عابد بن أبي النصر بن مدوسة الكشاني الغنجيري<sup>1</sup>.
- الخطابة ببلدة قرقوب:أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسين بن محمد بن حامد بن الحسين ابن يوسف القرقوبي الخطيب<sup>2</sup>.
- الخطابة ببلخ:أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أبي القصر السجستاني القصري<sup>3</sup>.
- الخطابة بسمرقند:أبو المعالي مسعود بن الحسن بن الحسين بن محمد الكشاني<sup>4</sup>.
- مرتب صفوف المسلمين في الصلاة:أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الدهان المرتب<sup>5</sup>.
- الخطابة بنسف:أبو ذر محمد بن جعفر المستغفري<sup>6</sup>.
- الخطابة في قرية مشكان:أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الخطيب المشكاني<sup>7</sup>.
- الإمامة في المدرسة النظامية:أبو البقاء المؤمل بن محمد بن الحسين بن علي بن عبد الواحد ابن عبد الله بن إسحاق بن المنبوزي الهاشمي<sup>8</sup>.
- الإمامة بمسجد عقيل:أبو تراب عبد الباقي بن يوسف النريزي المراغي<sup>9</sup>.
- الخطابة بنسف:أبو إبراهيم إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن نوح بن زيد بن نعمان بن عبد الله ابن الحسن بن زيد بن نوح النوح الخطيب<sup>10</sup>.
- الخطابة بسمرقند:أبو محمد إسماعيل بن محمد بن إبراهيم النوح<sup>11</sup>.
- الإمامة بمسجد نيرب:أبو محمد عبد الهادي بن عبد الله الرومي النيري<sup>12</sup>.

1-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج9، ص178.

2-المصدر نفسه، ج10، ص108.

3-المصدر نفسه، ج10، ص173.

4-المصدر نفسه، ج10، ص432.

5-المصدر نفسه، ج11، ص236.

6-المصدر نفسه، ج11، ص298.

7-المصدر نفسه، ج11، ص334.

8-المصدر نفسه، ج11، ص488.

9-المصدر نفسه، ج12، ص72.

10-المصدر نفسه، ج12، ص150.

11-المصدر نفسه، ج12، ص151.

12-المصدر نفسه، ج12، ص182.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- الخطابة بقرية وذار بسمرقند:أحمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صالح الوداري<sup>1</sup>.
- الخطابة بالجامع الكبير(العتيق)بأصفهان:أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن علي بن جعفر ابن زريق الأسدي المضري الحنفي المعروف بالخطيبي<sup>2</sup>.
- نيابة الخطابة في مرو:أبو محمد عبد الرحمن بن علي بن أبي العباس بن علي بن الحسين ابن الموفق النعيمي المعروف بالبارناباذي<sup>3</sup>.
- الخطابة بقرية لاذان:أبو تميم عبد المغيث العبدى<sup>4</sup>.
- الإمامة بمسجد المطرز:أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد الطوسي المقرئ<sup>5</sup>.
- الخطابة بقرية بشبق:أبو الحسن علي بن أبي الحسن ابن أبي هاشم بن محمد الآملي الطبري ثم الجرجاني<sup>6</sup>.
- الخطابة بمدينة مرو:أبو جعفر محمد بن عبد الله ابن أبي الحسن الصائغي المروزي<sup>7</sup>.
- الخطابة بساوة:أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن علان الخطيب<sup>8</sup>.
- الخطابة بباميين:أبو الفتح مسعود بن أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف الخطيب البامنجي<sup>9</sup>.
- الخطابة بالجامع الأقدم بمرو:أبو الفتح مسعود بن محمد بن سعيد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود بن أحمد بن محمد بن مسعود المسعودي الخطيب<sup>10</sup>.
- الخطابة بمهراة:الشريف أبو الندى المطلب بن أحمد ابن الفضل القرشي<sup>11</sup>.
- الأذان في الجامع المنيعي:أبو بكر لامع بن محمد بن أحمد بن نضلوويه الشوكاني المؤذن الفضلوي<sup>12</sup>.

1-السمعاني،الأنساب،المصدر السابق،ج12،ص233.

2-السمعاني،التحجير في المعجم الكبير،تحقيق منيرة ناجي سالم،الجزء الأول،ط1،بغداد،1395هـ/1975م،ص378.

3-المصدر نفسه،ج1،ص403.

4-المصدر نفسه،ج1،ص485.

5-المصدر نفسه،ج1،ص566.

6-المصدر نفسه،ج1،ص598-599.

7-المصدر نفسه،ج2،ص144.

8-المصدر نفسه،ج2،ص227.

9-المصدر نفسه،ج2،ص297.

10-المصدر نفسه،ج2،ص303.

11-المصدر نفسه،ج2،ص332.

12-المصدر نفسه،ج2،ص373.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-إمام مسجد البالوي ببخارى: أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر بن محمد الشاشي البسكتي<sup>1</sup>.

بلغ عدد العلماء الذين زاولوا الإمامة والخطابة 90 إماما وخطيبا في كل من العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر إبان العصر السلجوقي، بالرغم من أن هذا العدد قليل بالمقارنة مع أعداد العلماء الكبيرة الذين أقبلوا على الإمامة والخطابة في مختلف حواضر ومدن وقرى هذه الأقاليم، لكن سكوت المصادر عن ذكرهم صعب من مهمتنا في تتبعهم جميعا.

**2-الإفتاء والمفتين:** الفتيا هي توقيع عن الله تبارك وتعالى<sup>2</sup>، وقد عظم إمام الحرمين شأن المفتي بقوله: "المفتي مناط الأحكام، وهو ملاذ الخلائق في تفاصيل الحرام والحلال ولم ينكر واحد، ولو سبق إلى إنكاره من لا اعتبار له، اتهم في دينه، كيف والصحابة رضي الله عنهم كانوا يفتون، فيتبعون ويقضون فينفذون، وكذلك من لدن عصرهم إلى زماننا هذا..."<sup>3</sup>، مما يعني أن خطة الفتيا من أشرف الخطط الدينية وأرفعها، حيث أن متوليها يكون بمقام مقام النبي صلى الله عليه وسلم<sup>4</sup>، وعلى ضوء ذلك صار لزاما على السلاطين اختيار المفتين من أهل العلم والتدريس، والذين هم أهل لهذا المنصب الخطير ورعايتهم والإحسان إليهم<sup>5</sup>، ولا يتم تعيين أحد منهم في هذا الخطة إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية:

-يشترط أن يكون المفتي بالغاً، فإن الصبي وإن بلغ رتبة الاجتهاد، وتيسر عليه درك الأحكام، فلا ثقة بنظره وطلبه، فالبالغ هو الذي يعتمد قوله<sup>6</sup>.

-أن يكون عالماً باللغة، فإن الشريعة عربية، وإنما يفهم أصولها من الكتاب والسنة، كما يجب أن يكون عالماً بالنحو والإعراب<sup>7</sup>.

-يشترط كذلك أن يكون عالماً بالقرآن فإنه أصل الأحكام، ومنبع تفاصيل الإسلام، ولا ينبغي أن يقنع فيه بما يفهمه من لغته، فإن معظم التفاسير يعتمد النقل، وليس له أن يعتمد في نقله على الكتب والتصانيف، فينبغي أن يحصل لنفسه علماً بحقيقته. ومعرفة الناسخ والمنسوخ لا بد منه<sup>1</sup>.

1-المصدر نفسه، ج2، ص393.

1-ابن الصلاح الشهرزوري أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن، أدب المفتي والمستفتي، دراسة وتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ط1، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، 1407هـ/1986م، ص72.

2-البرهان في أصول الفقه، تحقيق وتقديم ووضع الفهارس الدكتور عبد العظيم الديب، الجزء الثاني، ط1، قطر، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، 1399هـ، ص1330.

3-ابن الأزرقي أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك، الجزء الأول، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، ط1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/2008م، ص211.

5-ابن خلدون، المصدر السابق، ص204.

6-الجويني أبو المعالي، البرهان...، المصدر السابق، ج2، ص1330.

7-المصدر نفسه، ج2، ص1331.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-أن يكون عالماً بعلم الأصول وعلم التواريخ وعلم الحديث وعلم الفقه، ويشترط وراء ذلك كله فقه النفس، فهو رأس مال المجتهد ولا يتأتى كسبه؛ فإن جبل على ذلك، فهو المراد وإلا فلا يتأتى تحصيله بحفظ الكتب<sup>2</sup>.

-معرفة مذاهب العلماء المتقدمين الماضين في العصر الحالية، ووجه اشتراط ذلك أن المفتي لو لم يكن محيطاً بمذاهب المتقدمين، فرمما يهجم فيما يجزئه على خرق الإجماع والانسلال عن رتبة الوفاق<sup>3</sup>

-ويشترط أن يكون المفتي عدلاً؛ لأن الفاسق وإن أدرك، فلا يصح قوله للاعتماد كقول الصبي<sup>4</sup>.

فمتى توفرت هذه الشروط جاز للشخص الإفتاء في مختلف القضايا والمسائل والنوازل التي يعرفها المجتمع وتطراً عليه، إذ المستفتي يسعى للسؤال في مسألة ما ولا يعرف طرق الأحكام، فلماذا يجب عليه أن يستفتي من يعرف حاله في العلم والفقه والعدالة ويجوز له أن يقلده<sup>5</sup>، وأثناء إفتائه في أية مسألة عليه أن "ينظر أولاً في نصوص الكتاب، فإن وجد مسلماً دالاً على الحكم، فهو المراد، وإن أعوزه انحدر إلى نصوص الأخبار المتواترة، فإن وجدته، وإلا انحط إلى نصوص أخبار الآحاد؛ فإن عثر على مغزاه، وإلا انعطف على ظواهر الكتاب، فإن وجد ظاهراً لم يعمل بموجبه حتى يبحث عن المخصصات فإن لاح له مخصص، ترك العمل بفحوى الظاهر، وإن لم يتبين مخصص، طرد العمل بمقتضاه، ثم إن لم يجد في الكتاب ظاهراً نزل عنه إلى ظواهر الأخبار المتواترة، مع انتفاء المختص ثم إلى أخبار الآحاد. فإن عدم المطلوب في هذه الدرجات، لم يخض في القياس بعد، ولكنه ينظر في كليات الشرع ومصالحها العامة. وعد الشافعي من هذا الفن إيجاب القصاص في المثل، فإن نفيه يخرم قاعدة الزجر، ثم لم يجد في الواقعة مصلحة عامة، النفث إلى مواضع الإجماع، فإن وجدهم أطبقوا على حكم نصوا عليه، فقد كفوه مؤنة البحث والفحص. فإن عدم ذلك، خاض في القياس، ونظر فإن وجد الواقعة في معنى المنصوص عليه، فلا يثقل عليه سبر الطرق، فإن أعوزه فقيس، ويطلب الإخالة والمناسبة والإشعار، فإذا هجم عليه، عمل به إذا لم يعارضه مثله، فإن عارضه ما يوازيه في الإخالة، يكلف الترجيح، فإن استويا في طرق التلويح، لم يفت بواحد منهما. فإن تعسر عليه وجدان المخيل، طلب الشبه، إن جعلناه حجة. لا مزيد على هذا الترتيب إلا أن يعينه الرب، فإنه لو قدم الإجماع ليفتي به، جاز، فإنه مقدم على كل مسلك في المرتبة

1-المصدر نفسه، ج2، الصفحة نفسها.

2-النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، البرهان...، المصدر السابق، ج2، ص1332.

3-النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، الغياثي...، المصدر السابق، ص478-479.

4-النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، البرهان...، المصدر السابق، ج2، ص1333.

4-ابن جزري محمد بن أحمد الغرناطي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، ط1، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م، ص146-147.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العلية...<sup>1</sup>، والفتوى وإن لم تكن في حد ذاتها ملزمة، إلا أنها لا تؤدي في النهاية سوى إلى تكريس السلطة العلمية للفقيه بإزاء السلطة السياسية الحاكمة.<sup>2</sup>

والجدير بالذكر أن إمام الحرمين انتقد حال المفتين في عصره بقوله: "...وإنما بلائي كله -حرس الله مدة مولانا- من ناشئة في الزمان شدوا طرفا من مقالات الأولين، وركنوا إلى التقليد المحض ولم يتشوفوا إلى انتحاء درك اليقين، وابتغاء ثلج الصدور، فضلا أن يشمروا للطلب، ثم يبحثوا أو يحققوا، ثم إذا رأوا من لا يرى التعرّيج على التقليد، ويشترّب إلى مدارك العلوم، ويحاول الانتفاض من وضر الجهل، نفروا نفار الأوابد، ونخروا نخيرة الحمر المستنفرة، وأضربوا عن إجمالة الفكر والنظر، وأرجحنوا إلى المطاعن على من يحاول الحقائق، ويلابس المضايق، وقنعوا من منصب العلماء بالرد على من يبغى العلم، والترقي عن الجهالات، والبحث عن حقائق المقالات...<sup>3</sup>، وبالمقابل يوجه المستفتين إلى ضرورة التحري عن المفتين، بحيث "أن من ظهر ورعه من العلماء وبعد عن مظان التهم، فيجوز للمستفتين اعتماد قوله إذا ذكر أنه من أهل الفتوى؛ فإننا نعلم أن الغريب كان يرد ويسأل من يراه من علماء الصحابة، فكان ذلك مشتهرا مستفيضا من دأب الوافدين والواردين، ولم يبد نكير من جلة الصحابة وكبرائهم. فإذا كان الغرض حصول غلبة ظن المستفتي، فهي تحصل باعتماد قول من ظهر ورعه، كما تحصل باستفاضة الأخبار عنه. وليس للمستفتي سبيل إلى الإحاطة بحقيقة رتبة المفتي مع عرويه عن موارد العلوم، سيما إذا فرض القول في غبي عري عن مبادئ العلوم والاستئناس بأطرافها"<sup>4</sup>، كما يؤكد على أن تشعب مسالك الاجتهاد وكثرتها، وكذا أساليب الظنون ووجهات النظر، وعدم إمكانية حصر الفتاوى والاجتهاد في ظل مذهب فقهي واحد، ويشدد على ضرورة أن يكون مفتي الزمان أحق بالبحث في تفاصيل المسائل من المستفتي<sup>5</sup>، ذلك أن نظر المفتي في البحث والتنقيير، وتعيين جهات النظر في آحاد المسائل أصح وأوثق من ظن على الجملة عن مستفت لا اختصاص له بالتفاصيل.<sup>6</sup>

جعل العلماء للفتوى آدابا ينبغي للمفتي أن يتقيد بها، كالإجابة عن الفتوى، جوابا واضحا بعيدا عن الإشكال، سواء مشافهة أو كتابة<sup>7</sup>، وكذلك عليه أن يفصل المسألة إذا كان فيها تفصيل، بشرط التثبت والاجتهاد في استيفاء أقسامها

1- الجويني أبو المعالي، البرهان...، المصدر السابق، ج2، ص1338-1339.

2- بولطيف لخصر، المرجع السابق، ص255.

3- الغياني...، المصدر السابق، ص482-483.

4- المصدر نفسه، ص484-485.

5- الغياني...، المصدر السابق، ص486.

6- المصدر نفسه، ص487.

7- ابن الصلاح الشهرزوري، المصدر السابق، ص134-135.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

وأحكامها وتحريها، كما يراعي حال المستفتي إذا كان بعيد الفهم، ببذل الجهد في تفهيمه<sup>1</sup>، ومن الآداب أن يتأمل رقعة الاستفتاء تأملاً شافياً، كلمة بعد كلمة ولتكن عنايته بتأمل آخرها أكثر، فإنه في آخرها يكون السؤال، وقد يتقيد الجميع بكلمة في آخر الرقعة، ويغفل عنها القارئ لها، وهذا من أهم ما ينبغي أن يراعيه، فإذا مر بمشتبته سأل عنه المستفتي، ونقطه وشكله مصلحة لنفسه ونيابة عمن يفتي بعده، وكذا إن رأى لحناً فاحشاً، أو خطأ يحيل معنى أصله، وكذلك إذا رأى بياضاً في أثناء بعض السطور، أو في آخرها، حط عليه وشغله على نحو ما يفعله الشاهد في كتب الوثائق ونحوها، لأنه ربما قصد المفتي فكتب في ذلك البياض بعد فتواه ما يفسدها<sup>2</sup>، ويستحب للمفتي أيضاً قراءة نص الفتوى الواردة إليه على من بحضرته ممن هو أهل لذلك، ويشاورهم في الجواب ويباحثهم فيه وإن كانوا دونه وتلامذته، لما في ذلك من البركة والافتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالسلف الصالح رضي الله عنهم، ثم يكتب الجواب بخط واضح<sup>3</sup>، وإذا كان هو المبتدئ بالإفتاء فيها أي الكتابة على الورقة، فالعادة جارية قديماً وحديثاً بأن يكتب يكتب فتواه في الناحية اليسرى من الورقة لأن ذلك أمكن له، ولو كتب في غيرها فلا عيب عليه، إلا أن يرتفع إلى أعلاها ترفعاً، ولا سيما فوق البسملة<sup>4</sup>، كما يجب على المفتي أن يبدأ الجواب بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويدعو الله عز وجل، وعليه الاختصار في الجواب، بشرط أن لا يخل بالبيان المشترط عليه دون ما يخل به، فلا يدع إطالة لا يحصل البيان بدونها، وعليه مراعاة نوع السؤال وحساسيته في مسائل الدين كالقود والرجم والتكفير والتعزير والميراث<sup>5</sup>، وعليه أن يجيب على ما دُون في الورقة ابتداءً، ولكن إن رأى الرد على سؤال آخر للمستفتي ليس مكتوباً في في الورقة فله ذلك بشرط أن يكتبه بخطه<sup>6</sup>.

وانطلاقاً من ذلك تقلد عدد من العلماء خطة الإفتاء خلال العصر السلجوقي في كل من العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، نظراً لكثرة المستجدات والقضايا والمسائل والنوازل التي شهدتها مجتمعات هذه الأقاليم، كما أعطى سلاطين بني سلجوق أهمية كبرى لهذه الخطة، فانتدبوا لها كبار العلماء المبرزين والمجتهدين في المذاهب الفقهية، وعليه سيتم إحصاء هؤلاء العلماء كما يلي:

1- ابن الصلاح الشهرزوري، المصدر السابق، ص 135.

2- المصدر نفسه، ص 137.

3- المصدر نفسه، ص 138-139.

4- المصدر نفسه، ص 139.

5- المصدر نفسه، ص 140-142.

6- المصدر نفسه، ص 144-145.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-إمام الحرمين أبو المعالي الجويني<sup>1</sup>. -أبو الفتح الصاعدي<sup>2</sup>. -أبو الحسن الهمداني<sup>3</sup>. -الشيخ الإمام عبد الملك بن أصيد الحرقاني<sup>4</sup>. -الشيخ الإمام شمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب الحلواني البخاري<sup>5</sup>. -الشيخ الإمام عبد المجيد بن يونس بن يوسف الكسي<sup>6</sup>. -الشيخ الإمام عبد الرشيد الرشيد بن الحسين بن أبي صالح ابن الحسن الإسرنكي<sup>7</sup>. -الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن المفتي القطواني<sup>8</sup>. -بكر بن محمد بن علي بن الفضل بن الحسن شمس الأئمة الزرنجيري<sup>9</sup>. -محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده الجوغني<sup>10</sup>. -يحيى بن عبد الله بن الحسين قاضي القضاة أبو صالح الناصحي<sup>11</sup>. -إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن مهران أبو إسحاق البرمكي<sup>12</sup>. -محمد بن عبد الواحد الصباغ<sup>13</sup>. -محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي الفضل البزاز<sup>14</sup>.

-أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء<sup>15</sup>. -عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي<sup>16</sup>. -الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء أبو علي المقرئ الفقيه المحدث<sup>17</sup>. -طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله، أبو الوفاء القواس<sup>18</sup>. -إسماعيل بن مسعدة بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم أبو

- 
- 1-الفارسي أبو الحسن، المختصر من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق محمد كاظم المحمودي، تهران، مركز بروهشي ميراث مكتوب، 1382هـ، ص226.
  - 2-المصدر نفسه، ص228.
  - 3-المصدر نفسه، ص293.
  - 4-النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص382.
  - 5-المصدر نفسه، ص428.
  - 6-المصدر نفسه، ص441.
  - 7-المصدر نفسه، ص446.
  - 8-المصدر نفسه، ص556.
  - 9-اللكوني أبو الحسنات، المصدر السابق، ص56.
  - 10-المصدر نفسه، ص161.
  - 11-المصدر نفسه، ص225.
  - 12-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص341.
  - 13-المصدر نفسه، ج16، ص12.
  - 14-المصدر نفسه، ج16، ص64.
  - 15-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص99.
  - 16-المصدر نفسه، ج16، ص169.
  - 17-المصدر نفسه، ج16، ص200.
  - 18-المصدر نفسه، ج16، ص231.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

القاسم الجرجاني الإسماعيلي<sup>1</sup>. -رزق الله بن عبد الوهاب<sup>2</sup>. -سعد بن علي بن الحسن بن القاسم أبو منصور العجلي<sup>3</sup>. -صاعد بن محمد بن عبد الرحمن أبو العلاء البخاري القاضي<sup>4</sup>. -أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل<sup>5</sup>. -عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين أبو محمد بن أبي بكر الشاشي<sup>6</sup>. -محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي<sup>7</sup>. -محمد بن محمد الحسين أبو يعلى ابن الفراء<sup>8</sup>. -حامد بن محمد بن حامد أبو الفضل الحراني<sup>9</sup>. -مسعود بن الحسين بن سعد أبو الحسين اليزدي القاضي<sup>10</sup>. -محمد بن أحمد بن عبد الجبار أبو المظفر الحنفي، محمد بن أسعد بن محمد بن أبي منصور العطاري<sup>11</sup>. -أبو الحسن عبد الرحيم بن أحمد النيسابوري<sup>12</sup>. -أبو عبد الله عبد المنعم بن أحمد ابن الخداباني الهروي<sup>13</sup>. -أبو الحسن علي بن محمد الإسييجاني السمرقندي<sup>14</sup>. -الإمام عمر الخوارزمي<sup>15</sup>. -أبو نصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ثابت البخاري الثابتي<sup>16</sup>. -أبو عبد الله عبد الكريم بن أحمد بن الحسن بن محمد الشالوسي الطبري<sup>17</sup>. -أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الفقيه الشافعي<sup>18</sup>. -أبو سعد عثمان بن علي بن شراف العجلي<sup>19</sup>. -أبو محمد

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص234.

2- المصدر نفسه، ج17، ص20.

3- المصدر نفسه، ج17، ص68.

4- المصدر نفسه، ج17، ص113.

5- المصدر نفسه، ج17، ص181.

6- المصدر نفسه، ج17، ص286.

7- المصدر نفسه، ج17، ص318.

8- المصدر نفسه، ج18، ص165.

9- المصدر نفسه، ج18، ص216.

10- المصدر نفسه، ج18، ص225.

11- المصدر نفسه، ج18، ص246.

12- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1027.

13- المصدر نفسه، مج2، ص1130.

14- المصدر نفسه، مج2، ص1248.

15- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص475.

16- السمعاني، الأتساب، المصدر السابق، ج3، ص122-123.

17- المصدر نفسه، ج7، ص260.

18- المصدر نفسه، ج8، ص207.

19- المصدر نفسه، ج8، ص399.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

عمر بن أحمد بن أبي الحسن بن الحسين الغندابي المرغيناني المعروف بالفرغاني<sup>1</sup>. -أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي بن عطاء الفلخاري المعروف بالمرورودي<sup>2</sup>. -أبو علي الحسن بن علي بن محمد المفتي الحافظ القطواني من قطوان سمرقند<sup>3</sup>. -أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسين بن أحمد الكلواذاني<sup>4</sup>. -الإمام أبو الفتح محمد بن الفضل بن علي المارشكي<sup>5</sup>. -الإمام أبو تراب عبد الباقي بن يوسف بن علي بن صالح بن عبد الملك ابن هارون المراغي<sup>6</sup>.

-أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن موسى بن هارون بن الفضل بن هارون بن يزيد السروي المطهري<sup>7</sup>. -أبو بكر محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد النشكي<sup>8</sup>. -محمد بن منصور بن مخلص بن إسماعيل النوقدي<sup>9</sup>. -أبو محمد عبد الرحمن بن بن عبد الله بن عبد الرحمن النيهي<sup>10</sup>. -أبو المظفر إسماعيل بن عدي بن الفضل ابن عبيد الله الأزهرى الطالقاني الوريي<sup>11</sup>.

وصل عدد العلماء الذين تولوا خطة الإفتاء في حواضر ومدن العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر إلى 48 مفتيًا، مما يدل كذلك على أنَّ هذا العدد ضئيل جدا بالنظر إلى حجم وأهمية هذه الخطة الدينية في الفترة السلجوقية ومدى إقبال العلماء عليها، غير أنَّ المصادر تصمت عن الإشارة بشكل أكيد إلى العلماء المفتين خلال هذا العصر.

**3-النظام القضائي:** لم تنحصر مهمة العلماء والفقهاء على التعليم والتدريس والتأليف والتصنيف والفتوى، بل شاركوا في أحداث عصرهم وقضايا الناس وعلاقاتهم ومنازعاتهم وعقودهم، بل أضحي لزاما عليهم أن يعملوا على ربط واقع الناس بأحكام الشرع وذلك عن طريق إشاعة العدل بينهم بإغاثة المظلوم ورفع الضر عنه، والاقتصاص من

1-المصدر نفسه، ج9، ص179.

2-المصدر نفسه، ج9، ص325.

3-المصدر نفسه، ج10، ص199.

4-المصدر نفسه، ج10، ص461.

5-المصدر نفسه، ج11، ص68.

6-المصدر نفسه، ج11، ص224.

7-المصدر نفسه، ج11، ص372.

8-المصدر نفسه، ج12، ص68.

9-المصدر نفسه، ج12، ص162.

10-المصدر نفسه، ج12، ص189.

11-المصدر نفسه، ج12، ص253.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

الظالم، وإيصال الحقوق إلى أصحابها ومستحقيها، وفض المنازعات والخصومات والإصلاح بين الناس، ولا يتجسد ذلك إلا بتقلد منصب القضاء<sup>1</sup>.

والقضاء لغة يعني الحكم<sup>2</sup>، أما اصطلاحاً فهو إظهار ما هو ثابت<sup>3</sup>، وقد عرّف ابن خلدون منصب القضاء بقوله: "...وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع..."<sup>4</sup>، أما أبو العباس أحمد القلقشندي فيرى أن: "...القاضي هو عبارة عمن يتولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية..."<sup>5</sup>، ومنصب القضاء من أعظم الخطط الدينية قدراً وأهمها وأجلها خطراً<sup>6</sup>، لذلك اشترط الفقه الإسلامي شروطاً ومعايير ينبغي أن تتوفر فيمن يتولى هذه الخطة، حيث وضع له دستوراً يعمل به في قضائه بين الناس، بحكم أن القضاء مسؤولية كبيرة فلا ينتدب له إلا من كان عدلاً يأمن الجور والميل وقد عرف منه ذلك، ويكون ذا أفق واسع وذكاء وفطنة وفراسة بصيراً بمسائل القضاء وأحكامه وله القدرة على التأمل في الدلائل والقرائن ومعرفة الحق<sup>7</sup>، لا لشيء إلا لأن القضاء منصب رفيع يأتي بعد الخلافة مباشرة فصاحبه يمثل يمثل الشرع وأحكام الدين<sup>8</sup>. إن منصباً هذا شأنه جعل القاضي يضطلع بمهام جسيمة تتمثل فيما يلي:

- 1- حسم التنازع وقطع التشاجر والتخاصم بالصلح والتراضي أو بأمر من القاضي وحكم شرعي يصدر عنه.
- 2- إستيفاء الحقوق لمن طلبها، وتوصيلها إلى مستحقيها وأصحابها بعد ثبوت استحقاقهم لها من أحد وجهين: إقرار أو بينة<sup>9</sup>.
- 3- إثبات الولاية وإلزامها على من كان ممنوع التصرف بجنون أو صغر والحجر عليه سفاهة أو إفلاس حفظاً للأموال على مستحقيها، وتصحيحاً لأحكام العقود فيها.
- 4- النظر في الأوقاف والأحباس بحفظها وتنميتها، وصرفها في مواضعها وتفقد أحوالها وأحوال الناظرين فيها<sup>10</sup>.
- 5- تنفيذ الوصايا على شروط الموصي فيما أباحه الشرع ولم يحظره.

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 342-343.

2- الجرجاني، المصدر السابق، ص 124.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المقدمة، المصدر السابق، ص 204.

5- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1340هـ/1922، ص 451.

6- ابن الأزرقي، المصدر السابق، ج 1، ص 218.

7- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 343.

8- العبادي أحمد مختار، تاريخ العصر الإسلامي الوسيط، ط 1، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2013، ص 95.

9- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 119.

10- المصدر نفسه، ص 120.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- 6-ترويج الأيامي بالأكفاء إذا عد من الأولياء ودعين إلى النكاح.
  - 7-إقامة الحدود على مستحقيها،فإن كان من حقوق الله تعالى تفرد باستيفائه من غير طالب إذا ثبت بإقرار أو بينة،وإن كان من حقوق الأداميين كان موقوفا على طلب مستحقه.
  - 8-النظر في مصالح عمله من الكف عن التعدي في الطرقات والأفنية، وإخراج ما لا يستحق من الأجنحة والأبنية،وله أن ينفرد بالنظر فيها وإن لم يحضره خصم.
  - 9-الإشراف على معاونيه الذين يساعدونه في مهام وظيفته،واختيار نوابه في حال انشغاله أو غيابه.
  - 10-التسوية في الحكم بين القوي والضعيف والعدل في القضاء بين المشروف والشريف،ولا يتبع هواه في تقصير الحق أو ممانلة مبطل<sup>1</sup>.
- وعلى ضوء ذلك تم تحديد شروط ينبغي أن تتوفر في القاضي وهي: \*الإسلام\*العدل\*العقل\*الحرية(أي ليس عبدا)\* سلامة الخواس\*غير أُمي\*غير مستضعف\*غير فقير\*الذكورية<sup>2</sup>؛ولا ينعقد مجلس القضاء إلا إذا توفرت فيه الأركان الأركان التالية:

- 1-القاضي وهو الذي يعلن الحكم.
  - 2-المقضي به وهو الحكم الصادر.
  - 3-المقضي فيه وهو القضية المتنازع حولها.
  - 4-المقضي له وهو الطرف الذي يكون الحكم في صالحه.
  - 5-المقضي عليه وهو الطرف الذي يكون الحكم ضده<sup>3</sup>.
- شهد النظام القضائي في العصر السلجوقي عدة تطورات،منها استمرار منصب قاضي القضاة الذي ظهر أول مرة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد(170هـ-193هـ)،لما عين قاضيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري صاحب أبي حنيفة في هذا المنصب،وأضحى بذلك قاضي القضاة هو المشرف على جميع قضاة الأقاليم والولايات تعيينا وعزلا ومراقبة،باليابسة عن الخليفة وتخفيفا عن كاهله بسبب اتساع الدولة العباسية<sup>4</sup>،واستمر منصب قاضي القضاة حتى بعد تقلص مساحتها وانحصارها في بغداد وبعض مدن العراق،لكن بقاء هذا المنصب له علاقة بالنمو الديمغرافي الذي شهدته بغداد ومدن خراسان وبلاد ما وراء النهر،كما ارتبط بالدول التي قامت في هذه الأقاليم،فكان

1-الماوردي،الأحكام السلطانية،المصدر السابق،ص121.

2-المصدر نفسه،ص110-112،العبادي،المرجع السابق،ص96.

3-فاروق عمر فوزي،المرجع السابق،ص286.

4-المرجع نفسه،ص298-299.

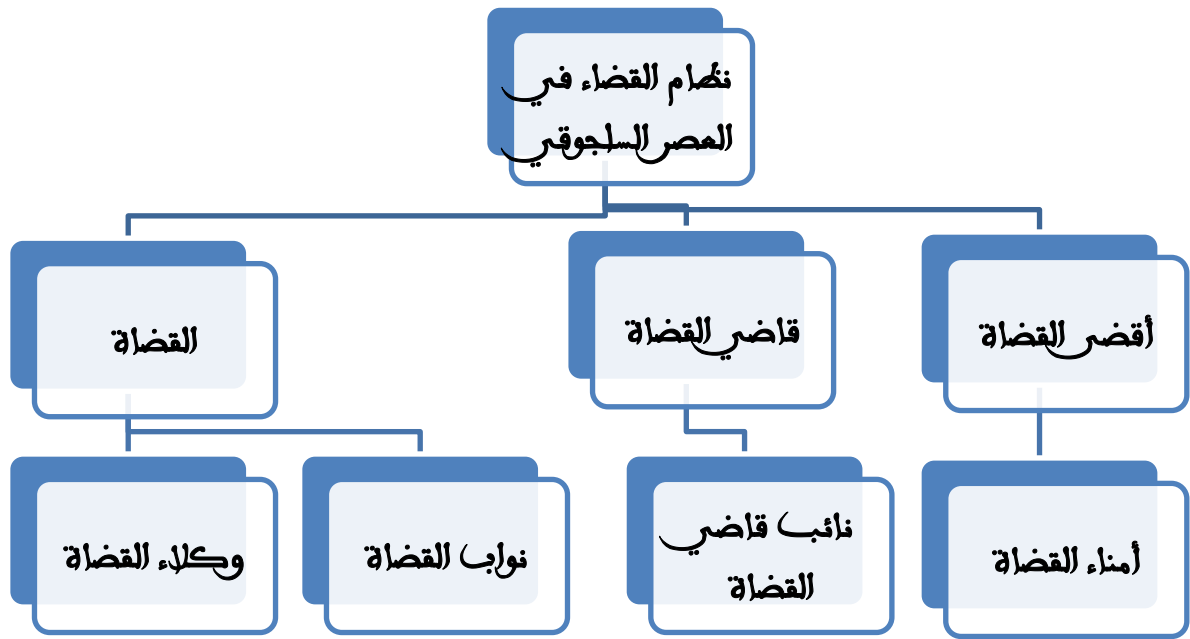
## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لكل سلطان قاضيا للقضاة يولي القضاة من قبله، غير أنَّ العصر السلجوقي شهد سعيًا من قبل سلاطين السلاجقة لجعل منصب قاضي قضاة الخلافة العباسية تابعًا لهم وتحت سلطتهم مباشرة، فقد صمم السلاجقة على اتخاذ الحيلة، بالرغم من أنَّهم نظموا العلماء فيما بعد ضمن مؤسسة الدولة، إلا أنَّهم أبقوا أسرة غير عربية على رأس السلطة القضائية في بغداد، وقد أدت هذه السياسة إلى نتيجتين إيجابيتين، تمثلت الأولى في تفادي التدخل في النزاعات المذهبية والصراع من أجل السلطة الذي كان مستعرا آنذاك في بغداد، أما الثانية فسمحت بتأمين استمرار ولاء تلك الأسرة الغريبة ولاء تاما لقضية السلاجقة، نظرا لأن هذه الأسرة لقيت معارضة حادة من قبل كل فقهاء المذاهب وعلى رأسهم الحنفية التي تنتمي إليها هذه العائلة، وبذلك اطمأن بال السلاجقة لعلمهم أنه لن يكون بقدرة الدامغانيين التنكر للسلاجقة، لأنَّهم إذا فعلوا ذلك يكونون قد هاجموا مركزهم في قضاء القضاة. لذلك نعي جيدا بأنَّ احتفاظ هذه الأسرة وتداول أفرادها على منصب قاضي القضاة في بغداد من سنة 447هـ إلى سنة 615هـ، هو تأكيد على مدى سيطرة السلاجقة على زمام الأمور، متخطين بذلك سلطة الخليفة وسلطة علماء بغداد، مما يدل بشكل قطعي أنَّ تطور مركز قاضي القضاة في هذه الفترة مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ كل سلطان ووزير سلجوقيين، إذ قبل ذلك كان تعيين قاضي القضاة مقتصر على الخليفة العباسي، لكن الأمر تغير وصار هُم قاضي القضاة رضا السلطة السلجوقية وحدها<sup>1</sup>.

من خلال استقراءنا للعلماء الذين تولوا القضاء خلال العصر السلجوقي، نجد تعددا في المناصب المندرجة تحت هذه المؤسسة الهامة التي تحتل المرتبة الثانية بعد منصب السلطان، ويبدو أيضا أنَّ منصب قاضي القضاة والقضاة المرتبطين به كان موجودا في عدة مدن مثل: بغداد، نيسابور، وخوارزم، وهمدان، وأذربيجان، ومدينة الري، وبخارى، وأصفهان، كما كان لتغير عاصمة الدولة السلجوقية أثر في انتقال منصب قاضي القضاة بين هذه المدن، وبمرور الوقت صار في كل واحد منها قاضي للقضاة بسبب الكثافة السكانية واتساع مساحة الدولة وكثرة المسائل القضائية التي تحدث، وحضور وقوة كل مذهب فقهي أو عقدي، ويدخل القضاء ونواحيهم ووكلاؤهم تحت سلطة قاضي القضاة، كما يلي:

1-صفية سعادة، المرجع السابق، ص108.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-



وانطلاقاً من ذلك يمكن القول إنّ النظام القضائي في العصر السلجوقي شهد قفزة نوعية في هيكله العام، حيث تم فصل كل من خطة المظالم وخطة الحسبة عنه، حيث أصبحا مستقلين عنه، وبالمقابل توسعت مجالات القضاء، كقضاء الجيش، وقضاء حريم الخلافة أو السلطنة، وبذلك أصبح لقاضي القضاة والقضاة نواب ينوبون عنهم، ولم يقتصر الأمر على المهام المنوطة بهم فقط، بل كانوا يخرجون إلى المعارك ويرافقون السلاطين ويقومون بالسفارة للخلفاء والسلاطين، ويشرفون على إبرام الصلح بين الأطراف المتنازعة، وكذلك مراسيم الزواج والمصاهرة بين سلاطين السلاجقة وخلفاء بني العباس أو حكام المسلمين الآخرين، كل ذلك يظهر الأهمية البالغة والمكانة الرئيسية التي احتلها القضاء إبان عصر السلطنة السلجوقية، وقد قمنا بإحصاء العلماء الذين تولوا خطة القضاء من خلال الجدول الآتي:

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

| أسماء القضاة                                                                    | الرتبة        | الأقاليم والمدن والقرى |
|---------------------------------------------------------------------------------|---------------|------------------------|
| -الحسن بن علي بن جعفر أبو علي الرامرائي النسوي <sup>1</sup> .                   | -القاضي.      | -مدينة طوس.            |
| -الحسن بن إسماعيل بن صاعد بن محمد أبو علي <sup>2</sup> .                        | -قاضي القضاة. | -مدينة نيسابور.        |
| -الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد القاضي(ت475هـ) <sup>3</sup> .                    | -القاضي.      | -مدينة قاين.           |
| -سهل بن أحمد بن علي بن أحمد بن الحسن الأرغواني أبو الفتح الحاكم <sup>4</sup> .  | -القاضي.      | -ناحية أرغيان.         |
| -صاعد بن سيار بن يحيى بن محمد بن إدريس أبو العلاء الهروي(ت495هـ) <sup>5</sup> . | -القاضي.      | -مدينة هراة.           |
| -صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد بن محمد أبو العلاء(ت506هـ) <sup>6</sup> .     | -قاضي القضاة. | -مدينة خوارزم.         |
| -طاهر بن أبي عمر أحمد بن محمد بن أحمد بن صالح السجزي(ت442هـ) <sup>7</sup> .     | -القاضي.      | -ناحية زوزن.           |
| -طاهر بن عبد الله بن طاهر أبو                                                   | -القاضي.      | -الجانب الشرقي لبغداد. |

1-الفارسي أبو الحسن،المصدر السابق،ص13.

2-المصدر نفسه،ص19.

3-المصدر نفسه،ص35.

4-المصدر نفسه،ص110..

5-المصدر نفسه،ص132-133.

6-المصدر نفسه،ص134.

7-المصدر نفسه،ص144.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                        |                                 |                                                                      |
|------------------------|---------------------------------|----------------------------------------------------------------------|
|                        |                                 | الطيب (ت450هـ) <sup>1</sup> .                                        |
| -مدينة همذان.          | -قاضي القضاة.                   | عبيد الله بن صاعد بن محمد أبو محمد (ت486هـ) <sup>2</sup> .           |
| -أذربيجان.             | -قاضي القضاة.                   | -عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني أبو بكر <sup>3</sup> . |
| -مدينة مرو الروذ.      | -القاضي.                        | -علي بن الحسين بن الدهقان المروزي أبو الحسن (ت464هـ) <sup>4</sup> .  |
| -مدينة طوس.            | -قاضي القضاة.                   | -علي بن محمد بن إسماعيل العراقي أبو الحسن <sup>5</sup> .             |
| ////////               | -وكيل القاضي.                   | -مسعود بن ناصر بن الحسن الفريضي أبو سعيد (ت483هـ) <sup>6</sup> .     |
| -مدينة نيسابور.        | -نيابة القاضي.<br>-قاضي القضاة. | -منصور بن إسماعيل بن صاعد بن محمد أبو القاسم (ت470هـ) <sup>7</sup> . |
| -من وجوه قضاة النواحي. | -القاضي.                        | -نصر بن مسعود بن علي البديلي أبو الفتح <sup>8</sup> .                |
| -مدينة بخارى.          | -القاضي.                        | -أبو الحسن علي بن الحسين ركن الإسلام                                 |

1-المصدر نفسه،ص145.

2-المصدر نفسه،ص192.

3-المصدر نفسه،ص210.

4-المصدر نفسه،ص299-300.

5-المصدر نفسه،ص311.

6-المصدر نفسه،ص365.

7-المصدر نفسه،ص372-373.

8-المصدر نفسه،ص401.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                      |                            |                                                                                                      |
|----------------------|----------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|                      |                            | السغدي (ت 461هـ) <sup>1</sup> .                                                                      |
| -مدينة أصبهان.       | -القاضي.                   | -أبو الحسن علي بن عبد الله الخطيبي (ت 467هـ) <sup>2</sup> .                                          |
| -مدينة نيسابور.      | -قاضي القضاة.              | -أبو الحسين محمد بن عبد الله الناصحي (ت 484هـ) <sup>3</sup> .                                        |
| -مدينة مرو الشاهجان. | -القاضي.<br>-نيابة القاضي. | -أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصائغ المعروف بالقاضي السديد <sup>4</sup> .                          |
| -ناحية الدزق العليا. | -القاضي.                   | -أبو المعالي الحسن بن محمد بن أبي جعفر البلخي الدزقي (ت 548هـ) <sup>5</sup> .                        |
| -مدينة كش.           | -القاضي.                   | -أبو علي الحسن بن نصر بن إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق بن الفضل الكاساني، الكشي (ت 557هـ) <sup>6</sup> . |
| -مدينة بيهق.         | -القاضي.                   | -أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي بن الحسن بن فطيمة البيهقي (ت 536هـ) <sup>7</sup> .               |
| -مدينة أصبهان.       | -نيابة القاضي.             | -أبو القاسم رستم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن زياد المديني                        |

1-المصدر نفسه، ص 121.

2-المصدر نفسه، ص 123.

3-المصدر نفسه، ص 179.

4-المصدر نفسه، ص 180.

5-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج 2، ص 655.

6-المصدر نفسه، مج 2، ص 678-679.

7-المصدر نفسه، مج 2، ص 688.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                             |               |                                                                                                     |
|---------------------------------------------|---------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|
|                                             |               | التَّائِيُّ الْأَصْبَهَائِيُّ الملقب بشيخ الإسلام(ت540هـ) <sup>1</sup> .                            |
| -ناحية خوار الرِّيّ.                        | -القاضي.      | -أبو الوفاء رستم ابن أبي هاشم سعد بن سلمك الخواري <sup>2</sup> .                                    |
| -مدينة أستراباذ.                            | -القاضي.      | -أبو نصر سعد بن محمد النعيمي المطرفي الإستراباذي(ت555هـ) <sup>3</sup> .                             |
| -مدينة بشغور.                               | -القاضي.      | -أبو محمد عبد الله بن محمد بن المظفر بن علي بن أبي بكر البناء المتولي الهاجري البغوي <sup>4</sup> . |
| -مدينة أيبورد.                              | -القاضي.      | -أبو محمد عبد الله بن ميمون بن عبد الله المالكاني الكوفي(ت551هـ) <sup>5</sup> .                     |
| -مدينة نيسابور.                             | -وكيل القاضي. | -أبو الفتح عبد الرزاق بن مسعود بن علي بن أحمد المحتسب الوكيل(ت547هـ) <sup>6</sup> .                 |
| -مدينة كوفن.                                | -القاضي.      | -أبو المكارم عبد الكريم بن بدر بن عبد الله بن محمد المشرقي الكوفي(ت550هـ) <sup>7</sup> .            |
| -مدينة آمل طبرستان.<br>-مدينة مرو الشاهجان. | -القاضي.      | -أبو معمر عبد الكريم بن شريح بن عبد الكريم بن أحمد بن محمد الرُّويانيّ                              |

1-المصدر نفسه،مج2،ص799.

2-المصدر نفسه،مج2،الصفحة نفسها.

3-المصدر نفسه،مج2،ص822.

4-المصدر نفسه،مج2،ص954-955.

5-المصدر نفسه،مج2،ص957-958.

6-المصدر نفسه،مج2،ص1056-1057.

7-المصدر نفسه،مج2،ص1099-1100.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                  |          |                                                                                                                             |
|----------------------------------|----------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|                                  |          | الطبري (ت 531هـ) <sup>1</sup> .                                                                                             |
| -القرنين والدواليب وتلك النواحي. | -القاضي. | -أبو عبد الله محمد بن أميركا بن فيركا الجيلي (ت 545هـ) <sup>2</sup> .                                                       |
| -قرية خرق إحدى قرى مرو الشاهجان. | -القاضي. | -أبو الفضل عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الخرقى (ت 538هـ) <sup>3</sup> .                                                   |
| -مدينة بلخ.                      | -القاضي. | -أبو سعد عمر بن علي بن الحسين بن أحمد بن محمد بن أبي ذر المحمودي المروزي الطالقاني البلخي (ت 546هـ) <sup>4</sup> .          |
| -مدينة هراة.                     | -القاضي. | -أبو القاسم الفضل بن يحيى بن صاعد بن سيار بن يحيى بن محمد بن إدريس الكناني الحنفي (ت 543هـ) <sup>5</sup> .                  |
| -مدينة نيسابور.                  | -القاضي. | -أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابن أحمد بن عبيد الله الصّاعدي المعروف بشيخ الإسلام (ت 527هـ) <sup>6</sup> . |
| -قرية نوقان بطوس.                | -القاضي. | -أبو سعد محمد بن أسعد بن محمد بن الخليل النوقاني (ت 556هـ) <sup>7</sup> .                                                   |

1-المصدر نفسه، مج 2، ص 1106-1107.

2-المصدر نفسه، مج 3، ص 1354-1355.

3-المصدر نفسه، مج 2، ص 940-941.

4-المصدر نفسه، مج 2، ص 1176-1177.

5-المصدر نفسه، مج 3، ص 1317-1318.

6-المصدر نفسه، مج 3، ص 1376-1377.

7-المصدر نفسه، مج 3، ص 1399.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                                                                                              |                |                                      |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|--------------------------------------|
| -أبو بكر محمد بن الحسن<br>الإسفزاری(ت543هـ) <sup>1</sup> .                                                   | -القاضي.       | -مدينة جيرنج.                        |
| -أبو جعفر محمد بن الحسين بن أميركا<br>الطبري الآملي(ت474هـ) <sup>2</sup>                                     | -نيابة القاضي. | -مدينة آمل.                          |
| -أبو الوفاء محمد بن الفضل بن عبد الواحد<br>بن محمد بن جلة القاضي<br>الناينجي(ت531هـ) <sup>3</sup> .          | -القاضي.       | -مدينة ناين.                         |
| -أبو بكر محمد بن محمد بن<br>إبراهيم...الأسدي الفضلي<br>البخاري(ت534هـ) <sup>4</sup> .                        | -القاضي.       | -مدينة بخارى.                        |
| -أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن<br>محمد بن أحمد المديني الأصبهاني <sup>5</sup> .                       | -نيابة القاضي. | -كورة عسكر مكرم إحدى كور<br>الأهواز. |
| -أبو القاسم محمود بن سعد بن محمود بن<br>علي بن محمد بن الحسين الهمداني<br>الإسترابادي(ت550هـ) <sup>6</sup> . | -القاضي.       | -مدينة إستراباذ.                     |
| -أبو الرضا الموفق بن منصور بن أحمد بن<br>عبد العزيز بن أحمد السُّهيلي<br>الترمذي(ت549هـ) <sup>1</sup> .      | -القاضي.       | -مدينة ترمذ.                         |

1-المصدر نفسه،مج3،ص1431-1432.

2-المصدر نفسه،مج3،ص1432-1433.

3-المصدر نفسه،مج3،ص1570-1571.

4-المصدر نفسه،مج3،ص1595-1596.

5-المصدر نفسه،مج3،ص1615-1616.

6-المصدر نفسه،مج3،ص1694.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                                                                                                        |                |                                                  |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------|--------------------------------------------------|
| -أبو شجاع ناصر بن محمد بن أحمد البيّاع<br>النوقاني(ت534هـ). <sup>2</sup>                                               | -نيابة القاضي. | -قرية نوقان بطوس.                                |
| -أبو يعقوب يوسف بن طاهر بن الحسن<br>الخوي الأديب(ت549هـ). <sup>3</sup>                                                 | -نيابة القاضي. | -قرية نوقان بطوس.                                |
| -أبو القاسم علي بن المحسن بن علي بن أبي<br>الفهم التنوخي(ت447هـ). <sup>4</sup>                                         | -القاضي.       | -المدائن وأعمالها ودرزنجان والبردان<br>وقرميسين. |
| -أبو القاسم نصر بن بشر بن علي العراقي<br>الجويشي(ت477هـ). <sup>5</sup>                                                 | -القاضي.       | -بلدة الجويث بناحية البصرة.                      |
| -أبو المظفر عبد الكريم بن عبد الوهاب بن<br>إسماعيل بن أحمد بن علي بن محمد الجويني. <sup>6</sup>                        | -القاضي.       | -مدينة حيراباذ.                                  |
| -أبو المؤيد ميمون ابن أبي العلاء أحمد بن<br>الحسن بن عدي بن حاتم بن صم بن عصمة<br>الحاتمي النسفي(ت513هـ). <sup>7</sup> | -القاضي.       | -مدينة نسف.                                      |
| -أبو بكر محمد بن المظفر ابن بكران بن<br>عبد الصمد بن سلمان الحموي المعروف<br>بالشامي(ت488هـ). <sup>8</sup>             | -قاضي القضاة.  | -مدينة بغداد.                                    |

1-المصدر نفسه،مج3،ص1761-1762.

2-المصدر نفسه،مج3،ص1782-1783.

3-المصدر نفسه،مج3،ص1859.

4-السمعاني،الأنساب،المصدر السابق،ج3،ص94.

5-المصدر نفسه،ج3،ص383.

6-المصدر نفسه،ج3،ص387.

7-المصدر نفسه،ج4،ص09.

8-المصدر نفسه،ج4،ص229.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                   |                           |                                                                                                                               |
|-----------------------------------|---------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| -بلد الكرج.                       | -القاضي.                  | -أبو سعد سليمان بن محمد بن الحسين بن محمد القصاري البلدي المعروف بالكافي الكرجي (ت538هـ) <sup>1</sup> .                       |
| -أسفرايين.                        | -القاضي.                  | -أبو محمد طلحة بن الحسين بن محمد بن الحسين بن طلحة الأسفراييني (ت546هـ) <sup>2</sup> .<br>الأسفراييني (ت546هـ) <sup>2</sup> . |
| -قرية خرق بمدينة مرو الشاهجان.    | -القاضي.                  | -أبو الفضل عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن ثابت بن أحمد الخرقبي (ت538هـ) <sup>3</sup> .                                     |
| -إقليم خراسان.<br>-مدينة نيسابور. | -قاضي القضاة.             | -أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الصاعدي (ت527هـ) <sup>4</sup> .                           |
| -مدينة مرو الشاهجان.              | -القاضي.                  | -أبو جعفر محمد بن عبد الله ابن أبي الحسن الصائغي المروزي (ت530هـ) <sup>5</sup> .                                              |
| -مدينة بخارى.                     | -القاضي.                  | -أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد الأسدي الفضلي (ت534هـ) <sup>6</sup> .                                                |
| -مدينة بغداد.<br>-مدينة الموصل.   | -قاضي القضاة.<br>-القاضي. | -أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني (ت513هـ) <sup>1</sup> .                                                                      |

1-السمعاني،التحجير...،المصدر السابق،ج1،ص312.

2-المصدر نفسه،ج1،ص350.

3-المصدر نفسه،ج1،ص369.

4-المصدر نفسه،ج2،ص74.ابن الأثير،المصدر السابق،ج9،ص272.

5-السمعاني،التحجير...،المصدر السابق،ج2،ص144.

6-المصدر نفسه،ج2،ص217.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                      |               |                                                                                         |
|----------------------|---------------|-----------------------------------------------------------------------------------------|
| -باب الطاق ببغداد.   |               |                                                                                         |
| -مدينة بغداد.        | -قاضي القضاة. | -الأكمل أبو القاسم علي بن أبي طالب الحسين بن محمد الزينبي(ت544هـ). <sup>2</sup>         |
| -الكرخ بمدينة بغداد. | -القاضي.      | -أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبد الله بن مخلد المعروف بابن الرطبي(ت527هـ). <sup>3</sup> |
| -مدينة واسط.         | -القاضي.      | -أبو علي الحسن بن إبراهيم بن فرهون الشافعي الفارقي(ت528هـ). <sup>4</sup>                |
| -مدينة نيسابور.      | -القاضي.      | -أبو العلاء صاعد بن الحسين بن إسماعيل بن صاعد(ت532هـ). <sup>5</sup>                     |
| -مدينة بخارى.        | -القاضي.      | -عبد العزيز بن عثمان بن إبراهيم بن محمد الأسدي البخاري(ت533هـ). <sup>6</sup>            |
| -المارستان.          | -القاضي.      | -أبو بكر بن محمد بن عبد الباقي الأنصاري(ت535هـ). <sup>7</sup>                           |
| -مدينة بغداد.        | -قاضي القضاة. | -عماد الدين أبو الحسن علي بن أحمد الدامغاني. <sup>8</sup>                               |
| -مدينة نصيبين.       | -القاضي.      | -أبو عبد الله محمد بن علي                                                               |

1-ابن الأثير،المصدر السابق،ج9،ص189.

2-ابن الأثير،المصدر السابق،ج9،ص189.

3-المصدر نفسه،ج9،ص272.

4-المصدر نفسه،ج9،ص277.

5-المصدر نفسه،ج9،ص308.

6-ابن الأثير،المصدر السابق،ج9،ص312.

7-المصدر نفسه،ج9،ص318.

8-المصدر نفسه،ج9،ص364.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                 |               |                                                                                                           |
|-----------------|---------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
|                 |               | مهران (ت545هـ) <sup>1</sup> .                                                                             |
| -مدينة واسط.    | -القاضي.      | -أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي المايد<br>أي الواسطي (ت552هـ) <sup>2</sup> .                            |
| -مدينة نيسابور. | -القاضي.      | -برهان الدين أبو القاسم منصور بن أبي<br>سعد محمد بن أبي نصر أحمد<br>الصاعدي (ت552هـ) <sup>3</sup> .       |
| -مدينة نيسابور. | -القاضي.      | -شرف الدين علي بن أبي القاسم منصور<br>بن أبي سعد الساعدي (ت554هـ) <sup>4</sup> .                          |
| -مدينة بغداد.   | -قاضي القضاة. | -أبو البركات جعفر بن عبد الواحد<br>الثقفي (ت563هـ) <sup>5</sup> .                                         |
| -مدينة بغداد.   | -قاضي الحرم.  | -أبو الحسن عمر بن علي بن الخضر<br>الدمشقي (ت575هـ) <sup>6</sup> .                                         |
| -مدينة سمرقند.  | -القاضي.      | -أبو المحاسن سلمان بن علي بن أحمد<br>البلخي <sup>7</sup> .                                                |
| -مدينة نسف.     | -القاضي.      | -أبو علي صاعد بن نصر بن أحمد بن الشاه<br>بن علي بن الحسين بن شبل بن نصير<br>النصيري النسفي <sup>1</sup> . |

1-المصدر نفسه، ج9، ص368.

2-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص419، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص120.

3-ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص419.

4-المصدر نفسه، ج9، ص436.

5-المصدر نفسه، ج9، ص09، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص178.

6-ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص99.

7-النسفي، المصدر السابق، ص228.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                       |                           |                                                                                                                                      |
|---------------------------------------|---------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| -إقليم الشاش.                         | -القاضي.                  | -أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن علويه الأبهري <sup>2</sup> .                                                                          |
| -مدينة نسف.                           | -القاضي.                  | -أبو محمد عبد الجليل بن عبد الملك بن عطاء النسفي الآفرائي <sup>3</sup> .                                                             |
| -مدينة بخارى.                         | -القاضي.                  | -أبو عصمة عبد الواحد بن طاهر بن محمد الكرمني <sup>4</sup> .                                                                          |
| -مدينة سمرقند.                        | -القاضي.                  | -أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الجليل بن حر بن أحمد بن جعفر بن بلجاج بن مجاهد بن حازم بن هرثمة بن أعين الخزاعي السمرقندي <sup>5</sup> . |
| -مدينة خجندة.                         | -القاضي.                  | -أبو حفص عمر بن محمد بن إبراهيم بن خزيمة بن عبد الله الواتكي <sup>6</sup> .                                                          |
| -سمرقند.                              | -قاضي المعسكر.            | -أبو حفص عمر بن شعيب بن أبي القاسم الصرام الديزكي <sup>7</sup> .                                                                     |
| -بلاد ما وراء النهر.<br>-مدينة بخارى. | -قاضي القضاة.<br>-القاضي. | -أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد المروزي <sup>8</sup> .                                                                              |

1-المصدر نفسه،ص264.

2-النسفي،المصدر السابق،ص358.

3-المصدر نفسه،ص396.

4-المصدر نفسه،ص410.

5-المصدر نفسه،ص489.

6-المصدر نفسه،490.

7-المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

8-النسفي،المصدر السابق،ص563.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                                                                                                                        |               |                            |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------|----------------------------|
| -أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن الحسن المستملي <sup>1</sup> .                                                        | -القاضي.      | -ساغرج.                    |
| -أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن مجاهد البزدوي <sup>2</sup> .                                | -قاضي القضاة. | -مدينة سمرقند.             |
| -طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب الطبري الشافعي (ت450هـ) <sup>3</sup> .                                      | -القاضي.      | -ربيع الكرخ ببغداد.        |
| -علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري (ت450هـ) <sup>4</sup> .                                                 | -أقضى القضاة. | -مدينة بغداد وبلدان كثيرة. |
| -باي بن جعفر بن باي أبو منصور الجيلي الفقيه (ت452هـ) <sup>5</sup> .                                                    | -القاضي.      | -باب الطاق ببغداد.         |
| -محمد بن إسماعيل بن محمد أبو علي القاضي (ت459هـ) <sup>6</sup> .                                                        | -القاضي.      | -مدينة طوس.                |
| -محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله أبو الحسين المعروف بابن الغريق (ت465هـ) <sup>7</sup> . | -القاضي.      | -مدينة بغداد.              |
| -هناد بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن إسماعيل أبو المظفر النسفي (ت465هـ) <sup>1</sup> .                                   | -القاضي.      | -مدينة بعقوبا.             |

1-النسفي، المصدر السابق، ص578.

2-المصدر نفسه، ص704.

3-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص39.

4-المصدر نفسه، ج16، ص41.

5-المصدر نفسه، ج16، ص62.

6-المصدر نفسه، ج16، ص104.

7-المصدر نفسه، ج16، ص153.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                               |                            |                                                                                                    |
|-------------------------------|----------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------|
| -السواد<br>-باب الطاق ببغداد. | -القاضي.<br>-نيابة القاضي. | -أحمد بن محمد بن أحمد أبو الحسن<br>السمناني(ت466هـ) <sup>2</sup> .                                 |
| -ربع الكرخ ببغداد.            | -القاضي.                   | -محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله أبو<br>عبد الله بن أبي الحسن<br>البيضاوي(ت470هـ) <sup>3</sup> .  |
| -قرية سنخوان.                 | -نيابة القاضي.             | -أحمد بن محمد بن عثمان<br>السنخواني(ت472هـ) <sup>4</sup> .                                         |
| -الحريم الشريف.               | -القاضي.                   | -عبد الله بن محمد البستي <sup>5</sup> .                                                            |
| -مدينة بغداد.                 | -القاضي.                   | -هبة الله ابن القاضي محمد بن علي بن<br>المهتدي أبو الحسن الخطيب(ت479هـ) <sup>6</sup> .             |
| -مدينة الري.                  | -قاضي القضاة.              | -محمد بن عبد الله بن الحسين أبو بكر<br>الناصح(ت484هـ) <sup>7</sup> .                               |
| -باب الأزج ببغداد.            | -القاضي.                   | -عزيزي بن عبد الملك بن منصور أبو المعالي<br>القاضي الجيلي الملقب<br>ب:شيدله(ت494هـ) <sup>8</sup> . |
| -العراق.                      | -القاضي.                   | -محمد بن محمد بن عبد العزيز النحاس أبو                                                             |

1-المصدر نفسه،ج16،الصفحة نفسها.

2-المصدر نفسه،ج16،ص158.

3-المصدر نفسه،ج16،ص197.

4-المصدر نفسه،ج16،ص206.

5-المصدر نفسه،ج16،ص244.

6-المصدر نفسه،ج16،ص266.

7-المصدر نفسه،ج16،ص297.

8-المصدر نفسه،ج17،ص69.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

|                    |          |                                                                          |
|--------------------|----------|--------------------------------------------------------------------------|
|                    |          | الفرج (ت495هـ) <sup>1</sup> .                                            |
| -مدينة البصرة.     | -القاضي. | -محمد بن أحمد بن عمر أبو عمر النهاوندي<br>الحنفي (ت497هـ) <sup>2</sup> . |
| -مدينة أصفهان.     | -القاضي. | -أبو إسماعيل عبيد الله بن علي<br>الخطبي (ت502هـ) <sup>3</sup> .          |
| -باب الطاق ببغداد. | -القاضي. | -علي بن محمد بن علي أبو منصور<br>الأنباري (ت507هـ) <sup>4</sup> .        |

من خلال هذا الجدول تم إحصاء 108 قاضيا تولوا القضاء خلال العصر السلجوقي، منهم 19 قاضيا للقضاة، و77 قاضيا، و09 نواب للقضاة، قاضي واحد للحريم، وقاضي آخر للمعسكر، وإثنان من وكلاء القضاة، كلهم موزعين على 93 بين مدينة وقرية وناحية. وعلى ضوء ذلك خصص المخطط البياني لتبيين توزيع العلماء الذين تولوا القضاء في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر.

### -توزيع القضاة خلال العصر السلجوقي-

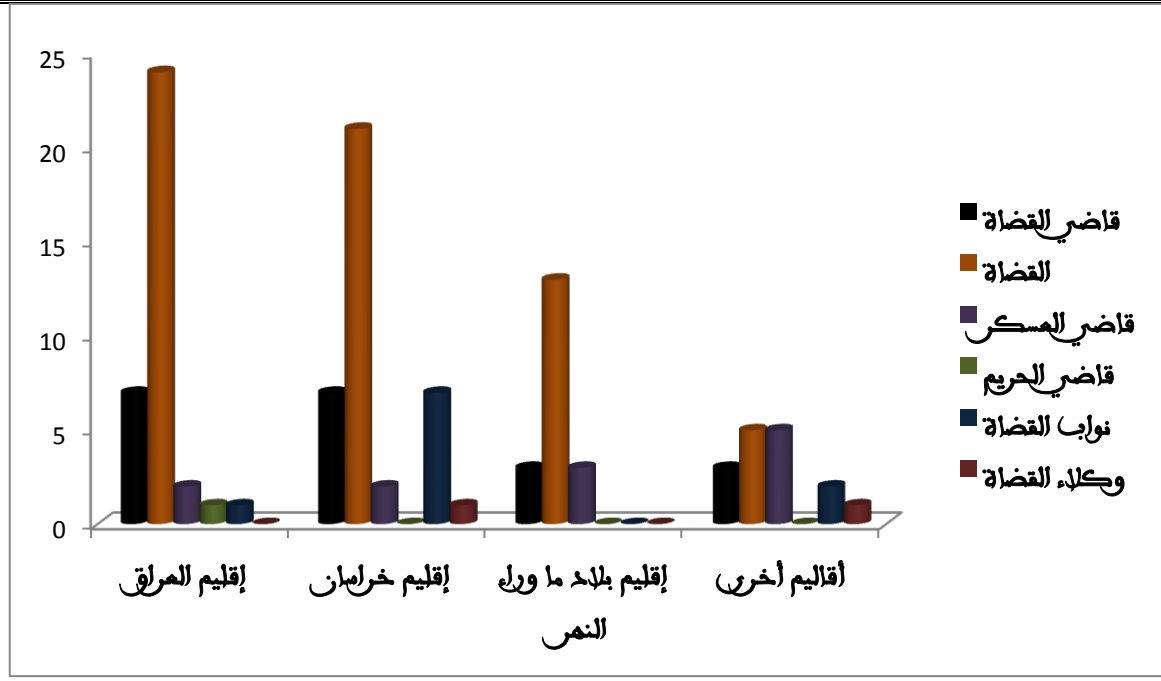
1-المصدر نفسه، ج17، ص78.

2-المصدر نفسه، ج17، ص89.

3-المصدر نفسه، ج17، ص113.

4-المصدر نفسه، ج17، ص135.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-



**4-الحسبة:** تعد خطة الاحتساب أو الحسبة مندرجة ضمن منصب القضاء ومن توابعه<sup>1</sup>، باعتبار أنها "...وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمر المسلمين..."<sup>2</sup>، لهذا فإن نظام الحسبة الذي ابتدعه المسلمون في المجتمع الإسلامي الوسيط، يهدف للتنظيم الاجتماعي ومراقبة النشاط الاقتصادي بالإضافة إلى تطبيق القوانين الإسلامية وتحقيق مصالح الأمة ودفع الأذى والشر عن الناس، وتتولى السلطة نظام بتعيين الأكفاء في كل بلد ومصر<sup>3</sup>، فلاغرو أن هذه الخطة من أولى النظم الإسلامية ظهوراً وتأصيلاً ومنهجاً<sup>4</sup>، وذلك انطلاقاً من التغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي فقد أضحت المدينة الإسلامية مركزاً أساسياً للحياة العامة ومعها السوق الذي كان محور النشاط الاقتصادي ومقراً لنشاط أهل الحرف والصنائع والأصناف<sup>5</sup>؛ ناهيك على ذلك فإن وظيفة الحسبة ساهمت بشكل فعال في تماسك بنية المجتمع الإسلامي وجعله أكثر استعداداً وقدرة على مواجهة الأخطار الخارجية<sup>6</sup>.

1- العبادي، المرجع السابق، ص108.

2- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص208.

3- أبطوي محمد الأساس الكلامي لمؤسسة الحسبة في الغرب الإسلامي، ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط، 2005م، ص293.

4- العبادي، المرجع السابق، ص109.

5- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص312.

6- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص217.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لقد أدرك العلماء والفقهاء بدورهم مكانة هذه الخطة ضمن خطط الدولة وأهميتها بالنسبة للحكام والرعية، لذا أقبلوا على تنظيم أحوال المجتمع وإرشاد أفرادهم وتقويم سلوكهم، فاحتساب فرض عين على كل مسلم ثم أصبح مع مرور الوقت وتغير المجتمع وضعف الوازع الديني؛ فرض كفاية إذ "...لما لم يكن من طبيعة كل الناس الاستجابة إلى النصح بالتي هي أحسن فقد نشأت وظيفة المحتسب للضرب على أيدي العابثين الذين لا يراعون أصول الشريعة في سلوكهم، أي كانوا موظفين أو صناعا أو تجارا... إلخ أو يضايقون الناس بقول أو فعل، فجوهر هذه الوظيفة منع الفساد والمحافظة على الأمن..."<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك اضطلع العلماء والفقهاء بشغل هذه الوظيفة التي تغوص في أعماق المجتمع، وتلهمهم حسن التبصر بأحواله والعمل على تحسينها، فهم أعلم الناس بأحكام الدين وشرائعه وسبل تطبيقها من خلال ما أفردوا لهذه الخطة من مصنفات وتأليف مثل الأحكام السلطانية والفقهاء والموسوعات والتصوف وغيرها<sup>2</sup> بحيث حددت هذه التأليف وظائف المحتسب واختصاصاته كما يلي:

- 1- البحث عن المنكرات والتعزير على قدرها.
- 2- حمل الناس على المسالح العامة في المدن.
- 3- المنع من المضايقة في الطرقات.
- 4- منع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل.
- 5- الحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة.
- 6- الضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربها للصبيان المتعلمين.
- 7- عدم توقف حكمه على تنازع أو استعداد، بل له النظر والحكم فيما يصل إلى علمه من ذلك ويرفع إليه.
- 8- لا يجب عليه إمضاء الحكم في الدعاوى مطلقا، بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها، وفي المكاييل والموازين.
- 9- حمل المماطلين على الإنصاف، وأمثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة، ولا إنفاذ حكم<sup>3</sup>.

وحتى يؤدي المحتسب هذه المسؤوليات ينبغي توفر عدة شروط فيه وهي كما بينها الماوردي بقوله: "...فمن شروط والي الحسبة أن يكون حرا عدلا، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، وعلم بالمنكرات الظاهرة..."<sup>4</sup>، معتمدا في ذلك على الأعوان والغلمان الذين يتسقطون له الأخبار، وهذا أدى لبث الخوف والرعب في قلوب العامة

1- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي...، المرجع السابق، ص 490.

2- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص 217.

3- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، المصدر السابق، ص 208-209.

4- المصدر السابق، ص 350.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

والمخالفين<sup>1</sup>. وفي السياق ذاته اعتبر المرينيون خطة الحسبة من أهم الخطط في دولتهم، إذ أن المدن تدار بواسطة الوالي والقاضي وصاحب الشرطة والمحتسب، والظاهر أن مهمة المحتسب في الدولة السلجوقية هي النظر في شؤون الأسواق والسقائين والحمامات، بالإضافة إلى الإشراف على ما يستعمل في الأسواق أيضا من المكايل والموازين، والتأكد من جودة البضائع حفاظا على الصحة العامة، كما يحرص على نظافة الحمامات ومراعاة الآداب العامة بها<sup>2</sup>، ناهيك على ذلك فالمحتسب بنى "ذراعا" مضبوط قياسها لتكون أساسا لمقاييس جميع أهل القيسارية التي تباع فيها الأقمشة والمنسوجات<sup>3</sup>، كما كان يفصل في الخصومات التي تقع بين أرباب الحرف وعملهم وبين الباعة والمشتريين مستندا في ذلك على زمرة من الأعوان الأكفاء الذين لهم بصير بأمور الصناعات والبضائع وأحوال الأسواق وطبيعة الأسعار والتبادل التجاري<sup>4</sup>، ما يعني أن المحتسب- في زمن الدراسة- كان مشرفا على أكثر قطاعات النشاط الاقتصادي في الدولة المرينية<sup>5</sup>، وقد خول للمحتسب إمضاء العقوبات وتعزيز أصحاب الصناعات الرديئة والسلع المعشوشمة والمعطوبة، فقد كان بفاس مصطبة لعرض المصنوعات الرديئة وعليها أسماء أصحابها من الصناع المهملين، ومن ثبت عليه الإهمال يجب عليه ترك المدينة والرحيل عنها، وإذا باع جزار لحما فاسدا فإنه يطاف به في أزقة المدينة ويجعله يعترف بصوت عال بذنبه<sup>6</sup>. لقد انتدب لخطة الحسبة كبار العلماء والفقهاء الذين تولوا عدة مناصب في الدولة المرينية، حيث أسندت هذه الوظيفة لبعض القضاة بحكم الصلة الوثيقة بين الخطتين وحتى بعد انفراد الحسبة عن القضاء كما ذكر ابن خلدون<sup>7</sup>، لذا كان اختيار المحتسب من كبار موظفي الدولة وخصوصا موظفي الخطط الدينية وإشراف من قبل السلطان نفسه، لا لشيء إلا لخطورة هذا المنصب الذي هو واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم<sup>8</sup>، ومع ذلك فإن الغموض يكتنف وظيفة الحسبة في عصر الدراسة رغم ما تمت الإشارة إليه، وعلى ضوء ذلك نصطدم بشح المادة العلمية التي تشير إلى عدد العلماء والفقهاء الذين مارسوا وظيفة المحتسب، حيث لم أجد إلا الفقيه والشاعر أبي فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد الملزوزي المكناسي الذي أسند له النظر في أمور الحسبة ببلاد المغرب<sup>9</sup>، وقد أمره السلطان يوسف بن يعقوب بتبديل الصيعان وجمعها على المد النبي صلى الله عليه وسلم بعد.

1- ابن خلدون عبد الرحمان، المصدر نفسه، ص208، الحريري محمد عيسى، المرجع السابق، ص276.

2- الحريري محمد عيسى، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- روجيه لوتورنو، المرجع السابق، ص65.

4- الحريري، المرجع نفسه.

5- روجيه لوتورنو، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- المرجع نفسه، ص154، الحريري، المرجع نفسه.

7- المصدر السابق، ص209.

8- الماوردي، المصدر السابق، ص352.

9- المنوني محمد، المرجع السابق، ص63.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- أبو العباس ابن الرطبي الكرخي (ت527هـ) الذي تولى الحسبة ببغداد في شهر رمضان سنة 501هـ<sup>1</sup>.
- ابن الكرخي ولي الحسبة بنهر معلى سنة 527هـ<sup>2</sup>.
- علاء الدين ابن الزيني ولي حسبة بغداد سنة 556هـ<sup>3</sup>.
- أبو جعفر بن الخرقى تولى الحسبة في بغداد<sup>4</sup>.
- أبو منصور أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ (ت494هـ) تولى حسبة الجانب الغربي من بغداد<sup>5</sup>.
- أبو حفص محمد بن المبارك بن عمر بن الخرقى (ت494هـ)، الذي كان حافظاً للقرآن صارماً في حسبته، ولي الحسبة سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة للهجرة، وكان المتعيشون يخافونه، ومنع قوام الحمامات أن يمكنوا أحداً يدخل بغير مئزر، وتهددهم على ذلك بالإشهار<sup>6</sup>.
- أبو سعد ابن الحلواني كان صاحب الحسبة في بغداد<sup>7</sup>.
- أبو الفوارس منصور بن هبة الله بن محمد الموصللي الفقيه الحنفي (ت523هـ) تولى الحسبة بالجانب الغربي في بغداد<sup>8</sup>.
- أبو سعيد بن علي بن أحمد الواسطي، تولى الحسبة في مدينة واسط<sup>10</sup>.
- ابن الترسى ولي الحسبة في بغداد يوم الخامس من محرم 524هـ<sup>9</sup>.
- أبو الفرج النفيس بن محمد بن علي الهاشمي.
- أبو طالب محمد بن علي بن أحمد الواسطي، تولى الحسبة في مدينة واسط<sup>10</sup>.

**5-الوزارة:** بعد منصب الوزارة في دولة السلاجقة، المنصب الثاني بعد السلطان السلجوقي، وقد تأثر إلى حد كبير بالظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها الدولة الإسلامية، ففي الوقت الذي قوي فيه نفوذ هذه الدولة علا شأنها الوزارة، ومارس الوزراء أعمالهم بحرية كبيرة، ومن ثم ظهرت آثارهم في إدارة شؤونها، كما حظوا بقدر كبير من الهيبة

---

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص122.  
 2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص286.  
 3- المصدر نفسه، ج18، ص148.  
 4- المصدر نفسه، ج16، ص282.  
 5- المصدر نفسه، ج17، ص68.  
 6- المصدر نفسه، ج17، ص73.  
 7- المصدر نفسه، ج17، ص109.  
 8- المصدر نفسه، ج17، ص255.  
 9- المصدر نفسه، ج17، ص256.  
 10- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص86.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

والاحترام، ولما تطرق الضعف والانحلال إلى جسم هذه الدولة، تضاءلت سلطة الوزراء وصاروا عرضة للعزل والمصادرة<sup>1</sup>. والمصادرة<sup>1</sup>.

ومن أهم ملامح نظام الوزارة تلقيب الوزراء بألقاب فخمة مثل: نظام الملك ومؤيد الملك، كما خصصت لهم مرتبات إما عينا أو على شكل إقطاعات تعود إليهم مواردها، بالإضافة إلى ذلك فقد ازدادت مكانة الوزير السلجوقي وأهميته ودوره، نظرا لاعتماد السلطان السلجوقي عليه، خاصة أن السلاجقة لم تكن لهم الدراية الكاملة بأمر الإدارة والسياسية نتيجة حياتهم البدوية، لذا أسندوا كافة أمورهم المدنية لوزرائهم، وكذلك قيادة الجيوش والإشراف على المعسكر، مما فتح باب الخلافات والتنازع بين الوزراء وقادة الجيش، ولا ننسى أيضا تعرض الوزراء للعزل والحبس والقتل ومصادرة أموالهم من قبل السلاطين، وبالمقابل اهتم الوزراء بعلوم الفقه والعقيدة والكلام، وذلك بسبب استفحال المذهب الباطني المتطرف المتمثل بالإسماعيلية والقرامطة والحشيشية، وقد قام الوزراء بتشجيع العلماء على التأليف وأسسوا المدارس من أجل نشر المذهب السني ومقاومة الغلو<sup>2</sup>.

إن أسناد سلاطين السلاجقة منصب الوزارة للعلماء، يعد أحد التغيرات الرئيسية في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وقد أثبت العلماء الذين تولوا منصب الوزارة السلجوقية وحتى وزارة العباسيين كفاءتهم ومقدرتهم الفائقة في تسيير الدولة وقيادة الجيوش وضبط الأموال وإقامة العمران وخوض المعارك وفتح البلدان، وخير مثال على ذلك الوزير نظام الملك، الذي بقي وزيرا مدة ثلاثين سنة بلغت فيها الدولة السلجوقية أوج قوتها وعظمتها وحضارتها، وبعد مقتله دخلت في مرحلة الضعف والانحيار، وعليه نذكر أهم العلماء الذين تولوا منصب الوزارة كما يلي:

- أبو القاسم علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ابن المسلمة (ت450هـ) استوزره الخليفة العباسي القائم بأمر الله ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الوري، وكان مضطلعا بعلوم كثيرة مع سداد رأي ووفور عقل<sup>3</sup>
- أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك (ت456هـ) استوزره السلطان السلجوقي طغرل بك<sup>4</sup>.
- الأستاذ العميد أبو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي (ت515هـ) صار وزيرا للسلطان السلجوقي سنجر<sup>5</sup>.
- أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الوزير المعروف بنظام الملك (ت485هـ) الذي وزر للسلطانين ألب أرسلان وابنه ملكشاه مدة ثلاثين سنة، من 455هـ إلى 485هـ.

1- الزهراني محمد مسفر، المرجع السابق، ص119.

2- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص173.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص42.

4- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المجلد

الخامس، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م، ص138.

5- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج10، ص231.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-أبو الفتح أحمد بن علي نظام الملك المعروف بخواجة أحمد، كان وزير السلطان محمود بن ملكشاه، ثم صار وزير أمير المؤمنين المسترشد لأمر الله<sup>1</sup>.

-أبو القاسم محمود بن المظفر بن عبد الملك بن أبي توبة المروزي (ت530هـ)، صار وزيراً<sup>2</sup>.

-عبد الرزاق بن عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي ابن أخي نظام الملك (ت515هـ)، كان قد تفقه على الجويني وأفتى وناظر، ثم وزر للسلطان سنجر، فترك طريقة الفقهاء واشتغل بالجند وتدير الممالك<sup>3</sup>.

-أبو المظفر يحيى بن محمد ابن هبيرة (ت560هـ) تولى الوزارة للخليفة العباسي<sup>4</sup>.

-أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم، الملقب بظهير الدين الرُّوذراوري (ت488هـ) ولي الوزارة للخليفة العباسي المقتدي بأمر الله<sup>5</sup>.

-علي بن الحسين بن محمد بن علي الزيني، أبو القاسم الأكمل بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم ابن القاضي أبي تمام (ت543هـ)، تولى نيابة الوزارة في عهد الخليفة العباسي الراشد بالله<sup>6</sup>.

-أبو أحمد طلحة بن علي الزيني، تولى نيابة الوزارة في عهد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله<sup>7</sup>.

**6- السفارات:** تعد السفارة من أهم الوظائف السلطانية فهي بمثابة الرابط بين مختلف الدول قديماً وحديثاً، وللسفارة معان وأهداف وأغراض مختلفة<sup>8</sup>، منها: الإصلاح بين القوم<sup>9</sup>، والسفير من سفر بين القوم: إذا انتقل بالسفر وأصلح والجمع سفراء<sup>10</sup>، وأيضاً يقال سفرت بين القوم أي كشفت ما بين قلب هذا وقلب هذا للإصلاح بينهم<sup>11</sup>، ولذلك فإن

1- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج12، ص262-263.

2- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج3، ص1705-1706.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص199-200.

4- المصدر نفسه، ج18، ص166.

5- ابن خلكان، المصدر السابق، ج5، ص134-135.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص68.

7- المصدر نفسه، ج18، ص69.

8- سندس زيدان خلف، البعثات العلمية في العصر العباسي (132هـ-400هـ/749م-1009م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ

الإسلامي، كلية التربية، جامعة بغداد، 1425هـ/2004م، ص24.

9- ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، مادة سفر، ج4، ص370.

10- الزمخشري، أساس البلاغة، مادة سفر، ج5، ص120، نقلاً عن سندس زيدان خلف، المرجع السابق، ص24.

11- الزبيدي، تاج العروس، مادة سفر، ج7، ص212.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

السفير هو الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء<sup>1</sup>، ظهرت السفارة للوجود منذ أن اتسعت رقعة لدولة الإسلامية وجاورت حدودها عدة دول ،أصبح لزاما على الخلفاء والسلاطين إرسال السفارات إلى هذه الدول لإقامة علاقات معها من أجل تحسين وتمتين الروابط مع شعوب تلك المناطق<sup>2</sup>، وكان هؤلاء السفراء المنتدبين هم الناطقون باسم الخلافة أو الملك أو السلطان ولهم صلاحيات إجراء المفاوضات وعقد المعاهدات وإبرام الهدنة والصلح<sup>3</sup>. إن الحديث عن السفارة في عصر السلاجقة يكتسي طابعا خاصا حيث أولوا أهمية معتبرة للعلاقات الخارجية بحكم اضطلاعهم بمشروع توحيد المشرق الإسلامي، لذا اختاروا كبار العلماء والفقهاء لهذه المهمة، فبمجرد أن يكون السفير عالما وفقهيا فهذا مدعاة لكي تكون السفارة ناجحة، إذ أن العلماء والفقهاء أصلح الناس للإصلاح بين الدول والممالك ورأب الصدع وإصلاح ذات البين، فينبغي للسفير أن يكون ذا سمعة عالية وبعد نظر ولباقة في الكلام وحسن الأدب والثبات في المواقف الحرجة ويكون ملهما بحسن التبصر بأحوال الدول والملوك والسلاطين حتى ينجز المهمة بكل نجاح، والعلماء الذين أسندت لهم مهمة السفارة بين الدول التي أقام معها السلاجقة علاقات هم:

-الحسين بن علي أبو القسم عماد الدين اللامشي، الذي قدم إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية، حاملا رسالة من جهة خاقان ملك ماوراء النهر سنة 515هـ<sup>4</sup>.

-أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك الذي أرسله السلطان طغرل بك إلى قريش بن بدران، حتى يشكره على ما فعله بالخليفة القائم بأمر الله، وكذلك لحفاظه على ابنة أخيه زوجة الخليفة<sup>5</sup>.

-أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي أبو طاهر القصاري الخوارزمي (ت474هـ)، كان سفيرا بين الخلافة العباسية ومدينة غزنة<sup>6</sup>.

-رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان بن الأسود بن سفيان بن يزيد بن أكنة بن إبراهيم بن عبد الله بن الهيثم بن عبد الله (ت488هـ)، جعله الخليفة رسولا إلى السلطان في مهام الدولة<sup>7</sup>.

1-الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مادة سفر، الكويت، دار الرسالة، 1983م، ص:300.

2-سندس زيدان خلف، المرجع السابق، ص:25.

3-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4-اللكوني، المصدر السابق، ص:67.

5-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16.

6-المصدر نفسه، ج16، ص:219.

7-المصدر نفسه، ج17، ص:19-20.



## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-طراد بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام(ت491هـ)، ترسل من الديوان العزيز إلى الملوك<sup>1</sup>.

-الحسين بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب أبو طالب الزيني(ت512هـ)، ترسل إلى ملوك الأطراف من البلاد من قبل الخليفة<sup>2</sup>.

-محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك، أبو عبد الله بن أبي سعد بن أبي صالح المؤذن(ت547هـ)، قدم إلى بغداد رسولا من صاحب كرمان، وقدم رسولا إلى السلطان في سنة544هـ<sup>3</sup>.

-يوسف بن عبد الله البندار الدمشقي الكبير(ت563هـ)، بعث رسولا نحو خوزستان إلى شملة التركماني<sup>4</sup>.  
-أبو منصور المظفر بن أبي الحسين بن أبي منصور العبادي الواعظ(ت547هـ) الذي ورد سنة541هـ رسولا من السلطان سنجر إلى الخليفة<sup>5</sup>.

-القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي(ت519هـ)، كان قد مضى إلى خراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجر سنة519هـ<sup>6</sup>.

-القاضي أبو المظفر الجرجاني وحمد بن عبد الغفار بعثهما السلطان السلجوقي بركياروق كسفيرين بينه وبين أخيه السلطان محمد من أجل الصلح سنة497هـ<sup>7</sup>.

-محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم أبو عبد الله بن الأنباري(ت558هـ)، بعث رسولا إلى السلطان سنجر وغيره من السلاطين<sup>8</sup>.

-شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل(ت580هـ) كان سفير الخليفة العباسي الناصر لدين الله(575هـ-622هـ) إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي<sup>9</sup>.

---

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص44.

2- المصدر نفسه، ج17، ص166.

3- المصدر نفسه، ج18، ص86.

4- المصدر نفسه، ج18، ص181.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص345. السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج8، ص237-238.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص234.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص85.

8- المصدر نفسه، ج18، ص157.

9- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص276.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-الشيخ العالم الحجاج أبو الفرج رستم بن العباس البغدادي، قدم سمرقند في صحبة رسول الخليفة عطية بن علي بن عطية القرشي على الخاقان الأعظم محمد بن سليمان في سنة 519هـ<sup>1</sup>.

-أبو الفتح ناصر بن سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد بن إسماعيل بن إسحاق بن يزيد بن زياد بن ميمون بن مهران الأنصاري (ت 552هـ) كان يترسل إلى الملوك من جهة السلطان سنجر بن ملكشاه<sup>2</sup>.

-أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور الجرجاني (ت 454هـ) تم إرساله كسفير من قبل الخليفة العباسي إلى السلطان الغزنوي محمود<sup>3</sup>.

-علي بن طراد كان سفيرا للخليفة العباسي إلى السلطان السلجوقي سنجر سنة 521هـ<sup>4</sup>.

-القاضي الهيتي كان رسول الخليفة العباسي المسترشد بالله إلى عماد الدين زنكي صاحب الموصل<sup>5</sup>.

-أبو الحسن علي بن محمد الطبري، خرج برسالة من السلطان بركياروق إلى إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، وكذلك حملة رسالة من السلطان بركياروق إلى الخليفة العباسي المستظهر بالله<sup>6</sup>.

### 7-الكتابة: استعان السلاجقة في بداية تأسيس حكمهم بعدد كبير من الموظفين، ومع تطور الأوضاع العامة

وتأسيس الدواوين ودخول السلاجقة العراق وما أصاب المؤسسات الإدارية السلجوقية من تطوير وتأثر وتنوع، ترسخ وجود طبقة من الكتاب لعبت دورا مميزا في إدارة السلطنة. والواقع فإن الكتابة كانت من الوظائف المهمة في الدولة السلجوقية، وكان كاتب الخراج وكاتب الجند، وكاتب الإشراف والرسائل والاستيفاء من الوظائف المهمة والرئيسية<sup>7</sup>.

وكان كاتب الرسائل يجلس مع السلطان في مجلس القضاء، ويتولى مكاتبة الأمراء والحكام، لذا ينبغي للكاتب أن يكون ذا أدب رفيع وبلاغة عالية وأن يتحلى بالطيبة والالتزام بالدين والأخلاق الحميدة والنزاهة التامة والثقافة الواسعة، وأن يكون كاتما للسر، فقد يحتاج إليه في أمور غاية في السرية تتصل بشؤون السلطنة الأساسية الحربية والسياسية وغيرها من الأمور الحساسة، كما يقوم الكاتب بتحرير الكتب والرسائل والخلاصات بالأعمال والتقارير

1-النسفي، المصدر السابق، ص 171.

2-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ...، المصدر السابق، مج 3، ص 1780.

3-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 79.

4-المصدر نفسه، ج 17، ص 244.

5-المصدر نفسه، ج 17، ص 282.

6-نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 73-74.

7-عزام عبد الله محمد نور باشا، المرجع السابق، ص 248.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- وحقاً أوامر السلاطين والوزراء، فعليه أن يجيد صفة الترسل ومراجعة الكتب والرسائل الرسمية وضبطها ووصفها في صيغتها النهائية، ويجب أن يكون ملماً بفن الخطوط وخطه حسن جميل، ولا ينقل كلام السلطان إلى الأمراء والحكام<sup>1</sup>.
- أبو علي محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب المعروف بالمنتجب (ت535هـ) أحد أركان الملك وممن تقدم وحظي عند السلطان سنجر<sup>2</sup>.
- محمد بن الحسين الروبانجهازي، كان في ديوان الإنشاء للسلطان سنجر بن ملكشاه<sup>3</sup>.
- أبو الحسن بن علي بن المعوج (ت482هـ) كان كاتب ديوان الزمام في بغداد<sup>4</sup>.
- أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة، تولى كتابة ديوان الزمام في بغداد سنة 542هـ<sup>5</sup>.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن الأنباري (ت558هـ)، كان كاتب الإنشاء في بغداد<sup>6</sup>.
- أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن أحمد بن عبد الله بن أبي بكر ابن أبي ربحان السكري المعروف بالعمي (ت539هـ) كان الاعتماد عليه في كتب السجلات<sup>7</sup>.
- أبو محمد عبد السلام بن محمد بن عبد الله بن محمد بن اللبان التيمي الشروطي الأصبهاني (ت544هـ) كان ممن يراجع في كتابة الصكاك وتحمل الشهادة من المشاهير<sup>8</sup>.
- أبو المظفر عبد المعز بن عطاء بن عبيد الله بن أحمد بن رافع بن أحمد الصيرفي الشروطي (ت547هـ) كان يضرب به المثل في حسن كتابة السجلات والقبالات<sup>9</sup>.
- أبو حفص عمر بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن طاهر الصكاك الطوسي (ت549هـ) كان فاضلاً عالماً، يكتب السجلات<sup>10</sup>.

1- المرجع نفسه، ص249.

2- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج3، ص1412.

3- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج5، ص176.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص286.

5- المصدر نفسه، ج18، ص55.

6- المصدر نفسه، ج18، ص157.

7- السمعاني، التحبير...، المصدر السابق، ج1، ص412.

8- المصدر نفسه، ج1، ص450.

9- المصدر نفسه، ج1، ص484.

10- المصدر نفسه، ج1، ص540.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-أبو الفتح الفضل بن زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشحامى (ت542هـ) كان عليه الاعتماد بنيسابور في كتبة الصكاك<sup>1</sup>.

-أبو الفضل محمد بن عاصم المنشئ الهروي (ت543هـ) كان كاتباً في ديوان الإنشاء بخراسان<sup>2</sup>.

-أبو المعالي الموفق بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن طاهر الصكاك الطبراني الشروطي (ت549هـ) كان عليه اعتماد أهل طوس في كتب السجلات<sup>3</sup>.

-أبو الحسين عبد الملك بن عبد الله بن أحمد بن رضوان (ت506هـ) كان كاتب الخليفة العباسي المستظهر بالله على ديوان الرسائل<sup>4</sup>.

-أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصفهاني، كان كاتباً في عهد السلطان مسعود<sup>5</sup>.

-أبو الحسن علي بن نصر بن محمد بن عبد الصمد الفندروجي الاسفرايني الكاتب (ت550هـ)، اختص بالوزير طاهر بن فخر الملك وصار كاتباً في ديوان السلطان<sup>6</sup>.

**8- نقابة الصالبيين والعباسيين:** هي مؤسسة إدارية وظيفتها الأساسية حفظ أنساب الهاشميين علويين وعباسيين من أن تكون مدعاة للآخرين، وللاهتمام بشؤونهم الخاصة والعامة<sup>7</sup>، وقد أشار الماوردي إليها بقوله: "وهذه النقابة موضوعة على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف، ليكون عليهم أحبى وأمرهم فيهم أمضى..."<sup>8</sup>، وبخصوص تقليد ولاية هذه النقابة، فتتم من قبل أحد الجهات الثلاث:

-إما من جهة الخليفة المستولي على كل الأمور.

-وإما ممن فوض الخليفة إليه تدبير الأمور كوزير التفويض وأمير الإقليم.

1-السمعاني، التحجير...، المصدر السابق، ج2، ص20.

2-السمعاني، التحجير...، المصدر السابق، ج2، ص199-200.

3-المصدر نفسه، ج2، ص324.

4-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص130.

5-ابن خلكان، المصدر السابق، مج2، ص189، نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص83.

6-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1269-1270.

7-السوداني رباب جبار طاهر، نقابة الطالبين في العصر العباسي (251هـ-656هـ/865م-1258م)، مجلة آداب البصرة، العدد2005، 38م، ص95.

8-الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص155.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-وإما من نقيب عام الولاية استخلف نقيبا خاص الولاية، فإذا أراد المولى أن يولي على الطالبين نقيبا أو على العباسيين نقيبا يخير منهم أجلهم بيتا، وأكثرهم فضلا وأجزلهم رأيا فيولى عليهم لتجتمع فيه شروط الرئاسة والسياسة، فيسرعوا إلى طاعته برياسته وتستقيم أمورهم بسياسته<sup>1</sup>.

تكونت النقابة منذ بداية تأسيسها من ديوان يرأسه نقيب ويعاونه في مهمته عدد من الموظفين، أبرزهم النائب الذي ينوب عنه في أداء مهامه الوظيفية في حالة غيابه، وكاتب وحاجب ومشرف ديوان ومجموعة من العاملين، حيث كان لكل من هؤلاء وظيفته الخاصة وصلاحياته المحددة والتي على أساسها يتقاضى راتبا شهريا<sup>2</sup>.

نشأت نقابة الطالبين والعباسيين نتيجة الظروف السياسية التي مر بها العلويين، مما دفع بأحد العلويين وهو أبو عبد الله الحسين النسابة بن أحمد المحدث بن عمر بن يحيى الرواية بن الحسين ذي الدمعة بن الفقيه زيد الشهيد بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى طرح فكرة إنشاء وتأسيس النقابة، وكان خروج عمه يحيى على الخليفة العباسي المستعين بالله سنة 250هـ، وكذلك تقليد عمر بن فرج الرخحي أمر الطالبين والإشراف عليهم، فامتعض أبو عبد الله الحسين على ذلك، لأن الرجل ليس هاشميا، ما دفعه للخروج من المدينة والذهاب إلى الكوفة مركز العلويين، وقام بطرح فكرة إيجاد تنظيم يهتم بأمر العلويين ويعمل على حل مشاكلهم، وينبغي أن يشرف عليه رجل ذو نسب علوي حتى تكون له الطاعة من قبلهم ويعترف أقدارهم، ويكون في نفس الوقت مسؤولا عنهم أمام الخليفة<sup>3</sup>. وبالفعل تم تعيين أبو عبد الله الحسين على رأس نقابة الهاشميين بعد موافقة الخليفة العباسي المستعين بالله، حيث قام هذا الأخير بالاجتماع بكبار البيت الهاشمي وشاورهم، بذلك أضحي أبو عبد الله الحسين أول نقيب علوي يتقلد النقابة الهاشمية منذ تأسيسها سنة 251هـ حتى وفاته سنة 290هـ، وقد اتخذ من الكوفة مقرا له لإدارة النقابة، ثم انتقل إلى بغداد نظرا لتوسع أعماله وكثرة مشاغله، فسمي نقيب النقباء الذي يشرف على جميع نقباء المدن المهمة في العالم الإسلامي، وعلى الرغم من أن ظروف نشأة النقابة كانت مرتبطة بواقع العلويين السياسي، لكن بالمقابل لم تصبح النقابة مؤسسة سياسية يوما ما أبدا، بل هي مؤسسة اجتماعية اهتمت بالجانب الاجتماعي الذي كان منطلقه الرئيسي والأساسي الاهتمام بالنسب الهاشمي بفرعيه العلوي والعباسي، الذي انسحب على جميع مهام وفعاليات النقابة بالإضافة إلى المهام الأخرى، وهذا الأمر بحقيقته أحدث متغيرا في الانتماء النسبي لمن يتولى نقابة الهاشميين، حيث فسح المجال أمام شخصيات تنتمي للبيت العباسي لكي تتولى مهمة نقيب النقباء بعد أن كانت في بداية أمرها محصورة بالبيت العلوي، وبمرور الوقت قام معز الدولة البويهري سنة 348هـ بفصل نقابة

1-المواردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص155.

2-السوداني رباب جبار طاهر، المرجع السابق، ص95.

3-المرجع نفسه، ص96.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

العلويين(الطالبين)ونقابة العباسيين عن نقابة الهاشميين<sup>1</sup>. ومنذ عملية الفصل هذه أصبح لكل من الطالبين والعباسيين نقابة خاصة بهم يتولاها أحد أفراد البيتين ويشرف على الإدارة العامة لكل نقابة من النقابتين في بغداد نقيب للنقباء، كما لم يقتصر تواجد نقابة الطالبين على بغداد وحدها بل كان هناك عدد من النقباء يتولون النقابة في مدن العالم الإسلامي الأخرى لا بل حتى في بغداد ذاتها، فبجانب نقيب النقباء الذي كان له الإشراف العام على جميع فروع النقابة، كان هناك نقباء لمناطق بغداد المختلفة كنقيب الكرخ ونقيب مشهد موسى الكاظم ونقيب باب التبن ونقيب باب الشام وغيرهم، وهذا يدل على كثرة انتشار العلويين في بغداد والعالم الإسلامي، مما يستوجب إيجاد فروع للنقابة فيها للإشراف المباشر على أمورهم، كما كان يتم دمج نقابة الطالبين مع نقابة العباسيين تحت رئاسة النقيب العباسي<sup>2</sup>.

يرى الماوردي أن النقابة على ضربين: خاصة وعامة؛ فأما الخاصة فهو أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى حكم وإقامة حد، فلا يكون العلم معتبرا في شروطها، ويلزمه في النقابة على أهله من حقوق النظر اثنا عشر حقا: 1- حفظ أنسابهم بجميع الأحوال والتدقيق فيها.

2- تتبع الدقيق لبطونهم ومعرفة أنسابهم، وذلك عبر السنوات حتى لا يتداخل نسب في نسب، وتسجيلهم في الديوان.

3- معرفة المواليد الجدد من الذكور والإناث، والقيام بتبنيهم والإطلاع على كل من مات.

4- غرس الآداب العالية ومكارم الأخلاق فيهم حتى تكون حشمتهم في النفوس موفورة وحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم محفوظة.

5- تنزيهم عن المكاسب الدنيئة ومنعهم من المطالب الخبيثة.

6- منعهم من ارتكاب المآثم وانتهاك المحارم.

7- منعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتشطط عليهم لنسبهم.

8- أن يكون عوناً لهم في استيفاء الحقوق حتى لا يضعفوا عنها وعونا عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمتنعوا منها.

9- أن ينوب عنهم في المطالبة بحقوقهم العامة في سهم ذوي القربى في الفيء والغنيمة الذي لا يختص به أحدهم، حتى يقسم لهم بحسب ما أوجبه الله تعالى لهم<sup>3</sup>.

1- المرجع نفسه، ص 96-97.

2- السوداني رباب جبار طاهر، المرجع السابق، ص 98-99.

3- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 155-156.

## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

10-أن يمنع أيتامهم أن يتزوجن إلا من الأكفاء لشرفهن على سائر النساء؛صيانة لأنسابهن وتعظيمًا لحرمتهن أن يزوجهن غير الولاة أو ينكحهن غير الكفاة.

11-أن يقوم ذوي الهفوات منهم فيما سوى الحدود بما لا يبلغ به حدا ولا ينهر به دما،ويقبل ذا الهيئة منهم عثرته،ويغفر بعد الوعظ زلته.

12-مراعاة وقوفهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها وإذا لم يرد إليه جبايتها راعى الجباة لها فيما أخذوه،وراعى قسمتها إذا قسموه،وميز المستحقين لها إذا خصت،وراعى أوصافهم فيها إذا شرطت،حتى لا يخرج منهم مستحق ولا يدخل فيها غير محق.

وأما النقابة العامة فعمومها أن يرد إليه في النقابة عليهم مع ما قدمنا من حقوق النظر خمسة أشياء:

1-الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

2-الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

3-إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

4-تزويج الأيتامى اللاتي لا يتعين أولياؤهن أو قد تعينوا فعصلوهن.

5-إيقاع الحجر على من عتته منهم أو سفه،وفكه إذا أفاق ورشد،فيصير بهذه الخمسة عامة النقابة،فيعتبر حينئذ في صحة نقابته وعقد ولايته أن يكون عالما من أهل الاجتهاد؛ليصح حكمه وينفذ قضاؤه<sup>1</sup>.

وعليه ستعرف على العلماء الذين أسندت إليهم نقابة الطالبين والعباسيين ونقابة النقباء، كما يلي:

-أبو عبد الله بن أبي طالب،الذي ولي نقابة الطالبين في سنة450هـ<sup>2</sup>.

-طراد الزيني(ت491هـ)،تم توليته نقابة العباسيين سنة453هـ،ثم قلد نقابة النقباء.

-أبو الفتح أسامة بن أبي عبد الله بن أحمد بن علي بن أبي طالب العلوي،تقلد نقابة الطالبين سنة453هـ<sup>3</sup>.

-أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي(ت490هـ)الملقب بالطاهر ذي المناقب،تقلد نقابة الطالبين في ذي القعدة456هـ<sup>4</sup>.

-الكامل أبو الفوارس الهاشمي العباسي الزيني تولى نقابة النقباء<sup>5</sup>.

1-الماوردي،الأحكام السلطانية،المصدر السابق،ص156-157.

2-ابن الجوزي،المنتظم...،المصدر السابق،ج16،ص38.

3-المصدر نفسه،ج16،ص69.

4-المصدر نفسه،ج16،ص89.

5-المصدر نفسه،ج16،ص156.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن عيسى بن أبي موسى أبو همام بن أبي القاسم ابن القاضي أبي علي الهاشمي العبدى المقرئ(ت468هـ)ولي نقابة الهاشمين<sup>1</sup>.
- أبو القاسم علي بن طراد(ت538هـ)تقلد نقابة العباسيين بالبصرة في ربيع الثاني483هـ،ثم صار نقيب النقباء<sup>2</sup>.
- أبو الفتح حيدرة بن أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي(ت501هـ)،الملقب بالرضي ذي الفخرين،تقلد نقابة الطالبين<sup>3</sup>.
- أبو الحسن علي بن أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي،تولى نقابة الطالبين بعد وفاة أخيه أبي الفتح حيدرة سنة501هـ الذي تولها مدة اثني عشرة سنة وثلاثة أشهر<sup>4</sup>.
- أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب الزيني(ت512هـ)ولي نقابة الطالبين والعباسيين من قبل الخليفة العباسي<sup>5</sup>.
- أبو القاسم علي بن أبي تمام الزيني،تقلد نقابة النقباء.
- أبو الحسن محمد بن علي بن أبي تمام الزيني كان نقيب النقباء<sup>6</sup>.
- محمد بن طراد(ت541هـ)كان نقيب النقباء.
- أبو أحمد طلحة بن علي الزيني،تولى النقابة سنة541هـ<sup>7</sup>.
- عدنان بن الرضي الموسوي(ت449هـ)تقلد نقابة الطالبين منذ سنة436هـ حتى وفاته.
- الظاهر مجد الدين أبو عبد الله أحمد بن علي،تقلد نقابة الطالبين سنة530هـ حتى وفاته سنة569هـ.
- أبو الغنائم محمد بن أحمد بن علي تولى نقابة الطالبين مدة خمس سنوات نيابة عن أبيه الذي أقعده المرض.
- أبو طالب عبد الله بن أحمد بن علي،تقلد نقابة الطالبين سنة569هـ إلى وفاته سنة581هـ<sup>8</sup>.
- أبو الفضل محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي،تولى نقابة الطالبين سنة581هـ،إلى غاية عزله سنة588هـ<sup>9</sup>.

1-المصدر نفسه،ج16،ص174.

2-المصدر نفسه،ج16،ص289.المصدر نفسه،ج17،ص95.

3-ابن الجوزي،المنتظم...،المصدر السابق،ج17،ص41.

4-المصدر نفسه،ج17،ص111.

5-المصدر نفسه،ج17،ص166.

6-المصدر نفسه،ج18،ص34.

7-المصدر نفسه،ج18،ص49.

8-السوداني رباب جبار طاهر،المرجع السابق،ص101.

9-المرجع نفسه،ص102.



## -الباب الأول:الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

- يحيى بن ثابت العلوي(ت460هـ)، كان نقيب الطالبين في البصرة وواسط والبطائح وما يليها، ثم ولاه الخليفة العباسي القائم بأمر الله نقابة الطالبين في بغداد سنة450هـ، وقد تمكن من إخماد الفتنة القائمة في العراق بين السنة والشيعة، وأصلح ذات البين، وبعدها رجع إلى البصرة حتى وفاته<sup>1</sup>.
- أبو غالب علي العلوي(ت500هـ)، كان نقيب مشهد باب التبن في بغداد<sup>2</sup>.
- أبو الفضل علي العلوي(ت515هـ)تقلد نقابة الطالبين في مشهد باب التبن في بغداد<sup>3</sup>.
- أحمد بن علي العلوي(توفي بعد530هـ)تولى نقابة الطالبين بعد أبيه وبقي فيها إلى غاية وفاته.
- هبة الله ابن الشجري العلوي(ت542هـ)تولى النقابة في بغداد<sup>4</sup>.
- أبو محمد الحسن ابن الأقساسي العلوي(ت593هـ)تولى نقابة الطالبين في بغداد في عهد الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله<sup>5</sup>.
- أحمد الرفاعي العلوي(ت578هـ)تقلد منصب نقيب الطالبين في البصرة.
- يحيى بن محمد العلوي(ت613هـ)ولي نقابة الطالبين في البصرة<sup>6</sup>.
- ضياء الدين العلوي(ت582هـ)كان نقيب الطالبين في الموصل.
- كمال الدين حيدر العلوي،تقلد نقابة الطالبين في الموصل في أيام عماد الدين زنكي<sup>7</sup>.
- عميد الشرف محمد العلوي،من أهالي الموصل ونقبائها،وكان من الأفاضل الأشراف في الموصل<sup>8</sup>.
- أبو طالب محمد العلوي،تولى نقابة الطالبين بالكوفة في خلافة الناصر لدين الله العباسي(575هـ-622هـ)،نيابة عن أبي تميم معد الطاهر النقيب<sup>9</sup>.
- علي النقيب العلوي،نقيب الكوفة ورئيسها الفاضل العالم<sup>10</sup>.
- أبو الحسن علي بن عبد الرحيم الرفاعي،كان نقيباً للطالبين بواسط في سنة519هـ<sup>1</sup>.

1-سولاف فيض الله حسن،البيوتات العلوية في العصر العباسي،ط1،بيروت،دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع،2013م،ص140-141.

2-المرجع نفسه،ص141.

3-سولاف فيض الله حسن،المرجع السابق،ص142.

4-المرجع نفسه،ص142-143.

5-المرجع نفسه،ص144.

6-المرجع نفسه،ص156.

7-المرجع نفسه،ص158.

8-المرجع نفسه،ص159.

9-المرجع نفسه،ص159-160.

10-المرجع نفسه،ص160.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

-أبو القاسم علي العلوي (توفي بعد 447هـ) تولى منصب نقيب نقباء مرو.<sup>2</sup>

-السيد أبو الحسن محمد الموسوي العلوي (ت 538هـ) ولي نقابة الطالبين بمرو.<sup>3</sup>

**9-وظائف أخرى:** أسندت للعلماء وظائف أخرى خلال العصر السلجوقي، لا تقل أهمية عن الوظائف الرئيسية- نظرا لاتساع رقعة الدولة السلجوقية- فكان من الضروري استحداثها للتناسب مع مرونة النظام الإداري خلال هذه الفترة، الذي جمع بين الخطط الدينية والخطط السلطانية، لذا سنتعرف على هذه الوظائف والعلماء الذين مارسوها:

**أ- كسوة الكعبة وعمارة الحرمين:** أبو سعد عبد الملك بن محمد بن الحسن السامري (ت 493هـ).<sup>4</sup>

**ب- الإشراف على البيمارستانات:** -أبو القاسم علي بن أحمد بن علي، المعروف بابن الكوفي (ت 479هـ)، الذي ولي النظر بالمارستان العضدي في بغداد.<sup>5</sup> -أبو سعد عبد الملك بن محمد بن الحسن السامري (ت 493هـ)، تولى النظر في المارستانين العضدي والعتيق.<sup>6</sup>

**ج- ولاية الأوقاف:** -ابن يعيش سلم إليه النظر في الوقوف سنة 527هـ.<sup>7</sup> -إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت 478هـ) فوض إليه أمور الأوقاف.<sup>8</sup>

**د- إدارة السجلات (المعبر):** هي وظيفة تحت إشراف القاضي، يسمى صاحبها بالمدير، حيث يدير السجلات التي حكم بها القاضي على الشهود حتى يكتبوا شهادتهم عليها، تولاها أبو محمد يحيى بن علي المدير (ت 536هـ)، في مجلس القاضي الزيني في بغداد.<sup>9</sup>

1- المعاضيدي عبد القادر سلمان، المرجع السابق، ص 165.

2- سولاف فيض الله حسن، المرجع السابق، ص 168.

3- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج 3، ص 1432-1433.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 58.

5- المصدر نفسه، ج 16، ص 263.

6- المصدر نفسه، ج 17، ص 58.

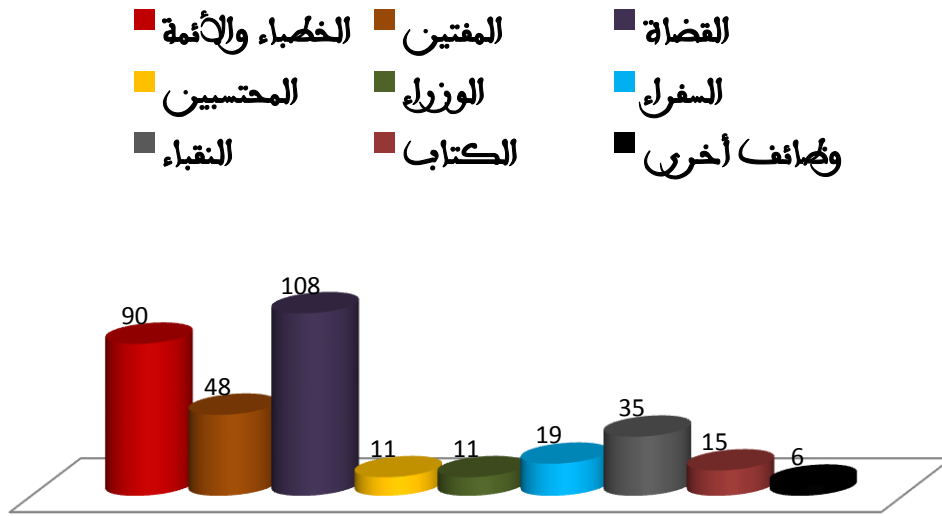
7- المصدر نفسه، ج 17، ص 276.

8- الفارسي، المصدر السابق، ص 227.

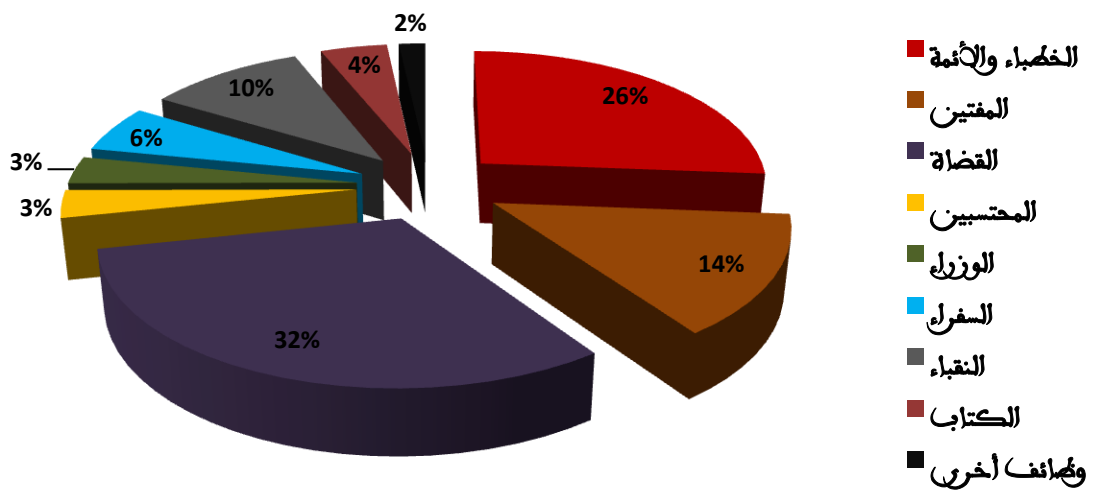
9- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج 11، ص 200-201.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

### -توزيع العلماء على وظائف الدولة السلجوقية.



### -أعداد ونسب العلماء المشاركين في وظائف الدولة السلجوقية.



لما كان للعلماء والفقهاء مكانة في المجتمع وشأن بين العامة عظيم تنقاد لهم وتستجيب لأقوالهم، فقد مثلوا حلقة الوصل بين الحكام وجمهور الأمة، فهم مناط الاستقرار في الدولة، ومحل تقدير من كلا الطرفين<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك فإن السلطة الحاكمة بدون العلماء والفقهاء لا يمكن أن تقوم وتستمر وتستقر، وهذا الأمر كانت السلطة تعيه جيداً، ولكنها

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص: 321.

## -الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي-

لم تشأ الإفصاح عنه خوفاً من التبعيات التي تنجر عن ذلك<sup>1</sup>، فلا غرو أنهم أدركوا وزن هذه الفئة لذلك اختاروا منهم الوزراء والقضاة والكتاب والمفتين والخطباء والأئمة والمحتسبين والناظرين على الأوقاف<sup>2</sup>، بحيث يصبح العلماء أقرب إلى السلاطين ويستطيعون من مواقعهم التأثير عليهم وردهم إلى الحق إذا زاغوا عنه وإلا حدث ما ذكره الونشريسي حيث يقول: "...فساد الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال..."<sup>3</sup>، فمتى تخلص العلماء عن علمهم وورعهم استولى عليهم حب الدنيا ففسد الرعية والسلطة بفسادهم.

---

1- ولد خسال سليمان، المرجع السابق، ص 198.

2- الونشريسي، المصدر السابق، ج 2، ص 492.

3- المصدر نفسه، ج 2، الصفحة نفسها.

-الباب الثاني: دور العلماء في الحياة  
الاقتصادية في العصر السلجوقي  
-الفصل الأول: جهود العلماء في بناء  
النظام المالي في العصر السلجوقي

-الفصل الثاني: موقف العلماء من  
الموارد والمصارف في العصر  
السلجوقي

-الفصل الثالث: جهود العلماء في  
تنمية الاقتصاد وتحويل قطاعاته في  
العصر السلجوقي

-الفصل الرابع: مواجهة العلماء للفساد  
الاقتصادي في العصر السلجوقي

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يعد النظام الاقتصادي والمالي في الإسلام من النظم الإدارية الولايتية التي عرفت بالتنظيم المحكم والتدبير الحسن<sup>1</sup>، خصوصا أن المال هو محور المنظومة الاقتصادية منذ تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأضحى النظر في طرق ووسائل التعامل مع هذه الأموال التي تدخل إلى بيت مال المسلمين، من الأهمية بمكان في نظر العلماء المسلمين، إذ صارت هذه الأموال تشكل ولاية قائمة بذاتها ومن أعظم الولايات الدينية وأعمها مصلحة ونفعا للبلاد والعباد، وقد وجدت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي بكر بالمعنى العام وهو الجهة، وتطورت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصبحت مؤسسة منظمة لها أطرها وموظفوها وأماكنها وسجلاتها الخاصة بها<sup>2</sup>.

لقد عمل العلماء في العصر السلجوقي على الإشراف على فعاليات الحياة الاقتصادية، سواء على المستوى الرسمي أو المستوى الاجتماعي، مدركين أهمية النظم الاقتصادية في الاختيارات الحاسمة التي تواجه دولة الإسلام (خلافة عباسية وسلطنة سلجوقية)، من ذلك أخذ موقع المركز والتفاعل مع كل المستجدات التي تعرفها الحياة الاقتصادية، خاصة أن العصر السلجوقي قد شهد تغيرات كبيرة على جميع المستويات، فأرادوا توجيه الحياة الاقتصادية وفق أحكام الشريعة الغراء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، لذا شددوا على أن من يتولى خطة الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون من العلماء، كما تعاملوا مع عدد من المسائل الاقتصادية الجديدة التي تم استحداثها في هذا العصر، وكذلك نظروا في أحوال قطاعات الاقتصاد وعملوا على تطويرها بما يتوافق مع ذلك العصر، وأيضا تعاملوا مع مختلف الموارد والمصارف في العصر السلجوقي بما يتماشى وأحكام الشريعة، وأخيرا كان لهم مواقف متعددة من صور الفساد الاقتصادي خلال هذا العهد.

كان دور العلماء المسلمين في الحياة الاقتصادية يختلف مجالاتها، في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي، مكملا لأدوارهم في الحياة السياسية، فالسياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة يكملان بعضهما البعض، لذا يأتي دورهم في الحياة الاقتصادية ليظهر براعتهم ومقدرتهم الفائقة لكي يدلوا بدلهم في هذا المجال الحساس، تنظيرا وممارسة، فذلك كفيل بازدهار الدولة والمجتمع.

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 716.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

### -الفصل الأول: جهود العلماء في بناء النظام المالي في العصر السلجوقي

- 1- رؤية العلماء ونصرتهم إلى لصيغة المال في العصر السلجوقي.
- 2- آراء العلماء حول النظام المالي في العصر السلجوقي.
- 3- دور العلماء في تنظيم الإدارة المالية إبان العصر السلجوقي.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

إنَّ الكتابة التاريخية التي تخلو من معالجة التاريخ الاقتصادي تفتقد إلى الشمولية، وتلك التي تخلو من الإشكاليات تفتقد إلى الجدية. فالشمولية تقتضي معالجة مختلف أوجه النشاط البشري، السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي، والجدية تعني المرور في تجربة المعاناة الناتجة عن طرح إشكاليات وأسئلة صعبة ومحاولة تجاوزها في إيجاد الأجوبة الصحيحة عليها. وإذا كانت المعالجة الشمولية التي تطرح إشكاليات أساسية شرطا ضروريا، وإن كان غير كاف، للوصول إلى استنتاجات صحيحة، فإنها أيضا ضرورية لإنتاج وعي تاريخي يبلور هوية المجتمع ويحدد ماهيته<sup>1</sup>، ولعل المنطلقات الرئيسة التي تجسد التجربة التاريخية الإسلامية في النظام الاقتصادي، تتمثل في طبيعة التطورات التي عرفتتها الدولة الإسلامية حينما انتقلت من دولة مركزية واحدة إلى عدد من الدول تتقاسم هذه الرقعة الواسعة الشاسعة، فانعكس ذلك على المنظومة المالية والسياسة الاقتصادية المنتهجة من طرف كل دولة من هذه الدول، ولكن قبل ذلك ينبغي التنويه بمقدرة العلماء المسلمين على المساهمة في هندسة الفكر الاقتصادي الإسلامي الذي يندرج ضمن نسق العلوم الإسلامية بشموليتها، ويستتبع ذلك صيانة مخزون التراث الحافل بالعطاء العلمي الثري، وعلى رأسه الفكر والنظام الاقتصادي الإسلامي، الذي يظهر عظمة الفكر الإسلامي وتجسيده للمساهمة الحضارية للإسلام، ويجدد في الوقت ذاته ما انقطع من وشائج العلاقة الإيجابية بمصادر التراث<sup>2</sup>، لذا ينبغي التنقيب في أعماق التاريخ الاقتصادي الإسلامي لإظهار تلك الرؤى والأفكار والنظريات والقواعد والمبادئ التي أدلى بها العلماء المسلمون خلال العصر السلجوقي، خصوصا إذا اعتبرنا أنَّ هناك علاقة جدلية بين الاقتصاد والسياسة، يكون فيها الاقتصاد طاغيا ومهيمنًا، من خلال انعكاس تطوره على تطور الشأن السياسي<sup>3</sup>، فقد تحكم الاقتصاد في قيام الدولة السلجوقية وتطورها، وساهم في بلورة نمط الإدارة السلجوقية في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، الجامع بين القرارات السياسية المدروسة والركيزة العسكرية كأداة للحسم النهائي، وبين هذا وذاك أضحت الإقطاع العسكري أساسا محوريا في النظام الاقتصادي للدولة السلجوقية أثر على تطورها سياسيا، كما يعد أحد الإشكالات الرئيسة التي واجهت العلماء في صياغة نظرية اقتصادية إسلامية متكاملة متناسقة، ولا نستثني ارتباط الفكر الاقتصادي الإسلامي بتشريعات وأحكام الدين الإسلامي ارتباطا وثيقا انعكس في مصنفات هؤلاء العلماء الذين ضمّنوا مؤلفاتهم الفقهية مضامين ومباحث ومسائل الاقتصاد كتدبير الأموال الخاصة والعامة وطرق جمع

1- هيئة التحرير، مقدمة في إشكاليات التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي، مجلة الاجتهاد، العدد 1، خريف 1988م، بيروت، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، ص 13.

2- الحوراني ياسر، مصادر التراث الاقتصادي الإسلامي، موسوعة الاقتصاد الإسلامي في المصارف والنقود والأسواق المالية، المجلد الأول مداخل أساسية في الاقتصاد الإسلامي، ط 1، هيرندون، فرجنيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1430هـ/2009م، ص 12.

3- هيئة التحرير، المرجع السابق، ص 14.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الزكاة والخراج وبقية الموارد، وأحكام البيوع والمعاملات المالية وقوانين وأعراف التجارة وغيرها، بسبب التكوين العلمي الموسوعي لهؤلاء العلماء، فقد امتازوا بالظاهرة الموسوعية وساهموا في إرساء دعائم الفكر الاقتصادي الإسلامي، وشارك كل منهم بإسهامات اقتصادية جلية من خلال ما قدموه من مصنفات تراثية عديدة في نفس المجال الاقتصادي<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك كان التحدي كبيراً بالنسبة لهؤلاء العلماء في محاولتهم لبناء النظام المالي خلال العصر السلجوقي، وفق المنطلقات الشرعية والمقاصد الكبرى التي جاء الإسلام لتحقيقها، ومنها حفظ المال الذي يعد المقصد الخامس، وبالمقابل مراعاة التغيرات الطارئة على النظام المالي في الدولة الإسلامية من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصر السلاجقة، وكذا هيمنة الدولة التي وصلت هيمنتها إلى درجة أن صارت هي التي تملك كل شيء تقريباً من الأرض إلى المشاركة في التجارة الدولية<sup>2</sup>، لذا اجتهد العلماء في تقعيد المسائل المتعلقة بالأموال من الزاوية الفقهية المراعية للواقع دون العمل على تطويع النص القرآني والحديثي وقبولته وفق أهواء السلاطين ورجال الدولة والتجار البعيدين عن أحكام الشريعة، بل اعتماد مبدأ سد الذرائع وتفعيل نظام الحسبة والتصدي للفساد الاقتصادي بكل أشكاله، وتصنيف عدد من المصنفات التي أظهرت لنا حجم الجهود المبذول من قبلهم في بناء النظام المالي في العصر السلجوقي.

### 1- رؤية العلماء ونصرتهم إلى لصيغة المال في العصر السلجوقي:

بالرغم مما حفل به العصر السلجوقي من تغيرات جذرية على مستوى جميع الميادين، فإن نظرة العلماء إلى المال اتفقت مع النظرة الإسلامية إليه، والتي تقوم على أن الكون كله بما فيه الله تعالى، لأنه خالقه وموجده والمتصرف فيه وفق إرادته سبحانه وتعالى، ولأن الخالق للشيء هو المالك له، ولأنه تعالى نص على ملكيته للكون<sup>3</sup>، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة المائدة: 120). كما دل على ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ (سورة النور: 22)، وفي غير موضع من القرآن الكريم، مما جعل علماء العصر السلجوقي ينظرون إلى المال وفق هذا المفهوم وعلى ذلك، فالمال في الإسلام لله تعالى، وإنما الإنسان مستخلف فيه<sup>4</sup>، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: 07)، وملكية الإنسان للمال هي ملكية انتفاع عن الكسب المشروع<sup>5</sup>، قال عز وجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا

1- الحوراني ياسر، المرجع السابق، ص34.

2- هيئة التحرير، المرجع السابق، ص17.

3- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص445.

4- المرجع نفسه، ص446.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وَالنِّسَاءُ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴿النساء: 32﴾. ولم يترك الإسلام الإنسان عند حدود الكسب الحلال، بل طالبه بحسن إدارة المال واستصلاحه وتنميته بما يعود بالنفع عليه وعلى المجتمع بوصفه طاقة يستوجب استغلالها<sup>1</sup>، قال النبي صلى الله عليه وسلم: {لَا تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا ذَا عَمِلَ بِهِ}.<sup>2</sup>

إنَّ النظام المالي في الإسلام واضح المعالم، مستقل كل الاستقلال عن جميع النظم المالية العالمية، وأكثر مبادئ هذا النظام قواعد كلية كبرى أقرها القرآن، وأوضحها النبي صلى الله عليه وسلم، وجرى بها العمل في العهد النبوي، وعلى هذه القواعد الكبرى تقاس الفروع الجزئية الصغرى المستجدة تبعاً لتطور الظروف والأحداث ولا بد في جميع الأحوال من تحقيق التوازن الاجتماعي من خلال كل قاعدة كبرى وكل مسألة فرعية<sup>3</sup>. وانطلاقاً من ذلك فالمال في اللغة من مصدر مول، وهو ما ملكته من جميع الأشياء وجمعه أموال، قال ابن الأثير: المال في الأصل ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان، ويقال: تمول فلان مالاً؛ أي اتخذ قنية، وجمعه أموال<sup>4</sup>، أما الرازي فيقول: "المال من مول، ورجل مال: أي كثير المال، وتمول الرجل: صار ذا مال"<sup>5</sup>، وكذلك "المال ما ملكته من كل شيء، وأكثر ما يطلق المال عليه عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم"<sup>6</sup>، وإذا كان المال لدى العرب يطلق على الإبل، فإنه أكثر ما يطلق لدى الفلاحين على الأرض، ولدى التجار على البضائع، ولدى الناس كافة على ما يملكون من عروض ونقود<sup>7</sup>، أما اصطلاحاً فالمال في اصطلاح الفقهاء قريب منه عند أهل اللغة، ومع اختلاف عباراتهم في تعريفه، إلا أنها تتفق في جوهرها ومرادها، فعرفه الفقهاء بأنه ما يميل إليه الطبع ويمكن حيازته وإحرازه والانتفاع به<sup>8</sup>. وهناك رأي آخر يرى أنَّ الفقهاء في تعريف المال اختلفوا نظراً لتباين وجهات نظرهم في حقيقته، وذلك على مذهبين: أحدهما للحنفية، وهو أنَّ المال

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 446.

2- رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة يوم القيامة، باب يوم القيامة، رقم 2416، ج 4، ص 612.

3- صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط 1، إيران، منشورات الشريف الرضي، 1375هـ-1417هـ، ص 354.

4- ابن منظور، المصدر السابق، ج 6، ص 4300.

5- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، ج 1، طبعة جديدة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ/1995م، ص 266.

6- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، المصدر السابق، ج 30، ص 428.

7- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 445.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

عبارة عن موجود قابل للدخار في حالة السعة والاختيار، له قيمة مادية بين الناس. والثاني للشافعية والمالكية والحنابلة وهو أنَّ المال ما كان فيه منفعة مقصودة مباحة شرعا لغير حاجة أو ضرورة، وله قيمة مادية بين الناس<sup>1</sup>. وانطلاقا من ذلك، تشكل رؤية العلماء ونظرتهم إلى طبيعة المال في العصر السلجوقي إحدى أهم أسس النظام المالي والاقتصادي، ذلك أنَّ هذه الرؤية والنظرة العميقة الفاحصة تعكس تفاعل هؤلاء العلماء مع جميع مجالات الحياة الاقتصادية، وبخاصة أنَّ المال هو محور الاقتصاد ومركز الثقل فيه، وسر تكامل قطاعاته، ومن مقومات الحياة، وأحد أسباب استمرارها، وهو ضرورة للفرد وللدولة، كما أنه سبيل لمعيشة الفرد، فلا يمكنه أن يقوم بعمل من الأعمال بلا مال، يحصل من خلاله على مستلزمات وضروريات حياته، وكذلك لا يمكن للدولة تأدية واجباتها من دونه، والقيام بوظائفها والنظر في شؤون ومصالح أفرادها<sup>2</sup>. إنَّ منطلقات رؤية العلماء ونظرتهم إلى طبيعة المال، بأنه وسيلة وليس غاية، وأحد وسائل الخير في الحياة، به يتعامل الناس ويتبادلون السلع، وينفع بعضهم بعضا، فالمال خير إن استعمل كوسيلة للخير وإلا كان شرا يؤدي إلى ضرر الناس<sup>3</sup>، من ذلك أنَّ ابن الجوزي رأى أنَّ للمال شرفا ينبغي أن يعرف قدره، هذا الشرف الذي أوجب جمع المصالح وصيانة العرض عن الخلق<sup>4</sup>، ثم يضيف قائلا: "لا ينكر أن الطباع تحب المال؛ لأنه سبب بقاء الأبدان، لكنه يزيد حبه في بعض القلوب حتى يصير محبوبا لذاته لا للتوصل به إلى المقاصد..."<sup>5</sup>.

لقد اعتبر المال وسيلة وليس غاية وعاب على الذين اعتبروه غاية وبالغوا في حبه وبذل المهج في جمعه بكل الطرق والوسائل، وخاصة البخلاء منهم، كما أفرد فصلا في كتابه "صيد الخاطر" سماه (نعم المال الصالح للرجل الصالح) بين فيه دور المال الصالح في حياة الصالحين من العلماء وأهل الفضل والورع والخير، وكيف يعين المال الصالح المكتسب من الوجوه المشروعة، الرجل الصالح على تكاليف الحياة<sup>6</sup>.

1- نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، ط1، دمشق، دار القلم، 1429هـ-2008م، ص388، فريدة حسني طه ظاهر، الرقابة على السلع والأسعار في الفقه الإسلامي، مذكرة للحصول على درجة الماجستير في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2011م، ص09.

2- قرومي حميد، الموازنة العامة لبيت المال (دراسة مقارنة مع الموازنة العامة في الاقتصاد الوضعي)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الاقتصادية- فرع التحليل الاقتصادي-، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، 2008م-2009م، ص04.

3- المرجع نفسه، ص06.

4- صيد الخاطر، تحقيق عامر بن علي ياسين، ط1، الرياض، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، 1418هـ/1997م، ص503.

5- المصدر نفسه، ص481.

6- المصدر نفسه، ص613-634.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أما أبو حامد الغزالي فقد اعتبر المال أعظم أركان الدنيا<sup>1</sup>، ثم يضيف قولاً آخر يبرز فيه رؤيته لطبيعة المال "...ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله، حتى يكشف لك أنه خير من وجه وشر وجه، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض ولا هو شر محض، بل هو سبب للأمرين جميعاً..."<sup>2</sup>. في حين يرى أبو الحسن الماوردي أنَّ المال ظل زائل، وعارية مسترجعة، وليس في كثرته فضيلة، ولو كانت فيه فضيلة لخص الله تعالى به من اصطفاه لرسالته، واجتباه لنبوته، وقد كان أكثر أنبياء الله تعالى مع ما خصهم الله به من كرامته، وفضلهم على سائر خلقه فقراء لا يجدون بلغة، ولا يقدرُونَ على شيء، حتى صاروا في الفقر مثلاً<sup>3</sup>. كما أنَّ "المال يحصل من وجهين: أحدهما منسوب إلى الجد المحض والبخت الصرف من غير اكتساب من صاحبه كمن ورث مالا أو وجد كنزاً أو قبض الله له من أولاده شيئاً، والثاني أن يكتسب الإنسان كمن يشتغل بتجارة أو صناعة فيدخر منها مالا"<sup>4</sup>.

إنَّ هذه الأقوال تعكس لنا الأهمية الكبيرة والمكانة الرفيعة التي بلغها المال عند العلماء، الذين بالرغم من غلبة هموم الآخرة على حياتهم وانشغالهم بالعلم والتفتيش عن مسائله، إلا أنهم اهتموا كذلك بالمال، اكتساباً وتنمية، وأبرزوا للناس بمختلف فئاتهم وشرائحهم ومنازلهم، أثره في حياتهم، سواء من خلال جهودهم النظرية أو عن طريق ممارستهم العملية، فأضحى في نظرهم قوام الدين والدنيا<sup>5</sup>، إذ "جعل الله المال سبباً لحفظ البدن، وحفظه سبباً لحفظ النفس التي هي محل معرفة الله والإيمان به تصديق رسله، وهو قوام العبادات والطاعات، فبه قام سوق الحج، والجهاد، وبه حصل الإنفاق الواجب والمستحب، وبه حصلت قربات العتق والوقف وبناء المساجد والقناطر، وبه يتوصل إلى النكاح الذي تحصل به العفة، وعليه قام سوق المروءة، وبه ظهرت صفة الجود والسخاء، وبه وقيت الأعراض، واكتسب الإخوان والأصدقاء، وبه توصل الأبرار إلى الدرجات العلى، فقد كان بعض السلف يقول، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال"<sup>6</sup>. وهذا ما سيتأكد معنا من خلال آرائهم حول النظام المالي إبان العصر السلجوقي.

1-الإحياء...، المصدر السابق، ص1137.

2-المصدر نفسه، ص1138.

3-أدب الدين والدنيا، تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط1، بيروت، دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1434هـ/2013م، ص79.

4-الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط1، بيروت، 1400هـ/1980م، ص277-278.

5-عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص447.

6-ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ط3، القاهرة، دار البيان للتراث، 1408هـ/1988م، ص310-311.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**2-آراء العلماء حول النظام المالي في العصر السلجوقي:** يعد النظام المالي أحد أهم الركائز التي تقوم عليها الدولة الإسلامية منذ تأسيسها في العهد النبوي وحتى عصر الدراسة، حيث شهد عددا من التطورات والتغيرات عبر الدول الإسلامية التي حكمت أقاليم العالم الإسلامي، لذا عمل العلماء على الإسهام بقسط وافر من خبراتهم في رسم معالمه وبناء مؤسساته وتطويرها وتوجيه مساره حتى لا يجرد عن الأصول التي أقرها النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين من بعده، وتعددت هذه الإسهامات من قبل علماء العصر السلجوقي، نظرا لما عرفه هذا العصر من مستجدات في النظام المالي ومؤسساته، بين المواقف الصريحة التي تستدعي حضورا مستمرا أو عن طريق المؤلفات والمصنفات في هذا المجال التي تبرز آراءهم بشكل أكثر وضوحا.

يعرف النظام المالي الإسلامي بأنه: "النظام الخاص بإيرادات ونفقات الدولة في إطار نصوص ومقاصد الشريعة الإسلامية، بما في ذلك الجهات والإيرادات التي تنظم استثناء وإنفاق هذه الإيرادات والنفقات وله أهدافا وسيطة لتحقيق أهداف النظام الاقتصادي الإسلامي، وله خصائص وعناصر ثابتة لا تتغير، وعناصر أخرى متغيرة بسبب الزمان والمكان..<sup>1</sup>، وهناك تعريف آخر للنظام المالي الإسلامي "مجموعة من الأحكام الشرعية التي وردت في القرآن الكريم، والسنة النبوية، فيما يتعلق بالأموال وكيفية الحصول عليها وطرق ذلك وكيف التصرف فيها. أي: بالمالية العامة وكيفية جباية الإيرادات العامة من مصادرها المختلفة والمتعددة، وكيف يتم إنفاقها وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية..<sup>2</sup>."

شكل إمام الحرمين أَمْوَدَجًا لعالم موسوعي أدلى بدلوه في علوم الشريعة، كما انصرفت همته إلى التأليف في السياسة الشرعية، حيث تطرق في كتابه "الغياثي" إلى القواعد والأسس والضوابط والنصائح والتوجيهات والإرشادات التي يتقيد بها الحاكم المسلم ويتخذها نبراسا في حكمه وتسييره للدولة الإسلامية، ومن هذه الأمور، آراؤه في إقرار وهندسة نظام مالي متكامل يسير عليه سلاطين ووزراء الدولة السلجوقية، محاولا وضع بصمته في إصلاح النظام المالي، أو على الأقل الدفع بأولي الأمر إلى الالتزام بمنهج الشريعة في تسيير وإدارة الأموال.

---

1- أبو الفتوح نجاش عبد العليم، مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، ص39، نقلا عن فهد مطر المطيري، التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني (247هـ-334هـ)، أطروحة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، 2015م-2016م، ص188.

2- غازي عناية، المالية العامة والنظام المالي الإسلامي، ص21، نقلا عن مصطفى غازي مصطفى بدور، التاريخ الاقتصادي للدولة المملوكية (648هـ-923هـ/1250م-1517م)، أطروحة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، 2015م-2016م، ص165.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أهدي الكتاب إلى نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان الذي يلقب بغياث الدولة، ومنه اشتق اسم الكتاب، ويعالج الكتاب بشكل عام السياسة الشرعية الممثلة بسياسة الحكم، وفي المجال الاقتصادي يعرض الكتاب واجبات الدولة وسياساتها في التوظيفات، المالية والقروض وموارد بيت المال ونفقاته، ويوضح أهمية حقوق الأموال المملوكة، وصيانتها، وإمكانية التعزيز بمصادرة الأموال والاستيلاء عليها، وكذلك يناقش الأبعاد المالية للحاجات وحدودها وضوابطها وآثارها الخاصة في السياسة المالية للأفراد وآثارها العامة في سياسة الدولة<sup>1</sup>.

يحصّر الجويني الأموال التي ينظر فيها السلطان وتمتد يده إليها في صنفين:

-الأول: ما تتعين مصارفه؛ كالزكوات وأربعة أخماس الفيء، وأيضاً أربعة أخماس خمس الفيء.

-الثاني: ما لا يتخصص بمصارف مضبوطة، بل يضاف إلى عامة المصالح؛ خمس خمس الفيء، وخمس خمس الغنيمة، وينضم إليها تركة من مات من المسلمين ولم يخلف وارثاً خاصاً، وكذلك الأموال الضائعة التي أيس من معرفة مالكها<sup>2</sup>.

يقدم الجويني للسلطان مثالا واقعيا للأموال التي يتم تحصيلها لبيت مال المسلمين، ويشرف عليها السلطان بنفسه، فبين له الصنف الأول الذي يتم جمعه ولا يحق للسلطان التصرف فيه لأن مصارفه ووجوه إنفاقه والفئات التي يشملها مبينة في القرآن والسنة ومجمع عليها من قبل الفقهاء، أما الصنف الثاني فيمكن للسلطان التصرف فيه ولكن دون الاستئثار به، بل يفسح له المجال في اختيار وتعيين الوقت والأماكن والفئات التي تستفيد من هذا المال. يوكل إمام الحرمين مهمة حفظ الأموال للسلطان، ويضيف إليه كذلك السعي والعمل الجاد على سد الحاجات والخصاصات ويعدها من أهم المهمات، كما أوكل إليه القيام بتحصيل الزكاة، يقول في ذلك: "إذا بنينا على غالب الأمر في العادات وفرضنا انتفاء الزمان عن الحوائج والعاهات وضروب الآفات، ووفق المشرون الموسرون لأداء الزكوات، انطبقت فضلات أموال الأغنياء على أقدار الحاجات. وإن قدرت آفة وأزم وقحط وجذب، عارضه تقدير رخاء في الأسعار تزيد معه أقدار الزكوات على مبالغ الحاجات، فالوجه استحاث الخلق بالموعظة الحسنة على أداء ما افترض الله عليهم في السنة. فإن اتفق مع بذل المجهود في ذلك فقراء محتاجون لم تف الزكوات بحاجاتهم، فحق على الإمام أن يجعل الاعتناء بهم من أهم أمر في باله، فالدنيا بحذاقيها لا تعدل تضرر فقير من فقراء المسلمين في ضرر، فإن انتهى نظر الإمام إليهم، رَمَّ ما استرام من أحوالهم..."<sup>3</sup>، يضاف إلى ذلك فقد حمل المسؤولية الكاملة للأغنياء في القيام بواجبهم اتجاه الفقراء، في

1- الحوراني ياسر، المرجع السابق، ص 65.

2- الغياثي...، المصدر السابق، ص 342-343.

3- المصدر نفسه، ص 362-363.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

حالة عدم نظر السلطان في أحوالهم<sup>1</sup>، كما يعود في باب من أبواب كتابه "الغياثي" للحديث عن الأموال التي يتصرف فيها السلطان، فهو يعتبرها مالا عاما مرصودا للمصالح، وتشمل خمس خمس الفيء وخمس خمس الغنيمة، وما يخلفه مسلم ليس له وارث خاص، ومال ضائع للمسلمين لا يعرف مالكه ومستحقه، ثم يبين أنَّ مصارفها مقررّة عند الفقهاء، وقد كثر فيها الاختلاف، ومسالك الظنون، والإمام يرى فيه رأيه، وإن اعتاصت مسألة أجال فيها فكره، وردّد نظره، واستضاء برأي العلماء، فإذا غلب ظنه مضى قدما، وأمضى مقتضى رأيه<sup>2</sup>.

نستنتج من كلام الجويني أنَّ إيرادات الدولة الإسلامية تتحصل من أمرين:

- الأول: إيرادات ثابتة تتمثل في أموال الزكاة والصدقات والمغانم وأموال الفيء وأموال الخراج والعشور والجزية.
- الثاني: إيرادات غير ثابتة، تتمثل في الأموال الضائعة التي يئس من معرفة ملائكتها وأموال من فارقوا الحياة، ولم يخلّفوا وارثا، والأموال الموظفة على الأغنياء وقت الحاجات<sup>3</sup>.

ويستمر الجويني في حصره للأصناف التي يلتزم السلطان بإنفاذ الأموال المرصودة للمصالح، فيجعلها ثلاث:

- 1-صنف المحتاجين، هؤلاء على السلطان أن يسد حاجاتهم، إذ معظمهم مستحق للزكاة، ويندرجون ضمن الآية المشتملة على ذكر أصناف المستحقين، وللمساكين استحقاق في خمس الفيء، والغنيمة كما يفصلها الفقهاء.
- 2-أما الصنف الثاني فهم أناس يخدمون الإسلام ودولته، إذ بذلوا أنفسهم وأوقاتهم لهذه المهمة الكبيرة، وينقسمون بدورهم إلى صنفين:

-أحدهما؛ المرتزقة وهم نجدة المسلمين وعدّتهم، ووزرهم وشوكتهم، فينبغي أن يصرف إليهم ما يرم خلّتهم، ويسد حاجتهم، ويستعقّوا به عن وجوه المكاسب والمطالب، ويتهيؤوا لما رشحوا به، وتكون أعينهم ممتدة إلى أن يندبوا، فيخفوا على البدار، وينتدبوا من غير أن يتناقلوا، ويتشاغلوا بقضاء أرب وتمهيد سبب.

-ثانيهما؛ الذين انتصبوا لإقامة أركان الدين، وانقطعوا بسبب اشتغالهم واستقلالهم بها عن التوسل إلى ما يقيم أودهم، ويسدّ خلّتهم، ولولا قيامهم بما لا بسوه، لتعطلت أركان الإيمان. فعلى الإمام أن يكفيهم مؤنهم، حتى يسترسلوا فيما تصدوا له بفراغ جنان، وتجرد أذهان، وهؤلاء هم: القضاة، الحكام، والقسّام، والمفتون، والمتفقّهون وكل من يقوم بقاعدة من قواعد الدين، يلهمه قيامه عما فيه سداده وقوامه<sup>4</sup>.

1-الغياثي...، المصدر السابق، ص363.

2-المصدر نفسه، ص369.

3-الزبداني عمر أنور، السياسة الشرعية عند الجويني قواعدها ومقاصدها، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص365.

4-الغياثي...، المصدر السابق، ص370-371.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يقوم السلطان بالإنفاق على المرتزقة من أربعة أخماس الفيء، كما ينفق على أصحاب الخطط الدينية من أموال المصالح.

3-الصنف الثالث هم بنو هاشم وبنو عبد المطلب، المسمون في كتاب الله ذا القربى، حيث تصرف إليهم طائفة من مال بيت مال بالرغم من غناهم وكفايتهم<sup>1</sup>.

ينتقل بعد ذلك للحديث عن مسألة أخرى في باب الإنفاق على هذه الأصناف الثلاثة، هي الأموال التي تبقى بعد إنفاذ عطاياهم وجراياتهم، حيث يرى ضرورة تفريقها جميعاً، من ذلك توزيع ما فضل من أخماس الفيء على المرتزقة على قدر أعطيتهم وأقساطهم، والأمر ذاته ينسحب على مستحقي الزكاة<sup>2</sup>.

وفي نفس السياق يعتبر المال المرصد للمصالح معداً لكل مصلحة ليس لها على الخلو والخصوص مال، وكل مصرف قصر عنه المال المعد له، فمال المصالح يستتمه ويستكمله، ولو فرض زوال الحاجات وارتفاع الضرورات، كما يؤيد الذين يرون ضرورة صرف ما فضل من هذا المال إلى بناء الرباطات والقناطر والمساجد وغيرها من جهات الخير. مما يعني أنه لا يبقى في منقرض كل سنة في بيت المال مال، ويرتب في استقبال السنة المنتظرة أموالها. وبالمقابل يجعل للسلطان فسحة في ادخار جزء من المال المرصد للمصالح، لإنفاقه لإعداد الجيوش، من أجل قتال الكفار، رغم بعد ديارهم، درءاً لخطرهم ورداً لهجومهم، فلا معول على مملكة لا معتضد ولا مستند لها من الأموال، ويختم كلامه بسؤال استنكاري هو: إذا كان منصب الإمام القوام على طبقات الأنعام مقتضياً أن يتحرى الأصلح فالأصلح، فكيف يليق بنظر ذي تحقيق أن يبدد الأموال في ابتناء القناطر والدساكر، ويترك ما هو ملاذ العساكر؟<sup>3</sup>.

لقد قام الجويني بتتبع التطورات المالية التي مرت بها الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهود الخلفاء الراشدين، مستقصياً المبررات التي دفعت بهم إلى عدم الادخار وبناقشها في الوقت نفسه<sup>4</sup>، ليصل إلى عصره الذي اتسعت فيه خطة الإسلام، وهي على الازدياد والحمد لله على ممر الأيام، ولكل زمان رسمه وحكمه - كما يقول - ونحن على ارتحال من عقولنا نعلم فيما نمضي ونحكم أن صاحب الأمر لو لم يجعل الاستظهار بالادخار أكثر همه عند الإيثار، واطراد أسباب الاختيار لعظم الفتق، وعسر الرق، وأفضى الأمر إلى عظام لا يحيط بها مجاري الأفكار<sup>5</sup>.

1-النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، الغياثي...، المصدر السابق، ص371.

2-المصدر نفسه، ص371-372.

3-المصدر نفسه، ص372-373.

4-المصدر نفسه، ص374-376.

5-المصدر نفسه، ص377.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يعرج الجويني بعد ذلك لتناول قضية هامة، تتمثل في خلو بيت مال المسلمين من الأموال، وكيفية التصرف مع هذا الوضع، حيث يقول في ذلك: "... فالغرض ذكر ما تقتضيه الإيالة الشرعية، والسياسة الدينية فيه، إذا صفرت يد راعي الرعية عن الأموال والحاجة ماسة. فليت شعري كيف الحكم/ وما وجه القضية...<sup>1</sup>"، ثم يبدأ في سبر أغوار هذه القضية بوضع احتمالين لها هما: -إن ارتقب الإمام حصول أموال في الاستقبال، ضاع رجال القتال؛ وجرّ ضياعهم أسوأ الأحوال. -إن استرسل في مد اليد إلى ما يصادفه من مال، من غير ضبط، أفضى إلى الانحلال، والخروج عن قضايا الشرع في الأقوال والأفعال. هذين الاحتمالين سينجر عنهما خطبين عظيمين، أحدهما تعريض الخطة للضياع، والآخر أخذ أموال من غير إسناد استحقاقه إلى مستند معروف مألوف، وكعادته يضع الجويني الفرضيات ويبحث عن الحلول، من خلال جملة من الآراء والرؤى و الطروحات والأحكام الفقهية والترجيحات التي أوردها حول قضية خلو وفراغ بيت مال المسلمين من الأموال والتداعيات الناتجة عن ذلك، حيث يحصرها في ثلاثة أمور هي:

- 1- أن يطأ الكفار -والعياذ بالله- ديار الإسلام.
  - 2- ألا يطؤوها، ولكننا نستشعر من جنود الإسلام اختلالا، ونتوقع انحلالا وانفلالا، لو لم نصادف مالا، ثم يترتب على ذلك استجراء الكفار في الأقطار، وتشوفهم إلى وطء أطراف الديار.
  - 3- أن يكون جنود الإسلام في الثغور والمراصد على أهب وعتاد، وشوكة واستعداد، لو وقفوا، ولو ندبوا للغزو والجهاد، لاحتاجوا إلى ازدياد في الاستعداد، وفضل استعداد، ولو لم يمدوا، لانقطعوا عن الجهاد<sup>2</sup>.
- وانطلاقا من ذلك يبدأ الجويني في بسط الكلام عن كل واحد من هذه التداعيات المحتملة لخلو بيت مال المسلمين من الأموال، فقد استهل كلامه بمعالجة خطر غزو الكفار لدار الإسلام قائلا: "... ولا يحل في الدين تأخير النظر للإسلام والمسلمين إلى اتفاق استجراء الكافرين. ولو فرض في مثل هذه الحال توقّف وتمكّث، لانحل العصام، وانتشر النظام، والدفع أهون من الرفع، وأموال العالمين لا تقابل غائلة وطأة الكفار في قرية من قرى الديار، وفيها سفك دم المسلمين، أو امتداد إلى يد الحرم...<sup>3</sup>"، محاولا الموازنة بين النفقات المالية للدولة الإسلامية في زمن السلم والموادعة مع الكفار، وبين نفاذ الأموال وحدوث طارئ غزو الكفار لأرض المسلمين، لذا قرر أنه على المسلمين التصدي لهم بأنفسهم وأموالهم التي اعتبرها لا تساوي سفك دماء المسلمين وانتهاك أعراضهم، وبالمقابل يعطي الحل المناسب لهذه الحالة بقوله: "... والذي أختاره قاطعا به أن الإمام يكلف

1- النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، الغياثي...، المصدر السابق، ص377.

2- المصدر نفسه، ص378.

3- المصدر نفسه، ص380.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الأغنياء من بذل فضلات الأموال ما تحصل به الكفاية والغناء؛ فإن إقامة الجهاد فرض على العباد، وتوجيه الأجناد على أقصى الإمكان والاجتهاد في البلاد محتوم لا تساهل فيه. وما أقرب تقاعدنا عنهم إلى مسيرهم إلينا، واستجرائهم علينا...<sup>1</sup>، ليصل بعدها لطرح سؤال مهم هو: فإن قيل؛ قد ذكرتم أنه تمتد يد الإمام إلى أموال الموسرين عند المهم بتجهيز الأجناد إلى الجهاد، فما قولكم فيه إذا كان مع المرتزقة كفايتهم وعدّتهم، في إقامتهم ونحضتهم ومرابطتهم وغزوتهم، في أوأنا وإبأنها، ولكن خلا بيت المال أو كاد أن يخلو، وخاف الإمام غائلة هائلة من خلو بيت المال عند عكرة الكفار، أو دبرة على المجاهدين؟<sup>2</sup>.

يجيب إمام الحرمين على هذا السؤال من عدة زوايا، من بينها أنه على السلطان استعمال الأموال المدخرة للإعداد للجهاد وجمع الرجال وترتيب الجيوش وشحن الثغور، يضاف إلى ذلك أنّ معظم أموال بيت المال مما تحويه أيدي المسلمين من أموال الكافرين. فإذا انقطع الجهاد، انقطع بانقطاعه وجوه الأموال التي تنصب إلى بيت المال، وينجر عنه اختلال عظيم سيؤثر على الإعداد لمواجهة العدو<sup>3</sup>، باستثناء إذا كان جنود الإسلام مشمرين للجهاد، فالوجوه التي منها تنتظم الأموال غير منحسمة، والأحوال متسقة منتظمة، فيبعد تنجيز التعرض لأموال الناس لأمر مقدر على نأي وبعد، ثم بعد ذلك يجعل السلطان بين أمرين؛ أحدهما - إن وقع نظره في الانكفاف عن الأموال، التزم مصير الإسلام إلى أسوأ المصائر والأحوال، والآخر - إن استرسل في إطلاق الأيدي في الأموال من غير اقتصاد، انتصب إلى إحداث مطالبات كلية، لا أصل لها في القضايا الشرعية<sup>4</sup>.

هذه الإجابة لم تشف غليل إمام الحرمين في هذه المسألة، بل استرسل في تفصيلها وتحليلها حتى حسم فيها الموقف وقلّب فيها النظر وأجال فيها الفكر، واستشهد بالآراء، وختم الحديث عنها قائلاً: "فإن رأى إذا وقعت واقعة عامة، وداهية مطبقة للخطة طامة، ومست الضرورات في دفاعها إلى عدة، ومادة من المال تامة، ويد الإمام صافرة، وبيوت الأموال شاغرة أن يتسبب إلى استيلاء مال من موسري المؤمنين، فإنه يفعل من ذلك على موجب الاستصواب ما أراد، وعمّم أهل الاقتدار واليسار في أقاصي البلاد، ورتب على كل ناحية في تحصيل المراد، ذا كفاية، ودربة وسداد...<sup>5</sup>"، ثم عطف هذا القول بكلام آخر يقول فيه: "وأنا أقول الآن: لست أمنع الإمام من الاقتراض على بيت المال، إن رأى ذلك استطابة للقلوب، وتوضلاً إلى تيسر الوصول إلى

1- الغياثي...، المصدر السابق، ص380.

2- المصدر نفسه، ص381.

3- المصدر نفسه، ص382.

4- المصدر نفسه، ص383-384.

5- المصدر نفسه، ص388.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

المال، مهما اتفقت واقعة وهجمت هائعة<sup>1</sup>، وفي الختام يؤكد على ضرورة أنه إذا أملت ملّة واقتضى إمامها مالا، فإن كان في بيت المال مال، استمدت كفايتها من ذلك المال، وإن لم يكن في بيت المال مال نزلت على أموال كافة المسلمين. فإذا كفيت من أموالهم، فقد انقضت وانقطعت تبعاتها، وعلائقها، فإذا حدث مال، تهيأ ما حدث للحوادث المستقبلية<sup>2</sup>.

يستطرد أبو المعالي في تناول جانب آخر من قضية خلو بيت المال من الأموال، يتمثل في نفقات عساكر وجنود الإسلام الذين يناط بهم وظيفة المدافعة والمراقبة على ثغور العدو، وهم أصناف وأنواع؛ فمنهم مندوبون لنفض حريم البلاد عن المتلصصين ذوي العرامة، ومنهم متصرفون في البلاد لردع النابغين من أهل الفساد، والزائغين عن منهاج السداد، ومنهم مرتبون في مرابطة الحصون والقلاع، وآخرون في المضايق والمراصد، والنجدة الكبرى محتشون بالإمام، وبأمراء الأجناد في البلاد<sup>3</sup>، كما يؤكد أن أموال الغنائم والفبي لا يمكن لها أن تغطي جميع النفقات والمصاريف في الدولة الإسلامية، بسبب عدم استمرارها وتواصلها وثباتها، مركزا في الوقت ذاته بأن الغنائم ليست هي الهدف، بل الغاية هي إعلاء كلمة الله تعالى، فلا يليق بمحاسن الشريعة أن تجعل بذل المهج والتغريب بالأرواح إلى تحصيل المغنم ذريعة<sup>4</sup>. وعلى ضوء ذلك "لا بد من توظيف أموال يراها الإمام قائمة بالمؤمن الراتب، ومدانية لها، وإذا وظف الإمام على الغلات والثمرات ضروب الزوائد والفوائد من الجهات يسيرا من كثير، سهل احتمالها، ووفر به أهب الإسلام وماله، واستظهر رجاله، وانتظمت قواعد الملك وأحواله"<sup>5</sup>، ومع ذلك يفتح إمام الحرمين النقاش مرة أخرى مستشهدا بما قام به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فرض الخراج على أراضي العراق، وكذلك قول الشافعي حول خراج هذه الأراضي، ثم يؤكد دوما على أنه "إذا مست الحاجة إلى استمداد نجدة الدين وحرسه المسلمين من الأموال، ولم يقع الاجتزاء والاكتفاء بما يتوقع على المغيب من جهة الكفار، وتحقق الاضطراب، في إدانة الاستظهار، وإقامة حفظ الديار إلى عون من المال مطرد دار، ولو عين الإمام أقواما من ذوي اليسار، لجر ذلك حزازات في النفوس، وفكرا سيئة في الضمائر والحدوس. وإذا رتب على الفضلات والثمرات والغلات قدرا قريبا، كان طريقا في رعاية الجنود والرعية مقتصدة مرضية..<sup>6</sup>"، محذرا في الوقت ذاته الإمام/السلطان، أن يمد يده إلى أموال أهل الإسلام ليبتي بكل ناحية

1- الغياثي...، المصدر السابق، ص 391.

2- المصدر نفسه، ص 392.

3- المصدر نفسه، ص 394.

4- المصدر نفسه، ص 395.

5- المصدر نفسه، ص 396.

6- المصدر نفسه، ص 397.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

حرزا، ويقتني ذخيرة وكنزا، ويتأثّل مفخرا وعزّا، ولكن يوجه لدرور المؤمن على ممر الزمن ما سبق رسمه، فإن استغنى عنه بأموال أفاءها الله على بيت مال المسلمين، كفّ طلبته عن الموسرين<sup>1</sup>؛ ذلك أنّ تحذيره لولاة الأمور من أخذ أموال الناس لتحقيق مآرب شخصية، يعدّ تعديا على أموال الناس وانتهاكا فاضحا لحدود الله، بالرغم أنّ الجويني مخالف لمذهب القائلين بأن ما يأخذه الإمام من الأموال لسد حاجات بيت المال إنما يكون على سبيل الاقتراض، ولكنه يعود ليقرر ما يفيد تراجع عن هذا الرأي؛ صيانة لأموال الناس، واحتراما لها<sup>2</sup>.

يرى أحد الباحثين بأنّ الجويني أجرى مقارنة بين ما قدمه في هذا الجانب من السياسة الشرعية وبين عمل الماوردي، الذي عرض مسائل السياسة الشرعية المالية بطريقة كلاسيكية تجميعية لآراء فقهاء المذاهب، وأغفل المستجدات التي واجهت متطلبات الدولة الإسلامية في نموها الطبيعي، وتجلّى ذلك في عرضه لموارد الدولة الإسلامية، حيث اقتصر على الموارد المعتادة، في حين أنّ الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، كانت تتطلب الاجتهاد في تعيين موارد أخرى، إنقاذا للدولة من أزمتها الاقتصادية وحتى لا يترك الأمر في أيدي الولاة والساسة يتصرفون بغير ضوابط شرعية في أموال الرعية، وعلى ضوء ذلك كان هم الجويني كبيرا، حيث اتجه نحو التنظير لسياسة دولة لم يعد الفقه المالي العادي يتسع لاحتياجاتها وأولوياتها، وأظهر الجويني في نظيراته هذه أنه ليس عالما في الشريعة؛ بل لديه اطلاع واسع على الاقتصاد والسياسة والاجتماع، واستغل كل هذه المعارف الشرعية والخبرات الميدانية في إعطاء صورة واضحة تبين من خلالها ضرورة إضافة موارد أخرى للدولة الإسلامية تتماشى والظروف الاقتصادية والسياسية المستجدة والمتوقعة<sup>3</sup>.

وعليه فقد "استخدم الجويني مقاصد الشريعة العامة كبديل عن المنهج الأصولي القديم لإيجاد مخرج سياسي شرعي لحل الأزمات المالية المتوقعة التي تعترض الدولة الإسلامية في نموها الطبيعي، وهذا في ظل ظروف سياسية واقتصادية كانت تسود في عصره"<sup>4</sup>.

ومن العلماء الذين اهتموا بالنظام المالي الإسلامي، العالم الفقيه قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي الذي أبدى رأيه في كيفية تدبير الأموال، من خلال كتابه "نصيحة الملوك"، فقد عنون الباب الثامن بـ "التدبير في الأموال"، حيث استقصى لنا الخطوات والطرائق المتبعة في تدبير الأموال على شكل نصائح صاغها للسلطين

1- الغياثي...، المصدر السابق، ص398.

2- الزيداني عمر، المرجع السابق، ص261-262.

3- بن حزم الله الطيب، أثر إمام الحرمين الجويني في الفقه الإسلامي (الدستوري، المالي والجناحي)، مجلة البحوث والدراسات، العدد 07، السنة السادسة، محرم 1430هـ/يناير 2009م، إصدارات المركز الجامعي بالوادي، الجزائر، ص227.

4- المرجع نفسه، ص232.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والملوك ليتخذوها نبراسا يستضيئون به في إدارة الدولة، واستهلها بقوله: "فنقول وبالله التوفيق إذ فرغنا من ملح التدبير في أبواب السياسات الثلاث، أوجب حق الترتيب أن نتبعه باب التدبير في الأموال، لأن الله تبارك وتعالى جعلها قواما للأبدان، وتلوا للأنفس، وسببا لبقاء الأجسام، وحياة للبشر، وآلة لطلب المعالي، وأداة لنيل الأماني، وزينة للحياة الدنيا، وطريقا إلى النجاة في الآخرة والأولى"<sup>1</sup>، ثم يستطرد في إظهار أهمية المال ودوره في مناحي الحياة، مستشهدا بعدد معتبر من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، متحدثا في الوقت نفسه عن مضامينها والأحكام المتعلقة بالتبذير والإسراف والبخل والتقتير، حيث بسط فيها القول وشرحها شرحا مفصلا، ودعم ذلك بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين والعلماء والحكماء<sup>2</sup>، وبعدها يبدأ في تبيان كيفية تدبير الأموال، إذ يرى أن من حسن التدبير في المال لمن سلك فيه المذهب القويم والطريق المستقيم، أن لا يؤخذ أصل المال ولا يؤثّل-أي اتخاذ أصل المال-ولا يثمر إلا من حلّه، وأن ينفق منه قدر ما يحتمله رأس المال، فإن النفقة إذا جاوزت وفاقت التمييز لم تلبث أن تضر بيت المال وتنفده، وكذلك إذا ساوى الدخل والخرج<sup>3</sup>.

يحصّر الماوردي مداخل بيت مال المسلمين في الفيء والغنائم والخراج والعشور والجزية، التي هي تحت تصرف الملوك والأمراء، كما يبين أن الله سبحانه وتعالى قد وضع سبلها وأبان عن طرقها ووضعها مواضعها<sup>4</sup>، في الآية

الكرمية ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي

الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَارْمَنَ السَّبِيلِ﴾ (التوبة: 60)، ويعرج بعدها إلى الكلام على هذه المداخل وطرق إنفاقها في وجوها كما يلي:- يؤكد بأن السنة في صدقات السوائم والعشور والأخماس وكل ما في باب الصدقات، أن تقسم على الفئات الذي ذكرتها الآية الكريمة، باستثناء فئة المؤلفة قلوبهم، لأن الله قد أغنى عنهم ورفعهم بعز الإسلام وظهور الحق، وكذلك العاملون على مقدار الكفاية، ويمنع عنها آل الرسول صلى الله عليه وسلم والأغنياء الموسرين والملوك المقتدرون<sup>5</sup>.

-يعتبر الفيء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أحدهما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم فكان له خاصة، والثاني هو ما يفيء من أموال الكفار على المسلمين من غنيمة أو جزية أو خراج، فهذا يعطى منه ذوي القرى-وهم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم-قدر كفايتهم، في حين يصرف شطر منه في نوائب المسلمين؛ من

1- الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1403هـ/1983م، ص227.

2- الماوردي، المصدر السابق، ص227-237.

3- المصدر نفسه، ص237.

4- المصدر نفسه، ص245.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

سلاح وكراع وأعطيات الجيوش، ويعطون مقدار كفايتهم، وإن تبقى منه شيء يتم صرفه إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، مع الأخذ بعين الاعتبار حالة العجز المالي التي سمح فيها الماوردي للإمام/السلطان بأن يجعل هذا المال كله في باب واحد، إذا مست الحاجة ودعت الضرورة، أما العاملين عليها فليس لهم إلا مقدار القوت اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>.

-يشير إلى ضرورة تتبع هذه الفئات في كل بلد ومصر وصقع من دار الإسلام، ولا ينقل منه إلى غيره حتى تزاح عللهم ويعطى فقراؤهم كفايتهم، ويحمل أبناء السبيل منها إلى بيوتهم، وتفك رقابهم التي أسرت في عدوهم ويؤدى عن غارمهم، فإن استغنى عنه أهل بلد في وقت من الأوقات فاحتاج إليه بلدان أخر حمل إلى أقرب البلدان إليه فتزاح عللهم ثم على هذا الترتيب حتى تزاح العلل التي في ذلك الوجه كلها ويسد الخلل. فإن فضلت فضلة تحمل إلى بيت المال الذي عند الإمام<sup>2</sup>.

يخلص الماوردي في الأخير إلى تحذير الإمام/السلطان من خلال ما ساقه من آراء في تدبير الأموال، بأن ينظر لنفسه في هذه الأمور، وليعلم أن كل فقير في الإسلام وغارم وابن سبيل وأسير وغازي في سبيل الله ومساكين- خصماؤه عند من لا يظلم مثقال ذرة وما هو بظلام للعبيد. كما يقدم له النصح ويطلب منه أن يكون واسع الصدر في إنفاق هذه الأموال على مستحقيها/مبشرا إياه بالجنة، وبالمقابل يخوفه بالإثم والعار وعذاب النار وسوء الدار إن صرف تلك الأموال في غير مستحقيها ووجوهها، ثم يهيب به إن رغب بالمال الكثير، بالبحث عن السبل المعلومة والأسباب المعروفة لطلب الأموال، فهي أطيب مأخذا وأحمد عاقبة، فلا يعوزه المال من تلك الجهات إن طلبه، ولا يتعذر عليه إن اكتسبه من تميز القليل وإدراك الجليل مما قدره الله له<sup>3</sup>.

من خلال آراء إمام الحرمين أبي المعالي في كتابه الغياثي، والماوردي في كتابه نصيحة الملوك، يمكن القول إن هذين العاملين تمكنا من إبراز أهم المرتكزات والأسس الذي يقوم عليها النظام المالي خلال العصر السلجوقي، إذ انطلقا من جملة التطورات والتغيرات والتحسينات التي طرأت على جوهر وطبيعة النظام المالي الإسلامي منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى غاية عصر السلاجقة، واستطاعا مجمعا بين كل ذلك وبين العصر الذي عاشا فيه، وبالتالي أسسا معا لفكر اقتصادي ومالي يتأقلم مع عصرهما ويتناسب معه.

1- الماوردي، المصدر السابق، ص246.

2- المصدر نفسه، ص247.

3- المصدر نفسه، ص248-249.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**3- دور العلماء في تنظيم الإدارة المالية إبان العصر السلجوقي:** تكتسي الإدارة المالية في أي دولة من الدول الإسلامية أهمية كبيرة، نظراً لارتباطها المباشر بالسلطة السياسية المسيرة لأجهزة الدولة المركزية والإقليمية، والمشرفة في الآن ذاته على الإيرادات الواردة إلى بيت المال، والنفقات المختلفة التي تنفق في وجوهها وتدفع إلى أصحابها ومستحقيها، بالإضافة إلى الناتج الباقي من هذه العملية، أي الفرق الناتج عن العائدات والنفقات، لذلك تضطلع الإدارة المالية ببلورة الشق العملي والتطبيقي من النظام المالي الذي هي جزء منه، وتتكامل في الوقت نفسه مع التطورات التي تطرأ عليه، وتعمل أيضاً على ربطه بمختلف النظم الإدارية الأخرى للدولة.

إنَّ طبيعة الإدارة المالية وجوهرها تبرز لنا مقدرة السلطة على التعامل مع مختلف الهزات والشدائد والصعاب التي تواجه الدولة ومؤسساتها المختلفة وعلاقاتها مع المجتمع، بحيث تشكل فلسفة الإدارة المالية نمطاً إدارياً يحمل في طياته خطة مدروسة لتوزيع متوازن للأموال، وبالتالي فإنَّ نجاح السياسة المالية لأية دولة أو مؤسسة أو مشروع يرتبط بالإدارة المالية، والمقصود بها مجمل الإجراءات والأنشطة التي يمارسها العمال المشرفون على العصب الاقتصادي، ودفة العملية الاقتصادية والمالية للدولة<sup>1</sup>، أو هي فن تنظيم وإدارة القوى البشرية والمادية لتحقيق الأهداف الحكومية، وهي جزء لا ينفصل عن نشاط كل جماعة منظمة وتكون جانباً من عمل الحاكم، وتشمل كافة الواجبات والوظائف التي تختص أو تتعلق بإدارة المشروع، من حيث تمويله ووضع سياسته الرئيسة وتوفير ما يلزمه من معدات وإعداد الإطار الذي يعمل فيه واختيار الرؤساء والأفراد القياديين، وذلك للوصول إلى الهدف بأحسن الوسائل وأقل التكاليف، في حدود الموارد المتاحة وبحسن استخدامها، فالإدارة إذن، تتكون من جميع العمليات التي تستهدف تنفيذ السياسة العامة<sup>2</sup>.

كما تمتاز الإدارة المالية بالطابع العام للإدارة المركزية للدولة وبالخلفيات السياسية والإيديولوجية التي قامت على أساسها هذه الدولة، لذا تعمل السلطة على وضع شكل ونمط الإدارة المالية، الأمر الذي يجعل الدولة السلجوقية دولة سلطانية قامت على أساس الغزو والجهاد، حينما توسعت على حساب الغزنويين والبويهيين والفاطميين والعباسيين والبيزنطيين، فقد نشأ عند السلاجقة داعي الغزو منذ التكوين، أي خلال الطور القبلي، أما الوسيلة التي تم توظيفها في تجسيد هذا الداعي، تحقق الربط بين العمل العسكري للقبيلة ووجودها المادي، وبين تحولها إلى دولة تضم أراضٍ واسعة وتحكم مئات الآلاف من المسلمين، مما يؤكد صلب بنية الاقتصاد في الدولة السلجوقية الذي يتصل مباشرة بالغزو منذ عهد سلجوق بن دقاق إلى السنوات الأولى من عهد السلطان ملكشاه، وأضحت

1- الفرحان محمد جلوب، الفكر الاقتصادي في كتابات الماوردي، مجلة الاجتهاد، العددان 34-35، السنة التاسعة 1417هـ-1997م، بيروت، دار الاجتهاد، ص 196.

2- طقوش محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين...، المرجع السابق، ص 328.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

العمليات الحربية في الأراضي البيزنطية والأرمينية تشكل موردا هاما للدولة، الذي يتمثل في الغنائم والفبيء، وبذلك لم تكن السلطنة السلجوقية إلا جزءا من هذا النسق الاقتصادي، مما استدعى تأسيسا فعليا وعمليا للإدارة المالية المتماهية مع نمط الاقتصاد الذي قامت عليه الدولة السلجوقية، وقد اصطلح عليه باقتصاد الغزو أو المغازي، الذي هو نتاج للحروب المتكررة التي خاضها سلاطين السلاجقة، والتي أخذ الجهاد فيها حصة الأسد، فبمجرد خفوتها وتوقف المعارك ضد البيزنطيين، ستتقلص هذه الموارد ويؤدي ذلك إلى ابتداء ضرائب جديدة<sup>1</sup>.

لقد حاول العلماء خلال العصر السلجوقي تقديم نموذج يتوافق مع اقتصاد الدولة السلجوقية القائم على المغازي، من خلال العمل على تنظيم الإدارة المالية السلجوقية وربطها بأحكام الشريعة الإسلامية في تدبير الشأن المالي، والسعي كذلك إلى دفع السلطة السلجوقية للتخفف من بعض وظائفها التقليدية وتكريس مبدأ اللامركزية في الحكم والإدارة وإعطاء مرونة كبيرة للإدارة المالية والتقليص من مساحات تدخلها في المجال الاقتصادي، فذلك من شأنه قطع دابر الاستئثار الكلي بالشأن الاقتصادي والمالي، وبالتالي إرساء قاعدة التعامل مع الواقع الاقتصادي وفق مؤشرات ومعطيات دقيقة، يتم على ضوءها المراهنة على حضور العلماء بشكل فعال، نظرا لمتوقعهم في المجتمع وتعاملهم الدائم مع أفرادهم، وكفاءتهم العالية على المستوى الفكري والثقافي والتنظيمي والمؤسسي، فيضطلعون إلى القيام بالشأن الاقتصادي بشقيه التنظيمي والبحث والعملي التطبيقي، ويوكل إليهم الإشراف على أعمال موازية لأعمال الدولة ومؤازرة لها، لبلورة نظام اقتصادي يستهدف التخفيف من وطأة الفقر والهشاشة، ويساهم في تماسك قطاعات الدولة واستمرارها وتواصلها في ضبط الأمن وحماية حدودها من الأعداء وبناء مختلف المؤسسات الدينية والإدارية، مما يجعل تكليف العلماء في تنظيم الإدارة المالية أحد الاختيارات الحاسمة التي تتماهى مع التوجه الإسلامي في قضية تأسيس علاقة الدولة بالمجتمع وفي تطوير البعد التعاوني بين الدولة والعلماء والمجتمع<sup>2</sup>.

إنَّ الزعم بإشراف العلماء على الإدارة المالية وتنظيمها وفق رؤيتهم وتصورهم المنبثق من تعاملهم المستمر مع مختلف النوازل والمستجدات والوقائع المتعلقة بالشأن الاقتصادي والمالي، يحتاج إلى ما يعضده من شواهد وأدلة أشار إليها هؤلاء العلماء وقاموا بتدوينها في مصنفاتهم الفقهية، وكتب السياسة الشرعية والأحكام السلطانية والحسبة والقضاء وديوان المظالم، الأمر الذي يجعلنا "نسعى إلى وضع مقاربة...تحقق فهما للدور الذي تقوم به الإدارة وذلك من تنظيم للعمليات المالية، وإشراف على دقائق الفعاليات الاقتصادية، وبما يحقق استقرارا لسياسة الدولة الاقتصادية أو المالية اتجاه الرعية، وبما يكون من أثر في الاستقرار الاجتماعي والأمني. إن ذلك

1- بوتشيش إبراهيم القادري، أثر الحروب في المجال الضرائبي، مجلة الاجتهاد، العددان 34-35، السنة التاسعة 1417هـ-1997م، بيروت، دار الاجتهاد، ص 79-80.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 11.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يتحقق من خلال الإشراف الإداري والتنظيم المالي...<sup>1</sup>، كما نحاول استقراء تلك المفاهيم والمصطلحات التي نظّر لها العلماء خلال العصر السلجوقي لتقريب التصور العام لنموذج الإدارة المالية الذي يرومون تجسيده في الواقع، مما يستدعي ضبطاً دقيقاً لمعاني ودلالات المصطلحات الموظفة من قبلهم، فلا غرو أن أبا الحسن الماوردي قد كشف في إفادات عدة عن فعل الإدارة الاقتصادية، والدور الذي تقوم به في تنظيم شؤون المؤسسة السياسية، وأشار إلى أن الحضارة العربية الإسلامية قد عرفت أشكالاً من المؤسسات التي تتحمل مسؤولية الإدارة والإشراف، وقام بتحديد عمل كل مفصل من مفاصل هذه المؤسسات، ووظيفة كل عامل يعمل فيها<sup>2</sup>.

تتكون الإدارة المالية في نظر الماوردي وأبي يعلى الفراء من جهازين رئيسيين هما؛ الديوان والحسبة، فالأول يمثل هيكل الإدارة ومركز الضبط وجمع المعلومات وصياغة القرارات وإصدار الأوامر وتقدير الأحوال والأوضاع والتخطيط لجميع الفعاليات الاقتصادية والمالية، أما الثاني فيعتبر بمثابة هيئة تنفيذية ورقابية تتبع الشؤون الاقتصادية والمالية وتعمل على بلورة الخط العام الناظم لسيرورة الإدارة المالية وفعاليتها في نفس الوقت، لذا فالديوان "موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعُمَّال"<sup>3</sup>، في حين تعد الحسبة من الولايات المهمة في نظر الماوردي لدلالاتها الظاهرة في مجال فكر المؤسسات الإسلامي<sup>4</sup>، لذا اعتبرها واسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم<sup>5</sup>، أما أبو يعلى الفراء فقد عرفها بنفس التعريف الذي ساقه الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية بقوله: "والحسبة، هي أمر بالمعروف، إذا ظهر تركه. ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"<sup>6</sup>. وقد اتفق الماوردي وأبو يعلى الفراء على أن الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13هـ-23هـ) هو أول من وضع الديوان في الإسلام<sup>7</sup>، كما بيّنا نمطه الذي يتمثل في أنه "كان موضوعاً على دعوة العرب في ترتيب الناس فيه معتبراً بالنسب، وتفضيل العطاء معتبراً بالسابقة في الإسلام وحسن الأثر في الدين، ثم

1- الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص 196.

2- المرجع نفسه، ص 196-197.

3- الماوردي، الأحكام السلطانية...، المصدر السابق، ص 297، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 236.

4- الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق ودراسة الدكتور رضوان السيد، ط 1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، مارس 1979م، ص 31.

5- الرتبة في طلب الحسبة، دراسة وتحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، الدكتور أحمد جابر بدران، تحت إشراف الأستاذ الدكتور علي جمعة، ط 1، القاهرة، دار الرسالة، 1432هـ-2002م، ص 66.

6- أبو يعلى الفراء، المصدر السابق، ص 284.

7- المصدر نفسه، ص 237، الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 297.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

روعي في التفضيل عند انقراض أهل السوابق بالتقدم في الشجاعة والبلاء في الجهد...<sup>1</sup>، وبعدها يعرضان لنا أقسامه التي يتكون منها على أنها شكل من أشكال التنظيم والإدارة المتخصصة<sup>2</sup>، كما يلي:

-الأول: ما يختص بالجيش من إثبات وعطاء.

-الثاني: ما يختص بالأعمال من رسوم وحقوق.

-الثالث: ما يختص بالعمال من تقليد وعزل.

-الرابع: ما يختص ببيت المال من دخل وخرج<sup>3</sup>.

أما ديوان الاستيفاء وجباية الأموال، فهو شكل من أشكال الإدارة المالية<sup>4</sup>، ويطلق على من يتولاه اسم المستوفي، وتلي مرتبته مرتبة الوزير في الدولة السلجوقية، كما يعد من أهم الدواوين وأخطرها، نظرا لإشرافه على ضبط أموال المملكة والعمل على حفظها، وأيضا الحسابات الخاصة المتعلقة بالجيش السلجوقي<sup>5</sup>، ويشترط في المستوفي؛ حسن السيرة وكمال الديانة، والعلم بأسرار المعاملات ودقائق الحسابات، وأن يكون قلمه حكم عدل وشاهد صدق، ويكلف كذلك بضبط أوراق الدخل والمنصرف، وضبط الخراج والضرائب والزيادات والعلاوات<sup>6</sup>.

سوف نقتصر على الحديث عن القسم الرابع من أقسام الديوان، الذي يختص ببيت المال من دخل وخرج، نظرا لتعلقه المباشر بالإدارة المالية، حيث شرح كل من الماوردي وأبي يعلى الفراء هذا القسم، الذي هو كل مال استحققه المسلمون، ولم يتعين مالكة منهم فهو من حقوق بيت المال، فإذا قبض صار بالقبض مضافا إلى حقوق بيت المال، سواء أدخل إلى حرزه أو لم يدخل؛ لأن بيت المال عبارة عن الجهة لا المكان، وكل حق وجب صرفه في مصالح المسلمين، فهو حق على بيت المال، فإذا صرف في جهته صار مضافا إلى الخراج من بيت المال، سواء خرج من حرزه أو لم يخرج؛ لأن ما صار إلى عمال المسلمين أو خرج من أيديهم، فحكم بيت المال جار عليه في دخله إليه وخرجه<sup>7</sup>، واتفقا معا على أن الأموال التي يستحقها المسلمون تنقسم ثلاثة أقسام: فيء وغنيمة وصدقة<sup>8</sup>، التي سنفصل فيها في الفصل الثاني من هذا الباب، وكذلك نظام الحسبة الذي استقصيناه في الباب الأول من هذه

1-المصدران السابقان، ص239، ص300.

2-الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص197.

3-الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص302، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص240.

4-المصدران نفسيهما، ص300، ص297، الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص197.

5-عزام عبد الله محمد نور باشا، المرجع السابق، ص277.

6-إقبال عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمي، جامعة الكوفة، مطبوعات الجامعة، 1984م، ص50-51.

7-الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص315، أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص251.

8-المصدران نفسيهما، الصفحتان نفسيهما.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الدراسة، ومع ذلك يمكن الإشارة إلى أنَّ الرقابة فعل من أفعال الممارسة السياسية النازعة إلى تثبيت الأسعار، وإيقاف التلاعب والغش في المواصفات الغلة وشروط المهنة، وذلك لمنع أي تخريب في البنية الاقتصادية، مما يكون لذلك من خطورة على المؤسسة السياسية، فيعرضها إلى حالة عدم الاستقرار<sup>1</sup>، خصوصاً إذا علم بأنَّ المشاكل الرئيسية التي تواجه الدولة ذات طبيعة إدارية ومالية، وكان لابد من حلها بطريقة إدارية ومالية، بعد أن لم يعد مستطاعاً حسمها عسكرياً، فأضحى بذلك الوزراء يأتون من صفوف الكتاب الإداريين وعمال الخراج<sup>2</sup>.

يؤكد أبو الحسن الماوردي دائماً على قضية تدبير الأموال الواردة إلى بيت المال بقوله: "... وإن كان تقدير الأموال قاعدة، فتقديرها معتبر من وجهين، أحدهما تقدير دخلها، وذلك مقدر من أحد وجهين، إما بشرع ورد النص فيه بتقديره، فلا يجوز أن يخالف. وإما باجتهاد ولاه العباد فيما أداهم الاجتهاد إلى وضع تقديره، ولا يسوغ أن ينقض، وإذا ردت إلى القوانين المستقرة ثمرت بالعدل وكان إضعافها بالجور ممحوقاً. والثاني، تقدير خرجها، وذلك مقدر من وجهين، أحدهما، بالحاجة فيما كانت أسبابه لازمة أو مباحة. والثاني، بالممكنة حتى لا يعجز منها دخل، ولا يتكلف منها عسف..."<sup>3</sup>، ولا يتأتى هذا الأمر في نظره إلا بالتماهي الحاصل بين السلطة وجباة الأموال كما يسميهم، حيث جعلهم في الطبقة الرابعة بعد طبقة الوزراء وطبقة القضاة والحكام، وطبقة أمراء الأجناد، واعتبرهم عماراً للأعمال و واسطة بين الملك والرعية، واشترط فيهم النصح في الأموال والعدل في الأعمال، مما ينتج عنه توفر الخزائن بسعة الدخل وتعمير البلاد ببسط العدل، وحذرهم من الخيانة فيما اجتنبوه من الأموال، والجور فيما تقلدوه من الأعمال، الذي سيؤدي إلى نقص المواد وخراب البلاد وتغيير الأعوان والأجناد على الملك وشيوع الفساد<sup>4</sup>، وعلى ضوء ذلك يمكن الإشارة إلى أنَّ الماوردي أدلى بمجموعة إفادات تشكل في حقيقتها موجّهات للإدارة المالية، والإشراف على الفعاليات الاقتصادية التي ترتبط بفعل الدولة وفعل الرعية وفي مفاصل المجتمع المختلفة، وشملت هذه الإفادات الأفعال والممارسات لرجالات الدولة من عمال يعملون في المؤسسة السياسية، وكان لهم فعل مؤثر في اقتصاد الدولة والنشاطات الاقتصادية للمجتمع، ولاستجلاء الدور الذي يقوم به هؤلاء العمال في النشاطات الاقتصادية للرعية<sup>5</sup>، خاصة أنه ركز في مسألة تدبير الأموال على قضية الدخل والخرج بقوله: "ثم لا يخلو حال الدخل إذا قوبل بالخرج من ثلاثة أحوال، أحدها، أن يفضل

1- الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص 198.

2- الماوردي، قوانين الوزارة...، المصدر السابق، ص 101.

3- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد، ط2، بيروت، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، 1432هـ/2012م، ص 273.

4- المصدر نفسه، ص 291-294.

5- الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص 199-200.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الدخل عن الخرج. فهو الملك السليم، والتقدير المستقيم، ليكون فاضل الدخل معدا لوجوه النوائب ومستحدثات العوارض.... والحال الثانية، أن يقصر الدخل عن الخرج، فهو الملك المعتل، والتدبير المختل.... والحال الثالثة، أن يتكافأ الدخل والخرج حتى يعتدل، ولا يفضل، ولا يقصر فيكون الملك في زمان السلم مستقلا، وفي زمان الفتوق والحوادث مختلا...<sup>1</sup>، مما حذا به إلى إناطة أدوار رئيسة وسلطة ضابطة وصلاحيات مركزية ونفوذ واسع للوزير في الإشراف المباشر على الإدارة المالية والقيام بتدبير أمورهما وتنظيم أجهزتهما وتعيين عمالهما ومتابعتهما، قائلا: "أما تدبير الأموال، فالوزير يسان عن مباشرتها، وإنما يحفظ دخلها بالهبة والاستظهار، ويضبط خرجها بالحاجة والاضطرار"<sup>2</sup>، بينما وضع مفاتيح الإدارة المالية في الصرف وتوفير الاحتياجات بيد أمير الحرب، فقد حملة مسؤولية توفير كل المتطلبات بحيث يكون المقاتل على استعداد لخوض الحرب<sup>3</sup>، بقوله: "إعداد ما يحتاج الجيش إليه من زاد وعلوفة تفرق عليهم في وقت الحاجة، حتى تسكن نفوسهم إلى مادة يستغنون عن طلبها، ليكونوا على الحرب أوفر وعلى مناولة العدو أقدر"<sup>4</sup>.

وتجدر الإشارة إلى تمكن الماوردي من بلورة هيكل الإدارة المالية انطلاقا من الواقع الذي عايشه، فكان ذلك بمثابة مشروع إصلاح اقتصادي، تركز أساسا في تأهيل عمال الإدارة المالية، كما بين بأن شروط السياسة الاقتصادية الناجحة تتمثل في إدارة ناجحة، التي تتحدد بحجم المؤهلات التي يمتلكها العاملون في الإدارة المالية، وهذه المؤهلات أثرت جوانب مختلفة من شخصية العامل<sup>5</sup>.

تلك هي أهم خلاصات فكر الماوردي وأبي يعلى الفراء في مسألة تنظيم الإدارة المالية في العصر السلجوقي، حيث انطلاقا من الواقع الذي عايشاه في أواخر العصر البويهى وبدايات العصر السلجوقي، فقد عاش في كنف سلطتين هما: الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، واستطاعا تفعيل أسس الفكر الاقتصادي الإسلامي في تحديد شكل ونمط الإدارة المالية، المتكون من الديوان كمؤسسة مركزية تشرف على الأموال الواردة إلى بيت المال، ونظام الحسبة كجهاز رقابي ينظم الشؤون المالية والفعاليات الاقتصادية، بالإضافة إلى بناء هيكل الإدارة المالية من خلال رؤية الماوردي الذي حصره في أربعة طبقات تتكامل فيما بينها من حيث الصلاحيات والأدوار والوظائف، مؤكدا على طبقتي الوزراء وجباة الأموال اللتين أناط بهما التدبير الحسن للأموال جباية وضبطا ونفقة

1-تسهيل النظر...، المصدر السابق، ص273-274.

2-قوانين الوزارة..، المصدر السابق، ص192.

3-الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص201.

4-الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص79.

5-الفرحان محمد جلوب، المرجع السابق، ص201-202.

## -الباب الثاني:دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وادخارا، كما خصص هامشا لأمر الحرب في تدبير نفقات الجيش، وركز بشكل كبير على ضرورة تمتع هؤلاء جميعا بالكفاءة العالية في تأدية مهامهم ووظائفهم. وعلى أية حال ينبغي الإشادة بجهد هذين العالمين في تنظيم الإدارة المالية خلال العصر السلجوقي، فقد حاولا التفاعل مع الواقع الاقتصادي في هذا العصر بتقديم أفضل الحلول والمقترحات الكفيلة بتطوير الاقتصاد الإسلامي.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

### -الفصل الثاني: موقف العلماء من الموارد والنفقات في العصر السلجوقي

1-أ)ساليب تحصيل الزكاة وصرفها عند العلماء.

أ-نصرة العلماء إلى الزكاة وأهميتها.

ب-تحديد العلماء أنواع الزكاة ومستحقيها.

ج-شروط عامل الزكاة.

2-جهود العلماء في تنكيم الخراج.

2-1-تصور نظام الخراج وموقف العلماء منه.

2-2-واقم نظام الخراج في العصر السلجوقي.

2-3-مساعي العلماء لتنكيم الخراج.

3-موقف العلماء من الجزية إبان العصر السلجوقي.

3-1-واقم الجزية في الفترة السلجوقية.

3-2-جهود العلماء في ضبط مقادير الجزية خلال العصر السلجوقي.

4-تعامل العلماء مع أموال الفري والغنائم خلال العصر السلجوقي.

4-1-تصور وضع أموال الفري والغنائم في العصر السلجوقي.

4-2-نصرة العلماء لأموال الغنائم والفري خلال العصر السلجوقي.

5-موقف العلماء من الضرائب خلال العصر السلجوقي.

- أ- ضريبة العقار.
- ب- ضريبة الدور.
- ج- ضريبة التركات.
- د- ضريبة الخفارة.
- 6- موقف العلماء من المصادرات في العصر السلجوقي.
- 7- نظرة العلماء للنفقات في العصر السلجوقي.
  - أ- نفقات البيعة بالسلسلة وولاية العهد.
  - ب- نفقات المصاهرات بين السلاجقة والخلافة العباسية.
  - ج- النفقات الخاصة بالسلاطين والوزراء ورجال الدولة.
  - د- النفقات العسكرية.
  - هـ- النفقات على العمران.
  - و- الهبات والصدقات والهدايا.
  - ز- ضوابط النفقات عند العلماء.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

كان لتطور الحياة واتساع رقعة الفتوحات الإسلامية واندماج ثقافات ونظم مختلفة في المجتمع الإسلامي، أثراً واضحاً على اقتصاد الدولة الإسلامية، الذي شهد تطوراً مهماً أدى لظهور بيت المال، كأول مؤسسة إسلامية اقتصادية تحمل شخصية معنوية منظمة لشؤون المال، وسياسة الاقتصاد بوجه عام، واتسع شكل المسؤولية المنوطة ببيت المال تبعاً لحجم الإيرادات والنفقات، والمداخيل والمخرجات المالية التي تضم أشكال الجزية والخراج والفيء والغنائم والزكوات، وغير ذلك من شؤون بيت المال والاقتصاد حتى ارتبط ذلك بقضايا الاحتساب وتنظيم علاقات السوق وجهاز الأسعار حسب المعطيات الجديدة للمجتمع الإسلامي<sup>1</sup>.

وعلى ضوء ذلك بدأت اهتمامات العلماء المسلمين بالكتابة والتصنيف والتأليف في مجالات الاقتصاد، وتوثيق الواقع الاقتصادي ووصف مقرراته ومضامينه النظرية والتطبيقية حتى بات يشكل ملامح نظرية اقتصادية شاملة لسلوك الإنسان وأنشطته الاقتصادية؛ وقد ساعد الموقف الإيجابي للحكام وطبيعة الموقع الاجتماعي والديني للعلماء في إعطاء زخم كبير لمسيرة التصنيف والتنوع في إثراء الإنتاج الاقتصادي العملي، فمن كتاب الخراج الذي صنفه الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وأهداه إلى الخليفة هارون الرشيد توالى كتابات العلماء في الخراج، حتى وصلت إلى 30 مصنفاً، وتوسعت مجالات التصنيف الاقتصادي لتشمل مصنفات فريدة في شتى ضروب الاقتصاد؛ كالأسعار، والخصب والقحط، والأموال، والنقود وبيت المال، وقطاع الزراعة، والحرف والصنائع، وعلاقات الأرض، والموازين والمكاييل، وشؤون الحسبة، والكسب والتجارة، والنفقات الأسرية والاجتماعية، وسلطة ولي الأمر الاقتصادية، وتنظيمات السوق المختلفة، كالسعير ومنع الأساليب الاحتكارية، وتحقيق العائد الربوي، وغير كثير، وقد عززت هذه الإسهامات أهمية موروث الأمة الإسلامية الثقافي، وتمايز الهوية الإسلامية وغناها التراثي في ميادين الفكر وحقول المعرفة الإنسانية<sup>2</sup>.

إنَّ مذهب الاقتصاد الإسلامي يبين أنَّ دور الدولة الإسلامية يتميز بالاتساع والشمول، فتعددت وظائفها لتغطي الكثير من جوانب النشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وإنَّ أهدافها ووظائفها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنشاطها المالي، لتحقيق أكبر اتساع ممكن للأفراد في ظل قيم المجتمع المسلم القائم على العمل. لذا فإنَّ جوهر الموازنة العامة في الدولة الإسلامية هو الحصول على الإيرادات العامة وإنفاقها طبقاً لما تقضي به أحكام الشريعة الإسلامية، لاتساع الحاجات العامة، وتحقيق أهداف الدولة، في إقامة مجتمع متكافل ومتعاون. ولكي تقوم الدولة الإسلامية بدورها وتحقق أهدافها، وإشباع الحاجيات العامة، لا بد لها من الحصول على الإيرادات اللازمة لتمويل هذه الخدمات. فبيت المال ينفرد من حيث المصادر المالية والتشريع والتنظيم على باقي التنظيمات الأخرى، بما توفره

1- الحوراني ياسر، المرجع السابق، ص 11-12.

2- المرجع نفسه، ص 12.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

من كفاية الأموال التي تخصص لتمويل النفقات العامة، والتنمية الاقتصادية، وبذلك تتمكن الدولة الإسلامية من القيام بوظائفها، لأنه يستحيل عليها ممارسة هذه الوظائف والواجبات بدون إيرادات<sup>1</sup>. مما يظهر طبيعة الدولة في الإسلام التي تقوم على أساس تحقيق الرعاية الشاملة للمجتمع بتوفير وتهيئة كل متطلباته في جميع مناحي الحياة، فدورها المتمثل في حراسة الدين وسياسة الدنيا به يحتم عليها ذلك، لاسيما الجانب المالي الذي يشكل خط التماس بينها وبين المجتمع، إذ إشرافها على الموارد المالية التي يتم تحصيلها وجبايتها إلى بيت المال، يحتم عليها تسخير كل إمكانياتها لتنظيم هذه المداخل بضغطها وعددها وتدوينها في سجلات خاصة وإشهاد الشهود على ذلك وتحري طرق جبايتها ومصادرها، ومن ثم صياغة برنامج مالي محكم يتم من خلاله توزيع هذه الأموال في حاجات المجتمع والدولة، كالرواتب والنفقات المخصصة للطبقات والبنات وإصلاح الأراضي وشق القنوات والترع وصناعة الأسلحة وتحصين المدن، وأيضا الادخار لنفادي الأزمات، الأمر الذي يجعل اضطلاع الدولة بمهمة التوزيع المالي وفق مبادئ الشريعة الإسلامية من الأهمية بمكان، فهو كفيل بتحقيق التوازن والاستقرار للمجتمع وإزالة تلك الفجوة الكبيرة التي ينتج عنها وجود طبقتين اجتماعيتين؛ الأولى فاحشة الغنى والثانية تعيش الفقر المدقع، وبالمقابل سعى العلماء المسلمون إلى دفع الدول الإسلامية إلى اعتماد مبادئ الشريعة الإسلامية في تدبير الشأن المالي، والعمل على امتثال الأنموذج النبوي في ذلك ومن بعده عصر الخلفاء الراشدين (11هـ-41هـ)، أمام تنامي قوة السلطة السياسية وتمركزها في شخص الخليفة أو السلطان، واستثثاره بكل الصلاحيات والأدوار والقرارات، بالموازاة مع تقلص مساحة حكم كل دولة، فلم تعد الدولة الإسلامية دولة واحدة تأتمر بأمر خليفة واحد، وإنما انقسمت إلى دول متفاوتة من حيث المساحة، مما أدى إلى تقلص مواردها، أمام زيادة متطلبات المجتمع الإسلامي، فكان لابد للعلماء من التدخل ووضع بصمتهم وموقفهم من الموارد والمصارف خلال العصر السلجوقي، خاصة إذا علمنا أن الموارد تنقسم إلى قسمين؛ حيث يتضمن القسم الأول الموارد العادية، وهي موارد جارية متكررة، تنسم بالدورية والانتظام ويتكرر دخولها إلى بيت المال، كما تمثل الدعامة الأساسية للنظام المالي الإسلامي، والموارد الرئيسي لبيت المال، وتأتي في مقدمتها الزكاة، ذلك التشريع المالي الذي يختص بكفالة الفقراء والمساكين والمنكوبين والمرضى والمعوقين، والذين يحتاجون إلى الإنفاق والرعاية لذلك خصت بالتحليل والدراسة وتحديد النصاب في الأموال المختلفة والتي تجب فيها الزكاة، ثم يليها الخراج والعشور والأملاك العامة والخاصة للدولة، ويشمل القسم الثاني الموارد غير العادية، وهي لا تتميز بالدورية والانتظام، ولا يتكرر دورها إلى بيت المال

1- قرومي حميد، المرجع السابق، ص 147.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

بانتظام، أي أنها إيرادات استثنائية، تحصل من وقت لآخر وتتمثل في الجزية والغنائم والفبيء، وهي موارد مكملة للقسم الأول من موارد بيت المال<sup>1</sup>.

**1-أساليب تحصيل الزكاة وصرفها عند العلماء:** تعد الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، فهي تحتل المرتبة الثالثة بعد الشهادتين والصلاة، وأحد الموارد الرئيسية التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي، لذا أولاهما العلماء أهمية كبيرة، وتصدوا لكل ما من شأنه الإخلال بنظامها وأساليب تحصيلها وصرفها في وجوها ومستحقها، وعملوا جاهدين على تبين ذلك من خلال المؤلفات التي ألفوها أو المواقف التي أبدوها، من أجل المحافظة على استمرارها وإقامتها وفق أمر الله سبحانه وتعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

**أ- نظرة العلماء إلى الزكاة وأهميتها:** عرّف الماوردي الزكاة بقوله: "...الصدقة زكاة، والزكاة صدقة، يفترق الاسم ويتفق المسمى..<sup>2</sup>، واتفق مع القاضي أبي يعلى الفراء (ت458هـ)؛ في أنها تجب في الأموال المرصدة للنماء إما بأنفسها أو بالعمل فيها؛ طهرة لأهلها ومعونة لأهل السهمان<sup>3</sup>، أما أبو حامد الغزالي فقد أكد أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام، وأنه أردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام<sup>4</sup>، وقد طأوعه على ذلك ابن هبيرة حينما أقر إجماع الأئمة الأربعة على أنّ الزكاة أحد أركان الإسلام وفرض من فروضه<sup>5</sup>، وعلى ضوء ذلك يبين الماوردي أهمية الزكاة قائلا: "ثم فرض زكاة الأموال، وقدمها على فرض الحج؛ لأنّ في الحج مع إنفاق المال سفرا شاقا، فكانت النفس إلى الزكاة أسرع إجابة منها إلى الحج؛ فكان في إيجابها مواساة للفقراء، ومعونة لذوي الحاجات، تكفهم عن البغضاء، وتمنعهم من التقاطع، وتبعثهم على التواصل؛ لأنّ الآمل وصول، والراجي هائب، وإذا زال الأمل، وانقطع الرجاء، واشتدت الحاجة، وقعت البغضاء، واشتد الحسد، فحدث التقاطع بين أرباب الأموال الفقراء، ووقعت العداوة بين ذوي الحاجات والأغنياء، حتى تفضي إلى التغالب على الأموال والتغريب بالنفوس. هذا مع في أداء الزكاة من تمرين النفس على السماحة المحمودة، ومجانبة الشح المذموم..<sup>6</sup>، أما الفخر الرازي فله تصور آخر حول الزكاة، يقول في ذلك: "والاستغراق في حب المال يذهل النفس عن حب الله، وعن التأهب للآخرة، فاقتضت حكمة الشرع

1-قرومي حميد، المرجع السابق، ص147-148.

2-الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص179.

3-المصدر نفسه، ص180، الفراء الحنبلي أبو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص115.

4-إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص247.

5-المصدر السابق، ص234.

6-أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص90.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

تكليف مالك المال بإخراج طائفة من يده؛ ليصير ذلك الإخراج كسرا من شدة الميل إلى المال، ومنعاً من انصراف النفس بالكلية إليه، وتنبهها لها على أن سعادة الإنسان لا تحصل بالاشتغال بطلب المال؛ إنما تحصل بإنفاق المال في طلب مرضاة الله تعالى، فيإجاب الزكاة علاج صالح متعين؛ لإزالة حب الدنيا عن القلب، فالله سبحانه أوجب الزكاة لهذه الحكمة، وهو المراد من قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾. أي: تزكيهم وتطهرهم عن الاستغراق في طلب الدنيا<sup>1</sup>، ويعتبر إمام الحرمين أن "غرض الزكاة سد الخللة والحاجة"<sup>2</sup>، أو الغرض من صرف الزكوات إلى المحاويج سد الخلات<sup>3</sup>، كما يبين أهميتها عندما يوافق الشافعي (ت204هـ) إمام مذهبه الذي يقول: "المقصود من الزكاة إنما هو سد الخلات، ودفع الجوعات، ورد الفاقات، والإحسان إلى الفقراء، وإغاثة الملهوفين، وإحياء المهج، وتدارك الحشاشة والجثث، فقال اللائق بهذا الغرض أن تكون الزكاة على الفور وأن لا تسقط بالموت لأننا لو قلنا أنه يكون على التراخي، ولا يكون على الفور، وأنها تسقط بالموت لأدى ذلك إلى إبطال هذه الحكمة المطلوبة، لأنه إذا علم أنه على التراخي وليس على الفور لا يزال يؤخر ويميل إلى الهوينا والبطالة ويجنح إلى الكسالة، حتى يصير ديناً في الذمة، وأنه إذا مات يسقط وذلك يؤدي إلى إبطال الزكاة وتعطيل مقصود الشرع وغرضه وهو باطل قطعاً، وقال المذهب في الزكاة معنى المواساة"<sup>4</sup>. أما الفقيه الحنفي علاء الدين الكاساني (ت587هـ) فقد بين مكانة الزكاة من خلال الأبعاد التالية:

- 1- أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف، وإغاثة اللهيء، وإقدار العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله - عز وجل - عليه من التوحيد والعبادات، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض.
- 2- أن الزكاة تطهر نفس المؤدي عن أنجاس الذنوب، وتزكي أخلاقه بتخلق الجود والكرم، وترك الشح والضن؛ إذ الأنفس مجبولة على الضن بالمال، فتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها، وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة: 103).

1- التفسير الكبير، ج16، ص81، نقلاً عن الغفيلي عبد الله بن منصور، نوازل الزكاة (دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة)، ط1، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1430هـ/2009م، ص50-51.

2- إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، البرهان في أصول الفقه، حققه وقدمه ووضع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب، الجزء02، ط1399، ص746.

3- النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، الدرر المضيئة، ص279، نقلاً عن هشام بن سعيد أزهر، المرجع السابق، ص313.

4- النيسابوري ضياء الدين أبو المعالي، مغيث الخلق في ترجيح القول الحق، ط1، المطبعة المصرية، 1353هـ/1934م، ص60.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

3- أنَّ الله قد أنعم على الأغنياء، وفضلهم بصنوف النعمة، والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية، وخصَّهم بها؛ فيتنعمون ويستمتعون بلذيد العيش، وشكر النعمة فرض عقلا وشرعا، وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة؛ فكان فرضاً<sup>1</sup>.

أما عن وجوبها يقول الفقيه الحنفي أبو المعالي برهان الدين محمود ابن مازة (ت616هـ) "...غير أنَّ مطلق المال ليس بسبب، إنما السبب المال النامي؛ لأنَّ الزكاة وجبت بطريق التيسير بأداء عن نماء، ولهذا لم يجب القليل في القليل ولا الكثير في الكثير، ولم يجب مالا بل وجب القليل في الكثير، ووجب مؤجلا لا حالا، وحتى التيسير إنما يتحقق بالأداء من نماء المال حتى يؤدي من عليه الواجب من النماء، ويبقى له أصل المال، غير أنَّ طريق النماء في الحيوانات النسل، وفيما عداها من الأموال التجارة. غير أنه يسقط اعتبار حقيقة النماء، فإنه أمر خفي تنفاوت فيه أحوال الناس، فأقيم الإمساك به حولا في الحيوانات مقام حصول النسل؛ لأنه زمان النسل عادة، وأقيم الإمساك بنية التجارة حولا في غيرها من الأموال سوى الأثمان مقام حصول النماء؛ لأنه زمان حصول النماء عادة، إنما فعلنا ذلك دفعا للحرص عن الناس والله أعلم..<sup>2</sup>.

-أقر الكاساني بأنَّ وجوب الزكاة متعلق بالنصاب؛ إذ الواجب جزء من النصاب، واستحقاق جزء من النصاب يوجب النصاب؛ إذا المستحق كالمصرف<sup>3</sup>.

-تجب الزكاة على المسلم إن كان له مال زكوى، عند الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (ت561هـ)<sup>4</sup>.

-الزكاة واجبة على كل حر مسلم تامَّ الملك، فأما العبد فلا زكاة عليه وإن قلنا: إنه يملك، وكذلك المكاتب وما لم يتم ملك الإنسان عليه، كالدين الذي على المكاتب، فلا زكاة فيه. ولا يشترط في وجوب الزكاة البلوغ ولا العقل، لأنها تجب في مال الصبي والمجنون<sup>5</sup>.

---

1-بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الجزء الثاني، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2003م، ص373.

2-المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، الجزء الثاني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م، ص240.

3-المصدر السابق، ج2، ص386.

4-الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل (في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)، وضع حواشيه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الجزء الأول، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ/1997م، ص20.

5-الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص248، ابن الجوزي، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، المصدر السابق، ص159.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-يرى إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت478هـ) "أن ما استيقن أهل الزمان وجوبه وأخرجوه، وأوصلوه إلى مستحقه، وما ترددوا في وجوبه لم يثبت وجوبه عليهم؛ فإنَّ الوجوب من غير علم بالموجب، ومن غير استمكان من الإحاطة به محال"<sup>1</sup>.

إنَّ الزكاة لا يمكن اعتبارها موردا عاما للدولة بإطلاق، بالنظر إلى الخلاف المستمر بين العلماء المسلمين، حول الدور الفردي وتدخل الدولة في توزيعها على مصارفها المحددة<sup>2</sup>، ولكن الأکید فيما تمت الإشارة إليه من أقوال العلماء حول الزكاة وأهميتها، تظهر لنا بشكل لا لبس فيه ما مدى تأكيدهم على دورها في المجتمع والاقتصاد الإسلاميين، إذ أفردوا لها حيزا معتبرا من مؤلفاتهم، وساهموا في تعريفها وإظهار سبب وجوبها وكذا أهميتها ومكانتها باعتبارها ركنا من أركان الإسلام وموردا رئيسيا للدولة الإسلامية وبيت مالها.

**ب- تحديم العلماء أنولم الزكاة ومستحقها:** عمل العلماء في العصر السلجوقي على تحديد مقادير الزكاة وكذا الأصناف الذين تشملهم، انطلاقا مما تقرر في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، حتى يتم القيام بهذه الفريضة على وفق مراد الشرع الحنيف.

يحدد كل من الماوردي وأبي يعلى الفراء نوعين من الأموال التي تجب فيها الزكاة؛ أموال ظاهرة وأموال باطنة، فالظاهرة هي ما لا يمكن إخفاؤه، كالزروع والثمار والمواشي، والباطنة هي التي يمكن إخفاؤها مثل الذهب والفضة وعروض التجارة<sup>3</sup>، أما أبو حامد الغزالي وابن الجوزي فيتفقان على أنَّ أنواع الزكاة ستة هي: زكاة النعم، والتَّقدين، والتجارة والمعدن، والمعشرات، وزكاة الفطر<sup>4</sup>، في حين يحصرها الكاساني في ثلاثة أنواع هي: -الأثمان المطلقة، وهي الذهب والفضة- أموال التجارة وهي العروض المعدة للتجارة-السوائم<sup>5</sup>، وأيضا أبو المعالي برهان الدين الحنفي<sup>6</sup>. غير أنَّ ابن هبيرة ذكر أربعة أنواع لها؛ حيث تجب في المواشي وجنس الأثمان، وعروض التجارة، والمكيل المدخر من الثمار والزروع بصفة مخصوصة<sup>7</sup>.

1- الغياشي...، المصدر السابق، ص527.

2- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص401.

3- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، 180، الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص115.

4- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص248، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، المصدر السابق، ص159.

5- المصدر السابق، ج2، ص405.

6- المصدر السابق، ج2، ص240.

7- المصدر السابق، ج1، ص234.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لقد حاول كل واحد من هؤلاء العلماء استقصاء الأموال التي تجب فيها الزكاة، حيث حصروا أنواعها بين نوعين إلى ستة أنواع، وهذا وفق اجتهاد كل واحد منهم، ومع اختلافهم في هذا الأمر، إلا أنَّ الأصل الذي بنوا عليه آراءهم ثابت، خاصة لما أوردوا شروحات لهذه الأنواع وفق الترتيب الذي قرروه وتوافقوا عليه<sup>1</sup>.

أما الأفراد المستحقين للزكاة فهم ثمانية أصناف، الذين ورد ذكرهم في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِمُ وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 60)، وقد اتفق العلماء على وجوب دفع الزكاة لهم، من ذلك ما قاله أبو المعالي الجويني: "فمن الأموال المختصة بمصارف الزكوات، وهي مصروفة إلى الأصناف الموصوفين في كتاب الله، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأوصاف.."<sup>2</sup>، كما قاموا بتبيين مفهوم كل صنف منهم كما يلي:

- الفقراء: هم الذين لا شيء لهم<sup>3</sup>.
- المساكين: وهم الذين لهم معظم الكفاية ولا يملكون تمامها<sup>4</sup>.
- العاملين عليها: وهم صنفان؛ أحدهما المقيمون بأخذها وجبايتها، والثاني المقيمون بقسمتها وتفريقها من أمين ومباشر وتابع ومتبوع<sup>5</sup>.
- المؤلفة قلوبهم: وهم قوم من الكفار يرجى إسلامهم إذا أعطوا المال أو يكفوا شرهم عن المسلمين<sup>6</sup>.
- الرقاب: هم المكاتبون، وإن اشترى بركاته رقبة كاملة فأعتقها جاز أيضاً<sup>7</sup>.
- الغارمين: وهم صنفان؛ صنف منهم استدانوا في مصالح أنفسهم، فيدفع إليهم مع الفقر دون الغنى ما يقضون به ديونهم، وصنف منهم استدانوا في مصالح المسلمين، فيدفع إليهم مع الفقر والغنى قدر ديونهم من غير فضل<sup>8</sup>.

---

1- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 181-194، الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 116-128، الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 248-251، ابن الجوزي، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، المصدر السابق، ص 159-164، الجيلاني، المصدر السابق، ج 1، ص 20-23، ابن هبيرة، المصدر السابق، ج 1، ص 234-271.

2- الغياثي...، المصدر السابق، ص 368.

3- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 195.

4- الجيلاني، المصدر السابق، ص 21.

5- الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 132.

6- الجيلاني، المصدر السابق، ص 22.

7- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

8- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 196.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

- في سبيل الله: وهم الغزاة الذين لا جزاء لهم في ديوان الإمام وغيره من السلاطين وإن كانوا أغنياء<sup>1</sup>.
- ابن السبيل: فهم المسافرون لا يجدون نفقة سفرهم، يدفع إلى المجتاز دون المنشئ المبتدئ بالسفر<sup>2</sup>.
- يرى أبو الحسن الماوردي أنه إذا قسمت الزكاة في الأصناف الثمانية لم يخل حالهم بعدها من خمسة أقسام:
- 1- أن تكون وفق كفايتهم من غير نقص ولا زيادة، فقد خرجوا بما أخذوه من أهل الصدقات وحرّم عليهم التّعريض لها.
  - 2- أن تكون مقصرة عن كفايتهم، فلا يخرجون من أهلها، ويحالون بباقي كفايتهم على غيرها.
  - 3- أن تكون كافية لبعضهم مقصرة عن الباقين، فيخرج المكتفون عن أهلها، ويكون المقصرون على حالهم من أهل الصدقات.
  - 4- أن تفضل عن كفاية جميعهم فيخرجون من أهلها بالكفاية، ويرد الفضل من سهامهم على غيرهم من أقرب البلاد إليه.
  - 5- أن تفضل عن كفايات بعضهم وتعجز عن كفايات الباقين، فيرد ما فضل عن المكتفين على من عجز من المقصرين حتى يكتفي الفريقان.
- وإذا عدم بعض الأصناف الثمانية قسمت الزكاة على من يوجد منهم ولو كان صنفا واحدا؛ ولا ينقل سهم من عدم منهم في جيران المال إلا سهم سبيل الله في الغزاة، فإنه ينقل إليهم؛ لأنهم يسكنون الثغور في الأغلب؛ وتفرق زكاة كل ناحية في أهلها، ولا يجوز أن تنقل زكاة بلد إلى غيره إلا عند عدم وجود أهل السهمان فيه؛ فإن نقلها عنه مع وجودهم فيه لم يجزئه في أحد القولين، وأجزأه في القول الآخر وهو مذهب أبي حنيفة. كما لم يجز أبو الحسن الماوردي دفع الزكاة إلى الكفار، وكذا من تجب نفقته على المزكي من والد أو ولد لغناهم به، باستثناء إذا كانوا من الغارمين، وأجاز دفعها إلى من سواهم من أقاربه<sup>3</sup>.

**ج- شروط عامل الزكاة:** إنّ الإنفاق على هذه الأصناف الثمانية عامة من أموال الزكوات -يحتاج إلى نظر وتدبير، وهو أمر لا يتحقق بالكيفية المطلوبة شرعا، إلا إذا تولت الدولة أمر الزكاة وأنشأت للقيام بأمرها مؤسسة تدير شأنها وتؤدي وظائفها، كما أنّ الفقهاء اتفقوا على أنّ القيام بجمع أموال الزكوات وإحصائها وتدبير أمرها وتوزيعها وغير ذلك، عمل من أعمال الدولة، فهي المكلفة بإنشاء هذه الولاية<sup>4</sup>، فعملوا على تحديد شروط المشرف

1- الجيلاقي، المصدر السابق، ص22.

2- الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص133.

3- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص197.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص730-731.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

عليها، حتى يتم جمع مال الزكاة وحسابه وتنظيم سجلاته وإيصاله إلى بيت المال ومن ثم توزيعه وفق المطلوب، لا شيء إلا لأهمية وخطورة منصب والي الزكاة واتصاله بأحد أركان الإسلام، وأثره على المجتمع والدولة معاً، وسنين هذه الشروط كما يلي:

-أن يكون حراً مسلماً عادلاً عالماً بأحكام الزكاة إن كان من عمال التفويض، وإن كان منفذاً قد عينه الإمام على قدر يأخذه جاز أن لا يكون من أهل العلم بها، ويجوز أن يتقلدها من تحرم عليه الصدقات من ذي القربى، ولكن يكون رزقه عن سهم المصالح.

-وله إذا قلدها ثلاثة أحوال: أحدها: أن يقلد أخذها وقسمها، فله الجمع بين الأمرين. والثاني: أن يقلد أخذها وينهى عن قسمتها فنظره مقصور عن الأخذ، وهو ممنوع من القسم، والمقلد بهما بتأخير قسمها مأثوم إلا أن يجعل تقليدها لمن ينفرد بتعجيل قسمها. والثالث: أن يطلق تقليده عليها، فلا يؤمر بقسمها ولا ينهى عنه، فيكون بإطلاقه محمولاً على عمومته في الأمرين من أخذها وقسمها، فصارت الصدقات مشتملة على الأخذ والقسم لكل واحد منهما حكم<sup>1</sup>.

كما يرى أبو المعالي الجويني أن الذي ينتصب لجباية الصدقات، ينبغي أن يكون بصيراً بالأموال الزكائية ونصبها وأوقاصها، وما أوجبه الله فيها<sup>2</sup>، فهو يشترط في الساعي على جمع الزكاة أن تتوفر فيه هذه الشروط التي قررها: -العلم والبصيرة بالأموال الزكائية ونصبها وأوقاصها، وما أوجبه الله فيها، علماً محققاً لما يتولاه ويتعاطاه، ولا يشترط هنا أن يكون مجتهداً بالغاً مبلغ المفتين، إذ لا يتطلب الأمر سوى ما ذكره من العلم والبصيرة بما يتولاه فقط، وهذا الشرط في الأمر الموكل إلى الساعي، والمطلوب توافره فيه.

-أما الشرط المطلوب توافره في نفس الساعي فهو الديانة والصيانة والشهامة والكفاية اللائقة بما يتولاه من عمل، ولا يشترط في هذا الأمر الحرية، فلا فرق بين تعيين حر أو عبد مملوك لهذا العمل<sup>3</sup>.

وجملة القول هاهنا، فإن العمل بمقتضى هذه الشروط والضوابط، هو أساس نجاح مؤسسة ولاية الزكاة، فالواجب عليها مراعاتها والحرص على تطبيقها، حتى يتأتى لها أداء وظائفها وواجباتها، وتحقيق مصالحها التربوية والاجتماعية

1-الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص180-181، الفراء، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص115.

2-الغياثي...، المصدر السابق، ص313.

3-عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف العبد اللطيف، الآراء الاقتصادية لإمام الحرمين الجويني -دراسة تحليلية تقويمية-، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، شعبة الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1416هـ/1996م، ص186.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والسياسية والاقتصادية وغيرها، فتسهم بذلك في إقامة الدين واستقامة الدنيا وصلاح أحوال الناس المادية والمعنوية فيها<sup>1</sup>.

### 2- جهود العلماء في تنكيم الخراج:

2-1- تكون نظام الخراج وموقف العلماء منه: إنَّ البحث في مسائل الخراج وإشكاليته هو بحث في مالية الدولة: في مواردها وفي توزيع هذه الموارد، أي في الأساس الاقتصادي الذي قامت عليه الدولة، وهو بحث على جانب كبير من الأهمية النظرية والعملية فيما يتعلق بماضينا وحاضرنا<sup>2</sup>، لذا تعددت الآراء حول أصول كلمة الخراج-ضريبة الأرض- واستعمالاتها، فقد اعتبر بعض الباحثين أنَّ الاسم القديم لضريبة الأرض هو "طسق" الذي انتقل إلى اللغة العربية من الكلمة الآرامية (السريانية) طسقا<sup>3</sup> tasqa، بينما يرى البعض الآخر أنها سريانية نقلا عن اليونانية<sup>4</sup>، أما في اللغة العربية فالخراج: هو الغلَّة<sup>5</sup>، أو ما يخرج من غلَّة الأرض<sup>6</sup>، وفي لسان العرب: "...وفي التنزيل ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَقَرْعُوا رِيعًا﴾ قال الزجاج الخراج الفيء والخرج الضريبة والجزية.... وأما الخراج الذي وظفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على السواد وأرض الفيء فإنَّ معناه الغلَّة..<sup>7</sup>".

والخراج في الاصطلاح هو ما يوضع على الأرض غير العشرية من حقوق تؤدى عنها إلى بيت المال<sup>8</sup>، أو هو المال الذي يجبى ويؤتى به لأوقات محدودة<sup>9</sup>، وفي السياق ذاته اجتهد العلماء المسلمون في عصر الدراسة في تحديد مفهوم الخراج، نظرا لاعتباره أحد أهم موارد الدولة الإسلامية وتعلقه بالنشاط الزراعي بشكل رئيسي، في ظل التحول الكبير الذي شهده حال الزراعة في العصر السلجوقي بإقرار نظام الإقطاع العسكري وتوزيع الأراضي على

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 743.

2- شلق الفضل، الخراج والإقطاع والدولة (دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة الإسلامية)، مجلة الاجتهاد، العدد 01، حريف 1988م، بيروت، دار الاجتهاد، ص 125.

3- Michel G. Monory, *Iraq after the Muslim Conquest* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1984), P. 105.

4- Claude Cahen, *Kharadj*, in: *Encyclopaedia of Islam*, 2<sup>nd</sup> ed, vol 04, p, 1030.

5- نزيه حماد، المرجع السابق، ص 192.

6- المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 224.

7- ابن منظور، المصدر السابق، ج 3، ص 76.

8- نزيه حماد، المرجع السابق، ص 192.

9- ابن رجب أبي عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ-1985م، ص 09.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أمراء الجند من السلاجقة، لذا يشكل الضبط الدقيق لمفهوم الخراج رؤية اقتصادية متكاملة وتطويرا للزراعة في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وضمانا لاستمرارية الخراج كمورد رئيس لبيت المال، وحيلولة ضد تدهور الزراعة وتأثير ذلك على الصناعة والتجارة، خصوصا إذا عكس الواقع التاريخي التطورات الحاصلة في ضريبة الأرض عبر العصور الإسلامية المختلفة. وبالمقابل يمثل الرأي الفقهي جانبا آخر للموضوع هو تحديد المبادئ الشرعية المتصلة بها<sup>1</sup>، فامتزج بذلك التطور التاريخي الذي فرضه الواقع السياسي والبعد الاقتصادي والتغير الاجتماعي بالتأصيل الفقهي الذي أخذ بعين الاعتبار حجم التغيرات والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدت الدولة العباسية منذ نهاية عصرها الأول وإلى غاية سقوطها سنة 656هـ/1258م، الأمر الذي جعل العلماء يتصدون لقضية وضع تعريف للخراج انطلاقا من مراعاة كل هذه الأمور، فالماوردي وأبو يعلى الفراء يتفقان على أنَّ الخراج "ما وضع على رقاب الأرض/الأرضين من حقوق تؤدى عنها"<sup>2</sup>، ويضيف الماوردي مفهوما آخر للخراج بتفسيره لقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْكُمْ خَيْرُكُمْ﴾ (سورة المؤمنون: 72)، حيث بيّن الفرق بين الخرج والخراج، فالخرج من الرقاب، والخراج من الأرض<sup>3</sup>، أما السرخسي فقد عرّف الخراج بقوله: "الخراج اسم لما هو صلة قال الله تعالى فهل نجعل لك خرجا أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير والصلة المالية لا تكون إلا ممن يجد للمال"<sup>4</sup>.

يرى أحد الباحثين بأنَّ العلماء يعتبرون الخراج بمثابة غلة وكراء للأرض، من خلال حديثهم عن غلة الأرض وكيفية توزيعها على المنتجين الفعليين وأسياد الأرض والدولة، فعدت غلة الأرض -لا الأرض ذاتها- من جملة الأموال في نظرهم، والسبب في ذلك كما يرى، يتمثل في أنَّ العلماء والمؤرخين المسلمين عالجوا المسألة من منظور تاريخي يسلط الضوء على إشكالية غياب نظرية جاهزة حول ملكية الأرض يسير عليها الفاتحون المسلمون حينما شرعوا في الفتوحات، وبالمقابل كان عليهم مواجهة مشكلة ملحة هي كيف يوزعون الغنائم وغللات الأرض المفتوحة<sup>5</sup>. والواقع أنَّ مسألة تطور نظام الخراج أكثر تعقيدا مما نظن، نظرا للتغيرات التي شهدتها الأراضي المفتوحة في ظل السلطات السياسية المتعاقبة التي حكمت العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، من ذلك تبلور نظرية مالية الدولة التي تتولى معالجة مسائل الخراج والفيء والجزية، انطلاقا من اجتهادات العلماء المسلمين الذين استندوا إلى التقاليد

1- كاتبي غيداء خزنة، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن الثالث الهجري-الممارسات والنظرية-، ط1-ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 1994م/ديسمبر 1997م، ص. 335.

2- المصدران السابقان، ص 227، ص 162.

3- النكت والعيون تفسير الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الجزء الرابع، بيروت، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، د.ت، ص 63.

4- المصدر السابق، ج 10، ص 80.

5- شلق الفضل، المرجع السابق، ص 126-127.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والأعراف الاجتماعية الموروثة التي جاءت رديفة ومتماهية مع النص الديني، وخير شاهد على ذلك مسألة الزكاة التي اعتبروها منذ البداية فريضة دينية وعملوا على إخراجها تدريجياً من نطاق عمل الدولة، في حين اعتبرت الدولة الخراج جزءاً من نطاق عملها، والاجتهاد فيه يتم بمبادرة منها ولصالحها، فلا غرو أن نظام الخراج الذي ناقشه العلماء المسلمون في القرون الأولى للإسلام (أبو يوسف، يحيى بن آدم، أبو عبيد، ابن زنجويه)، سيصبح محور مواضيع طبقة الكتاب الإداريين الذي يعملون للدولة (قدامة بن جعفر، الصولي)<sup>1</sup>، وإنهاء بعلماء العصر السلجوقي الذين جمعوا بين التطور التاريخي والأساس الشرعي والوضع الذي وصل إليه واقع نظام الخراج.

من المتفق عليه بأن نظام الخراج بدأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم<sup>2</sup>، ثم أخذ أبعاد أخرى عقب انطلاق الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين، وبخاصة فترة خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث تعددت موارد بيت المال من الزكاة والصدقات والجزية والعشور والخراج، وكانت هذه الأخيرة على جانب كبير من الأهمية، خصوصاً بعد قرار الخليفة بإبقاء الأراضي الزراعية في أيدي أصحابها المحليين، مما ساهم في توفير مناخ مشجع للاستقرار في البلاد المفتوحة من جهة، ودعم عائدات الدولة المالية من جهة أخرى. وكان هذا القرار معبراً عن نظرة الخليفة البعيدة للوصول إلى تحقيق الانصهار والتلاحم بين مجتمعات هذه البلدان وبين المسلمين الفاتحين، لاسيما وأن هؤلاء لم تكن لديهم التجربة الزراعية الكافية للقيام بهذا الدور<sup>3</sup>، وعلى ضوء ذلك ارتكز العلماء في مناقشة نظام الخراج على تدابير عمر بن الخطاب في السواد والبلاد المفتوحة التي وفرت سوابق للآراء الفقهية حول مفهوم الخراج والأحكام الخاصة بالأراضي الخراجية<sup>4</sup>، فقد أشار الماوردي في معرض حديثه عن أقسام الأراضي، وبالتحديد القسم الرابع: ما صولح عليه المشركون من أرضهم، فهي الأرض المختصة بوضع الخراج عليها، إلى أن عمر بن الخطاب وضع الخراج على سواد العراق ونواحي الشام أيضاً وفق نظام محدد أقره<sup>5</sup>، ووافقه على ذلك أبو يعلى الفراء<sup>6</sup>، واتفق معهما السرخسي حينما صرح بأن عمر بن الخطاب فرض الخراج على أراضي أهل الذمة مرة واحدة في السنة<sup>7</sup>، كما ثمن السرخسي ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب بقوله: "تصرف الإمام وقع على وجه

1- شلق الفضل، المرجع السابق، ص 131-132.

2- لمزيد من التفاصيل حول نظام الخراج في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ينظر: فاروق عمر فوزي، تاريخ النظم الإسلامية (دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى)، ط 1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2010م، ص 328-330.

3- طقوش محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين...، المرجع السابق، ص 345.

4- كاتبي غيداء خزنة، المرجع السابق، ص 335.

5- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 227-230.

6- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 165-166.

7- المصدر السابق، ج 10، ص 82.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

النظر وأنه نصب لذلك وبيانه أنه لو قسمها بينهم اشتغلوا بالزراعة وقعدوا عن الجهاد فيكر عليهم العدو وربما لا يهتدون لذلك العمل أيضا فإذا تركها في أيديهم وهم أعرف بذلك العمل اشتغلوا بالزراعة وأدوا الجزية والخراج فيصرف ذلك إلى المقاتلة ويكونون مشغولين بالجهاد وبهذا تبين أنه ليس في هذا إبطال حقهم بل فيه توفير المنفعة عنهم لأن منفعة القسمة وإن كانت أعجل فمنفعة الخراج أدوم<sup>1</sup>، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اتجه العلماء إلى تصنيف الأراضي المفتوحة إلى أراضي فتحت صلحا، وأخرى فتحت عنوة، فالأولى: ما ملك من المشركين عنوة وقهرا، والثانية ما صولح عليه المشركون من أرضهم<sup>2</sup>، خصوصا أن معظم الفقهاء القدماء والمؤرخين الذين كتبوا في موضوع الخراج يذكرون التمييز بين الأراضي التي فتحت عنوة، والأراضي التي فتحت صلحا، وفي نفس الوقت يعتبرون هذا التمييز أساسا ليس فقط لتمييز مختلف تصنيفات الخراج (بوصفه فائضا إنتاجيا تقتسمه الدولة مع أسياذ الأرض)، بل أيضا لتصنيف مختلف أنواع ملكية الأرض، فهم يواجهون الممارسات والتطبيقات التي تقوم بها أجهزة الدولة، إذ كان عليهم معالجتها إما لوصفها وتبريرها أو لوصف ما يجب أن يكون<sup>3</sup>، لذا لا يمكننا الإمساك بواقع الخراج في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال الفترة السلجوقية إلا بتتبع تطور أقسام الأراضي التي ضمت إلى رقعة الدولة الإسلامية منذ العهد الراشدي إلى غاية العصر السلجوقي، إذ قسم عمر بن الخطاب الأراضي المفتوحة إلى ثلاثة أقسام هي:

-الصوائف: وهي الأرض الخاضعة للدولة وتدعى صوائف الإمام، ويدخل في هذا الصنف؛ أراضي كسرى التي فتحها المسلمون وأراضي أفراد العائلات المالكة الساسانية وأوقاف بيوت النار وأراضي من قتل في الحرب وكذلك المستنقعات والأراضي المجففة (الموات).

-أرض الصلح: وهي الأرض التي صالح أهلها المسلمين على أن يدفعوا ضريبة واحدة متفق عليها وتبقى ملكية أراضيهم لهم. وكانت هذه الضريبة تفرض على أهل المنطقة وهم مسؤولون عن جمعها، وهي أرض الفيء.

-الأراضي الخراجية: التي فتحها المسلمون عن طريق القتال وأبقوا عليها سكانها الأصليين. وقد أوقفها عمر بن الخطاب على مصالح المسلمين كافة بدل توزيعها على المقاتلة الذين فتحوها لضرورات اقتصادية وأمنية<sup>4</sup>.

وأثناء العصر الأموي قام عدد من الخلفاء الأمويين باستحداث تصنيف جديد للأراضي، على الرغم من استمرار الفتوحات والغنائم الكثيرة المتأتية للجند الفاتحين، وبالمقابل زادت نفقات الحروب التي خاضها الأمويين ضد

1- السرخسي، المصدر السابق، ج10، ص40.

2- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص228.

3- شلق الفضل، المرجع السابق، ص134.

4- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص331.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

خصومهم ومناوئهم، فأدخلوا تغييرات على الأراضي بما يتلائم مع الظروف الجديدة واحتياجهم للمال للنفقة العامة<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك تم تقسيم الأرض إلى أراضي ذات ملكية عامة<sup>2</sup>، وأخرى ذات ملكية خاصة<sup>3</sup>، بالإضافة إلى أراضي الوقف<sup>4</sup>.

أما في العصر العباسي سواء العصر العباسي الأول أو الثاني أو فترة حكم البويهيين، فقد صنفت الأراضي إلى خمسة أصناف رئيسية:

1- الأراضي السلطانية، وهذه تعود إلى الخليفة أو الأمير البويعي.

2- الإقطاعات.

3- أراضي الملك.

4- أراضي الوقف.

5- الأراضي المشاعة<sup>5</sup>.

إنَّ التغييرات التي طرأت على وضعية الأراضي عبر العهود الإسلامية، أتت نتيجة لتزايد عدد الذين أسلموا من أهل الذمة، مما أدى إلى تغيير في سياسة الدولة حول الأرض وملكيتها. ففي البداية، عندما فرض العرب المسلمون سيطرتهم على هذه البلدان تركوا الأرض بيد سكانها على أن يختاروا البقاء على دينهم إن أرادوا أن يعطوا الأمان على أنفسهم وممتلكاتهم لقاء أن يؤدوا الجزية عن رقابهم والخراج عن أرضهم. أسهم هذا الحل في الحفاظ على إنتاجية الأرض وعلى تأمين موارد الدولة. ذلك أنه بمقدار ما تكون الأرض منتجة بمقدار ما يمكن إنتاج فائض اقتصادي تقتطعه الدولة بكامله أو جزءاً منه لنفسها. فالجزية والخراج هما مجموع الضرائب التي تجبى من غير

1- فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص 336-337.

2- تغيرت وضعية الأراضي في العصر الأموي حيث تم إضافة أراضي الصوافي إلى الأراضي الخراجية على ضوء تعديلات وتجاوزات من طرف السلطة الأموية، كما أقطع الخلفاء أراضي الصوافي التي لا مالك لها وسميت بالقطائع إلى أفراد أسرته وللمخلصين من أنصاره بمثابة المكافأة لهم، وبعضهم جعلها موقوفة مقبلة (مكفولة)، وبالنسبة لأراضي الخراج فقد سمحوا للمسلمين بشرائها فتحوّلت إلى أرض عشيرة، ولكن عمر بن عبد العزيز عمل على منع شراء الأراضي الخراجية، وكذا منع إقطاع أراضي الصوافي باستثناء استصلاحها، ينظر: المرجع نفسه، ص 337-341.

3- هي ملكية الأفراد للأراضي سواء كانت أرض الموات أو الصوافي، أو أراضي لا مالك لها، بل تجاوزت في الفترة الأموية لتشمل أحياناً أراضي الخراج وبذلك تكونت ملكيات خاصة كبيرة على حساب أراضي الملكية العامة مثل الصوافي والخراج، ولا بد أن نشير إلى أنَّ صاحب القطائع يؤدي ضريبة سنوية للدولة تحدد حسب نوعية الأرض، فإن كانت خراجية فعليها الخراج وإن كانت عشيرة فعليها العشر وإن كانت أرض صلح فعلى الشروط التي اتفق عليها في حينه وهكذا. ولم تكن القطائع تعني ملكية ربة الأرض، بل للخليفة الحق في استرجاعها، إذا تركها صاحبها مدة ثلاث سنوات دون استغلال أو غيّر في الاتفاق مع الدولة، ينظر: المرجع نفسه، ص 341.

4- المرجع نفسه، ص 342.

5- لمزيد من التفصيل حول هذه الأصناف ينظر: الدوري عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط 3، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير 1995م، ص 44-59، فهد المطر المطيري، المرجع السابق، ص 48-65.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

المسلمين وهما يشكلان الجزء الأكبر من موارد الدولة. والمشكلة هي أنه بتحول هؤلاء إلى الإسلام تتناقص موارد الدولة تناقصا كبيرا<sup>1</sup>، لذا كان على السلطة العمل على إيجاد حل مناسب لهذه المشكلة، فاتجهت إلى الاستعانة بالعلماء، وكان الحل لهذه المسألة على النحو التالي:

- اعتبار الخراج موضوع اجتهاد يقوم به الفقهاء وأئمة المسلمين وذلك تمييزا عن الجزية والصدقة. فالصدقة محددة في مصادرها ومصارفها بالنص، والجزية محددة في مصادرها بالنص وفي مصارفها بالاجتهاد. أمّا الخراج فهو محدد في مصادره وفي مصارفه بالاجتهاد.

- اعتبار الخراج صفة لاحقة للأرض تتحدد بالطريقة التي افتتحت بها الأرض. ولا تسقط هذه الصفة عن الأرض ولا تتغير إذا أسلم صاحب الأرض، فالأرض التي اعتبرت خراجية عند الفتح تبقى خراجية بعد ذلك إلى الأبد<sup>2</sup>. وعلى ضوء ذلك تحكم في تطور وضعية الأراضي عموما والأراضي الخراجية، تغير الواقع السياسي للدولة الإسلامية، فقد شهد العهد الراشدي توسعا في رقعتها وتواصل ذلك في العهد الأموي، حيث اكتملت حدودها وأراضيها في ظل وجود حكم وإدارة مركزيين يشرفان على تسييرها، غير أنه أثناء العصر العباسي الأول بدأت الدولة تفقد مساحات واسعة تابعة لها في المشرق والمغرب، وصولا إلى العصر العباسي الثاني الذي شهد انكماش سلطة الدولة العباسية المركزية ولم تعد تحكم إلا بغداد وبعض مدن العراق، وظهور عدد من الدول الإسلامية التي تفاوتت مساحتها، مما حتم إعادة النظر في مسألة تنظيم الأراضي الخراجية، حيث إنّ نظرية الخراج التي صيغت لمجتمع العشيرة- الأمة، المجتمع الذي يتكون لأمة تندمج العشائر في إطارها تدريجيا، هي نظرية صارت غير وافية في الوضع الجديد حين توسع المجتمع ليشمل أعدادا كبيرة من المسلمين غير العرب (الموالي)، وترسّخ مشروع الدولة التي كان عليها أن تدمج العرب والمسلمين غير العرب في إطار الأمة. وبمقدار ما تكاثرت عدد المسلمين غير العرب صار دمجهم في إطار الأمة والدولة مسألة ضرورية لضمان استمرار الدولة ذاتها. هذا الدمج ما كان ممكنا دون تعديل نظرية الخراج من أجل المساواة والتكافؤ في معاملة الدولة لجميع المسلمين من عرب وغير عرب<sup>3</sup>، لذا جاء تثبيت الوضع الضريبي للأراضي الخراجية كإجراء ضروري يأخذ بعين الاعتبار الأسلوب الذي فتحت الأرض به، الصلح أو العنوة، دون الالتفات إلى نوع الملكية التي صارت عليها، سواء امتلكها مسلم أو ذمي، متماهيا تماما مع ضمان موارد مستمرة للدولة، مع العمل على منع تحويل الأرض الخراجية إلى أرض عشرية بإسلام صاحبها أو بيعها إلى

1- شلق الفضل، المرجع السابق، ص 146.

2- المرجع نفسه، ص 148-149.

3- المرجع نفسه، ص 150.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

مسلم، كما ساهم في تحقيق المساواة بين المسلمين عرب وموالي، وفي إضفاء المشروعية على الموارد الضرورية لاستمرار السلطة الإسلامية<sup>1</sup>.

وفي السياق ذاته ينقسم الخراج إلى خمسة أنواع؛-الخراج الصلحي: الذي يفرض على الأراضي التي أخذها المسلمون صلحا وأبقوها في يد أهلها مقابل خراج معلوم<sup>2</sup>،-خراج العبد: هو عبارة عن ضريبة يخرجها العبد لسيد من ماله،-الخراج العنوي: الذي يوضع على الأرض التي افتتحت عنوة بعد أن وقفها الإمام على جميع المسلمين، ويدخل في هذا النوع الخراج الذي يوضع على الأرض التي جلا عنها أهلها خوفا وفزعا من المسلمين، وكذا الخراج الذي يوضع على الأرض التي صولح أهلها على أن تكون للمسلمين ويقرن عليها بخراج معلوم<sup>3</sup>،-خراج المقاسمة: الذي يكون الواجب فيه جزءا شائعا من الخارج إلى الأرض، كالربع والخمس ونحو ذلك. وهو ما يتعلق بالخارج من الأرض لا بالتمكن من زراعتها، فلو عطل المالك الأرض فلا يجب عليه الخراج. ونظرا لتعلقه بالخارج، فإنه يتكرر بتكرر الخراج في السنة<sup>4</sup>،-خراج الوظيفة: الخراج الذي يكون الواجب فيه شيئا في الدمة، يتعلق بالتمكن من زراعة حتى ولو لم يقع الزرع بالفعل، فيجب الخراج على مالك الأرض، لأنَّ التمكن من الانتفاع قائم، وهو الذي قصر في تحصيله، فيتحمل تبعة تقصيره<sup>5</sup>.

### 2-2-واقم نظام الخراج في العصر السلجوقي: عرف نظام الخراج تغيرات عديدة خلال العصر

السلجوقي، نظرا لاتساع رقعة الدولة السلجوقية بعد أن ضم السلاجقة أقاليم بلاد ما وراء النهر وخراسان والعراق والجزيرة الفراتية والشام نتيجة لقضائهم على الغزنويين والبويهيين وتقليصهم لنفوذ الفاطميين والإمارات العربية، ثم فتحهم لأرمينيا والأناضول، مما جعل نظام الخراج يعيش واقعا جديدا صبغ بالصبغة السلجوقية، المتمثلة في اعتبار السلاجقة جميع الأراضي ملكا للسلطان وأمراء القبائل والجند، يتم تقاسمها وفق نمط معين كما رأينا في الباب الأول من هذه الدراسة، لذا سيشهد نظام الخراج محطات محورية ساهمت في استحداث طرق وأساليب جديدة لتنظيمه وجبايته، حيث سنحاول تتبع التطورات التي عرفها في فترة الحكم السلجوقي لأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، من ذلك استخدام السلاجقة أسلوب الضمان أو نظام التضمين الذي هو عبارة عن ضمان شخص ما دفع الخراج عن جهة معينة بمبلغ يتفق عليه مع السلطان، ويقوم هذا الشخص بجمع الخراج من المزارعين

1- شلق الفضل، المرجع السابق، ص151.

2- نزبه حماد، المرجع السابق، ص192.

3- المرجع نفسه، ص192-193.

4- المرجع نفسه، ص193.

5- المرجع نفسه، ص193-194.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

كالالتزام<sup>1</sup>، ويكون الدفع مقدما عن كل عام، ويستفيد الضامن بالفارق المالي بعد تسديد حصة الدولة، وكان هذا الأسلوب شائعا قبل العهد السلجوقي، إذ عمل به البويهيون في العراق، وبعد دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ أبقوا عليه وعدوه موردا هاما يمد خزانة السلطان السلجوقي بالأموال، دون أن يضطروا إلى بذل جهود كبيرة في تحصيلها، فالضامن هو الذي يتولى جباية الخراج، وأضحى بذلك ضمان المدن يدر مبالغ مالية كبيرة على خزائن السلاجقة<sup>2</sup>، فقد ضمن السلطان طغرل بك سنة 447هـ البصرة والأهواز من هزارسب بن بنكير بن عياض بثلاثمائة ألف وستين ألف دينار<sup>3</sup>، وكذلك أعطى بغداد لأبي الفتح المظفر بن الحسين بضمن 400 ألف دينار لمدة ثلاث سنوات<sup>4</sup> في سنة 452هـ، وخلع السلطان طغرل بك على محمود بن الأخرم الخفاجي وردت إليه إمارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة<sup>5</sup>، كما عقد ضمان بغداد سنة 455هـ على أبي سعيد القايني بمائة وخمسين ألف دينار، وكذلك عقد ضمان واسط على أبي جعفر بن صقالب بمائتي ألف دينار<sup>6</sup>، وبعد وفاة السلطان طغرل بك سنة 455هـ وتولي ألب أرسلان السلطنة عقد في سنة 459هـ ضمان البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة دينار<sup>7</sup>، واستمر نظام التضمن كذلك في عهد السلطان ملكشاه، فقد ضمن خمارتكين بن الشراري سنة 472هـ البصرة بمائة ألف دينار ومائة فرس كل سنة<sup>8</sup>، وفي عهد السلطان السلجوقي بالعراق محمود بن محمد بن ملكشاه، حاول الأمير الأيلغازي التشفع لدييس بن صدقة لدى السلطان محمود، بأن يبذل له الطاعة ويحمل له الأموال والخيل وغيرها، كما يفى له بضمن الحلة كل يوم بألف دينار وفرس، غير أن السلطان محمود رفض ذلك<sup>9</sup>.

كما تجدر الإشارة أنه في عهد السلطان سنجر بن ملكشاه كثر الوارد من أموال الخراج لخزانة خراسان، نتيجة التوسعات الإقليمية التي قام بها منذ بداية عهده، حيث استولى على مدينة غزنة وجي أموالها في عام 501هـ/1116م-1117م، وقد بلغت الأتاوة التي كان يؤديها حاكمها بهرام شاه الغزنوي لخزانة خراسان

1- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص 200.

2- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 23.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 325.

4- المصدر نفسه، ج 8، ص 351.

5- المصدر نفسه، ج 8، ص 353.

6- المصدر نفسه، ج 8، ص 360.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 103.

8- المصدر نفسه، ج 16، ص 206. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 422.

9- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 9، ص 210.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ألف دينار في اليوم، أما في عهد السلطان سليمان شاه ابن أخ سنجر (554هـ-556هـ) الذي حكم ما وراء النهر وكردستان قدر الخراج بحوالي مليوني دينار في العام الواحد<sup>1</sup>.

لم يكن نظام الضمان الذي أقره السلاطين السلاجقة في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، الأسلوب الوحيد في هذا العهد، بل سيشهد نظام الخراج تغيرات كبيرة ساهمت في لجوء السلطة السلجوقية إلى نظام الإقطاع العسكري واستخدامه بشكل واسع جداً، والإقطاع من "...أقطعه قطيعة من الأرض وقطائع: طائفة من أرض الخراج..<sup>2</sup>، ومن معانيه أيضاً الإقطاعية التي هي طائفة من أرض الخراج يقطعها الجند فتجعل لهم غلتها رزقاً<sup>3</sup>، أما الإقطاع العسكري فهو: يقوم على إقطاع الجند أراضي لزراعتها على أن يؤدوا جزءاً من عائداتها للدولة<sup>4</sup>، وانتهى بذلك نظام الضمان إلى نظام الإقطاع لأنه في الواقع استغلال للأرض مشروطاً بمبالغ سنوية تؤدي للخزانة السلطانية، ومن هنا كانت نشأة الإقطاع الحربية نتيجة ذلك النظام حيث كان الأمراء والجنود يأخذون إيجارهم ضماناً لأرزاقهم أو بعضها<sup>5</sup>، وقد اقتبس السلاجقة نظام الإقطاع العسكري من البويهيين الذين طبقوه في بغداد<sup>6</sup>، فساروا على خطاهم وأشاعوه في أراضي دولتهم الواسعة، لموازنة كثرة أعداد الجيوش التي باتت تشكل عبئاً على الدولة، وكانت تعتمد تشكيلاتها العسكرية على الجند من الرقيق والمماليك<sup>7</sup>.

وعلى ضوء ذلك يمكن القول إنَّ استبدال نظام الضمان بالإقطاع العسكري يعكس حجم التطورات التي شهدتها الدولة السلجوقية، خصوصاً بعد ضمهم للعراق والجزيرة الفراتية والشام، حيث لم يتمكن السلاطين من فرض سلطتهم عليها مثل إقليمي بلاد ما وراء النهر وخراسان اللذين وزعا على شكل إقطاعات على أمراء الأسرة السلجوقية كما أشرنا إلى ذلك في الباب الأول، بينما العراق والجزيرة الفراتية والشام لم يتم تقسيمها بنفس النمط بسبب بقاء خلافة العباسيين والأمراء المستقلين، وأيضاً بسبب صراع السلاجقة على السلطة بعد وفاة السلطان ملكشاه، وطالما أنَّ الوزير نظام الملك كان له الدور الكبير في تعميم نظام الإقطاع العسكري بتوزيع الأراضي

1- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص 198.

2- الزمخشري، المصدر السابق، ج 2، ص 88.

3- الشرتوني، أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، ج 2، ص 1015، نقلاً عن الدليمي محمد حسن سهيل، الإقطاع في الدولة العباسية (447هـ - 656هـ)، ط 1، جمهورية العراق، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 1431هـ/2010م، ص 20.

4- الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق...، المصدر السابق، ص 55.

5- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص 201.

6- إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، ط 1، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1388هـ/1968م، ص 21-22.

7- ذهبية عاشور أبو بكر قري، المرجع السابق، ص 151.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الزراعية على أمراء الجند، فستتبع ما قام به في المبحث القادم، وبالمقابل أقطع عدد من سلاطين السلاجقة مدنا وأقاليم مختلفة للأمراء على شكل مكافآت، حيث في سنة 500هـ أقطع السلطان محمد الموصل وديار بكر والجزيرة لـ "جاولي سقاو" <sup>1</sup>، كما أقطع مدينة واسط لـ "صدقة بن مزيد" سنة 501هـ وأذن له بأخذ البصرة <sup>2</sup>، وبعد مقتله - صدقة بن مزيد - أقطع السلطان محمد مدينة واسط لـ "قسيم الدولة البرسقي" <sup>3</sup>، ورجبة مالك بن طوق لـ "الأصبهذ صباو" <sup>4</sup>، وفي سنة 510هـ توفي "جاولي سقاو" وكان السلطان محمد قد أقطعه بلاد فارس <sup>5</sup>، وبعد سنتين أحسن إلى الأمير دبيس بن صدقة وأقطعه إقطاعا كثيرا <sup>6</sup>، وبحلول سنة 514هـ أقطع السلطان السلجوقي مسعود مراغة لـ "قسيم الدولة البرسقي" كإضافة للرجبة <sup>7</sup>، وفي صفر سنة 515هـ قام السلطان محمود بإقطاع مدينة الموصل وأعمالها وما ينضاف إليها كالجزيرة وسنجان وغيرها للأمير آقسنقر البرسقي <sup>8</sup>، وأقطع أيضا الأمير أيلغازي مدينة ميافارقين <sup>9</sup>، ولما دخلت سنة 516هـ قام السلطان محمود بإقطاع أذربيجان للأمير جيوش بك <sup>10</sup>، وزاد إلى إقطاع آقسنقر مدينة واسط وأعمالها <sup>11</sup>، وأقطع مدينة البصرة لعماد الدين زنكي سنة 518هـ <sup>12</sup>، وبعد أن تصالح السلطان محمود مع أخيه السلطان مسعود أقطعه مدينة كنجة وأعمالها وسيره إليها سنة 524هـ <sup>13</sup>، وأقطع السلطان سنجر في سنة 526هـ الحلة لدييس بن صدقة <sup>14</sup>.

وفي السياق ذاته اضطربت الأمور في عهد السلطان مسعود ولم يتمكن من ضبطها، حتى استقطع الأمراء البلاد بغير اختياره ولم يبق له شيء من البلاد البتة إلا اسم السلطنة لا غير <sup>15</sup>، وبعد انتصار السلطان سنجر على خوارزم

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص102.

2- المصدر نفسه، ج9، ص113.

3- المصدر نفسه، ج9، ص115.

4- المصدر نفسه، ج9، ص122.

5- المصدر نفسه، ج9، ص162.

6- المصدر نفسه، ج9، ص172.

7- المصدر نفسه، ج9، ص191.

8- المصدر نفسه، ج9، ص207.

9- المصدر نفسه، ج9، ص209.

10- المصدر نفسه، ج9، ص213.

11- المصدر نفسه، ج9، ص217.

12- المصدر نفسه، ج9، ص229.

13- المصدر نفسه، ج9، ص256.

14- المصدر نفسه، ج9، ص264.

15- المصدر نفسه، ج9، ص307.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

شاه أتنز بن محمد واستيلائه على خوارزم، قام بإقطاعها للأمير غياث الدين سليمان شاه بن السلطان محمد سنة 533هـ<sup>1</sup>، وفي سنة 542هـ أقطع السلطان مسعود الحلة لـ "سلازكرد"<sup>2</sup>.

لقد طغى نظام الإقطاع العسكري وهيمن على نظام الخراج إبان العصر السلجوقي، إذ أظهرت الإقطاعات التي منحها سلاطين الدولة السلجوقية المتأخرين للولاة وقادة الجيوش هذا المنحى، وخاصة في الأقاليم الغربية من السلطنة السلجوقية، مما يعكس طبيعة النظام الإقطاعي السلجوقي المبني على أساس منح الإقطاع مقابل أداء الخدمة العسكرية، كما يصبح لزاما على الأمير المقطع أن يكون هو وقواته تحت إمرة السلطان السلجوقي في أوقات إعلان الحرب ومن واجبات المقطع أن يجهز جنوده بالمؤن والأسلحة على نفقته الخاصة<sup>3</sup>، وعلى إثر ذلك أضحي النظام الإقطاعي عند السلاجقة وراثيا، وأصبح المقطع السلجوقي سيدا إقطاعيا في مقاطعته ومن ثم ينتقل إقطاعه إلى ورثته من بعده، وفي أكثر الأوقات عمل الزعماء الإقطاعيين على توريث إقطاعاتهم مستغلين ضعف السلطان السلجوقي، ويظهر ذلك جليا في عهود كل من السلطان محمد والسلطان سنجر والسلطان محمود والسلطان مسعود، التي انقسمت فيها الدولة السلجوقية إلى سلاجقة المشرق وسلاجقة العراق والشام، فيستفيدون من نظام الوراثة الذي يؤدي إلى بقاء الإقطاع في عائلاتهم ومن خلاله يستطيعون أن يمولوا قوى عسكرية تدين بالولاء لهم، ففتح الباب على مصراعيه للتنافس على الحكم بين البيت السلجوقي الحاكم وبقية أمراء السلاجقة، وفي الآن ذاته أصبحوا سادة في إقطاعاتهم ومسؤولين على حاشيتهم وكذلك عن جميع الضرائب، وهكذا شكلت أراضي فارس والعراق والجزيرة والشام مملكة إقطاعية يحكمها الأمراء السلاجقة الذين أصبح لديهم جيوش من الجنود المرتزقة موزعين على الإقطاعات جاهزين في حالة الحاجة لهم في أوقات الحرب<sup>4</sup>.

والواقع أنه انبثق عن نظام الإقطاع العسكري السلجوقي في الفترات المتأخرة من العصر السلجوقي، نظام آخر فرضته الظروف السياسية المتأزمة والأزمات الاقتصادية، عرف بنظام الإلجاء، حيث كان صغار الفلاحين يريدون الإفلات من عبء الخراج فتوصلوا إلى نظام الإلجاء؛ بأن يلجئوا ضياعهم إلى الأغنياء الأقوياء وبذلك أصبحوا مستأجرين لهم مقابل حمايتهم من الإدارة المالية، ويبدو أنَّ السبب في لجوء الفلاحين لهذا النظام يرجع إلى تعسف

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص309.

2- المصدر نفسه، ج9، ص348.

3- الدليمي محمد حسن سهيل، المرجع السابق، ص53-54.

4- المرجع نفسه، ص54.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الجباة في جمع الخراج ورغبة الفلاحين في تقليل الخراج المفروض على الأرض التابعة لهم فيزداد خطر الإقطاعيين<sup>1</sup>، لذا قاموا بكتابة ضياعهم وأراضيهم باسم الذين يحمونهم، مقابل دفع جزء من الإيراد (الحصول) إليهم<sup>2</sup>. تلك أبرز التغيرات والتطورات التي طرأت على نظام الخراج في العصر السلجوقي، حيث عرف ثلاثة أنماط فرضتها أوضاع الدولة السلجوقية من تأسيسها إلى سقوطها، فكان نظام الضمان ساري المفعول في عهود كل من طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه، وبالموازاة معه تم تعميم نظام الإقطاع العسكري على يد الوزير نظام الملك وبقي إلى غاية انهيار الدولة، أما نظام الإلجاء فكان نظام ظرفيا أجبر عليه المزارعون في أواخر عهود دولة السلاجقة، فما هي المساعي التي بذلها العلماء في سبيل تنظيم نظام الخراج في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي؟.

**2-3- مساعي العلماء لتنظيم الخراج:** تأتي مساعي العلماء لتنظيم الخراج تكملة لجهودهم في مسألة الرزقة، فقد أدرك العلماء حجم التحولات التي شهدتها النظام المالي والاقتصادي في العصر السلجوقي، وأنهم معنيون بالتدخل من أجل بلورة رؤية فقهية ومالية متكاملة، تساهم في إعادة رسم هيكلية جديدة يتم من خلالها توجيه السلطة السلجوقية إلى الاهتمام أكثر بوضع الأراضي الخراجية من حيث تحديدها وطرق تحصيل الخراج منها وأوقات ذلك وشروط عمال الخراج، بالإضافة إلى موقفهم من نظام الضمان والإقطاع العسكري ونظام الإلجاء، كل ذلك سيبين حجم الجهود المبذولة من قبلهم من أجل تنظيم الخراج.

خصص كل من الماوردي وأبي يعلى الفراء فصلا لنظام الخراج في كتابيهما اللذين عنوانهما بالأحكام السلطانية، حيث حاولا تتبع وجرّد مجمل الأحكام الفقهية التي قررها العلماء وفق اجتهاداتهم نتيجة للتطورات التي عرفها نظام الخراج إلى غاية عصر السلاجقة، كما أظهرنا لنا خلاصة أفكارهما لتوجيه سلاطين وموظفي الخراج في الدولة السلجوقية، فبدأ بعرض الإجراءات التي وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتنظيم الأراضي المفتوحة وذكرنا أقسامها، واتفقا على أنّ عمر بن الخطاب من مسح السواد ووضع الخراج وحدّد الحدود ووضع الدّواوين وراعى ما تحتمله الأرض من غير حيف بمالك ولا إجحاف بزراع<sup>3</sup>، لذا اشترطا أن يراعى المشرفون على الخراج في كل أرض ما تحتمله، فإنها تختلف من ثلاثة أوجه يؤثر كل واحد منها في زيادة الخراج ونقصانه: -أحدها: ما يختص بالأرض من جودة يزكو بها زرعها، أو رداءة يقل بها ريعها.

1- فيصل سيد طه، الحالة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية في نيسابور منذ مستهل القرن الثالث الهجري حتى قيام الدولة الغزنوية، ص59، نقلا عن إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص202.  
2- عاشور أبو بكر قري ذهبي، المرجع السابق، ص156.  
3- المصدران السابقان، ص229، ص165.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-الثاني: ما يختص بالزّرع من اختلاف أنواعه من الحبوب والثمار، فمنها ما يكثر ثمنه، ومنها ما يقل ثمنه، فيكون الخراج بحسبه.

-الثالث: ما يختص بالسقي والشرب؛ لأن ما التزم المؤنة في سقيه بالنواضح والدوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السيوح والأمطار<sup>1</sup>.

وعطفا حديثهما بمسألة شرب الزرع والأشجار الذي ينقسم إلى أربعة أقسام؛ منها ما سقاه الآدميون بغير آلة كالسيوح من العيون والأنهار، ومنها ما سقاه الآدميون بآلة من نواضح ودواليب أو دوالي، وأيضاً ما سقته السماء بمطر أو ثلج أو طل، وآخرها ما سقته الأرض بندواتها وما استكن من الماء في قرارها، ثم أكدا أنه ينبغي للمشرف على الخراج اعتبار ما وصفاه من الأوجه الثلاثة، من اختلاف الأرضين واختلاف الزّرع واختلاف السقي؛ ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها، فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين أهل الفيء من غير زيادة تححف بأهل الخراج، ولا نقصان يضر بأهل الفيء نظراً للفريقين؛ ومن الناس من اعتبر شرطاً رابعاً وهو قربها من البلدان والأسواق وبعدها؛ لزيادة أثمانها ونقصانها، وهذا إنما يعتبر فيما يكون خراجها ورقاً، ولا يعتبر فيما يكون خراجها حبّاً، وتلك الشروط الثلاثة تعتبر في الحب والورق؛ وإذا كان الخراج معتبراً بما وصفنا فكذلك ما اختلف قدره، وجاز أن يكون خراج كل ناحية مخالفاً لخراج غيرها، ولا يستقصي في وضع الخراج غاية ما يحتمله، وليجعل فيه لأرباب الأرض بقية يجبرون بها النوائب والحوادث<sup>2</sup>. كما طالب المشرف على الخراج مراعاة أصلح الأمور من ثلاثة أوجه، أحدها أن يضعه على مسائح الأرض، والثاني أن يضعه على مسائح الزرع، والثالث أن يجعلها مقاسمة، فإن وضعه على مسائح الأرض كان معتبراً بالسنة الهلالية، وإن وضعه على مسائح الزرع كان معتبراً بالسنة الشمسية، وإن جعله مقاسمة كان معتبراً بكمال الزرع وتصفيته<sup>3</sup>. وبعد ذلك حددا الشروط التي يجب توفرها في عامل الخراج وهي: الحرية والأمانة والكفاية، ثم اختلف حاله باختلاف ولايته، فإن تولى وضع الخراج اعتبر فيه أن يكون فقيهاً من أهل الاجتهاد، وإن ولي جباية الخراج صحت ولايته وإن لم يكن فقيهاً مجتهداً، ورزق عامل الخراج في مال الخراج<sup>4</sup>.

والحدير بالذكر أنّ الوزير نظام الملك السلجوقي قد شدد على "عمال الخراج بأن يحسنوا معاملة خلق الله تعالى، وألا يحصلوا منهم سوى ما يترتب عليهم من أموال، حتى هذه يجب المطالبة بها برفق وأدب، وألا تؤخذ منهم قبل جني المحاصيل والثمار، لأنّ في تحصيلها قبل الأوان إرهاقاً للزراع وتضييقاً عليهم

1- المصدران السابقان، ص230، ص167.

2- المصدران نفسهما، ص230-231، ص167-168.

3- المصدران نفسهما، ص231، ص168.

4- المصدران نفسهما، ص234، ص173.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يضطرمهم إلى بيع محصولاتهم قبل أوان نضجها بنصف الثمن، وفي هذا من الظلم والجور ما فيه. وعلى عمال الخراج أن يقرضوا كل من يحتاج من الناس إلى البذار والأبقار مالا يسد به حاجته، ويقضي به عوزة ليظل في حبور وطمأنينة، ويبقى في أرضه ووطنه لا يغترب عنهما"<sup>1</sup>، كما يؤكد على ضرورة الاستفسار الدائم وتقصي أحوال كل عامل من عمال الخراج، وتتبع أخباره، فإن وافق التوجيهات التي أمر بها، عندها يحافظ عامل الخراج على منصبه، وإن تجاوز حده وخالفها يتم عزله وتعيين عامل آخر مناسب في مكانه، وقبل ذلك يتم محاسبته على تصرفاته، فإن كان غصب الناس شيئاً دون حق يجب استرداده منه ورده إلى من غصبه منهم، ثم مصادرة ما يتبقى لديه من مال وتحويله إلى الخزينة، وعزله بعد ذلك على ألا يسند إليه أي عمل البتة ليكون عبرة للآخرين من المتطاولين والصوص<sup>2</sup>.

وفيما يتعلق بجباية الخراج فكان يجبي في بداية السنة الفارسية بعد حصاد الزرع<sup>3</sup>، والذي يتوافق مع يوم النيروز، فقد جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه في سنة 467هـ جماعة من أعيان المنجمين وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل، وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقويم<sup>4</sup>، أما مقداره فيرى الماوردي بأنَّ الخراج حق معلوم على مساحة معلومة، وحصره في ثلاثة مقادير هي:

- أحدها: مقدار الجريب بالذراع المسموح به.
- الثاني: مقدار الدرهم المأخوذ به.
- الثالث: مقدار الكيل المستوفى به<sup>5</sup>.

وعلى ضوء ذلك يعتبر الفقيه عون الدين ابن هبيرة بأن اختلاف الروايات في تحديد مقدار الخراج كلها صحيحة وإنما اختلفت لاختلاف النواحي، فكان قدر الخراج عند أبي حنيفة: في جريب الحنطة قفيز ودرهمان، وفي جريب الشعير قفيز ودرهم، وعند الشافعي: في جريب الحنطة أربعة دراهم، وفي جريب الشعير درهمان، ولا يؤخذ منهما شيء غير ذلك، أما أحمد بن حنبل: في جريب الحنطة والشعير في كل واحد منهما قفيز ودرهم. وفي جريب النخل أقر أبو حنيفة عشرة دراهم، بينما اختلف أصحاب الشافعي، فقال بعضهم فيه عشرة، ومنهم من قال فيه ثمانية دراهم، وقال أحمد بن حنبل: فيه ثمانية دراهم. كما اتفق أبو حنيفة وأحمد بن حنبل على إقرار عشرة دراهم على جريب الكرم، في

1- سير الملوك أو سياست نامه، ترجمه عن الفارسية الدكتور يوسف بكار، ط3، عمان، وزارة الثقافة، 2012م، ص62.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- Krmer, the orient under Caliphate, London, 1949, p.291.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص408.

5- المصدر السابق، ص235.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

حين اختلف أصحاب الشافعي بين ثمانية دراهم وعشرة دراهم، وفيما يخص جريب الشجر والقصب وهو الرطبة، فقال أبو حنيفة: فيه خمسة دراهم، وقال الشافعي وأحمد بن حنبل: فيه ستة دراهم. واتفقا كذلك على إقرار اثنا عشر درهما على جريب الزيتون<sup>1</sup>.

وناقش ابن هبيرة مسألة هل يجوز للإمام أن يزيد في الخراج على وظيفة عمر رضي الله عنه أو ينقص منها كذلك في الجزية؟، فقال بعد أن عرض أقوال الفقهاء حولها: ولا نعرف أن أحدا منهم يقول: إنَّ المقاطعة التي تضرب على الأرض منها المبلغ الذي لا يزيد في وقت ولا ينقص منه أن ذلك جائز، فلا يجوز أن يضرب على الأرض من الخراج ما يكون فيه إضرار بأرباب الأرض تحميها من ذلك ما لا تطيق، فمدار الباب أن يحمل الأرض من ذلك ما تطيقه وأن يتبع ذلك غيره مما لم يأذن فيه الشرع بحال. وأرى ما قاله أبو يوسف في كتاب الخراج الذي صنفه للإمام هارون الرشيد هو الجيد، وذلك أنه قال: وأرى أن يكون لبيت المال في الحب الخمسان، وفي الثمار الثلث<sup>2</sup>.

أما نظام الضمان أو التضمين فقد قال عنه أبو يعلى الفراء: "...فأما تضمين العمال لأموال الخراج والعشر فباطل لا يتعلق به في الشرع حكم، لأنَّ العامل مؤتمن ليستوفي ما وجب ويؤدي ما حصل، فهو كالوكيل الذي إذا أدى الأمانة لم يضمن نقصانا ولم يملك زيادة: وضمان الأموال بمقدار معلوم يقتضي الاقتصار عليه في تملك ما زاد، وغرم ما نقص..."<sup>3</sup>، إذن اعتبر أبو يعلى الفراء بطلان هذا النظام، فهو ينطلق من التجاوزات التي قام بها الضامنون، حيث استخدموا وسائل غير شرعية في جباية الأموال ومارسوا وسائل التعسف والقوة على الفلاحين وكانوا يفرضون الضرائب والرسوم من أجل إيفاء مبلغ الضمان، وبذلك خالفوا شرعية الضمان التي أقرها الفقه الإسلامي، حينما زادوا في مبلغ الضمان فأصبح ربا، وفي أكثر الحالات تتراكم الديون على الضامن بسبب عدم دفعه الأموال المترتبة عليه للسلطان السلجوقي، كما حدث لهزارسب الذي طولب في سنة 458هـ/1066م بدفع مبلغ ضمان البصرة فضلا عن خوزستان وأرجان منذ وفاة السلطان طغرل بك عام 455هـ/1063م ومقداره مليون دينار<sup>4</sup>، وبالمقابل أدى نظام التضمين إلى شراء الطبقة القائمة على تحصيل الخراج وضمائه في حين كانت طبقة صغار الفلاحين وهم المستأجرون للخدمة في الأرض الزراعية من الطبقات الكادحة القابعة في أدنى الطبقات الاجتماعية<sup>5</sup>، كل ذلك جعل أبو يعلى الفراء يطله نظرا لأنه مناف لموضوع العمالة وحكم الأمانة، واستشهد بما نبّه عليه أحمد بن حنبل على هذا المعنى في رواية أبي طالب: في الذي يتقبل

1- المصدر السابق، ج2، ص356-357.

2- المصدر نفسه، ج2، ص358-359.

3- المصدر السابق، ص186.

4- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص24.

5- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص200-201.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الآجام لا يدرى ما فيها، والطسوج بتقبله لا يدرى ما فيه من الطعام فهو أشرف ما يكون، وكذلك قال في رواية حرب-وقد سئل عن تفسير حديث ابن عمر "القبالات ربا" قال: هو أن يتقبل بالقرية وفيها العلوج والنخل، ولفظ الحديث رواه سفيان عن الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن ابن عمر: "القبالة ربا" فسماه ربا. ومعناه حكمه حكم الربا في البطلان وفساد العقد<sup>1</sup>. وأكد في نهاية كلامه على ضرورة الاقتداء بما قرره عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>2</sup>، غير أن بقية العلماء لم نجد لهم أقوالاً حول صحة أو بطلان نظام التضمين، والدليل أن نظام الملك نفسه قد مارس الضمان حين ضمن خراج أصفهان بسبعين ألف دينار عن ضامناتها فأخذت من يد ضامناتها وسلمت إليه<sup>3</sup>، ومع ذلك يشكل موقفه هذا صورة من صور عدم قبول نظام التضمين الذي انتشر بشكل واسع خلال العصر السلجوقي.

وانطلاقاً من ذلك سوف نستقصي جهود نظام الملك في تعميم الإقطاع العسكري وموقف العلماء منه، حيث لما تولى الوزارة سنة 455هـ بدأ مسيرته في القيام بعملية إصلاحية واسعة لنظام الخراج، يقول في ذلك البنداري: "...أنَّ الملك قد اختل نظامه، والدين قد تبدلت أحكامه في أواخر دولة الديلم (البويهيين)، وأوائل دولة الترك (السلجقة)، وقد خربت الممالك بين إقبال هذه وإدبار تلك، وقد أفقرت البلاد وأقوت، واستولت الأيدي العادية عليها وتقوت... وكانت العادة جارية بجباية الأموال وصرفها على الأجناد، ولم يكن لأحد من قبل الإقطاع، فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها، ولا يصح فيها ارتفاع (وارد) لاعتلالها، ففرقها على الأجناد إقطاعاً، وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً، فتوفرت دواعيمهم على عمارتها، وعادت في أقصر مدة إلى أحسن حالة من حليتها..."<sup>4</sup>، يعكس هذا الكلام طبيعة الإقطاع العسكري الذي شهد تحولا مهما عما كان عليه في العصر البويهي وأوائل العصر السلجوقي، تمثل هذا التحول برفع الإقطاع إلى مؤسسة تديرها الدولة وتنتفع بها<sup>5</sup>، والتحول في بنية الجيش السلجوقي من الاعتماد على القبائل التركمانية إلى نظام الغلمان (المماليك الأرقاء)، بالإضافة إلى توفير موارد مالية لتغطية احتياجات الجيش السلجوقي، كل ذلك دفع

1- المصدر السابق، ص 186.

2- المصدر نفسه، ص 187.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 216.

4- المصدر السابق، ص 60.

5- الجالودي عليان عبد الفتاح، قواعد الحكم في سلطنة آل سلجوق من خلال كتاب (سياسة نامه) للوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد 1430، 01/2009م، ص 220.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

بنظام الملك إلى وضع بصمته في إعادة تنظيم الإقطاع العسكري السلجوقي وإشاعته ونشره في جميع أرجاء ونواحي وأقاليم دولة السلاجقة المترامية الأطراف<sup>1</sup>.

لقد وضع نظام الملك نظامه الإقطاعي العسكري على أساس إقطاع الأرض مقابل الخدمة العسكرية، فكان توجهه هذا مبني على أساس أنه قد سبق السامانيون والغزنويين في منح الجند إقطاعات بدل من دفع رواتب لهم<sup>2</sup>، لذا قسم الدولة السلجوقية إلى أربعة وعشرين إقليمًا إقطاعيًا، يكون على رأس كل إقليم قائد عسكري يتولى إدارة إقطاعه ويكون مسؤولًا عن أفراد الجند الذين هم تحت إمرته من ناحية تجهيزهم بالأسلحة والمؤن، وأضحى بذلك نظام الإقطاع العسكري من نظم نظام الملك الهامة<sup>3</sup>، كما قام بتوجيه أصحاب الإقطاعات بقوله: "على أصحاب الإقطاعات أن يعلموا، أيضًا، أنَّ الملك والرعية جميعًا، في حقيقة الأمر، للسلطان وعليهم وعلى الولاة، وهم رؤساء ومسؤولون، أن يعاملوا الناس معاملة الملك للرعية ليحفظوا بتأييده وقبوله، ويسلموا من عقابه، وينجوا من عذاب الآخرة"<sup>4</sup>، مما يظهر لنا جليا بأن نظرة نظام الملك إلى الإقطاع العسكري على أنه وسيلة لدفع رواتب الجند، والمقطع يتمتع بحقوق إدارية واسعة باعتباره جزءًا من الدولة وممثلاً لها ضمن حدود الإقطاع، وليس له إلا جزء من ريع الأرض، وليس له حق السيادة على رقبة الأرض، ولا حق فرض القنانة (العبودية) على الفلاحين، أو أرواحهم وممتلكاتهم، ويخضع لرقابة السلطة المركزية<sup>5</sup>، ولهذا "يجب استبدال العمال والمستقطعين كل سنتين أو ثلاث قبل أن يثبتوا أقدامهم، ويحصنوا أنفسهم، أو يصبحوا مبعث قلق، ولكي يحسنوا معاملة الناس، وتظل الولاية عامرة..."<sup>6</sup>، كما خطا نظام الملك خطوة مهمة أخرى في تحديد حقوق وواجبات المقطعين، والالتزامات المترتبة عليهم وفي مقدمتها الالتزامات المالية بحيث يؤدي الأمير المقطع مبلغًا من المال سنويًا لخزينة السلطان المركزية<sup>7</sup>، حيث يقول في ذلك: "...ليعلم المستقطعون أن لا شأن لهم بالرعية سوى تحصيل الأموال المستحقة عليهم بالحسن..."<sup>8</sup>، بالإضافة إلى ذلك يكون صاحب الإقطاع تحت أمر السلطان

1- الجالودي عليان عبد الفتاح، الإقطاع العسكري في عصر سلاطين السلاجقة الكبار ودور الوزير نظام الملك الطوسي في نشأته وتطوره (429هـ/1037م-486هـ/1092م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 2، العدد 2008، ص 50.

2- الدليمي محمد حسن سهيل، المرجع السابق، ص 74.

3- المرجع نفسه، ص 75.

4- المصدر السابق، ص 70.

5- الجالودي، الإقطاع العسكري...، المرجع السابق، ص 64.

6- نظام الملك الطوسي، المصدر السابق، ص 78.

7- الجالودي، الإقطاع العسكري...، المرجع السابق، ص 64.

8- المصدر السابق، ص 70.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

السلجوقي هو وجيشه وتجهيزاته ومعداته، ويشارك معه في الحرب متى استدعاه، وأيضاً يفرض عليه القيام بالوظيفة الإدارية الموكلة إليه على أحسن وجه، حيث يحافظ على حقوق الرعية وأرواحهم وممتلكاتهم، ويوفر الأمن والعدل، ويراقب الدهاقين والعمال وجباة الضرائب والرفق بالزراع في تحصيل الضرائب المقررة، ويجول دون إثقال كاهلهم بالضرائب والرسوم الإضافية، وعدم فرض السخرة عليهم<sup>1</sup>، وقد أكد نظام الملك ذلك بقوله: "...على أن يكونوا بعد ذلك آمنين على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم وضياعهم وما يملكون، دون أن يكون لأصحاب الإقطاعات عليهم من سبيل أو أن يمنعهم من الذهاب إلى القصر، لبسط أحوالهم بأنفسهم إذا ما رغبوا في ذلك. أما من لا يلتزم بهذا أو يتقيد به، فينبغي الضرب على يده، ونزع إقطاعاته منه، ومجازاته، ليكون عبرة للآخرين..."<sup>2</sup>. ولعله سعى لتجسيد الأهداف التالية:

-أراد أن يخفف بعض المتاعب الإدارية والحربية عن الحكومة المركزية، إذ أصبحت بعض الإقطاعات والتي عرفت بالأتابيكات، مستقلة بتنظيم أحوالها وصد الاعتداء إذا ما وقع عليها اعتداء، والتوسع إذا ما اقتضى الأمر التوسع.

-أدرك أن معظم الجيش السلجوقي هو من القبائل المختلفة العناصر، فأراد أن يجعل تلك الجماعات تعيش في أراضي تقطع لها لترتبط بالأرض وتشعر بشعور المواطنة.

-وباستقرار تلك الجماعات في أراضي محددة يمكن السيطرة عليها ومن ثم تخفيف حركاتها في الغزو والمنازعات فيما بينها.

-واستهدف أمراً مهماً آخر هو أن هذه الجماعات بسكنائها تلك الأراضي الزراعية تجدد نفسها مدفوعة إلى استصلاح الأرض وزراعتها والاستفادة من خيراتها وبذلك تزدهر الحياة الزراعية التي كانت في ذلك العصر، قوام الحالة الاقتصادية.

ويمكن أن نخرج بنتيجة أخرى من استقرار نظام الإقطاعات، وهي أن نظام الملك كان يستهدف إتباع نظام إشراك الأقاليم في حكم الدولة السلجوقية، أي أن الولاية تحكم نفسها بنفسها مع ارتباطها بالمركز في الشؤون المهمة والخطيرة<sup>3</sup>.

وإذا رمنا استقصاء رأي العلماء في الإقطاع العسكري الذي عممه الوزير نظام الملك السلجوقي، فإننا نصطدم بندرة النصوص التي تجلي لنا نظرتهم إليه، ولكن الأكيد أن نظام الملك أبدى عبقرية منقطعة النظير في تسيير وإدارة الدولة السلجوقية، فهو الوزير السلجوقي الكبير الذي شغل منصب الوزارة ثلاثين عاماً، كما يعتبر من علماء

1-الجالودي، الإقطاع العسكري...، المرجع السابق، ص 64.

2-المصدر السابق، ص 70.

3-حسين أمين، المرجع السابق، ص 210.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

عصره، وبهذا تجسدت لأول مرة بعد العصر البويهي تولية عالم منصب الوزارة، فكان ذلك كفيلا ببلورة رأي للعلماء يحمل في طياته نوعا من التحفظ أو عدم الخوض فيما قام به نظام الملك من تعميم وإشاعة الإقطاع العسكري السلجوقي في جميع أراضي الدولة السلجوقية، وإذا كان أبو الحسن الماوردي وأبو يعلى الفراء قد أبديا موقفهما من الإقطاع البويهي وحاولا الوقوف ضد التجاوزات التي قام بها ملوك الدولة البويهية<sup>1</sup>، فإنَّ العلماء المعاصرين لنظام الملك لم يبدوا اعتراضا على ما قام به، فهذا إمام الحرمين أبو المعالي الجويني الذي صنف كتابه "الغياثي" لنظام الملك، لم ينكر عليه إشاعته للإقطاع العسكري، حتى أنه لم يناقش أصلا قضية الإقطاع العسكري في معرض حديثه عن الأموال الواردة إلى بيت المال، ومنها أموال أراضي الخراج، وكذا الوضع الفقهي والإداري لهذه الأراضي، وتجاوزات السلطة السلجوقية في حقها، والأكثر من ذلك المنظور الفقهي الذي ارتكز عليه نظام الملك في إقطاع هذه الأراضي لأمراء الجيوش السلجوقية، وبالمقابل الضوابط والمعايير التي أقرها، كل ذلك يدفعنا للقول بأنَّ إمام الحرمين أقر نظام الملك في الخطوة، وربما رآها خطوة إيجابية إصلاحية سوف تنهض بقطاع الزراعة الذي عرف تراجعاً كبيراً في العصر البويهي وبداية العصر السلجوقي، ثم إنَّ وفاة أبي المعالي سنة 478هـ ربما كانت سببا في عدم إيراده لهذه القضية خصوصا أنَّ الإقطاع العسكري لم يتم تعميمه إلا في أواخر عهد السلطان السلجوقي ملكشاه، يقول إمام الحرمين عن نظام الملك: "...هذه كنايات عن سيد الدهر، وصدر العصر، ومن إلى جنبه منتهى العلا والفخر، وقد قبضه الله جلَّت قدرته لتولي أمور العالمين وتعاطيها، وأعطى القوس باريها. فهو على القطع في الذب عن دين الله، والنضال عن الملة، وترفيه المسلمين عن كل مدحضة ومزلة، وتنقية الشريعة عن كل بدعة شنعاء مضلة، وكف الأكف العادية. وعضد الفئة المرشدة الهادية، في مقام شفيق رقيق، قوام على كفالة أيتام: ينتحي غبطتهم، ويتجاوز عثرتهم وسقطتهم..."<sup>2</sup>.

أما تلميذه أبو حامد الغزالي، فإنَّ موقفه من الإقطاع العسكري، شبيه بموقف أستاذه الجويني، حيث نرى أنَّ الغزالي يعطف على الوزراء السلاجقة الفرس، ويناصر سياساتهم ويسكت عما فيها مما يناقض شرائع الإسلام وأخلاقه. وهذا ما حصل بالفعل مع الحامي السياسي للغزالي، نظام الملك، الذي اقترن اسمه بإجراءات وأعمال من أهمها: -توظيف التركمان في الجيش وإسناد الإدارة إلى الفرس. -رفع نظام الإقطاع إلى مقام مؤسسة تديرها الدولة وتنتفع بها. -تقريب العلماء السنيين من الحكم وبناء المدارس في الأمصار.

1-الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 283-296، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 227-236.

2-الغياثي...، المصدر السابق، ص 433.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

في كتابات الغزالي لا نجد إلا انتقادا واحدا لما قام في تلك الإجراءات على سن سياسة الارتزاق في التنظيم العسكري، فقد نظر الغزالي بنوع من القلق إلى التجنيد المستمر للأتراك والأكراد ورجال من تركستان وفارس وغيرهم. وما عدا هذا الموقف، فالغزالي لا يقول شيئا ضد المحسوبة في التركيب الإداري أو ضد التحيزات المذهبية الدامية القاسية في سياسات الحكام السلاجقة. بل إنَّ الغزالي يسكت حتى على نظام الإقطاع الذي كان بخروقاته واستيلائه على أراضي الغير للإلجاء، وحتى على أراضي الوقف نفسها، يناقض جوهر التطور الإسلامي للعقار والخدمات الزراعية<sup>1</sup>.

وأمام إقرار كل من الجويني والغزالي لتعميم الوزير نظام الملك للإقطاع العسكري، فإلى أي مدى جرى الالتزام بالقواعد التي وضعها نظام الملك لتنظيم الإقطاع العسكري؟.

الواقع أن نظام الإقطاع العسكري حمل في طياته آليات حورته عن الغاية التي كان يرومها نظام الملك، إذ أدى اتساع مساحة الدولة السلجوقية وقيام عدد من الأمراء السلاجقة الذين كانوا إخوة السلطان ملكشاه وأبناء عمومته بحكم هذه الأقاليم وامتلاكهم لجيوش كبيرة، إلى توريث الإقطاع، وإساءة المقطعين معاملة الفلاحين، ووضع القيود التي تحد من حريتهم، وتحول الإقطاع إلى إقطاع أرض لا إقطاع وارد، وأصبح وراثيا مع سلطة شاملة على الفلاحين، إذ منعوهم من الوصول للقضاة لتحصيل حقوقهم، ومن الانتقال من أرض لأخرى، وفرضوا السخرة عليهم، وغالوا في أخذ نصيبهم من غلة الأرض، وفرضوا الرسوم الإضافية، مما اضطر صغار الملاك إلى إلجاء أراضيهم لكبار الملاك<sup>2</sup>.

### 3- -موقف العلماء من الجزية إبان العصر السلجوقي: طرحت مسألة الجزية نفسها بشكل ملفت

للافتباه خلال العصر السلجوقي، فقد تحدد الوضع الشرعي لأهل الذمة في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، ومقدار الجزية الذي كانوا يؤدونه للدولة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وبني العباس، غير أنَّ توقف الفتوحات الإسلامية منذ العصر العباسي الأول، خلق وضعاً جديداً أدى إلى اضطراب نوعاً ما في وضع أهل الذمة وواقع الجزية كمورد مالي أساسي من موارد بيت المال، ينبغي تنظيمه وضبط مقاديره وأوقاته وطرق تحصيله والفئات التي يمسها، كل ذلك دفع بالعلماء إلى تسجيل موقفهم من هذا المورد المالي الهام، خصوصا أنَّ السلاجقة فتحوا عدد من المناطق النصرانية في أذربيجان وأرمينية والأناضول، وأخذوا الجزية منها، فعملوا على تجلية أحكامها وضوابطها على ضوء الشريعة الإسلامية، شأنهم في ذلك شأن الخراج الذي بينوا أحكامه كما رأينا في المبحث السابق.

1- حميش سالم، عن الغزالي ومرحلة الإقطاع، مجلة الفكر العربي، ملف ج، بحوث ومقالات فلسفية، ص 178.

2- الجالودي، الإقطاع العسكري...، المرجع السابق، ص 65.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لهذا يشكل رصد الآراء التي ساقوها في مسألة الجزية تنمة منطقية وحتمية لسلسلة الآراء السابقة الساعية لتنظيم الجوانب المالية للدولة السلجوقية، وبخاصة الجزية التي تتعلق أساساً بحكم شرعي أمر الله به ونفذه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر مطبقاً في عهد خلفاء المسلمين، ولكن تجدد الجهاد والفتح خلال عصر السلاجقة، حتم على العلماء التفاعل مع هذا المعطى الجديد بتوجيه سلاطين السلاجقة للتعامل مع مورد الجزية وفق أوامر الشرع.

**3-1- واقع الجزية في الفترة السلجوقية:** افتتح السلطان السلجوقي ألب أرسلان عهده بالخروج لفتح بلاد الكرج كما أشارنا في الباب الأول من هذه الدراسة، وبعد سلسلة من المعارك بين الطرفين انتهت بانتصار السلاجقة وفتح عدد من الحصون والقلاع، أرسل ملك الكرج الرسل يحملون الهدايا إلى السلطان ألب أرسلان، ويطلب الصلح، ولكن ألب أرسلان أرسل رسالة إليه يشترط فيها أن يدخل إلى الإسلام، أو قبول الجزية، فرد ملك الكرج بقبول أداء الجزية كل سنة<sup>1</sup>.

لم تشر المصادر إلى مقدار الجزية التي دفعها ملك الكرج للسلطان ألب أرسلان، وهل تدخل إلى خزانة السلطان السلجوقي أم أنها توضع في بيت المال وتستعمل في وجوهها الشرعية؟، وكم عدد السنوات التي ظل فيها ملوك الكرج يؤدون الجزية إلى سلاطين السلاجقة؟، وهل راع السلطان ألب أرسلان المقادير التي يدفعها أهل الذمة الذين بقوا تحت حكمه في الأراضي التي فتحها من بلاد الكرج؟، كل ذلك يصعب علينا المهمة لاستقصاء الوضع الطبيعي لمورد الجزية خلال هذه الفترة.

واصل السلطان ألب أرسلان انتصاراته على الجبهة المسيحية، حيث انتصر في معركة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م على الإمبراطور البيزنطي رومانوس، الذي وقع في الأسر، فاستبقاه ألب أرسلان في أسره بضعة أيام، ثم أعطاه الأمان وأطلق سراحه، مقابل أن يدفع له جزية يومية مقدارها ألف دينار، أي 365 ألف دينار في السنة<sup>2</sup>، وذكر الحسيني بأنه اتفق مع السلطان على جزية قدرها ألف ألف دينار في السنة<sup>3</sup>.

يبدو أنَّ الإمبراطور البيزنطي رومانوس لم يف بوعده الذي قطعه للسلطان ألب أرسلان، إذ لم يدفع كل مبلغ الفداء الذي قدر بـ 1.500.000 دينار لقاء حريته، وأرسل مائتي ألف دينار وطبقاً من الذهب عليه جواهر بتسعين ألف دينار<sup>4</sup>، كما أنه لم يؤد الجزية التي تعهد بدفعها للدولة السلجوقية وسلطانها، مما يعني أنَّ السلاجقة لم يحصلوا إلا على غنائم معركة ملاذكرد، والفبي الذي أخذوه من المدن البيزنطية التي صالحتهم والجزية من غير

1- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 91. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 370.

2- الرواندي، المصدر السابق، ص 190.

3- زبدة التواريخ، المصدر السابق، ص 114.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 389.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

المسلمين بعد فتحهم للأناضول، ولا ندري مقدار الجزية التي فرضت عليهم ودفعوها للسلطان السلجوقي ألب أرسلان ومن جاء بعده من السلاطين.

وفي عهد السلطان ملكشاه "ورد رسول ملك الروم مع أموال ناء بثقلها الخزان، و اغتص بحسابها الديوان..."<sup>1</sup>، وفي سنة 481هـ وصل رسول الإمبراطور البيزنطي إلى السلطان ملكشاه في أصفهان، بأموال الجزية، ولكن نظام الملك أبقي الرسول حتى وصل السلطان ملكشاه إلى كاشغر، ثم سمح له بالانصراف وقال: يجب أن يذكر في التواريخ أن رسول الروم بعد أداء الجزية، انصرف عن حضرة السلطان من باب كاشغر<sup>2</sup>. كما أرسل السلطان ملكشاه أحد رجاله إلى القسطنطينية ليشرف على جمع أموال الجزية، حيث قرر عليهم 300.000 دينار للسلطان ملكشاه، و30.000 دينار له، يؤديها إمبراطور بيزنطة كجزية<sup>3</sup>. وقد ذكر الحسيني أن السلطان ملكشاه حاصر القسطنطينية وقرر عليها جزية قدرها 1000.000 دينار أحمر<sup>4</sup>، لكن في حقيقة الأمر بالغ الحسيني في القول بأن السلطان السلجوقي ملكشاه قد حاصر القسطنطينية، ذلك أن ملكشاه لم يدخل الأناضول أبدا بل أقصى مكان وطئته قدماه هي بلاد الشام، لهذا فإننا ننفذ هذه الرواية كما أشرنا إلى ذلك في الباب الأول من هذه الدراسة.

وفي سياق متصل استولى السلطان السلجوقي مسعود على أموال الجزية أو الجوالي<sup>5</sup>، يقول ابن الجوزي: "...أنه ورد أبو البركات بن مسلمة وزير السلطان مسعود فقبض على أبي الفتوح بن طلحة، وقرر عليه مائة ألف دينار يحصلها من ماله ومن الناس ومن دار الخلافة، فبعث إليه المقتفي فقال: ما رأينا أعجب من أمرك أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى وعاد أصحابه عراة، وولي الراشد ففعل ما فعل ثم رحل وأخذ ما بقي من الأموال ولم يبق في الدار سوى الأثاث فأخذته جميعه وتصرفت في دار الضرب ودار الذهب، وأخذت التراكات والجوالي فمن أي وجه نقيم لك هذا المال؟..."<sup>6</sup>.

1- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص132.

2- المصدر نفسه، ص137.

3- المصدر نفسه، ص148.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5- الجوالي: جمع جالية وهم الذين جلاوا عن أوطانهم ويسمى في بعض البلدان مال الجماحم وهي جمع جحمة وهي الرأس. الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، دراسة وتصدير أ.د عبد الأمير الأعسم، ط1، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2008م، ص72.

6- المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص320.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لقد سيطر سلاطين الدولة السلجوقية على أموال الجزية واعتبروها ملكاً لهم، إذ تم إلحاقها بخزينة السلطان السلجوقي، حيث أظهرت الإحصائيات التي ساققتها المصادر ضخامة الأموال التي جمعت في عهود كل من ألب أرسلان وابنه ملكشاه، كما لم تسلم أموال الجزية من استحواذ بعض السلاطين عليها كالسلطان مسعود، وعلى ضوء كيف كانت موقف العلماء من الجزية كمورد مالي هام للدولة الإسلامية؟.

### 3-2- جمود العلماء في ضبط مقادير الجزية خلال العصر السلجوقي: إنَّ الناظر إلى الدولة

الإسلامية في مرآة التاريخ يتبين له أنه كلما استقام أمر الدولة، وسار على نهج الدين اعتدل ميزانها المالي، ولم يشعر أفرادها بعسف ولا إرهاب، ولم تحمل مصلحة من مصالحها، وكلما اعوج أمر الأمة، وحادت عن سبيل الدين اختل فيها التوازن المالي، وزادت أعباء الأفراد، وضاعت المصالح العامة<sup>1</sup>، لذا تصدى العلماء على مدار التاريخ الإسلامي لتقوم الاعوجاج الذي يحصل بين الفينة والأخرى، وعلى الخصوص الجانب المالي، فبعد أنَّ بينوا مقادير الزكاة وأساليب تحصيلها، وكذا نظموا الخراج وضبطوا أحواله، انتقلوا بالموازاة للنظر في مقادير الجزية التي تعتبر مورداً رئيساً وأساسياً لبيت مال المسلمين، وقد رصدنا دعوتهم لأهل الذمة إلى الإسلام وتعاملهم معهم وفق أحكام الشرع في الباب الأول من دراستنا هذه، فبدؤوا بإعطاء تعريف للجزية، حيث عرّفها الماوردي بقوله: "والجزية: اسم مشتق من الجزاء، إما على إقرارهم على الكفر وإما على مقامهم في دار الإسلام، والجزية هو المال المأخوذ منهم عن رقابهم"<sup>2</sup>، وكذلك أبو يعلى الفراء عرّفها بنفس تعريف الماوردي<sup>3</sup>، أما ابن الجوزي فقد أخذ بقول ابن الأنباري الذي اعتبر الجزية بمثابة الخراج المجمعول على أهل الذمة، وسميت جزية لأنها قضاء لما عليهم<sup>4</sup>، كما أفرد الفقيه الكيا هراسي تعريفاً للجزية في سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾؛ فالجزية عطية مخصوصة، قيل سميت جزية لأنها جزاء على الكفر، وقيل اشتقاقها من الأجزاء بمعنى الكفاية، أي أنها تكفي من يوضع ذلك فيه من المسلمين، وتجزى عن الكافر في عصمته<sup>5</sup>، ومن العلماء الذين عرفوا الجزية، الإمام الرازي حينما نقل قول الواحدي في

1- خلاف، السياسة الشرعية، ص 138-139، نقلاً عن الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 726.

2- الحاوي...، المصدر السابق، ج 14، ص 283.

3- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 153.

4- زاد المسير...، المصدر السابق، ص 577.

5- الكيا هراسي عماد الدين بن محمد الطبري، أحكام القرآن، ضبطها وصححها جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الجزء الثالث والرابع، ط 1، بيروت دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م، ص 190.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

معرض تفسيره للآية المذكورة، أنَّ الجزية: هي ما يعطي المعاهد على عهده، وهي فعلة من جزى يجزي إذا قضى ما عليه<sup>1</sup>.

على كل فإنَّ هذه التعاريف للجزية تتفق على أنها نصيب من المال يفرض على أهل الذمة الذين صالحوا المسلمين مقابل البقاء على دينهم والعيش في كنف الدولة الإسلامية، كما بيّن الفقيه السرخسي المغزى والغاية من فرض الجزية على أهل الذمة، قائلاً: "...وإذا جعل الإمام قوماً من الكفار أهل ذمة وضع الخراج على رؤوس الرجال وعلى الأرضين بقدر الاحتمال أما خراج الرؤوس ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وأما السنة ما روى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وأخذ الحلل من نصارى نجران وكانت جزية وقال سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب يعني في أخذ الجزية منهم وقد طعن بعض الملحنين قال كيف يجوز تقرير الكافر على الشرك الذي هو أعظم الجرائم بمال يؤخذ منه ولو جاز ذلك جاز تقرير الزاني على الزنا بما يؤخذ منه والكلام في هذا يرجع إلى الكلام في إثبات الصانع وأنه حكيم وإثبات النبوة ثم نقول المقصود ليس هو المال بل الدعاء إلى الدين بأحسن الوجوه لأنه بعقد الذمة يترك القتال أصلاً ولا يقاتل من لا يقاتل ثم يسكن بين المسلمين فيرى محاسن الدين ويعظه واعظ فربما يسلم إلا أنه إذا سكن دار الإسلام فما دام مصراً على كفره لا يخلو عن صغار وعقوبة وذلك بالجزية التي تؤخذ منه ليكون ذلك دليلاً على ذل الكافر وعز المؤمن ثم يأخذ المسلمون الجزية منه خلفاً عن النصرة التي فاتهم بإصراره على الكفر لأنَّ من هو من أهل دار الإسلام...<sup>2</sup>، أما الكيا الهراسي هو الآخر بيّن الحكمة من أخذ الجزية من أهل الذمة، بقوله: "...وعلى هذا إذا قال القائل: كيف يجوز العدول عن استئصال الكفار وتطهير الأرض منهم إلى تعزيزهم في ديارنا ونصرتهم بأنفسنا وأموالنا مع عظيم كفرهم، ومع قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَقَّرْنَ مِنْهُ﴾، ثم يعصم ماله بقدر يسير، وهل هذا إلا كالرضا بكفرهم، وتمهيد أسبابه لهم. فيقال في إبطال ذلك: إنَّ قتل الكافر مؤسس من التوبة، وإذا ترك بشرطة الجزية فيلحقه من الذل ما يضجره ويحمله على الإسلام، هذا مع نفع يعود إلى المسلمين، ومع مخالطة الكافر للمسلمين الداعية له إلى تدبر أدلة الإسلام...<sup>3</sup>، وكذلك فخر الدين الرازي نحا منحاهما بقوله: "...أنه لا بد معه من إلحاق الذل والصغار للكفر والسبب فيه أن طبع العاقل

1- الرازي محمد فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج16، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، 1401هـ/1981م، ص31.

2- المصدر السابق، ج10، ص77-78.

3- المصدر السابق، ج3-4، ص190-191.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ينفر عن تحمل الذل والصغار، فإذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الإسلام ويسمع دلائل صحته، ويشاهد الذل والصغار في الكفر، فالظاهر أنه يحمله ذلك على الانتقال إلى الإسلام، فهذا هو المقصود من شرع الجزية...<sup>1</sup>.

انتقل العلماء لتحديد أهل الذمة الذين تجب عليهم الجزية، يقول ابن الجوزي: "...واختلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار، فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي. ونقل الحسن بن ثواب عن أحمد: أنه من سبي من أهل الأديان من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا، وإلا الجزية، فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك...<sup>2</sup>"، وحصر الرازي أهل الذمة في اليهود والنصارى والسامرة والصابئون والمجوس<sup>3</sup>، كما أشار إليهم أبو يعلى الفراء بقوله: "أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى، وكتابهم التوراة والإنجيل، والعرب في أخذ منهم كغيرهم. وأما من له شبهة كتاب فهم المجوس، يجرون مجرى أهل الكتاب في أخذ الجزية وإن حرم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم. وتؤخذ من الصابئين والسامرة إذا وافقوا اليهود والنصارى في أصل معتقدهم وإن خالفوهم في فروعهم...<sup>4</sup>"، وكذلك تكلم ابن هبيرة عن أهل الذمة حينما رصد أقوال الأئمة الأربعة في "باب عقد الذمة وضرب الجزية"، فقد اتفقوا على أن الجزية تضرب على أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، كما اتفقوا على ضرب الجزية على المجوس، في حين اختلفوا فيمن لا كتاب له ولا شبهة كتاب كعبدة الأوثان من العرب والعجم هل تؤخذ منهم الجزية أم لا؟ فقال أبو حنيفة: لا تقبل إلا من العجم منهم دون العرب. وقال مالك: تؤخذ من كل كافر، عريبا كان أو عجميا، إلا من مشركي قريش خاصة. وقال الشافعي، وأحمد في أظهر الروايتين عنه: لا تقبل الجزية من عبدة الأوثان على الإطلاق عرهم وعجمهم، والرواية الأخرى عن أحمد كمذهب أبي حنيفة في اعتبار الأخذ من العجم منهم خاصة<sup>5</sup>. ولا غرو أن العلماء اتفقوا على أن أهل الذمة هم اليهود والنصارى والصابئون والمجوس، مع مراعاة التطور التاريخي الذي أدى إلى نهاية المجوسية والسامرة، وبقاء اليهود والنصارى والصابئة في عصر الدراسة، ولا ننسى أيضا

1- المصدر السابق، ج 16، ص 34.

2- زاد المسير...، المصدر السابق، ص 577.

3- المصدر السابق، ج 16، ص 32.

4- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 154.

5- المصدر السابق، مج 2، ص 344-345.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

بأن صفة الذين تؤخذ منهم الجزية، هم أهل القتال، باستثناء الزمنى والعميان والمفلوجون والشيخوخة والفناء والنساء والصبيان والرهبان الذين لا يخاطبون الناس<sup>1</sup>، لذا وضع الغزالي خمسة أركان لعقدها هي:

-الركن الأول: نفس العقد، وهو أن يقول نائب الإمام: أقررتمكم بشرط الجزية والاستسلام، ويذكر مقدار الجزية، فيقول الذمي: قبلت.

-الركن الثاني: العاقد، وهو الإمام، ويجب وعليه القبول، إذا بذلوه إلا إذا خاف غائلتهم، ولا يجوز قبول الجاسوس، ولا يقبل منه الجزية، ولو عقد مسلم بغير إذن الإمام، لم يصح، ولا نغتاله، وإن أقام سنة، لم نأخذ الدينار، على أحد الوجهين، لأن قبوله من غير إذن إمام غير مؤثر.

-الركن الثالث: الجزية فيمن يعقد له، وهو كل كتابي عاقل بالغ حر ذكر متأهب للقتال قادر على أداء الجزية، أما الصبي والعبد والمرأة والمجنون، فهم أتباع، ولا جزية عليهم، وللرجل أن يستتبع من نساء الأقارب، وإن لم يكن محارماً، ما شاء، دون الأجانب، بأن يشترط، فإن أطلق، لم تتبعه إلا صغار أولاده وزوجاته ودون نسوة الأقارب، والأصهار ويلحقون بالأقارب؛ في وجهه، ومهما بلغ الصبي وأفاق الجنون، وعتق العبد، استقلوا، فعليهم الجزية<sup>2</sup>.

-الركن الرابع: في البقاع، ويقروون في سائر البلاد، إلا بالحجاز، وهي مكة والمدينة واليمامة ونجد، ومخالفها، والوُجُ والطائف وخيبر من مخالفين المدينة، وهل يدخل اليمن في ذلك؟ فيه خلاف، إذ قيل: تنتهي جزيرة العرب إلى أطراف الشام والعراق.

-الركن الخامس: في تفصيل مقدار ما يجب عليهم<sup>3</sup>.

اعتبر الكيا الهراسي أن مقدار الجزية لم يرد في كتاب الله تعالى، وهو مأخوذ من السنة، ويجوز أن يكون للاجتهاد مدخل فيه<sup>4</sup>، كما أشار أبو يعلى الفراء إلى مقدارها وفق ما قرره أحمد بن حنبل إمام مذهبه، على ثلاث روايات: -أحدها: أنها مقدرة الأقل والأكثر: فيؤخذ من الفقير المعتمل اثنا عشر درهماً. ومن المتوسط أربعة وعشرون. ومن الموسر ثمانية وأربعون.

-الثانية: أنها غير مقدرة الأكثر والأقل. وهي إلى اجتهاد الإمام في الزيادة والنقصان، نقلها الأثرم، فقال: تعاد الجزية على ما يطيقون، تزداد وتنقص، وما يرى الإمام.

1- ابن الجوزي، زاد المسير...، المصدر السابق، ص577.

2- الوجيز في فقه الشافعي، المصدر السابق، ج2، ص197.

3- المصدر نفسه، ج2، ص199.

4- المصدر السابق، ج3-4، ص194.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-الثالثة: أنها مقدرة الأقل، غير مقدرة الأكثر، فيجوز للإمام أن يزيد على ما قدر عمر. ولا يجوز أن ينقص منه، نقلها يعقوب بن بختان فقال: لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد<sup>1</sup>.

وذكر مقدار الجزية فخر الدين الرازي بقوله: "في قدر الجزية. قال أنس: قسم رسول صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا، وقسم عمر على الفقراء من أهل الذمة اثني عشر درهما، وعلى الأوساط أربعة وعشرين، وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين. قال أصحابنا: وأقل الجزية دينار، ولا يزداد على الدينار إلا بالتراضي، فإذا رضوا والتزموا الزيادة ضربنا على المتوسط دينارين، وعلى الغني أربعة دنائير..."<sup>2</sup>، كما حدد مقدارها السرخسي قائلا: "...والأصل في معرفة المقدار حديث عمر رضي الله عنه فإنه وضع الجزية على رؤوس الرجال اثني درهما وأربعة وعشرين وثمانية وأربعين ونصب المقادير بالرأي لا يكون فعرفنا أنه اعتمد السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذنا به وقلنا المعتمل الذي يكتسب أكثر من حاجته لا مال له يؤخذ منه كل سنة اثني عشر درهما والمعتمل الذي له مال ولكنه لا يستغني بماله عن العمل يؤخذ منه أربعة وعشرون درهما في كل سنة والفائق في الغنى وهو صاحب المال الكثير الذي لا يحتاج إلى العمل يؤخذ منه ثمانية وأربعون درهما ولا يمكن أن يقدر في المال بتقدير فإن ذلك يختلف باختلاف البلدان فبالعراق من يملك خمسين ألفا يعد وسط الحال وفي ديارنا من يملك عشرة آلاف درهم يعد غنيا فيجعل ذلك موكولا إلى رأي الإمام..."<sup>3</sup>، وابن الجوزي هو الآخر بيّن مقدارها؛ على الموسر: ثمانية وأربعون درهما، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة. وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنائير، وعلى أهل الورق أربعون درهما، وسواء في ذلك الغني والفقير. وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار<sup>4</sup>. لذا أخذ مقدار دينار واحد على كل ذمي في مدينة مرو، وذلك لأن معظم أهل مرو كانوا على المذهب الشافعي، فكان حتما أن يخضع أهل الذمة لرأي الشافعي الذي قرر الجزية بدینار واحد<sup>5</sup>.

يضاف إلى مقدار الجزية اشتراط الضيافة، إذ يوظف الإمام عليهم، ضيافة الطارقين من المسلمين، بشرط أن يذكر عدد الضيف ومقداره طعامه وأدمه وجنسه وقدر علفه ومنزله ومدة مقامه، ولا يزيد على ثلاثة أيام، ويجعل الضيفان

1-الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص155.

2-المصدر السابق، ج16، ص33.

3-المصدر السابق، ج10، ص78.

4-زاد المسير...، المصدر السابق، ص577.

5-الوزنة يحيى بن حمزة، مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر سنجر، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1432هـ/2007م، ص87.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

على الغني أكثر، ولا يفرق بين الغني والفقير بجنس الطعام، ثم ذلك محسوب لهم من الدينار، فإن نقص، وجب الإتمام، ويجوز إبدائها بالدينانير دون رضاهم<sup>1</sup>.

تؤخذ الجزية في أول السنة بحسب رأي أبي حنيفة النعمان، بينما تؤخذ في آخر السنة على رأي الشافعي<sup>2</sup>، وقد وردت إشارات تاريخية تبين أنَّ الجزية كانت تؤخذ من أهل الذمة في العراق على ثلاث طبقات، ففي العهد الصادر عن المقتدي بأمر الله للجاثليق مكينا الأول سنة 485هـ/1092م، ما نصه: "وأن تقبض الجزية من رجالكم دون النساء ومن بلغ الحلم بموجب الطبقات الثلاث دفعة واحدة كل سنة"<sup>3</sup>، كما ورد في أحد رسائل الخليفة العباسي القائم بأمر الله، بأنَّ الجزية تؤخذ كل سنة، حيث كان "والي جبلة جماجم أهل الذمة يأخذ الجزية منهم في كل سنة على قدر ذات أيديهم في الضيق والسعة، وبحسب العادة المألوفة المتبعة"<sup>4</sup>، وعلى ضوء ذلك أخذ من اليهود دينار واحد، إذ "يؤدي يهود العمادية الجزية للمسلمين شأن أكثر اليهود المقيمين في الديار الإسلامية وقدرها دينار أميرى ذهباً"<sup>5</sup>، وبالمقابل حاولوا التهرب من دفع الجزية في عهد الخليفة القائم بأمر الله لما أظهروا للوزير أبي القاسم ابن المسلمة كتابا ادعوا أنه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يسقط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة وخط علي ابن أبي طالب فيه، فعرضه ابن المسلمة على الفقيه أبي بكر الخطيب البغدادي، فقال: هذا مزور، قيل من أين لك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الفتح<sup>6</sup>، فكشف تلاعبهم وإدعائهم زورا وبهتاناً بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أعفى يهد خيبر من الجزية، ولكن معرفة الخطيب البغدادي الواسعة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم جعلته يكشف إدعاءهم الكاذب.

وانطلاقاً من هذه الحادثة يرى الغزالي إقرار الإهانة على أهل الذمة لقاء تكبرهم وكفرهم بالإسلام، حيث يقول في ذلك: "وهي أن يطأ طيء الذمي رأسه عند التسليم، فيأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهازمه، وهو واجب على أحد الوجهين، حتى لو وكل مسلماً بالأداء، لم يجز، ولو ضمن المسلم الجزية، لم يصح، لكن يجوز إسقاط هذه الإهانة، ومع اسم الجزية عند المصلحة، بتضعيف الصدقة..."<sup>7</sup>، كما يؤكد على وجوب

1- الغزالي، الوجيز في فقه الإمام الشافعي، المصدر السابق، ج2، ص199-200.

2- الرازي، المصدر السابق، ج16، ص33. ابن الجوزي، زاد المسير...، المصدر السابق، ص577. ابن هبيرة، المصدر السابق، مج2، ص346.

3- ماري، أخبار فطاركة، ص149، نقلاً عن يحيى أحمد عبد الهادي حسين، المرجع السابق، ص102-103.

4- أمين الدولة، رسائل، ص242، نقلاً عن المرجع نفسه، ص103.

5- بنيامين، رحلة، ص154، نقلاً عن المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص129.

7- الوجيز في فقه الإمام الشافعي، المصدر السابق، ج2، ص200.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الكف عن أهل الذمة نظير إبرامهم لعقد الذمة، وضرورة عصمتهم بالضمان نفسا ومالا وبعدم التعرض لكنائسهم وخمورهم وخنازيرهم ما لم يظهرها، فمن أراق خمورهم فقد تعدى، ولا ضمان، وإن غصب فعليه مؤنة الرد، ولو ترفعوا إلينا في خصوماتهم، ويجب دفع الكفار عنهم إلا إذا انفردوا ببلدة بعيدة عن بلاد الإسلام<sup>1</sup>.

لقد أبدى الغزالي موقفه من التجاوزات الحاصلة من قبل السلاطين في تحصيل الجزية، ففي نظره لم تبق إلا الجزية خارج أموال السلاطين المحرمة، ومع ذلك تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به، فإنهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط<sup>2</sup>.

عكست الآراء التي عرضناها لعلماء العصر السلجوقي تتبعاً شاملاً لأحكام الجزية، بحيث تعد آراؤهم هذه لبنة أخرى تضاف إلى صرح النظام المالي الإسلامي، وتظهر مقدرة العلماء على الاجتهاد والبحث والتفتيش في مختلف أحكام الجزية وأهل الذمة، فقد انبروا للرد على الطاعنين في سبب فرض الجزية على أهل الكتاب وبقائهم على دينهم، كما كشفوا تزوير اليهود وكذبهم على النبي صلى الله عليه وسلم بإعفائه يهود خيبر من الجزية، وشددوا على ضرورة معاملة أهل الذمة المعاملة التي أقرها الشرع الإسلامي الحنيف، وبالمقابل أكدوا دائماً على وجوب الرفق بهم في تحصيل الجزية وعدم التعدي عليهم واحترام شرائعهم وحمايتهم وحفظ أموالهم وصيانة كنائسهم وبيعهم ومعابدهم، كل ذلك جاء ليؤكد حجم الجهود المبذولة من قبله في سبيل تنظيم مورد الجزية بدءاً من تحصيل مقاديرها وضبط أوقاتها والفئات التي تشملها، ثم إنفاقها في مصالح المسلمين العامة.

### 4- تعامل العلماء مع أموال الفري والغنائم خلال العصر السلجوقي: شكلت أموال الفري والغنائم

مورداً هاماً وأساسياً من موارد بيت مال المسلمين، كما تعتبر أهم مورد مالي بعد الزكاة، خاصة إذا عدنا إلى بداية ظهور هذا المورد المالي، فقد بدأ بتشريع الجهاد وقتال المشركين، بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، واستيلاء قريش على أموال المهاجرين التي تركوها في مكة المكرمة، حيث خرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون لأخذ قافلة قريش القادمة من الشام، ولكن الموقف تطور إلى المواجهة بين المسلمين وقريش في معركة بدر الكبرى سنة 02هـ، التي انتهت بانتصار المسلمين وأخذهم للغنائم، وأضحى بذلك هذا المورد شديد العلاقة بمعارك المسلمين ضد الكفار، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والغزنويين الذين فتحوا الهند، وحروب الحمدانيين ضد البيزنطيين، وصولاً إلى العصر السلجوقي الذي أخذت فيه أموال الفري والغنائم مكاناً رئيساً في اهتمامات سلاطين الدولة السلجوقية، بسبب الفتوحات والمعارك التي خاضوها ضد الدولة البيزنطية، وحروبهم ضد خصومهم من الغزنويين والبويهيين والفاطميين.

1- الغزالي، الوجيز في فقه الشافعي، المصدر السابق، ج2، ص201.

2- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص589.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**4-1- تصور وضع أموال الفري والغنائم في العصر السلجوقي:** سعى سلاطين السلاجقة جاهدين للانتقال بقبائلهم من المعطى القبلي إلى معطى الدولة التي تقوم أساسا على موارد مالية متنوعة، وعلى رأس هذه الموارد المالية؛ الفري والغنيمة، التي عملوا بكل ما استطاعوا لجعلها تتناسب مع التحديات الكبرى التي واجهتهم، ويتمكنوا من خلالها بلورة رؤيتهم السياسية والتوسعية في أقاليم العالم الإسلامي وأراضي البيزنطيين، لذا كانت أولى معاركهم الكبرى التي خاضوها ضد الغزنويين في داندنقان وأسفرت عن انتصارهم على السلطان مسعود الذي ولى مهزوما تاركا خزانته وأمتعته وسائر ما يمتلك قانعا بالفرار والنجاة<sup>1</sup>؛ وقام جفري بك بتقسيم الغنائم بين عسكره<sup>2</sup>، التي كانت كثيرة إلى درجة لم يتأت حصرها، نظرا لضخامة الجيش الغزنوي من حيث العدد والعتاد والدواب والأموال<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر أنَّ السلطان طغرل بك توجه لضم جرجان التي كانت تحت حكم البويهيين سنة 433هـ، فلما وصل إليها صالحه أهلها، وقرر عليهم 100 ألف دينار تدفع له فيئا<sup>4</sup>. كما ضم طغرل بك خوارزم وغنم أخوه جفري بك أموال حاكمها شاهملك الغزنوي، يقول في ذلك ابن الأثير: "...ثم إنَّ طغرل بك سار إلى خوارزم فحصرها وملكها واستولى عليها وانهزم شاهملك بين يديه واستصحب أمواله وذخائره ومضى في المفازة إلى دهستان، ثم انتقل عنها إلى طبس، ثم أطراف كرمان، ثم إلى أعمال القيزومكران، فلما وصل إلى هناك علم خلاصه ببعده وأمن في نفسه فعرف خبره أرتاش أخو إبراهيم ينال وهو ابن عم طغرل بك فقصدته في أربعة آلاف فارس، فأوقع به وأسره وأخذ ما معه ثم عاد فسلمه إلى داود وحصل هو بما غنم من أمواله..."<sup>5</sup>. وكذلك في سنة 434هـ دفع أهل همدان مالا لإبراهيم ينال مقابل تخليصهم من حاكمها أبي كاليجار كرشاسف بن علاء الدولة، فخرج إبراهيم ينال إلى حصاره في سابور خواست، حتى استطاع اقتحامها بالرغم من مدافعة أهلها وتحصن أبي كاليجار كرشاسف في القلعة، ثم عاد إلى الري بالغنائم<sup>6</sup>، حيث سلم إبراهيم ينال مدينة الري إلى السلطان طغرل بك، هذا الأخير الذي أمر بعمارها بعد خرابها، كما وجد في دار الإمارة بها مراكب ذهب مجوهر وبرنيتين صيني مملوءة جواهر ومالا كثيرا، وفرض أيضا على "كامرو" أحد حكام خراسان السابقين على ما

1- الرواندي، المصدر السابق، ص 163.

2- الحسني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 55.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 242.

4- المصدر نفسه، ج 8، ص 251.

5- المصدر نفسه، ج 8، ص 256.

6- المصدر نفسه، ج 8، ص 257.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

بيده كل سنة 27 ألف دينار فيئا، وكذلك صالح "كامرو" و "مرداويج بن بسو" السلطان طغرل بك على 80 ألف دينار مقابل رجوعه عن قزوين، وبعدها أرسل إلى ملك الديلم يدعوه إلى الطاعة ويطلب منه مالا، فقبل الدخول في طاعته وإرسال المال، ثم أرسل أيضا إلى "سلار الطرم" يدعوه لخدمته ويطلبه بإرسال 200 ألف دينار، فاستقر الحال بينهما على الطاعة وشيء من المال<sup>1</sup>، والأمر نفسه ينسحب على مدينة أصفهان التي حاصرها سنة 437 هـ، ثم أبرم الصلح بينه وبين حاكمها فرامرز بن علاء الدولة مقابل مال يدفعه هذا الأخير له، وأن يخطب له بأصفهان وأعمالها<sup>2</sup>.

وفي سياق متصل انطلقت الحملات السلجوقية لغزو البيزنطيين والظفر بالغانم والفيء بقيادة الأمير إبراهيم ينال أخو السلطان طغرل بك، يحدثنا عنها ابن الأثير بقوله: "... في هذه السنة -440 هـ- غزا إبراهيم ينال الروم فظفر بهم وغنم وكان سبب ذلك أن خلقا كثيرا من الغز مما وراء النهر قدموا عليه فقال لهم: بلادي تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه والرأي أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتغنموا وأنا سائر على أثركم ومساعد لكم على أمركم. ففعلوا وساروا بين يديه وتبعهم فوصلوا إلى سلازكرد وأردن الروم وقالقلا وبلغوا طرابزون وتلك النواحي كلها ولقيهم عسكر للروم والأبخاز يبلغون خمسين ألفا فاقتتلوا واشتد القتال بينهم وكانت بينهم عدة وقائع تارة يظفر هؤلاء وتارة هؤلاء وكان آخر الأمر الظفر للمسلمين فأكثروا القتل في الروم وهزموهم وأسروا جماعة كثيرة من بطارتهم. وممن أسر قاربط ملك الأبخاز فبذل في نفسه ثلاثمائة ألف دينار وهدايا بمائة ألف فلم يجبه إلى ذلك ولم يزل يجوس تلك البلاد وينهبها إلى أن بقي بينه وبين القسطنطينية خمسة عشر يوما واستولى المسلمون على تلك النواحي فنهبوا وغنموا ما فيها وسبوا أكثر من مائة ألف رأس وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والأموال ما لا يقع عليه الإحصاء وقيل إن الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة وإن في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع..."<sup>3</sup>.

وبعد سنتين أي في سنة 442 هـ استولى ألب أرسلان على مدينة "فسا"، وغنم 1000000 دينار وأسر 3000 شخص<sup>4</sup>. وقام السلطان طغرل بك بغزو البيزنطيين سنة 446 هـ حيث أثر في غزوهم آثارا عظيمة، ونال منهم من النهب والقتل والأسر شيئا كثيرا<sup>5</sup>. ثم أخذ جميع إقطاعات التابعة لعساكر الملك الرحيم

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 257-258.

2- المصدر نفسه، ج 8، ص 274.

3- المصدر نفسه، ج 8، ص 282-283.

4- المصدر نفسه، ج 8، ص 294-295.

5- المصدر نفسه، ج 8، ص 316.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

البويهى بعد دخوله إلى بغداد سنة 447هـ، وكذلك أمر بأخذ أموال الأتراك البغداديين<sup>1</sup>، واتفق سنة 448هـ مع حاكم تكريت نصر بن علي بن خميس على مال يؤديه إليه لقاء رفع الحصار عن المدينة<sup>2</sup>، وبعدها واصل طغرل بك طريقه لضم ديار بكر وسنجار، وأثناء حصاره لجزيرة ابن عمر، سارت فرقة من جيشه إلى عمراكمن التي يقيم بها 400 راهب، فذبحوا منهم 120، وقبلوا الفدية من البقية بستة مكاكيك ذهباً وفضة<sup>3</sup>.

غنم السلاجقة في عهد السلطان ألب أرسلان، عدداً من الغنائم أثناء غزو بلاد الكرج، فقد أسر ملكشاه أعداداً كبيرة من النصارى بعد فتحه لمجموعة من القلاع والحصون، كما غنموا من مدينة "أعال لال" ما لا يحصى ويحصى، وأسروا أيضاً كثيراً من سكان مدينة "آني" التي فتحها ألب أرسلان سنة 456هـ<sup>4</sup>.

وفي سنة 463هـ اتجه السلطان ألب أرسلان إلى حلب، فخرج إليها حاكمها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار<sup>5</sup>. وبعد ذلك بلغه زحف الإمبراطور البيزنطي رومانوس بجيوشه، فقرر مواجهته، فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو 10 آلاف من الروم، فاقتتلوا فانهمزمت الروسية وأسروا مقدمهم وحملوا إلى السلطان فجذع أنفه وأنفذ بالسلب إلى نظام الملك وأمره أن يرسله إلى بغداد<sup>6</sup>. ولما فتح الأمير السلجوقي سليمان بن قتلмыш مدينة أنطاكية سنة 477هـ أخذ من الأموال ما يجاوز الإحصاء<sup>7</sup>، وفي السنة التالية استولى فخر الدولة على مدينة ميافارقين وأخذ جميع أموال بني مروان، وقام بإرسالها إلى السلطان السلجوقي ملكشاه<sup>8</sup>.

لقد شكلت أموال الغنائم والفيء مورداً رئيسياً في عهود السلاطين السلاجقة الثلاثة؛ طغرل بك وألب أرسلان وملكشاه، إذ بينت التوسعات التي قاموا بها والحروب التي خاضوها ضد الغزنويين والبويهيين والأمراء العرب في الشام والجزيرة الفراتية والفاطميين، والفتوحات التي فتحوها في الأراضي البيزنطية، تضاعف أموال الغنائم والفيء بشكل ملفت للانتباه، بالرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة، ولكن الملاحظ على السلاجقة بأنهم اعتبروا أموال

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 324-325.

2- المصدر نفسه، ج 8، ص 333.

3- المصدر نفسه، ج 8، ص 334.

4- المصدر نفسه، ج 8، ص 369-370.

5- المصدر نفسه، ج 8، ص 387.

6- المصدر نفسه، ج 8، ص 388.

7- المصدر نفسه، ج 8، ص 436.

8- المصدر نفسه، ج 8، ص 440.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أعدائهم حتى من المسلمين، سواء السنة أو الشيعة، غنائم وفيئا لهم، كما رأينا، لذا سنرى كيف تعامل العلماء مع هذه الأموال.

**4-2- نظرة العلماء لأموال الغنائم والفريء خلال العصر السلجوقي:** تمثل نظرة العلماء إلى أموال الغنائم والفريء، أهم الاجتهادات التي اجتهدوها في تجلية أحكام هذه الأموال من الناحية الشرعية، سواء بإعطاء تعريف لها وإبراز الفرق بينها وتتبع سياقها التاريخي، وكيفية تقسيمها وتوزيعها، وبذلك تبلورت نظرهم لهذه الأموال. عقد الفقيه الحنفي الكاساني فصلا في كتابه "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، حول أحكام الغنائم وما يتصل بها، حيث اعتبرها ثلاثة أشياء هي: النفل والفريء والغنيمة<sup>1</sup>، وبدأ بتعريف النفل لغة واصطلاحاً، ففي اللغة يعني الزيادة، أما في الشريعة، فهو عبارة عما خصه الإمام لبعض الغزاة تحريضا لهم على القتال، وعده زيادة على ما يسهم لهم من الغنيمة، والتنزيل: هو تخصيص بعض الغزاة بالزيادة؛ نحو أن يقول الإمام/السلطان: من أصاب شيئا فله ربه أو ثلثه، أو قال من أصاب شيئا فهو له، أو قال من أخذ شيئا، أو قال: من قتل قتيلا فله سلبه، أو قال لسرية: ما أصبتم فلكم ربه أو ثلثه، أو قال فهو لكم<sup>2</sup>. وقد أجاز الكاساني التنزيل باعتباره يؤدي إلى التحريض على القتال بتخصيص فرق أو سرايا أو جيوش من المسلمين بالنفل، كما أنه أمر مشروع ومندوب إليه، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (سورة الأنفال: 65)، ولكن الكاساني اشترط بأن لا ينفل الإمام/السلطان جميع ما حصل عليه المسلمون المجاهدون من العدو، لأنَّ التنزيل بكل المأخوذ، قطع حق الغانمين عن النفل أصلا، غير أنه يعطي صلاحية كاملة للإمام/السلطان إن رأى مصلحة في ذلك، بإعطائه لإحدى سرايا الجيش، لأنَّ المصلحة قد تكون فيه في الحملة، وأجاز الكاساني أيضا التنزيل في سائر الأموال من الذهب والفضة والسلب وغير ذلك، لأنَّ معنى التحريض على القتال يتحقق في الكل<sup>3</sup>.

يعود الكاساني بعد ذلك لمناقشة قضية التنزيل بقوله: "...ولنا: أنَّ القياس يأبى جواز التنزيل، والاختصاص بالمصاب من السلب وغيره، لأنَّ سبب الاستحقاق إن كان هو الجهاد فالجهاد وجد من الكل وإن كان هو الاستيلاء والإصابة والأخذ بذلك حصل بقوة الكل، فيقتضي الاستحقاق للكل، فتخصيص البعض بالتنزيل يخرج مخرج قطع الحق عن المستحق، فينبغي ألا يجوز إلا أنا استحسنا الجواز بالنص وهو قوله تبارك وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ والتنزيل تحريض على القتال بأطماع زيادة

1- المصدر السابق، ج9، ص458.

2- المصدر نفسه، ج9، ص459.

3- المصدر نفسه، ج9، ص459-460.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

المال، لأنَّ من له زيادة غنا وفضل شجاعة لا يرضى طبعه بإظهار ذلك مع ما فيه من مخاطرة الروح وتعريض النفس للهلاك إلا بأطماع زيادة لا يشاركه فيه غيره، فإذا لم يطمع لا يظهر فلا يستحق الزيادة؛ والله سبحانه وتعالى أعلم...<sup>1</sup>، ثم يواصل تبيان شرط جواز التنفيل، الذي ينبغي أن يكون قبل حصول الغنيمة في يد الغانمين، فإذا حصلت في أيديهم فلا نفل؛ لأنه جواز التنفيل للتحريض على القتال، وإذا لا يتحقق إلا قبل أخذ الغنيمة، كما قسم التنفيل إلى نوعين؛ أحدهما: اختصاص النفل بالمنفل، حتى لا يشاركه فيه غيره، والثاني: أنه لا خمس في النفل، لأنَّ الخمس إنما يجب في غنيمة مشتركة بين الغانمين. والنفل ما أخلصه الإمام لصاحبه وقطع شركة الأغيار عنه فلا يجب فيه الخمس ويشارك المنفل له الغزاة في أربعة أخماس ما أصابوا؛ لأنَّ الإصابة أو الجهاد حصل بقوة الكل، إلا أنَّ الإمام /السلطان خص البعض ببعضها وقطع حق الباقي عنه فبقي حق الكل متعلقاً بما وراءه فيشاركهم فيه<sup>2</sup>.

ينتقل الكاساني لتعريف الفيء؛ الذي هو اسم لما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، نحو: الأموال المبعوثة بالرسالة إلى إمام المسلمين والأموال المأخوذة على موادة أهل الحرب ولا خمس فيه، لأنه ليس بغنيمة، كما عدَّ الفيء مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم، يتصرف فيه كيف يشاء يختصه لنفسه أو يفرقه فيمن يشاء<sup>3</sup>، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوقِضَتْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّحُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر: 06)، كما أجرى مقارنة بين الفيء المتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم والفيء الذي يؤتى به لخلفاء المسلمين، فاعتبر المال المبعوث إلى الخلفاء من أهل الحرب، يكون لعامة المسلمين، نظراً لأنَّ الإمام /الخليفة إنما أشرك قومه في المال المبعوث إليه من أهل الحرب؛ وأضحى لهم هبة بسبب قومهم فكانت شركة بينهم، أما النبي صلى الله عليه وسلم فله خاصة، وهيبته كانت بما نصر من الرعب لا بأصحابه، لقوله عليه الصلاة والسلام: {نصرني بالرعب مسيرت شهرين}<sup>4</sup>.

وعطفاً على ما سبق يتحدث الكاساني عن حكم دخول رجل من أعداء المسلمين إلى دار الإسلام بغير أمان، فقبض عليه أحد المسلمين، هل يكون فينا له خاصة أم لعامة المسلمين؟، وقد أجاب الكاساني بإيراد قول أبي

1- الكاساني، المصدر السابق، ج9، ص464-465.

2- المصدر نفسه، ج9، ص465.

3- المصدر نفسه، ج9، ص468.

4- المصدر نفسه، ج9، ص469.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

حنيفة إمام مذهبه الذي اعتبره فيئا لجماعة المسلمين، وكذلك أورد قولاً أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني الحنفيين، اللذان أقرأ أن يكون للآخذ خاصة، ثم بيّن كلا القولين وناقشهما<sup>1</sup>.

يفرد الكاساني مثالا آخر في نفس السياق الذي يتحدث عنه، يتعلق أساسا إذا التقت سريتان في دار الإسلام، وتمكنت سرية الإمام/السلطان من أخذ فيء من سرية الكفار، فهو يعتبر تملك الفيء من قبلها دون بقية جماعة المسلمين، أمرا مقبولا بسبب الحاجة والضرورة، وتعلق ذلك بالإمام/السلطان لحاجته إلى بعث الجيوش لحراسة بلاد المسلمين، وردعا للكفرة عن مباغتتها، فلو لم يختصوا بالمأخوذ لما انقاد طبعهم لكفاية هذا الشغل فتمتد أطماع الكفرة إلى دار الإسلام، لذا يؤكد على ضرورة تنفيل هؤلاء الجنود لاختصاصهم بزيادة شجاعة؛ لأنه لا ينقاد طبعهم لإظهارها إلا بالترغيب بزيادة من المصاب بالتنفيل<sup>2</sup>. ويرى الكاساني أيضا عدم وجوب الخمس في الفيء<sup>3</sup>.

يعرج الفقيه الحنفي الكاساني للحديث عن الغنيمة التي عرفها بأنها "اسم للمأخوذ من أهل الحرب على سبيل القهر والغلبة وهذا الأخذ لا يتحقق إلا بالمنعة، إما بحقيقة المنعة، أو بدلالة المنعة وهي إذن الإمام"<sup>4</sup>، كما عرفها الفقيه الشافعي أبو بكر الشاشي بقوله: "ما أخذ من الكفار بإيجاف الخيل والركاب"<sup>5</sup>، أما الماوردي فيضيف قيذا آخر في تعريف الغنيمة، التي هي كل مال أخذ من المشركين قهرا-بقتال- بإيجاف خيل أو

---

1-وجه قولهما إن سبب الملك وجد من الآخذ خاصة فيختص بملكه/كما إذا دخلت طائفة من أهل الحرب دار الإسلام، فاستقبلتها سرية من أهل الإسلام فأخذتها أنهم يختصون بملكها. والدليل على سبب الملك وجد من الآخذ خاصة أن السبب هو الأخذ، والاستيلاء هو إثبات اليد وقد وجد ذلك حقيقة من الآخذ خاصة وأهل الدار إن كانت لهم يد لكنها يد حكمية ويد الحربي حقيقة، لأنه حر، والحر في يد نفسه واليد الحكمية لا تصلح مبطللة لليد الحقيقية لأنها دونها ونقض الشيء بما هو مثله أو بما هو فوقه لا بما هو دونه، فأما يد الآخذ: فيد حقيقة، وهي محقة، ويد الحربي مبطللة، فجاز إبطالها بها. -وجه قول أبي حنيفة- رضي الله عنه- إنه وجب سبب ثبوت الملك لعامة المسلمين في محل قابل للملك وهو المباح، فيصير ملكا للكل؛ كما إذا استولى جماعة على صيد، وإنما قلنا ذلك، لأنه كل ما دخل دار الإسلام فقد ثبت يد أهل الدار لأن الدار في أيديهم، فما في الدار يكون في أيديهم أيضا، ولهذا قلنا: إنه لا يثبت الملك للغائبين في الغنائم ما داموا في دار الحرب، كذا ههنا، قوله يد أهل الدار حكمية، ويد الحربي حقيقية فلا تبطلها. -قلنا: ويد أهل الدار حقيقة أيضا، لأن المعنى من اليد في هذه الأبواب القدرة؛ من حيث سلامة الأسباب والآلات، ولأهل الدار آلات سليمة لو استعملوها في التصرف عليه، لحدث لهم بمجرد العادة قدرة حقيقية على وجه لا يمكنهم مقاومتهم ومعارضتهم، مع ما أنه إذا ثبت يد الآخذ عليه حقيقة، فقد ثبت يد أهل الدار؛ لأن يده يد أهل الدار، لأن أهل دار الإسلام كلهم منعة واحدة، فإنهم يذبون عن دين واحد، فكانت يده يد الكل معنى؛ كما إذا دخل الغزاة دار الحرب، فأخذ واحد منهم شيئا من أموال الكفرة، فإن المأخوذ يكون غنيمة مقسومة بين الكل، ينظر: الكاساني، المصدر السابق، ج9، ص469-470.

2-المصدر نفسه، ج9، ص470.

3-المصدر نفسه، ج9، ص471.

4-المصدر نفسه، ج9، ص473-474.

5-حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق سعيد عبد الفتاح، مقابلة النسخ فتحي عطية محمد، الجزء03، ط2، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1418هـ/1998م، ص1117.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ركاب، وسمي-أي المال المأخوذ-غنيمة لاستقاداته بغير بدل<sup>1</sup>، ويرى السرخسي أنها اسم للمال المصاب بالقتال على وجه يكون فيه إعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه<sup>2</sup>، أما إذا عدنا إلى حديث الكاساني عن الغنيمة، فإنه يستقصي كينونتها التي تتبلور إذا دخل جماعة لهم منعة دار الحرب فأخذوا أموالاً منهم، فإنها تقسم قسمة الغنائم بالإجماع، سواء دخلوا بإذن الإمام/السلطان أو بغير إذنه لوجود الأخذ على سبيل القهر والغلبة؛ لوجود المنعة القائمة مقام المقاتلة حقيقة، أما إذا دخلوا دار الحرب بغير إذن الإمام/السلطان لا يسمى المال المأخوذ غنيمة عنده، لأنه اشترط إصابة مال أهل الحرب بإيجاف الخيل والركاب، لا يكون إلا بالمنعة، إما حقيقة أو دلالة، لأن من لا منعة له لا يمكنه الأخذ عن طريق القهر والغلبة فلم يكن المأخوذ غنيمة، بل كان مالا مباحاً<sup>3</sup>. أما عند حصول المنعة فيتحقق الأخذ على سبيل القهر والغلبة، والمنعة هي إذن الإمام/السلطان الذي يستتبع ضمان المعونة بالمدد والنصرة عند الحاجة، وأضحى دخوله بإذن الإمام/السلطان امتناعاً بالجيش الكثيف، مما يجعل كل مأخوذ من العدو على سبيل القهر والغلبة غنيمة، ولا يسري هذا الأمر على الذي دخل أرض العدو بغير إذن الإمام/السلطان، إذ لا يسمى المال المأخوذ غنيمة، أما إذا اشترك الفريقان في الأخذ، فالمأخوذ بينهم على عدد الآخذين، ثم ما أصاب المأذون لهم بخمس، ويكون أربعة أخماسه بينهم مشتركة فيه الأخذ وغير الأخذ لأنه غنيمة وهذا سبيل الغنائم. وبالمقابل إذا اجتمع هذان الفريقان بالمنعة-أي بإذن الإمام/السلطان-فكل ما يغنمونه كليهما أو انفرد أحدهما بذلك، سواء فرادى أو مجتمعين، يتم تخميسه ويقتسمون الأربعة أخماس الباقية فيما بينهم. وبعدها يتحدث الكاساني عن دخول الجيش إلى دار الحرب بإذن الإمام/السلطان، ثم لحق الجيش لص أو لصان لا منعة لهما بغير إذن الإمام، ثم لقوا قتالا، وأصابوا مالا، وأصابوا غنائم، فما أصاب العسكر قبل أن يلحقهم اللص، فإن هذا اللص لا يشاركهم فيه، وما أصابوه بعد أن لحق هذا اللص بهم، فإنه يشاركهم، لأن الإصابة قبل اللحاق مصدر حصلت بقتال العسكر حقيقة. وتدخل ضمن الغنيمة-في نظر الكاساني-أيضاً المعادن والكنوز والخشب والسمك التي تخمس كذلك، حتى ولو أخذه رجل واحد من جيش المسلمين، ولا يستثنى أيضاً إذا غنم خشباً وصنع منه آنية أو غيرها، فعليه رده لأنه غنيمة<sup>4</sup>، ولا خمس فيما يؤخذ على موادة أهل الحرب؛ لأنه ليس مأخوذاً على سبيل القهر والغلبة، وكذا ما بعث رسالة إلى إمام/سلطان المسلمين لا خمس فيه، أما المال التي دفعه الكفار إلى المسلمين أثناء حصارهم لقلعتهم ففيه الخمس<sup>5</sup>.

1-الحاوي...، المصدر السابق، ج8، ص386.

2-المصدر السابق، ج10، ص07.

3-المصدر السابق، ج9، ص475.

4-المصدر نفسه، ج9، ص476.

5-المصدر نفسه، ج9، ص477.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والجدير بالذكر أنَّ الغزالي تحدث عن الغنيمة، حيث يرى أن من قتل قتيلاً فله سلبه؛ سواء نادى الإمام أو لم يناد، وقد علل ذلك بأنَّ: سبب استحقاق أموال الكفار قهرهم لا قهر صاحب المال على الخصوص، ولن يحصل القهر إلا بجمعهم، فن لا يختص بالسبب كيف يختص بالمسبب<sup>1</sup>، كما أسقط الغزالي سهم الفارس إذا نفق فرسه بعد دخول دار الحرب وقبل شهود الواقعة، لأن المعتمد في نظره أنه شهد الواقعة راجلاً فلا يستحق سهم الفارس؛ كما لو كان مستعاراً أو باع الفرس<sup>2</sup>.

وجعل أبو بكر الشاشي لكل فارس ثلاثة أسهم من الغنيمة وللراجل سهم واحد، أما إن حضر بفرس أعجف، فإن أمكن القتال عليه أسهم له، وإن لم يكن القتال عليه لم يسهم له، ويسهم للبرذون والمقرف والهجين، ومن حضر بفرسين لم يسهم إلا لواحد عند مالك وأبي حنيفة، وعند أحمد بن حنبل يسهم لفرسين<sup>3</sup>.

تنقسم الغنائم التي يتصرف فيها الإمام/السلطان إلى ثلاثة أقسام هي: المتاع، والأراضي، والرقاب. فالمتاع يخمس ويقسم الباقي بين الغانمين ولا خيار للإمام/السلطان فيه، كما يرى الكاساني<sup>4</sup>، أما الماوردي فقد فصل في المتاع واعتبره أموالاً منقولة من فضة وذهب وسلاح وآلة وعروض وأمتعة وخيل ورقيق، فأقر إخراج خمسها لأهل الخمس، ثم يقسم أربعة أخماسها بين جميع من شهد الواقعة بالسوية من غير تفضيل إلا ما استحقه الفارس بفرسه ولا يفضل ذا شجاعة على غيره، ولا من قاتل على من لم يقاتل، ولا يعطى من الغنيمة من لم يشهد الواقعة<sup>5</sup>.

وفيما يخص الأراضي يخير الكاساني الإمام/السلطان بين تخميسها وتقسيم الباقي بين الغانمين أو تركها في يد أهلها بالخراج، وجعلهم ذمة، بوضع الجزية على رؤوسهم والخراج على أراضيهم<sup>6</sup>، بينما أقر الماوردي بتخميس الأراضي وتقسم بقية الأخماس الأربعة بين الغانمين<sup>7</sup>.

وبخصوص الرقاب، يجعل الكاساني للإمام/السلطان ثلاث خيارات: إن شاء قتل الأسارى منهم وهم الرجال المقاتلة وسي النساء والذراري، وإن شاء استرق الكل؛ فخمسمهم وقسمهم، لأن الكل غنيمة حقيقة، باستثناء رجال مشركي العرب والمرتدين لا يسترقون- عند الكاساني- بل يقتلون أو يسلمون<sup>8</sup>.

1-تحصين المآخذ، تحقيق الدكتور محمد بن علي بن سمحان مسفر، الجزء الثالث، ط1، الكويت، مكتبة الإمام الذهبي للنشر

والتوزيع، 1439هـ/2018م، ص117-118.

2-المصدر نفسه، ج3، ص120-121.

3-المصدر السابق، ج3، ص1117.

4-المصدر السابق، ج9، ص477.

5-الحاوي...، المصدر السابق، ج8، ص404.

6-المصدر السابق، ج9، ص477.

7-الحاوي...، المصدر السابق، ج8، ص405.

8-المصدر السابق، ج9، ص480-481.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وإن شاء مفاداة الأسارى<sup>1</sup>، أما الماوردي فيعتبرهم ضريان: عبيد وأحرار، فالعبيد مال مغنوم، والأحرار ينقسمون إلى ذرية ومقاتلة، تتمثل الذرية في النساء والصبيان، وعلى الإمام/السلطان تقسيمهم بين الغانمين بعد إخراج خمسهم، أما المقاتلة فقد خير الإمام/السلطان بين قتلهم أو استرقاقهم أو فدائهم بمال أو رجال أو المن عليهم بإطلاق سراحهم<sup>2</sup>.

وبعدها ينتقل الكاساني للكلام عن بيان كيفية قسمة الغنائم وبيان مصارفها، فالغنائم تقسم على خمسة أسهم منها، وهو خمس الغنيمة لأربابه، وأربعة أخماسها للغانمين<sup>3</sup>. كما يستقصي كيفية قسمة الخمس وبيان مصارفه، إذ اعتبر خمس الغنيمة في حال حياة النبي عليه الصلاة والسلام يتم تقسيمه على خمسة أسهم: سهم للنبي عليه الصلاة والسلام، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل<sup>4</sup>؛ قال الله تبارك

وتعالى: ﴿وَلَعَلَّموا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِلْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَلِذِي السَّبِيلِ﴾ (الأنفال: 41)، ثم أكد على أنَّ سهم النبي صلى الله عليه وسلم سقط بعد وفاته آخذاً برأي فقهاء الحنفية، بينما ساق كذلك رأي الشافعي رحمه الله الذي اعتبر أنَّ سهم النبي صلى الله عليه وسلم لم يسقط، وإنما يصرف للخلفاء، نظراً لأنه عليه الصلاة والسلام كان يأخذه كفاية له لاشتغاله بمصالح المسلمين، والأمر ذاته ينسحب على الخلفاء، فيصرف سهمه إليهم كفاية لهم<sup>5</sup>، لكن الكاساني يعود ويقر بأنَّ الخمس كان خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم مثل الصفي الذي كان له خاصة والفيء، ثم لم يكن لأحد خصوص من الفيء والصفي؛ فكذا يجب ألا يكون لأحد خصوص من الخمس، ولهذا لم يكن للخلفاء الراشدين بعده<sup>6</sup>، أما الأسهم المتبقية، فيرى أن الخمس يقسم عليها؛ سهم لليتامى، وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل، ويدخل فقراء ذوي القربى فيهم، ويقدمون، ولا يدفع إلى أغنيائهم شيء، على خلاف الشافعي الذي يرى بقاء سهم ذوي القربى من أولاد بني هاشم أبناء السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، يستوي فيه فقيرهم وغنيهم<sup>7</sup>، ولم يتبن الكاساني هذا الرأي إلا بعد أن عضده بما قام به الخلفاء الراشدون من تقسيم الخمس على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل دون أن ينكر عليهم الصحابة رضوان الله عليهم. أما الأربعة الأخماس الأخرى التي

1- ينظر تفصيل مفاداة الأسارى، المصدر السابق، ج9، ص482-487.

2- الحاوي...، المصدر السابق، ج8، ص408.

3- المصدر السابق، ج9، ص496.

4- المصدر السابق، ج9، ص497.

5- المصدر نفسه، ج9، الصفحة نفسها.

6- المصدر نفسه، ج9، ص499-500.

7- المصدر نفسه، ج9، ص500.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

تقسم على الغانمين، فقد اشترط على الذي يستحق السهم منها أن يكون رجلاً مسلماً مقاتلاً، أي من أهل القتال ودخل دار الحرب للقتال، وسواء قاتل أو لم يقاتل، لأنَّ الجهاد والقتال إرهاب العدو، وذا كما يحصل بمباشرة القتل يحصل بثبات القدم في صف القتال رداً للمقاتلة، خشية كره العدو عليهم، بالإضافة إلى ذلك قسم المقاتلين إلى ثلاثة أصناف: صنف يقتل العدو ويأسر منه، وصنف يجمع الغنائم، وصنف يكون ردءاً لهما خشية كره العدو عليهم، سواء كان الرجل المقاتل مريضاً أو صحيحاً شاباً، أو شيخاً حراً، أو عبداً مأذوناً بالقتال، باستثناء المرأة والصبي العاقل والذمي والعبد المحور فليس لهم سهم كامل لأنهم ليسوا من أهل القتال<sup>1</sup>.

لقد تصدى العلماء لمهمة تبيان أحكام الأنفال والفبيء والغنائم خلال العصر السلجوقي، من خلال المؤلفات الفقهية التي ألفوها في أبواب العبادات والمعاملات، مما يلفت الانتباه إلى تشديدهم على كيفية الأخذ بالأحكام المتعلقة بهذه الموارد التي كثرت في هذا العصر بشكل كبير، وحتى يقفوا أمام التجاوزات الحاصلة في هذا الباب الذي يتعلق بالإطار الشرعي المنظم لكل الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية، خصوصاً بوجود سلطتين سياسيتين هما الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية، فمن هو المخول في النظر أموال الأنفال والفبيء والغنائم؟ هل السلطان السلجوقي أم الخليفة العباسي؟ ومن يتولى صرفها في مصارفها ومستحقها؟، ذلك أنَّ السلاجقة ضموا أقاليم شاسعة في المشرق الإسلامي بما فيها العراق مركز الدولة العباسية، ولكنهم بايعوا الخليفة العباسي كخليفة للمسلمين صاروا تابعين له، وكان أي سلطان يتولى السلطنة يرسل للخليفة من أجل أن يخطب له في بغداد، لكن بالمقابل الذي قام بقتال الروم البيزنطيين في أرمينية وأذربيجان والأناضول هم السلاجقة، فاعتبروا أنفسهم أصحاب الحق والمخولين بتقسيم ما غنموه، فالسلطان السلجوقي ألب أرسلان هو الذي قسم الغنائم التي غنمت في معركة ملاذكرد سنة 463هـ، حيث أخذ الخمس وقسم الأربعة الأخماس الأخرى بين الغانمين، ومن على الإمبراطور البيزنطي رومانوس وأطلق سراحه مقابل الفداء ومعه عدد معتبر من الأسرى<sup>2</sup>، وفرض الخراج على الأراضي المفتوحة والجزية على أصحابها، ولم تذكر المصادر شيئاً عن الخليفة العباسي وإشرافه على تقسيم غنائم معركة ملاذكرد، ولا اختصاصه بخمس الغنائم الذي يقسم على اليتامى والمساكين وأبناء السبيل، بل كان السلطان ألب أرسلان هو الذي تولى بنفسه هذا الأمر وحتى الأموال التي افتدى بها الإمبراطور نفسه بعث بها إليه دون الخليفة.

وحتى سلاجقة الروم عندما كانوا يغنمون من البيزنطيين في الأناضول، هل كانوا يبعثون بالخمسة إلى السلطان السلجوقي في خراسان أو الخليفة العباسي في بغداد، أم لا؟، الواقع أن المصادر لا تسعفنا في تتبع هذه الجزئية، ولكن المهم في المسألة أنَّ الفقهاء حاولوا جهدهم تقريب هذه الأحكام ليأخذ بها سلاطين السلاجقة أثناء قيامهم

1-الكاساني، المصدر السابق، ج9، ص502.

2-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص126.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

بالجهاد في سبيل الله ضد الدولة البيزنطية، غير أنَّ الغنائم التي غنمها السلاجقة من الغزنويين والبويهيين والفاطميين لا تدرج ضمن الغنائم المحددة في الشرع، باعتبار أن هؤلاء مسلمين، ونفس الأمر ينسحب على الأنفال والفبيء، لذا لا نستغرب قول الغزالي عن أموال السلاطين بأنها حرام: "أنَّ أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفبيء والغنيمة لا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان"<sup>1</sup>، إذن اعتبر الغزالي الفبيء والغنيمة مالا حلالا لم يعد يدخل إلى خزائن السلطان السلجوقي، أي أنَّ ما يأخذه هؤلاء السلاطين كغنائم وفيء من خصومهم من المسلمين غير جائز ويعتبر مالا حراما.

إنَّ تعامل العلماء مع مورد الفبيء والغنيمة خلال العصر السلجوقي، من خلال نموذج الفقيه الحنفي الكاساني الذي استقصى أحكام الفبيء والغنيمة في كتابه بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، حيث تتبع هذه الأحكام وبين لنا اجتهاده في تجليتها، معتمدا على أقوال إمام مذهبه أبي حنيفة وبقية فقهاء الحنفية، الأمر الذي جعلنا نمسك بآراء العلماء التي تعكس كيف تعاملوا مع التطورات التي شهدتها هذا المورد المالي الهام.

**5- موقف العلماء من الضرائب خلال العصر السلجوقي:** فرض سلاطين السلاجقة ضرائب إضافية على الناس<sup>2</sup>، حسب أهوائهم، وحاجتهم للأموال، وكانت هذه الضرائب ثقيلة، ساهمت في تقليل أرباح التجار والصناع على حد سواء، كما أثقلت كاهل الفلاحين الذين كانوا ملزمين أن يؤدوا المبالغ المقررة للضريبة التي كانت غير ثابتة<sup>3</sup>. وقد استخدم العلماء مصطلح "توظيف الأموال" بدلا عن مصطلح الضرائب<sup>4</sup>، وعلى ضوء ذلك شملت الضرائب المجالات التالية:

**أ- ضريبة العقار:** هي عبارة عن حصة أو مقدار من المال يتم فرضه وإلزامه على دور الناس وحوانيتهم وأملاكهم الخاصة، وقد فرضها السلاطين السلاجقة في حالة احتياجهم إلى الأموال، كما عملوا على مضاعفتها، بالخصوص على أصحاب رؤوس الأموال<sup>5</sup>، وبالتحديد في أوقات الحروب التي تجري بين سلاطين السلاجقة، للظفر بعرش السلطنة السلجوقية، فمثلا أمر السلطان السلجوقي مسعود بجباية هذه الضريبة لحاجته إلى

1- إحياء... المصدر السابق، ص 589.

2- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية السقوط والانهار، الجزء 02، ط 1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009م، ص 175.

3- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 32.

4- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 426.

5- ابن الساعي علي بن أنجب تاج الدين، الجامع المختصر في عناوين التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد، الجزء 10، بغداد، المطبعة الكاثوليكية، 1934م، ص 25-26.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

المال من أجل قتال السلطان سنجر الذي عزم على دخول بغداد<sup>1</sup>، يقول ابن الجوزي: "...وأرجف الناس بمجيء سنجر، فعمل السور، وجي العقار..."<sup>2</sup>، وكذلك يقول السيوطي: "...فترك السلطان الأخذ من الخليفة، وعاد إلى جباية الأملاك من الناس، وصادر التجار، فلقى الناس من ذلك شدة..."<sup>3</sup>.

**ب- ضريبة الدور:** هذه الضريبة فرضت على سكان بغداد لما دخلها السلطان السلجوقي طغرل بك بجيوشه وسيطر عليها، حيث نزل الجند في دور سكان بغداد وألزمهم بضريبة تقدر بخمسمائة دينار، قائلين لهم: هذه عادتنا في بلادنا، فاشتكى الناس إلى الخليفة العباسي وقالوا له: هذا شيء ما ألفناه وقد أفنى الحريق والنهب أموالنا، فبعث الخليفة إلى عميد العراق الكندري وأنبه على هذا الفعل وأمره بإسقاط هذه الضريبة، ففعل<sup>4</sup>.

**ج- ضريبة التركات:** كان ديوان التركات مسؤولاً عن وراثة من لا وارث له من الرعية؛ لأن الدولة كانت ترثهم بحكم الشرع الإسلامي، وأصبحت الموارث مورداً مهماً في العصر السلجوقي، فقد حرص سلاطين السلاجقة منذ دخولهم بغداد على الاستيلاء عليها<sup>5</sup>، حيث أعاد السلطان طغرل بك الموارث<sup>6</sup>، وأضحت أموال التركات تذهب إلى خزينة السلطان السلجوقي في الوقت الذي يجب أن تصرف في مصالح المسلمين<sup>7</sup>، يقول في ذلك ابن الجوزي: "ومات رجل فأخذ ماله أصحاب التركات فعاد أصحاب السلطان وأخذوا ماله من المخزن، وأخذت تركات الحشوية من الخليفة"<sup>8</sup>، حدث كل ذلك سنة 531هـ في عهد السلطان السلجوقي مسعود الذي أمر بأخذ هذه الأموال.

1- ابن الساعاتي، المصدر السابق، ج 10، ص 26.

2- المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 270.

3- تاريخ الخلفاء، تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي بإشراف محمد غسان نصوح عزقول الحسيني، ط 2، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ/2013م، ص 672.

4- ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص 344، نقلاً عن محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 33.

5- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 33.

6- السيوطي، المصدر السابق، ص 645.

7- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 33.

8- المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 322.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**د- ضريبة الخفارة:** هي ضريبة تؤخذ من الحجاج، تقدر بسبعة دنانير ذهبية على كل حاج<sup>1</sup>، بحجة حراسة الطرق من قطاع الطرق واللصوص، كما دفع عدد من التجار مبلغ 14 ألف دينار و 200 رأس من الغنائم كضريبة خفارة<sup>2</sup>.

قام العلماء المسلمون بإبداء موقفهم من فرض هذه الضرائب، انطلاقاً من أن الأصل هو حرية الأفراد الكاملة في التصرف في أموالهم وعدم تدخل الدولة، وهذا ما أكده أبو يوسف بقوله: "ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف"<sup>3</sup>، وكذلك ذكر الشافعي أن "الناس مسيطرون على أموالهم ليس لأحد أن يأخذها ولا شيئاً منها بغير طيب أنفسهم إلا في المواضع التي تلزمهم"<sup>4</sup>، لكن التغيرات التي شهدتها الدولة الإسلامية وانقسامها إلى عدد من الدويلات المختلفة من حيث المساحة والتعداد السكاني، حتى إذا بدأ العصر السلجوقي، قرر العلماء على ضوء الوقائع والأحداث والتغيرات الجذرية في مختلف الميادين، البدء بمناقشة مسألة فرض الضرائب أو توظيف الأموال، مع طرح شروطه، كخلو الخزانة الدولة ويد الجند، والرغبة في تحقيق الاستقرار الأمني الداخلي أو الخارجي، أو سد حاجات المحتاجين، وأخذ قدر الكفاية، وشرعية الحاكم<sup>5</sup>. لذا يفوض الجويني السلاطين بتوفير الحقوق على مستحقيها، وتبليغ الخطوط ذويها، وكف المعتدين، ومعاودة المقتصدین، وإشادة مباني الرشاد، وحسم معاني الغي والفساد، فتنتظم أمور الدنيا، ويستمد منها الدين الذي إليه المنتهى<sup>6</sup>، وبالمقابل يسوق الجويني لنا كلاماً على لسان الفقهاء: "وربما تعلق هؤلاء بأن ما أخذ الأموال لو تعدت الطرق المضبوطة، والمسالك الموضحة في الشريعة، لانبسطت الأيدي إلى الأموال، ويجر ذلك فنونا من الخبال، ولم يثق ذو مال بماله، لا في حاله، ولا في ماله، وهذا خروج عن ضبط الدين، وحل لعصام الإسلام عن أموال المسلمين..."<sup>7</sup>، على الرغم من أن الجويني فند هذا الكلام، نظراً لما كانت عليه أوضاع النظام المالي السلجوقي في عهد السلاطين الثلاثة والوزير نظام الملك، من اتساع مساحة الدولة وكثرة مداخيل بيت المال، فلم يكن هناك داعي لفرض ضرائب جديدة على الرعية، لكن الذي حدث في عهد السلاطين المتأخرين يؤكد كلام هؤلاء الفقهاء الذي فنده أبو المعالي الجويني، ومع ذلك يرى أن توظيف الأموال من قبل الإمام/السلطان يشمل ما

1- الراوندي، المصدر السابق، ص 205.

2- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 33.

3- المصدر السابق، ص 141.

4- المزني، مختصر المزني، ص 92، نقلاً عن عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 426.

5- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 426-427.

6- الغياثي،...، المصدر السابق، ص 327.

7- المصدر نفسه، ص 390.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يلي:- ليس يخفى على ذي بصيرة أنَّ الإمام/السلطان يحتاج في منصبه العظيم، وخطبه الشامل العميم، إلى الاعتداد بالعدد والعتاد، والاستعداد بالعساكر والأجناد، فإنه متصد لحراسة البيضة، وحفظ الحرم، والتشوف إلى بلاد الكفار؛ فيجب أن يكون عسكره معقوداً، يرون التطلع إلى أوامره شوقاً مقصوداً، ومطمحاً معمولاً. ولا يجوز أن يكون معوّله المتطوعة الذين لا يتنشّون إذا ندبوا مبادرين؛ حتى يتأهبوا، ويستعدوا ويتألبوا، ولن تقوم الممالك إلا بجنود مجنّدة، وعساكر مجردة، مشرّبون للانتداب، مهما ندبوا، بعزائم جامعة، وآذان متشوفة إلى صوت هائعة، وهؤلاء هم المرتزقة، لا يشغلهم عن البدار دهقنة وتجارة، ولا يلهيهم ترفة ولا عمارة<sup>1</sup>.

- فإذا تقرر أنه يتحتم استظهار الإمام/السلطان بالأعوان والأنصار، فلا بد من الاستعداد بالأموال، وقد ذكر الجويني أن الأموال التي يجمعها ويحببها ويطلبها وينتحيها، تنقسم إلى ما يتعين مصرفه، وإلى ما يعم انبساطه على وجوه المصالح<sup>2</sup>.

- والدليل القاطع على ذلك أنَّ الاستظهار بالجنود والعساكر المعقود عند التمكن حتم، وإن بعد الكفار، وتقاصت الديار؛ لأنَّ الخطأ إذا خلت عن ناحية معدة، لم نأمن الحوادث والبواقي، والآفات والطوارق، وإذا ارتبط النظر بالأمر الكلي وآل الخوف والاستشعار إلى البيضة والحوزة، فقد عظم الخطر، وتفاقم الغرر، وصعب موقع تقدير الزلل والخطأ، فإذا كان الاستظهار بالجنود محتوماً، فلا معول على مملكة لا معتضد لها، ولا مستند لها من الأموال؛ فإنها شوف الرجال، مرتبط بالآمال<sup>3</sup>.

- لقد حدث ما استشرفه الجويني عن انفراط عقد السلطنة السلجوقية بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه ووزيره نظام الملك، وغزو الكفار لبلاد الشام في عهد السلطان بركياروق سنة 491هـ، حيث قال: أحدها أن يطأ الكفار -والعياذ بالله- ديار الإسلام<sup>4</sup>، نظراً للنزاع الذي حدث بين أبناء ملكشاه على العرش، أدى إلى تبديد الأموال من أجل ذلك فاضطر السلاطين إلى جباية ضرائب جديدة فرضوها على الرعية كما رأينا. لذا اعتبر أموال المسلمين لا تقابل غائلة وطأة الكفار في قرية من قرى الديار، وفيها سفك دم المسلمين، أو امتداد يد إلى الحرم، ثم أكد على وجوب أن يكلف الإمام/السلطان الأغنياء من بذل فضلات الأموال ما تحصل به الكفاية والغناء؛ فإنَّ إقامة الجهاد

1- الغياثي...، المصدر السابق، ص367.

2- المصدر نفسه، ص368.

3- المصدر نفسه، ص373.

4- المصدر نفسه، ص378.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

فرض على العباد<sup>1</sup>، غير أنه يشترط إذا كان جنود الإسلام مشمرين للجهاد، فالوجوه التي منها تنتظم الأموال غير منحسمة والأحوال متسقة منتظمة، عدم التعرض لأموال الناس لأمر مقدر على نأي وبعد<sup>2</sup>.  
-فإن وقع نظره-أي الإمام/السلطان-في الانكفاف عن الأموال، التزم مصير الإسلام إلى أسوأ المصائر والأحوال. وإن استرسل في إطلاق الأيدي في الأموال من غير اقتصاد، انتصب إلى إحداث مطالبات كلبية، لا أصل لها في القضايا الشرعية. وشدد الجويني على أن التدابير إذا لم يكن لها عن الشرع صدر، فالهجوم عليها خطر، ثم قصارها إذا لم يكن مقيدة بمراسم الإسلام، مؤيدة بموافقة مناهم الأحكام-ضرر<sup>3</sup>. وهذا ما لم يلتزم به بعض سلاطين السلاجقة، فقد أخذ السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه سبعمائة ألف دينار دفعة واحدة من الصاحب أبي القاسم بن عباد الذي كان عظيم المال<sup>4</sup>، ولم يوظف السلطان محمد هذا المبلغ الضخم في تجهيز الجيوش لقتال الصليبيين في بلاد الشام.

-فإذا ساس المسلمين وال، وصفرت يده عن عدة ومال، فله أن يعين بعض الموسرين لبذل ما تقتضيه ضرورة الحال، لا محالة، كما يندب من يراه أهلاً للانتداب. فلا ينبغي أن يستبعد المرء حكم الإمام في فلسه مع نفوذ حكمه في روحه ونفسه. ويرى الجويني أنه في أخذ فضلات من أموال رجال تخفيف أعباء عنهم وأثقال، وإقامة دولة الإسلام على أمة الاستقلال في أحسن حال<sup>5</sup>.

-والأمر في أخذ الأموال يجري على هذه الأحوال، فليشر على أغنياء كل صقع بأن يبدلوا من المال ما يقع به الاستقلال، مع العلم أن الجويني يؤكد دائماً في معرض حديثه عن توظيف الإمام/السلطان للأموال على الحاجة الماسة المتمثلة في إقامة رسم الجهاد ودفع غائلة العدو والضرب على يد اللصوص قطاع الطرق والمناوئين للسلطان المبايع؛ فإن رأى إذا وقعت واقعة عامة وداهية مطبقة للخطة طامة، ومست الضرورات في دفاعها إلى عدة، ومادة من المال تامة، ويد الإمام/السلطان صافرة، وبيوت الأموال شاغرة، أن يتسبب إلى استيلاء مال من موسري المؤمنين؛ فإنه يفعل من ذلك على موجب الاستصواب ما أراد، وعمم أهل الاقتدار واليسار في أقاصي البلاد، ورتب على كل ناحية في تحصيل المراد، ذا كفاية، ودرية وسداد. فإن عسر التبليغ إلى الاستيعاب؛ ورأى في وجه الصواب أن يخصص أقواماً، ثم يجعل الناس في ذلك فئاماً، فيستأدي عند كل ملمة من فرقة أخرى وأمة؛ اتبع في ذلك كله أوامره، واجتنب

1-الغياثي...، المصدر السابق، ص380.

2-المصدر نفسه، ص383.

3-المصدر نفسه، ص383-384.

4-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص134.

5-المصدر نفسه، ص386.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

زواجه<sup>1</sup>. وعلى الإمام/السلطان أن ينظر إلى من كثر ماله وقل عياله، ويتخير من خيف عليه من كثرة ماله أن يطغى، ولو ترك، لفسد، ولو غرض من غلوائه قليلاً، لأوشك أن يقتصد، ويتسد<sup>2</sup>. كما يرى عدم منع الإمام/السلطان من الاقتراض على بيت المال، إن رأى ذلك استجابة للقلوب وتوصلاً إلى تيسر الوصول إلى المال، مهما اتفقت واقعة وهجمت هائعة. والذي قدمه الجويني ليس تحريماً للاستقراض، ولكنه في نظره تمهيد لما يسوغ للإمام/السلطان أن يفعله، والأمر موكول إلى رأيه، أو استصوابه في افتتاح كل أمره ومآبه، وإذا أملت ملمة واقتضى إمامها مالا، فإن كان في بيت المال مال، استمدت كفايتها من ذلك المال، وإن لم يكن في بيت المال مال، نزلت على أموال المسلمين. فإذا كفيت من أموالهم، فقد انقضت وانقطعت تبعاتها وعلائقها، فإذا حدث مال، تهيأ ما حدث للحوادث المستقبلية<sup>3</sup>.

-لابد من توظيف أموال يراها الإمام قائمة بالمؤن الراتبية، ومدانية لها، وإذا وظف الإمام على الغلات والثمرات وضروب الزوائد والفوائد من الجهات يسيراً من كثير، سهل احتمالها، ووفر به أهب الإسلام وماله، واستظهر رجاله، وانتظمت قواعد الملك وأحواله<sup>4</sup>.

-أشار الجويني إلى وجوب إيقاف توظيف الأموال مع ورود إيرادات أخرى يعتقد بكفايتها لنفقات بيت المال، مع التأكيد على وجوب توجيه إيرادات توظيف الأموال لما يشبع حاجة حقيقية للمجتمع<sup>5</sup>، يقول في ذلك: "...ثم إذا اتفقت مغانم، واستظهر بأخماسها بيت المال، وغلب على الظن اطراد الكفاية، إلى أمد مظنون ونهاية، فيغض حينئذ وظائفه، فإنها ليست واجبات توقيفية، ومقدرات شرعية، وإنما رأيناها نظراً إلى الأمور الكلية، فمهما استظهر بيت المال واكتفى، حط الإمام ما كان يقتضيه وعفا، فإن عادت مخايل حاجة، أعاد الإمام منهاجه..."<sup>6</sup>، ومستند الجويني في إثبات هذا الحكم هو ظهور وجه المصلحة الراجحة فيه، وهو أمر بين وثابت شرعاً، فإن حفظ ديار الإسلام وأهله وإقامة الجهاد في سبيل الله مصلحة تترجح على مصلحة المالك في بقاء ملكه<sup>7</sup>.

1-الغياثي...، المصدر السابق، ص388.

2-المصدر نفسه، ص389.

3-المصدر نفسه، ص391-392.

4-المصدر نفسه، ص396.

5-عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص429.

6-الغياثي...، المصدر السابق، ص397-398.

7-الشمالي عبد الله، الحرية الاقتصادية...، ص281، نقلاً عن عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص429.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أما السرخسي فموقفه من توظيف الأموال من طرف الإمام/السلطان موافق لرأي الجويني، يقول: "...والأصح أن نقول للإمام أن يفعل ذلك عند الحاجة فإن لم يكن في بيت المال مال ومست الحاجة إلى تجهيز الجيش ليدبوا عن المسلمين فله أن يحكم على الناس بقدر ما يحتاج إليه لذلك لأنه مأمور بالنظر للمسلمين وإن لم يجهز الجيش للدفع ظهر المشركون على المسلمين فيأخذون المال والذاري والنفوس فمن حسن التدبير أن يتحكم على أرباب الأموال بقدر ما يحتاج إليه تجهيز الجيش ليأمنوا فيما سوى ذلك..."<sup>1</sup>، وغير خاف أن إشارته هذه مبنية على ما ذكره الشيباني من أن "على الإمام تجهيز الجيش من بيت المال إلا إذا لم تكن به سعة فيفرض على الناس بما يتقوى به المجاهدون"<sup>2</sup>.

ومن العلماء الذين وافقوا الجويني، تلميذه أبو حامد الغزالي الذي يقول: "فأما لو قدرنا إماما مطاعا، مفتقرا إلى تكثير الجنود: لسد الثغور، وحماية الملك: بعد اتساع رقعته، وانبساط خطته؛ وخلا بيت المال عن المال، وأرهقت حاجات الجند إلى ما يكفيهم، وخلت مقدار كفايتهم أيديهم، فللإمام أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال، إلى أن يظهر مال في بيت المال، ثم إليه النظر في توظيف ذلك على وجوه الغلات والثمار؛ كي لا يؤدي تخصيص بعض الناس به، إلى إيفار الصدور، وإيحاش القلوب. ويقع ذلك قليلا من كثير: لا يجحف بهم، ويحصل به الغرض..."<sup>3</sup>، على الرغم من أن الغزالي قد عاصر الصراع الذي كان بين السلاجقة على السلطنة ووضع الخلافة العباسية المتدهور والغزو الصليبي لبلاد الشام، إلا أنه نحا منحى أستاذه وناقش مسألة توظيف الأموال انطلاقا مما قرره الجويني، حيث لمسنا تشابها كلياً بين كلامه وكلام شيخه، حيث بين ضرورة توظيف الأموال من أجل الجهاد في سبيل الله بقوله: "...إن لم يفعل الإمام ذلك: تبدد الجند، وانحل النظام، وبطلت شوكة الإمام، وسقطت أبهة الإسلام، وتعرض ديارنا لهجوم الكفار واستيلائهم؛ ولو ترك الأمر كذلك: فلا ينقضي إلا قدر يسير، وتصير أموال المسلمين طعمة للكفار، وأجسادهم دبة للرماح وهدفا للنبال، ويثور بين الخلق -من التغالب والتواثب- ما تضيع بها الأموال، وتعطل معها النفوس، وتنتهك فيها الحرم. ونظام ذلك شوكة الإمام بعدته، وما يحذر إمامه -من الدواهي- بالمسلمين: لو انقطعت عنهم شوكة الجند، التي تستحق -بالإضافة إليهم- أموالهم. فإذا رددنا بين احتمال هذا الضرر العظيم، وبين تكليف الخلق حماية أنفسهم بفضلات أموالهم، فلا نتمارى في تعيين هذا الجانب. وهذا مما يعلم قطعا من كلي

1- المصدر السابق، ج 10، ص 20.

2- السير الكبير، ج 1، ص 139، نقلا عن عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 430.

3- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق الدكتور حمد الكبيسي، ط 1، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1390هـ/1971م، ص 236.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

مقصود الشرع: في حماية الدين والدنيا...<sup>1</sup>، وبعدها يبين الغزالي الغاية المرجوة من توظيف الأموال في تجنيد الجند قائلا: "وإن نزلنا في التصوير، وقدرنا-ضربا للمثل-انبساط أطراف ظل الإسلام على أقاصي الغرب والشرق، وإطباق الدين الأرض ذات الطول والعرض؛ حتى لم يبق من الكفار نافخ نار، ولا طالب ثأر:- فلا يؤمن هيجان الفتن بين المسلمين، وثوران المحن من نزعات المارقين؛ وهو الداء العضال، وفيه تستهلك النفوس والأموال، ولا كاف لأمثالها إلا سطوة الإمام، ولا كاف عن فسادها إلا قهر الوالي المستظهر بجند الإسلام. ولو اتفق شيء من ذلك: لافتقر أهل الدنيا إلى نصب حراس، ونفض أكياس على أجرحهم؛ ثم لا يغنيهم ذلك..."<sup>2</sup>.

وقد سبق للماوردي وأبي يعلى أن عرضا لكيفية تأمين المستحق على بيت المال عند خلوه، مع وجود ضرر عام مترتب على عدم الإنفاق، وقد بينا أن الأمر يكون على سبيل فرض الكفاية على عموم المسلمين، حتى يقوم بالفرض منهم من فيه كفاية، ويلمح من هذه الإشارة العابرة نوع من التوظيف الاختياري الذي يحوي حثا على التمويل قد يصل إلى الجبر<sup>3</sup>، "أن يكون مصرفه مستحقا على وجه المصلحة والإرفاق دون البدل. فاستحقاقه معتبر بالوجود دون العدم، فإن كان موجودا في بيت المال وجب فيه وسقط فرضه عن المسلمين، وإن كان معدوما سقط وجوبه عن بيت المال. وكان-إن عم ضرره-من فروض الكفاية على كافة المسلمين حتى يقوم به منهم من فيه كفاية كالجهاد. وإن كان مما لا يعم ضرره كوعورة طريق قريب يجد الناس غيره طريقا بعيدا أو انقطاع شرب يجد الناس غيره شربا فإذا سقط وجوبه عن بيت المال بالعدم سقط وجوبه عن الكافة لوجود البدل"<sup>4</sup>.

لقد حاولنا بلورة رؤية استقصائية لموقف العلماء من الضرائب أو توظيف الأموال كما اصطلاح عليه من قبلهم، حيث قبل العلماء توظيف الأموال وحصرها في باب الاستعداد للجهاد وتجنيد الجنود لقتال الكفار، ووضعوا شروطا لذلك وفوضوا الإمام/السلطان للنظر في مختلف الأساليب والطرق لتحصيل الأموال من الرعية، ويبدو أن كل من الماوردي وأبي يعلى الفراء والجويني والغزالي والسرخسي اتفقوا إلى حد ما، في وجوب توظيف الأموال من أجل الجهاد وتقوية جبهة الإسلام إقامة سلطان الدولة وجعل شوكة للإمام ونفاذ كلمته وسطوته وأمره، مع الاختلاف بينهم في أنجع السبل لتحقيق ذلك، إذ عاصر الماوردي والفراء الدولة البويهية والخلافة

1-المصدر السابق، ص237.

2-المصدر نفسه، ص240.

3-عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص431.

4-الفراء أبو يعلى، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص253. الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص316-317.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

العباسية والدولة السلجوقية، ورأيا غيابا تاما لتوظيف الأموال في الجهاد، في حين عاصر الجويني الدولة السلجوقية في أوج عظمتها والخلافة العباسية، وعودة حركة الجهاد ومقارعة الكفار وتحقيق الأمن الداخلي والخارجي، فأكد على توظيف الأموال من أجل الجهاد، لكن الغزالي الذي عاش في عصر عظمة الدولة السلجوقية وشهد انقسامها وضعفها وغزو الصليبيين لبلاد الشام، فلا نستغرب تشديده على وجوب توظيف الأموال من أجل جهاد الغزاة لدار الإسلام ومدافعهم، أي الانتقال من الهجوم إلى الدفاع، أما السرخسي فهو الآخر عاين الدولة السلجوقية وهي قوة عظمى موحدة، فأقر توظيف الأموال على الجهاد. كل ذلك جعلهم لا يميزون توظيف الأموال أو الضرائب على العقارات والدور والحجاج والتركات التي استحدثها سلاطين السلاجقة، فلا نلمس أبدا موافقتهم على هذا النوع من الضرائب التي فرضت من قبل السلاطين على أرباب الأموال والتجار والفلاحين والحرفيين والصناع وغيرهم، بواسطة العمداء والشحن التابعين لهم في إقليم العراق، ومن ثم تم استخدام هذه الأموال في تجنيد الجنود من أجل الصراع على الحكم، وأضحى أي أمير يملك جيشا يفرض هذه الضرائب لتمويل جيشه، بهدف الظفر بالعرش السلجوقي، ولعل من العلماء الذين أبدوا امتعاضهم ابن الكواز، يقول في ذلك ابن الجوزي: "...وتقدم السلطان بجباية العقار فلقي الناس من ذلك شدة وخرج رجل صالح يقال ابن الكواز فلقي السلطان بالميدان، وقال له: أنت المطالب بما يجري على الناس فما يكون جوابك فانظر بين يديك، ولا تكن كمن إذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فأسقط..."<sup>1</sup>، وبالمقابل قام السلطان ملكشاه برفع ضريبة الخفارة على الحجاج<sup>2</sup>، لكن يبدو أنها أعيدت في زمن السلاطين السلاجقة المتأخرين.

كل ذلك يدفعنا للقول بأن العلماء حاولوا توضيح الأحكام الشرعية التي ينبغي على سلاطين الدولة السلجوقية التقيد بها في مسألة الضرائب أو توظيف الأموال، حيث ساقوا كوكبة من الشروط والضوابط والقيود الواجب الاحتكام إليها في هذه المسألة، مشددين ومؤكدين على حتمية توظيف الأموال لإقامة سلطان الدولة وتحقيق الأمن الداخلي وكذلك إقامة رسم الجهاد وضبط الأمن الخارجي للدولة الإسلامية، وتعاون المسلمين جميعهم في سبيل هذه الغاية.

### 6- موقف العلماء من المصادر في العصر السلجوقي: استحدثت السلاجقة موردا جديدا

لبيت المال، من المصادر لأموال خصومهم بعد الظهور عليهم، ومن المقاسمات والنكبات التي كانت وسيلة معروفة في العصر السلجوقي لمحاسبة وزرائهم وعمالهم<sup>3</sup>، والمصادرة تعني الاستيلاء على أموال موظفي الدولة من الوزراء

1- المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 320-321.

2- الراوندي، المصدر السابق، ص 205.

3- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 465.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والكتاب وتعود لأسباب سياسية أو شخصية أو لأسباب تتعلق بالفساد الإداري، وشكلت موردا أساسيا للخزينة السلجوقية، لمصادرهم أموال كبار موظفي الدولة والأثرياء، بحيث أصبح الهدف الرئيسي منها سد العجز المالي، لأنَّ الدولة مرت بأزمات مالية متكررة وزادت حاجة السلاطين السلاجقة إلى توفير المال بمختلف السبل، ومن ذلك المصادرات، وجاءت أغلب هذه المصادرات في فترة ضعف السلاطين السلاجقة<sup>1</sup>.

ففي سنة 494هـ "أخذ عسكر محمد ما تخلف للأمير أياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك، فإنه أعجل عنه وكان من جملة خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلاثمائة دينار إلى خمسمائة دينار، ونهبوا داره وصادروا جماعة من أصحابه، وصادروا رئيس همذان بمائة ألف دينار..."<sup>2</sup>، وبعد سنتين بعث السلطان محمد قائده ينال بن أنوشكين الحسامي وأخوه علي إلى مدينة الري، فاستولى عليها وقام بمصادرة أهلها بـ 200 ألف دينار، كما صادر ينال العمال ببغداد أيضا<sup>3</sup>. والجدير بالذكر أنَّ السلطان محمد قبض على وزيره سعد الملك أبي المحاسن في شوال سنة 500هـ، واستولى على أمواله ثم صلبه على باب مدينة أصفهان<sup>4</sup>.

كما قرر السلطان محمد سنة 502هـ مالا على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن وعلي أبي الفرج بن رئيس الرؤساء بعد أن اعتقلهما، ثم أطلقهما مقابل هذا المال<sup>5</sup>، وكان السلطان محمود بن محمد يطالب صاحب شحنته منكبرس بجمع الأموال والمصادرات من العراق<sup>6</sup>.

وقد ذكر الحسيني بأنَّ الملك السلجوقي أرسلان أرغون لما انتصر على أخيه الأمير بوري بورس في مدينة مرو، وقبض عليه، وكذلك قبض على وزيره عماد الملك بن نظام الملك، فصادره على ثلاثمائة ألف دينار ثم قتله<sup>7</sup>. وتتواصل سلسلة المصادرات من قبل السلاطين السلاجقة على وزرائهم، حيث في سنة 513هـ لما عاد السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه إلى بلخ قبض على وزيره أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر بن نظام الملك، وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والأموال ما لا حد عليه والذي وجد له من العين ألفا ألف دينار<sup>8</sup>.

1- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 34.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 33.

3- المصدر نفسه، ج 9، ص 61.

4- المصدر نفسه، ج 9، ص 111.

5- المصدر نفسه، ج 9، ص 133.

6- المصدر نفسه، ج 9، ص 177.

7- زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 176.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 182.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ولما قتل الوزير الكمال أبو طالب السميّمي وزير السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه في أواخر صفر سنة 516هـ، أخذ السلطان خزانته<sup>1</sup>، كما قبض السلطان مسعود على وزيره البروجردى سنة 539هـ، وعين مكانه المرزبان بن عبيد الله بن نصر الأصفهاني، بعد أن سلم البروجردى إليه، فاستخرج أمواله<sup>2</sup>.

وقد صادر الملك طغرل بن السلطان محمود بن السلطان محمد، صفى الدين المستوفى صاحب ديوان الاستيفاء لأخيه الملك داود، بمبلغ مالي مقداره 200 ألف دينار، بعد انتصاره عليه في رمضان سنة 526هـ<sup>3</sup>، وأشار الحسيني بأنّ الملك طغرل صادر جماعة يطول بذكرهم هذا المختصر<sup>4</sup>.

تلك أهم المصادرات التي عرفها العصر السلجوقي، وإذا ما أردنا تلمس موقف العلماء في مصادرة السلاطين لأموال وزرائهم وعمّالهم، فليس هناك مواقف عملية للعلماء تم رصدّها من قبل المصادر، غير أنّ التوجيهات التي أبدّاها هؤلاء العلماء للسلاطين، يمكن من خلال الوصول لتصور عام نستطيع على ضوئه بلورة هذه المواقف، شأنهم في ذلك مع الموارد المالية التي سقناها في الصفحات السابقة، وخصوصاً أنّ المصادرات كانت بعيدة عن متناولهم واختصت بقرار السلطان السلجوقي، وتعلقت بطبيعة العلاقة بين السلطان ووزرائه وعماله، التي تراوحت بين رضاه عنهم وغضبه عليهم، والظاهر أنّ أقصى ما يمكن قوله عن علاقة العلماء بالدولة منذ القرن الرابع الهجري أنّ المرجعية العليا للإسلام، وأنّ السلطة الإسلامية مدنية، وأنّ هناك مؤسسة دينية تتولى الشأن الديني، وأنّ الطرفين يعترف كل منهما بالآخر، مع استمرار الصراع على أطراف المجالين، فعندما تقوى الدولة تأخذ من الفقهاء بعض الأمور وعندما تضعف الدولة ينتزع الفقهاء بعض الأمور، والأمثلة على ذلك كثيرة، ومنها اجتياف السلطة السياسية لصلاحيات الفقهاء والقضاة في مسألة قضاء المظالم، والحسبة وإصرار الفقهاء على تضمين كتبهم باباً في أحكام البغاة وإصرار منهم على أن يحاكم هؤلاء أمام القضاء الإسلامي، وليس أمام محاكم المظالم التي يشرف عليها السلطان أو وزيره أو حاجبه<sup>5</sup>. ومن هذا المنطلق حاول الجويني التصدي لهذه المسألة، من خلال محاولته الإشارة إلى خطورتها، عن طريق حديثه على قضية التعزير، يقول: "فمضمونه الرد على من يرى تعزير المسرفين الموهلين بإتباع الشبهات، واقتراف السيئات، وإتباع الهنات بالمصادرات. من غير فرض افتقار وحاجات. وهذا مذهب جدا ردي، ومسلك غير مرضي؛ فليس في الشريعة أنّ اقتحام المآثم يوجه إلى مرتكبيها

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 215-216.

2- المصدر نفسه، ج 9، ص 333.

3- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 200.

4- المصدر نفسه، ص 204.

5- السيد رضوان، الفكر السياسي الإسلامي، دراسة في تطور التفكير بالدولة، مجلة التسامح، العدد الرابع، السنة الثالثة، 1424هـ/2004م، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص 14.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ضروب/المغارم، وليس في أخذ أموال منهم أمر كلي، يتعلق بحفظ الحوزة، والذب عن البيضة، وليس يسوغ لنا أن نستحدث وجوها في استصلاح العباد، وجلب أسباب الرشاد، لا أصل لها في الشريعة؛ فإن هذا يجر خرما عظيما، وخطبا هائلا جسيما...<sup>1</sup>، إذن وردت كلمة المصادرات في سياق كلامه عن التعزير، الذي يطبق على المسرفين الموغلين بإتباع الشبهات واقتراف السيئات وإتباع الهنات، فيتم تعزيرهم بمصادرة أموالهم، وهذا ما لم يجزه الجويني، إلا في حالة الافتقار والحاجة. يقول الجويني: "وأما نزع أموال العصاة، فلا نرى له أصلا...<sup>2</sup>"، غير أنه قلب النظر في المسألة بأن يعتني الإمام/السلطان عند تأسيس الحاجات بأموال العتاة، وهذا فيه أكمل مردع ومقنع؛ فإن العتاة العصاة إذا علموا ترصد الإمام لأموالهم حالاً، عند اتفاق إضاعة أعوان المسلمين وحاجاتهم- كان ذلك وازعاً لهم عن مخازيهم وزلاتهم<sup>3</sup>، وساق مثالا عن ما فعله عمر بن الخطاب مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضوان الله عليهم<sup>4</sup>. ويتجلى بذلك بأن الجويني يرفض رفضاً قاطعاً للمصادرات التي قام بها السلاطين مع وزرائهم خلال العصر السلجوقي.

أما الغزالي فقد ناقش هذه المسألة أيضاً، على صيغة سؤال يجيب عليه كما يلي:

-مثال آخر: فإن قال قائل: إذا رأى الإمام جمعا من الأغنياء يسرفون في الأموال ويبدرون، ويصرفونها إلى وجوه من الترفه والتنعيم، وضروب من الفساد؛ فلو رأى المصلحة في معاقبتهم: بأخذ شيء من أموالهم، وردده إلى بيت المال، وصرفه إلى وجوه المصالح فهل له ذلك؟.

-قلنا: لا وجه له؛ فإن ذلك عقوبة بتنقيص الملك وأخذ المال، والشرع لم يشرع المصادرة في الأموال عقوبة على جنائية، مع كثرة الجنايات والعقوبات؛ وهذا إبداع أمر غريب لا عهد به، وليست المصلحة فيه متعينة؛ فإن العقوبات والتعزيرات مشروعة بإزاء الجنايات، وفيها تمام الزجر، فأما المعاقبة بالمصادرة، فليس من الشرع. وليس هذا كالمثال السابق، فإن الأموال مأخوذة بطريق إيجاب الإنفاق منهم على جند الإسلام لحماية مصلحة الدين والدنيا، لا بطريق العقاب؛ ومسالك الإنفاق والارفاق مقيدة؛ أما المعاقبة بالمصادرة فليس مشروعاً؛ والزجر حاصل بالطرق المشروعة، فلا يعدل عنها مع إمكان الوقوف عليها<sup>5</sup>.

1-الغياثي...، المصدر السابق، ص398.

2-المصدر نفسه، ص399.

3-المصدر نفسه، ص399.

4-المصدر نفسه، ص399-400.

5-شفاء الغليل...، المصدر السابق، ص243-244.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

كما رد الغزالي على من استشهد بمصادرة عمر بن الخطاب مال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضوان الله عليهم، بأنَّ عمر ربما خمن أن أنَّ شطر مالهما إنما هو من فوائد الولاية ثمراتها، فيكون فعله من باب استرجاع الحق بالرد إلى نصابه، وبأنه مع كثرة الأغنياء زمن الصحابة رضي الله عنهم فلم يتفق ذلك مع غيرهما فقط<sup>1</sup>.

وفي سياق متصل يقدم الغزالي مجموعة من النصائح للسلطان السلجوقي حول كيفية التعامل مع وزيره، إذا على السلطان أن يعامل الوزير بثلاثة أشياء: -أحدها: إذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة.

-الثاني: إذا استغنى في خدمته وأينع ظله في دولته لا يطمع في ماله وثروته.

-الثالث: إذا سأل حجة لا يتوقف في قضاء حاجته<sup>2</sup>.

ويرى الغزالي أنَّ أعظم فساد ينشأ في دولة الملك يكون من أمرين: أحدهما من الوزير الخائن، والثاني من نية الملك الرديئة الفاسدة<sup>3</sup>. لكن إذا عدنا إلى مسألة المصادرات التي طبقها السلاطين على وزرائهم، فإنهم لم يكتفوا بأخذ أموالهم، بل قتلوهم أيضاً، إذن لم يتقيد السلطان محمد بن ملكشاه الذي قدم له الغزالي هذه النصائح، بالعفو عن عن عشرة وزيره بل عاجله بالعقوبة، سواء بمصادرة أمواله ثم بقتله، كما أن محمد بن ملكشاه لما استغنى عن خدمة وزيره، لم يكتف بعزله فقط، بل يطمع في ماله وثروته، ويستصفى منها، وكذلك كيف عين محمد بن ملكشاه رجلاً في الوزير ثم يكتشف بأنه خائن. يبدو أنَّ الغزالي لما قال: "إلى أن أوجد الله تعالى بركات آل سلجوق وظل دولتهم إلى النظام، وأوصلهم إلى درجة الوزراء المتقدمين وأرفع..."<sup>4</sup>، أراد أن يذكر السلطان محمد بن ملكشاه بحال الوزراء في عهد أبيه ملكشاه وجده ألب أرسلان، لكن يبدو أيضاً أنَّ الغزالي لما حرم أخذ أموال الناس بالمصادرة، أعطى الصلاحيات الكاملة للسلطان في مصادرة أموال الوزراء ومعاقبتهم إذا ظهرت خيانتهم وأخذهم الأموال بغير حق، أو إذا لم يؤدوا وظيفتهم على أكمل وجه، ومحددات المثال الذي يقتدى به في ذلك تسيير خطة الوزارة، وهو الوزير نظام الملك الطوسي. إذن الملاحظ بأن الجويني وتلميذه الغزالي لم يميزا مصادرة الأموال المتعلقة بالمسرفين والعصاة، بسبب معاصيهم والذنوب التي يقرئونها، وبالتالي فإن مصادرة أموال الوزراء والعمال من قبل سلاطين السلاجقة تدخل في النطاق، وبذلك يتبلور موقف العلماء من المصادرات خلال العصر السلجوقي، من خلال كلامهما هذا.

1-شفاء الغليل...، المصدر السابق، ص244، عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص432.

2-التبَّير المسبوك في نصيحة الملوك، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1409هـ/1988م، ص83-84.

3-المصدر نفسه، ص86.

4-المصدر نفسه، ص87-88.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**7- نظرة العلماء للنفقات في العصر السلجوقي:** ورد في مادة "نفق" في القاموس المحيط؛ "وأنفق: افتقر، وماله: أنفده، كاستنفقه"<sup>1</sup>، أما اصطلاحاً فالنفقات هي مبلغ أي قدر من المال داخل في الذمة المالية للدولة يقوم الإمام أو من ينوب عنه باستخدامه في إشباع حاجات عامة وفقاً لمعايير الشريعة الإسلامية<sup>2</sup>، وهناك شروط ينبغي أن تتوفر في النفقات لتأخذ طابع الإنفاق العام الذي تقوم به الدولة الإسلامية، هي: -توظيف صنف من أصناف الأموال الواردة إلى بيت مال المسلمين.

- أن يكون هذا المال من الأموال العامة.

- أن ينفق هذا المال وفق رأي ولي أمر المسلمين، أو من ينيبه.

- أن يستخدم هذا المال في سد حاجات الدولة الإسلامية<sup>3</sup>.

يقتضي السياق المنهجي منا تتبع واستقصاء كل النفقات أو معظمها خلال العصر السلجوقي، حتى يتأتى لنا تجلية نظرة العلماء لها، التي جاءت متماهية متوافقة مع مواقفهم من الموارد المالية التي أشرنا إليها، لهذا تنوعت المجالات التي شملتها النفقات في عصر الدراسة، نذكرها كما يلي:

**أ- نفقات البيعة بالسلطنة وولاية العهد:** كان من عادة سلاطين السلاجقة بذل المال عند اعتلاء السلطان السلجوقي لعرش السلطنة وكذلك عند مبايعة ولي العهد، من أجل كسب ولاء كبار رجال الدولة والعامة واسترضائهم، للحيلولة دون وقوع أي فتنة أو صراع سياسي أو عسكري فيما لو لم يعين أحد في أعقابه<sup>4</sup>.

لما تولى السلطان السلجوقي ألب أرسلان السلطنة السلجوقية سنة 455هـ، وخطب له في العام التالي بالسلطنة في بغداد، "فبعث عشرة آلاف دينار وزنا ومائتي ثوب إبريسمية أنواعاً، وحوالة على الناظر ببغداد بعشرة آلاف أخرى، وعشرة أفراس، وعشرة بغلات..."<sup>5</sup>، إذن أرسل السلطان ألب أرسلان هذه الأموال إلى الخليفة القائم بأمر الله حينما قبل بسلطنته.

1- الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 1638.

2- الزهراني ضيف الله يحيى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (من سنة 132هـ - 334هـ / 749م - 945م)، ط 1، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، 1406هـ / 1986م، ص 51.

3- المرجع نفسه، ص 52.

4- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 38.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 87.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أما السلطان ملكشاه الذي اعتلى عرش السلطنة بعد مقتل أبيه سنة 465هـ، فقد وزع أموالاً كثيرة ليستميل بها قلوب أمراء العسكر والحشم<sup>1</sup>، حيث تولى نظام الملك وأبو سعد المستوفي أخذ البيعة على العسكر للسلطان ملكشاه، وتم تخصيص مبلغ 700 ألف دينار كزيادة لهم<sup>2</sup>.

وفي سنة 480هـ اختار السلطان ملكشاه ابنه أبا شجاع أحمد ولياً لعهد، ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل إلى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد بذلك فخطب له في شعبان ونشر الذهب على الخطباء<sup>3</sup>.

وتولى السلطان محمود بن ملكشاه عرش الدولة السلجوقية لما فترقت والدته "تركان خاتون" الأموال على الجنود، فبايعوه وأخذوه معهم وعادوا إلى أصفهان<sup>4</sup>، وقدرت هذه الأموال بأكثر من 20.000.000 دينار<sup>5</sup>، كما وزعت تركان خاتون على الخاصكية الذين انفضوا عن السلطان بركياروق، مبلغاً مالياً قدر بـ 3.000.000 دينار، وسيّرهم لقتاله<sup>6</sup>.

غير أن السلطان بركياروق الذي كان ولياً للعهد، بويع بالسلطنة بعد صراع مع أخيه محمود، وبعد وفاة هذا الأخير صفى له الأمر سنة 487هـ، يقول ابن الجوزي: "أنه لما قدم السلطان بركياروق بن ملكشاه بغداد تقرر مع الخليفة المقتدي بأن يحمل السلطان إليه المال الذي ينسب إلى البيعة"<sup>7</sup>. وقبل وفاة السلطان بركياروق عهد لابنه ملكشاه بولاية العهد سنة 498هـ، الذي تولى السلطنة في بغداد حينما "خرج الوزير أبو القاسم علي بن جهير، فليقهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر أيلغازي والأمير طغايرك بالديوان وخاطبوا في إقامة الخطبة لملكشاه بن بركياروق، فأجيب إليها وخطب له ولقب باللقاب جده ملكشاه وهي جلال الدولة وغيره من الألقاب ونشرت الدنانير عند الخطبة له"<sup>8</sup>.

1- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 122.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 145، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 395.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 452.

4- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 155.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 300.

6- المصدر نفسه، ج 16، ص 301.

7- المصدر نفسه، ج 17، ص 10.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 78.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ولما تولى محمود بن محمد بن ملكشاه عرش السلطنة سنة 511هـ، فرق على العسكر 11.000.000 دينار عينا، ومثلها من العروض<sup>1</sup>.

**ب- نفقات المصاهرات بين السلاجقة والخلافة العباسية:** توثقت الصلة بين الخلافة العباسية والسلاجقة عقب دخولهم بغداد سنة 447هـ، حيث تم عقد عدد من المصاهرات بين الطرفين، مما جعل نفقاتها تقدر بمبالغ ضخمة إلى درجة المبالغة، فكان أول زواج عقد بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله وخديجة ابنة أخي طغرل بك سنة 448هـ، على صداق مبلغه 100 ألف دينار، ولما دخل عليها طرح عليها فرجية منظومة بالذهب، وتاجا مرصعا بالجواهر، وأعطاهما من الغد مائة ثوب ديباجا وقصبا مذهبا، وطاسة من ذهب قد نبت فيها الياقوت والفيروزج، وأفرد لها من إقطاع دجلة 12 ألف دينار<sup>2</sup>.

أما صداق ابنة الخليفة القائم بالله التي تزوجها السلطان طغرل بك فقد بلغ 400.000 دينار، وفيما يخص جهاز عرسها فقد تكون من ثلاثين غلاما تركيا على ثلاثين فرسا، وخادمين، وفرس بمركب وسرج من ذهب مرصع بالجواهر الثمينة، وعشرة آلاف دينار للخليفة، وعشرة آلاف لكريمته، وعقد جوهر فيه نيف وثلاثون حبة في كل حبة مثقال، وجميع ما كان لخاتون المتوفاة من الإقطاع بالعراق، وثلاثة آلاف دينار لوالدتها، وخمسة آلاف للأمير عدة الدين، فتولت إرسال خاتون تسليم ذلك<sup>3</sup>. ويوم العرس حمل السلطان طغرل بك 100.000 دينار و150.000 درهم و4000 ثوب فيها عشرة طميم كل ذلك منسوب إليه، كما أرسل مع إرسال خاتون إلى ابنة الخليفة عقدين فاخرين وقطعة ياقوت أحمر كبيرة، ثم دخل من الغد فقبل الأرض وخدمها، وجلس على سرير ملبس بالفضة بإزائها ساعة، ثم خرج وأنفذ إليها جواهر كثيرة ثمينة، وفرجية نسيج مكللة بالحب<sup>4</sup>.

ولما تم إبرام عقد زواج ولي عهد الخليفة القائم بأمر الله على ابنة السلطان ألب أرسلان سنة 464هـ بظاهر نيسابور كان النشار جواهر<sup>5</sup>. كما تزوجت ابنة السلطان ملكشاه بالخليفة العباسي المقتدي بأمر الله سنة 480هـ، حيث وصف لنا ابن الأثير جهازها بقوله: "في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكي وأجراسها وقلاندها من الذهب

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 159.

2- المصدر نفسه، ج 16، ص 4-5.

3- المصدر نفسه، ج 16، ص 75-76.

4- المصدر نفسه، ج 16، ص 80.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 391.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والفضة، وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرساً من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومهد عظيم كثير الذهب...<sup>1</sup>. وعقد الخليفة المستظهر بالله على أخت السلطان محمد بن ملكشاه، في شعبان سنة 502هـ، بصدّق قدره 100 ألف دينار، وأثناء العقد نثرت الجواهر والدنانير<sup>2</sup>. أما الزواج فقد تم في سنة 504هـ، حيث دخلت أخت السلطان محمد إلى بغداد في شعبان، بصدّقها، وظهر لها من الزي والأموال والجواهر ما لم ير مثله قط، ومن المماليك والحواشي والجواري والخدم والمراكب ما لم يسمع بمثله<sup>3</sup>. كما تزوجت أم السلطان مسعود بعد وفاة زوجها السلطان محمد بن ملكشاه، بالأمير الأصفهسلار منكوبرس والي العراق، ونقل معها برسم جهازها من الخزانة السلطانية أموالاً لا تنفد مع دوام الإنفاق<sup>4</sup>.

**ج- النفقات الخاصة بالسلّاحيين والوزراء ورجال الدولة:** لقد بالغ السلاطين ووزراؤهم وحاشيتهم في الإنفاق بشكل كبير جداً، فبعد أن كان السلاحقة قبائل بدوية متنقلة، انغمسوا في الترف والبذخ والاتساع في المأكل والملبس والمشرّب، بسبب تأسيس دولتهم واتساعها الكبير وكثرة الموارد المالية، لذا شغفوا بالسكن في القصور الفخمة، وأقاموا مجالس الغناء والطرب، وهذا الذي أشار إليه نظام الملك عندما تكلم عن تنظيم مجلس الشراب وشروطه<sup>5</sup>، مما يعني كثرة إقامة هذه المجالس في قصر السلطان أو عند الوزير أو عند بقية رجال الدولة. وارتدى السلاطين ووزراؤهم ورجال دولتهم الثياب الفاخرة المصنوعة من الأقمشة الموشاة بالذهب والفضة والمرصعة بالدرر والجواهر الثمينة التي لا تقدر بثمن، وكان يتم جلبها من الهند والصين، كما كان السلطان السلجوقي يضع على رأسه تاجاً ذا ثلاث فصوص تزينه مجموعة من حبيبات ربما تكون من حبات لؤلؤ قد رصع التاج بها<sup>6</sup>.

وأكثر السلاطين والوزراء ورجال الدولة من اتخاذ الغلمان والعبيد، لخدمتهم والقيام بالمهمات التي يكلفونهم بها<sup>7</sup>، بالإضافة إلى الأسلحة المرصعة وزينة القصر التي يقول عنها نظام الملك: "يجب إعداد عشرين قطعة سلاح خاصة مرصعة بالجواهر وغيرها ووضعها في الخزينة. ففي كل وقت تقام فيه الاحتفالات أو يصل الرسل من

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص451.

2- المصدر نفسه، ج9، ص132.

3- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص171.

4- الأصفهاني عماد الدين، المصدر السابق، ص296.

5- المصدر السابق، ص157-158.

6- سولاف فيض الله حسن، المرجع السابق، ص32.

7- نظام الملك، المصدر السابق، ص111.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أرجاء الأرض يتقلد هذه الأسلحة عشرون غلاما بألبستهم الجميلة ويقفون بها حول سرير الملك. ومع أن الملك -بحمد الله تعالى- بلغ مرتبة تجعله في غنى عن مثل هذا إلا أنه تجب مراعاة زينة الملك والمملكة والحفاظ عليهما والاهتمام بهما. فزينة كل ملك وعدته يجب أن تكونا على قدر همتة ومملكه. وليس في هذه الأيام ملك في العالم أعظم من مولى العالم -خلد الله ملكه- أو أوسع منه مملكة. فمن الواجب، إذا، أن يكون له عشرة أضعاف ما للملوك الآخرين في كل شيء، ومائة مثل إن لم يكن لهم عشرة، لتوافر كل ما يجب توافره من همة وآلة وعدة ومروءة وعظمة وملك...<sup>1</sup>. كما تحدث نظام الملك عن إعداد الخوان وتنظيمه جيدا، وذكر أن السلطان طغرل بك كان يحرص على إعداد الخوان جيدا، ويأمر بتهيئة ضروب الطعام المختلفة على أكمل وجه، حتى حين كان يركب مبكرا، طلبا للتنزه أو الصيد، كان يحمل في موكبه عشرون وسقا من الأطعمة لزيادته في الصحراء. وقد كانت كثرتها تثير عجب الأمراء والأتراك في أثناء تناولهم الطعام ثمة<sup>2</sup>. ومن الوزراء الذين أنفقوا مالا ضخما للظفر بمنصب الوزارة، فخر الملك بن نظام الملك الذي جاء من خراسان محملا بكثير من الهدايا والآلات والتحف من الخيام الجهرمية، والطبول المكللة والأسلحة الغالية، والأدوات المرصعة بالجواهر، والخيول العربية الفارغة، والصقور المدربة على الصيد، والدروع الجميلة، فقدمها هدية للسلطان بركياروق وتولى وزارته<sup>3</sup>. أما السلطان سنجر فإن مطبخه كان يصله كل سنة من خراج قبائل الغز 24 ألف رأس من الغنم<sup>4</sup>. وأمر السلطان مسعود أن تنصب للخليفة خيمة، وأن تدق له طبول النوبة، وأن ينزلوه في احترام ووقار، ويرتبوا له جميع وسائل المطبخ والمشرب<sup>5</sup>. ولما هزم السلطان محمود بن محمد أمام عمه السلطان سنجر، استدعاه هذا الأخير ولاطفه وأجلسه على عرش العراق وزوجه ابنته "مهملك خاتون" وأرسله من خراسان إلى العراق، في أبهة كاملة وسرج مرصعة وفيلة<sup>6</sup>. في حين بلغ السلطان السلجوقي سليمان أسمى درجات العظمة والسلطنة، فلم يكن لأحد -من آل سلجوق- ما كان للسلطان إرسال من أسباب الزينة والعظمة والجاه والسلطنة، ورسوم البلاط، ونظم الصيد، وأبهة الحفلات وما فيها من مطربين وشعراء، وأدوات الحرب، والأمراء الأتراك، والألبسة الفاخرة<sup>7</sup>.

1- المصدر السابق، ص 131.

2- المصدر نفسه، ص 165.

3- المصدر نفسه، ص 220.

4- المصدر نفسه، ص 268.

5- المصدر نفسه، ص 330.

6- المصدر نفسه، ص 301.

7- المصدر نفسه، ص 430.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**د- النفقات العسكرية:** شكل الجيش عماد قيام الدولة السلجوقية وتوسعاتها في المشرق الإسلامي، لذا اهتم به سلاطين السلاجقة اهتماما كبيرا، وكذلك وزراؤهم، وخاصة مسألة النفقة، التي زادت وتضاعفت مع تزايد أعداد الجيش السلجوقي، وقد أفرد نظام الملك فصلا في كتابه عن مرتبات الجيش، حيث يقول في ذلك: "يجب أن يعين للجيش أطماع نقدية ثابتة ومنظمة. أما أصحاب الإقطاعات منهم فيجب أن تطلق أيديهم فيها، لكن بنظام معلوم. وأما الغلمان الذين لا إقطاع لهم فيجب إظهار أطماعهم وتعيينها، فإذا ما عرفت أعدادهم يجب إعداد جراياتهم وتهيتها جميعها ودفعها إليهم في أوقاتها، أو أن يستدعيهم الملك إليه مرتين سنويا ويأمر بتسليمهم أطماعهم المقررة لا أن يحالوا إلى الخزينة لاستلامها دون أن يراهم الملك. فما أحسن أن يسلمها الملك إليهم بنفسه، لأن هذا يبعث على غرس روح المودة والألفة والاتحاد بينهم وبينه، ويفضي بهم إلى بذل أقصى الجهود في الخدمة والثبات في القتال..."<sup>1</sup>، كما أكد على ضرورة تجنيد الجنود من أجناس مختلفة، فذلك أدعى لطاعتهم وانتظامهم، وأحرى أن ينطفيء داء العصبية القبلية<sup>2</sup>.

لقد بلغ عدد الجنود الذين يلازمون ركاب السلطان ملكشاه 46 ألف جندي، كانت رواتبهم ونفقات علف الدواب تستخلص من الإقطاعات التي أقطعها لهم<sup>3</sup>. بالإضافة إلى ذلك يرى نظام الملك أن على السلطان مضاعفة عدد الجيش السلجوقي، وألا يلتفت أبدا إلى رأي من يريد تقليل أعداد الجند، بل ينبغي أن تفكر الدولة في زيادة الجيش لا في إنقاصه، فإذا أشار موظف على السلطان بإنقاص الجيش إلى 70 ألفا بدلا من 400 ألف بدعوى أن ذلك يوفر للخزانة مبالغ طائلة فلا يجوز للسلطان أن يستمع إلى نصحه بل عليه أن يعلم أن هذا المشير يريد الفساد في الدولة ولا يود لها السعادة، فيجب إذن أن نزيد الجيش إلى سبعمائة ألف جندي لأن بأربعمائة ألف يستطيع السلطان أن يكون سلطانا لخراسان وما وراء النهر وكاشغر وخوارزم ونيمروز والعراق وفارس والشام وأذربيجان وأرمينية وأنطاكية وبيت المقدس، فإذا استطاع أن يزيد جيشه إلى سبعمائة ألف امتد نفوذه على السند والهند وتركستان والصين وما وراءها، وبلغ الحبشة والروم ومصر والمغرب<sup>4</sup>.

كما أنفق السلاطين مبالغ طائلة في الحملات والمعارك العسكرية، غير أن المصادر التاريخية لم تشر إلى مقدار هذه النفقات، إذ واجهت الدولة السلجوقية عدة أخطار، في مقدمتها الخطر البيزنطي والصليبي، والصراع مع

1- المصدر السابق، ص 137.

2- المصدر نفسه، ص 138.

3- الراوندي، المصدر السابق، ص 204-205.

4- عبد الهادي رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 444-445.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الفاطميين، بالإضافة إلى الثورات الداخلية، وعلى رأسها الصراع على عرش السلطنة، كل ذلك كلف خزينة الدولة أموالاً ضخمة، تم إنفاقها في سبيل ذلك<sup>1</sup>.

**هـ- النفقات على العمران:** بذل السلاجقة الأموال في بناء القصور والمساجد والمدارس والقلاع والحصون وإصلاح الطرقات وإنشاء السدود والخزانات والأرطية والخانقاهات والخانات والأسواق وغيرها، خاصة بعد استقرار الدولة وانتهاء المعارك الحربية ضد البيزنطيين والفاطميين، وقد سعى كل سلطان أن يترك بصمته ويخلد اسمه ببناء مسجد أو قصر أو مدرسة، وتوقيف الأوقاف عليها. يقول الرواندي: "ولقد امتلأ وجه الأرض بالعمائر التي أقامها آل سلجوق وبأبنية الخيرات التي أنشأوها فلم تبق مدينة من مدن الإسلام خالية من هذه المؤسسات لأنهم كانوا يعتبرونها من أمهات المهمات التي خصوها بالفضل والتقديم..."<sup>2</sup>. وعلى ضوء ذلك لما دخل السلطان ألب أرسلان إلى مدينتي تسلي ووردة قبل حصاره لكورة قارص، وكورة آني، حرب البيع وبنى المساجد<sup>3</sup>، كما بنى مسجداً في كورة آني بعد فتحها<sup>4</sup>، وكذلك بنى جامعاً في كورة تفليس<sup>5</sup>، وبنى أيضاً بلدة ومسجداً في إحدى البلدات التي كان نمروذ بن كنعان يسكنها بعد أن خربها السلطان ألب أرسلان<sup>6</sup>.

أما السلطان ملكشاه الذي اختار مدينة أصفهان عاصمة للدولة السلجوقية، فقد "بنى داخلها وخارجها كثيراً من العمارات والجواسق والحدائق مثل باغ كاران وبيت الماء وباغ أحمد سياه وباغ دشت كور وغير ذلك. وهو الذي بنى قلعة المدينة وقلعة دزكوه وكانت خزانته فيها"<sup>7</sup>، وبنى أيضاً منارة القرون التي بطريق مكة من بغداد<sup>8</sup>، يضاف إلى ذلك بناؤه أحواض الماء على طريق الحجاز<sup>9</sup>، وفي سنة 485هـ "أن السلطان ملك شاه تقدم في المحرم ببناء سوق المدينة لمقاربة داره التي بمدينة طغرل بك، وبنى فيها خانات الباعة، وسوقاً عنده، ودروباً، وآدر، ومنت خاتون حجرة لدار الضرب، ونودي أن لا تعامل إلا بالدنانير، ثم بعمارة الجامع الذي تمم بأخرة على يدي بهروز الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وتولى السلطان تقدير هذا

1- محمد عامر محمود، المرجع السابق، ص 72.

2- المصدر السابق، ص 160.

3- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 93.

4- المصدر نفسه، ص 96.

5- المصدر نفسه، ص 104.

6- المصدر نفسه، ص 105.

7- الرواندي، المصدر السابق، ص 206.

8- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 151.

9- الرواندي، المصدر السابق، ص 205.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الجامع بنفسه وبدرهم منجمه وجماعة من الرصديين، وأشرف على ذلك قاضي القضاة أبو بكر الشامي، وجلبت أخشابه من جامع سامرا، وكثرت العمارة بالسوق، واستأجر نظام الملك بستان الجسر وما يليه من وقوف المارستان مدة خمسين سنة، وتجرد لعمارة ذلك دارا وأهدى له أبو الحسن الهروي خانه، وتولى عمارة ذلك أبو سعد بن سمحا اليهودي، وابتاع تاج الملك أبو الغنائم دار الهمام وما يليها بقصر بني المأمون، ودار ختلغ أمير الحاج، وبني جميع ذلك دارا، وتولى عمارتها الرئيس طاهر ابن الأصباعي...<sup>1</sup>.

أمر السلطان محمد بن ملكشاه كذلك بالشروع في عمارة جامع السلطان ببغداد سنة 502هـ، وقام بإتمامه بمرور الخادم والي العراق، كما فوض إليه تعمير دار المملكة والإشراف على الأعمال بالعراق، كحفر السواني وعملية التعمير، وبناء رباط للصوفية بالقرب من المدرسة النظامية<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر أنَّ السلاجقة خصصوا مبالغ كبيرة لبناء المدارس في عهد السلطانين ألب أرسلان وملكشاه، حيث أشرف وزيرهما نظام الملك على بنائها، فتم البدء ببناء نظامية بغداد في ذي الحجة سنة 457هـ "ونقض لأجل بنائها بقية الدور الشاطبية بمشرفة الزوايا، والفرضة، وباب الشعير، ودرب الزعفراني..."<sup>3</sup>، وفرغ منها سنة 459هـ، بعد أن بلغت نفقة بنائها 200 ألف دينار، بالإضافة إلى بناء أسواق حولها، وشراء ضياع وحمائم ومخازن ودكاكين وتوقيفها عليها، كما خصص لها نظام الملك مبلغ 15.000 دينار في العام لتسديد رواتب المدرسين ومؤونة الطعام والكسوة والأدوية وبقية الخدمات، ولنظامية أصفهان رصد مبلغ 10.000 دينار سنويا<sup>4</sup>، والأمر نفسه ينسحب على بقية المدارس.

أنفق سلاطين السلاجقة أموال ضخمة في بناء القصور التي كانت آية في روعة البناء وحسن التنسيق وجمال التأثير وبديع التزيين، كما كانت محاطة بالحدائق ذات الزهور المستوردة من جميع المناطق القريبة والبعيدة، وزينت في الفناء ذات الأنافة والبهاء، وصممت الزهور بطريقة هندسية غاية في الروعة والجمالية، ففي متحف بنسلفانيا كسوة جدار بالجص والزخارف البارزة، عليها رسم السلطان طغرل بك جالس داخل حنية تمثل قاعة العرش، وأمامه تبدو قوائم عرشه وكأنها شماعد على شكل زهرة اللوتس من أعلى، وتنتهي قاعدة العرش من أسفل على هيئة أفيال، في

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 298.

2- المصدر نفسه، ج 17، ص 112.

3- المصدر نفسه، ج 16، ص 91.

4- أولاد ضياف رابع، الجراية في الدولة الإسلامية من صدر الإسلام حتى سقوط بغداد (1هـ-656م/622م-1258م)، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية، فرع التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م، ص 159-160.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الجزء العلوي من هذه الكسوة الحصية شريط من كتابة خط النسخ، نصها: "السلطان الملك الأعظم طغرل بك العالم"، وكتبت أيضا كتابة على العرش بنص: "الملك المظفر العادل"، وتجد السلطان نفسه يضع تاج ذا ثلاث فصوص تزينه مجموعة من حبيبات ربما تكون من حبات لؤلؤ قد رصع التاج بها<sup>1</sup>.

**و-المبات والصدقات والمدايا:** الهبات هي العطايا الخالية عن الأعواض والأغراض، وتتضمن كل ما يقدمه والواهب بنية التبرع بلا عوض للموهوب له مالا معيناً ثابتاً ومنقولاً<sup>2</sup>، أما الصدقات فهي ما يوجد به صاحبه في باب من أبواب الخير والإحسان للناس وذوي القربى، والهدايا هي كل شيء يعطى للمودة ويراد بها إكرام المهدي لا غير، يقدمها القريب أو الصديق<sup>3</sup> وقد خصص سلاطين السلاجقة أموال معتبرة كهبات وصدقات ينفقونها في سبيل الله تعالى، فالسلطان طغرل بك كان كثير الصدقات<sup>4</sup>، أما السلطان ألب أرسلان فقد وهب لبنات الملك قرا أرسلان ملك كرمان، لكل واحدة منهن 100 ألف دينار، وثياب وإقطاعات وأراضي<sup>5</sup>، وأهدى صاحب قلعة اصطخر قدحا من الفيروزج<sup>6</sup>، كما وهب للملك اخستان ما في خزائنه من الجواهر بسبب إسلامه<sup>7</sup>، وأطلق الإمبراطور البيزنطي رومانوس وخلع عليه وعلى من بقي معه من الأسارى<sup>8</sup>، وكان يذبح كل يوم خمسين رأساً من الغنم، ويطبخ الطعام ويطعم الفقراء في كل يوم<sup>9</sup>، بالإضافة إلى ذلك فقد كان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بـ 15 ألف دينار<sup>10</sup>.

أما السلطان ملكشاه فقد تصدق بأموال كثيرة على الفقراء والصلحاء<sup>11</sup>، وتصدق بـ 10 آلاف دينار لما اصطاد 10 آلاف رأس وقال: إنني خائف من الله تعالى كيف أزهدت أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من

1- سولاف فيض الله حسن، المرجع السابق، ص 32.

2- وجدان عبد الجبار حمدي النعيمي، الهبات والهدايا في العراق في العصر العباسي (من القرن الرابع للهجرة إلى منتصف القرن السابع للهجرة)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1426هـ/2005م، ص 8.

3- وجدان عبد الجبار حمدي النعيمي، المرجع السابق، ص 9.

4- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 65.

5- المصدر نفسه، ص 99.

6- المصدر نفسه، ص 100.

7- المصدر نفسه، ص 104.

8- المصدر نفسه، ص 114.

9- المصدر نفسه، ص 119.

10- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 394.

11- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 124.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يحصى وصار بعد ذلك كلما صاد شيئا تصدق بعدده دنانير<sup>1</sup>، كما أقر وزيره نظام الملك على وهبه مبلغ 300 ألف دينار للفقهاء والصوفية والقراء<sup>2</sup>، وقد روي عن نظام الملك كثرة تصدقه على الفقراء إذ "أنَّ فقيرا قصده، وجلس على بابه، ومعه ركوة كبيرة، فلما حضر الوزير نظام الملك من خدمة السلطان ملكشاه، قام إليه الفقير وقال: قد بلغني أنك تحب الفقراء وتدعي موالاتهم، ولا أصدقك في دعواك حتى تملأ ركوتي هذه ذهباً. فاستكثر الوزير نظام الملك الركوة، وأخذ يلاطف الفقير ويسأله المسامحة، والفقير مصر على أنه لا يقبل صرة ولا يرجع إلا على الركوة مرة. فأمر الوزير نظام الملك خازنه أن يحول ما في الخزانة من العين بأسره في الركوة، ففعل ذلك وما تنصفت. فأمر أهله وبنيه بأن يحولوا إليها من حليهم ما قدروا، فلم يزالوا يحملون حتى امتلأت الركوة، وعجز الفقير عن تحريكها. فأمر الوزير نظام الملك بحملها معه، وصرخ الفقير بأعلى صوته: يا نظام الملك إنما أردت امتحانك، وإلا فما للفقير والذهب. وهام على وجهه، فأمر نظام الملك بتطلبه، فلم يقدر عليه ولا وقف على أثره. وجعل الوزير نظام الملك ذلك المال في وجوه البر الصدقات رحمه الله تعالى"<sup>3</sup>، يضاف إلى كل ذلك أنه أعطى بعض المتصوفة مبلغ 80 ألف دينار وكان يطلق ببغداد كل سنة من الصلوات مائتي كر، وثمانية عشر ألف دينار<sup>4</sup>.

**ن-ضوابط النفقات عند العلماء:** وضع العلماء عدة ضوابط يتم على أساسها التحكم في النفقات المختلفة في الدولة الإسلامية، إذ ينبغي للسلطان أن يتقيد بهذه الضوابط، باعتباره مسؤولاً أمام الله سبحانه وتعالى، ولا يحل له إنفاق الأموال على هواه، حيث تقتضي سلامة مالية الدولة أن تلتزم مختلف الوحدات المكونة للاقتصاد العام فيها لدى قيامها بالإنفاق العام، باحترام بعض المبادئ أو الضوابط حتى يجيء هذا الإنفاق محققاً لآثاره المرجوة من إشباع الحاجات العامة. هذه الضوابط يمكن إجمالها في ضرورة أن تستهدف النفقات العامة تحقيق أكبر قدر من المنفعة القصوى للمجتمع من جهة، وأن يتم هذا من خلال الاقتصاد في النفقات العامة، والعمل على زيادة إنتاجيتها من جهة أخرى<sup>5</sup>.

لقد أكد العلماء على خطورة الإسراف في النفقات، وخاصة منذ تحول الحكم في الدولة الإسلامية من الشورى إلى التوريث، ومبالغة الخلفاء الأمويين والعباسيين في النفقات، ووصولاً إلى العصر السلجوقي الذي شهد إسرافاً في

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 483.

2- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 141.

3- المصدر نفسه، ص 145-146.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 303-304.

5- عادل حشيش، أصول المالية العامة، ص 78، نقلاً عن عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 468.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

النفقات من قبل سلاطين ووزراء الدولة السلجوقية كما أشرنا سابقاً، لذا شددوا على ضرورة تقييد النفقات بجملة من الضوابط، كما يلي:

-يجب على السلطان التفريق بين ماله الخاص ومال المسلمين العام، وألا يخلط بينهما بحيث يعتبر مال المسلمين العام ماله، فينفق منه على لباسه وأكله وبناء القصور وشراء مختلف الأشياء، وإعطاء رجال الدولة منه ليستميلهم إليه، وهذا ما أشار إليه الماوردي وأبو يعلى الفراء: "وإذا أراد الإمام أن يصل قوماً لتعود صلاتهم بمصالح المسلمين - كالرسل والمؤلفة - جاز أن يصلهم من مال الفيء؛ فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة يوم حنين..... فأما إذا كانت صلة الإمام لا تعود بمصلحة على المسلمين، وكان المقصود بها نفع المعطي خاصة كانت صلاتهم من ماله...<sup>1</sup>، يستشف من هذا الكلام عدم أحقية الإمام/السلطان في إعطاء مال من مال الفيء لغير الرسل والمؤلفة قلوبهم، قياساً على ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، أما أن يخصص الإمام/السلطان نصيباً من مال الفيء لأناس آخرين ينتفعون به دون المسلمين، فلا يجوز له ذلك، إذ ينتفي مع المنفعة العامة التي تشمل جميع المسلمين، وقد أكد هذا أيضاً الغزالي بقوله: "...ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفيء والمواريث فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنيمة، وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطي ما شاء لمن شاء. وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة، أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب...<sup>2</sup>". إذن فإن الضابط الأساسي في إنفاق السلطان على جماعة من المسلمين من بيت المال هو حصول المنفعة العامة للمسلمين، أما بخصوص إنفاقه على فئة معينة لا تؤدي إلى منفعة عامة، فيكون ذلك من ماله الخاص.

-إن حاجة السلطان إلى ولاء الجيش له، قادة وجنوداً، حتمت عليه أن ينفق عليهم، لكن رأينا مبالغة السلاطين في النفقات العسكرية، مما جعل العلماء يضعون ضابطاً لهذه النفقات، أو ما يسمى بزيادة رواتب الجند، "...وإذا أراد هذا الأمير أن يزيد في أرزاق جيشه لغير سبب لم يجز لما فيه من استهلاك مال في غير حق، وإن زادهم لحدوث سبب يقتضيه نظر في السبب. فإن كان مما يرجى زواله لا تستقر به الزيادة على التأييد كالزيادة لغلاء سعر، أو حدوث حدث، أو نفقة في حرب جاز للأمير أن يدفع هذه الزيادة من بيت المال ولا يلزمه استثمار الخليفة؛ لأنها من حقوق السياسة الموكولة إلى اجتهاده، وإن كان سبب الزيادة مما يقتضي

1-الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص203-204، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص138-139.

2-إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص590.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

استقرارها على التأييد-كالزيادة لحرب-أبلوا فيها وقاموا بالنصر حتى انجلت أوقفها على استثمار الخليفة ولم يكن له التفرد بامضائها، ويجوز أن يرزق من بلغ من أولاد الجيش ويفرض لهم العطاء بغير أمر، ولا يجوز أن يفرض لجيش مبتدئ إلا بأمر. وإذا فضل من مال الخراج فاضل عن أرزاق جيشه حمله إلى الخليفة ليضعه في بيت المال العام المعد للمصالح العام...<sup>1</sup>.

-ينبغي للسلطان أن يسطر برنامجا دقيقا يراعي أولويات الإنفاق وتقدم أهم الأمور التي يشملها الإنفاق، ويحصل بها النفع العام وتتعدل المصالح بها إذا استثنيت وأخرت، لذا شدد العلماء على أولوية الإنفاق فيها، نظرا لما يقدمه بيت المال على وجه البذل كأرزاق الجند وأثمان الكراع والسلاح، فاعتبر استحقاقه ثابتا مع الوجود والعدم بالنسبة لما بيت المال، أما ما يقدمه على وجه المصلحة والإرفاق فاستحقاقه معتبر بالوجود دون العدم<sup>2</sup>. ويرى الجويني إعطاء أولوية الإنفاق للمحتاجين كالفقراء والمساكين وبقية الأصناف الثمانية الذين تشملهم الزكاة، والمرتزة (الجند)، ثم الذين انتصبوا لإقامة أركان الدين، وبعدهم قوم تصرف إليهم طائفة من مال بيت المال على غنائم واستظهارهم، ولا يوقف استحقاقهم على سد حاجة<sup>3</sup>.

-صار من الواجب على السلطان أن يقتصد في النفقات، إذ يعد الاقتصاد في الإنفاق شرطا ضروريا لتحقيق المنفعة العامة للمسلمين، فالمنفعة العامة القصوى لا يتصور تحققها إلا مع أقل نفقة ممكنة، ولا يعني الاقتصاد في الإنفاق الحد من الإنفاق أو تخفيضه، ولكن يقصد به حسن التدبير وتجنب الإسراف، مع الحرص على تحقيق أكبر عائد أو منفعة جماعية عامة بأقل تكلفة ممكنة. فالسلوك الإسرافي يبذل الموارد ويوجهها في أوجه استخدام غير مفيدة، ومعه يتوقع أفضلية ترك تلك المبالغ في أيدي الأفراد لاستخدامها في أوجه مفيدة، وتضعف الثقة في الإدارة المالية للدولة<sup>4</sup>. وعلى ضوء ذلك نصح العلماء السلاطين بضرورة الاقتصاد في الإنفاق، بدءا بالتوسط في الإنفاق العام، فعليه استهلال ذلك بتقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقدم فيه ولا تأخير<sup>5</sup>. مع التأكيد على أنَّ التقدير يكون من وجهين: أحدهما فيما كانت أسبابه لازمة أو مباحة، والثاني بالمكنة حتى لا يعجز فيها دخل ولا يتكلف معها عسف<sup>6</sup>، كما شدد الماوردي على وجوب الموازنة

1- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 63-64، الفراء أبو يعلى، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 35.

2- الفراء أبو يعلى، المصدر نفسه، ص 252-253.

3- الغياثي...، المصدر السابق، ص 370-371.

4- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 470.

5- الماوردي، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 40، الفراء أبو يعلى، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 28.

6- الماوردي، تسهيل النظر...، المصدر السابق، ص 178.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

بين السماحة والعطاء والبخل والإمساك، لأن تجاوز الحد في السماحة والعطاء يثير مطامع البعض وهذا قد يثير حفيظة العاملين المنتجين، كما أنَّ تجاوز الحد في البخل والإمساك مما يشجع على الخيانة والغش وقبول الرشا<sup>1</sup>. وحذر الجويني السلطان من خطورة الإسراف في إنفاق الأموال بقوله: "فلست أرى للإمام أن يمد يده إلى أموال أهل الإسلام ليبتني بكل ناحية حرزا ويقتني ذخيرة وكنزا ويتأثر مفخرا وعزا"<sup>2</sup>. وفي ختام هذا الفصل يمكننا القول بأنَّ العلماء استطاعوا من خلال آرائهم وفتاويهم ونظرتهم التي أفردوها في مؤلفاتهم، بلورة موقفهم من الموارد المالية والنفقات خلال العصر السلجوقي، حيث لم يقفوا موقف المتفرج وإنما تصدوا لكل التطورات التي عرفتھا مسألة مداخيل ونفقات الدولة السلجوقية، كما استقصوا جميع الأحكام الشرعية التي تضبط وتنظم طرق استيفاء الموارد المالية من زكاة وخراج وجزية وغنائم وفيء ومصادرات وضرائب، وكذا ضوابط النفقات، وهي بلا شك تعكس مقدرة هؤلاء العلماء على التفاعل والتجاوب مع المسائل المالية والاقتصادية التي تحتاج إلى تقليب الفكر ومقارنة بين الأقوال والترجيح بينها، ومتابعة المستجدات الطارئة في هذا الباب المهم بشكل دوري ودون كلل أو ملل، وبالتالي صار ما قاموا به يعد بمثابة استشراف من قبلهم، يربط بين العصور الإسلامية الأولى والعصور التي تلت العصر السلجوقي، كما قدموا للعلماء الذي جاؤوا من بعدهم ثروة علمية هائلة في الميدان المالي والاقتصادي، وسيواصلون هذا المنحى التصاعدي عندما يعملون على بذل جهود كبيرة في تنمية الاقتصاد وقطاعاته الزراعية والصناعية والتجارية خلال عصر الدراسة.

1- الماوردي، درر السلوك في سياسة الملوك، المصدر السابق، ص78-79.

2- الغياثي...، المصدر السابق، ص398.

-الباب الثاني:دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي.

-الفصل الثالث:جهود العلماء في تنمية الاقتصاد وتطوير قطاعاته.

1- جهود العلماء في إبراز قيمة العمل خلال العصر السلجوقي.

2- ممارسة العلماء للأنشطة الاقتصادية.

1-2- ممارسة العلماء للنشأه الزراعي.

2-2- ممارسة العلماء للنشأه الصناعي.

2-3- ممارسة العلماء للنشأه التجاري.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أثبت العلماء في العصر السلجوقي استعدادهم للعمل على تنمية الاقتصاد وتطوير قطاعاته الرئيسية التي تشكل الأساس التي تركز عليه الدولة الإسلامية، فذلك كفيل بضمان الاستقرار السياسي والاجتماعي، ومواجهة التحديات الخارجية، وتشجيع أفراد المجتمع الإسلامي على العمل والكسب، حتى يعيشوا في نعمة وعافية، ويقضوا على مظاهر التسول والتواكل والصوصية والمعاملات المشبوهة، منطلقين في ذلك من واقع المجتمع وأوضاع الدولة السلجوقية، والتغيرات التي عرفها هذا العصر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا، فالدولة تحتاج إلى اقتصاد قوي ومتكامل حتى تقوم بمهامها من بناء المؤسسات والمدارس والمساجد والقلاع والحصون وإنشاء الجسور والأرباض ومختلف البنيات، وإجراء الرواتب والأعطيات على الموظفين والجند لحماية الثغور وردع المتمردين، وبالمقابل فإن المجتمع يساهم في قوة وتكامل وتطور قطاعات الاقتصاد من خلال مشاركة أفراد وطبقاته في مختلف القطاعات وممارسة الحرف والمهن والصناعات، الأمر الذي يؤدي إلى اشتراك الدولة والمجتمع في الدفع بالاقتصاد إلى مستويات عليا تساهم في القضاء على مختلف الظواهر الدخيلة والغريبة التي قد تنخر جسم المجتمع والدولة وتؤدي بهما إلى الانحلال والانهيار المحتم، لذا تصدى العلماء في هذا العصر إلى النظر في أحوال قطاع الاقتصاد باعتبارهم يؤدون دور الوسيط بين السلطة والمجتمع، كما مارسوا بأنفسهم عددا من المهن والحرف، وأدلو بدلوهم في هذا الباب أيضا، وبذلوا جهودا معتبرة في سبيل تحقيق هذه الغاية، نظرا لما زخرت به أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر من مساحات زراعية واسعة، وكثافة المواد الأولية من أجل الصناعة، مما جعل التجارة تزدهر في هذه الأقاليم لوقوعها على طريق الحرير، مثبتين حضورهم المتواصل في فعاليات الحياة الاقتصادية، وسنعمل على تجلية حجم الجهود التي بذلوها في هذا المجال سواء على المستوى العملي الميداني أو المستوى النظري.

**1- جهود العلماء في إيران قيمة العمل خلال العصر السلجوقي:** كان ديدن العلماء في العصر السلجوقي القيام بمهمة إبراز قيمة العمل في حياة المسلمين، وضرورة قيام المسلمين بأعمال يكسبون من خلالها قوت يومهم، ويستطيعون بها تلبية حاجاتهم ومتطلباتهم التي لا غنى لهم عنها، كما بينوا أن إهمال هذه الحاجات والمطالب قد يخل بالتوازن في حياة المسلم القائمة أصلا على الموازنة بين الروح والمادة، الآخرة والدنيا؛ وسوف يعرض المجتمع للاختلال والخطر<sup>1</sup>. فالله سبحانه وتعالى فطر الناس على الكسب وتحصيل أسباب المعيشة ابتداء، ثم ألزمهم بالمشروعية في التعامل، كنظام لسير الحياة في المجتمع، مع الإشارة إلى ظهور وانتشار الخلافات والاضطرابات عند الخروج عن إطارها، ومن ثم فساد كثير من أمور الحياة<sup>2</sup>.

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 492-493.

2- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 32.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لقد أدرك علماء العصر السلجوقي ضرورة تحسيس أفراد المجتمع بقيمة العمل والكسب، باعتبارهم الضابط الذي يعيد التوازن المختل إلى حياة المجتمع، ولأنهم المعيار والقُدوة التي يقيس الناس عليها سلوكهم وتنضبط بها حياتهم، وشددوا على تلبية الحاجات والمطالب للعلماء أنفسهم حتى يتسنى لهم القيام بدورهم في المجتمع على أكمل وجه، وذلك امتثالاً لأوامر الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم التي تحث على العمل والكسب، سواء للعلماء أو للناس كافة<sup>1</sup>، وفي ذلك يقول ابن الجوزي: "...فينبغي للعالم والعابد أن يتحركا في معاش، كنسخ بأجرة، أو عمل الخوص (ورق النخل)... وإن فتح له شيء اقتنع باليسير؛ فلا يستعبده أحد..."<sup>2</sup>، ثم يضيف كلاماً آخر بقوله: "...العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا؛ فإن كان فقيراً؛ اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة؛ فعاش سليماً من من الناس عزيزاً بينهم"<sup>3</sup>، كما اعتبر الاهتمام بالكسب، يجمع لهم، ويفرغ القلب، ويقطع الطمع في الخلق، فإن الطبع له حق يتقاضاه<sup>4</sup>، أما أبو حامد الغزالي فقد أفرد باباً في كتابه "إحياء علوم الدين" سماه "في فضل الكسب والحث عليه"، حيث ساق كوكبة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وما صح من الآثار عن الصحابة والتابعين في هذا الباب، وبين بذلك فضل الكسب والعمل في حياة أفراد المجتمع الإسلامي، وحذر في الوقت نفسه من مغبة السؤال والتسول، وختم كلامه بذكر الأمور التي يقوم عليها الكسب وهي: الصحة، والعدل، والإحسان والشفقة على الدين<sup>5</sup>، وأشار أبو الحسن الماوردي إلى الكسب بقوله: "...ثم إنه -جلت عظمتة- جعل سد حاجتهم، وتوصلهم إلى منافعهم من وجهين: بمادة وكسب. أما المادة: فهي حادثة عن اقتناء أصول نامية بذواتها؛ وهي شيطان: نبت نام، وحيوان متناسل... وأما الكسب: فيكون بالأفعال الموصلة إلى المادة، والتصرف المؤدي إلى الحاجة؛ وذلك من وجهين: أحدهما: تقلب في تجارة، والثاني: تصرف في صناعة، وهذان الوجهان هما فرع لوجهي المادة. فصارت أسباب المواد المألوفة، وجهات المكاسب المعروفة.. من أربعة أوجه: نماء زراعة، ونتاج حيوان، وبيع تجارة، وكسب صناعة..."<sup>6</sup>، وأصل الماوردي أيضاً لمشروعية الكسب قائلاً: "ثم إن الله تعالى جعل لهم مع ما هداهم إليه من مكاسبهم وأرشدهم إليه من معاشهم ديناً يكون عليهم حكماً، وشرعاً يكون لهم

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 493.

2- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 755.

3- المصدر نفسه، ص 771-772.

4- المصدر نفسه، ص 121.

5- المصدر السابق، ص 503-506.

6- أدب الدين والدنيا، المصدر السابق، ص 336-337.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

قيما، ليصلوا إلى موادهم بتقديره ويطلبوا أسباب مكاسبهم بتدبيره، حتى لا ينفردوا بإرادتهم فيتغالبوا وتستولي عليهم أهواؤهم فيتقاطعوا..<sup>1</sup>، بينما اعتبر أبو يعلى الفراء أنَّ من مهام المحتسب ردع كل متسول ذا جلد وقوة في العمل، وأن يأمره بمباشرة العمل<sup>2</sup>، كما لا ننسى الفقيه محمد بن أحمد السرخسي (ت483هـ) شارح كتاب الكسب للفقيه محمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ)، الذي أكد على وجوب الكسب في حياة المسلمين حينما أورد قول الفقهاء، "ثم إن المذهب عند جمهور الفقهاء رحمهم الله تعالى من أهل السنة والجماعة: أنَّ الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة"<sup>3</sup>، وقال أيضا: "وحجتنا في ذلك قوله تعالى: ﴿أَنْفَقُوا مِنْ حَبِيبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ -سورة البقرة: 267- والأمر حقيقة للوجوب، ولا يتصور الإنفاق من المكسوب إلا بعد الكسب، وما لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به يكون فرضا"<sup>4</sup>، أما الراغب الأصفهاني (ت502هـ) فقد بين ارتباط فرضية الكسب بقاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وبلغ حثه على إيجاد دافع الإنجاز مداه بتفضيله الكسب على التفرغ للعبادة الشعائرية، لمنفعته المتعدية<sup>5</sup>، بقوله: "التكسب في الدنيا وإن كان معدودا من المباحات من وجه، فإنه من الواجبات من وجه، وذلك أنه لما لم يكن للإنسان الاستقلال بالعبادة، إلا بإزالة ضروريات حياته فإنزلتها واجبة، لأن كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كوجوبه..<sup>6</sup>، كما بلغ حثه على العمل والإنجاز مداه، بتفضيله الكسب لمنفعته المتعدية؛ من حيث التعفف عن الناس وسد حاجات الفرد والتعاون مع الآخرين في سد حاجاتهم ولصلة الإخوان؛ على التفرغ للعبادة<sup>7</sup>، يقول: "والكسب لا يقصد به التكاثر، وإنما يقصد به التوصل إلى طاعة الله تعالى من صلة الإخوان، أو أن يستعف عن وجوه الناس فهو أفضل، لما فيه من منفعة غيره ومنفعة نفسه، وهو أفضل من التفرغ إلى طلب العبادة من الصوم والصلاة والحج وتعلم

1- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص338.

2- المصدر السابق، ص292.

3- الشيباني محمد بن الحسن، كتاب الكسب، شرحه محمد بن أحمد السرخسي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله، ط1، بيروت، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ/1997م، ص96.

4- المصدر نفسه، ص99.

5- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص320.

6- الذريعة...، المصدر السابق، ص380.

7- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص321.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

العلم، لما فيه من المنافع للناس، وخير الناس أنفعهم للناس"<sup>1</sup>، وفي الوقت نفسه انتقد الناس البطالين القادرين على العمل، وعد البطالة نوعاً من الظلم<sup>2</sup>.

إنَّ الآراء السابقة تقوي دافع الإنجاز وروح العمل والمثابرة لدى أفراد المجتمع، مع ربطها لذلك بمحفزات شرعية، مما يساعد على قيام عملية التنمية الاقتصادية واستمرارها بمعدل مرتفع، مع مراعاة العوامل الأخرى التي يعتمد عليها قيام التنمية بدرجات مختلفة<sup>3</sup>.

وفي سياق متصل أكد العلماء على ضرورة تعلم أحكام الكسب والعمل التي أقرتها الشريعة الغراء، من ذلك قول السرخسي: "من أراد التجارة يفترض عليه تعلم ما يتحرز به عن الربا والعقود الفاسدة، وإن كان له مال يفترض عليه تعلم زكاة ماله ليتمكن من الأداء..."<sup>4</sup>، كما نجد أنَّ أبا حامد الغزالي أصر على حاجة المكتسب إلى علم الكسب من أجل التعرف على مفسدات المعاملات لتجنبها، مشدداً في الوقت ذاته على ضرورة تحصيل علم إجمالي دون انتظار وقوع الوقائع ثم التعلم والسؤال بعد ذلك، لأنَّ المكتسب حينئذ سيقع في عقود فاسدة يظنها صحيحة<sup>5</sup>، ثم يؤكد في السياق نفسه على اجتناب المحرم -وتحري جميع المعاملات ومراقبة ذلك، وإعداد الجواب ليوم الحساب والعقاب- على ضرورة توقي الفرد مواقع الشبهات ومظان الريب، ومثل على ذلك بتجنب التعامل مع كل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا، أو الأجناد الظلمة وأصحابهم وأعوانهم، لئلا يكون معيناً على الظلم<sup>6</sup>. أما أبو الحسن الماوردي فقد نحا منحى الغزالي بقوله: "ثم قد حرم الله -جل وعز- من صنوف المكاسب والمطالب الربا والرشا والغصب والغلول والغش والخيانة والسرقة وكل مال أخذ من غير طيب نفس أو حق يجب عليه أو ميراث يورث من بعده سوى ما أوجبه الله على أهل الملة من حق في أموالهم فيأخذه الإمام من أغنيائهم فيرده في فقرائهم"<sup>7</sup>.

وإذا عدنا إلى الأحوال الاقتصادية للدولة السلجوقية، فإنَّ الدولة كانت تعيش تطوراً وتقدماً تلو الآخر وعلى شتى الأصعدة، وهذا التقدم والازدهار حدث بسبب توظيف السلاجقة لعدة وسائل، في مقدمتها تشجيع العمل وتوفير كل ما يحتاجه العمال في جميع القطاعات والمجالات، وكذلك إعطاء العمال حقوقهم، مما دفعهم إلى

1- المصدر السابق، ص 95.

2- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 324.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر السابق، ج 30، ص 260.

5- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 507.

6- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 37.

7- نصيحة الملوك، المصدر السابق، ص 230.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الإخلاص في أعمالهم، وانعكس ذلك على كل مناحي الحياة ومرافق الدولة السلجوقية<sup>1</sup>، لهذا كله حث العلماء الناس على العمل والكسب، وإلى التمتع بثمار العمل والكسب، في الحلال، وبينوا أن ذلك لا ينافي حقيقة الزهد ولا مقتضيات التقوى، بل يساعد على تحقيقها، مبتدئين بأنفسهم، وقبل أن يدعون أقرانهم وسائر الناس إلى العمل والكسب، كي لا يخالفوا الناس إلى ما ينهونهم عنه من البطالة والاعتماد على غيرهم في معاشهم، والعفة عما في أيدي الناس، ثم بعد ذلك عززوا قيم العمل والكسب والعفة بعد أن أصبحوا قدوة للناس فيها<sup>2</sup>.

مارس الكثير من العلماء مهنة النسخ كمصدر رزق وعمل وكسب وهو يندرج ضمن نشاطهم اليومي كعلماء، فقد مارس أبو حامد الغزالي النسخ كعمل وكسب يسترزق منه<sup>3</sup>، وكان أبو العباس أحمد بن أبي غالب (ت548هـ) ورّاقاً<sup>4</sup>، وكذلك الحافظ الإمام أبو غالب شجاع بن فارس بن الحسين بن غريب الذهلي (ت507هـ)، الذي بالرغم من سعة علمه بالحديث فقد كان ورّاقاً مختصاً بوراقة الحديث والتفاسير<sup>5</sup>، وهناك من العلماء من كان عطاراً يبيع العطر مثل: أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسن الضبي المحاملي<sup>6</sup>، وكان أبو القاسم فضل الله ابن أبي نصر أحمد ابن أبي سعيد محمد العطار الممودي شيخاً سديداً مستوراً مشغولاً بالكسب<sup>7</sup>.

هذه عينة من العلماء الذين امتنوا بعض الحرف كالنسخ والوراقة وبيع العطر، وهي تندرج ضمن نشاطهم اليومي كعلماء، كما أنهم مارسوا وظائف وحرف متنوعة حسب قدراتهم وظروفهم لإدراكهم أنه لا بد لأهل العلم من عمل يتكسبون منه، لينفقوا على أسرهم وليحافظوا على كرامتهم وعلمهم<sup>8</sup>، وحتى يتمكنوا من تصويب انحرافات الدولة والمجتمع، لأنّ العالم إذا اعتمد في معاشه على ما يعطى إليه من السلطان أو من الناس، عندها سيفقد قدرته على محاسبتهم وتقويمهم، فضلاً عن إمكانية استخدامه لتمرير بعض أغراضهم<sup>9</sup>. والشاهد على ذلك ما قاله ابن الجوزي عن حال من ترك العمل والكسب: "فإذا أخرج ما في يده وتعطل عن مكاسبه، عاد يعلق طمعه بصلة الإخوان، أو يحسن عنده صحبة السلطان، لأنه لا يقوى على طريق الزهد والترك إلا أياماً، ثم

1- محمد حمدي سعيد مدوخ، المرجع السابق، ص90.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص493-494.

3- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص101-102.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص393.

5- خير الله سعيد، وراقو بغداد في العصر العباسي، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1420هـ/2000م، ص450.

6- ابن الجوزي، المنتظم... المصدر السابق، ج17، ص189.

7- السمعاني، التجميع في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، الجزء الثاني، بغداد، 1395هـ/1975م، ص32.

8- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص102.

9- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص494.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يعود الطبع فيتقاضى مطلوباته، فيقع في أقبح مما فر منه، ويذل أول السلع في التحصيل دينه وعرضه، ويصير متمندلا به، ويقف في مقام اليد السفلى<sup>1</sup>.

كان العمل والكسب ضمن اهتمامات العلماء في العصر السلجوقي تنظيرا وممارسة، فعلى المستوى النظري اتفقوا على أهمية العمل والكسب في حياة المجتمع الإسلامي أفرادا وجماعات، وجعلوه واجبا ينبغي القيام به لجلب المصالح ودرء المفاسد، وحتى يتمكن المجتمع من تلبية حاجاته من مأكل ومشرب وملبس ومنزل، ليستطيع إقامة الشعائر الدينية كالصلاة والحج والزكاة والصيام، وبعدها كانوا السباقيين لضرب أجمل الأمثلة لفئات المجتمع الإسلامي، وذلك بمزاولة مختلف الأعمال بأنفسهم من أجل الاستغناء عن ما في أيدي الناس، وحتى يكفوا أنفسهم ما يحتاجون من نفقات وحوائج، فمارسوا حرفا ومهن متنوعة كما رأينا، فلا يعقل أبدا أن يدعوا الناس للعمل والكسب ويحذروهم من البطالة والتسول، ثم يخالفونهم ويحجمون عن العمل والكسب، بل كانوا في طليعة شرائح المجتمع الإسلامي زمن السلاجقة للمشاركة في مختلف الأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة.

**2- ممارسة العلماء للأنشطة الاقتصادية:** إذا كان العلماء كما بينا في السياق الماضي، قد أبرزوا قيمة العمل، وأهمية الكسب، سواء للفرد أم للمجتمع، فإننا في هذا السياق سنبدل ما في وسعنا من جهد لتكثيف النظرة إلى ما قام به هؤلاء العلماء من أدوار في الحياة الاقتصادية، من خلال مشاركتهم في الأنشطة الاقتصادية المعروفة حينذاك، وكيف نظروا إلى تلك الأنشطة الاقتصادية، وطرائق ممارستها لها<sup>2</sup>.

يتكون اقتصاد أي دولة من ثلاث أنشطة رئيسية هي: الزراعة والصناعة والتجارة، وهي التي عرفتها الأقاليم الثلاثة-العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر- بشكل ملفت للانتباه، فالزراعة شكلت النشاط الرئيسي في هذه الأقاليم، وكذلك الصناعة التي ازدهرت بوتيرة عالية لاشتغال أراضي الدولة السلجوقية على كميات معتبرة من المعادن والمواد الأولية والخشب والزجاج، وأخيرا التجارة على المستويين الداخلي والخارجي شهدت هي الأخرى رواجا كبيرا.

لقد توافقت العلماء على اعتبار الزراعة والصناعة والتجارة أنشطة اقتصادية منتجة، مع الاختلاف بينهم في النشاط الرابع هل هو الإنتاج الحيواني أم الإمارة أم الإجارة<sup>3</sup>، فالماوردي اعتبرها أربعة هي: نماء زراعة ونتاج حيوان وبيع تجارة وكسب صناعة<sup>4</sup>.

1- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص54.

2- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص498.

3- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص52.

4- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص337.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أما السرخسي هو الآخر حصرها في أربعة أيضا هي: الإجارة والتجارة والزراعة والصناعة<sup>1</sup>، بينما طرح الراغب الأصفهاني تقسيما مختلفا للأنشطة الاقتصادية المنتجة، معتمدا على الحاجات الأساسية الواردة بالكتاب الكريم<sup>2</sup> ﴿إِنَّ لَكُمْ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكُمْ لَا تَكْمُلُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ (سورة طه: 11)، لذا عقد فصلا في كتابه بعنوان "تقاسيم الصناعات ومراتبها وفضيلة بعضها على بعض" حيث قسم الصناعات إلى ثلاثة أقسام؛ إما أصول لا قوام للعالم بدونها، وهي أربعة أشياء: الحياكة والزراعة والبناء والسياسة، وإما مرشحة لكل واحدة من ذلك وخادمة، كالحدادة للزراعة، والحلاجة والغزالة للحياكة، وإما ثمرة لكل واحدة من ذلك ومرتببة له، كالطحانة والخبازة للزراعة، والقصارة للحياكة<sup>3</sup>. وانطلاقا من ذلك سنحاول استقصاء مدى حضور العلماء في الأنشطة الاقتصادية، أو بمعنى آخر مدى إقبال العلماء على نشاط اقتصادي دون آخر.

**2-1- ممارسة العلماء للنشاط الزراعي:** أكد العلماء على أهمية الزراعة، نظرا لأنها تعد من قطاعات الاقتصاد الأساسية التي يتركز عليها، إذ كل الأمم بحاجة إلى زراعة الأرض ولا يمكنها الاستغناء عنها أبدا، كما تشكل المادة الأولى في التجارة الداخلية والخارجية، و بها تقوم الدول والمجتمعات وتنهار كذلك، فلا غرو أن العلماء تفاعلوا مع وضع الزراعة في هذا العصر وسعوا لإبراز مكانتها بين كل من الصناعة والتجارة، يقول الماوردي: "أما الأول من أسبابها وهو الزراعة: فهي مادة أهل الحضرة، وسكان الأمصار..."<sup>4</sup>، ثم يضيف وصفا آخر عن الزراعة التي هي: "أصول المواد التي يقوم بها أود الملك، وتنظم بها أحوال الرعايا، فصلاحتها خصب وثراء، وفسادها جذب وغلاء، وهي الكنوز المدخرة والأموال المستمدة، وأي بلد كثرت ثماره ومزارعه استقل بخيره وفاض على غيره فصارت الأموال إليه تجلب والأقوات منه تطلب، وهو بالضد إن قلت أو اختلت"<sup>5</sup>، وهو بذلك يبرز الأهمية الكبيرة للقطاع الزراعي، وهو يعكس بلا شك الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك، حيث كان الاقتصاد اقتصادا زراعيا ولم يكن للصناعة دور حيوي<sup>6</sup>، وأكد كذلك على أهميتها وفق منظور الشرع "...والاستمداد بها أعم نفعاً، وأوفى فرعا، ولذلك ضرب الله تعالى بها المثل، فقال: ﴿مَثَلُ

1-المصدر السابق، ج30، ص258.

2-عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص53.

3-الذريعة...، المصدر السابق، ص270-271.

4-أدب الدنيا والدين...، المصدر السابق، ص337.

5-تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محي هلال السرحان، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1401هـ -

1981م، ص159.

6-عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص56.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ مِئَةً مِنْ بَنَاتٍ فِي كُلِّ مِئَةِ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿البقرة: 261﴾.... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {التمسوا الرزق في خبايا الأرض}، يعني: الزرع.... وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {خير المال مهرق مأمورة، وسكة مأبورة} ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: مهرق مأمورة أي كثيرة النسل... وأما السكة المأبورة: فهي النخل المؤبرة الحمل...<sup>1</sup>، أما الراغب الأصفهاني فقد اعتبر الزراعة من الأصول التي لا قوام للعالم بدونها، وأنها أعم نفعاً وأفضل من الصناعة<sup>2</sup>، وأيضاً السرخسي الذي أكدت مساهمته على ربط أهمية الزراعة بعموم نفعها، فبها يتمكن الفرد من الحصول على الغذاء ويتقوى على أداء الطاعات، ومن الزراعة يتناول الناس والدواب والطيور وكل ذلك صدقة للزرع، وهي -أي الصدقة- في الزراعة أظهر<sup>3</sup>.

وفي السياق ذاته قسمت الزراعة إلى إنتاج نباتي وإنتاج حيوان، فالإنتاج الزراعي صنفان: زرع وشجر، اللذان اختلف الناس في تفضيل أي منهما، فالذين فضلوا الزرع يرجع السبب لقرب مداه ووفور جداوله، ومن فضلوا الشجر فلتبوت أصله وتوالي ثمره<sup>4</sup>، ويبدو أن ذلك راجع إلى كثرة الزرع في مناطق معينة وكثرة الشجر في مناطق أخرى، فلا تصلح الأولى إلا للزرع، ولا تتناسب الثانية إلا مع الشجر، فلذلك يصعب التفضيل بينهما لأن أحدهما يكمل الآخر، ولا يستطيع البشر الاستغناء عنهما. أما الإنتاج الحيواني فقد عده الماوردي مادة أهل الفلوات، وسكان الخيام؛ لأنهم لما لم تستقر بهم دار، ولم تضمهم أمصار، افتقروا إلى الأموال المتنقلة معهم، وما لا ينقطع غناؤه بالظعن والرحلة، فاقتنوا الحيوان؛ لأنه يستقل في النقلة بنفسه، ويستغني عن العلوقة برعيه، ثم هو مركوب ومحلوب، فكان اقتناؤه على أهل الخيام أيسر؛ لقلة مؤنثته، وتسهيل الكلفة به، وكانت جداوله عليهم أكثر؛ لوفور نسله، واقتيات رسله، وتوفيقا وإلهاما من الله تعالى لخلقهم، في تعديل المصالح فيهم، وإرشادا لعباده، في قسم المنافع بينهم<sup>5</sup>. ومع دقة ربطه لممارسة الإنتاج الحيواني -بأسلوب الرعي البدائي- بالبدو الرحل، ومناسبة هذا النشاط لهم دون الزراعة، إلا أنه لم يشر إلى أهميته أيضاً لسكان المدن، وتمثلت أوجه مناسبة الرعي لأهل البادية في: سهولة انتقال الحيوان، واستمرار نمائه وتكاثره في أي موقع، وإمكان سد حاجته بالرعي الطبيعي من أي مرعى، وإضافة إلى إنتاجه اللبن فيمكن استخدامه

1- أدب الدنيا والدين، اعتنى به وخرج أحاديثه محمد أبو الخير السيد ومحمد الشرفاوي، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة

ناشرون، 1434هـ/2013م، ص205-206.

2- المصدر السابق، ص270-272.

3- المصدر السابق، ص259، عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص57.

4- الماوردي، أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص206.

5- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

كوسيلة مهمة للنقل. ولم يشر الماوردي إلى مسألة توطين البدو الرحل، مع وجود أصل يمكن الاعتماد عليه لذلك، يتمثل في النهي عن الرجوع إلى البادية لمن هاجر، ووصف الراجع بالارتداد<sup>1</sup>.

إنَّ أهمية الزراعة ومكانتها لم تسلم من ذم العلماء لها، يقول السرخسي: "...وقال بعضهم الزراعة مذمومة لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيئاً من آلات الحراثة في دار قوم فقال ما دخل هذا بيت قوم إلا ذلوا وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم أهو التعرب قال لا ولكنه الزراعة والتعرب سكنى البادية وترك الهجرة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا تبايعتم بالعين واتبعتم أذناب البقر ذللتكم حتى يطمع فيكم..."<sup>2</sup>، غير أنه رد عليهم بأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ازدرع بالجرف، وساق قوله عليه الصلاة والسلام: {**الطلبوا الرزق تحت خبايا الأرض**}، يعني

الزراعة، وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: {**الزراع يتاجر به**}، وقد كان له فذك وسهم خير، فكان قوته عليه الصلاة والسلام في آخر عمره من ذلك، ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض بخير يدعى ثغ، أما ابن مسعود والحسن بن علي وأبو هريرة رضي الله عنهم فلهم مزارع في السواد يزرعونها ويؤدون خراجها، حتى ابن عباس رضي الله عنه كان له مزارع بالسواد وغيرها. ولم يكتف السرخسي بذلك بل بيَّن أنَّ المقصود هو انصراف الناس للعمل في الزراعة وترك الجهاد في سبيل الله حتى يطمع العدو فيهم، وذلك مروي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال وقعدتم عن الجهاد وذلتكم حتى يطمع فيكم، فيما إذا اشتغل بعضهم بالجهاد وبعضهم بالزراعة ففي عمل المزارع معاونته للمجاهد وفي عمل المجاهد دفع عن المزارع، قال النبي صلى الله عليه وسلم: {**المؤمنون كالبنين يشد بعضهم بعضاً**}<sup>3</sup>.

أما إجارة الأرض الزراعية فلم تخل من مناقشة العلماء لها، يقول الماوردي: "وقد اختلف الناس في إجارة الأرضين على ثلاثة مذاهب: -أحدها: ما ذهب إليه الحسن البصري وطاووس إلى أنَّ إجارة الأرضين باطلة لا تجوز بحال. -والمذهب الثاني ما قاله مالك بن أنس أنَّ إجارتها جائزة بالذهب والورق، ولا يجوز بالبر، والشعير، ولا بما ينبت من الأرض -والمذهب الثالث ما قاله الشافعي رضي الله عنه وأبو حنيفة وجماعة من الفقهاء أنها تجوز بكل معلوم من ذهب أو ورق أو عوض أو بما ينبت من الأرض من بر أو

1- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص58.

2- المصدر السابق، ج30، ص259.

3- المصدر السابق، ج30، ص259.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

شعير أو غيره...<sup>1</sup>، وقد تبني الماوردي قول الشافعي إمام مذهبه في جواز إجارة الأرض، وبعد ذلك يتحدث عن مدة إجارة الأرض التي يجب أن تكون معلومة، ومحددة بسنة واحدة فقط، وذلك وفق شروط:

- أن يشترط سنة هلالية، فيصح ويكون العقد على اثني عشر شهرا بالأهلة يحاسب بكل شهر ما بين الهالين، كاملا كان أو ناقصا ويكون قدر السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما، وهذا أخص الآجال بالشرع، قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجْمِ﴾ (البقرة: 189).

- أن يشترط سنة عديدة فيصح ويكون العقد على ثلاثمائة وستين يوما كاملة لأن عدد الشهر مستوف بكماله.

- أن يشترط سنة شمسية وهي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم، فقد اختلف أصحابنا في صحة الإجارة بهذا الأجل على وجهين: أحدهما؛ يصح للعلم بالمدة فيها، والثاني؛ باطلة لأنها مقدرة بحساب تنسأ فيه أيام، وقد حرم الله تعالى النسيء بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (التوبة: 37).

- أن يطلق ذكر السنة، فلا يشترط هلالية، ولا عددية ولا شمسية فتصح الإجارة حملا على السنة الهلالية لأنه الزمان المقدر في الآجال الشرعية<sup>2</sup>.

يرى الماوردي أنه على المستأجر إذا استأجر أرضا أن يذكر سبب استئجارها كزرعها أو غرسها أو بنائها، فإن أغفل ذكر ما يستأجرها له بطلت الإجارة لاختلافه، يضاف إلى ذلك ضرورة توفر ماء قائم يسقي به الزرع من عين أو نهر أو نيل أو عثريا، في حالة استئجارها لمدة سنة من أجل زرعها غلة شتاء وصيفا<sup>3</sup>.

شهدت أقاليم الدولة السلجوقية برنامجا إصلاحيا للقطاع الزراعي في عهد السلاجقة العظام (طغرل بك-ألب أرسلان-ملكشاه)، نظرا لتراجع الزراعة في العهد البويهى، فقد اضطلع العالم الوزير نظام الملك بوضع هذا البرنامج لإعادة رواج الزراعة وازدهارها، وخصوصا أنها المهنة الرئيسية التي زاولها العامة في الأقاليم الثلاثة-العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر-، التي كانت تحتوي على أراضي زراعية خصبة غلبت على معظم مساحاتها، وأضحت أقاليم زراعية بامتياز تشتهر بمنتجاتها ومحاصيلها المتنوعة، ما جعل نظام الملك يسير قدما في تنظيم أحوالها وتهيئة الأسباب والظروف والإمكانات المتاحة من أجل تطوير النظام الاقتصادي للدولة السلجوقية، وخاصة لما نعمت الدولة بالهدوء التام بعد القضاء على الخطر البويهى والفاطمي والانتصار على البيزنطيين في ملاذكرد سنة 463هـ، فانتقل

1-الحاوي...، المصدر السابق، ج7، ص454.

2-المصدر نفسه، ج7، ص455.

3-المصدر نفسه، ج7، ص456.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لترتيب أجهزة الدولة ونظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والعمرانية، وأضحى "سببا في عمارة البلاد وكثرة الغلات"<sup>1</sup>، وهو في ذلك يمثل مع غيره من العلماء الذين أوردنا نظرهم إلى أهمية الزراعة، بتسييدا عمليا لممارسة النشاط الزراعي، فإذا كان الماوردي والراغب الأصفهاني والغزالي والجويني والسرخسي أشاروا في مؤلفاتهم وآرائهم ومواقفهم إلى ضرورة الاهتمام بالزراعة وقدموها على الصناعة والتجارة، فإن نظام الملك بما امتلكه من بعد نظر وصلاحيات واسعة في الدولة السلجوقية، استطاع أن يحول هذه النظرة إلى تطبيق عملي في الميدان يظهر مدى قدرة العالم الفقيه على تقديم تجربة ناجحة ومتفوقة يتم من خلالها تطوير قطاع هام كالزراعة لا غنى عنه في هذا العصر.

والجدير بالذكر أن نظام الملك أقر نظام الإقطاع العسكري (الحربي) - كما بينا سابقا - كخطوة إصلاحية للمنظومة الزراعية في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر وساهم بشكل كبير في ازدهار الزراعة<sup>2</sup>، فقد كانت العادة جارية بجباية الأموال من البلاد وصرفها إلى الأمصار ولم يكن لأحد من إقطاع، فرأى نظام الملك أن من الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها، ولا يصح منها ارتفاعا لامتلاكها ففرقها على الأجناد إقطاعا وجعلها لهم حصلا وارتفاعا<sup>3</sup>، مما ينبئ عن فهم نظام الملك لحجم التغيرات التي شهدتها القطاع الزراعي وضرورة إيجاد حلول مناسبة تضمن صموده وبقاءه، وأيضا عمل على الموازنة بين فلسفة الملك والسلطنة عند السلاجقة التي ترى الحق الكامل في امتلاك الأراضي التي ضمها وفتحوها، كما أشرنا في الباب الأول، وبين ضرورة بقاء الزراعة كمورد هام يحقق للدولة والرعية حاجاتهم الغذائية التي لا غنى لهم عنها. وقد أسهمت هذه السياسة الاقتصادية (النظامية) على نحو بارز في إصلاح الأراضي الزراعية، وتنظيم توزيعها، فقد جرت عادة القائمين على الأمر قبله، أن يجبوا الأموال من الولايات إلى العاصمة، فلما اتسعت رقعة الدولة السلجوقية في عهد (النظام)، لاحظ أن دخل الدولة من خراج الأراضي الزراعية قليل؛ لحاجتها إلى الإصلاح، فضلا عن إهمالها من قبل الولاة، فوجد أن من الأصلح للدولة، أن توزع النواحي على شكل إقطاعات على رؤساء الجند، على أن يدفع كل مقطع مبلغا مقرر من المال لخزينة الدولة، مقابل استثماره للأراضي التي أقطعت له. فكان هذا الإجراء (النظامي) سببا في تنمية الثروة الزراعية؛ إذ اهتم المقطعون بعمارة الأراضي؛ ما أدى إلى زيادة نتاجها، ووفرة عطائها<sup>4</sup>.

1- السبكي، طبقات الشافعية، ج4، ص371.

2- محمد حمدي سعيد مدوخ، المرجع السابق، ص94.

3- البنداري، المصدر السابق، ص55.

4- الزيداني عمر أنور، الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (408هـ - 485هـ) قوام الدين وقامع

المبتدعين، ط1، جمهورية مصر العربية، الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص79-80.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وقد مارس بعض العلماء النشاط الزراعي، كأبي بكر عبيد الله بن إبراهيم بن أبي بكر التفتازاني<sup>1</sup>، الذي كان إماماً فاضلاً مفتياً مفسراً محدثاً واعظاً مقرئاً، حسن السيرة مشغولاً بالعبادة والتهجد، وكان يتولى الحراثة والحصاد، والدّياس بنفسه في أرضه، ويأكل من كد يده، على ذلك زجى عمره<sup>1</sup>. أما الإمام الحافظ الشريف المرتضى أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد بن علي العلوي (ت480هـ)، فقد كان يملك قريبا من أربعين قرية خالصة له، وفي كل واحدة منها وكيل أمين من قبل رئيس سمرقند، وكان يفرق في العام نحو العشرة آلاف دينار، ويقول هذه زكاة مالي<sup>2</sup>، لكنه لم يكن يمارس الزراعة بنفسه، بل اكتفى بالإشراف على هذه القرى بالتنسيق مع وكيل رئيس سمرقند، ويستبعد أن يكون قدر شارك في جني المحاصيل الزراعية، وضبط مقادير الخراج والزكاة أيضا. وكذلك أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن أحمد ابن حفص الماهياني المروزي (ت549هـ) الذي كان فقيها فاضلاً عارفا بالمذهب، ورعا، عفيفا، مبالغا في الاحتياط، لا يأكل لأحد طعاما. ورث كرما وقطعة أرض من والده، فكان يزرعها من البذر الحلال ويأكل منها<sup>3</sup>، وأيضا أبو سهل النعمان بن محمد بن النعمان ابن أبي العباس أحمد بن منصور الطحان الأكار الباجخوستي الصدقي (ت548هـ)، كان يعمل بيده الحراثة<sup>4</sup>.

أمام صمت المصادر عن ذكر العلماء الذين مارسوا النشاط الزراعي في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي، باستثناء أربعة من العلماء، فهذا راجع لأسباب؛ كانصراف العلماء إلى النشاطين الصناعي والتجاري، واشتغالهم في خطط الدولة، وإقامتهم في الحواضر، وانتشار الإقطاع العسكري الذي جعل الأراضي الزراعية في يد الجند، بالإضافة إلى التكاليف الباهظة التي يتطلبها النشاط الزراعي، كل ذلك يفسر لنا إجماع العلماء على ممارسة الزراعة في العصر السلجوقي.

**2-2- ممارسة العلماء للنشاط الصناعي:** الصناعة ملكة يقتدر بها على استعمال المصنوعات على وجه البصيرة لتحصيل غرض من الأغراض بحسب الإمكان<sup>5</sup>، وقد ورد لفظ الصناعة كنشاط اقتصادي عند العلماء المسلمين في مصنفاتهم منذ القرن الثاني الهجري، ثم تطور بتطور الصناعات وأصبح المقصود منه هي الخدمات المقدمة، لا الصناعة بمفهومها المتعارف عليه الآن.

1- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص963.

2- ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص342.

3- السمعاني، التجميع...، المصدر السابق، ج1، ص404.

4- المصدر نفسه، ج2، ص348.

5- نجيب عبد الفتاح جيلاني محمد، المرجع السابق، ص242.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

تعلقت الصناعة في فكر الماوردي بالتجارة والزراعة-بقسميها-وكأنه اعتبرها نشاطا خدميا مساعدا للأنشطة الأخرى، ويتضح من ذلك ترابط الأنشطة في فكره، وقد قسمها تبعا للمجهود البدني أو الذهني إلى ثلاثة أقسام<sup>1</sup>، هي: "صناعة فكر، وصناعة عمل، وصناعة مشتركة بين فكر وعمل.... وأشرف الصناعات صناعة الفكر، وأرذلها صناعة العمل؛ لأنَّ العمل نتيجة الفكر، وهو مدبره. فأما صناعة الفكر، فقد تنقسم قسمين:- أحدهما: ما وقفت على التدبيرات الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة، كسياسة الناس وتدبير البلاد...- والثاني: ما أدت إلى المعلومات الحادثة عن الأفكار النظرية... وأما صناعة العمل فقد تنقسم قسمين: عمل صناعي، وعمل بهيمي. فالعمل الصناعي: أعلاهما رتبة؛ لأنه يحتاج إلى معاطاة في تعلمه، ومعانة في تصوره، فصار آخذا بنسبة من المعلومات الفكرية. والآخر: إنما هو صناعة كد، وآلة مهنة، وهي الصناعة التي تقتصر عليها النفوس الرذلة، وتفق عليها الطباع الخاسئة.... وأما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فقد تنقسم قسمين:- أحدهما: أن تكون صناعة الفكر أغلب، والعمل تبعا، كالكتابة. والثاني: أن تكون صناعات العمل أغلب، والفكر تبعا، كالبناء. فأعلاهما رتبة ما كانت صناعة الفكر أغلب عليها، والعمل تبعا لهم...<sup>2</sup>.

أما الغزالي فقد تحدث عن الصناعة في سياق تقديمه مجموعة من النصائح للتاجر، يقول في ذلك: "أن يقصد القيام في صناعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، فإنَّ الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعاش وهلك أكثر الخلق. فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم: "اختلاف أممي رحمة" أي اختلاف همهم في الصناعات والحرف. ومن الصناعات ما هي مهمة، ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب النعم والتزين في الدنيا، فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين...<sup>3</sup>، نستشف من هذا الكلام أهمية الصناعة عند الغزالي حتى اعتبرها من فروض الكفاية الذي ينبغي القيام به حتى لا تتعطل مصالح المسلمين.

قام العلماء بتتبع الصناعات (الحرف والمهن) وتصنيفها ومحاولة إبراز دورها، وتأثيرها على الزراعة والتجارة، بشكل دقيق يظهر مدى ملاحظتهم للوضع الاقتصادي في الدولة السلجوقية، لذا استقصى الماوردي هذه الصناعات كما يلي:- العلافون والطحانون<sup>4</sup>.

1- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص76.

2- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص207-208.

3- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص528-529.

4- الرتبة...، المصدر السابق، ص184.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-الفرانون والخبازون<sup>1</sup>. -الشواؤون<sup>2</sup>. -النقائقيون<sup>3</sup>. -الكبوديون والبوارديون<sup>4</sup>. -الجزارون<sup>5</sup>. -الرواسون<sup>6</sup>. -  
الطباخون<sup>7</sup>. -الشراحيون<sup>8</sup>. -المهراثسيون<sup>9</sup>. -قلايين السمك<sup>10</sup>. -الحلوانيون<sup>11</sup>. -الشرابيون<sup>12</sup>. -العطارون  
والشماعون<sup>13</sup>. -اللبانون<sup>14</sup>. -الحاكة<sup>15</sup>. -الخياطون والرفايون والقصارون وصناع القلانيس<sup>16</sup>. -الحريرون<sup>17</sup>. -  
الصباغون<sup>18</sup>. -القطانون<sup>19</sup>. -الكتانون<sup>20</sup>. -الصاغة<sup>21</sup>. -النحاسون والحدادون<sup>22</sup>. -الأسكافة<sup>23</sup>. -البيطرة<sup>24</sup>. -  
السدرون<sup>25</sup>. -الفصادون والحجامون<sup>26</sup>.

---

1-الماوردي، الرتبة...، المصدر السابق، ص186.

2-المصدر نفسه، ص188.

3-المصدر نفسه، ص190.

4-المصدر نفسه، ص191.

5-المصدر نفسه، ص193.

6-المصدر نفسه، ص205.

7-المصدر نفسه، ص206.

8-المصدر نفسه، ص208.

9-المصدر نفسه، ص209.

10-المصدر نفسه، ص211.

11-المصدر نفسه، ص214.

12-المصدر نفسه، ص216.

13-المصدر نفسه، ص225.

14-المصدر نفسه، ص236.

15-المصدر نفسه، ص243.

16-المصدر نفسه، ص245.

17-المصدر نفسه، ص250.

18-المصدر نفسه، ص251.

19-المصدر نفسه، ص252.

20-المصدر نفسه، ص253.

21-المصدر نفسه، ص255.

22-المصدر نفسه، ص258.

23-المصدر نفسه، ص260.

24-المصدر نفسه، ص261.

25-المصدر نفسه، ص272.

26-المصدر نفسه، ص273.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-الفخارانيون والغضاريون<sup>1</sup>.-الأبارون والمسلاتون<sup>2</sup>.-المرادنيون<sup>3</sup>.-الحناويون<sup>4</sup>.-الأمشاطيون<sup>5</sup>.-العصّارون<sup>6</sup>.-الغرابليون<sup>7</sup>.-الدباغون<sup>8</sup>.-اللبوديون<sup>9</sup>.-الفراؤون<sup>10</sup>.-الحصريون<sup>11</sup>.-التبانون<sup>12</sup>.-الخشابون والقشاشون<sup>13</sup>.-النجارون والنشارون والبناءؤون والدهانون والصبيون<sup>14</sup>.-المراوحيون وصناع الكبريت والمكانس<sup>15</sup>.-السقاؤون<sup>16</sup>.

بعد أن ذكر الماوردي هذه الصناعات، ينتقل للتمييز بينها باعتبار "الناس آلات للصناعات، فأشرفهم نفساً متهياً لأشرفها جنساً، كما أن أردلهم نفساً متهياً لأرذلها جنساً، لأن الطبع يبعث على ما يلائمه، ويدعو إلى ما يجانسه"<sup>17</sup>، كما ميز بينها باعتبار العدالة المتعلقة بالشهادة "وأما الصنائع فضربان: مسترذل وغير مسترذل. فأما غير المسترذل كالزراعة والصناعة، فغير قاذح في العدالة، لأنه مما لا يستغني الناس عن الاكتساب بصنائعهم ومتاجرهم.... وأما المسترذل من الصنائع فضربان: -أحدهما؛ ما كان مسترذلاً في الدين كالمباشرين للأنجاس من الكناسين والزبالين، أو المشاهدين للعورات كالقيم والمزين. -والضرب الثاني: ما كان مسترذلاً في الدنيا كالنسيج والحياسة، وما يندس براحتة كالقصاب والسماك. فإن لم يحافظ هؤلاء على إزالة الأنجاس من أيديهم وثيابهم في أوقات صلواتهم وقصروا في حقوق الله تعالى عليهم، كان ذلك جرحاً في عدالتهم وقدحاً في ديانتهم وإن حافظوا على إزالة النجاسة، والقيام بحقوق العدالة، ففي

1-الماوردي، الرتبة...، المصدر السابق، ص358.

2-المصدر نفسه، ص359.

3-المصدر نفسه، ص360.

4-المصدر نفسه، ص361.

5-المصدر نفسه، ص361.

6-المصدر نفسه، ص362.

7-المصدر نفسه، ص363.

8-المصدر نفسه، ص364.

9-المصدر نفسه، ص366.

10-المصدر نفسه، ص367.

11-المصدر نفسه، ص368.

12-المصدر نفسه، ص369.

13-المصدر نفسه، ص370.

14-المصدر نفسه، ص371.

15-المصدر نفسه، ص374.

16-المصدر نفسه، ص375.

17-أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص207.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

قدح ذلك في عدالتهم ثلاثة أوجه: -أحدها؛ أنه يقدح فيها، لأن الرضا بها مع الاسترزاق قدح. والوجه الثاني: أنه لا يقدح في العدالة لأنه لا يجد الناس منها بدا. ولأنها مستباحة شرعا. والوجه الثالث: أنه يقدح في العدالة منها ما استرذل في الدين. ولا يقدح فيها ما استرذل في الدنيا، لاسيما الحياكة لكثرة الخير في أهلها...<sup>1</sup>.

إنَّ تمييز الماوردي بين الصناعات اعتمادا على مدى وجود الفكر ومهارات التعلم تستحق التقدير والتأييد، لتضمنها الحث على التعلم وإجراء الأبحاث في كل خدمة بحسبها، ومثل ذلك الحث هو الذي يمكن من التطور الاقتصادي والارتقاء الحضاري، كما أن ربطه للصناعات المسترذلة بعدم القبول الديني أو العرفي مما يسجل له كذلك، وخصوصا في إتباع بيانه للصناعات المسترذلة بحث أهلها على إزالة أسباب النظرة المتدنية، مع الأخذ في الاعتبار أن الرأي الذي يربط الصناعة المسترذلة بعدم القبول الديني يعتبر رأيا وجيها ملائما للتطبيق العملي<sup>2</sup>.

ويبدو أنَّ الغزالي قد نحا منحى الماوردي في التمييز بين الصناعات، حيث يقول في ذلك: "وليجنب صناعة النقش والصياغة وتشبيد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا، فكل ذلك كرهه ذوو الدين، فأما عمل الملهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم، ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الإبريسم للرجال، وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال، فكل ذلك من المعاصي، والأجرة المأخوذة عليه حرام... ويكره أن يكون جزارا، لما فيه من قساوة القلب، وأن يكون حجاما أو كناسا لما فيه من مخامرة النجاسة، وكذا الدباغ وما في معناه.... وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع: الخرز، والتجارة، والحمل، والخياطة، والحدو والقصارة، وعمل الخفاف وعمل الحديد، وعمل المغازل، ومعالجة صيد البر والبحر، والوراقة..."<sup>3</sup>، كما أبدى تحفظه على بعض الصنائع قائلا: "وأربعة من الصنائع موسومون عند الناس بضعف الرأي: الحاكة، والقطانون، والمغازليون، والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان، ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل، كما أنَّ مخالطة العقلاء تزيد في العقل..."<sup>4</sup>.

ومن العلماء الذين تحدثوا عن الصناعة، الفقيه الحنفي السرخسي الذي أشار إلى الترابط والتكامل بين الصنائع، وناقش مسألة دناءة وحقارة بعض الصنائع، حيث يقول في ذلك: "ثم بيَّن محمد رحمه الله أن الكسب

1- الحاوي...، المصدر السابق، ج 17، ص 153-154.

2- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 79.

3- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 529-530.

4- المصدر نفسه، ص 530.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

فيه معنى المعاونة على القرب والطاعات أي كسب كان حتى قال أن فتال الحبال ومتخذ الكيزان والجرار وكسب الحركة فيه معاونة على الطاعات والقرب فإنه لا يتمكن من أداء الصلاة إلا بالطهارة ويحتاج ذلك إلى كوز يستقي به الماء وإلى دلو ورشاء ينزح به الماء ويحتاج إلى ستر العورة لأداء الصلاة وإنما يتمكن من ذلك بعمل الحركة.... ثم المذهب عند جمهور الفقهاء رحمهم الله أن المكاسب كلها في الإباحة سواء وقال بعض المتقشفة ما يرجع إلى الدناءة من المكاسب في عرف الناس لا يسع الإقدام عليه إلا عند الضرورة لقوله عليه السلام ليس للمؤمن أن يذل نفسه، وقال عليه السلام إن الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفاسفها والسفاسف ما يدني المرء ويبخسه...<sup>1</sup>، وقد رد السرخسي على المتقشفة قائلا: "وحجتنا في ذلك قوله عليه السلام إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة قيل فما يكفرها يا رسول الله قال الهموم في طلب المعيشة وقال عليه السلام طلب الحلال كمقارعة الأبطال ومن بات وانيا من طلب الحلال مات مغفورا له وقال عليه السلام أفضل الأعمال الاكتساب للإنفاق على العيال من غير تفصيل بين أنواع الكسب ولو لم يكن فيه سوى التعفف والاستغناء عن السؤال لكان مندوبا إليه فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال السؤال آخر كسب العبد أن يبقى في ذله إلى يوم القيامة وقال عليه السلام لحكيم بن حزام رضي الله عنه أو لغيره مكسبة فيها نقص المرتبة خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك ثم المذمة في عرف الناس ليست للكسب بل للخيانة وخلف الوعد واليمين الكاذبة ومعنى البخل..."<sup>2</sup>.

أما ابن عقيل فقد نص على كراهة تعمد الصنائع الرديئة مع إمكان ما هو أصلح منها<sup>3</sup>.

لقد ناقش العلماء تنوع الصنائع وارتباط بعضها ببعض وحاجة المجتمع لها، وكذلك قضية التخصص الحرفي توزيع العمل، آخذين بعين الاعتبار تعدد وتنوع وكثرة حاجات الإنسان وطلباته، وعدم قدرته على إشباعها جميعها وتحقيقها بمفرده، إذ لا يمكن لفرد ما أن يحيط بكل الصنائع والمهن والحرف ويتقنها ويتعلمها، بسبب قصر الأعمار وتفاوت العقول في التلقي، ومن ثم حصل الاشتراك والتعاون بين الأفراد اعتمادا على المواهب الفطرية التي أوجدها الله تعالى لدى كل منهم، ولولا ذلك الاختلاف لما انتظم العالم ولتهالك الأفراد وأفنى بعضهم بعضا. وأضحى بذلك تقسيم وتوزيع العمل من نعم الله تعالى على عباده ولطف تديره بهم، مع الإشارة إلى دوره في زيادة الإنتاج

1- المصدر السابق، ج30، ص258.

2- المصدر نفسه، ج30، الصفحة نفسها.

3- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص81.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وإتقانه<sup>1</sup>. لذا يؤكد الماوردي بأنَّ الناس مجبولون على الحاجة إلى أنواع لا يقدر الواحد أن يقوم بجميعها، فخولف بين همهم لينفرد كل قوم بنوع منها، فيأثقفوا بها فيقوم الزراع بمزارعهم، ويتشاكل الصناع بصنائعهم، ويتوفر التجار على متاجرهم<sup>2</sup>. كما يربط ذلك بالرضا بما قسمه الله للعباد وقضى به وقدره، وببذل الأسباب، بحيث "جعل الله تعالى الإدراك والظفر موقوفاً على ما قسم وقدر، كيلا يعتمدوا في الأرزاق على عقولهم، وفي العجز على فطنهم، لندوم له الرغبة والرغبة، ويظهر منه الغنى والقدرة"<sup>3</sup>، إذن بحث الماوردي عن أصل شرعي يمكنه من إقناع الأفراد بوجوب التخصص وتوزيع العمل بينهم، وأشار أيضاً إلى منع الدولة من التدخل العشوائي في تقسيم العمل والتخصص، بالتأكيد بألا يعارض الوزير أحداً في المهنة التي يريدها، حتى لا يحدث اضطراب في الجهاز الإنتاجي نتيجة إلزام البعض بممارسة أنشطة صناعية معينة لا تتناسب مع ميولهم وقدراتهم<sup>4</sup>، يقول: "وربما كان للسلطان رأي في الاستكثار من أحد الأصناف فينقل إليه من لا يألفه فيختل النظام بهم فيما نقلوا عنه وفيما نقلوا إليه، لأنَّ تمييزهم بالهام الطباع أعدل في ائتلافهم من التصنع لها..."<sup>5</sup>.

أشار السرخسي أيضاً إلى حاجة البشر إلى بعضهم البعض في الصنائع، وباستحالة معرفة الإنسان لكل الصنائع، "يعني أنَّ كل أحد لا يتمكن من تعلم جميع ما يحتاج إليه في عمره فلو اشتغل بذلك فني عمره قبل أن يتعلم وما لم يتعلم لا يمكنه أن يحصل لنفسه وقد تعلق به مصالح المعيشة فيسر الله تعالى على كل واحد منهم تعلم نوع من ذلك حتى يتوصل إلى ما يحتاج إليه من ذلك النوع بعلمه فيتوصل غيره إلى ما يحتاج إليه من ذلك بعلمه أيضاً..."<sup>6</sup>، كما أكد على الصلة الوثيقة بين الصنائع والتكامل فيما بينها، حيث "أنَّ الفقير محتاج إلى مال الغني والغني يحتاج إلى عمل الفقير فهنا أيضاً المزارع يحتاج إلى عمل النساج ليحصل اللباس لنفسه والنساج يحتاج إلى عمل المزارع ليحصل الطعام والقطن الذي يكون منه اللباس لنفسه ثم كل واحد منهما فيما يقيم من العمل يكون معيناً لغيره فيما هو قرينة وطاعة"<sup>7</sup>.

أما الراغب الأصفهاني فقد ساق مثالا يعكس حاجة الناس إلى بعضهم البعض في الصنائع، يقول في ذلك: "اعلم أنه لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة رجال

1- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 84.

2- قوانين الوزارة...، المصدر السابق، ص 142.

3- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص 127.

4- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 86.

5- قوانين الوزارة...، المصدر السابق، ص 143.

6- المصدر السابق، ج 30، ص 264.

7- المصدر نفسه، ج 30، ص 264-265.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

له، فلقمة طعام لو عددنا تعب محصليها من الزراعة والطحان والخباز وصناع آلاتها لصعب حصره، احتاج الناس أن يجتمعوا فرقة فرقة فيتظاهروا، ولأجل ذلك قيل الإنسان مدني بالطبع أي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم إلى بعض في مصالح الدين والدنيا...<sup>1</sup>، ثم يتحدث عن إقبال بعض الناس على صنائع معينة وإقبال بعضهم الآخر على صنائع أخرى، وبذلك يحصل التخصص وتوزيع العمل فيما بينهم، يقول: "لما احتاج الناس بعضهم إلى بعض، سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها، وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية، واتفاقات سماوية، يؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملاستها، وتطيعه قواه بمزاوتها، فإذا جعل إليه صناعة أخرى فربما وجد متبلدا أو متبرما بها، وقد سخرهم الله تعالى لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقوات والمعونات، ولولا ذلك لما اختاروا من الأشياء إلا أحسنها، ومن البلاد إلا أطيبها، ومن الصناعات إلا أنظفها، ومن الأعمال إلا أرفعها، ولتناجزوا على ذلك، ولكن الله تعالى بحكمته جعل كل منهم مجبرا في مخير. فالناس إما راض بصناعة لا يريد عنها حولا، كالحائك الذي يرضى بصنعتة ويعيب الحجام، والحجام الذي يرضى بصنعتة، ويعيب الحائك.... وإما كاره لها يكابدها مع كراهيته إياها، كأنه لا يجد لها بدلا.... ولهذا قيل: من حق من قيض له صناعة مباحة فرزق منها أن يراعيها على ما يجب وكما يجب...<sup>2</sup>، وأشار كذلك إلى أثر الفقر على انتشار الصنائع وإقبال الناس عليها واحتمالهم المشقة والكد من أجل حصول المنفعة، إذ لو استطاع أي إنسان كفاية ما يحتاجه لأدى ذلك إلى فساد العالم وانتشار الفقر، لأن الصناعات القائمة بالغنى ثلاث: الملك والتجارة والكتابة، وبالمقابل سبب الخوف من الفقر وجود صنائع كالحياسة والحجامة والدباغة والكناسة، وكذا نقل المير والملابس من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. كما أبرز لنا كيف فرق الله تعالى همم الناس للصناعات المتفاوتة، بحيث يسر كلا لما خلق له وجعل آلائهم الفكرية والبدنية مستعدة لها، كما يلي:

- جعل لمن قيضه لمراعاة العلم والمحافظة على الدين قلوبا صافية، وعقولا بالمعارف لا ثقة، وأمزجة لطيفة، وأبدانا لينة مستصلحة.

- ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم قلوبا قاسية وعقولا كنزة وأمزجة غليظة وأبدانا خشنة<sup>3</sup>.

1- الذريعة...، المصدر السابق، ص262.

2- المصدر نفسه، ص263-264.

3- المصدر نفسه، ص265-266.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والجدير بالذكر أيضا أن الغزالي يرى انكباب الخلق على الحرف والصناعات والأعمال، لحاجتهم للقوت والملبس والمسكن، واعتبر خمس صناعات بمثابة أصول للصناعات، وهي الفلاحة والرعاية والاقتناس والحياسة والبناء؛ فالفلاحة للمطعم، والرعاية للمواشي والخيل، والحياسة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة للملبس، والاقتناس نعي به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب، والبناء للمسكن. ثم أضاف ثلاثة صناعات أخرى ترتبط بالأولى، وهي: النجارة والحدادة والخز، وأكد بأن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من أبناء جنسه، وذلك لسببين: -أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما. -والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الاجتماع يفرض على الولد لا محالة، والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت. ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة<sup>1</sup>.

يؤصل الغزالي للتكامل بين الصناعات كغيره من العلماء، بحيث أن الشخص الواحد لا يمكنه تولي الفلاحة وحده وهو بحاجة إلى آلاتها، التي تحتاج إلى حداد ونجار، كما يحتاج الطعام إلى طحان وخباز، والأكثر من ذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة<sup>2</sup>. ويرى الغزالي أيضا بأن الحرف والصناعات لا تتم إلا بالأموال والآلات، ولا يمكن مباشرتها إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء، وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب لعجزه عن الحرف، فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره، فيحدث منه حرفتان خسيستان: اللصوصية والكداية<sup>3</sup>.

اختلف العلماء في تعلم الصنائع-التي هي أصل سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة والفلاحة ونحوهما-وفي أصل فعلها، فالجويني والغزالي لم يريا ذلك فرض كفاية، ورأه الكيا الهراسي (ت504هـ) فرض كفاية<sup>4</sup>.

أقبل العلماء في عصر الدراسة على بعض الصنائع، فهذا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ الخياط (ت537هـ) كان يأكل من كد يده من الخياطة<sup>5</sup>، وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخواري البيهقي (ت536هـ) ناسخا، حيث نسخ بخطه كتاب المذهب الكبير للجويني، أكثر من عشرين

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1127-1128.

2- المصدر نفسه، ص1128.

3- المصدر نفسه، ص1129-1130.

4- عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص89.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص28.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

مرة، ويبيعه<sup>1</sup>. أما الشيخ أبو محمد عبد السيد بن أبي بكر بن أبي الفضل بن ينال (ت555هـ) فقد كان بناءً مهندساً عالماً في صنعته، صنع الطّاق الكبير الذي عمل بجامع هراة<sup>2</sup>. كما كان الشيخ أبو بكر علي بن عمر بن محمد بن الحسن بن علي بن إبراهيم الفرغولي الجرجاني (ت548هـ) بناءً أيضاً، قيّم بصناعة البناء<sup>3</sup>. وممن نسب إلى الغرّادين (من يعمل الخص وهو الحائط من القصب على الشطوط والسطوح) أبو بكر لبيد بن الحسن بن عمر الغرّاد (ت549هـ)<sup>4</sup>، وكان أبو علي الحسن بن ناصر الكاغذي، ينسب إليه الكاغذ الحسني، الذي لم يلحقه من سبقه في جودة الصّنع ونقاء الآلة وبياضها<sup>5</sup>. وأبو نصر محمد بن أحمد بن عبد الله الكبريتي القبايئي الوزّان (ت532هـ) كان يزن بالقبان (هو الذي يوزن به الأشياء)<sup>6</sup> والشيخ أبو غالب محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الماوردي البصري (ت525هـ) كان ورّاقاً وناسخاً<sup>7</sup>، وكذلك أبو طاهر أحمد بن أحمد بن علي بن عمر بن علي بن سلمان الدقاق (ت470هـ) كان ناسخاً<sup>8</sup>. وكان أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد ابن الطلاية البغدادي الحنبلي (ت548هـ) ورّاقاً، تفرغ للعمل بوراقة الحديث وهو في مسجده<sup>9</sup>، ومن العلماء الذين اشتغلوا بالوراقة أبو العباس أحمد بن الفرّج بن راشد بن محمد المدني البغدادي الحنبلي (ت551هـ)<sup>10</sup>، وأيضاً أبو المواهب أحمد بن محمد بن عبد الملك بن ملوك البغدادي (ت525هـ) الذي كان من شيوخ الحديث، واتخذ من الوراقة صنعة ومعايشاً<sup>11</sup>، وكذلك أبو الفضل عبد المؤمن بن عبد الغالب بن محمد بن طاهر بن خليفة بن محمد ابن حمدان الشيباني (ت591هـ) الورّاق<sup>12</sup>، وعبد الملك بن الحسين الورّاق (ت470هـ)<sup>13</sup>، وعبد الواحد بن رضوان بن عبد الواحد بن شنيف بن أبي محمد بن أبي الفرّج الوراق (ت631هـ)<sup>14</sup>.

1- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1034-1035.

2- المصدر نفسه، مج2، ص1072-1073.

3- المصدر نفسه، مج2، ص1247.

4- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج9، ص132.

5- المصدر نفسه، ج10، ص327.

6- المصدر نفسه، ج10، ص44.

7- المصدر نفسه، ج11، ص105-106.

8- المصدر نفسه، ج12، ص13-14.

9- خير الله سعيد، المرجع السابق، ص370.

10- المرجع نفسه، ص371.

11- المرجع نفسه، ص374.

12- المرجع نفسه، ص396.

13- المرجع نفسه، ص397.

14- المرجع نفسه، ص397-398.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وابن غريبة الحنبلي الوراق (ت578هـ)<sup>1</sup>، ومحمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور بن إبراهيم الدقاق، كنيته أبو بكر، ويعرف بابن الخاضبة (ت489هـ) الوراق<sup>2</sup>، وأبو عبد الله الحسين بن محمد الكتي الهروي (ت496هـ)، الذي مارس الوراقة كبائع كتب<sup>3</sup>، والقاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي البشكاني (ت518هـ) كان يكتسب من الوراقة<sup>4</sup>، وأبو الحسن علي بن أبي القاسم بن عبد الله الصباغ المروزي (ت525هـ) كان صناع اليد موفقا في عمارة المساجد<sup>5</sup>، وكان أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أيوب الفزي العدني توفي في سنة نيف وثلاثين وخمسمائة للهجرة مشغولا بالكسب، وينسج الأبراد النيسابورية التي يقال لها عدني<sup>6</sup>، كما كان أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الجيخني المقرئ الخلال (ت539هـ) يتكسب بعمل الخل<sup>7</sup>، أما أبو بكر مسعود بن أحمد بن نصر الله بن أحمد بن عثمان بن أحمد ابن محمد بن خشنام بن باذان الخشنامي العتايي (ت549هـ) فكان ينسج الثياب العتائية<sup>8</sup>.

**2-3- ممارسة العلماء للنشاط التجاري:** اعتبر الماوردي التجارة فرعا لمادتي الزرع والنّاج<sup>9</sup>، أما الغزالي فقد بين سبب نشأة النشاط التجاري بقوله: "...ثم يحدث من ذلك حاجة البيع، فإنّ الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة. فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح، فيحتاج أحدهما أن يئذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة، إلا أنّ النجار مثلا إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آله فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتعوق الأغراض، فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصدها بها أبواب الحاجات.... وكذلك في جميع الأمتعة والآلات..."<sup>10</sup>. وقد ذكر الماوردي نوعين من النشاط التجاري:

1- خير الله سعيد، المرجع السابق، ص409.

2- المرجع نفسه، ص420-421.

2- خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الثالث (ج5-ج6)، ط1، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2011م، ص254.

4- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص231-232.

5- السمعاني، التحبير...، المصدر السابق، ج1، ص600.

6- المصدر نفسه، ج2، ص48-49.

7- المصدر نفسه، ج2، ص60-61.

8- المصدر نفسه، ج2، ص296.

9- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص207.

10- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص1130.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-تقلب في الحضر، من غير نقلة ولا سفر، وهذا ترئص واحتكار، وقد رغب عنه ألو الأقدار، وزهد فيه ذوو الأخطار.  
-تقلب بالمال بالأسفار، ونقله إلى الأمصار، فهذا أليق بأهل المروءة، وأعم جدوى ومنفعة، غير أنه أكثر خطراً، وأعظم غرراً<sup>1</sup>.

يعود الغزالي للكلام عن التجارة، حيث اعتبرها من أفضل وجوه الكسب، لأنها تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية<sup>2</sup>، وأوصى التجار بتعلم علم التجارة ليطمئن لهم المباح عن المحظور، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح<sup>3</sup>، مؤكداً في الوقت ذاته على أهمية التجارة الداخلية وأثرها في إشباع حاجات الناس، إذ "يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشتررون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنظم أمور الناس في البلاد بسببهم؛ إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام، فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل، فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة، فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم؛ إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم، ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد. بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة، ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعاش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضاً..."<sup>4</sup>، غير أننا لا نوافقه على وصف التجار بمثل هذه الأوصاف، مع أهمية ما يقدمونه من خدمات لتداول المنتجات بين المناطق المختلفة، وعلى الرغم من وصفه إياهم بهذه الأوصاف التي لا تستقيم مع اعترافه بأثرهم ودورهم الكبير في جلب حاجات الناس المختلفة، إذ لو تركوا ذلك لبطلت المعاش ولهلك الناس، ويمكن أن يربط رأيه ببعض الظواهر التي لاحظها في عصره كعدم الاستقرار الأمني وظلم بعض الولاة، وبنزعة التصوف. وكان الأولى أن يوجه التاجر المسلم العامل بالتجارة الخارجية للالتزام بالضوابط الشرعية في الكسب والإنفاق، مع الحرص على ربط مقصده بتأدية فرض من فروض الكفاية. وأن يتم حث الحكام على توفير الأمن والعدل، مع بيان أثر ذلك في زيادة إيرادات الدولة<sup>5</sup>.

1-أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص207.

2-إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص505.

3-المصدر نفسه، ص507.

4-المصدر نفسه، ص1130.

5-عصام بن عباس محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص71.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أفرد الغزالي باباً في كتابه إحياء علوم الدين، تحدث فيه عن النشاط التجاري والمعاملات المتعلقة به، حيث بدأ بالبيع الذي أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان: العاقد، والمعقود عليه، واللفظ<sup>1</sup>، وتكلم عن عقد الربا وبيّن أنه حرام<sup>2</sup>، وكذلك عن عقد السلم الذي ينبغي للتاجر أن يراعي فيه عشرة شروط<sup>3</sup>، وأشار إلى عقد الإجارة الذي له ركنان: الأجرة والمنفعة<sup>4</sup>، كما تحدث عن القراض (المضاربة) الذي ينبغي أن يراعى فيه ثلاثة أركان هي: رأس المال والربح العمل الذي على العامل<sup>5</sup>، وتكلم أيضاً عن الشركة، وهي أربعة أنواع؛ ثلاثة منها باطلة هي: شركة المفاوضة وشركة الأبدان وشركة الوجوه<sup>6</sup>. واعتبر الغزالي التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه<sup>7</sup>، وكره مهنة الدلالة وأجرة الدلال، بسبب قلة استغناء الدلال عن الكذب والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها<sup>8</sup>.

ويبدو أنّ الغزالي قد وافق الماوردي الذي سبقه بالحديث عن البيوع في كتابه الحاوي الكبير بشكل أكثر تفصيلاً، بالإضافة إلى كتاب المضاربة الذي يشكل باباً من أبواب الموسوعة الفقهية الضخمة للماوردي، والمسماة "الحاوي" ويعالج الكثير من الأحكام التشريعية المنظمة لعلاقات المضارب مع غيره، فابتداءً من تعريف المضاربة وأدلة مشروعيتها يعرج الكتاب على مسائل متداخلة كثيرة مثل رأس مال المضاربة وشروطه ومقداره وجنسه وصفته وما يستتبعه من أرباح تجري عليها تفرعات فقهية كثيرة، ويناقش الكتاب أقسام المضاربة وعلاقتها بالنماء، وينتهي بمعالجة عنصر العمل من حيث المؤنة والنفقة وسائر التكاليف المترتبة عليه وعلاقته بحركة رأس المال وانتقاله أو خلطه بغيره، والأسباب الموجبة لانتهاء عقد المضاربة، وكيفية توزيع عائد المضاربة<sup>9</sup>.

وفي سياق متصل رفع العلماء من مكانة التجارة واعتبروها أفضل أنواع الكسب، يقول الماوردي: "وقال آخرون: البياعات أجل المكاسب كلها، وأطيب من الزراعات وغيرها، وهو أشبه بمذهب الشافعي والعراقيين..... ولأنّ البيوع أكثر مكاسب الصحابة، وهي أظهر فيهم من الزراعة والصناعة. ولأنّ المنفعة بها أعم، والحاجة إليها أكثر، إذ ليس أحد يستغني عن ابتياع مأكول أو ملبوس، وقد يستغني عن صناعة

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 507-511.

2- المصدر نفسه، ص 511-512.

3- المصدر نفسه، ص 512-513.

4- المصدر نفسه، ص 513-514.

5- المصدر نفسه، ص 514-515.

6- المصدر نفسه، ص 515.

7- المصدر نفسه، ص 527.

8- المصدر نفسه، ص 529.

9- الحوراني ياسر، المرجع السابق، ص 63.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وزراعة...<sup>1</sup>، وأشار السرخسي إلى أفضلية التجارة بقوله: "...ثم اختلف مشايخنا رحمهم الله في التجارة والزراعة فقال بعضهم التجارة أفضل لقوله تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والارض والمراد بالضرب في الأرض التجارة...<sup>2</sup>. لذا فضل العلماء التجارة على سائر الأنشطة الاقتصادية، فكانوا يرونها أشرف المهن وأعلاها قدراً، ولذلك كانوا يفضلون أموالهم من التجارة على سائر أموالهم. وكان من نتائج هذه النهضة وذلك التفضيل، أن اهتم العلماء في العصر السلجوقي بالتجارة وعمل معظمهم بها<sup>3</sup>. فقد كان أبو منصور محمد بن أبي الربيع سليمان بن أحمد بن محمد السرقسطي الأدمي، يبيع الأدم ببغداد عند باب النوي<sup>4</sup>، وأبو الحسن عبد الواسع بن محمد بن الحسن الفارسي الجرجاني الذي كان من رؤساء التجار وثقاتهم<sup>5</sup>، وكذلك أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن علي الطوسي (ت478هـ) اشتغل بالتجارة وينفق ما يكسبه على أصحاب الحديث<sup>6</sup>، وكان أبو عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد بن محمود الرئيس (ت489هـ) صدر التجار في وقته، أيسر أهل عصره ثروة ونعمة وتجارة وبضاعة ونقداً<sup>7</sup>، أما أبو علي حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي (ت463هـ) فجمع بين الدهقنة والتجارة<sup>8</sup>، وكان أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الضبي المحاملي العطّار (ت514هـ) يبيع العطر<sup>9</sup>، وكذلك أبو المظفر محمد بن علي بن الحسن بن أحمد الشهرزوري (ت550هـ) كان يبيع العطر<sup>10</sup>، وأبو حفص خمارتاش بن عبد الله الكاغذي الرّومي (ت531هـ) كان له دكان برأس المربعة بنيسابور يبيع فيه الكاغذ<sup>11</sup>، كما كان أبو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن موسى المصري الحمري من أهل بنج ديه (ت543هـ) دهقاناً<sup>12</sup>، وأبو علي محمد بن أحمد ابن

1-الحاوي...، المصدر السابق، ج5، ص11-12.

2-المصدر السابق، ج30، ص259.

3-عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص500.

4-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج1، ص161.

5-الفارسي، المصدر السابق، ص254.

6-المصدر نفسه، ص308.

7-الفارسي، المصدر السابق، ص350.

8-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص135.

9-المصدر نفسه، ج17، ص189.

10-المصدر نفسه، ج18، ص104.

11-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص779.

12-المصدر نفسه، مج2، ص966.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

أبي علي الطوسي المعروف بالفقيه البيّ (ت539هـ) فوض إليه عمل البيع<sup>1</sup>، وأبو الفضل محمد بن عبد الواحد بن محمد بن عمر بن محمد التاجر المغازلي المعروف بالصائغ (ت544هـ) كان يكسب من التجارة ويسافر إلى خراسان للتجارة أيضاً<sup>2</sup>، وكان أبو الفضل محمد بن علي بن محمد بن أحمد الهَرَّاس الكاخي المروزي (ت532هـ) يتجر إلى غزنة ويسافر إليها<sup>3</sup>، أما أبو البركات عبد الصمد بن عبد الله ابن أبي الحسن ابن أبي سهل العراقي الجصاص (ت557هـ) فكان تاجراً صدوقاً<sup>4</sup>، وأيضاً أبو بكر عبد الغفار بن محمد بن الحسين بن علي بن شيرويه بن علي بن الحسن الشيروي الجنازدي (ت516هـ) كان من جملة ثقات التجار<sup>5</sup>؛ وكذلك أبو يعلى عبد الجامع بن إسماعيل ابن أبي سعد الجزباري (ت542هـ) الذي كان دلالة في العطر<sup>6</sup>، يضاف إليهم أبو عبد الله فادشاه ابن أبي منصور ابن أبي طاهر الأصبهاني الذي ورد خراسان تاجراً<sup>7</sup>، كما كان أبو محمد كامل بن ختلغ اللثوري الأصبهاني شيخاً تاجراً<sup>8</sup>، وكان أبو الفتح محمد بن محمد بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن إسماعيل البيّ الخياط، توفي سنة نيف وثلاثين وخمسمائة، دلالة الصيارفة<sup>9</sup>.

بعد تتبعنا للعلماء الذين مارسوا الأنشطة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، خلال العصر السلجوقي، وعلى ضوء المصادر القليلة التي استعنا بها، تمكنا من إحصاء 45 من العلماء الذين زاولوا هذه الأنشطة، حيث كانت حصة النشاط الزراعي قليلة، إذ لم نجد سوى أربعة علماء مثلوا نسبة 09%، في حين بلغت حصة النشاط الصناعي 23 عالماً وقد مثلوا نسبة 51%، وأخيراً وصل عدد العلماء الذين أقبلوا على النشاط التجاري إلى 18، ممثلين نسبة 40%، وبهذا يكون احتل النشاط الصناعي المركز الأول، تله النشاط التجاري، ثم النشاط الزراعي، وغير خاف عنا الأسباب -ذكرناها سابقاً- التي أدت إلى هذا الترتيب، وللتأكيد على ذلك وضعنا الرسم البياني التالي الذي من خلالها خلصنا إلى هذه النتائج.

1- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ...، المصدر السابق، مج2، ص1394-1395.

2- المصدر نفسه، مج3، ص1505.

3- المصدر نفسه، مج3، ص1543.

4- السمعاني، التجميع...، المصدر السابق، ج1، ص458-459.

5- المصدر نفسه، ج1، ص464.

6- المصدر نفسه، ج1، ص506.

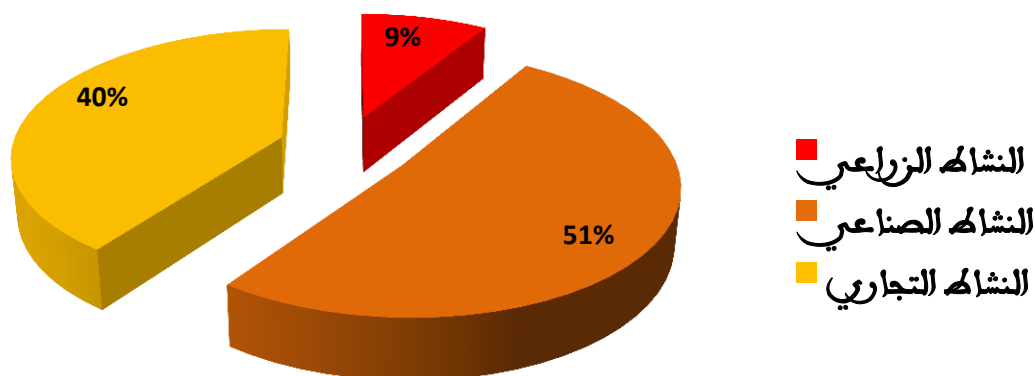
7- المصدر نفسه، ج2، ص37.

8- المصدر نفسه، ج2، ص43.

9- المصدر نفسه، ج2، ص225.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

### عدد العلماء حسب كل نشاط اقتصادي في العصر السلجوقي



في ختام هذا الفصل يمكن القول إنَّ العلماء استطاعوا بشكل كبير وضع بصمتهم، لما سعى جاهدين إلى تنمية الاقتصاد الإسلامي في العصر السلجوقي وتنمية قطاعاته، الزراعة والصناعة والتجارة، إذ أدركوا أهمية الاقتصاد في حياة الدولة والمجتمع في الإسلام، فأكدوا على ضرورة أن يعي أفراد المجتمع الإسلامي قيمة العمل والكسب وأثره في حياتهم، وكانوا السباقين لمزاولة مختلف الحرف والمهن لتحصيل المال وتوفير حاجياتهم ومتطلبات الحياة، وبذلك كانوا هم القدوة التي يقتدي بها أفراد مجتمعهم بمختلف فئاته، ولم يكتفوا بهذا القدر بل شددوا على ضرورة التكامل بين الأنشطة الاقتصادية، فقد عكفوا على التعريف بها وإبراز أهميتها ومكانتها ومنزلتها، فبدؤوا بالزراعة ثم الصناعة ثم التجارة، وبعد أن انتهوا من استقصاء ماهية هذه الأنشطة وتبيان العلاقة الارتباطية والتكاملية بينها، حاولوا المفاضلة بينها فمنهم من فضل الزراعة على الصناعة والتجارة، وبعضهم فضل الصناعة على الزراعة والتجارة، وآخرون فضلوا التجارة على الزراعة والصناعة، وهكذا، وبالمقابل عكس إقبال العلماء على ممارسة الأنشطة الاقتصادية الثلاثة، مدى تفضيلهم لنشاط على نشاط آخر، وعموماً كان إقبالهم على النشاط التجاري كبيراً، وبدرجة أقل النشاط الصناعي، وأخيراً النشاط الزراعي.

-الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي.

-الفصل الرابع: مواجهة العلماء للفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي.

- 1- مظاهر الفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي.
  - 2- تصدي العلماء لمظاهر الفساد الاقتصادي إبان العصر السلجوقي.
    - أ- موقفهم من البغاة والمفسدين واللصوص وقصاع الصرق.
    - ب- تنصيب العلماء للأموال.
  - 1- شروط المنافسة بين التجار في الأموال.
  - 2- محاربة الاحتكار.
  - 3- محاربة التعاملات المالية المحرمة.
- الربا.
- البيوع المحرمة:- ولاية السوق.
- ج- مواجهة العلماء لتزييف النقود العبت بها.
- د- تولي العلماء للمناصب المالية.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

تعد مواجهة العلماء للفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي، من أخطر الأدوار التي أدوها، حيث تصدوا لمختلف مظاهر الفساد الاقتصادي التي استشرت في الأقاليم الثلاث-العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر-وأدت إلى إلحاق أضرار بليغة بالاقتصاد وقطاعاته، وأثرت بشكل كبير على المجتمع والدولة، فسعوا إلى تخفيف آثار الفساد الاقتصادي والوقوف في وجه المفسدين، سواء عن طريق التدخل المباشر وإبداء المواقف وردود الفعل المناسبة، أو بتولي بعض الوظائف المالية حتى يحولوا دون أي عبث وإفساد للأموال والأموال وغيرها، أو عن طريق دعم جهود السلطة في عملية مواجهة الفساد الاقتصادي، كما عملوا على تبيين نظرة الدين الإسلامي وأحكامه القاضية بجلب المصالح ودرء المفاسد، فتحدثوا عن المعاملات المحرمة والمشبوهة كالربا والبيع المحرمة والغصب والسرقة وتزييف العملة، وواجهوا أيضا حركة العيارين التي كانت من أسباب الفساد الاقتصادي ومظاهره. لذا سنحاول تتبع كل ذلك وتبسيط الضوء على ما قاموا به.

ورد لفظ الفساد في القاموس المحيط في مادة (فسد): "والفساد: أخذ المال ظلما، والجذب. والمفسدة: ضد المصلحة"<sup>1</sup>، ويعني أيضا التلف والعطب والاضطراب والخلل والجذب والقحط<sup>2</sup>، وهذه المترادفات توحى بمعاني كثيرة منها: التعدي على المال وإتلافه وجعله لا يصلح الانتفاع به، ومنها: التعدي على النفس وإلحاق الضرر بها، أو التعدي على النفس والمال معا<sup>3</sup>.

تم التطرق إلى الفساد الاقتصادي من الناحية الشرعية في علم مقاصد الشريعة الإسلامية تحديدا في مقصد حفظ المال من جانب العدم، حيث تناول جل علماء المقاصد هذا العنصر بالتحليل-من خلال استقراء نصوص الشريعة- فأوردوا النصوص التي جاءت لحفظ المال من جانب العدم والتي تتعلق بتحريم أكل مال الغير من تعامل بالربا والقمار والنجش والظلم والعقود الفاسدة وتلقي الركبان والاحتكار وبخس الناس حقوقهم، والسرقة والغصب وقطع الطريق، ومن طرائق حفظ المال من جانب العدم أيضا النهي عن إضاعته بالتبذير أو الإسراف، والنهي عن اكتناز المال وحبسه بالشح والبخل، كما شرع عقوبات وحدود لمنع الظلم مثل حد السرقة وقطع الطريق، وشرع الضمان للتعويض حفظا للحقوق من الضياع<sup>4</sup>.

1- الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 1246.

2- المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص 688.

3- وكي الطيب، مساهمة آليات الاقتصاد الإسلامي في معالجة الفساد الاقتصادي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم الإسلامية، تخصص الاقتصاد الإسلامي، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر- باتنة (01)، 1439هـ-1440هـ/2018م-2019م، ص 03.

4- المرجع نفسه، ص 07.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**1- مظاهر الفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي:** كثرت مظاهر الفساد الاقتصادي في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي، بسبب كثرة الحروب بين سلاطين الدولة السلجوقية، وشيوع الظلم وانعدام الأمن وضعف السلطة السياسية واستغلال الوزراء والولاة ورجال الدولة ذلك، وحدوث الكوارث الطبيعية وانتشار الأوبئة الأمراض، لذا سنقوم برصد المظاهر التي شهدتها هذا العصر: في شهر شعبان سنة 493هـ زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد وعظم ضررهم<sup>1</sup>. ومن المظاهر التي حدثت أخذ أموال الناس من قبل جنود سلاطين السلاجقة، إذ جرى سنة 494هـ أن "...ضاقَت الأموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرج به على نفسه وعلى عساكره فأرسل إلى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب أن يعان بما يخرج به، فتقرر الأمر بعد المراجعات على خمسين ألف دينار حملها الخليفة إليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم إلى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم. ودعتهم الضرورة إلى أن ارتكبوا خطة شنعاء وذلك أنه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج.. ومعه أموال جلييلة المقدار فأخذوها منه..."<sup>2</sup>، ولما حوَّصر السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه في أصفهان من قبل أخيه السلطان بركياروق سنة 496هـ، وقع في ضيق شديد، فأخذ أموالاً عظيمة من أهلها كقرض، ثم تمرد عليه جنده، فأعاد أخذ الأموال مرة ثانية من سكان أصفهان، بالشدة والظلم والعذاب، مما سبب غلاء في الأسعار، ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل تم اقتلاع أخشاب المساجد وأبواب الدكاكين<sup>3</sup>.

وفي سنة 512هـ "أقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم، فاخفى أرباب الأموال وانتقل جماعة إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه وبطلت معاش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى أن بعض أهل بغداد زفت إليه امرأة تزوجها، فعلم بعض أصحاب منكبرس فأتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلاً ونهاراً واستغاث الناس لهذه الحال وأغلقوا الأسواق..."<sup>4</sup>، وأعيدت المكوس والمواصير في سنة 515هـ، وألزم الباعة أن يرفعوا إلى السلطان محمود بن محمد ثلثي ما يأخذونه من الدلالة في كل

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 29.

2- المصدر نفسه، ج 9، ص 33.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 79.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 177.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

ما يباع، وفرض على كل نول من السقلاطون ثمانية أقساط وحبّة، ثم قيل للباعة: زنوا خمسة آلاف شكرا للسلطان فقد تقدم بإزالة المكس<sup>1</sup>.

أما أبو طالب السميّمي (ت 516هـ) وزير السلطان السلجوقي محمود بن محمد، فقد أعاد فرض المكوس بالعراق بعد أزيلت لمدة عشر سنين<sup>2</sup>. وعندما دخل السلطان سنجر سنة 529هـ إلى مدينة غزنة احتوى على جميع ما فيها وجبى أموالها<sup>3</sup>.

وفي السنة الموالية ثار العيارون ببغداد وسائر محالها وأفسدوا ونهبوا وقتلوا، كما أرسل عماد الدين زنكي جنده لنهب الحرم الظاهري ببغداد، فأخذ منه من الأموال الكثير، والتي أخذها العيارون من الناس، ولكن عساكر زنكي نهبوا أماكن أخرى قرب الحرم الظاهري<sup>4</sup>. وبعد سنة تم إعادة الجباية من العقار ومضاعفتها، ثم قطعت الجبايات، ووقعت مصادرات لأهل الأموال، إلى درجة أخذ أحدهم على رأس جمال ليصادر<sup>5</sup>، وكذلك في سنة 532هـ ثار العيارون ببغداد ونهبوا الأموال وقتلوا الرجال وزاد أمرهم حتى كانوا يقصدون أرباب الأموال ظاهراً ويأخذون منهم ما يردون ويحملون الأمتعة على رؤوس الحمالين<sup>6</sup>. وزاد أمر العيارين في سنة 538هـ وكثر بسبب اتفاقهم مع ابن الوزير وابن قاروت أخ زوجة السلطان مسعود، على تسليم جزء مما يأخذونه لهما<sup>7</sup>.

هذه أهم مظاهر الفساد الاقتصادي التي ذكرتها المصادر واستقصتها لنا إبان فترة حكم السلاجقة، غير أنّ الملاحظ هو سكوت أغلبية المصادر المعاصرة لهذه الفترة عن التطرق لتلك المظاهر التي كثرت وشاعت بشكل صعب علينا مهمة الإحاطة بها، حتى يصبح في وسعنا معالجتها والتعرف عليها والإمساك بمختلف الحشيات التي تحيط بها، والأسباب التي أدت إليها والنتائج والآثار التي انجرت عنها.

### 2- تصدي العلماء لمظاهر الفساد الاقتصادي إبان العصر السلجوقي: بالرغم من مظاهر

الفساد التي شاعت في العصر السلجوقي، والتي كان المتسبب فيها بعض السلاطين وموظفيهم، لكن بالمقابل قام السلاطين كذلك بالتصدي لهذه المظاهر، حيث في سنة 479هـ أسقط السلطان السلجوقي ملكشاه المكوس

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 198.

2- المصدر السابق، ج 17، ص 212.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 284.

4- المصدر نفسه، ج 9، ص 291.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 312.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 305.

7- المصدر نفسه، ج 9، ص 329.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

والاجتيازات بالعراق<sup>1</sup>، وكذلك وزيره نظام الملك هو الآخر أسقط المكوس والضرائب<sup>2</sup>، أما ابنه عز الملك فقد "أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه في الإطلاقات من خاصة منها ببغداد مائتا كرّ غلة وثمانية عشر ألف دينار أميري"<sup>3</sup>، وأسقط إسماعيل بن سلاجق الذي كان شحنية الري في عهد السلطان ملكشاه، شيئاً من المكوس في البصرة لما استولى عليها سنة 495هـ<sup>4</sup>، كما رفع قلعج أرسلان سلطان سلاجقة الروم الرسوم المحدثّة في الظلم، حينما استولى على الموصل سنة 500هـ<sup>5</sup>، وفي شعبان سنة 501هـ "أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغلا ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الألواح وجعلت في السوق..."<sup>6</sup>، وعزم السلطان محمود بن محمد على أخذ حق البيع وتحديد المكوس بالعراق بإشارة وزيره السميّمي سنة 515هـ، ولكن تراجع عن قراره بسبب احتراق دار السلطان ببغداد وجامع أصبهان، فهاله ذلك واتعظ وأعرض عنه<sup>7</sup>، وبعد مقتل وزيره السميّمي سنة 516هـ الذي فرض المكوس، قام السلطان محمود بإطلاق ما كان جده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة<sup>8</sup>.

حاول السلطان مسعود استئصال العيارين بسبب استيلائهم على أموال الناس، فحاصروهم في سنة 530هـ مدة نيف وخمسين يوماً، لكنه لم يستطع إنهاء أمرهم<sup>9</sup>، كما حاول شحنية بغداد استئصالهم أيضاً، حيث ثاروا مرة أخرى بسبب رحيل السلطان مسعود عن بغداد، فأفسدوا في المدينة وفتكوا بأهلها ونهبوا الأموال وكثر شرهم، فعزم شحنية بغداد على تتبعهم وطلبهم، حيث قصد شارع دار الدقيق، ولكنه واجه ثورة أهل المحال الغربية من بغداد، فقاتلهم وأحرق الشارع، مما أدى احتراق كثير من الناس، وقام الناس بنقل أموالهم إلى الحرم الظاهري، فدخله شحنية بغداد ونهب منه ما لا كثيراً<sup>10</sup>. وفي سنة 532هـ تم القضاء على زعيم العيارين ابن بكران، يقول ابن الأثير: "في هذه السنة في ذي الحجة، عظم أمر ابن بكران العيار ببغداد والعراق وكثرت أتباعه وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين، وخافه الشريف أبو الكرم الوالي ببغداد، فأمر أبا القاسم ابن أخيه حامي باب

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص450.

2- المصدر نفسه، ج8، ص481.

3- المصدر نفسه، ج8، ص496.

4- المصدر نفسه، ج9، ص52.

5- المصدر نفسه، ج9، ص105.

6- المصدر نفسه، ج9، ص122.

7- المصدر نفسه، ج9، ص211.

8- المصدر نفسه، ج9، ص216.

9- المصدر نفسه، ج9، ص291.

10- المصدر نفسه، ج9، ص294.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الأزج أن يشتد إليه ويلبس سراويل فتوة منه ليأمن من شره، وكان ابن بكران يكثر المقام بالسواداة ومعه رفيق له يعرف بابن البزاز فانتهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة في الأنبار، فأرسل الشحنة والوزير شرف الدين الزينبي إلى الوالي أبي الكرم، وقالوا: إما أن تقتل ابن بكران وإما أن تقتلك؟ فأحضر ابن أخيه وعرفه ما جرى وقال له: إما أن تختارني ونفسيك وإما أن تختار ابن بكران؟ فقال: أنا أقتله. وكان لابن بكران عادة يجيء في بعض الليالي إلى ابن أخي أبي الكرم فيقيم في داره ويشرب عنده، فلما جاء على عادته وشرب أخذ أبو القاسم سلاحه ووثب به فقتله، وأراح الناس من شره، ثم أخذ بعده يسير رفيقه ابن البزاز، وصلب وقاتل معه جماعة من الحرامية فسكن الناس واطمأنوا وهدأت الفتنة...<sup>1</sup>، وبعد تولي كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وزارة السلطان مسعود سنة 532هـ، أزال المكوس ورفع المظالم<sup>2</sup>.

وأزال السلطان مسعود لما قدم إلى بغداد سنة 533هـ، المكوس وكتب الألواح بإزالتها ووضعت على أبواب الجوامع والأسواق، كما أمر ألا ينزل الجنود في دور الناس إلا بإذن، فكثرت الدعاء له والثناء عليه<sup>3</sup>. ولما رأى السلطان مسعود في سنة 536هـ تبسط العيارين وفسادهم في بغداد، ساء ذلك فأعاد مجاهد الدين بهروز إلى شحنة بغداد، فتاب كثير منهم، غير أن الناس لم ينتفعوا بذلك، بسبب علاقة ابن الوزير وابن أخ زوجة السلطان بالعيارين<sup>4</sup>. وأمر السلطان مسعود في سنة 538هـ بقطع دابر العيارين ومعهم ابن الوزير وابن أخ زوجته، يقول ابن الأثير: "وفي هذه السنة، زاد أمر العيارين، وكثر لأمنهم من الطلب، بسبب ابن الوزير وابن أخ قاروت، أخي زوجة السلطان، لأنهما كان لهما نصيب من الذي يأخذه العيارون، وكان النائب في شحنة بغداد، مملوكا اسمه أيلدكر، وكان صارما مقداما ظالما، فحمله الإقدام إلى أن حضر عند السلطان، فقال له السلطان: إن السياسة قاصرة، والناس قد هلكوا، قال: يا سلطان العالم إذا كان عقيد العيارين ولد وزيرك وأخا امرأتك، فأبي قدرة لي على المفسدين، وشرح له الحال، فقال له: الساعة تخرج وتكبس عليهما أين كانا، وتصلبهما، فإن فعلت، وإلا صلبتك، فأخذ خاتمه وخرج، فكبس على ابن الوزير، فلم يجده فأخذ من كان عنده، وكبس على ابن قاروت، فأخذه وصلبه، فأصبح الناس، وهرب ابن الوزير، وشاع الأمر ورئي ابن قاروت مصلوبا، فهرب أكثر العيارين، وقبض على من أقام، وكفي الناس شرهم..."<sup>5</sup>.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص306.

2- المصدر نفسه، ج9، الصفحة نفسها.

3- المصدر نفسه، ج9، ص311.

4- المصدر نفسه، ج9، ص324.

5- المصدر نفسه، ج9، ص329.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لقد ثمن العلماء هذه الخطوات التي قام بها بعض سلاطين السلاجقة ووزرائهم ورجال دولتهم، من إبطال للمكوس ورفعها وإلغاء الضرائب ومواجهة العيارين ومع وافقهم من رجال الدولة السلجوقية، كل ذلك دفعهم لمواصلة مهمتهم في التصدي لمظاهر الفساد الاقتصادي من خلال النقاط التالية:

**أ- موقفهم من البغاة والمفسدين واللصوص وقطاع الطرق:** من مظاهر الفساد الاقتصادي كثرة البغاة والمفسدين واللصوص وقطاع الطرق الذي يتسببون في انعدام الأمن وشيوع الخوف والذعر بين الناس، وبخاصة التجار الذين يمتنعون عن جلب السلع والمنتجات التي يحتاجها المجتمع، فتقل في الأسواق مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار والاحتكار، كما كانوا يستغلون فترات الحروب بين السلاطين لترويع الناس وقتلهم وأخذ ممتلكاتهم ونهب الأسواق وتخريب الحوانيت، لذلك كله عمل العلماء على إبداء موقفهم منهم، فقد اعتبر الماوردي أن ما تصلح به الدنيا ستة أشياء، ذكر منها أمن عام؛ تطمئن إليه النفوس، وتنتشر فيه المم، ويسكن فيه البريء، ويأمن به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة. إذ الأمن المطلق ما عم، والخوف قد يتنوع تارة ويعم، فتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال؛ وعمومه أن يستوعب جميع الأحوال، ولكل واحد من أنواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن<sup>1</sup>.

أشار الجويني إلى أن الإمام/السلطان يناط به إعطاء الحقوق لمستحقيها وتبليغ الحظوظ إلى ذويها، وكف المعتدين وحسم معاني الغي والفساد، حتى تنتظم أمور الدنيا ويستمد منها الدين الذي إليه المنتهى<sup>2</sup>، كما يجب على الإمام/السلطان نفض بلاد الإسلام عن أهل العرامة والمتلصصين والمترصدين للرفاق، حتى تنتفض البلاد عن كل غائلة وتتمهد السبل للسابلة<sup>3</sup>، ويقول كذلك: "وأما نفض أهل العرامة من خطة الإسلام، ففيه انتظام الأحكام، ولا تصفو نعمة عن الأقداء، ما لم يأمن أهل الإقامة والأسفار من الأخطار والأغرار، فإذا اضطربت الطرق، وانقطعت الرفاق، وانحصر الناس في البلاد، وظهرت دواعي الفساد، ترتب عليه غلاء الأسعار وخراب الديار، وهواجس الخطوب الكبار، فالأمن والعافية قاعدتا النعم كلها، ولا يهنأ بشيء منها دونها"<sup>4</sup>، فعلى الإمام/السلطان المبادرة لمواجهتهم بتكليف جماعة من ذوي الحزم والبأس للقيام بهذه المهمة، قبل أن تقوى شوكة المتلصصين ويكثر جمعهم وتعظم قوتهم، وذلك في جميع أقاليم الدولة<sup>5</sup>.

1- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص 139.

2- الغياثي...، المصدر السابق، ص 327.

3- المصدر نفسه، ص 341.

4- المصدر نفسه، ص 347-348.

5- المصدر نفسه، ص 348.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

يواصل الجويني الكلام عن البغاة والصوص والمفسدين وقطاع الطرق، بقوله: "وأما زجره الغواة، وردع الطغاة، بضروب العقوبات، فنبسط فيه القول قليلا في أحكام الإيالات، فنقول: القول في ذلك ينقسم إلى الزجر بنصب القتال، وإلى إقامة عقوبات ونكال على آحاد من الرجال. فأما القتال، فالقول فيه يتعلق بقتال أهل البغي، وتفصيل صفاتهم وحالاتهم، ودفعهم عن البلاد التي احتلوا عليها بتقديم العذر أولا، وبالمباحثة عما نقموه، وإسعافهم بمناهم، إن دعوا إلى الحق، وادعوا على صدق، وإبانة حيدهم عن سنن الصواب، إن عرثهم شائبة الارتياب. فإن أبوا آذنتهم بحرب... ويتعلق القتال بقطاع الطرق والراصدين للطارقين والمجاهدين بشهر الأسلحة... وكل من امتنع عن الاستسلام للإمام والإذعان لجريان الأحكام، فإن لم يكن مع الامتناع منعة وشوكة، اقتهر على الطاعة وموافقة الجماعة. وإن استظهر الممتنعون بشوكة، دعوا إلى الطاعة، فإن عادوا، فذاك، وإلا صدمهم الإمام بشوكة تفض صدمتهم، وتفل غربهم ومنعتهم..."<sup>1</sup>.

أما ابن الجوزي فقد حذر السلاطين ممن يحسن لهم الانبساط في المعاصي ويلبس عليهم بأن حفظهم للسبيل وأمن البلاد يدفع عنهم العقاب، ويذكرهم بأنهم ولوا ليحفظوا البلاد ويؤمنوا السبيل، فهو واجب عليهم<sup>2</sup>. وبخصوص العيارين فإن ابن الجوزي قد استنكر ما يقومون به من أخذ أموال الناس بغير حق، يقول في ذلك: "ومن هذا الفن تلبيسه-أي الشيطان-على العيارين في أخذ أموال الناس، فإنهم يسمون بالفتيان، ويقولون: الفتى لا يزني ولا يكذب، ويحفظ الحرم، ولا يهتك ستر امرأة، ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس، وينسون تقلي الأكباد على الأموال، ويسمون طريقتهم الفتوة..."<sup>3</sup>. لهذا لا نستغرب سكوته على ما قام به السلطان مسعود من القضاء عليهم واستئصالهم بما فيهم رجال مقربين من البيت السلجوقي كما رأينا، مما يعني اعتبار العيارين ضمن البغاة والمفسدين وقطاع الطرق والصوص، في نظر ابن الجوزي، وأبي المعالي الجويني، وبالتالي يعد موقف العلماء متماهيا مع الجهود المبذولة من قبل السلطة السلجوقية، فكان ما أقروه من أحكام متعلقة بالبغاة وقطاع الطرق والمفسدين والصوص، نبراسا ودليلا للسلاطين لمواجهةهم بشكل صارم وحازم، فسعوا على الأقل إلى تخفيف وطأة هؤلاء على رقاب الناس وأموالهم وأرزاقهم وأعراضهم ودمائهم.

1- الغياشي...، المصدر السابق، ص 348-349.

2- تلبيس إبليس، المصدر السابق، ص 754.

3- المصدر نفسه، ص 238.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

كما تكلم العلماء عن الغضب، حيث عرفه أبو الوفاء بن عقيل بقوله: "والغضب الاستيلاء على مال الغير على وجه التعدي"<sup>1</sup>، وعُدَّ الماوردي الغضب من جملة المنكر والبغي، وكذلك من الباطل، ومن جملة الظلم أيضاً<sup>2</sup>، واتفق كل من الماوردي وأبي إسحاق الشيرازي وابن هبيرة على تحريمه<sup>3</sup>، فاستدعى ذلك ضمان ما تم غصبه، حيث ذكر الغزالي بأنَّ للضمان ثلاثة أركان؛ أولها الموجب الذي يحتوي على ثلاثة أمور: التفويت بالمباشرة، أو التسبب، أو إثبات اليد العادية، وثانيها الموجب فيه الذي هو كل مال مغصوب، وثالثها الواجب الذي ينقسم إلى المثل والقيمة<sup>4</sup>. وقرر الماوردي ثلاثة أحوال المغصوب؛ أحدها أن يكون باقياً، والثاني أن يكون تالفاً، والثالث أن يكون ناقصاً<sup>5</sup>.

إن تأكيد العلماء على قطع دابر البغاة والمفسدين وقطاع الطرق واللصوص، لا يتأتى إلا بقتالهم وإقامة الحدود عليهم وتعزيزهم، وبالمقابل أكدوا على ضرورة تفصيل أحكام الغضب حتى يتم ضمان ما تم غصبه وفق رؤية فقهية دقيقة تضمن حقوق الناس التي تم غصبها، فلا يكفي معاقبة المعتدين وإنما يتم إلزامهم بضمان ما اغتصبوه.

**ب- تنظيم العلماء للأسواق:** يطلق السوق على المكان الذي يلتقي فيه البائعون والمشترون، وقد استمر هذا المعنى متعارفاً عليه منذ أمد بعيد<sup>6</sup>.

إنَّ تنظيم العلماء للأسواق يندرج ضمن جهود الرامية للتصدي لمظاهر الفساد خلال العصر السلجوقي، نظراً لاعتبار الأسواق محور المعاملات الاقتصادية التي تتم بين البائعين والمشتريين، وتكثر فيها التجاوزات التي تحصل بين الطرفين، فعملوا على تلافي وقوع كل ذلك، من خلال الأمور التالية:

**1- شروحه المنافسة بين التجار في الأسواق:** شدد العلماء على تقييد المنافسة بين التجار، حيث تم الحرص على توفير الظروف الملائمة لتفاعل حقيقي متكافئ بين مسألة العرض والطلب لتحقيق السعر العادل الذي يقود إلى التخصيص الأمثل للسلع، وما تشريعات الامتناع عن التسعير عند سيادة الظروف الطبيعية، والنهي عن الاحتكار والغش وبيع الحاضر للباد وتلقي الركبان، إلا أمثلة على الحرص المتزايد من قبل العلماء<sup>7</sup>، إذ أشار

1- التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، ط1، الرياض، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، 1422هـ/2001م، ص154.

2- الحاوي... المصدر السابق، ج7، ص133.

3- المصدر نفسه، ج7، الصفحة نفسها، الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق وتعليق وبيان الراجح في المذهب بقلم الدكتور محمد الزحيلي، الجزء الثالث، ط1، دمشق دار القلم، بيروت، الدار الشامية، 1417هـ/1996م، ص411، ابن هبيرة، المصدر السابق، ج2، ص42-43.

4- الوجيز... المصدر السابق، ج1، ص379-382.

5- الحاوي... المصدر السابق، ج7، ص136.

6- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص99.

7- المرجع نفسه، ص105.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الغزالي إلى وجوب العدل واجتناب الظلم في المعاملة<sup>1</sup>، حيث ينبغي عدم إلحاق الضرر بالمسلم من قبل المعامل، والضابط الكلي فيه كما يرى الغزالي هو: أن لا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه؛ فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به، ولا يتأتى ذلك في نظر الغزالي إلا بأربعة أمور، وهي: أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها، وأن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً، وأن لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئاً، وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لا تمتنع عنه<sup>2</sup>.

وأكد الراغب الأصفهاني على جودة السلع وفي جميع الأعمال، بقوله: "واعلم أن كل فعل يحتاج فيه إلى إيجاده وتزيينه وتجويده دنوباً كان أو أخروياً"<sup>3</sup>، وكذلك أثنى على الجود والرفع من قدره، قائلاً: "فالرفيع من تحرى الحذق في صناعته وأقبل على عمله وطلب مرضاة ربه بقدر وسعه، وأدى الأمانة بقدر جهده"<sup>4</sup>، وبالمقابل يرى الغزالي وجوب إظهار عيوب السلعة ويحذر من إخفائها، يقول: "أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئاً، فذلك واجب. فإن أخفاه كان ظالماً غاشياً والغش حرام، وكان تاركاً للنصح في المعاملة والنصح واجب، ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني غاشياً، وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله.... فقد فهموا (الصحابة رضوان الله عليهم) من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس؛ لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين:

-أحدهما: أن تلبسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يحرقه ويذهب بركته... قال صلى الله عليه وسلم: {البيعان إذا صدقا ونصحا بوركا لهما في بيعهما، وإذا كتما وكذبا نزعنا بركة بيعهما} وفي الحديث: {يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما} فإذا: لا يزيد مال من خيانة، كما لا ينقص من صدقة.

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 516.

2- المصدر نفسه، ص 518-519.

3- الذريعة إلى مكارم الشريعة، المصدر السابق، ص 135.

4- المصدر نفسه، ص 266.



## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-والمعنى الثاني؛ الذي لا بد من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه: أن يعلم أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها؛ فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والخير كله في سلامة الدين...<sup>1</sup>، فالغزالي يربط بيان عيوب المنتج بعقيدة الفرد، لأن تسويق المنتجات المتضمنة للعيوب بربح مرتفع هو تصريف منزوع البركة، يعرض صاحبه لخسران الدار الآخرة التي ترتبط كل معاملات وأعمال المسلم بإعمارها. كما رد على من يعتقد بتوقف أو ضالة المبادلات إذا طبقت خطوة بيان العيوب<sup>2</sup>، بقوله: "ليس كذلك؛ إذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه ثم يقنع في بيعه بربح يسير، فيبارك الله له فيه، ولا يحتاج إلى تلبيس، وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير، وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس، فمن تعود هذا لم يشتر المعيب، فإن وقع في يده معيب نادرا فليذكره وليقنع بقيمته..."<sup>3</sup>.

حذّر الغزالي كذلك من مسألة الثناء على السلعة بما ليس فيها، واعتبره كذبا، فإن اشتراها المشتري على ضوء ذلك، فهو تلبيس وظلم مضافان إلى الكذب في نظره، وإن لم يشتريها، صار الثناء عليها بالكذب مسقطا للمرأة، وحتى إن أثني على السلعة بما فيها، فقد عدّ ذلك هذيانا وتكلم بكلام لا يعنيه البائع، كما أنه سيحاسب على كل كلمة تصدر منه<sup>4</sup>. غير أنه استثنى أن يثني البائع على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره، ومثّل لذلك بوصف الأخلاق الخفية للعبيد والجواري والدواب، وأباح ذكر القدر الموجود من هذه الأخلاق بدون مبالغة ولا إطناب، حتى يكون المقصد أن يعرفه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته.

أما بخصوص الترويج للسلعة فقد أشار الغزالي إلى تجنب الحلف (القسم) لأجل ذلك، إذ في حالة كذب البائع فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر، أما إن كان صادقا فقد جعل الله عريضة لأيمانه، وقد أساء فيه<sup>5</sup>. كل هذه التوجيهات من قبل الغزالي تبين حرصه وباقي العلماء على ضرورة حماية المشتري من السلع الرديئة، ومواجهة التجار الذي يروجون لها في الأسواق ويبيعون على أنها سلع صالحة وجيدة.

ينتقل الغزالي لتسليط الضوء على قضية التسعير أو وضعية الأسعار في الأسواق، فقد طالب التاجر بالصدق في سعر الوقت وعدم إخفاء شيء منه، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم عن تلقي الركبان ونهى عن النجش وبيع

1-أحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 519-521.

2-عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 107.

3-أحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 521.

4-المصدر نفسه، ص 519.

5-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

حاضر لباد، فهذه المناهي تدل على أن لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه أمرا لو علمه لما أقدم على عقده، ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب، كما أكد على "أنه ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار، فإن فعل ذلك كان ظالما تاركا للعدل والنصح للمسلمين"<sup>1</sup>، ولا يخفى تأكيده على أهمية معرفة قوى السوق بالأسعار، ليس على سبيل التخيير، بل بإلزام تقتضيه الضوابط الشرعية التي تنهى عن الغش، وعن بعض صور المعاملات، مع التأكيد على أن مخالفة ذلك تتعارض مع واجب النصح الذي أمر به المسلم<sup>2</sup>.

وفي السياق ذاته شدد الغزالي كذلك على ضرورة عدم كتم أي شيء من المقادير، حيث يجب على البائع تعديل الميزان والاحتياط فيه، ونفس الأمر في الكيل، مذكرا إياه بآية المطففين، ونصحه بأن يرجح إذا أعطى، وينقص إذا أخذ، إذ العدل الحقيقي قلما يتصور، وبالمقابل يرى أن التطفيف يدخل فيه كل من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل، وكل قصّاب وزن مع اللحم عظما لم تجر العادة بمثله، فهو من المطففين في الوزن، وقس على ذلك سائر التقديرات، حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز، فإنه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يمدده مدا، وإذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر، فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل<sup>3</sup>.

تلك أهم شروط المنافسة بين التجار في الأسواق التي حددها العلماء خلال العصر السلجوقي، حيث أكدوا على ضرورة التقيد بأحكام الشريعة الإسلامية والانقياد إليها، حتى تتحقق الغاية ويقطع دابر الفساد الاقتصادي الذي يسببه الإخلال بأي شرط من هذه الشروط، فتضطرب وضعية الأسواق ويأكل التجار أموال الناس بالباطل.

**2- محاربة الاحتكار:** الاحتكار هو "الادخار للمبيع وطلب الربح بتقلب الأسعار"<sup>4</sup>، لذا تطرق العلماء لمسألة الاحتكار وخطورته في الإخلال بنظام السوق وقانون العرض والطلب واستغلال الأزمات في سبيل رفع الأسعار أكثر من اللازم، مما يؤثر على حياة الناس وتضييق معيشتهم، فإنقاص عرض السلع في السوق يشكل المضمون الرئيسي للاحتكار، فلا احتكار ما لم يكن هناك إنقاص في العرض، إلا أنه ليس كل شكل لإنقاص

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص523.

2- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص109.

3- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص522-523.

4- الباجي، المنتقى شرح موطأ مالك، ج5، ص15، نقلا عن عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص112.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

العرض يعد احتكاراً، ولهذا فرق العلماء بين إنقاص العرض وتنظيمه، وبين السحب من المعروض وتخزين الاستيراد أو الإنتاج الذاتي، وبين التخزين للاستهلاك والتخزين للتبادل، وبين السوقين الصغيرة والكبيرة<sup>1</sup>.

يقول الماوردي: "وأما الأقوات فلا يكره احتكارها مع سعة الأقوات ورخص الأسعار؛ لأنَّ احتكارها عند الحاجة إليها، أما احتكارها مع الضيق والغلاء وشدة الحاجة إليها فمكروه ومحرّم... ولو اشتراها في حال الغلاء والضيق طالبا لربحها لم يكن احتكاراً"<sup>2</sup>، لقد أشار إلى أن تنظيم العرض بالشراء في الظروف العادية أو الاضطرارية دون حبس لا يعد احتكاراً، بخلاف الشراء في الظروف الاضطرارية مع الحبس، فإنه احتكار لتضمنه لإنقاص العرض<sup>3</sup>.

أما أبي إسحاق الشيرازي هو الآخر اعتبر الاحتكار في الأقوات محرّماً، خصوصاً إذا ابتاع التاجر الأقوات في وقت الغلاء، وقام بإمسакها ليزداد ثمنها، وبالمقابل يرى أنه إذا ابتاع التاجر في وقت الرخص، أو جاءه من ضيعته طعام، فأمسكه، ليبيعه إذا غلا، فلا يحرم ذلك، لأنه في معنى الجالب الداخل تحت قوله عليه الصلاة والسلام: {الجالب مرزوق والمحترى ملعون}<sup>4</sup>، وأجاز أبو إسحاق الشيرازي الاحتكار في غير الأقوات<sup>5</sup>.

قام الغزالي بتحديد ماهية الاحتكار بادخار بائع الطعام للطعام، منتظراً غلاء الأسعار، وعدّ ذلك ظلماً عاماً وصاحبه مذموم في الشرع<sup>6</sup>، واعتبر أنَّ احتكار الأقوات حرام وأجاز احتكار غير الأقوات بضوابط، يقول: "واعلم: أنَّ النَّهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس. أما الجنس فيطرد النهي في أجناس الأقوات، أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله، فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعوماً. وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسداً يغني عن القوت في بعض الأحوال وإن كان لا يمكن المداومة عليه، فهذا في محل النظر؛ فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه..."<sup>7</sup>. كما ربط الاحتكار أيضاً بالضرر حال الأزمات، أما في الظروف العادية فتزداد بين اطراد النهي ونفي الإضرار قائلاً: "وأما الوقت فيحتمل أيضاً طرد

1- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص113.

2- الحاوي...، المصدر السابق، ج5، ص411.

3- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص113.

4- المصدر السابق، ج3، ص146.

5- المصدر نفسه، ج3، ص147.

6- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص516.

7- المصدر نفسه، ص517.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

النهى في جميع الأوقات.. ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر ما، فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطا، فليس في هذا إضرار. وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار، فينبغي أن يقضي بتحريمه ويعول في نفي التحريم وإثباته على الضرر، فإنه مفهوم قطعا من تخصيص الطعام، وإذا لم يكن ضرر فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية، فإنه ينتظر مبادئ الضرر وهو ارتفاع الأسعار، وانتظار مبادئ الضرر محذور كانتظار عين الضرر ولكنه دونه، وانتظار عين الضرر أيضا هو دون الإضرار، فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم...<sup>1</sup>، وواصل الكلام بالإشارة إلى التجارة في الأقوات، إذ لم يستحب ذلك لأن فيها طلب الربح في الأقوات، التي هي أصول خلقت قواما، والربح من المزايا، فيرى وجوب طلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق إليها<sup>2</sup>.

وقام ابن هبيرة بإيراد ما قاله أئمة المذاهب الأربعة عن الاحتكار:

-اتفقوا على كراهية الاحتكار<sup>3</sup>.

-واختلفوا: في صفته، فقال أبو حنيفة: الممنوع منه أن تبتاع طعاما من مصر، أو من مكان قريب من المصر يحمل طعامه إلى المصر، وذلك مصر صغير يضر به هذا، فإن كان مصرا كبيرا لا يتضرر بذلك لم يمنع منه. وقال مالك: لا يجوز احتكار ما يضر بالمسلمين في أسواقهم من الطعام وغيره، كذا ذكره الجلاب مطلقا من غير تقييد بصغر مصر ولا كبره، وقال أحمد: هو أن يشتري الطعام من المصر ويمتنع من بيعه، ويكون ذلك مضرا بأهل المصر سواء كان المصر صغيرا أو كبيرا، أو كان الجلب قريبا منه أو بعيدا، وقال الشافعي: صفة الاحتكار أن يشتري من الطعام ما لا يحتاج إليه في حال ضيقه وغلائه على الناس فيحبسه عنهم، فأما إذا اشترى في حال سعته وحبسه ليزيد، أو كان له الطعام من زرعه فحبسه جاز ما لم يكن بالناس ضرورة<sup>4</sup>.

تحدث إمام الحرمين عن الاحتكار بقوله: "المحتكر هو الذي يحبس الطعام حتى تزداد الأسعار غلاء وارتفاعا..."<sup>5</sup>، واعتبر الحكمة من تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس، يقول في ذلك: "قال

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 517.

2- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3- المصدر السابق، ج 1، ص 442.

4- المصدر نفسه، ج 1، ص 443.

5- نهاية المطلب في دراية المذهب، حققه وصنع فهارسه أ.د عبد العظيم محمود الديب، الجزء 06، ط 1، جدة، دار المنهاج للنشر

والتوزيع، 1427هـ/2007م، ص 64.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الأصحاب: المحتكر الذي يلحقه اللعن والوعيد صاحب مال يشتري الطعام ويحبسه ولا يتركه حتى يشتريه المساكين والضعفاء، فأما من يشتري الطعام وقت الرخص وكساد الأسواق، ويحبسه لبيعه إذا غلا، فلا بأس، فإن أصل احتكاره وتربصه كان في رخاء الأسعار، حيث لا ضرار، وربما يكون ما ادخره قائما مقام الدخر للناس، ولولاه لكان يضيع، ويتفرق. وكذلك من اتفقت له غلة من ضيعته، فحبسها على أي قصد أراد، لم يتعرض للوعيد...<sup>1</sup>.

وفي السياق ذاته لم تتوقف محاربة الاحتكار من قبل العلماء على تبين ماهيته وحرمة، بل دعوا إلى خطوات عملية للقضاء عليه واستئصاله نهائيا، نتيجة الضرر الذي يسببه والمفسدة التي يجلبها للناس، لذا أناط الماوردي بالمحتسب مهمة التصدي للمحتكرين، يقول: "وإذا رأى المحتسب أحدا قد احتكر الطعام من سائر الأقوات وهو أن يشتري ذلك في وقت الغلاء ويتربص به ليزداد في ثمنه؛ ألزمه بيعه إجبارا؛ لأنَّ الاحتكار حرام والمحتكر ملعون...<sup>2</sup>"، فالزام المحتسب المحتكرين ببيع الطعام إجباريا يعد في نظر الماوردي إجراء يحول دون وقوع المفسدة، وبالتالي يتم القضاء على الاحتكار ومحاربة المحتكرين من خلال جهاز الحسبة. وذكر الحنفية بأنَّ لولي الأمر وعظ المختكرين وزجرهم وحبسهم وتعزيزهم<sup>3</sup>.

إنَّ الشارع الحكيم عندما جاء بتحريم الاحتكار والنهي عنه أتى بعدد من التشريعات الوقائية التي تسهم في تضيق إمكانية حدوث الاحتكار، ومن ذلك النهي عن تلقي الركبان وعن بيع الحاضر للبادي، ومع أهمية ذلك كأسلوب وقائي لمنع وقوع الاحتكار، إلا أن عرض العلماء لظاهر الاحتكار ومناقشتهم لها لم تصحب بعرض لهذين النهيين، إذ ناقشوهما في مواضع أخرى<sup>4</sup>.

**3- محاربة التعاملات المالية المحرمة:** الثابت أنَّ الإباحة هي القاعدة الأساسية في التشريع الإسلامي عموما، إلا ما حرم بنص، ومن ذلك التعاملات المالية، فإنها مباحة في مجملها إلا ما أدى منها إلى إلحاق الضرر بالفرد والمجتمع، مثل الربا، وبيع الخمر، وبيع الغرر، وبيع التمر قبل نضجه، وبيع المزبنة والنجش، وبيع السلاح في أوقات الفتن. ولأنَّ العلماء كانوا ضمن النسيج الاجتماعي، فلم يكونوا بمعزل عن حياة المجتمع وممارسته الاقتصادية، وعلى اطلاع بما كان يحدث من مخالفات في التعاملات المالية بين الناس، فقد قاموا بجهود نظرية وعملية في مواجهة هذه

1- المصدر السابق، ج6، ص65.

2- الرتبة في طلب الحسبة، المصدر السابق، ص148.

3- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص125.

4- المرجع نفسه، ص123.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

المخالفات، فبينوا لمعاصريهم، ولغيرهم من الأجيال الإسلامية ما حرم من المعاملات المالية، ثم حذروهم من التعامل بها، بعد أن بينوا أضرار تلك التعاملات على الفرد والمجتمع.

**1- الربا:** يأتي الربا في سياق الانحرافات الاقتصادية التي ظهرت نتيجة لطغيان الأنانية والأطماع والاستغلال والانتهازية، على مساحة الإيثار والإحسان والمعروف في نفوس الناس. كما نظر الإسلام إلى الربا بوصفه وسيلة لاستغلال الإنسان لحاجة أخيه الإنسان، تزيد الأغنياء غنا والفقراء فقرا، فضلا عن أنها تعطيل للمال بوصفه طاقة فاعلة، يفترض أن توجه إلى مجالات الإنتاج، فدورة الربا غير منتجة، إلى جانب أن الربا يتعارض مع قيم التعاون والتكافل. لذا نظر العلماء إلى الربا بوصفه آفة اقتصادية، فحذروا معاصريهم من الوقوع فيها<sup>1</sup>، مدركين خطورة انتشار الربا وأثره السلبي على المعاملات المالية المختلفة التي تجري بين المسلمين وغيرهم، إذ يؤدي إلى سيطرة فئة صغيرة على الأموال على حساب الغالبية العظمى من الناس، فعملوا على تجلية حقيقة الربا وخطورته وحكم الشرع فيه، وكيفية محاربتهم.

تحدث الماوردي عن الربا قائلا: "في الربا. وقد حرمه الله تعالى، وشدد الأمر فيه، ويجب الاحتراز منه على الصيارفة والمتعاملين على النقدين، وعلى المتعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو طعام..."<sup>2</sup>، كما ذكر الجويني بأن الله تعالى حرم الربا وتوعد عليه<sup>3</sup>، وكذلك أبو إسحاق الشيرازي أكد على تحريمه<sup>4</sup>، وأيضاً الغزالي ذكر أن الله تعالى قد حرمه وشدد الأمر فيه<sup>5</sup>.

حدد الجويني ستة أشياء يحرم فيها الربا هي: الدراهم والدنانير والشعير والبر والتمر والملح<sup>6</sup>، واتفق معه أبو إسحاق الشيرازي الذي يرى أن الأعيان التي نص على تحريم الربا فيها، هي: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح<sup>7</sup>. أما الماوردي والغزالي فقد بيّنا أنواع الربا وكيفية التعامل معها وفق الضوابط التالية:

-على الصيرفي أن يحتز من النسيئة والفضل؛ أما النسيئة: بأن لا يبيع شيئا من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين إلا يدا بيد، وهو أن يجري التقابض في المجلس، وهذا احترازا من النسيئة وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 507-508.

2- الرتبة في طلب الحسبة، المصدر السابق، ص 151.

3- نهاية المطلب...، المصدر السابق، مج 5، ص 64.

4- المصدر السابق، ج 3، ص 58.

5- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 511.

6- نهاية المطلب...، المصدر السابق، مج 5، ص 64.

7- المصدر السابق، ج 3، ص 59.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء، ومن حيث إنَّ الغالب يجري فيه تفاضل، إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه.

-وأما الفضل: فيحتز منه في ثلاثة أمور: في بيع المكسر بالصحيح: فلا تجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة، وفي بيع الجيد بالردىء: فلا ينبغي أن يشتري رديئا بجيد دونه في الوزن، أو يبيع رديئا بجيد فوقه في الوزن، أعني: إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة، فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل. والثالث في المركبات من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولا لم تصح المعاملة عليه أصلا، إلا إذا كان ذلك نقدا جاريا في البلد فإننا نرخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد، وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجا في البلد لم تصح المعاملة عليها لأنَّ المقصود منه النقرة وهي مجهولة، وإن كان نقدا رائجا في البلد، رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة، وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها، ولكن يقابل بالنقرة أصلا، وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه بالذهب ولا بالفضة، بل ينبغي أن يشتري بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوما، إلا إذا كان مموها بالذهب تمويها لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار فيجوز بيعها بمثلها من النقرة وبما أزيد من غير النقرة، وكذلك لا يجوز للصياغ والصيارفة أن يشتروا قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا أن يبيعه، بل بالفضة إن لم يكن فيها فضة.. ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يجعل منه ذهب مقصودة عند العرض على النار بذهب، ويجوز بالفضة وغيرها.

-وأما المتعاملون على الأطعمة، فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع بالمشتري أو لم يختلف، وإن اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة، والمعتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه الغنم ويشتري بها اللحم نقدا أو نسيئة وهو حرام لنهييه صلى الله عليه وسلم عن بيع اللحم بالحيوان، وكذا الخباز بأن يسلم الخنطة ويشتري بها الخبز نسيئة أو نقدا فهو حرام، وكذا معاملة العصار أن يسلم إليه السمسسم أو الزيتون ليؤخذ منه الأذهان فهو حرام، وكذا اللبان ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن فهو حرام، فلا يباع الطعام بغير جنسه، أو بجنسه إلا نقدا متماثلا أو متفاضلا، فلا يباع بالخنطة دقيق ولا خبز ولا سويق ولا بالعنب دبس وخل وعصير، ولا باللبن زبد ومخيض وجبن، والمماثلة لا تفيد إذ لم يكن الطعام في حال كمال الادخار، فلا يباع الرطب بالرطب، ولا العنب بالعنب متماثلا ومتفاضلا. فهذه جملة مقنعة في تعريف البيع، والتنبيه على ما يشعر للتاجر بمشارات الفساد حتى يستفتي فيها إذا تشكك والتبس، وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لموضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري<sup>1</sup>.

1- الرتبة في طلب الحسبة، المصدر السابق، ص 151-153. إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 511-512.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

إذن رصد لنا العلماء جميع المعاملات المالية التي قد يقع أصحابها في الربا، حيث يَنبَوا للصيارفة والمتعاملين بالأطعمة مختلف وجوه التعامل حتى لا يقعوا في الربا بنوعيه: ربا النسيئة و ربا الفضل، مؤكدين على تحريم كل ذلك.

**2- البيوع المحرمة:** بيّن العلماء للناس البيوع المحرمة، حيث أفرد أبو الوفاء ابن عقيل فصلا للبيوع المحرمة في كتابه "التذكرة في الفقه"، قائلا: "والبيوع المنهي عنها في الشرع سبعة وعشرون بيعا: تلقي الركبان، وبيع حاضر لباد، وبيع النجش، والسوم على سوم أخيه، والملازمة، والمنازلة، والمحاكلة، والمزانية، وعن بيع وسلف، وعن ثمن الكلب، وعن عسب الفحل، وعن بيع الماء، وعن بيع ما ليس عنده، وعن بيع الحب حتى يفرك، وحتى يشتد، وعن بيع الثمرة حتى ترهق، وعن بيع الحنطة في سنبلها، وعن بيع ما لم يقبض، وعن ربح ما لم يضمن، وعن بيعين في بيعة، وعن بيع وشرط، وعن بيع الغرر، وعن بيع المضامين، وعن بيع الملاقيح، وعن بيع المجر، وعن بيع الحجلة، وحبل الحجلة، وعن بيع اللحم بالحيوان، وعن بيع الرطب بالتمر، وعن بيع الكالي بالكالي..."<sup>1</sup>، ثم يشير إلى علة تحريم هذه البيوع، حيث قسمها إلى قسمين: "وهذه تنقسم إلى قسمين، فما كان منها يتناول النهي لمعنى في المعقود عليه بطل البيع به، وما كان لمعنى في العاقد فهي ثلاثة: بيع النجش، وهو أن يزيد في السلعة ولا يريد شراءها. وبيع تلقي الركبان، لأنّ النهي عاد على الضيقة الداخلة على الناس. والسوم على سوم أخيه، وهو إذا ساومه في غير المنازلة، وتركه بين يديه لنظر فيه بالثمن المذكور، فجاء آخر فزاد على الثمن الذي بذله له، وقد اختار أبو بكر من أصحابنا: أنّ هذا السوم يبطل البيع إن باعه، أعني إذا باعه للذي زاد على الثمن الذي بذله الأول، فيحصل فيه وجهان. وجميع الشروط الباقية والخصال مبطلّة للعقود..."<sup>2</sup>.

أما الماوردي هو الآخر عقد فصلا عن المعاملات المنكرة، استهله بقوله: "كالبيوع الفاسدة، والربا، والسلام الفاسد، والإجارة الفاسدة، وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب: منها ترك الإيجاب والقبول، والاكتفاء بالمعاطاة، لكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه، وكذا في الشروط الفاسدة والمعتادة بين الناس، يجب الإنكار فيها، فإنها مفسدة للعقود، وكذا في الربويات كلها وهي غالبية، وكذا سائر التصرفات الفاسدة..."<sup>3</sup>.

1- المصدر السابق، ص 121-122.

2- المصدر السابق، ص 122.

3- الرتبة في طلب الحسبة، المصدر السابق، ص 131.



## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

**3- ولاية السوق:** تعد ولاية السوق من أهم الخطط والوظائف في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، إذ تلي خطة القضاء من حيث الأهمية، أما متوليها فيعرف بصاحب السوق في بلاد المغرب والأندلس، وتسمى خطة الحسبة في المشرق. وتندرج ولاية السوق ضمن خطط الدولة الدينية، وتقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشكل كذلك أسلوبا متطورا وواقعا تفرض به الدولة رقابتها على الأسواق، عن طريق موظفين خاصين على نشاط الأفراد في مجال الأخلاق والدين والاقتصاد، أي في المجالين الاقتصادي والاجتماعي بوجه عام تحقيقا للعدل والفضيلة على ضوء المبادئ المقررة في الشرع الإسلامي<sup>1</sup>.

إنَّ مساهمة العلماء في إدارة هذا الجانب المهم من جوانب الحياة الاقتصادية، يعكس بوضوح الدور الذي قام به العلماء، إذ إنَّ صاحب السوق كان من أكثر الموظفين احتكاكا بالعامة من تجار وصناع وحرفيين، واختلاطا بهم، وهذا أمر له مضامين اقتصادية واجتماعية نتلمسها عند الحديث عن دور العلماء في الحياة الاجتماعية. كما يتجلى دور العلماء في الصلاحيات الواسعة والواجبات الكثيرة التي أنيطت بهم حيث شملت معظم نواحي الحياة، مما جعل مهمة صاحب السوق مهمة صعبة تتطلب فيمن يتولونها العلم والعدالة وتدفعهم في كثير من الأحيان إلى الشدة<sup>2</sup>، فقد أدركوا بأن الوازع الديني كان مع مرور الزمن يضعف شيئا فشيئا في نفوس الناس، مما أدى إلى ضعف مبدأ الرقابة الأخلاقية الذاتي فازداد الغش والخداع والاحتكار وغير ذلك، الأمر الذي زاد من متاعب صاحب السوق ودفعه إلى استخدام الشدة لوضع حد لتلك التجاوزات، بالإضافة إلى ذلك فإنَّ استعمال الشدة قد يتأتى نتيجة للأوضاع الاقتصادية السيئة وما يصحبها من انخفاض في مستوى المعيشة وندرة المواد الغذائية، مما يشجع على ازدياد النهب والسرقه والغش وغيرها من التجاوزات غير المشروعة، وذلك مما يضطر معه صاحب السوق إلى الشدة في وضع حد لذلك ولاسيما إذا ما خول من قبل السلطة<sup>3</sup>.

وقد أدى العلماء عموما دورهم بجدارة في هذه الخطة، نظرا لأنهم يعدون السوق وما يجري فيها من معاملات من الأمور المهمة في حياة المسلم<sup>4</sup>، وهذا ما أشرنا إليه في الباب الأول من دراستنا في سياق حديثنا عن منصب الحسبة، حيث أحصينا العلماء الذين تولوا هذه الخطة الهامة خلال العصر السلجوقي.

1- الكبيسي خليل إبراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ/2004م، ص183-184.

2- الكبيسي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص185.

3- المرجع نفسه، ص186-187.

4- المرجع نفسه، ص188.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

تلك أهم النقاط التي عمل العلماء خلال العصر السلجوقي على التقييد بها لتنظيم الأسواق، إذ بينوا شروط المنافسة بين التجار، وحقيقة الاحتكار وضرره وأثره السلبي على المجتمع والدولة، والربا وخطره على المسلمين، والبيع المحرمة وضررها. وقد استطاع العلماء من خلال تنظيم الأسواق وضع أسس متينة ثابتة متواصلة يسير عليها المجتمع والدولة الإسلامية، للحيلولة دون انتشار الفساد الاقتصادي والتخفيف من آثاره.

**ج- مواجهة العلماء لتزييف النقود والعبث بها:** لا ريب أن العملة الإسلامية قد مرت بمراحل عدة، فبعد أن كان المسلمون في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين يعتمدون في تعاملاتهم المادية فيما بينهم من جهة، وفيما بينهم وبين الدول والأمم، من جهة أخرى على الدراهم الفارسية والحميرية، وعلى الدنانير الرومانية، إذ كان أول ظهور لعملة إسلامية مستقلة، تعبر عن الشخصية الاقتصادية للدولة الإسلامية، في العصر الأموي، وتحديدًا في خلافة عبد الملك بن مروان. وفي الوقت التي مرت فيها العملة الإسلامية الجديدة بمراحل جودت فيها ووطورت، تعرضت في الوقت ذاته للتزييف والغش والكسر والإتلاف<sup>1</sup>.

ركز العلماء على سلامة العملة من التزييف والعبث بها، فذلك كفيل بمواجهة كل أشكال الفساد المالي الناتج عن التلاعب بالنقود التي تصنع من الذهب والفضة، اللذين يقوم عليهما التبادل التجاري بين التجار والمشتريين، وتقوم عليهما الأسعار وقيمة السلع والمنتجات، وتسدد بها الرواتب ويدور عليهما الجهاز الإداري للدولة، وتجري على أساسهما جميع المعاملات المالية الإسلامية، لذا عملوا على مواجهة كل أنواع التزييف والعبث بهما، فقد اعتبر الماوردي المحافظة على سلامة النقدين من التغير من أهم وظائف الدولة، لعموم الآثار التي تترتب على التعامل بالنقود في السوق، وعدّ ذلك من دعائم الملك<sup>2</sup>، يقول: "وليُعلم الملك أن من الأمور التي يعم نفعها إذا صلحت، ويعم ضررها إذا فسدت: أمر النقود من الدرهم والدينار، إذا ما يعود على الملك من نفع صلاحها لسعة دخله وقلة خرجه، أضعاف ما يعود من نفعها على رعيته"<sup>3</sup>، وأكد بضرورة الحزم إذا حدث تلاعب بقيمة النقود بقوله: "فإن سامح -أي الملك- في غشها وأرخص في مزج الفضة بغيرها، لم يف نفع صلاحها بضرر فسادها؛ لأنه إذا خلط الفضة بمثلها، وجعل في كل عشرة خمسة خرقًا وخمسة غشا، وأمر أن تؤخذ بقيمة الفضة كان محالًا، كما لو رام أخذ النحاس بالذهب، وإن رام أن تؤخذ بقيمتها لم يجد في ذلك نفعًا، وكأنه غير مكيالًا ووزنًا مع فساد الفضة وخسران العمل، ثم إذا طال مكثها وكثر لمسها قبحت عند الناس، وتجنبوا قبض قبيحها، ورغبوا في طريها ومليحها، وبهرج أصحاب اللبس عليها بضرب كثير الرش، ربما

1- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص 512.

2- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 189.

3- تسهيل النظر...، المصدر السابق، ص 254، درر السلوك في سياسة الملوك، المصدر السابق، ص 113.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

كان أحسن من عتيق تلك، فتنفسد النقود ويتجنب الناس قبض الدراهم، ويمنعون من بيع الأمتعة إلا بالعين إن كان سليماً، وإن كان كالورق في الغش عدل الناس عن مطبوعها إلى الفضة الخرق والذهب الخلاص، وصار أدخل الناس أصول أموالهم، واستحدثوا لمعاملات المهن نوعاً من غير النقود المألوفة، يدفعون به الأقوات وينالون به الحاجات، وبطلت معاملات الناس فانتهك المستور... ولم تصل الأمتعة والأقوات إلى أهل القدرة وأرباب الأموال الجمّة، فعند ذلك تدعو الحاجة إلى تغيير الضرب. فإن غير بمثله كانت حالهما واحدة، وكان حكمه في المستقبل حكمه في الأول، وإذا عرف من السلطان تغيير ضربه في كل عام عدل الناس عن ضربه إلى ضرب غيره حذراً من الوضعية والخسران، وكان عدم عدولهم إلى ضرب غيره موهناً لسلطانته. وإن كان النقد سليماً من غش ومأموناً من تغيير صار هو المال المدخور، فدارت به المعاملات نقداً ونساء فعم النفع وتم الصلاح، وقد كان المتقدمون يجعلون ذلك دعامة من دائم الملك، ولعمري إن ذلك كذلك، لأنه القانون الذي يدور عليه الأخذ والعطاء، ولست تجد فساده في العرف إلا مقترناً بفساد الملك، فلذلك صار من دعائم الملك...<sup>1</sup>.

وأشار أبو يعلى الفراء إلى ضرورة التحقق من سلامة النقود من التزييف، بقوله: "وإذا خلص العين والورق من غش كان هو المعتبر في النقود المستحقة. والمطبوع منها بالسكة السلطانية الموثوق بسلامة طبعها، المأمون من تبديلها وتلييسها هي المستحقة دون نقار الفضة وسبائك الذهب، لأنه لا يوثق بهما إلا بالسبك والتصفية والمطبوع موثق به..."<sup>2</sup>.

أما الغزالي فقد عدّ "ترويح الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم؛ إذ يستضر به العامل إن لم يعرف، وإن عرف فسيروجه على غيره..."<sup>3</sup>، كما شدد على خطورة تزييف النقود وإشاعتها بين الناس، وربط ذلك بالبدع السيئة التي تبتدع في الدين والوزر الذي يلحق المبتدع جراء ذلك، "ولا يزال يتردد في الأيدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعاً عليه، فإنه هو الذي فتح هذا الباب..."<sup>4</sup>، ثم بيّن كيفية التعامل مع التزييف بخمسة أمور هي:

- أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بئر بحيث لا تمتد إليه اليد، وإياه أن يروجه في بيع آخر. وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز.

1- المصدران السابقان، ص255، ص114.

2- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص181.

3- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص517.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

-أن يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه، ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري؛ فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم. فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله. ومثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد ظاهراً لدينهم لا لدنياهم.

- أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم؛ لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولا يخبره، ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً. فإنما يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معاملته فقط.

-أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله صلى الله عليه وسلم: { **رحم الله امرأً سهل اليم سهل الشراء سهل**

**القضاء سهل الاقتضاء** } فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بئر. وإن كان عازماً على أن

يروجه في معاملة فهذا شر روجه الشيطان عليه في معرض الخير، فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء.

-أن الزيف نعني به ما لا نقرة أو لم يعلم. وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة، فإن كان في ماله قطعة نقرة ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معاملته، وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جملة النقد بطريق التلبيس، فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد<sup>1</sup>.

فالغزالي يرخص في التعامل بنقود البلد وإن كانت مخلوطة بالنحاس، أما النقود الأخرى فقد أوجب معرفة مقدار النقص لصحة التعامل، مع تأكيده على وجوب إخبار المتعامل معه بذلك المقدار، مع الحرص على عدم التعامل بها مع يتساهل في ترويج النقد بالتلبيس. مع وجوب الأخذ في الاعتبار أنَّ الفضة مما يصعب سكها بدون نحاس أو صفر<sup>2</sup>. وعلى الرغم من وجهة رأي من حيث وجوب تعلم التفرقة بين النقد الصحيح والزيف، لمعرفة مثل هذا النوع من الغش، إلا أن الندب للأخذ يمثل تجاوزاً على حق المشتري، بإضاعة مال وقوة شرائية له، مع إمكان قيام مروج مثل ذلك بتكراره عند علمه بانتشار التسامح<sup>3</sup>. لذلك شدد أبو يعلى الفراء على ضرورة إقامة السلطان داراً لضرب النقود بقوله: "وقد قال أحمد في رواية جعفر بن محمد: لا يصلح ضرب الدراهم إلا في دار الضرب بإذن السلطان. لأنَّ الناس إن رخص لهم ركبوا العظام. فقد منع من الضرب بغير إذن السلطان لما فيه من الافتيات عليه".<sup>4</sup>

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 518.

2- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص 192.

3- المرجع نفسه، ص 193.

4- الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 181.

## -الباب الثاني: دعوى العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

لقد حدث ما أشار إليه أبو يعلى الفراء، إذ في سنة 462هـ "سارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك أن البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب اسم ولي العهد على الدينار وسمي الأميري ومنع من التعامل بسواه..."<sup>1</sup>.

**د- تولي العلماء للمناصب المالية:** شكل تولي العلماء للمناصب المالية في الدولة السلجوقية أحد أساليب تصديهم ومواجهتهم للفساد الاقتصادي، إذ ذلك كفيل في نظرهم بضبط أموال بيت المال والخزائن السلطانية، ويكونوا أقرب للحيلولة دون التلاعب بأموال المسلمين وتبديدها في ما لا ينفع، وبالتالي يقطعون أي محاولة للإخلال بالنظام المالي والاقتصادي ويحافظون على مصالح الدولة والمسلمين.

تولى أبو الحسن علي بن عثمان الفواكهي الحلواني (ت 518هـ) عمل الخزانة لأمانته وصيانته<sup>2</sup>، أما أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون الباقلاوي (ت 488هـ) فقد ولي إشراف خزانة الغلات<sup>3</sup>، وسلم للقاضي ابن يعيش النظر في الوقوف والتركات والترتب<sup>4</sup>، وكان أبو الفتوح الحسن بن محمد بن عمر الحلبي يلبس أعمال السلطان، وكان مستوفياً<sup>5</sup>، كما تولى أبو القاسم محمود بن المظفر بن عبد الملك بن أبي توبة المروزي (ت 530هـ) ديوان الاستيفاء مدة<sup>6</sup>، وأشرف أبو الفرج عبد الواحد بن شنيف (ت 528هـ) على خزانة السلطان<sup>7</sup>، وكان ابن هبيرة (ت 560هـ) مشرفاً على المخزن للخليفة العباسي المقتفي<sup>8</sup>.

هذه عينة من العلماء الذين تولوا بعض المناصب المالية خلال العصر السلجوقي، إذ لم تسعفنا المصادر في تتبع أعداد العلماء الذين باشرُوا هذه الوظائف الهامة والمؤثرة على صيرورة الوضع الاقتصادي، ولعل ثقة السلاطين والخلفاء في العلماء بأنهم أحرص على المحافظة وضبط الأموال، دفعهم إلى إسناد هذه المناصب إليهم، وبالتالي سعى العلماء للتصدي لكل وجوه الفساد الاقتصادي المتمثلة في تولية هذه المناصب لرجال غير أكفاء ولا يحسنون إدارة المال العام فيؤدي ذلك إلى استئثار الفساد المالي الذي ينجر عنه انهيار النظام المالي والاقتصادي للدولة السلجوقية.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 384.

2- الفارسي، المصدر السابق، ص 317.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 18-19.

4- المصدر نفسه، ج 17، ص 276.

5- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج 2، ص 645.

6- المصدر السابق، مج 3، ص 1706.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 288.

8- المصدر نفسه، ج 18، ص 166.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

عكست الجهود التي بذلها العلماء لمواجهة الفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي، إحدى النقاط المضئفة في تاريخ الفكر الاقتصادي الإسلامي، حيث اتجهت جهود العلماء إلى إبراز خطورة الفساد الاقتصادي على المجتمع والدولة، وما يسببه من إتلاف للأموال وأكلها بالباطل وتسلب فئة قليلة فاحشة الثراء على الأغلبية الساحقة من المسلمين، حيث بينوا موقفهم من البغاة والصوص وقطاع الطرق والمفسدين، كما أشرفوا على تنظيم الأسواق، عن طريق تبين شروط المنافسة بين التجار من المنظور الشرعي، وحاربوا الاحتكار والربا والبيع المحرمة، وتولوا بأنفسهم ولاية السوق (الحسبة)، ووقفوا في وجه عملية تزييف النقود والعبث بها، وكذلك تولوا بعض المناصب المالية في الدولة كمنصب الاستيفاء والإشراف على الخزانة السلطانية، وبهذا استطاعوا التخفيف والقضاء تدريجياً على الفساد الاقتصادي بالتعاون مع السلطة والمجتمع، لتحقيق المقصد الشرعي في حفظ المال.

وفي ختام حديثنا عن دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي، يتبين لنا أن العلماء لم يعيشوا على هامش الحياة الاقتصادية، بل عاشوها بكل أبعادها، وتأثيراً وتأثراً، وهو ما استقصيناه في هذا الباب، إذ عملوا على تكييف المجتمع والسلطة مع قيم الاقتصاد الإسلامي، الذي اشتمل مساحة كبيرة من التشريع الإسلامي سواء في الذكر الحكيم أو في السنة النبوية، بل ووضعوا أسس الاقتصاد الإسلامي من خلال جهود نظرية ضخمة، ضمت طروحاتهم المذهبية لما أتى بعدهم من أجيال، فمما لا شك فيه أن العصر السلجوقي، بما اشتمل عليه من علماء، كان الرحم التي تخلق فيه الاقتصاد الإسلامي فظهرت قواعده وأصوله على أيدي هؤلاء العلماء.

لقد استقصى العلماء في تفاعلهم مع الحياة الاقتصادية أهمية المال ودوره في حياة المسلمين، كما صاغوا لنا عدداً من الآراء التي استنبطوها بعد اجتهداتهم، لبناء النظام المالي من خلال ما قدمه كل من أبي المعالي الجويني وأبي الحسن الماوردي، واتجهوا بعدها لبلورة وتشكيل رؤية فقهية إصلاحية لتنظيم الإدارة المالية خلال العصر السلجوقي، حيث قام أبو الحسن الماوردي وأبو يعلى الفراء بتجلية ذلك، ثم عرّجوا لتبيين مواقفهم من الموارد والنفقات أو المصارف، من زكاة وخراج وجزية وغنائم وفيء وضرائب، فعكف كل من الماوردي والفراء والجويني والغزالي والكاساني والسرخسي وابن هبيرة ونظام الملك، على تقديم ثروة فقهية تظهر مواقفهم على ضوء مناقشتهم لهذه المسائل وتقليبها من كل وجوها، وبالتالي أكدوا على ضرورة استمرارية هذه الموارد المالية وفق المنظور الشرعي وتجنب أي شكل من أشكال التجاوزات التي يقع فيها القائمين على تحصيلها، ثم أبرزوا لنا موقفهم من النفقات المالية بكل أنواعها لإدراكهم قيمة المال وضرورته في استمرار بقاء الدولة وتجهيز الجيوش وحماية الثغور ورد غائلة العدو، فشدّدوا على ضرورة ترشيد النفقات وتقديم الأمور الأساسية والضرورية التي تحتاجها الدولة والمجتمع، والوقوف أمام التبذير والإسراف في النفقات في أشياء ثانوية، كل ذلك أخذ حيزاً معتبراً من رؤى واجتهادات العلماء لتسليط الضوء على هذه القضايا والمسائل الحساسة والمؤثرة في الحياة الاقتصادية.

## -الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي-

وانتقل العلماء لتطوير قطاعات الاقتصاد من زراعة وصناعة وتجارة، فقد تكلموا عن أهمية العمل والكسب في حياة المسلمين بشكل عام والعلماء بشكل خاص، كتوطئة لممارستهم للأنشطة الاقتصادية المختلفة، فعملوا على استجلاء حقيقة كل من الزراعة والصناعة والتجارة، وأهمية هذه القطاعات الحيوية والمؤثرة في الاقتصاد ومدى التكامل بينها وإقبال الناس عليها، كما مارس العلماء الزراعة بشكل محدود، وبالمقابل أقبلوا على ممارسة الصنائع والتجارة بشكل كبير، وبذلك ساهموا في تطوير قطاعات الاقتصاد تنظيراً وممارسة.

جاءت جهود العلماء في التصدي للفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي كتتمة لدورهم في الحياة الاقتصادية، حيث بذلوا وسعهم للتصدي ومواجهة كل أشكال الفساد الاقتصادي من نهب للأموال وأخذها بغير وجه حق، والتعاون مع السلطة لمواجهة المفسدين، وقاموا بتبيين الحكم الشرعي للبغي واللصوص وقطاع الطرق، كما أشرفوا على تنظيم الأسواق تنظيراً وممارسة، وأظهروا خطورة انتشار الاحتكار والربا والبيع المحرمة والعملية المزيفة، وارتأوا تولي حصة السوق كخطوة عملية ميدانية لمواجهة كل تلك المحرمات، ولم يكتفوا بذلك بل تولوا بعض المناصب المالية في الدولة، كل ذلك قاموا به للقضاء على الفساد الاقتصادي.

وعليه يمكن القول بأن دور العلماء في الحياة الاقتصادية في العصر السلجوقي يشكل أحد أهم الأدوار التي اضطلع العلماء بتأديتها في هذا العصر، واستطاعوا بذلك مواصلة بناء الفكر الاقتصادي الإسلامي وتقديم عدد من المرتكزات والأسس والنظريات التي استنبطوها واستنتجوها، للعلماء الذين جاؤوا بعدهم في العصور اللاحقة.

-الباب الثالث: دور العلماء في الحياة

الاجتماعية في العصر السلجوقي

-توليفة.

-الفصل الأول: مكانة ومنزلة العلماء في المجتمع

الإسلامي في العصر السلجوقي

-الفصل الثاني: جهود العلماء في إصلاح المجتمع

الإسلامي في العصر السلجوقي

-الفصل الثالث: العلماء بين المجتمع والسلطة

خلال العصر السلجوقي

-الفصل الرابع: دور العلماء في مواجهة الأزمات

والكوارث الطبيعية خلال العصر السلجوقي



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

**-توليفة:** عرف المجتمع الإسلامي عدة مؤسسات قوية وفاعلة منها: مؤسسة أهل الحل والعقد، ومؤسسة العلماء، ومؤسسة الحسبة بمفهومها الواسع، ومؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومؤسسة الجماعة أو (الجماعات) على مستوى القرى والعشائر. وحين يصل الأمر إلى هذا الحد من تغييب لمؤسسات بكاملها، فإنَّ التساؤل عن دور العلماء وعن أهمية حضورهم في المجتمع الراهن وضمن مفاصل الدولة الحديثة يبدو جارياً على نسق التصور العام والنظرة غير المكتملة للنظام الإسلامي، ومن ثم يتخذ الحديث عن حضور العلماء في بيئتهم وعن مشاركتهم في صنع الحدث أهميته القصوى لمواجهة الأسئلة التي تتناسل بمناسبة وبغير مناسبة. إنَّ جدلية الحضور والغياب أو الخفاء والتجلي بالنسبة لإسهام العالم في أحداث عصره ظاهرة وسمت التاريخ الثقافي والسياسي للأمة الإسلامية عبر امتداده الطويل<sup>1</sup>.

يعتبر استقصاء أدوار العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي، امتداداً حتمياً لمقدرة هؤلاء العلماء في التعامل مع مختلف المستجدات التي طرأت على المجتمع الإسلامي في عصر الدراسة، والسعي لإيجاد الحلول للمشاكل التي تقع بين الفينة والأخرى، وكذا الحضور في أوقات الأزمات والمحن، والتفاعل مع مختلف شرائح وفئات وطبقات المجتمع.

إنَّ الغرض من حضور العلماء في المجتمع الإسلامي هو القيام بوظيفة التوجيه الشرعي للفرد والمجتمع ككل، حتى تنسجم حركة الكل وتصرفاتهم ومخططاتهم مع أحكام الشريعة وروح مقاصدها. ومن هنا فإنه يتحتم على أفراد المجتمع وهيئاته بمقتضى الواجب الشرعي أن يأخذوا بإرشادات العلماء، وبهذا يكون العلماء بمثابة المرشد للمجتمع، فتخضع تصرفاته عامة لمقاييس الإسلام من خلال الشورى والأخذ برأي العلماء في دائرة حفظ النظام العام. ومن هنا يصبح لزاماً عليهم -أي العلماء- إصلاح الأوضاع والإرشاد والتوجيه واتخاذ المواقف الشرعية تنويراً للرأي العام، باعتبارهم المرجع الذي يحدد دوافع حركة النظام في الفراغات التشريعية، في إطار قواعد الاجتهاد الشرعي، وفي إطار حركة المصلحة العامة في واقع الأمة وحياة الناس<sup>2</sup>.

لقد أنيط بالعلماء دور عظيم وخطير وشاق، إذ هم محط أنظار جميع أفراد المجتمع، ومستودع العلم والخلق والقُدوة، ومحل التقدير والتبجيل والإشادة بفضلهم، وخصوصاً أنَّ من أبرز الفوارق الحضارية والخصوصيات الثقافية في صلة الدين بالمعرفة تلك العلاقة الحميمة والرسالة المستحكمة بين العلم والدين في الحياة الإسلامية، وهو ما يفصح عنه اشتراك الدين والعلم في المكان وفي الأشخاص وفي كل إمكانيات الدعم المتاحة للتبلور والتطور<sup>3</sup>. فلا

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 145.

2- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 231.

3- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 147.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

غرو أن وظيفة العلماء وأدوارهم في المجتمع الإسلامي يمكن حصرها فيما هو تربوي وعلمي ودعوي واجتماعي وسياسي وتشريعي، بدءاً بحفظ الشريعة وحراستها وحمل المجتمع على امتثال أوامرها واجتنابه نواهيها، وهناك وظيفة الإنذار والتعليم، أي تبصيرهم بإظهار الحق وأمرهم بالمعروف وتربيتهم وتعليمهم، كما يناط بالعلماء وظيفة الإفتاء<sup>1</sup>، الذي بينها الإمام السبكي بقوله: "العلماء وهم فرق كثيرة: منهم المفسر والمحدث والفقيه.. ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعلمين، وإفتاء المستفتين، ونصح الطالبين، وإظهار العلم للساكنين فمن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار."<sup>2</sup>، وأيضاً وظيفة الدعوة والتبليغ التي تعد من أشرف وظائف النبوة التي تجب في حقهم بمقتضى الوراثة، ويضاف إليها وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بتبيان المعروف والأمر به والحض عليه وإظهار المنكر والنهي عليه بالوسائل التي يقررونها، كما لا ننسى وظيفة القضاء بين الناس، وذلك أن الفصل بين المتنازعين بالعدل الذي جاءت به الشريعة لن يتحقق إلا إذا حملها الفقهاء الذين هم حراس الدين الموقعين لأحكامه على المكلفين بمقتضى الوراثة، ولهم وظيفة الشورى في قضايا الدين والحياة والمجتمع والدولة، من أجل معرفة حكم الشريعة فيها ومراعاة مقاصدها في الواقعة موضع الشورى، وكذا وظيفة تنوير الرأي العام المجتمعي بواجباته وحقوقه الشرعية اتجاه الذات والأسرة والمجتمع<sup>3</sup>.

وفي السياق ذاته كان طبيعياً بل ومتوقفاً أن ينعكس تطور المجتمع الإسلامي عبر العصور إلى غاية العصر السلجوقي، على حجم حضور العلماء في مجتمعات العراق وخراسان وبلا ما وراء النهر وعلى إسهامهم في صياغة متوازنة تعصم من الوقوع في الأزمات والانحرافات التي وقعت فيها. ذلك بأن وجود العالم في بيئته ومحيطه لم يكن وجوداً صورياً هامشياً، ولا كان وجوداً تكميلياً تأثيثياً، وإنما كان على الدوام وجوداً مركزياً فاعلاً، فكان العالم يمثل في الأمة قوة ضابطة لحركة المجتمع وفق هدى الشريعة، فكان بمثابة المرصد المتولي لتخليق الحياة وتسديد مسارها عند استشعار إشرافها على الانحراف، كما كان العالم يمثل قوة قادرة على توثيق العلاقات والصلات الاجتماعية التراحمية بما يدعو إليه من التزام خصال التعاون والتآزر ونبذ كل الممارسات والتصرفات المفضية إلى تفكيك وحدة المجتمع.

لقد مثل العالم في الأمة عقلها المفكر، وضميرها اليقظ المحافظ على القيم، ووجدانها المفعم بأحاسيس الخير والرحمة، وحظي بثقة واحترامها ورجعت إليه في كل ما أهمها من أمور الدين والدنيا، ووثقت صلتها به ونزلت عند قوله ورضيت بحكومته وتدخله، وانصرفت عن كل الجواذب والصوارف والقواطع التي كان بالإمكان أن تستلقت

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 228.

2- معيد النعم ومبيد النقم، ص 67.

3- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 229-230.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

إليها الأنظار، فتتعدد بذلك مصادر لتوجيه ومراكز إنتاج الخطاب، فتختلف الكلمة وتتشردم الأمة<sup>1</sup>. وانطلاقاً من ذلك فقد درج المسلمون على الرجوع إلى العالم الفقيه في قضايا الدين والحياة، بعيداً عن وجود الدولة، فكان العلماء يمثلون المرجعية في الفتيا وتسلم الحقوق الشرعية وتوزيعها على موارد، والإشراف من خلالها على حلقات العلم والتدريس، وتخريج العلماء، فاتسع دور العالم في حياة المجتمع والأمة، حتى تحول إلى ما يشبه الرئاسة العامة غير الرسمية، فبدأ جمهور المجتمع المسلم وعامة الناس يرجعون إليه في قضاياهم السياسية والاجتماعية من خلال جذور الفكرة العميقة التي ترسخت في أذهانهم، وهي أنّ دور العلماء والفقهاء ووظيفتهم في المجتمع عظيمة، تتمثل في قيادة الأمة إلى الإسلام، وأسلمة المجتمع، وحل مشكلاته ومستجداته حلاً شرعياً<sup>2</sup>.

حينما نتحدث عن حضور العالم في مجتمعه فإننا لا نتجه إلى تأسيس حكم يدعي تفويضاً إلهياً أو تخويلاً سماوياً مطلقاً يتفرد العالم بموجبه بإصدار القرار، ذلك أنّ الأساس المرجعي المؤطر لمشاركة العالم في شأنه أمتة يتمثل في تمييز النظام المدني الإسلامي بوجود مؤسسة قوية واضحة المعالم هي مؤسسة أهل الحل والعقد، وهي مؤسسة شرعية

منبثقة عن قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: 58). وقد تعددت الأقوال في المراد بأولي الأمر، لكن المذهب السني يرى أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون والعلماء والفقهاء والأمراء وأصحاب السرايا وقواد الجند، ومع تعدد هذه الأقوال المتنوعة غير المتضاربة فإنّ اندراج العلماء ضمن جماعة أهل الحل والعقد هو موضع اتفاق، ما دام العلماء يشكلون جماعة وظيفية ضامنة لتحقيق مكون أساسي من شخصية المجتمع هو مكون التماهي والانسجام مع هدي الشريعة والاحترام لمقتضياته، وإلا لم يكن هناك معنى ولا داع للحديث عن مجتمع إسلامي أو دولة إسلامية، فلا غرو أنه في الظروف العادية وفي حالة الاختيار يمارس العلماء بوصفهم جزءاً من أهل الحل والعقد مهمة إسداء النصح للحكام ولأفراد المجتمع على حد سواء<sup>3</sup>، لذا يمكن حصر واجبات العلماء اتجاه المجتمع الإسلامي فيما يلي:

- ترسيخ ونشر الشورى الإسلامية في المجتمع: حتى تصير سلوكاً اجتماعياً عاماً في علاقات الناس بعضهم ببعض، وفي علاقة الرعية بالرعاة والولاة، وفي علاقات المجتمع بالدولة. فالشورى الإسلامية منهاج حياة وصفة أساسية للجماعة المؤمنة ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38) فلا يكمل إيمانها إلا بها<sup>4</sup>، وهي شديدة-أي

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 102-103.

2- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 267.

3- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 150-151.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 267.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الشورى- الصلة بجوهر وظائف العلماء وممارستهم لها، من خلال إمداد جهات صنع القرار بالخبرة الضرورية للمساعدة على تحديد الاختيارات واتخاذ القرارات وحسن توظيف الكفاءات واستغلال الفرص السانحة واستشراف المستقبل، كما لا ننسى أنَّ حضور العلماء المستمر والتواصل مع مصادر صنع القرار في الدولة والمجتمع تعد أولوية منوطة بهم في كل وقت، بل تبدو أكيدة وجلية بحكم الأهلية العلمية والمواصفات الأخلاقية التي يكون عليها العلماء<sup>1</sup>، "فعلى أهل العلم- وهم المسؤولون عن المسلمين بما لهم من إرث النبوة فيهم- أن يقوموا بما أرشدت إليه هذه الآية الكريمة(الآية 59: سورة النور) فينفخوا في المسلمين روح الاجتماع والشورى في كل ما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم، حتى لا يستبد بهم مستبد ولا يتخلف عنهم متوان، وحتى يظهر الخاذل لهم ممن ينتسب إليهم، فينبذ وي طرح ويستغنى عنه بالله وبالمؤمنين"<sup>2</sup>، ومن هنا فإنَّ دعوة الإسلام إلى الحياة والمجتمع، وانتشار دعوته ونمو صحوته لا تتم إلا في جو الحرية ومقومات الشورى في النظام الإسلامي. وهذا يستوجب على العلماء والفقهاء العمل على ترسيخ الوعي في ضمير المجتمع بفرضية الشورى وأهميتها في نخضة الأمة وحياتها<sup>3</sup>.

-العمل على تنمية وتطوير المجتمع: في شتى مجالات التنمية، بما في ذلك تنمية الإنسان المسلم أولاً؛ إذ إنَّ أية تنمية اجتماعية لا يمكن أن تتم إلا بعد تنمية الإنسان فكراً وعقلاً وسلوكاً وحالاً وعملاً يقيم الإسلام وتعاليمه. وكان ديدن العلماء القيام بهذا الواجب بشكل فعال يمس جوهر التنمية في المجتمع الإسلامي، من خلال الاستعانة بخبراء المجال حتى يقدموا للدولة والمجتمع، تصورات وبرامج واقعية، مواكبة لمستجدات العصر، وموافقة لأحكام الشرع ومقاصده. وإن لم يطلب منهم ذلك بادروا للقيام به؛ إذ الإسهام بآرائهم واقتراحاتهم وتوجيهاتهم في كل ما ينفع الأمة ديناً ودنياً وينمي المجتمع، حق من حقوقهم وواجب من واجباتهم الشرعية والاجتماعية. وبهذه المبادرات الحية لعلماء الأمة<sup>4</sup>، يتضح جلياً مقدرتهم وأهليتهم في معرفة طرق الاستنباط الصحيح وشروط الاجتهاد وصفات المجتهد وأنواع الاجتهاد المطلق أو المقيد، ومن علم بأنواع المصالح، ومن معرفة الأولويات ورعاية للمآلات، مما يجعل علمه أقرب ما يكون إلى العلمية والانضباط<sup>5</sup>، إنَّ إحياء المجتمع الإسلامي حياة إسلامية حقة، ونموه نمواً إسلامياً حقاً في كل المجالات، واجب في أعناق العلماء قبل غيرهم؛ إذ بإمكانهم إذا صدقوا وأخلصوا واتحدوا أن يفعلوا ذلك. وهذا كله ليس بعزيز ولا مستحيل، إنما يتطلب جهوداً متضافرة ووعياً بالذات الحضارية للأمة وما آلت إليه من

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص152.

2- بن باديس عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق محمد الصالح رمضان، ط2، دار الفكر، د.ت، ص559-560.

3- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص268.

4- المرجع نفسه، ص268-269.

5- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص152.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

ضعف، وما تصبو إليه في الحاضر والمستقبل من نهوض شامل تنمية حضارية إسلامية، يقودها العلماء الصالحون في الأمة والمجتمع<sup>1</sup>.

**-تحقيق الوحدة الإسلامية للمجتمع المسلم في جميع المجالات:** وفي مقدمتها المجالات الفكرية والعلمية، لذا يستوجب على العلماء التنبيه على أهمية التوحيد وضرورته ودعم التوجهات الوحدوية عامة والعلمية منها خاصة<sup>2</sup>. فكان هذا المهيع من قبل العلماء المسلمين استمرارا لإسهاماتهم القيمة في تدبير الشأن العام على مستوى تولي وظائف الدولة، فإنَّ لهم في صلتهم بالأمة وظائف مستديمة وعميقة الأثر، فهم يمثلون فيها عقلها النير وفكرها الموصل بمصدري التوجيه الإسلامي الكتاب والسنة، وهم بهذا يمثلون منطلق إرساء الوحدة الإسلامية وركيزة صناعة وبلورة التوجهات الفكرية والعلمية التي تبني هذه الوحدة وتعمل على استمرارها وتوافقها مع كل شرائح المجتمع الإسلامي، كما أنَّ العلماء يمثلون في الأمة وجدانها المفعم بمحبة الخير للناس مما يجعلهم يندرون أنفسهم لأن يكونوا شخصيات عامة تفكر بفكر الأمة وتحرس على سلامتها ووحدة فكرها وخلقيها وسلوكها وتستشرف لها آفاق الغد المناسب لشرفها وما رشحها القرآن له من نهوض بفرضية الشهود الحضاري التي تتنافى كليا مع أن تكون الأمة قابعة في درك الذيلية والتبعية والحقوق بالنماذج الأخرى<sup>3</sup>. إنَّ الدفع في هذا الاتجاه والحث عليه، والترغيب فيه للقيام بالدين وإقامته واجب على ورثة الأنبياء نحو المجتمع الإسلامي، وهم آثمون في أي تقصير فيه لما يترتب عنه من فساد وضياح البلاد والعباد<sup>4</sup>.

**-تصويب الفكر والسلوك المجتمعي العام:** إنَّ العلماء في أمتهم هم عقولها اليقظة ووجدانها المرفه، وهم الرائدون الذين لا يكذبون أهلهم، وهم حينها يعملون لخير أمتهم فإنهم يزنون حركتها بمعيار الشريعة الإسلامية، ويتأكد هذا باستعادة كل المواقف التي وقف فيها العلماء في مواجهة مظاهر الانحراف وأسباب السقوط والانحدار داعين إلى تحرير العقول وإلى تحرير البلاد، وإلى تحقيق النهضة المنشودة، فلم يكن رجال الإصلاح ودعاة النهضة في أمتنا إلا علماء أكفاء يحملون هموم أمتهم ويرشدون إلى سبل التخلص من وضع التخلف والانحطاط<sup>5</sup>.

لذا ظل علماء الإسلام وفقهاؤه ودعاته حريصين على صفاء الفكر ونقاوته، وعلى صحة السلوك العام في المجتمع الإسلامي فوقفوا في وجه انتحال المبطلين وتحريف الضالين وتأويل الجاهلين وقاوموا كل الحركات المنحرفة في الفكر

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 269.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 153.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 270.

5- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 154.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

والسلوك<sup>1</sup>، كما عملوا على حماية وجودها المعنوي وصيانة هويتها ومنع شخصيتها من أن تمحى، من خلال تحركهم على أصعدة كثيرة ثقافية واجتماعية وسياسية فتختلف اهتماماتهم وطرق أدائهم تبعاً لذلك. فهم إذا اشتغلوا على المستوى الفكري وجهوا جهدهم الكبير إلى خدمة العقيدة وإلى إرجاعها إلى أصولها ومنابعها من الكتاب والسنة، وسعوا إلى تشذيبها من الشوائب التي تكون قد علقت بها في فترات الركود العلمي والتخلف الفكري، وهم أيضاً يدعون إلى إعمال العقل ونبذ الخرافة والغرائبية والتقليد الأعمى، كما أنهم يعالجون قضايا الفكر الجزئية فيحررون المفاهيم ويضبطون الدلالات وينتجوا على الدوام أفكاراً متجدداً عن رؤية إسلامية لكل القضايا<sup>2</sup>.

**-مقاومة الغزو الخارجي للمجتمع الإسلامي:** لقد وقف العلماء كالسد المنيع في وجه كل من يسعى إلى العبث بعقل الأمة وفكرها ودينها وقيمها ومبادئها وهويتها، فكانوا هم القادة الميدانيون للمجتمع الإسلامي في مواجهة أعدائه، واتسم مجال عملهم الفكري والعلمي بمقاومة الغزو الخارجي، وتوجيه المجتمع إلى العمل في هذا المجال، بتصويب الفكر، وبث روح الجهاد والمقاومة، وبعث الإيمان الحي في النفوس<sup>3</sup>. ومن هذا المنطلق فإن العالم في ذلك كله لا يكتفي بالرفض والانزواء، وإنما يتصدى لتحليل القيم الوافدة وإبراز ما فيها من مضامين مصادمة لهوية الأمة، وما لها من استشرافات مبيتة لتدمير قيم الأمة، ولهذا وجدت الأفكار الوافدة في العلماء النخبة المتفطنة إلى خطورة مضامينها وما يضمهر أصحابها من أهداف تدميرية بعد أن استعصى عليهم تحقيق الإجهاز على الأمة بقوة السلاح وبالمواجهة الدموية. وهكذا تصدى العلماء على الدوام للأفكار التي بثتها كل الحركات السرية في تاريخ المسلمين، فواجهوا الغنوصية والوثنية والثنية والباطنية والدهرية والإلحاد وفكر المشاعة الجنسية، وكل النظريات العدمية الملغية لوجود الإنسان والمسقطنة للتكليف، كما واجهوا نظريات الإرجاء والتجسيم والتعطيل وغيرها، فتشكل مما كتبه العلماء في تحليل تلك الآراء ونقدها دراسات قيمة هي إلى الآن أجود وأعمق ما كتب عنها. والعلماء إذ يشتغلون في الاجتماعي فإنهم يعنون أساساً بإرساء القاعدة الثقافية الكفيلة ببناء مجتمع إسلامي سليم، فيحرصون على إبراز مفاهيم الأمة والجماعة والمسؤولية المشتركة، والتضامن وشروط التعايش والتساكن وحدود ما يسوغ فيه الاختلاف وما يجب أن يكون موضع اتفاق ومساحة مشتركة ومشروعاً مجتمعياً تأتلف عليه كل القوى الحية والأطراف السياسية رغم الاختلافات الطبيعية بينها، والعلماء إلى جانب هذا كله يرعون قيم الأمة

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 270.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 154.

3- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 271.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

ويصونونها من أن تهدر أو تتغلب عليها قيم مصادمة لهويتها، مما تقذف به يوميا مؤسسات إنتاج القم المادية المتوسلة إلى أهدافها بقدرات هائلة على الإنتاج وعلى الإخراج والتسويق والإغراء والوعيد إن اقتضى الأمر ذلك<sup>1</sup>. لقد أثبت العلماء المسلمون حضورهم الحاسم في الأزمات التي عصفت بالأمة الإسلامية أفرادا ومجتمعا، فقاموا بدور كبير في مجال إحياء معالم الجهاد في الأمة فكرا وعملا، تجلّى ذلك في مقاومتهم للغزو الصليبي والمغولي<sup>2</sup>، فكان تأقلمهم مع أساليب وطرق الغزو الخارجي، فتارة تكون المواجهة مباشرة، فيضعون على ضوء ذلك درعا يحمي الأمة، وإذا كانت المواجهة غير مباشرة، فيكون في مقدمة المنتبهين والمدركين لخطورة هذه المواجهة التي تأتي الأمة في أعز ما تملكه ألا وهو دينها الذي يصونها من التضعف والانكسار والاضمحلال والدوبان في فكر أعدائها. ولعل ما يعرفه المجتمع الإسلامي اليوم من غزو شامل في الفكر والاقتصاد والسياسة، والقيم والمبادئ، ليس بجديد، وإنما يمثل نفس الأسلوب الذي عرفه المجتمع الإسلامي في عصور خلت، مما يستوجب على العلماء في كل عصر أن يبذلوا ما في وسعهم للجهاد بالعلم وغيره، لتحرير العقول أولا، لتحرر بتحريرها الأوطان والسياسات والمخططات والتشريعات والقيم والمبادئ، فتتجرد هذه الأمور كلها بتجرد العقول وتحررها من الوهن الذي أصابها. وبهذا يتضح أنّ رسالة العلماء لم تقتصر على الجهاد بالعلم، وإنما جمعوا بين الجهاد بالقلم والجهاد بالسيف حرصا منهم على أداء واجبهم اتجاه المجتمع الإسلامي<sup>3</sup>.

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص154-155.

2- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص271.

3- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص271.

-الفصل الأول: مكانة ومنزل العلماء في المجتمع الإسلامي في العصر السلجوقي

1-المكانة العلمية.

2-المكانة الأخلاقية.

3-المكانة الاجتماعية للعلماء في العصر السلجوقي.

3-1-مكانة العلماء عند طبقة الخاصة.

3-2-مكانة العلماء عند طبقة العامة.

4-الأحوال المعيشية للعلماء في العصر السلجوقي.

5-الخدمات الخاصة للعلماء.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

إنَّ التطرق لمكانة ومنزلة العلماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر السلجوقي، يستدعي منا التعرف على مكانة العلماء العلمية، ومكانتهم الأخلاقية، وكذلك مكانتهم الاجتماعية، سواء عند طبقة الخاصة أو عند طبقة العامة، ثم أحوالهم المعيشية، وكذا الخدمات الخاصة للعلماء، حتى تتضح لنا صورة هذه المكانة والمنزلة التي حازها العلماء في مجتمعات العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر إبان العصر السلجوقي.

**1- المكانة العلمية:** يعد العلماء ورثة الأنبياء لذلك فقد لعبوا منذ البداية دور خطيرا في المجتمع الإسلامي، كما كانوا يتمتعون بالتجلة والاحترام التام<sup>1</sup>، كما يعتبرون سادة الأمة الحقيقيون، إذ استمدوا مكانتهم من إيمان الناس بالمبادئ والشرائع التي كانوا القيمين عليها<sup>2</sup>، ومما لا شك فيه أنَّ العلماء المسلمين- في عصر الدراسة- لم يكونوا كلهم على درجة واحدة في العلم، ولا في مستوى مقارب من الثقافة، فثمة تفاوت بينهم- كغيرهم من الناس- في مداركهم العقلية وفي مقادير ما تحيأ لهم من علوم ومعارف؛ ففيهم الكبير والصغير، والعالم والمتعلم، والمجتهد والمقتصد، لكن نفرا من هؤلاء بلغوا في زمنهم منزلة علمية سامقة برزوا فيها عن غيرهم، وتفوقوا على من سواهم، ولقد كان لتلك المنزلة العلمية التي بلغوها مظاهر مختلفة يمكن رصدها خلال التأمل في تراجم حياتهم والنظر في تراثهم<sup>3</sup>، وعلى ضوء ذلك فقد شكلوا عبر مختلف التخصصات العلمية التي انبروا لتحصيلها، وسعوا لتعلمها واستيعابها، جعلتهم يحتلون موقعا فريدا ومتميزا وفاعلا ومؤثرا وموجها ومرشدا، وأضحى محل إجماع وتوافق من قبل جميع أفراد المجتمع الإسلامي. فالعالم هو وارث النبوة ولا يسع الأمة في هذه الحالة إلا التسليم والرضا بهذا العالم وهذه المرتبة العظيمة<sup>4</sup>، ذلك أنَّ الإسلام منذ أن برز إلى الناس كمشروع حضاري يستند إلى قدسية الوحي ويعتمد قدرته الفائقة على مخاطبة الكيان البشري وعلى تفجير طاقة الحركة في النفس المؤمنة، منذ ذلك البروز وأحكامه تتجه إلى تأسيس ثقافة مجتمعية<sup>5</sup>، هذه الثقافة التي تفاعلت مع جميع البيئات والأعراف والتقاليد والطوائف والمرجعيات، وعملت على صهرها في بوتقة واحدة صنعت لنا مجتمعا متكاملا متناسقا، في جميع أصقاع

1- شادية عبد الله محمد أحمد، مظاهر الحياة الاجتماعية في بغداد وخراسان في عهد البويهيين في القرنين الرابع والخامس الهجريين، في

الفترة 334هـ-447هـ/945م-1055م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة

الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 1427هـ/2006م، ص102.

2- منصو إحميد سالم الصوفي، الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي (648هـ-922هـ/1250م-1517م)، بحث لنيل درجة

الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ/2010م، ص57.

3- بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1671م-1830م، رسالة مقدمة لنيل

درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران (01)، 2016م-2017م، ص103.

4- بن حرز الله الطيب، منهج النظر المقاصدي ودوره في بناء نظرية سياسية إسلامية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم الإسلامية، تخصص

سياسة شرعية، قسم الشريعة، جامعة باتنة (01)، 1437هـ-1438هـ/2016م-2017م، ص406.

5- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص11-12.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

العالم الإسلامي سواء في فترات دولة الخلافة الإسلامية، أو حتى أثناء انقسامها إلى دول وإمارات وممالك وسلطنات، تمهيدا للوصول إلى مفهوم الأمة الإسلامية الواحدة، التي حرص الإسلام كل الحرص على تكوينها وبناءها على أساس عقائدي، بحيث تكون حركات الناس وسكناتهم، عاداتهم وتقاليدهم، لغتهم وتاريخهم، أخلاقهم ومعاملاتهم، ناهلة من مصدر واحد، هو عقيدة التوحيد<sup>1</sup>، كما أكد الإسلام على نظريته إلى الأمة لذاتها على أنها أمة متعايشة تتقوى بتضام أفرادها، وتتأثر بأدنى انحراف وظيفي من بعض أعضائها، على نحو يتأثر به ركاب السفينة إن هم سمحوا لأحد راكبيها المغامرين بأن يمارس حريته فيخرق موضعه من السفينة<sup>2</sup>.

لقد عمل الإسلام على ضمان بقاء هذه الأمة، بتوزيع الأدوار والوظائف، وإناطة المهام واحترام فقه الاختلاف والتنوع الذي خلق الله عليه الناس، كما قسم المسؤوليات ووازن بين السلطات والصلاحيات، ونظم الحريات والعلاقات بين أفراد الأمة الإسلامية، وعول على فئات وشرائح أناط بها أدوارا مفصلية وأعطاهم مواقع مؤثرة، وجعل لها المقام الرفيع والمنزلة العليا في الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، ولعل المكانة العلمية التي نحاول استقصاءها وتلمس جوهرها، هي مكانة كانت دائما حاضرة ومتواصلة بشكل مطرد، تظهر في كل المناسبات والفعاليات والتغيرات، ذلك أنَّ العلماء كانت لهم مكانة علمية في المجتمع الإسلامي منبثقة من المكانة التي أعطاهم لهم الإسلام وبوأهم إياها، ثم تطورت وتعاضمت بتطور المجتمع الإسلامي وتشعب مجالات الحياة وكثرة النوازل المستجدة، يقول الدكتور مصطفى بن حمزة: "... كان من أثرها أن أصبح الفقه المجتمعي أوفر حجما ومادة من فقه الدولة المعبر عنه بالأحكام السلطانية، وتبعاً لذلك كانت مفردات الفقه المجتمعي أضخم من مفردات ومسائل فقه الإمامة العظمى. واستتبع ذلك أن تكون كتب الأحكام السلطانية أقل عددا من كتب الفقه الاجتماعي الذي أفرز أضخم معجم اجتماعي لا يعدو الصواب من يقول إنه معجم لا نظير له في أي ثقافة..."<sup>3</sup>، وفي نفس السياق فإنَّ العلماء بجميع أصنافهم حازوا مكانة علمية رفيعة نظير مقدرتهم الفائقة على التموّع في المجتمع وإنشاء شبكة علاقات مع جميع فئات المجتمع، فالفقهاء أنيط بهم الإفتاء وتحمل الشهادات وإعانة القضاة على إقامة العدل<sup>4</sup>، وتعليم المجتمع أحكام الدين من عبادات ومعاملات، والأطباء يشرفون على تطبيب المجتمع ومداواته وإيجاد الأدوية الناجعة ومواساة المرضى والنظر في أحوالهم وصولاً إلى مستوى الحجابة والفصد، والإشراف على ضحايا الكوارث والأوبئة والمجاعات وجرحى الحروب وربط بعض الأمراض وأحكامها

1- بوكراية عامر، الرقابة على اجتهاد الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في السياسة الشرعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة باتنة (01)، 1431هـ-1432هـ/2010م-2011م، ص54.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص14.

3- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص12.

4- المرجع نفسه، ص13.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

بالفرائض التي يؤديها المسلم،... وبحكم قرب العلماء والفقهاء من العامة، كان تأثير العلماء على الجماهير العربية... كبيرا وواضحا، فقد كان العلماء الجزء المثقف من هذه الوحدة الاجتماعية في الأدب والفقه وتعاليم الإسلام، لقد كانوا قضاة وشهودا وأئمة مساجد وأساتذة ومعلمين وقراء قرآن ورواة حديث، ومتصوفة وموظفي مساجد. وكان واجبهم الأساسي المحافظة على الأوامر السماوية، ودعم الجماعة كوحدة إسلامية وإعطاء المجتمع الإرشاد الديني والأخلاقي، وأيدوا قوانين الإسلام وتعاليمه وقمعوا الفساد والرياسة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر...<sup>1</sup>، كما تجدر الإشارة إلى أنَّ المكانة العلمية للعلماء زادت واتسعت وترسخت بين أفراد المجتمع الإسلامي وفتاته، لما صار هؤلاء نوابا عنه وقادة له وسادة له وقدوة له، فانقاد لهم واستمع لوعظهم وانساق خلف إرشاداتهم وتوجيهاتهم، كما قبلوا المهام والوظائف التي أناطوها له، حيث كلفوا أفرادهم كل في مجاله وضمن حدود معرفته ومؤهلاته، فمنهم للقيادة العسكرية أو المدنية ومنهم للتدريس ومنهم لرعاية الناس ومنهم للمراسلة ومنهم للكتابة ومنهم لأمانة المال وآخرين للتجارة والاستثمار وغيرهم للإعلام والتعليم<sup>2</sup>. وبذلك ارتكزت المكانة العلمية وتعمقت وتواصلت في جميع العصور على الرغم من التغيرات والتقلبات والحن والأزمات التي عرفها المجتمع الإسلامي، وأضحت شبكة العلماء ومريديهم تتكون من مجموعة واسعة من الأفراد، ابتداءً من خطباء المساجد وأئمتها، إلى المؤذنين والقوام والخدمة والقراء والوعاظ إلى المؤذنين<sup>3</sup>، هذا الكل المتكامل أثر تلاحما بين العلماء المسلمين وفتات المجتمع الإسلامي الأخرى، تمخض عنه مجتمع إسلامي قوي وفاعل تمكن من تغطية أكثر الوظائف الاجتماعية، وأرسى لنفسه ممارسات وتقاليد قيمة في الفعل الاجتماعي<sup>4</sup>.

وعليه فإنَّ مفهوم العلم والعلماء في الإسلام، يستتبع انفتاحا كليا على الجماعة والأمة، وبالتالي على المجتمع، حيث ينتظم العالم-الفقيه في الجماعة كجزء عضوي فيها، وحيث يقدم العلم للآخرين كواجب من واجبات المسلم<sup>5</sup>. لذا تطالعا قائمة طويلة من أسماء العلماء الذين حازوا المكانة العلمية في مجتمع العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي كالماوردي وأبي المعالي الجويني وأبي حامد الغزالي وعبد الرحمن بن الجوزي ونظام الملك الطوسي وعميد الملك الكندري، والدامغاني والسمعاني الحد والحفيد، وأضحوا محل تقدير واحترام من قبل جميع أفراد المجتمع السلجوقي في الأقاليم الثلاث.

1- منصور إحميد سالم الصوفي، المرجع السابق، ص 65.

2- خلدون ضياء الدين، منظومة العلوم الإسلامية تاريخيا وعلاقتها بالمشروع العلمي والتربوي العام للأمة، تطبيق عملي اليوم، بحوث الندوة العلمية الدولية الأولى حول تاريخ العلوم في الإسلام، مج 2، ص 630.

3- كوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي...، المرجع السابق، ص 44.

4- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 15.

5- كوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي...، المرجع السابق، ص 44.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

**2- المكانة الأخلاقية:** لقد سلك الإسلام وهو يؤسس قاعدة الانطلاق نحو الفعل الاجتماعي مسلكا متميزا مستوحى من طبيعته وأسلوبه في قيادة الشأن المدني وتديره انطلاقا من توظيف الوازع الديني وترسيخه واستثمار عطاءاته<sup>1</sup>، وبما أنَّ العلماء ورثة الأنبياء وحمله رسالتهم، فقد استحقوا تبوء محل أخلاقي لا يطاق، إذ أنهم نواب عن الأنبياء عليهم السلام، كما أنَّ لهم في صلتهم بالأمة وظائف مستديمة وعميقة الأثر، فهم يمثلون فيها عقلها النير وفكرها الموصول بمصدري التوجيه الإسلامي الكتاب والسنة، وهم يمثلون كذلك وجدانها المفعم بمحبة الخير للناس مما يجعلهم يندرون أنفسهم لأن يكونوا شخصيات عامة تفكر بفكر الأمة وتحرس على سلامتها فكريا وخلقيا وسلوكيا<sup>2</sup>، لذا فإنَّ العلماء هم بمثابة السراج الذي يستضاء به في ظلام العتمة، فاستحقوا المكانة الأخلاقية التي حازوها في المجتمع الإسلامي وصارت علامة يعرفون بها وميزة لهم وخصيصة اختصوا بها، لم يداينهم إليها أحد، فعلى أعمال العالم المسلم أن تكون خالية من شوائب النفس، كالكبرياء والرياء والنفاق والمصلحة الفردية الضيقة والحسد والجشع والغش والاحتيال والظلم والتعدي، كما لا يجوز لأعماله المادية مهما كانت مهمة- اللهم إلا في حالات الطوارئ- أن تغطي على النواحي الروحية والنفسية أو أن تبرر الخروج على منظومة الأخلاقيات التي جاءت في تعاليم الإسلام. ويدخل في هذه المنظومة صفاء النية واحترام المقاصد النهائية للشرع، واحترام الذات الإلهية والشرائع، واحترام الإنسان وعقله وأدميته واعتقاده وإمكانياته ومواهبه وإبداعه، واحترام الآخر بما في ذلك احترام البيئة والحيوان والمجتمع بكل خصوصياته<sup>3</sup>.

إنَّ المكانة الأخلاقية للعلماء كانت وما زالت ألصق بالعلماء وأكثر اتصالا بهم، فالعالم في نظر المجتمع هو أكثر الناس خلقا، يناط به ما لا يناط من غيره، فهو الورع الصادق الأمين المخلص الناصح، البعيد عن مواطن الشبهات، النائي بنفسه عن مسقطات المرؤة، الذي يتعفف ويتورع ويقبل في وقت الفرع ويدبر في وقت الطمع، الذي يتحلى ويتخلق بأخلاق الأنبياء والرسل والصديقين وأولياء الله تعالى، هو الزاهد عما في أيدي الناس، الذي يخشع قلبه ويدعن للحق، كما لا يخشى في الله لومة لائم، ويصدع بالحق ويدافع عنه، الذي يسعى دائما وأبدا لمصلحة الإسلام والمسلمين وحب الخير لهم.

وفي السياق ذاته أصبح لزاما على العلماء المسلمين القيام بواجبهم في المجتمع الإسلامي في العصر السلجوقي، هذا الواجب الذي يعد مفصليا عندما يضطلع به هؤلاء العلماء، إذ يحاولون الموازنة بين كونهم أفرادا من المجتمع يجري عليهم ما يجري على بقية أفرادهم، وبين المكانة التي بواهم إياها الإسلام، والحد الفاصل هي منظومة

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص16.

2- المرجع نفسه، ص153.

3- خلدون ضياء الدين، المرجع السابق، ص641.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الأخلاق التي يتخلقون بها وينتحلون أعظمها، والتي تتوافق في الوقت ذاته مع التطلعات و التوافقات والمصالح العليا للبلاد والعباد، لذا فمكانتهم الأخلاقية هي صمام الأمان في المجتمع، فهم يختلفون عن التجار والفلاحين والحرفيين والصناع، ورجال الدولة من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب والقادة، إنهم الأقدر على لعب دور مزدوج بين السلطة والمجتمع، فيمكنهم المشاركة في خطط الدولة والتأثير في قراراتها، وفي نفس الوقت هم الأقرب إلى المجتمع، إنهم الجسر الرابط بين الطرفين والحلقة التي تصل بينهما، يستطيعون الانتقال بين كليهما بشكل يختلف تماما عن بقية الفئات الأخرى، ودائما كان الضابط هو الأخلاق، يقول ابن الجوزي: "...وأخلو بنفسي في خلواتي، وأتزيد من البكاء على نقص حالاتي، وأقول: أصف حال العلماء؛ وجسمي يضعف عن إعادة العلم!! وحال الزهاد؛ وبدني لا يقوى على الزهد!! وحال المحبين؛ ومخالطة الخلق تشتت همي وتنقش صور المحبوبات من الهوى في نفسي فتصدأ مرآة قلبي!! وشجرة المحبة تحتاج إلى تربية في تربة طيبة تسقى ماء الخلوة من دولاب الفكرة..<sup>1</sup>، ثم يفرد فصلا آخر بعنوان "في بعض الأدوية النافعة لصلاح القلوب"، وهذه بعض الشذرات "تأملت أمر الدنيا والآخرة، فوجدت حوادث الدنيا حسية طبيعية وحوادث الآخرة إيمانية يقينية، والحسنيات أقوى جذبا لمن لم يقو علمه ويقينه. فعليك بالعزلة والذكر والنظر في العلم؛ فإن العزلة حمية، والفكر والعلم أدوية، والدواء مع التخليط لا ينفع..<sup>2</sup>، إن ابن الجوزي في كلامه هذا ينطق عن خبرة وتجربة كبيرة، فهو يسوق لمن يريد أن يصير في زمرة العلماء الخطوات الهامة التي ينبغي أن يتصف بها، والتي تنقسم إلى مميزات خلقية وأخرى تعبدية، فأما الخلقية فشملت الورع والفضل والصلاح، والمميزات التعبدية فهي صفات النسك والانقطاع والتجرد والزهد، وإذا كانت الخلقية لا تخرج الإنسان من حياته اليومية المعتادة أو تجعله متميزا، فإن المميزات التعبدية ترتبط بالمجاهدات البدنية والنفسية<sup>3</sup>. أما ابن الفراء أبو يعلى فقد اشترط على العلماء الذين يتولون الحسبة أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الستر والعدالة والقبول عند الناس، لأنه إذا كان بهذه الصفة رهبه المأمور، وربما استجاب إليه ورجع إلى قوله تعظيما لله سبحانه وتعالى، ولدينه، لأن من هذه صفته فكلامه أوقع في النفوس وأقرب إلى القلوب<sup>4</sup>.

1- صيد الخاطر، تحقيق وتعليق عامر بن علي ياسين، ط1، الرياض، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، 1418هـ/1997م، ص85.

2- المصدر السابق، ص86.

3- بونابي الطاهر، المرجع السابق، ص33.

4- ابن الفراء محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. عمر أبو المجد بن حسين قاسم محمد

النعمي، ط2، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1434هـ/2013م، ص47.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لقد كانت المكانة الأخلاقية للعلماء في العصر السلجوقي مهمة وفاعلة في دورهم في الحياة الاجتماعية خلال هذا العصر، حيث كان حضورهم واضح المعالم والملامح، وله أبلغ الأثر في تفعيل دورهم الاجتماعي على جميع الأصعدة والميادين والمجالات، لذا استقصت لنا المصادر عددا هائلا من العلماء، الذين وصفوا بأخلاقهم العالية، سوف نشير إلى بعضهم من باب التأكيد على مكانتهم الأخلاقية، فمنهم أبو عثمان سعيد بن محمد بن أحمد البحيري، كان شيخا جليلا ثقة صدوقا من بيت التزكية<sup>1</sup>، وكذلك أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان وهب البدري الدباس الأديب المعروف البار، كان فاضلا<sup>2</sup>، وأبو عبد الله عبد الصمد ابن أحمد بن محمد البديسي، إمام مسجد الصاغة بمرو، وكان شيخا ظاهره الخير والصلاح<sup>3</sup>، وأبو بكر أحمد بن المبارك بن أحمد يعرف بأبي الرجال البراثي، وكان فاضلا صالحا من أهل القرآن كثير التعبد وكان له بيت ينفر فيه ولا يخرج منه إلا في أوقات الصلوات وينشغل فيه بالعبادة<sup>4</sup>، وأيضا أبو البركات يحيى بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن براذق المؤدب البراذقي البغدادي من أهل بغداد، كان صدوقا<sup>5</sup>، وأبو بكر محمد بن محمد بن أبي بكر البراني، يعرف بالنجيب، كان فقيها فاضلا صالحا<sup>6</sup>، وأبو علي أحمد بن محمد بن البرداني، كان حافظا ثقة صدوقا خيرا ثبتا<sup>7</sup>، وأبو بكر عبد الرزاق بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن حمدان البردسيري الكرماني، كان إماما فاضلا حسن السيرة<sup>8</sup>. لقد أظهرت التراجم التي سقناها، أنَّ العلماء العاملين الصالحون من أقرب الناس إلى الله تعالى؛ بل وأكثرهم له خشية وأحبهم إليه وهم أولى الناس بمحبة الله تعالى، إذ اجتمع فيهم الإيمان والصلاح والإصلاح والتقوى<sup>9</sup>.

إنَّ أهم سمة يمكن ملاحظتها على المكانة الأخلاقية للعلماء في عصر الدراسة، هي محافظتها على عنفوانها وصبغتها الاجتماعية التي أسست عليها، تلك الصبغة هي ما مكنتها من التأثير في المجتمع، تأثيرا قويا شكل الضمان الحي والدائم لقيم الإسلام في التراحم والتعاقد، حتى أضحي التخلق مزاجا عاما يمكن رصده عند جميع

1- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص98.

2- المصدر نفسه، ج2، ص105.

3- المصدر نفسه، ج2، ص115.

4- المصدر نفسه، ج2، ص118.

5- المصدر نفسه، ج2، ص120.

6- المصدر نفسه، ج2، ص123.

7- المصدر نفسه، ج2، ص136.

8- المصدر نفسه، ج2، ص137.

9- الشوبكي محمود يوسف، علاقة العلماء بالحكام والرعية، المؤتمر العلمي الثاني... العلماء... واقع وآمال، 1432هـ/2011م، ص602.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

التيارات الفكرية والشرائح الاجتماعية مع تباين ملحوظ في مظاهره وتمثالاته<sup>1</sup>، يضاف إلى ما سبق، أنَّ المكانة الأخلاقية من نتائج العملية، الدعوة إلى تجديد الالتزام بالإسلام عقيدة وشرعية وسلوكا، وعدم إهمال البعد الإحساني في العلاقات الاجتماعية، كما نتج عنها تفاعل عامة الناس مع مضمون الخطاب الأخلاقي الذي علت نبرته فوق مستويات الخطاب الشرعي الأخرى، مع أنه كان يسير معها في نفس الخط ويشتركها في نفس الأدبيات المرجعية، فعبروا عن تمسكهم به واقتناعهم بمنطقه و راهنيتيه، من خلال التفاهم حول ممثليه من العلماء الزهاد الذين جمعوا بين تركية الظاهر والباطن، باعتبارهم المحفز الأبرز لفئات المجتمع على القيام بالمتطلبات الاجتماعية للتخلق، وهو ما نتلمس آثاره في الجموع الغفيرة التي كانت تحضر مجالس الوعظ طلبا للانتفاع بفضلها وبركتها<sup>2</sup>.

أما المظاهر الاجتماعية للتخلق عند العلماء الرابانيين فتتجلى في التصدي لمهمة التربية والتعليم الجاني، والتورع عن تولي المهام الرسمية كالقضاء والحسبة والوصاية على أموال اليتامى خشية التلبس بأدرانها، وحتى من تولى منهم مهمة القضاء وجدناه حريصا على تحقيق قيم التخلق؛ عن طريق ترك بعض المباحات، والترفع عن المحاباة وكرامية تملق الناس<sup>3</sup>. إنَّ الحديث عن المكانة الأخلاقية للعلماء في العصر السلجوقي، ومظاهرها وأبعادها، هو استقصاء وسبر لدور العلماء في الحياة الاجتماعية بجميع أنماطها ومكوناتها و تشعباتها وتفرعاتها، إذ إنَّ الخطاب الأخلاقي الذي يعد منبر المكانة الأخلاقية ولسانها المنافع عنها والمؤسس لحضورها ودوامها واستمراريتها في المجتمع الإسلامي، يعد العنوان الأمثل لقياس مدى مطابقة أقوال العلماء بأفعالهم وقيامهم بأعباء العمل الاجتماعي، فلا ينتظر منهم الخطأ ولا التناقض ولا التملق والمحاباة والمداورة والمخاتلة والمماحكة، وربط العلاقات المشبوهة وتقبل الشفاعات، لذا كانوا من أكبر المدافعين عن جوهر ومعنى قيم التخلق والساعين في سبيل تخليصها من الإفراط والتفريط بالفعل قبل القول، لأنها شكلت ضمان مصداقيتهم الدينية والاجتماعية، والذي أسعفهم في ذلك هو أن عامتهم عرفوا بالزهد والعبادة<sup>4</sup>. ولا غرو إذا لمسنا اجتهادا كبيرا من قبل هؤلاء العلماء للقيام بالوظائف التي أناطها بهم المجتمع، ومن أبرزها وظيفة وأمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي تعد من الوظائف الأخلاقية للعلماء، فهي فضلا عن كونها تهدف إلى تخليق الحياة العامة، فإنها تتطلب من المتصدين لها، مزيدا من التقوى والاحتساب حتى يؤديوها على وجهها الأكمل الذي أمر به القرآن الكريم<sup>5</sup>.

1- بنلمهدي يوسف، أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس، ط1، الرباط، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الإمام الجنييد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، 1435هـ/2014م، ص85.

2- المرجع نفسه، ص87.

3- المرجع نفسه، ص88.

4- المرجع نفسه، ص89.

5- المرجع نفسه، ص90-91.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

**3- المكانة الاجتماعية للعلماء في العصر السلجوقي:** العلماء هم قادة الفكر والرأي في المجتمع، ذلك أنه من مبادئ الإسلام تعظيم العلم وحملته<sup>1</sup>، وأضحى المجتمع الإسلامي عامة-بمختلف فئاته- ينظر إلى العلماء نظرة نابعة-بالدرجة الأولى- مما أصله الإسلام في النفوس من مكانة، وما صنعه لهم في القلوب من مهابة، ثم تزداد تلك النظرة حين يخدم أولئك العلماء الأمة في مصالحها، ويشاركونها فيما يساورها من هموم، ويكونون لساننا نطقاً باسمها إذا ما ألت بها الهموم، ويهبون للدفاع عنها وعن دينها عند حلول الأخطار<sup>2</sup>.

وفي نفس السياق كان امتداد نشاط العلماء إلى فئة الصغار لبنة أخرى في ترسيخ وتعزيز مكانتهم الاجتماعية، تأصل بمساهماتهم في الحياة العامة وتمثيلهم لعصرهم، وتمدى التواصل الذي حققوه مع العامة بتعليمهم للناشئة وتلقينهم للعلم الشرعي في المساجد<sup>3</sup>، وانطلاقاً من تشعب وتنوع المطالب العملية السلوكية التي تشمل جميع فعاليات المسلم في حياته من أبسط الأمور إلى أكثرها تعقيداً، فاستدعى منهم بحثاً وتقصياً وطلباً واستخباراً واجتهاداً، وأن يكونوا قدوة في ذلك حتى تبقى مكانتهم سامقة في نظر المجتمع<sup>4</sup>، لذا فإن المجتمعات كانت بحاجة إليهم في كل الأوقات، وتشتد الحاجة في أوقات التحولات الكبرى التي تتميز بالاضطراب والاهتزاز، وكلما ضاقت الأمور واشتدت الأزمات احتاج الناس إلى المصلح والقائد لإرشادهم وتوجيههم الوجهة الصحيحة وإيجاد الحلول والمعالجات لتلك الأمور، لأنهم يمتلكون العلم والقراءة الواعية والدقيقة للواقع الذي يعيشونه، ولهم القدرة على إصلاح وتغيير واقع المجتمعات في مختلف المجالات وكل بحسب اختصاصه<sup>5</sup>، إن التسليم بوجود مكانة اجتماعية للعلماء في العصر السلجوقي، هو في حقيقة الأمر شيء طبيعي عرفه المجتمع الإسلامي قبل العصر السلجوقي، ولكن المفارقة هي في نوعية هذه المكانة في هذا العصر بالذات، إذ أن العلماء المسلمين تبلورت مكانتهم الاجتماعية وارتكزت على المكانتين العلمية والأخلاقية، فأضحت المكانة الاجتماعية كلا متكاملًا يحمل في طياته البعد العلمي والبعد الأخلاقي، وصار بذلك العلماء بجميع أصنافهم ومراتبهم من الفئات المؤثرة في المجتمع

1- جيهان سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد سنة 656هـ/1258م، رسالة

ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1427هـ/2006م، ص63.

2- أبو الخليل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عهدي المرابطين والموحدين (483هـ-

640هـ/1020م-1242م)، ط1، السعودية، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، 1422هـ/1998م، ص03.

3- خطيف صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزبانية، المرجع السابق، ص68.

4- العابد عبد الحميد، المرجع السابق، ص61.

5- مهند نافع خطاب المختار، دور العلماء وجهودهم اتجاه الأزمات الاقتصادية في العراق في العصر العباسي (132هـ-656هـ/749م-

1258م)، مجلة آداب الرافدين، العدد (68)، 1435هـ/2013م، ص299.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الإسلامي، لأنهم أكثر قدرة على فهم أبعاد التشريعات ذات الصلة بالمجتمع في مختلف المجالات، لامتلاكهم أدوات فهم الشريعة تجعلهم موضع قبول لدى جميع فئات المجتمع<sup>1</sup>.

ليس هينا دور العلماء في المجتمع الإسلامي، خصوصا أن مكانتهم الاجتماعية تختلف تماما عن أي مكانة أخرى يحوزها غيرهم، فهم دوما على المحك والأضواء مسلطة عليهم والناس أشد حكما عليهم من غيرهم، ذلك أن من تحليلات هذه المكانة؛ القيام بوظيفة الحسبة لضبط، الأسعار ومحاربة الغش والخداع في جميع الحرف والمعاملات<sup>2</sup>، كما اتسمت مواقف العلماء وجهودهم من خلال بعدين مختلفين في طبيعتهما، وكان الأول عمليا والثاني نظريا أو فكريا<sup>3</sup>.

لقد كان العلماء على علاقة وثيقة وطيبة بعموم أفراد المجتمع في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي، ولا سيما طبقة العامة التي ساندوها وأسهموا برفع الظلم والخياف عنها، وأصبحت الركيزة التي ارتكزوا عليها في بناء مكانتهم أكثر من اعتمادهم على ما امتلكوه من علم وثروات ومواقع قيادية ومناصب عليا في الدولة<sup>4</sup>، لذا اهتموا بالظواهر الاجتماعية والتكافلية والتعاونية سواء في العبادات أو المعاملات، وأكدوا على العمل الجماعي سواء أكان في مجال السياسة أم في مجال الاقتصاد أو العلاقات الاجتماعية وغيرها، بتجسيدها في صور الشورى والتعاون على الخير والتكافل وعدم الاحتكار، مؤمنين بأن العمل الجماعي يعلو على العمل الفردي<sup>5</sup>، والعلماء كما يقول الآجري هم: "...ورثة الأنبياء، وقررة عين الأولياء، الحيتان في البحار لهم تستغفر، والملائكة بأجنحتها لم تخضع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشفع مجالسهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة. هم أفضل من العباد، وأعلى درجة من الزهاد، حياتهم غنية، وموتهم مصيبة. يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل. لا يتوقع لهم بائقة، ولا يخاف منهم غائلة بحسن تأديبهم يتنازع المطيعون، وبجميل موعظتهم يرجع المقصرون،.... فهم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة هم غيظ الشيطان. بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ..."<sup>6</sup>.

1- مهند نافع خطاب المختار، المرجع السابق، ص300.

2- بنلمهدي يوسف، المرجع السابق، ص87.

3- مهند نافع خطاب المختار، المرجع السابق، ص300.

4- المرجع نفسه، ص307.

5- ماهر عبد القادر علي، المرجع السابق، ص

5- الآجري أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، كتاب أخلاق العلماء، اعتنى به الدكتور أحمد حاج محمد عثمان، ط1، الرياض، دار أضواء

السلف، 1428هـ-2007م، ص44-45.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لقد أفاض علماء الإسلام ومفكروه في بيان مهمة العلماء، ومن ذلك ما قيل: "وجب على العلماء العمل بما في الشريعة كما علمها الله ورسوله والعلماء الثقات من بعده دون زيادة أو نقصان أو تخفيف أو تثقيل، ودون خشية أو خجل إلا من الله مع رعايته للمجتمع الإسلامي توصيلاً لحكم الله وحده عز وجل، وليس لإرضاء حكومة أو قوة أو حزب أو شهرة علمية بحتة، على أن الاجتهاد له شروط معروفة لا بد أن يستوفيها العالم يأتي في مقدمتها الورع والذكاء والقدرة والفهم للاستنباط من الموارد الأساسية كما يقرر ذلك الأصوليون"<sup>1</sup>. إذن العلماء مسؤوليتهم كبيرة وخطيرة اتجاه دينهم وأوطانهم ومجتمعاتهم، بل اتجاه العالم أجمع الذي ينظر إليهم على أنهم مخلصوه من متاعبه وآلامه ومعالجوه من جراحاته وأمراضه فبقدر إيمانهم واقتناعهم بأهمية مسؤوليتهم نحو دينهم ومجتمعهم وأوطانهم وبسمو الأمانة الملقاة على عواتقهم، وبيقظة وجدانهم الديني وضميرهم الحي وشعورهم بالخوف من التقصير إن قصروا وبالرغبة في نيل الثواب والرضا من الله إن أحسنوا، من كل ذلك يأتي دورهم في إنقاذ المجتمع وهدايته والأخذ بيده مما يتردى فيه من شر وفساد ويبرز هذا الدور في أن يهدي بقوة محبته لدينه وربه غيره من الناس ويرشدهم إلى طريق السلامة ويجتهد لهم فيما ينفعهم ويسر لهم سبل الفهم في دينهم ويقرب لهم وسائل المعرفة يأخذ بأيديهم إلى طريق النور<sup>2</sup>. ولا تقف مهمة العلماء عند هذا الحد، ولكن تمتد إلى أبعد من ذلك فهي تبصر الناس بحقائق الدين وتكشف أمامهم مجاهل الدنيا، فالعلماء رواد مستكشفون وتبعتهم تحتم عليهم الإيجابية مع المجتمع والتفاعل مع الناس والصدق مع النفس بالتطبيق العملي لما يعلم من حقائق هذا الدين وأحكامه، لأنهم أهل الذكر والله تعالى يقول: ﴿فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنبياء: 07) والفتوى يجب أن يتصدى لها العلماء وطلاب العلم المتمكنون، ولا يترك الناس للأحداث والمتعالمين وقليلي الفقه في الدين، وربما أهل الأهواء أحياناً. وبذلك يصبح العالم صورة حية للدين تتحرك في هالة من النور تهدي الحائر وترشد الضال وتأخذ بأيدي الناس إلى طريق الهدى والصواب؛ وإذا كان علماء الدنيا عليهم عبء واحد فعلماء الدين عليهم أعباء متعددة، عليهم أن يعرفوا صور الفكر الإسلامي ويؤلفوا بينها في إطار متناسق حتى لا تتصادم وتتعادى ويتعادى من ورائها المسلمون ويقع بأسهم بينهم، ولا يتم ذلك إلا إذا وقف علماء الدين في الأفطار الإسلامية كلها صفوا واحداً، بعيداً عن العصبية والتعصب وتناقشوا في هدوء وإيجابية فيما يعترضهم من قضايا، حتى يتقاربوا أمامها على رأي يذهب عن المسلمين خلافتهم الحادة وصراعاتهم الشديدة<sup>3</sup>.

1- القرن، مسؤولية العلماء، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 254، ص 105.

2- المرجع نفسه، ص 104-105.

3- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص 74.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لقد كان للعلماء مكانة اجتماعية مرموقة، وموضع محبة واحترام لدى أغلب فئات المجتمع، فاعتبروهم القادة لهم ونخبتهم، فهم وحدهم ملكوا القدرة على التفسير والإفتاء والبث في القضايا دون أن ينازعهم منازع لذلك كان ينظر لهم نظرة إجلال وتقدير، إذ حرص الخاصة قبل العامة في الغالب على ملازمة طائفة منهم، بل وتنافسوا في استقطاب أفرادها، لما كان لهم من دور بالغ في التأثير بمختلف نواحي الحياة، بما كانوا يتمتعون به من العديد من الصفات الدينية والخلقية إذا عرفوا بالتقوى والورع والنزاهة والعفة والأمانة، والهيبة والوقار والتواضع والعدالة، ونحوها من الصفات الحميدة<sup>1</sup>، حظي العلماء بهذه المكانة المرموقة؛ بسبب اهتمام العلماء بمصالح الأمة ودفاعهم عن حقوقها، فكان بعضهم لا يخشى في ذلك إلا الله، بل توجه بالنقد لكل من انتهك أو فرط في مصالح الأمة.

**3-1- مكانة العلماء عند طبقة الخاصة:** يقول الرازي: "الخاصة هي خلاف العامة"<sup>2</sup>، وتعتبر طبقة الخاصة من الطبقات التي امتازت بقدرتها الفائقة على التأثير في الوسط الاجتماعي (القدرة على القيادة) سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، بالرغم من أنها تكونت من فئات متعددة، تباينت في خصائص عدة، إلا أنها اتسمت بقدرتها على التأثير<sup>3</sup>، وتشمل السلطان السلجوقي والأمراء السلاجقة والوزراء والولاة وموظفي السلطنة بمختلف مراتبهم.

إنَّ مكانة ومنزلة العلماء في المجتمع الإسلامي خلال العصر السلجوقي تعكس حجم نشاطهم وأدوارهم في المجتمع، لذلك حظوا بمنزلة كبيرة لدى رجال الدولة، فكانوا يدعون إلى مجالس السلاطين، وكانت لهم الصدارة فيها<sup>4</sup>. ومن الطبيعي أن يسعى سلاطين السلاجقة ورجال دولتهم إلى استقطاب العلماء، ومنحهم الضمانات المالية والاجتماعية، كما فتحوا أمامهم السبل لاحتلال أعلى المناصب في الوظائف الإدارية والسياسية والعلمية، مقدرين كم هي عظيمة تلك التدابير التي يمتلكها بعضهم في حال توظيفها أثناء خطواتهم الهادفة إلى ترسيخ نفوذهم السياسي وإحياء فكرهم المذهبي<sup>5</sup>.

لقد كان للعلماء دور فعال في مظاهر الحياة المختلفة، وأضحى لهم السيطرة الروحية على أذهان الناس جميعاً، لذلك كان أغلب السلاطين ينزلون عند رأيهم أحياناً خشية من قدرتهم على تحريك القاعدة الاجتماعية

1- المرجع نفسه، ص75.

2- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1995م، ص74.

4- نوري، العامة والسلطة، ص27، نقلاً عن الجبوري طارق موسى إسماعيل، المجتمع ودوره في التصدي للاحتلال المغولي (634هـ -

740هـ)، ط1، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، بغداد، دار الفجر للطباعة والنشر، 1440هـ - 2019م، ص23.

4- ذهبية عاشور، المرجع السابق، ص271.

5 - عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص81.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

بكل سهولة، لأنهم كانوا يترفعون على قمة الطبقة التي تمثل عامة الناس<sup>1</sup>، لذا عمل سلاطين الدولة السلجوقية على التقرب منهم، مدركين أن في احترامهم والرفع من قدرهم والإشادة بمكانتهم وسلطتهم التأثيرية، استرضاء للناس كافة<sup>2</sup>، وعلى ضوء ذلك فقد لقوا الرعاية من السلاطين والوزراء، ومن ثم ارتفع مستوى معيشتهم، وصاروا مقدمين في مجالس السلاطين، كما فعل السلطان طغرل بك سنة 429هـ/1037م، عندما جلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي في نيسابور، حيث أخذ بيد القاضي وأجلسه بجواره على طرف سريره وأخذ يستمع إلى نصائحه<sup>3</sup>، وأيضاً "كان لرجال هذه الطبقة مكانة عالية عند الخاصة والعامة، وقد حظي بعض منهم بنصيب وافر من العناية والعطاء والمنح، خاصة من تولى منهم مناصب في الدولة كالقضاء والخطابة، أو الذين انضموا إلى البلاط السلطاني، وبذلك ظهرت الكثير من المؤلفات بأسماء الوزراء والأمراء ووجهاء الدولة، ومن ابتعد منهم عن البلاط السلطاني كانوا في الغالب يمارسون التجارة والصناعة والزراعة، ولا يقل بذلك دورهم واهتمامهم بالعلم وأهله عمن اتصل بالسلاطين والأمراء..."<sup>4</sup>.

يعتبر العلماء في العصر السلجوقي مندرجين ضمن طبقة الموظفين في الدولة السلجوقية، ومعهم الوزراء والكتاب والحجاب والأدباء والتجار والقادة والمقطعين وغيرهم من أرباب الوظائف الديوانية في الدولة، نظراً لغلبة البداوة على السلاطين السلاجقة، فوجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إلى كثير من الموظفين للاستعانة بهم في المهام المختلفة، فبرزت بذلك تلك الطبقة، وأصبحت درجتها تلي درجة طبقة الخاصة، وكذلك نظراً لازدياد نفوذ بعض أفرادها تبعاً لأهمية مناصبهم أو لصلتهم بالسلطان السلجوقي<sup>5</sup>.

وإذا كان العلماء من طبقة الموظفين، إلا أن حاجة الدولة إليهم أعظم وأكبر من بقية الموظفين، وخاصة أنهم تبوؤوا مناصب الدولة وخططها كما رأينا في الفصل الخامس من الباب الأول من هذه الدراسة، فكانوا حجاباً وسفراء وقضاة ومحتسين وكتّاباً وتجاراً وأدباء، لذا شكلوا طبقة بكاملها تختلف تماماً عن بقية الطبقات، وأيضاً رغم أنهم لم يشاركوا جميعهم في وظائف الدولة إلا أن الدولة السلجوقية لم تستطع تجاوزهم ولا تهميشهم ولا تفرغهم كشيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي النيسابوري (ت 479هـ) الذي كانت له منزلة كبيرة عند السلطان ملكشاه وقال عنه محمد

1- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص 91.

2- محمود عبد الله جمعة مراد، إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (دراسة تاريخية حضارية)، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الحضارات الآسيوية، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، 2006م، ص 132.

3- أدبيل سليمان محمود وهبي، المرجع السابق، ص 195.

4- البدنة، المرجع السابق، ص 109، الفاجالو، المرجع السابق، ص 82.

5- ذهبية عاشور، المرجع السابق، ص 270، سماح محمد عواد محيسن، المرجع السابق، ص 387.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا<sup>1</sup>، وكذلك أبو بكر محمد بن ثابت الخجندي الذي كان الوزير السلجوقي نظام الملك يتردد إليه ويؤوره ليستمتع لوعظه<sup>2</sup>، وأيضاً الإمام أبو الفتح أسعد بن أبي نصر الميهني الفقيه الشافعي، كان له قبول عند الخليفة والسلطان وسائر الناس<sup>3</sup> فقد حظوا باحترام السلاطين دون بقية الموظفين الآخرين وأصبحوا في رغد من العيش، ولا سيما في عصر السلطان السلجوقي سنجر الذي أولاهم اهتماماً كبيراً على الرغم من أميته<sup>4</sup>، منهم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد بن علي أبو القاسم الأكاف النيسابوري، الذي كان السلطان سنجر يزوره ويتبرك بدعائه، وكان ربما حجه فلا يمكنه من الدخول إليه<sup>5</sup>.

ومن مظاهر احترام السلاطين للعلماء، أنه كان إذا مرض أحدهم عاده السلطان السلجوقي، وإن مات عالم من العلماء حضر السلطان للصلاة عليه، ومشى أمام النعش إلى أن يدفن، وربما شارك في حمل النعش على كتفه فتحمله أكابر الأمراء عنه<sup>6</sup>؛ مثل: الفقيه أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علي أحد رؤساء الفقهاء الشافعية، الذي مشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته، باستثناء نظام الملك الذي اعتذر بكبر سنه، ولكنه أكثر البكاء عليه، وتم دفنه عند الشيخ أبي إسحاق بباب أبرز، وزار السلطان قبره<sup>7</sup>، وأيضاً الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الذي صلى عليه الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله، كما أمر نظام الملك بغلق المدرسة النظامية التي كان يدرس فيها<sup>8</sup> وكذلك قبول النصائح والمواظع والإرشادات منهم، بالإضافة إلى رغبة سلاطين السلاجقة إضفاء صفة دينية مقبولة على حكمهم وليكونوا حلقة وصل بينهم وبين السكان المحليين، ولأنهم من الناحية الشرعية هم أصحاب الولاية والسلطة والشورى ويمضون الأحكام الشرعية المتعلقة بدورهم، ويجب على المسلمين طاعتهم<sup>9</sup>.

**3-2- مكانة العلماء عند لصيقة العامة:** العلماء هم "سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص450.

2- المصدر نفسه، ج9، ص69.

3- المصدر نفسه، ج9، ص252.

4- سماح عواد محيسن، المرجع السابق، ص387.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص400.

6- الجبوري طارق موسى إسماعيل، المرجع السابق، ص31.

7- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص475-476.

8- المصدر نفسه، ج8، ص432.

9- الجبوري طارق موسى إسماعيل، المرجع السابق، ص28.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

أبصروا، فإن قال قائل: ما دل على ما قلت؟ قيل له: الكتاب، ثم السنة. فإن قال: فاذكر منه، إذا ما سمعه المؤمن، سارع في طلب العلم، ورغب فيما رغبه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>، لذا حظوا بمكانة بمكانة مرموقة عند طبقة العامة، هذه الطبقة التي تشكل أساس وركيزة المجتمع الإسلامي، وهي واسعة الانتشار وتتألف من عناصر وطوائف مختلفة، سكنت المدن والأرياف على حد سواء<sup>2</sup>؛ بحكم أنهم أكثر الناس احتكاكاً بهذه الطبقة الواسعة من المجتمع الإسلامي، فقد شكل العلماء في عصر السلاجقة حلقة الوصل بين طبقة الخاصة وطبقة العامة، وصاروا يمثلون الطبقة الوسطى في السلم الاجتماعي خلال هذا العصر<sup>3</sup>، مما جعل مكانتهم عند عامة الناس أكثر أصالة واستمرارية وثقة، وذلك نظير تواجدهم وحضورهم المستمر في التحولات الكبرى التي يشهد المجتمع الإسلامي، ومتابعيتهم لأحوال الناس، إذ كان قسم منهم يمثلون جزءاً من الباعة وأصحاب الحرف، بالإضافة إلى انتماء معظمهم إلى بيوتات وصفت بالفضل والتقدم والرئاسة<sup>4</sup>، يضاف إلى هذا سعيهم في قضاء حوائج الناس، نظراً لنفوذ بعضهم بحكم قربهم من السلطة وقدرة آخرين منهم على التأثير في كثير من الأحيان<sup>5</sup>، كما أنَّ صلاح العلماء وزهدهم يضعهم لدى عامة الناس موضع الزهاد المنقطعين، ومن ثم فهم موضع تبرك وتيمن بصرف النظر عن انتماءاتهم الساللية والجهوية<sup>6</sup>، وزيادة على ذلك تواضع هؤلاء العلماء الذي يعني بالضرورة وضع أنفسهم تحت تصرف عامة الناس للرد على استفساراتها وأسئلتها، وأيضاً جلوسهم في الأسواق مع الباعة قد يغير كثيراً من سلبيات هؤلاء التجار، فقد اعتاد الناس في زحام الأسواق عند البيع والشراء أن يقدموا العلماء على أنفسهم<sup>7</sup>، ما جعل حب وثقة العامة يزداد يوماً بعد يوم للعلماء، وهو ناجم عن تعاملهم الحسن مع الفقراء والمساكين وذوي الحاجة، حيث عملوا على تحسين أحوالهم، بتوزيع رواتبهم وأعطياتهم عليهم، وقضوا معظم أوقاتهم في المساجد التي اشتهرت بهم، أو في المدارس النظامية الكثيرة التي حوتها دولة السلاطين السلاجقة العظام<sup>8</sup>، الأمر

1-الآجري، المصدر السابق، ص3.

2-الجبوري طارق موسى إسماعيل، المرجع السابق، ص48.

3-المعاضدي عبد القادر سلمان، المرجع السابق، ص206.

4-المرجع نفسه، ص207.

5-عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص79.

6-حركات إبراهيم، علماء الإسلام في الماضي قوة حاضرة في جل الأنظمة، ندوة التاريخ والفقهاء أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني، تنسيق محمد حجي، إنجاز الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ط1، الرباط، 1423هـ-2002م، ص93.

7-المرجع نفسه، ص95، الجبوري طارق موسى إسماعيل، المرجع السابق، ص31.

1-بازياب نورة عبد الله، قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم (دراسة تاريخية حضارية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى/ مكة المكرمة، 1415هـ/1994م، ص111، ذهبية عاشور، المرجع السابق، ص270-271.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الذي جعل كلمتهم مسموعة عند الفئات الشعبية ولدى القبائل، فكان لهم دور في حفظ الأمن الداخلي، وضمنان وحدة الجبهة الداخلية، أثناء غياب السلاطين في الحروب الخارجية، حيث ضغطوا على الفئات الشعبية وهدؤوا الفئات المتنازعة والصراعات بين الأحياء والقرى<sup>1</sup>، وبالمقابل جعل السلطة تزكي أبناء العلماء لمهمة الإشهاد بوثيقة الرسمية، منطلقة مما حظوا بهم من ثقة الجماهير على حسب عملهم وسلوكهم وشعبيتهم، وكذا تنزه هؤلاء العلماء عن مواطن الإذلال والمواقف التي تخالف تعاليم الدين<sup>2</sup>.

وقد عكست المكانة التي تمتع بها العلماء عند عامة الناس مدى حضورهم في المجتمع وعدم عزلتهم، واهتمامهم الكبير بقضايا الناس، بل كانت لبعضهم مواقف حاسمة في الدفاع عن حقوق الناس، مما أدى بعامة الناس إلى الاقتداء بهم والالتفاف حولهم، ويتجلى ذلك في كثير من المخططات التي شهد عصر السلاجقة، كما يمكن تلمس ما حظي به العلماء من منزلة اجتماعية عالية، من خلال الوقوف على مشاهد جنائزهم، وكثرة الخلق الذين كانوا يتوافدون من أجل تشييعهم إلى مثواهم الأخير<sup>3</sup>، ومن الأمثلة على ذلك نجد العالم أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري لما توفي جلس الناس في البلاد البعيدة للعزاء به حتى ببغداد في رباط شيخ الشيوخ<sup>4</sup>، وأيضاً الشيخ أبو الوفاء الفارسي كانت جنازته مشهودة حضرها أعيان بغداد<sup>5</sup>، وكذلك محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندي رئيس أصحاب الشافعي عندما توفي وقعت فتنة عظيمة بأصفهان وقتل فيها خلق كثير<sup>6</sup>.

### 4- الأحوال المعيشية للعلماء في العصر السلجوقي:

إنَّ الحديث عن الأحوال المعيشية للعلماء خلال العصر السلجوقي هو إظهار لحالة المجتمع الإسلامي والتطورات التي شهدتها ومؤشرات الغنى والفقر ورغد العيش وشظفه، كما يبرز تطور أوضاع العلماء في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر بغض النظر عن التباين بين هذه الأقاليم الثلاث، من حيث الجانب الاقتصادي والكثافة السكانية والأهمية السياسية والإستراتيجية، الأمر الذي يجعل مستويات العلماء المعيشية متفاوتة، فقد وجد علماء ميسوري الحال لهم ثروات تكفيهم مؤونة العيش، ومنهم من كان مكفياً غير محتاج إلى

1- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص78.

2- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص96-97.

3- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص79-80.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص206.

5- المصدر نفسه، ج9، ص272.

6- المصدر نفسه، ج9، ص419.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

تجارة أو صنعة أو عمل وكان رب مال، ومنهم من عمل بالتجارة، ومنهم من امتلك الضياع والعقار<sup>1</sup>، ولم يخل وسط العلماء من أثرياء وإن كانوا نسبة ضئيلة جدا بالقياس إلى غيرهم من المستورين والفقراء، وذلك عائد إلى أن الكثير منهم كانوا من البيوتات العلمية التي تتوارث الجاه والثروة، مثلما تتوارث المناصب العلمية والوظائف<sup>2</sup>، ووجد بين العلماء من يعيش حالة الفقر المدقع حتى أن بعضهم لم يمتلك منزلا يأوي إليه، وكان يأوي إلى المساجد، وفي العلماء من لا يوفر مالا حتى ولو اكتسبه، وربما مات وقضى دينه من بيع منزله<sup>3</sup>.

وانطلاقا من ذلك فإن العلماء اختلفت مستويات معيشتهم في العصر السلجوقي، ولكن في الغالب الأعم كانوا في حالة مادية متوازنة تضمن لهم القيام بدورهم في المجتمع اتجاه العامة والخاصة، فمنهم من كان زاهدا في الدنيا ونعيمها، قانعا بالكفاف من المعاش، وخير دليل على ذلك أنهم كانوا يوزعون رواتبهم وأعطياتهم على الفقراء والمعوزين وذوي الحاجة<sup>4</sup>، وأكثرهم عاش في سعة من العيش ووصلوا إلى منزلة عالية من الثراء ورغد العيش، ما جعلهم يلبسون أحسن الثياب ويسكنون أفخم البيوت، ولعل ذلك عائد إلى المصادر التي حصل منها العلماء على تلك الأموال التي هيأت لهم رغد العيش، فهناك الأموال التي يتقاضونها من خزانة الدولة، وهي عبارة عن رواتب معينة تصرف لهم، وكذلك الأوقاف التي أوقفها السلاطين وكبار رجال الدولة وأثرياء التجار على المؤسسات الدينية<sup>5</sup>، كما أجريت عليهم أرزاق عينية يومية وشهرية من اللحم والتوابل والدقيق والسكر، وفي المناسبات الدينية والأعياد وغيرها<sup>6</sup>، وقد يختلف التكريم المادي للعلماء شكلا وهدفا، فيكون منصبا أو ترقية أو هدايا أو منحا أو إقطاعا أو إعفاءا ضريبيا<sup>7</sup>. ومن العلماء الذين تمتعوا بمستوى معيشي مرتفع نتيجة لثرائهم، الإمام الحافظ الشريف المرتضى أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد بن علي الحسيني العلوي (ت 480هـ/1087م) نزيل سمرقند، وكان يملك قريبا من أربعين قرية خالصة له، وفي كل قرية وكيل أمين من قبل رئيس سمرقند، وكان كثير الإيثار، ينفذ في العام إلى جماعة من الأئمة الألف دينار والخمس مائة وأكثر إلى كل واحد منهم، فرمى بلغ ذلك عشرة آلاف دينار، ويقول هذه زكاة مالي<sup>8</sup>. وكذلك العالم الواعظ علي بن الحسين الغزنوي (ت 551هـ) الذي يقول عنه ابن الجوزي: "هذا

1- الجالودي عليان عبد الفتاح، سبل عيش العلماء في ضوء "كتاب الأنساب للسمعاني" (ت 562هـ/1166م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 08، العدد 2014، ص 49.

2- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 106، الجالودي عليان عبد الفتاح، المرجع نفسه، ص 49.

3- المرجع نفسه، ص 107، المرجع نفسه، ص 50.

4- ذهبية عاشور، المرجع السابق، ص 270-271.

5- باذياب نورة عبد الله، المرجع السابق، ص 111.

6- الجبوري طارق موسى إسماعيل، المرجع السابق، ص 32.

7- حركات إبراهيم، المرجع السابق، ص 104.

8- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 85.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

رجل متنعم، له الجواري التركيات، وقد بلغني أنه تزوج في السر بجملعة من النساء، ولا يطعم إلا الغاية من الدجاج والحلوى، وله الدخل الكثير، والمال الوافر، والجاه العريض، والأفضال على الناس، وقد حصل طرفا من العلم، واستعبد كثيرا من العلماء بمعرفه...<sup>1</sup>، وأيضا أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن علك (ت 484هـ) أحد رؤساء الشافعية، كانت له حال عظيمة ونعمة كبيرة، وكان يقرض الأمراء الخمسين ألف دينار وما زاد<sup>2</sup>. وهناك علماء عانوا الفقر وشظف العيش حتى أنهم جابوا الأقطار والأمصار من أجل إعالة عوائلهم، كالشيخ محمد بن علي بن ميمون بن محمد أبو الغنائم النرسي المعروف بأبي الكوفي (ت 510هـ)، لقب بأبي لأنه كان جيد القراءة في زمان الصبوة<sup>3</sup>، الذي كان يقدم منذ سنة 498هـ من الكوفة إلى بغداد، في شهر رجب رجب ويمكث بها حتى عيد الفطر، مشغلا بنسخ الكتب بالأجرة لكي يعيل عياله<sup>4</sup>، وقد قام عبد الرحمن ابن خلدون باستقصاء الوضع المادي للعلماء في مختلف العصور بقوله: "في أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والإمامة والخطابة والآذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب.... وأهل هذه الصنائع الدينية لا تضطر إليهم عامة الخلق وإنما يحتاج ما عندهم الخواص ممن أقبل على دينه. وإن احتيج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر. وإنما يهتم بإقامتهم صاحب الدولة بما ناله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة إليهم... لا يساويهم بأهل الشوكة ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم إلا القليل. وهم أيضا لشرف بضائعهم أعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستندون به الرزق بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة المشتملة على أعمال الفكر والبدن. بل ولا يسعهم ابتذال أنفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك. فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب..."<sup>5</sup>، مما يجعلنا نحزم بأن علماء العصر السلجوقي لم تخرج أحوالهم المعيشية عن المثال الذي ساقه ابن خلدون، كما أن هذا العصر كغيره من العصور عرف تعاظم ثروات التجار والفلاحين والصناع، وقادة الجند وأمراء السلاجقة وسلاطينهم، إلا أنه يستثنى بعض الحالات الشاذة التي عرف فيها وضع العلماء المادي تطورا ملموسا.

1- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 528-529.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 295-26.

3- المصدر نفسه، ج 17، ص 150.

4- جيهان بنت سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 74.

5- المصدر السابق، ص 492-493.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

تميزت طبقة العلماء بلباس خاص، فكانوا يلبسون الطيلسان الأسود والدراعة السوداء والعمائم السود المصقولة، كما كانوا يلبسون الصوف الأبيض ولا يلبسون الحرير إلا في بيوتهم. ولم يتميزوا عن أفراد المجتمع إلا في الملابس<sup>1</sup>، وبخاصة الطيلسان الذي هو لباس الخواص يلبسه القضاة والمشايخ والعلماء في مجالس الخلفاء وموابكهم، كما يعد من الألبسة الغالية الثمن التي تلبس للتجمل<sup>2</sup>، يضاف إلى ذلك أنَّ العلماء الذين تولوا الخطابة كانوا يلبسون السوداء، أي الجبة السوداء والعمامة السوداء والقباء الأسود، مما جعل لباسهم هذا رسماً جارياً على كل من يدخل المقصورة يوم الجمعة حتى لم يلبسه إلا الخطباء في القرن الخامس الهجري<sup>3</sup>، أما الأطباء فقد لبسوا العمائم الكبيرة، وغلب على المتصوفة لبس جبة خشنة من الصوف ورداء من الصوف وأيضا الثياب المرقعة والخشنة، مع فوطة مدلاة على رؤوسهم تحيط بقلنسوة طويلة، وكان لون ثيابهم أزرقاً<sup>4</sup>.

ولم يفت العلماء الإشارة إلى اللباس وأهميته في حياة المسلمين وغيرهم، فقد بين الماوردي أن حاجة الناس إلى اللباس ماسة، لأنه يحفظ أجسادهم ويدفع الأذى عنها ويستر عوراتهم و به يتزينون<sup>5</sup>، كما حدد صفته، التي هي لصيقة بالعرف من وجهين، أحدهما عرف البلاد الذي يحدد لأهل المشرق زيا مألوفاً، ولأهل المغرب زيا مألوفاً كذلك، بالإضافة إلى البلاد التي بينهما فلها عادات في اللباس مختلفة، والآخر عرف الأجناس، فهناك زي للجنود وآخر للتجار، وأيضا لمن سواهما من الأجناس المختلفة عادات في اللباس مختلفة، واعتبر على ضوء ذلك قيمة اللباس وجنسه ترجع إلى أمرين، الأول: بالمكنة من اليسار والإعسار؛ فإنَّ للموسر في الزي قدراً وللمعسر دونه، والثاني: بالمنزلة والحال؛ فإنَّ لذي المنزلة الرفيعة في الزي قدراً، وللمنخفض عنه دونه؛ ليتفاضلوا فيه على حسب تفاضل أحوالهم، فيصيروا متميزين. ثم يشير إلى ضرورة تناسب اللباس مع الوضع المعيشي والمادي للفرد، فإن عدل الموسر إلى زي المعسر كان شحا وبخلاً، وإن عدل الرفيع إلى زيا لديني كان مهانة وذلاً، وإن عدل المعسر إلى زي الموسر كان تبذيراً و سرفاً، وإن عدل الديني إلى زي الرفيع كان جهلاً وتخلفاً<sup>6</sup>.

يظهر هذا الكلام ما انطوت عليه رؤية العلماء للباس وأنواعه وقيمته في المجتمع الإسلامي، وفي مقدمته العلماء الذين يمثلون القدوة التي يقتدي بها أفرادها، لذا اهتموا بلباسهم اهتماماً كبيراً، على حسب أوضاعهم المادية والوظائف التي عملوا فيها في الدولة السلجوقية، فكانت أزياءهم كما رأينا متفاوتة من حيث القيمة والتنوعية

1- أدبيل سليمان محمود وهيبي، المرجع السابق، ص 196.

2- جيهان بنت سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 300.

3- ذهبية عاشور، المرجع السابق، ص 325-326.

4- المرجع نفسه، ص 326.

5- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص 572.

6- المصدر نفسه، ص 576.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

والوظيفة والمكانة العلمية والاجتماعية، وبطبيعة الحال هناك استثناءات مثلها صنف المتصوفة الذي طغى عليهم اللباس الخشن والأثواب المرقعة و الجبّات الصوفية... إلخ.

**5-الخدمات الخاصة للعلماء:** إنّ الحديث عن الخدمات الخاصة للعلماء في العصر السلجوقي يكتسي طابعا خاصا، يتعلق أساسا بنوع هذه الخدمات وحتى طبيعتها وحجمها ومدى استمرارها في جميع مناطق الدولة السلجوقية وبخاصة العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر-نطاق دراستنا-ومن هم العلماء الذين مستهم وشملتهم، ودرجة استفادتهم منها، انطلاقا من المكانة التي حازوها عند السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين، وعند عامة الناس في هذه الأقاليم، وكذلك على حسب قربهم من السلطة ونأيهم عنها.

كان توفير السكن للعلماء في طليعة الخدمات الخاصة التي عمل السلاطين والخلفاء ورجال الدولة وطبقات العامة على تحقيقها لهؤلاء العلماء، وذلك حتى يؤدي العلماء رسالتهم العلمية والتعليمية والدعوية والإصلاحية بشكل فعال، لذا حصل عدد من العلماء على سكنات في المدارس النظامية التي أسستها الدولتين السلجوقية والعباسية، فقد قسمت أغلب المدارس إلى حجرات و غرفات للسكن والمبيت، بالإضافة إلى عدد من القاعات الكبيرة للتدريس<sup>1</sup>، وكذلك الأربطة، كما تم توفير الخدم لهم حتى لا ينشغلوا بغير التدريس والتعليم والتلقين<sup>2</sup>، نظرا لأن عددا كبيرا من العلماء كانوا يفدون على هذه المدارس والأربطة، قادمين من مختلف حواضر العالم الإسلامي، من أجل التدريس فيها، ذلك أنّ المدارس النظامية بنيت في كبريات المدن في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، فهناك نظامية بغداد عاصمة الخلافة العباسية ونظامية نيسابور حاضرة السلطنة السلجوقية، وأيضاً مدرسة مرو الشاهجان التي صارت عاصمة الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر(511هـ-552هـ)، ولا ننسى نظاميات البصرة والموصل وأصفهان وعسكر مكرم و هراة و بلخ و آمل و طوس<sup>3</sup>، الأمر الذي يجعل تنقل هؤلاء العلماء إلى هذه الأمصار مكلفا لهم، فاستحقوا أن يوفر لهم السكن وكل التحفيزات الأخرى حتى يقبلوا على هذه المدارس، والشيء ذاته ينطبق على الأربطة التي كانت موجودة في الثغور بشكل كبير، حيث شهدت هي الأخرى وفود العلماء إليها من أجل المراقبة في سبيل الله والمشاركة في الجهاد مع الجند، وحتى يقوموا بشحنهم هؤلاء العساكر بالإكثار من الوعظ وذكر الله تعالى وإبراز فضائل الجهاد. ومن العلماء الذين سكنوا في نظامية بغداد

1-بن سالم هشام، موقف العلماء من المدارس التعليمية في المشرق الإسلامي في العصر السلجوقي(429هـ-590هـ/1034م-

1193م)، مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية، العدد 11، جانفي 2019م، إصدارات مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، ص 144.

2-جهان بنت سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية...، المرجع السابق، ص 79.

3-بن سالم هشام، المرجع السابق، ص 145-147.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الفقيه أبو الحسن علي الكيا الهراس الطبري ودرس بها حتى توفي سنة 504هـ ودفن فيها<sup>1</sup>، وكذلك إبراهيم بن يحيى الكلبي (ت 524هـ/1129م) سكن في نظامية بغداد عدة سنين<sup>2</sup>، وأيضاً أبو العباس أحمد بن ثابت الهمامي الواسطي (ت 631هـ/1233م) عاش في المدرسة النظامية أربعين سنة لا يخرج منها إلا إلى صلاة الجمعة<sup>3</sup>.

والجدير بالذكر أنَّ مساكن عدد من العلماء الكبار والأثرياء منهم وذوو المناصب العالية في الدولة، كانت خارج المدارس، وبالمقابل هناك علماء سكنوا في سكنات متواضعة لفقرهم، مما يعني أنَّ منازلهم تعكس مستواهم المعيشي والاجتماعي، ولكن هذا التفاوت بين العلماء لم يعم الجميع، بل حتى الذين جاؤوا إلى كبرى مدن العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، قد وجدوا متسعاً في الإقامة في المدارس، ومع مرور الزمن سوف تتحسن حالتهم المادية، ويتمكنون من اقتناء منازل وسكنات تليق بمنزلةهم، وبخاصة حينما يتزوجون، أو يشتغلون بالتجارة ويزاولون بعض الحرف والمهن، كما أنَّ العلماء والطلبة الوافدون إلى هذه المدارس قد انتفعوا من الأوقاف التي تتبع لها، فعاشوا في سعة من العيش، وبذلك تجمع في رحاب هذه المدارس عدد كبير من العلماء والمتعلمين والفقهاء والمتفقيين، وفي أحياناً كثيرة يعيشون فيها مع عائلاتهم<sup>4</sup>.

وفي السياق ذاته تعددت الخدمات الاجتماعية التي تحصل عليها العلماء، فبعد السكن تم توفير الطعام واللباس والرواتب النقدية<sup>5</sup>، فعلى سبيل المثال بلغت إيرادات المدرسة النظامية 15 ألف دينار ذهبي في العام، كانت تنفق في تسديد مرتبات العلماء المدرسين وكل ما يشمل مؤونة الطعام والكسوة<sup>6</sup>، كما كان العلاج متيسراً للعلماء، حيث قدموا على غيرهم ولهم قصب السبق في ذلك، من خلال إشراف كبار الأطباء على علاجهم كأمين الدولة ابن التلميذ، الذي كان من عادته نقل أي عالم يمرض إليه ويقوم بمداواته حتى يتعافى، ثم يمنحه دينارين ويعيده إلى المدرسة، مما يعني أنَّ العلماء تمتعوا بحق العلاج في المدارس التي سكنوها من أجل التدريس، فقد زودت كل واحدة منها بطبيب مسلم، وعشرة من المسلمين يشتغلون بالطب ولهم الجراية والمشاهرة<sup>7</sup>.

على ضوء ذلك يمكن القول أن الخدمات الخاصة للعلماء في العصر السلجوقي كانت علامة تظهر رغبة حكام هذا العصر في الاهتمام بالعلم والعلماء والرفع من شأنهم والإشادة بفضلهم ومكانتهم، ذلك أنَّ من مآثر

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 142.

2- جيهان بنت سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية... المرجع السابق، ص 79.

3- أولاد ضياف رابع، المرجع السابق، ص 160.

4- جيهان بنت سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية... المرجع السابق، ص 79، بأذياب نورة عبد الله، المرجع السابق، ص 327.

5- أولاد ضياف رابع، المرجع السابق، ص 159.

6- المرجع نفسه، ص 160.

7- جيهان بنت سعيد الراجحي، الحياة الاجتماعية... المرجع السابق، ص 79.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

السلاجقة الخالدة- كما سنرى في الباب الرابع- هي بناء المدارس وجلب العلماء من أصقاع العالم الإسلامي للتدريس فيها، وتوفير جميع المستلزمات لهم من سكن وطعام ولباس وعلاج وأدوية ورواتب، والأمر ذاته ينسحب على المجتمع في العصر السلجوقي الذي نظر إلى العلماء نظرة احترام وتقدير وتبجيل، فساهم أفراد في توفير كل ما يحتاجه العلماء، ولكن المصادر التاريخية لم تشر إلى هذا الجانب بشكل لافت بل اكتفت بذكر بعض النماذج دون التدقيق في ذكر العلماء الذين استفادوا من هذه الخدمات سواء من قبل الدولة أو أفراد المجتمع، الأمر الذي يطرح إشكالا كبيرا حول أعداد العلماء الذين عرفهم هذا العصر وعاشوا في كنف الدولة السلجوقية وحصلوا على خدمات اجتماعية تضمن لهم القيام بواجبهم المنوط بهم. والأکید أنَّ الخدمات الخاصة للعلماء انعكست على أحوالهم المعيشية وتباينت بذلك ظروفهم المادية بين الثراء والفقر والمكانة والوجاهة والشهرة والخص والابتلاءات، وأضحت هذه الأحوال مثالا يقتدى به من قبل أفراد المجتمع، فلا يعقل أن يكون العلماء جميعهم في مستوى معيشي واحد، بل تفاوتهم في ذلك يظهر سعيهم الدائم للاشتغال بالعلم ومراقبة حركة المجتمع وضبطها مع منهج الإسلام وجعل المجتمع ينبذ الجهل والابتعاد عن تعاليم الدين، لذا تعد الخدمات الخاصة بالعلماء مظهرا يبرز عظمة الحضارة العربية الإسلامية، هذه الحضارة التي أساسها العلم والعلماء، فكان توفير هذه الخدمات وتنشئة العلماء أحد المحطات الهامة التي نسجت أحداث العهد السلجوقي.

-الفصل الثاني: جهود العلماء في إصلاح المجتمع الإسلامي-

- 1- مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء خلال العصر السلجوقي.
- 2- مظاهر الفساد الاجتماعي خلال العصر السلجوقي.
- 3- خصائص الإصلاح الاجتماعي عند العلماء.
- 3-1- خصائص الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي.
- 3-2- خصائص الإصلاح الاجتماعي عند أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي.
- 4- جهود العلماء ومواقفهم في التصدي للفساد الاجتماعي.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لا يمكن الحديث عن حضور العلماء في المجتمع الإسلامي دون الحديث عن مسألة الإصلاح، فقد اكتسب البعد الإصلاحي عند هؤلاء العلماء حيزا واسعا من تفكيرهم، باعتبارهم الفئة الأكثر تواجدا في التطورات التي تمس هذا المجتمع وتؤثر على سير الأحداث والوقائع والأزمات والحن والشدائد والتغيرات الشاملة على جميع الأصعدة والميادين، مما يجعلهم أكثر إدراكا لطبيعة الإصلاح في المفهوم الإسلامي، والذي يعد من أكد الأمور التي جاء الإسلام من أجل تأصيلها في نفوس المسلمين، فانبهروا لتحسينه وتحقيقه بكل الوسائل المتاحة لهم، وسعوا إلى العمل على صياغة منهج شامل ينبني عليه الفكر الإصلاحي ويكون نبراسا يستضاء به، لما للإصلاح من مصاعب تعترض العلماء في هذا الميدان الفسيح، الذي لا يتصدى له إلا ذوي النفوس العظيمة الشريفة التي تسعى دائما لخدمة الإسلام وأمنه، فلا يصلح أبدا لذوي النفوس الضعيفة التي تسقط في وسط الطريق، بل هذا المسلك والمنهج هو طريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وكل من سار فيه من بعدهم، الأمر الذي يجعل العلماء هم الأصالح والأجدر والأكفاء للسير قدما في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي في جميع العصور، فتراخيهم عن هذا الأمر أو تلكؤهم أو تغييبهم سيؤدي إلى اختلال المجتمع وانحلاله وسقوطه الحر في قبضة أعدائه.

لقد كان قيام العلماء بإصلاح المجتمع الإسلامي إضافة هامة لدورهم المؤثر والفعال في الأمة الإسلامية، كما مثل حجم التضحيات التي بذلوها في سبيل بناء مجتمع متماسك قوي رحيم متكافل متعاون متآزر، يقف في وجه الظلم والطغيان ويحمل رسالة الإسلام ويمثلها أحسن تمثيل، وبالمقابل استعمل العلماء الذين تصدوا لمهمة إصلاح المجتمع أسلوب التدرج في سبيل هذه الغاية، حيث وعوا طبيعة التغيرات التي عرفها مجتمعهم خلال العصر السلجوقي، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، وكذلك العادات والتقاليد والأعراف، والجوانب الأخلاقية، ومقارنة ذلك بالمجتمع الذي أنشأه النبي صلى الله عليه وسلم واستمر في عهد الخلفاء الراشدين، سعيا منهم إلى تقريب الرؤى واستثمار الآراء وتثمين الجهود التي من شأنها العمل مجتمعة على إقامة مجتمع قادر على مواجهة كل ما من شأنه أن يهدمه ويزيله نهائيا، وعندها يستبدل بمجتمع ضعيف متآكل متناحر لا قيم له ولا مبادئ ولا أخلاق.

وفي السياق ذاته، أضحى الإصلاح الاجتماعي بكل أطواره ومراحلته وتشعباته، من الأهمية بمكان في نظر العلماء خلال عصر الدراسة، إذ عصفت بالمجتمع أزمات أوشكت أن تذهب به، فقد كان العصر البويهري عصرا كارثيا، شهد فيه المجتمع ضعفا كبيرا وتراجعا رهيبا في جميع الفعاليات الدينية والتكافلية والتضامنية والتشاركية، وعدم المقدرة على تحديد الذات والنهوض من جديد لمواجهة خطر العدو المتربص داخليا خارجيا، مما حتم على العلماء القيام بعدد من الدعوات والاستغاثات والتحذير من هول الكارثة التي يعيشها المجتمع، وضرورة القيام بإصلاح شامل يستأصل مكن الداء ويعيد للجسم الاجتماعي عافيته وحيويته حتى يتسنى له التصدي لكل أساليب الاجتثاث والعصبية والطائفية والانزواء والعزلة والأفكار والمذاهب الهدامة.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

**1- مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء خلال العصر السلجوقي:** يشكل مفهوم الإصلاح الاجتماعي لدى العلماء في عصر السلاجقة، كلاً متكاملاً ينسحب على جميع الفعاليات المنوطة بفئات وشرائح وطبقات المجتمع الإسلامي، ذلك أنَّ تبني الإصلاح الاجتماعي من قبلهم ينطلق من جملة المعطيات التي يتم تشخيصها بشكل دقيق، والوقوف على طبيعة التغيرات التي تؤثر على الفرد والجماعات الفاعلة داخل المجتمع، وبالتالي يمكن القيام بتفعيل كل الأدوار التي يلعبها هؤلاء ودمجها في بوتقة واحدة لتحسيد الفعل الإصلاحي للمجتمع، من منطلق أنَّ الله سبحانه وتعالى شاء أن تكون سنة التدرج حاكمة في كل ميادين التغيير، تقدماً وإصلاحاً كان هذا التغيير، أو تخلفاً وتراجعاً وانحداراً نحو الفساد، فالحديث عن الطفرات والثورات والانقلابات الفجائية، لا يبدو أن يكون حديثاً عن هبات مفارقة لسنن التدرج، تقف عند حدود الغضب والهياج أو الأماني والأحلام، فحتى الجراحات لا تتم إلا بعد تدرج المرض وتطوره، ولا تؤتي ثمارها في الشفاء، إلا بعد تدرج في العلاج<sup>1</sup>.

لقد أدرك العلماء حجم الإصلاح الاجتماعي الذي سيقومون به في العصر السلجوقي، والميادين التي يمسها والفئات التي يشملها، وكذا المشقة التي ستواجههم في سبيل ذلك، لذا عدوا الإقدام على القيام به يندرج ضمن حركتهم الحثيثة والمتواصلة داخل المجتمع، فالعالم يلاحظ ما يجري داخل مجتمعه بشكل يختلف تمام عن بقية أفراد المجتمع، ويعمل على تتبع كل الظواهر الطارئة التي تحاول أن تتموقع داخله ويصبح لها حضوراً دائماً، ويحاول أيضاً فهم قانون السنن التي يمر بها، حتى يصل في النهاية إلى الإمساك بكل أسس الإصلاح الاجتماعي ومقوماته وركائزه ومراحلته وخطواته وأبعاده، ويستطيع على ضوء ذلك أن يشخص الأسباب الكامنة وراء الفساد الذي يشهده المجتمع والانحراف الذي يعيشه في فترة ما، ليتمكن من إيجاد الحلول وتقديم البدائل المساعدة على إصلاح مجتمعه الذي ينتمي إليه إصلاحاً حقيقياً يقضي على الفساد والانحراف اللذين طغيا عليه.

وفي السياق ذاته فقد وضعت الشريعة الإسلامية الوسائل الوقائية والعلاجية للانحرافات، فإذا ما اقترف أحد أفراد المجتمع أمراً يفسد على هذا المجتمع صحته ونقاءه، فإن الشريعة قد حملت بقية الأفراد مسؤولية المحافظة على دينهم ومجتمعهم، وأن يتخذوا الوسائل الكفيلة بمحاربة هذا الفساد وإقامة ما أعوج، وهذا التكليف شامل للأفراد والأسر والجهات الرسمية والتطوعية كل حسب قدرته، وطالما أنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والناطقين باسم الشريعة الإسلامية، والقادرين على إصلاح المجتمع الإسلامي في جميع العصور، فصار لزاماً عليهم تحمل مسؤوليتهم تجاه تقويم الأفراد والجماعات والعائلات وغيرهم، وأن يدركوا حقيقة مهمة ثابتة لا يمكن التغافل عنها أو

1- عمارة محمد، المرجع السابق، ص78.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الالتفات عن أهميتها، ألا وهي أنَّ انحراف سلوك الناس عن مساره الصحيح هو نتيجة ظاهرة لمرض في قلب من يسعى إليه أو يشارك فيه<sup>1</sup>، الأمر الذي دفع بالعلماء للنهوض من أجل تحمل مسؤولية إصلاح مجتمعهم، وبذل قصارى جهدهم لوصف الدواء الناجع لهذه الأمراض، وهذا مما ائتمنهم الله تعالى عليه ليكونوا ورثة الأنبياء، فهذه مهمة ترمي بثقل المسؤولية الهائلة على أعناقهم<sup>2</sup>.

يأتي مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند علماء العصر السلجوقي شاملاً لكل ميادين الحياة الاجتماعية التي يدور في فلكها الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة المسلمة، فالإصلاح الاجتماعي يطرق باب الأخلاق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية، كما يمس الآداب والعادات والتقاليد والأعراف، ويتكامل مع كل الجهود المبذولة في أبواب التعاون والتكافل والتآزر وصيغ المشاركة المجتمعية في مجالات البر والإحسان والتضامن، مما يجعل مفهومه لدى هؤلاء العلماء يختلف تماماً في جوهره عن بقية الفئات والشرائح التي تحاول القيام به كالسياسيين والعسكريين والفلاسفة، نظراً لنظرهم القاصرة حول الإصلاح وكذا ابتعادهم عن المجتمع وعدم فهمهم للتغيرات التي تؤثر عليه بين الفينة والأخرى، فأضحى بذلك أنَّ العلماء حقيقون بعملهم الدائم على إصلاح المجتمع الإسلامي وحديرون به.

ليست فكرة الإصلاح الاجتماعي غريبة عن متن العلماء ونصوصهم، بل هي سليلة احتفالهم بالمشروعية السياسية، وخوفهم على مآل الأمة، يدرك هؤلاء بحكم شدة صلتهم بالواقع السياسي والاجتماعي وتقلباتهما، أنَّ مسألة الإصلاح الاجتماعي محايثة لكل تفكير في الدولة والمجتمع، لا سيما أنَّ ما حملهم على الانخراط في الاهتمام بالإشكالية الاجتماعية في الإسلام، ما لاحظوه من فجوة باتت أكثر فأكثر غير قابلة للجسر، بين نموذج المجتمع الذي يدافعون عنه، والواقع الذي يعيشون في كنفه، فأنت أعمالهم تعبر عن هذا الوعي القلق بالواقع الاجتماعي. من المعلوم أنَّ العلماء لم يكتفوا بوصف مظاهر الأزمة الاجتماعية التي عايشوها، بل تجاوزوا ذلك إلى تقديم حلول للخروج منها، لذلك حق لنا اعتبار أعمالهم إسهاماً في جبهه معضلة أزمة المجتمع الإسلامي، ونموذجاً لتمثل الفكر الاجتماعي الإسلامي لمشكلة الإصلاح. صحيح أنَّ مفهوم الإصلاح الاجتماعي لم يكن بالأمر البين في خطاب العلماء، بل إننا نلمس ضمورها في مساحات كبيرة منه، لدرجة كادت فيها مصنفات هؤلاء العلماء أن تخلو من فصول تنصرف، إلى العناية بهذه المسألة، ولولا ما كتبوه لما كان في حوزتنا قول جامع لمفهوم الإصلاح الاجتماعي<sup>3</sup>.

1- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص 8-9.

2- المرجع نفسه، 108.

3- فازيو نبيل، المرجع السابق، ص 427.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لقد استشكل علينا الإمساك بمفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء خلال العصر السلجوقي، بسبب غياب تام لهذا المصطلح في كتاباتهم وعدم استخدامهم له في خطابهم التي يتعلق بشؤون الحياة العامة في هذا العصر، ولعل ذلك عائد إلى تركيزهم على الإصلاح السياسي الذي طغى على ما أفردوه من مباحث في مؤلفاتهم ذات الطابع الخاص الموجه إلى السلاطين ورجال الدولة من أجل نصحتهم وتوجيههم وإرشادهم، فلم يكونوا بحاجة إلى الإشارة إلى مباحث منفردة تعنى بالإصلاح الاجتماعي، بل ارتأوا أنَّ الإصلاح السياسي بالضرورة ينعكس على الإصلاح الاجتماعي. ومع ذلك لا يمكن الجزم بهذا الرأي والتسليم له إلا بمعرفة المسوغات التي دفعت بهؤلاء العلماء لعدم الإشارة لمفهوم الإصلاح الاجتماعي، خاصة أنَّ الإصلاح الاجتماعي هو ضد الفساد الاجتماعي، بمعنى إقامة مجتمع بديل عنه يبنى على أسس فكرية وعقدية سليمة، تنشأ عنها سلوكيات صحيحة، تشمل جميع المظاهر الاجتماعية<sup>1</sup>، لكن هذا المفهوم يختلف بين المصلحين نتيجة للاختلاف في تحديد العناصر الأساسية المكونة للإصلاح الاجتماعي، والاختلاف في علاقة الإصلاح الاجتماعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحسبة، لأنه على أساس ذلك تكون المواقف التفصيلية من القضايا المرتبطة بهذا الجانب<sup>2</sup>. وعلى ضوء ذلك يتضح أن مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الاحتساب-أي الحسبة-، لذلك أفرد كل عالم منهم باباً في كتاباته عن الإصلاح الاجتماعي بهذا المفهوم والمعنى ومنهم من صنفا كتاب كاملاً في هذا المجال، فمثلاً أبو يعلى الفراء (ت458هـ) صنف كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، الذي ذكر فيه شروط المحتسب وصفاته، وكيفية القيام بالاحتساب على السلطان وما يتعلق بها وشروط إنكار المنكر والفئات الاجتماعية التي يشملها وتفاصيل ذلك كله في هذا الكتاب، كما أفرد فصلاً في أحكام الحسبة في كتابه "الأحكام السلطانية"، أما أبو الحسن الماوردي هو الآخر ألف كتاباً سماه "الرتبة في طلب الحسبة" استهله بحديثه عن شرائط الحسبة وصفة المحتسب، ثم تطرق في الباب الثاني إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويستطرد في إيراد أبواب الحسبة وأصناف الحرف والمهن التي تختص بها، وفي كتابه "الأحكام السلطانية" خصص الباب العشرين والأخير للكلام عن أحكام الحسبة وشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد نحا أبو حامد الغزالي نحوهما، حيث تعرض للحديث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتابه "إحياء علوم الدين"، فذكر وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته، ثم عرج على ذكر أركانه وشروطه، وتكلم كذلك عن مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادة، وختمه بالتطرق إلى أمر الأمراء والسلاطين ونهيتهم عن

1- أبو لحية نور الدين، الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي (دراسة علمية حول فكر الغزالي وآثاره الإصلاحية)، ط2، دار الأنوار للنشر

والتوزيع، 1437هـ/2016م، ص37.

2- المرجع نفسه، ص37-38.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

المنكر. كما عقد عبد القادر الجيلاني (ت 561هـ) بابا في كتابه "الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل" للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لم يجد فيه عما تطرق إليه العلماء الذين أشرنا إليهم، من تبيان لفضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشروطه وأركانه وكل ما يتعلق به.

وعليه يمكن القول عبر هذه المقاربة لمفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء خلال العصر السلجوقي، أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو العنوان الأوسع الذي يندرج تحته مفهوم الإصلاح الاجتماعي في فكر هؤلاء العلماء أمثال: الماوردي والفراء والغزالي و الجيلاني وغيرهم، فقد تصدوا لهذا المفهوم من خلال كتاباتهم ومصنفاتهم التي تحدثوا فيها عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعد في نظرهم محور الإصلاح الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، من خلال تسليطهم الضوء على المكانة التي يتبوؤها في الإسلام، وأنَّ بقاءه واستمراره يشكل صمام الأمان للمجتمع الإسلامي، وبالمقابل اختفاؤه واستئصاله وتغييبه من حياة المسلمين سيؤدي حتما إلى انهيار المجتمع والأمة الإسلامية، لذا اضطلع هؤلاء الأعلام بإبراز دوره وفعاليته وأثرهم سواء على المستوى النظري كما أشرنا، أو على المستوى العملي والميداني عندما انبروا للقيام بهذا الواجب الكبير المتمثل في إصلاح مجتمعهم بكل ما يعنيه هذا الأمر.

**2- مظاهر الفساد الاجتماعي خلال العصر السلجوقي:** إنَّ الفساد الاجتماعي هو حالة مرضية تصيب مجتمعا من المجتمعات في فترة معينة، ينعكس على استقراره وتماسكه وقدرته على مواجهة التحديات الخارجية، والمجتمع الإسلامي في عصر الدراسة لم يسلم من الفساد الاجتماعي بكل ما يعنيه هذا المصطلح، وأضحى له تأثير واضح على سلوكيات الأفراد والجماعات، وليس من المبالغة أيضا القول بأنَّ الفساد الاجتماعي هو المسبب لبقية أنواع الفساد في حياة الدولة سياسيا واقتصاديا، ذلك أنَّ الحديث عن هذا النوع من الظواهر الاجتماعية الفتاكة، يقودنا لدراسة أساليب الانحراف وحياد البشر عن الطريق القويم للفطرة الإنسانية والتجرد من المثل الأخلاقية التي أفرزها الوجود الإنساني على وجه البسيطة، وعليه فإنَّ ذروة سنام الحديث عن الفساد الاجتماعي لا بد أن تنطلق من نقطة حسن الخلق، وكيفية دراسة الأخلاق وبنائها<sup>1</sup>، نظرا لأن وجود المنكر في المجتمع أمر طبيعي، إذ لا يخلو مجتمع في أي حقبة من حقبة الحياة من المنكرات، ولكن الذي ليس من الطبيعي أن تشيع هذه المنكرات والفواحش بين طبقات المجتمع، ولا يستطيع السيطرة عليها، أو تكون السلطة الحاكمة غير قادرة على القضاء على هذه الفواحش والمنكرات<sup>2</sup>.

1- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 187.

2- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبو جهل، المرجع السابق، ص 3.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مجتمعات العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي تفتشت فيها مظاهر الفساد الاجتماعي، نظرا لما شهدته من كثافة سكانية ونمو ديمغرافي، وتعدد الأعراق والأجناس بها، والاختلافات المذهبية وتنوع العادات والتقاليد والأعراف، كما كانت هذه الأقاليم عواصم لعدد من الدول التي قامت قبل العصر السلجوقي، الأمر الذي يدفعنا لاستقصاء هذه المظاهر كخطوة أولية لمعرفة كيف تعامل معها العلماء عندما بدؤوا الإصلاح الاجتماعي.

لقد شاع في المجتمع السلجوقي تصديق الإشاعات والأكاذيب والمعتقدات الفاسدة، حيث "في هذه السنة (456هـ) في ربيع الأول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا، وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول: قد مات سيدوك ملك الجن، وأي بلد لم يلطم أهله عليه ويعملون له العزاء، قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء في البلاد إلى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة..<sup>1</sup>"، وفي جمادى الأولى من سنة 483هـ، جاء إلى مدينة البصرة رجل كان ينظر في علوم النجوم يقال له: تليا، واستغوى جماعة، وادعى أنه الإمام المهدي، وقام بإحراق البصرة، ثم كتب في سنة 484هـ إلى واسط يدعوهم إلى طاعته ويقول: أنا الإمام المهدي صاحب الزمان، أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر، وأهدي الخلق إلى الحق، فإن صدقتم بي أمنتكم من العذاب، وإن عدلتم عن الحق خسفت بكم فآمنوا بالله وبالإمام المهدي<sup>2</sup>، وظهر رجل ادعى النبوة في شهر محرم سنة 499هـ في سواد نهاوند، وقد تبعه خلق من الرستاقية بعد أن باعوا أملاكهم ودفعوا إليه أثمائها، وكان يهب جميع ما معه لمن يقصده، وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، وادعى معرفة النجوم والسحر، وقد تم قتله بنهاوند<sup>3</sup>.

وانتشرت في المجتمع السلجوقي أيضا السرقة بجميع أنواعها، حيث كان يستغل اللصوص الكوارث والأزمات الطبيعية والسياسية للقيام بسرقة الأحياء والدكاكين ومنازل الناس، ففي جمادى الآخرة سنة 478هـ، هبت ريح سوداء وادلهمت السماء، وكان في خلال ذلك نار وتراب كالجبال يسير بين السماء والأرض، فانجلت وقد هلك خلق كثير من الناس والبهائم، ودخل اللصوص الحمامات فأخذوا ثياب الناس ونهبوا الأسواق، ونفس الأمر وقع في الفتنة التي جرت بين أهل الكرخ ومحال السنة، حيث نهب قطعة من نهر الدجاج، وقلعت الأخشاب حتى من

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 370، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 87.

2- ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 16، ص 289-292.

3- المصدر نفسه، ج 17، ص 95.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

المساجد<sup>1</sup>. كما انتشرت الخمر والملاهي ودور أهل الفساد والزنا والقتل واختلاط الرجال بالنساء والمجاهرة بذلك وغيرها من مظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي<sup>2</sup>، ونفس الأمر ينطبق على سكان مدينة الري عاصمة الدولة السلجوقية الذين تعاطوا الخمر وشاع بينهم المجون، والتعلق بالغلتمان المرد، بالإضافة إلى الغيبة والنميمة والرشوة، وكذلك كانوا يعتقدون بالسحر والحسد، وصاروا يحملون التماثيل والخرز ليدفعوا هذه الشرور عنهم، وأيضا كانوا يوشمون وجوههم وأجسادهم، واعتقاد التنجيم وتصديق المنجمين<sup>3</sup>.

ومن مظاهر الفساد الاجتماعي انهيار مفهوم الأمة الإسلامية، وحلول مفاهيم العصبية العشائرية والإقليمية والمذهبية محله، وأضحى التعصب منتشرا بين أحياء المدينة الواحدة، مما جعل الشغب والاضطراب ظاهرة خطيرة طغت على فئات المجتمع السلجوقي كالعيارين واللصوص كما ذكرنا أعلاه، ومجابهتهم لقوات الخلافة واستباحتهم للأموال والممتلكات والأكثر استعصاؤهم على جند السلطان السلجوقي والخليفة العباسي<sup>4</sup>، الأمر الذي انعكس على واقع المجتمع الإسلامي بشكل كارثي، إذ "...في غمرة الفساد الذي ضرب الحياة الاجتماعية، انصرف المجتمع بمختلف هيئاته إلى الانشغال بقضايا اليومية الصغيرة التي تدور حول الغذاء والكساء والمأوى والتنافس في التجارات واللهو وتلبية الشهوات. وانتشر النفاق وسقطت القيم وانهارت الأخلاق. وصار الحديث عن المثل العليا والقضايا العامة إما وسيلة ثقافية يتكسب بها الخطباء والوعاظ والمدرسون، أو مثاليات وخيالات يستخف بها الكثيرون ولا يعيرونها انتباها.."<sup>5</sup>.

لا شك أن هذه الأمثلة وغيرها تظهر الصورة الحقيقية والواقع الذي كان يعرفه المجتمع الإسلامي في العصر السلجوقي، فقد مس الفساد الاجتماعي جميع مناحي الحياة الاجتماعية، بشكل مقلق جدا، بالرغم من وجود سلطة سياسية قوية ثابتة الأركان، خاصة بعد القضاء على الخطر الشيعي البويهى والفاطمي، إلا أن الإصلاح السياسي لم يستطع أن يكون في نفس مستوى الإصلاح الاجتماعي، والأخطر من ذلك ذهاب لحمة المجتمع وغياب القيم وفساد الأخلاق وضياع فكرة الدفاع عن وحدة الأمة الإسلامية، وبالمقابل قيام الصليبيين بغزو الشام واحتلال القدس وقتل المسلمين واستباحة أعراضهم وممتلكاتهم، دون أن يجدوا أي قوة تقف في وجههم، الأمر الذي جعل العلماء يشمرون على ساعد الجد ويعملون ليل نهار على إصلاح المجتمع وإعادة التلاحم والتآزر والتكافل وكل القيم الفاضلة والأخلاق الحميدة، وكذا تجديد الوعي بالانتماء إلى الأمة الإسلامية، وضرورة الوقوف في وجه العدو

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص240-241.

2- المصدر نفسه، ج16 و17، ص242-243-255-66-187-323.

3- أدبيل سليمان محمود وهبي، المرجع السابق، ص222-223.

4- الكيلاني ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط3، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، 1423هـ/2002م، ص81.

5- المرجع نفسه، ص82.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الذي احتل بلاد الإسلام، ولعل الجهد الذي اضطلع به هؤلاء العلماء كان على شقين، الشق النظري من خلال ما ألفوه من كتب وخطب ورسائل، والشق التطبيقي من خلال حضورهم الميداني بإبداء المواقف الصريحة والوقوف في وجه كل أشكال الفساد والانحلال الاجتماعي وبكل مستوياته.

**3- خطوات الإصلاح الاجتماعي عند العلماء:** يقوم الإصلاح الاجتماعي في تصور العلماء على عدد من الخطوات التي ينبغي التقيد والالتزام بها، وكذلك المراحل التي يقطعها والفئات التي يمسها والفترات التي يستغرقها والإمكانيات والوسائل التي يحتاج إليها، فالأمر ليس هينا كما يتصوره كثير من الناس، وإنما عملية الإصلاح شاقة جدا تعترضها عراقيل وصعوبات جمة، وتحتاج إلى الصبر والأناة وعدم تعجل قطف الثمرة، وعلى ضوء ذلك اتجهت خطوات الإصلاح الاجتماعي عند العلماء في منحى تصاعدي، يبتدئ بالفرد المسلم فالجماعة المسلمة وينتهي بالمجتمع المسلم ككل، لذا سنقتصر على نموذجين من علماء العصر السلجوقي هما أبو حامد الغزالي وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، من خلال تناول خطوات الإصلاح الاجتماعي عندهما والبرنامج الذي قرراه للسير عليه من أجل هذه الغاية، معتمدين في ذلك على ما أورده من آراء وأقوال في مؤلفاتهما.

**3-1- خطوات الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي:** يمثل الإمام الغزالي في تاريخ الفكر الإسلامي مدرسة شملت الكثير من الأعلام، حيث حظي بمكانة قل من وصل إليها من العلماء والمصلحين، كما يشكل منعرجا في التوجهات العلمية والتربوية امتد إلى أجيال كثيرة، إذ يعد من العلماء المصلحين الذين جمعوا بين العلم الشرعي كإطار مرجعي والنظر في الواقع ومحاولة تغييره<sup>1</sup>.

إنَّ الحديث عن تمثلات الإصلاح الاجتماعي في تصور عالم كالغزالي ينطلق في نظره من بذل جميع الجهود الممكنة من كل أصناف الناس، كل حسب طاقته وعلمه للقضاء على الفساد الاجتماعي ظاهره وباطنه، وإقامة مجتمع صالح قائم على عقيدة صحيحة وإيمان متين تنبثق عنه سلوكيات إيمانية طيبة كتلك السلوكيات التي كان عليها الصالحون الذين هم النموذج المثالي للمجتمع الإسلامي<sup>2</sup>، وعلى ضوء ذلك يسير الغزالي في برنامجه الإصلاحية بخطوات ثابتة متناسقة يكمل بعضها البعض، تشمل جميع الأصناف التي يراها مشاركة في عملية الإصلاح، كما أنَّ الولوج إلى صلب العملية الإصلاحية يستدعي قيام العالم المصلح باستقراء عام للواقع الاجتماعي بكل أبعاده، ولا يتم ذلك إلا بقيام الغزالي بالخطوة الإصلاحية الأولى المتعلقة به، وهي الانسحاب من الاشتغال بالأمور العامة للاشتغال بخاصة نفسه بغية تحقيق أمرين:

1- أبو لحية نور الدين، المرجع السابق، ص 16.

2- المرجع نفسه، ص 46.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

1-مراجعة الأفكار والمعتقدات والتصورات التي تلقاها من مجتمعه المعاصر المليء بالمذاهب المتناحرة والفرق المختلفة، خاصة بعد تحققه من الفرق بين "الإسلام" الذي يتضمنه القرآن والسنة، وبين مفهوم "الإسلام" الذي ورثه عن أبويه أو أفرزته المذاهب والجماعات ورفعته إلى منزلة الإسلام وحجبت به الناس عن القرآن والسنة، وعطلت عقولهم عن الاجتهاد وعززت فيهم التقليد والتبعية والمذهبية الحزبية، فكان من آثار ذلك كله أن اختلطت الأفكار والتصورات في عقول المعاصرين، وأحدثت فيهم ما تحدثه أخلاط الطعام من تسمم وتقيؤ ومرض، ولم يعد من سبيل للنجاة من هذا الاضطراب إلا بممارسة نوع من الحمية الفكرية التي يعقبها محاولة اكتشاف الأفكار والتصورات الملائمة في ضوء الكتاب والسنة.

2-هو مراجعة الاتجاهات النفسية والأهداف الحقيقية التي اكتسبها خلال النشاط المذهبي، وهي اتجاهات كانت تدور حول تحكيم رجال المذهب لا تحكيم الإسلام، وتنحرف بالفرد من عبادة الله إلى عبادة النفس، ومن الزهد في الدنيا إلى التهالك عليها، ومنافسة الآخرين تحت شعار الدعوة إلى الإسلام، وتذل العالم وتحيله إلى لعبة بيد الحاكم<sup>1</sup>.

فلا غرو أن أبا حامد الغزالي انطلق في مشروعه الإصلاحية لمجتمعه بعد أن خبر السلاطين والأمراء والوزراء، وظهر له ابتعادهم عن تحقيق مصالح الأمة الإسلامية، بل قدموا مصالحهم الشخصية الأنانية، وتنافسوا على الملك والسلطان وقدموا الصبيان لكي يتولوا أمر المسلمين، وقد أشرنا إلى موقفه الرافض من تولي السلطان محمود بن ملكشاه للسلطنة وعمره خمس سنين في الباب الأول من هذه الدراسة، وبعد أن تعرف عن كثب على علماء عصره الذين باعوا دينهم من أجل الظفر بالمناصب والخطط الدينية في الدولة وصاروا يبررون ما يقوم به السلاطين وحاشيتهم ولم ينكروا عليهم أفعالهم.

لقد كان حجة الإسلام أبو حامد الغزالي فريد زمانه في بعد النظر واستشراف المنهج الأمثل لإصلاح المجتمع الإسلامي، كما كان عقلا جبارا وبصيرة نافذة، استوعب المشكلات التي عاصرها ابتداء من أصولها العقائدية والتاريخية والاجتماعية، واتخذ لنفسه منهجا يقوم على الاشتغال بالأمراض الأساسية التي نخرت في داخل المجتمع الإسلامي<sup>2</sup>، حيث نظر إلى المجتمع من خلال المقاييس الدينية الصحيحة وبين ما وقع فيه من انحراف وابتعاد عن الجادة وذكر أمراض الطبقات وميز بين المقاصد والغايات والوسائل والآلات، وقسم بين العلوم الدينية والدنيوية وبين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة وبين فرض العين وفرض الكفاية، ونبه على ما هو فرض متعين في زمانه لا يسع العالم تركه، وما فيه متسع و مندوحة وذكر العلل التي تخص الأغنياء وأهل اليسار وذكر أوهامهم وغرورهم

1-الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص103.

2-المرجع نفسه، ص108.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وانتقد الملوك والأمراء بشجاعة وأنكر عليهم مظالمهم وأعمالهم المخالفة للشرع، وذكر شيئا كثيرا من أمراض العامة والمنكرات العاشية في مختلف الطبقات<sup>1</sup>.

إنَّ الجهد الذي بذله الغزالي في إصلاح المجتمع، كان بمثابة إعادة بعث الروح في الجسد الذي خارت قواه ويئس من حالته، حيث جاء هذا الجهد متماهيا مع التحولات الكبرى التي شهدتها العالم الإسلامي على المستوى السياسي والاقتصادي والفكري والعسكري، فصار لازما الوقوف في وجه كل أنماط الضعف التي حلت بالأمة الإسلامية مشرقا ومغربا، ولا يتأتى ذلك إلا بتجديد العهد مع المنهج الإسلامي الصحيح الذي يعصم الأمة والمجتمع من كل أشكال الانهيار والتشرذم والهوان، مما جعل الغزالي يحسن اختيار التوقيت المناسب للبدء بعملية الإصلاح الاجتماعي على كافة المستويات، إذ كانت نهاية القرن الخامس الهجري مغاية تماما لما شهدته في الربعين الثاني والثالث منه، سياسيا وعسكريا واقتصاديا وعلميا، فاضطلع الغزالي للقيام بواجبه كعالم مسؤول مدرك لخطورة الوضع، بعد أن خبر السياسة وتقلباتها والمناصب وتبدلها وعموم الناس وفساد أحوالهم، عندها قرر عدم الوقوف متفرجا منتظرا حتى يتسع الخرق على الراقق، فيستحيل تدارك الكارثة التي ستود بالجميع إلى الهلاك.

وفي السياق ذاته يمكن تقسيم خطوات الإصلاح الاجتماعي عند الغزالي إلى ثلاث خطوات كلية رئيسية تتكامل فيما بينها، وتبرز لنا فلسفة الغزالي الإصلاحية، التي تقوم على مبدأ التدرج والمرحلة، وتشمل جميع فئات وشرائح المجتمع بما فيها طبقات الخاصة والعامة، وتتقاطع مع الإصلاح في الميدان السياسي والاقتصادي والعسكري والفكري، ذلك أنَّ الإصلاح الاجتماعي في فكر الغزالي هو الحل الأكيد للخروج من الأزمة التي تعانيها الأمة الإسلامية دولة ومجتمعا، وبه يمكن أن تصلح أحوال الميادين الأخرى، فلا غرو أنه قرر أن يكون مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخطوة الرئيسية الأولى التي ينطلق بها الفعل الإصلاحي للمجتمع، يقول: "...فإنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة وضمحلَّت الديانة وعمت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون؛ إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق، وانمححت عنها مراقبة الخالق، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكلفا بعملها أو متقلدا

1- الشافقي حسن علي، الإصلاح الاجتماعي في الإسلام دراسة مقارنة بين مفهوم الإمام أبي حامد الغزالي وابن عاشور، مجلة دراسات إسلامية، العدد الخامس، إصدارات قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، 1434هـ/2013م، ص227.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لتنفيذها مجددا لهذه السنة الدائرة ناهضا بأعبائها ومتشمرًا في إحيائها كان مستأثرا من بين الخلق بإحياء سنة أفصى الزمان إلى إمامتها، ومستبدا بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها...<sup>1</sup>، يعكس هذا الكلام المكانة التي يحتلها مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين الإسلامي، فالغزالي يرفع من قيمته انطلاقا من ذلك، ثم يواصل التأكيد عليها حينما يتحدث عن تضييعه وتغييبه وإخراجه نهائيا من حياة المجتمع الإسلامي، مبرزًا خطورة ذلك في الواقع، ثم يبين ضرورة ووجوب القيام به والأجر الذي يتلقاه القائم به.

إنَّ اعتبار الغزالي مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القطب الأعظم في الدين، وسبب إرسال الأنبياء والرسول، يظهر مقدراته الفائقة في تلمس الأدواء التي تنخر في جسم المجتمع، فقد لاحظ بنفسه الآثار الوخيمة الناجمة عن ضياع هذا المبدأ وغيابه في حياة المسلمين، لذا تصدى بكل ما يملكه من علم وتجربة لإعادة العمل بهذا المبدأ، حتى تتحقق خيرية الأمة الإسلامية التي جاءت في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (آل عمران: 110)، ويكون صمام الأمان والمجن الذي يحمي المجتمع من كل أشكال ومظاهر الفساد الأخلاقي.

يواصل الغزالي حديثه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال تطرقه إلى عدد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين التي تتفق جميعا على أنه واجب وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به<sup>2</sup>، وبعدها أفرد بابا توسع في الكلام فيه عن أركان الأمر بالمعروف وشروطه، حيث حددها بأربعة أركان هي: المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس الاحتساب<sup>3</sup>، وعمل على تبيان شروط كل ركن بشكل مفصل، وأكثر من الاستشهاد بقصص وأخبار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر لكي يعضد كلامه، كما أورد أوجه الخلاف بين العلماء والمذاهب والفرق، وبَيَّن مستويات الحسبة والفئات التي تشملها والقائمين بها وكل ما يتعلق بها بأسلوب دقيق واضح لا يستشكل على أحد، وتكلم على الآداب المتعلقة بها، وتطرق أيضا إلى أنواع المنكرات الشائعة وكيفية التعرف عليها وطرق الإنكار والأساليب والوسائل التي ينبغي إتباعها<sup>4</sup>، ثم ينتقل الغزالي في الباب الموالي للحديث عن المنكرات المألوفة في العادات، مبتدئا بمنكرات المساجد وبعدها منكرات الأسواق، فمنكرات الشوارع، ثم منكرات الحمامات، وأيضا منكرات الضيافة، ويختتمها بالمنكرات العامة، وقام بتحليل تفصيل كل منها بدقة متناهية وترتيب محكم مع إشارته إلى أوجه التوافق والاختلاف

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 781.

2 - المصدر السابق، ص 782-787.

3- المصدر نفسه، ص 788.

4- المصدر نفسه، ص 788-813.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

بينها<sup>1</sup>. وأفرد في آخر كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بابا تحدث فيه عن أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر، حدد فيه أنَّ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر يكون بالتعريف والوعظ، أي الرتبتان الأوليان من درجاته، ثم ساق عددا من الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بذلك، وأيضا ضمن هذا الباب قصصا وأخبارا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للسلاطين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصره، وختمه بالثناء على العلماء الذي قاموا بهذا الواجب على أصول ووفق مقتضياته، وبالمقابل ذم العلماء الذين قيدت الأطماع ألسنتهم فسكتوا، وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأكابر<sup>2</sup>.

أما الخطوة الرئيسية الثانية في تصور الغزالي فتتمثل في وضع منهاج جديد للتربية والتعليم، خصوصا أنه اعتبر نظام التعليم القائم نظاما فاسدا الأهداف والغايات لا يركز على خدمة أهداف الرسالة الإسلامية، وإنما غايته تخريج موظفين للدولة يتولون مناصب القضاء والإفتاء والأوقاف وغير ذلك ممن وصفهم الغزالي بأنهم علماء دنيا لا علماء آخرة، لذلك حرم العمل في مدارس الدولة أو الدراسة فيها، كما لم يكتف بمهاجمة نظام التعليم القائم وإنما وضع منهاجا بديلا غايته تخريج علماء آخرة يخدمون أهداف الدين، ويحملون رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>3</sup>. كيف لا وهو الذي عايش عن كثب وضعية التعليم حينما تصدى للتدريس في المدرسة النظامية ببغداد وقبلها درس هو نفسه في هذه المدارس، فأدرك أنَّ تحكم السلطة في نظام التعليم وتوجيهه وفق رؤيتها سوف يؤدي حتما إلى تحوير مقاصده وأهدافه وغاياته، عندئذ قرر القيام بعملية إصلاح جذري لنظام التعليم، بعد أن اعتزل التعليم الرسمي في المدرسة النظامية، وقام بمراجعات عميقة وبنى تصورات وأفكار جديدة هندس بها فلسفته الإصلاحية للمنظومة التربوية والتعليمية الإسلامية، وقام بتجسيدها عندما رجع إلى نيسابور عائدا من الشام، حيث بنى مدرسة بها وطبق فيها ما كان يصبو إليه، ولذلك فإنَّ دعوة الغزالي إلى إصلاح النظام التعليمي لا تعني ابتداعا جديدا أو منهجا مستحدثا، وإنما تعني العودة بالعلم إلى أصله الأول حيث كان حيا مثمرا مربيا، ولذلك أطلق على أكبر جهد علمي له اسم "إحياء علوم الدين" قاصدا بذلك العودة إلى العلوم التي قتلها الجدل وأرهقتها الحرفية<sup>4</sup>.

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 813-821.

2- المصدر نفسه، ص 821-836.

3- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص 136.

4- أبو لحية نور الدين، المرجع السابق، ص 198.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لقد وضع الغزالي منهاجا تعليميا وتربويا متكاملا، خال من التوجهات المذهبية التي طغت عليه، حيث تجاوز فيه النظرة الضيقة التي تقصي العلوم وتقتصر على علوم الفقه التي حددها المذهب، بل بالعكس عمل على بناء تكامل بين العلوم الدينية كالتوحيد والتصوف والفقه من جهة، وبينها وبين المهن الدنيوية<sup>1</sup>، على اعتبار أن العلوم في نظره كلها إسلامية تنقسم إلى قسمين: شرعية وغير شرعية، يقول في ذلك: "والعلوم بالإضافة إلى الغرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية؛ وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة. فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح... وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد"<sup>2</sup>، كما يؤكد أن الاقتصار على العلوم الدنيوية وإهمال العلوم الشرعية يعد مضیعة للعمر فيما لا ينفع في الآخرة، وأيضا من يقتصر على علوم الدين وحدها لا يفهم في الدين<sup>3</sup>، إلا قشوره بل خيالاته وأمثله دون لبابه وحقيقته، فلا تدرك العلوم الشرعية إلا بالعلوم العقلية، فإن العقلية كالأدوية للصحة والشرعية كالغذاء<sup>4</sup>.

تمكن الغزالي من صناعة منهاج تعليمي وتربوي يتطابق مع الميادين التي حددتها الأصول التربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. فحينما نطلع على مؤلفاته التي قام بتلقيها لطلبته، نجد أنها تغطي الميادين الأربعة الآتية:

1- البناء الصحيح للعقيدة الإسلامية: حيث وضع نصب عينيه تكوين عقيدة واضحة حية تكون بمثابة الأيديولوجية التي تحدد مسار السياسات المختلفة وتوجهها، وقد راع في ذلك التركيز على طائفتين<sup>5</sup>، طائفة اعتقدوا الحق تقليدا وسماعا، وحضوا في الفطرة بذكاء وفطنة، ولكنهم أشكل عليهم اعتقاد وثار في طريقهم شبهة، وطائفة من أهل الضلال يتفرس فيهم مخائل الذكاء والفطنة ويتوقع منهم قبول الحق<sup>6</sup>. "وأوضح الكتب التي مثلت ميدان ميدان بناء العقيدة هو كتاب (الحكمة من مخلوقات الله عز وجل) ومن يطالع الكتاب يخال نفسه أمام طبيب مختص بالتشريح، أو فلكي عالم بالفضاء. فقد اشتمل على أبواب معنونة بـ (التفكير في خلق السماء وفي هذا العالم) و (في حكمة الشمس) و (حكمة القمر والكواكب) و (حكمة خلق الأرض) والبحر والماء والهواء والنار والإنسان. وتشكيل أجسام كل من الإنسان والبهائم والطيور والنحل والنبات وغير ذلك من

1- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص 137.

2- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 24.

3- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص 138.

4- الغزالي، ميزان العمل، ص 124.

5- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص 138.

6- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، المصدر السابق، ص 75.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

المخلوقات. ولقد عرض الغزالي هذه الموضوعات بأسلوب قائم على تشريح الأجسام وتحليل عمل الأجزاء وبيان تناسق وظائف كل عضو بغية إبراز دقة الخليفة وحكمته<sup>1</sup>.

2- تهذيب النفس والإرادة: وهو من الأهمية بمكان عند الغزالي الذي قام بتقديم جرعات منعشة كان الفرد المسلم بأمس الحاجة لها، خاصة بعد أن طبقه على نفسه أولاً وذاق حلاوته وتلمس فوائده وجنى ثماره، وتمكن من بلورته وتجسيده في مشروع يسعى من خلاله للارتقاء بالإنسان من مستوى الخضوع للشهوات والأهواء إلى مقام العبودية لله حيث يتحرر الفرد من الخضوع للشهوات أو الخوف، ويتصرف طبقاً لمراد الله تعالى عن قناعة ورضى. بعد أن قلب النظر وأمعن الفكر ووضع أبحاثاً معمقة استقاها من القرآن والسنة ومصادر تراث السلف وأوائل الصوفية التي تتسق مع الكتاب والسنة؛ لاستقصاء التحليل النفسي ومراتب تطور النفس وأحوالها، والمؤثرات التي تؤثر في السلوك والفكر، والممارسات التي يجب أن يمر بها المتعلم، وقام بتطبيقها على نفسه أولاً ثم على طلبته وتلاميذه ثانياً<sup>2</sup>.

3- دراسة العلوم الفقهية وما اشتملت عليه من أنظمة ومبادئ تتطلبها المعاملات الجارية والقضايا الحياتية القائمة والمتجددة، ولقد كانت دراسة هذا الميدان متحررة من التقليد المذهبي متصلة اتصالاً مباشراً بالقرآن الكريم.

4- الحكمة أو الإعداد الوظيفي: أدرج فيه الغزالي جميع السياسات والإدارات والمهن التي يحتاجها المجتمع المعاصر وكيفية توزيع الأفراد حسب استعداداتهم وقدراتهم، كما أشار إشارة صريحة إلى أن علوم هذا الميدان لا تقتصر على ما عرفه الإنسان وإنما سيرز الكثير منها في المستقبل بسبب تطور هذه الحياة وتحدد الحاجات.

وتكشف أبحاث الغزالي في هذا الميدان عن اطلاع واسع وخبرات عميقة في ميدان الإدارة والسياسة والآثار التي تترتب على حسن الإدارة أو سوءها. كذلك بحث الغزالي في تقدم العلوم وتجديدها، وفي نظريات التعلم وفي التطور الثقافي والتطور الذي يصيب المجتمعات عبر الزمان والمكان، وغير ذلك من أصول التربية سواء منها الاجتماعية أو العقائدية أو التربوية<sup>3</sup>.

ختم الغزالي الخطوة الثانية في مشروعه الإصلاحية بتجسيدها وتطبيقها وممارستها في مدرسته التي أسسها وتصدر للتدريس فيها مع بعض أصحابه، وأضحى لها أثر عظيم في تخريج أنماط جديدة من الرجال أسهموا فيما بعد في الحركة الإصلاحية إسهاماً فعالاً<sup>4</sup>.

1- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص 138-139.

2- المرجع نفسه، ص 139.

3- المرجع نفسه، ص 139-140.

4- المرجع نفسه، ص 140.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

يعرج الغزالي إلى الخطوة الرئيسية الثالثة التي تناول فيها جانبا مؤثرا في المجتمع الإسلامي، ألا وهو التصوف، الذي عايش أبرز وأنجح محاولة للتوفيق التي كانت على يده، حيث أسس قواعد التصوف السني، الذي يعنى بالجانب الخلقى والتربوي، ورفض أنواع التصوف الأخرى، كتصوف الحلاج والبسطامي، كما حدد قواعد التصوف في دقة منهجية، ووضع آدابه العملية في صورة مفصلة، ولا نجد لهذا كله مثيلا عند من تقدمه حيث جعله علما بمعنى الكلمة، بالإضافة إلى أنه نجح في أن يجعل التصوف جزءا من الدين ومقبولا لدى العلماء وكذلك كل العناصر العاطفية التي أمدت التصوف بالحياة. الأمر الذي جعله لا يرضى من التصوف إلا ما كان متماشيا مع الكتاب والسنة وراميا إلى الزهد والتقشف وتهذيب النفس وإصلاح أخلاقها، وبالمقابل رد مذاهب الفلاسفة والمعتزلة والباطنية، وبذلك ازداد نفوذ التصوف السني في العالم الإسلامي بفضل عظم شخصية الغزالي<sup>1</sup>.

لقد كان للإمام الغزالي الفضل في التوفيق بين الفقه والتصوف، حيث نجح إلى حد بعيد في أن يفقه التصوف ويصوف الفقه - إن صح التعبير - وإن كانت كفة التصوف قد رجحت عنده على بقية العلوم<sup>2</sup>، حيث يقول: "إنني علمت يقينا أن الصوفية هم السابقون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئا من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلون بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلا، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء وجه النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"<sup>3</sup>. وعلى الرغم من كلامه هذا الذي يرفع من مقام الصوفية ويشيد بهم، إلا أنه أفرد لهم حيزا معتبرا في مؤلفاته، وقام بنقدهم نقدا لا ذعا نظرا لتتكبهم طريق التصوف السني الصحيح، وتمسكهم بخليط مضطرب سموه تصوفا، فلم يقل الغزالي كلامه هذا إلا بعد أن سبر أغوار التصوف المنتشر في زمانه، البعيد كل البعد عن التصوف السني الصحيح، لذا صنف هذا الفئة إلى عدة أصناف كما يلي:

-الصنف الأول: إنهم غالب متصوفة أهل الزمان إلا من عصمه الله، الذين اغتروا بالزي والهيئة والمنطق، فشابهوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم، وفي ألفاظهم واصطلاحاتهم وأحوالهم الظاهرة. لكنهم لم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، بل ظلوا يتكالبون على الحرام

1-رياض صالح علي حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492هـ-690هـ/1098م-1291م)، رسالة لنيل درجة

الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية بغزة، 1426هـ/2005م، ص55.

2-المرجع نفسه، ص58.

3-المنقذ من الضلال، تعليق محمد جابر، د.ت، ص50.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

والشبهات وأموال السلاطين، ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة. ويتحاسدون على النكير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه<sup>1</sup>.

-الصنف الثاني: وهؤلاء صعب عليهم الرضى بالملابس الرثة والمساكن البسيطة، فتزويوا بزوي الصوفية، ولبسوا من الثياب مما هو أرفع من الحرير وتنعموا بلذيد الأطعمة، وظلوا يأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي وينكرون على من لا يتبعهم<sup>2</sup>.

-الصنف الثالث: وهم ينظرون إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام. حتى أنَّ الفلاح ليترك فلاحته، والحائك يترك حياكته، ويلزمهم أياما معدودة، ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددوها كأن يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار، ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء. فيقول في العباد إنهم أجراء متعبون، ويقول في العلماء إنهم بالحديث عن الله محبوبون، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين. وهو عند الله من الفجار المنافقين. وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين<sup>3</sup>.

-الصنف الرابع: وهؤلاء رفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام، لأنهم اعتقدوا أنَّ الله استغنى عن عملهم وأنَّ العمل بالجوارح لا وزن له وإنما النظر في القلوب. كما ادعوا أنَّ قلوبهم والهة بحب الله وواصله إلى معرفته، وأنهم إنما يخوضون في الدنيا في أبدانهم وقلوبهم عاكفة في الحضرة الربوبية. وأيضا زعموا أنهم ارتقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية ورفعوا أنفسهم على درجة الأنبياء<sup>4</sup>.

-الصنف الخامس: الذين عكفوا على الاشتغال بتفقد القلب، إلى درجة الادعاء المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب دون الوقوف على حقيقتها وشروطها وعلاماتها وآفاقها، وصار أكثرهم يدعي الوجد والحب لله تعالى ويتخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر، ويتعارف ما يكره الله عز وجل، ويؤثر نفسه على أمر الله<sup>5</sup>.

-الصنف السادس: هم جماعة انصرفوا إلى النظر في أمر القوت فعمسوا على أنفسهم لأجل طلب الحلال الخالص، وفي نفس الوقت أهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة، وبعضهم أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك<sup>6</sup>.

1- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص391.

2- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص125.

3- الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص392-393.

4- المصدر نفسه، الصفحة نفسها، الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص125.

5- الكيلاني ماجد عرسان، المرجع نفسه، ص125-126.

6- المرجع نفسه، ص126.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-الصنف السابع: هم رهط تظاهروا بحسن الخلق والتواضع، وعكفوا على خدمة الصوفية، وفي الآن ذاته جمعوا حولهم قوما تكلفوا بخدمتهم، سعيا للرئاسة وجمع المال من المتبرعين والمحسنين والسلطين بينما هم يهتمون جميع ما أمر الله تعالى ظاهرا وباطنا.

-الصنف الثامن: هم نفر اتجهوا إلى البحث والتفتيش في علوم المجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس. والتعمق في فحص عيوب النفس ومعرفة خدعها وآفاتهما، وقاموا بتصنيفها إلى عيب وعيب العيب وغير ذلك من الكلام النظري الذي لا يجسده عمل ولا تطبيق.

-الصنف التاسع: هم قوم طرقوا باب السلوك حتى انفتح عليهم باب من المعرفة ففرحوا به، واعتقدوا أنهم حازوا الكمال والفضل على الغير، ولم يمضوا حتى بلوغ الهدف<sup>1</sup>.

-الصنف العاشر: وهؤلاء سلكوا الطريق حتى قاربوا معرفة الله، فظنوا أنهم وصلوا وغلطوا بما أشرق عليهم من أنوار الله وأسرار النفس حتى أصابتهم الدهشة فقال واحد منهم: أنا الحق، وهذا غرور كبير<sup>2</sup>.

من هذا المنطلق عكف الغزالي على تبيان وتحلية التصوف الصحيح الذي ينبغي التمسك والتشبث بقواعده وأساسه وخطواته ومراحله، وتتبع سير علماء التصوف السائرين على المنهج والأخذ بأقوالهم ودراسة مؤلفاتهم، حتى يتحقق صلاح الصوفية وقيام بواجبهم ودورهم في المجتمع على أكمل وجه، وهذه الأصناف التي ذكرها بعيدة كل البعد عن هذا المهيع الرشيد من التصوف وليس لها القدر المعلى منه، وإنما هي مجرد أشكال وهياكل فارغة لا حظ لها منه أبداً، وهي جميعها إحدى مظاهر السلبية التي ضربت الحياة الاجتماعية<sup>3</sup>، وقد فصل فيها الغزالي وبين بحيث لا تخفى على أحد<sup>4</sup>.

وفي النهاية يمكن القول أنَّ الإمام حجة الإسلام الغزالي استطاع أن يسطر برنامجاً إصلاحياً متكاملاً ومتناسقاً ومتوازناً، جعله في ثلاث محاور رئيسية هي: مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح النظام التعليمي والتربوي، وتقويم التصوف الإسلامي السني، انبرى فيها إلى سبر أغوار كل محور وتحلية الميادين التي يمسه ويؤثر فيها بشكل مباشر والفئات كذلك، ولم يكتف بالتشخيص والنقد بل قام بتقديم الحلول المناسب، وبين الفئات المنوط بها التصدي للإصلاح الاجتماعي أكثر من غيرها، فقد خصص فقرات طويلة للحديث عن العلماء الذين كانوا حاضرين في برنامجه الإصلاحي بشكل مكثف، كما ركز على دورهم ووظيفتهم وفعاليتهم في المجتمع أكثر من

1-الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص126.

2-الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص394-395.

3-الكيلاني ماجد عرسان، المرجع السابق، ص126-127.

4-الغزالي، إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص394-399.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

غيرهم، ذلك أنَّ من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم العلماء، ومن يشرف على التعليم والتربية وإصلاح وضعها هم العلماء، ففسادها يعني فساد العلماء، وفسادهم يساوي غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانحيار التعليم، وبعد ذلك يأتي التصوف الذي دعا إلى إصلاحه، فالتصوفة هم علماء قبل كل شيء فإذا تلقفوا التصوف الضال المعوج الزائغ وساروا عليه وانتهجوه، فهذا يعني فسادهم وضلالهم، الأمر الذي سينعكس على التعليم والتربية والتزكية والسلوك والأخلاق وإظهار المعروف وتبينه وإنكار المنكر وشجبه من المجتمع الإسلامي.

والواقع أنَّ الغزالي عالم استطاع أن يؤسس لبرنامج إصلاح صالحي لكل العصور، ومتى طبق بنفسه الحيات والخطوات والمراحل والتصورات، سوف يؤتي أكله وينجح نجاحاً كبيراً، كما يظهر برنامجه أنه يعد من العلماء المسلمين الذي ضربوا أعظم الأمثلة في سبيل خدمة دينهم ومجتمعهم وأمتهم، وبين أسفه وامتعاضه وقلقه الشديد من حالة العالم الإسلامي وخطورة الوضع الذي يعيشه والويلات التي ستنتجر عنه، لذا جرد قلمه وقلب فكره وأمعن نظره واعتصر أفكاره ودون خبرته في سبيل تقديم مشروع إصلاح من الطراز الرفيع، صار نبراساً يستضاء به ومثالاً يحتذى به، وحقق مراده وبغيته حينما أخرج جيلاً من العلماء الريانيين الذي وصلوا ما بدأه، وتمكنوا بفضل الله تعالى من القضاء على الغزاة من الصليبيين والمغول وطردتهم من بلاد الإسلام.

### 3-2- خلوات الإصلاح الاجتماعي عند أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: يعد

عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ) أحد أهم أقطاب الفكر الإسلامي، وعالم فذا طبقت شهرته الآفاق، نظير ما أضافه في مجالات الفكر والتربية والعلوم، وأضحت أفكاره وآراءه التي دونها في مؤلفاته، لبنة هامة وأساسية في صرح الفكر الإسلامي والإنساني.

تميز ابن الجوزي بشخصيته التربوية التي تألفت بدورها في مجتمع آخر عصور الدولة العباسية، وبجلسات الوعظ التي كان يقبل عليها جماهير الناس من كل حذب وصوب<sup>1</sup>، فكان ذلك من أهم الأسباب لقيامه بعملية الإصلاح الاجتماعي، خصوصاً أنه عاش في القرن السادس الهجري وعاصر الخلافة العباسية والدولة السلجوقية، وشهد الصراع المحتدم بينهما وآثاره الوخيمة على المجتمع الإسلامي، كما عاصر أيضاً الدولتين الزنكية والأيوبيية، وبنجاح المشروع العباسي في توحيد العراق والشام ومصر وكذلك تحرير بيت المقدس سنة 583هـ/1187م من الصليبيين والقضاء على الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، ومع ذلك فإنَّ أحوال المجتمع الإسلامي في العراق مركز الدولة العباسية كانت كارثية، من ابتعاد عن تعاليم الدين وانتشار المنكرات والفساد الأخلاقي وغياب اللحمة الاجتماعية والتعاون والتضامن، وقد أشار إليها في كتابه المنتظم بشكل مفصل كما ذكرنا سابقاً، الأمر الذي جعله

1- الدجاني بسمة أحمد، كتاب "صيد الخاطر" لابن الجوزي: تفاعل الأديب مع مجتمعه، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 2، 2012م، الجامعة الأردنية، ص 237.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

يبدأ مشروعه الإصلاحية للمجتمع، من خلال ما توفر له من إمكانيات ووسائل، كما استفاد من المشروع الإصلاحية للغزالي (ت 505هـ) الذي أتى أكله كما قلنا، ومن علماء عصره الذين أقاموا مجالس الوعظ في الدور والمساجد والقصور، وفي حضرة الخلفاء والوزراء، وكان لها دور مهم في تقويم المجتمع، وتوعية الأفراد على مختلف أشكالهم وبيئاتهم وأعمارهم، وقد عاصر ابن الجوزي ازدهار مجالس الوعظ في شبابه، وشهد أشهرها في بغداد في القرن السادس الهجري للإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي كان له أكبر الأثر في مجتمعه<sup>1</sup>.

لذا اضطلع بمهمة الإصلاح الاجتماعي في مجالس الوعظ التي أقامها هو في بغداد واستطاع من خلالها بلورة الخطوط العريضة التي سوف يسير عليها، وتمكن من تجسيد مشروع إصلاحية متكامل شامل لكل مناحي الحياة في المجتمع الإسلامي، استثمر فيه مواهبه وخبرته وتكوينه العلمي المتميز، وقام ببثه في مؤلفاته وتصنيفاته المختلفة، بالإضافة إلى نقده لكتاب "إحياء علوم الدين" محور المشروع الإصلاحية للغزالي، حيث ألف "منهاج القاصدين ومفيد الصادقين" من أجل ذلك، فأتسع بذلك فكره وانتظمت آرائه ورسخت قناعاته وجادت قريحته بما اختمر في ذهنه، وبدأ بتطبيق ذلك وتجسيده في مجالسه الوعظية ثم بعدها دون كل ذلك في كتبه بأسلوب دقيق محكم العبارات منظم الفقرات متسلسل الأفكار غني بالأمثلة والاستشهادات المختلفة التي اقتبسها من القرآن والسنة وسير الصحابة والعلماء والصالحين.

استهل ابن الجوزي الخطوة الأولى لمشروعه الإصلاحية بالحديث عن إصلاح النفس، حيث أفرد لها حيزاً معتبراً في كتابه "صيد الخاطر" كما يلي: -فصل: في بعض الأدوية التي ترد شهوات النفس. -فصل: النفس بين نفحات الرحمن ووسوسة الشيطان. -فصل: في حقيقة جهاد النفس وطريق تركيتها. -فصل: في حمل النفس على ما تطيق وترك التنطع. -فصل: تعليل النفس يعين على تحمل المشاق. -فصل: في سياسة النفس بالحكمة والحزم. -فصل: في لزوم الحكمة في معالجة أحوال النفس. -فصل: عتاب ونجوى مع نفس أمارة. -فصل: لا بد من التلطف بالنفس في طريق الطلب. -فصل: شهوات النفس لا تنتهي فإن ردت إلى قليل رضيت. -فصل: إتباع رغبات النفس وأهوائها حسرات. -فصل: في ترك مخالطة الناس والعمل على تركية النفس. -فصل: المخاطرة بالنفس والقائها في التهلكة غباء وحماقة. -فصل: من نهي النفس عن الهوى نال نعيم الدنيا والآخرة. -فصل: الرضى عن النفس يورد المهالك.

تعكس هذه الفصول الاهتمام الكبير من قبل ابن الجوزي بإصلاح النفس، فقد أشار إلى أحوالها وتقلباتها وشهواتها ورغباتها وطرق تربيتها وتركيتها، وقبل كل ذلك نظرة ابن الجوزي إلى النفس، حيث رأى أنها إشكالية للناس من حيث معرفة ماهيتها، بالرغم من إجماعهم على وجودها وإثباتها. كما أن هناك إشكالية في معرفة مصيرها بعد الموت. ويرى أيضاً أنه ليس هناك أية ضرورة لمعرفة ماهيتها، ولكن المهم هو إثباتها والاعتراف بوجودها. وأما بالنسبة

1- الدجاني بسمة أحمد، المرجع السابق، ص 237.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لمصير تلك النفس فيرى بأن النفس لها وجود بعد موتها<sup>1</sup>. وفي السياق ذاته يقدم ابن الجوزي من خلال الفصول نظرتة في كيفية التعامل مع النفس في كل أحوالها، فقد شخص ما يعتريها من ضعف وتكاسل وإقبال على الشهوات والمحرمات وإدبار عن الطاعات والقربات، وبين للطرق الناجعة لإصلاحها، وفي فصل الذي تكلم فيه عن بعض الأدوية التي ترد شهوات النفس، يظهر الميل الزائد للنفس إلى المحرمات من الشهوات وقلة ميلها إلى المباحات من الشهوات، في شكل حوار بينه وبين نفسه، حيث يكلمها مبينا لها خطوة هذا الأمر وعواقبه<sup>2</sup>، ثم يعرج على أحوالها بين نفحات الرحمن ووسوسة الشيطان، حينما يتفكر فيها وهي مقبلة على مجالس الوعظ وما يحصل لها من اليقظة والإنابة والرجوع، وبالمقابل كيف يكون حالها خارج هذه المجالس وهي منغمسة في حياتها الدنيا<sup>3</sup>، وبعد ذلك ينتقل للكلام عن حقيقة جهاد النفس وطريق تركيتها، فقد اعتبر جهاد النفس، أعظم الجهاد الذي قصر في فهمه العلماء والزهاد، لما منعوا النفس من حظوظها على الإطلاق، وفي نفس الوقت يقدم لنا المهيح الذي يسلكه كل فرد في جهاد نفسه وتركيتها، من ذلك مجاهدتها من حيث العمل، فيجب مجاهدتها بعدم ترك لجامها ولا إهمال مقودها، بل يرخي لها في وقت والحبل بيده؛ فما دامت على الجادة لم يضايقها في التضييق عليها، فإذا رآها قد مالت؛ ردها باللفظ، فإن ونت وأبت؛ فبالعنف، ويحسبها في مقام المدارة كالزوجة التي مبنى عقلها على الضعف والقلّة، وأما مجاهدتها بالقول، فيكون بوعظها وتأنيبها<sup>4</sup>، ثم يعضد كلامه هذا في فصل حمل النفس على ما تطيق وترك التنطع بقوله: "وفي الجملة: ينبغي لك ملازمة تقوى الله عز وجل في المنطق والنظر وجميع الجوارح، وتحقيق الحلال في المطعم، وإيداع كل لحظة ما يصلح لها من الخير، ومناهية الزمان في الأفضل، ومجانبة ما يؤدي إلى ما يؤدي من نقص ربح أو وقوع خسران! ولا تعلمي عملا إلا بعد تقديم النية. وتأهبي لمزعج الموت؛ فكأن قد، وما عندك من مجيئه في أي وقت يكون! ولا تتعرضي لمصالح البدن، بل وفريها عليه، وناوليه إياها على قانون الصواب، لا على مقتضى الهوى؛ فإن إصلاح البدن سبب لإصلاح الدين! ودعي الرعونة التي يدل عليها الجهل لا العلم.... وليس كل الأبدان تتساوى في الإطاعة، ولقد حمل أقوام من المجاهدات في بداياتهم أشياء أوجبت أمراضا قطعتهم عن خير، وتسخطت قلوبهم بوقوعها؛ فعليك بالعلم فإنه شفاء من كل داء..<sup>5</sup>"، ثم ينتقل في فصل تعليل النفس يعين على تحمل

1- فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 65.

2- ابن الجوزي، صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 114-115.

3- المصدر نفسه، ص 115-117.

4- المصدر نفسه، ص 127-129.

5- المصدر نفسه، ص 157-158.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

المشاق ليرشدنا إلى أنَّ النفس تمل وتضجر، لذا يجب تعليلها أي تسليتها والتلطف بها ومداراتها والتحبب إليها حتى تصبر على السير في طريق الله تعالى<sup>1</sup>، بعدها يعود للحديث عن مجاهدة النفس في فصل سياسة النفس بالحكمة والحزم، وهو يتطابق مع حقيقة جهاد النفس ويتقاطع معه وبين كيفية التعامل مع النفس بين الحكمة والحزم<sup>2</sup>، ونفس الأمر ينسحب على فصل لزوم الحكمة في معالجة أحوال النفس، فقد أشار إلى ضرورة العلم والتشغل به دون إهمال أعمال البر، كما بين أحوال القلوب بين القسوة والرقّة وما يصلح لها<sup>3</sup>، وبعدها يعرج إلى سبر أغوار النفس والتعمق في أحوالها في فصل عتاب ونجوى مع نفس أمارة، حيث ساق لنا عتابه لها على شكل محاورة بينهما بقوله: "...بالله عليك لا تشمتي بك الأعداء! هذا أقل الأقسام، وأوفى منها ما أقول: بالله عليك؛ لا يفوتك قدم سابق مع قدرتك على قطع المضمار. الخلوة الخلوة! واستحضري قرين العقل، وجولي في حيرة الفكر، واستدركي صباية الأجل، قبل أن تميل بك الصباية عن الصواب..."<sup>4</sup>، أما فصل لا بد من التلطف بالنفس في طريق الطلب فهو تنمة لفصل تعليل النفس يعين على تحمل المشاق، فقد بين أنَّه ينبغي فهم هذا الفصل مع الذي تقدمه، فإنَّ الأول في مقام العزيمة، وهذا في مكان الرخصة، ولا بد للتعبد من راحة وإعانة، والله عز وجل معك على قدر صدق الطلب وقوة اللجأ وخلع الحول والقوة، وهو الموفق<sup>5</sup>، ويستمر ابن الجوزي في حديثه عن النفس، ولكن هذه المرة يشير إلى شهوات النفس التي لا تنتهي، حينما أورد كلاماً لأحد الوعاظ يقول فيه: "...كنت أسمع علي بن الحسين الواعظ يقول على المنبر: والله؛ لقد بكيت البارحة من يد نفسي..."<sup>6</sup>، هذا الكلام جعله يتفكر في شهوات النفس، فرأى أنها لا تقف عند حد، بل تروم من اللذات ما لا تنتهي له، وكلما حصل لها غرض؛ برد عندها وطلبت سواه، فيفنى العمر، ويضعف البدن، ويقع النقص، ويرق الجاه، ولا يحصل المراد، ثم يورد الأمثلة في هذا الشأن، وبعدها يقدم جملة من النصائح، تتمثل في كبح النفس عن طلب المزيد وترويضها على القبول بالقليل والرضا ففي ذلك الخير كله<sup>7</sup>.

1- ابن الجوزي، صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 185-186.

2- المصدر نفسه، ص 256.

3- المصدر نفسه، ص 261-262.

4- المصدر نفسه، ص 241-242.

5- المصدر نفسه، ص 405-406.

6- المصدر نفسه، ص 528.

7- المصدر نفسه، ص 529-532.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

ولا يخلو فصل "إتباع رغبات النفس وأهوائها حسرات" من تكرار لما قاله سابقا سواء من النصائح أو الأمثلة التي ساقها، فهذا الفصل تكملة لما تكلم عنه حول شهوات النفس التي لا تنتهي<sup>1</sup>، وفي فصل "ترك مخالطة الناس والعمل على تزكية النفس" يدعو إلى ضرورة الابتعاد عن مخالطة الناس، يقول في ذلك: "ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح؛ فإنَّ الطبع يسرق، فإن لم يتشبه بهم، ولم يسرق منهم؛ فتر عن عمله"<sup>2</sup>، وفي الآن ذاته يعرض الأسباب الداعية لتجنب مخالطة الناس من خلال الأمثلة أشار إليها، ثم بعد ذلك يقدم نصائحه في تزكية النفس قائلا: "إن كان يغلب عليه العلم؛ انفرد بدراسته واحترز من الأتباع المتعلمين، وإن غلبت عليه العبادة؛ زاد في احترازه؛ وليجعل خلوته أنسيه والنظر في سير السلف جليسه؛ وليكن له وظيفة من زيارة قبور الصالحين والخلوة بها؛ ولا ينبغي أن يفوته ورد قيام الليل، وليكن بعد النصف الأول؛ فليطل مهما قدر، فإنه زمان بعيد المثل؛ وليمثل رحيله عن قرب؛ ليقصر أمله؛ وليتزود في الطريق على قدر طول السفر"<sup>3</sup>. كما يؤكد نفس الأمر في فصل "من نحى النفس عن الهوى نال نعيم الدنيا والآخرة" الذي أتم به ما سبق أن ذكره من نصائح في تزكية النفس<sup>4</sup>، ويختتم ابن الجوزي حديثه عن إصلاح النفس بفصل "الرضى عن النفس يورد المهالك" حيث حذر فيه من مغبة هذا الأمر، والوبال الذي يجلب لصاحبه، مستشهدا بأمثلة كثيرة في ذلك<sup>5</sup>.

يتطرق ابن الجوزي في الخطوة الثانية في مشروعه الإصلاحي، إلى المسألة الأخلاقية التي لطالما فرضت نفسها بقوة في فكره وفي مجالس وعظه، كما بثها في كتبه ومؤلفاته، وذلك نتيجة للظروف الاجتماعية التي عاش فيها، وكثرة الفتن وتدهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وظهور الكثير من الأخلاق الاجتماعية السيئة التي بررت تربيته الخلقية لتكون نبراسا يضيئ ذلك المجتمع، وعلاجاً لمختلف الأمراض المتفشية فيه<sup>6</sup>. لذا بدأ خطوته هذه بتشخيص الأخلاق السيئة المتفشية في المجتمع وتبيان خطرهما عليه، ويبيِّن الفرق بينها وبين الأخلاق الحسنة بقوله: "فالحلق الحسن صفة الأنبياء والصديقين، والأخلاق السيئة سموم قاتلة تنخرط بصاحبها في سلك الشيطان..<sup>7</sup>، واعتبر الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى

1- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 613-615.

2- المصدر نفسه، ص 662.

3- المصدر نفسه، ص 664-665.

4- المصدر نفسه، ص 720.

5- المصدر نفسه، ص 729-731.

6- فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 69.

7- ابن الجوزي، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، تحقيق محمد الخراط، ط1، دمشق، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ/2010م، ص 595.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا. وإن كان الصادر منها أفعالا قبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا<sup>1</sup>، كما بيّن أسباب واقعة الناس للمحظورات بقوله: "تأملت إقدام العلماء على شهوات النفس المنهي عنها، فرأيتها مرتبة تزاحم الكفر لولا تلوح معنى هو أن الناس عند واقعة المحذور ينقسمون: فمنهم جاهل بالمحذور أنه محذور؛ فهذا له نوع عذر. ومنهم من يظن المحذور مكروها لا محرما... ومنهم من يتأول فيغلط... ومنهم من يعلم التحريم؛ غير أن غلبات الشهوة أنسته تذكر ذاك، فشغله ما رأى عما يعلم... ومنهم من يعلم الحظر ويذكره؛ غير أنه يغتر بالحلم والعفو..<sup>2</sup>"، وبعدها يفصل في الفئات التي قارفت هذه المحظورات ويظهر الأخلاق السيئة التي تخلقوا بها والمعاصي التي أقدموا عليها، فقد قسم الناس إلى عالم وجاهل:

-الجهال: فيهم السلاطين الذين ربوا في الجهل ولبس الحرير وشرب الخمر وظلم الناس، والتجار الذين همهم الاكتساب وجمع الأموال، وأكثرهم لا يؤدي الزكاة ولا يتحاشى من الربا، وفيهم أيضا أرباب معاش؛ يطففون المكيال ويخسرون الميزان، ويبخسون الناس، ويتعاملون بالربا، وهم في الأسواق طول النهار، لا همة لهم إلا ما هم فيه؛ فإذا جاء الليل؛ وقعوا نياما كالسكارى؛ فهمة أحدهم ما يأكل و يلتذ به، وليس عندهم من الصلاة خبر؛ فإن صلى أحدهم، نقرها أو جمع بينها، ومنهم من يطلب اللذات ولا يساعده المعاش، فيخرج إلى قطع الطريق! وهؤلاء أحق الجماعة؛ إذ لا عيش لهم؛ فإن التذوا لحظة بأكل أو شرب، فحركت الريح قصبه، هربوا خوفا من السلطان، وما أقل بقاءهم! ثم القتل والصلب، مع إثم الآخرة. ورأيت النساء ينقسمن أيضا؛ فمنهن المستحسنة التي تبغي -أي تصبح بغيا- ومنهن الخائنة لزوجها في ماله، ومنهن من لا تصلي ولا تعرف شيئا من الدين.. فإذا سمعن موعظة، فإنها كما مرت على حجر! وإذا قرئ عندهن القرآن، فكأنهن يسمعن السمر<sup>3</sup>.

-العلماء: فالمبتدئون منهم ينقسمون إلى ذي نية خبيثة، يقصد بالعلم المباهاة لا العمل، ويميل إلى الفسق، ظنا أن العلم يدفع عنه، وإنما هو حجة عليه. وأما المتوسطون والمشهورون؛ فأكثرهم يغشى السلاطين، ويسكت عن إنكار المنكر. وقليل من العلماء من تسلم له نيته ويحسن قصده<sup>4</sup>. ثم ينتقل لتتبع الأخلاق السيئة ويفصل فيها كما يلي:

-آفات الكلام: يبتدئها بالآفة الأولى وهي "الكلام فيما لا يعني"، ثم الآفة الثانية التي هي "فضول الكلام"، أما الآفة الثالثة تتعلق بـ "الخوض في الباطل"؛ وهو الكلام في المعاصي، كذكر مجالس الخمر، ومقامات الفساق، وأنواع

1- ابن الجوزي، منهاج...، المصدر السابق، ص 597-598.

2- ابن الجوزي، صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 58-59.

3- المصدر نفسه، ص 557-559.

4- المصدر نفسه، ص 559.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الباطل لا تحصى لكثرتها، وبعدها تأتي الآفة الرابعة وتتمثل في "المراء والمجادلة"، وتعقبها الآفة الخامسة وهي "الخصومة"، لتأتي بعدها الآفة السادسة وهي "التقعر في الكلام"، و تردفها الآفة السابعة التي هي "الفحش والسب والبذاء"، أما الآفة الثامنة فهي "اللعن"، ولا ننسى الآفة التاسعة المتمثلة في "الغناء والشعر"، وأيضاً العاشرة التي تتجلى في "المزاح"، وكذا الحادية عشرة وهي "السخرية والاستهزاء"، في حين الآفة الثانية عشرة تتعلق بـ "إفشاء السر"، بينما الآفة الثالثة عشرة تتمثل في "الوعد الكاذب"، وكذلك الآفة الرابعة وهي "الكذب في القول واليمين"<sup>1</sup>. والآفة الخامسة عشرة هي "الغيبة"، وقد بينها بقوله: "اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك الغائب بما يكرهه إذا بلغه، سواء ذكرت نقصانا في بدنه، أو في نسبه، أو في خلقه، أو في فعله ودينه، أو في دنياه، أو في ثوبه"<sup>2</sup>، وذكر الأسباب المؤدية لها، كإشفاء الغيظ من الشخص المستغاب، وموافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، وأن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويبسط لسانه فيه، أو يقبح حاله عند محتشم، فيبادره قبل ذلك بالطعن فيه، لئلا يبقى لشهادته أثر، وأن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه، فيذكر الذي فعله أو الذي شارك فيه ليمهد بذلك عذر نفسه، ولو أنصف لاقتصر على تنزيه نفسه فقط، وكذلك إرادة التصنع والمباهاة، وأيضاً الحسد، ولا ننسى اللعب والهزل والمطايبة وترجية الوقت بالضحك، بالإضافة إلى السخرية والاستهزاء، والتعجب عندما يقول ما أعجب ما رأيت من فلان، والرحمة حينما يغتم بسبب ما ابتلي به إنسان، وأخيراً الغضب لله، فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان، فيظهر غضبه ويذكر اسم الرجل<sup>3</sup>.

أما الآفة السادسة عشرة فهي "النميمة" التي تطلق في الغالب على نقل قول إنسان في إنسان مثل أن يقول له: قال فيك فلان كذا وكذا. وليست النميمة مخصوصة بهذا، بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كان من الأقوال أو من الأعمال حتى ولو رآه يذفن مالا لنفسه فذكره فهو نميمة. والباعث على النميمة إما إرادة السوء بالمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول<sup>4</sup>، ثم تأتي الآفة السابعة عشرة التي تتمثل في "كلام ذي اللسانين" الذي يتردد بين المتعادين وينقل كلام واحد في الآخر إليه، ويكلم كل واحد بكلام يوافقه، أو يعده بأن ينصره، أو يشني على الواحد في وجهه، ويذمه عند الآخر<sup>5</sup>، وبعدها الآفة الثامنة عشرة

1- ابن الجوزي، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، المصدر السابق، ص 652-668.

2- المصدر نفسه، ص 678.

3- المصدر نفسه، ص 683-684.

4- المصدر نفسه، ص 692.

5- المصدر نفسه، ص 694.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وهي "المدح"، وتتمثل الآفة التاسعة عشرة "في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام"، وإنهاء بالآفة العشرين التي هي "سؤال العوام عن صفات الله سبحانه وكلامه"<sup>1</sup>.

-الغضب والحقد والحسد: عرف ابن الجوزي الغضب بأنه "غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها"<sup>2</sup>، ثم يحدد أسبابه وهي: الزهو والعجب والمزاح والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه<sup>3</sup>.

أما الحقد فعلامته دوام بغض ذلك الشخص واستثقاله والنفور منه، وهو ثمرة الغضب، كما أنه يثمر ثمانية أشياء هي: الحسد، والشماتة، والهجر والمصارمة، والإعراض، والتكلم فيما لا يحل، الاستهزاء والسخرية، الإيذاء بالضرب والإيلام، منع الحق في صلة الرحم أو قضاء دين أو رد مظلمة<sup>4</sup>.

وبعد ذلك ينتقل ابن الجوزي للحديث عن الحسد، فيعتبره من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فهو فرع فرع الغضب. ثم إنَّ للحسد من الفروع المذمومة ما لا يكاد يحصى<sup>5</sup>، وقد حصر أسبابه في سبعة أمور هي: العداوة، والتعزز، والتكبر، والتعجب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحبُّ الرياسة، وخبث النفس وبخلها<sup>6</sup>.

-الحرص والطمع والبخل: يري ابن الجوزي أنَّ الآدمي مجبول على الحرص والطمع وقلة القناعة، لذا ساق جملة من الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين في ذم الحرص والطمع<sup>7</sup>، أما البخل فهو أن يضمن البخل بماله، والشح أن يبخل بماله ومعروفه، كما يشبهه بالداء لأنه يفسد الخلق، ويدفع عن السؤدد، ويكسب سوء الثناء والمذمة<sup>8</sup>، وسبب البخل هو حب المال، وكذلك سبب حب المال هو حب الشهوات التي لا يتم الوصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، وأيضاً أن يحب المال نفسه<sup>9</sup>.

-الجاه والرياء: يعتبر ابن الجوزي أنَّ أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار، وذلك خطر عظيم، تبعد سلامة صاحبه، والسلامة في الخمول، إلا أن تكون الشهرة من الله تعالى للشخص بمعنى ما قصده الشخص<sup>10</sup>، أما معناه في

1- منهاج القاصدين... المصدر السابق، ص 695-699.

2- المصدر نفسه، ص 706.

3- المصدر نفسه، ص 714، فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 74.

4- المصدر نفسه، ص 728-729.

5- المصدر نفسه، ص 733.

6- المصدر نفسه، ص 739.

7- المصدر نفسه، ص 783-786.

8- المصدر نفسه، ص 799.

9- المصدر نفسه، ص 809، فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 76.

10- المصدر نفسه، ص 820.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

نظره فهو: قيام المنزل في قلوب الناس، وهو اعتقاد القلوب نعتا من نعوت الكمال في هذا الشخص، إما بعلم أو عبادة، أو نسب، أو حسن خلق، أو قوة في بدن، أو حسن صورة، أو غير ذلك مما يعتقده الناس كمالا، فبقدر ما يعتقدون له من ذلك تدعن قلوبهم لطاعته، ومن ثمراته ذلك مدحهم وإطراؤهم وخدمتهم وتوقيرهم<sup>1</sup>، كما ذم الجاه بقوله: "اعلم أن الجاه محبوب للنفس، إلا أنه إذا غلب حبه عليها فسعت في تحصيله لم تسلم من إثم"<sup>2</sup>. وذم الرياء أيضا الذي هو حرام، والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهد بذلك الآيات والأخبار<sup>3</sup>، وبعدها عرفه بقوله: "اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، فالمرائي يري الناس ما يطلب به الحظوة عندهم. ويجمع ذلك خمسة أقسام، هي مجامع ما يتزين به العبد للناس: البدن، والزي، والقول، والعمل، والأتباع والأشياء الخارجة. وأهل الدنيا يراؤون بهذه الخمس، إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات..<sup>4</sup> ثم ذكر أركانه وحصرها في ثلاثة هي: - نفس قصد الرياء - والمرأى به وهو الطاعات - والمرأى لأجله، وقسم كل ركن إلى درجات وأقسام وبين وجوهها وفصل في أحوالها<sup>5</sup>.

-الكبر والعجب: هما داءان مهلكان، والمتكبر والمعجب سقيمان بمرضهما، ممقوتان عند خالقهما<sup>6</sup>، وقد بدأ ابن الجوزي بالكبر مبينا حقيقته: "اعلم أن الكبر خلق باطن، وتصدر عنه أعمال هي ثمرته، فيظهر على الجوارح، وذلك الخلق هو رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فإن الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به..... وآفة الكبر عظيمة، وغائلته هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن العوام..<sup>7</sup> كما استقصى ما يتكبر به وهي سبعة أمور: العلم والعمل والنسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار<sup>8</sup>، ثم بيّن البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له وهي: سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب يتعلق بغيرهما، فالأول سببه العجب، والثاني متعلق بالحق والحسد، والأخير باعته الرياء<sup>9</sup>.

1- منهج القاصدين...، المصدر السابق، ص 827.

2- المصدر نفسه، ص 826.

3- المصدر نفسه، ص 844.

4- المصدر نفسه، ص 847.

5- المصدر نفسه، ص 855-861.

6- المصدر نفسه، ص 890.

7- المصدر نفسه، ص 901-902.

8- المصدر نفسه، ص 906.

9- المصدر نفسه، ص 913-914.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

أما العجب فهو يدعو إلى الكبير، الذي تنجر عنه الآفات الكثيرة، هذا مع الخلق، فأما مع الخالق، فإنَّ العجب بالطاعات نتيجة استعظامها والتبجح بها، فكأنه يمن على الله سبحانه بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوقيفه لها، ثم يثمر إعجابه بها العمى عن آفاتهما، ورب آفة دخلت فيها فأفسدتها، وحقيقة العجب إنما يكون بوصف كمال من علم أو عمل أو غير ذلك، فيسكن المعجب إلى ذلك الوصف سكون ناس للمنع به<sup>1</sup>، وله ثمانية أقسام هي: -العجب بالبدن وحسن الصورة وجمال النفس -العجب بالقوة والبطش -العجب بالعقل والكياسة، والتفطن لدقائق الأمور -العجب بالنسب -العجب بنسب ظلمة الأمراء -العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والعشيرة والأقارب والأتباع -العجب بالمال -العجب بالرأي الخطأ<sup>2</sup>.

-الغرور: يرى ابن الجوزي أنَّ الغرور هو منبع الشقاوة والغفلة والهلاك، كما يدفع النفس إلى السكون إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، ودرجات الغرور تتفاوت، وقد ذمه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة<sup>3</sup>، ثم حصر أربعة طوائف يقعون في الغرور وهم: العلماء، والعباد، والمتصوفة، والأغنياء، وأطنب في استقصاء أحوالهم وتعمق في تبيان أصنافهم والفرق بين كل طائفة، وخاصة طائفة العلماء التي بالغ في تجلية أحوال أفرادها الذين يغرقون في آفة الغرور<sup>4</sup>، ثم ذكر العبَّاد والمتصوفة والأغنياء<sup>5</sup>.

تلك هي الأخلاق السيئة المذمومة التي ذكرها ابن الجوزي وبيَّن خطرها على الفرد والمجتمع، بعد أن شاعت في مجتمع عصره وانتشرت بشكل واسع وأثرت فيه، حتى أضحي مجتمعاً مريضاً تتقاذفه الأهواء وتسيره الشهوات لتبعده عن جادة الصواب. وبعدها يواصل سيره لحيشات المسألة الأخلاقية، حينما يعطينا نظرتة لعلماء عصره وفتات مجتمعه المختلفة، مستعملاً النقد البناء الذي تمكن من خلاله تربية الفرد والمجتمع، تربية إصلاحية أخلاقية، عالج بها عيوب المجتمع بفتاته المختلفة<sup>6</sup>.

إنَّ تركيز ابن الجوزي على نقد العلماء، يأتي في سياق متصل ومتواصل مع المشروع الإصلاحي للغزالي، الذي ركز هو الآخر على العلماء، لا لشيء إلا لأهمية دورهم في المجتمع الإسلامي، فصلاحتهم واستقامتهم وبقاءهم على جادة الصواب واتصافهم بمكارم الأخلاق، يؤدي بلا شك إلى تفعيل هذا الدور، أما إذا زاغوا عن كل هذا فستكون النتيجة كارثية، وينهار المجتمع والدولة معاً، وتعرض لخطر غزو الأعداء من الخارج، لذا شدد ابن الجوزي على تجلية

1- ابن الجوزي، منهاج القاصدين...، المصدر السابق، ص 933-934.

2- المصدر نفسه، ص 938-940.

3- المصدر نفسه، ص 943-945.

4- المصدر نفسه، ص 949-961.

5- المصدر نفسه، ص 961-978.

6- فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 136.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

حال العلماء في عصره وبين لهم خطر الأخلاق السيئة عليهم، وبالمقابل وضع لهم الطرق الكفيلة للتخلص منها، ولعل أصناف العلماء الذين شملهم نقده هم:

-القراء: انتقد القرآن بالأمور التالية:

1- الاشتغال بالقراءات الشاذة وجمعها وتحصيلها وتصنيفها والإقراء بها، والانشغال بذلك عن معرفة الفرائض والواجبات.

2- الانشغال بقراءة القرآن دون العمل به.

3- يقوم بعضهم بجمع التهليلات والتكبيرات والسجادات، وهذا مكروه.

4- القيام بإيقاد النيران للختممة وهذا تشبه بالمجوس، وتضييع للمال وسبب للفساد، حيث يجتمع النساء والرجال ليلاً.

5- قراءة القرآن بسرعة دون تمهل وذلك لزيادة عدد الختمات في الليلة، من أجل أن يحظي القارئ بالمدح.

6- أحدث جماعة من القراء قراءة الألقان، وقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي.

7- تسامح بعض القراء ببعض الأخلاق المذمومة كالغيبة للنظرء، وغير ذلك من الذنوب، وذلك ظناً منهم بأن حفظ القرآن يحميهم من العذاب<sup>1</sup>.

-المحدثين: قسم ابن الجوزي علماء الحديث الذين قضوا حياتهم في سماع الحديث والرحلة في جمع الأحاديث وطلب الأسانيد العالية والأحاديث الغريبة إلى قسمين:

-القسم الأول: وهم علماء الحديث الذين كان جل اهتمامهم ينحصر في معرفة صحيح الحديث من سقيمه، وقد شكر ابن الجوزي هؤلاء سعيهم ولكنه انتقدهم انتقادات عديدة منها:

1- انشغالهم بجمع الأحاديث عما هو فرض عين، وقد عقد مقارنة بين علماء زمانه وبين العلماء السابقين، موضحاً بأن العلماء السابقين كان وقتهم يتسع للتحقق في أمور الدين وطلب الحديث وذلك لقصر الإسناد وقلة الحديث. أما في عصره فقد طالت الأسانيد وتعددت التصانيف، فكان من الصعب على المحدث الجمع بين الفقه والحديث.

2- عمل بعضهم بالحديث المنسوخ.

3- الفهم الخاطيء للحديث وكذا العمل به.

4- الجهل في الفتوى بسبب قلة مخالطة الفقهاء.

5- الإقدام على الفتوى بنوع من التخليط.

1- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، بيروت، دار القلم، د.ت، ص 665-675. فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 137.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-القسم الثاني:

1- اتصفوا بالسعي نحو معرفة غريب الحديث، وإيهام السامع بأنهم قد طافوا بلدانا كثيرة وحصلوا على أسانيد كثيرة، ولديهم أحاديث ينفردون بها عن غيرهم. ولم يكن هدفهم معرفة صحيح الحديث من سقيم، وإنما كان هدفهم المباهاة والاستعلاء، وقد قادتهم محاولة الإنفراد بغريب الحديث، إلى إخفاء الحديث، مما قد يؤدي إلى وفاة الشخص دون أن يذكر الحديث.

2- أما النقد الثاني الموجه لهم فهو طعن بعضهم في بعض و استغابة بعضهم بعضا وذلك من أجل التشفي وقد يجدون لأنفسهم مخرجا وهو مخرج الجرح والتعديل.

3- رواية الحديث الموضوع دون تبين ذلك، بهدف ترويج أحاديثهم، وبهدف وفرة الروايات عنهم<sup>1</sup>.

-الفقهاء: بين ابن الجوزي أن الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث، ولكن الأمر اختلف في عصره، لذلك انتقدهم في الأمور التالية:

1- تكاسلهم عن طلب مسائل العلم واكتفأؤهم بمعرفة آيات الأحكام من القرآن وكتاب مشهور من كتب الحديث، واحتجاجهم بآيات لا يعرفون معناها وأحاديث لا يدرون صحتها.

2- إقبالهم على تحصيل علم الجدل، وتشاغلهم بالمسائل الكبار التي يتسع فيها الكلام، واهتمامهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات، طلبا للمفاخرة والمباهاة، وإدخالهم لكلام الفلاسفة في الجدل، وإيثارهم للقياس على الحديث المستدل به في المسألة، كما جعلوا النظر جلَّ أشغالهم، ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

3- الاقتصار على علم المناظرة والإعراض عن حفظ المذهب وباقي علوم الشرع، وعدم القبول رأي الخصم المناظر في بيان الصواب، وطلب الرياسة بالمناظرة، والتكبر والسب، والغيبة.

4- الاكتفاء بعلم الفقه ونبذهم للعلوم الأخرى والترفع عنها، وكذا الإقدام على الفتوى دون بلوغ مرتبتها والإفتاء بالمخالف للنصوص.

5- مخالطتهم للأمرأء والسلاطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم ما لا رخصة فيه لينالوا من دنياهم، فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه: الأول: الأمير فيقول: لولا أني على صواب لأنكر علي الفقيه، وكيف لا أكون مصيبا وهو يأكل من مالي. والثاني: العامي فإنه يقول: لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإنَّ فلانا الفقيه لا يبرح عنده، والثالث: الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك.

1- ابن الجوزي، تلييس إبليس، المصدر السابق، ص 676-697. فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 138-139.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

- 6- التنافس على الدخول إلى السلاطين وقدح بعضهم في بعض من أجل الإنفراد بالسلطان، واستغابة بعضهم لبعض، فجمع لهم آفتين: غيبة الناس، ومدح النفس.
- 7- الأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم، والمكوث فيها سنين دون استزادة من العلم، رغم أن لا حظ في الوقف، بل هو لمن يتعلم أو أن يكون معيدا أو مدرسا.
- 8- الانبساط في المنهيات ولبس الحرير والتختم بالذهب والأخذ من مال المكس، بسبب فساد العقيدة في أصل الدين، أو التفقه لستر النفس، أو للأخذ من الوقف، أو من أجل الرئاسة أو المناظرة، وإما أن يكون صحيح العقيدة ولكن يغلب عليه الهوى وحب الشهوات، وليس عنده صارف عن ذلك؛ لأن نفس الجدل والمناظرة محرك إلى الكبر والعجب.
- 9- أن البعض يظن أن علمه وفقه وإفتاءه يدفع عنه، ولكن علمه حجة عليه.
- 10- ازدراءهم للوعاظ والقصاص وعدم الحضور عندهم<sup>1</sup>.
- الوعاظ والقصاصين: اعتبر ابن الجوزي الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء، كان يحضر مجالسهم الصحابة والتابعين، ثم بعد ذلك خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال، فبعد عنهم المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء، فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة، وتنوعت البدع في هذا الفن، لذا انتقدتهم في الأمور التالية:
- 1- وضعهم لأحاديث بغرض الترهيب والترغيب وحث الناس على الخير وكفهم عن الشر، وقد عد ذلك ابن الجوزي تطاولا وجرأة على الشريعة.
- 2- التنوع في الكلام وإطراب القلوب بإنشاد الأشعار الغزلية في العشق، بقصد إظهار محبة الله تعالى، ولكن ابن الجوزي يرى أن ذلك يثير العوام نحو حب الهوى مما يقود الواعظ والقاص إلى أن يضل ويضل.
- 3- ومنهم من يتحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الألحان، والألحان التي قد أخرجوها اليوم مشابحة للغناء فهي إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة، فالقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق يديه وإيقاع برجليه الخنكر، ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهيج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب، لما في النفوس من دفائن الهوى، ثم يخرجون فيقولون: كان المجلس طيبا ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز.
- 4- إنشاد أشعار النوح على الموتى حتى يكثر بكاء النساء ويصير المكان كالمأتم، وإنما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع.

1- ابن الجوزي، تلييس إبليس، المصدر السابق، ص 698-714.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

5- الجرأة على التكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه حتى يعتبر الواعظ والقاص نفسه من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ما تصف وسلكت الطريق، والصحيح أن الوصف علم والسلوك غير العلم.

6- التكلم بالظلمات والشُّطَح الخارج عن الشرع والاستشهاد بأشعار العشق لإكثار الصياح في المجلس ولو على كلام فاسد، وكذلك تزويق العبارة التي لا معنى تحتها، والابتعاد عن ذكر الفرائض والنهي عن الذنوب التي هي الأولى لكي يرجع الزاني مستعمل الربا، وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها.

7- الحث على الزهد وقيام الليل دون تبين المقصود للعامة، فربما تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية، أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم.

8- منهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر، فيزيد الناس جرأة على المعاصي، ثم يقوي ما ذكره بميله إلى الدنيا من المراكب الفارحة والملابس الفاخرة، فيفسد القلوب بقوله وفعله.

9- قد يكون الوعاظ صادقين في نواياهم للنصيحة، ولكنهم يحبون أن يعظموا ويحبون الرئاسة، ومما يدل على ذلك رفضهم لمن يحاول أن يساعدهم ممن يظهر من الواعظين.

10- لجوء القاصين إلى جعل القصص مهنة يرتزقون منها، حيث يحصلون على منح الأمراء والظلمة وأصحاب المكوس.

11- لجوء بعض القاصين إلى الانقطاع عن الناس ظناً منهم بأنهم ليسوا أهلاً للوعظ، مما يؤدي إلى منع الخير، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>1</sup>.

-أهل اللغة والأدب: وجه ابن الجوزي نقده لهم في الأمور التالية:

1- الانشغال بعلوم النحو واللغة عن ما ينبغي معرفته من العبادات وآداب النفوس وصلاح القلوب ومما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقه، حيث يرى أن علماء النحو واللغة يقضون زمانهم بدراسة علوم لا تتراد لنفسها وإنما تراد لغيرها.

2- يرى ابن الجوزي أن فيهم كبراً عظيماً لأنهم يعدون أنفسهم من علماء الإسلام، على اعتبار أن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز، كما يتفق معهم حول أهمية النحو واللغة في فهم معاني القرآن، ولكنه يرى أن لا ينفع العالم عمره كله في ذلك، ومن الأولى له أن يتعلم العلوم الأخرى ويأخذ من النحو ما يلزم لإصلاح اللسان، ومن اللغة ما يحتاج إليه في تفسير القرآن والحديث.

1- ابن الجوزي، تلييس إبليس، المصدر السابق، ص 715-725. فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 141.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

3- اشتغالهم بأشعار الجاهلية وانصرافهم عن مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح، وغلبة الهوى والبطالة عليهم فلا تجد أحدا منهم متشاغلا بالتقوى أو ناظرا في مطعم، والإقبال على السلاطين والأكل من أموالهم المحرمة، وقلة فقههم وتحويل لأشياء وهي غير جائزة.<sup>1</sup>

- الشعراء: أورد ابن الجوزي مجموعة من الانتقادات للشعراء كما يلي:

1- شعورهم بالتميز عن الآخرين بالفطنة، لدرجة أنهم يحسون أنَّ هذه الفطنة التي يتميزون بها قد تجعل الخالق يعفو عن زلاتهم وهذا يقودهم إلى الخوض في الكذب، والهجاء والقذف، والإقرار بالفواحش.

2- يضغطون بشعرهم على الآخرين حيث يعطيهم الآخرون خوفا من الهجاء وطلباً للمدح.

3- بعض الشعراء يلبسون الحرير، ويكذبون في مدحهم للآخرين ويتحدثون في اجتماعاتهم عن الفسق وشرب الخمر.

4- إذا ضاق بهم الرزق يلومون الأقدار ويسخطون مما يقودهم إلى الكفر.<sup>2</sup>

- الصوفية والزهاد: يقول ابن الجوزي عنهم: "تأملت أحوال الصوفية والزهاد، فرأيت أكثرها منحرفا عن الشريعة؛ بين جهل بالشرع، وابتداع بالرأي؛ يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت. فمن ذلك أنهم سمعوا في القرآن العزيز: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" (آل عمران: 185)، "إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة" (الحديد: 20)، ثم سمعوا في الحديث: "للدنيا أهون على الله من شاة ميتة على أهلها"؛ فبالغوا في هجرها من غير بحث عن حقيقتها! وذلك أنه ما لم يعرف حقيقة الشيء، فلا يجوز أن يمدح ولا أن يذم...<sup>3</sup>، ثم يبين الأمور التي انتقدهم فيها بعد أن وضع حقيقة الدنيا، لما استشهد بعدد من الأمثلة، كما يلي:

1- فمنهم متصنع في الظاهر، ليث الشرى في الباطن، يتناول في خلواته الشهوات، وينعكف على اللذات، ويرى الناس بزيه أنه متصوف متزهد، وما تزهد إلا القميص، وإذا نظر إلى أحواله؛ فعنده كبر فرعون.

2- ومنهم سليم الباطن؛ إلا أنه في الشرع جاهل.

3- ومنهم من تصدر، وصنف، فاقتدى به الجاهلون في هذه الطريقة، وكانوا كعمي اتبعوا أعمى، ولو أنهم تلمحوا للأمر الأول الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم؛ لما زلوا.

1- ابن الجوزي، تلييس إبليس، المصدر السابق، ص 726-738، فكرت إبراهيم أحمد عوض، المرجع السابق، ص 142.

2- المصدر نفسه، ص 739-741، المرجع نفسه، ص 142.

3- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 61-62.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

4- حثهم الناس على الفقر، حتى حملوا أقواما على إخراج أموالهم، ثم آل بهم الأمر: إما إلى التسخط عند الحاجة، وإما إلى التعرض بسؤال الناس، ومبالغتهم في التقلل وأمرهم الناس بذلك<sup>1</sup>.

-الكاملين من العلماء: يرى ابن الجوزي أنَّ العلماء الكاملين هم أقوام علت همهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك، وقد وجه لهم نقده في الأمور التالية:

1- تعظيمهم لأنفسهم بما نالوا وأفادوا به غيرهم، مما يقودهم إلى التفكير بإراحة أنفسهم وتوقفهم عن العمل ظنا منهم بأنَّ العلم يدفع عنهم عقوبة عدم العمل، ولكن ابن الجوزي يوضح لهم أهمية اقتران العلم بالعمل من ثلاثة وجوه: -أحدها: إنه إنما فضل العلماء بالعمل بالعلم، ولولا العمل به ما كان له معنى. فإن أنا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به، ويصير مثلي كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه.

-الثاني: أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم كقول النبي صلى الله عليه وسلم: {**أشعر الناس عذابا** -**عالم لم ينفعه الله بعلمه**}.  
-الثالث: أن يذكر له عقاب من أهلك من العلماء التاركين للعمل بالعلم كإبليس وبلعام. ويكفي في ذم العالم إذا لم

يعمل قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أُمْفَاقًا**﴾ (الجمعة: 05).

2- اتصافهم بالكبر بالعلم، والحسد للنظر، والرياء لطلب الرئاسة، وقد بين ابن الجوزي علاج ذلك معرفة إثم الكبر والحسد والرياء، وإعلام النفس أنَّ العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عقابها لتضاعف الحجة بها ومن نظر في سير السلف من العلماء والعاملين احتقر نفسه فلم يتكبر، ومن عرف الله لم يراء، ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد.

3- سعيهم لأن ينتشر ذكركم ويعلو صيتهم وينالوا الرئاسة، والفرح بكثرة الأتباع وطلاب العلم والأصحاب واستطارة الذكر عدم الرضى بتفوق بعضهم على بعض<sup>2</sup>.

وبهذا يكون ابن الجوزي قد استوفى رؤيته ونظريته إلى المسألة الأخلاقية، حيث بذل جهده في سبر أغوارها واستقصاء حشاياها والحفر في أعماقها وتتبع آثارها ونتائجها وانعكاساتها على المجتمع الإسلامي في كل العصور، كما استطاع أن يشخص الأخلاق السيئة والمذمومة التي شاعت في مجتمعه والفئات التي تخلقت واتصفت بها، وبَيَّن في الوقت ذاته مكارم الأخلاق وسبل الانصاف وأثر ذلك على المجتمع، متبعا أسلوب النقد البناء كما مر بنا، وذلك حينما انتقد فئات مجتمعه المختلفة بطريقة واضحة لا لبس فيها، يهدف من خلالها لإبراز أهمية المسألة

1- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 67-79.

2- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، المصدر السابق، ص 742-749.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الأخلاقية في بناء المجتمع واستقراره، وأنها من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الإصلاح الاجتماعي في منظوره وفكره، إذ أنَّ التربية الأخلاقية التي أعطاهما اهتماما كبيرا في مؤلفاته كانت محور نظر ومراجعة وتفكير عميق في سبيل المضي قدما لأجل إصلاح مجتمعه، فقام بتعميمها لتشمل كل فئات هذا المجتمع دون استثناء، وبهذا تتكامل مع إصلاح النفس الذي أشرنا إليه في الخطوة الأولى.

أما الخطوة الثالثة في مشروع ابن الجوزي الإصلاحية، هي المسألة التعليمية، التي لها أهمية كبيرة في المجتمع الإسلامي، وبخاصة أنَّ هذا المجتمع بني على العلم والتعلم ومكارم الأخلاق ومحاسبة النفس وتركيتها، وهو عن مجتمعات الأديان الأخرى، إنه المجتمع الذي اختاره الإسلام لحمل رسالته وتأديتها وتبليغها إلى الناس كافة، لذا ركز ابن الجوزي على هذه المسألة بالذات كما فعل الغزالي، إيماناً منه بأنَّ صلاح المنهج التعليمي كفيلاً بنجاح المسعى الإصلاحية الذي يرحوه ويتغيه، وبه تستطيع الأمة الإسلامية حكماً ومحكومين أن تتجاوز المحن والأزمات التي تطرأ بين الفينة والأخرى، وفي هذا الصدد يقترح ابن الجوزي منهجاً تعليمياً يركز على النقاط التالية:

- 1- المنهج العلمي المقترح لطالب العلم: يوصي ابن الجوزي طلاب العلم بالعلوم التي ينبغي لهم تعلمها كما يلي:
  - حفظ القرآن الكريم والنظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليه بذلك منه شيء.
  - تعلم القراءات السبع والنحو وقراءة كتب اللغة، والنظر في أصول الحديث كالصحيح والمسانيد والسنن، وعلم الحديث بمعرفة الضعفاء والأسماء.
  - النظر في التواريخ؛ ليعرف ما لا يستغنى عنه؛ كنسب الرسول صلى الله عليه وسلم وأقاربه وأزواجه وما جرى له.
  - الإقبال على الفقه، والنظر في المذهب والخلاف، وليكن اعتماده على مسائل الخلاف، فليُنظر في المسألة وما تحتوي عليه، فيطلبه من مظانه، كتفسير آية وحديث وكلمة لغة.
  - الاشتغال بأصول الفقه وبالفرائض، وليعلم أنَّ الفقه عليه مدار العلوم.
  - الاكتفاء من النظر في الأصول بما يستدل به على وجود الصانع، فإذا أثبتته بالدليل، وعرف ما يجوز عليه مما لا يجوز، وأثبت إرسال الرسل، وعلم وجوب القبول منهم؛ فقد احتوى على المقصود من علم الأصول.
  - ضرورة الاستزادة من العلم وخصوصاً الفقه وكذا التصنيف والتأليف في العلوم<sup>1</sup>.
- 2- طالب العلم بين لذات الحس ولذات العقل: يقدم ابن الجوزي لطالب العلم جملة من النصائح للمزاوجة بين لذات الحس ولذات العقل تتمثل فيما يلي:

1- ابن الجوزي، صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 299-300.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-ينبغي للشباب المبتدئ في طلب العلم، أن يأخذ من كل علم طرفاً، ويجعل علم الفقه الأهم، ولا يقصر في معرفة النقل، فبه تبين سير الكاملين، وإذا رزق فصاحة من حيث الوضع، ثم أضيف إليها معرفة اللغة والنحو، فقد شحذت شفرة لسانه على أجود مسن.

-ينبغي له بالتلطف أن يجعل جزءاً من زمانه مصروفاً إلى توفير الاكتساب والتجارة، مستنئياً فيها غير مباشر لها، مع التدبير في العيش الممتنع من الإسراف والتبذير؛ فإنَّ راوية العلم والعمل به إلى درجة المعرفة لله عز وجل أسرة للمشاعر، فرمما شغلته لذة ما وصل إليه عن كل شيء، ويا لها حالة سليمة من آفة.

-إن وجد من طبعه منازعا إلى الشوق في النكاح فليتحير السَّراري فإنَّ الحرائر في الأغلب غلٌّ، وليعزل عن المملوكات إلى أن يجرب خلقهن ودينهن، فإن رضيهن؛ طلب الولد منهن، وإلا فلا استبدال بمن أسهل. ولا يتزوج حرة؛ إلا أن يعلم أنها تصبر على التزويج عليها والتسري. وليكن القصد الاستمتاع بها، لا إجهاد النفس في الإنزال، فإنَّ ذلك يهدم قوته فيضعف الأصل<sup>1</sup>.

3-التوصيات التي تعين طالب العلم على الحفظ: يقدم ابن الجوزي عدداً من التوصيات التي ينبغي أن يتسلح بها طالب العلم حتى يترسخ لديه ما يحفظه من محفوظات في مسائل العلم المختلفة وهي:

-أنَّ المتعلم يفتقر إلى دوام الدراسة، ومن الغلط الانهماك في الإعادة ليلاً ونهاراً؛ فإنه لا يلبث صاحب هذه الحال إلا أياماً، ثم يفتر أو يمرض.

-من الخطأ تحميل القلب حفظ الكثير من فنون شتى لأنَّ القلب جارحة من الجوارح.

-الأخذ على قدر القوة ودونها، فإن استنفذ في وقت؛ ضاعت منه أوقات، ولكن ينبغي الأخذ على حسب الإطاقة، وعليه الإعادة في وقتين من النهار والليل، كما عليه الترفيه عن النفس بين الفينة والأخرى، ويجب عليه مداومة ذلك وعدم الانقطاع طويلاً.

-من الأفضل اغتنام زمن الصبا من أجل الحفظ، وتحري أفضل أوقات كالأسحار وأنصاف النهار، والغدوات خير من العشيات، وأوقات الجوع خير من أوقات الشبع، ويجب الابتعاد عن الملهيّات، واستحباب الخلوة، وكذا ترفيه النفس بتخصيص يوم في الأسبوع من أجل الإعادة، حتى يترسخ المحفوظ وتأخذ النفس قوة، وأيضاً تقليل المحفوظ، وعدم الشروع في علم حتى يستوعب العلم الذي قبله، وضرورة إصلاح المزاج وترك مكابرة النفس إذا لم يجد نشاطاً للحفظ.

-عدم الانشغال بالنكاح أثناء طلب العلم، وتقديم العلم الأهم على غيره من العلوم كحفظ القرآن والفقه<sup>2</sup>.

1- ابن الجوزي، صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 309-310.

2- المصدر نفسه، ص 310-313.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

4-تنظيم أوقات أهل العلم واغتنامها:

-ضرورة انصراف همم العلماء واغتنام أوقاتهم من أجل التصنيف لأثرها الكبير ونفعها في الناس.  
-ينبغي اغتنام التصنيف في وسط العمر؛ لأن أوائل العمر زمن الطلب، وآخر كلال الحواس، حيث يكون زمن الطلب والحفظ والتشاغل إلى الأربعين، ثم يتبدئ بعد الأربعين بالتصانيف والتعليم، هذا إن كان قد بلغ ما يريد من الجمع والحفظ وأعين على تحصيل المطالب، أما من كان في أول عمره ضعيف الطلب، آخر التصانيف إلى تمام الخمسين سنة، ثم ابتدأ بعد التصنيف الخمسين في التصنيف والتعليم إلى رأس الستين، ثم يزيد فيما بعد الستين في التعليم، ويسمع الحديث والعلم، ويعمل التصانيف إلى أن يقع مهم إلى رأس السبعين. فإذا جاوز السبعين؛ جعل الغالب عليه ذكر الآخرة والتهيؤ للرحيل، فيوفر نفسه على نفسه؛ إلا من تعليم يحتسبه أو تصنيف يفتقر إليه؛ فذلك أشرف العدد للآخرة<sup>1</sup>.

5-أشرف العلوم وبعض الوصايا النافعة لطلاب العلم: يرى ابن الجوزي ضرورة الاقتصار على الأخذ من كل علم بطرف وعدم الاستغراق في مسائل العلم الكثيرة وتفريعاتها وتفصيلاتها، ثم الاهتمام بالفقه، وبعدها النظر في مقصود العلوم، وهو المعاملة لله سبحانه وتعالى والمعرفة به والحب له، كما يرى أن بعض العلوم لا حاجة لها كالذي يقطع عمره في معرفة علم النجوم، ويجب الاقتصار على معرفة اليسيرو والمنازل لعلم الأوقات، وكذلك علم الكيمياء، وينبغي لطالب العلم أن يصحح قصده؛ إذ فقدان الإخلاص يمنع قبول الأعمال، وليجتهد في مجالسة العلماء، والنظر في الأقوال المختلفة، وتحصيل الكتب؛ فلا يخلو كتاب من فائدة وليجعل همته للحفظ، ولا ينظر ولا يكتب إلا وقت التعب من الحفظ، وليحذر صحبة السلطان، ولينظر في منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وليجتهد في رياضة نفسه والعمل بعلمه<sup>2</sup>.

لقد حاول ابن الجوزي من خلال هذه النقاط تبين المنهج التعليمي الذي يراه مناسباً من أجل تكوين جيل من العلماء، الذين يقع على عاتقهم مهمة التوجيه والإرشاد والتعليم لفئات المجتمع الإسلامي، حيث بنى منهجاً تعليمياً متكاملًا اقترحه على شكل توصيات لطلبة العلم وللعلماء، لكي يسيروا عليه في تحصيلهم العلمي وفي تدريسهم وفي تصنيفهم وتأليفهم للكتب، مؤكداً دائماً على ضرورة الحفظ والتكرار لمسائل العلوم، وأيضاً عدم التوسع في جزئياتها، وإنما الأخذ من كل علم بما يطيقه المتعلم، وذلك بتقديم الأهم والأفضل من العلوم كحفظ القرآن والقراءات وعلم الحديث واللغة والنحو، ولكن ابن الجوزي عد علم الفقه أفضل العلوم على الإطلاق، والذي يجب التوسع في مسائله وتفريعاته وقواعده، حيث أكد على ذلك في كل وصاياه، كما وضع لهم أفضل أوقات العمر

1-ابن الجوزي، صيد الخاطر، المصدر السابق، ص386-387.

2-المصدر نفسه، ص513-514.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

للتحصيل العلمي وللتصنيف والتأليف وللتدريس والتعليم. وبهذا يكون قد استطاع أن يصوغ فلسفته التعليمية من أجل إصلاح نظام التعليم الإسلامي كما فعل قبله الغزالي، سعى من خلالها إلى انتشاله من التحجر والتقليد الذي طغى عليه، وعمل على تحديد مناهجه وتطويرها وإثرائها، وبذلك يختم خطواته الأخيرة في مشروعه الإصلاحية.

وفي الأخير يمكن القول أن ابن الجوزي ركز في مشروع الإصلاح الاجتماعي الذي صاغه وهندسه على ثلاث خطوات رئيسية هي: إصلاح النفس، والمسألة الأخلاقية، وإصلاح التعليم، التي حاول من خلالها بلورة نسق جديد للإصلاح الذي يقوم أساساً على الجانب الأخلاقي، الذي يؤثر على النفس والتعليم، وإصلاحهما لا يكفي دون القضاء على الأخلاق السيئة نهائياً والحيلولة دون انتشارها في المجتمع، إذ ذلك كفيل بأن تتلففها النفس التي تحتك بغيرها من أفراد المجتمع وفئات وشرائحه وطبقاته، فتتأثر وتؤثر، مما ينعكس سلباً على التعليم الذي هو المعين الذي يأخذ منه المجتمع علومه وأخلاقه، فمتى ساءت أخلاق العلماء وطلبة العلم شاع ذلك في المجتمع، وصارت النفس سيئة الخلق ويستحيل عندها تدارك الوضع، ومع ذلك فإن ابن الجوزي وضع هذه الخطوات الثلاث انطلاقاً مما تتوفر لديه من معطيات عاشها بين أفراد مجتمعه في القرن السادس الهجري، اعتمد في صياغتها على التشخيص الدقيق وتتبع جميع الوقائع والأحداث التي جرت وعابنها بنفسه، ثم قام بتحضير الحل والعلاج المناسب وفق رؤية واقعية ونظرة استشرافية تارة في مجالس وعظمه وتارة في مؤلفاته، ونجح في ذلك نجاحاً معتبراً، فقد: "تاب على يدي (ابن الجوزي) في مجالس الذكر أكثر من مائة ألف، وأسلم على يدي أكثر من مائتي نفس، وكم سالت عين متجبر بوعظي لم تكن تسيل"<sup>1</sup>، ووصف معاصروه مجالسه الوعظية في كتب الأدب بفائدتها العظيمة على من حضرها، حيث "تذكر بها الغافلون وتعلم منها الجاهلون، وتاب فيها المذنبون، وأسلم فيها المشركون، فلم يكن لها نظير، ولم يسمع بمثله"<sup>2</sup>. وعلى الرغم من ذلك فإن مشروعاً لم يخلو من المبالغات والمزايدات التي حصر لها ومن المثاليات التي لا أثر لها في الواقع، كما نلمس نظرة الازدراء عنده وترفعه واعتداده بنفسه، يقول عنه ابن كثير: "وكان فيه بهاء وترفع وإعجاب بنفسه وسمو بها أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه ونشره ونظمه"<sup>3</sup>، يضاف إلى هذا تكرار المواضيع وتشابهاها في كتابه صيد الخاطر وإعادة ما كتب بنفس الأفكار والكلمات والأساليب، وكذلك انتقاده لفئات مجتمعه مع العلم أنه بالغ في ذلك حتى جاوز الحد، ثم وقع في ما

1- ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، تحقيق وتعليق محمود الأرناؤوط، الجزء الأول، ط1، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، 1410هـ/1989م، ص331.

2- ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الجزء 01، مكة المكرمة، مكتبة العبيكان، ص410.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص228.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

انتقد به غيره. ونخلص من هذا أنَّ ابن الجوزي بذل جهداً كبيراً في عملية الإصلاح الاجتماعي للمجتمع الإسلامي من خلال قيامه بالوعظ والنصح والتذكير لفئات مجتمعه، حيث أثمرت جهوده وترك بذلك بصمته مثل غيره من علماء العصر السلجوقي.

**4- جمود العلماء ومواقفهم في التصدي للفساد الاجتماعي:** لم يذخر العلماء وسعاً في سبيل التصدي للفساد الاجتماعي، فقد بذلوا جهوداً معتبرة من أجل إصلاح مجتمعهم، بإبداء ردود فعل اتجاه مظاهر الانحراف بين أفرادهم وفتاته، وتسجيل مواقفهم العملية من أي منكر يشيع بينهم، والوقوف في وجه كل من يحاول المس بالآداب والأخلاق التي أقرها الشرع ودعا إليها، حيث جاءت هذه الجهود المبذولة من قبلهم والمواقف التي سجلوها بين الفينة والأخرى لتؤكد مكانتهم في المجتمع والدور المنوط بهم داخله، وعلى ضوء ذلك تمثلت جهودهم ومواقفهم في التصدي للفساد الاجتماعي فيما يلي:

أخذ العلماء على أنفسهم محاربة المنكر، والنهي عنه، والأمر بالمعروف، والحث عليه، وهذا واجب العلماء والفقهاء، حيث رفعوا أصواتهم للإقلاع عن المنكر بكل أشكاله، كما شنعوا على شاربي الخمر، ومتعاطي الغناء، وطلبوا بسد دور الزواني وحانات الخمر<sup>1</sup>. ففي جمادى الآخرة من سنة 464هـ لقي الفقيه أبو سعد بن أبي عمارة مغنية قد خرجت من عند تركي بنهر طابق فقبط على عودها وقطع أوتاره، فعادت إلى التركي فأخبرته، فبعث التركي إليه من كبس داره وأفلت، وعبر إلى الحریم إلى ابن أبي موسى الهاشمي شاكيًا ما لقي، واجتمع الحنابلة في جامع القصر من الغد فأقاموا فيه مستغيثين، وأدخلوا معهم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي وأصحابه، وطلبوا قلع المواخير (بيوت الخمارين وأهل الفساد) وتتبع المفسدات ومن يبيع النبيذ، وضرب دارهم تقع بها المعاملة عوض القراضة، فتقدم أمير المؤمنين بذلك، فهرب المفسدات، وكبست الدور، وارتفعت الأنبذة، ووعد بقلع المواخير ومكاتبة عضد الدولة برفعها، والتقدم بضرب دراهم يتعامل بها، فلم يقتنع أقوام منهم بالوعد، وأظهر أبو إسحاق الخروج من البلد فروسل برسالة سكتته<sup>2</sup>. تبين هذه الحادثة التي رواها ابن الجوزي حرص العلماء على إزالة المنكرات المتمثلة في المواخير وبيع النبيذ ودور الغناء والفساد، سواء بجهد فردي كما فعل الفقيه أبو سعد بن أبي عمارة مع المغنية حينما قطع أوتار العود الذي تغني به، أو بالوقوف الجماعي للعلماء ومؤازرتهم له ضد ما حصل له، وطلبهم من الخليفة القيام بفعل اللازم فوعدهم بذلك، ومع ذلك أظهر أبو إسحاق الشيرازي تشبثه بموقفه وقرر الرحيل من بغداد غضباً لذلك، حتى بعثت له رسالة طمأنته، مما يدل أن إزالة المنكر باليد كان ديدن العلماء في كل عصر وبلد.

1- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 189.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق ج 16، ص 138-139، ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 105.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وكخطوة عملية لإزالة المنكر، أزيلت المواخير، ودور الفسق ببغداد ونقضت، وهرب الفواسق، في يوم الأربعاء 20 ذي القعدة سنة 469هـ، بأمر من الخليفة العباسي، ولكن شحنة بغداد رفض ذلك وتحجج بأنها تدر 1800 دينار، عندها تدخل العالم الوزير نظام الملك لحسم الموقف، حيث عوض الشحنة وأمر بإزالتها عن آخرها<sup>1</sup>. وفي السياق ذاته عين أبو جعفر بن الخرقى الشاهد (ت 494هـ) في منصب الحسبة بالحريم يوم الجمعة 05 ربيع الأول 472هـ، الذي بدأ بالاحتساب في السوق، حيث كان التطفيف متفشياً، والأمور فاسدة، لدرجة أنه وجد في ميزان بعض المتعيشين حبات على شكل الأرز من رخام وزن الواحدة حبتان ونصف، فتولى ذلك على أن يبسط يده في الخاص والعام، وأن لا يستعمل مراقبة، ولا يجيب شفاعاً، فوعده عميد الدولة بذلك، وتنجز له بالتوقيع، فزم الأمور، وأقام الهيبة وأدب وعزر، ولم يقبل شفاعاً فانحسرت الأمور و انحسمت الأدواء<sup>2</sup>، كما منع قوائم الحمامات أن يمكنوا أحداً يدخل بغير مئزر، وتهددتهم على ذلك بالإشهار<sup>3</sup> مما يعني أنَّ العلماء رأوا في منصب الحسبة وسيلة للتصدي للفساد في المجتمع كالغش والتطفيف ومراقبة الموازين والمكايل الدخول إلى الحمام بلا مئزر والتشديد في ذلك وتعزير وتأديب من يقدم على هذا الفعل الشنيع الذي يخالف أوامر الشرع ومكارم الأخلاق.

ويواصل العلماء وقوفهم في وجه الأفعال الشنيعة وتصديهم للمنكرات بكل أنواعها، من ذلك أنه "عشية الجمعة تاسع عشر صفر سنة 482هـ، كبس أهل باب البصرة الكرخيين، فقتلوا رجلاً وجرحوا آخر، فأغلقت أسواق الكرخ، ورفعت المصاحف على القصب، وما زالت الفتن تزيد وتنقص إلى جمادى الأولى، فقويت نارها وقتل خلق كثير واستولى أهل المحال على قطعة كبيرة من الكرخ فنهبوها، فنزل خمارتاش نائب الشحنة على دجلة ليكشف الفتنة فلم يقدر، وكان أهل الكرخ يخرجون إليه وإلى أصحابه الإقامة، وكان أهل البصرة يأتون ومعهم سبع أحمر يقاتلون تحته، وعزموا على قصد باب التبن فمنعهم أهل الحربية والهاشميون من ذلك، وركب حاجب الخليفة وخدمه، والقضاة: أبو الفرج بن السبيي، ويعقوب البرزيني، وأبو منصور بن الصباغ، والشيخ: أبو الوفا بن عقيل، وأبو الخطاب، وأبو جعفر بن الخرقى المحتسب، وعبروا إلى الشحنة وقرأوا منشوراً بالكرخ من الديوان وفيه: قد حكى عنكم أمور فيجب أن نأخذ علماءكم على أيدي سفهائكم، وأن يدينوا بمذهب أهل السنة، فأذعنوا بالطاعة..."<sup>4</sup>، لقد حسم العلماء الموقف بحضورهم في هذه الحادثة وقاموا بتهدئة الوضع وإطفاء الفتنة التي اندلعت بين سكان الكرخ وأهل السنة، وتجلى بذلك ثقة الخليفة

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 184.

2- المصدر نفسه، ج 16، ص 205.

3- المصدر نفسه، ج 17، ص 73.

4- المصدر نفسه، ج 16، ص 281-282.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

واعتماده عليهم في التحقيق في مجريات الحادثة، فاضطلعوا بأداء واجهم عن طريق المناصب التي وكلت لهم أو بدونها، وفي النهاية قاموا بما عليهم.

والجدير بالذكر أنَّ العلماء دفعوا عامة الناس للاقتداء بهم، ليرتدعوا عن إتيان المنكرات والمعاصي ويقبلوا على الطاعات وأعمال البر، وخير مثال على ذلك قدوم الفقيه الواعظ أبو الحسين أردشير بن منصور العبادي (ت 497هـ) إلى بغداد سنة 486هـ عائداً من الحج، وبدأ الوعظ في المدرسة النظامية بها بحضور أبي حامد الغزالي أحد أساتذتها، فكان ذلك سبباً في إقبال عامة الناس رجالاً ونساءً إلى مجلسه حتى ضاقت بهم المدرسة، "وكان صمت هذا الرجل أكثر من نطقه، وكانت آثار الزهادة بينة عليه، وكان إذا تكلم كلمة ضجوا وهاموا، وترك أكثر الناس معاشهم، وحلق أكثر الصبيان شعورهم، وأووا إلى المساجد والجوامع، وتوفروا على الجماعات، وأريققت الأنبذة والخمور، وكسرت آلات الملاهي..."<sup>1</sup>.

وكان العلماء يظهرون موقفهم من المنكر كلما سمحت لهم الفرصة، ومتى جرى اقتراح للمنكرات بكل أنواعها، يبدون امتعاضهم وعدم رضاهم بذلك، من ذلك حينما أوماً الخليفة العباسي المستظهر بالشروع في بناء السور على حريم دار الخلافة، وكلف بذلك الوزير عميد الدولة ابن جهير، الذي تقدم بجباية المال الذي يحتاج إليه من عقارات الناس ودورهم، واجتمع أهل المحال بالأعلام والبوقات والدُّبَاب وأنواع الملاهي والزمرور والخيالات، وجرى من المنكرات وإخراق الربيعة ما لم تجر به عادة، وساءت السمعة باجتماع الرجال والنساء والمخانيث واختلاطهم.

عندها قام العالم الفقيه أبو الوفاء بن عقيل بالإنكار عليه، وكتب إليه كتاباً طويلاً من جملة: كان هذا الخرق الذي جرى بالشرعية عن عمد لمناسبة واضعها، فما بالنا نعتقد القرآن ورواية الحديث، وإذا نزلت بنا نازلة تقدمنا بجموع الخنثات والأدعية عقيبيها، وأين هذا من طبول وزمور مخانيث وخیالات وكشف عورات، ومعنى هذا أننا مستهزؤون بحكم الله لا نبالي به، فبأي وجه نلقى محمداً صلى الله عليه وسلم، وأي حرمة تبقى لنا عند الله، ثم إنك يا ابن جهير تقيم الحدود في عتبة باب تأمر بثلث تراه، ثم تمزج العوام في المنكر المجمع على تحريمه<sup>2</sup>.

ويستمر العلماء في التصدي للمنكرات، ففي سنة 534هـ لما ولد للسلطان السلجوقي مسعود ولد ذكر من زوجته ابنة قاروت بك، تم إغلاق بغداد لمدة ثمانية أيام، وشاعت المنكرات التي منها تعليق التعاليق، فتدخل ابن الكواز الزاهد وذهب إلى باب زوجة السلطان مسعود وقال: إن أزلتم هذا وإلا بتنا في الجوامع، وشكونا إلى الله

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 03.

2- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 19، ص 465-466، وهذه الرسالة قد ورد مفصلة عند عبد الرحمن ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 17، ص 16-

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

تعالى، فامتنلوا لتحذير وقاموا بإزالة التعاليق، ولكن الولد مات<sup>1</sup>. أما في سنة 537هـ فقد وصلت سفن فيها خمر فربطت مما يلي باب المدرسة فأنكر الفقهاء ذلك فضربوا، وجاء الأعاجم فكبسوا المدرسة وضربوا الفقهاء، ولزم ابن الرزاز بيته<sup>2</sup>.

كما لم يفوت الفقيه الواعظ ابن العبادي الفرصة حين وافته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ "في يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة 541هـ: جلس ابن العبادي الواعظ بجامع السلطان، وحضر عنده السلطان مسعود فوعظه وعرض بذكر حق البيع وذكر ما يجري على المسلمين من ذلك، ثم قال له: يا سلطان العالم أنت تهب مثله لمطرب ومغن بقدر هذا المأخوذ من المسلمين تهبه لي وتحسبني ذلك المطرب واتركه للمسلمين وافعله شكرا لما أنعم الله به عليك من بلوغ الأغراض فأشار بيده إنني قد فعلت فارتفعت الضجة بالدعاء له ونودي في البلد بإسقاطه"<sup>3</sup>، وكان الفقيه أبو البركات يحيى بن عيسى بن إدريس الأنباري (ت 552هـ)، أمّارا بالمعروف ناهيا عن المنكر مستجاب الدعوة<sup>4</sup>، وكذلك الفقيه أبو عبد الله الزبيدي (ت 555هـ) الذي كان يقول الحق وإن كان مرّا ولا يراقب أحدا ولا تأخذه في الله لومة لائم، وخصوصا عندما دخل على الوزير الزنبي لما خلعت عليه الخلع لتقلد الوزارة للخليفة العباسي والناس يهنتونه، فقال له هو هذا يوم عزاء لا يوم هناء، فسئل لماذا، فقال: الهناء على لبس الحرير<sup>5</sup>. ونفس الأمر ينطبق على الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن منده الأصبهاني (ت 470هـ) الذي كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، حفظ الله الإسلام به<sup>6</sup>.

ولما يولي أحد العلماء منصب الحسبة، كان يشمر على مساعد الجدد ويقوم بوظيفة كما يجب، فهذا علاء الدين ابن الزنبي اشتدت شوكته في أمر الحسبة، حيث وكل بالطحانيين وأخذ منهم الأموال<sup>7</sup>. ومن العلماء من كان يتورع عن الوقوع في الشبهات المؤدية إلى المنكر، كأبي بكر أحمد بن علي بن أحمد العليشي (ت 503هـ) الذي عمل في شبابه في صناعة الحصص (الذي يطلى به الحائط) والإسفيداج (رماد الرصاص والآلنك)، وكان مع ذلك يتنزه عن عمل الصور والنقوش، وينهى الصانع عن هذا الفعل، وضرب في ذلك أروع الأمثلة لما دخل دار بعض السلاطين مكرها مع عدد

1- ابن الجوزي، المنتظم... المصدر السابق، ج 18، ص 02، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 19، ص 321.

2- المصدر نفسه، ج 18، ص 26.

3- المصدر نفسه، ج 18، ص 49-50.

4- المصدر نفسه، ج 18، ص 123-124.

5- المصدر نفسه، ج 18، ص 145.

6- المصدر نفسه، ج 16، ص 194، ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 118.

7- المصدر نفسه، ج 18، ص 148.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

من الصناعات، وكان فيها صور من الإسفيداج مجسمة، فقليل له تعمل في هذا البيت، قال: نعم، فلما خرجوا عنه، وخلا بنفسه أخذ الفأس، وعمد إلى الأداة التي تكون للصناعات، وكسر الصور كلها بها، فلما جاء العرفاء ورأوا ما فعل استعظموا ذلك منه، وقليل له كيف أقدمت على فعل هذا في دار السلطان، وقد أنفق على هذا مالا، فقال: هذا منكر، والله أمر بكسره والآن قد فعلت ما تعين علي من الإنكار<sup>1</sup>. ولا شك في أن العليشي كان من العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، فما قام به من تكسير للصور في دار السلطان يدل دلالة واضحة على ذلك<sup>2</sup>. ولا ننسى أبا الفضل جعفر بن الحسن الدرزي (ت 506هـ) هو الآخر كان قوَّالا بالحق، أمارا بالمعروف، لا تأخذه في الله لومة لائم<sup>3</sup>، وأيضا أبو شجاع محمد بن أبي محمد بن أبي المعالي بن المقرون البغدادي (ت 597هـ)، كان من الأمرين بالمعروف والناهي عن المنكر<sup>4</sup>.

وهناك علماء أبدوا مواقفهم من الفساد الاجتماعي بعقد مجالس الوعظ والتذكير، من أجل تعليم الناس وتعريفهم بالمنكر والمعاصي ودفعهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإقلاع عن المعاصي والإقبال على الطاعات، والتخلق بالأخلاق الحسنة، وقد رصدت المصادر لنا العلماء الذين أقاموا هذه المجالس:

- أبو نصر القشيري<sup>5</sup>. - أبو سعيد القشيري<sup>6</sup>. - أبو حنيفة القصاب<sup>7</sup>. - أبو الفتح المنيعي<sup>8</sup>. - أبو المظفر القشيري<sup>9</sup>.  
القشيري<sup>9</sup>.

- أبو الحسن الأنباري<sup>10</sup>. - أبو الحسن الأفشينى البصير<sup>11</sup>. - أبو القاسم الصاعدي<sup>12</sup>. - أبو المظفر السمعاني<sup>13</sup>. - أبو محمد بكر النسفي الكبندي<sup>1</sup>.

---

1- الفراء أبي الحسين محمد بن أبي يعلى البغدادي الحنبلي، طبقات الحنابلة، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ج2، ط2، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/1999م، ص225.

2- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص191.

3- بن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، ج2، ص257، ابن العماد، المصدر السابق، ج4، ص15.

4- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص194.

5- الصيرفي، المصدر السابق، ص215-216.

6- المصدر نفسه، ص238.

7- المصدر نفسه، ص244.

8- المصدر نفسه، ص251.

9- المصدر نفسه، ص261.

10- المصدر نفسه، ص296.

11- المصدر نفسه، ص309.

12- المصدر نفسه، ص373.

13- المصدر نفسه، ص376.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن نصر القلاسي<sup>2</sup>. -عبد المجيد بن يونس بن يوسف الكسي<sup>3</sup>. -محمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده الجوفي، له كتاب شرعة الإسلام في الوعظ<sup>4</sup>. -محمد بن محمد بن أيوب أبو محمد القطواني<sup>5</sup>. -عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسين، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي<sup>6</sup>.  
-محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب، أبو بكر العامري المعروف بابن جنازة (ت530هـ)<sup>7</sup>. -عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي<sup>8</sup>. -أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد، أبو صالح المؤذن النيسابوري<sup>9</sup>. -أحمد بن محمد أبو بكر سبط ابن فورك<sup>10</sup> -رزق الله بن عبد الوهاب<sup>11</sup>. -محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني<sup>12</sup>. -أحمد بن محمد بن أحمد بن سلم، أبو العباس بن أبي الفتوح الخراساني<sup>13</sup>. -أحمد بن علي بن محمد، أبو السعود ابن المحلي البزاز. -الحسن بن سلمان بن عبد الله ابن الفتى أبو علي الفقيه<sup>14</sup>. -علي بن عبيد الله بن نصر السراي الزغواني أبو الحسن. -علي بن يعلى بن عوض أبو القاسم العلوي الهروي. -محمد بن أحمد بن يحيى أبو عبد الله الديباجي<sup>15</sup>. -محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أبي العباس، أبو عبد الله الصاعدي

1-النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص104.

2-الصفري، المصدر السابق، ص351.

3-المصدر نفسه، ص441.

4-اللكوي أبو الحسنات، المصدر السابق، ص161.

5-المصدر نفسه، ص186، ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج17، ص130.

6-ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج17، ص286-287.

7-المصدر نفسه، ج17، ص317-318.

8-المصدر نفسه، ج16، ص169.

9-المصدر نفسه، ج16، ص193.

10-المصدر نفسه، ج16، ص243.

11-المصدر نفسه، ج17، ص20.

12-المصدر نفسه، ج17، ص150.

13-المصدر نفسه، ج17، ص225.

14-المصدر نفسه، ج17، ص265-266.

15-المصدر نفسه، ج17، ص278-279.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الفراوي<sup>1</sup>. -أبو يعقوب يوسف الهمذاني<sup>2</sup>. -أبو منصور محمود الواعظ<sup>3</sup>. -الحسن بن ذي النون بن أبي القاسم بن بن الحسن الشغري، أبو المفاخر بن أبي بكر<sup>4</sup>.  
 -عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي<sup>5</sup>. -محمد بن محمد بن محمد، أبو المظفر البروي<sup>6</sup>. -أبو نصر زاهر بن محمد بن أبي القاسم المغازلي<sup>7</sup>. -أبو محمد سعد بن محمد ابن أبي عبيد الدستجردي المروزي<sup>8</sup>. -أبو الفتوح سعيد الفوشنجي<sup>9</sup>. -أبو الطيب طاهر بن عثمان الزهري العوفي<sup>10</sup>. -أبو محمد عبد الله بن أحمد الخرقى<sup>11</sup>. -عبد الباقي بن عامر من أهل هراة<sup>12</sup>. -أبو المعالي عبد الكريم بن عبيد الله القشيري<sup>13</sup>. -أبو الحسن علي بن محمود بن محمد المعروف بدوابه<sup>14</sup>. -أبو الحسن علي بن موجود النظري الكشاني<sup>15</sup>. -أبو الحسن علي الآملي<sup>16</sup>. -أبو محمد العباس العصارى الطوسي الطبراني<sup>17</sup>. -أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن أبي بشر الخرقى النيسابوري<sup>18</sup>. -أبو سعيد محمد بن حامد بن حمد الأصبهاني المعروف بسررس<sup>19</sup>. -أبو بكر محمد بن علي بن محمد النوجاباذي البخاري، وله كتاب "مرتع النظر"<sup>20</sup>. -أبو القاسم محمود بن علي بن إسماعيل البخاري العبدلي الصوفي<sup>21</sup>.

- 
- 1-المصدر نفسه، ج17، ص318.
  - 2-المصدر نفسه، ج18، ص15.
  - 3-المصدر نفسه، ج18، ص24.
  - 4-المصدر نفسه، ج18، ص78.
  - 5-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص173.
  - 6-المصدر نفسه، ج18، ص198.
  - 7-السمعاني، المنتخب...، المصدر السابق، مج2، ص807.
  - 8-المصدر نفسه، مج2، ص827.
  - 9-المصدر نفسه، مج2، ص846.
  - 10-المصدر نفسه، مج2، ص915.
  - 11-المصدر نفسه، مج2، ص931.
  - 12-المصدر نفسه، مج2، ص1030.
  - 13-المصدر نفسه، مج2، ص1108.
  - 14-المصدر نفسه، مج2، ص1264.
  - 15-المصدر نفسه، مج2، ص1267.
  - 16-المصدر نفسه، مج2، ص1273.
  - 17-المصدر نفسه، مج2، ص1278.
  - 18-المصدر نفسه، مج3، ص1360.
  - 19-المصدر نفسه، مج3، ص1442.
  - 20-المصدر نفسه، مج3، ص1555-1556.
  - 21-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج8، ص351-352.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-أبو القاسم علي بن يعلى العمري<sup>1</sup>. -أبو طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف العلاف الحافظ<sup>2</sup>. -أبو علي علي الفضل بن محمد بن علي الفارمذي<sup>3</sup>. -أبو وهب منبه بن محمد بن أحمد بن المخلص الفرواني<sup>4</sup>.  
-أبو منصور نصر بن عبد الجبار بن منصور بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن زهير بن أسد التميمي القرآئي القزويني<sup>5</sup>. -أبو المعالي طغرلشاه بن محمد بن الحسين الكاشغري<sup>6</sup>. -الإمام الحجاج أبو محمد محمد بن عبد الجبار بن محمد بن علي بن محمد الكسائي البخاري<sup>7</sup>. -أبو الحسن علي بن موجود بن الحسن الكشاني<sup>8</sup>. -أبو المظفر منصور بن محمد المسعودي<sup>9</sup>. -أبو بكر عتيق الله بن أبي العباس بن أبي بكر الميثمي<sup>10</sup>. -الميثمي<sup>10</sup>. -أبو القاسم محمد بن أحمد بن بندار اللارجاني<sup>11</sup>.

لقد تم إحصاء ستين/60 عالما قاموا بالوعظ عبر ربوع أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي، مما يظهر حرصهم الشديد على إصلاح المجتمع دون كلل أو ملل، ودون وضع اعتبار لطول المسافة وبعد الشقة، إنما كانوا يعظون في كل مدينة يصلون إليها، وأي مصر يدخلونها، إيماناً منهم أنَّ المسلمين أمة واحدة ومجتمع واحد، وأي انحراف يصيب مجتمع المسلمين في إقليم معين سوف ينعكس ذلك على كل الأقاليم، لذا اتجهوا لإقامة مجالس الوعظ والتذكير كخطوة عملية متماهية مع المواقف التي سجلوها وأبدوها كما بينا ذلك.

إنَّ الجهود التي بذلها العلماء في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي في العصر السلجوقي، سواء على المستوى النظري، بوضع الأسس والمراحل والأهداف والغايات والمبادئ التي يمسها الإصلاح، وكذلك على المستوى العملي من خلال إبداء المواقف وردود الفعل واستغلال الفرص وتوظيف الوسائل المتاحة لذلك، تظهر لنا أنَّهم صمام الأمان والدرع الذي يحمي الأمة الإسلامية، وأنَّ تقصيرهم في هذا الدور وإخلالهم به سيؤدي إلى انتشار الفساد في المجتمع وتفتت وحدته وانحلال لحمته وتغير أهدافه، وعندها يصير لقمة سائغة في يد العدو.

1-المصدر نفسه، ج9، ص60.

2-المصدر نفسه، ج9، ص98.

3-المصدر نفسه، ج9، ص219.

4-المصدر نفسه، ج9، ص287.

5-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج10، ص80.

6-المصدر نفسه، ج10، ص326.

7-المصدر نفسه، ج10، ص424.

8-المصدر نفسه، ج10، ص433.

9-المصدر نفسه، ج11، ص309.

10-المصدر نفسه، ج11، ص561.

11-المصدر نفسه، ج12، ص367.

-الفصل الثالث: العلماء بين المجتمع والسلطة.

- 1- أماليب العلماء في إيران موقفهم في المجتمع والسلطة.
- 2- محن العلماء في العصر السلجوقي.
- 3- أدوار اجتماعية أخرى للعلماء في العصر السلجوقي.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لقد كان العلماء وما زالوا، أكثر فئة في المجتمع الإسلامي حضوراً وتأثيراً، الأمر الذي يستدعي منهم مواكبة التطورات التي تشهدها الدولة الإسلامية على مستوى المجتمع بكل فئاته وشرائحه وطبقاته، وعلى مستوى السلطة بكل وسائلها ونظمها وأجهزتها، مما يجعلهم يقفون في مسافة متوازية بين الطرفين بغرض الوقوف على هذه التطورات، وأيضاً بهدف التغيير والتأثير والإصلاح، ذلك أنّ هذا الموقع الذي يحتلونه يحتم عليهم الإمساك بجميع الفعاليات السياسية والاجتماعية ودمجها في بوتقة واحدة للوصول إلى إيجاد نوع من التوازن بين قوة السلطة التي تحمي دولة الإسلام وتقيم الدين بكل شرائعه وحدوده ومعاملاته وعباداته، وبين صلابة المجتمع وثباته في وجه الأزمات والحن التي تشهدها الأمة الإسلامية، والعمل على تحقيق التكامل بينهما.

إنّ العلماء حقيقون باحتلال موقع وسيط بين المجتمع والسلطة في التاريخ الإسلامي، فقد أثبتوا ذلك في كثير من المخططات الحاسمة التي شهدتها العالم الإسلامي، وعلى الأخص العصر السلجوقي الذي جسّد فيه العلماء هذا الأمر بشكل كبير وعبر محطات مفصلية أثّرت على واقع الدولة السلجوقية والمجتمع السلجوقي، وساهمت في زيادة التلاحم بين السلطة والمجتمع وفي تحقيق إنجازات كبيرة حفل بها العصر السلجوقي، على مستوى قوة الدولة وتوحيد عدد كبير من أقاليم المشرق الإسلامي، والقضاء على الخطر البيزنطي، وسحق الخطر الشيعي الفاطمي، ونشر العدل وإقامة القضاء والإصلاح الاقتصادي وبناء المدارس، مما انعكس ذلك على حالة المجتمع الذي استطاع أن يقدم للسلطة السلجوقية الدعم التي تحتاجه.

وعلى ضوء ذلك أضحي لزاماً على العلماء القيام بدور المراقب للسلطة والمجتمع معاً، والعمل الدائب والمتواصل لتقديم الحلول والتوجيهات والإرشادات والنصائح للسلطين ورجال الدولة، ولفئات المجتمع المختلفة، مما يظهر لنا ثقل هذا الدور وخطورة موقعهم بين الطرفين، إذ بالرغم من جهودهم في إصلاح المجتمع الإسلامي كما رأينا، إلا أنّ هناك مسائل وقضايا وشؤوناً متداخلة ومتشابكة ومعقدة، يلتقي فيها المجتمع والسلطة ويشتركان في إنجازها ويتحملان تبعاتها معاً، فكان لا بد للعلماء من التدخل والحضور والتواجد والتفاعل، وهذا ما سنسبر أغواره في الفصل الذي عنوناه بالعلماء بين المجتمع والسلطة، بغرض التعرف على ما قاموا به في هذا الشأن.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

**1- أساليب العلماء في إبراز موقفهم في المجتمع والسلطة:** كانت أساليب العلماء التي تظهر موقفهم في المجتمع، من مختلف الأحداث والوقائع والظواهر والنوازل، ويسعون من خلالها للتأثير على السلطة السياسية، متزامنة ومتماهية مع كل طارئ، فالمتأمل لأساليب العلماء يكتشف أنها جاءت على نسق واحد، يعكس توافقهم واتفاقهم وإجماعهم على إبراز وإظهار وإشاعة موقفهم في المجتمع خلال العصر السلجوقي.

ولعل من مواقف العلماء ما قام به الشريف أبو الحسين المهتدي المعروف بالغريق الخطيب، في مسألة رؤية هلال شوال، "وفي عشية يوم الثلاثاء سلخ رمضان: خرج الناس لتراي هلال شوال فلم يروه، وصلى الناس التراويح على عاداتهم نووا صوم غدهم، فلما كان بكرة يوم الأربعاء جاء الشريف أبو الحسين المهتدي المعروف بالغريق الخطيب، وقد لبس سواده وسيفه ومنطقته، ووراءه المكبرون لابسين السواء على هيئته إلى جامع دار الخلافة فرآه مغلقا، ففتحه ودخل وقال: اليوم يوم العيد، وقد روئي الهلال البارحة بباب البصرة، ورام الصلاة فيه، وجمع الناس به، وعرف رئيس الرؤساء الخبر فعاظه ذلك، وأحفظه أن لم يحضر الديوان العزيز وبطالعه بما كان وما تجدد في رؤية الهلال، فراسله واستحضره، فامتنع وقال: حتى أصلي وأعيّد ثم نكفي إلى الديوان، فزوج وأحضر وأنكر عليه إقدامه على فتح الجامع وهو مغلق، وقد علم أنه لا خبر للناس من هذا الأمر محقق، وقال له: قد كان يجب أن تحضر الديوان العزيز، وتنتهي الحال ليحيط به العلم الشريف، ويتقدم فيما يوجهه ويقتضيه. وأغلظ له فيما خاطبه فاعتذر، وقال: ما فعلت مما فعلته إلا ثقة بنفسي، وبعد أن وضحت الصورة عندي، وكان قد حضرني البارحة ثمانية أنفس من جيراني أثق يقولهم فشهدوا عندي جميعا بمشاهدة الهلال، فقطعت بذلك وحكمت، وأفطرت وأفطر الناس في باب البصرة، وخرجوا اليوم قاصدين جامع المدينة، ولم أعلم أن هذا لم يشع، فحضرت وأنكرت كون الجامع مغلقا، ثم جاء قوم فشهدوا برؤية الهلال.

فقال رئيس الرؤساء للقاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني: ما عندك في هذا؟ فقال: أما مذهب أبي حنيفة الذي هو مذهبي، فلا تقبل مع صحو السماء، وجواز ما يمنع من مشاهدة الهلال إلا قول العدد الكثير الذي يبلغ مائتين، وأما مذهب الشافعي رضي الله عنه الذي هو مذهب هذا الشريف فإنه يقطع بشهادة اثنين في مثل هذا. وطولع الخليفة بالحال، فأمر بالنداء أن لا يفطر أحد، فأمسك من كان أكل، وكان والد القاضي أبي الحسين قد مضى إلى جامع القطيعة فصلى بالناس وعيّد، وكذلك في جامع الحرية لم يعلموا بما جرى...<sup>1</sup>، الذي أظهر موقفه بشكل واضح وأدى واجبه واتصف بما يجب، كما أكد أيضا على حرص

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص6-7.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

العلماء على الإشراف على الشأن الديني والقيام بأعبائه، وكذا تبيان الصحيح من الخطأ للسلطة الحاكمة، وفي النهاية حسم الموقف برضا جميع الأطراف.

أما في سنة 459هـ فقد حدث موقف آخر أبداه أحد العلماء، عندما قام أبو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك ببناء مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان (ت150هـ)، حيث أحضر القطاعين والمهندسين وقاموا بحفر الأرض، لمدة ستة عشر يوما حتى بلغوا سبعة عشر ذراعا، مما أدى إلى خروج عظام الموتى المدفونين بجوار أبي حنيفة النعمان قدرت بحوالي 400، وتم نقلها ودفنها خارج المشهد، فتدخل الفقيه أبو الوفاء ابن أبي عقيل قائلا: وما يدريكم لعل النعمان قد خرجت عظامه في هذه العظام وبقيت هذه القبة فارغة من مقصود. ولكن شرف الملك بعث إلى أبي منصور بن يوسف شاكيًا وطالبا منه مقابلة الفقيه أبي الوفاء، ثم اختلى به -أي أبو منصور- وقال له: يا سيدي ما نعلم كيف حالنا مع هؤلاء الأعاجم والدولة لهم. فقلت له: يا سيدي، رأيت منكرا فاشيا فما ملت نفرقي الدينية<sup>1</sup>. لقد عكست هذه الحادثة موقفا حاسما سجله الفقيه أبو الوفاء بن أبي عقيل، إذ اعتبر ما جرى أمامه منكرا لا يجب السكوت عليه وصدح بما يجول في فكره أمام المسؤول المباشر دون تردد أو خوف.

ويواصل العلماء في إبرازهم لموقفهم، فهذا الفقيه أبو إسحاق الشيرازي يرفض التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، التي جمع لها العميد أبو سعد القاضي الناس في يوم السبت عاشر ذي القعدة سنة 459هـ، والسبب في ذلك أنه لقي شابا في طريقه وهو قادم إلى المدرسة، فقال له: يا سيدنا تريد أن تدرس في المدرسة؟ فقال: نعم، فقال: وكيف تدرس في مكان مغصوب؟ فغير نيته ولم يحضر. كما واصل إلقاءه للدروس في مسجد بباب المراتب، وشهد مجلسه إقبالا من العوام، الذين دعوا له وأثنوا عليه، حينما بلغهم أنه قال: إني لم أطب نفسا بالجلوس في هذه المدرسة لما بلغني أنَّ أبا سعد القاشي غصب أكثر آلائها، ونقض قطعة من البلد لأجلها، ولحق أصحابه غم. وفي السياق ذاته بعث الوزير نظام الملك إلى العميد أبي سعد معاتبًا له ومؤنبًا له، وعلى الرغم من قبول أبي إسحاق الشيرازي الجلوس في المدرسة بعد ذلك، إلا أنه لم يصل فيها قط، بل كان يصلي في المسجد حين يدخل وقت الصلاة، حتى شوه في المنام وسئل عن حاله فقال: طولبت بهذه البنية -يعني المدرسة النظامية، ولولا أنني ما أدت الفرض لكنت من الهالكين<sup>2</sup>. يبرز موقف أبي إسحاق الشيرازي هذا مدى حرص العلماء على تحري الحلال وتجنب الحرام، والعمل على الجاد على تبين خطورة ذلك في حياة المسلمين، وكذا سعي السلطة إلى مساندة موقف أبي إسحاق الشيرازي لما ظهر أنه على حق.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص100-101.

2- المصدر نفسه، ج16، ص102-103.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

تفاعل العلماء في سنة 480هـ مع قرارات السلطة، حيث خرج في شهر ذي الحجة مرسوم أمضى حال يهود بطريق خراسان وبلاذ ابن مزيد، لعدم لبسهم الغيار، كما أن لهم شعورا مثل الأتراك، ويكونون بكنى المسلمين، فتقدم بخروج من عين من العدول والفقهاء، فهذبوا نواحي بغداد، وقصدوا حلة ابن مزيد فهذبوها<sup>1</sup>.

وهناك موقف آخر سطره الفقيه أبو الوفاء بن عقيل سنة 482هـ، حينما تصدى لمن أرادوا الارتداد عن الإسلام بقوله: "...بلغني أن أقواما يتسمون بالإسلام والسنة قد غضبوا على الله وهجروا شريعته، وعزموا على الارتداد وقد ارتدوا، فإن المسلمين أجمعوا على أن العزم على الكفر كفر، فلقد بلغ الشيطان منهم كل مبلغ حيث دلس عليهم نفوسهم، وغطى عيوبهم، وأراهم أن إزالة النصرة عنهم مع استحقاتهم لها، ولم يكشف عن عوار أديانهم حتى صب عليهم النعم صبا، وأرخص أسعارهم، وأمن ديارهم، وجعل سلطانهم رحيمًا لطيفًا، وجعل لهم وزيرًا صالحًا يجتهد في إخراج الحكومات المشتبهة إلى الفقهاء ليخلص دينه من التبعات، ويأخذ الإجماع في أكثر العبادات، ولا يتكبر ولا يحتجب، فأمرجوا في المعاصي، ثم انتقلوا إلى بناء العقود بالطبول، ولهج منهم قوم بسب، فلما نهض السلطان بعصية دينية أو سياسة، وقد استحقوا قطع الرؤوس، وتخليد الحبوس، فقعد الحمقى في مأتم النياحة يقولون: هل رأيتم في الزمن الماضي مثل ما جرى على أهل السنة في هذه الدولة، طاب والله الانتقال عن الإسلام لو كان ما نحن فيه حقا لنصره الله. وحملوا الصلبان في حلوقهم، ودعوا بشعار الرفض، وقالوا: لا دين إلا دين أهل الكرخ، وهل كانوا على الدين فيخرجوا، وهل الدين النطق باللسان من غير تحقيق معتقد، وأس المعتقد من قوم تناهوا في العصيان والشروع عن الشرع، وسفكوا الدماء، فلما فرضوا بالعذاب ردعا لهم ليقنعوا أنكروا وتسخطوا، فأردتم أن يتبع الحق أهواءكم ويسكت السلاطين عن قبيح أفعالكم، حتى تفتانون بالخصومة والمحاربة، فلا في أيام السعة والدعة شكرتم النعم، ولا في أيام التأديب سلتهم للحكيم الحكم، فليتكم لما فسدت دنياكم أبقيت بقية من أمر أديانكم..."<sup>2</sup>، يستشف من هذا الكلام أن أبا الوفاء بن عقيل استطاع أن يقف بالمرصاد لمن راموا الارتداد عن الإسلام بدعوى ارتفاع شأن الشيعة وتقلص ظل السنة، فذكرهم بنعم الله، التي منها ما قام به السلاجقة، حيث أشاد بالسلطان السلجوقي ملكشاه ووزيره نظام الملك، وعظم من شأن الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله. وأظهر الحق ونصرة الإسلام وضرورة إتباع الحزم والشدة مع هؤلاء، فكان موقفه حاسما وكلامه رادعا للجميع.

ويمكن الإشارة إلى موقف آخر لأحد الفقهاء سنة 482هـ في إقليم بلاد ما وراء النهر، وهو الفقيه الشافعي أبو طاهر بن علك (ت 484هـ)، الذي سافر إلى أصفهان ليقدم شكوى للسلطان السلجوقي ملكشاه من ملك سمرقند

1- المصدر نفسه، ج 16، ص 270-271.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 283-284.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

أحمد خان بن خضر خان، الذي كان صبيا ظلما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية، حتى كرهه الناس وكتبوا إلى السلطان سرا يطلبون منه القدوم إليهم لتخليصهم منه، وكان في مقدمتهم الفقيه أبو طاهر، حيث أظهر أنه يريد السفر للتجارة والحج، فذهب واجتمع بالسلطان شاكيا له وطالبا منه القدوم إلى سمرقند، فأخذه نظام الملك معهم إلى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل إلى كاشغر أذن له نظام الملك في العودة إلى بلاده<sup>1</sup>.

كما تدخل العلماء في الفتن التي تقع بين الفينة والأخرى، مثل الفتنة التي جرت بين جند شحنة بغداد الأمير أيلغازي بن أرتق وعامة بغداد، بسبب تأخر أحد الملاحين في نقلهم، فتطور الموقف بأن رماه أحد الجند بسهم أصاب نخاعه الشوكي مما أدى إلى موته، فقبض العامة على الجندي القاتل وأخذوه إلى باب النوبي، ولكن ولد إيلغازي استنقذه منهم مع جنده، فرجمهم العامة بسوق الثلاثاء، وازداد الأمر سوءا حينما استغاث بأبيه الذي قرر العبور إلى محلة الملاحين بمربعة القطانين وقام بنهب ما وجدته وقدر عليه، ثم هجم عليه العيارون وقتلوا عددا من جنده، كما عزم على نهب الجانب الغربي من بغداد، فتدخل الخليفة العباسي وأرسل قاضي القضاة و الكيا المهراس المدرس بالنظامية، اللذين قاما بمنعه عن ذلك فامتنع عن النهب<sup>2</sup>.

والجدير بالذكر كذلك أنَّ الهجرة والسفر واعتزال المناصب والإقبال على النأي بالنفس عن عامة الناس وأهل السلطان، كانت من الأساليب التي طبقها العلماء خلال عصر الدراسة، فهذا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي خرج في ذي القعدة سنة 488هـ من بغداد، متوجها إلى بيت المقدس، وقد ترك التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، كما أظهر الزهد ولبس الثياب الخشنة<sup>3</sup>، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر في فكره وتوجهه ورؤيته، ذلك أنَّ موقفا من هذا النوع لا يقدم عليه إلا عالم كبير قدر عالي المهمة رفيع المنزلة حقيق بكل خير. ونفس الأمر قام به الفقيه الشافعي أبو الخير إسماعيل القزويني، فقد كان مدرسا بالمدرسة النظامية في بغداد، وقرر ترك التدريس والعودة إلى بلده قزوين سنة 581هـ<sup>4</sup>.

ولا ننسى أنَّ العلماء كانوا يهرعون لتقديم المساعدة كلما استجد طارئ أو حدث حادث، من ذلك الحريق الذي وقع في حضائر ودكاكين الحطب الموجودة على ضفة نهر دجلة سنة 510هـ، حيث أتى على جذوع النخل والأعواد الكبيرة، وبلغ الكنائس التي بباب المراتب فاحترقت، وكذا دور درب السلسلة والدور الشارعة على نهر

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص457.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص51-52.

3- المصدر نفسه، ج8، ص507. ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص18، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج19، ص466،

4- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص138.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

دجلة، كدار نور الهدى أبي طالب الحسين بن محمد الزيني ورباط بمرور الذي بناه للصوفية، ودار الكتب التي بالنظامية إلا أنَّ الكتب سلمت، فتدخل الفقهاء وحملوها إلى مكان يؤمن فيه من النار<sup>1</sup>.

كان دعم العلماء للخلافة العباسية واضحاً من خلال الموقف الذي أبداه أبو الوفاء بن عقيل والتصرف التي تصرفه مع الخليفة المسترشد بالله عند مبايعته له، فقد مد يده لبيعة المسترشد بالله سنة 512هـ، الذي بدوره بسط إليه يده، فصافحه أبو الوفاء بعد أن سلم عليه وبايعه قائلاً: أبايح سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المسترشد بالله على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين ما أطاق واستطاع، وعلى الطاعة مني، وقلبت يدي ووضعتها على عيني زيادة على ما فعلت في بيعة المستظهر تعظيماً له وحده من بين سائر الخلفاء فيما نشأ عليه من الخير والخصال المحمودة، وتميزه بطريقة جده القادر، فبعثوا إلى مبرة عشرة دنانير، وكان رسمي في البيعة خمسين ديناراً<sup>2</sup>.

كما أشرف أحد العلماء وهو القاضي أبو الحسن الدامغاني على أخذ البيعة للمسترشد بالله، إذ "...لما توفي المستظهر بالله بوبيع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن المستظهر بالله، وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثاً وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بأمر الله وغيرهم من الأمراء والقضاة والأئمة والأعيان. وكان المتولي لأخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني، وكان نائباً عن الوزارة فأقره المسترشد بالله عليها. ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا وأحمد بن أبي داود فإنه أخذها للوائق بالله والقاضي أبو علي إسحاق بن إسماعيل أخذها للمعتض بالله..."<sup>3</sup>.

إنَّ تفاعل العلماء مع السلطة ظل متواصلاً ومستمر، حيث استعانت بهم في مجالس العزاء، كالذي حدث سنة 515هـ، عندما توفيت جدة السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بمر، فأقيم مجلس للعزاء ببغداد حضره هو ورجال الدولة، وتم نصب كرسي للوعظ تكلم عليه أبو سعد إسماعيل بن أحمد، وأبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي، وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس<sup>4</sup>. وكذلك في أمر دبيس ابن مزيد الذي استفحل خطره وزاد تهديده للعباسيين والسلاجقة، فقد أعطاه الخليفة العباسي المستظهر بالله دار عفيف بدرب فيروز، وخاطبه بملك العرب، وأقطعته الأنبار و دما و الفلوجة، كما أقطعته السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه مدينة واسط وأذن له بأخذ مدينة البصرة، ولكنه أظهر ترفعه وتماطله في طاعة أوامر السلطان السلجوقي، بالإضافة إلى تجرئه على سب

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص145، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج20، ص95، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص166.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص162.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص174.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص192، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص210.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الصحابة رضوان الله عليهم، فتقدم العميد ثقة الملوك أبو جعفر باستفتاء العلماء في أمور منها: سب الصحابة وترك الصلوات وتعطيل صلاة الجماعة والجمعة والمجاهرة بالمحرمات، فأجاب الفقهاء بأنه لا يجوز الإغضاء عنهم، وإن من قاتلهم فله أجر عظيم<sup>1</sup>.

ومن المواقف التي أبداهها العلماء أيضاً، منعهم في جمادى الآخرة سنة 517هـ، تسليم المدرسة النظامية لابن الباقرحي ليدرس فيها، على الرغم من وجود أمر بذلك من السلطانين السلجوقيين سنجر ومحمود، عندها تدخل الديوان الخلفي وألزمهم متابعتها.

ثم بعث أسعد الميهني في آخر شعبان سنة 517هـ من أجل أخذ المدرسة النظامية والنظر في أوضاعها ونواحيها، وكذا عزل ابن الباقرحي، كما اتفق مع الوزير أحمد بن نظام الملك على أن مداخلها غير كافية، وصار لابد من تغيير نمط إدارتها، خاصة أنهم كانوا يقنعون ببعض المتفكحة ويقطعون من بقي، فاضطرب أمر المدرسة، مما جعل أسعد الميهني يدرس يوماً واحداً فقط، ولكن العلماء امتنعوا عن حضوره درسه، فترك التدريس وأتاب عنه خواجا أحمد أبا الفتح بن برهان، الذي ألقى درساً حضره الوزير ابن صدقة، فما كان من الوزير إلا أن قال له: كيف أقدمت على مكان قد رتب فيه مدرس، ثم ألزمه بيته وتقدم إلى قاضي القضاة فصرفه عن الشهادة، وأمر أبا منصور ابن الرزاز بالنيابة في المدرسة<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ العلماء اتخذوا من الفتاوى تعبيراً عن موقفهم اتجاه السلطة السياسية في كثير من الأحداث، من ذلك لما قطعت الخطبة بالسلطنة لمسعود السلجوقي يوم السبت 11 رجب 529هـ، وخطب للسلطان سنجر، والسلطان داود، استفتي الفقهاء في شأن مسعود، وما يقابل به على أفعاله، فأفتوا بعزله وقتاله<sup>3</sup>.

ولما قتل الخليفة العباسي المسترشد بالله سنة 529هـ على يد الباطنية، بويع ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور، كان في مقدمة المبايعين أحد العلماء وهو الشيخ أبو النجيب، فقد بايعه ووعظه وبالع في الموعظة<sup>4</sup>، كشكل من أشكال رفع معنوياته وتثبيتاً له حتى يقوم بمقام الخلافة على أحسن وجه.

كما كان للعلماء موقف مؤثر في خلع الخليفة العباسي الراشد بالله، بحيث: "...لما دخل السلطان بغداد أظهر العدل وشحن المحال ومنع النزل والنهب، واستمال قلوب الناس، وجمع القضاة والشهود عند السلطان مسعود وقدحوا في الراشد وتولى ذلك الزينبي، وقيل: لم يقدحوا فيه إنما أخرج السلطان خطه، وقد كان

1- ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 17، ص 208.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 220-221.

3- المصدر نفسه، ج 17، ص 294.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 283.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

كتب مع بكبه: إنني متى جندت أو خرجت فقد خلعت نفسي من الأمر، فشهد الشهود أن هذا خط الخليفة، والأول أظهر. وأحكم علي بن طراد النوبة، وأحضر الفقهاء والقضاة وخوفهم وهددهم إن لم يخلعوه، وكتب محضر فيه أن أبا جعفر بن المسترشد بدا من أفعاله وقبح سيرته وسفكه الدماء المعصومة وفعله ما لا يجوز معه أن يكون إماماً، وشهد بذلك ابن الكرجي، و الهيتي، وابن البيضاوي، ونقيب الطالبين، وابن الرزاز، وابن شافع، وروح ابن الحديشي، وقالوا: أن ابن البيضاوي شهد مكرها، وحكم ابن الكرجي قاضي البلد بخلعه يوم الاثنين سادس عشر الشهر بحكم الحاكم وولي المقتفي...<sup>1</sup>. وفي السياق ذاته يعد قاضي الموصل كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري من العلماء الذين سجلوا موقفهم من بيعة المقتفي لأمر لله، حيث قال: "...لما حضرت الديوان قيل لي تباع أمير المؤمنين؟ فقلت أمير المؤمنين عندنا في الموصل وله في أعناق الخلق بيعة متقدمة. وطال الكلام وعدت إلى منزلي، فلما كان الليل جاءني امرأة عجوز سراً واجتمعت بي وأبلغتني رسالة عن المقتفي لأمر الله مضمونها عتابي على ما قلته واستنزالي عنه فقلت غدا أخدم خدمة يظهر أثرها، فلما كان الغد حضرت إلى الديوان وقيل لي في تعيين البيعة، فقلت: أنا رجل فقيه قاضي ولا يجوز لي أن أبايع إلا أن يثبت عندي خلع المتقدم. فأحضروا الشهود وشهدوا عندي في الديوان بما أوجب خلعه، فقلت: هذا ثابت لا كلام فيه ولكن لا بد لنا في هذه الدعوى من نصيب لأن أمير المؤمنين قد حصل له في خلافة الله في أرضه والسلطان فقد استراح ممن كان يقصده ونحن بأي شيء نعود. فرجع الأمر إلى الخليفة فأمر أن يعطي أتابك زنكي صريفيين ودرج هارون، وجرى ملكا وهي من خاص الخليفة ويزداد في ألقابه وقال هذه قاعدة لم يسمع بها لأحد من زعماء أن يكون لهم نصيب من خاص الخليفة... وكانت بيعة كمال الدين سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، ولما عاد كمال الدين الشهرزوري سير على يد المحضر الذي عمل بخلع الراشد فحكم به قاضي القضاة الزينبي بالموصل وكان عند أتابك زنكي...<sup>2</sup>.

ويوجد موقف آخر لأحد العلماء المدرسين في المدرسة النظامية في بغداد وهو الفقيه أبو النجيب، فقد عينه السلطان السلجوقي مسعود للتدريس بهذه المدرسة، إذ في يوم السبت 27 محرم 545هـ جلس أبو النجيب للتدريس في النظامية بحضور السلطان السلجوقي مسعود، بعد أن صلى الصبح به، فأوماً له بالتدريس، ولكن الفقيه أبا

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 312، وقد أورد ابن الأثير نفس ما حدث بشكل موجز، ينظر، المصدر نفسه، ج 9، ص 292.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 293-294.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

التحيب امتنع وطلب منه إذن الخليفة العباسي حتى يقوم بهذه الوظيفة، عندها أخرج السلطان مسعود إذن الخليفة الذي كان معه وأطلعه عليه<sup>1</sup>.

وفي سنة 556هـ حدث موقف آخر بين الفقهاء والسلطة، يقول عنه ابن الأثير: "في هذه السنة، في ربيع الأول، خرج الوزير ابن هبيرة من داره إلى الديوان، والغلمان يطرقون له، وأرادوا يردون باب المدرسة الكمالية بدار الخليفة، فمنعهم الفقهاء، وضربوهم بالآجر، فشهر أصحاب الوزير السيوف، وأرادوا ضربهم، فمنعهم الوزير ومضى إلى الديوان، فكتب الفقهاء مطالعة يشكون أصحاب الوزير، فأمر الخليفة بضرب الفقهاء وتأديبهم، ونفيهم من الدار، فمضى أستاذ الدار، وعاقبهم هناك، واختفى مدرّسهم، الشيخ أبو طالب، ثم إنَّ الوزير أعطى كل فقير دينارا، واستحل منهم، وأعادهم إلى المدينة، وظهر مدرّسهم<sup>2</sup>..".

وكان هناك موقف آخر تدخل فيه أحد الفقهاء من أجل التوسط لفقيه آخر، وقد تمثل ذلك لما أعطي أبو منصور ابن المعلم مدرسة السلطان السلجوقي محمود في شهر محرم سنة 567هـ، وقام بإنابة أبي الفتح ابن الزني، الذي افتتح التدريس بحضور جماعة من الفقهاء، ولكنه قال أنه قالت طائفة من الأصوليين، بأنَّ الله ليس بموجود، فنفر الحاضرون من هذا الكلام، ثم ذكر مسألة خلافية من الفروع للشافعي دون أن يذكر الشافعي، مما دفع إلى إخبار الوزير، الذي قرر تعزيره، فأمر بإحضار بوقه السواد وحمار ليشهر عليه في البلد، أما ابن الزني فاعتذر بأنه لم يجد في العلوم إلا هذا، ولم ينقذه من هذا الأمر إلا توسط أبي منصور ابن المعلم له، وتم العفو عنه<sup>3</sup>.

لقد أضحى العلماء ملجأ لعدد من رجال السلطة حينما تضيق بهم السبل وتتغير عليهم الأحوال والظروف، مثل ما حدث لوزير الخليفة العباسي عضد الدين ابن رئيس الرؤساء، حينما أعاده الخليفة للوزارة، ولكن قطب الدين قايماز منع إنفاذ أمر الخليفة وأغلق باب النوي وباب العامة، وصارت دار الخلافة محاصرة حتى أذعن الخليفة، وبعدها أخرج قطب الدين قايماز عضد الدين من بغداد، فالتجأ هذا الأخير إلى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل، الذي أخذه إلى رباطه وأجاره ونقله إلى دار الوزير بقطفتا فأقام بها، ثم عاد إلى بيته في جمادى الآخرة سنة 569هـ<sup>4</sup>.

كما يوجد موقف آخر ذكره ابن الأثير عن أحد العلماء بقوله: "...وفيها توفي شيخنا أبو القاسم يعيش بن صدقة بن علي الفراتي الضرير الفقيه الشافعي كان إماما في الفقه مدرسا صالحا كثير الصلاح سمعت عليه

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص77. ابن الأثير، المصدر نفسه، ج9، ص368.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص444.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص196.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص61.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

كثيرا لم أر مثله رحمه الله تعالى-ولقد شاهدت منه عجايبا يدل على دينه وإرادته بعمله وجه الله تعالى، وذلك أنني كنت أسمع عليه ببغداد سنن أبي عبد الرحمن النسائي، وهو كتاب كبير والوقت ضيق لأنني كنت مع الحجاج قد عدنا من مكة حرسها الله، فبينما نحن نسمع عليه مع أخي الأكبر مجد الدين أبي السعادات إذ قد أتاه إنسان من أعيان بغداد، وقال له: برز الأمر لنحضر كذا، فقال: أنا مشغول بسماع هؤلاء السادة ووقتهم يفوت والذي يراد مني لا يفوت، فقال: أنا لا أحسن أذكر هذا في مقابل أمر الخليفة، فقال: لا عليك قل قال أبو القاسم لا أحضر حتى يفرغ السماع، فسألناه ليمشي معه فلم يفعل ذلك، وقال: اقرؤوا فقرأنا، فلما كان الغد حضر غلام لنا، وذكر أن أمير الحاج الموصل قد رحل، فعظم الأمر علينا فقال: ولم يعظم عليكم العود إلى أهلكم وبلدكم فقلنا لأجل فراغ هذا الكتاب، فقال: إذا رحلتم أستير دابة وأركبها فأسير معكم وأنتم تقرؤون، فإذا فرغتم عدت، فمضى الغلام ليتزود ونحن نقرأ، فعاد وذكر أن الحجاج لم يرحلوا، ففرغنا من الكتاب، فانظر إلى هذا الدين المتين يرد أمر الخليفة وهو يخافه ويرجوه، ويريد يسير معنا، ونحن غرباء لا يخافنا ولا يرجونا<sup>1</sup>.

كان رد فعل العلماء في الأزمات أحد أساليب إبراز موقفهم في المجتمع والسلطة، كالذي حدث في الحرب التي جرت بين السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه وصاحب إقليم خوارزم المسمى خوارزم شاه أتنس، هذا الأخير الذي تمكن من هزيمة سنجر، وزحف على خراسان حتى دخل مدينة مرو الشاهجان، عندها قصده الإمام أحمد الباخري وتشفع لأهل مرو وسأل أن لا يعترض إليهم أحد من العسكر، فقبل خوارزم شاه شفاعته ونزل بظاهر البلد. وفي سياق متصل خرج جماعة من الفقهاء والعلماء والزهاد إلى خوارزم شاه لما قصد مدينة نيسابور وطلبوا منه ألا يفعل بأهلها وسكانها كما فعل بأهل مرو لما ثاروا عليه<sup>2</sup>.

وتستطرد مواقف العلماء التي أبدوها أمام السلطة، والشاهد على ذلك عندما أرسل صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل إلى البهلوان صاحب همذان وأصفهان والري وغيرها في سنة 575هـ، لأخذ البيعة الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ولكن البهلوان امتنع عن مبايعة الخليفة، فراجع صدر الدين شيخ الشيوخ وأغلظ له القول حتى أنه قال لعسكره في حضرته، ما لهذا عليكم طاعة ما لم يبايع أمير المؤمنين، بل يجب عليكم أن تخلعوه من الإمارة وتقاتلوه فاضطر إلى البيعة والخطبة<sup>3</sup>.

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص248-249.

2- المصدر نفسه، ج9، ص323.

3- المصدر نفسه، ج10، ص98.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وكان ديدن العلماء التدخل في الفتن والأزمات، وطلب المساعدة وإنقاذ مدنهم وشعوبهم، من ذلك ما أقدم عليه الفقيه الشافعي صدر الدين الحندي حينما كاتب ديوان الخلافة طالبا منه إرسال جيش لاستلام مدينة أصفهان، حيث كانت له الكلمة المسموعة في سكانها بعد حاكمها، خاصة أنهم كرهوا تواجد عساكر خوارزم شاه بها، وقد وافق الخليفة العباسي الناصر لدين الله على تسيير جيش بقيادة سيف الدين طغرل، حيث دخلوا إلى أصفهان بعد أن خرج جند خوارزم شاه منها، وذلك سنة 591هـ<sup>1</sup>.

### 2- مَحَنُ العلماء في العصر السلجوقي:

جاء في القاموس المحيط في مادة "محَن": محنه، كمنعه: ضربه واختبره، كامتحنه، والاسم: المحنة بالكسر<sup>2</sup>، وفي لسان العرب "المحنة واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بلية نستجير بكرم الله منها... وفي حديث الشعبي: المحنة بدعة، وهي أن يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه ويقول: فعلت كذا وفعلت كذا، فلا يزال به حتى يقول ما لم يفعله أو ما لا يجوز قوله..."<sup>3</sup>، أما في اصطلاح المحدثين فالمحنة تعني البلاء الذي يصيب الفرد أو الأفراد من الله أو من السلطان فيكون ذلك بمثابة التمحيص للثبات على الحق، والصرامة في التصدي للباطل أو الصبر عليه<sup>4</sup>.

إنَّ تعرض العلماء للمحن بجميع أنواعها، كان وما زال أمرا لصيقا بهم بحكم المهمة المرجوة منهم والدور المنوط بهم، فقد استدعى قيامهم بدورهم في كل عصر تتبعا ومراقبة لأفعال السلطة وأعمالها ونظمها وأجهزتها، وتقصيا لأحوال المجتمع واقتفاء كل ما من شأنه تفتيت لحمته وتعاضد أفرادهم وتمسكهم بحبل الدين وأوامر الشريعة، ولكن هذا الأمر لم يكن هينا، إذ أنَّ السلطة كانت تتملص من العلماء وتعمل على امتحانهم والتضييق عليهم ومحاصرتهم، وإرغامهم على الرضا بما تقوم به، وكانت تستعين في كثير من الأحيان بالمجتمع في سبيل ذلك، وأضحى على ضوء أن تعرض عدد من علماء العصر السلجوقي لمحَن جَراء قيامهم بما يجب عليهم، كالقتل والسجن والعزل والنفي والتضييق والتهديد والتشهير بالتهمة المختلفة، ما يجعلنا نحاول جادين لاستقصاء جميع المحن التي امتحن بها هؤلاء العلماء خلال عصر الدراسة وعبر الأقاليم الثلاث التي تشملها، مع العلم أنَّ المحن التي تعرضوا لها، هي

1- المصدر نفسه، ج10، ص239.

2- الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص1513.

3- ابن منظور، المصدر السابق، ج17، ص287.

4- السيد رضوان، محن العلماء مع السلطان، مجلة الاجتهاد، العدد الرابع، السنة الأولى، 1410هـ/1989م، بيروت، دار الاجتهاد، ص239.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

استمرار للمحن التي تعرض لها العلماء المسلمين في العصر الأموي والعصور العباسية؛ الأول والثاني والثالث، ثم ستتواصل في العصور التي تعقب العصر السلجوقي.

كان قتل العلماء أكثر محنة تعرض لها هؤلاء، سواء بسبب الحروب أو الصراع المذهبي أو قطاع الطرق واللصوص، مما أثر بشكل كبير على المجتمع، ونظام التعليم ومجالس الوعظ والتذكير، والعلماء الذين قتلوا في العصر السلجوقي هم:

-الإمام أبو المحاسن سعد بن محمد بن منصور ابن أبي سعد الجولكي الجرجاني، قتل في مسجده بإستراباذ في رجب سنة أربع وخمسين وأربعمائة<sup>1</sup>.

-الأستاذ الواعظ علي بن محمد بن محمداذ بن رنحه أبو القاسم التوني، قتل في فتنة الغز في صفر سنة 552هـ بطريق قاين<sup>2</sup>.

-الإمام أبو القاسم المظفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ابن إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، قتله أحد السلاطين، لأنه ذات يوم بسط لسانه في حق بعض السلاطين على أنه قليل الدين، فرفع إليه فأخذه اختلافاً وقتله بالحيلة وتركه موضعه ورحل، وحين أحسوا به خرجوا إليه وحملوه إلى البلد، وقامت القيامة وأظهر الناس الجزع، وكان هذا آخر أمره بتاريخ شعبان سنة 473هـ<sup>3</sup>.

-إمام الفروع والأصول عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة أبو محمد حسام الدين المعروف بالصدر الشهيد قتله الكافر الملعون بعد وقعة قطوان بسمرقند في صفر سنة 536هـ<sup>4</sup>.

-الإمام أبو القاسم ناصر الدين بن يوسف الشهيد الحسيني السمرقندي، الذي قتل صبرا سنة 556هـ<sup>5</sup>.  
-الحسن بن محمد، أبو عبد الله الولي الفرضي، كان إماماً ثقة، تم قتله في فتنة البساسيري، ودفن يوم الجمعة 9 ذي الحجة 450هـ<sup>6</sup>.

-أبو نصر علي ابن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي الذي يقال له ابن مأكولا، تعرض للغدر من مماليكه الأتراك أثناء سفره إلى كرمان، وقاموا بقتله وأخذوا الموجود من ماله في سنة 475هـ<sup>1</sup>.

1-الفارسي أبو الحسن، المصدر السابق، ص102. ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص78.

2-الفارسي أبو الحسن، المصدر السابق، ص288.

3-المصدر نفسه، ص380-381.

4-اللكوني محمد، المصدر السابق، ص149.

5-المصدر نفسه، ص219-220.

6-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص38.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

- محمد بن محمد بن الحسين بن محمد ابن الفراء، أبو الحسين بن أبي يعلى؛ قتله بعض خدمه بسبب المال، حيث دخلوا عليه ليلاً ليأخذوا ماله وقتلوه في ليلة الجمعة 10 محرم 526هـ<sup>2</sup>.
- الشيخ أبو محمد الحسن بن محمد بن إسماعيل بن شعيب السنجي، قتل في وقعة الخوارزمية في شهر ربيع الآخر سنة 536هـ، في خانقاه الحجاز رحمه الله<sup>3</sup>.
- الشيخ أبو نصر عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ابن جبريل الخرجدي الخطيبي، توفي في واقعة الغز بمرو، وهو أنه كان على المنارة بأسفل الماجان فرمت الغز المنارة بالنار فاحترق فيها، وكان ذلك في 12 رجب 548هـ ودفن في داره<sup>4</sup>.
- الشيخ أبو صالح عبد الملك بن عبد الواحد بن عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري من أهل نيسابور، سكن طوس، توفي بطوس في حدود سنة خمسين وخمسمائة في فتنة الغز<sup>5</sup>.
- الشيخ أبو بكر بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الجبار بن عبد الواحد بن عبد الجبار التوثي المروزي، مات في عقوبة الغز في قريته يوم الاثنين، الخامس من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>6</sup>.
- الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن طاهر الصَّكَّاك الطوسي، قتل في أواخر شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، رشحاً بالنبل، قتله الغز في النهب والعقوبة<sup>7</sup>.
- الشيخ أبو حفص عثمان بن عتيق الله بن يعقوب بن علي السرخسي اليعقوبي الصوفي من أهل سرخس، قتل في وقعة الغز في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة<sup>8</sup>.
- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عتيق بن أبي منصور المطرّز من أهل نيسابور، قتل في وقعة الغز في شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>9</sup>.

1-المصدر نفسه، ج16، ص226.

2-المصدر نفسه، ج17، ص274. سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج20، ص247. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص267.

3-السمعي، المنتخب من معجم الشيخ، المصدر السابق، ج2، ص661-662.

4-السمعي، المنتخب من معجم الشيخ، المصدر السابق، ج2، ص1009-1010.

5-المصدر نفسه، ج2، ص1125.

6-المصدر نفسه، ج2، ص1134-1135.

7-المصدر نفسه، ج2، ص1192.

8-المصدر نفسه، ج2، ص1200-1201.

9-المصدر نفسه، ج2، ص1258-1259.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-الشيخ أبو محمد العباس بن محمد بن أبي منصور بن أبي القاسم، العَصَّاري الطُّوسِيّ الطَّبْرَانِيّ، الواعظ، فقد بنى سابور في وقعة الغَزّ، في شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولا يدرى مات من البرد أو قتل أو أحرق في بعض المساجد<sup>1</sup>.  
المساجد<sup>1</sup>.

-الشيخ أبو بكر عتيق بن أحمد بن محمد بن بابا الأبيوردي المروزي، قتل صبرا في وقعة الغَزّ يوم الجمعة الحادي عشر من سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>2</sup>.

-الشيخ أبو بكر فضل الله بن المفضل بن فضل الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الميهني، قتله الغَزّ في العقوبة والضرب في ذي الحجة، سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>3</sup>.

-الشيخ أبو الفضل الليث بن أحمد بن أبي الفضل، المقرئ البغويّ، فقد في إغارة الغَزّ، فلم يعرف له خبر، ولعله قتل في موضع خفي وذلك في جمادى الأولى، وقيل في شوال، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>4</sup>.

-الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن الجنيد بن محمد بن أحمد بن محتاج الميهني الخطيب، قتله الغَزّ في العقوبة في ذي القعدة أو ذي الحجة من سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>5</sup>.

-الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن بن أحمد ابن أبي نصر الزَّندخاني، قتل في وقعة الغَزّ وإغارتهم على سرخس في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة بعد أن عوقب بالنار<sup>6</sup>.

-الشيخ أبو نصر محمد بن الحسن بن محمد، الأديب الكوفي، توفي في معاقبة الغَزّ ومطالبتهم في أواخر رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>7</sup>.

-الشيخ أبو بكر محمد بن الحسن ابن أبي جعفر ابن أبي سهل الأديب الزَّوزنيّ، فقد في واقعة الغَزّ ولا يدرى أقتل صبرا أم مات في العقوبة، ولم يعرف له خبر، وذلك في العشر الأوسط من رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>8</sup>.

-الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الثَّابتي الخمقريّ من أهل بنج ديه، قتل في فتنه الغَزّ بدولاب الخازن في العقوبة بالنار سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>9</sup>.

1-المصدر نفسه، ج2، ص1278-1279.

2-المصدر نفسه، ج3، ص1282-1283.

3-المصدر نفسه، ج3، ص1326.

4-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، ج3، ص1341-1342.

5-المصدر نفسه، ج3، ص1356-1357.

6-المصدر نفسه، ج3، ص1419-1420. السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج6، ص312.

7-المصدر نفسه، ج3، ص1424-1425.

8-المصدر نفسه، ج3، ص1430.

9-المصدر نفسه، ج3، ص1481-1482.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

- الشيخ أبو منصور محمد بن عبد الصمد بن أحمد بن عبد الله ابن المنصوري الملقب بآذي، توفي في معاقبة الغزّ بنيسابور في أواخر شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>1</sup>.
- الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن هارون بن محمد الموسوي النّسابة، قتل في وقعة الغزّ والإغارة على نيسابور في شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>2</sup>.
- الشيخ أبو الفتح محمد بن الفضل بن علي المارشكي، توفي بطوس خوفاً من الغزّ وقت نزولهم بطوس وإحاطتهم بها من غير معاقبة في أواخر شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>3</sup>.
- الشيخ أبو المكارم محمد بن محمد بن طاهر بن سعيد بن فضل الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الميهني، قتل في معاقبة الغزّ بمهنة في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>4</sup>.
- الشيخ أبو سعد محمد بن محمد بن منصور بن عبد الله بن أحمد الغازي الغزّال، فقد في وقعة الغزّ بمرو في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة فلا ندري مات في العقوبة أو أحرق<sup>5</sup>.
- الشيخ أبو سعد محمد بن يحيى بن منصور الجنزي، قتل بنيسابور في جامعها الجديد في الحادي عشر من شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ورزق الشهادة حين أقدم الغزّ على قتله عند إغارته على نيسابور<sup>6</sup>.
- الشيخ أبو بكر محمود بن محمد بن محمود بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن شجاع الشّجاعيّ السّرخسي المعروف بالسّره مرد، قتل في وقعة الغزّ بسرخس في رمضان وقيل في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>7</sup>.
- الشيخ أبو بكر مسعود بن احمد بن نصر الله بن أحمد بن عثمان بن أحمد ابن محمد بن خشنام بن باذان الخشناميّ العتّابي، قتل في فتنة الغزّ منتصف شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>8</sup>.
- الشيخ أبو القاسم المطهر بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الطّبرائيّ الصّوفي، قتله الغزّ بمرو بظاهر قرية بيازكان صبرا ليلة الأحد وقت السّحر الثّالث عشر من رجب، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>9</sup>.

1-المصدر نفسه، ج3، ص1498-1499.

2-المصدر نفسه، ج3، ص1562-1563.

3-المصدر نفسه، ج3، ص1572. السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج11، ص68-69. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص387.

4-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، ج3، ص1601-1602.

5-المصدر نفسه، ج3، ص1617.

6-المصدر نفسه، ج3، ص1648-1649.

7-المصدر نفسه، ج3، ص1704-1705.

8-المصدر نفسه، ج3، ص1716-1717.

9-المصدر نفسه، ج3، ص1735.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-الشيخ أبو نصر منصور بن محمد ابن أبي نصر منصور الهلائي الباخريزي الماليني، قتل بنيسابور في وقعة الغز وإغارتم عليها في الحادي عشر من شوال سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>1</sup>.

-الشيخ أبو نصر منصور بن ناصر بن منصور الشوكاني القاضي، قتل في سنة خمسين وخمسمائة في معاقبة الغز<sup>2</sup>.

-الشيخ أبو المعالي الموفق بن محمد بن عمر بن أبي بكر بن طاهر الصكّاك الطبراني الشروطي الطوسي، قتله الغز بطوس في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة<sup>3</sup>.

-الشيخ أبو الفتح محمد بن عمر بن محمد الشيزري، قتل صبرا يوم الخميس العاشر من رجب سنة ثمان وأربعين وخمسمائة<sup>4</sup>.

-الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي بن عطاء الفلخاري المعروف بالمرورودي، قتل بمرور شهيدا في الوقعة الخوارزمشاهية، أصابه سهم عائر وهو في الصلاة. وتوفي منه في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمرود وفن في داره بأسفل الماحان<sup>5</sup>.

-الفقيه الشافعي إبراهيم المروزي، قتل على يد الخوارزميين سنة 536هـ، والفقيه علي بن محمد بن أرسلان<sup>6</sup>.

-القاضي أبو الحسن بن القاضي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب، قتل في الفتنة التي جرت بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة في شهر محرم سنة 479هـ، حيث أصابه سهم أودى بحياته<sup>7</sup>.

-الفقيه الحنفي أحمد بن الحسين البلخي الذي كان مطاعا عند الناس، قتله صاحب كرمان تيرانشاه بن تورانشاه سنة 494هـ<sup>8</sup>.

-القاضي أبو علي بن المثنى، قتله الرعيون بـ"هيت"، في صفر سنة 495هـ، وكان هذا القاضي على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه في ذلك إلى التحامل عليهم، فقتله أحدهم، وندم الباقون على قتله، وقد فات الأمر<sup>9</sup>.

1-المصدر نفسه، ج3، ص1756.

2-المصدر نفسه، ج3، ص1758.

3-المصدر نفسه، ج3، ص1760-1761.

4-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج7، ص460.

5-المصدر نفسه، ج9، ص325-326.

6-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص323.

7-المصدر نفسه، ج8، ص449.

8-المصدر نفسه، ج9، ص41.

9-المصدر نفسه، ج9، ص60.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-أبو المظفر بن الحجندي، قتله رجل علوي وهو يعظ الناس، فلما نزل من كرسي الوعظ قام بقتله في شعبان سنة 496هـ<sup>1</sup>.

-الطبيب أبو نعيم بن ساوة الواسطي، وكان من الحذاق في الطب وله فيه إصابات حسنة، قتل سنة 497هـ<sup>2</sup>.  
-القاضي محمد بن عبد العزيز بن إلياس، قتله جاولي سقاوو صاحب بلاد فارس، لما اقتحم مدينة بالس يوم 18 صفر سنة 502هـ<sup>3</sup>.

-الفقيه الشافعي عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الروياني الطبري، قتل في شهر محرم سنة 502هـ<sup>4</sup>.

-قاضي القضاة الحسن بن محمد الأرسابندي، قتله الغز سنة 548هـ عند دخولهم مرو الشاهجان.  
-القاضي علي بن مسعود هو الآخر قتله الغز لما استباحوا مرو الشاهجان سنة 548هـ.  
-الشيخ محي الدين محمد بن يحيى قتل على أيديهم عند اقتحامهم مرو الشاهجان سنة 548هـ<sup>5</sup>.  
-الخطيب إسماعيل بن المحسن الطوسي، قتله الغز سنة 548هـ.  
-شيخ شيوخ مدينة طوس محمد بن محمد، قتل على أيدي الغز سنة 548هـ<sup>6</sup>.  
-الفقيه الشافعي محمد بن يحيى الذي لم يكن في زمانه مثله، قتله الغز في شوال سنة 549هـ بنيسابور<sup>7</sup>.  
-كما قتلوا عبد الرحمن بن عبد الصمد الأكاف الزاهد، وأحمد بن الحسين الكاتب سبط القشيري، وأبو البركات الفراوي، والإمام علي الصباغ المتكلم، وأحمد بن محمد بن حامد، وعبد الوهاب المقاباذي، والقاضي صاعد بن عبد الملك بن صاعد، والحسن بن عبد الحميد الرازي<sup>8</sup>.  
-الفقيه الشافعي جلال الدين الموفق، قتل في حصار مدينة شارستان بالقرب من نيسابور، وذلك أثناء ركوبه إذ وصل إليه حجر منجنيق فقتله في الخامس جمادى الآخرة سنة 556هـ<sup>9</sup>.

1-المصدر نفسه، ج9، ص69.

2-المصدر نفسه، ج9، ص75.

3-المصدر نفسه، ج9، ص128.

4-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج9، ص134.

5-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص385-386.

6-المصدر نفسه، ج9، ص387.

7-المصدر نفسه، ج9، الصفحة نفسها.

8-المصدر نفسه، ج9، ص388.

9-المصدر نفسه، ج9، ص452.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

-الفقيه الشافعي صدر الدين محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي رئيس الشافعية في أصفهان، قتله فلك الدين سنقر الطويل شحنة أصفهان بها، لما جرت منافرة بينهما وذلك سنة 592هـ<sup>1</sup>.

-الفقيه صدر الدين محمد بن الوزان رئيس الشافعية بالري قتل في حصار قلعة الموت سنة 595هـ<sup>2</sup>.

ومن الخن التي امتحن بها العلماء خلال الفترة السلجوقية، القبض عليهم أثناء الفتن والحروب التي كانت تجري بين السلاجقة وأعدائهم، فقد قبض على الفقيه الحنفي أبي الفضل الكرمانى (ت 543هـ) عندما دخل خوارزم شاه مدينة مرو بعد انتصاره على السلطان السلجوقي سنجر<sup>3</sup>، كما أسر الفقيه الحنفي الشهير الحسام عمر بن عبد العزيز بن مازة البخاري على يد عساكر خوارزم شاه، ثم أطلق سراحه<sup>4</sup>.

كما لا ننسى أن كثيرا من العلماء تعرض لمحنة العزل من التدريس، إذ "...أنه في المحرم 545هـ جلس يوسف الدمشقي مدرسا في النظامية من جانب الأعاجم وألقى الدرس واجتمع له الفقهاء والخلق الكثير ولم يكن ذلك عن إذن الخليفة وكان ميل الخليفة إلى ابن النظام فلما كان يوم الجمعة منع يوسف من الدخول إلى الجامع وإلى دار الخلافة وضربت جماعة من أصحابه بالخشب وصلى الجمعة في جامع السلطان ولم يعد إلى المدرسة وألزم بيته..."<sup>5</sup>، يضاف إلى ذلك المنع الذي يتعرض له العلماء بين الفينة والأخرى من قبل السلطة السياسية، حيث منع المحدثون من قراءة الحديث في جامع القصر سنة 555هـ، بسبب صبيان جهلة حينما قرأوا شيئا من أخبار الصفات، ثم أتبعوا ذلك بدم المتأولين وكتبوا على جزء من تصانيف أبي نعيم اللعن له والسب، فبلغ ذلك أستاذ دار الخلافة فأمر بمنعهم عن قراءة الحديث<sup>6</sup>.

وفي السياق ذاته حدثت محنة للفقيه يوسف الدمشقي المدرس بنظامية بغداد سنة 560هـ، باتهامه زورا من قبل ابن البراج ناظر وقف النظامية وابن الرميلى المشرف عليه، حيث قاما بتلفيق رسالة على لسان "الدكر" المناوئ للخلافة العباسية، كتبها إلى يوسف الدمشقي، تظهر ميله إليه، وأنه يعلمه بكل ما يجري في بغداد، وفي نفس الوقت يشكره على ما يقوم به، وقررا أن يذهبا إلى بيت يوسف الدمشقي ويسلما عليه ويضعوا الرسالة عند مسنده دون أن يحس بذلك، ومن ثم يخرجان إلى ديوان الخلافة لإخبار الوزير بأمره، ولكن ابن الرميلى انفرد على ابن البراج ودخل إلى حاجب الباب فأعلمه بذلك، فمضى هذا الأخير إلى الوزير وأخبره، فقام الوزير باستدعاء ابن الرميلى وسأله عن

1-المصدر نفسه، ج10، ص244.

2-المصدر نفسه، ج10، ص263.

3-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص319، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص17.

4-المصدر نفسه، ج9، ص322.

5-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص77.

6-المصدر نفسه، ج18، ص138.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

ذلك، ولكنه أنكر ما جرى فكذبه حاجب الباب، عندها قال أن ابن البراج هو الذي يريد أن يفعل ذلك، فاستدعي ابن البراج وأنكر هو الآخر كل شيء، ورد الأمر على ابن الرميلى الذي أقسم بالطلاق الثلاث أنه ما عنده خبر من هذا، وتم قذف ابن الرميلى بالفسق، كما سببا بعضهما البعض حتى قال لهما الوزير: قوما قبحكما الله، فخرجوا مفتضحين ونجا يوسف الدمشقي<sup>1</sup>.

ومن العلماء الذين تعرضوا لمحنة، الفقيه عبد الوهاب بن محمد الفارسي المدرس في نظامية بغداد، الذي اتهم بالتمذهب بمذهب المعتزلة، ثم عزل من التدريس<sup>2</sup>، أما أبو بكر الشاشي (ت 488هـ) لما تولى منصب قاضي القضاة سنة 478هـ، ولم يستنيب أحدا ولم يحابي مخلوقا، وكان مقيما للحق، فنفرت منه قلوب المبطلين، وقاموا بتلفيق معائب عليه، سببت له سخط الخليفة العباسي المستظهر ومنع الشهود من حضور مجلسه، وأشاع عزله فقال: لم يطر عليّ فسق استحق به العزل<sup>3</sup>، في حين منع أبو الحسين العبادي من الوعظ والتذكير سنة 486هـ، حينما تكلم في الربا وبيع القراضة-أي ما سقط بالقرض- بالصحيح، وأمر بالخروج من بغداد فخرج<sup>4</sup>.

وقد تعرض عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر لمحنة حرقت فيها كتبه، بسبب العداوة التي كانت بينه وبين أستاذ دار الخلافة ابن يونس، وكان عبد السلام مداخلًا للدولة وعنده كتب كثيرة، فكبس ابن يونس داره وأخرج منها كتبًا في فنون منها: -الشفاء- والنجاة- وإخوان الصفا- وكتب الفلاسفة والمنطق- وتبخير الكواكب والنارنجيات والسحر، واستدعى العلماء والفقهاء والقضاة والأعيان، الذين استمعوا إلى بعض ما كتبه في مخاطبة كوكب زحل قائلا: أيها الكوكب المضيء النير الفرد، أنت تدبر الأفلاك. فقال ابن يونس لعبد السلام: هذا خطئك؟ قال: نعم. قال: لما كتبت؟ قال: لأردّه على قائله ومن يعتقده. فسألوه فيه، فقال: لا بد من حريق الكتب. فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر صفر جلس قاضي القضاة والنوّاني والعلماء، وتم إحراق كتبه بحضور الناس، وحكم القاضي بتفسيقه ورمي طيلسانه<sup>5</sup>.

والجدير بالذكر أن عبد الرحمن ابن الجوزي وقع في محنة عويصة، حينما عزل ابن يونس من أستاذية دار الخلافة وقبض عليه، قام ابن القصاب بتتبع أصحابه، فقال له الركن عبد السلام: أين أنت من ابن الجوزي؟ هو كان من أكابر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرق كتي بمشورته، وهو ناصبي من أولاد أبي بكر. وكان ابن

1-المصدر نفسه، ج18، ص163.

1-الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، المجلد الثاني، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ص683.

3-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص28.

4-المصدر نفسه، ج17، ص04.

5-سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج22، ص05-06.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

القصّاب متشيعاً، فكتب إلى الخليفة، وساعده جماعة من أهل مذهبه ولَبَسُوا على الخليفة فأمر بتسليمه إلى عبد السلام. فانطلق للقبض على ابن الجوزي في بيته بدار بنفشاً بباب الأزج، وهجم عليه السرداب وأسمعه غليظ الكلام، وختم على داره وكتبه وشَتَّت عياله، وتم حمله ليلاً إلى السفينة، وكان معه عبد السلام لا غير، فأخذ إلى واسط، وفي الطريق تكلم معه، وابن الجوزي لا يجيبه، ومنع عنه الطعام خمسة أياماً حتى وصل واسط، التي كان ناظرها العميد ابن مينا وكان متشيعاً، فقال له عبد السلام: حرس الله أيامك، مَكِّي من عدوي لأرميه في المطمورة، فعزَّ عليه وزيره، وقال: يا زنديق، أرمي ابن الجوزي في المطمورة بقولك، هات خط الخليفة! والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته. فعاد عبد السلام إلى بغداد، وأقام ابن الجوزي في دار بدر بن الديوان، وعلى بابيه بواب لا غير، وكان قد قارب ثمانين سنة، فكان يخدم نفسه؛ يغسل ثوبه، ويطبّخ، ويستقي الماء من البئر، ولم يدخل الحمام مدة خمس سنين مقامه بواسط<sup>1</sup>.

بلغ عدد العلماء الذين تعرضوا للمحن خلال العصر السلجوقي حوالي 69 عالماً، حيث قتل 41 منهم على يد قبائل الغز بعد انتصارهم على السلطان السلجوقي سنجر سنة 548هـ<sup>2</sup>، و21 عالماً قتل بأسباب مختلفة سواء على يد اللصوص أو السلطان أو في المعارك بين السلاجقة وخصومهم، في حين تعرض 07 منهم لمحن أخرى كالنفسي والسجن والعزل من المناصب المختلفة، وهذا ما بينه الشكل البياني التالي:

1- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج2، ص31.

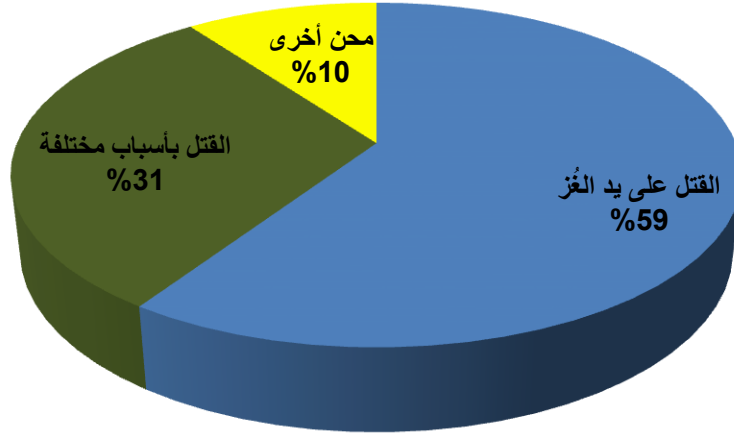
3- لمزيد من التفصيل حول قتل العلماء على أيدي قبائل الغز ينظر: خالد بن عبد الله السعيد، مذابح العلماء في فتنة الغز بخراسان (548هـ -

552هـ/1153م - 1157م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 42، أبريل 2020م، صص 99-114.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

### أعداد العلماء الذين تعرضوا للمحن خلال العصر السلجوقي



### 3- أدوار اجتماعية أخرى للعلماء في العصر السلجوقي:

لقد تنوعت الأدوار الاجتماعية للعلماء في العصر السلجوقي وتعددت، بحيث مست كل شؤون المجتمع بوتيرة ومؤشر متصاعد ومتزايد، على حسب مقدرة هؤلاء العلماء في القيام بالعمل الاجتماعي على جميع الأصعدة والفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية، وكذا على قدر الظروف والتغيرات التي كانت يمر بها المجتمع في العصر السلجوقي، فبالإضافة إلى حضورهم الدائم والمستمر فيه، والمشاركة في الفعاليات الهامة والمناسبات الكبرى، إلا أنَّ أدوارهم ظلت عنواناً على شغفهم لخدمة مجتمعهم وتوجيهه وإرشاده وتقديم العون لأفراده، حتى أضحو ملجأ للمحتاجين وأمناً للخائفين ومقصداً لقضاء الحوائج.

يعد أبو المحاسن الجولكي (ت454هـ) من العلماء الذين اشتهروا بقضاء حوائج الناس، فقد "كانت حضرته مجمع الأدباء والشعراء والفقهاء، ولكل واحد منهم نوبة، وفي كل يوم مجلس للخوض في فن منها بين يديه، وهو يخوض فيها وينظر، وترتبط الأفاضل عنده ويكرم موردتهم ويحسن قراهم، ويسرحهم من حضرته مع قضاء الحوائج وكفاية ما هم بصدد من المآرب..<sup>1</sup>"، والشيخ أبو القاسم علي بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله المحمي (ت472هـ)، أوصى ببعض ماله للفقراء والمحتاجين، وأعتق رقاباً، وصرف منها إلى الحج<sup>2</sup>، وكذلك الإمام أبو

1- الفارسي أبو الحسن، المصدر السابق، ص102.

2- المصدر نفسه، ص295.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الحسن علي بن محمد الأنباري الذي لما حضرته الوفاة، تصدق بدنائير كانت عنده<sup>1</sup>، وأيضاً مسعود بن ناصر بن أبي زيد السجزي الركاب الحافظ (ت477هـ) الذي كان ينفق ما يفتح له على الطلبة، كما قام بتوقيف كتبه في مسجد عقيل<sup>2</sup>، ونفس الأمر قام به الإمام أبو نصر ناصر بن أحمد بن محمد بن محمد بن العباس بن مسلم بن عبد الله بن الفضل بن سليمان الطوسي (ت468هـ)، حيث كانت له كتب نفيسة أوقفها<sup>3</sup>.

وكان العلماء يجلسون للعامة حتى يستمعوا إلى أحوالهم وينظروا مطالبهم ويرفعوا شكاويهم، فهذا الإمام الخطيب عبد السلام بن أبي القاسم الصابوني الكسبي جلس للعامة بنسف قبل سنة 480هـ<sup>4</sup>، وكذلك الإمام الواعظ الحجاج أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن علي بن محمد الكسائي البخاري (ت518هـ) الذي جلس للعامة بسمرقند<sup>5</sup>، وأيضاً الشيخ الإمام شمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب هو الحلواني البخاري (ت452هـ) هو الآخر جلس للعامة<sup>6</sup>.

أما أبو عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد بن جعفر بن داود السلماسي (ت446هـ)، فقد كان مشهوراً باصطناع البر وفعل الخير وافتقاد الفقراء وكثرة الصدقة<sup>7</sup>، كما عرف عن أبي منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف الملقب بالشيخ الأجل (ت460هـ) أنه كان أوحده زمانه في فعل المعروف، والقيام بأمر العلم، وافتقاد المستورين بالبر ودوام الصدقة، وكان إذا وصل أحداً وصله سرا حيث لا يراه أحد، فإذا شكره المعطي قال: إنما أنا في هذه العطية وسيط وليست من مالي<sup>8</sup>، وكذلك الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت463هـ)، الذي مهدي (ت463هـ)، الذي كان له شيء من المال، فكتب إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله قائلاً: إني إذا مت كان مالي لبيت المال، وإني أستأذن أن أفرقه على من شئت. فأذن له ففرقه على أصحاب الحديث، وكان مائتي دينار، ووقف كتبه على المسلمين، ووصى أن يتصدق بجميع ما عليه من الثياب<sup>9</sup>، وبعض العلماء بنوا رباطات كأبي عمر أحمد بن محمد بن عثمان السنخواني (ت472هـ)<sup>10</sup>، وأبي الفتح سهل بن أحمد بن علي الأرماني

1- المصدر نفسه، ص296.

2- المصدر نفسه، ص366-367.

3- المصدر نفسه، ص394-395.

4- النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص392.

5- النسفي، المصدر السابق، ص404.

6- المصدر نفسه، ص427-428.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص345.

8- المصدر نفسه، ج16، ص108.

9- المصدر نفسه، ج16، ص134.

10- المصدر نفسه، ج16، ص207.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الحاكم (ت499هـ)<sup>1</sup>، وأبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب العامري المعروف بابن الجنازة (ت530هـ)<sup>2</sup>، وكان أبو سعد عبد الملك بن محمد بن الحسن السَّامري (ت493هـ) كثير الصدقة، ظاهر المعروف<sup>3</sup>، وأيضاً أبو محمد الخلال (ت547هـ) الذي كان كثير الرغبة إلى الخير وأهله، سخي النفس، بذل مالا كبيراً على الفقراء والصالحين<sup>4</sup>، ومنهم من كان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار ويوصلها إلى المستحقين والمستورين من ذوي الحاجات والأرامل واليتامى وأولي الضرر<sup>5</sup>، والبعض الآخر عرف بلقب خادم الفقراء كأبي تميم الصوفي (ت548هـ)<sup>6</sup> وهناك علماء أوقفوا كتباً ودوراً، فهذا أبو محمد عبد الله بن المبارك بن الحسن العكبري المقرئ، ويعرف بابن نبال (ت528هـ)، باع أحد أملاكه واشترى كتاب الفنون وكتاب الفصول لابن عقيل، ووقفهما على المسلمين<sup>7</sup>، وكذلك أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي ابن الأبردي (ت531هـ)، الذي وقف دار له بالبدرية، فجعلها مدرسة لأصحاب أحمد بن حنبل<sup>8</sup>، ولا ننسى أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمدويه البزاز (ت539هـ)، هو الآخر اشترى كتباً كثيرة ورجع إلى مرو، فبنى خزانة الكتب في رباط بناه باسم أصحاب الحديث وطلابه من خاصة ماله ووقف كتبه فيه<sup>9</sup>، ومنهم أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري (ت572هـ)، الذي بنى مدرسة بالموصل ومدرسة بنصيبين وقف عليها وقفاً<sup>10</sup>، وكان الشيخ أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي القاسم بن إسحاق بن أحمد اللؤلؤي المعروف بالفقيه السُّونجي كافياً يقضي حوائج الناس وأمورهم<sup>11</sup>.

وبعض العلماء كان ينظر في أحوال الرعية ويتوسط للعامّة، كأبي سعيد محمد بن علي بن محمد العربي الصوفي السمناني (توفي قبل سنة 530هـ بقليل)، الذي قدم إلى مرو طالبا التخفيف من السلطان السلجوقي سنجر بن

1- المصدر نفسه، ج17، ص96.

2- المصدر نفسه، ج17، ص317-318.

3- المصدر نفسه، ج17، ص58.

4- السمعاني، التَّحْيِير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، الجزء الثاني، د.م، د.ت، ص348-349.

11- الودعاني هند، الدور الاجتماعي للعلماء في إقليم خراسان إبان العصر السلجوقي (429هـ-552هـ)، مجلة الدراسات التاريخية

والاجتماعية، العدد 23، سنة 2017م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكشوط، ص114.

6- السمعاني، التَّحْيِير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج2، ص251.

7- ابن الجوزي، المنتظم، المصدر السابق، ج17، ص287.

8- المصدر نفسه، ج17، ص325.

9- المصدر نفسه، ج18، ص40.

10- المصدر نفسه، ج18، ص233.

11- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج3، ص1395.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

ملكشاه للرعية<sup>1</sup>، أما أبو المعالي محدود بن محمد بن محمود بن عبد الله بن القاسم الرّشيدِيّ الجوهريّ المتولّي (ت539هـ) فقد اشترى كتباً كثيرة وأوقفها بالجامع المنيعي<sup>2</sup>، وكذلك أبو حفص عمر بن أحمد بن محمد بن الحسن بن شاهين الفارسي الشاهيني ثم السمرقندي (ت454هـ)، كانت له بسمرقند خيرات كثيرة من الأوقاف على الفقراء في أيام عاشوراء وغيرها<sup>3</sup>، يضاف إليهم الرئيس الحاجي أبو علي حسان بن سعيد بن حسان بن محمد محمد ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي (ت463هـ)، الذي اشتهر بكثرة فعل الخير وأعمال البر، من بناء للمساجد كمسجد نيسابور، والمدارس والرباطات وتربية العلماء وترتيب أمورهم<sup>4</sup>، وقد وصف الشيخ عبد القادر الجيلاني بأنه: "كان يقف مع الصغير وبوقر الكبير، ويبدأ بالسلام ويجالس الضعفاء ويتواضع للفقراء، وما قام لأحد من العظماء ولا الأعيان، ولا ألم بباب وزير أو سلطان، وكان له غرام بإطعام الطعام والإنفاق على ذوي الحاجة والعاهة، وكان يقول: فتشت عن الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، ولا أشرف من الخلق الحسن، وأود لو كانت الدنيا بيدي أطعمها لجائع"<sup>5</sup>، كما بنى الشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النّعال الحنبلي (ت609هـ) رباطاً بباب الأزج، يأوي إليه أهل العلم من المقدسة وغيرهم<sup>6</sup>. وعرف أبو نصر الفاشاني (ت529هـ) بعفة النفس والورع والرغبة الجاحمة في بناء المساجد والرباطات والحياض<sup>7</sup>، أما أبو البركات محمد بن أحمد بن قفرجل المهجر (ت465هـ)، فكان يملك نحواً من عشرين ألف دينار، حيث أوصى بثلاث المبلغ صدقة، كما أخرج قبل وفاته ألف دينار، فتصدق بها<sup>8</sup>. وهناك علماء توسطوا بين المتخاصمين كأبي سعيد أحمد بن إبراهيم بن موسى الشاماني (ت454هـ)، وأضحى عدد منهم -أي العلماء- مقصداً للغرباء والطائرين على نيسابور، مثل أبو علي الفضل بن محمد الفارمزي (ت477هـ)، أما أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي (ت533هـ)، فقد كان يكرم الغرباء الواردين عليه ويمرضهم ويدأويهم ويعيرهم الكتب<sup>9</sup>، يضاف إليه كل

1- المصدر نفسه، مج3، ص1553-1554.

2- المصدر نفسه، مج3، ص1768-1769.

3- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج7، ص272.

4- المصدر نفسه، ج11، ص509.

1- ابن رجب عبد الرحمن، المصدر السابق، الجزء03، ص107.

6- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج22، ص193.

7- السمعاني، التّحبير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج2، ص232.

8- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص152.

9- الودعاني هند، المرجع السابق، ص119.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

من أبي سعد محمد بن أحمد النوقاني (ت548هـ)، وأبي سعيد محمد بن أحمد الصاعدي (ت527هـ) اللذين أكرما الغرباء الواردين عليهما<sup>1</sup>.

ووجد علماء تصدوا لتعليم الناس الفروسية، مثل الشيخ أبو بكر الملقاباذي (ت540هـ) الذي كان يعلم الناس الفروسية والرمي لبراعته في تلك الصنعة<sup>2</sup>.

من خلال ما سبق يمكن القول أنَّ العلماء استطاعوا من خلال تواجدهم بين المجتمع والسلطة في العصر السلجوقي، في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، إضافة جهد آخر إلى الجهود المبذولة في دورهم في الحياة الاجتماعية في هذه الفترة، فرغم الصعوبات التي اعترضتهم والحن التي تعرضوا لها، إلا أنهم واصلوا تأدية واجبهم على أكمل وجه، وأثبتوا أن حضور العلماء في المجتمع والسلطة السياسية كفيل بالعمل الجاد على تجاوز جميع العوائق والأزمات والصراعات، والسعي من خلال تضافر جهود المجتمع والسلطة لإعمار البلاد وتحقيق الرفاه والأمن للجميع.

## -الفصل الرابع: دور العلماء وجهودهم في مواجهة الأزمات

### والكوارث خلال العصر السلجوقي

#### 1- الأزمات والكوارث بأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء

#### النهر خلال العصر السلجوقي

#### 2- جهود العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث في العصر

#### السلجوقي

#### أ- صلاة الاستسقاء

1- السمعاني، التخيير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج2، ص74/70.

2- المصدر نفسه، ج1، ص394.

**ب- تشييع الجنائن**

**ج- إجرأاتهم للتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية.**

**د- محاربة الغلاء والمجاعات والفقر.**

إنَّ حدوث الأزمات والكوارث بجميع أنواعها، يعتبر أكبر تحدي واجهه العلماء المسلمون في مختلف العصور الإسلامية وعبر جميع مناطق العالم الإسلامي، إذ أنيط بهم بذل جهود مضاعفة والوقوف مع السلطة والمجتمع من أجل تخفيف آثار الأزمات والكوارث التي تقع بين الفينة والأخرى، ومحاولة العمل الجاد على توحيد جهود الجميع لتفادي التبعات الخطيرة التي تنجر عن حدوثها.

لقد أدرك العلماء في العصر السلجوقي خطورة التملص من واجبهم اتجاه مجتمعهم عند حدوث الأزمات والكوارث، لذلك كانوا السباقين لأخذ المواقع الريادية للقيام بما يجب عليهم، من تثبيت للناس وتذكيرهم بضرورة الصبر والتضرع إلى الله تعالى والإكثار من الدعاء، وكذا تقديم المساعدات المختلفة لهم من أغذية وأدوية وملابس، وأيضا التنسيق مع رجال السلطنة السلجوقية والخلافة العباسية في سبيل كل ذلك، وفي وقت الجفاف كانوا يخرجون مع الجموع الغفيرة لأداء صلاة الاستسقاء وهكذا، عملوا دائما على مواساة المتضررين والمنكوبين ودفن الموتى والصلاة عليهم، والتخفيف من آلام عائلاتهم وذويهم، وفي كثير من الأحيان كان العلماء في مقدمة ضحايا الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات وجفاف وحرائق، والأزمات كالأوبئة و الطواعين والمجاعات والحروب والفتن، التي شهدتها أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

كان تواجد العلماء وحضورهم أثناء الأزمات والكوارث، يعد من أعظم الأدوار التي أدوها في العصر السلجوقي، خصوصاً أنه لا يتسنى لغيرهم القيام به، فهم قطب الرchy فيه، الحقيقون بأدائه الخليقون بتحقيقه وإنجازه، لما له من خصوصية تختلف كثيراً عن بقية الأدوار، إذ لا يستطيعه جميع أفراد وفئات المجتمع، وذلك لعظم الضرر الذي يلحقهم والكرب الذي يصيبهم، فيأتي تدخل العلماء وتخفيفهم عنهم مثل المرهم لجروحهم، والترىاق لأدوائهم، والشفاء لأمراضهم، فلا يعقل أن يكون العلماء بعيدين عن ما يصيب مجتمعهم من أزمات وكوارث، إلا أن سكوت المصادر التي استقصت ما جرى من كوارث وأزمات، عن هؤلاء العلماء ودورهم، يطرح إشكالا كبيرا، يصعب من مهمتنا في تتبع ما قاموا به، إلا أننا نحاول من خلالها معرفة حجم الجهود المبذولة من قبلهم.

مؤكدین على رقي الأمة الإسلامية، وجمادرتها بالحياة، واستحقاقها لقيادة العالم، من ذلك سمو النزعة الإنسانية في أفرادها، سمو يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان<sup>1</sup>، وكذا مشددين على المسلمين ومذكرين لهم بنعم الله تعالى الكثيرة في هذا الكون، خاصة عندما يتليهم الله سبحانه وتعالى بما يراه لحكمة يعلمها، فيضيق عليهم بعض تلك النعم، ويمتحنهم بالجفاف تارة، والأعاصير والفيضانات والزلازل وغيرها أحياناً أخرى<sup>2</sup>. بالإضافة إلى الحروب الداخلية التي شهدتها الدولة السلجوقية، حيث كان لها تداعيات خطيرة كالغلاء الفاحش، والأزمة الاقتصادية التي أدت إلى انتشار الأوبئة والأمراض، وكبدتها خسائر كبيرة في الأموال والأنفس<sup>3</sup>.

### 1-الأزمات والكوارث بأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي

تعرض العراق إلى كوارث طبيعة منها الزلازل المدمرة التي خلفت وراءها الدمار، وفي بعض الأحيان دمار شامل لاسيما الدور والقصور العائدة للخلفاء والأمراء والوزراء، وكوارث طبيعية أخرى منها ما تعرض لنهري دجلة والفرات من زيادة الماء وارتفاعه عن الحد المألوف، فيخلفان وراءهما دماراً للمزارع وغرقاً للمدن وشوارعها، كبغداد حاضرة الدولة العباسية، ويتبع ذلك فقدان الأطعمة وارتفاع أسعار المواد الغذائية وانتشار الجوع والأمراض والأوبئة، وهروب

1- السباعي مصطفى، من روائع حضارتنا، ط1، القاهرة، دار السلام، 1418هـ، ص94.

2- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص200.

3- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص200.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الناس خارج المدينة، وأحيانا أخرى يؤدي نقصان مياه دجلة والفرات إلى قلة الزراعة مع ارتفاع الأسعار وحالة الجوع القاتل وحدوث الأمراض والأوبئة<sup>1</sup>، وفي ما يلي تتبع للأزمات والكوارث التي حدثت في هذا الإقليم:

يتحدث ابن الجوزي عن الغلاء الذي وقع سنة 448هـ بالعراق قائلا: "وفي هذا الوقت غلت الأسعار، فبلغ الكر الحنطة -وقد كان يساوي نيفا وعشرين دينارا- تسعين دينارا، وتعذر التبن حتى كان يباع الكساء من التبن بعشرة قرايط، وانقطعت الطريق من القوافل للنهب المتدارك، وكان أهل النواحي يجيئون بأموالهم مع الخفر فيبيعونها ببغداد مخافة النهب، ولحق الفقراء والمتجملين من معاناة الغلاء ما كان سببا للوباء والموت حتى دفنوا بغير غسل ولا تكفين، وكان الناس يأكلون الميتة، ويبيع اللحم رطلا بقرط، وأربع دجاجات بدينار، ونصف قفيز أرز بدينار، ومائة كراثة بدينار، ومائة أصل خس بدينار، وعدمت الأشرية فبلغ المن من الشراب دينارا، والمكوك من بزر البقلة سبعة دنانير، والسفرجلة، والرمانة دينارا، والخيارة والنيلوفة دينارا، واغبر الجو، وفسد الهواء، وكثر الذباب.... وعم الوباء والغلاء... الموصل..."<sup>2</sup>، وفي هذه السنة أيضا تسبب الحصار الذي فرضه عميد العراق السلجوقي على مدينة واسط، باشتداد الغلاء حتى بيع التمر والخبز وكروش البقر كل خمسة أرتال بدينار، وإذا وجد الخبازي باعوه كل عشرين رطلا بدينار<sup>3</sup>. وكذلك في سنة 449هـ زاد الغلاء ببغداد والعراق حتى بيعت الكارة من الدقيق السميد بثلاثة عشر دينارا والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها، وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى فكانوا يجعلون الجماعة في الحفيرة<sup>4</sup>.

ذكر ابن الأثير في شهر شوال سنة 450هـ وقوع زلزلة عظيمة بالعراق والموصل، حتى أنها بلغت همدان، واستغرقت ساعة من الوقت، وتسببت بتخريب كثير من الدور وموت عدد كبير من الناس<sup>5</sup>، كما أشار إليها ابن الجوزي بقوله: "...وفي ثامن عشر شوال: بين المغرب والعشاء كانت زلزلة عظيمة لبثت ساعة عظيمة، ولحق الناس منها خوف شديد، وتهدمت دور كثيرة، ثم وردت الأخبار أنها اتصلت من بغداد إلى همدان، وواسط وعانة وتكريت، وذكر أن أرحاء كانت تدور فوقفت..."<sup>6</sup>، وأشار أيضا إلى تساقط البرد بأحجام كبيرة، يوم

2- قتيبة محمد مجيد، الكوارث الطبيعية والمظاهر الفلكية والوبائية في العصور العباسية المتأخرة في كتاب المنتظم لابن الجوزي من سنة 334هـ - 511هـ / 945م - 1117م، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية، ص 20.

2- المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 5.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 331.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 339.

5- المصدر نفسه، ج 8، ص 348.

6- المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 30.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الثلاثاء 16 محرم 450 هـ، فتسبب في هلاك كثير من الغلات، وكذلك في يوم السبت 14 صفر 450 هـ، شهدت النهروان وما يقاربها من سواد العراق تساقط برد بحجم بيض الدجاج، أدى إلى هلاك الغلات<sup>1</sup>. وشهدت سنة 454 هـ في السابع عشر من آذار الموافق لشهر ربيع الأول سيلا شديدا على مدار الليل والنهار، أدى إلى وقوف الماء في الدروب حتى سقطت منه الحيطان، ثم زادت شدة المطر وكثر الغيم في شهري آذار ونيسان، بالإضافة إلى تساقط البرد الذي تسبب في هلاك الثمار لضخامة حباته، كل ذلك حدث في بغداد وإقليمي فارس والجلال وأعمال الثغور، كما اقتلع السيل حلة الأكراد وغرقت الخيول المقيدة<sup>2</sup>.

وفي شهر شعبان سنة 459 هـ هبت ريح حارة فقتلت بضعة عشر نفسا كانوا مصعدين من واسط، وخيلا كثيرة، وأهلكت ببغداد أشجار الأترج والليمون<sup>3</sup>.

وفي سنة 466 هـ "...غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه أن دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة، وجاء الماء إلى المنازل من فوق ونبع من البلايع والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق..."<sup>4</sup>.

ذكر ابن الجوزي الكارثة التي وقعت في شهر صفر سنة 467 هـ بقوله: "...جاء سيل متتابع قاسى منه الناس بلاء صعبا، قرب أمره من يوم الغرق، فإن أكثر الأبنية لم تكن تمت، وإنما رفع الناس من البنيان ما قعدوا فيه فاحتاجوا إلى أن خرج أكثرهم وثيابهم على رؤوسهم، فقعدوا على التلول يقاسون المطر، وزاد تامرا من ذلك بضعة عشر ذراعا، ووقع وباء بالرحبة، فهلك فيه عشرة آلاف إنسان، وكذا في أوانا، وصريفين، وعكبرا، وطريق خراسان، وواسط، والبصرة، وخوزستان..."<sup>5</sup>، كما وقعت في شهر شوال سنة 467 هـ أيضا، نار ببغداد داخل دكان أحد الخبازين في ناحية نهر الملعى، أدت إلى احتراق 180 دكانا في السوق وكذا الدور، ثم وقعت نار في المأمونية، ثم في الظفرية، ثم في درب المطبخ، ثم في دار الخليفة، ثم في حمام السمرقندي، ثم في باب الأزعج ودرب خراسان، ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق ما لا يحصى<sup>6</sup>.

1-المصدر نفسه، ج16، ص29.

2-المصدر نفسه، ج16، ص74.

3-المصدر نفسه، ج16، ص102.

4-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص403.

5-المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص161.

6-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص408.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وفي سنة 468هـ "...أنه جاء جراد في شعبان كعدد الرمل والحصى، فأكل الغلات، فكدى أكثر الناس وجاعوا، وطحن السوادية الخرنوب مخلوطا بدقيق الدخن، ووقع الوباء، ثم منع الله سبحانه الجراد من الفساد، وكان يمرح بالقراح فلا يقع منه عليه واحدة، ورخصت لذلك الأسعار..."<sup>1</sup>، وكذلك انفجر البثوق بالفلوجة وانقطع الماء من النيل وغيره من تلك الأعمال من بلاد ديبس بن مزيد فجلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم<sup>2</sup>. أما في سنة 469هـ فقد "...كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقي كثير من الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت في الناس..."<sup>3</sup>، وفي جمادى الآخرة من نفس السنة زادت مياه نهر دجلة حتى بلغت إحدى وعشرين ذراعا ونصفا، وقام الناس بنقل أموالهم، كما أن الوزير فخر الدولة خرج إلى الفورج وبات عليه، وخيف من دخول الماء إلى دار الخلافة، عندها تم نقل تابوت الخليفة القائم بأمر الله ليلا إلى الترب بالرصافة<sup>4</sup>.

يذكر ابن الأثير في ربيع الأول سنة 478هـ بالعراق والموصل، هيجان ريح عظيمة سوداء بعد العشاء واشتداد الرعد والبرق، وسقوط رمل أحمر وتراب كثير على الأرض، واضطرام النيران في أطراف السماء، وحدوث الصواعق وتضرر النخيل والأشجار، حتى ظن الناس أن القيامة قد قامت، ولكن الخطب انتهى مع نصف الليل<sup>5</sup>. وبعد عام من ذلك، بدأ في جمادى الآخرة الطاعون بالعراق، وكان عامة أمراضهم حمى الربع، التي يعقبها الموت بعد ذلك، كما وقعت نار بواسط احترق على إثرها سوق الصيدلة من كلا جانبيه<sup>6</sup>، وكذلك وقع ببغداد صاعقتان فكسرت إحداها اسطوانتين وأحرقت قطنا في صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا، وأيضا شهدت هذه السنة زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخرت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم إلى الصحراء فلما سكنت عادوا<sup>7</sup>.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، ج 16، المصدر السابق، ص 171.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 411.

3- المصدر نفسه، ج 8، ص 413.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، ج 16، المصدر السابق، ص 181.

5- المصدر السابق، ج 8، ص 441.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 257.

7- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 450.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

شهدت سنة 493هـ غلاء الأسعار بالعراق، فقد بلغ الكر من الحنطة 70 ديناراً أو أكثر، وزاد الأمر سوءاً انقطاع الأمطار وجفاف الأنهار، بالإضافة إلى انعدام الأدوية والعقاقير، وكثرة الأموات حتى عجز الناس عن دفنهم، إلى درجة اضطرارهم لحمل ستة أموات على نعش واحد<sup>1</sup>.

وبعد مرور خمس سنوات، أي في سنة 498هـ، انتشر مرض الجدري في العراق وأدى إلى موت أعداد كبيرة من الصبيان، وأعقبه وباء كثير وموت عظيم<sup>2</sup>، ووقع حريق ببغداد سنة 501هـ في خرابة ابن جردة، تسبب بخسائر كذهاب العقار الذي قدر بـ 300 ألف دينار، والأمتعة وأثاث البيوت، وهلاك كثير من الناس<sup>3</sup>.

وشهد العراق أيضاً في شهر نيسان سنة 502هـ، زيادة مياه نهر دجلة بشكل كبير، مما أدى إلى قطع الطرق وغرق الغلات الشتوية والصيفية، وحدث على إثر ذلك غلاء عظيم حتى بلغت الكارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير إمامية، وندرة الخبز، فأكل الناس التمر والباقلاء الأخضر، وأما أهل السواد فغنهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت<sup>4</sup>.

ذكر ابن الأثير حدوث زلزال في يوم عرفة سنة 511هـ، ضرب العراق وتسبب في تخريب كثير من الدور بالجانب الغربي من بغداد<sup>5</sup>، وكذلك في سنة 512هـ انقطع الغيث وعمدت الغلات بشكل كبير في العراق، مما سبب غلاء في الأسعار، وارتحال سكان السواد، وإقبال الناس على أكل النخالة، ولحق أهل بغداد شدة كبرى بسبب شحنة بغداد منكبرس الذي صادر أموالهم<sup>6</sup>. وفي سنة 515هـ "...وقعت أمطار عظيمة، ودامت واتصلت بجميع العراق، وأهلك ما على رؤوس النخل وفي الشجر من الأرباب والأعشاب والفواكه، وما كان في الصحارى من الغلات، فلما كان انتصاف الليل من ليلة السبت وهي ليلة الحادي والعشرين من كانون الثاني سقط الثلج ببغداد ودام سقوطه إلى وقت الظهر من الغد فامتألت به الشوارع والدروب، وقام نحو ذراع وعمل منه الأحداث صور السباع والفيلة، وعم سقوطه بين تكريت إلى البطيحة، ونزل على الحاج بالكوفة..."<sup>7</sup>.

1- المصدر نفسه، ج 8، ص 29-30، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 54.

2- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 9، ص 86.

3- المصدر نفسه، ج 9، ص 122، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 109.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 132.

5- المصدر نفسه، ج 9، ص 171.

6- المصدر نفسه، ج 9، ص 179.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 196-197.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

ومع حلول سنة 517هـ عرف العراق زيادة كبيرة في الأسعار، حيث وصل ثمن كارة الدقيق الخشكار إلى ستة دنانير وعشرة قراريط، وتبع ذلك موت كثير وأمراض زائدة هلك فيها كثير من الناس<sup>1</sup>. وفي ربيع الأول من سنة 518هـ، وقع جرف وأمراض انتشرت من بغداد إلى البصرة<sup>2</sup>، كما انقطعت الأمطار في العراق والموصل، وتسببت في قلة الأقوات وغلاء الأسعار إلى غاية سنة 519هـ<sup>3</sup>.

وقع زلزال عظيم في شهر ربيع الأول سنة 524هـ بالعراق والموصل، نتج عنه خراب كبير<sup>4</sup>، وكذلك في سنة 529هـ سنة 529هـ حدث زلزال شديد أيضا بالعراق والموصل، هلك فيه ناس كثيرون<sup>5</sup>، وقد روى لنا ابن الجوزي وقائع هذا هذا الزلزال في بغداد بقوله: "...وزلزلت بغداد مرارا لا أحصيها، وكان مبتدأ الزلزال يوم الخميس حادي عشر شوال، فزلزلت يومئذ ست مرات ودامت كل يوم خمس مرات أو ست مرات إلى ليلة الجمعة سابع عشرين شوال، ثم ارتجت يوم الثلاثاء النصف من الليل حتى تفرقت السقوف، وانتشرت الحيطان، وكنت في ذلك الزمان صيبا، وكان نومي ثقيلا لا انتبه إلا بعد الانتباه الكثير فارتج السقف تحتي وكنت نائما في السطح رجة شديدة حتى انتهت منزعا، ولم تزل الأرض تميد من نصف الليل إلى الفجر والناس يستغيثون..."<sup>6</sup>. وفي سنة 531هـ فشا الموت في الناس حتى كان يموت في اليوم مائة نفس، كما كثرت الأمراض ببغداد<sup>7</sup>. وحدث زلزال بعد سنتين في الموصل والعراق، أنجر عنه خراب كبير وهلاك الكثير من الأنفس<sup>8</sup>.

شهد العراق في سنة 541هـ غزوا للجراد بأعداد هائلة، نتج عنه تحل كبير في البلاد<sup>9</sup>، كما رافق غزو الجراد جفاف، حتى أشرفت المواشي على العطب من قلة العشب، وظهر بالناس علة انتفاخ الحلق، فمات به خلق كثير، وغارت المياه من الأنهار والآبار<sup>10</sup>.

1- المصدر نفسه، ج 17، ص 221، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 225.

2- المصدر نفسه، ج 17، ص 224.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 230.

4- المصدر نفسه، ج 9، ص 256. ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 256.

5- المصدر نفسه، ج 9، ص 287.

6- المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 296.

7- المصدر نفسه، ج 17، ص 323. ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 300.

8- ابن الأثير، المصدر نفسه، ج 9، ص 308.

9- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 345.

10- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 18، ص 50.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وفي رجب من سنة 543هـ وقع الغلاء والقحط ودخل أهل القرى والرساتيق إلى بغداد لكونهم نهبوا فهلكوا عريا وجوعا<sup>1</sup>، ومع حلول شهر ذي الحجة سنة 544هـ، حدث زلزال بخلوان، تسبب بانغيار جبل، وهدم الرباط البهروزي، وهلاك عدد من التركمان<sup>2</sup>، كما كثر المرض بالعراق، لاسيما ببغداد، مما أدى إلى كثرة الموت، وذلك سنة 545هـ<sup>3</sup>.

وتكررت الزلازل بالعراق، فقد شهد زلزلة كبيرة في ذي الحجة سنة 550هـ<sup>4</sup>، كما أصاب أهل بغداد أمراض شديدة حادة، بعد رحيل العسكر عن المدينة، وتسببت لهم الأمراض بوفاة الكثير منهم لحدتها، وذلك سنة 551هـ<sup>5</sup>، وشهدت بغداد أيضا حريقا دام أياما شمل درب فراشا ودرب الدواب ودرب اللبان وخرابة ابن جردة جردة والظفرية والحاتونية ودار الخلافة وباب الأزج وسوق السلطان وغيرها من الأماكن<sup>6</sup>.

يصف ابن الجوزي ما حدث في بغداد سنة 554هـ قائلا: "...وفيها: وقع برد عظيم فهلكت قرى، وذكر أنه كان في بعض البرد ما وزنه خمسة أرطال وأهلكت الغلة فلم يقدروا على علف. وفي ثامن عشر ربيع الأول كثر المد بدجلة وخرق القورج وأقبل إلى البلد فامتألت الصحارى وخندق السور وأفسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر ربيع فوقع بعض السور عليها فسد بها ثم فتح الماء فتحة أخرى فأهملوها ظنا أنها تنفس عن السور لئلا يقع فغلب الماء وتعذر سده فغرق قراح ظفر والأجمة والمختارة والمقتدية ودرب القيار وخرابة ابن جردة والزيات وقراح القاضي وبعض القطيعة وبعض باب الأزج وبعض المأمونية وقراح أبي الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفرية ودب الماء تحت الأرض إلى أماكن فوقعت. قال المصنف: وخرجت من داري بدرب القيار يوم الأحد وقت الضحى فدخل إليها الماء وقت الظهر، فلما كانت العصر وقعت الدور كلها وأخذ الناس يعبرون إلى الجانب الغربي فبلغت المعبرة دنانير، ولم يكن يقدر عليها. ثم نقص الماء يوم الاثنين وسدت الثلمة وتهدم السور وبقي الماء الذي في داخل البلد يدب في المحال إلى أن وصل بعض درب الشاكرية ودرب المطبخ، وجئت بعد يومين إلى درب القيار فما رأيت حائطا قائما، ولم يعرف أحد موضع داره إلا بالتخمين، وإنما الكل تلال فاستدللنا على دربنا بمنارة المسجد فإنها لم تقع، وغرقت مقبرة الإمام أحمد وغيرها من الأماكن والمقابر وانخسفت القبور المبنية وخرج

1- المصدر نفسه، ج18، ص66. ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص358.

2- المصدر نفسه، ج18، ص72.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص368.

4- المصدر نفسه، ج9، ص402.

5- المصدر نفسه، ج9، ص410.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص107.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

الموتى على رأس الماء واسكر المشهد والحربية، وكانت آية عجيبة، ثم إنَّ الماء عاد فزاد بعد عشرين يوما فنقض سد القورج فعمل فيه أياما....<sup>1</sup>.

نخرج بعد أن تتبعنا الأزمات والكوارث بإقليم العراق، إلى استقصاء ما شهدت خراسان من أزمات وكوارث خلال العصر السلجوقي، ففي سنة 444هـ "كان بخراسان أيضا زلزلة عظيمة خربت كثيرا وهلك بسببها كثير وكان أشدها بمدينة بيهق فأتى الخراب عليها وخرب سورها ومساجدها ولم يزل سورها خرابا إلى سنة أربع وستين وأربعمائة..."<sup>2</sup>.

وقعت في جمادى الآخرة سنة 458هـ زلزلة بخراسان لبثت أياما فصدمت منها الجبال، وأهلكت جماعة، وخسفت بعدة قرى، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هناك<sup>3</sup>، وفي شوال سنة 459هـ أصاب الدواب الموت، وانتفاخ رؤوسها وأعينها، وصاحب ذلك غلاء شديد ووباء مفرط بنيسابور وأعمال خراسان<sup>4</sup>. تجدر الإشارة إلى أنه في سنة 464هـ "غلت الأسعار وتعذر اللحم ووقع الموتان في الحيوان، حتى إنَّ راعيا في بعض طريق خراسان قام عند الصباح إلى غنمه ليسوقها فوجدها موتى. ووقع سيل عظيم، وبرد كثير في طريق خراسان، وكان المكان المسمى بباغ ثلاثة آلاف وخمسمائة جريب حنطة وشعيرا فبرد ونسفته الريح فلم يشاهد له أثر، وانقلع شجر التوت العظيم أصله، وإحدى عشرة نخلة، وقام في ساقية من البرد إلى فخذ الإنسان، وأحضر قوم قردلي بندقا من الطين قد وقع مع البرد كبيضة العصفور طيب الرائحة..."<sup>5</sup>.

أصاب خراسان في سنة 492هـ غلاء شديد تعذرت فيه الأقوات، واستمر لمدة سنتين، بسبب سقوط البرد الذي أتلّف المحاصيل الزراعية، وأدى إلى انتشار وباء خطير بين الناس، نتج عنه الكثير من الموتى إلى درجة العجز عن دفنهم<sup>6</sup>. كما أصاب دامغان غلاء سنة 494هـ بسبب تخريب العساكر لها، حتى أكل الناس الميتة والكلاب وبعضهم بعضا<sup>7</sup>. ويتواصل الغلاء مرة أخرى حينما حاصر السلطان بركياروق مدينة أصفهان سنة 495هـ، التي احتُمى بها أخوه السلطان محمد، يحدثنا عن ذلك ابن الأثير بقوله: "...وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الأمر في الحصار أخرج الضعفاء

1-المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص135.

2-ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص310.

3-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص95-96.

4-المصدر نفسه، ج16، ص102.

5-المصدر نفسه، ج16، ص139.

6-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص24.

7-المصدر نفسه، ج9، ص32.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

والفقراء من البلد حتى خلت المحال وعمدت الأقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك، وقلت الأموال فاضطر السلطان محمد إلى أن يستقرض من أعيان البلد فأخذ مالا عظيما، ثم عاود الجند الطلب فقسط على أهل البلد شيئا آخر وأخذ منهم بالشدة والعنف، فلم تنزل الأسعار تغلو حتى بلغ عشرة أمان من الحنطة بدينار وأربعة أرطال لحما بدينار، وكل مائة رطل تبنا بأربعة دنانير، ورخصت الأمتعة وهانت لعدم الطلب...<sup>1</sup>. وشهدت خراسان زلزالا سنة 508هـ، أسفر عن هدم بعض الدور بها<sup>2</sup>.

يشير ابن الجوزي في سنة 531هـ إلى أنه "ورد الخبر بموت الفجاءة في همذان وأصفهان فمات منهم ألوف حتى أغلقت الدور"<sup>3</sup>، وبعد سنة شهدت خراسان غلاء شديدا طالت مدته وعظم أمره حتى أكل الناس الكلاب الكلاب والسنانير وغيرهما من الدواب وتفرق أكثر أهل البلاد من الجوع<sup>4</sup>، وأصيبت نيسابور في عام 540هـ بزلزال بزلزال أدى إلى خرابها، وتسبب بخسف الضياع وهلاك القرى وإبادة الغلات الزراعية، كما نتج عنه عوز السكان وفاقتهم، وفساد للمحاصيل وهجرة الفلاحين لأراضيهم<sup>5</sup>، وتكرر الغلاء أيضا في سنة 543هـ بخراسان وأصفهان<sup>6</sup>، وكذلك في سنة 552هـ كان بخراسان غلاء شديدا، أكلت فيه سائر الدواب حتى الناس<sup>7</sup>.

ذكر ابن الأثير أنه في سنة 556هـ كثرت الأمطار في أكثر البلاد، ولا سيما خراسان، فإن الأمطار توالى فيها، من العشرين من المحرم، إلى منتصف صفر، لم تنقطع، ولا رأى الناس فيها شمسا<sup>8</sup>، وكذلك في أواخر شهر نيسان سنة 557هـ، نزل بخراسان برد كثير، عظيم المقدار، وكان أكثره بجوين ونيسابور وما والاها، فأهلك الغلات، ثم جاء بعده مطر كثير دام عشرة أيام<sup>9</sup>.

وفي سنة 574هـ انتشر وباء شديد ببلاد خراسان عامة وكرمان على وجه الخصوص، حيث عانى منه الناس معاناة شديدة ببلاد خراسان عامة وهو ظهور مرض البرسام مرة أخرى، وأصيب عدد كبير من الناس، وظل حتى العام

1- المصدر نفسه، ج9، ص49.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص178.

3- المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص321.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص307.

5- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص220.

6- المصدر السابق، ج9، ص358.

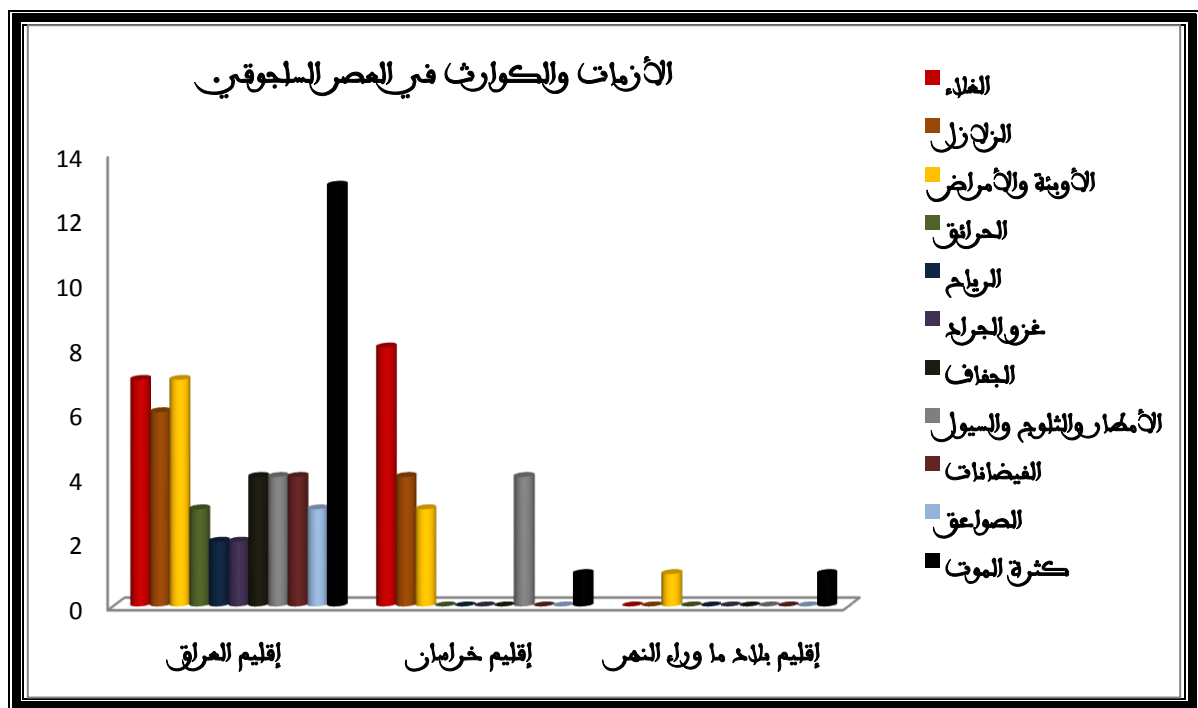
7- المصدر نفسه، ج9، ص419.

8- المصدر نفسه، ج9، ص453.

9- ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص459.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

التالي وازدادت الأمور صعوبة وذلك بوجود قحط عام بها وزاد عدد المتوفين من جراء هذا الوباء حتى عجز الناس عن الصلاة على الموتى أو تجهيزهم ودفنهم وصارت البيوت والشوارع خالية من الناس<sup>1</sup>. ولم تشهد بلاد ما وراء النهر من الأزمات والكوارث كخراسان، ففي سنة 449هـ انتشر الوباء بمدينة بخارى بشكل كبير، أدى إلى وفاة 18 ألف شخص في يوم واحد، كما مات 1.650.000 شخصا طوال مدة الوباء، وضرب الوباء أيضا سمرقند حتى وجد ميت وقد دخل تركي يأخذ لحافا عليه فمات التركي وطرف اللحاف بيده وبقيت أموال الناس سائبة<sup>2</sup>. ويمكن التعرف على الفرق بين هذه الأقاليم من خلال المخططين البيانيين:



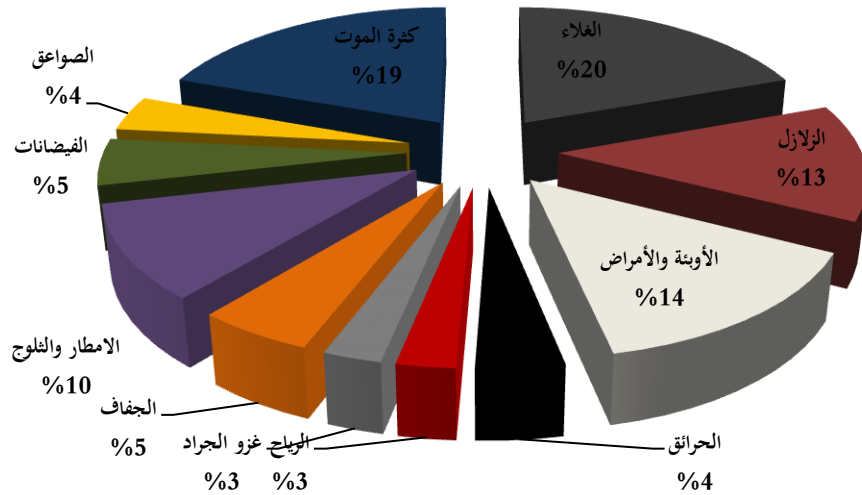
1- إيمان محمد زكي، المرجع السابق، ص 224-225.

2- المصدر نفسه، ج 8، ص 339.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي.

### إحصاء الأزمات والكوارث في العصر السلجوقي.



## 2- جهود العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث في العصر السلجوقي: تعتبر جهود

العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث من الأهمية بمكان، فقد أدرك العلماء أنهم أكثر شرائح المجتمع الإسلامي الواجب عليهم الحضور في وقت الأزمات والكوارث، من أجل تنظيم الناس وإرشادهم وتوجيههم، وكذا الإشراف على مداواة المرضى الذين يصابون بالأمراض الفتاكة، وتغسيل الموتى والصلاة عليهم ودفنهم، وإقامة صلاة الاستسقاء في حالات الجفاف، والتخفيف من حدة الأزمات الاقتصادية وغلاء الأسعار وفقدان الغلات والأطعمة، والعمل على التنسيق بين السلطة والمجتمع لمواجهة هذه الأزمات والكوارث.

### أ- صلاة الاستسقاء: تعرضت العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر للجفاف والقحط بسبب انقطاع المطر كما

رأينا، وعلى الرغم من أن السلطة والمجتمع يستطيعان أن يتصديا أو يخففا كثيرا من آثار قلة المحاصيل الزراعية وندرة بعضها وارتفاع أسعارها وشدة حاجة الناس إليها، إلا أنه لا يمكنهما التحكم في سقوط الأمطار ولا سيما في هذه الحقبة من التاريخ، ولهذا لم يبق أمام المسلمين سوى الصلاة والابتهاال إلى الله العلي القدير ليخرجهم من أزمته ويشملهم برحمته بما ينزله من المطر فيسقي الأرض وينبت الزرع ويعم الرخاء، وهذا ما اصطلح على تسميته بصلاة الاستسقاء<sup>1</sup>، التي بين الغزالي كيفيتها بقوله: "وهي سنة (ح) عند انقطاع المياه، ولو انقطع عن طائفة المسلمين استحب لغيرهم أيضا هذه الصلاة، ولا بأس بتكريرها، إذا تأخرت الإجابة، وإن سقينا قبل الصلاة، خرجنا

1- الكبيسي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 242.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

لشكر والدعاء والوعظ، وهل تصلى للشكر؟ فيه خلاف، والأحب أن يأمر الإمام الناس قبل يوم الميعاد بصوم ثلاثة أيام، وبالإخراج، من المظالم، ثم يخرج بهم في ثياب بذلة وتخضع مع الصبيان والبهاائم وأهل الذمة، ويصلي بهم ركعتين؛ كصلاة العيد، ويقرأ في إحدى الركعتين؛ إنا أرسلنا نوحا، ثم يخطب، كخطبة العيد، ولكن يبدل التكبيرات بالاستغفار، ثم يبالغ في الدعاء في الخطبة الثانية، ويستقبل القبلة فيهما ويحول رداءه تفاءلاً بتحويل الحال، فيقلب (ح م و) الأعلى إلى الأسفل، واليمين إلى اليسار، والظاهر إلى الباطن، ويتركه كذلك إلى أن ينزع ثيابه.<sup>1</sup> وكان العلماء هم المؤهلين شرعا للبروز إلى مثل هذه الصلاة ليأموا جموع المصلين، وقد يخرجون بأمر من السلطة أحيانا، فيخطبون بالناس ويتهلون إلى الله عز وجل ويستغفرونه ويسألونه الرحمة وإنزال الغيث وجموع المصلين من ورائهم يتضرعون ويؤمنون على دعائهم ثم يصلون بهم صلاة الاستسقاء.<sup>2</sup>

ومن العلماء الذين خرجوا لأداء صلاة الاستسقاء، الإمام أبو أحمد عبد الله بن علي بن الشاه الكندي (ت 483هـ)، الذي كان إماما فاضلا، حيث خرج إلى الاستسقاء بسمرقند، فصعد إلى المنبر، وأصعد معه علويين، فكشف رأسه، وقال: يا رب، أرقنا ماء وجوهنا بالمعاصي، ولكن اجتزنا الساعة في جمعنا في سكة الجوس، فكانوا ينظرون إلينا، وعرفوا أننا خرجنا للاستسقاء فلا تخجلنا في وجوه الأعداء. فما برحوا حتى سقوا.<sup>3</sup> وما إقدام العلماء على مثل هذا الأمر إلا شعورا منهم بأداء الواجب ومشاركتهم عامة الناس محنهم لدفع ما هم فيه من جذب وكرب بالرغم مما في مشاركتهم تلك من مخاطر. وأقل ما يقال في صلاة الاستسقاء أنها سنة متبعة لها وقع في نفوس الناس فتشدهم إلى الأمل وتجعلهم يعيشون في الرجاء، وهذا ما حققه العلماء أو ساهموا في تحقيقه.<sup>4</sup>

**ب- تشييع الجنائز:** كان العلماء يشاركون عامة الناس في تشييع جنائز الموتى، ويحضرون إلى بيت المتوفى لتقديم المواساة والتعازي إلى أهله وذويه<sup>5</sup>، وإذا كان تجهيز الموتى من فروض الكفايات<sup>6</sup>، حيث يندرج تحته قضاء دينهم،

1- الوجيز...، المصدر السابق، ج 1، ص 205.

2- الكبيسي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 243.

3- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج 10، ص 366.

4- الكبيسي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص 244.

5- الكبيسي، المرجع السابق، ص 241.

6- الجويني، الغياثي...، المصدر السابق، ص 363.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

وتغسيلهم، وتكفينهم، ودفنهم<sup>1</sup>، فإن العلماء كانوا في مقدمة الناس لإمامتهم في صلاة الجنازة<sup>2</sup>، وتقديم المواعظ وتذكير الناس بالترحم على الميت والدعاء له.

هذا في الوضع العادي، ولكن يتضاعف دور العلماء أثناء انتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة التي تؤدي إلى موت أعداد كبيرة من الناس، كما حدث مرات عدة خلال العصر السلجوقي، فيصبح حضورهم في تشييع الجنازات أكثر من أي وقت مضى، انطلاقاً من أن "مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم"<sup>3</sup>، فيعملون على تذكير الناس بالصبر على الأوبئة والأمراض، والتضرع لله تعالى ودعاؤه، وأيضاً يدعونهم للإسراع بدفن الموتى الذي ماتوا بالوباء، لتحقيق مقصد حفظ الأنفس بتفادي شيوخ وانتشار الوباء الفتاك أكثر، إذا تأخروا عن دفنهم وتشيع جنازتهم.

**ج- إجلالهم للتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية:** سعى العلماء إلى اتخاذ جملة من الإجراءات للتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية، وذلك بالتعاون مع السلطة والمجتمع، انطلاقاً مما قاله أبو المعالي الجويني: "وقد قال المصطفى في أثناء خطبته: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"، وقد عظم والله خطر لمقام مستقل في الإسلام، من حكمه باتفاق علماء الأنام أنه لو مات على ضفة الفرات مضرور، أو ضاع على شاطئ الجيحون مقررور، أو تصور في أطراف خطة الإسلام مكروب مغموم. أو تلوى في منقطع المملكة مضطهد مهموم أو جأر إلى الله تعالى مظلوم أو بات تحت الضرر خاو، أو مات على الجوع والضياع طاو، فهو المسؤول عنها، والمطالب بها في مشهد يوم عظيم، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ مَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 88-89)<sup>4</sup>، لذا كان للعلماء جهوداً كبيرة في درء أخطار الفيضانات بمشاركة الفعلية أو بتحشيد طاقات العامة في السيطرة على الفيضان<sup>5</sup>، من ذلك في سنة 466هـ "اشتغل الناس بالعمل في القورج، وتقدم من الديوان إلى الوعاظ بالخروج مع العوام ليعمل الناس كافة"<sup>6</sup>. وكذلك في سنة 479هـ أمر الخليفة المقتدي بأمر الله بتفرقة الأدوية والأشربة على المحال، لعلاج المرضى من

1-الماوردي، الرتبة في طلب الحسبة، المصدر السابق، ص 122-130.

2-لمزيد من التفصيل حول أحكام صلاة الجنازة، ينظر: الغزالي، الوجيز...، المصدر السابق، ج 1، ص 206-212.

3-الغزالي، المستصفى...، المصدر السابق، ج 2، ص 482.

4-الغياثي...، المصدر السابق، ص 465.

5-مهند نافع خطاب المختار، المرجع السابق، ص 317.

6-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 154.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

من وباء الطاعون التي استشرى في بغداد والعراق، وأمر أيضا بتوزيع المال على المحتاجين<sup>1</sup>. كما كان لجهود العلماء وإسهاماتهم في بناء المارستانات أو تجهيز البعض المتنقل منها وتوزيع الأدوية في أوقات انتشار المرض وتفشي الوباء وغيرها من الخدمات الصحية الوقائية، دور كبير في توفير فرص الشفاء والوقاية من الأمراض والأوبئة المتفشية في تلك الحقبة. وأسهم الأطباء في تقديم بعض الخدمات الطبية للمرضى من الفقراء والمساكين مروءة ومساعدة من دون أجر أو جعالة، وأيضا يتصدقون ويقومون بأعمال البر والمعروف<sup>2</sup>، "وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين والأخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح"<sup>3</sup>، وكمثال على ذلك الطبيب ابن جزلة (ت493هـ/1099م) الذي كان "يطب أهل محله وسائر معارفه بغير أجر ولا جعالة بل احتسابا ومروءة ويحمل إليهم الأدوية بغير عوض"<sup>4</sup>.

وعمل العلماء على الإشراف على المارستانات وإصلاح أحوالها وترتيب شؤونها وتوفير ما يحتاج إليه المرضى، لتكون جاهزة في أوقات الأوبئة، فهذا الشيخ الأجل أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف (ت460هـ) تولى إدارة المارستان وهو لا يوجد فيه دواء ولا طبيب، والمرضى ينامون على بوازي النقض، فطبقه بخمسة وعشرين ألف طابق، ورتب فيه ثمانية وعشرين طبيا، وثلاثة خزان، وابتاع له أملاكا نفيسة<sup>5</sup>. أما نفيسة<sup>6</sup>. أما أبو القاسم علي بن أحمد بن علي المعروف بابن الكوفي (ت479هـ)، فقد ولي النظر بالمارستان العضدي، فأحسن مراعاة المرضى<sup>6</sup>، كما تولى الإشراف على المارستان العضدي أيضا، الشيخ أبو الفضائل عبد الرزاق بن عبد الوهاب (ت635هـ/1237هـ)، وكان الأديب عبيد الله بن علي ناظرا في أوقافه، وقد قرأ العديد من كتب الطب، مما سمح له بتطبيب الناس والذهاب إلى المرضى في منازلهم، وكذلك والده خدما المرضى بالمارستان البتشي، بالإضافة إلى الأديب الشاعر ابن النطروني عبد المنعم بن عبد العزيز الذي كان ناظرا في المارستان العضدي، وعثمان بن الحكيم الذي خدم المرضى به أيضا، وعلي بن محمد البسطامي هو الآخر تولى النظارة بالمارستان العضدي، وكان علي بن معمر كاتباً لأوقافه<sup>7</sup>.

1- المصدر نفسه، ج16، ص257.

2- مهند نافع خطاب المختار، المرجع السابق، ص318.

6- ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نذرا رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965م، ص416، 198.

4- القفطي، المصدر السابق، ص273.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص109.

6- المصدر نفسه، ج16، ص263.

7- مهند نافع خطاب المختار، المرجع السابق، ص319.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

د- محاربة غلاء الأسعار والمجاعات والفقر: إنَّ مساهمة العلماء في التخفيف من الأزمات الاقتصادية، كان من بين أسبابها الرئيسة الخوف على المجتمع من الانحلال والتدهور، والعمل على استمرار تماسكه ووحدته<sup>1</sup>، نظرا لما يرافق الأزمات الاقتصادية في الغالب من ندرة في المواد الغذائية وغلاء في الأسعار، فتكثر الحاجة وتعم الفاقة ويلوح شبح المجاعات، فيبادر المؤمنون والمخلصون من أبناء المجتمع إلى المساهمة في درء هذا الخطر أو التخفيف منه، وذلك كل حسب قدرته وإمكاناته وبما يملك من وسائل<sup>2</sup>.

ولعلنا نجد في رأي العلماء من مسألة تسعير السوق، مساهمة منهم في الحد من ظاهرة غلاء الأسعار التي ترافق الأزمات الاقتصادية ولا سيما الحد من جشع التجار في الأسواق<sup>3</sup>، يقول الماوردي عن قضية التسعير: "وليس يعرف يعرف خلاف أنه لا يجوز للإمام ولا لغيره أن يسعر على الناس غير الأقوات، فلا يجوز أيضا أن يسعرها مع السعة والرخص، وأما عند الغلاء وزيادة الأسعار فقد قال مالك: إنَّ للإمام أن يسعرها عليهم بسعر، ولا يجوز لهم الزيادة عليه فإن خالفوه أدبهم إلا أن يمتنعوا من بيع أمتعتهم فلا يجبرهم على بيعها، وذهب الشافعي وأبو حنيفة وجمهور الفقهاء إلى أن الإمام غيره من المسلمين سواء في أن لا يجوز لهم تسعير الأقوات على أربابها وهم مسيطون على بيع أموالهم ما أحبوا..."<sup>4</sup>، ويرى كذلك بأنَّ الناس مسيطون على أملاكهم والتسعير عليهم إيقاع حجر في أموالهم وذلك غير جائز فيمن جاز أمره، ونفذ تصرفه، ولأنَّ الإمام مندوب إلى النظر في مصالح الكافة وليس نظره في مصلحة المشتري بأولى من نظره في مصلحة البائع لوفور الثمن، وإذا تقابل الأمران وجب تفريق الفريقين في الاجتهاد لأنفسهم فيجتهد المشتري في الاسترخاض ويجهد البائع في وفور الربح<sup>5</sup>. كما أجاز التسعير من قبل السلطان بقوله: "وهو أن يسعر السلطان فيبيع الناس أمتعتهم مختارين من غير إكراه لكنهم كارهين للسعر، فالبيع جائز غير أننا نكره الابتياح منهم إلا إذا علم طيب نفوسهم به، وإن كان البيع إذا لم يقترن به الإكراه جائزا بكل حال..."<sup>6</sup>.

وأشار الجويني إلى التسعير بقوله: "وهل ينادي منادي الإمام في البلد، ويأمر بسعر مقدر في جنس حتى لا يتعدوه؟ فنقول: ليس للإمام/هذا في رضاء الأسعار وسكون الأسواق؛ فإنه حجر على الملاك، وهو ممتنع. فأما

1-الكبيسي خليل إبراهيم، المرجع السابق، ص216.

2-المرجع نفسه، ص244.

3-المرجع نفسه، ص246.

4-الحاوي...، المصدر السابق، ج5، ص408.

5-الماوردي، الحاوي...، المصدر السابق، ج5، ص409-410.

6-المصدر نفسه، ج5، ص411.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

إذا غلت الأسعار، واضطر الناس، فهل يجوز للإمام أن يسعر؟ فيه وجهان مشهوران: أحدهما -المنع طردا للقياس الكلي. والثاني: الجواز، نظرا إلى مصلحة العامة...<sup>1</sup>.

أما أبو إسحاق الشيرازي فيرى أنه لا يحل للسلطان التسعير<sup>2</sup>. إنَّ عدم التسعير يعتبر الأصل في السوق الإسلامية، والأخذ بالرأي المؤيد لذلك يؤكد أصل الحرية الاقتصادية الفردية، ويتضمن ترجيح أصحابه حماية التجار من ظلم الحكام والولاية بفرض تسعير تحكيمي لا يمثل السعر العادل (ثمن المثل) الناجم عن التفاعل الطبيعي بين قوى العرض والطلب في السوق، ويمثل عدم التدخل بالتسعير عند الارتفاع الطبيعي للأسعار موقفا عادلا وملائما يتوافق مع مثل تلك الظروف. ولكن إذا ظهر من البعض تلاعب لإحداث تغيير غير طبيعي في الأسعار لتحقيق مصالح شخصية مقابل إحداث الضرر بالآخرين<sup>3</sup>.

كما عمل العلماء على تبين الطرق الكفيلة لمحاربة الفقر وتخفيف آثاره الاجتماعية، يقول الجويني: "وإن قدرت آفة وأزم وقحط وجذب، عارضه تقدير رخاء في الأسعار تزيد معه أقدار الزكوات على مبالغ الحاجات، فالوجه استحاث الخلق بالموعة الحسنة على أداء ما افترض الله عليهم في السنة. فإن اتفق مع بذل المجهود في ذلك فقراء محتاجون لم تف الزكوات بحاجاتهم، فحق على الإمام أن يجعل الاعتناء بهم من أهم أمر في باله، فالدنيا بحذافيرها لا تعدل تضرر فقير من فقراء المسلمين في ضرر...<sup>4</sup>"، إذن يرى الجويني خطورة انتشار الفقر بين المسلمين، لذا يهيب بالإمام/السلطان لإيجاد كل الطرق الكفيلة لمواجهة الفقر والتكفل بالفقراء من خلال توزيع الزكاة عليهم، وإذا لم تكف أموال الزكاة فعليه القيام بسد حاجتهم. ثم يواصل حديثه عن محاربة الفقر قائلا: "فإن لم يبلغهم نظر الإمام وجب على ذوي اليسار والاقتدار البدار إلى دفع الضرر عنهم، وإن ضاع فقير بين ظهراني موسرين، خرجوا من عند آخرهم، وبأؤوا بأعظم المآثم، وكان الله طليهم وحسيهم...<sup>5</sup>"، إذن أناط بالأغنياء مسؤولية التكفل بالفقراء إذا لم يقيم الإمام/السلطان بذلك، وحذرهم من التقاعس في ذلك وبين الجزاء الذي سيلقونه من الله تعالى إذا تلاكأوا في دفع الضرر.

وقد تعددت واجبات الدولة في الإسلام وازداد تحملها لمسؤولياتها اتجاه الأفراد بعد أن تدفقت الأموال العامة إليها، فلم يقتصر الأمر بالنسبة إليها على مهمة نشر الإسلام، وحفظ الأمن، وتحقيق العدل، والأمر بالمعروف والنهي

1- نهاية المطلب في دراية المذهب، المصدر السابق، مج6، ص63.

2- المصدر السابق، ج3، ص145.

3- عصام بن عباس بن محمد علي نقلي، المرجع السابق، ص131.

4- الغياثي...، المصدر السابق، ص362.

5- المصدر نفسه، ص363.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

عن المنكر، بل تعداه إلى معالجة المشكلات الاجتماعية، وإيجاد الحلول لها، ومن ذلك دور الدولة في اتخاذ الوسائل الكفيلة بعلاج مشكلة الفقر، وتوفير الحياة الكريمة للفقراء والمساكين، وتحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامي<sup>1</sup>.

يضيف الجويني رأياً آخر يؤكد على إعانة الفقراء في جميع الظروف والأحوال، وخاصة في ظروف الأزمات، يقول: "إذا ظهر الضر وتفاقم الأمر وأنشبت المنية أظفارها وأشفى المضرورون، واستشعر الموسرون، أن يستظهر كل موسر بقوت سنة، ويصرف الباقي إلى ذوي الضرورات، وأصحاب الخصاصات، ولست أقول: إن منقرض السنة يستعقب انجلاء المحن، وانفصال الفتن على علم أو ظن غالب. ولكن لا سبيل إلى ترك الفقراء على ضرهم..."<sup>2</sup>، كما أكد بأن المسلمين أجمعوا على أنه إذا اتفق في الزمان مضيعون فقراء مملقون، تعين على الأغنياء أن يسعوا في كفايتهم<sup>3</sup>، واستشهد بما قام به النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أضاق المحاويج والفقراء، استسلف من الأغنياء، وربما استعجل الزكوات..."<sup>4</sup>، فهو بذلك يطلب من الإمام/السلطان الاقتراض من الأغنياء لسد حاجات الفقراء، كوسيلة من وسائل مواجهة الفقر والتخفيف منه.

وتحدث الجويني في السياق ذاته عن مسألة حدوث المجاعات وندرة الأطعمة، حيث فصل فيها قائلاً: "فإن قيل: قد ذكر الفقهاء أن من معه طعام إذا وجد مضطراً إليه واقعا في المخصصة، مشفياً على الهلاك، لم يلزم مالك الطعام بذل من غير بدل، وإحياء المهج من فروض الكفايات، على مجرى الأوقات، وقد يتعين على الإنسان في بعض الأزمان إذا انفرد بالانتهاء إلى مضطر أن يبذل كنه الجدد، ويستفرغ غاية الوسع في إنقاذه، ثم لا يجب التبرع والتطوع بالبدل. قلنا: هذه المسألة عندنا فيه إذا كان للمضطر مال غائب أو حاضر؛ فأما إذا كان لا يملك شيئاً، فيجب سد جوعته، ورد خلته، من غير التزامه عوضاً، ولا أعرف خلافاً أن سد حالات المضطرين في سني المجاعات، محتوم على الموسرين. ثم لا يرجعون عليهم إذا انسلوا من تحت كلال الفتن. وفقراء المسلمين بالإضافة إلى متوسليهم كالابن الفقير في حق أبيه، ليس للأب الموسر أن يلزم ابنه الاستقراض منه إلى أن يستغني يوماً من الدهر، ولو كان لولده مال غائب أقرض ولده، أو

1- عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف العبد اللطيف، المرجع السابق، ص 203.

2- الغياثي...، المصدر السابق، ص 364.

3- المصدر نفسه، ص 379.

4- المصدر نفسه، ص 390.

## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

استقرض له إن كان موليا عليه. والذي يكشف الغطاء فيه أن من رأى مسلما مشرفا على حريق أو غريق، واحتاج إنقاذه إلى إنفاذ سببه وإكداد حديه، لم يأخذ في مقابلة سعيه...<sup>1</sup>.

وقام الغزالي بتبني وإقرار رأي أستاذه الجويني، حيث تعرض لنفس النقاط التي عالجها أستاذه واتفق معه في كل ما قاله عن الفقر وكيفية معالجته<sup>2</sup>، وتطرق الغزالي أيضا لقضية لها علاقة بمواجهة الجماعات والتخفيف من الفقر، هي: غلبة الحرام على حياة الناس، يقول: "فإن قال قائل: لو طبق الحرام طبقة الأرض أو خطة ناحية، وعسر الانتقال منها، وانحسمت وجوه المكاسب الطيبة على العباد، ومست حاجتهم إلى الزيادة على قدر سد الرmq من الحرام، ودعت المصلحة عليه- فهل يسلطون على تناول قدر الحاجة من الحرام، لأجل المصلحة؟ فإن أبيت ذلك: خالفتكم وجه المصلحة، وإن رأيتم ذلك: اخترعتم أمرا بدعا لا يلائم وضع الشرع.

قلنا: إن اتفق ذلك- ولعل مزاج العصر قريب مما صورته السائل- فيجوز لكل واحد أن يزيد على قدر الضرورة، ويترقى إلى قدر الحاجة في الأقوات والملابس والمساكن؛ لأنهم لو اقتصروا على سد الرmq: لتعطلت المكاسب، وانبت النظام، ولم يزل الخلق في مقاساة ذلك إلى أن يهلكوا. وفيه خراب أمر الدين وسقوط شعائر الإسلام، فلكل واحد أن يتناول مقدار الحاجة، ولا ينتهي إلى حد الترفه والتنعيم والشبع، ولا يقتصرون على حد الضرورة.... والحاجة العامة- في حق كافة الخلق- تنزل منزلة الضرورة الخاصة في حق الشخص الواحد؛ والحاجة عامة إلى الزيادة على سد الرmq، إذ في الاقتصار عليه وجوه من الضرر: تنقاد إلى بتر النظام، وانصراف الخلق عن إقامة شعائر الشرع، ومصالح النفس. ومنتهى ذلك يقود إلى أن يثبت المرض والسقام وتتوالى الآلام، ويتداعى ذلك إلى الهلاك. فهذه مصلحة ظاهرة بعمومها وملاءمتها لنظر الشرع، لا مربية فيه...<sup>3</sup>، إذن الغزالي بين أثر الفقر والجماعات على الناس مع انتشار وشيوع الحرام في الأموال والمعاملات، فوضع ضابطا لأخذ الناس من الحرام، وهو سد الرmq حتى يتمكنوا من إقامة شعائر الدين ومزاولة المكاسب، دون الإسراف والتنعيم والتبذير في الأخذ من الحرام، مؤكدا أنه في حالة عدم أخذ الناس من الحرام بمقدار سد الرmq، سيزداد عن ذلك انتشار الأمراض والأسقام وتتوالى الآلام، مما يؤدي إلى الهلاك، واختلال النظام وانصراف الناس عن إقامة شعار الشرع.

إن سكوت المصادر عن التطرق للجهود الميدانية للعلماء في مواجهة الأزمات والكوارث الطبيعية، صعب من مهمتنا في استقصاء هذه الجهود، فلم تشر تلك المصادر إلى علماء تدخلوا عند حدوث عدد من الأزمات

1- الغياثي...، المصدر السابق، ص392-393.

2- شفاء الغليل...، المصدر السابق، ص242.

3- المصدر نفسه، ص245-246.



## -الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي-

والكوارث الطبيعية، لذا استعنا بآراء العلماء التي بثوها في مؤلفاتهم، وحاولوا من خلالها بلورة رؤية فقهية واقعية يتأتى على ضوئها اتخاذ حزمة من الإجراءات الوقائية والعملية لمواجهة تلك الأزمات والكوارث التي شهدتها الأقاليم الثلاثة-العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر- محل دراستنا هذه.

-الباب الرابع: دور العلماء في الحياة

العلمية خلال العصر السلجوقي.

-الفصل الأول: موقف العلماء من

الخلافات المذهبية في العصر

السلجوقي.

-الفصل الثاني: جهود العلماء في

تصوير نظام التعليم ومؤسساته في

العصر السلجوقي.

# -الفصل الثالث: إسهام العلماء في التأليف في العلوم خلال العصر السلجوقي

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

إنَّ الحديث عن دور العلماء في الحياة العلمية خلال العصر السلجوقي، هو حديث عن أهم دور قاموا به، بالنظر إلى حجم الأدوار الأخرى التي استقصيناها في الأبواب السابقة من هذه الدراسة، فقد اضطلعوا بمهمة الارتقاء بالفكر والعلوم وتطوير التعليم ومناهجه، والتأليف والتصنيف، هذه المهمة الكبيرة التي تصدوا لها وبذلوا فيها كل ما يملكون من وقت وجهد، نظرا لكثرة العلوم وتعدد مسائلها وتشعب قضاياها ومباحثها، كما عملوا على توجيه الدولة السلجوقية لتبني المذهب السني أصولا وفروعا، وتخفيف الصراع المذهبي الذي شهدته أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، ومحاولة التقريب بين المذاهب السنية الأربعة، والمذاهب العقدية المنتشرة في هذه الأقاليم، ثم بعد ذلك محاولتهم دفع الأمور لجعل السلطنة السلجوقية تخدم العلم والعلماء، ببناء المدارس وتخصيص الرواتب للمدرسين والإقامة للطلبة حتى يكملوا تحصيلهم العلمي، وتوفير الأوقاف لتمويل نفقات المدارس والقائمين عليها، وكذا المكتبات المتنوعة في ربوع الأقاليم الثلاث.

لقد واجهت العلماء تحديات كبيرة أثرت على جهودهم في بلورة الاتجاه الفكري للدولة السلجوقية، خاصة بعد سيطرة المذهب الشيعي الذي تبناه البويهيون وبثوه في العراق مركز الخلافة العباسية السنية وأجزاء كبيرة من خراسان، والأكثر من ذلك التمدد الشيعي الفاطمي إلى هذين الإقليمين، وعلى الرغم من تبني السلاجقة للمذهب السني، إلا أنَّ قضاءهم على البويهيين ودحرهم للمذهب الشيعي لم يكن نهاية المطاف، بل تفجر الصراع المذهبي وفتح الباب على مصراعيه، خاصة عندما اختار السلاجقة المذهب الحنفي وقاموا بالتضييق على المذهبين الشافعي والحنبلي، ثم تبناوا المذهب الشافعي، مع غلبة المذهب الحنبلي على العراق وبغداد حاضرة العباسيين، فكان لزاما على العلماء القيام بواجبهم على أكمل وجه من أجل خلق جو من التعايش بين هذه المذاهب، كما لا ننسى أنَّ المذهب الشيعي لم ينحصر تماما من العراق، بل بقي سكان الكرخ على مذهبهم الشيعي مما تسبب بفتن مذهبية بينهم وبين السنة، استمرت بشكل ملفت للانتباه رغم محاولات التقليل منها من طرف العلماء والسلطة السلجوقية والعباسية، وفي ظل ذلك كان التحدي الذي واجه العلماء أيضا، هو مسألة التعليم وسعيهم الجاد للإشراف عليه والقيام على إصلاح مناهجه والموازنة بين سلطتهم وبين تدخل الدولة وتحكمها في مناهجه وتوجيهه لخدمة توجهاتها المذهبية والسياسية، فمنهم من قبل التدريس في المدارس السلجوقية، وبعضهم بنى مدارس، وآخرون اعتزلوا التعليم في هذه المدارس واكتفوا بالتدريس في الرباطات والمساجد، كما ساهموا في إثراء حركة التأليف في جميع العلوم، وممؤلفات قيمة ومهمة ظلت تتناقلها الأجيال في العصور اللاحقة، بالإضافة إلى تبادل الأفكار والمعلومات والخبرات فيما بينهم، واعتماد أسلوب النقد البناء، كوجه من وجوه التعاون العلمي بين العلماء خلال العصر السلجوقي.

-الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

-الفصل الأول: موقف العلماء من الخلافات المذهبية في العصر السلجوقي

- 1- موقف العلماء من الخلاف المذهبي بين أهل السنة والمعتزلة والشيعة.
- 2- موقف العلماء من الخلاف المذهبي بين المذاهب السنية.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

يأتي الحديث عن موقف العلماء من الخلافات المذهبية في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر إبان العصر السلجوقي، من أجل معرفة حجم الجهود المبذولة من طرفهم، خاصة إذا علمنا أننا نؤرخ لدولة داخل دولة، أي الدولة السلجوقية المتزامية الأطراف، من بلاد ما وراء النهر إلى بلاد الشام، التي هي داخل سلطان دولة العباسيين العظمى، وتفسير هذا التداخل والتماثل والتماهي بينهما، يندرج ضمن ازدواجية السلطة في الدولة الإسلامية خلال هذا العصر، بين منصب الخلافة ذي البعد الرمزي والروحي، وكذا ثبوته وبقائه واستمراره، ومنصب السلطنة- إمارة الاستيلاء- السياسي، المرتبط بالدولة كقوة وإدارة وتنفيذ<sup>1</sup>، مع الأخذ بعين الاعتبار بأنه حدث تاريخي وحضاري هام، نقل السلطة من طبقة اجتماعية إلى أخرى، ومن قومية إلى أخرى ومن مذهب ديني إلى آخر<sup>2</sup>، انبثق عنه قيام وتأسيس الدولة السلجوقية، التي يمثل عامل المذهب الديني (أصولا وفروعا)، الفارق الجوهرية بينها وبين الدولة البويهية، ألا وهو المذهب السني ببعديه الماتريدي الحنفي والأشعري الشافعي، مما جعل السلاجقة بانتسابهم للإسلام السني يتمكنون من فرض أنفسهم كحماة للخلافة العباسية السنية، الأمر الذي هيا لهم الطريق لكسب التعاطف والمؤازرة من المسلمين، وأضحوا ركيزة محورية في مشروع الإحياء السني الذي هندسه العلماء<sup>3</sup>، من أمثال الغزالي والجويني والقشيري والرازي وغيرهم.

لقد عرفت المذاهب السنية تطورا كبيرا منذ البدايات الأولى لتشكلها وتأسيسها وقيام أئمتها وأتباعهم، بالتأصيل لها والتنظير لمناهجها والتأليف فيها والدفاع عنها، وبمرور الوقت وضع لها القبول عند جمهور المسلمين في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وأضحت دول الإسلام تتبنى أحدها دون أن تقصي بقية المذاهب، نظرا لكثرة المنتسبين لها، فكما ظهر المذهب الحنفي وتأسس وانتشر في العراق والمشرق الإسلامي، كان للمذهب المالكي حضورا في الحجاز والشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس، ثم أعقبهم المذهب الشافعي الذي شاع في العراق والشام ومصر وخراسان، وفي الأخير تأسس المذهب الحنبلي في بغداد وانتشر في العراق بشكل خاص. فلا غرو أن الدولة العباسية اتخذت المذهب الحنفي مذهبا رسميا لها، وبالمقابل اتخذ أمويو الأندلس المذهب المالكي مذهبا رسميا لهم، ومع ظهور المذهبين الشافعي والحنبلي في العراق والشام ومصر، بدأت المنافسة بين المذهب الحنفي وبينهما، خاصة في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقبل ذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار بأنه

1- بوحجرة سماحي، المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم والزامات السلطان، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2015، ج2، م-2016، ص252.

2- التواتي مصطفى، المثقفون والسلطة في الحضارة الإسلامية، ج1، ص27، نقلا عن بوحجرة سماحي، المرجع نفسه، ص252.

3- بوحجرة سماحي، المرجع نفسه، ص257.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

اقتترنت المذاهب الفقهية في المشرق الإسلامي بالاتجاهات الكلامية، فالمعتزلة<sup>1</sup>، ثم الماتريدية<sup>2</sup> أحناف<sup>3</sup>، الأشاعرة شافعية<sup>4</sup>، ومنهم المالكية، وأتباع الإمام أحمد مشايعون له في علم الكلام<sup>5</sup>، والشيعية الإمامية جعفرية<sup>6</sup>، بينما الزيدية<sup>7</sup> الزيدية للإمام زيد فقها وكلاما. مما فتح الباب على مصراعيه للخلافات المذهبية التي عرفت محطات هامة خلال خلال العصر السلجوقي، سواء الخلاف المذهبي بين السنة وغير السنة (الشيعية والمعتزلة)، وكذلك الخلاف المذهبي السني السني؛ بين الحنفية والشافعية والحنابلة، كما أثرت هذه الخلافات المذهبية على الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية بشكل كبير طيلة عصر الدراسة وفي الأقاليم الثلاثة، حيث عرف العراق خلافات مذهبية كبيرة جدا، استمرت طيلة العصر السلجوقي، أما خراسان هي الأخرى شهدت عددا من الخلافات المذهبية، في

**1-المعتزلة:** نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي، وأكثر العلماء يذهب إلى أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء الذي كان يحضر مجلس الحسن البصري فنارت مسألة مرتكب الكبيرة فقال واصل مخلصا الحسن: أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين. ثم اعتزل مجلس الحسن البصري واتخذ له مجلسا فسمي وأتباعه بالمعتزلة. من أصول مذهبهم "التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". يعتمدون في الاستدلال لإثبات العقائد على القضايا العقلية، متأثرين في ذلك بالفلسفة اليونانية في آرائهم، أخذين عنها كثيرا في استدلالهم فظهرت في أدلتهم مقدمات أقيستهم، وبلغوا مكانة راقية في عصر الخليفة العباسي المأمون (198هـ-218هـ) واشتهروا ببدعة خلق القرآن إلى أن نكبهم الخليفة المتوكل وأبعدهم عن حظيرته. ينظر: البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق،... المرجع السابق، ص 90-150؛ رفاعي إيهاب نبيل، الصراعات المذهبية والاجتماعية في المشرق الإسلامي، ط 1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2013، ص 91-94؛ بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 357.

**2-الماتريدية:** نسبة إلى الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي وأصله من "ماتريد" محلة بسمرقند (ت 333هـ/944م) وانتشر مذهبه في بلاد ما وراء النهر وخراسان وهو قريب من المذهب الحنفي بل إن مذهب الإمام أبي حنيفة هو عقيدة الماتريدية، ينظر: رفاعي إيهاب توفيق، المرجع السابق، ص: 71، بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 367-371.

**3-الأحناف:** نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النعمان (80هـ-150هـ) وهو أول المذاهب الفقهية ظهورا وكان المذهب الرسمي للدولة العباسية وانتشر في المشرق الإسلامي انتشارا واسعا، ينظر، البغدادي، المصدر نفسه، ص 235، رفاعي، المرجع نفسه، ص 72.

**4-الشافعية:** نسبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (150هـ-204هـ) وهو ثالث المذاهب الفقهية ظهورا بعد المذهبين الحنفي والمالكي، انتشر في العراق والشام ومكة وخراسان ومصر، ينظر، رفاعي، المرجع نفسه، ص 73.

**5-أسس أحمد بن حنبل (164هـ-246هـ) مذهبه وهو آخر المذاهب ظهور وعليه لم ينتشر انتشارا كبيرا كما حدث للمذاهب الأخرى نظرا لشدة الحنابلة وتعصبهم وكثرة خلافهم مع العامة، ينظر، المرجع نفسه، ص 77.**

**6-الشيعية الإمامية:** هم الذين ساقوا الإمامة-الخلافة في ولد فاطمة رضي الله عنها وعلي رضي الله عنه بالنص عليهم واحدا واحدا واشتروا معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، ينظر ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، المصدر السابق، ص 184؛ الجعفرية: نسبة إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، سمي بالصادق نسبة لصدقته، وهو سادس الأئمة الاثنا عشرية ولد سنة 80هـ بالمدينة وتوفي عام 148هـ، وانشغل بالعبادة عن السياسة، ينظر ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 1، ص 220.

**7-الزيدية:** تنسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج على الأمويين في خلافة هشام بن عبد الملك وقتل بعد أن خذله أهل العراق ومن ذلك اتخذ أنصاره مذهبه حجة وشايعة في ذلك وانقسموا إلى ثلاث فرق هي: الجارودية والسليمانية والبترية وكلهم يقولون بإمامته، ينظر، البغدادي، المصدر نفسه، ص 25.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

حين لم تعرف بلاد ما وراء النهر خلافاً مذهبية بنفس الوتيرة السابقة في الإقليمين الآخرين، الأمر الذي جعل العلماء ينهضون بمهمة التخفيف من هذه الخلافات وضرورة خلق جو من التعايش بين هذه المذاهب، والابتعاد عن التعصب والمغالاة التي تنجر عن هذه الخلافات، والسعي إلى توجيه تلك الطاقات لخدمة العلوم الإسلامية وبناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، وعدم الانسياق وراء توجهات السلطة السياسية الساعية للانحياز لمذهب على حساب المذاهب الأخرى، فتدعم الأول وتقصي البقية وتعمل على تأجيج الصراع المذهبي بينها.

### 1- موقف العلماء من الخلاف المذهبي بين أهل السنة والمعتزلة والشيعة:

إنَّ الدراسة التاريخية للحركات المذهبية تعلمنا قاعدة حضارية وسنة كونية؛ هي سنة المغالبة أو حتمية المدافعة أو قانون التدافع الحضاري، هذا القانون يعني التزاحم وحتمية الاختلاف والمواجهة، وله صور ودرجاته المتعددة بداية من الحوار ومروراً بالجدل والمناظرة والمنافسة والسباق والمواجهة والمغالبة وقد ينتهي بالصراع أو القتال، فالتدافع الحضاري لا يحمل فقط معنى التناحر والتكالب والإفناء، إنما يحمل دلالة مؤداها الرد بالحجة، في الوقت الذي لا يحتمل فيه الصراع إلا معنى واحداً وهو القضاء على الآخر وإفناؤه، بالرغم من أنَّ الخلاف المذهبي (الصراع المذهبي) يعد حلقة هامة في التاريخ الإسلامي، تندرج ضمن سلسلة طويلة ومتواصلة من الصراعات الحتمية والمدافعة الكونية بين بني الإنسان، حتى أضحت من غير الممكن تغييب هذه المعاني ومحاولة محو ذاكرة الأمة التاريخية بحجج التعايش والسلام، لأنَّ الدارس للفكر المذهبي في الإسلام يكتسب شخصية المظاهر والمناصر لما هو حق، والرد على ما هو باطل، ليس تشهياً ولا تشفياً وإنما هو النصح وابتغاء الخير للغير، وهو الجهاد الأكبر<sup>1</sup>، كما يستطيع من خلال تقصي تاريخ الحركات المذهبية الإمساك بالعوامل التي تؤدي إلى انتشار الأفكار والمذاهب وعلاقة ذلك بالسلطة السياسية، ومعرفة البون الشاسع بين انتشار وشيوع مذاهب وزوال وانكماش وضعف انتشار مذاهب أخرى، وفي مناطق معينة دون أخرى، وبقاء بعضها واندثار البعض الآخر، ولا ننسى أن هناك مذاهب ظفرت بدعم السلطة وتأييدها، وبالمقابل تعرضت مذاهب أخرى للتضييق والتنكيل، ليصل في نهاية إلى الاطلاع الكافي على القواعد التاريخية والحضارية التي جعلتها تأخذ هذا المحنى، ويتسلح كذلك بعدد من التجارب التاريخية التي تمده بخبرة واسعة في مجال العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية<sup>2</sup>، مما جعل كثيراً من العلماء يرفع من شأن كل من يتصدى للكتابة في هذا الميدان الرحب الهام، حيث يقول ابن قيم الجوزية: "القلم الثاني عشر: القلم الجامع، وهو قلم الرد على المبطلين، ورفع سنة المحقين، وكف أباطيل

1- مغراوي مصطفى، الرؤية الحضارية والعلمية في دراسة تاريخ الفرق المذهبية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 32، سنة 2108م، جامعة نواكشوط، ص 191.

2- المرجع نفسه، ص 192.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

المبطلين-على اختلاف أنواعها وأجناسها-، وبيان تناقضهم، وتهافتهم، وخروجهم عن الحق، ودخولهم في الباطل. وهذا القلم- في الأقلام- نظير الملوك في الأنام.... وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل، وعدو لكل مخالف للرسول، فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن..<sup>1</sup>.

وانطلاقاً من ذلك يمكن القول أنَّ موقف العلماء من الخلافات المذهبية بين أهل السنة وغير السنة، يجلي لنا تلك الصورة التي ارتسمت معالمها خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ومعظم القرن السادس الهجري، أي كيف استطاع العلماء تحويل الخلاف المذهبي من معطى سلبي هدام، قائم على استنزاف الطاقات وتدمير الكفاءات وتضييع الفرص السانحة، وتقسيم العالم الإسلامي، إلى معطى إيجابي يسعى لتوحيد الجهود واستثمار القيم الحضارية ورفع المعنويات العلمية وتنظيم الأفكار البناءة وتأسيس منهج حوار هادف، وفتح الباب للنقد البناء، خصوصاً أنَّ العصر السلجوقي عرف مرحلة جديدة من مراحل الصراع المذهبي بين أهل السنة وكل من المعتزلة والشيعة، بالإضافة إلى ازدياد حدة التعصب ومرحلة الجمود الفكري والعقلي كما يرى أحد الباحثين<sup>2</sup>، ما جعل العلماء يظهرون تفاعلهم مع هذا الوضع الذي يمسهم بشكل مباشر، بحكم المكانة العلمية التي يتمتعون بها، وكذا بسبب إتباع كل واحد منهم لأحد المذاهب السنية، فكان عليهم الحضور الدائم في المحطات الحاسمة التي شهدها الصراع المذهبي خلال عصر الدراسة، وإبداء مواقفهم من ذلك.

بادئ ذي بدء تنبغي الإشارة إلى أنَّ مواقف السلاجقة من مخالفيهم في المذهب لم تكن على درجة واحدة من حيث تأثرها باتجاههم السني بل ظهر التأثير في سلوكهم- اتجاه مخالفيهم- بدرجات متفاوتة: فأحياناً يكون الاتجاه المذهبي هو المحرك الفعلي لمواقفهم كما هو الحال في موقفهم من الأشعرية والشافعية، وأحياناً أخرى تتعاون العقيدة المذهبية مع العوامل السياسية في تحديد مواقفهم وإن لم يظهر العاملان بدرجة متساوية بل يشتركان في صنع المواقف مع اختلاف في درجة التأثير بحيث يبدو الاتجاه المذهبي أكثر تأثيراً في بعضها، والعوامل السياسية أكثر وضوحاً في البعض الآخر<sup>3</sup>. وعلى ضوء ذلك احتدم الخلاف المذهبي بين المعتزلة و الأشاعرة، فقد تلقى المذهب الأشعري ضربة سياسية عنيفة، وجهت له خصيصاً، كادت أن تفقده توازنه وتجهض أفكاره<sup>4</sup>، تطرق لها عدد من المؤرخين، الذين ساقوا لنا الأسباب المؤدية للصراع بينهما، يقول ابن الجوزي: "وفي هذه السنة-

1- التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة، ص132.

2- إيهاب نبيل رفاعي، المرجع السابق، ص158.

3- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، ط2، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ/1988م، ص107.

4- مغراوي مصطفى، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغربه، ط1، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م، ص14.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

445هـ- أعلن بنيسابور لعن أبي الحسن الأشعري<sup>1</sup>، أما ابن الأثير فقد وصف الشخص المتسبب في هذا الصراع، وهو الوزير السلجوقي عميد الملك الكندري (ت457هـ) الذي طلب من السلطان طغرل بك إصدار أمر بلعن الرافضة ومعهم الأشاعرة، حيث "كان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقعة في الشافعي رضي الله تعالى عنه، بلغ من تعصبه أنه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في ذلك فأمر بلعنهم وأضاف إليهم الأشعرية..."<sup>2</sup>، يتضح من هذا الكلام أن عميد الملك الكندري كان متعصبا لمذهبه ما جعله يوغر صدر السلطان السلجوقي على الشافعية الذين هم أشاعرة، فيضعهم في خانة واحدة مع الرافضة ويأمر بلعنهم على منابر خراسان، خاصة إذا علمنا أن عميد الملك الكندري "كان حنفي المذهب كثير التعصب لمذهبه، والذهاب مع عصبته"<sup>3</sup>، ولكن تعصبه لمذهبه الحنفي غير كاف بل يرى ابن عساكر أنه كان معتزليا رافضيا، حيث يقول في ذلك: "...مما تقدم به من سب حزب الشيخ أبي الحسن الأشعري في دولة السلطان طغرل بك ووزارة أبي نصر منصور بن محمد الكندري وكان السلطان حنفيا سنيا وكان وزيره معتزليا رافضيا فلما أمر السلطان بلعن المبتدعة على المنابر في الجمع قرن الكندري للتسلي والتشفي اسم الأشعرية بأسماء أرباب البدع وامتنحن الأئمة الأماثل وقصد الصدور الأفاضل وعزل أبا عثمان الصابوني عن الخطابة بنيسابور وفوضها إلى بعض الحنفية فأم الجمهور..."<sup>4</sup>، ومع ذلك لا يمكن الجزم بصحة هذا الكلام، بسبب أشعرية ابن عساكر وتحيزه للأشاعرة والشافعية، فلا يعقل أن يكون عميد الملك معتزليا رافضيا، ثم يسمح بلعن الرافضة، ولكن نميل إلى أنه كان معتزليا حنفيا، فهذا الأقرب إلى الواقع، أو كان على مذهب أبي منصور محمد الماتريدي (333هـ)، أي أنه ماتريدي حنفي، خاصة إذا كان السلطان السلجوقي طغرل بك نفسه حنفيا سنيا، ولأن الحنفية "يؤثرون رأي الماتريدي الذي عاصر الأشعري"<sup>5</sup>، هذا المذهب الذي غلب على بلاد ما وراء النهر، فنشأ السلاجقة في بيئة سنية تتبع في الأصول المذهب الماتريدي وفي الفروع المذهب الحنفي، مما جعلهم يتأثرون بالحركة الفكرية السائدة في المنطقة، لكن هذا التأثير لم يعد أن يكون تأثرا عن طريق التقليد، باعتبار أن طبيعتهم البدوية في بدايات دولتهم لم تسمح لهم بالتوقف لإعمال العقل والفكر في قضايا الدين ومسائله، وإنما كانوا مقلدين متحمسين، وعلى ضوء ذلك ترك سلاطين السلاجقة هذه المسائل

1-المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص340.

2-المصدر السابق، ج8، ص365.

3-الأصفهاني، المصدر السابق، ص201.

4-تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقا، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، 2010، ص91.

5-دائرة المعارف الإسلامية، مادة الأشعري، المجلد03، ص432، نقلا عن عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص108.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

للوزراء، وانصرفوا هم إلى توطيد دولتهم وبناء أسسها والاهتمام بالجانب العسكري والجهادي، فكان موقف السلاجقة من المذاهب عموماً نابع من موقف وزرائهم<sup>1</sup>، أما تاج الدين السبكي (ت 771هـ/1380م) بحماسة الشديداً والمعهود جمعاً للكندري كل قبيحة في الاعتقاد، فهو عنده ليس رافضياً معتزلياً فقط<sup>2</sup>، ولكنه أيضاً "مشبه خبيث العقيدة لم يجمع لأحد ما جمع له من خبث العقيدة... يقول بخلق الأفعال وغيره من قبائح القدرية وسب الشيخين وسائر الصحابة وغير ذلك من قبائح الروافض وتشبيهه الله بخلقه وغير ذلك من قبائح الكرامية والمجسمة وكان له مع ذلك تعصب عظيم..."<sup>3</sup>، والواقع أن هذا الكلام فيه تحامل كبير من قبل تاج الدين السبكي الأشعري الشافعي، إذ كيف بعميد الملك الكندري المخالف للمذهب السني أن يستصدر أمراً سلطانياً بلعن جميع المبتدعة الذين هم جمهور أهل السنة والجماعة من الماتريدية والأشاعرة، ويأمر في نفس الوقت بلعن الرافضة والقدرية والمعتزلة والمجسمة والمشبهة وهو منهم كما يقول ابن عساكر و السبكي، لذا يرى الدكتور مصطفى مغزاوي أنَّ هذه الأوصاف جاءت على لسانيهما، وهما من كبار الأشاعرة دون غيرهما، وهو ما جعله يعتقد أنَّ وصفهما له بالاعتزال والتجسيم اجتهد منهم وانتصار للأشعرية لا أكثر، والعجيب أنَّ السبكي وصف الكندري بالرافضي وثنى بأنه معتزلي وثلاث بأنه مشبه، وهذه الصفات الثلاث يندر اجتماعها في رجل واحد<sup>4</sup>. وفي السياق ذاته يعتبر ابن الجوزي سبب لعن الأشاعرة أنه "كان قد رفع إلى السلطان طغرل بك من مقالات الأشعري شيء فقال أصحاب الأشعري هذا محال وليس بمذهب له فقال السلطان، إنما يوغر بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالات فإن لم يدينوا بها ولم يقل الأشعري شيئاً منها فلا عليكم مما يقول، قال الأشعري فأخذنا في الاستعطاف فلم يسمع لنا حجة ولم يقض لنا حاجة فأغضبنا على قذى الاحتمال وأحلنا على بعض العلماء فحضرنا فظننا أنه يصلح الحال، فقال الأشعري عندي مبتدع يزيد على المعتزلة..."<sup>5</sup>، ولكن الدكتور عبد المجيد أبو الفتوح بدوي يرى أنَّ هذا الكلام الذي ساقه ابن الجوزي يظهر يظهر تحامله هو الآخر على الأشعرية بسبب تعصبه للحنابلة، كما أنه لم يذكر لنا الشيء الذي رفع إلى طغرل بك حتى نستطيع أن نشارك في الحكم عليه<sup>6</sup>.

1- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص 108.

2- مغزاوي مصطفى، البعد السياسي...، المرجع السابق، ص 16.

3- طبقات الشافعية، المصدر السابق، ج 3، ص 389-390.

4- البعد السياسي...، المرجع السابق، ص 16-17.

5- المنتظم...، المصدر السابق، ج 15، ص 340.

6- المرجع السابق، ص 109.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

يضاف إلى ذلك كله أنَّ تاج الدين السبكي وضع في أيدينا مفتاح هذه القضية عندما أشار إلى الصراع الذي كان موجودا بين رئيس الشافعية بنيسابور أبي سهل بن الموفق، وعميد الملك الكندري، بسبب المنافسة بينهما على منصب الوزارة<sup>1</sup>، وقد وصفه السبكي بقوله: "كان جوادا ذا أموال جزيلة، وهبات هائلة... وكان عارفا بأصول الدين على مذهب الأشعري قائما في ذلك، مناضلا في الذب عنه، فعظم ذلك على الكندري بما في نفسه من المذهب، ومن ابن الموفق بخصوصه، وخشيته من أن يشب على الوزارة، فحسن للسلطان لعن المبتدعة فاتخذ الكندري ذلك ذريعة لذكر الأشعرية"<sup>2</sup>، الخصومة إذن بين الكندري والأشعرية خصومة سياسية مذهبية سببها المنافسة بينه وبين أبي سهل بن الموفق على الوزارة، وهذا الخصم أشعري شافعي يجتمع حوله العلماء، فلم لا يسعى الكندري إلى التنديد بالشافعية والأشعرية حتى ينال من خصمه عند السلطان، خاصة وأنَّ أسرة أبي سهل كانت على صلة-فيما يبدو- بطغرل بك، إذ يذكر العماد الأصفهاني أنَّ الذي رشح الكندري لطغرل بك هو الموفق والد أبي سهل، وكان من المتوقع أن يحفظ الكندري لأبي سهل جميل والده عليه إلا أن ذلك لم يحدث، فقد أنساه إغراء المنصب مآثر الموفق عليه فلم يعد يرى غير خطر منافسة أبي سهل له في تولي الوزارة<sup>3</sup>.

كان موقف العلماء من هذه الأزمة والمحنة التي جرت لأهل السنة الأشاعرة، هو التوجه برسالة إلى السلطان السلجوقي طغرل بك كتبها الفقيه أبو القاسم القشيري (ت465هـ) مبينا فيها سلامة أبي الحسن الأشعري ومذهبه من الافتراءات التي ألصقت به، ومستغيثا بقوله: "...معاشر المسلمين الغياث الغياث سعوا في إبطال الدين وراموا هدم قواعد المسلمين وهيئات هيئات"<sup>4</sup>، ولكن السلطان رفض رسالته واعتبر أبو الحسن الأشعري مبتدعا يزيد على المعتزلة<sup>5</sup>، وأمر بسجنه وجماعه من أصحابه، حيث مكثوا ما يقرب من الشهر، حتى اقتحم أبو سهل ابن الموفق بعد عودته إلى نيسابور، السجن مع رجاله وأعوانه وأخرجوا من فيه من الأشاعرة، فأغضب هذا الأمر طغرل بك وأمر بالقبض على بن الموفق، فقبض عليه وسجن وصودرت أمواله وضياعه<sup>6</sup>، أما أبو المعالي الجويني فقد فارق خراسان وأقام بمكة أربع سنين إلى أن انقضت دولته-أي عميد الملك

1- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص112.

2- المصدر السابق، ج3، ص390-391.

3- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص112.

4- ابن عساكر، المصدر السابق، ص111.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج15، ص340، أما بخصوص رسالة أبي القاسم القشيري، فقد وردت كاملة عند ابن عساكر، المصدر السابق، ص92-94.

6- السبكي، المصدر السابق، ج2، ص271.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الكندري-يدرس ويفتي فلهذا لقب إمام الحرمين، كما ارتحل أبو القاسم القشيري هو الآخر من خراسان<sup>1</sup>، يقول عنهما ابن عساكر: "وخرج الأستاذ أبو القاسم والإمام أبو المعالي الجويني رحمة الله عليهما عن البلد وهان عليهما في مخالفته الاغتراب وفراق الوطن والأهل والولد..<sup>2</sup>"، يضاف إلى ذلك موقف العالم الفقيه الحافظ البيهقي (ت458هـ/1092م)<sup>3</sup>، الذي أبدى موافقته على رسالة أبي القاسم القشيري، وكتب إلى عميد الملك كتابا دافع فيه عن الأشعرية، وبين فضل أبي الحسن الأشعري، وذكر فيه أنَّ الذين شوهوا صورة الأشاعرة عند السلطان إنما زوروا عليه، وقبحوا صورة الأئمة بين يديه<sup>4</sup>. يضاف إلى ذلك دفاع أبي إسحاق الشيرازي عن المذهب الأشعري بقوله: "الأشعرية أعيان السنة انتصبوا للرد على المبتدعة من القدرية والرافضة وغيرهم فمن طعن فيهم فقد طعن على أهل السنة ويجب على الناظر في أمر المسلمين تأديبه بما يرتدع به كل أحد"<sup>5</sup>. على أية حال تمكن عميد الملك الكندري من استخدام المعتزلة في صراعه مع الأشاعرة، دون أن يكون هو معتزليا، مستغلا العداوة المستحكمة بين المعتزلة والأشاعرة وقدرتهم على جدال ومناظرة الأشاعرة، كما أنَّ غالبية المعتزلة في خراسان وفارس كانوا أحنافا، فهم من الناحية المذهبية المحضة كانوا يخالفون الأشاعرة الذين يشكلون جمهور الشافعية<sup>6</sup>، وبالمقابل رأينا رد فعل العلماء على ما قام به، سواء عن طريق إقناع السلطان طغرل بك بشكل مباشر حينما تحدث معه أبو القاسم القشيري وطلب منه التراجع عن لعن الأشاعرة، أو بكتابة رسالة وجهها إلى جمهور أهل السنة والجماعة في خراسان وبلاد ما وراء النهر والعراق والشام، مستغيثا وداعيا لهم للوقوف ضد ما يجري، وأيضا الرسالة التي كتبها الإمام أبو بكر البيهقي إلى عميد الملك الكندري مبينا فيها المذهب الأشعري، كما لا ننسى ما قام به أبو سهل بن الموفق حينما اقتحم السجن وأخرج من كان فيه من الأشاعرة، فكان الثمن اعتقاله ومصادرة أمواله وضياعه، وأخيرا قرر كل من أبي القاسم القشيري وأبي المعالي الجويني الرحيل عن خراسان. وفي النهاية انتهت هذه الأزمة المذهبية وعادت مكانة الأشاعرة والشافعية على يد الوزير السلجوقي نظام الملك<sup>7</sup>، يقول ابن عساكر في ذلك: "وتبدد بهلك الوزير شمل تلك العصابة ومات ذلك

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص365.

2- المصدر السابق، ص108.

3- هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ولد سنة 387هـ وكان إماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات أحدها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من التصانيف الحسنة، كان غفيرا زاهدا ومات بنيسابور في جمادى الآخرة سنة 458هـ، ينظر، ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص377.

4- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص114. ينظر الرسالة كاملة في ابن عساكر، المصدر السابق، ص86-90.

5- الذهبي، تاريخ الإسلام...، المصدر السابق، ج10، ص390.

6- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص113.

7- Mohammed Taher Ya'ghoubi, op.cit, p60, 61.-7

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ذلك السلطان وولي ابنه ألب أرسلان واستوزر الوزير الكامل والصدر العالم أبا علي الحسن بن علي بن إسحاق، فأعز أهل السنة وقمع أهل النفاق وأمر بإسقاط ذكرهم من السب وإفراد من عداهم باللعن والثلب واسترجع من خرج منهم إلى وطنه واستقدمه مكرما بعد بعده وظعنه وبنى لهم المساجد والمدارس وعقد لهم الحلق والمجالس...<sup>1</sup>، ولكن الخلاف المذهبي بين أهل السنة والمعتزلة سيعرف حلقات أخرى تفاعل معها العلماء وأبدوا موقفهم منها، سنفصل فيها وبعدها سنتكلم عن التحول في السياسة السلجوقية الرسمية اتجاه الأشاعرة والشافعية ودور نظام الملك في ذلك.

كان أول احتكاك بين الطرفين في بغداد يوم الجمعة الثاني عشر شعبان سنة 456هـ، حينما هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي الوليد المدرس لمذهب المعتزلة فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع وتدرسه لهذا المذهب، فقال لهم: لعن الله من لا يوتر الصلاة، ولعن الله من يمنعي منها ويخيفني فيها. ولكن الموقف تطور بين الطرفين حيث أوقعوا به وجرحوه حتى صاح عليهم، فتركوه خشية من اجتماع أهل الموضع معه عليهم، فتركوه وأغلق بابه، واتصل اللعن للمعتزلة في جامع المنصور، وجلس الفقيه أبو سعد ابن أبي عمامة فلعن المعتزلة<sup>2</sup>. تبين هذه الحادثة أن سبب هجوم أصحاب عبد الصمد على أبي الوليد هو تدرسه لمذهب المعتزلة وفي نفس الوقت امتناعه من الصلاة في مسجدهم، بالرغم من رده عليهم إلا أنه لم يستطع أن يتجنبهم إلا بالصراخ وإغلاق بابه دونهم، فأدى ذلك إلى لعن المعتزلة في جامع المنصور وقيام الفقيه أبو سعد بن أبي عمامة بلعنهم أيضا.

أما في يوم السبت النصف من جمادى الأولى من سنة 460هـ، حدث اجتماع مكون من أصحاب أحمد بن حنبل (ت 264هـ) وجماعة الفقهاء وأعيان أصحاب الحديث في ديوان الخلافة، وطالبوا بإخراج الاعتقاد القادري وقراءته، فتم قبول طلبهم حيث أخرج وقرئ في حضورهم، وذلك ردا على أبي الوليد المعتزلي الذي عزم على تدريس مذهبه، بتحريض من المعتزلة، وقالوا له: قد مات الأجل بن يوسف وما بقي من ينصرهم، ولكن الشريف أبو جعفر عبر إلى جامع المنصور، وفرح أهل السنة بذلك، وكان يتواجد في الجامع أبو مسلم الليثي البخاري المحدث ومعه كتاب "التوحيد" لابن حزمة فقرأه على الجماعة، وبعد قراءة الاعتقاد القادري في الديوان، طالب كل من الشريف أبو جعفر والزاهد أبو طاهر الصحرابي بتسليم نسخة لكل منهما، ولكن الوزير ابن جهير وعد بكتابة

1-المصدر السابق، ص 91-92.

2-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 88.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

نسختين لهما ليقرأها في المجالس كما جرى في عهد القادر العباسي. وفي يوم الأحد سابع جمادى الآخرة قرأ الشريف أبو الحسين ابن المهدي الاعتقاد القادري والقائي بباب البصرة بحضور العام والخاص<sup>1</sup>.

لقد أدى سعي المعتزلة لبث مذهبهم إلى تعاضد أهل السنة للوقوف في وجه شيخهم ومقدمهم أبو الوليد المعتزلي الذي عزم على التدريس في جامع المنصور بعد وفاة الفقيه الأجل بن يوسف (ت460هـ)، فكان الحل هو إخراج الاعتقاد القادري من جديد وكذا ما أضافه الخليفة العباسي القائم بأمر الله، لتطويق المعتزلة وتبيان بطلان مذهبهم ودخولهم في صنف المبتدعة الذين أقرهم الاعتقاد القادري والقائي، بالإضافة إلى ذهاب الشريف أبي جعفر إلى جامع المنصور وإشرافه على قراءة كتاب التوحيد لابن حزمة مع أبي مسلم الليثي البخاري، وحرصه هو وأبي طاهر الصحرأوي على الحصول على نسخة من الاعتقاد القادري والقائي لقراءتها على الناس في المساجد والجوامع والمجالس، كما لا ننسى أن الشريف بن المهدي قرأ الاعتقاد القادري الذي سمعه من القادر العباسي بباب البصرة. كل ذلك يظهر موقف العلماء من المعتزلة والعمل الجاد على إظهار زيغ مذهبهم.

وفي سياق متصل أنكر الحنابلة على الفقيه الحنبلي أبو الوفاء بن عقيل (ت513هـ) ترده إلى أبي الوليد وأبي البيان شيوخ المعتزلة، وكان يعظمهم ويترحم على الحلاج<sup>2</sup>، "وقرأ على أبي الوليد شيئاً من الكلام في السر، وكان ربما تأول بعض أخبار الصفات، فإذا أنكر عليه ذلك حاول عنه، واتفق أنه مرض فأعطى رجلاً ممن كان يلوذ به يقال له: معالي الحائك بعض كتبه، وقال له: إن مت فأحرقها بعدي فاطلع عليها ذلك الرجل، فرأى فيها ما يدل على تعظيم المعتزلة والرحم على الحلاج، وكان قد صنف في مدح الحلاج جزءاً في زمان شبابه.. تأول فيه أقواله وأفعاله وفسر أسرار، واعتذر له، فمضى ذلك الحائك فأطلع على ذلك الشريف أبا جعفر وغيره، فاشتد ذلك على أصحابنا، وراموا الإيقاع به، فاخفى ثم التجأ إلى باب المراتب"<sup>3</sup>، ولكن أبا الوفاء بن عقيل بعد ذلك أظهر التوبة وأقر بأن الحلاج قتل بإجماع علماء عصره، وأصابوا في ذلك وأخطأ هو، وقال: استغفر الله تعالى وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة والمبتدعة<sup>4</sup>، وقد كتب ذلك في رسالة مفصلة<sup>5</sup>. مما يعني أن الخلاف والصراع المذهبي كانت له أسباب تؤججه بين الفينة والأخرى، ولولا أن أبا الوفاء ابن عقيل تاب ورجع عن مذهب المعتزلة، لكانت القضية ستأخذ أبعاد خطيرة جداً، خاصة أن ابن عقيل يعد

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص105-106. Mohammed Taher Ya'ghoubi, op.cit, p65.

2- برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الجزء الثاني، الرياض مكتبة الرشد، د.ت، ص246.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص113.

4- ابن مفلح برهان الدين، المصدر السابق، ج2، ص246.

5- ينظر النص الكامل للرسالة عند، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص143-144.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

أحد كبار فقهاء الحنابلة في بغداد، وانتقاله إلى مذهب المعتزلة كان سيسبب كارثة في صفوف أهل السنة والجماعة عامة والحنابلة خاصة، ويؤثر على تطور الصراع المذهبي بين أهل السنة وغير السنة.

لم يكن نجاح السلاجقة في دخول بغداد وقضائهم التام على الدولة البويهية الشيعية، ثم إنحائهم لفتنة البساسيري، كما رأينا في الباب الأول من هذه الدراسة، نهاية للصراع السني الشيعي، بل سيحاول الشيعة استعادة نفوذهم في العراق وبغداد حاضرة الخلافة العباسية، مما سيفتح الباب لسلسلة من الصراعات بين الطرفين التي لم تقف عند حد المناظرة والمواجهة الكلامية بل اتجهت إلى الصدام المسلح بينهما، خاصة إذا كان كليهما يحظى بدعم سلطة رسمية، فقد ارتفع لواء أهل السنة وعاد نفوذهم وعظم سلطاتهم بتأسيس الدولة السلجوقية وتوحيدها لأقاليم المشرق الإسلامي وإنقاذها للدولة العباسية مركز المذهب السني سياسيا ومذهبيا، وأضحى بذلك هذا المذهب في أرفع منزلة وأعلى مكانة، وبالمقابل وضعت الدولة الفاطمية كل ثقلها لدعم المذهب الشيعي، بدءا بالبساسيري وإرسال الدعاة إلى العراق والمشرق، ثم بإخراج الحركة الباطنية النزارية التي شكلت خطرا كبيرا على المذهب السني.

كان أول صدام بين السنة والشيعة في شهر صفر سنة 479هـ، يقول ابن الجوزي: "...وفي هذا الشهر: ثارت الفتنة بين السنة والشيعة، وقتل جماعة منهم أبو الحسن بن المهدي الخطيب، وكانت الوقعة بين جامع المنصور والقنطرة العتيقة، فتولى قتال أهل السنة العميد والشحنة، ثم حاصر الطائفتان أياما فلم يقدر أحد أن يظهر، فجبي لهما مال تولى جبايته النقيبان، فتقدم أمير المؤمنين بالقبض على النقيبين، فحبس النقيبين، فأنكرا ما فعلا، وألزم العميد الشحنة رد ما أخذ..."<sup>1</sup>، ولكن ابن الأثير يذكر كلاما آخر حول هذه الفتنة، إذ "في هذه السنة في المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم القاضي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب أصابه سهم فمات منه، ولما قتل تولى ابنه الشريف أبو تمام ما كان إليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد فسار بخيله ورجله إلى القنطرة العتيقة، وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية في شوال منها، فأعان الحجاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ الناس إلى درب اللؤلؤ، وكاد أهل الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن بن برغوث العلوي إلى مقدم الأحداث من السنة فسأله العفو فعاد عنهم ورد الناس..."<sup>2</sup>، مما يعني أنَّ الاحتكاكات بين السنة والشيعة، عادت بعد انقطاع طويل منذ دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ، إلى غاية سنة 479هـ، حيث اتسمت بالعنف والصدام المسلح بين الطرفين، الذي أودى بحياة القاضي الحسين بن الغريق

1-المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص256.

2-المصدر السابق، ج8، ص449.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الهاشمي، بالإضافة إلى تدخل العميد والشحنة السلجوقيين، غير أننا لا نلمس أي موقف للعلماء في هذه الفتنة، نظراً لسكوت المصادر عن التطرق لأي رد فعل من قبلهم على ما جرى.

وفي سنة 494هـ خلال شهر رمضان قام الخليفة العباسي المستظهر بالله بفتح جامع القصر، وأمر بأن تصلى صلاة التراويح فيه على غير المألوف، كما أمر بالجهر بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، بعد أن ترك الجهر بالبسملة في جميع جوامع بغداد ومساجدها لمخالفة شيعة بغداد الذين كانوا يجهرون بها في صلواتهم، وعيّن أبو الفضل محمد بن أبي جعفر عبد الله بن أحمد بن المهتدي إماماً للجامع، وأقرّ القنوت على المذهب الشافعي، ويبيّض الجامع وتم تعميره وكسوته وحملت إليه الأضواء<sup>1</sup>. لقد أمسك الخليفة المستظهر بالله العصا من الوسط، عندما أَرْضَى أتباع المذهبين الحنبلي والشافعي، في حين أظهر موقفه اتجاه الشيعة ومدى استعداد الخلافة العباسية لمواجهةهم على جميع الأصعدة وبكل الأساليب والوسائل، وبالمقابل كان لتعيين بن المهتدي في منصب الإمامة له دلالة واضحة على قبول هذا العالم للخطوة التي قام بها الخليفة العباسي.

ويبدو أنّ شيعة بغداد كانوا يقتنصون الفرص التي تلوح لهم في فترات الاضطرابات التي تشهدها عاصمة الخلافة، وخاصة الصراع على الحكم بين السلاجقة وسعيهم إلى الظفر بتفويض الخليفة العباسي لهم من أجل اعتلاء العرش، فيقومون بالجهر بمذهبهم ويتقاتلون مع أهل السنة، واستمروا على ذلك إلى غاية سنة 502هـ، حيث عقد الصلح بين أهل السنة وبينهم، هذا الصلح الذي يحدثنا عنه ابن الأثير بقوله: "...في هذه السنة في شعبان اصطاح عامة بغداد السنة والشيعة. وكان الشر منهم على طول الزمان وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في إصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك إلى أن أذن الله تعالى فيه، وكان بغير واسطة. وكان السبب في ذلك أنّ السلطان محمد لما قتل ملك الغرب صدقة كما ذكرنا خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لأنّ صدقة كان يتشيع هو وأهل بيته فشنع أهل السنة عليهم بأنهم نالهم غمّ وهم لقتله، فخاف الشيعة وأغضوا على سماع هذا ولم يزالوا خائفين إلى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب ابن الزبير وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتقطع الفتن الحادثة بسببه، فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرخ فأظهروا ذلك فاتفق رأي أهل الكرخ على ترك معارضتهم. وأنهم لا يمنعونهم فصار أهل السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير، وجاء أهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير وأظهروا بهم

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 44، ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 66.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

السرور وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة، وخرج الشيعة ليلة النصف منه إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة، فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم أهل الكرخ بالفرح والسرور فاتفق أن أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرأ لهم قوم ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل إلى آخر السورة...<sup>1</sup>، يتبين من هذا الكلام بأن الشيعة أبدوا مسالمتهم لأهل السنة وأظهروا رضوخهم لمطالبهم كزيارة قبر مصعب بن الزبير، بعد أن ضاعت آمالهم باستعادة مكانتهم بمقتل صدقة بن دبيس على يد السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، في حين اغتنم أهل السنة هذا الوضع وحولوه لصالحهم وحققوا ما كانوا يصبون إليهم منذ العهد البويهى.

ولئن كان شيعة بغداد تصالحوا مع السنة في بغداد، فإن بقية الأقاليم ستعرف مواجهات عنيفة بين الطرفين، من ذلك ما جرى في طوس يوم عاشوراء سنة 510هـ بمشهد علي بن موسى الرضا، فقد خاصم أحد الشيعة بعض فقهاء طوس، وأدى ذلك إلى حدوث مضاربة بينهم ثم انقطعت الفتنة، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل استعان كلا الطرفين برهط من مذهبه فاندلعت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخرّبوه وقتلوا من وجدوه ونهبت أموال جمّة وافترقوا، حتى ترك أهل المشهد من الشيعة الخطبة أيام الجمعيات فيه، كما تدخل عضد الدين فرامرز وبنى سورا منيعاً للمشهد سنة 515هـ<sup>2</sup>.

أما استراياد فهي الأخرى شهدت سنة 554هـ فتنة عظيمة بين الشيعة والشافعية، حينما قدم الإمام محمد البرزوي إليها وعقد مجلساً للوعظ حضره قاضيه الشافعي أبو نصر سعد بن محمد بن إسماعيل النعيم، مما أدى إلى إثارة الشيعة الذين هاجموا الشافعية، وانتصروا بعد أن قتلوا جماعة منهم، كما هرب القاضي، ولم تسلم داره من النهب وكذا دور أصحابه، ولما سمع شاه مازندران بما جرى؛ أنكر على الشيعة ما قاموا به وقطع جراياتهم، وصادر ممتلكات العامة وجبى الأموال، ما جعلهم يتفرقون، وانتهى الأمر برجع القاضي إلى منصبه وسكون الفتنة<sup>3</sup>.

ونفس الأمر ينسحب على واسط، إذ في سنة 568هـ وقعت فتنة بين السنة والشيعة، حينما جلس الشيعة للعرزاء في الأمير يزدن الذي كان من أكابر أمراء بغداد وكان يتشيع، فأظهر السنة الشماتة به، مما جعل القتال يندلع بين الطرفين، انجر عنه مقتل جماعة من كلا الطرفين<sup>4</sup>. وبعدها بحوالي ثلاث عشرة سنة وقعت فتنة في بغداد، ذكرها ابن

1- المصدر السابق، ج9، ص132.

2- المصدر نفسه، ج9، ص166.

3- المصدر نفسه، ج9، ص434.

4- المصدر نفسه، ج10، ص51.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الأثير بقوله: "وفيها-سنة 581هـ- كان بين أهل الكرخ ببغداد، وبين أهل باب البصرة فتنة عظيمة جرح فيها كثير منهم، وقتل، ثم أصلح النقيب الظاهر بينهم..<sup>1</sup>".

يبدو أنَّ المشهد البغدادي كان معقدا للغاية، فقد تداخل الخلاف السني الشيعي مع الخلاف داخل الجماعة السنية ذاتها. ولعل السبب راجع في ذلك إلى تشدد الحنابلة وشدتهم، وضيقهم بالمخالفين من المدارس السنية الأخرى. وبينما اتخذ الحنابلة من التشيع موقفا حديا لا هوادة فيه، حاول الأشاعرة احتواء الشيعة، وميزوا بين الشيعة الإمامية الذين اعتبروهم مسلمين من أهل القبلة-رغم المآخذ السنية على بعض عقائدهم وشعائهم- والإسماعيلية الذين اعتبروهم ملاحدة خطيرين وأعداء للإسلام وللخلافة الإسلامية<sup>2</sup>.

إنَّ موقف العلماء من الخلاف السني مع المعتزلة والشيعة، حمل في طياته جملة من المتغيرات التي طبعها بروز السلاجقة في المشرق الإسلامي وولوجهم إلى العراق قلب العالم الإسلامي، مما رجح كفة المذهب السني التي عاد إلى مكانته على أكتاف السلاجقة، بالرغم من الانشطار الساحق الذي بين السنة والشيعة من جهة وتداعي المذهب المعتزلي وانكماشه خروجه من المنافسة مع تضاعف قوة المذهب السني، كل ذلك صبغ الخلاف المذهبي بين التسنن والتشيع والاعتزال بصبغة خاصة امتزجت فيها السياسة بالعقيدة والتقت عندها الأدوار التاريخية المختلفة التي كان فيها لكل جانب صولة وجولة وحضور وهمنة في العهود السابقة للعصر السلجوقي.

**2- موقف العلماء من الخلاف المذهبي بين المذاهب السنية:** شهدت أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي عددا من الخلافات المذهبية بين المذاهب السنية المنتشرة في أرجائها، خصوصا إذا علمنا أنَّ أكثر المذاهب الفقهية انتشارا في خراسان وبلاد ما وراء النهر هما: المذهب الشافعي والمذهب الحنفي.

لقد شاع مذهب الشافعي في أكثر بلاد الحجاز واليمن وبعض بلاد الهند وبعض أطراف بلاد الدكن وبعض أطراف خراسان وتوران<sup>3</sup>، وعلى ضوء ذلك كان أول ظهور للمذهب الشافعي في إقليم خراسان وحاضرتة مرو على يد الحافظ عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي (ت 293هـ)، في حين كان الفضل لمحمد بن إسماعيل القفال الشاشي الكبير (ت 365هـ) في إدخاله إلى بلاد ما وراء النهر. كما يعزى سبب الانتشار الواسع للمذهب الشافعي في هذين الإقليمين، إلى تميزه بعدة خصائص، كالمزاوجة بين الفقه والرأي، وتتلמד الإمام الشافعي (ت 204هـ) مؤسس المذهب على الإمام مالك (ت 179هـ) في المدينة المنورة، ومحمد بن الحسن الشيباني

1- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 10، ص 138.

2- الشنقيطي محمد بن المختار، المرجع السابق، ص 105.

3- اللكنوي، المصدر السابق، ص 06.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

تلميذ أبي حنيفة النعمان (ت150هـ)، مما جعله يوفق بين المذهبين معتمدا على أصالة السنة وحجيتها، وكونها المصدر الثاني للتشريع، ثم يأتي دور القياس في ما لم يكن فيه نص شرعي<sup>1</sup>، بالإضافة إلى التقارب والتلاحق بين المدرسة الشافعية العراقية والمدرسة الشافعية الخراسانية في نقل كليهما عن الإمام الشافعي، وفي ذلك يقول الإمام النووي: "إعلم أن نقل أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعي وقواعد مذهبه، ووجوه متقدمي أصحابنا أوثق وأثبت من نقل الخراسانيين غالبا، والخراسانيون أحسن تصرفا وتفريعا وترتيا غالبا"<sup>2</sup>.

أما المذهب الحنفي فقد انتشر "إلى بلاد بعيدة ومدن عديدة كنواحي بغداد ومصر والروم وبلخ وبخارى وسمرقند وأصبهان وشيراز وأذربيجان وجرجان وزنجان وطوس وبسطام واستراباذ ومرغينان وفرغانة ودامغان وخوارزم وغزنة وكرمان وأكثر بلاد الهند والسند والدكن وبعض بلاد اليمن وغيرها من الأطراف الشاسعة والأكناف الواسعة."<sup>3</sup>، حيث ساد في كل بلد كان للدولة العباسية سلطان فيه، وكان يخف سلطانه كلما خف سلطانها<sup>4</sup>، فمنذ تولي أبي يوسف منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية، أصبح مذهب أبي حنيفة مذهبا شبه رسمي للخلافة، وكان أبو يوسف يعين أصحابه العلماء الذين كانوا يدرسون معه في مجلس أبي حنيفة وظيفه القضاء، وبعد ذلك جاء السلاجقة الذين تبنا هذا الميراث وورثوا مذهب أبي حنيفة، مثل العباسيين، وفي عهدهم كان القضاة يعينون من مذهب أبي حنيفة<sup>5</sup>، مما زاد من شيوعه في الأقاليم الثلاث-محل دراستنا- كما استقصينا ذلك في الباب الأول، فأبو حنيفة النعمان منشئ المذهب فروعاً وأصولاً لم يكن متفرداً في بناء المذهب، بل شاركه أصحابه في ذلك، وهذا مما تميز به المذهب الحنفي فهو فقه جماعة خلافاً لباقي المذاهب التي كانت نتيجة آراء وأقوال أئمتها ووقف التلاميذ منها موقف المتلقي، وأضحى بذلك مذهب الحنفي يختص بخاصية الشورى، أي أن تلاميذ أبي حنيفة كانوا يشاركونه الرأي ويدلون بأرائهم<sup>6</sup>، يقول عنه الكردي "وضع إمام الأنام مذهبه شورى بينهم-أي بين أصحابه-ولم يستبد فيه بنفسه دونهم اجتهادا منه في الدين ومبالغة في النصيحة لله ولرسوله وللمسلمين، فكان يطرح مسألة ثم مسألة لهم يسأل ما عندهم، ويقول ما عنده

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص320.

2- نقلا عن المرجع نفسه، ص321.

3- اللكنوي، المصدر السابق، ص06.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص321.

5- أورهان صادق جانبولات، قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الدراسات

العلية، الجامعة الأردنية، أيار 2009م، ص38.

6- هيثم عبد الحميد علي خزنة، الاختلافات الأصولية بين مدرستي العراق وسمرقند وأثرها في أصول الفقه الحنفي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العلية، الجامعة الأردنية، آذار 2004م، ص11.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وينظرهم في كل مسألة شهرا أو أكثر ويأتي بدلائل أنور من السراج الأزهر ثم يشبها الإمام أبو يوسف في الأصول بعد تلقيه الفحول بالقبول<sup>1</sup>، وزيادة على ذلك كان له الفضل في إنضاج الفقه الحنفي بالعراق؛ الذي يعتبر فقه خراسان امتدادا له، فلم يكتف بما هو موجود، بل بالإكثار من التفرع وفرض الفروض وتقدير المسائل التي لم تقع، وتبيين حكمها ووضع أدلتها، والإكثار من القياس في ذلك، واستخراج العلل من ثانيا النصوص وملايساتها، حتى لقد ادعى أنه وضع ستين ألف مسألة<sup>2</sup>.

فنسب إليه المذهب باعتباره الشيخ والأستاذ والعميد لأتباعه<sup>3</sup>، وعلى الرغم من انصراف الفقهاء الأحناف بعد القرن الثالث الهجري إلى الاشتغال بالتفرع حتى فرضوا مسائل لا تقع، بل لا يتصور وقوعها ويستحيل في العقل وجودها<sup>4</sup>، إلا أنَّ المذهب الحنفي ظل له مكان الصدر في أقاليم الدولة السلجوقية، خاصة بلاد ما وراء النهر وخراسان، وكان له حضور في بغداد وباقي حواضر العراق رغم غلبة المذهب الحنبلي ببغداد، عندما عين السلاجقة عددا معتبرا من القضاة الأحناف على قضاء بغداد وأحوازها، مما سيفتح الباب واسعا للصراع مع المذهبين الشافعي والحنبلي في العراق.

وفي السياق ذاته، سوف تنتقل للحديث عن مذهب الإمام أحمد بن حنبل (164هـ-246هـ)، الذي يعد آخر المذاهب ظهورا؛ أي بعد الحنفي والمالكي والشافعي، مما جعله ينتشر انتشارا متأخرا عن بقية المذاهب، حيث لقي صعوبة بالغة في الشيوع في أقاليم وحواضر المشرق الإسلامي، بسبب إقبال الناس على المذاهب الثلاث التي سبقته في الانتشار، ودرجوا عليها في شأن الفتوى والقضاء والتعلم والتعليم والتصنيف وغير ذلك<sup>5</sup>، الأمر الذي دفع بأحد الباحثين إلى الجزم بأنَّ المذهب الحنبلي هو أضيق المذاهب انتشارا في حواضر المشرق وأقل أتباعا على مرَّ العصور، نظرا لابتعاد علمائه عن القضاء، وتولي المناصب في الدولة إيثارا للعلم والتدريس واجتناب الفتن، ولا ننسى أنَّ تشدد الحنابلة في كثير من الفروع الفقهية وتمسكهم بها ألب عليهم الناس والسلطان بما اتخذوه من عنف في سبيل إظهار مذهبهم<sup>6</sup>، وقد أكد ذلك الفقيه الحنبلي أبو الوفاء ابن عقيل (ت513هـ) بقوله: "هذا المذهب إنما ظلمه أصحابه، لأنَّ أصحاب أبي حنيفة والشافعي إذا برع واحد منهم في العلم تولى القضاء

1- مناقب أبي حنيفة، دار الكتاب العربي، 1981م، ص57.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص322.

3- هيثم عبد الحميد علي خزنة، المرجع السابق، ص11.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص323.

5- التركي عبد الله بن عبد الحسن، المذهب الحنبلي دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، ج1، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة

ناشرون، 1432هـ/2002م، ص231.

6- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص323.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وغيره من الولايات. فكانت الولاية لتدريسه واشتغاله بالعلم. فأما أصحاب أحمد، فإنه قلَّ فيهم من تعلق بطرف من العلم إلا ويخرجه ذلك إلى التبعّد والزهد، لغلبة الخير على القوم، فينقطعون عن التشاغل بالعلم.<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك "شاع مذهب أحمد في نواحي بغداد وشيوعه دون شيوع باقي المذاهب في البلاد"<sup>2</sup>، ولكن مع التحفظ على رأي ابن عقيل، نظرا لتعلقه بحال الحنابلة ووضعهم في بغداد، مع العلم أنّ هناك منهم الذين تولوا مناصب عليا في الدولة العباسية، كابن هبيرة الذي تولى الوزارة للعباسيين، في حين شاع المذهب الحنبلي هنا وهناك في الأقطار الإسلامية، كحرّان والشام ومصر والجزيرة العربية<sup>3</sup>، أما خراسان وبلاد ما وراء النهر فقد غلب عليهما المذهبين الحنفي والشافعي، ولم يتمكن الحنابلة من نشر مذهبهم والتمكين له في هذين المصرين الكبيرين.

كانت هذه المقدمة التي سبّنا فيها الخريطة المذهبية للأقاليم الثلاث، مهمة جدا لفهم حجم الصراع المذهبي وطبيعته خلال العصر السلجوقي، خاصة أنّ هذه الأمصار كانت مراكز للدول الإسلامية المتعاقبة في المشرق، ومن ثم اتخذ السلاجقة بلاد ما وراء النهر مقرا لملكهم، وبعد دخولهم إلى خراسان جعلوها حاضرة سلطنتهم ومستقر حكمهم، أما العراق فكان مركز العباسيين وحصن خلافتهم ومقر ملكهم وسلطانهم، مما أثر في إعادة تشكيل الأوضاع المذهبية في ظل وجود سلطتين سياسيتين على هذه الأراضي تعملان على دعم مذهب على حساب المذاهب الأخرى، وسنرى كيف تصاعدت وتيرة الصراع المذهبي وازدادت حدته، وما نوع المواقف التي أبدتها العلماء من ذلك.

إنّ أول احتكاك مذهبي جرى بين الأشاعرة الشافعية والحنابلة في سنة 469هـ في بغداد، لما جاء إليها أبو نصر ابن أبي القاسم القشيري حاجا وجلس في المدرسة النظامية ورباط شيخ الشيوخ للتدريس والوعظ، وحدث له مع الحنابلة فتن بسبب انتصاره للمذهب الأشعري، الذي كثر أتباعه والمتعصبون له، مما جعل الحنابلة يقصدون سوق المدرسة النظامية، وقتلوا جماعة، وانحاز إلى جانب أبي نصر القشيري كل من أبي إسحاق الشيرازي وشيخ الشيوخ وغيرهما من الأعيان<sup>4</sup>. أما عبد الرحمن ابن الجوزي وحفيده فيتفقان على أنّ أبا نصر القشيري قد ذم الحنابلة ونسبهم إلى التجسيم، واعتبرا أنّ اليهود كانوا يسلمون على يديه مقابل مال بذله لهم أبو جعفر الشريف حتى يقوي الغوغاء، وكذا انحياز الشيرازي إليه، رغم قلة أصحابه الشافعيين، حيث تتبع بعضهم بعضا في الطرقات

1- ابن رجب، المصدر السابق، ج 1، ص 157.

2- اللكنوي، المرجع السابق، ص 06.

3- التركي عبد الله بن عبد الحسن، المرجع السابق، ص 231.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 413.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ضربا وسبًا، فهؤلاء تقووا بنظام الملك حين كتب إليه الشيرازي شاكيًا إليه الحنابلة وطالبا منه المعونة على ذلك، والحنابلة استقووا بسواد البلد<sup>1</sup>، ثم تطور الوضع بعد ذلك، إذ "... كان أبو جعفر عبد الخالق بن أبي موسى الهاشمي متقدم الحنابلة مقيما بالرصافة، فبان له من شحنة بغداد، ويعرف بالسلار القاروني، تعصّب عليه خدمة لنظام الملك، وبلغه أنّ ابن القشيري على عزم قصد جامع الرصافة يوم الجمعة ومعه الشحنة، فخاف، وجاء إلى دار الخليفة شاكيًا، وأقام بباب المراتب أيامًا، ثم مضى إلى مسجده بباب النوبي فأقام به على عادته، وحمل إليه يهودي فأسلم، وخرجوا معه، وقصدوا باب النوبي، وعزموا على الهجوم على ابن أبي موسى في مسجده، ورتب ابن أبي موسى أصحابه على سطح المسجد وبابه وجوانبه، فلما وصلوا رماهم الحنابلة بالآجر من سطح المسجد، فقتل واحد من الشافعية خياط من سوق الثلاثاء، وخرج آخرون، ووقع في صاحب الباب آجرة، وانهزم الشافعية، وغلقوا أبواب النظامية، ونهت عمائم الناس، صاحت الشافعية على باب النوبي: المستنصر يا منصور؛ تهمة للمقتدي أنه يميل إلى الحنابلة..."<sup>2</sup>، فما كان من الخليفة العباسي المقتدي إلا التدخل حيث أمر بأخذ أبي جعفر عبد الخالق إلى دار الخلافة ووضع في أحد المواضع بها، وحراسته وحمايته، لحسم الفتنة، ولكن الشيرازي غضب وقرر الخروج من بغداد بعد أن جمع أصحابه، فأرسل الخليفة له من ردّه، وتم استدعاء أبي نصر ابن القشيري وأبي سعد الصوفي، وابن أبي موسى إلى ديوان الخلافة وتم الصلح بينهم، وتراضوا جميعًا، كما اتفقوا أن يجلس أبو نصر ابن القشيري بجامع القصر للوعظ مجلسين أو ثلاثًا تحت حماية جند الخليفة<sup>3</sup>.

وبعد ذلك كتب أبو إسحاق الشيرازي إلى الوزير فخر الدولة ابن جهير وابنه عميد الدولة أبي منصور رسالتين، بيّن في رسالته إلى فخر الدولة امتعاضه مما جرى للشافعية في بغداد وتذكيره بقلّة عددهم بها، وتجريّ الحنابلة عليهم وعلى سب العلماء والأئمة، وأنّ المدرسة النظامية بنيت لهم لتكون مقرهم ومركزهم، لا لشيء إلا لغلبة مذهبهم ومذهب أبي حنيفة في خراسان وبلاد الترك، كما طالبه بعدم السماح بتكرار هذه الفتن في بغداد فذلك كفيل بذهاب هيبة ومكانة الخلافة<sup>4</sup>.

والجدير بالذكر أنّ التحول في مصادر صنع القرار في السلطنة السلجوقية بتولية نظام الملك الوزارة من قبل السلطان السلجوقي ألب أرسلان وبعد وفاته أقرّه ابنه السلطان ملكشاه، قد أدى إلى تغييرات في السياسة

1- المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص181، مرآة الزمان...، المصدر السابق، ج19، ص326.

2- سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج19، ص326-327.

3- المصدر نفسه، ج19، ص327.

4- ينظر رسالة أبي إسحاق الشيرازي إلى الوزير فخر الدولة في، سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، ج19، ص327-328.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

المذهبية، خاصة أنَّ نظام الملك كان شافعي المذهب أشعري العقيدة، يقول ابن الأثير: "...فلما جاءت الدولة النظامية أحضر من انتزع منهم وأكرمهم وأحسن إليهم..."<sup>1</sup>، أي أنَّ نظام الملك خالف ما كان عليه الأمر في عهد السلطان طغرل بك ووزيره عميد الملك، فرفع من شأن الشافعية الأشاعرة، فكان ذلك تداركاً لما سلف في حقهم من الامتحان، فاستقام في وزارته الدين بعد اعوجاجه، وصفا عيش أهل السنة بعد تكدره وامتزاجه، واستقر الأمر بيمين نقيته على ذلك إلى هذا الوقت<sup>2</sup>، وعلى الرغم من أنَّ مذهب سلاطين السلاجقة هو الحنفي، فكيف حدث هذا التوافق بين سلطان سلجوقي حنفي ووزير شافعي، وسمح لنظام الملك بنشر العقيدة الأشعرية والمذهب الشافعي وبناء عدد كبير من المدارس في المشرق، وتعيين فقهاء الشافعية كأساتذة ومشرفين عليها. ولعل أسباب تغاضي السلطانين السلجوقيين ألب أرسلان وملكشاه عن جهود نظام الملك في هذا المجال، هو أنَّ هذا الوزير كان ذاكفاءة نادرة في تدبير شؤون الدولة وتسيير نظامها، ومن ثم لم يشأ كل منهما أن يدخل في صدام لحاجة كل منهما إليه<sup>3</sup>. كل ذلك دفع بالشافعية الأشاعرة إلى إظهار عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري في عاصمة الخلافة، مستمدين العون من نظام الملك الذي يوافقهم في مذهبهم، وخاصة بعد بناء المدرسة النظامية في بغداد سنة 459هـ، مما شجعهم على إقامة مجالس الوعظ وإلقاء الدروس لنصرة المذهب الأشعري.

ومع ذلك فإنَّ نظام الملك اتبع سياسة التسامح الديني مع المذاهب الأخرى<sup>4</sup>، حيث وازن بين المذاهب السنية الثلاث، المذهب الحنفي الذي هو مذهب الدولة الرسمي وله حضور واسع في خراسان والعراق وبلاد ما وراء النهر، والمذهب الشافعي الذي ينافس في هذه الأقاليم ويسعى هو لإشاعته ونشره وترسيخه، والمذهب الحنبلي الذي غلب على بغداد حاضرة الخلافة العباسية، لذا قام بإمساك العصا من الوسط في رسالته التي بعثها إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي حول ما حدث في سنة 469هـ، يقول ابن الجوزي: "...ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب، وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة إلى أن نميل في المذاهب إلى جهة دون جهة، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة إلا لصيانة أهل العلم والمصلحة، لا للاختلاف وتفريق الكلمة، ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب فليس إلا التقدم بسد الباب، وليس في الممكنة إلا بيان على بغداد ونواحيها، ونقلهم على ما جرت عليه عاداتهم فيها، فإنَّ الغالب هناك وهو مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، ومحلّه معروف بين

1- المصدر السابق، ج 8، ص 365.

2- ابن عساكر، المصدر السابق، ص 92.

3- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، المرجع السابق، ص 115.

4- إبراهيم الهادي محمد الهادي، الحياة العلمية في أصفهان في العصر السلجوقي (441هـ-552هـ/1049م-1157م)، رسالة لنيل درجة

الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2006م، ص 177.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الأئمة، وقدره معلوم في السنة، وكل ما انتهى إلينا أنَّ السبب في تجديد ما تجدد مسألة سئل عنها أبو نصر القشيري عن الأصول، فأجاب عنها بخلاف ما عرفوه في معتقداتهم، والشيخ الإمام أبو إسحاق وفقه الله رجل سليم الصدر، سلس الانقياد، ويصغي إلى كل من ينقل إليه، وعندنا من تصادر كتبه ما يدل على ما وصفناه من سهولة مجتذبه والسلام...<sup>1</sup>. ولكن الصدام لم يتوقف بين الطرفين وخصوصاً عقب رسالة نظام الملك وإشادته بالمذهب الحنبلي والحنابلة، ففرح الحنابلة بذلك وتقووا بكلامه، يبدأ أنَّ أحد فقهاء الشافعية الذي يعرف بالاسكندراني خرج من المدرسة النظامية في يوم الثلاثاء ثاني شوال سنة 470هـ ومعه بعض من يؤثر الفتنة إلى سوق الثلاثاء، فتكلم بتكفير الحنابلة، فرمي بأجرة، ما دفعه للدخول إلى سوق المدرسة والاستغاثة بأهلها، الذين خرجوا معه إلى سوق الثلاثاء، وقاموا بنهب بعض ما كان فيه، مما جعل أهل سوق الثلاثاء يدخلون إلى سوق المدرسة ونهبوا القطعة التي تليهم منه، كما قتلوا مريضاً كان موجوداً في الغرفة، مما جعل مؤيد الملك يخاف على داره، فأطلع العميد السلجوقي أبا نصر على الوضع، الذي بعث له بجند من الديلم والخراسانية الذين التحموا مع العامة وقتلوا منهم بضعة عشر، فتدخل خدام ديوان الخلافة لإخماد الفتنة ولأخذ القتلى إلى القضاة والشهود، وتم إعلام نظام الملك بما جرى، فاستأما وقع<sup>2</sup>.

وبعد خمس سنوات أي في سنة 475هـ وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة في بغداد، التي رصد حيثياتها ابن الأثير بقوله: "...ورد إلى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال إليه وسيره إلى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول: {وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا}، والله ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا، ثم إنه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين، فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت إلى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبي يعلى، فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ، فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة..."<sup>3</sup>.

تجدد الصراع بين الفريقين في خراسان، حينما اشتكى أهل خراسان للسلطان ألب أرسلان من أبي إسماعيل الأنصاري الهروي الحنبلي (ت 481هـ)، فحضر السلطان بنفسه ومعه وزيره نظام الملك إلى هراة، واجتمع أئمة الفريقين الحنفية والشافعية للشكوى من الأنصاري ومطالبته بالمناظرة فاستدعاه الوزير، فلما حضر قال: إنَّ هؤلاء

1-المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 190-191.

2-المصدر السابق، ج 16، ص 191.

3-المصدر السابق، ج 8، ص 428.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

قد اجتمعوا لمناظرتك فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك" الحنبلي، وإن لم يكن الحق معهم فإما أن ترجع أو تسكت عنهم، فقام الأنصاري وقال: أنا أناظر على ما في كمي. فقال له: وما في كمي؟ فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمي اليمين وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشار إلى كمي الأيسر، وكان فيه الصحيحان، فنظر الوزير إلى القوم، كالمستفهم لهم فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره<sup>1</sup>.

وفي سياق متصل أراد الفقيه الحنبلي أبو الوفاء بن عقيل أن يحرر جوابا للوزير نظام الملك، بمناسبة زيارته إلى بغداد سنة 484هـ، يرد به تهمة التجسيم عن الحنابلة، يقول في ذلك: "...لما دخل جلال الدولة أي نظام الملك في هذه السنة قال: أريد استدعي بهم وأسألهم عن مذهبهم، فقد قيل لي إنهم مجسمة-يعني الحنابلة- فأحببت أن أسوغ كلاما يجوز أن يقال إذا سألت فقلت: ينبغي لهؤلاء الجماعة يسألون عن صاحبنا، فإذا أجمعوا على حفظه لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا أنه كان ثقة فالشريعة ليست بأكثر من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله إلا ما كان للرأي فيه مدخل للحوادث الفقهية، فنحن على مذهب ذلك الرجل الذي أجمعوا على تعديله كما أنهم على مذهب قوم أجمعنا على سلامتهم من البدعة، فإن وافقوا أننا على مذهبهم فقد أجمعوا على سلامتنا معه، لأن متبع السليم سليم وإن ادعى علينا أنا تركنا مذهبهم وتمذهبنا بما يخالف الفقهاء، فيذكروا ذلك ليكون الجوانب بحسبه، وإن قالوا أحمد ما شبه وأنتم شبهتهم، قلنا: الشافعي لم يكن أشعريا، وأنتم أشعرية، فإن كان مكذوبا عليكم فقد كذب علينا، ونحن نفزع في التأويل مع نفي التشبيه، فلا يعاب علينا إلا ترك الخوض والبحث، وليس بطريقة السلف، ثم ما يريد الطاعنون علينا ونحن لا نزاحمهم على طلب الدنيا..."<sup>2</sup>.

وتستمر حلقات الخلاف المذهبي، ففي سنة 495هـ أتى إلى بغداد أبو المؤيد عيسى بن عبد الله الغزنوي، حيث عقد له مجلس للوعظ بالجامع، حضره صاحب المخزن ابن الفقيه، وتخلل هذا المجلس إظهار للمذهب الأشعري، ما أدى لحدوث فتنة، وجاز يوما من مجلسه ماضيا إلى منزله برباط أبي سعد الصوفي، فرجم من مسجد ابن جردة، فارتفع بذلك سوقه وكثر أصحابه<sup>3</sup>.

وبحلول سنة 515هـ ورد من أصفهان القاضي أبو القاسم إسماعيل بن أبي العلاء صاعد بن محمد البخاري المعروف بابن الدانشمنده مدرس الحنفيين، وجلس في دار السلطان للوعظ في رمضان، وحضر السلطان وكافة

1- محمد سعد السيد أحمد عزب، الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي 429هـ-558هـ/1031م-1162م، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، فرع التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق، 1427هـ/2006م، ص 57.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 295.

3- المصدر نفسه، ج 17، ص 76.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

أوليائه، ثم اجتمع الشافعيون في دار الخلافة شاكين من هذا الوعظ، وذكروا أنه تسمح بذكر أصحابهم وغض منهم<sup>1</sup>. لقد شكلت هذه الحادثة تغيراً في السياسة المذهبية السلجوقية، بدعم المذهب الحنفي وإقصاء المذهب الشافعي، خصوصاً أنَّ السلطانين ألب أرسلان وملكشاه لم يظهرهما تعصباً للمذهب الحنفي وسمحاً لنظام الملك بدعم المذهب الشافعي، غير أنَّ وفاة هذا الأخير، أدت إلى تحول جذري انجر عنه تعصب سلاطين السلاجقة لمذهب أبي حنيفة، فهذا السلطان محمد بن ملكشاه عزل الشافعية عن الخطبة بالمسجد الجامع الذي بناه نظام الملك في أصفهان، وأسندها لقاضي القضاة الحنفي صاعد بن مسعود، وكذلك فعل نفس الأمر في مسجد همدان، وأيضاً السلطان سنجر الذي أخرج من المناصب في جميع الأنحاء الخاضعة له كل من لم يكن من أصحاب أبي حنيفة، وأسندها إلى الأحناف، واختص بعنايته أئمة الحنفية في خراسان وبلاد ما وراء النهر<sup>2</sup>، لذا لم يرض الشافعية بقدوم القاضي البخاري الحنفي إلى بغداد وتصدره للوعظ بحضور السلطان، وامتعضوا من إقصائهم ورفعوا الشكوى لدار الخلافة، بحثاً منهم عن سلطة جديدة تعيد لهم مكانتهم السابقة.

وأحياناً يأخذ الخلاف المذهبي صورة من الملامات ورفع للشعارات المذهبية، يقول ابن الجوزي: "...وزادت الفتن في بغداد، وتعرض أصحاب أبي الفتوح بمسجد ابن جرادة فرجموا ورجم معهم أبو الفتوح، وكان إذا ركب يلبس الحديد ومعه السيوف المجذبة تحفظه، ثم اجتاز بسوق الثلاثاء فرجم ورميت عليه الميتات. ومع هذا يقول: ليس هذا الذي تتلوه كلام الله إنما هو عبارة ومجاز، والكلام الحقيقي قام بالنفس. فينفر أهل السنة كلما سمعوا هذا، فلما كان اليوم الذي دفن فيه أبو الحسن ابن الفاعوس انقلبت بغداد لموته، وغلقت الأسواق، وكان الحنابلة يصيحون على عاداتهم هذا يوم سني حنبلي لا قشيري ولا أشعري، ويصرخون بسبب أبي الفتوح، فمنعه المسترشد من الجلوس، وأمر أن لا يقيم في بغداد..."<sup>3</sup>.

وتأكد التعصب السلجوقي مرة أخرى للمذهب الحنفي على حساب الأشاعرة، فقد أحضر السلطان مسعود الفقيه الحسن بن أبي بكر النيسابوري وهو من كبار فقهاء الحنفية، إلى بغداد سنة 538هـ، حيث "...جلس بجامع القصر، وجامع المنصور وأظهر السنة، وكان يلعن الأشعري جهراً على المنبر، ويقول: كن شافعيًا ولا تكن أشعريًا، وكن حنفيًا ولا تكن معتزليًا، وكن حنبليًا ولا تكن مشبهًا... ومُدح الأئمة الأربعة وذم الأشعري...". وجلس يوم الجمعة العشرين من رجب في دار السلطان فحضر السلطان مسعود مجلسه

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 194.

2- بدوي عبد المجيد أبو الفتوح، المرجع السابق، ص 115-116.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 245.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

فوعظه فبالغ، وكان قد كتب على المدرسة النظامية اسم الأشعري، فتقدم السلطان بمحوه، وكتب مكانه اسم الشافعي...<sup>1</sup>.

كما شكلت ظاهرة الانتقال من مذهب إلى آخر إحدى حلقات الخلاف المذهبي، إذ شهدت إقليم خراسان انتقال أحد كبار فقهاء الحنفية إلى المذهب الشافعي، هذا الفقيه هو أبو المظفر السمعاني (ت 489هـ) جد عبد الكريم السمعاني الذي نقل لنا تفاصيل ما جرى، قائلا: "...ولما انتقل أخوه جدنا الإمام أبو المظفر من مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الشافعي رحمهما الله هجره أخوه أبو القاسم وأظهر الكراهية وقال: خالفت مذهب الوالد، وانتقلت عن مذهبه. فكتب كتابا إلى أخيه وقال: ما تركت المذهب الذي كان عليه والدي رحمه الله في الأصول، بل انتقلت عن مذهب القدرية، فإنَّ أهل مرو صاروا في أصول اعتقادهم إلى رأي أهل القدر، وصنف كتابا يزيد على العشرين جزءا في الرد على القدرية ونفذه إليه فرضي وطاب قلبه ونفذ ابنه أبا العلاء علي بن علي السمعاني إليه وللتفقه عليه...<sup>2</sup>"، لقد كان انتقال أبو منصور السمعاني من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي ضربة كبيرة لجمهور الحنفية في مرو خاصة وخراسان عامة، والدليل أنَّ أخاه أبا القاسم أنكر عليه ما قام به وكره منه انتقاله عن مذهب والديهما إلى المذهب الشافعي، غير أنَّ أبا منصور بين السبب الذي دفعه إلى الإقدام على هذه الخطوة، هو اعتقاد أهل مرو برأي القدرية، فاقنع بذلك أبو القاسم ورضي صنيعه، حتى أنه بعث ابنه أبا العلاء للتلمذ عليه. غير أنَّ الأمر لم يتقبله الحنفية في مرو وخراسان، إذ لما رجع إلى بلده اضطرب أهل بلده وجلب عليه العوام وقالوا طريقة ناظر عليها أكثر من ثلاثين سنة ثم تحول عنها، فخرج إلى طوس، ثم قصد نيسابور...<sup>3</sup>، والظاهر أنَّ الاضطراب الذي حدث في مرو بانتقال أبي منصور السمعاني إلى المذهب الشافعي، كان ضربة موجة للحنفية الذين تراجع نفوذهم بسبب الوزير نظام الملك، فلا يعقل أن ينافح أبي منصور السمعاني عن المذهب الحنفي ثلاثين سنة ثم يتركه ويتحول عنه إلى المذهب الشافعي، ثم يمر الأمر بردا وسلاما دون أن تجري هزة كبيرة تؤدي إلى احتكاك بين فريقَي المذهبين الكبيرين المسيطرين على إقليم خراسان، من ذلك خروج أبي منصور السمعاني من مرو إلى طوس ومنها إلى نيسابور، أي أنه لم يستطع البقاء في مدينة يسيطر عليها مذهب أبي حنيفة، ورحل إلى طوس بلد نظام الملك وبعدها إلى نيسابور.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 18، ص 31-32.

2- الأنساب، المصدر السابق، ج 07، ص 138-139.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 37.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

هكذا اتضحت لنا معالم الخلاف المذهبي السني السني وأبرز مواقف العلماء منه، لذا يمكن القول أنَّ بغداد حاضرة الخلافة العباسية ومركز إقليم العراق شهدت أكثر محطات الخلاف المذهبي الذي خاضه الأقطاب السنية الثلاثة، الحنابلة والشافعية وبدرجة أقل الحنفية، أما في بعض حواضر خراسان وأصفهان عاصمة الدولة السلجوقية زمن السلطان ملكشاه، فكان الاحتدام كبيرا بين الحنفية والشافعية، وبالتالي فإن السلطة السياسية ساهمت في إذكاء الخلاف المذهبي بين الحنابلة والشافعية من جهة، والحنفية الشافعية من جهة أخرى، والحنابلة والحنفية أيضا، والذي يتتبع طبيعة هذا الخلاف المذهبي يستقرئ جيد أنَّ الشافعية استقووا بسلطة الوزير نظام الملك لنشر مذهبهم في بغداد على حساب المذهب الحنبلي، وبالمقابل رسوخ هذا الأخير وغلبته على بغداد وحصوله على دعم الخلافة العباسية فصار من الصعب تحييده منها، وحاول المذهب الحنفي أن يعود لمكانته في بغداد بين المذهبين الحنبلي والشافعي، كل ذلك جعل العلماء بين شقي رحى يسعون إلى تخفيف الأضرار الناجمة عن اشتداد الخلاف بين هذه المذاهب الثلاثة في ظل وجود الشيعة والمعتزلة والقدرية وغيرهم، وقد رصدنا جملة من المواقف أبداءها العلماء سواء من الشافعية أو من الحنابلة، عكست تفاعلهم مع هذه المسألة الشائكة التي شهدتها العصر السلجوقي.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

### -الفصل الثاني: جهود العلماء في تطوير نظام التعليم ومؤسساته.

#### 1-العوامل المؤثرة في الحياة خلال العصر السلجوقي.

##### 1-1- عناية سلاطين ووزراء الدولة السلجوقية بالعلم والعلماء.

##### 1-2- الرحلة في طلب العلم.

##### 1-3- المؤسسات التعليمية.

##### 1-4- المكتبات الخاصة والعامة.

##### 1-5- حوافيت الوراقين.

##### 1-6- مجالس المناظرة.

#### 2- نظام التعليم خلال العصر السلجوقي.

##### 2-1- منهج التعليم وأصوله.

##### أ- آداب وشروط العلماء المدرسين.

##### ب- آداب وشروط الطلبة المتعلمين.

##### ج- كيفية التعليم (التدريس) وأصوله.

##### -أول- المملين

##### -ثانيا- المستملين

##### -ثالثا- الكاتب.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

-المناولة.

-المكاتبة.

-الإعلام.

-الوصية.

-الوجادة.

د-أشوار (مراحل) التعليم.

-أول-الصور الابتدائي.

-ثانيا-الصور العالي.

3-المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها خلال العصر السلجوقي.

3-1-المساجد والجوامع.

3-2-الربح أو الأربعة.

3-3-الخانات أو الخوانق.

3-4-الزوايا.

3-5-موقف العلماء من المدارس التعليمية خلال العصر السلجوقي.

أ-بناء المدارس التعليمية قبل العصر السلجوقي.

ب-أسباب تأسيس المدارس التعليمية في العصر السلجوقي.

ج-أهم المدارس التعليمية في العصر السلجوقي.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

- المدرسة النكصامية ببغداد.
  - المدرسة النكصامية بنيسابور.
  - المدرسة النكصامية بمرو والشاهجان.
  - د- دور العلماء في تأسيس المدارس في العصر السلجوقي.
  - هـ- العلماء المؤيدون للمدارس التعليمية في العصر السلجوقي.
  - المعصر الإيجابي.
  - المعصر السلبي.
  - و- العلماء المعارضون للمدارس التعليمية في العصر السلجوقي.
- 1-6- بيوت ودور ومنازل العلماء.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

إنَّ العلم في الإسلام هو أساس كل شيء وعليه يقوم كل شيء، فهو إمام جميع الولايات المؤسسية والفردية، الدينية والدنيوية، وهي تابعة له، فأحكامها وقواعدها وشروطها وكل ما يتعلق بها، لا يدرك إلا بالعلم، كما أنَّ العلم لا يحصل إلا بالتعلم والتعليم، هذا الأخير الذي يعد نظاماً إسلامياً قائماً بذاته، يكتسي بعداً دينياً ودنيوياً هاماً، الأمر الذي يستوجب رعايته والعناية به، والعمل على تقويمه وترشيده، على مستوى الوظائف والبرامج والأهداف، والمناهج والوسائل، من منطلق الإسلام وفي إطاره، وضمن قواعده وأحكامه ومقاصد شريعته<sup>1</sup>. وقد اضطلع بهذه المهمة العلماء الذين أدركوا أثر التعليم في المجتمع الإسلامي، ودوره الحاسم في تنشئة الفرد المسلم، لينطلق في تأدية دوره في مجتمعه، بالإضافة إلى أنه سر بناء الدولة الإسلامية وانطلاقتها الكبرى وحكمها للعالم وتفوقها على الأمم والحضارات الأخرى، فالدارس لتاريخ الفكر الإسلامي يلاحظ أن ظهور علم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث، وعلم الكلام وعلم النحو والصرف، كل ذلك كان قبل ظهور علوم مثل الطب والصيدلة والكيمياء والبصريات وغيرها من العلوم. وهذا أمر بديهي؛ فعلم أصول الفقه هو علم في منهجية الاجتهاد والاستنباط، وعلم أصول الحديث هو علم في منهجية البحث التاريخي، وعلم النحو هو علم قائم على منهج الاستقراء، وعلم الكلام هو الأساس الفلسفي للفكر الإسلامي. وفيما بعد أدى التطور في منهجية التفكير لدى المسلمين إلى ظهور العلوم المختلفة؛ فكانت البداية تتعلق بالأسس المنهجية، وكانت الثمار تتمثل بالعلوم المختلفة، ومنها العلوم الكونية. ويمكننا أن نقسم تاريخ الفكر البشري إلى مرحلتين؛ مرحلة ما قبل الإسلام، ومرحلة ما بعد الإسلام، حيث تميزت المرحلة الثانية بمنهجية مستمدة من القرآن الكريم، أدت إلى نخضة فكرية وعلمية هائلة<sup>2</sup>.

تندرج جهود العلماء في تطوير نظام التعليم ومؤسساته خلال العصر السلجوقي ضمن دورهم في الحياة العلمية، ذلك أنَّ نظام التعليم قطع أشواطاً كبيرة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي اتسم فيه نظام التعليم بالبساطة على ضوء ما توفر آنذاك من وسائل وطرق ومناهج، ثم بدأت ملامح تطور التعليم في عهد الخلفاء الراشدين من خلال الجهود المبذولة من قبل الصحابة رضوان الله عليهم، وظهور المدارس الفكرية، سواء مدرسة الأثر في المدينة المنورة ومدرسة الرأي في العراق، وكذلك مدرستي الكوفة والبصرة في علم النحو، وتبلور المناهج وطرق التدريس، وبعدها شهد نظام التعليم نقلة نوعية في العصر الأموي وبرز العلماء من أبناء الصحابة والتابعين في جميع الأقاليم والأمصار، وكذا دعم الخلفاء الأمويين للعلم والعلماء، ومع بداية العصر العباسي بلغ نظام التعليم ومؤسساته العصر الذهبي، حيث اكتملت مناهج وطرقه وأساليبه ووسائله، وتنوعت مؤسساته من كتاتيب ومساجد وجوامع وزوايا وربط وخانقاهات ومدارس، كل ذلك والعلماء هم الذين كانوا السباقين لتطوير التعليم وإصلاح

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 133.

2- بسام نحاد جزار، سياحة الفكر مقالات في التفسير، ط 1، البيرة، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، 1435هـ/2013م، ص 16-17.

## 1-الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

مناهجه وإيجاد الطرق والوسائل التي تناسب كل عصر وانتخاب الكتب الذين يدرسونها، وأوقات التدريس وفتراته المناسبة ومراحله والعلوم التي تلقن في كل مرحلة، الأمر الذي جعل من نظام التعليم الإسلامي بفضل هؤلاء العلماء أحد أرقى نظم التعليم التي شهدتها التاريخ الإنساني.

### 1-العوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال العصر السلجوقي: تشكل الحياة العلمية نمطا متطورا

يعكس صورة مجتمع من المجتمعات البشرية، في مدى سعي أفرادها للارتقاء بتفكيرهم وأساليب تربيتهم وطرق تعليمهم ووسائل تنمية ثقافتهم وآليات تنظيم حياتهم اليومية وسبل إقامة العلاقات الاجتماعية وترقية الآداب ونشر الأخلاق والقيم، والارتقاء بأوطانهم إلى مصاف البلدان المتحضرة والمتطورة في جميع المجالات، كما تعد الحياة العلمية في الدولة الإسلامية عبر عصورها المختلفة، عنوانا على الرقي والتحضر والازدهار والتطور، إذ دأب المسلمون على الإقبال على القراءة والكتابة وتعلم العلم لفهم أمور دينهم وإقامة شعائره وتطبيق أحكامه والتزام حدوده، ثم لم يتوقفوا عند هذا الحد بل سعوا للاستفادة من علوم الأمم السابقة، فعملوا على نقلها وترجمتها وتطويرها وتقديمها لكل البشر لكي يستفيدوا منها، مما جعل الحياة العلمية في العالم الإسلامي تسير على نسق واحد يتفاعل مع الحياة والكون، على الرغم من الفترات التي شهدت فيها الدولة الإسلامية تمزقات سياسية ومذهبية، إلا أنَّ الحياة العلمية ظلت حاضرة ومتواصلة ومستمرة، تظهر قدرة أمة الإسلام على مواصلة بناء الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الإنسانية، لذا تميز كل عصر بخصوصية معينة في بناء لبنة في صرح حضارة الإسلام، وحفل بعدد من المؤثرات التي تؤثر في الحياة العلمية وتصبغها بصبغتها الخاصة، وتصبح هزمة وصلة للعصر الذي يليه.

ولا غرو أنَّ العصر السلجوقي كغيره من العصور الإسلامية بلغت فيه الحياة العلمية مراتب سامقة وقطعت فيه أشواطاً كبيرة، حيث امتزجت في هذا العصر جميع الإنجازات العلمية والحضارية لأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتم ربطها بمركز واحد ورؤية واحد وتوجه واحد، يعمل على جعلها تنتظم في عقد واحد يساهم في إظهار إشراق وتألُّق الحضارة العربية الإسلامية، ولهذا ساهمت عدة عوامل مجتمعة في التأثير في الحياة العلمية إبان الفترة السلجوقية، سنعمل على تحليلها وإظهارها ملاحظاً وتأثيرها كما يلي:

### 1-1- عناية ملأهين ووزراء الدولة السلجوقية بالعلم والعلماء: أخذ سلاطين السلاجقة على

عاتقهم استكمال بناء دولتهم، بعد نجاحهم في تأسيسها وضم مناطق شاسعة من العالم الإسلامي، بإعطاء أهمية كبرى للعلم والعلماء، فقد أدركوا أنَّ العلم هو سراج الدولة وعمادها، وأنَّ العلماء هم مشاعل الحضارة ورواد الأمة، فعملوا على تشجيع العلوم، وبناء المدارس والخوانق والربط لطلاب العلم، وأكرموا العلماء وأحسنوا وفادتهم، كما أجزلوا لهم العطاء، وأيقنوا أنَّ خير ما يضمن لهم بقاء دولتهم ورفيها، هو شحن مراكزها المختلفة

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

بالعلماء، لنشر العلم والدفاع عن الإسلام وحراسة أمور الأمة<sup>1</sup>، بالرغم أن بعض هؤلاء السلاطين لم يكونوا متحضرين، وغير مثقفين، كما كانوا غير قادرين على تعلم القراءة والكتابة، فمثلاً كان السلطان السلجوقي ألب أرسلان شجاعاً نبيل الخلق كيساً فطناً، ولكنه كان أمياً قليل الثقافة<sup>2</sup>، وكذلك السلطان سنجر لم يكن متعلماً<sup>3</sup>، لذا حاول سلاطين السلاجقة تعويض نقص تكوينهم العلمي وغلبة الجانب العسكري عليهم، بالإقبال على تشجيع العلم وإكرام العلماء، مدركين "... بأن مكانتهم وقيمتهم متوقفة على احترام العلماء باعتبارهم حملة الشريعة، الداعين إليها، وباعتبارهم يحتلون مكانة محترمة في الأوساط المختلفة؛ ومن ثم سعوا إلى التقرب من العلماء، لأن في احترامهم والتقرب منهم استرضاء للناس كافة، وإلى ما في خدمة الدين وأهله من ثواب في الدارين باعتبار أن الإسلام يعني بأمر الدنيا والآخرة ولا يفرط بواحة منها..."<sup>4</sup>، ولما كان العلم لا يزدهر إلا في ظل سلطان يشغف به ويأخذ بيد أهله، لذا فإن سلاطين الدولة السلجوقية جمعوا إلى السلطنة وجاهة الأدب، ورعاية أعلامه، فأحاطوا أنفسهم بجو أدبي وعلمي رائع، مما جعل مجالسهم مزدانة بالعلماء، كما تزدان التيجان بالآلئ، وتنضج بأنداء العلوم والمعارف، وتضفي على المملكة مهابة السلطان، وسلطان العلم، وفي ذلك منطلق الازدهار الإسلامي الساطع. وللسلاطين دور أساسي ومهم في نمو الحركة العلمية وانتعاشها، وذلك على ضوء ميولاتهم الثقافية التي بها يزدهر العلم وتنفق أسواقه، بل إنَّ جلَّ سلاطين السلاجقة اعتبر وصال العلماء شارة من شارات الملك العظيم، وعلائم السلطان المكين<sup>5</sup>، كل ذلك انعكس في تصرفات هؤلاء السلاطين، فالسلطان طغرل بك كان كثير الصدقات، حريصاً على بناء المساجد، يستحي من الله تعالى أن يبني داراً ولا يبني مجنبها مسجداً<sup>6</sup>، أما السلطان ألب أرسلان فكان من مشجعي الحركة العلمية في كل مناطق الدولة السلجوقية، محباً للعلماء، راغباً في سماع أخبارهم<sup>7</sup>، وكان كثيراً ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم وأحكام الشريعة<sup>8</sup>، كما التقى مع العلماء من أصحاب المذاهب المختلفة بخراسان، وكان أيضاً يحضر ويستمتع إلى المناظرات والمناقشات التي تتم بين

1- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 127.

2- ذهبية عاشور أبو بكر قري، المرجع السابق، ص 192.

3- عبد النعيم محمد حسنين، دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م، ص 116.

4- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 127.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 143.

6- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 65.

7- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 125.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 394.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

هؤلاء العلماء، بالإضافة إلى تقريبه من العلماء واستشارتهم والتبرك بهم<sup>1</sup>، واستجاب لطلب العالم الجليل حسان بن سعيد المنيعي (ت 463هـ/1069م) ببناء جامع بنيسابور<sup>2</sup>.

وسار على نهجه ابنه السلطان ملكشاه، في الرفع من منزلة العلم والعلماء، كما قام ببناء جامع السلطان في بغداد<sup>3</sup>، وأنشأ المرصد سنة 467هـ بحضور جماعة من مشاهير العلماء في علم الفلك، كعمر الخيام وأبو المظفر الاسفزاری، وميمون بن النجيب الواسطي<sup>4</sup>، وخصص ثلاثمائة ألف دينار سنوياً للنفقة على أرباب المدارس والأربطة<sup>5</sup>، وطلب من العلماء تأليف كتاب يتحدث عن سير الملوك ويتضمن اقتراحات ووصايا وتوجيهات ونصائح وإرشادات لإصلاح نظام الحكم، وجعل ذلك على شكل مسابقة يتنافس فيها هؤلاء العلماء، حيث أجال كل واحد منهم فكره مستعيناً بكتب المؤرخين الأوائل، ثم رفعت كتبهم إليه، فاختر منها كتاب وزيره نظام الملك "سياست نامه"، الذي ألفه ليكون دستوراً يتبع في إدارة الحكم والدولة، وأعجب به السلطان ملكشاه وقال أنه سيخذه دليلاً يسير عليه<sup>6</sup>.

أما السلطان بركياروق هو الآخر كان يعظم العلماء ويحترمهم ويرفع من قدرهم، بالرغم من عهده المليء بالحروب، بسبب الصراع على السلطة مع إخوته وأعمامه، وخير دليل على تبوء العلماء منزلة في عهده، أنه كان يرسلهم إلى الخلفاء العباسيين، إذ في شهر شعبان سنة 492هـ وصل الكيا أبو الحسن بن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراس إلى بغداد، حاملاً رسالة من السلطان بركياروق إلى الخليفة العباسي<sup>7</sup>.

وكان السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه، حسن السيرة لما يصلح للسلطنة، مواظباً على العدل والعمارة وحفظ بيت المال والصدقة، يرجع إلى الدين والعقل، حسن الاعتقاد، كثير البغض للباطنية والروافض، ورفع المكوس<sup>8</sup>، كما كان ينفق على العلماء ولا يخل عليهم، ويطلب الدعاء منهم له، ويكرمهم، وقام ببناء العديد من الأربطة، مثل رباط الصوفية بالقرب من المدرسة النظامية في بغداد<sup>9</sup>.

1- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 52.

2- السبكي، المصدر السابق، ج 4، ص 300.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 309.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 409، الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 126، محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 52.

5- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المجلد الخامس، بيروت، دار صادر، 1397هـ/1977م، ص 287.

6- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 136.

7- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 23-24.

8- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 172.

9- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 140-141.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

أما ولده السلطان محمود فقد كان قوي المعرفة بالعربية، حافظاً للأشعار والأمثال، عارفاً بالتواريخ والسير<sup>1</sup>، يكرم العلماء، حيث أعطى أبا الفتح الغزالي أخو أبي حامد الغزالي، ألف دينار لما وعظ في داره-أي السلطان محمود- وهو حاضر<sup>2</sup>، كما كان حريصاً على تعيين العلماء المدرسين بنفسه في نظامية بغداد، وكذا إرسالهم كسفراء بينه وبين عمه السلطان سنجر، وجعل بلاطه مقصداً للعلماء<sup>3</sup>.

وفي عهد السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه تجلت نهضة ثقافية شملت العلوم والآداب، ويرجع ذلك إلى اتخاذه خراسان مقراً له ومن مرو عاصمة لدولته<sup>4</sup>، وكان له ولع بالعدل والإنصاف، والتقوى والعفاف<sup>5</sup>، ويحترم علماء الدين احتراماً كبيراً، ويتقرب إليهم تقرباً تاماً، ويميل ميلاً كاملاً إلى الزهاد والأبدال، ويختلي بهم<sup>6</sup>.

وللوزراء السلاجقة آثار كثيرة في الناحية العلمية، حيث قاموا ببناء المساجد والمدارس والربط والمكتبات وتأليف الكتب، وقاموا بتشجيع العلماء وإنزالهم منزلة رفيعة عالية، والاعتراف بقدرهم ومكانتهم، وتوفير الأمن والاستقرار الذي يدفع الحركة العلمية في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي<sup>7</sup>؛ فهذا الوزير عميد الملك الكندري (ت 457هـ) كان يحترم العلماء ويجلهم في حياتهم ومما تم، وكان يحضر جنائز العلماء والفقهاء<sup>8</sup>، أما الوزير نظام الملك... فلم يكذب يتسلم منصب الوزارة حتى شرع في تأسيس نظامياته وبثها في في حواضر العالم الإسلامي.. وهياً لرواد العلم ما يحتاجون إليه من زاد ومواد.. وقرب إليه العلماء وشجعهم على مواصلة البحث والتدريس وأغدق عليهم الأرزاق لاعتقاده بأن العلم قوام الدين كما أن الدين عماد الدولة وأن العدل أساس الملك.. وما دام يريد لأمته دولة عادلة فلا بد له من نشر العلم كما عزم الدين.. ولا بد له من أن يمهد لذلك بإنشاء المدارس وغيرها...<sup>9</sup>، كما خصص فصلاً في كتابه "سياست نامه" للحديث عن العلماء، يقول في ذلك: "...على الملك تحري أمور الدين، وإقامة الفرائض والسنن وأوامر الله تعالى، وحفظ حرمة علماء الدين وتأمين أرزاقهم من بيت المال، وإكرام الزهاد والمتقين

1- الحسيني، زبدة التواريخ...، المصدر السابق، ص 195.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 196.

3- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 142.

4- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 55.

5- الراوندي، المصدر السابق، ص 256.

6- المصدر نفسه، ص 260.

7- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 147.

8- البنداري، المصدر السابق، ص 25.

9- عبد الهادي محمد رضا محبوبية، المرجع السابق، ص 153.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وتقديرهم، وعليه أن يدعو إليه علماء الدين مرة أو مرتين أسبوعين...<sup>1</sup>، وكان الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك (ت 494هـ/1100م) يمتاز بالكفاءة ورجاحة العقل والفصاحة والبلاغة، ويجيد النثر والنظم باللسانين الفارسي والعربي، ويؤدي في ذلك بلاغة وطلاقة<sup>2</sup>، وأيضا الوزير سعد الملك الأوجي وهو ممن وزر للسلطان بركياروق، أبدى اهتماما كبيرا بالعلم والعلماء وكان حريصا على حضور مجالس العلم، ليرغب الناس فيه<sup>3</sup>، ومن الوزراء الذين شجعوا العلم ورفعوا قدر العلماء الوزير أبو المعالي عبد الرزاق بن عبد الله بن إسحاق الطوسي المعروف بالشَّهاب، الذي كان إمام نيسابور في عصره، ومشاهير العلماء، ولي التدريس بمدرسة عمه نظام الملك مدة، ثم ارتفعت درجته إلى أن صار وزير السلطان سنجر بن ملكشاه، وبقي على الوزارة مدة، وكان يجتمع عنده الأئمة وينظرهم، ويظهر كلامه عليهم، وكان فصيحاً، جريئاً<sup>4</sup>.

وهكذا كان لسلطين السلاجقة ووزرائهم أثر بالغ في ازدهار الحركة العلمية خلال العصر السلجوقي، فقد ساهموا في تهيئة الأجواء وبناء المؤسسات التعليمية وتخصيص الأموال والجرايات على العلماء واستجلابهم والبحث عنهم واحترامهم والرفع من منزلتهم، مما جعل العصر السلجوقي عصرا ذهبيا في بروز العلماء الفطاحل وتطور العلوم.

**1-2- الرحلة في طلب العلم: الرحلة: الارتحال<sup>5</sup>، قال الله تعالى: ﴿رَحَلَتِ الشَّتَاءَ وَالصَّيْفَ﴾ (قريش: 2)، وفي القاموس المحيط يقول الفيروزآبادي عن الرحلة: "وارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كترحلوا، والاسم: الرُّحْلَة، بالضم والكسر، أو بالكسر: الارتحال، وبالضم: الوجه الذي تقصده، والسَّفْرة الواحدة..."<sup>6</sup>، وعلى ضوء ذلك عرفها أحد الباحثين الباحثين بأنها حركة ينتج عنها الانتقال من مكان إلى مكان لهدف معين<sup>7</sup>.**

1- المصدر السابق، ص 97.

2- عباس إقبال، المرجع السابق، ص 196.

3- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 55.

4- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج 2، ص 1057-1058.

5- الأصفهاني الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، ط 1، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ/1992م، ص 347.

6- المصدر السابق، ص 626.

7- الحارثي عبد الله بن علي بن خضران، الرحلة في طلب العلم عند بعض المربين المسلمين في العصر العباسي، وتطبيقاتها التربوية، بحث مكمل للحصول على درجة الماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1430هـ-1431هـ، ص 64.



## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

تعتبر الرحلة في طلب العلم عاملاً مهماً ومؤثراً في ازدهار الحركة العلمية إبان العصر السلجوقي، نظراً لكثرة الحواضر العلمية في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، مما ولد دافعية قوية إلى التعلم، وصبراً على تحصيل العلم، وجدداً في اجتياز مراحل، وتحسيدا لمجتمع التعلم المفتوح، وتطبيقاً عملياً لشعار "التعلم مدى الحياة"<sup>1</sup>، فانطلق طلبة العلم كالشهب الراصدة يقطعون الفيافي والقفار، ويجوبون الآفاق، ويسطرون في صفحات التاريخ أنصعها في ما سمي في حضارتنا بـ "الرحلة في طلب العلم"<sup>2</sup>، التي تعد إحدى أهم الوسائل المؤدية لنقل العلوم والمعارف من بلد إلى آخر، فكان دأب العلماء والفقهاء وطلاب العلم على الحملة الارتحال بقصد الدراسة والعلم، سعياً للقاء الشيوخ وكبار الأساتذة من أجل الاستزادة من العلوم والنبوغ فيها، فقد كانت الرحلة في طلب العلم ميسرة نظراً لانعدام الحدود بين أمصار العالم الإسلامي<sup>3</sup>، لذا اندفع طلبة العلم في جميع الأصقاع يبذلون الجهد والمال والغالي والغالي والنفيس في سبيل هذه الغاية المباركة، يقول الخطيب البغدادي: "...ولو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كتبة الحديث، وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق..."<sup>4</sup>، والظاهر أنَّ طلبة العلم لم يدخروا وسعاً في توفير النفقة من أجل رحلاتهم حين يدرسون ويلتقون المشيخة، ويتواصلون مع العلماء في المساجد والمدارس والربط والخانقاهات والزوايا والدور والبيوت والمنازل في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، فكانت رحلاتهم العلمية بجانب المتعة في تحقيق المبتغى، لا تخلو من العناء والمشقة وتحشم الصعاب التي يواجهها الطلبة وهم بعيدون عن أهاليهم، لذا كان علماء الفقه يجوبون البوادي ويختلطون بقبائل العرب من أجل الحذق في اللغة وقواعدها، يقرضون الشعر ويتربصون في الأدب، كما رحل علماء الحديث إلى الأقاليم والبلدان والأمصار والحواضر والكور بحثاً عن سند الحديث وتتبع متنه ورجاله، ومتابعة سماع ما لم يتيسر لهم سماعه في بلدانهم<sup>5</sup>، حتى إذا أتم سماع العوالي والمهمات بقطره عليه أن يشد الرحال لغيره<sup>6</sup>، ولا نكاد نجد عالماً ذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق، إلا ورحل في طلب العلم ونأى بعيداً عن الأهل، ليكتسب الفوائد، ويحفظ الفوائد، ويسعد بصحبة الشيوخ<sup>7</sup>، وقد عقد عبد الرحمان بن خلدون فصلاً في

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 134.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م-15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، 1431هـ-1432هـ/2010م-2011م، ص 75.

4- الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص 402.

5- مرزبان سعيد مرزبان عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى، 1404هـ-1405هـ/1984م-1985م، ص 236.

6- ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، بيروت، المكتبة العلمية، 1981م، ص 222.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 135.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

في مقدمته عنوانه بـ "في أنَّ الرحلة في طالب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم"، وفي ذلك يقول: "...والسبب في ذلك: أنَّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب، الفضائل: تارة علما وتعلما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أنَّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا..."<sup>1</sup>، وهذا لا يتأتى إلا بكثرة المشيخة فيكون التحصيل عاليا وأكثر رسوخا، كما يكتسب طالب العلم اصطلاحات العلوم ويفقه ترتيبها واستعمالها في مواضعها ويحكم النظر فيها<sup>2</sup>، مما يؤدي إلى أن "...تنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته المباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال..."<sup>3</sup>.

ينبغي على طالب العلم الذي عزم على الرحيل لطلب العلم أن يتأدب بآداب هي خير له بعد عون الله تعالى وتوفيقه، حيث تبدأ الرحلة بإخلاص النية لله تعالى، وتأدية صلاة الاستخارة<sup>4</sup>، ثم التخطيط لها، سواء باستشارة أصحاب المعرفة والخبرة ممن سبق لهم الرحيل، وكذلك البلدان التي يعزم على الرحيل إليها، وعليه كذلك اختيار الرفقة الصالحة<sup>5</sup>، وأيضا اجتناب مجالس أهل الملل المختلفة والأهواء والبدع، والتحلي بالأخلاق الفاضلة<sup>6</sup>. ولا شك أنَّ دوافع الرحلة العلمية كثيرة تتأصل في نفسية طالب العلم تحفزه للمضي لبلوغ غايته وهدفه ولعل أبرز هذه الدوافع هي: -البعد السياسي والاجتماعي والاقتصادي له أثر واضح في ظهور الرحلات العلمية نحو ميادين النشاط الحضاري.

-العناية بالعلوم وتشجيع العلماء على البحث والتأليف، فقد سعى الحكام إلى تقريب أولي العلم والمعرفة وإكرامهم، وتهيئة المناخ الملائم لهم للبحث في حقل المعرفة المختلفة، وبالتالي تيسير السبل أمام الإنتاج الفكري حسب تخصص كل منهم. -جمع الكتب وتصنيفها والاهتمام بها وحيازتها. -توافق الظروف المناسبة لطلب العلم في الحواضر والمراكز العلمية كبغداد ونيسابور ومرو وسمرقند وبخارى، حيث كانت تشهد ازدهارا فكريا وشيوع ذكر

1-المصدر السابق، ص532.

2-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

3-المصدر نفسه.

4 -الحارثي عبد الله بن علي بن خضران، المرجع السابق، ص83.

5-المرجع نفسه، ص84.

6-المرجع نفسه، ص85.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

علمائها مما رغب طلاب العلم للتوجه إليها من أجل لقاء العلماء والأخذ عنهم واكتساب مناهجهم وعلومهم<sup>1</sup>.

كما شجع العلماء والفقهاء وطلبة العلم عموماً على الرحلة أمان مهمان هما:

-وجود المساجد والجوامع والمدارس، والربط والخانقاهات والزوايا التي كانت تتخذ لضيافة العلماء وإقامتهم بها دون مقابل ونرى ذلك جلياً في أثناء البحث.

-كان التعليم والتحديث والتدريس حسبة لا يتقاضى عنها العلماء أجراً<sup>2</sup>.

وعلى ضوء ذلك رحل طلبة العلم لملاقاة العلماء وبنهلوا منهم ويرووا عنهم، بحيث أضحت الدولة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها كأنها وحدة مهما تعدد حكامها<sup>3</sup>، لذلك كانت الرحلة العلمية بين بلدان العالم الإسلامي، علامة على تمتين أواصر التقارب، وهذا أمر واضح تفرضه طبائع الأشياء، وما كانت النتيجة لتتم على غير هذه الصورة، لأن طواف الكثير منهم بالأقاليم ربط المشرق والمغرب، وألغى السدود والحدود، مما جعل العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة<sup>4</sup>، وانطلاقاً من ذلك كان معظم طلبة العلم والباحثين يرحلون في حماسة ونشوة كبيرة عبر القارات الثلاثة، ثم يرجعون إلى أمصارهم كما يعود النحل محملاً بالعسل الشهي، ثم يقبع هؤلاء العلماء في بلدانهم ليشاهدوا شغف جماهير الناس من العامة، الذين كانوا ينتظرون عودتهم لتحلق حول حلقتهم، فينهلون من علومهم ومعارفهم زادا وخيراً عميماً، وأيضاً انهمك هؤلاء العلماء في تدوين ما جمعوا وما سمعوا في كتب ومصنفات هي أشبه بدوائر المعارف، مع تسلسل رائع وبلاغة رفيعة، وتعد هذه الكتب بمثابة المصادر الأولى للعلوم الحديثة بأوسع ما تحمله كلمة العلوم من معنى، وهي مرجع العلماء والباحثين، ومنها يستمدون فنونا من الثقافة والمعرفة أعمق بكثير مما يظن الناقدون<sup>5</sup>.

إن التشردم والانقسام السياسي بين أمصار العالم الإسلامي، لم يمنع من التواصل العلمي بينها، وأبقى بالتالي على وحدة المسلمين الفكرية، والسبب الرئيسي في ذلك هو أن لغة العلوم هي اللغة العربية، مما زاد من حرية الترحال في أرجاء العالم الإسلامي، وحفز طلبة العلم أن يدرسوا في أي بلد من بلاد المسلمين، وخصوصاً أن اللغة العربية هي اللغة المهيمنة والسائدة في المساجد ودور العلم، كما أتقنها الشيوخ والطلبة على حد سواء<sup>6</sup>. ومما تجدر

1- بن سالم هشام، المرجع السابق، ص 172-173.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 138.

3- المرجع نفسه، ص 136.

4- المرجع نفسه، ص 137.

5- Nicolson, A literary History of The Arabs, p.281، نقلاً عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 137.

6- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 137.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

تجدر الإشارة إليه أنَّ الرحلات في طلب العلم ارتبطت بالتجارة، حيث كان العلماء وطلاب العلم يخرجون في ركاب التجار مستخدمين الطرق التجارية في التنقل بين المدن والبلاد الإسلامية سعياً وراء العلم والمعرفة<sup>1</sup>. كان ديدن علماء العصر السلجوقي الارتحال في سبيل طلب العلم، إلى مختلف الحواضر العلمية في الأقاليم الثلاث-محل دراستنا- وخاصة عواصمها كبغداد ونيسابور وأصفهان والري ومرو وسمرقند وبلخ وغيرها، لذا سنذكر عينة من هؤلاء العلماء الذين جابوا هذه الحواضر، كما يلي:

- عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أبو سعد الإمام (ت 477هـ)، الذي سمع الكثير من أصحاب الأصم، وصحب زين الإسلام إلى بغداد، وسمع مع إخوته مشايخ بغداد وخراسان والري<sup>2</sup>.

- الحسن بن علي محمد بن أحمد بن جعفر أبو علي الوخشي البلخي الحافظ (ت 471هـ)، الذي قدم إلى نيسابور وسمع بها مراراً. وارتحل إلى الحجاز فسمع بها وبمصر وبالعراق والشام والجلال، وجدَّ واجتهد في جمع الصحيح<sup>3</sup>.

- الحسن بن أحمد بن محمد أبو محمد السمرقندي الإمام الحافظ عديم النظر (ت 491هـ)، رحل من سمرقند إلى نيسابور قديماً قبل سنة 430هـ، وسمع مشايخ عصره، ثم خرج إلى سمرقند، وعاد إلى نيسابور واستوطنها، كما سمع من أهل سمرقند وبخارى، وأكثر عن أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري، وكذلك قرأ بنيسابور على المشايخ<sup>4</sup>.

- أبو القاسم الهذلي يوسف بن علي بن جبارة المغربي (ت 465هـ) المقرئ المتكلم النحوي، صاحب كتاب الكامل في القراءات، وكان كثير الترحال، حتى وصل إلى بلاد الترك، في طلب القراءات المشهورة والشاذة<sup>5</sup>.

- أبو بكر الشاشي (ت 507هـ) الذي رحل إلى العراق ودخل إلى بغداد، وسافر إلى آمد ومكة لطلب العلم<sup>6</sup>.

- محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار، أبو بكر بن أبي المظفر السمعاني (ت 510هـ)، رحل إلى نيسابور، فسمع بها وبالري وهمدان وبغداد والكوفة ومكة وأصبهان<sup>7</sup>.

- محمد بن حاتم بن محمد بن عبد الرحمن الطائي أبو الحسن (ت 512هـ) ورد نيسابور، وسافر إلى العراق والشام والحجاز والثغور<sup>8</sup>.

1- Jonathan Karam Skaff, *The Sogdian Trade Disapora in East Turkestan*, Journal of the-1 Economic and Social History of Orient, vol46, no, 4, 2004, p475.

2- الصيرفي، المصدر السابق، ص 283.

3- المصدر نفسه، ص 182.

4- المصدر نفسه، ص 188.

5- ابن العماد، المصدر السابق، ج 2، ص 320.

6- السبكي، المصدر السابق، ج 6، ص 70-71.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 150.

8- السبكي، المصدر السابق، ج 6، ص 96.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

-أبو الفضل جعفر بن يحيى بن عبد الله المتممي المعروف بالحكاك المكي، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان وغير ذلك من البلاد، توفي سنة 485هـ<sup>1</sup>.

-الخطيب البغدادي (ت463هـ) الذي أكثر من السماع من البغداديين، ورحل إلى البصرة ثم إلى نيسابور، ثم إلى أصبهان، ودخل في طريقه همذان والجبال، ثم عاد إلى بغداد، وخرج إلى الشام، وسمع بدمشق وصور ووصل إلى مكة<sup>2</sup>.

**1-3- المؤسسات التعليمية:** كان لها أبلغ الأثر في ازدهار الحياة العلمية في عصر الدراسة، حيث اعتبر المسلمون عبر تاريخهم أنَّ تنشيط الحركة العلمية وبعث الحياة الثقافية وإحياء النفوس بالعلم<sup>3</sup>، بالمساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس وغيرها، التي ساهمت بشكل فعّال في تطور الفكر الإسلامي، وسنفصل في المبحث الثالث من هذا الفصل في المؤسسات التعليمية ودورها في العصر السلجوقي.

**1-4- المكتبات الخاصة والعامة:** يعد الكتاب الأداة الأولى والأساسية لتحصيل العلم، والمساعد الأكبر على البحث والدرس، به يتعلم الطلبة جل علومهم، فهو بمثابة المرجع والمآب، حيث احتل في الأعصر التي نمت فيها العلوم وازدهرت، منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، ومقاماً محموداً، حتى أنك لتدهش في أغلب الأحيان عندما تسمع المسلم يتحدث عن الكتاب، وما يكن له من تقدير وإجلال، فتخاله يتحدث عن صديق له نما وده، وزاد إخلاصه، أو حبيب طال بعده، وكثر الشوق إليه<sup>4</sup>. وعلى ضوء ذلك حرص السلاجقة على دعم العلم والعلماء بتخصيص المكتبات وجلب الكتب إليها، ففي القرن الخامس الهجري وخلال ما يقرب من قرنين من الزمن استعملت كلمة دار لتعني المكتبات المهمة، وانتهى الأمر إلى أن تستعمل لكل مكتبة كبيرة، ولو كانت بدون بناء مخصص لها، وللكلمة -أي دار- في التعبير وظيفة تعيين صفة المكتبة لا شكل المكان<sup>5</sup>، وعليه انتشرت المكتبات الخاصة والعامة في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وأصبح من النادر أن تخلو مدرسة أو مسجد أو مستشفى أو غير ذلك من مؤسسات العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها<sup>6</sup>، من ذلك اهتمام الوزير نظام الملك شخصياً بالمدارس النظامية، بإنشاء دار كتب بكل مدرسة من هذه المدارس، وكان يختار بنفسه من يقوم

1- ابن كثير، المصدر السابق، ج12، ص140.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص129.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص160.

4- المرجع نفسه، ص198.

5- العش يوسف، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية نزار أباطة ومحمد صباغ، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1411هـ/1991م، ص35.

6- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص145.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

على خزانة الكتب ويدقق في اختياره، واشترط أن يكون عالماً عارفاً سني المذهب الشافعي أصلاً وفروعاً، له معرفة جيدة بالآداب والفنون، حسن الخط، كما كان نظام الملك يغدق الأموال والهدايا على خزائن الكتب، ويشترى الكتب بأوفر الأثمان<sup>1</sup>.

ومن أهم خزائن المدارس النظامية، نجد خزائن المدرسة النظامية في بغداد، حيث تعد المكتبة النظامية في بغداد أولى المكتبات الجامعية في الإسلام، ولها قصة عظيمة، وهي مكتبة مشهورة بخزنتها، ملثما هي غنية بمؤلفاتها<sup>2</sup>، وقد نمت هذه المكتبة حتى بلغت بعد قرن من وفاة نظام الملك ستة آلاف كتاب، على ضوء ما أخبر به ابن الجوزي، عندما نظر في ثبت الكتب الموقوفة فقط، وكذلك مكتبات نظاميات نيسابور وأصبهان ومرو، التي زارها ياقوت الحموي وخاصة نظامية مرو عام 613هـ-614هـ، ووصف خزائنها العشر ومنها الخزانة النظامية، وما أفاده من ذخائرها في تأليف كتبه ولاسيما معجم البلدان، بحيث أنسته كل بلد وألته عن الأهل والولد، وقد ظفرت هذه الخزائن بطرائف المخطوطات وأثن المؤلفات<sup>3</sup>.

كما كان لنظام الملك مكتبة خاصة في أصفهان، وهي مكتبة قيمة جمع لها الكتب من طرق شتى كالشراء والإهداء وتآليف العلماء الذين ذكروا اسمه فيها مثل كتابي الغياثي والعقيدة النظامية لأبي المعالي الجويني، وكتاب "التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن فرقة الهالكين" للشيخ الإمام أبي المظفر طاهر بن محمد الإسفرايني (ت 481هـ)، وكتاب "دستور اللغة" للبديع الزمان تظنزي المتوفى سنة 497هـ<sup>4</sup>.

وبالمقابل لا نجد أحداً من العلماء إلا وله خزانة كتب خاصة، مثل الخطيب البغدادي الذي وقف كتب داره على المسلمين<sup>5</sup>، أما محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي (ت 480هـ)، فقد ابتنى بشارع ابن أبي عوف داراً للكتب، ووقف فيها نحواً من أربعمائة مجلد في فنون العلوم ورتب بها خازناً<sup>6</sup>، ومنهم من كان شغوفاً بجمع الكتب، فهذا الحافظ الكبير أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة، أبو طاهر بن أبي أحمد السلفي الأصبهاني الجرواني (ت 576هـ)، كان مغرماً بجمع الكتب، وحصل منها الكثير، وكتب بخطه لا سيما من الأجزاء ما لا يعد كثرة<sup>7</sup>، أما الطبيب أبو علي يحيى بن عيسى بن جزلة (ت 493هـ)، فقد وقف كتبه قبل وفاته وجعلها في

1- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 146.

2- العش يوسف، المرجع السابق، ص 194.

3- عبد الهادي محمد رضا محبوبية، المرجع السابق، ص 393-394.

4- المرجع نفسه، ص 398-400.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 134.

6- المصدر نفسه، ج 16، ص 275-276.

7- السبكي، المصدر السابق، ج 6، ص 39.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

مسجد أبي حنيفة<sup>1</sup>، وكان ابن الجوزي (ت 597هـ) جماعة للكتب، حيث جمع المصنفات الكبار والصغار نحو من ثلاثمائة مصنف<sup>2</sup>. وبهذا يظهر جليا أنَّ المكتبات العامة والخاصة كانت من العوامل المؤثرة في ازدهار الحركة العلمية خلال العصر السلجوقي.

**1-5- حوانيت الوراقين:** ارتقت الحضارة العربية الإسلامية أرقى الدرجات، ووافقت بذلك جميع الحضارات الأخرى، نظير ما خلفته من كتب ومخطوطات كانت من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها، نظرا لظهور صناعة الورق، وشيوع استعماله وله أبرز الأثر في بروز طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب، وهؤلاء هم الوراقون، ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الطائفة ولم يهتموا بهم، فإنَّ فضل الوراقين لا يمكن إنكاره، ودليل ذلك أنَّ ملايين المخطوطات العربية التي تزخر بها مكتبات بغداد والكوفة والبصرة، ودمشق وقرطبة ونيسابور وبخارى واسطنبول وتونس والقيروان وبجاية وتلمسان وفاس ومراكش وسبتة وغرناطة وغيرها من الحواضر الإسلامية قبل اختراع الطباعة، تشهد لهؤلاء الوراقين بالسبق في نهضة الحركة العلمية وتدين لهم بازدهارها<sup>3</sup>. وقد تمت الإشارة إلى هذه المهنة في سياق حديثنا عن الصناعة في العصر السلجوقي، ورصدنا العلماء الذين مارسوا الوراقة في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، لذا نؤكد على دور حوانيت الوراقين في ازدهار الحركة العلمية إبان الفترة السلجوقية، كما كان لها أثر عظيم في رواج كتب العلم وانتشارها في حواضر الأقاليم الثلاثة-محل دراستنا- وتداولها بين جميع الناس.

**1-6- مجالس المناظرات العلمية:** كان دأب علماء المسلمين البحث عن مظان العلم وسبله، ويغوصون في أغوار المعرفة ويتحرون منابعها، مما جعلهم متفتحين على جميع ذلك، مثبتين فعاليتهم في تحري العقل، وما كان ليتردد أحد من هؤلاء العلماء بالتصريح عن عجزه بالإجابة عن أي سؤال في حال عدم قدرته على ذلك، أو أن ينتفع من غيره بعلم يقال ليزداد هدى وبصيرة، وكانوا يأخذون الحكمة من أي وعاء خرجت، وينالون الحقائق من أي أفق سطعت مجسدين بذلك غاية مبادئ حركتهم الفكرية، التسامح مع الآخر، لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: 256)، فلا غرو أنَّ المسلمين تمكنوا من احتواء جميع الحضارات والأجناس والأعراق الأخرى بكل موارثها وأفكارها وتناقضاتها، وتركوا المجال لجميع الناس وفتحوا لهم الأبواب لبسط الأدلة ومقارعة الحجج، بالتناظر العقلي البناء الذي يؤدي في غالب الأحيان للإقناع ودحض

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 61.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ج 13، ص 28.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 350.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الشبهات القائمة، والأوهام الواردة، ودفعها جميعا بالحجة الدامغة والدليل القاطع والمنطق الصائب، لذلك ظهرت في مجالس العلماء يومئذ ما يسمى بـ "مجالس المناظرات العلمية"<sup>1</sup>.

والمناظرة العلمية هي: "المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب"<sup>2</sup>، وكذلك "المقصود من المناظرة إما أن يكون قطع الخصم فقط وإظهار الغلبة كيف كان، أو إظهار الحق فقط كيف كان، أو هما جميعا"<sup>3</sup>، ويعود سبب قيام مجالس المناظرات العلمية إلى علم الكلام الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية والرد على المخالفين<sup>4</sup>، وقد وردت في العديد من المصادر عبارة "عقد مجلس النظر" أي مجلس المناظرة العلمية الذي عرفه صاحب كتاب مفتاح السعادة بقوله: "...وعلم النظر يتناول كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين، وموضوعه الأدلة التي يثبت بها المدعي دعواه بها على الغير، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة والقدرة على التناظر، لئلا يقع الخطب في البحث الذي يناقشه فيتضح الصواب..."<sup>5</sup>، وعلى ضوء ذلك يستطيع صاحب الرأي أن يثبت رأيه ويدحض رأي غيره، وله أصول محددة<sup>6</sup>، وناهيك على ذلك تنبغي الإشارة إلى الفرق بين المناظرة والجدل، حيث أن المناقشة العلمية تبدأ كمناظرة ثم تتحول إلى جدل وتتطور إلى مكابرة وتعجرف بحثا عن الشهرة واستعراض النفس<sup>7</sup>، كما يعد علم الجدل أحد فروع علم النظر<sup>8</sup>، لذا عرفه ابن خلدون بقوله: "...وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل أهل المذاهب الفقهية وغيرهم؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران، عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا، وكيف يكون مخصوصا منقطعا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال، ولذلك قيل فيه إنه معرفة

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص222.

2- الجرجاني، المصدر السابق، ص231-232.

3- الحنبلي نجم الدين، علم الجدل في علم الجدل، تحقيق قولفهارت هاينريشس، ص07، نقلا عن بن منصور آمنة، المناظرة في الأندلس (الأشكال والمضامين)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012م، ص11.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص222.

5- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، ج1، ص303.

6- الثامري إحسان ذنون، المرجع السابق، ص52-53.

7- بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص11.

8- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص223.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

بالقواعد من الحدود والآداب، في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره...<sup>1</sup>، ولهذا ازدادت أهمية مجالس المناظرة العلمية وكثر انتشارها تبعا لحركة بناء المدارس، حيث كانت المكان الأمثل لالتقاء أهل العلم من جميع المذاهب والتخصصات العلمية، وفيها كان يتم تبادل الآراء حول المسائل المختلفة في جميع أصناف العلوم، وساهمت هذه المناظرات في تشجيع الحوار الفكري والعقلي بين علماء البلدان الإسلامية على اختلاف مذاهبهم<sup>2</sup>، والظاهر أنَّ "...مجالس المناظرة كانت تعقد أحيانا بمحض الصدفة، إذ يقصد أحد العلماء شيخا بارزا ليناقله، ويتطور النقاش بينهما إلى مناظرة... وهناك مناظرات كان الغرض منها هو إثبات تفوق أحد الطرفين المتناظرين، ويعين عادة في هذه الحالة حكم... وربما تمت مثل هذه المناظرات دون أن يحصل اللقاء بين المتناظرين..."<sup>3</sup>، وعلى ضوء ذلك يشترط في المناظرة ثلاثة شروط هي:

- 1- أن يجمع بين خصمين متضادين أو متباينين في صفاتهما، بحيث تظهر خواصهما، كالريعب والخريف، والصيف والشتاء، وغير ذلك.
  - 2- أن يأتي كل من الخصمين مستعدين للمناظرة، ومحاولة تفنيد مزاعم الخصم، بأدلة عقلية، من شأنها أن ترفع قدره، وتحت من قدر الخصم بحيث يميل بالسامع منه.
  - 3- أن تصاغ المعاني والآراء صياغة حسنة، وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع، وتنمي فيه الرغبة في حل المشاكل<sup>4</sup>.
- وتبعاً لذلك قام علماء البحث والمناظرة بإقرار جملة من الأسس والضوابط والآداب ألزموا بها المتناظرين، حفاظاً على جوهر المناظرة ومقاصدها، وهي كما يلي<sup>5</sup>:
- 1- أن يتجنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه، لئلا يؤثر ذلك فيه<sup>6</sup>.
  - 2- التقيد بالقول المهذب، والابتعاد عن الطعن والتجريح<sup>1</sup>.

---

1- المصدر السابق، ص 416.

2- بلعرج عبد الرحمان، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول الممالك سياسياً وثقافياً بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (7هـ-9هـ/13م-15م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1433هـ-1434م، ص 286.

3- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، الرياض، دار المريخ، 1981م، ص 57.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 223.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص 12.

6- بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص 223.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- 3- أن لا يكون المناظر ذو ازدياء لخصمه واحتقار له، وأن يكون ندًا له حتى يناظره بكل طاقته<sup>2</sup>.
- 4- ألا يرى خصمه أقوى منه فيتخاذل أمامه ويعجز عن تقديم دفاعه كما يجب.
- 5- أن لا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي، كأن يكون جائعًا أو ظامئًا أو حاقنًا، أو نحو ذلك.
- 6- أن يتقابل المتناظران في المجلس ويصر أحدهما الآخر إن أمكن، ويكونا متماثلين أو متقاربين علما ومقدارا<sup>3</sup>.
- 7- التخلي عن التعصب لوجهة نظر سابقة، وتجنب منهج التحدي والإقحام.
- 8- التزام الطرق الإقناعية الصحيحة، وسلامة المناظر ودليله من التناقض<sup>4</sup>.
- 9- ألا يكون المناظر متسرعا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية، ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير في الوصول إلى الحق.
- 10- أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة في إظهار الحق ولو على يد خصمه<sup>5</sup>.
- 11- عدم الطعن في أدلة الخصم إلا ضمن الأمور المبنية على المنطق السليم.
- 12- التسليم بالقضايا التي تعد من المسلمات ابتداء.
- 13- قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة والمرجحة<sup>6</sup>.
- 14- أن يتجنب كل منهما الهزء والسخرية، وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدراؤه لصاحبه، أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز.
- 15- أن يحتزز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجى من ذلك<sup>7</sup>.
- 16- أن يتجنب المناظر الألفاظ الغريبة، والألفاظ الجملة التي تحتل عدة معان من غير ترجيح أحدهما الذي هو المراد.
- 17- أن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع، فلا يخرج كلاهما عما هما بصدد.
- 18- ألا يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماما.

1- بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص12.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص223.

3- المرجع نفسه، ص223.

4- بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص12.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص223.

6- بن منصور آمنة، المرجع السابق، ص12.

7- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص224.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

19- ألا ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه.

20- أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، أو يعترف بأن قوة دليله تقدم ترجيحاً لوجهة نظره، أو لمذهبه، حتى يكشف شيئاً آخر يضعف دليله، ويجعله غير صالح للترجيح<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ مجالس المناظرة هي أفضل سبيل للشهرة والمجد، وعندما يحس العالم بتفوقه في علمه كان يسعى لمناظرة عالم مشهور، وإذا تغلب عليه في مجلس المناظرة، سطع نجمه، وذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق<sup>2</sup>.

غصَّ العصر السلجوقي بمجالس المناظرات العلمية، فقد لاقت هذه المجالس أهمية كبيرة لدى السلاطين والوزراء، فكانوا يعقدونها في قصورهم، حيث يتم تناول مختلف المواضيع الدينية والعلمية والأدبية، وفي كثير من الأحيان كانت تعقد بمحض الصدفة كما قلنا، مثل المناظرة التي عقدها نظام الملك بين أبي إسحاق الشيرازي والجويني، حينما زار الشيرازي أصفهان سنة 475هـ<sup>3</sup>، يضاف إلى ذلك كان الشيخ أبو الفتح الحداد الأصبهاني والخواص النيسابوري (ت 500هـ)، يعقدان مجالس المناظرة، فأبو الفتح يعد من أنظر أهل زمانه، وله السعادة في المناظرة والعبارة الحسنة المهذبة والتميز على الخصم<sup>4</sup>، ونجد من العلماء المناظرين أيضاً؛ أحمد بن منصور الضبي، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، وأبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي، وأبو سعد المعمر بن علي بن المعمر البغدادي، وأبو سعد يحيى بن علي الحلواني، وأيضاً أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزغواني، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشاشي، وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي، وأبو طالب إبراهيم بن هبة الله بن علي، وأبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن القاسم الجيلي، وأبو شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي، وأبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد الحندي، وأحمد بن معالي بن بركة الحربي، وأبو حكيم إبراهيم بن دينار بن أحمد النهرواني، ومحمد بن علي بن عبد الله بن حمدان، وأبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي، وأبو الفضل حامد بن محمد بن حامد الحراني، ومحمد بن أسعد بن محمد العطاري، وأبو الفتوح نصر الله بن عبد الرحمن بن عبد السلام الدامغاني، وأبو الفضل يونس بن محمد ابن منعه الأربلي، وأبو عبد الله محمد بن أبي علي النوقاني<sup>5</sup>.

ونخلص إلى القول بأنَّ جميع هذه العوامل التي سقناها، ساهمت كلها في ازدهار الحياة العلمية إبان العصر السلجوقي، وقد ارتبطت هذه العوامل ببعضها البعض وشكلت سلسلة متكاملة، بحيث ظلت هذه العوامل تتكرر

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 224.

2- المرجع نفسه، ص 225.

3- ذهبية عاشور أبو بكر قري، المرجع السابق، ص 217-218.

4- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 151.

5- نادية بنت عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 147-149.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

في كل عصر، ولكن وتيرة تسارعها وتوسعها وتطورها وتميزها خلال هذا العصر اختلفت في شكلها وتحولاتها عن العصور الأخرى.

**2- نظام التعليم خلال العصر السلجوقي:** شهد نظام التعليم إبان العصر السلجوقي عدة تطورات، فقد أدرك العلماء وسلاطين ووزراء الدولة السلجوقية، ثقل أمانة التعليم وخطورة التقصير في أدائها، فعملوا على صياغة سياسة تعليمية تقوم على فلسفة الإسلام، وتنطلق من توجيهاته، وتنهل من مصادره المعصومة: القرآن والسنة، دون إغفال أخذ النافع مما أنتجه العقل البشري في هذا المجال؛ إذ بصدقهم ووفائهم وحرصهم على نهج النبوة في تعليم الناس، تتحقق هذه الوظيفة التي هي المقصد الكبير لنظام التعليم، وهي صياغة الناشئة على الإسلام محبة وولاء، عقيدة وشريعة، علما وعملا وخلقا<sup>1</sup>.

يعد نظام التعليم من أهم العوامل المؤثرة في صيرورة الحركة الفكرية ودفعها إلى التقدم والتطور والازدهار، وترقية العلوم والآداب وإشاعة العلم والثقافة بين أفراد المجتمع وترقيته سلوكيا وحضاريا<sup>2</sup>، كما يعتبر التعليم أيضا واجبا عقيديا وخلقيا يلتزم العلماء بالقيام به طوعا ودون مقابل مشروط، امتثالا لتعاليم الإسلام التي تحت على بذل المعرفة ونشر العلم<sup>3</sup>، وهذا ما تأصل في المجتمع الإسلامي منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى غاية العصر السلجوقي، بحيث أضحى نظام التعليم سر رقي وازدهار الحضارة العربية الإسلامية وتفوقها على الحضارات الأخرى، مما يجعلنا نمسك بمختلف الخصوصيات التي تميز بها نظام التعليم إبان الفترة السلجوقية، فقد أخذت السلطة السلجوقية على عاتقها الإشراف المباشر على فعاليات التعليم، ببناء المدارس النظامية في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتوجيه التعليم وفق الأهداف التي سطرها والرؤية التي ترومها، بالإضافة إلى التدخل في تعيين العلماء المدرسين في هذه المدارس وكذا المساجد السلطانية، والإنفاق عليهم وتخصيص رواتب لهم، كل ذلك يعد قفزة نوعية في نظام التعليم في التاريخ الإسلامي.

إن نسق السياسة التعليمية خلال العصر السلجوقي نابع من لب التغيرات الاجتماعية والفكرية التي شهدتها هذا العصر، فقد تكاملت السياسة التعليمية للدولة السلجوقية مع حركة الإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي الذي سطره الوزير السلجوقي الكبير نظام الملك، حيث ارتكز على توجيه العلماء الذين عملوا جاهدين على دعم التوجهات الكبرى للدولة السلجوقية لتوحيد العالم الإسلامي سياسيا ومذهبيا

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 135.

2- فيلاي عبد العزيز، المرجع السابق، ج 2، ص 338.

3- خرماش محمد، نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث (قراءة في الاصطلاحات التربوية)، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1414، 01/1993م، المعهد الوطني للعالي للحضارة الإسلامية، وهران، ص 119.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وإعادة بعث حركة الجهاد والفتح، وبالتالي شهدت السياسة التعليمية تجاذبات شتى بين صناع القرار السياسي ونخبة العلماء الحقيقيين ببلورة النسق الجديد للنظام التعليمي القائم على تخريج كوادر وكفاءات لإدارة مختلف خطط الدولة، كل ذلك أثمر نظام تعليميا متكاملا ذو أهداف واضحة ومناهج وطرق وأساليب متطورة جدا بمقاييس تلك الفترة.

**2-1- منهم التعليم وأصوله:** اعتبر العلماء المسلمون نظام التعليم الإسلامي من أشرف الوظائف التي تصدوا للقيام بها وبذل أوقاتهم في سبيلها، فقد نظروا إليه على أنه فعل النبي صلى الله عليه وسلم والوظيفة التي بعث من أجلها، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَلَنْ كَانُوا مِنْ قَبْلَ لَفِي ضَلَالٍ

**مُبِينٍ**﴾ (الجمعة: 02)، فمن خلال الآية تتمحور وظيفته عليه الصلاة والسلام في التلاوة والتزكية وتعليم الكتاب والحكمة<sup>1</sup>، وأن كل ما جاء به إنما هو تعاليم جديدة وإفادات يصلح بالسلوك عليها نهج الحياة ويرى بها الفرد ثم المجتمع تربية إسلامية متميزة<sup>2</sup>، كما ساق الغزالي لنا ما يحققه العالم أثناء قيامه بتعليم الناس، حيث يقول في ذلك: "فتعليم العلم من وجه: عبادة لله تعالى، ومن وجه خلافة لله تعالى، وهو من أجل خلافة الله، فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه، ثم هو مأذون له في الإنفاق منه على كل محتاج إليه، فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى، جعلنا الله منهم بكرمه، وصلى الله على كل عبد مصطفى..."<sup>3</sup>، كل ذلك جعل العلماء ينسقون فيما بينهم لاعتماد منهج للتعليم واضح الأهداف والغايات، يعتمد التدرج في تلقين مختلف العلوم العقلية والعقلية للناشئة، قائم على منهج الكتاب والسنة النبوية والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وكبار علماء الإسلام عبر العصور.

إن من أبرز الفوارق الحضارية والخصوصيات الثقافية في صلة الدين بالعلم، تلك العلاقة الوثيقة والارتباط المحكم بينهما في الحياة الإسلامية، وهو ما يفصح عنه اشتراك الدين والعلم في المكان وفي الأشخاص وفي كل إمكانات الدعم المتاحة للتبلور والتطور. وقد أدرك العلماء الأهمية التي تحظى بها المساجد كمحاضن للعلم والمعرفة ومنطلق أساسي للتعليم، كما ألحقت بها مكاتب كبرى، وخصص لها قيمون على صلة وثيقة بوظائف المسجد، بالإضافة

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 133.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 159.

3- إحياء علوم الدين، المصدر السابق، ص 21.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

إلى النفقة عليها من نفس مال الوقف الذي ينفق منه على المساجد، وكانت صفة العالم المشارك أعلى صيغ التحلية ورتب التصنيف العلمي، ومدلول المشاركة لا يتحقق إلا بالإسهام في معارف أخرى خارجة عن نسق العلوم الشرعية كعلوم الرياضيات والفلك والطب والصيدلة والمنطق وما إليها<sup>1</sup>.

لقد شغل منهج التعليم فكر علماء العصر السلجوقي، ما داموا يشكلون جماعة وظيفية ضامنة لتحقيق مكون أساسي من شخصية المجتمع هو مكون التماهي والانسجام مع هدي الشريعة والاحترام لمقتضياته، وإلا لم يكن هناك معنى ولا داع للحديث عن مجتمع إسلامي أو دولة إسلامية<sup>2</sup>، فانطلقوا في مسيرة بلورة منهج تعليمي متكامل يساهم في تشكيل ذهنية المجتمع وفي حراسة وجوده المعنوي<sup>3</sup>، ويكفل السير الحسن لنظام التعليم ومناهجه وأطواره وطرقه، ويبرز الأبعاد الحضارية للتعليم من خلال تطوير مناهجه وفق إستراتيجية تكفل إقرار الأطوار التي يمر بها المتعلم وكذا العلوم التي يتعلمها في كل مرحلة والتدرج في أخذ العلوم حتى يصل إلى المرحلة الأخيرة التي يجاز فيها، وأنواع المؤسسات التي يدرس فيها ابتداء من الكتاتيب والمساجد فالزوايا وأخيرا المدارس، لذا وضعوا لكل طور منهاجا تعليميا يناسبه، فرفعوا بذلك سقف التحدي عاليا لاستكمال لبنة أساسية في صرح الفكر الإسلامي.

والجدير بالذكر أن العلماء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الإشراف على فعاليات نظام التعليم وأطواره، عملوا على تحديد مجموعة من الآداب والشروط التي ينبغي أن تتوفر في العلماء المدرسين والطلبة المتعلمين كما يلي:

**أ- آداب وشروط العلماء المدرسين:** حصر أبو الحسن الماوردي الآداب والشروط الواجب توفرها في العلماء المدرسين في: -التخلق بالتواضع ومجانبة العجب، لأنَّ التواضع عطوف والعجب منفر، وهو بكل أحد قبيح، وبالعلماء أقبح، لأنَّ الناس بهم يقتدون، وكثيرا ما يداخلهم الإعجاب؛ لتوحدتهم بفضيلة العلم. كما اعتبر أنَّ الذي يعجب بعلمه ويفتخر به؛ من كان فيه مقللاً ومقصراً، لأنه يجهل قدره، ويحسب أنه قد نال بالدخول فيه أكثره، فأما من كان فيه متوجها، ومنه مستكثراً، فهو يعلم من بعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته، ما يصده عن العجب منه<sup>4</sup>.

- أن يوطن نفسه دائماً لقول الله أعلم أو لا أعلم، نظراً لعدم القدرة على الإحاطة بالعلم، فلا عار أن يجهل بعضه، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار، لم يقبح به أن يقول: لا أعلم، فيما ليس يعلم<sup>5</sup>.

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 147.

2- المرجع نفسه، ص 151.

3- المرجع نفسه، ص 155.

4- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص 72-73.

5- المصدر نفسه، ص 74.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-لا ينبغي للرجل وإن صار في طبقة العلماء الأفاضل، أن يستكف من تعلُّم ما ليس عنده، ليسلم من التكلف له. وليكن مستقلاً للفضيلة منه، ليزداد منها، ومستكثراً للنقيصة فيه؛ لينتهي عنها، ولا يقنع من العلم بما أدرك منه؛ لأنَّ القناعة فيه زهد، والزهد فيه ترك، والترك له جهل<sup>1</sup>.

-وليكن من شيمته العمل بعلمه، وحثُّ النفس على أن تأتمر بما يأمر به، نظراً لأنه لما كان علمه حجة على من أخذته عنه، واقتبس منه، حتى يلزمه العمل به، والمصير إليه، كان عليه أحجّ، وله ألزم، لأنَّ مرتبة العمل قبل مرتبة القول، كما أنَّ مرتبة العلم قبل مرتبة العمل<sup>2</sup>.

-ومن آداب العلماء ألاَّ ييخلوا بتعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، فإنَّ البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم. وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه من غير بخل، وأتوه عفواً من غير بذل؟ أم كيف يجوز لهم الشُّحُّ بما إن بذلوه زاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى. ولو استن بذلك من تقدمهم، لما وصل العلم إليهم، ولا انقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالا. وعليهم إدراك ما يحققونه من ثواب الله تعالى وزيادة العلم وإتقان الحفظ إن هم قاموا بالتعليم<sup>3</sup>.

-يوجه الماوردي العلماء المدرسين إلى كيفية التعامل مع المتعلمين، الذين هم صنفين: مستدعي وطالب، فأما المستدعي إلى العلم؛ فهو من استدعاه العالم إلى التعليم، لما ظهر له من جودة ذكائه، وبأن له من قوة خاطره، فإذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلم، كانت نتيجهما درك النجباء، وظفر السُّعداء، لأنَّ العالم باستدعائه متوفر، والمتعلم بشهوته وذكائه مستكثر. وأما طالب العلم لداع يدعو وباعث يحذوه، فإن كان الداعي دينياً، وكان المتعلم فطناً ذكياً، وجب على العالم أن يكون عليه مقبلاً، وعلى تعليمه متوفراً، لا يخفي عليه مكنونا، ولا يطوي عنه مخزوناً، وإن كان بليدا بعيد الفطنة؛ فينبغي ألا يمنع من اليسير فيحرم، ولا يحمل عليه الكثير فيظلم، ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه؛ فإنَّ الشهوة باعثة، والصبر مؤثر. فأما إن لم يكن الداعي دينياً نظر فيه، فإن كان مباحاً، كرجل دعاه إلى طلب العلم حبَّ النَّباهة، وطلب الرياسة؛ فالقول فيه يقارب القول الأول في تعليم من قبله، لأنَّ العلم يعطفه إلى الدين في ثاني الحال، وإن لم يكن مبتدئاً به في أول حال. وإن كان الداعي محظوراً، كرجل دعاه إلى طلب العلم شرّاً كامناً، ومكر باطن، يريد أن يستعملهما في شبهة دينية، وحيل فقهية، لا يجد أهل السلامة منهما مخلصاً، ولا عنهما مدفعاً. وينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم، ليعرف مبلغ طاقته، وقدر استحقاقه؛ ليعطيه ما يتحمله بذكائه، أو يضعف عنه ببلاذته، فإنه أروح للعالم، وأنجح للمتعلم. وإذا كان

1- الماوردي، أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص75-76.

2- المصدر نفسه، ص77-78.

3- المصدر نفسه، ص79-80.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة، وكان بقدر استحقاقهم خبيراً، لم يضع له عناء، ويخب على يديه صاحب؛ وإن لم يتوسمهم، وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم، كانوا وإياه في عناء مكّد، وتعب غير مجد؛ لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى الزيادة، وبليد يحتاج إلى التقليل، فيضجر الذكي منه، ويعجز البليد عنه، ومن يردد أصحابه بين عجز وضجر ملّوه وملّهم<sup>1</sup>.

-يرشد الماوردي العلماء إلى الأسلوب الأمثل لتعليم السلطان، الذي له رغبة في العلم لفضيلة نفسه وكرم طبعه، فلا يجعل -أي العالم- ذلك ذريعة في الانبساط عنده، والإذلال عليه، بل يعطيه ما يستحقه بسلطانه، وعلوّ يده، فإنّ للسلطان حق الطاعة والإعظام، وللعالم حق القبول والإكرام. ثم لا ينبغي أن يتدّنه إلا بعد الاستدعاء، ولا يزيده على قدر الاكتفاء، فربما أحبّ بعض العلماء إظهار علمه للسلطان فأكثر، فصار ذلك ذريعة إلى ملله، ومفضيا إلى بعده، لأنّ السلطان متقسم الأفكار، مستوعب الزمان، فليس له في العلم فراغ المنقطعين إليه، ولا صبر المنفردين به. وليخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة، لا مخرج التعليم والإفادة، لأنّ لتأخير التعليم خجلة تقصير، يجلّ السلطان عنها، فإن ظهر منه خطأ أو زلل، في قول أو عمل، لم يجاهره بالردّ، وعرض باستدراك الزلل وإصلاح الخلل. ثم ليحذر اتباعه فيما يجانب الدين، ويضاد الحق، موافقة لرأيه، ومتابعة لهواه، فربما زلت أقدام العلماء في ذلك، رغبة أو رهبة، فضّلوا وأضلّوا، مع سوء العاقبة وقبح الآثار<sup>2</sup>.

-ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والقناعة بالميسور عن كد المطالب، فإنّ شبه المكسب إثم، وكد الطلب ذل، والأجر به من الإثم، والعزّ أليق به من الذل. على أنّ العلم عوض من كل لذة، ومغن عن كل شهوة، ومن كان صادق النية فيه، لم يكن له همة فيما يجد بدا منه<sup>3</sup>.

-ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله تعالى بتعليم من علموا، ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا، من غير أن يعتاضوا عليه عوضاً، ولا يلتمسوا عليه رزقاً، وعليهم نصح من علموه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم، فإنّ ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكركم، وأنشر لعلومهم وأرسخ لمعلومهم، كما يجب أن لا يعنفوا متعلماً، ولا يحقروا ناشئاً، ولا يستصغروا مبتدئاً، فإنّ ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحث على الرغبة فيما لديهم. وألا يمنعوا طالبا، ولا ينفروا راغباً، ولا يؤيسوا متعلماً، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستمرار ذلك مفض إلى انقراض العلم بانقراضهم<sup>4</sup>.

1-أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص 80-82.

2-المصدر نفسه، ص 82-83.

3-المصدر نفسه، ص 83-84.

4-المصدر نفسه، ص 84-85.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

**ب-آداب وشروط الطلبة المتعلمين:** وضع الفقيه الحنفي برهان الدين الزرنوجي (ت593هـ) جملة من

الآداب والشروط التي ينبغي أن يتحلى بها الطلبة المتعلمون لأجل طلب العلم كما يلي:

- ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضا الله، والدار الآخرة، وإزالة الجهل عن نفسه، وعن سائر الجهال، وإحياء الدين، وإبقاء الإسلام فإنَّ بقاء الإسلام بالعلم، وينوي به الشكر على نعمة العقل، وصحة البدن، ولا ينوي به إقبال الناس عليه، ولا استجلاب حطام الدنيا، والكرامة عند السلطان وغيره<sup>1</sup>.

- ينبغي لطالب العلم أن يختار من كلِّ علم أحسنه، وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال، ثم ما يحتاج إليه في المال، ويقدم علم التوحيد والمعرفة، ويعرف الله تعالى بالدليل، فإنَّ إيمان المقلد وإن كان صحيحاً عندنا، ولكن يكون أثماً بترك الاستدلال، ويختار العتيق دون المحدثات، وإياك أن تشتغل بهذا الجدال الذي ظهر بعد انقراض الأكابر؛ فإنه يبعد عن الفقه، ويضيع العمر، ويورث الوحشة، والعداوة، وهو من أشرار الساعة، وارتفاع العلم والفقه<sup>2</sup>.

- وأما اختيار الأستاذ؛ فينبغي أن يختار الأعلم، والأورع، والأسنَّ، كما ينبغي أن يشاور في كل أمر، وخصوصاً طلب العلم الذي يعد من أعلى الأمور، وأصعبها، فكانت المشاورة فيه أهمَّ وأوجب. وعليه أن يثبت ويصبر على أستاذ، وعلى كتاب؛ حتى لا يتركه أبتر، وعلى فن؛ حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول، وعلى بلد؛ حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة، فإنَّ ذلك كله يفرق الأمور، ويشغل القلب، ويضيع الأوقات، ويؤذي المعلم<sup>3</sup>.

- وأما اختيار الشريك؛ فينبغي أن يختار المجتهد، والورع، وصاحب الطبع المستقيم والمتفهم، ويفر من الكسلان والمعطل، والمكثار، والمفسد، والفتان<sup>4</sup>.

- على طالب العلم أن يعظم قدر العلم وأهله، ويوقر الأستاذ، وذلك بألا يمشي أمامه، ولا يجلس مكانه، ولا يبتدئ الكلام عنده إلا بإذنه، ولا يكثر الكلام عنده، ولا يسأل شيئاً عند ملالته، ويراعي الوقت، ولا يدق الباب، بل يصبر حتى يخرج. كما يطلب رضاه، ويحتمل سخطه، ويمتثل أمره من غير معصية الله تعالى، ولا طاعة للمخلوق في معصية الخالق، ومن توقيره: توقير أولاده، ومن يتعلَّق به. ومن تعظيم العلم تعظيم الكتاب، فينبغي لطالب العلم ألا يأخذ الكتاب إلا بطهارة، وعليه ألا يمد الرجل إلى الكتاب، ويضع كتب التفسير فوق سائر الكتب، ولا يضع على الكتاب شيئاً آخر (من محبرة وغيرها)، ومن التعظيم الواجب أن يجوّد كتابة الكتاب، ولا يقرمط، ويترك الحاشية إلا

1- الزرنوجي برهان الدين، تعليم المتعلم في طريق التعلم، حققه وقدم له صلاح محمد الخيمي ونذير حمدان، ط3، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1435هـ-2014م، ص40-41.

2- المصدر نفسه، ص47.

3- المصدر نفسه، ص48-52.

4- المصدر نفسه، ص52.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

عند الضرورة، وينبغي أن يكون تقطيع الكتاب مرتباً، (لا مدوّراً)، وأن لا يكون في الكتاب شيء من الحرمة، فإنه صنيع الفلاسفة، لا صنيع السلف<sup>1</sup>.

-ومن تعظيم العلم تعظيم الشركاء (في طلب العلم والدرس) ومن يتعلم منه، والتملق مذموم إلا في طلب العلم، فإنه ينبغي أن يتملق لأستاذه، وشركائه؛ ليستفيد منهم. وينبغي لطالب العلم أن يستمع العلم، والحكمة بالتعظيم، والحرمة؛ وإن سمع مسألة واحدة، وكلمة واحدة ألف مرة، وعليه ألا يختار نوع العلم بنفسه، بل يفوض أمره إلى الأستاذ (فإنَّ الأستاذ) قد حصل له التجارب في ذلك، فكان (أعرف ما ينبغي لكل واحد) وما يليق بطبيعته. كما ينبغي لطالب العلم ألا يجلس قريباً من الأستاذ عند السبق بغير ضرورة، بل ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر القوس، فإنه أقرب إلى التعظيم<sup>2</sup>.

-ينبغي لطالب العلم أن يحتز عن الأخلاق الذميمة، فإنها كلاب معنوية، وخصوصاً التكبر الذي لا يحصل معه العلم<sup>3</sup>.

-يجب على المتعلم الجِدُّ والمواظبة والملازمة، ولا بد له من المواظبة على الدرس، والتكرار في أول الليل وآخره، فإنَّ ما بين العشائين، ووقت السحر وقت مبارك، ولا يجهد نفسه جهداً يضعف النفس، حتى ينقطع عن العمل، بل يستعمل الرفق في ذلك، والرفق أصل عظيم في جميع الأشياء، وأن يكون ذو هممة عالية في العلم واستفراغ الجهد فيه، كما ينبغي للمتعلم أن يتعب نفسه على التحصيل، والجِد والمواظبة بالتأمل في فضائل العلم<sup>4</sup>.

-وينبغي أن يتدبَّر شيء من العلوم يكون أقرب إلى فهمه، ولا يكتب شيئاً لا يفهمه فإنه يورث كلاله الطبع، ويذهب الفطنة ويضيع أوقاته، وعليه أن يجتهد في الفهم من الأستاذ بالتأمل، والتفكير، وكثرة التكرار؛ فإنه إذا قل السبق، وكثر التكرار، والتأمل؛ يدرك ويفهم. ولا يتهاون بالفهم بل يجتهد، ويدعو الله تعالى ويتضرع إليه، فإنه يجيب من دعاه ولا يخيب من رجاه، ولا بد له من المذاكرة والمناظرة والمطارحة، وكذلك يحتز عن الشغب والغضب، والمذاكرة مع متعَب غير مستقيم الطبع، وعليه أن يكون متأملاً في جميع الأوقات في دقائق العلوم. ويعتاد ذلك، فإنما يدرك الدقائق بالتأمل، ولا بد من التأمل قبل الكلام؛ حتى يكون صواباً، وينبغي له أن يشتغل بالشكر باللسان والأركان والمال ويرى الفهم والعلم والتوفيق إليه من الله تعالى، ويطلب الهداية من الله تعالى بالدعاء له والتضرع إليه، ولا يعتمد على نفسه، وعقله بل يعتمد على الله تعالى ويطلب الحق منه، ويهديه إلى صراط مستقيم، ومن كان له مال فلا يبخل، وينبغي أن يتعوذ بالله تعالى من البخل، وعليه أن

1-الزرنوجي برهان الدين، المصدر السابق، ص 55-63.

2-المصدر نفسه، ص 63-65.

3-المصدر نفسه، ص 66.

4-المصدر نفسه، ص 69-77.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

يشترى بالمال الكتب ويستكتب، فيكون عوناً على التعلم والتفقه، كما ينبغي لطالب العلم أن يكون ذا همة عالية، لا يطمع في أموال الناس، وأن يعد ويقدر لنفسه تقديراً في التكرار، فإنه لا يستقر قلبه حتى يبلغ ذلك المبلغ، وينبغي أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله ثلاثاً، والذي قبله اثنين، والذي قبله واحداً، فهذا أدعى إلى التكرار والحفظ، وألا يعتاد المخافة في التكرار، لأنَّ الدرس والتكرار ينبغي أن يكون بقوة ونشاط ولا يجهر جهراً يجهد نفسه، كيلا ينقطع عن التكرار فخير الأمور أوسطها، وألا يكون له فترة فإنها آفة<sup>1</sup>.

-لابد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم، ولا يهتم لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك، وعليه تقليل العلائق الدنيوية بقدر الوسع، ولهذا اختاروا الغربة، كما ينبغي له تحمل النصب والمشقة في سفر التعليم، وألا يشتغل بشيء آخر غير العلم ولا يعرض عن الفقه<sup>2</sup>.

-ينبغي لطالب العلم أن يستغرق جميع أوقاته، فإذا ملَّ من علم؛ يشتغل بعلم آخر<sup>3</sup>.

-ينبغي أن يكون طالب العلم مستفيداً في كل وقت، حتى يحصل له الفضل، وطريق الاستفادة أن يكون معه في كل وقت محبرة حتى يكتب ما يسمع من الفوائد، كما ينبغي عليه أن يغتنم الشيوخ ويستفيد منهم وليس كل ما فات يدرك، وعليه تحمل المشقة والمذلة لطلب العلم، والتعلق للأستاذ والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم<sup>4</sup>.

-يجب على المتعلم أن يتخلق بالورع، إذ كلما كان ورعاً، كان علمه أنفع والتعلم له أيسر وفوائده أكثر. وحتى يكون ورعاً عليه أن يتحرز عن الشبع، وكثرة النوم، وكثرة الكلام فيما لا ينفع، وأن يتحرز عن أكل طعام السوق إن أمكن؛ لأنَّ طعام السوق أقرب إلى النجاسة، والخبائث، وأبعد عن ذكر الله تعالى، وأقرب إلى الغفلة، ولأنَّ أبصار الفقراء تقع عليه، ولا يقدر على الشراء فيتأذون بذلك وتذهب بركته. وأن يجتنب من أهل الفساد والمعاصي والتعطيل، فإنَّ المجاورة مؤثرة لا محالة، وأن يجلس مستقبل القبلة، وأن يكون مستنّاً بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ويغتنم دعوة أهل الخير، ويحترز عن دعوة المظلوم. وعليه ألا يتهاون بالآداب، والسنن؛ فإنَّ من تهاون بالآداب؛ حرم السنن، ومن تهاون بالسنن؛ حرم الفرائض، ومن تهاون بالفرائض؛ حرم الآخرة، وينبغي أن يكثر الصلاة، ويصلي صلاة الخاشعين، فإنَّ ذلك عون له على التحصيل والتعلُّم، ويجب عليه أن يستصحب دفترًا على كل حال، ليطالعه<sup>5</sup>.

1-الزرنوجي برهان الدين، المصدر السابق، ص 87-102.

2-المصدر نفسه، ص 103-106.

3-المصدر نفسه، ص 110.

4-المصدر نفسه، ص 117-120.

5-المصدر نفسه، ص 121-125.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

من خلال ما سبق يمكن القول إنَّ هذه الآداب والشروط التي ينبغي أن تتوفر في العلماء المدرسين والطلبة المتعلمين، تظهر حرص العلماء الشديد على الرفع من قدر العلم ونظام التعليم، فقد اختارنا نموذجين لعالمين من عاشا في العصر السلجوقي، أحدهما سكن العراق والآخر بلاد ما وراء النهر، فالماوردي ساق لنا آداب وشروط العلماء المدرسين، انطلاقاً من خبرته الطويلة في التعليم والتدريس والتأليف وممارسة القضاء ورئاسته للشافعية في عصره ومعاصرته للعباسيين والبهيميين والسلاجقة، كل ذلك جعله يوجه وينصح ويرشد العلماء المدرسين بآداب وشروط ليسيروا وفقها في أداء وظيفة التدريس والتعليم، أما برهان الدين الزرنوجي استعرض للطلبة المتعلمين ما يحتاجونه من آداب وشروط لكي يتخذوها نبراساً عبر مسيرتهم في طلب العلم، على ضوء ما توفر له من سير وأقوال وخبرة العلماء الكبار الذين طلبوا العلم، وجمعها في كتاب ألفه لطلبة العلم في أواخر العصر السلجوقي.

كل ذلك جعل نظام التعليم ينقسم إلى نظامين رئيسيين: الأول نظام الحلقة، والثاني نظام المجلس، ويمكن أن نضيف إليهما نظام الفصل أو المحاضرة، خاصة بعد انتشار المدارس وعناية المسؤولين بها. كما تقرر أن يكون نظام تعليمي للصبيان في الكتاتيب، فيتعلمون القراءة والكتابة إلى جانب حفظ القرآن الكريم، وغير ذلك من المواد التي تدرس في هذه المرحلة، في حين كان نظامي الحلقات والمجالس يسودان معظم أقطار العالم الإسلامي، وخاصة في المساجد والجوامع الكبيرة، حيث ظل المسلمون يتبعون هذا النظام منذ أن جلس الرسول صلى الله عليه وسلم بالمسجد يعلم الناس أمور الدين الجديد<sup>1</sup>، وسنفصل في هذين النظامين بعد الحديث عن كيفية التعليم وأساليبه.

**ج- كيفية التعليم (التدريس) وأساليبه:** إنَّ الهدف المبتغى للدرس أن يكتسب الطلبة مزيداً من العلم ولو بالطرق التقليدية المتواترة ضمن النسق العام الذي طبع نظام التعليم في العالم الإسلامي<sup>2</sup>، لذا أعطى العلماء في العصر السلجوقي أهمية كبيرة لكيفية التعليم (التدريس) وأساليبه، فقد واصلوا مسيرة أجيال العلماء الذين أصلوا لهذه الأساليب التي توافقت مع واقع المجتمع الإسلامي والمؤسسات الدينية والتعليمية ونسق العلوم الإسلامية التي في مقدمتها علوم القرآن والحديث النبوي الشريف، كما أكد الخطيب البغدادي بأن لكل علم طريقة ينبغي لأهله أن يسلكوها، وآلات يجب عليهم أن يأخذوا بها ويستعملوها<sup>3</sup> وبالتالي سنسلط الضوء على ما أفرده الفقيه عبد الكريم السمعاني (ت562هـ) في كتابه "أدب الإملاء والاستملاء"، ونستقصي أهم أسلوب من أساليب التعليم ألا وهو الإملاء خلال العصر السلجوقي.

1- سالك أحمد معلوم، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، ط2، دمنهور، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، 1413هـ/1993م، ص50.

2- خرماش محمد، المرجع السابق، ص122.

3- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق الدكتور محمود الطحان، الجزء 01، ط1، الرياض، مكتبة المعارف، 1403هـ/1983م، ص75.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

**-أول- المملي:** يتدئ مجلس الإملاء عندما يعين المملي لأصحابه يوم المجلس، لئلا ينقطعوا عن أشغالهم، وليستعدوا لإتيانه، ويعد بعضهم بعضاً<sup>1</sup>، وعليه ألا يخلف مواعده إلا أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به<sup>2</sup>، ويستحب للمحدث أن يملي في المساجد خصوصاً يوم الجمعة في المسجد الجامع<sup>3</sup>، وعليه أن يجلس تجاه القبلة<sup>4</sup>، ولا يمس أصله ولا يحدث إلا على طهارة<sup>5</sup>، ويشترط أن يحدث المملي من كتابه تجنباً للنسيان وقلة الحفظ<sup>6</sup>، بحيث يفتح مجلس الإملاء بقراءة سورة من القرآن الكريم<sup>7</sup>، ثم يستنصت الناس بأن يأمر المستملي بفعل ذلك<sup>8</sup>، كما عليه رفع صوته بما يريد أن يمليه<sup>9</sup>، بشرط ألا يرفعه إلا بقدر ما يسمع للحاضرين<sup>10</sup>، وينبغي له الجلوس الجلوس في موضع مشرف على الحاضرين حتى يبدو للجماعة وجهه ويبلغهم صوته<sup>11</sup>، ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم ويفتح بالتسمية ويقول الحمد لله رب العالمين<sup>12</sup>، وبعدها يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن إتياع ذكر الله بذكره واجب والصلاة عليه في تلك الحال أمر لازم<sup>13</sup>.

- 
- 1- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد، أدب الإملاء والاستملاء، دراسة وتحقيق أحمد محمد عبد الرحمن محمد محمود، الجزء الأول، ط1، مطبعة المحمودية، 1413هـ، ص241.
  - 2- المصدر نفسه، ج1، ص243.
  - 3- المصدر نفسه، ج1، ص252.
  - 4- المصدر نفسه، ج1، ص260.
  - 5- المصدر نفسه، ج1، ص264.
  - 6- المصدر نفسه، ج1، ص267.
  - 7- المصدر نفسه، ج1، ص272.
  - 8- المصدر نفسه، ج1، ص274.
  - 9- المصدر نفسه، ج1، ص275.
  - 10- المصدر نفسه، ج1، ص277.
  - 11- المصدر نفسه، ج1، ص278.
  - 12- المصدر نفسه، ج1، ص283-284.
  - 13- المصدر نفسه، ج1، ص286.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

يستهل الدرس بحوار بينه وبين المستملي الذي يقول له من ذكرت أو من حدثك رحمك الله، فيقول: حدثنا فلان، وينسب شيخه الذي يريد أن يروي عنه حتى يبلغ بنسبه منتهاه<sup>1</sup>، ثم يترحم على شيخه ويدعو له<sup>2</sup>، ولا يروي عن شيخ واحد بل يروي عن جماعة من شيوخه، ولو روى كل إسناده عن شيخ آخر كان أحسن<sup>3</sup>، ولا يروي يروي إلا عن الثقات<sup>4</sup>، ويجتنب الرواية عن الضعفاء والمخالفين من أهل البدع والأهواء<sup>5</sup>.

يستحب للمملي أن يروي عن المشاهير ويعدل عن الغرائب والمناكير<sup>6</sup>، ولا يروي ما لا يحتمله عقول العوام<sup>7</sup>، وعليه التركيز على الأحاديث الفقهية التي تفيد معرفة الأحكام الشرعية من العبادات وما تعلق بحقوق المعاملات<sup>8</sup>، وكذلك أحاديث الترغيب في فضائل الأعمال، وما يحث على الخير والذكر ويזהد في الدنيا<sup>9</sup>، كما ينبغي عليه إذا أملى حديثاً يتضمن كلاماً غريباً أن يفسره، وكذا إذا احتوى على معنى غامض أن يبينه ويظهره<sup>10</sup>، ولا يجوز للمملي أن يفسر إلا ما عرف معناه، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه<sup>11</sup>.

وإذا انتهى المملي في الإسناد إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم استحسب له الصلاة عليه رافعاً صوته بذلك، وهكذا يفعل في كل حديث عاد فيه ذكره<sup>12</sup>، وعليه الترضي على الصحابة الكرام متى ذكرهم<sup>13</sup>، يضاف إلى ذلك فقد وجه السمعاني المملي عندما يتكلم على الحديث ويصفه بالصحة والثبوت وغير ذلك من الصفات والنعوت، أن يستحب له التنبيه على فضل ما يرويه تبيين المعاني التي لا يعرفها إلا الحفاظ، من أمثاله وذويه، فإن كان الحديث عالياً أو صحيحاً وصفه بذلك<sup>14</sup>.

1-السمعاني، أدب...، المصدر السابق، ج1، ص291.

2-المصدر نفسه، ج1، ص292.

3-السمعاني، المصدر السابق، ج1، ص293.

4-المصدر نفسه، ج1، ص294.

5-المصدر نفسه، ج1، ص297.

6-المصدر نفسه، ج1، ص303.

7-المصدر نفسه، ج1، ص310.

8-المصدر نفسه، ج1، ص312.

9-المصدر نفسه، ج1، ص313.

10-المصدر نفسه، ج1، ص315.

11-المصدر نفسه، ج1، ص318.

12-المصدر نفسه، ج1، ص322.

13-المصدر نفسه، ج1، ص327.

14-المصدر نفسه، ج1، ص330.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ويتجنب المملي التطويل والإكثار في الإملاء، بل يجعله متوسطاً حذراً من سامة السامع وملله، وأن يؤدي ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله<sup>1</sup>، ثم يختم المجلس بالحكايات والنوادر<sup>2</sup>، ويتبعها بالأناشيد والأشعار<sup>3</sup>. ويندب له أثناء أثناء ذكر كلمة إلى أن يعيدها المستملي، ويكتبها الطلبة فيستغفر الله سبحانه وتعالى كي لا يكون فارغاً<sup>4</sup>، وكذلك<sup>4</sup>، وكذلك الاستغفار والحمد لله على آلائه عند انقضاء المجلس<sup>5</sup>، ثم يعرج إلى المعارضة بالمجلس المكتوب وإتقانه وإصلاح ما أفسد منه زيغ القلم وطغيانه<sup>6</sup>. وينبغي لمن أراد سماع الإملاء البكور خوفاً من فوات المجلس بتأخير الحضور<sup>7</sup>.

**- ثانياً: المستملي:** يفرد السمعاني فصلاً في اتخاذ المستملي وآدابه، بدأه بوجوب أن يتخذ المملي من يبلغ عنه الإملاء إلى من بعد في الحلقة<sup>8</sup>، كما ينبغي للمستملي الإشراف على الناس، حيث يستحب له أن يقعد على موضع مرتفع مثل دكة أو كرسي، فإن لم يجد استملي قائماً لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين<sup>9</sup>، وينبغي أن يكون جمهوري الصوت<sup>10</sup>، وأن يكون متيقظاً محصلاً ولا يكون بليداً ولا مغفلاً<sup>11</sup>، وينبغي أن يتخير للاستملاء أفصح الحاضرين لساناً، وأوضحهم بياناً وأحسنهم عبارة وأجودهم أداءً<sup>12</sup>، ويجب أن يكون المستملي قد أنس الحديث واشتغل به بعض الشغل إن لم يكن الكل لأنه إذا لم يكن مشتغلاً به لا يؤمن عليه من الغلط والخطأ<sup>13</sup>، وإذا كثرت الزحام فينبغي أن يزداد من المستملي حتى يبلغ بعضهم بعضاً<sup>14</sup>، وعلى المستملي أن يبدأ باستنصات الناس للمملي<sup>15</sup>.

1- السمعاني، أدب...، المصدر السابق، ج 1، ص 331.

2- المصدر نفسه، ج 1، ص 338.

3- المصدر نفسه، ج 1، ص 344.

4- المصدر نفسه، ج 1، ص 352.

5- المصدر نفسه، ج 1، ص 354.

6- المصدر نفسه، ج 1، ص 363.

7- المصدر نفسه، ج 1، ص 375.

8- المصدر نفسه، ج 2، ص 382.

9- المصدر نفسه، ج 2، ص 390.

10- المصدر نفسه، ج 2، ص 392.

11- المصدر نفسه، ج 2، ص 394.

12- المصدر نفسه، ج 2، ص 402.

13- المصدر نفسه، ج 2، ص 406.

14- المصدر نفسه، ج 2، ص 408.

15- المصدر نفسه، ج 2، ص 413.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ثم يقرأ المستملي سورة من القرآن ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله محمد النبي وآله أجمعين، وصحبه الأكرمين، وروينا الأحاديث في جميع ما ذكرناه فلا نعيدها، فيذكر المستملي جميعها ويدعو للشيخ ويقول: رضي الله عن الشيخ وعن والديه، وعن جميع المسلمين<sup>1</sup>، ويذكر أيضا اسم الشيخ وكنيته ونسبته للحاضرين، فإن لم يعرفه سأل الشيخ حتى يذكرها ويكتبونها<sup>2</sup>. ثم يعرج بعد هذه المقدمة ليقول للمملي: من حدثك رحمك الله أو من ذكرت رضي الله عنك<sup>3</sup>. فإذا قال المستملي من ذكرت؟ يقول المملي: أخبرنا المملي: أخبرنا أبو فلان فلان بن فلان، ويروي الحديث ويذكر كلمة كلمة، ويحاكيه المستملي ويرفع صوته بما يذكره ويمليه. ويستحب للمستملي ألا يخالف لفظ المملي في التبليغ عنه، بل يلزمه ذلك، وخاصة إذا كان الراوي من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية<sup>4</sup>، ويفضل أن يحسن التعامل مع الحاضرين، من ذلك إذا لم يسمع الكاتب حرفا، يقوم بسؤال المستملي عن ذلك حتى يسمعه، أو إذا شك في شيء راجعه حتى يستثبته فيجيبه<sup>5</sup>، ويستحب للمستملي إذا فرغ من الاستملاء أن يدعو للحاضرين، ولمن كتب بالرحمة والمغفرة<sup>6</sup>، حيث يبدأ بالدعاء لنفسه ثم للحاضرين<sup>7</sup>.

-ثالثا-الكاتب: عقد السمعاني فصلا في آداب الكاتب، ابتدأه بوجوب تميز طالب الحديث الشريف في عامة أموره عن طرائق العوام، وذلك باستعمال آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه<sup>8</sup>، وكذلك وجوب البكور إلى مجالس الحديث<sup>9</sup>، وخاصة في فصل الصيف، ولكن الأولى في الشتاء أن يصبر حتى يرتفع النهار<sup>10</sup>، ثم يمشي إلى المجلس دون عجلة<sup>11</sup>، ويجوز له الإسراع في المشي إذا كان حريصا على الطلب وحتى لا يسبقه أحد إلى المحدث<sup>12</sup>، ويستحب له المشي لا الركوب، لبركة المشي إلى مجلس

1-السمعاني، أدب...، المصدر السابق، ج2، ص415.

2-المصدر نفسه، ج2، ص425.

3-المصدر نفسه، ج2، ص429.

4-المصدر نفسه، ج2، ص433.

5-المصدر نفسه، ج2، ص435.

6-المصدر نفسه، ج2، ص437.

7-المصدر نفسه، ج2، ص439.

8-المصدر نفسه، ج2، ص442.

9-المصدر نفسه، ج2، ص447.

10-المصدر نفسه، ج2، ص452.

11-المصدر نفسه، ج2، ص453.

12-السمعاني، أدب...، المصدر السابق، ج2، ص456.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الحديث<sup>1</sup>، وينبغي عليه إصلاح هيئته من ثوب وغيره<sup>2</sup>، ويوسع كذلك كفه ليضع فيه الكتب والأجزاء<sup>3</sup>، ولا يتكلف في اللباس<sup>4</sup>.

إذا حضر جماعة من الطلبة وأذن لهم في الدخول على المملي، فينبغي أن يقدموا أسنهم ويدخلوه أمامهم فإن ذلك من السنة<sup>5</sup>، أو يقدموا أعلمهم<sup>6</sup>، بعد أن يخلع نعليه قبل أن يدخل على المملي<sup>7</sup>، ويجلس حيث ينتهي به المجلس<sup>8</sup>، وإن كان المجلس غاصاً بأهله لا يتخطى الرقاب<sup>9</sup>، إلا في حالة طلب المملي أن يدنو منه، عندها يدنو منه منه بقدر ما يدينه<sup>10</sup>، ويكره أن يجلس في وسط الحلقة<sup>11</sup>، وكذلك في صدر المجلس<sup>12</sup>، وأن يجلس بين اثنين دون إذنهما<sup>13</sup>.

وينبغي لطالب العلم المبالغة في تعظيم المملي وتبجيله<sup>14</sup>، وإذا خاطب الطالب المملي أو راجعه في شيء عظمه في خطابه مثل أن يقول له: أيها الأستاذ أو أيها العالم أو أيها الحافظ ونحو ذلك<sup>15</sup>، كما يجب عليه القيام له<sup>16</sup>، والإفساح له في المجلس الغاص<sup>17</sup>، وتقبيل يده<sup>18</sup>.

- 
- 1- المصدر نفسه، ج2، ص459.
  - 2- المصدر نفسه، ج2، ص462.
  - 3- المصدر نفسه، ج2، ص464.
  - 4- المصدر نفسه، ج2، ص466.
  - 5- المصدر نفسه، ج2، ص471.
  - 6- المصدر نفسه، ج2، ص474.
  - 7- المصدر نفسه، ج2، ص478.
  - 8- المصدر نفسه، ج2، ص482.
  - 9- المصدر نفسه، ج2، ص483.
  - 10- المصدر نفسه، ج2، ص485-486.
  - 11- المصدر نفسه، ج2، ص493.
  - 12- المصدر نفسه، ج2، ص495.
  - 13- المصدر نفسه، ج2، ص499.
  - 14- المصدر نفسه، ج2، ص512.
  - 15- المصدر نفسه، ج2، ص517.
  - 16- المصدر نفسه، ج2، ص521.
  - 17- المصدر نفسه، ج2، ص524.
  - 18- المصدر نفسه، ج2، ص525.
-

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وتوقيير مجلسه<sup>1</sup>، وعدم النوم في مجلس الإملاء<sup>2</sup>، وعليه الاستماع والإصغاء عند الإملاء<sup>3</sup>، بعد أن يستقبل المملي بوجهه<sup>4</sup>، ويتواضع له<sup>5</sup>، ويداريه ويرفق به ويحتمله<sup>6</sup>.

ينبغي للطالب أن يكتب الحديث بالسواد ثم بالخبر خاصة<sup>7</sup>، بشرط أن يحفظ ويصون ثوبه عن المدا<sup>8</sup>، ولا يحضر مجلس الإملاء إلا مع المحبرة<sup>9</sup>، وينبغي أن لا يكون قلم صاحب الحديث أصم صلباً، فإن هذه الصفة تمنع سرعة الجري، ولا يكون رخوا فيسرع إلى الحفا، ويتخذ أملس العود مزال العقود، وتوسع فتحته، وتطال جلفته وتحرف قطته<sup>10</sup>.

ويجب أن يكون الخبر برّاقاً جارياً والقرطاس نقياً صافياً<sup>11</sup>، ويبالغ في تحسين الخط وتجويده<sup>12</sup>، ويستحب أن يكتب خطأ غليظاً ويجتنب الدقيق منه<sup>13</sup>، وأول ما يكتب الطالب في الإملاء: بسم الله الرحمن الرحيم<sup>14</sup>، ثم يكتب بعد التسمية في السطر اسم الشيخ الذي يسمع منه الإملاء أو يكتب عنه، وكنيته ونسبه، ثم يتبع لفظ المملي، ويكتب ما يمليه<sup>15</sup>، والأحسن أن يكتب لفظ المملي، وإلى أن يذكر المستملي يقيد الأسماء، والحروف بالشكل، والإعجام حذراً من التصحيف، والإبهام، فلا يؤمن على من لا يتمهر في صنعة الحديث تصحيف بسر، وبشر مثلاً، وعباس وعياش، وعبيدة وعبيدة، وتحريفها إلى أن ينقط، ويشكل فيؤمن من دخول الوهم ويسلم من ذلك، حاملها وراويها<sup>16</sup>، وإذا فرغ من كتابة الحديث يجعل بينه وبين حديث آخر دارة تفصل بينهما وتميز

1- السمعاني، أدب...، المصدر السابق، ج2، ص528.

2- المصدر نفسه، ج2، ص532.

3- المصدر نفسه، ج2، ص534.

4- المصدر نفسه، ج2، ص537.

5- المصدر نفسه، ج2، ص538.

6- المصدر نفسه، ج2، ص539.

7- المصدر نفسه، ج2، ص545.

8- المصدر نفسه، ج2، ص549.

9- المصدر نفسه، ج2، ص559.

10- المصدر نفسه، ج2، ص564.

11- المصدر نفسه، ج2، ص574.

12- المصدر نفسه، ج2، ص579.

13- المصدر نفسه، ج2، ص581.

14- المصدر نفسه، ج2، ص587.

15- المصدر نفسه، ج2، ص590.

16- المصدر نفسه، ج2، ص591.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

أحدهما عن الآخر<sup>1</sup>، وإذا فرغوا من الكتابة يقرأ المستملي الإملاء والطلبة يعارضون كتابهم، وإن فات لبعض الطلبة الطلبة شيء من المجلس، فيعيّره بعض من حضر كتابه حتى ينسخه منه ويغتنم الثواب في ذلك<sup>2</sup>.

لقد شكل مجلس الإملاء المكون من المملي والمستملي والكاتب أهم أسلوب للتعليم في العصر السلجوقي، إذ ألف الفقيه الشافعي عبد الكريم السمعاني (ت563هـ) كتابه لتجلية هذا الأسلوب الذي كان شائعاً وغالباً في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتتبع فيه كل ما يتعلق بالمملي والمستملي والكاتب، نظراً لخبرته الطويلة في عقد مجالس الإملاء، وقبل ذلك هو نفسه مر على هذا الأسلوب في مرحلة تحصيله العلمي، لذا يعتبر ما أفرد في كتابه عنواناً على الأسلوب الذي اتفق عليه العلماء وارتضوه لنظام التعليم في المساجد والمدارس وغيرها إبان العهد السلجوقي، وهو ما يعكس التشابه الكبير والتلاحم الأكيد والتوحيد لأساليب التعليم في الأقاليم الثلاث التي شملتها دراستنا. وعلى ضوء ذلك سنحصى العلماء الذين عقدوا مجالس الإملاء كما يلي:

- طاهر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشحامي أبو عبد الرحمن المستملي البارع الفاضل الكامل الأديب الفقيه الشروطي (ت499هـ)<sup>3</sup>.

- عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن علي بن متوبه الواحددي أبو القاسم (ت487هـ)، عقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي بنيسابور<sup>4</sup>.

- عبد الرحمن بن منصور بن رامش بن عبد الله بن زيد أبو سعد ابن الرئيس السالار منصور (ت474هـ)، عقد له مجلس الإملاء بالمدرسة النظامية أول ما فرغ من بنائها<sup>5</sup>.

- عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن سعيد أبو الحسين الفارسي (ت448هـ)، عقد له مجلس الإملاء<sup>6</sup>.

- عبد الباقي بن يوسف بن علي المراغي أبو تراب الإمام عديم النظر في فنه (ت492هـ)، عقد له مجلس الإملاء بنيسابور فأملى ثم تركه لضعف بصره<sup>7</sup>.

1- السمعاني، أدب...، المصدر السابق، ج2، ص593.

2- المصدر نفسه، ج2، ص598.

3- الفارسي، المصدر السابق، ص148.

4- المصدر نفسه، ص207.

5- المصدر نفسه، ص207-208.

6- المصدر نفسه، ص257-258.

7- المصدر نفسه، ص259-260.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن إسماعيل بن العباس بن أبي الطيب بن أكرم الصندلي المدني أبو الحسن المؤذن (ت494هـ) عقد لنفسه مجلس الإملاء فأملى سنين وحضره المشايخ والكبار<sup>1</sup>.
- منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني المروزي الإمام أبو المظفر (ت487هـ)، درس في مدرسة أصحاب الشافعي، أملى مدة الحديث<sup>2</sup>.
- هبة الله بن محمد بن الحسين بن داود الحسيني السيد الأجل أبو البركات بن السيد الأجل أبي الحسن العلوي (ت452هـ)، عقد له مجلس الإملاء فأملى في الجامع وفي داره بمولقباذ<sup>3</sup>.
- السيد الواعظ أبو الصمصام ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسيني، أملى بسمرقند وجلس للعامّة في رباط المربع سنة 509هـ وبعدها<sup>4</sup>.
- الشيخ القاضي الإمام الحافظ أبو سعد عبد الله بن أبي المظفر ابن أبي يعمر النّسفي (ت523هـ)، أقام بسمرقند وكان له أمالي في جامعها<sup>5</sup>.
- الحاكم أبو بكر عبد الخالق بن محمد بن سعيد بن علي الشّكّاني (ت480هـ)، كان مستملي شمس الأئمة فيما أملاه بكس<sup>6</sup>.
- الإمام عبد الجليل بن عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن عثمان المودوي النسفي، كان يملّي بنسف في جامعها<sup>7</sup>.
- الشيخ الإمام الزاهد الخطيب أبو محمد عبد الجبار بن أحمد الداري (ت448هـ)، كان آخر مجلس أملاه يوم الخميس السابع من ذي القعدة سنة 448هـ<sup>8</sup>.
- الشيخ الإمام الحافظ الخطيب الفاضل عبد الجبار بن أبي طاهر بن المفتي ابن علي بن أبي الأشعث بن موسى النحوي السمرقندي (ت477هـ)، أملى في الدار الجوزجانية بسمرقند<sup>9</sup>.

1-الفارسي، المصدر السابق، ص300.

2-المصدر نفسه، ص376-377.

3-المصدر نفسه، ص412.

4-النسفي نجم الدين عمر، المصدر السابق، ص158.

5-المصدر نفسه، ص346.

6-المصدر نفسه، ص387.

7-المصدر نفسه، ص394.

8-المصدر نفسه، ص402.

9-المصدر نفسه، ص403.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- الشيخ القاضي الإمام الشهيد أبو عصمة عبد الواحد بن طاهر بن محمد الكرمني (ت488هـ)، درس وأملى بكرمينة مدة<sup>1</sup>.
- أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن سيما الحمامي الجندي السمرقندي، أملى بسمرقند في جامعها في شهر ربيع الأول سنة448هـ<sup>2</sup>.
- الشيخ الإمام الخطيب أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن محمد بن أحمد الكساني (ت502هـ)، كان له أمالي بسمرقند في الجامع وغيره<sup>3</sup>.
- الشيخ الزكي عمر بن نصر بن حمزة الشاشي، أقام بسمرقند وأملى في جامعها مدة<sup>4</sup>.
- الشيخ الحافظ أبو الحسن علي بن حمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحسين الطبري الروياني (ت483هـ)، كان يملئ ببخارى<sup>5</sup>.
- الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن عثمان بن إسماعيل الخراط السمرقندي (ت510هـ)، كان له مجلس الإملاء في رباط المربع<sup>6</sup>.
- الشيخ أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن الحسن المستملي، كان يستملي لمشايخ سمرقند<sup>7</sup>.
- الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد برهان الدين الكاساني، قدم بغداد حاجاً سنة576هـ وأملى بها الحديث عن النسفي<sup>8</sup>.
- محمد بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن جعفر أبو بكر القطان الأصبهاني الحافظ (ت466هـ)، مستملي أبي نعيم، وكان يملئ من حفظه<sup>9</sup>.
- أحمد بن محمد بن صاعد بن محمد بن أحمد، أبو نصر النيسابوري (ت482هـ)، أملى الحديث<sup>10</sup>.

1-النسفي، المصدر السابق، ص410.

2-المصدر نفسه، ص414.

3-المصدر نفسه، ص464.

4-المصدر نفسه، ص485.

5-المصدر نفسه، ص558.

6-المصدر نفسه، ص564.

7-المصدر نفسه، ص578.

8-اللكوني محمد عبد الحي، المصدر السابق، ص162.

9-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص159.

10-المصدر نفسه، ج16، ص284.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- إسماعيل بن محمد بن أحمد بن ملة أبو عثمان بن أبي سعيد الأصبهاني (ت509هـ)، أُملى بجامع المنصور ثلاثين مجلساً<sup>1</sup>.
- يحيى بن عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن الوليد ويعرف بابن منده ويكنى أبا زكرياء (ت512هـ)، قدم بغداد فأُملى بها<sup>2</sup>.
- زاهر بن طاهر بن محمد، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر الشحامي (ت533هـ)، كان يستملي على شيوخ نيسابور، وأُملى في جامع نيسابور قريبا من ألف مجلس<sup>3</sup>.
- إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد أبو القاسم الطلحي (ت535هـ)، أُملى بجامع أصفهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس<sup>4</sup>.
- محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مشجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري (ت535هـ)، أُملى الحديث في جامع القصر<sup>5</sup>.
- إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث أبو القاسم السمرقندي (ت536هـ)، أُملى بجامع المنصور زيادة على ثلاثمائة مجلس<sup>6</sup>.
- محمد بن محمد بن محمد أبو بكر الخلمي (ت547هـ)، أُملى بجامع بلخ<sup>7</sup>.
- معمر بن عبد الواحد بن رجاء أبو أحمد الأصفهاني (ت564هـ)، كان يخرج ويملي<sup>8</sup>.
- أبو منصور طاهر بن مهدي بن طاهر بن علي بن نصر الطبري (ت532هـ)، عقد له مجلس الإملاء<sup>9</sup>.
- أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله النيهي المروزي (ت548هـ)، كان يملي بكر الجمعيات ويذنب إملاءه بالوعظ النافع المفيد<sup>10</sup>.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص143.

2- المصدر نفسه، ج17، ص170.

3- المصدر نفسه، ج17، ص337.

4- المصدر نفسه، ج18، ص10.

5- المصدر نفسه، ج18، ص13.

6- المصدر نفسه، ج18، ص21.

7- المصدر نفسه، ج18، ص87.

8- المصدر نفسه، ج18، ص186.

9- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص913-914.

10- المصدر نفسه، مج2، ص982-983.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-أبو منصور عبد الخالق بن زاهر الشحامي (ت475هـ)، كان يستملي للشيخ نيابة عن والده مدة ثم بالأصالة، ثم صار يملئ في مكان والده أيام الجمعيات قبل الصلاة<sup>1</sup>.

-أبو الفضل محمد بن إسماعيل بن الفضيل الأنصاري الفضيلى (ت534هـ)، أملى عدة سنين بجامع هراة<sup>2</sup>.

-أبو بكر محمد بن علي بن محمد النوجاباذي البخاري (ت533هـ)، كان يملئ في مسجده الذي يصلي فيه<sup>3</sup>.

-أبو محمد ناصر بن محمد بن نصر بن أحمد القلاسي (ت472هـ)، كان يدرس ويذكر ويملي بنفسه<sup>4</sup>.

هذه عينة من العلماء الذين عقدوا مجالس الإملاء، حيث بلغ عددهم 38 عالم درّسوا وفق أسلوب الإملاء في مختلف المساجد والمدارس، وكان بعضهم ممليا والبعض الآخر مستمليا، وأكثرهم كان ممليا ومستمليا في الآن ذاته، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إقبال العلماء خلال العصر السلجوقي على أسلوب الإملاء في التعليم.

وفي السياق ذاته اتجه العلماء إلى أسلوب ثاني من أساليب التعليم، هو أسلوب السماع الذي هو أعلى طرق التعليم<sup>5</sup>، ويتمحور أساسا في قراءة العالم المدرس من كتابه أو من ذاكرته على الطلبة المتعلمين، وسواء أملى عليهم أم لم يمل، وقد يكون السماع أيضا بأن يقرأ الطالب من كتاب أستاذه أو من نسخته بحضور أستاذه وهذا يسمى العرض، غير أن بعض العلماء لا يحبذ أسلوب السماع أو العرض خشية أن يكون الطلبة غير متبهيّن لما يقرأ عليهم<sup>6</sup>، يقول في ذلك الخطيب البغدادي: "...ذهب بعض الناس إلى كراهة العرض وهو القراءة على المحدث ورأوا أنه لا يعتد إلا بما سمع من لفظه وقال جمهور الفقهاء والكافة من أئمة العلم بالأثر إن القراءة على المحدث بمنزلة السماع منه..."<sup>7</sup>، لكن على الرغم من ذلك ظل هذا الأسلوب شائعا ومفضلا من قبل العلماء، لفائده المتمثلة في تمكن الطالب المتعلم من ضبط القرآن الكريم وقراءته وضبط رواية الحديث وأسماء الأعلام والباق، كما يؤدي أسلوب السماع إلى تلقي الطلبة مباشرة عن الشيخ ويتسنى لهم سؤالهم، أي يأخذ الطالب عنهم ويشافهمهم ويقتبس من هديهم إذا كان معاصرا لهم<sup>8</sup>، وبهذا أضحت أسلوب السماع يحظى

1-السمعاني، المنتخب من معجم الشيخ، المصدر السابق، مج2، ص1051.

2-المصدر نفسه، مج2، ص1405.

3-المصدر نفسه، مج2، ص1555.

4-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج10، ص281-282.

5-محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص135.

6-بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص189.

7-كتاب الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص259-260.

8-سرمد قاسم محمد خميس الجبوري، التربية والتعليم في القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة ديالى، 1431هـ/2011م، ص313.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

بأهمية كبيرة عند علماء العصر السلجوقي، مثل الخطيب البغدادي (ت463هـ) الذي عرض هذا الأسلوب في مؤلفاته، بحكم أنه الأسلوب الأنسب لتعليم العلوم الدينية وعلى رأسها الحديث النبوي، مبتدئاً بذكر ما يجب تقديم حفظه على الحديث، حيث ينبغي للطالب أن يحفظ كتاب الله عز وجل، باعتباره أجّل العلوم وأولها بالسبق والتقديم<sup>1</sup>، وكان محور الارتكاز الذي تدور حوله الدراسة في الكتاب، فامتزج بذلك الحفظ والاستظهار والتلقين والتكرار، وتم التأكيد على الحفظ وتقديمه على الفهم<sup>2</sup>، ولا يتأتى ذلك إلا بالسماع، الذي أشاد به الخطيب البغدادي بتشديده على الطلاب بأن ينصتوا ويستمعوا، ويحفظوا، ثم يعملوا به، وينشرونه<sup>3</sup>، وبعدها ينتقل للكلام على المراحل التي يقطعها طالب الحديث وفق أسلوب السماع، استهلها بإعادة المحدث الحديث حال الرواية ليحفظ، إذ ذكر وجوب أن يعرض الطالب الحديث الذي حفظه عن شيخه، ليصححه له ويرده عن الخطأ، إن كان سبق إلى حفظه إياه<sup>4</sup>، وعلى الطلبة المذاكرة بالحديث بعد حفظه ليثبت<sup>5</sup>، وفي حالة لم يجد الطالب الطالب من يذاكره، فينبغي له إدامة ذكر الحديث مع نفسه وتكريره على قلبه<sup>6</sup>، كما له الحق في مطالبة الشيخ المحدث بأن يملي عليه حديثاً طويلاً لم يتمكن من حفظه، أو يعيره كتابه لينقل الحديث منه، ليتسنى له حفظه فيما بعد<sup>7</sup>.

وعلى ضوء ذلك يدور أسلوب السماع على ثلاثة أقطاب في نظر الخطيب البغدادي هي: -قراءة الطالب على العالم -قراءة العالم على الطالب- أن يدفع العالم كتاباً قد عرفه إلى الطالب ويقول له اروه عني<sup>8</sup>. ثم يذكر بأن بعض أهل العلم يستحب السماع من لفظ المحدث ويختاره على القراءة عليه وبعضهم كان يختار العرض والقراءة ويرى ذلك أفضل من السماع من لفظ المحدث<sup>9</sup>، وقد اختار الخطيب البغدادي العرض والقراءة بقوله: "...والعلة التي احتج بها من اختار القراءة على المحدث على السماع من لفظه ظاهرة لأن الراوي ربما سها وغلط فيما يقرؤه بنفسه فلا يرد عليه السامع إما أنه ليس من أهل المعرفة بذلك الشأن أو لأن الغلط صادم موضع اختلاف بين أهل العلم فيه فيتوهم ذلك الغلط مذهبه فيحمله عنه على وجه الصواب أو الهيبة

1-المصدر السابق، ج1، ص106.

2-سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص56.

3-المصدر السابق، ج1، ص194.

4-المصدر نفسه، ج1، ص234-235.

5-المصدر نفسه، ج1، ص236.

6-المصدر نفسه، ج1، ص238.

7-المصدر نفسه، ج1، ص239.

8-الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص323.

9-المصدر نفسه، ص271.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الراوي وجلالته فيكون ذلك مانعا من الرد عليه. وأما إذا قرئ على المحدث وهو فارغ السر حاضر الذهن فمضى في القراءة غلط فإنه يرده بنفسه أو يرده على القارئ بعض الحاضرين من أهل العلم لأنه لا يمنع من ذلك شيء في معنى الخلال التي ذكرناها عند قراءة العالم بنفسه والله أعلم...<sup>1</sup>، وكما اختلف العلماء حول القراءة والسماع، اختلفوا أيضا حول الكتابة أثناء السماع<sup>2</sup>، إلا أنَّ الخطيب البغدادي بيّن هذا الجانب عندما تحدث عن الذين منعوا صحة السماع في حال الكتابة، وأكد أنهم إنما ذهبوا إلى ذلك؛ لأنَّ القلب مشغول عن ضبط ما يقرأ في تلك الحال، فأما إذا لم تمنع الكتابة عن فهم ما يقرأ فالسماع صحيح، واستدل على ذلك بالعالم الكبير عبد الله بن المبارك الذي كان ممن صحح السماع مع الاشتغال بالكتابة<sup>3</sup>. أما بخصوص تحديد عمر طالب العلم، فقد استحسن الخطيب البغدادي أنَّ يبدأ التحصيل العلمي في سن مبكرة، فليس المعتبر في كتب الحديث البلوغ ولا غيره، بل يعتبر فيه الحركة والنضاجة واليقظ والضبط<sup>4</sup>.

وهناك أسلوب آخر للتعليم اعتمده العلماء، هذا الأسلوب هو المذاكرة والتكرار، الذي له صور متعددة، كأن يجلس العالم ويدرس الطلبة قاصدا المذاكرة، أو يقوم الطلبة أنفسهم بالمذاكرة والعرض فيما بينهم<sup>5</sup>، وقد اهتم بهذا الأسلوب الخطيب البغدادي الذي تحدث عن مذاكرة الطلبة بالحديث بعد حفظه ليثبت<sup>6</sup>، وكذا تكرير المحفوظ على القلب<sup>7</sup>، بالإضافة إلى مذاكرة الحديث مع عامة الناس<sup>8</sup>، ومع الأتباع والأصحاب<sup>9</sup>، وأخيرا مع الأقران والأتراب<sup>10</sup>، لذلك نجد أنَّ الكثيرين من العلماء كانوا يتبعون أسلوب المذاكرة والتكرار، حيث وجدوا للمذاكرة شهوة طاغية تنسيهم كل شيء في سبيل الاستزادة مما هم فيه من العلم والإقبال على الحفظ والتعلم، كما أنَّ المذاكرة للعلم حياة، فهي تنمي المحفوظ وتزيد في الفهم، وهي مثل الماء للزرع<sup>11</sup>، وفي ذلك يقول الخطيب

1- الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص 277.

2- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 234.

3- الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص 67.

4- المصدر نفسه، ص 63.

5- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 236.

6- الجامع لأخلاق...، المصدر السابق، ج 1، ص 236.

7- المصدر نفسه، ج 2، ص 266.

8- المصدر نفسه، ج 2، ص 267.

9- المصدر نفسه، ج 2، ص 269.

10- المصدر نفسه، ج 2، ص 270.

11- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 237.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

البغدادي: "إنَّ القلوب ترب، والعلم غرسها، والمذاكرة مأوها، فإذا انقطع عن الترب مأوها، جف غرسها..."<sup>1</sup>.

ومن الأساليب التعليمية كذلك، نجد أسلوب السؤال الذي أخذ به العلماء خلال العصر السلجوقي، والقصد منه "فتق اللسان بالمحاوراة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها يحصل مرامها..."<sup>2</sup>، لذا لا يكاد يوجد أسلوب تعليمي واحد يخلو من السؤال، ومع ذلك فإنَّ السؤال ليس هدفا في حد ذاته، كما أنه ليس طريقة قائمة بذاتها، بقدر ما هو وسيلة لإثارة انتباه الطلاب واهتمامهم بموضوع الدرس، وتحفيزهم على المشاركة الإيجابية، ودعوتهم إلى التفكير<sup>3</sup>، ما دفع بأبي الحسن الماوردي إلى التأكيد على استعمال الأسئلة وتشجيع وتثجيع المتعلم على طرح الأسئلة<sup>4</sup>، بقوله: "...وليس كثرة السؤال فيما التبس إعناتنا، ولا قبول ما صحَّ في النفس تقليدا..."<sup>5</sup>، مستشهدا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "العلم خزان، ومفتاحه المسألة، فاسألوا رحمكم الله، فإنما يؤجر في العلم ثلاثة: القائل، والمستمع، والآخذ"<sup>6</sup>، واعتبر أنه إذا كان السؤال في موضعه، أزال الشكوك، ونفى الشبهة<sup>7</sup>، أما الخطيب البغدادي فقد حدد قواعد أسلوب السؤال طبقا للأسس التي قامت عليها مذاهب العصر ومناهج التفكير والبحث عند المناطقة والمحدثين، وطبقا لعلوم الأصول والقرآن الكريم وقواعد الفقه المعروفة<sup>8</sup>، وقسم السؤال إلى أربعة أضرب، يقابل كل ضرب منها ضرب من الجواب من جهة المسؤول:

- فأولها: السؤال عن المذهب؛ بأن يقول السائل: ما تقول في كذا؟ فيقابل به جواب من جهة المسؤول، فيقول: كذا.
- والثاني: السؤال عن الدليل؛ بأن يقول السائل: ما دليلك عليه؟ فيقول المسؤول: كذا.
- والثالث: السؤال عن وجه الدليل، فيبينه المسؤول.

1- الجامع لأخلاق... المصدر السابق، ج2، ص278.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص394.

3- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص237.

5- الكيلاني ماجد عرسان، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية (دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية)، ط2، دمشق-بيروت، دار

ابن كثير، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، 1405هـ/1985م، ص146.

5- أدب الدنيا والدين، المصدر السابق، ص70.

6- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

7- المصدر نفسه، ص71.

8- الكيلاني، تطور مفهوم... المرجع السابق، ص152.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-والرابع: السؤال على سبيل الاعتراض عليه، والطعن فيه، فيجيب المسؤول عنه ويبين بطلان اعتراضه وصحة ما ذكره وجه دليله<sup>1</sup>.

فإذا سأل سائل عن حكم مطلق نظر المسؤول فيما سأل عنه، فإن كان مذهبه موافقا لما سأل عنه من غير تفصيل أطلق الجواب عنه، وإن كان عنده فيه تفصيل، كان بالخيار بين أن يفصله في جوابه، وبين أن يقول للسائل: هذا مختلف عندي، فمنه كذا، ومنه كذا، فعن أيهما تسأل؟ فإذا ذكر أحدهما أجاب عنه، وإن أطلق الجواب عنه كان مخطئاً<sup>2</sup>. وينبغي أن يوجز السائل في سؤاله، ويحرر كلامه، ويقلل ألفاظه، ويجمع فيها معاني مسأله، فإن ذلك يدل على حسن معرفته<sup>3</sup>.

أكد الخطيب البغدادي على لزوم المجيب أن يسد بالجواب موضع السؤال، دون أن يتعدى مكانه، ويجعل المثل كالمثل به، ويختصر في غير تقصير، وإن احتاج إلى البيان بالشرح أطال من غير هذر ولا تكدير، ويقابل باللفظ المعنى، حتى يكون غير ناقص عن تمامه، ولا فاضل عن جملته<sup>4</sup>، كما اعتبر أن من أدب العلم أن لا يجيب الرجل عما يسأل عنه غيره<sup>5</sup>. وينبغي للطالب أن يسأل الراوي عن عيون أحاديثه التي ثبتت أسانيداً وتقدم سماعه لها<sup>6</sup>، وكذلك إذا لم يكن الطالب ممن يعرف الأحاديث التي يسأل المحدث عنها، استعان بمن حضر المجلس من أهل الحفظ والمعرفة، وطلب إليه أن يسأل له الشيخ عن ذلك<sup>7</sup>، فإن لم يحضر الشيخ أحد من أهل المعرفة، فينبغي للطالب أن يقدم الاستخبار، عن ذلك بعض حفاظ الحديث قبل حضوره المجلس، ويعلق أطراف الحديث حتى يسأل الراوي عنها<sup>8</sup>.

وعلى المعلم إشراك طلبته في طرح مجموعة من الأسئلة، ويحفزهم على السؤال، ولا يدع الطلبة يسخر بعضهم من بعض، في حالة إذا أخطأ واحد منهم في الإجابة، وأن يبصرهم بوجه الصواب في أبوة ورفق ولين، حتى يأخذوا أنفسهم بتجنب الخطأ، ويتحفظوا من التقصير والإهمال، كما ينبغي على الطلبة التزام الصمت وعدم الرد على المخطئ في حضرة المعلم، ويتركوا المعلم ليرد عليه.

1- كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، المجلد 02، ط1، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1417هـ -

1996م، ص77.

2- الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، المصدر السابق، مج2، ص77-78.

3- المصدر نفسه، مج2، ص63.

4- الفقيه والمتفقه، المصدر السابق، مج2، ص65.

5- المصدر نفسه، مج2، ص67.

6- الجامع لأخلاق...، المصدر السابق، ج1، ص224.

7- المصدر نفسه، ج1، ص226.

8- المصدر نفسه، ج1، ص226-227.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ولئن ارتبط أسلوب الرواية والقراءة والمذاكرة والعرض بالحفظ والاستظهار، فإنَّ أسلوب السؤال قد ارتبط بالفهم والتأويل وحسن الابتكار وجودة التعليل<sup>1</sup>.

واعتمد العلماء أيضا على أسلوب الإجازة في التعليم، حيث ظهرت الإجازة كأسلوب من أساليب التعليم، أو ما اصطلح عليه بتحمل الرواية عند المحدثين، وذلك عندما تكاثرت الكتب والنسخ، إلى حد لم يعد طالب العلم قادرا معه على سماعها أو قراءتها على الشيخ أو العالم<sup>2</sup>، لذا عقد الخطيب البغدادي بابا في كتابه "الكفاية في علم الرواية" بعنوان: الكلام في الإجازة وأحكامها وتصحيح العمل بها، فقد بدأ بتعريفها لغة واصطلاحا، فالإجازة "في كلام العرب مأخوذ من جواز الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث يقال منه استجزت فلانا فأجازني إذا أسقاك ماء لأرضك ولما شيتك..."<sup>3</sup>، واصطلاحا الإجازة "إنما هي إباحة المجيز للمجاز له رواية ما يصح عنده أنه حديثه والإباحة تصح للعاقل وغير العاقل وليس تريد بقولك الإباحة الإعلام وإنما تريد به ما يضاد الحظر والمنع..."<sup>4</sup>، مع وجوب معرفة كل من المجيز والمجاز بموضوع الإجازة وإذا علمنا أن موضوع السماع جائز عند الجميع، فإنَّ الإجازة دون تعليم وسماع من الشيخ موضع خلاف بين العلماء<sup>5</sup>، إذ يذكر الخطيب البغدادي بأنَّ الناس اختلفوا في الإجازة للأحاديث، فذهب بعضهم إلى صحتها ودفع ذلك بعضهم والذين قبلوها أكثر، ثم اختلف من قبلها في وجوب العمل بما تضمنت الأحاديث من الأحكام، فقال أهل الظاهر وبعض المتأخرين ممن تابعهم لا يجب العمل بها لأنها جارية مجرى المراسيل والرواية عن المجاهيل، وقال الدهماء من العلماء إنه يجب العمل بها<sup>6</sup>.

حدد الخطيب البغدادي أنواع الإجازة وضروبها في أحد أبواب كتابه "الكفاية في علم الرواية" كما يلي:

**-المناولية:** وهي أرفع ضروب الإجازة وأعلامها، وصفتها أن يدفع المحدث إلى الطالب أصلا من أصول كتبه أو فرعا قد كتبه بيده ويقول له هذا الكتاب سماعي من فلان وأنا عالم به بما فيه فحدث به عني، فإنه يجوز للطالب روايته عنه وتحل تلك الإجازة محل السماع عند جماعة من أئمة أصحاب الحديث<sup>7</sup>. أما كيفية العبارة عن الرواية

1- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص239.

2- نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، بيروت، دار الفكر، (ب.ت)، ص190-196.

3- الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص312.

4- المصدر نفسه، ص325-326.

5- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص242.

6- الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص311.

7- المصدر نفسه، ص326.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

عن المناولة، فيقول أعطاني فلان أو دفع إلي كتابه وشبهها بهذا القول وهو الذي أستحسنه-أي الخطيب البغدادي-<sup>1</sup>.

**-المكاتبة:** وهي أن يدفع الطالب إلى الراوي صحيفة قد كتب فيها إن رأى الشيخ أن يجيز لي ما يصح عندي من حديثه فعل، فيقول له الراوي بلفظه قد أجزت لك كلما سألت، أو يكتب له ذلك تحت خطه في الصحيفة فيقرؤه عليه، فهذا النوع دون المناولة في المرتبة لأنه لم ينص في الإجازة على شيء بعينه ولا أحاله على تراجم كتب بأعيانها من أصوله ولا من الفروع المقروءة عليه، وإنما أحاله على ما يصح عنده عنه وهو في تصحيح ما روى الناس عنه على خطر لأنه لا يقطع على صحة ما روى عنه إلا بتواتر من الخبر وانتشار يقوم في الظاهر مقام التواتر.<sup>2</sup>

تعد المناولة أرفع من المكاتبة، نظراً لأنها إذن ومشافهة في رواية لمعين، في حين المكاتبة مراسلة بذلك<sup>3</sup>، وقد قسم الخطيب البغدادي إجازة المكاتبة إلى: -إجازة من غير تمكين المجاز من أصل الجيز. -مكاتبة مقرونة بإذن الإجازة. -المكاتبة المجردة من تحديد الموضوع محل الإجازة.<sup>4</sup>

**-الإعلام:** وهو أن يأتي الطالب إلى الراوي بخبر فيدفعه إليه ويقول له أهذا من حديثك؟ فيتصفح الراوي أوراقه وينظر فيما تضمن ثم يقول له نعم هو من حديثي ويرده إليه، أو يدفع إليه الراوي ابتداء بعض أصوله ويقول له هذا من سمعائي فيذهب به الطالب فيحدث به عنه من غير أن يستجيز منه في الوجهين جميعاً ومن غير أن يقول له الراوي حدث به عني فهذا يكون صحيحاً عند طائفة من أهل العلم لو فعل، غير أننا لم نر أحداً فعله، وهكذا لو رأى الطالب في يد الراوي جزءاً ينظر فيه فقال له ما في هذا فقال له الراوي أحاديث من سماعي عن بعض شيوخي فاستنسخه الطالب بعد من غير علم الراوي ثم حدث به عنه من غير استئذان له في ذلك، فهذا في الحكم بمثابة الذي قبله<sup>5</sup>. وحجة من يصحح هذا النوع أن العبرة في ثبوت الكتاب أو الحديث لراويهِ. والإعلام يثبت الكتاب لصاحبه والحديث لراويهِ<sup>6</sup>.

1- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص330.

2- المصدر نفسه، ص334.

3- المصدر نفسه، ص336.

4- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص242.

5- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص346.

6- همام عبد الرحيم سعيد، الفكر المنهجي عند المحدثين، ط1، قطر، مطابع الدوحة الحديثة، 1408هـ، 79.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-**الوصية:** هي طريق ضعيف من طرق التحمل<sup>1</sup>، بسبب أنه لا تجوز الرواية إلا على سبيل الوجادة<sup>2</sup>، كما أجاز جماعة الرواية عن الوجادة في الكتب<sup>3</sup>.

-**الوجادة:** وهي أن يروي شخص حديثاً أو كتاباً بخط شخص آخر على سبيل الحكاية والوجادة، فيقول: وجدت بخط فلان، أو قال فلان، ولا يقول حدثنا أو أخبرنا نحو ذلك مما يدل على اتصال السند، وهذا النوع من الإجازة لا تقوم به الحجة، ولا يلزم إلا من وثق من صحة المكتوب، وصدق نسبته إلى صاحبه<sup>4</sup>.

لقد استطاع العلماء خلال العصر السلجوقي القيام بالتعليم وفق هذه الأساليب التي استخدموها ووظفوها واتفقوا عليها ورضوا بها، إذ كانت هذه الأساليب وليدة ظروف مجتمعية وتربوية وتعليمية معينة، وهي تؤكد على ضرورة التنوع، لكي تقابل ما بين الطلاب من فروق وقدرات، إضافة إلى ما لديهم من معلومات وخبرات سابقة، بحيث لا تقتصر أساليب التدريس على عمليات التلقين والاستظهار، وإنما تشمل السؤال والمناقشة والمناظرة والتحليل والاستنتاج، والرحلة والقراءة، والعرض والسماع، ومع أن العلماء لم يصفوا أسلوباً تعليمياً بعينه، إلا أنهم بينوا أهم الأساليب التعليمية التي يجب أن يتبعها كل من المعلم والمتعلم، حتى يؤدي التعليم ثمرته الطبيعية، فينتفع به المتعلم ويثاب عليه المعلم<sup>5</sup>. إن اختيارنا لأربعة علماء اثنان من العراق هما: أبو الحسن الماوردي وطالبه الخطيب البغدادي، واثنان من خراسان وبلاد ما وراء النهر هما: عبد الكريم السمعاني وبرهان الدين الزرنوجي، هو تتبع منا لأساليب التعليم في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي، التي تمثلت كما رأينا في: الإملاء، والسماع، والمذاكرة والتكرار، والسؤال، والإجازة، والتي انتهجت من طرف العلماء طيلة هذا العصر وشاعت في معظم أرجاء العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً، وعكست بالتالي تجارب وخبرات هؤلاء العلماء في مجال التعليم، والملاحظ أيضاً بأن هذه الأساليب تتكامل فيما بينها وتشارك في العلوم التي تدرس وتلقن على ضوءها ووفقها، كما تتداخل وتتشابك وتتقاطع بشكل يصعب التفريق بينها إلا في حالة اختلاف المادة العلمية التي تدرس ضمن علم من العلوم، ولا ننسى أنها شديدة الصلة بالعلوم الدينية من قراءات وحديث، كل ذلك ساهم في إعطاء صورة واضحة ستتكامل مع الأطوار التي يمر بها الطلبة أثناء تعليمهم.

1- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 243.

2- الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، المصدر السابق، ص 352.

3- المصدر نفسه، ص 353.

4- سالك أحمد معلوم، المرجع السابق، ص 243.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

**د-أصول (مراحل) التعليم:** يعتبر نظام التعليم الإسلامي أول من أقرَّ مراحل التعليم المتكونة من الطور الابتدائي والطور الثانوي والطور العالي، وذلك وفق تناسق مميز يضمن الانتقال المباشر من طور إلى طور، مع تداخل ملحوظ بين هذه الأطوار في النواحي التي لا توجد فيها مدارس وجامعات متخصصة<sup>1</sup>، وبالتالي تتوافق هذه الأطوار مع أهداف التعليم التي كانت نابعة من المذاهب الدينية أو العقلية التي يعتنقها المعلمون والمربون المسلمون، كما اعتنت المنظومة التعليمية والتربوية الإسلامية بوجود المعلم في العملية التعليمية والتعليمية، منذ صدر الإسلام وإلى غاية العصر السلجوقي، وتستمر وتتواصل إلى غاية العصر العثماني<sup>2</sup>، لذا يرى أحد الباحثين بأنه لم تكن هناك مراحل معينة للتعليم، بل كان التعليم يشمل على طور واحد يتدبَّر في الكتابات أي المرحلة الابتدائية، يشرف عليها المؤدِّبون، وبعدها يأتي طور التعليم العالي بالانتقال إلى الحلقات في المساجد أو المدارس<sup>3</sup>، الذي يشرف عليه كبار العلماء والمشايخ، مما يدل على وجود رؤية تعليمية هادفة تعمل على إخضاع الطالب المتعلم لطورين رئيسيين يمر بهما، ليتخرج في الأخير عالماً حاذقاً متقناً بارعاً في جميع العلوم، وعليه سنبين هذين الطورين كما يلي:

**-أول-الطور الابتدائي:** بعد الطور الأول من التعليم ذي بعد خاص في ميزان المجتمع الإسلامي، حيث به تشكل الملامح العريضة لشخصية التلميذ، وبه يحضَّر للانتقال إلى الطور الثاني<sup>4</sup>، وكانت أعمار الصبية الذين يشملهم هذا الطور تتراوح بين الخامسة والسابعة عند الالتحاق، بينما يرى ابن سينا بأن بلوغ الصبي ست سنين من عمره مناسب للتحاق بالكتاب<sup>5</sup>، يقول في ذلك: "وإذا أتى عليه من أحواله ست سنين فيجب أن يقدم إلى المؤدِّب والمعلم"<sup>6</sup>، ولأهمية هذا الطور كان المدرسون شديدي الحرص على تحفيظ القرآن الكريم للصبيان وتعليمهم الهجاء والشكل والخط الحسن والقراءة، ثم يتفقدون حفظهم للقرآن الكريم في أيام معينة، كمساء يومي الأربعاء والخميس، وزيادة على ذلك يلقنونه شعائر العبادة ككيفية الوضوء وأداء الصلوات الخمس والتشديد

1- بن سالم هشام، العلماء والسلطة المرينية (668هـ-759هـ/1269م-1358م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2)، 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م، ص189.

2- نادية بنت عابد أحمد مفتي، تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري بحث تاريخي وصفي تحليلي، رسالة لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1408هـ، ص85.

3- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى، 1404هـ-1405هـ/1984م-1985م، ص206.

4- بن سالم هشام، المرجع السابق، ص189.

5- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص136.

6- ابن سينا علي، القانون، ج1، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1877م، ص157.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

عليهم من أجل تعلمها<sup>1</sup>، وترى إحدى الباحثات بأن هناك نوعان من الكتابات؛ نوع يتعلم فيه الصبيان القراءة والكتابة ومبادئ الحساب، والنوع الثاني لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامي<sup>2</sup>، ولكن كان التركيز منصبا على القرآن الكريم والعلوم الدينية<sup>3</sup>. يقول عبد الرحمن ابن الجوزي ملخصا لنا ما يجب أن يلحق الصبي في الطور الابتدائي من تعليمه: "فأما تدبير العلم؛ فينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث، وليحصل له المحفوظات أكثر من المسموعات؛ لأن زمان الحفظ إلى خمس عشرة سنة؛ فإذا بلغ؛ تشتت همته، فليضرب تارة، ويرشى أخرى؛ ليلبغ وقد حصّل محفوظات سنّية. وأول ما ينبغي أن يكلف حفظ القرآن متقنا؛ فإنه يثبت ويختلط باللحم والدم، ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن، ثم الفقه مذهبا وخلافا، وما أمكن بعد هذا من العلوم؛ فحفظه حسن.... فالحفظ في الصبا للمهم من العلم أصل عظيم...."<sup>4</sup>.

لقد أنشئت الكتابات لتعليم الصبيان وألحقت بالمساجد، نظرا لعدم تحرز الصبيان من النجاسات، وبالتالي اتخذ بعض المعلمين من الدروب وأطراف الأسواق والمناطق القريبة من المساجد والغرف الملحقة بها أماكن لتعليم الصبيان، مع التأكيد على عدم تعنيف وضرب التلاميذ ضربا مبرحا حتى لا ينعكس ذلك سلبا على تحصيلهم العلمي، وحتى لا ينفروا من الكتاب فيضيعوا بذلك فرصة حفظ القرآن في صباهم وهو السن المناسب الذي يكون فيه ذهن الطفل خاليا، وأكثر إقبالا على استقبال المعلومات وحفظها<sup>5</sup>. لذا بين عبد الرحمن خلدون اختلاف وتنوع مناهج الدراسة في الكتابات في المشرق والمغرب الإسلاميين بقوله: "إن ما درسه الولدان اختلف من قطر إسلامي لقطر آخر، ولكن يلوح أنّ الدراسة اشتملت على القرآن وأحاديث الأخبار وبعض الأحكام الدينية والشعر ومبادئ الحساب، وبعض قواعد اللغة العربية إلى جانب تعلم القراءة والكتابة والخط الذي كان له مدرسون مختصون، واستعمل الصبية الألواح في الكتابة، وفي المغرب اقتصر التعليم على القرآن الكريم، وفي الأندلس اعتمد على تعليم القرآن والشعر واللغة والخط، بينما كان أهل المشرق يخلطون في تعليم أبنائهم بين القرآن والحديث والعلوم والخط"<sup>6</sup>، وبعد أن يتلقى التلاميذ هذه المواد

1- بن سالم هشام، المرجع السابق، ص 189.

2- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 135.

3- Yamin Cheng, *The Islamic Sciences and Question of the Modern Muslim Identity*, the-3 Islamic Quarterly, vol, 47, no. 1, 2003, p38.

4- صيد خاطر، المصدر السابق، ص 408.

5- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 136، بن سالم هشام، المرجع السابق، ص 189.

6- المصدر السابق، ص

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ويتمونها، يتم امتحانهم فيما حفظوا من القرآن والحديث وفي الكتابة، فإذا اجتازوا الامتحان احتفلوا بالختمة ليواصلوا دراستهم ليتلقوا مرحلة تعليمية أعلى من التعليم في الكتاب، أو ينقطعوا عن التعليم ويتجهوا إلى الصناعة التي يريدون أن يزاولوها<sup>1</sup>.

أما أوقات التعليم في الكتاتيب، فكانت تبدأ من يوم السبت إلى صلاة العصر من يوم الخميس، ويأخذ الصبيان عطلة فيما تبقى من يوم الخميس ويوم الجمعة كاملاً<sup>2</sup>.

درّس عدد من العلماء في الكتاتيب إبان العصر السلجوقي، نذكرهم كما يلي:

- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عمرو المؤدب الياركشي<sup>3</sup>.

- الشيخ الأديب أبو الحسن علي بن أبي طاهر المطوّعي، كان يؤدب على رأس سكة عجلان<sup>4</sup>.

- الشيخ أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن الحسن المستملي، جلس لتعليم القرآن موضع أبيه في مكتبه على باب مدرسة ألب جفري بك<sup>5</sup>.

- الشيخ أبو عبد الرحمن محمد بن إسماعيل بن عمر الصيرفي المؤدب (ت533هـ)، شيخ فاضل، صالح ساكن وقور، يعرف الأدب ويؤدب الصبيان ويعلمهم الأدب<sup>6</sup>.

- الشيخ أبو بكر محمد بن علي بن عمر بن أبي بكر بن علي بن الحسين بن الحسن بن علي الكابلي المعلم (ت543هـ)، كان شيخاً صالحاً، حسن السيرة، يعلم الصبيان القرآن الكريم<sup>7</sup>.

- الفقيه الأديب محمد بن عطاء النسفي الساكبديازوي كان يؤدب بقرية خاخسر من قرى درغم، توفي في شهر ربيع الأول سنة 482هـ<sup>8</sup>.

- الشيخ الأديب أبو الفضل محمد بن عمر بن محمد الجنبذي تفقه على الإمام مسعود بن الحسين الكشاني، وكان يسكن سمرقند ويؤدب الصبيان بها<sup>9</sup>.

1- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص138.

2- سليمان بن عبد الله بن منصور الحبس، وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني (232هـ-333هـ) دراسة تحليلية تقييمية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في الدعوة والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج1، 1417هـ، ص285.

3- النسفي، المصدر السابق، ص548.

4- النسفي، المصدر السابق، ص569.

5- المصدر نفسه، ص578.

6- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج3، ص1404.

7- المصدر نفسه، مج3، ص1541.

8- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج7، ص11.

9- ابن الأثير عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، الجزء1، بيروت، دار صادر، ص294.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- سعيد بن عطف الهمذاني (ت 603هـ) كان يعلم الصبيان الخط، وله مكتب بقراح أبي الشحم.
- يحيى بن المبارك الزبيدي البغدادي (ت 606هـ)، كان له مكتب بشارع دار الرقيق يعلم فيه الصبيان الخط.
- محمد بن أحمد بن داود المؤدب (ت 582هـ)، كان يسكن بالقرية من دار الخلافة وله هناك مكتب يعلم فيه الصبيان الخط والحساب<sup>1</sup>.
- علي بن محمد بن علي بن منصور الجوري السقاء أبو الحسن الأديب ابن الأديب أبي بكر السقاء، كان يشتغل بالتأديب والتعليم<sup>2</sup>.

لقد نعم المؤدبون بالغنى والرخاء اللذين استمتعت بهما طائفة العظماء الذين اتصل بهم المؤدبون، وتعيين شخص ما مؤدبا كان فاتحة خير عليه وعلى ذويه، إذ كانت هذه الوظيفة تضمن لشاغلها غنى سريعا شاملا، وتضمن له تسوية لأية مشكلات مالية يعانيتها أو ديون يرزح تحتها<sup>3</sup>. وبالمقابل أيضا كانت حياة معلمي الكتاتيب كثيرا ما يحفظها الضيق والبؤس، لأن العائد المادي كان بسيطا، وأحيانا يقوم بها المعلمون دون مقابل ابتغاء مرضاة الله واقتداء برسوله، ومع ذلك لا يمكن إنكار الدور السامي الذي يقومون به، فهم يعدون بحق أساس العملية التعليمية لما يقومون به من تنمية قدرات الصبيان على التعلم ويساعدتهم للمضي قدما في التعليم - أي الطور العالي -<sup>4</sup>.

**-ثانيا- الصور العالي:** بعد أن ينهي التلميذ دراسته وتحصيله العلمي، يأتي دور الطور العالي الذي يسمح للتلاميذ بلوغ مستوى علمي راقى والإلمام بأمور دينهم ومختلف العلوم الدينية واللغوية والعقلية<sup>5</sup>، أما أوقات التعليم أو ما يمكن أن نسميه بمواعيد المحاضرات والدروس كانت تحدد من قبل الأساتذة أنفسهم لأنهم كانوا يتمتعون بحرية تامة ولا توجد جهة رسمية أو غير رسمية تطالبهم بتحديد مواعيد معينة لذلك أو تحديد عددها، فكان بوسعهم أن يحددوا أوقات الدروس وعددها ولكنها في الغالب كانت مرة في الأسبوع، وبالمقابل راعى العلماء المدرسون والطلبة المتعلمون أوقات معينة كأوقات العمل، والصلوات الخمس ووجبات الغذاء وحالة الجو، واختاروا أن تبدأ الدروس بعد صلاة الفجر حتى الضحى، لتبدأ فترة ثانية تنتهي عند صلاة الظهر، ثم تعقبها فترة ثالثة تنتهي هي الأخرى عند صلاة العصر، وهناك فترة رابعة تستمر إلى آذان المغرب وربما أقيمت بعض في المساء أيضا، وكان العالم المدرس أكثر من يعلم كيف يفاضل بينها في الوقت مراعيًا في ذلك ظروفه وظروف

1- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص 210.

2- الفارسي، المصدر السابق، ص 311.

3- نجيب عبد الفتاح جيلاني محمد، المرجع السابق، ص 356.

4- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 140.

5- بن سالم هشام، المرجع السابق، ص 190.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

طلابه، وبذلك تأتي للطلبة أن يقوموا بدراسة أكثر من علم ويذهبوا إلى أكثر من معلم في اليوم الواحد، فالوقت الدراسي كان من المرونة بحيث يتناول اليوم بأكمله<sup>1</sup>.

كانت الدروس تلقى في عدد من المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والخانقاهات والزوايا والرباطات ومنازل وبيوت العلماء وحوانيت الوراقين، التي سنفصل فيها في المبحث القادم، لكن قبل ذلك سنتعرف على أهم العلوم التي يدرسها الطلبة في الطور العالي، من خلال التعرض لترجمة واحد من كبار علماء العصر السلجوقي، وهو الشيخ الفقيه إمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت478هـ)، الذي أخذ الفقه عن والده، ثم كان يذهب إلى مدرسة البيهقي لأخذ الأصول على أستاذه أبي القاسم الإسكافي الإسفراييني<sup>2</sup>، كما كان يقرأ القرآن الكريم على الشيخ أبي عبد الله البخاري<sup>3</sup>، "...وسمع الحديث في صباه من والده، ومن أبي حسان محمد بن أحمد المزكي، وعبد الرحمن بن حمدان النضروي، وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن يحيى المزكي، وأبي سعد عبد الرحمن بن الحسن بن عليك، وأبي عبد الرحمن محمد بن عبد العزيز النيلي، وغيرهم. وأجاز له أبو نعيم الحافظ، وحدث..."<sup>4</sup>، وكان قد أحكم العربية وما يتعلق بها من علوم الأدب<sup>5</sup>.

أما الخطيب البغدادي فقد سمع الحديث وعمره إحدى عشرة سنة، وقرأ القرآن والقراءات، وتفقه على أبي الطيب الطبري، وأكثر من السماع من البغداديين، كما قرأ البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي في خمسة أيام، وقام برواية تاريخ بغداد وسنن أبي داود وغير ذلك، وانتهى إليه علم الحديث<sup>6</sup>.

من خلال المشوار الدراسي لإمام الحرمين والخطيب البغدادي، يتجلى لنا محورية العلوم الدينية في التحصيل العلمي الذي يمر به الطالب في طور التعليم العالي، فقد تلقى إمام الحرمين الفقه والأصول وعلوم اللغة والأدب في هذا الطور. وتلقى الخطيب البغدادي القرآن والقراءات وصحيح البخاري.

### 3- المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها خلال العصر السلجوقي: لقد كان نظام

المؤسسات بصورة عام من أهم مميزات الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، وارتبط تاريخ المؤسسات العلمية على وجه الخصوص في العصر الإسلامي، ارتباطاً وثيقاً بسيرة الحكام الذين أنشأوها، وبالعلماء الذين أحيوها. وهذا

1- سليمان بن عبد الله بن منصور الحبس، المرجع السابق، ج1، ص300.

2- السبكي تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، المصدر السابق، ج5، ص169.

3- السبكي، المصدر السابق، ج5، ص170.

4- المصدر نفسه، ج5، ص171.

5- المصدر نفسه، ج5، ص167.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص129-130.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

يعني أنَّ مهمة هذه المؤسسات في الأساس هي رعاية العلم والعلماء في مختلف المجالات، على أن يمتد البعد الاجتماعي لنتائج نجاحاتهم إلى المجتمع الذي يعيشون فيه<sup>1</sup>.

لقد شكلت المؤسسات التعليمية في الحضارة العربية الإسلامية أساس العلم والمعرفة وسبب التطور والازدهار الفكري، وسر ظهور العلماء النابغين والبارزين في جميع التخصصات والمجالات، وجوهر الحياة الاجتماعية الإسلامية في مجتمع لا يشبع من البحث عن المعارف والسعي لخدمة العلم، لذا كانت هذه المؤسسات المجال الحيوي لإبراز الكفاءات وإظهار النبوغ والتفوق وإرساء ثقافة الحوار وتبادل الأفكار والقيم والمبادئ، كما تعتبر المؤسسات التعليمية سمة بارزة من سمات الحضارة العربية الإسلامية، وكان تأسيسها وتشبيدها بشكل مطرد في جميع ربوع العالم الإسلامي علامة على انتشار العلم في أوساط المجتمع الإسلامي، وسنحاول أن نرصد ونتعرف على هذه المؤسسات إبان العصر السلجوقي، بمعرفة من بناها ومتى بنيت وأبرز مواقف العلماء منها.

**3-1- المساجد والجوامع:** تعد الجوامع والمساجد أولى المراكز والمؤسسات التعليمية التي أنشأت في الإسلام، حيث تلقى فيها المسلمون مختلف العلوم الدينية والأدبية والتاريخية والعقلية<sup>2</sup>، لهذا اعتبر المسلمون عبر تاريخهم أنَّ تنشيط الحركة العلمية وبعث الحياة الثقافية والفكرية وإحياء النفوس بالعلم في المساجد، هو صنو الصلاة بحكم أنَّ المساجد والجوامع هي ملتقى المسلمين وفيها يتم تهيئتهم اجتماعيا وتربويا وأخلاقيا، بحيث أنَّ عملية التشكيل الثقافي تتجسد في المسجد، الذي تتم فيه الشعائر الإسلامية من صلاة وذكر ومعاملات تصديقا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنعام: الآية 162)، فهو مكان التقاء العبد بربه وهذا ما يجعل التعليم الإسلامي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد، فلا غرو أنَّ الكلام عن المسجد هم كلام عن إحدى أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت بشكل فعال ومستمر في نشر العلوم والمعارف عبر مختلف العصور الإسلامية وفي جميع بلاد المسلمين<sup>3</sup>، ذلك أن "...السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أنَّ الدراسات في سني الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال..."<sup>4</sup>، وانطلاقا من ذلك يعد

1- أحمد فؤاد باشا، المؤسسات العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مشروع كتاب المؤسسة في الإسلام تاريخا وتأسيسا، تحرير أ.د. رفعت السيد العوضي، ط1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1433هـ-2012م، ص101-102.

2- أولاد ضياف رابع، نشأة المدارس في الإسلام (المدرسة النظامية نموذجا)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، العدد 15، شعبان 1434هـ/2013م، إصدارات جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، ص310.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص160.

4- شلي أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، ص102. نقلا عن بن خيرة نجيب، المرجع نفسه، ص160.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

المسجد النواة الأولى للحركة الفكرية في العالم الإسلامي<sup>1</sup>، إذ... تعتبر دراسة هذه المؤسسة في أي منطقة من العالم الإسلامي هي دراسة المكان الرئيسي للحياة الثقافية الإسلامية في أي فترة من فترات تاريخها...<sup>2</sup>، فلا تدرج حاضرة ضمن الحواضر الإسلامية الكبرى إلا بوجود المساجد بها، ولا يستطرد عمرانها إلا إذا بني المسجد أول الأمر باعتباره قلب المدينة. وحري بنا أن نشير إلى الفرق بين المساجد والجوامع، حيث أن... المساجد الجامعة تقام فيها الصلوات المفروضة، بشكل عام لأشكال كبيرة من الناس كالجمع والعيدين والمناسبات الهامة التي يكون فيها الاجتماع ضرورياً، وغالباً ما تكون هذه المساجد الجامعة تحت الإشراف الرسمي للدولة. وأما المساجد فهي التي تؤدي فيها الصلوات الخمس، وهي منتشرة كثيراً في الأحياء والقرى، ويشرف على هذه المساجد أصحابها من أهل الحي من حيث النظافة ورفع الآذان...<sup>3</sup>، ونستشف من هذا الأفضلية والسبق الذي حققه المسجد في مجال التعليم والتدريس، من خلال كون العلوم الأساسية يتم تلقينها فيه باعتباره مقر التقاء جميع شرائح المجتمع الإسلامي غنيها وفقيرها، والمتعلم والجاهل والكبير والصغير بصفة متواصلة<sup>4</sup>.

لاحظ أحد الباحثين لما تتبع تراجم السمعاني في كتابه الأنساب، مكانة المسجد في الإسلام، وشمول وظائفه لمصالح الدنيا والآخرة، فالمساجد بيوت الله، وهي:

-أحد أركان إقامة الدولة الإسلامية، يدل على ذلك أن أول ما يقوم الفاتحون به هو بناء المساجد.

- وإقامة المساجد في المدن والقرى والدور والمنازل وأماكن السفر.

- والمسجد تطبيق عملي للدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله.

- والمسجد جامعة للتعليم وتخرج الأكفاء لإقامة الدولة الإسلامية.

- والمسجد دار للفتوى ومحكمة للقضاء.

- والمسجد رباط يأوي إليه المحتاجين.

- والمسجد ساحة للتدريب على الفروسية.

- والمسجد مقر لشورى أهل الحل والعقد والبيعة العامة للخليفة.

- والمسجد مقر لاستقبال الوفود والمفاوضات.

1- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص264.

2- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، ط1، دار الفكر العربي، 1982م، ص266.

3- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص160-161.

4- خطيف صابرة، المرجع السابق، ص264.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-والمسجد مقر إعلان السياسة العامة للدولة<sup>1</sup>.

اشتهرت أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر بكثرة المساجد، سنذكرها مع العلماء الذين درّسوا فيها كما يلي:- جامع نيسابور: درس فيه عبد الرزاق حسان بن سعيد أبو الفتح المنيعي الإمام الرئيس (ت491هـ)، حيث لما عاد بعد الحج سمي لرئاسة نيسابور في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه، فدخل نيسابور رئيساً للرؤساء وقعد للتدريس في الجامع<sup>2</sup>.

-مسجد المطرز: درس فيه المظفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الإمام أبو القاسم ابن إمام الحرمين أبي المعالي<sup>3</sup>.

-مسجد شاهويه بعلياباد سمرقند: درس فيه الشيخ الإمام عبد السيد بن محمد بن عبد الملك بن الحسين بن علي بن أبي بكر السمرقندي السكري (ت521هـ)<sup>4</sup>.

-مسجد الشيخ أبو القاسم علي بن أحمد بن يوسف السنكباثي السمرقندي، حدث في مسجده قبالة الخانقاه في نهر القصارين سنة454هـ<sup>5</sup>.

-جامع سمرقند: درس وحدث فيه الأمير الإمام أبو المعالي قيس بن إسحاق بن محمد بن أميرك المرغيناني (ت526هـ)<sup>6</sup>.

-عبد الخالق أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي (ت470هـ)، الذي درس في مسجده بسكة الخرقى من باب البصرة، وجامع المنصور، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي فدرس في مسجد مقابل لدار الخلافة، ودرس بجامع المهدي، وبالمسجد الذي على باب درب الديوان<sup>7</sup>.

-جامع المنصور ببغداد: درس فيه طاهر بن الحسين بن أحمد بن عبد الله أبو الوفاء القواس (ت476هـ)<sup>8</sup>.

---

1-نجيب عبد الفتاح جيلاني محمد، المرجع السابق، ص320.

2-الفارسي، المصدر السابق، ص251-252.

3-الفارسي، المصدر السابق، ص381-380.

4-السنفي، المصدر السابق، ص418.

5-المصدر نفسه، ص560.

6-المصدر نفسه، ص694.

7-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص195.

8-المصدر نفسه، ج16، ص234.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- جامع نيسابور: درس فيه إمام الحرمين عبد الملك الجويني (ت478هـ)<sup>1</sup>، وكذلك أبو العلاء صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد (ت506هـ)<sup>2</sup>.
- جامع القصر وجامع المنصور ببغداد: درس فيهما محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله ابن البناء أبو نصر بن أبي علي (ت510هـ)<sup>3</sup>.
- جامع القصر: درس فيه طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسن بن سليمان بن بادي بن الحارث بن قيس بن الأشعث بن قيس الكندي (ت512هـ)<sup>4</sup>.
- مسجد القاضي أبي محمد الناصحي بنيسابور: درس فيه أبو الحسن عبد الرحيم بن أحمد بن عروة النيسابوري (ت510هـ)<sup>5</sup>.
- جامع بخارى: درس فيه محمد عبد الحليم بن محمد بن أبي القاسم بن علي ابن أبي الفوارس البراني المعروف بالحليمي (ت554هـ)<sup>6</sup>.
- جامع المنصور ببغداد: درس فيه أبو نصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ثابت البخاري الثابتي (ت449هـ)<sup>7</sup>.
- جامع أصفهان الكبير: درس فيه شيخ القراء في الإقراء والأسانيد العالية في القراءات، أبو علي سهل بن محمد بن أحمد بن الحسين بن طاهر بن بكران المعروف بالحاجي (ت543هـ)<sup>8</sup>.
- جامع واسط: درس فيه أبو علي حسن بن القاسم بن علي الواسطي المعروف بغلام الهراس (ت468هـ)، والشيخ أبو المفضل هبة الله بن محمد بن محمد بن مخلد الأزدي (ت481هـ)، والشيخ أبو القاسم علي بن علي بن جعفر بن شيران (ت524هـ)، وأبو بكر عبد الله بن منصور بن عمران المعروف بابن الباقلاني منصور بن عمران المعروف بابن الباقلاني (ت593هـ)، أبو الحسن علي بن أحمد ابن سعيد المعروف بابن الدباس الواسطي (ت607هـ)<sup>9</sup>.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص245.

2- المصدر نفسه، ج17، ص129.

3- المصدر نفسه، ج17، ص150.

4- المصدر نفسه، ج17، ص167.

5- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1027-1028.

6- المصدر نفسه، مج2، ص1152-1153.

7- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج3، ص122-123.

8- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص870.

9- المعاضدي عبد القادر سلمان، المرجع السابق، ص224-225.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

3-2- **الربط أو الأربطة:** الربط جمع رباط، وهو في الأصل مصدر بمعنى ملازمة ثغر العدو كالمربطة، ثم أطلق على المكان الذي يقام فيه للجهاد ثم توسع فيه فأطلق على الدور التي تقام للفقراء<sup>1</sup>، والرباط من الخيل التي يبلغ عددها خمسة فما أكثر، أو هو المكان التي تربط فيه الخيل بغرض الجهاد ومقارعة العدو مدافعتة<sup>2</sup>، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: 06)، ويقول أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِضُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 200).

ارتبط ظهور الأربطة بعلاقات المسلمين مع الكفار، حيث أسست في الثغور كمواقع متقدمة للجيش الإسلامي من أجل المربطة لمواجهة العدو، وبالتالي يتسنى لهم سرعة الرد إذا هاجمهم العدو بغتة<sup>3</sup>، ولا ننسى أن جنود هذه الربط هم من المتطوعين للجهاد في سبيل الله دون أن يكون لهم أجر مقابل مربطتهم، وإنما يتربصون للقتال ابتغاء وجه الله. كما وجدت الربط على طرق المواصلات مما جعلها معقلا لحماية هذه الطرق من اللصوص وقطاع الطرق، وأضحت أيضا ملاذا وملجأ للعلماء وطلاب العلم والتجار الذي يرتادونها في تنقلاتهم بين الأمصار، مما جعلها تتحول شيئا فشيئا إلى مركز إشعاع ثقافي انبثقت منه حركة ثقافية بين الجنود المربطين الذي تدارسوا القرآن والحديث والفقه وغيرها من العلوم، بالإضافة إلى عقد مجالس الإملاء، حتى رأى فيها العلماء مكانا مناسباً لاستكمال شخصياتهم<sup>4</sup>. "...هكذا أصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية ودينية وثقافية كالوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الإجازات العلمية واتخذها العلماء أماكن للدراسة والمطالعة والكتابة والتأليف، وساعدهم على ذلك أن الواقفين أنشأوا فيها الخزائن ووقفوا فيها الكتب وعينوا عليها من يقوم بصيانتها ومناولتها ليطلع عليها العلماء والفقهاء. ولم تعد الربط تقتصر على العبادة والزهد، بل أصبحت أماكن للتأليف والتصنيف والقراءة والتثقيف، منها تؤخذ الإجازات وفيها تلقى المحاضرات، وألحقت بها مكاتب عامرة يرتادوها المتصوفة فيدرسون ويتدارسون ويؤلفون ويصنفون..."<sup>5</sup>.

1- الزركشي محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، ط4، القاهرة، وزارة الأوقاف، 1416هـ-1996م، ص28.

2- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص165.

3- Derek Hill and Oleg Grabar, **Islamic Architecture and its Decoration** London, 1967, P34.3

4- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص166.

5- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص167.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وكان لكل رباط شيخ وخادم، أما الشيخ فهو الرئيس الأعلى وكان في الغالب يعين ممن اشتهر بالتصوف والزهد، ومن أهم واجباته الإشراف والسهر على راحة النزلاء فيه<sup>1</sup>، وفي ذلك يقول الشهاب السهروردي: "الرباط يحتوي على شبان وشيوخ وأصحاب خدمة وأرباب خلوة... والمشايخ بالزوايا أليق،... والخدمة شأن من دخل الرباط مبتدئاً... ولا يرون استخدام من ليس من جنسهم..."<sup>2</sup>، كما يشترط الشهاب السهروردي في ساكن الرباط أموراً منها: "...قطع المعاملة مع الخلق وفتح باب المعاملة مع الحق، وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب، وحبس النفس عن المخالطات، واجتناب التبعات، وعانق ليله ونهاره العبادة متعوضاً بها عن كل عادة، شغله حفظ الأوقات وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات واجتناب الغفلات ليكون بذلك مربطاً مجاهداً..."<sup>3</sup>. لذا انتشرت الأربطة خلال العصر السلجوقي، ففي بلاد ما وراء النهر؛ كان بمدينة سمرقند خمسين رباطاً، ووجد في مدينة كالف رباط عرف برباط ذي القرنين على الضفة اليسرى من نهر جيحون، ورباط ذي الكفل على الضفة اليمنى، واشتهرت بلدة بدخشان برباطها الذي بنته زبيدة زوجة هارون الرشيد، كما عرفت مدينة فريز برباطاتها الحسنة، وفي قرية ورغسر إحدى قرى سمرقند بنى أحد الزهاد رباطاً بها، وكذلك في قرية خرقان يوجد رباط خرقان في باب كش، وأسس أبو إبراهيم إسحاق بن إسماعيل بن جعفر الزاهد رباط المربعة بسمرقند، ولا ننسى بلدة بيكند التي عرفت بكثرة رباطاتها حيث فاقت الألف رباط، ونفس الأمر ينطبق على بلدة أسبيجاب التي بلغ عدد الأربطة بها 1700<sup>4</sup>. وكان يوجد مدينة أصفهان عاصمة السلاجقة خمسون رباطاً<sup>5</sup>، أما إقليم خراسان فقد انتشرت الأربطة فيه، خاصة في عهد الوزير نظام الملك الذي بنى الرباطات في مدن خراسان، كما قام العلماء ببناء الربط، حيث بنى حسان بن سعيد المنيعي الأربطة في نيسابور ومرو، وبنى أبو سعد النيسابوري (ت 477هـ) رباط نيسابور، وكان شيخ الرباط، وله مريدوه، وكان نظام الملك يعظمه، وناب عنه في مشيخة الرباط ولده إسماعيل وجلس مكانه وكان يدخل راكباً على جملة من باب الرباط، وهناك رباط فيروز أباد بهرة، وكان شيخ هذا الرباط الجنيد بن محمد القايي لمدة أربعين عاماً حتى توفي سنة 547هـ، ويوجد رباط عبد الله بن أحمد المروزي (ت 539هـ)، الذي أنشأه للمحدثين واشترى كتباً كثيرة ووقفها في رباطه<sup>6</sup>، وهناك رباط شرف الذي أسسه الشيخ أبي بكر الكرامي في عهد السلطان السلجوقي محمد بن

1- المرجع نفسه، ص 168.

2- عوارف المعارف، ص 72، نقلاً عن التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 179.

3- المصدر نفسه، ص 67، نقلاً عن المرجع نفسه، ص 178.

4- ذهبية عاشور أبوبكر قري، المرجع السابق، ص 209-210.

5- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 239.

6- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 154.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ملكشاه سنة 508هـ/1114م<sup>1</sup>، وأيضاً الرباط الذي يقع على نهر الزريق وقد سكنه الشيخ أبو الرجاء المومل بن مسرور الشاشي الخمركي المتوفى سنة 510هـ/1116م<sup>2</sup>. ويوجد كذلك رباط قرية سنخوان إحدى قرى نسا الذي بناه الشيخ أبو عمر أحمد بن محمد بن عثمان السنخواني (ت 472هـ)<sup>3</sup>، كما بنى أبو الفتح سهل بن أحمد بن علي الأرغواني الحاكم (ت 499هـ) رباطاً في قرية أرغيان بناوحي نيسابور ووقف عليه وقوفاً<sup>4</sup>، وكذلك بنى محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب أبو بكر العامري المعروف بابن الجنازة (ت 530هـ) رباطاً بقراح ظفر<sup>5</sup>.

انتشرت الأربطة في إقليم العراق أيضاً، حيث نجد رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور ببغداد، الذي ينسب لأبي الحسن علي بن محمود بن إبراهيم بن مآخرة الزوزني (ت 451هـ)، وقد بنى هذا الرباط في الأصل للشيخ الحصري الذي كان يصحبه الزوزني الذي نسب إليه الرباط<sup>6</sup>، كما نجد رباط عتاب في الجانب الغربي من بغداد<sup>7</sup>، ورباط شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي النيسابوري (ت 479هـ)، الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه<sup>8</sup>، ولا ننسى ننسى رباط ابن المحلبان الذي كان شيخه أبو الحسن البسطامي (ت 493هـ)<sup>9</sup>، ويقع هذا الرباط على شاطئ دجلة بالجانب الغربي من بغداد، وبعد وفاة البسطامي توارث مشيخة الرباط ثلاثة من عائلة واحدة هم: أبو الخير طاهر بن سعيد بن أبي سعيد (ت 542هـ) ثم حفيده عبد المنعم بن محمد بن طاهر (ت 565هـ)، ثم الركن محمد بن عبد المنعم (ت 596هـ)، ثم ولي الرباط بعدهم شهاب الدين السهروردي مع ربط أخرى<sup>10</sup>، وهناك رباط أبو المكارم محمد بن الحسن بن وهبان الشيباني (ت 507هـ) بالمقننية<sup>11</sup>، وكذلك رباط فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوويه الرازي (ت 521هـ)، الذي كان تجتمع فيه الزاهدات<sup>12</sup>، ويوجد أيضاً رباط أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي (ت 561هـ)<sup>13</sup>، وقد سماه ابن الفوطي برباط الحلبة، ويبدو أنه كان موجوداً إما في السنة التي جلس

1- الوزنة يحي حمزة، مدينة مرو...، المرجع السابق، ص 226.

2- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج 5، ص 175.

3- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 206-207.

4- المصدر نفسه، ج 17، ص 96.

5- المصدر نفسه، ج 17، ص 317-318.

6- المصدر نفسه، ج 16، ص 59.

7- المصدر نفسه، ج 16، ص 119.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 450.

9- المصدر نفسه، ج 17، ص 57.

10- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 183.

11- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 136.

12- المصدر نفسه، ج 17، ص 247.

13- المصدر نفسه، ج 18، ص 173.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

فيها الجيلي للوعظ سنة 521هـ أو في سنة 528هـ عندما تم توسيع المدرسة، وكان الجيلي يتكلم في الرباط في صباح يوم الأحد من كل أسبوع، بينما يتكلم بالمدرسة صباح الجمعة وعشية الثلاثاء، وتحدث الإشارة إلى أنَّ رباط الجيلي كان أول رباط ببغداد يتم إنشاؤه إلى جانب المدرسة<sup>1</sup>، وهناك رباط أبو النجيب عبد القاهر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي (ت 563هـ) الذي بناه لنفسه<sup>2</sup>، ويوجد كذلك رباط صدقة بن وزير الواسطي (ت 550هـ)، الذي بناه بقراح القاضي، ثم زاد فيه منارة، وكان مقصودا بالفتوح<sup>3</sup>، يضاف إليهم رباط الشيخ محمود النعال الحنبلي (ت 609هـ)، من أصحاب الشيخ الجيلي، ورباطه كان موجودا سنة 565هـ تقديرا، وقد بني الرباط بباب الأنج<sup>4</sup>، وكذلك رباط الكمال الأنباري النحوي (ت 577هـ) ببغداد، ورباط عبد الصمد الصمد الكلاهيبي الزنجاني (ت 581هـ) بقراح القاضي، ورباط محمود بن أحمد بن الصابوني (ت 581هـ) ببغداد<sup>5</sup>، ورباط الشونيزي الذي هو رباط الجنيد (ت 297هـ)، وقد كان الرباط موجودا في سنة 584هـ، ولكن من غير المعروف ما إذا كان مستمرا دون انقطاع منذ زمن الجنيد وحتى القرن السادس الهجري، ولو كان وجوده مستمرا لكان أقدم الربط البغدادية، ورباط خاصة بنت المبارك (ت 585هـ) من ربط النساء، وكانت خاصة تعظ برباطها، وهي من أصحاب النجيب السهروردي، ورباط علي بن سالم (ت 585هـ)، الذي كان بدرب المطبخ<sup>6</sup>، ورباط سعادة الخادم الذي كان متقدمه أبو حفص عمر السهروردي (ت 532هـ)<sup>7</sup>، وينسب إلى سعادة بن عبد الله الرومي المستظهري الخادم الرسائلي (ت 500هـ)<sup>8</sup>، ورباط أرجوان أو الأرجوانية وهي جارية تدعى قرّة العين أم الخليفة العباسي المقتدي بالله (ت 512هـ)<sup>9</sup>، وقد سلمه الخليفة العباسي المسترشد بالله للشيخ أبي الفتوح الاسفرايني (ت 538هـ) بدرب زاخي سنة 516هـ<sup>10</sup>، ورباط الشرط الذي يقع بالجانب الشرقي من بغداد، وكان موجودا قبل سنة 532هـ<sup>11</sup>، رباط

- 
- 1- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 184.
  - 2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 18، ص 180.
  - 3- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 185.
  - 4- المرجع نفسه، ص 186.
  - 5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
  - 6- المرجع نفسه، ص 187.
  - 7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 331.
  - 8- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 190.
  - 9- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 166.
  - 10- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 9، ص 218.
  - 11- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 191.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

بهرز الأسفل الذي بناه بهروز الخادم والي العراق للسلطان السلجوقي سنة 502هـ<sup>1</sup> جلس فيه أحمد الغزالي (ت 520هـ) أخو أبي حامد الغزالي<sup>2</sup>، وأيضاً رباط بهروز الأعلى المعروف برباط الخدم وقد دفن به سنة 540هـ<sup>3</sup>، ورباط محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة أبو الحسن بن أبي الفتح بن أبي القاسم الوزير (ت 542هـ) الذي جعل داره التي في دار الخلافة رباطاً للصوفية<sup>4</sup>، ورباط أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي (ت 551هـ)، الذي أمرت خاتون زوجة المستظهر بالله ببنائه بباب الأرنج ووقفت عليه الوقوف<sup>5</sup>، ورباط ثقة الدولة ابن الأنباري (ت 549هـ) بباب الأرنج على شاطئ دجلة<sup>6</sup>.

### 1-3- الخانقاهات أو الخوانق: يعرفها السمعاني بأنها بقعة يسكنها أهل الخير والصوفية<sup>7</sup>، وقيل "مسكن الدراويش والمرشدين حين يجرون فيها مراسيم تصوفهم"<sup>8</sup>.

لقد قدمت هذه الخانقاهات خدمات علمية جلية القدر، عظيمة الأهمية، لكثرة ما قصدها طلاب علم الشريعة وعلم الحقيقة، فعقدت فيها حلقات العلم، ومجالس المناظرة، وألقيت فيها دروس الفقه وأملي فيها الحديث، مما ساعد على تطوير الحياة العلمية وكثرة عطائها في التصنيف في مختلف العلوم والمعارف<sup>9</sup>، لذا انتشرت الخانقاهات في جميع أرجاء العالم الإسلامي ابتداء من القرن الخامس الهجري، ووضعوا فيها نظاماً معيناً للحياة، وكان من التقاليد المتبعة في هذه الخانقاوات إقامة حلقات السماع التي يردد فيها القوالون أشعاراً في الغزل يفسرونها تفسيراً صوفياً، كما كان للخانقاوات نظام متدرج خاص على حسب تقواهم، على رأسه شيخ يسمى قطب أو شيخ الشيوخ أو شيخ السجادة دليل على تقواه، يأتي بعده المريدون والإخوان، ويوجد أيضاً الخدم<sup>10</sup>.  
والجدير بالذكر أن التعليم والتربية في الخانقاهات كانا قسمين: أحدهما التعاليم الشفهية التي كانت تشتمل على النصائح والمواعظ التي يلقيها الشيخ على الطلاب، ومجالس الوعظ والتذكير التي كانت من السنن الجارية في

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 112.

2- المصدر نفسه، ج 17، ص 237.

3- المصدر نفسه، ج 18، ص 46.

4- المصدر نفسه، ج 18، ص 61.

5- المصدر نفسه، ج 18، ص 108.

6- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص 192.

7- الأنساب، المصدر السابق، ج 5، ص 29.

8- التونجي محمد، المعجم الذهبي، ص 232، نقلاً عن بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 219.

9- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 219.

10- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 171.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الخانقاوات الصوفية. وثانيهما التعاليم العملية التي هي رياضات مختلفة مثل الصلاة والصوم والذكر والاعتكاف<sup>1</sup>. والاعتكاف<sup>1</sup>.

عرفت أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي عددا من الخانقاوات نذكر منها:

- الخانقاه الذي بناه الشيخ أبو الفتح العميد بنيسابور وأوقف عليه أوقافا كثيرة<sup>2</sup>.

- خانقاه شط الرزيق الذي تولى خدمة الفقراء الصالحين فيه الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طاهر الفرغاني الصوفي المقرئ الأندكاني (ت545هـ).

- الخانقاه القديمة بفاشان الذي خدم فيه أيضا الشيخ أبو حفص الفرغاني<sup>3</sup>.

- الخانقاه في نهر القصارين<sup>4</sup>.

- خانقاه الشيخ أبو محمد الحسن بن الحسين الأندقي (ت552هـ) بمرو<sup>5</sup>.

- خانقاه الغزالي ابتناها أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) بطوس للصوفية ولزمها ووظف أوقاته في التلاوة والتدريس والنظر في الأحاديث، ومجالسة أهل القلوب حتى توفي بطوس<sup>6</sup>.

- خانقاه زولاه بنواحي مرو، وكان شيخ الصوفية بها أبو منصور محمد بن محمود المروزي (ت524هـ/1130م)، وصارت الخانقاه مقصدا لطلبة الحديث<sup>7</sup>.

- خانقاه بسكة خركوش<sup>8</sup>.

- خانقاه الحسن بن يعقوب الحداد بنيسابور<sup>9</sup>.

- الخانقاه المقابل لرأس سكة الصفة<sup>10</sup>.

- خانقاه الشيخ أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن الخطيب<sup>1</sup>.

1- المرجع نفسه، ص172.

2- الفارسي، المصدر السابق، ص367.

3- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1184.

4- النسفي، المصدر السابق، ص560.

5- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج1، ص363-364.

6- ابن العماد، المصدر السابق، ج4، ص12.

7- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص155.

8- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج5، ص80.

9- المصدر نفسه، ج5، ص394.

10- المصدر نفسه، ج6، ص34.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- خانقاه البرموي<sup>2</sup>.
- خانقاه أبي بكر الواسطي بمر<sup>3</sup>.
- خانقاه أبي العباس القصاب بالعراق<sup>4</sup>.
- الخانقاه بباع الرازيين في نيسابور<sup>5</sup>.
- خانقاه أحمد بن محمد الميهني الفليبي بسرخس<sup>6</sup>.
- خانقاه الشيخ أبي العباس القصاب بآمل<sup>7</sup>.
- خانقاه الشيخ الإمام الجنيد بن محمد القايني بمرآة<sup>8</sup>.
- خانقاه الشيخ المرشد أبي إسحاق بن شهریار<sup>9</sup>.
- الخانقاهان السلمي وأحمد بن محمود بسكة نوند في نيسابور<sup>10</sup>.

**1-4- الزوايا:** جمع زاوية، وهي لفظ عربي معناه الركن من الدار، أو المكان عامة، وهي من مؤسسات العلم والثقافة، وهي عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون بها حلقات الدراسة في علوم الدين وما يتصل بالعلوم النقلية والعقلية، وكانوا يقفون هذه الزوايا ومثلها التكايا على الفقراء الصوفية، وكانت الزوايا تبني أحيانا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة<sup>11</sup>. ومن أهم الزوايا التي عرفها العصر السلجوقي نجد:

- زاوية عبد الغني بن نقطة (ت583هـ): كان منقطعاً إلى زاويته، وله مريدون منعكفون عليه، يخدمهم بما يفتح عليه ويدان لهم ويبدل جهده<sup>12</sup>.

- 
- 1- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج7، ص116.
  - 2- المصدر نفسه، ج7، ص404.
  - 3- المصدر نفسه، ج7، ص411.
  - 4- المصدر نفسه، ج8، ص207.
  - 5- المصدر نفسه، ج8، ص211.
  - 6- المصدر نفسه، ج9، ص332.
  - 7- المصدر نفسه، ج10، ص135.
  - 8- المصدر نفسه، ج10، ص161.
  - 9- المصدر نفسه، ج12، ص159.
  - 10- المصدر نفسه، ج12، ص166.
  - 11- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص153.
  - 12- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص186-187.



## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

- زاوية طلحة العثلي الحنبلي (ت593هـ): انقطع إلى زاويته بالعلث وصار له أتباع كثير<sup>1</sup>.
- زاوية عثمان بن سليمان المطرزي (ت636هـ): سكن في أحد الربط مدة طويلة، ولما اشتهر وشاخ وصار له أتباع سكن في زاوية بالحرثم الظاهري، وقصده أبناء الدنيا وخدم دار الخلافة بالصدقات والعطايا، ثم عمر موضعا كبيرا إضافة إلى زاويته<sup>2</sup>.
- زاوية أبي العز الخباز، علي بن سليمان (ت656هـ): كان له أتباع ومريدون، وكان المستنصر بالله العباسي يزوره ويرسل من يأتيه من خبزه فيستشفى به<sup>3</sup>.

### 1-5- موقف العلماء من المدارس التعليمية خلال العصر السلجوقي:

يقصد بقولهم "مدرسة" معناها الاصطلاحي عند العرب منذ أواسط القرن الخامس الهجري، وهي تختلف عن بقية مواضع العلم الأخرى كدور الحكمة ودور العلم، وكذلك أمكنة التعليم والتدريس والإملاء والإقراء. ولفظ المدرسة من الألفاظ المولدة عند العرب، وهو في الأصل مأخوذ من العبرانية أو الآرامية، مدارس أو مدرس وجمعها مدارس ثم خففت فأصبح مدارس<sup>4</sup>، بينما في المعاجم اللغوية العربية فقد ورد لفظ المدرسة في القاموس المحيط في سياق الحديث عن فعل "درس" حيث يقول: "والكتاب يدرسه درسا ودراسة: قرأه، كأدرسه ودرسه..."<sup>5</sup>، وكذلك في لسان العرب "... ودراسة ودارسه بمعنى عاود الكتاب قراءة فيه حتى انقاد إلى حفظه..."<sup>6</sup>، مما يبين لنا علاقة علاقة التعريف اللغوي بالعملية التعليمية والتعليمية من خلال التركيز على الكتاب إما بقراءته وحفظه أو شرحه وتلقينه، والمدرسة "... منشأة عمرانية أسست من أجل أداء مهمة التدريس يقصدها طلاب العلم من أجل التحصيل العلمي على أيدي أساتذة أكفاء، وقد يكون أولئك الأساتذة من العلماء الأعلام، تعتمد على نظام تعليمي منظم، وتقدم خدمات مجانية للطلبة القاصدين لها وتتكفل بذلك جهات خيرية سواء كانت نظامية أو خاصة..."<sup>7</sup>، وهي المكان الذي يلي المسجد من حيث الأهمية عند المسلمين، وتعد محراب العلم الذي الذي يتعلم فيه المسلمون شتى العلوم<sup>8</sup>، كما تندرج ضمن مؤسسات التعليم الإسلامي وتعد أهم مؤسسة بعد

1- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص187.

2- المرجع نفسه، ص188.

3- المرجع نفسه، ص188-189.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص171.

5- الفيروزآبادي محمد الدين محمد بن يعقوب، المصدر السابق، ص536.

6- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، المصدر السابق، ج7، ص385.

1- أولاد ضياف رابع، نشأة المدارس...، المرجع السابق، ص313.

2- نجيب عبد الفتاح جيلاني محمد، المرجع السابق، ص326.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

المسجد، لما لها من شأن عظيم بوأها مكانة مهمة في أوساط المجتمع الإسلامي، فالمدارس تشكل طورا متقدما في سياق التطورات التي مرت بها حركة التعليم في العصر الإسلامي، فهي لا تعدو إلا نتيجة طبيعية لتراكمات وجهود سابقة بذلها أصحابها لمدد طويلة، ولم تتحقق إلا بعد أن توفرت الظروف المناسبة لتشكيلها وظهورها إلى الواقع<sup>1</sup>، لذا فإن إنشاء المدارس يعتبر أعظم إنجاز شهدته الحضارة الإسلامية وقمة العطاء الحضاري، حيث جاء هذا الأمر مصاحبا لتحول كبير في الفكر الإسلامي الذي بلغ مرحلة النضج ووصلت العلوم إلى مدى كبير من التأصيل والتفصيل، فأضحى لزاما إنشاء المدارس في ظل تزايد عدد المتعلمين في المساجد التي ضاقت بهم، بحثا عن الوصول إلى تولي مناصب في الدولة. فكان النصف الثاني من القرن الخامس الهجري فاتحة عهد جديد في نظام التعليم الإسلامي، حيث تم تأسيس المدارس في بلاد المشرق الإسلامي على نطاق واسع عن العهود السابقة للسلاجقة.

**أ- بناء المدارس التعليمية قبل العصر السلجوقي:** تعد قضية بناء المدارس التعليمية قبل عصر السلاجقة مثار جدل بين المؤرخين حول من كان السَّابِق لبنائها في العالم الإسلامي، ذلك أنه "...مما وقر في أذهان كثير من المؤرخين قديما وحديثا أن نشأة المدارس في العالم الإسلامي كانت بعد الأربعمئة من سني الهجرة، على يد الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي، وسميت بالمدارس النظامية التسع في (نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وأصبهان، وآمل طبرستان، والبصرة، والموصل، وبغداد...)". وأن السلاطين والأمراء المسلمين من بعده اقتدوا به في إنشاء المدارس الحرة المجانية في أنحاء المملكة الإسلامية، وأشهرهم السلطان نور الدين زنكي (ت569هـ)، ثم صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ)، ثم الملك المعظم مظفر الدين كوكبري صاحب إربل (ت630هـ)..."<sup>2</sup>، لكن اتضح بعد الفحص والتدقيق والتمحيص أن بناء المدارس التعليمية في العالم الإسلامي كان قبل عصر السلاجقة، فقد سبقهم إلى ذلك السامانيون حكام خراسان وبلاد ما وراء النهر، بعد أن أحكموا سيطرتهم عليهما وعملوا على خدمة العلم والعلماء<sup>3</sup>، ولكن الأظهر الأظهر أنَّ هذه المدارس كانت مستقلة عن تدبير الحكومات وسياساتها، إلا بعض الحالات الشاذة، فالمدارس التي ظهرت قبل هذا العصر كانت بمبادرات شخصية أو جماعية من قبل أحد العلماء أو رهط من الناس على حسب

3- مكوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيرية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ-737هـ/1236م-1337م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1427هـ-1428هـ/2007م-2008م، ص126.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص171.

1- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص257.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

منازلهم الاجتماعية، من أجل تلقين العلم لأفراد المجتمع، وتكون نفقتها من أموال الزكاة أو الهبات، أو من نفقة صاحب المدرسة نفسه، وذكر المقدسي أثناء رحلته إلى المشرق عددا من المراكز العلمية كالمساجد والجوامع والمدارس والمكاتب<sup>1</sup>، حيث يقول: "...أقيمت في المساجد، وذكرت في الجوامع، واختلفت إلى المدارس..."<sup>2</sup>، ثم يواصل كلامه عن إقليم المشرق فيصفه بأنه: "...كثير العلماء، ومستقر العلم، فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك... فجانب الهيطل من الإقليم يضم سمرقند الجليلة، وخجندة العجيبة والمدارس والأئمة والمشايخ... والدرس بالليل والنهار..."<sup>3</sup>، وزيادة على ذلك فإن المدرسة الصادية بدمشق أسست سنة 391هـ، مما دفع بالدكتور يوسف غوانمة للقول بأن بلاد الشام سبقت في تأسيس المدارس التعليمية السلاجقة، حيث كانت موثلا للعلماء والفقهاء يرتادونها من كل أرجاء العالم الإسلامي، أما الدكتور ناجي معروف فيعتقد أن أول مدرسة أنشئت في نيسابور هي مدرسة الحسان القرشي قبل سنة 349هـ<sup>4</sup>.

إن اختلاف المؤرخين في أول من بنى المدارس التعليمية في العالم الإسلامي يرجع أساسا في طبيعة الدور التي أصبحت تؤديه هذه المدارس في العصر السلجوقي، أي أنّ المدارس التي أسست قبل هذا العهد كانت كلها أحادية، شيدت من أجل مذهب فقهي واحد من المذاهب الفقهية الأربعة، وغالبها للمذهبين الشافعي والحنفي<sup>5</sup>، وما يعضد هذا الرأي هو الخصائص التي تميزت بها هذه المدارس قبل العصر السلجوقي وهي كما يلي:

- 1- كان تخطيط المدارس مستطيلا أو مربعا تتوسطه ساحة مكشوفة "صحن" وتحيط بها مرافق المدرسة، وتحتل هذه الساحة غالبية مساحة المخطط العام للبناء.
- 2- احتواء المدارس على عدد من الأواوين خاصة في الساحة، فبعضها ذات إيوان واحد وبعضها فيها إيوانان، وأخرى لها أربعة أواوين.
- 3- خصصت بها بيت للصلاة في الجهة القبليّة من البناء، مما يتيح إمكانية الاستفادة من الساحة عند أداء الصلاة، خصوصا عند عدم كفاية الصلاة لوجود عدد كبير من المصلين.
- 4- قسمت أغلب المدارس إلى حجرات وغرفات للسكن والمبيت، وكذلك عدد من القاعات الكبيرة للتدريس<sup>6</sup>.

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 171-172.

2- المقدسي محمد بن أحمد، المصدر السابق، ص 241-363-390-391.

3- المصدر نفسه، ص 310.

4- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 172.

5- معروف ناجي، مدارس قبل النظامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني والعشرون، بغداد، 1973م، ص 118.

1- عزب خالد محمد، المدارس في الحضارة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 344، السنة 31، سبتمبر 1994م، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ص 43.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

وانطلاقاً من ذلك يعد القرن الخامس الهجري فاتحة عهد جديد بالنسبة لنظام التعليم والمدارس في الإسلام، عندما أخذ الدولة باحتضان فكرة "المدرسة" واتخاذها مركزاً لنشر الفكر الإسلامي بعيداً عن التيارات المعادية والأفكار المضادة، فهيأت الدولة الأبنية لذلك وصرفت الأجور للمدرسين والطلاب وجعلت لها الأوقاف الكافية للصرف عليها وضمان دوامها<sup>1</sup>.

**ب- أسباب تأسيس المدارس التعليمية في العصر السلجوقي:** الظاهر أن جملة من الأسباب أدت إلى نشأة المدارس في العالم الإسلامي وانتشارها في مشرقه ومغربه، حيث جزم جمهور من الباحثين أن تأسيس المدارس كان بهدف الدعوة إلى المذاهب الدينية المختلفة، وهناك من أرجع سبب التأسيس إلى تطور العلوم والمعارف وظهور المناظرات العلمية، أي كثرة الجدل والنقاش، مما يتنافى مع آداب المساجد حيث تكثر الأصوات وترتفع، ما أثر سلباً على المصلين في أداء الصلوات<sup>2</sup>، ناهيك عن كثرة طلبه العلم إلى حد كبير جعل المساجد تضيق بهم، فاضطر إلى البحث عن أماكن جديدة على شاكله المساجد لتلقي العلوم المختلفة وفق منهج علمي متميز، فتنتطع عقلاء الأمة وحكامها من العلماء والفقهاء والحكام المخلصين للتقصي والبحث عن سبل جديدة للإصلاح والوقوف في وجه الهزات الفكرية التي شهدتها العالم الإسلامي<sup>3</sup>، ولذا كانت الأسباب الدينية في مقدمة الأسباب الداعية إلى إنشاء المدارس<sup>4</sup>، ولا يخلو الأمر من الأسباب السياسية التي لها أبلغ الأثر في التنظير للمذهب الذي تتبناه السلطة والتععيد له والمنافحة عنه من خلال توفير المؤسسات التي تكون أطراً تتوافق مع توجه السلطة<sup>5</sup>، بالإضافة إلى الأسباب الثقافية التي تتجلى في رغبة الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء ورجال الدولة بنشر العلم والاهتمام بالعلماء وأهله والإنفاق عليهم، فبنوا المدارس لجعلها أماكن يلتقي فيها العلماء وطلبة العلم وأهل الفكر<sup>6</sup>، ولما كانت الدولة بحاجة إلى رجال يتولون أجهزتها ويقومون بتسيير دواوينها وخططها، بنيت المدارس من أجل تحقيق هذه الغاية وضمان استمرار فعالية أجهزة الحكم والإدارة وحسن التسيير وعدم تعطل

1- عزب خالد محمد، المرجع السابق، ص 43.

3- أولاد ضياف رابع، نشأة المدارس...، المرجع السابق، ص 317.

4- لعرج عبد العزيز، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها، مجلة دراسات إنسانية، العدد 01، السنة

1421هـ/2001م، إصدارات كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، ص 114.

4- أولاد ضياف رابع، المرجع السابق، ص 318.

6- Antony Hull and Leonard- المرجع نفسه، ص 318-322، لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 114.

Harrow, Islamic Architecture Iran, vol.1, 1977, p20.

6- أولاد ضياف رابع، نشأة المدارس...، المرجع السابق، ص 322.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

مصالح الخلق<sup>1</sup>، وعليه فقد ساهمت هذه الأسباب مجتمعة في تبلور وتشكل الأرضية المناسبة لتأسيس المدارس، واستحداث هذه المؤسسات الجديدة في هياكلها واستخداماتها ووظيفتها وأهدافها، تعاون فيها العلماء والأثرياء والحكام على تأسيسها والتوسع في إنشائها، والإنفاق عليها، وغايتها التدريس وتلقين العلوم المختلفة، والاستجابة لتحديات الأوضاع المستجدة في القرن 5هـ/11م في العالم الإسلامي وتحقيق أهداف ومرامي الحركة الإصلاحية<sup>2</sup>.

**ج- أهم المدارس التعليمية في العصر السلجوقي:** تعتبر دولة السلاجقة بالمشرق الإسلامي من أكثر الدول الإسلامية حيوية ونشاطا في مجال التشييد العمراني بصفة عامة، وتشييد المدارس بصفة خاصة، فقد أنفق سلاطينها ووزرائها على عمارتها وتزيينها أموالا كثيرة، فجاءت على درجة كبيرة من الأبهة والفخامة، وقد اتخذ السلاجقة من حركة بناء المدارس مظهرا لسياستهم الدينية والعلمية، وبالتالي مظهرا للتأثير السياسي والاجتماعي في رعاياهم، وذلك من حيث الرضا بهم، والقبول بمخططاتهم الهادفة إلى إعادة توحيد المشرق الإسلامي تحت رايتهم سياسيا ودينيا وإداريا، بعد تقويض أركان الدولة البويهية، ومن أهم المدارس التي بنيت في هذا العصر هي:

**- المدرسة النظامية ببغداد:** تعد هذه المدرسة أول مؤسسة علمية متخصصة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بنيت لتدريس العلوم الدينية واللغوية والأدبية والعقلية، كما فتحت أبوابها أمام العلماء وطلبة العلم للالتحاق بها، وهيأت لهم مختلف المتطلبات والحاجات والظروف المناسبة ورغد العيش، وأضحت المثال الذي يحتذى به في بقية المدارس الأخرى التي أنشئت تباعا<sup>3</sup>. وقد تم البدء في بناء المدرسة النظامية في ذي الحجة سنة 457هـ<sup>4</sup>، بأمر من الوزير نظام الملك الطوسي (455هـ-480هـ)<sup>5</sup> وانتهى تشييدها في سنة 458هـ "وفي هذه السنة استتم بناء المدرسة النظامية ببغداد، وانتظمت أحوالها، وسكنها من حملة الشريعة رجالها"<sup>6</sup>، وبلغ المبلغ الذي أنفق في بنائها حوالي مائتي ألف دينار، إضافة إلى تجبيس عدد من الضياع والدكاكين

1- المرجع نفسه، ص 323.

2- لعرج عبد العزيز، المرجع السابق، ص 115.

4- أولاد ضياف رابع، الجراية...، المرجع السابق، ص 159.

5- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 91.

6- هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، ولد برادكان بليدة صغيرة بطوس سنة 408هـ، اشتغل بالحديث والفقه، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان معتمد مدينة بلخ ثم وزر للسلطان ألب أرسلان السلجوقي، ثم لولده ملكشاه، وأخذ في بناء المساجد والرباطات، والمدارس المعروفة بالنظاميات، عمر دور الكتب، وابتاع الكتب بأوفر الأثمان، وأدر الجرايات على الخزان، فكانت سوق العلم في أيامه قائمة، قتل على يد الحشاشين الباطنية قرب نهاوند سنة 480هـ، ينظر، السبكي تاج الدين، المصدر السابق، ج 3، ص 03.

1- الأصفهاني عماد الدين، المصدر السابق، ص 203.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

والحمامات والمخازن وبناء أسواق حولها<sup>1</sup>، مما يظهر الأهمية التي أولاهها نظام الملك لهذه المدرسة بحيث أن افتتاحها كان بداية فعلية وجادة للحياة الثقافية والعلمية في العالم الإسلامي، خصوصاً بإتباع نظام منهجي وتدرسي أثر بشكل كبير في ظهور نظام تعليمي جديد، أبرز معالمه المنهج العلمي والتعليمي في مدارس العراق العالم الإسلامي، فقد أخذ أسلوب التدريس في نظامية بغداد منحى مميزاً به، بظهور التخصصات العلمية وتخصيص منهج خاص وكتب خاصة لكل قسم منها<sup>2</sup>، وحرري بنا أن نشير إلى أنَّ نظامية بغداد التي شيدت شبيهة بالجامعات في سعة عمراتها وتنوع العلوم التي تدرس فيها، وحجم الخدمات التي يستفيد منها طلبة العلم والعلماء المدرسون، من مسكن ومأكل وكسوة وجرايات مالية، حتى بلغ عدد طلبتها 6000 يدرسون مجاناً<sup>3</sup>.

**-المدرسة النظامية بنيسابور:** أسست بعد نظامية بغداد وتعد ثاني أهم مدرسة بعدها خصوصاً أن بغداد هي عاصمة الخلافة العباسية ونيسابور عاصمة السلطنة السلجوقية، فلذا بنى نظام الملك بها مدرسة على شاكلة نظامية بغداد، ولكن المصادر لم تذكر تاريخ تشييدها بالضبط، خصوصاً وأنها بنيت بعد مدرسة بغداد، فاستدعى الأمر محاولة منا إلى وضع مجموعة من التقديرات تتمثل في أنَّ إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (ت 478هـ) درس فيها ثلاثين سنة بدون وجود من ينازعه، فيكون تاريخ افتتاحها بين سنتي 448هـ-449هـ، بالرغم من أنَّ نظام الملك لم يستوزر بعد ولكنه طلب من المهاجرين إلى بغداد بالعودة إلى نيسابور بعد توليه الوزارة، حيث درس في الجامع المنيعي مكان أبيه<sup>4</sup>. وقد بلغت مكانة نظامية نيسابور شأواً عظيماً حيث تخرج منها عدد من العلماء الفطاحل الذين درسوا في نظامية بغداد، كأبي حامد الغزالي (ت 505هـ) والطبري والكيماهراسي، الذين تتلمذوا على أبي المعالي الجويني وأصبحوا من رؤوس المعيدين لدروسه<sup>5</sup>، وبهذا تعد المدرسة النظامية في نيسابور إحدى أهم المدارس التعليمية التي بنيت في العصر السلجوقي، وساهمت في تطوير نظام التعليم وتزويد الدولة بعدد من الكفاءات العلمية لتسييرها، وأحياناً فاقت حتى نظامية بغداد نفسها.

**-المدرسة النظامية مرو الشاهجان:** تعد مدينة مرو الشاهجان من المدن المهمة في خراسان حيث اتخذت عاصمة لهذا الإقليم، ونافست نيسابور حاضرة السلاجقة نفسها، لذا أولوها عناية كبيرة من خلال بناء مدرسة بها على غرار بغداد ونيسابور، ذلك أنَّ "...النظام أسس فيها مدرسة ووكل أمر التدريس فيها لأبي المظفر بن

1-أولاد ضياف رابع، الجراية...، المرجع السابق، ص 159.

3-نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 136.

3-أولاد ضياف رابع، الجراية...، المرجع السابق، ص 159.

5-عبد الهادي محمد رضا محبوبية، المرجع السابق، ص 379.

5-المرجع نفسه، ص 381.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

السمعاني التميمي بعد دخوله مرو سنة 468هـ وانتقاله من مذهب أبي حنيفة الذي ظل يدافع عنه ثلاثين سنة إلى المذهب الشافعي، وكان لانتقاله صدى كبير أوقد نار الفتنة بين العراق وخراسان إلى أن توفي سنة 489هـ...<sup>1</sup>، وأضحت نظامية مرو قبلة للطلبة ومقصدا للفضلاء من مختلف الأصقاع والأمصار تفقهوا على أبي المظفر السمعاني وتلميذه الميهني<sup>2</sup>. وقد مثلت خطوة نظام الملك في إقامة ودعم المدارس سياسة شبه رسمية في إنشاء المدارس والتوسع والعناية بها، وقد اختلف حول السبب الذي دفع نظام الملك للقيام بذلك، فبينما يذكر بعضهم أن ذلك يعود إلى اهتمام نظام الملك بالعلم والعلماء، إذ كان مجلسه عامرا بهم وخاصة أنه كان على المذهب الشافعي، يميل البعض إلى ذكر سبب آخر، دفع نظام الملك لإقامة المدارس وهو حرصه على وحدة أهل السنة ودفعاً للتشيع<sup>3</sup>.

لقد اقتصرنا على أهم المدارس النظامية التي أسست في العصر السلجوقي بصفة رسمية تشرف عليها الدولة، دون أن نقصي المدارس النظامية الأخرى التي شيدت في كل من البصرة والموصل وأصبهان وعسكر مكرم وهراة وبلخ وآمل وطوس<sup>4</sup>، ويتجلى ذلك من خلال إشارتنا لطرائق التربية ونظم التعليم الموحدة في هذه المدارس التي انتشرت في إقليم المشرق الإسلامي، بالإضافة إلى أصالة المنهج التربوي الإسلامي الذي التزمت به المدارس وسكنها في صقل أخلاق الطلاب وتهذيب طباعهم، وجعلهم نموذجاً يحتذى، وقدوة تتبع<sup>5</sup>، خصوصاً أنَّ التربية الإسلامية هي الأساس الذي تنبثق منه التوجهات التربوية للأمة الإسلامية، لما رسمته منذ البداية من معالم واضحة ساهمت عبر حقب زمنية متعاقبة في تطورها الفكري، فكان اهتمامها بالقيم والمثل العليا، كما رفعت من شأن العلم والعلماء، واهتمت بمظاهر التربية المختلفة، فالإسلام شريعة الله للبشر، أنزلها لهم ليحققوا عبادته في الأرض، والعمل بهذه الشريعة يقتضي تطوير الإنسان وتهذيبه، حتى يصلح لحمل هذه الأمانة، وتحقيق هذه الإدارة التي أرادها الله له. كما وأن الفكر التربوي هو الشهادة الصادقة على العصر بشتى أوضاعه الاجتماعية وأحواله

1- عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 384.

2- المرجع نفسه، ص 385.

3- شطناوي منتصر محمود صيتان، التربية والتعليم في بلاد الشام في دولة المماليك البحرية (658هـ-784هـ/1260م-1382م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2008م، ص 68.

4- حول هذه المدارس ينظر، عبد الهادي محمد رضا محبوبة، المرجع السابق، ص 389، 388، 387، 386، 385، 383، 382.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 174.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- الإنسانية، وهو الرسالة الهادفة إلى التنمية والتحديث<sup>1</sup>، وسنرى هذا الأمر جلياً من خلال جملة من الخصائص التي التي تميزت بها المدارس النظامية عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى كما يلي:
- 1- إنَّ تنوع المناهج، وتعدد المذاهب الفقهية المعتمد تدريسها في المدرسة، جعل المدرسة تتسم بالمرونة والتعددية، وتحظى بمصداقية عالية، وتحوز على ثقة المريدين لها.
  - 2- عملت المدرسة على تأهيل الكوادر المختلفة لإشغال مرافق الدولة، وخدمة الرعية والحركة العلمية.
  - 3- أصبحت هناك رواتب شهرية منتظمة تصرف للطلاب والمدرس، ويوسع عليهم فيها في الرزق، وإذا كان المسجد في الماضي مأوى للفقراء من أهل العلم، فقد أنشأت المدرسة المساكن المريحة للطلبة والمدرسين، فضلاً عن توفير الطعام والشراب والكساء.
  - 4- أصبح المسجد جزءاً لا يتجزأ من بناء المدرسة، وتؤدي فيه شعائر العبادة، وأصبح لكل مدرسة مكتبتها الخاصة بها، منها يتزود الطالب والمدرس بما يشاء من الكتب، وفي أي وقت يشاء<sup>2</sup>.
- وقد درس عدد من العلماء في المدارس النظامية، نذكرهم كما يلي:

---

1- عبد المنعم حسن محسن بني عواد، أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي، وابن رشد، وابن خلدون: دراسة تحليلية مقارنة مع الفكر التربوي الحديث، أطروحة للحصول على درجة دكتوراه في فلسفة التربية، كلية الدراسات التربوية العليا، تخصص أصول التربية، جامعة عمان العربية، آب 2007، ص 04.

2 -نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص 142.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

| أسماء العلماء المدرسين                                                         | الوصيفة   | اسم المدرسة ومكانها                 |
|--------------------------------------------------------------------------------|-----------|-------------------------------------|
| -أبو القاسم عبد الله بن طاهر بن محمد الاسفرايني(ت488هـ) <sup>1</sup> .         | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببلخ.             |
| -أبو سعد عبد الرحمن بن منصور بن رامش بن عبد الله بن زيد(ت474هـ) <sup>2</sup> . | -الإملاء. | -المدرسة النظامية بنيسابور.         |
| -أبو المعالي الجويني(ت478هـ) <sup>3</sup> .                                    | -التدريس. | -المدرسة النظامية بنيسابور.         |
| -أبو القاسم عبد الواحد بن إسماعيل البوشنجي(ت480هـ) <sup>4</sup> .              | -التدريس. | -مدرسة الفقيه ناصح الدولة بنيسابور. |
| -أبو القاسم علي بن الحسن العلوي الأبيوردي(ت497هـ) <sup>5</sup> .               | -التدريس. | -مدرسة أبي علي العلوي بأبيورد.      |
| -أبو الحسين المبارك بن محمد بن عبيد الله الواسطي(ت472هـ) <sup>6</sup> .        | -التدريس. | -مدرسة أبي العباس المشطي.           |
| -أبو الحسن علي بن مودود بن الحسن الكشاني <sup>7</sup> .                        | -التدريس. | -المدرسة الخاقانية بمرو.            |

1-الفارسي،المصدر السابق،ص179-180.

2-المصدر نفسه،ص207-208.

3-المصدر نفسه،ص225-226.

4-الفارسي،المصدر السابق،ص239.

5-المصدر نفسه،ص304.

6-المصدر نفسه،ص388.

7-اللكوني،المصدر السابق،ص139.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

|                                                                                                        |           |                           |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|---------------------------|
| -أبو الحسين محمد بن عبد الله<br>الناصحي(ت484هـ) <sup>1</sup> .                                         | -التدريس. | -مدرسة السلطان بنيسابور.  |
| -عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن<br>أحمد بن جعفر أبو نصر<br>الصباغ(ت477هـ) <sup>2</sup> .           | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببغداد. |
| -عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو<br>سعد المتولي(ت478هـ) <sup>3</sup> .                                  | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببغداد. |
| -علي بن أبي يعلى بن زيد أبو القاسم<br>الدبوسي(ت482هـ) <sup>4</sup> .                                   | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببغداد. |
| -الحسن بن سلمان بن أبي طالب <sup>5</sup> .                                                             | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببغداد. |
| -عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب<br>بن عبد الواحد أبو محمد الشيرازي<br>الفارسي(ت500هـ) <sup>6</sup> . | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببغداد. |
| -علي بن محمد بن علي أبو الحسن<br>الطبري الهراسي ويعرف<br>بإلكيا(ت504هـ) <sup>7</sup> .                 | -التدريس. | -المدرسة النظامية ببغداد. |

1-اللكنوي، المصدر السابق، ص179-180.

2-ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج16، ص236-237.

3-المصدر نفسه، ج16، ص244.

4-المصدر نفسه، ج16، ص285-286.

5-المصدر نفسه، ج17، ص56.

6-المصدر نفسه، ج17، ص104.

7-المصدر نفسه، ج17، ص122.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

|                                  |                           |                                                                                               |
|----------------------------------|---------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------|
| -المدرسة النظامية ببغداد.        | -التدريس.                 | -محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت505هـ) <sup>1</sup>                                  |
| -المدرسة النظامية ببغداد.        | -التدريس.                 | -محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر أبو بكر الشاشي الفقيه (ت507هـ) <sup>2</sup> .                  |
| -مدرسة أبي سعد شرف الملك ببغداد. | -التدريس والنظر والولاية. | -الحسين بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب أبو طالب الزيني (ت512هـ) <sup>3</sup> . |
| -المدرسة النظامية ببغداد.        | -التدريس.                 | -أحمد بن علي الحمامي <sup>4</sup> .                                                           |
| -المدرسة النظامية بأصفهان.       | -التدريس.                 | -أحمد بن محمد بن ثابت بن الحسن بن علي أبو سعد الخجندي (ت531هـ) <sup>5</sup> .                 |
| -المدرسة النظامية ببغداد.        | -الوعظ.                   | -المظفر بن أردشير أبو منصور العبادي (ت547هـ) <sup>6</sup> .                                   |
| -المدرسة النظامية ببغداد.        | -التدريس.                 | -محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندي (ت552هـ) <sup>7</sup> .                   |

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص125.

2- المصدر نفسه، ج17، ص138.

3- المصدر نفسه، ج17، ص166.

4- المصدر نفسه، ج17، ص225-226.

5- المصدر نفسه، ج17، ص324-325.

6- المصدر نفسه، ج18، ص87-88.

7- المصدر نفسه، ج18، ص122-123.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

|                                                                                                           |                                      |                                                       |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------|-------------------------------------------------------|
| -عبد القادر بن أبي صالح أبو محمد الجيلي (ت561هـ) <sup>1</sup> .                                           | -التدريس.                            | -مدرسة أبو سعد بباب الأزج، بغداد.                     |
| -مسعود بن الحسين بن سعد أبو الحسين اليزدي القاضي (ت571هـ) <sup>2</sup> .                                  | -التدريس.                            | -مدرسة أبي حنيفة ببغداد.<br>-مدرسة السلطان ببغداد.    |
| -أبو المعالي عبد الرزاق بن عبد الله بن إسحاق الطوسي (ت515هـ) <sup>3</sup> .                               | -التدريس.                            | -المدرسة النظامية بنيسابور.                           |
| -شرف الدين يوسف الدمشقي (ت557هـ) <sup>4</sup> .                                                           | -التدريس.                            | -المدرسة النظامية ببغداد.<br>-مدرسة أبي حنيفة ببغداد. |
| -أبو الخير إسماعيل القزويني <sup>5</sup> .                                                                | -التدريس.                            | -المدرسة النظامية ببغداد.                             |
| -أبو سهل محمد ابن أحمد بن عبد الله بن سعد بن حفص بن هاشم الحفصي الكشميهني المروزي (ت466هـ) <sup>6</sup> . | -إملاء كتاب الجامع الصحيح في الحديث. | -المدرسة النظامية بنيسابور.                           |
| -أبو القاسم علي بن أبي يعلى .... علي بن أبي طالب العلوي الحسني الدبوسي (ت482هـ) <sup>7</sup> .            | -التدريس.                            | -المدرسة النظامية ببغداد.                             |

1-المصدر نفسه، ج18، ص173.

2-المصدر نفسه، ج18، ص225.

3-السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1057-1058.

4-ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص459.

5-ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص138.

6-السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج4، ص175-176.

7-المصدر نفسه، ج5، ص275-276.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

|                                                                                                                     |                         |                           |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------|---------------------------|
| -أبو يعقوب يوسف بن بختيار بن محمد<br>الساغرجي (ت502هـ) <sup>1</sup> .                                               | -التدريس.               | -مدرسة رأس سكة حائط حيان. |
| -محمد بن علي بن حيدرة السُّونجي<br>الكشي <sup>2</sup> .                                                             | -التدريس.               | -مدرسة كش بنسف.           |
| -أبو المعالي مسعود بن الحسن بن<br>الحسين بن محمد الكشاني (ت540هـ) <sup>3</sup> .<br>الكشاني (ت540هـ) <sup>3</sup> . | -التدريس.               | -مدرسة قثم رضي الله عنه.  |
| -أبو طاهر إبراهيم بن شيان بن محمد<br>بن شيان النفيلي (ت539هـ) <sup>4</sup> .                                        | -مرتب الفقهاء بالمدرسة. | -المدرسة النظامية ببغداد. |

**د- دور العلماء في تأسيس المدارس في العصر السلجوقي:** اضطلع العلماء بتأسيس عدد من المدارس إلى جانب المدارس النظامية، سعياً منهم للمساهمة في نشر العلم، حيث أنشأ أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مدرسة مشهدة أبي حنيفة التي تعد أول مدرسة أنشئت في العراق، وكان ذلك في سنة 459هـ/1066م قبل نظامية بغداد بحوالي أربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً<sup>5</sup>، كما أسس الإمام البيهقي (ت454هـ/1062م) مدرسة حملت اسمه أي المدرسة البيهقية، وقد كان أحمد بن عبد الملك النيسابوري (ت470هـ/1077م) يرفع الأذان من منارتها احتساباً<sup>6</sup>، أما ناصح الدولة أبو محمد عبد الله بن الحسين الناصحي قاضي القضاة (ت447هـ/1055م) فقد أسس المدرسة الناصحية التي تعد من مدارس الحنفية المشهورة<sup>7</sup>، وبني أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين المخرمي مدرسة سماها مدرسة المخرمي، وأوقفها للحنابلة<sup>8</sup>، وعلى شاكلته أنشأ أبو الحسين محمد بن أحمد بن علي

1- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج7، ص10.

2- المصدر نفسه، ج7، ص184.

3- المصدر نفسه، ج10، ص432-433.

4- المصدر نفسه، ج11، ص237.

5- المرجع نفسه، ص140.

6- أولاً ضياف رايح، الحراية...، المرجع السابق، ص148.

4- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص279.

8 -نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص140.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الأبرادي مدرسة سماها مدرسة الأبرادي، كما أوقفها للحنابلة<sup>1</sup>، وفي السياق ذاته توجد مدرسة الصندلي التي تعد من المدارس المعروفة والمشهورة في نيسابور، تنسب إلى أبي الحسن علي بن الحسن بن علي الصندلي (ت484هـ/1091م) الذي كان إماماً زاهداً من وجوه أئمة أصحاب أبي حنيفة النعمان في عصره، وكان العلم يلقي القبول في وقته<sup>2</sup>. أما الإمام أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي فقد أنشأ مدرسة قراح ظفر<sup>3</sup>، ومن العلماء الذي ساهموا في تشييد المدارس، كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي الشافعي، حيث أنشأ المدرسة الكمالية<sup>4</sup>، وكذلك أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي الذي شيد مدرسة تحمل اسمه، وهي من مدارس الشافعية في الجانب الشرقي من بغداد<sup>5</sup>، بالإضافة إلى أبي الفرج عبد الرحمن بن بن علي الجوزي الذي أنشأ مدرسة سماها باسمه، وتقع بدرب دينار في الجانب الشرقي من بغداد<sup>6</sup>، وضمن هذا النسق توجد المدرسة الصابونية التي تنسب إلى شيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني (ت449هـ/1057م)، حيث أسسها في وقت مبكر واشتهرت بنشاطها الفعال، فارتادها العلماء والطلبة، وهي من مدارس الشافعية في نيسابور<sup>7</sup>، أما مدرسة المشطي كانت من المدارس المشهورة في نيسابور، أنشئت قبل سنة 454هـ/1062م واشتهرت واشتهرت بأسماء مدرسيها<sup>8</sup>، ولا ننسى المدرسة الشحامية التي تنسب إلى الأشرة الشحامية، وعلمائها كلهم يغلب عليهم العلم والزهد والصلاح، اشتهر منهم عدد من الأئمة وكبار العلماء، وكان لهم مدرسة وحديقة قريبة من الجامع القديم بنيسابور، يقام فيهما نشاط تعليمي كبير يلتقي فيه العلماء والطلبة من كل مكان، ومن علمائها البارزين أبو بكر محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشحامي المقرئ (ت442هـ/1050م) أزهد عصره وأحسنهم عبادة لقراءة القرآن، حدث وروى عن علماء عصره<sup>9</sup>، وهناك أيضاً مدرسة الاستراباذي التي أسسها أبو سعد

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- الصيرفي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ضبطه خالد حيدر، مكة المكرمة، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز، د.ت، ص427.

3- السبكي، المصدر السابق، ج6، ص72.

4- نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص140-141.

5- المرجع نفسه، ص141.

6- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص220-221.

7- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص269.

8- الصيرفي، المصدر السابق، ص60-101-220.

9- المصدر نفسه، ص289.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

إسماعيل بن علي المثنى الاسترأبادي العنبري (ت448هـ/1056م)، الذي قدم إلى نيسابور قديما وبني بها هذه المدرسة للشافعية<sup>1</sup>.

هذه أبرز المدارس التي بناها وشيدها وأسسها العلماء في العصر السلجوقي، وقد اكتفينا بهذا القدر نظرا لتركيزنا على أهم هذه المدارس، وجهود العلماء في تأسيسها والتدريس بها، كما عمل هؤلاء العلماء على التركيز في بناء هذه المدارس على البعد المذهبي بحيث انتشرت مدارس الأحناف والشافعية والحنابلة، بينما المالكية لا نجد مدارس خاصة بهم نظرا لانحسار المذهب المالكي من إقليم المشرق الإسلامي في العصر السلجوقي وغلبة المذاهب الأخرى عليه، ولذا سنحاول التعرف على أبرز مواقف العلماء الآخرين من هذه المدارس.

**هـ- العلماء المؤيدون للمدارس التعليمية في العصر السلجوقي:** إن الحديث عن موقف العلماء المؤيدين للمدارس يكتسي خصوصية، تتمحور أساسا حول طبيعة هذه المؤسسة وتوجهاتها الفكرية والسياسية، حيث اضطلعت الدولة السلجوقية ببناء المدارس التعليمية بشكل واسع ومكثف، والحق أن المدارس التي أسست زمن السلاجقة أتت ثمارها، حيث انحصر المذهب الشيعي نهائيا وعاد المذهب السني إلى مكان الصدر في العالم الإسلامي، وهذا راجع إلى نجاح مؤسسيها في ضم أسماء لامعة في الفكر الإسلامي على المذاهب الأربعة، إذن كانت المدارس تنبئ عن توجه جديد وتغير ملحوظ في واقع العالم الإسلامي، وتطور في نظام التعليم، ذلك "... أن من العوالم الرئيسة لنجاحها هو تبني وقبول جمهور العلماء لها، بحيث أنها كانت وبأغلبية ساحقة مجالا لتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، أو العلوم الدينية بشكل عام، حيث تكون هذه المادة ضمن المقرر الدراسي، هذا بالإضافة إلى أهميتها في الحفاظ على الدين ونشر العلم، وتحقيق التفرغ لطالب العلم ومساعدة من عجز عن الطلب..."<sup>2</sup>، وتنفيذ من هذا الرأي إلى القول أن المدارس في العصر السلجوقي، اضطلعت بدور ريادي في كثير من الوظائف كالتعليم الذي يعد وظيفة محورية، وأيضا الوظائف الدينية والاجتماعية، ساهمت كلها في استمرار تأدية رسالتها الحضارية، وتلقين الأجيال مختلف العلوم الشرعية والعقلية، والحفاظ على بقاء المذهب السني وترسيخ جذوره<sup>3</sup>. وانطلاقا من ذلك لا نستغرب موقف العلماء المدعّم المدعّم والمؤيد لهذه المؤسسة الجديدة، فقد اعتبروها مجالا جديدا لإبداعاتهم ومكسبا لتخريج أكبر عدد من طلبة العلم، ومقرا لإثراء النقاش وبسط القضايا والمسائل المختلفة في العقيدة والفقه وأمور الحياة العملية، وأورد السبكي أن أحد العلماء وهو أبو إسحاق الشيرازي (ت476هـ/1083) الذي درّس في نظامية بغداد أنه قال: "خرجت

1-المصدر نفسه، ص138.

2-خطيف صابرة، فقهاء تلمسان...، المرجع السابق، ص350-351.

3-قران عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، ط1، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، 2011م، ص168.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

إلى خراسان فما بلغت بلدة ولا قرية إلا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي"<sup>1</sup>، وهذا يبين أثر المدارس التعليمية في العصر السلجوقي في تخريج الكوادر العلمية لتسيير مناصب الدولة كالقضاء والفتوى والخطابة، بالإضافة إلى عودة الطلبة المتخرجين منها إلى بلدانهم لنشر العلم والمعرفة، وعليه سنناقش موقف العلماء المؤيدين من خلال المعطين الإيجابي والسليبي، كما يلي:

### -المعصر الإيجابي: كانت المدارس نمطا متطورا من المؤسسات التعليمية التي شهدتها الحضارة العربية

الإسلامية، بحيث ساهم علماء العصر السلجوقي بمختلف مذاهبهم السنية في الحركة العلمية، ونشر المذهب السني عن طريق إنشاء المدارس التعليمية وتخرج العلماء لتولي خطط الدولة الدينية والسلطانية<sup>2</sup>، وهذا ما يعكسه قول الشيرازي المذكور أعلاه كيف وجد في كل قرى وحواضر خراسان موظفين تتلمذوا عليه، وطالما أنَّ العلماء هم أنفسهم أسسوا وشيدوا المدارس كما رأينا، فلا يعقل أنَّ يعارضوا السلاطين والأمراء والوزراء في ذلك، فالمنفعة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، ولا تعدو قضية المدارس إلا تغييرها من القضايا والمسائل المختلفة التي ناقشها العلماء وكانت لهم حولها مواقف، ولعل من أبرز المدافعين عن المعطى الإيجابي؛ الفقيه العلامة أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي الذي ذكر ذلك في كتابه المنتظم بقوله: "...وقفت هذه المدرسة الميمونة الجهة المعظمة الشريفة الرحيمة بدار الرواشني في أيام سيدنا ومولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين على أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وفوضت التدريس بها إلى ناصر السنة أبي الفرج ابن الجوزي..."<sup>3</sup>، كما يربط ابن الجوزي بناء المدارس بنوعية الخدمات المقدمة للعلماء والطلبة، حيث ذكر أن نظام الملك أجرى للفقهاء أربعة أرتال خبز لكل واحد منهم يوميا<sup>4</sup>، وذلك من خلال الأوقاف والعقارات التي توضع للمدارس وتصير إلى نفقة المدرسين والطلاب، وأدى تتابع إنشاء المدارس في القرن الخامس الهجري إلى جمع العلماء من كل حذب وصوب، وأضحى طلبة العلم لا ينتقلون إلى البحث عن هؤلاء العلماء للأخذ عنهم، بل انتقل العلم إليهم وصاروا لا يبحثون عن المشايخ فقد جاؤوا إليهم<sup>5</sup>، وهذا كان له تأثير إيجابي من حيث التحصيل العلمي نظرا لتداول عدد كبير من العلماء على التدريس في هذه المدارس مما جعل الطلبة يستفيدون من هذا التنوع، كما درس بها فقهاء المذاهب الأربعة، وتخرج عليهم عدد من فطاحل علماء الإسلام كأبي حامد الغزالي وأبي المعالي الجويني وغيرهم

1- السبكي، المصدر السابق، ج1، ص89.

2- نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، المرجع السابق، ص139.

3- المنتظم...، المصدر السابق، ج18، ص220-221.

4- المصدر نفسه، ج16، ص102.

5- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص184.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

كثيرون ذكرتهم كتب التراجم، والأكثر من ذلك أن العلماء الذين تخرجوا من هذه المدارس وانتشروا في عدد من البلدان، سعوا إلى تأسيس مدارس على شاكلتها فمثلا نظامية بلخ، أسس مثلها في دمشق المدرسة البلخية، وكذلك المدرسة الغزنوية<sup>1</sup>، وقس على ذلك مصر وبلاد المغرب والأندلس، كما ساهمت هذه المدارس في اعتماد نظام المقررات وتنظيم صيرورة الحركة التعليمية ومراحل الدراسة التي يمر بها طالب العلم منذ الصغر إلى غاية مرحلة أخذ الإجازات النهائية وشهادة العلماء له برسوخه ونبوغه في العلم، بالإضافة إلى أن إنشاء المدارس دفعت بالعلماء إلى التأليف والتصنيف نظرا لما أصبحت تدره عليهم مهنة التدريس في هذه المدارس، وأيضا المناصب التي سيتولونها بعد تخرجهم منها دفعتهم لذلك، والأکید من خلال ما سبق أن المعطى الإيجابي الذي استند إليه العلماء في تأييدهم لتأسيس المدارس التعليمية في العصر السلجوقي ينبئ عن تبلور واضح في الرؤى والأهداف التي اتفقت مع التحولات السياسية والمذهبية والفكرية التي شهدها هذا العصر.

**-المعص السليبي:** لا مشاحة أن المعطى السليبي الذي يحاول يفتت المعطى الإيجابي المهيم على طبيعة الموقف المؤيد للعلماء، بحيث يمكن القول أن اصطلاح العلماء لبناء المدارس وعدم معارضتهم لفعل السلطة السلجوقية في حد ذاته قد فتح بابا واسعا لكل سلطان متغلب على إقليم من الأقاليم أن يجذب إليه العلماء من خلال بناء المدارس الذي تخدم سلطانه ونفوذه، وذلك يرجع إلى جدلية العلاقة بين العلماء والسياسيين وأمراء الجيش، إذ منذ تحكم السياسيين في العلماء وقادة الجيش بدأ التميع في علاقة العلماء بالسلطة السياسية، وطالما أن السلطة أخذت على عاتقها بناء المدارس فإنها لم تستشر العلماء في هذه الخطوة التي كان لها تداعيات كبيرة على الحركة العلمية والمذهبية في العالم الإسلامي، بالإضافة إلى اتجاهها بادئ الأمر لدعم المذهب الشافعي باعتبار أن نظام الملك كان شافعيًا، فقد أقصت بقيت المذاهب الأخرى، لذا توجس المخلصون من العلماء خيفة من التعصب المذهبي وسعي السلطة لتقييد حرية الأفكار والمعارف والمذاهب، وظنوا أن العلم سيبتذل ويطلبه المخلص وغير المخلص، ويطلبه ذوو الأرب، وذوو الدين، ويطلبه العلية ويطلبه السفلة<sup>2</sup>، ومع ذلك فإن مبالغتنا في سير أغوار المعطى السليبي يندرج ضمن محاولة الموازنة بين أبعاد الموقف المؤيد من قبل هؤلاء العلماء على الأفكار والقناعات والتوجهات وبين الرضوخ للأمر الواقع، بمعنى أن هذا التأييد لا يخلو من الأمور السلبية، فهو يحمل في طياته عدد من التناقضات بين مواقف العلماء المنطلقة من طبيعة توجه كل منهم ورؤيته لقضية تأسيس المدارس التعليمية في العصر السلجوقي.

5- إيمان بنت سعود خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 222.

2- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص 184.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

**و- العلماء المعارضون للمدارس التعليمية في العصر السلجوقي:** يأتي تأسيس المدارس النظامية في سياق تبلور مؤسسات فقهية مندرجة في زمن السلطة، وقد بلغ هذا الاتجاه ذروة مكانته السياسية داخل مؤسسات السلطة المركزية مع نظام الملك. ترتب على هذا التحول في وضعية مؤسسات العلم نقلة نوعية، أدت إلى نوع من الانقلاب في وظائفها التاريخية السابقة، بما هي إحدى مفاصل الاجتماع الإسلامي في موازاة السلطة أحيانا وفي مواجهتها أحيانا أخرى، لتغدو إحدى مرتكزات السلطة المركزية حيث تسهم من موقعها هذا إسهاما مباشرا في تعيين سياسات السلطة وما يتصل بها من عناوين تشريعية وإدارية ومالية وقضائية مختلفة. وإذا كانت عملية الانخراط هذه قد وفرت لبنى السلطة السلجوقية العديد من شروط التماسك والفاعلية، إلا أنها بالمقابل قد أوقعت هذا الاتجاه في وضعية ترتب عليها أواليتا تصدع أساسيتان، مهدت الأولى للثانية<sup>1</sup>.

تتمثل آلية التصدع الأولى فيما استتبعته عملية تموضع فئة من العلماء ضمن متواليات السلطة الجائرة، من حدوث شرح عميق على مستوى علاقة هذا الاتجاه بدورة الاجتماع عامة. إذ أن اندفاعه هذا الخط الفقهي نحو إعادة تأسيس أنشطة مؤسسات العلم، على قاعدة ما تتطلبه السلطة المركزية من اتجاه ثابت نحو تأصيل نفسها، وامتلاك شروط انتظامها وديمومتها من خارج مدار المجتمع، يفضي إلى اختراق منطق السلطة هذا لوضعية مؤسسات العلم نفسها ويؤدي بالتالي إلى وقوعها في أسر معادلة خطي التجاذب والتناوب بين السلطة-الذات والرعية-الموضوع. وإذا كان باستطاعة السلطة في مراحل صعودها أن توازن هذا التصدع بما تمارسه من سياسات مختلفة تستجيب لمتطلبات اجتماعية وسياسية عامة، فإن هذه الوضعية لا تمتلك مقومات استمرارها ورسوخها. وذلك باعتبار ما يترتب على منطق اشتغال السلطة الجائرة من نتائج تمهد لأزمات جديدة تنشق من رحم ممارسات السلطة نفسها. تدفع عملية التحول هذه باتجاه تطعيم آلية الاختلال الأولى بآلية تصدع ثانية، تجدد ترجمتها في تفسخ بنى السلطة وفساد أجهزتها، وبالتالي تفسخ وفساد المؤسسة الفقهية المتموضعة داخل مباني السلطة<sup>2</sup>.

لقد أثار العلماء المعارضون قضية شائكة تتمثل في الدافع المؤدي لبناء المدارس وما انجر عنه من إفساد للعلم وذهاب رسمه، وهذا يتمحور حول علاقة السلطة بالمدارس، أو علاقة السلطة بالعلم عموما<sup>3</sup>، إن رأي العلماء المعارضين أكد على استحواذ السلطة على المدارس واضطلاعها ببنائها وترتيب القائمين عليها وتعيين المدرسين بها، والتصرف فيها كما تشاء، بما يوافق توجهها السياسي والمذهبي، أي تكوين جيل تبع يجسد هذا المعطى، وزاد

1- الضيقة حسين، المرجع السابق، ص 25-26.

2- المرجع نفسه، ص 26-27.

3- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص 169.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الأمر سوء إعطاء الرواتب للمدرسين والمنح للطلبة<sup>1</sup>، لذا عد الرضا بهذا الأمر والانضواء تحت هذا المعطى قبول لتوجههم والنزول على حكمهم، وأن الذين لهم همة عالية وعزم على بلوغ السمو والنبوغ في العلم لا يدعون إليها، مما جعل العلماء المبرزين الذين بلغوا شأوا كبيرا، يعرضون عن القبول بحكمهم، وكان على شاكلتهم كثير ممن تصدر للتدريس بهذه المدارس، لم ينقادوا لما تمليه عليهم السلطة، ولكن الأكيد في الأمر أن إنفاق السلطة على الأساتذة والطلبة هو السبب الأكيد في تحكمها فيهم، وهذه النتيجة هي التي حذر من الوصول إليها علماء بلاد ما وراء النهر، عندما بلغهم بناء المدارس ببغداد، فقد "أقاموا مأتم العلم، وقالوا: كان يشتغل به أرباب الهمم العلية، والأنفس الزكية، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به، فيأتون علماء ينتفع بهم ويعلمهم، وإذا صار عليه أجرة تدانى إليه الأخساء، وأرباب الكسل، فيكون سببا لارتفاعه..."<sup>2</sup>، ولسنا نحاري هؤلاء العلماء في معارضتهم وخيفتهم، ولكننا نقول: "...إن إنشاء المدارس مع أنه أدى إلى نشر العلم وكثرة تحصيله، فقد أدى إلى التعصب الفكري، وكثرة الأتباع وقلة التفكير الحر المستقل الذي ينظر إلى الدليل، وما يوصل إليه البرهان من غير تقليد أو إتباع، وإن تساهلنا وقلنا أن ذلك التحيز الفكري قد اقترن بإنشاء المدارس، فإنه لا بد أن ذلك كان بعض أسبابه وإن لم يكن كلها..."<sup>3</sup>، لا يرفض هؤلاء العلماء المعارضون المدرسة في حد ذاتها، وإنما يرفضون المنطلقات السياسية التي من أجلها شيدت هذه المدارس، بحيث أيقنوا أن السلطة المشيدة للمدارس تخول نفسها حق تسييرها وتوجيهها، في حين يرون أن طالب العلم منزّه عن أهواء ذوي السلطان ما عدا سلطان العقل. إن غاية المدرسة لا تلي الحاجات الآنية للسلطة بل أن تؤثر في المجتمع قصد البناء الحضاري<sup>4</sup>؛ لذا رغبوا في تحرير التعليم من المراقبة التعسفية وعدم خضوعه إلى التمنيظ الناتج عن الغايات المفروضة من قبل السلطة، فلا نستغرب موقف هؤلاء العلماء إذا علمنا أن السلاطين فرضوا رقابة صارمة على المدارس بحكم أنها من صنيعتهم حيث شيدوها وحبسوا عليها الأحباس الكثيرة ورتبوا الجرايات للمدرسين والطلبة، وجعلوها تحت نظرهم مباشرة واختاروا كبار العلماء للتدريس بها. كما كانوا يتصرفون حتى في عزل عالم وتقديم آخر بدلا عنه، وأضحى الدخول إلى المدرسة ممن لا يستحق أن يدخلها من ذوي العلم والمعرفة أو مجاهدة النفس في تحصيل العلوم، بل لمن يكون الرضا عنهم من مسؤولي المدارس والقائمين على التوظيف فيها، ومع مرور الزمن تولى مقاليد التدريس بها من لا باع له في الإلقاء<sup>5</sup>، ونافلة القول أن موقف هؤلاء العلماء الأجلاء له نوع

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، وكالة المعارف، 1360هـ/1941م، ص22.

3- أبو زهرة محمد، ابن تيمية حياته وعصره -أراؤه وفقهه، القاهرة، دار الفكر العربي، 1991م، ص132.

4- مكوي محمد، المرجع السابق، ص201.

5- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص171.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

من الصواب إلى حد ما بحكم أنه تلمس جوهر المسألة التعليمية وتفاعلات العصر، وأنبأوا عن استشراف لكثير من التغيرات التي طرأت على وضع التعليم في العصور الموالية، إلا أنه لا يشكل ظاهرة معاكسة ومناقضة لتوسيع دائرة العلم واستمراريته، وإلا انهدم العلم كما قال وما بقي في المشرق مدرسة تدرسه، وهو ما فندته التطورات اللاحقة، وما أبطلته النصوص التاريخية التي أكدت قيام المدارس بوظيفتها التعليمية طوال القرون التالية<sup>1</sup>، ولذا كان للمدارس أبلغ الأثر في انتشار العلوم والمعارف، وهي محور العملية التعليمية في جميع أنحاء العالم الإسلامي وغير الإسلامي، بل يمكننا الجزم بأنه لولا وجود المدارس لما استطاع العالم أن يصل إلى مستويات متميزة في إدرار العلوم وتنوعها وتوسعها واكتساحها تفاصيل الحياة<sup>2</sup>.

**1-6- بيوت ودور ومنازل العلماء:** اتخذ العلماء من بيوتهم ودورهم ومنازلهم أماكن للتعليم عبر فترات التاريخ الإسلامي، إذ لم يكن من الغريب أن يجعلوها للتعليم ويسخروها ليدرسوا الناس، فقد جرى التعليم الإسلامي بالمنزل في عهد الإسلام المبكر، حيث اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزاً يلتقي فيه بأصحابه، ومن تبعه ليعلمهم مبادئ الدين الجديد، وبالإضافة إلى دار الأرقم كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل بمنزله في مكة المكرمة ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم ويركهم.

لعبت بيوت ودور ومنازل العلماء دوراً كبيراً في نشر العلم واستقبال الطلبة بها، وكم من مرة وقف فيها الطلبة على أبواب الشيوخ ليسألوهم أو ليسمعوا منهم، بل أن الدروس المنتظمة كانت تلقى في تلك البيوت التي كانت تصاميم بنائها تلائم هذه الأغراض، وربما عقدت مجالس الدروس عند عتبة الباب. هذا وقد كان بوسع الطلبة أن يقصدوا الشيوخ جماعة أو فرادى متى شاءوا ليسألوهم أو ليأخذوا درساً فاتهم حضوره<sup>3</sup>.

لذلك سنذكر العلماء الذين درسوا في بيوتهم ودورهم ومنازلهم كما يلي:

- الشيخ أبو نصر أحمد بن علي الحنفي الآموي الذي ورد إلى بخارى وأملى بدار حنش<sup>4</sup>.

- شهدة بنت الإبري التي كتب عنها السمعاني أوراقاً يسيرة في دارها برحلة الجامع<sup>5</sup>.

- أبو بكر محمد بن الحسين بن عمر أبو بكر الأرموي، الذي كتب عليه السمعاني بيتين من الشعر من إنشاد الإمام أبي إسحاق الشيرازي، بداره بدرب السلسلة<sup>6</sup>.

1- المرجع نفسه، ص 175-176.

1- المرجع نفسه، ص 176.

3- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 230.

4- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج 1، ص 107-108.

5- المصدر نفسه، ج 1، ص 118.

6- المصدر نفسه، ج 1، ص 191.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- الأديب أبو عبد الله الخلال، الذي سمع منه السمعاني في داره بأصبهان مذاكرة<sup>1</sup>.
- أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن الفضل الفضلي خطيب بخارى، الذي كتب عليه السمعاني بداره في بخارى<sup>2</sup>.
- دار أبي الفتوح الحسن بن محمد بن أحمد الحلبي الذي جعل داره مجمعا لأهل القرآن والخير<sup>3</sup>.
- أبو المعالي الحسن بن محمد بن الحسن الوركاني (ت559هـ/1164م)، كان يدرس في بيته بعد أن أحرقت النظامية سنة543هـ/1148م.
- محمد بن الهيثم بن محمد بن الهيثم السلمي الأصفهاني ولد في سنة494هـ/1099م، وكان شيخا كبيرا ذا علم غزير، ملازم لبيته حيث كان يقصده الفضلاء والمستفيدون للاستفادة منه وأخذ العلم عنه توفي سنة549هـ/1154م.
- إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الطلحي، كان يلقي في داره العلم<sup>4</sup>.
- الإمام عبد الجبار بن الحسين بن محمد الباهلي (ت490هـ)، كان يدرس في الدار الجوزجانية<sup>5</sup>.
- أبو الفتح صالح بن محمد الصوفي المقرئ المؤدب الرازي (ت532هـ)، كان يدرس في الدار الجوزجانية<sup>6</sup>.
- في ختام هذا الفصل قمنا بوضع مخططين بيانيين، الأول يتعلق بأعداد العلماء المدرسين في المؤسسات التعليمية خلال العصر السلجوقي، والثاني يظهر توزيع المؤسسات التعليمية بأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر إبان فترة حكم السلاجقة.

---

1-المصدر نفسه، ج2، ص40.

2-المصدر نفسه، ج9، ص315.

3-المصدر نفسه، ج4، ص197.

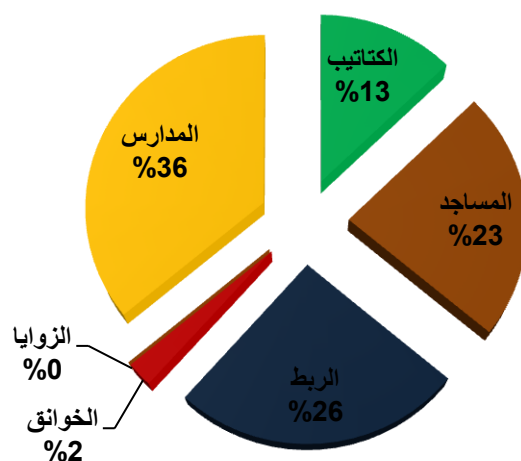
4-إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص231.

5-النسفي، المصدر السابق، ص402.

6-المصدر نفسه، ص261-262.

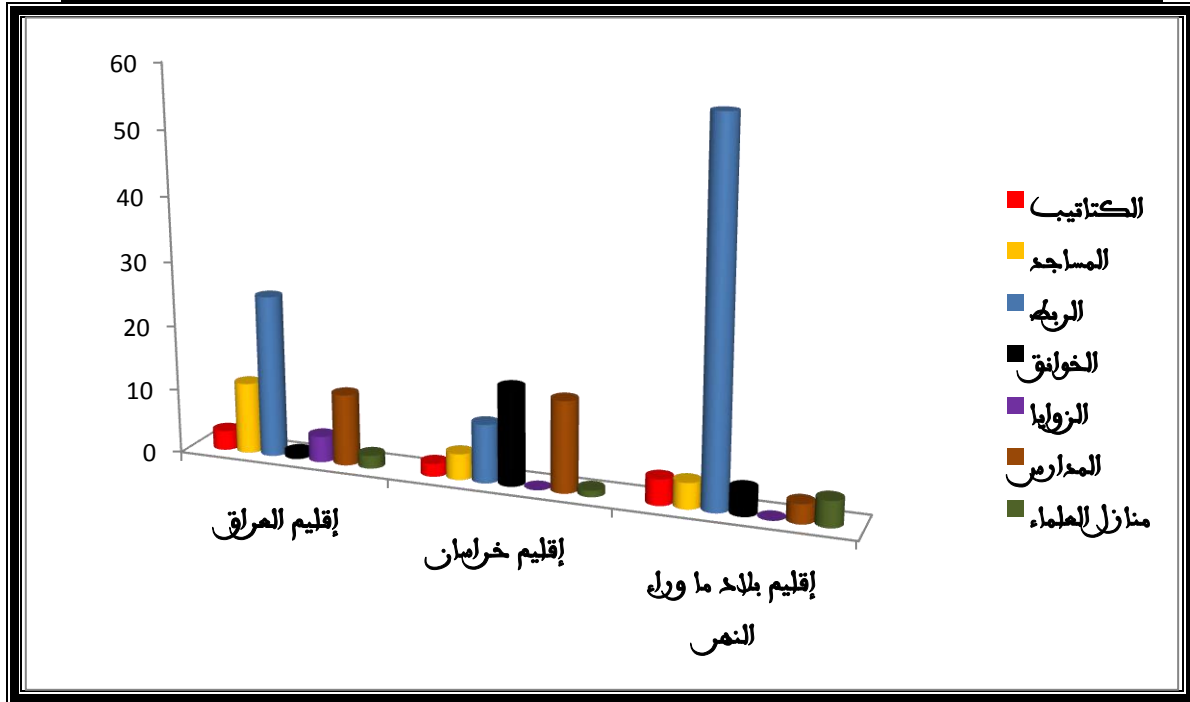
## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

1- أعداد العلماء المدرسين في المؤسسات التعليمية في العصر السلجوقي



2- توزيع المؤسسات التعليمية بأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر خلال العصر السلجوقي

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.



## -الفصل الثالث: إسهامات العلماء في التأليف في العلوم النقلية

### والعقلية خلال العصر السلجوقي.

#### 1- أبعاد التكوين العلمي للعلماء المسلمين.

##### 1-1- البعد الموسوعي.

##### 1-2- البعد النقدي.

##### 1-3- العقيدة العلمية.

##### 1-4- الفاعلية والإتقان.

##### 1-5- التجديد.

##### 1-6- الاجتهاد.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

2- أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي.

2-1- تعريف التأليف ومقاصده.

2-2- دواعي العلماء لتأليف وتصنيف الكتب.

-الداعي التعليمي.

-الداعي المنهجي.

-الداعي المصلحي.

2-3- لصيعة التأليف العلمي ومناهجه.

-المبسوط.

-متوسط.

-مراجع عامة.

-مراجع خاصة.

-درامات علمية.

-كتب مدرسية.

-كتب تطبيقية.

3- الإنتاج العلمي للعلماء في العلوم النقلية والعقلية.

3-1- مؤلفات العلماء في العلوم النقلية.

أ- علم القراءات.



## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

- ب- علم التفسير.
- ج- علم الكلام.
- د- علم الحديث.
- ه- علم الفقه.
- و- علم أصول الفقه.
- ز- علوم اللغة العربية.
- ح- مؤلفات اللغة الفارسية.
- ط- السيرة النبوية.
- ي- علم التاريخ:- المصنفات التاريخية الحولية.- المصنفات التاريخية المحلية.- مصنفات التراجم والسير.
- ك- علم الجغرافيا والرحلات.
- ل- علم التصوف.
- م- علم السيامة الشرعية.
- 3-2- مؤلفات العلماء في العلوم العقلية.
- أ- علم الطب.
- ب- علم الرياضيات.
- ج- علم الفلك. د- علم الفلسفة. ه- علم الكيمياء.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

تعتبر العلوم مثالا واقعيا يعكس طبيعة نظام التعليم، وتبرز لنا مدى تمكن العلماء من استيعابها، وأيضا إقبالهم على علوم دون غيرها، وطبيعة التدرج الذي انتهجوه في تلقينها للطلبة، ذلك أنه ليس من الهين دراسة الوسط العلمي وعالم العلماء والفقهاء في عصر الدراسة لعدة اعتبارات: ككثرة عدد العلماء وكثافة المادة العلمية والخيرية وتنوع العلوم وتداخلها، ووصولها إلى مرحلة النضج واستطرد التأليف في مختلف العلوم وشيوعها على مجال واسع. إنَّ طبيعة التكوين العلمي وخصوصياته للعلماء المسلمين في الحضارة العربية الإسلامية، هو لب وجوهر الشخصية العلمية الإسلامية، ثقافة ووعيا وفكرا، بحيث تعد هذه المراكز طريقة وأسلوب الأمة الإسلامية في الحياة، وبالتالي فإنَّ الإنسان هو العنصر الفاعل في جميع مظاهر التقدم، عند أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات<sup>1</sup>، ذلك أنَّ الشأن في أي حدث حضاري ضخم في مستوى النهضة العلمية التي قادها الإسلام أن يكون الحافز عليه والموجه له، مرتكز ثقافي فكري دفع الناس إلى استنفاذ الجهد في تحقيق الأهداف التي تغياها وفي ارتياد الآفاق التي توخاها. والواقع أنَّ الحركة العلمية التي عرفها العالم الإسلامي مع ما اتسمت به من جدية وغزارة في العطاء، ما كان لها أن تتم لولا أن الإسلام هيا لها بإرساء قاعدة فكرية صلبة تشكلت من مجموعة مفاهيم مستقاة من تصريحات أو إشارات نصوص شرعية عديدة<sup>2</sup>. لذا فإنَّ المسلمين في سيرهم الحضاري فيما

1- زيني بن طلال، المرجع السابق، ص385.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص168-169.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

يتعلق بالعلوم، كانوا يدركون قيمة العلم، واستجابة لداعي دينهم، الذي يحث على طلب العلم ويرغب فيه، ورغبة منهم في توسيع مداركهم وإشباع دوافع حب الإطلاع والكشف عن الحقيقة لديهم، وفي إثراء ثقافتهم العربية والإسلامية، وبالتالي ما حققه علماء المسلمين من نضج ثقافي وحضاري، وما كانوا يتمتعون به من يقظة فكرية، وحرية دينية وفكرية، والمشارب المختلفة للثقافات التي كانت قائمة في البيئات الإسلامية المختلفة كل ذلك هياً لهم الطريق إلى طلب العلم<sup>1</sup>، ويمكن الحديث منها عن أمثلة تقوم مقام النموذج والمثال:

-تنصيب القرآن الكريم على اعتلاء العلماء الذروة من التراتبية التي يصنف إليها الناس عند الله تعالى، فالمؤمنون أفضل من سواهم من غير المؤمنين، والعلماء أفضل ممن عاديهم من عامة المؤمنين، ومن ثم تكون أفضليتهم على فضلاء لا على مفضولين، يقول الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الْغَنِينَ ۖ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالْغَنِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ ذَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة: 11).

-تنصيب القرآن العلماء في موضع الإمامة والقيادة التي تلزم عموم المسلمين بالعود إليهم في استقاء المعرفة، له أكثر من شاهد في نصوص القرآن الكريم. ويخطئ من يتوهم أن سؤال العلماء ينحصر في قضايا التعبد، وقد كان الخلفاء الراشدون إذا عرض لهم أمر قد يكون دنيوياً استشاروا علماء الصحابة، ويتأكد الموقع المتميز للعلماء في الإسلام بمثل قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْغَنِيُّ وَالْغَنِيُّ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر: 10)، وهو استفهام يلزم المتأمل بالإقرار بعدم الاستواء. وإذا كان العلماء قد وازنوا بين العالم والعباد، فليس ذلك إلا لاعتبارهم العابد عالماً من نوع خاص، ومذهب الأئمة الأربعة وهم كبار علماء الأمة ومعهم سفيان ابن عيينة وجماعة من العلماء، قال عنهم ابن الأزرق هو مذهب جماعة من العلماء والأكثرين أن العالم أفضل من الولي، وإذا خالف في هذا القشيري والغزالي وعز الدين بن عبد السلام، فإن كلامهم حمل على العالم الذي لم يؤثر العلم في سلوكه وذلك شأن آخر، ونقل الحافظ العراقي على شيخه البلقيني أن الأولياء إذا ظهرت لهم كرامات، فإن الفتوحات التي يفتحها الله على العلماء بالاهتداء إلى استنباط المسائل المشككة من الأدلة أعم نفعا وأكثر إفادة مما يفتح به على الأولياء.

-دعوة القرآن إلى الاستزادة من العلم ولو أن المخاطب بذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك إيماءة إلى رحابة مجالات العلم على نحو ينبي به قوله تعالى: {وقل ربي زدني علماً} (سورة طه: 111).

1- زيني بن طلال، المرجع السابق، ص 385.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-اعتبار العلم في ذاته قيمة كبرى للإنسان وفضيلة يمتن بها الله عليه، ولو أنَّ الممتن عليه نبي مرسل، يقول الله تعالى: {ولقد آتينا داود وسليمان علما وقلا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عبادنا المؤمنين} (سورة النمل: 15) ونعت داود وسليمان في مقام التنويه بأنهما أوتيا علما له دلالة في إفادة أنَّ العلم فضيلة.

-جعل الإسلام تحصيل العلم فريضة لا يعفى منها أحد، وقد تختلف دوائرها باختلاف المواقع ولكن أحدا لا يعفى من التكليف به، بل إنَّ العلم هو الفريضة الأولى التي تترتب عنها تكاليف أخرى، ولذلك بوب البخاري على هذا المعنى فقال "باب العلم قبل القول والعمل"، أخذنا من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

وَأَسْتَغْفِر لِّذَنبِكَ﴾ (سورة محمد: 20)، وعبر ابن عاشر عن هذا المعنى لما قال:

### أول واجب على من كلفا ممكنا من نصر لن بمرفا.

للمعرفة في الإسلام هي أصل الفرائض وأساسها، وكفى بهذا إشارة إلى احتفاء الإسلام بالعلم<sup>1</sup>.

لقد انبثقت خصوصيات التكوين العلمي للعلماء المسلمين من أرضية ثابتة تم إرساء ركائزها منذ بداية الإسلام، هذا الدين الذي يشكل منهجا شاملا للحياة، وأعطى للعلم والعلماء موقع الريادة، وأضحى التكوين العلمي للعلماء أهم غاية يسعى إليها وتدور عليها مجالات الحياة، ذلك أنَّ هذا التكوين الذي تبلور عبر السنوات والعصور، هو أكبر حجما وأوسع نطاقا وأشمل مجالا، إذ أنه ليس تكوينا عاديا تتضعع أركانه لأتفه الأسباب، وإنما هو منهج في البناء والتأسيس ونمط في تكوين وهندسة الإنسان، وفي بلورة وعيه وتوجيه سلوكه.

ولا غرو أنَّ تكويننا من هذا النوع يعتبر أكبر دليل على فعالية المنظور الإسلامي في الاستثمار في الإنسان، بحيث كان هذا التكوين حاضرا فاعلا حتى في الأزمنة التي لم تكن فيها معاهد ومؤسسات تعليمية، بل الأكثر من ذلك فهو ينمي الإنسان ويطوره في كل مستوياته، ليجعله إنسانا يعيش اهتمامات عصره ومشاكل زمانه بكامل الوعي واليقظة مزودا بكل إمكانيات المتابعة والملاحقة والتأثير والتوجيه للحياة<sup>2</sup>.

ومن هذا المنطلق فإنه توجد مجموعة من السمات والقدرات تحلى بها العلماء، جعلتهم قادرين على التفوق على أنفسهم أولا، قبل أن يكونوا مقارعين لمن سبقهم من علماء الأمم الغابرة، الذين قدموا العلوم-بوضعها الذي وصلت به- إلى المسلمين، وبمسكوا بزمام العلم إلى الدرجة التي تؤهلهم أن يصلوا إلى درجة النبوغ والتفوق وحتى النقد، وذلك أجدر وحقيق بتكوين عظيم رفيع هادف أقره الإسلام، وهو يعطي فكرة عن طموح هذا التكوين واستهدافه تحقيق أبعاد شاملة وأهداف عامة، بتحقيقه يتحقق نموذج العالم المسلم كما يريد الإسلام<sup>3</sup>.

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 169-171.

2- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 186.

3- المرجع نفسه، ص 187، زيني بن طلال، المرجع السابق، ص 385.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

### 1- أبعاد التكوين العلمي للعلماء المسلمين:

إنَّ أبعاد التكوين العلمي الإسلامي للعلماء، أنتجت نماءً وفكراً نيراً، عاصماً مانعاً جامعاً، "بما أنها ليست نتائج عشوائية وإنما هي -الأبعاد- غايات يتوصل إليها بعد قطع مراحل متلاحقة من التوجيه تبتدئ من الميلاد إلى الوفاة، فإنها تستحق أن تكون مقصداً لاحتوائها على أهم خصيصة من خصائص الهدف وهي كونها مرصودة بناءً على وعي سابق"<sup>1</sup>، ولا غرو أنَّ اتساق وتوافق وتقاطع كل الأنماط والمناهج والأنساق التي تشكل فعاليات وأسس التكوين العلمي، بحيث ينجر عنه أبعاد ذات عمق حضاري يحمل في طياته تناسقاً فكرياً مميزاً، يمثل همزة الوصل بين أجيال العلماء المسلمين الربانيين الذين أثمرهم هذا التكوين.

#### 1-1- البعد الموسوعي: يمثل التفاعل أو التآزر بين العلوم؛ إسهام علماء المسلمين بخاصية التكامل المعرفي

الشمولي، تلك الخاصية التي ظهرت بوضوح خلال العصور الإسلامية، حيث كان الواحد منهم ينتقل بسهولة ويسر من علم إلى آخر، ويضع المؤلفات في عدة معارف وفنون مما يكشف عن تلك الخاصية الكامنة في الجهود العلمية الإسلامية المحلية فيها<sup>2</sup>. "وقيل للإمام الشافعي: متى يكون الرجل عالماً؟ قال: إذا تحقق في علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاتته فعند ذلك يكون عالماً"<sup>3</sup>.

إنَّ العالم بالمفهوم الإسلامي عالم موسوعي أخذ من كل علم حظاً وافراً، وفق مبدأ التدرج واستكمال مسائل العلم الواحد كلها وإحكامها وضبطها، ثم ينتقل إلى العلم الثاني، وهكذا... وحرى بنا أن نعلم أنَّ العلماء المسلمين لم يتجهوا إلى التمييز بشكل حاد بين صنوف المعرفة المختلفة؛ تساند بعضها في منظومة فكرية رائعة تثبت تكاملها، وتقاطع بعضها مع البعض الآخر ليشير إلى وجود حدود للعلوم لا بد من وضعها في الاعتبار<sup>4</sup>. كما كان للعلماء المسلمين عبر التاريخ الإسلامي الطويل، جهوداً جبارة لتطوير وتحديد منهج تحصيل العلوم العقلية والعقلية، التي بفضلها بلغت الحضارة العربية الإسلامية شأواً كبيراً، بالإضافة إلى سعيهم الدائم إلى ربط العلم بالهوية، والتحصيل بالأخلاق، والاختراع بالنفع للإنسان، وطلب العلم بالأجر العظيم<sup>5</sup>، من ذلك ما رواه ابن

1- بن حمزة مصطفى، المرجع السابق، ص 194.

2- زيني بن طلال الحازمي، المرجع السابق، ص 386.

3- الغزالي، الإحياء... المصدر السابق، ج 1، ص 26.

3- ماهر عبد القادر محمد علي، أثر الإسهام الإسلامي في علوم الطب في أوروبا - كتاب القانون في الطب لابن سينا نموذجاً -، الندوة العلمية

الدولية الأولى تاريخ العلوم في الإسلام، المجلد 01، أيام 09-10-11 ربيع الأول 1430 هـ الموافق لـ 24-25-26 فبراير 2010م، مركز ابن البناء

المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ص 198.

5- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 150.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الإيمان عريان، ولباسه التقوى وزينته الحياء، وماله الفقه، وثمرته العلم}<sup>1</sup>، وهو ما ثبت في نجاح التجربة الإسلامية في مرحلتها الأولى (الحركة النبوية وما بعدها) في توجيه الحضارة الإنسانية من خلال تحقيق التكامل المعرفي<sup>2</sup>، الذي يعتبر لبنة هامة بل هي مرتكز البعد الموسوعي للعلماء المسلمين، في تحصيلهم العلمي، وفي تدريسهم وتلقيهم لهذه العلوم، وكذا في مؤلفاتهم وتصانيفهم وأبحاثهم، كما يعد مبدأ التكامل نمطا مطردا في مقاصد الدين والخلق، وخاصة أنَّ التكامل مجسد: بين عالم الغيب والشهادة، والجسد والروح، والنقل والعقل، والقول والفعل، والدنيا والآخرة، والتصور والتطبيق، والفرد والمجتمع، والمرأة والرجل<sup>3</sup>، وترتب على هذا أن اتخذ الفكر العربي الإسلامي في كثير من توجهاته الطابع الموسوعي في التأليف والكتابة حتى في نطاق العلم الواحد، وسرى هذا الاتجاه في فكر العلماء منذ القرن الرابع الهجري<sup>4</sup>، من منطلق أنَّ العلم في الحوض المعرفي المسلم هو التسليح بالقرآن الكريم والسنة النبوية وتدبر ودراسة آيات الآفاق والأنفس، أو العلاقات الخمسة، علاقة الإنسان بالله تعالى، وعلاقته بالغيبيات الأخرى، علاقته بنفسه، علاقته بالمجتمع، وعلاقته بالكون الفسيح، في إطار الرؤية التوحيدية، ويتشعب العلم بقدر تشعب هذه العلاقات الخمسة، ولا توجد شعبة علمية أفضل من أخرى أو أهم منها لأن الكل يصب في التوحيد<sup>5</sup>، محققين عبر تاريخهم الطويل نموذجا رائعا للحرص على المعرفة والعلم، سعيًا منهم للوصول إلى البعد الموسوعي وتجسد ذلك في: -التكامل المعرفي في التحصيل، التكامل المعرفي في التأليف، والتكامل المعرفي في التقويم، والتكامل المعرفي في المنهج<sup>6</sup>، يقول أبو حامد الغزالي: "...على المتعلم ألا يدع فنا من فنون العلم ونوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على غايته ومقصده وطريقه ثم إن ساعده العمر وواتته الأسباب طلب التبحر فيه، فإن العلوم كلها متعاونة مترابطة بعضها ببعض ويستفيد منه في الحال حتى لا يكون معاديا لذلك العلم بسبب الجهل به..."<sup>7</sup>، وبهذا يعد العلم في الحوض المعرفي المسلم حاملا في طياته المعاني التالية: التكامل والتكميل، التآلف والتأليف، التتام والتتيم، التمثيل والمثيل، المقاربة والتقريب، الوحدة والتوحيد، الحقيقة

1- الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، المصدر السابق، ج 1، ص 145، رقم 129.

6- قاسمي عمار، التكامل المعرفي، مقارنة مفاهيمية، مجلة الشهاب، العدد 08، ذو الحجة 1438هـ / سبتمبر 2017م، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، الجزائر، ص 174.

3- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 150.

4- ماهر عبد القادر محمد علي، المرجع السابق، ص 198.

5- قاسمي عمار، المرجع السابق، ص 183.

6- عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 157.

7- الغزالي، ميزان العمل، ص 209، نقلا عن عقيلة حسين، المرجع السابق، ص 158.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

والتحقيق، المصادقية والتصديق، الاستقصاء والاستعارة، الحد والتحديد، التحليل والتركيب، الرغبة والترغيب، الأخلاق والتخليق، الأنس والتأنيس، الحركة والتحريك، التشعب والتشعب، التحقق والتحقيق، التمكّن والتمكين، التنسيق والتوظيف، الخبرة والاختبار، التماس والتلاقي، الصبر، المشقة<sup>1</sup>، وهو ما جعل العلماء يدركون اشتباك جوانب الكون وتراكب عناصره، وارتباط بعضها ببعض ضمن وحدته، فإذا درسوا علما من العلوم يتناول موضوعا ما انتبهوا إلى احتمال علاقاته بموضوعات العلوم الأخرى، وحاولوا استشفافها رغبة في كشف هذه العلاقات، وفي تطوير علومهم وفي ابتكار شيء جديد، وتتأكد هذه النزعة المعرفية (التكاملية) عند علماء المسلمين بعدها إحدى السمات العامة للحياة العلمية بشكل عام، ومقوم مهم ورئيسي من مقومات النقد، بل إن مدار بقية المقومات إنما يقوم عليها، ذلك أن الاتجاه الشمولي كان ذلك قيمة كبرى، إذ إن ازدياد اتساع مجال ما يتضمنه من معارف الأمم الأخرى داخل إطار موسوعيتهم قد جعل العلوم الإسلامية متميزة عن علوم العصور الكلاسيكية، بل حتى بداية عصر النهضة وبفحص قوائم مؤلفات علماء المسلمين، تجعل الباحث يقع في حيرة من أمره إزاء تحديد تخصصاتهم العلمية، وإلى أي الفنون يمكن أن يصنف الواحد منهم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، حيث ضمنوا مؤلفاتهم التخصصية أبوابا بفنون أخرى، حتى أضحت "دائرة معارف" حقيقية تمثل ثقافة العصر<sup>2</sup>.

**1-2- البعد النقدي:** يعد النقد مسألة مهمة وذات قيمة عالية في الكتابات العربية الإسلامية منذ فجر النهضة العلمية في العالم الإسلامي. وتحلى العلماء بخاصية النقد الموضوعي لا الذاتي، ذلك النوع من النقد الذي يبرز الروح العلمية الأصيلة للعلماء المسلمين عبر العصور، ولم يكن الهدف من النقد مجرد مخالفة القديم أو التقليل من قيمته العلمية، وإنما كان الهدف متمثلا في إحكام الأنساق العلمية بالصورة التي تلخصها من التناقض الذي يمكن أن يفضي إلى عدم مصداقية النسق<sup>3</sup>.

يضاف إلى ذلك أن النقد في العصر العباسي قد تغيرت ملامحه، لينتقل من ذاتيته إلى الموضوعية، ومن التأثيرية غير المسوغة إلى التعليل الذي أضفى عليها نوعا من الشرعية، تلك التي شهدت ولادة أصول وقواعد وأفكار نقدية واتجاهات مهمة، تولى عناية بالاستقراء والقياس والمقارنة<sup>4</sup>.

لقد عبر النقد العلمي عند العلماء المسلمين عن عظمة الحضارة العربية الإسلامية، وشموليتها واتساعها وقبولها لعلوم الأمم التي خضعت لها، فهي "ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج عن منطلق التاريخ، فلم يكن بد

1- قاسمي عمار، المرجع السابق، ص 183.

2- زيني بن طلال الحازمي، المرجع السابق، ص 386.

3- ماهر عبد القادر محمد علي، المرجع السابق، ص

4- هويدي صالح، المناهج النقدية الحديثة (أسئلة ومقاربات)، ط 1، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م، ص 12.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

من قيامها حيث قامت، وقد قام أصحابها بدورهم في تقدم الفكر وتطوره بأقصى حماسة وفهم...<sup>1</sup>، لذلك لا بد من الإشارة إلى ما اقتبسته من الغير باعتبار أنَّ الاقتباس يدل على الحيوية والانتفاع من تجارب الأمم شريطة عدم الاكتفاء، ونبد التقليد والجمود<sup>2</sup>. وفي السياق ذاته كان العلماء المسلمون يختلفون عن غيرهم من علماء الأمم الأخرى، فقد وسعوا حيز المساحة التي شهدت جهودهم النقدية، وصار النقد عند علماء المسلمين أمراً محورياً في كل عمل علمي أخرجوه، وتعاملوا مع كل ما يطرح من قضايا علمية-سواء من تراث الأوائل أو حتى من علماء الحضارة الإسلامية- بالمنطق العلمي، أي أصبح النقد ممارسة علمية دائمة تدخل ضمن المنهج العلمي في البحث<sup>3</sup>، كما اعتبر العلماء النقد مرحلة مهمة في أي تطور علمي<sup>4</sup>، وبناء العلوم وتأسيس أنساقها وأنماطها، وكذا جزئياتها وكلياتها، حتى تستوي على سوقها، وتبوب، ومن ثم تطهيرها من مدعيها وتقويم أخطائهم، خاصة أنَّ هؤلاء العلماء لم يكونوا حاطي ليل يقبلون مسائل العلم كما هي دون النظر في أصولها ومنطلقاتها وتفريعاتها ومآلاتها، بل كانوا حقيقيين بإحكام النظر وتقليب الفكر وتمحيص وتحليل وسبر أغوار كل مسألة على حدى، يقول القزويني: "و ليس المراد من النظر تقليب الحديقة نحوها (يقصد السماء) فإنَّ البهائم تشارك الإنسان فيه... والمراد من النظر التفكير في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريقها يظهر له حقائقها... والفكر في المعقولات لا يتأتى إلا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس..."<sup>5</sup>.

لقد شكل النقد عند العلماء المسلمين أحد آليات المنهج العلمي الإسلامي الذي يعني التوثيق والبرهان ضمن مقولة (إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مدعياً فالدليل) فقد ارتبطت صحة النقل بعلوم الرواية، وارتبط البرهان بموضوع البحث، فإما يكون البرهان عقلياً منطقياً، أو يكون حسياً تجريبياً، أي إنَّ تمثلات المنهج العلمي في الإطار الإسلامي كانت تشمل ما يسمى اليوم بالعلوم الطبيعية والتطبيقية، والعلوم الإنسانية، إضافة إلى علوم الشريعة<sup>6</sup>، كما تجدر الإشارة إلى أنَّ النقد تبلور مرجعية منهجية في تناول هذه العلوم، فكانت تستند إلى نصوص نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، واجتهادات السلف من علماء الأمة، وكانت مرجعية منهجية

1- قدري طوقان، تراث العرب العلمي، ص 01، نقلاً عن الحازمي، المرجع السابق، ص 38.

2- الحازمي، المرجع نفسه، ص 38.

3- المرجع نفسه، ص 39.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، ط 1، بيروت، دار الآفاق، 1973م، ص 08.

2- ملكاوي فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي (مقدمات في المنهجية الإسلامية)، ط 2، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، 1437هـ/2016م، ص 195.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

توحيدية-تكاملية عامة، تشتمل على مناهج النظر والتفكير، ومناهج البحث وطلب العلم، ومناهج التطبيق والتوظيف والعمل والممارسة، فمن ذلك مثلاً: تأكيد ضرورة إعمال الحس والعقل والنظر والتأمل والتدبر في السنن والقوانين التي تحكم الأحداث وتفسر الظواهر الطبيعية والاجتماعية والتاريخية، وتقرأ النصوص الدينية، والوقائع العملية، والطبائع البشرية في النفس والمجتمع، بصورة متكامل فيها مصادر المعرفة من الوحي والعالم، كما تتكامل أدوات المعرفة من العقل والحس<sup>1</sup>. وعلاوة على ذلك، فقد هندس النقد لدى العلماء المسلمين لعملية تفكير راقي، تركز أساساً على تفحص ودراسة الموضوع المراد نقده والنظر إليه، وكذلك الكشف عن الموضوع وتشريحه من جميع جوانبه، وصولاً إلى إظهار النقائص والعيوب الموجودة فيه، وبعدها تتم المناقشة العلمية لهذه الأخطاء والعيوب بالحجج والبراهين لتقويمها وتصحيحها، يضاف إليها التسليح بعدد من المهارات كالتحليل والتركيب والتقويم، الاستنتاج، التفسير<sup>2</sup>، لذا أنبأ النقد عن ملمح حضاري متميز استخدمه العلماء المسلمون بشكل يدعو للفخر والإعجاب، فقد أثبتوا مقدرتهم الفائقة على استيعاب العلوم ونقدها وفحصها فحصاً دقيقاً وتقييمها للوصول إلى جوانب الخطأ والخلل، ثم الحكم عليها بطريقة منطقية سليمة، مؤسسين بذلك منهجاً إسلامياً في البحث والنظر، كما يمثل النقد في المنظور الإسلامي نسقاً صارماً يقف بحزم أمام أية معوقات للتفكير والبحث العلمي سواء كانت نوعاً من السلوك العشوائي الذي يتناقض مع العمل العلمي المنظم، أو كانت ممارسات تشيع أحياناً بحكم العادة الموروثة دون اختبار يثبت صحتها أو برهان يؤيدها، وذلك من باب ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (الشعراء: 74)، أو من باب ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف: 23)، وقد تكون بعض هذه الممارسات من قبيل الخرافات والأساطير أو التأويلات الخطأ<sup>3</sup>.

**1-3- العقيدة العلمية:** تبلورت العقيدة العلمية لدى علماء المسلمين انطلاقاً مما أصله الإسلام من رؤى وتصورات اتجه العلم وضرورة تحلي أهل العلم بمجموعة من الضوابط والأدبيات العلمية التي تهندس للرؤية العلمية الإسلامية الخالصة المطعمة بأدوات وآليات ابتكرها العلماء المسلمون، وصارت متماهية مع تطور العلوم، وأضحت تمثل أساس موسوعية هؤلاء العلماء وجوهرها، خاصة أن المعرفة عندهم واحدة والتجديد وحسن استخراج كنه الأشياء بتطور أساليب الوصول إليها<sup>4</sup>.

1- ملكاوي فتحي حسن، المرجع السابق، ص 195.

4- صرموم رابع، منهج النقد في الفقه الإسلامي، المذهب المالكي أنموذجاً-دراسة تحليلية-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران 1435، 01-هـ/1436م-2014م-2015م، ص 32-33.

3- صرموم رابع، المرجع السابق، ص 33، ملكاوي فتحي حسن، المرجع السابق، ص 195-196.

4- الحازمي، المرجع السابق، ص 392.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

لقد أدرك العلماء المسلمون أهمية النسق الحضاري الإسلامي القائم على مبدأ صياغة النموذج العلمي الإسلامي الذي يركز على شقين من العلوم هما: العلوم الإسلامية الخالصة التي منطلقها الوحي (كتاب وسنة) والبيئة العربية، والعلوم التي تطورها العلماء بعد فتح المسلمين لبلدان الأمم المجاورة لهم، لذا فإنَّ المتمعن للنتاج العلمي لعلماء المسلمين في شتى حقول المعرفة وخاصة في باب الترجمة، يلحظ دون عناء حجم الأعمال التي أعيد ترجمتها، أو تحريرها أو شرحها، مما يؤكد على أنَّ هؤلاء العلماء لم يعرفوا حدوداً وقتية يتوقفون عندها في تعاطيهم مع العلوم وأنَّها هي قدرات وقتية يتفاوتون فيها<sup>1</sup>، يقول عبد الرحمن بن الجوزي: "...إني رجل حب إلي العلم من زمن الطفولة، فتشأغلت به. ثم لم يحبب إلي فن واحد منه، بل فنونه كلها. ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه، والزمان لا يسع، والعمر أضيق، والشوق يقوى، والعجز يظهر، فيبقى وقوف بعض المطلوبات حسرات..."<sup>2</sup>، وهذه العبارات هي في الأصل عقيدة علماء المسلمين العلمية، فهم مدركون أن لطاقة الإنسان حدوداً في التحصيل من ناحية الوصول إلى درجة معينة من الاطمئنان إلى ما تم تحصيله، ولكن في المقابل هم يؤمنون بروح التجديد، لتطور المعطيات والأفكار والوسائل التي لا نهاية لها<sup>3</sup>، يضاف إلى ذلك أنَّ عقيدة العلماء المسلمين العلمية جعلت نفع العلماء؛ وهم ورثة الأنبياء وخلفاء الله في الأرض، وهم الذين عليهم المعول ولهم الفضل إذا أطرقوا وانكسروا وعلموا صدق تلك الحال، يتعدى نفع عبادة العباد<sup>4</sup>، والمهم أنَّ العلماء وفق هذه العقيدة العلمية أضحووا "على غاية من الدين والثقة والتحرز، والخوف من الله تعالى.. وأنَّ الله تعالى خلق للإنسان عقلاً، وجعله كالسراج يفرق به بين الخير والشر، والحسن والقبح"<sup>5</sup>.

إنَّ العقيدة العلمية عند العلماء المسلمين تطورت في مسيرة التاريخ الإسلامي، بدءاً من مرحلة التلقي في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثم مرحلة النقد والتوثيق التي رافقت تدوين الحديث، ثم تمايزت فيها علوم الجرح والتعديل والعلل...؛ وبعدها جاءت مرحلة استنباط الأحكام التفصيلية من أدلتها التفصيلية وما صاحبها من نشوء المدارس الفقهية، وتطور أصول الفقه، ونشوء مناهج المفسرين ونشوء مناهج التعامل مع قضايا العقيدة، وما طرأ عليها عند دخول علم الكلام والفلسفة؛ وتطور العرفان والذوق عند المتصوفة؛ فضلاً عن أنَّ فئات من العلماء كانوا يمارسون المنهج العلمي التجريبي عند تعاملهم مع القضايا التي لا ينفع فيها غير هذا المنهج<sup>6</sup>، مما جعل

1- الحازمي، المرجع السابق، ص 393.

2- صيد الخاطر، المصدر السابق، ص 82.

3- الحازمي، المرجع السابق، ص 393.

4- ابن الجوزي، المصدر السابق، ص 91.

5- كوهين العطار، منهاج الدكان، ص 15، نقلاً عن الحازمي، المرجع السابق، ص 393.

6- ملكاوي فتحي حسن، المرجع السابق، ص 177.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

العلماء المسلمين يركزون على استلهم الرؤية النقدية للمعرفة من طريق تصحيح العقيدة، وفهم ماهية الإيمان الحق، حيث صار هو السبيل المعول عليه وحده في إصلاح قوى النفس الإنسانية<sup>1</sup>، وكان العالم المسلم الواحد إذا تعامل مع موضوع معين فإنه يوظف هذه العقيدة، وأصبح العالم في كثير من مراحل الحضارة الإسلامية يتصف بالمولوعية، ويجمع بين علوم متنوعة، فقد يكون فقيهاً وأصولياً ومحدثاً مثل أبي الحسن الماوردي وأبي المعالي الجويني وعبد الرحمن ابن الجوزي، وقد يكون فقيهاً ومتكلماً وصوفياً مثل أبي حامد الغزالي، وقد يكون مفسراً كالسمعاني الجد<sup>2</sup>. وهذا مع الأخذ بعين الاعتبار الدرجات متفاوتة من حيث الاستعدادات والقدرات، والتحصيل، والإنجاز الأصل في ميدان العلوم. ولكن السمة المشتركة فيما بينهم كانت من ناحية المنطلقات النابعة من البيئة الإسلامية<sup>3</sup>.

**2-4- الفاعلية والإتقان:** تعتبر الفاعلية والإتقان من الأبعاد المهمة التي انبنى عليها التكوين العلمي للعلماء المسلمين، فقد دعا الإسلام إلى العلم ثم التخصص، إضافة إلى المحفزات الأخرى الدنيوية والأخروية، كما رفع مستوى عطاء العالم. وعندما أوصله إلى مستوى معين طالبه بالإتقان الذي أصبح عبادة، عدا عن كونه مصدر تفوق وتميز، أو مصدر رزق أو غيره، مما زاد بشكل مباشر في فاعلية الإنسان العالم، وأثر في مردوده وعطاءه<sup>4</sup>، ونرى وعطاءه<sup>4</sup>، ونرى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم حاثاً على الإتقان: **{إن الله يحب إذا عمل أحدكم**  
**أحدكم عملاً أن يتقنه}**<sup>5</sup>. ولكن دعونا هنا نبرز نقطة مهمة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفاعلية.

لقد ربط القرآن بشكل وثيق جدا بين الإيمان والعمل، وبين العلم والعمل بما يجعل أي عامل في أي حقل - وحقل العلماء أولها - يتفانى في العمل بشكل متقن وفاعل بعيداً عن عقلية الاستهلاك البحتة والمتعة المحدودة. ويكون العالم في هذه الحالة معطياً ومنتجاً<sup>6</sup>، لذا ارتبطت الفاعلية والإتقان بالعلماء المسلمين في جميع فعاليتهم، فهم أوعية العلوم وأولى الناس أن يسعوا إلى بيان مرتبة العلم بين العلوم "إما باعتبار عموم موضوعه أو خصوصه، أو باعتبار توقيفه على علم آخر، أو عدم توقيفه عليه، أو باعتبار الأهمية، أو الشرف ليقدم تحصيله على ما يجب، أو يستحسن تقديمه عليه ويؤخر تحصيله عما يجب، أو يستحسن تأخير عنه"<sup>7</sup>، وتطعيم

1- الحازمي، المرجع السابق، ص 394-395.

2- ملكاوي فتحي حسن، المرجع السابق، ص 177.

3- الحازمي، المرجع السابق، ص 395.

4- خلدون ضياء الدين، المرجع السابق، ص 630.

5- رواه البيهقي في شعب الإيمان.

6- خلدون ضياء الدين، المرجع السابق، ص 630.

7- القنوجي، أبجد العلوم، ج 1، ص 85.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

هذه العلوم بالطابع الإسلامي، وبذلك أضحت تسمى العلوم الإسلامية، التي هي تلك العلوم التي طورت في الحضارة الإسلامية<sup>1</sup>. إنَّ هذا التطوير كان متماهيا مع الفاعلية والإتقان ومتماشيا معهما، وأثبت براعة وكفاءة العلماء المسلمين وقدرتهم على الإبداع في العلوم بشكل يدعو للإعجاب، ومثل مدى تعاطيهم على تكوين علاقات بين الموضوعات التي نبحثها في الإنتاج الفكري، وأثر ذلك على تنظيم المعرفة وهو من المقومات المهمة التي تجعل العلماء يعدون بإطار معرفي منظم يكون خير عون لهم في مشاريعهم النقدية، والتي من أهدافها تحرير العلوم وضبطها، ولذلك فإنَّ جميع المؤلفات وفق هذا البعد-الفاعلية والإتقان-إنما هي تكمل بعضها البعض، وتشكل أرضية واحدة تمثل عمق العلم في الحضارة الإسلامية، وحجمه، ونظامه، وإمكاناته، وأدوات المعرفة، وأشكالها المتعددة، والمعارف العلمية التي كان المشرق الإسلامي يملكها<sup>2</sup>.

لقد سعى العلماء المسلمون إلى اعتماد الفاعلية والإتقان في معظم ميادين الحياة ومجالاتها، وإذا كان العلم هو المجال الأول والأوسع والمنتفس الأرحب لإظهار هذا البعد، خاصة مجال تأليف الكتب وتطوير العلوم وتعليم أفراد المجتمع الإسلامي وتنويع مناهج وطرق وأساليب نظام التعليم بشكل يتوافق مع هذا المجال الهام، والأكثر من ذلك فقد انعكس بعد الفاعلية والإتقان على سلوكيات وتصرفات هؤلاء العلماء وضوابط تعاملهم مع السلطة والمجتمع والشأن العام، كما ينبئ عن فهم وتحليل العقلية العلمية لعلماء المسلمين، التي كانت المرتكز في بناء العلم وتحديد المفاهيم الضرورية لنشأة العلم وتطوره بعد ذلك، وتعيين درجة الفاعلية أو حدود التأثير والتأثر<sup>3</sup>.

**2-5- التجديد:** التجديد لغة يعني وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيرَه و أبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغيير كان ذلك تجديدا. وأما مفهومه الاصطلاحي فقد استعمل مصطلح التجديد في الفكر الإسلامي أخذا من الحديث<sup>4</sup>، الذي أخرجه أبو داود عن أبي هريرة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: {**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ يَجْدِدُ لَهَا دِينَهَا**}<sup>5</sup>، قال العلقمي: "معنى التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"<sup>6</sup>، وقال المناوي: "يجدد لها دينها: أي ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن

1- جورج صليبا، العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية، ترجمة د. محمود حداد، ط1، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2011م، ص08.

2- الحازمي، المرجع السابق، ص307.

3- الحازمي، المرجع السابق، ص314.

4- صرموم رابع، المرجع السابق، ص122.

5- رواه أبو داود، السنن، كتاب الملاحم، رقم4291.

6- المناوي، فيض القدير، ج1، ط2، لبنان، دار المعرفة، 1391هـ/1972م، ص14.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة"<sup>1</sup>، ويقول العظيم أبادي: "التجديد: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات"<sup>2</sup>.

"...ويظهر من خلال الحديث وتعريفات العلماء للتجديد أن يشمل كل مجالات الدين، والعلوم المرتبطة بها، وإعادة بعثها وإحيائها..."<sup>3</sup>. إنَّ الحديث عن التجديد كبعد من أبعاد التكوين العلمي للعلماء المسلمين، هو حديث عن شمولية هذا البعد لكل مجالات الدين والحياة والمجتمع، فقد اضطلع العلماء المسلمون في جميع العصور على القيام بهذا البعد وتحقيقه وإشاعته، مدركين "...بأنَّ التجديد روح تنفخ... وأدوات تكتسب... وجهود تستوعب... وقدرات وطاقات توهب... وحاجة تدفع ووسط لا يمنع... وإمامات ترسل، وجمهور يستقبل فيحول..."<sup>4</sup>، لذا سعوا إلى رفع المستوى العام للأمة علما وخلقا ليرتفع بارتفاعه المستوى الخاص، فهذا الرفع أمر لازم لزوم الروح للجسد، فكذلك شأن العلم مع الأمة، فهو روحها وسر وجودها، وعملوا على التثقيف اللازم علما وخلقا، وكذلك التوجيه والمراعاة للميول والمذاهب والقدرات، وتقديم الأولويات العلمية والخلقية والمنهجية<sup>5</sup>، كما قاموا بالإعداد اللازم لصنع الإمامات القادرة على إحداث فعل التجديد في العلوم الشرعية والكونية في مختلف التخصصات والمؤسسات التعليمية<sup>6</sup>.

لقد ارتبط التجديد بالإسلام قبل أن يرتبط بغيره وأخذ مساره الإيجابي والواقعي عبر عصوره، والدعوة إلى التجديد ترتبط بضرورة الحركة الفكرية، فكلما نضج الفكر ونمى، وكان قرين الواقع و رديفه انتقل بالناس من حال إلى حال أحسن منها، لأنَّ العلماء المحددون بفكرهم الناضج ينفضون الغبار المتراكم، الذي علا بكلِّه على حقائق الإسلام بفعل الغفلة أو التغافل، أو الجهل والتجاهل، أو بفعل التحريف أو التدسية، فيغيب عنها الفهم الصحيح للنصوص الشرعية حتى تذهب السنن والهدايات، وترسو مكانها البدع والضلالات، وتذهب الأخلاق والمروءات لتنتشر بدلها الفواحش والمنكرات، ويسود التقليد والجمود، ويحارب الاجتهاد والنظر السديد، فكل هذا حدث ويحدث وما تلك الصفة الباهتة لأحوال الناس عبر الأجيال المتأخرة إلا تراجع عن جوهر الإسلام

1-المصدر نفسه، ج1، ص10.

2-محمد شمس الحق العظيم أبادي الهندي، عون المعبون شرح أبي داود، ج11، ط1، لبنان، دار ابن حزم، 1426هـ/2005م، ص391.

3-صرموم رابع، المرجع السابق، ص124.

4-الشاهد البوشيخي، مجلة الهدى، ع33، ص33، نقلا عن الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص182.

5-الأنصاري محمد، المرجع نفسه، ص182-183.

6-المرجع نفسه، ص183.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وأصوله، وذلك ما لم يكن خافيا على نبينا الموصى إليه، فكان باستكشافه الغيب، قد أشار إلى حاجة كل قرن إلى مجدد<sup>1</sup>.

وفي السياق ذاته شهد العصر السلجوقي كغيره من العصور الإسلامية حيلا وكوكبة من العلماء المجددين حققوا التجديد في شتى المجالات مصداقا لنبوءة النبي صلى الله عليه وسلم، فمن مجدد في الجانب السياسي والتسيير كنظام الملك الطوسي وزير السلاجقة، وأبو الحسن الماوردي وأبو يعلى الفراء القاضي، والفقه والتشريع كأبي المعالي الجويني إمام الحرمين، والأخلاق والتصوف كالغزالي وابن الجوزي، والعقائد وأصول الإيمان كالجويني والغزالي والكنيا هراسي وابن الجوزي وغيرهم، والقائمة طويلة؛ قام بتسجيل أسمائهم ومواقفهم ومجالات تجديدهم عبد المتعال الصعيدي في مؤلفه المشهور "المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر"، توخى فيه البحث عن تاريخ المجددين في الإسلام، كونه تاريخ نهوض المسلمين في أمور دينهم، قبل أن يكون تاريخ نهوضهم في أمور أحوالهم ولا يذكر من المجددين إلا من يعمل لهذه الغاية<sup>2</sup>.

**2-6- الاجتهاد:** حق الاجتهاد مكفول لكل من يملك آلياته، والنظر في الأفكار قديمها وحديثها بنقد ومراجعة شيء لا نكير عليه، لا يزال الناس يتناولون بالنقد ما يرونه مستحقا للنقد، ولكن قد توضع في سبيل ذلك قيود لأسباب كثيرة، منها قيود تحول دون نقد المقدسات ومحكمات الآراء والمذاهب<sup>3</sup>. لذا فإن الاجتهاد عبارة عن بذل المجهود و استفرغ الوسع في فعل من الأفعال، ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد، فيقال: اجتهد في حمل حجر الرخا، لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصا ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة<sup>4</sup>.

لقد أضحي الاجتهاد بعدا مركزيا في تكوين العلماء المسلمين العلمي، بحيث ازدان العصر السلجوقي بزمرة من العلماء المجتهدين في علوم الشريعة الذين أدلوا بدلوهم في هذه العلوم التي أخذت الشرع موضوعا لها، توثيقا أو استنباطا، كعلوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه وأصوله، وعلم التفسير وغيرها، فهي في أصلها ثمرة نظر سديد في نصوص الوحي، بحسب حاجة الواقع وقدرة المجتهد الواضع، وما أريد منها، وما كان يراد؛ حيث وقف عندها من

---

4-أوسالم محمد نذير، التجديد والاجتهاد في تأويل النص القرآني بين الإصلاحيين والحدائيين (دراسة نقدية مقارنة)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: اللغة والدراسات القرآنية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (01)، 1436هـ-1437هـ/2015م-2016م، ص98.

2-أوسالم محمد نذير، المرجع السابق، ص98.

3-المرجع نفسه، ص56.

4-الغزالي أبو حامد، المستصفى...، المصدر السابق، ج4، ص04.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

جاءوا من بعد، وإن تغير الواقع، وتحدد الواضع، وقوي الدافع للاجتهاد<sup>1</sup>. فالاجتهاد منهج أساسي في حياة الأمة الإسلامية، ويعتبر بمثابة الثورة المستمرة التي تضمن للدين حركيته واستمراره على مر العصور<sup>2</sup>، وعلى ضوء ذلك تحدد "موضوع بحث المجتهد في سنده، ومدى صلاحيته لإثبات الحكم، وإذا كان ظني الدلالة كان البحث في تفسيره وفي قوة دلالة على المعنى المقصود، وفي سلامته، وفي سلامته من المعارضة، أو معارضته بما يؤثر فيه، وفي خصوصه أو عموميه، وما يدخل فيه من الجزئيات وما لا يدخل، وهكذا"<sup>3</sup>، وصار لازماً أن يستوعب الاجتهاد ما كان وما هو كائن، ويحلله ويعلله ويقومه وفق معيار الدين ومقاصده، كما ينبغي أن يكون متماسكاً مع مقتضيات المنهج الرباني وأحكام شريعته ومقاصدها، وأيضاً ينطلق من الأصول التي تؤمن الوصول إلى ما يرضي الله والرسول، وكذا يجب أن يهتدي باجتهاد الرعيل الأول من الأئمة في صدر هذه الأمة، فيواجه أصعب المعضلات، ويحل جميع المشكلات مخرجاً الناس من الظلمات إلى النور، يضاف إلى هذا ضرورة أن ينبثق من روح الجهاد ويشترك فيه، ويتعاون عليه صفوة العبادة، طلباً للهدى والسداد والقوامه والرشاد، وألا يتقيد بقيود تقليد ولا يتهيب من حدود تحديد، ما دامت الحاجة ملحة والقدرة موجودة والرغبة صادقة والنية خالصة<sup>4</sup>.

**2- أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي:** تشكل حركة التأليف العلمي محصلة طبيعية لمدى الازدهار الفكري والثقافي الذي يعرفه مجتمع من المجتمعات في عصر من العصور، وكذلك هي صورة حقيقية تعكس مساهمات العلماء في مختلف العلوم والفنون والآداب، بحيث تشكل هذه التأليف ينبوع الأول لمعرفة الثقافة الإسلامية في مختلف ميادينها، وهي المرآة التي تعكس صورة الحضارة العربية الإسلامية بأجلى مظاهرها، فلا يمكن معرفة هذه الثقافة حق المعرفة، ولا إبراز الصورة الواضحة لتلك الحضارة إذا لم نرجع إلى هذا التأليف الهائل<sup>5</sup>، لذا يجسد التأليف المستوى العلمي الذي بلغه المجتمع، ورصد حقيقي ودقيق لعلوم العصر بكل ما تحتويه من كثرة أو قلة، وتطور أو تدهور، وضعف وقوة، وتقليد أو اجتهاد<sup>6</sup>، لهذا فإن إحصاء التصانيف العلمية التي

1- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 183.

5- محمود أحمد أبو سمرة وعماد أحمد البرغوثي، منهجية البحث العلمي عند علماء المسلمين، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 2، المجلد 16، يونيو 2008، ص 466.

3- علي حسن الله، أصول التشريع الإسلامي، ص 68، نقلاً عن أوسالم محمد نذير، المرجع السابق، ص 60.

4- الأنصاري محمد، المرجع السابق، ص 184.

2- النعسان محمد هشام، خصوصيات تحقيق مخطوطات العلوم الكونية، أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات العلمية، ط 1، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر، 2007م، ص 20.

6- قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص 293.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

صنفها العلماء يعد من الأهمية بمكان وإمالة اللثام عن طبيعة هذه المؤلفات، ودوافع تأليفها، والغرض من تأليفها، ومدى مساهمتها لتطورات العصر الذي ألفت فيه<sup>1</sup>.

**2-1- تعريف التأليف ومقاصده:** إنَّ كلمة تأليف مرادفة لكلمة تصنيف، وهي مكملة لمعانيها وإن بدت ذات معنى معارض في الظاهر لها، ذلك أنَّ كلمة تصنيف تعني التمييز والفصل بين الأمور المختلفة، بينما كلمة تأليف تعني الجمع بين عناصر الشيء الواحد المفترق<sup>2</sup>، قال ابن منظور: "...ألفت بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرق، وألفت الشيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض، ومنه تأليف الكتب، وألفت الشيء أي وصلته..."<sup>3</sup>، ثم يضيف أيضا بقوله: "...وألفه جمع بعضه إلى بعض، وتألف تنظم..."<sup>4</sup>، وبذلك يتبين التكامل والترابط بين كلمتي التأليف والتصنيف في معنهما اللغوي، لأنَّ كلا منهما يتضمن شطر من الاشتغال العلمي المكتوب المنظم المتضمن إثبات العلاقة بين الأمور أو نفيها، بحيث أنَّ النفي مشدود إلى معنى التمييز من مادة "صنف"، في حين ينشد إثبات العلاقة بين الأمور إلى معنى إيقاع الألفة من مادة "ألف"<sup>5</sup>، وقد ذكر أبو هلال هلال العسكري الفرق بين التأليف والتصنيف بقوله: "...الفرق بين التأليف والتصنيف، أنَّ التأليف أعمُّ من التصنيف، وذلك أنَّ التصنيف تأليف صنف من العلم، ولا يقال للكتاب إذا تضمن نقض شيء من الكلام مصنَّف؛ لأنه جمع الشيء وضده والقول نقيضه، والتأليف يجمع ذلك كله، وذلك أنَّ تأليف الكتاب هو جمع لفظ إلى لفظ، ومعنى إلى معنى فيه، حتى يكون كالجملة الكافية فيما يحتاج إليه، سواء كان متفقا أو مختلفا، والتصنيف مأخوذ من الصنف، ولا يدخل في الصنف غيره..."<sup>6</sup>، ونفذ من هذا الكلام إلى سبب استعمال العلماء لكلمتي التأليف والتصنيف دون سواهما، فهما الأصلح للتعبير الأكيد عن التدوين العلمي المنظم للمعرفة، لهذا اشترطوا في التصنيف أن يكون جامعا مانعا لموضوعه، بينما لا تحتوي المرادفات اللغوية الأخرى مثل: - قيد - دون - كتب - معنى الجمع ولا معنى المنع في اللسان، لذلك لا تستعمل عوضا عن التأليف والتصنيف، لأنها وإن اشتملت على معنى الجمع ولا معنى المنع في اللسان، لذلك لا تستعمل عوضا عن التأليف والتصنيف، لأنها وإن اشتملت على معنى الجمع، فإنها لا تعبر عن وصل الصلات العلمية بنفي أو إثبات<sup>7</sup>، ومع

1- بن سالم هشام، المرجع السابق، ص 235.

2- العلمي محمد، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ط 1، الرباط، دار الأمان للنشر والتوزيع، 1433هـ/2012م، ص 19.

3- المصدر السابق، ج 9، ص 10.

4- المصدر نفسه، ج 9، ص 11.

5- العلمي محمد، المرجع السابق، ص 19.

6- الفروق في اللغة، ص 240-241.

7- العلمي محمد، المرجع السابق، ص 19.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

ذلك فقد درج المصنفون على عدم التشاح في المرادفة بينهما في الاستعمال أي التأليف والتصنيف<sup>1</sup>، من ذلك ما قاله حاجي خليفة: "...التأليف إيقاع الألفة بين الكلام مع التمييز بين الأنواع، والتصنيف أعم منه، إذ هو جعل الشيء أصنافاً متميزة، هذا بحسب الأصل، وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر..."<sup>2</sup>، وهذا ما تواتر في التراث العلمي الإسلامي، حيث جرى استخدام كلا المصطلحين، والتسامح في إطلاق أحدهما على الآخر، فيقال: صَنَّفَ أو أَلَفَ على قدم واحدة من التواطؤ المعنوي، وتجرى كتب التراجم والفهارس على التعبير باللفظين والمصطلحين لإفادة معنى واحد<sup>3</sup>.

وعلى ضوء ذلك تم تحديد مجموعة من المقاصد التي ينبغي توفرها في التأليف حتى يصبح مقبولا وهي:

- استنباط العلم بموضوعه وتقسيم أبوابه وفصوله وتتبع مسأله، أو استنباط مسائل ومباحث تعرض للعالم المحقق ويحرص على إيصاله بغيره، لتعم المنفعة به فيودع ذلك بالكتاب في المصحف، لعل المتأخر يظهر على تلك الفائدة<sup>4</sup>.

- الوقوف على كلام الأولين وتأليفهم فيجدها مستغلقة على الأفهام، ويفتح الله له في فهمها فيحرص على إبانة ذلك لغيره ممن عساه يستغل عليه، لتصل الفائدة لمستحقها.

- أن يعثر المتأخر على غلط أو خطأ في كلام المتقدمين ممن اشتهر فضله وبعد في الإفادة صيته، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخل للشك فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده، إذ قد تعذر محوه ونزعه بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار، وشهرة المؤلف ووثوق الناس بمعارفه، فيودع ذلك الكتاب ليقف على بيان ذلك<sup>5</sup>.

- أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلاع على ذلك أن يتمم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكمال مسأله وفصوله، ولا يبقى للنقص فيه مجال.

- أن تكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منظمة، فيقصد المطلاع على ذلك أن يرتبها ويهذبها، ويجعل كل مسألة في بابها.

- أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فينتبه بعض الفضلاء إلى الموضوع ذلك الفن وجميع مسأله، فيفعل ذلك، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي ينتحلها البشر بأفكارهم، كما وقع في علم البيان.

1- المرجع نفسه، ص20.

2- المصدر السابق، ج1، ص35.

3- العلمي محمد، المرجع السابق، ص20.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص523.

5- المصدر نفسه، ص523-524.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- أن يكون الشيء من التأليف التي من أمهات الفنون مطولا مسهبا فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك، بالاختصار والإيجاز وحذف المتكرر، إن وقع، مع الحذر من حذف الضروري لئلا يخل بمقصد المؤلف الأول<sup>1</sup>.

تلك هي المقاصد المتفق عليها في التأليف، حيث رأى العلماء أنَّ التأليف فيها يحظى بالاحترام والقبول، ويساهم بالإبداع في العلم، كما يوضح معاملته، ويبقى الإبداع واستنباط العلم بشيء لم يسبق إليه على رأس مقاصد التأليف، وهو أفضل دليل على النمو العقلي المستمر والمتفاعل مع الحياة، والساعي للارتقاء بها نحو الأفضل<sup>2</sup>، وعليه فهذه جماع المقاصد الواجب اعتمادها في التأليف ومراعاتها<sup>3</sup>.

**2-2- دواعي العلماء لتأليف وتصنيف الكتب:** إنَّ التأليف كان وما زال الصورة الحقيقية للتطور العلمي في أي فترة من الفترات، لهذا كان العلماء المخولين بتأليف الكتب أكثر من غيرهم، بحكم اشتغالهم بأصناف العلوم والنظر في أحوال الكتب وطرق التأليف ومناهجه، وسعيهم لتقييد ما استودعهم الله من العلم سعيا وراء الفائدة العلمية وتواتر العلوم وبقائها، لذلك كان أرباب التأليف في كل مقدماتهم يفصحون عن الدواعي التي تقف وراء توجهاتهم، أو يستعرضون الأهداف المتوخاة منها، بين هذه وتلك من يعد التأليف عملا ثقافيا مشروعا، وتعددت الدواعي بين الموضوعية والذاتية<sup>4</sup>:

**-الداعي التعليمي:** جل التأليف والتصانيف كانت تسعى لتعليم طلبة العلم، فمن ذلك المختصرات التي كانت موجهة للمتعلمين المبتدئين فتفتح لهم بصائرهم وتقوم قواهم العقلية، وتهذب أذواقهم.

**-الداعي المنهجي:** إذا كان اختلاف مذاهب العلماء سببا في تعالم بعضهم على بعض أحيانا، وفي مقابلة كل ما يصدر عنهم بمزيد من الحرص والتحري والتمحيص، فإنه لم يرق أبدا إلى مستوى القطيعة الفكرية، بل سعى العلماء إلى تطوير منهجية التأليف وتحسين مستوى التصانيف والكتب التي دونوها والرقي بها، من خلال التبويب وإفراد الفصول والمباحث وطرق الاستنباط والتأصيل والتفريع، والموازنة بين المتن والحواشي، حتى غدا الكتاب الواحد غذاء فكريا ينتفع به على نطاق واسع، ومصدرا معرفيا غير مقيد بمذهب بعينه<sup>5</sup>.

1-المصدر نفسه، ص524.

2-قريان عبد الجليل، المرجع السابق، ص293-294.

3-ابن خلدون، المصدر السابق، ص524.

1-بنعلي محمد بوزيان، ظاهرة المختصرات في التراث العربي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة عشر، العدد التاسع والأربعون، تصدر عن قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، صفر1426هـ/أفريل2005م، ص163.

5-بنعلي محمد بوزيان، المرجع السابق، ص163.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-**الداعي المصلحي:** شكل الداعي المصلحي أبرز الدواعي التي أدت بالعلماء إلى التأليف والتصنيف، ذلك أنَّ الكثير منها جاء نتيجة لرغبة معظم العلماء والفقهاء في الشهرة أو التقرب من السلاطين أو الرفعة في المناصب وتبوء مكانة رفيعة، إذ "...ويبقى هذا السبب مدخلا لتحقيق رغبة طالما اعتملت في خواطر أولي المكانة العالية والبسطة الجلية في العلم حين يتعلقون بأشهر الأمهات، فيصرفهم داع أو آخر عن مطالعتها واستيعابها، وهم في الآن نفسه يحرصون على الانتفاع بأقصر الطرق منها..."<sup>1</sup>.

### 2-3- لصيغة التأليف العلمي ومناهجه خلال العصر السلجوقي: لقد اعتنى العلماء بتنويع

مناهج التأليف والتصنيف في العلوم الإسلامية المختلفة، فعلم التفسير تعددت مناهجه، كالمناهج الغوي، والمناهج الأثري، والمناهج الفقهي، والمناهج الصوفي، أما علم الحديث الشريف، فكان نصيبه من التنوع كبيراً، من ذلك التأليف على الأبواب: -الجوامع- الصحاح- السنن- المصنفات- المستدرجات- الموطآت- الزوائد، بالإضافة للتأليف على الأسماء: كالمسانيد، الأطراف، المعاجم، المشيخات، وهناك أيضاً التأليف على الألفاظ كالكتب المصنفة على أوائل الحديث، إلى غير ذلك من أنواع التأليف في علم الحديث الشريف.

كما تنوعت مناهج التأليف والتصنيف في علم الفقه بين المذاهب الأربعة، بل نجد داخل كل مذهب مدارس متعددة بلا شك في التصنيف المذهبي، فعند الشافعية مثلاً: طريقة الخراسانيين وتميل إلى القياس أكثر، وطريقة العراقيين تميل إلى النقل أكثر، ولا شك أنَّ هذا الاختلاف في أساس الطريقتين أثر على التخريج الفقهي وأثر على التصنيف في علم الفقه، فأكثر الخراسانيون من التفرع والتخريج وفرض المسائل، بينما انصبت عناية العراقيين على صحة نقل مذهب الشافعي، ونقل كلامه في المسائل والفروع الفقهية<sup>2</sup>.

إن طبيعة التأليف العلمي في العصر السلجوقي تعكس لنا التغيرات التي شهدتها منهج تدوين مختلف العلوم في العصور السابقة، إذ كان التدوين قفزة نوعية وتطوراً مهماً جداً في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، "للتدوين أهميته وخطره، ذلك أنَّ المادة المدونة هي الأساس الذي يلتقط به المرء صنوف المعرفة، يثقف بها نفسه، ويروض منها عقله، ثم تختمر فيه لكي تجعل منه بعد ذلك منبعاً معطاءً سواء في مجال التصنيف أو فن التأليف، والواقع أنَّ التدوين بالشكل المألوف الذي يؤدي إلى صور المعرفة المتعددة الألوان لم يكن معروفاً- في النطاق العربي- قبل الإسلام... إنَّ تدوين القرآن الكريم بعد جمعه يعتبر البداية الفعلية الخطيرة لعلم التدوين، والحق أنَّ عملية جمع القرآن كانت من الدقة والعناية والحذق بمكان... كان

1- المرجع نفسه، ص 165.

2- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص 29.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وتدوينه أمر من الأهمية بمكان ومن هنا فطن بعض الصحابة إلى ذلك وأخذوا يدونونه من تلقاء أنفسهم... إن كثيرا من النصوص والأخبار تدل على أنَّ التدوين بدأ في وقت أكثر تبكيرا مما يظن كثير من الدارسين وأنه يمكن أن يكون قد بدأ في عهد معاوية بن أبي سفيان، ومعنى ذلك أنَّ التدوين العام القريب من التأليف بدأ منذ منتصف القرن الأول الهجري، ولا ينبغي أن يذهب بنا الظن إلى أنَّ جميع الكتب صنف في علوم الدين أو علوم العربية والأخبار فحسب، فقد روي أنَّ خالد بن يزيد بن معاوية كتب أكثر من كتاب في الكيمياء والعلوم المعملية... كل هذه الوثائق تدل على بكور التدوين والتصنيف، وأنهما لم يبدأ في العصر العباسي حسبا ظن بعض الدارسين الذين بزعمهم هذا يجعلون قضية الثقافة والتأليف تبدو وكأنها فرع من الثقافة الفارسية وليست عربية، وإنما بدأ التدوين منذ العهد الإسلامي الباكر، غير أنه على عهد العباسيين كانت موجة التأليف قد تضخمت، وهذه سنة النشوء... وهناك كلمة حق يجب أن يقال وهي أنه لا العرب ولا الفرس أصحاب فضل في التدوين ثم التأليف، وإنما الفضل يكمن في العقيدة الجديدة التي حضت الجميع على العلم، ودفعت بهم إلى المعرفة فكان التصنيف ثم التأليف، وكان مران الدقة وسلامة المنهج وسمات التآني وعلامات التثبيت كلها نابعة من التجربة الرائدة التي قام بها علماء الحديث...<sup>1</sup>، وعلى ضوء ذلك نشطت حركة التأليف في العصر السلجوقي، نظرا للتراكمات التي عرفها، حيث شكل واسطة عقد العصور الإسلامية، من خلال الأنماط والأنساق التي طبعت منهج التأليف، الذي تأثر بحجم هذه التراكمات، وكذا الظروف التي أرخت ظلالها عليه، وصبغت مؤلفات علماء العصر السلجوقي بصبغتها، وخير ما يجلي لنا هذه الصورة ما قاله أبو البركات البغدادي (ت547): "...إن عادة القدماء من العلماء الحكماء كانت جارية في تعليم العلوم لمن يتعلمها منهم وينقلها عنهم بالمشافهة والرواية، دون الكتابة والقراءة، فكانوا يقولون ويذكرون من العلم ما يقولونه ويذكرونه لمن يصلح من المتعلمين والسائلين في وقت صلوحه كما يصلح، وبالعبرة اللائقة بفهمه وعلى قدر ما عنده من العلم والمعرفة المتقدمين فلا يصل علمهم إلى غير أهله، ولا إلى أهله في غير وقته، ولا على غير الوجه الذي يليق بعلمهم ومعرفتهم وذكائهم وفطنتهم، وكان العلماء والمتعلمون في ذلك الوقت كثيري العدد طويلي الأعمار، ينقلون العلوم من جيل إلى جيل بأسرها، وعلى أتم تمامها، فلا يضيع منها شيء، ولا ينسى، ولا يقع إلى غير أهله، فلما قل عدد العلماء والمتعلمين، وقصرت الأعمار، وقصرت الهمم، وانقرض كثير من العلوم لقلّة المتعلمين والناقلين أخذ

1- الشكعة مصطفى، مناهج التأليف عند العلماء العرب- قسم الأدب-، ط6، بيروت، دار العلم للملايين، أبريل 1991م، صص 37-55.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

العلماء في تدوين الكتب وتصنيفها لتنحفظ فيها العلوم وتنقل من أهلها إلى أهلها، في الأزمان المتتالية، والأماكن المتباعدة، واستعملوا في كثير منها الغامض من العبارات والخفي من الإشارات، اللذين يفهمهما أرباب الفطنة، ويعرفها الأكياس من أهل العلم صيانة منهم للعلوم عن غير أهلها، فلما استمر الأمر في تناقص العلماء وقتلهم في جيل بعد جيل، أخذ المتأخرون في شرح ذلك العويص وإيضاح ذلك الخفي ببسط وتفصيل وتكرار وتطويل حتى كثرت الكتب والتصانيف وخالط أهلها فيها كثير من غير أهلها، واختلط فيها كلام الفضلاء المجودين بكلام الجهال المقصرين...<sup>1</sup>، كل ذلك جعل أي عمل تألifie يقوم على ثلاثة أمور هي:

1- الغاية والمهدف. 2- المنهج والخطة. 3- الإطار والشكل.

كما تختلف طبيعة التأليف ومناهجه باختلاف الأمور التالية:

-العلوم-العصور-مذاهب المؤلفين واتجاهاتهم وطاقتهم ومواهبهم<sup>2</sup>-الغايات التي من أجلها ألفوا كتبهم.

فللعلوم النقلية منهجها الخاص بها، ويتميز عن منهج التأليف في العلوم التجريبية تميزا تاما. فلكل منهج يختلف عن الآخر تبعا لاختلاف العلوم. ذلك لأن العلم النقلية يفرض منهجا خاصا لا مفر من استخدامه، وهذا المنهج هو الاعتماد على الرواية، والرواية تقتضي إيراد الأخبار بأسانيد لها ليتها للمحقق الترجيح بين الروايات، وأخذ الصحيح منها ونبد الضعيف والسقيم، وقد كانوا يقررون أن إيراد الأخبار بأسانيدها يبرئ الذمة ويخرج صاحبها من المسؤولية والعهدة. أما العلم الذي يعالج قضايا غير نقلية، كالمرض الذي يصيب الإنسان وكالبحث في النبات والأفلاك والهندسة والرياضيات والمنطق، فإنه يفرض منهجا آخر يعتمد على معقولة الحقائق؛ إما عن طريق الفكر والمنطق، وإما عن طريق تجربتها وامتحانها عمليا.

وكذلك فإن العلوم الاجتماعية واللغوية والفقهية لكل منها منهج خاص بها وإن اختلفت العصور وتغاير المؤلفون، يضاف إليهما منهج ثالث خاص بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية، هو منهج الاسترداد<sup>3</sup>.

أما فيما يخص أثر العصور على مناهج المؤلفين، فإنك لو وازنت بين كتابين في علم واحد ألفا في عصرين مختلفين لوجدت بينهما اختلافا ملموسا، وهذا أمر بديهي؛ لأن المؤلف لابد له من أن يتجاوب ويتفاعل مع عصره، ولن ينجو من الخضوع لمتطلباته الفكرية، وللعوامل المتعددة التي ساهمت في تكوينه، ولا بد له من أن يتأثر بقضايا عصره المهمة التي يخضع لها الناس جميعا. وعلى ضوء ذلك كان التأثير بواقع العصر على نوعين: إيجابي

1-المعتبر، ج1، ص2-3، نقلا عن عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص194.

2-الصباغ محمد بن لطفي، المناهج والأطر التأليفية في تراثنا، ص99.

3-الصباغ محمد لطفي، المرجع السابق، ص100.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

وسلبي، يسايرانه ويمضيان في طريقه، أو يتنافران معه ويمضيان في طريق معاكس، وكلاهما تأثر. كما أنَّ الأعراف العلمية تتبدل من زمن إلى زمن، والأسلوب المفضل عند العلماء في معالجة المسائل العلمية يختلف من عصر إلى عصر<sup>1</sup>.

ففي العصور الأولى كان يسيطر على العلماء المؤلفين شعور بأنهم يدونون العلم في كتب لأول مرة، ولذا فقد كان الطابع الذي نلمحه-نتيجة لذلك-في مناهج التأليف في تلك الحقبة هو الحرص على جمع كل ما يقع تحت سمع المؤلف وبصره، مما يدخل في اختصاص علمه وموضوع كتابه، ولا يكون للترتيب والتبويب فيه إلا الأثر الضئيل. بينما أصبح أمام المؤلفين في العصور المتأخرة تراث ضخم من الكتب التي جمعت المعلومات الكثيرة، وأعجبوا بصبر أولئك المؤلفين على صعوبة العمل وطاقاتهم الجبارة، وانتهى معظم المتأخرين إلى أن مجال الجمع قد انقضى وانصرم، بل ذهب بعضهم إلى أنَّ الإبداع في الفن والاجتهاد في الدين قد توقفا، فالتفتوا إلى هذه المعلومات ينسقونها وينظمونها في أبواب، ويقعدون ما فيها من قواعد، ويجمعون الشيء إلى مثله، ويسطون ما يحتاج إلى بسط، ويجذفون ما يروونه فضولاً، وكان عاقبة ذلك ظهور عدد من الكتب المبوبة المرتبة والمنظمة.

يضاف إلى ذلك فقد خضعت الكتب لمقتضيات نشوء العلم وتطوره ونموه تدريجياً، وليس طبعياً أبداً أن يكون الكتاب الأول في علم من العلوم كاملاً لأول مرة. كما أنَّ مقتضيات نشوئه تحتم أن تكون هناك محاولات بدائية تسبق ظهور الكتاب المكتمل، وتكرر المحاولات، ولا تزال تتقدم شيئاً فشيئاً وتنمو تدريجياً حتى تصل إلى مرحلة النضج والتمام، والدارس لتاريخ التأليف في علم من العلوم يلاحظ ذلك بشكل دقيق في الكتب الأولى<sup>2</sup>.

ولاتجاهات المؤلفين العلمية، ولما ياهم الشخصية تأثير كبير في اختلاف مناهج التأليف، فلكل مؤلف خصائص تأليفية ذاتية، عملت في تكوينها عوامل متعددة، يختلف بها عن غيره ممن يؤلفون في العلم نفسه وممن يعاصرونه، وأوضح ما تكون هذه الفروق إذا كان المؤلفان ممن يتمتعون بالأصالة، وكان إمامين من كبار المؤلفين. كما أن للعامل الشخصي للمؤلف وزنه الكبير وأثره الواضح في مناهج التأليف، وكذلك يبدو الفرق أوضح عندما يعلو مؤلف في مواهبه وقدرته وينحدر آخر فيها ولا يتميز إلا بالقدرة على الجمع، إنَّ مثل هذه الحالة تتيح بروز الفرق بشكل أوضح وأجلى<sup>3</sup>.

أما الغاية التي يرمي إليها المؤلف، فلها تأثير كبير على المنهج، فإن كانت غايته تعليم الصغار، ينبغي أن يسير على منهج يقتصر على إيراد الأصول الهامة والخطوط الكبرى للموضوع، ولا يستقصي ولا يأتي بالفروع

1- المرجع نفسه، ص 100-101.

2- الصباغ محمد بن لطف، المرجع السابق، ص 101.

3- المرجع نفسه، ص 101-102.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

والتفصيلات، ونراه يستبعد كل ما هو معقد من هذا الموضوع ويكثر من الأمثلة. وإن كانت غايته وضع مرجع موسع للمتخصصين في هذا الموضوع، استقصى وجاء بالفروع والتفصيلات، وجمع كل ما يتصل بموضوعه وكان له منهج يخالف المنهج السابق في معظم الأمور، وبالمقابل من كانت غايته الرد على رأي مغلوط، استخدم منهجا ثالث، إلى غير ذلك<sup>1</sup>.

يمكن تحديد المؤلفات التي تم تأليفها وتقسيمها وفق اعتبارين: المقدار والطبيعة.

-من جهة المقدار يمكن تمييز ثلاثة أصناف:-**المختصر**: يجعل تذكراً لرؤوس المسائل ويعين العالم على استحضار مسائل العلم المنبثة عادة في ثنايا البحوث، ويفيده لأنه يوقفه على أكبر قدر من عناوين قضايا العلم وخطوطها العريضة وعناصرها الرئيسية، ولكنه لا يصلح أن يكون طريقة تعليمية<sup>2</sup>.

-**المبسوط**: وهو يقابل المختصر وينتفع به طالب العلم للمطالعة.

**ج- متوسط**: وهذا نفعه عام.

-من جهة الطبيعة يمكن تمييز ستة أصناف: أ- **كتب ذات قيمة تاريخية**: وأهمية هذه الكتب للدور التاريخي الذي لعبته في نشوء العلم، إذ تعطينا صورة لبداية هذا العلم وتساعدنا على إدراك التطورات التي طرأت عليه بعد ذلك.

-**مراجع عامة**: وتشمل دوائر المعارف والمجمعات بأنواعها المختلفة.

-**مراجع خاصة**: وتشمل المطولات المؤلفة في علم من العلوم.

-**دراسات علمية**: وهي كتب عاجلت ناحية من نواحي العلم بتوسع وفصلت القول فيها.

-**كتب مدرسية**: وهي الكتب التي توضع للطلاب تعرفهم بحقائق العلم، وتأخذ بأيديهم ليعرفوا المصطلحات المستعملة في ذلك العلم، ولا بد فيها من الوضوح والتركيز وضرب الأمثلة.

-**كتب تصبيقية**: وهي كتب نافعة جداً لطلبة العلم مثل كتب إعراب الشواهد، وكتب الفتاوى، وبعض كتب النقد، وكتب التمارين في الرياضيات<sup>3</sup>.

لقد شهدت العصر السلجوقي عدداً من المؤلفات التي ألفها العلماء في أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، تنوعت وتميزت من إقليم إلى إقليم آخر، ومن مذهب فقهي إلى مذهب فقهي آخر، كما اختلفت من

1- المرجع نفسه، ص 102.

2- المرجع نفسه، ص 104-105.

3- الصباغ محمد لطفي، المرجع السابق، ص 105.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

حيث الكثرة والقيمة والأهمية والمكانة، وكذلك العلوم التي شهدت إقبال العلماء على التأليف فيها، كالتفسير والفقه والأصول والحديث والتصوف والتاريخ واللغة والسياسة الشرعية، وبالمقابل العلوم التي عرفت إحكاماً من قبل العلماء في التصنيف حولها كالرياضيات والفلسفة والفلك وغيرها، والأكثر من ذلك نستطيع الإمساك بجوهر التأليف في هذا العصر، الذي تمثل في مؤلفات ذات طابع موسوعي، سواء تعلق الأمر بكتب الفقه أو التفسير أو التاريخ أو التراجم أو الطبقات أو الأنساب، ونلمس في الوقت ذاته مقدرة عالم واحد على التأليف في عدد من العلوم، مما يدعو إلى الفخر والإعجاب، ونجد أيضاً شروحا لكتب مع التأكيد على الموسوعية والضحامة والبسط والتفصيل، وبالمقابل ندرة المؤلفات المختصرة والموجزة، وأوضحى من الأنسب التشديد أيضاً على أن علماء العصر السلجوقي قد بلوروا هذا النمط الذي شاع وانتشر وغلب على العصور اللاحقة، لكن مع تميز مؤلفاتهم بالإحكام والضبط وحسن التبويب ودقة الموضوع وترتيب المعلومات وتسلسل الأفكار والتناسق المنهجي وتحدد المسائل وتعددتها. لذا رفع العلماء سقف التحدي عالياً، وانطلقوا في تأليف مؤلفاتهم وتصنيف مصنفاتهم، وتنافسوا في ذلك تنافساً كبيراً، نظراً لما تهيأ لهم من ظروف مساعدة، كاستقرار السياسي وبناء المدارس النظامية وكثرة المكتبات وانتشار حوانيت الوراقين، فكان من السهل على العالم أن يخصص وقته وجهده لتدوين ما فتح الله عليه من العلوم، بعد أن يكون قد درس عدداً منها لطلبته، وتسنى له حفظها وضبطها وإحكام مسائل بطول النظر والتفكير والنقاش والمناظرة واستطلاع آراء العلماء الآخرين.

**3- الإنتاج العلمي للعلماء في العلوم النقلية والعقلية:** إنَّ إحصاء الإنتاج العلمي للعلماء في العصر السلجوقي، يندرج ضمن محاولة نفوذ الغبار عن هذا الإنتاج العلمي الكبير، الذي ألفه هؤلاء العلماء، حيث ما فتئوا يبذلون المهج ويسهرون الليالي، ويتشاورون فيما بينهم ويراسلون بعضهم بعضاً في القضايا والمسائل والمباحث والنوازل، طالبين المشورة والرأي والتوجيه، حتى إذا ألفوا أجادوا كل الإجادة، بحسن التعبير وبلاغة العبارات وسلاسة الألفاظ، وتوظيف المصطلحات، وأخرجوا مؤلفاتهم ومصنفاتهم في حلل قشبية، ووطؤوها توطيئاً وسهلوها تسهيلاً، ولهذا سنحصى هذه المؤلفات وفق ترتيب العلوم، ونتعرف على عددها في كل علم من هذه العلوم، سواء من حيث الكثرة أو القلة أو الندرة، حتى نخرج بإحصاء شامل للإنتاج العلمي إبان العصر السلجوقي.

**3-1- مؤلفات العلماء في العلوم النقلية:** هي العلوم المختصة بالمسلمين، وهي مستندة إلى

الشرع، مأخوذة من الكتاب والسنة، وهي بدورها تنقسم إلى قسمين:

-القسم الأول: العلوم الدينية الشرعية وهي تشمل الفقه والحديث والتفسير والقراءات وأصول الدين وعلم الكلام والفرائض والتصوف والرؤيا.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

-القسم الثاني: العلوم اللسانية والاجتماعية، التي تشمل الأدب والشعر والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والتراجم والجغرافيا<sup>1</sup>.

شهدت العلوم النقلية إقبالا كبيرا عليها من طرف العلماء خلال العصر السلجوقي، وعرفت كذلك روجا على نطاق واسع في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، لذا أعطاهما العلماء حصة الأسد من التأليف والتصنيف، وفيما يلي رصد لمؤلفاتهم في العلوم النقلية:

**أ- علم القراءات:** هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، ومبادئه: مقدمات تواترية، وله أيضا استمداد من العلوم العربية، والغرض منه: تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة، وفائدته: صون كلام الله تعالى عن تطريق التحريف والتغيير، وقد يبحث فيه أيضا عن صور نظم الكلام، من حيث الاختلافات الغير متواترة، والواصلة إلى حد الشهرة، ومبادئه: مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم<sup>2</sup>. وقد ألف العلماء في هذا العلم عدد من المؤلفات هي:

- كتاب "الوقوف"، وكتاب "القراءات" للشيخ أبي نصر منصور بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن بشر ابن كامل بن زيد بن سعيد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن معتمد بن هبة الله بن زيد بن محمد بن جرير بن عبد الله البجلي المقرئ المعروف بالعراقي (ت450هـ)<sup>3</sup>.

- كتاب "المنية في القراءات" لأبي نصر أحمد بن محمد بن المؤيد القلاس المقرئ (ت493هـ)<sup>4</sup>.

- كتب: "الخلافات بين شعبة وحفص" - "تجويد الفاتحة والتوحيد" - "إيضاح الخوالق في رسم المصاحف" - "روح المريد في شرح عقد الفريد" - "عقد الفريد في علم التجويد" - "كتاب التسجير على طريق التشجير في علم القراءات" - "المبسوط والمضبوط في القراءات السبع"، لمحمد بن محمود بن محمد علي (ت556هـ/1160م) سبط ناصر الدين أبي القاسم السمرقندي<sup>5</sup>.

---

1- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633هـ -

962هـ/1233م-1554م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة

تلمسان، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م، ص206-207.

2- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، مج2، ص06.

3- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج8، ص424.

4- البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الجزء الأول، مؤسسة التاريخ العربي، ص81.

5- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج2، ص106.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "الشواذ" و"طبقات القراء" لأبي بكر أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباطرقاني (ت460هـ).<sup>1</sup>
- كتاب "المهذب في القراءات" لأبي منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق البغدادي الحنبلي (ت499هـ).<sup>2</sup>
- كتاب "المستتير في القراءات العشر البواهر"، و"المفرد في القراءات" لأحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد أبو منصور البغدادي (ت499هـ).<sup>3</sup>
- كتاب: "الإرشاد في العشر" و"الكفاية الكبرى في القراءات العشر" لأبي محمد بن الحسين بن بندار أبو نصر القلانسي (ت521هـ).<sup>4</sup>
- كتاب "الشمس المنيرة في التسعة الشهيرة" للحسين بن محمد بن عبد الوهاب البكري الدباس أبو عبد الله البغدادي (ت524هـ).<sup>5</sup>
- كتاب "المفتاح في القراءات" و"الموضح في القراءات" لمحمد بن عبد الملك بن الحسين بن خيرون الدباس البغدادي (ت539هـ).<sup>6</sup>
- كتاب "جامع القراءات" لمحمد بن أحمد بن الهيثم أبو بكر الروذباري البلخي.<sup>7</sup>
- كتب: "علل القراءات" - "الإيضاح في الوقف والابتداء" - "الوقف والابتداء" - "الموجز" - "أوقاف القرآن"، لأبي عبد الله محمد بن طيفور الغزنوي (ت560هـ).<sup>8</sup>
- كتاب "الجامع لأبواب وجوه قراءة القرآن" لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت458هـ).<sup>9</sup>
- كتاب "الكامل في القراءات" لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد الهذلي المغربي (ت465هـ).<sup>1</sup>

1- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص41.

2- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص312-313.

3- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج1، ص81.

4- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص313.

5- المرجع نفسه، ص314.

6- ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص457.

4- ابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، غاية النهاية في طبقات القراء، الجزء الثاني، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427هـ/2006م، ص82.

8- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص228.

9- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج5، ص78.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "الوقف والابتداء" لـعلي بن أحمد بن محمد ابن الغزال أبو الحسن النيسابوري (ت 516هـ/1122م)<sup>2</sup>.
- كتب: "أحكام القراءات" - "أسئلة القرآن مع الأجوبة" - "إعجاز القرآن" - "قرائن آيات القرآن" لـعلي بن زيد أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي المعروف بظهير الدين (ت 556هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "المحيط بعلم القرآن" و"المحيط بلغات القرآن" لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد أبو جعفر البيهقي (ت 544هـ/1150م)<sup>4</sup>.
- كتاب "جماع أبواب وجوه قراءة القرآن" لأحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله الخري (ت 458هـ/1067م)<sup>5</sup>.
- كتاب "التذكرة في القراءات الثمان" لأحمد بن محمد بن علي الهروي (ت 489هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "الكفاية في القراءة" للحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء أبو محمد البغوي (ت 516هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "المحيط بلغات القراءات" لأبي جعفر أحمد بن علي المعروف بجعفر (ت 544هـ/1051م)<sup>8</sup>.
- كتب: "المبهبج" - "الكفاية" - "القصيدة المنجدة" - "الروضة" - "إرادة الطالب في علوم القراءات" - "الإيجاز في السبع" - "المؤيدة للسبع" - "الموضحة في العشرة" - "الاختيار" - "التبصرة" لأبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد، سبط الشيخ أبي منصور الخياط (ت 541هـ)<sup>9</sup>.
- كتاب "الذخائر في القراءات" و"المصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر" للمبارك بن حسن بن أحمد بن علي بن فيحان أبو المكارم الشهرزوري (ت 555هـ)<sup>10</sup>.
- كتاب "الحيرة في القراءات العشر" لمبارك بن أحمد بن رزيق الواسطي المعروف بابن الحداد المقرئ (ت 596هـ)<sup>1</sup>.

---

8-الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق الدكتور طيار آلي قولاج، المجلد الثاني، استانبول، 1416هـ-1995م، ص 819.

9-الفالجو محمد، المرجع السابق، ص 296.

3-المرجع نفسه، ص 297.

4-الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 298.

5-البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 1، ص 68.

6-البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 1، ص 81.

7-المصدر نفسه، ج 1، ص 312.

8-حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب، ج 3، ص 1619.

9-الذهبي، معرفة القراء....، المصدر السابق، مج 2، ص 961.

10-البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 2، ص 02.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "الإشارة إلى القراءة المختارة" لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت597هـ)<sup>2</sup>.

- كتاب "البرهان في قراءة القرآن" للإمام الفخر الرازي (ت606هـ)<sup>3</sup>.

**ب- علم التفسير:** هو علم يبحث عن أحوال الكتاب العزيز من جهة نزوله وسنده وآدابه وألفاظه ومعانيه المتعلقة بألفاظه بالأحكام وغير ذلك، وهو علم نفيس<sup>4</sup>.

أسهم العلماء بمؤلفات عديدة في علم التفسير خلال العصر السلجوقي، نذكرها:

- كتاب "الكشاف" لأبي القاسم الزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي (ت538هـ)<sup>5</sup>.

- كتاب "تفسير القرآن" لأبي محمد أحمد عمر بن عبد الله بن محمد الهروي (ت481هـ/1089م)<sup>6</sup>.

- كتاب "التيسير في التفسير" لأبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن لقمان النسفي (ت537هـ)<sup>7</sup>، وكتاب "الأكمل الأطول في التفسير"<sup>8</sup>.

- كتاب "مطلع المعاني ومنبع المباني في تفسير القرآن" لمحمد بن عثمان بن محمد حسام الدين العلياي<sup>9</sup>.

- كتب: "الإكسير في التفسير" - "البرهان في التفسير" - "التفسير الكبير" - "البسملة وشرحها" - "النكت في القرآن" لأبي الحسن علي بن فضال بن علي المجاشعي القيرواني (ت479هـ/1076م)<sup>10</sup>.

- كتب: "التفسير" - "إيجاز البيان في معاني القرآن" - "باهر البرهان في التفسير" - "الأسئلة الرائعة والأجوبة الصاعدة في التفسير" لأبي الحسن محمود بن الحسين النيسابوري الغزنوي (ت550هـ/1155م)<sup>11</sup>.

---

1- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج2، ص02.

2- المصدر نفسه، ج1، ص520.

10- منيرة ناجي سالم، الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري، ط1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1435هـ/2014م، ص276.

4- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، إتمام الرواية لقراء النقاية، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص22.

5- ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص455.

6- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص200.

7- اللكنوي، المصدر السابق، ص149-150.

8- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص201.

9- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج2، ص112.

10- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص230.

11- المرجع نفسه، ص231.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "عين المعاني في تفسير السبع المثاني" - "تفسير غرائب القرآن" لأبي عبد الله محمد بن طيفور الغزنوي (ت 560هـ/1164م)<sup>1</sup>.
- كتب: "تقشير التفسير" - "التكسير في التفسير" - "التقشير في التفسير" لغالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي (ت 599هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "تفسير الغزنوي" ليعقوب بن عثمان الغزنوي، الذي عاش في القرن الخامس الهجري<sup>3</sup>.
- كتاب "تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء" و "تفسير القرآن" لعبد الصمد بن القاضي محمود بن يونس الغزنوي أبو الفتح الفقيه<sup>4</sup>.
- كتاب "النكت والعيون في التفسير" لأبي الحسن الماوردي (ت 450هـ)<sup>5</sup>.
- كتب: "تفسير القرآن الكبير" - "تفسير القرآن الأوسط" - "تفسير القرآن الصغير" لعلي بن عبد الله بن أحمد أبو الحسن النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب الفقيه (ت 458هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "التفسير الكبير" و "لطائف الإشارات في التفسير" لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت 465هـ-1072م)<sup>7</sup>.
- كتب: "التفسير الكبير" - "الوسيط في التفسير" - "الوجيز في التفسير" - "معاني التفسير" - "مسند التفسير" - "مختصر التفسير" - "رسالة في البسملة" - "حاشية على شرح البسملة" - "جامع البيان في تفسير القرآن" - "الحاوي في تفسير القرآن" لعلي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي (ت 468هـ/1076م)<sup>8</sup>.
- كتب: "التهذيب في تفسير القرآن" - "المبسوط في التفسير بالفارسية" - "الموجز في التفسير بالفارسية" للمحسن بن محمد بن كرامة أبو سعد البيهقي (ت 494هـ/1101م)<sup>9</sup>.

1- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 231-232.

2- المرجع نفسه، ص 232.

3- المرجع نفسه، ص 232.

4- البغداداي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 1، ص 574.

5- المصدر نفسه، ج 1، ص 689.

6- المصدر نفسه، ج 1، ص 691.

7- السبكي، المصدر السابق، ج 5، ص 159.

8- الفالوجو محمد، المرجع السابق، ص 303.

9- المرجع نفسه، ص 304.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "إيجاز البيان في معاني القرآن" - "باهر البرهان في مشكلات معاني القرآن" - "درر الكلمات على غرر الآيات الموهمة للتعارض والشبهات" - "غرر الأقاويل في معاني التنزيل" - "فريدة التفاسير ولمعة الأقاويل" لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين (ت 550هـ/1155م)<sup>1</sup>.
- كتاب "روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن بالفارسية" لأبي الفتوح حسين بن علي بن محمد توفي بعد سنة 500هـ<sup>2</sup>.
- كتب: "أحكام القرآن" - "نقل القرآن" - "إيضاح البيان" - "الاختلاف في الذبيحين" لأبي يعلى الفراء (ت 458هـ)<sup>3</sup>.
- كتب: "رسالة منبهة على فوائد القرآن" - "مفردات ألفاظ القرآن" - "جامع التفاسير" - "حل متشابه القرآن" لأبي القاسم الحسين بن محمد بن مفضل الراغب الأصبهاني (ت 502هـ/1108م)<sup>4</sup>.
- كتاب "أحكام القرآن" لعماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي (ت 504هـ).
- كتاب "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب" لفخر الدين محمد الرازي (ت 606هـ). وكتاب "أسرار التنزيل وأنوار التأويل" - "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن الشريف"<sup>5</sup>.
- كتب: "نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" - "نواسخ القرآن" - "زاد المسير في علم التفسير" - "أسباب النزول" - "تذكرة الأديب في تفسير الغريب" - "تنوير الغبش في أحوال الأعيان من الحبش تيسير البيان في تفسير القرآن" - "المغني في تفسير القرآن" - "المصفي بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ" - "عمدة الراسخ في المنسوخ والناسخ" - "فنون الأفنان في علوم القرآن" لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "مسائل مشكلة في آيات من القرآن" وكتاب "الفنون" الذي فيه جزء من التفسير لأبي الوفاء ابن عقيل (ت 513هـ).
- كتاب "تفسير الجويني" و"تفسير إمام الحرمين" لأبي المعالي الجويني (ت 478هـ)<sup>7</sup>.

1- الفاجالو، المرجع السابق، ص 304.

2- المرجع نفسه، ص 305.

3- الفراء أبو يعلى، الأحكام السلطانية، المصدر السابق، ص 15، مزيرن سعيد مزيرن عسيري، المرجع السابق، ص 317.

4- مزيرن سعيد مزيرن عسيري، المرجع نفسه، ص 318.

5- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص 283-284.

6- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 1، ص 522-523.

7- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج 1، ص 443.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "تاج التراجم في تفسير القرآن للأعاجم" لأبي المظفر الاسفرايني (ت 471هـ/1078م)<sup>1</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن" لأبي المظفر السمعاني (ت 489هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "ياقوت التأويل في تفسير القرآن" لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ)<sup>3</sup>. كتاب "جواهر القرآن".
- كتاب "تفسير القرآن" لأبي سعد السمعاني (ت 563هـ)<sup>4</sup>. وكتاب "فضائل سورة ياسين".
- كتب: "التفسير الكبير" - "الإيضاح في التفسير" - "الموضح في التفسير" - "المعتمد في التفسير" - "التفسير باللسان الأصبهاني" - "الترغيب والترهيب" - "إعراب القرآن" - "التذكرة لإسماعيل الطلحي (ت 535هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "القانون" في اللغة والتفسير لأبي عبد الله سليمان بن عبد الله بن محمد النهرواني (ت 493هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن"، "كتاب الأحاد" لأبي محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الواحد الفامي الشيرازي (ت 500هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "الإرشاد" في التفسير لأبي القاسم سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري النيسابوري (ت 511هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم" لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف باسم الفراء البغوي (ت 516هـ)<sup>9</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن" و"الدرائع في علم الشرائع" لأبي طالب محمد بن عبد الملك بن محمد الكرجي (ت 532هـ)<sup>10</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن" لمحمد بن عبد الرحمن بن أحمد البخاري الرغدموني (ت 546هـ/1152م)<sup>11</sup>.

1- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج 1، ص 442.

2- ابن كثير، المصدر السابق، ج 12، ص 154.

3- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 165.

4- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج 1، ص 446.

5- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 260-261.

6- عبد الهادي محبوب، المرجع السابق، ص 172.

7- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 220.

8- المرجع نفسه، ص 221.

9- منيرة ناجي سالم، المرجع السابق، ص 279.

10- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 221.

11- اللكنوي، المصدر السابق، ص 176.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "المناهج والآيات" - "تفسير سورة يوسف" - "مفاتيح الأسرار ومصاييح الأبرار في تفسير القرآن" لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت 548هـ/1153م)<sup>1</sup>.
- كتاب "قيد الأوابد" في التفسير والحديث والفقه واللغة لأبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الأزدي البنجديهي الزاغولي (ت 559هـ/1163م)<sup>2</sup>.
- كتب: "تفسير القرآن" - "مفتاح التنزيل" - "شرح الأسماء الحسنى" لأبي الفضل محمد بن أبي القاسم بن باجوك الخوارزمي البقالي (ت 562هـ/1166م)<sup>3</sup>.
- كتب: "تفسير سورة الإخلاص" - "تفسير سورة الفاتحة" - "تفسير القرآن" للسعيد بن المبارك بن علي بن عبد الله البغدادي المعروف بابن الدهان (ت 569هـ/1173م).
- كتاب "التيان في تفسير القرآن" لفخر الدين محمد المعروف بابن إدريس الحلبي (ت 578هـ/1182م).
- كتاب "التيان في مسائل القرآن" لأبي الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني القزويني (ت 590هـ/1193م).
- كتاب "عرائس البيان في حقائق القرآن" لأبي محمد زوزبهان ابن أبي النصر البقلي الشيرازي الديلي (ت 606هـ/1209م)<sup>4</sup>.
- كتاب "البيان في علم القرآن" لأبي عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني<sup>5</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن" لأبي نصر أحمد بن محمد بن عمر زاهد الدين العتابي (ت 582هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن" لأبي المحسن علي بن الحسن بن علي النيسابوري (ت 484هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "تفسير القرآن" لعلي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي (ت 482هـ)<sup>8</sup>.
- كتب: "تلخيص المتشابه في الرسم" - "الفصل والوصل" - "لهج الصواب في أن التسمية من فاتحة الكتاب" - "الجهر بالبسملة" للخطيب البغدادي (ت 463هـ)<sup>1</sup>.

1-الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 221.

2-المرجع نفسه، ص 224.

3-الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 224.

4-المرجع نفسه، ص 225.

5-الفارسي، المصدر السابق، ص 339.

6-اللكوني، المصدر السابق، ص 36-37.

7-المصدر نفسه، ص 120.

8-المصدر نفسه، ص 124.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "التفسير" - "مفتاح التنزيل" - "البيان والتنبيه على إعجاز القرآن" لمحمد بن أبي القاسم الخوارزمي النحوي المعروف بالبقالي (ت 576هـ).<sup>2</sup>

- كتاب "الأذهان في تفسير القرآن" لأبي عبد الله محمد بن حموية الجويني (ت 530هـ).

- كتاب "تفسير القرآن" لأبي المحاسن مسعود بن علي البيهقي الملقب بفخر الزمان (ت 544هـ).<sup>3</sup>

- كتاب "الكافي الشافي" - "جوامع الجامع" لأبي علي الطبرسي.<sup>4</sup>

**ج- علم الكلام:** هو علم يقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية، بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها<sup>5</sup>، لذا

ألف العلماء في علم الكلام عدة مؤلفات، نذكرها كما يلي:

- كتب "روضة المتكلمين في أصول الدين" - "مختصر روضة المتكلمين" - "روضة اختلاف العلماء" لجمال الدين أحمد بن محمد بن محمود الغزنوي (ت 593هـ/1196م).<sup>6</sup>

- كتاب "المعتمد في أصول الدين" لأبي يعلى الفراء (ت 458هـ).<sup>7</sup>

- كتب: "قواعد العقائد في عقيدة أهل السنة والجماعة" - "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل" -

"بغية المريد في رسائل التوحيد" - "المنتخل في الجدل" - "الاقتصاد في الاعتقاد" - "إلجام العوام عن علم

الكلام" - "الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية" - "المنقذ من الضلال" - "فضائح الباطنية" - "الأربعين في

أصول الدين" - "أسرار علم الدين" - "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" - "فضائح الإباحية" لأبي حامد

الغزالي.

- كتاب "التمهيد لقواعد التوحيد" لأبي الثناء محمود بن زيد اللأمشي الحنفي الماتريدي (عاش في أواخر القرن

الخامس وأوائل القرن السادس الهجري).<sup>8</sup>

- كتب: "الملل والنحل" - "المصارعة" - "نهاية الإقدام" - "رسالة في علم واجب الوجود" لأبي الفتوح محمد

بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت 548هـ/1153م).<sup>1</sup>

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 130.

2- المصدر نفسه، ص 161-162.

3- منيرة ناجي سالم، المرجع السابق، ص 280.

4- المرجع نفسه، ص 283.

5- طاش كبرى زاده، المصدر السابق، مج 2، ص 132.

6- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 279-280.

7- حققه وقدم له الدكتور وديع زيدان حداد، بيروت، دار المشرق، (د.ت.).

8- حققه عبد المجيد تركي، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1995م.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "بحر الكلام" للإمام أبي المعين ميمون بن محمد النسفي (ت508هـ)<sup>2</sup> و"تبصرة الأدلة" - "التمهيد لقواعد التوحيد"<sup>3</sup>.
- كتاب "التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكة" لأبي المظفر الاسفرايني (ت471هـ)<sup>4</sup>.
- كتب: "شعب الإيمان" - "الأسماء والصفات" - "الاعتقاد" - "البعث والنشور" - "القدر" للبيهقي (ت458هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "الإشارة إلى أهل الحق" لأبي إسحاق الشيرازي (ت476هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "الغنية في أصول الدين"<sup>7</sup> و"التمهيد للإبانة" لأبي سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولي النيسابوري (ت478هـ)<sup>8</sup>.
- كتب: "الإشارة" - "الأربعين" - "نهاية العقول والمعالم في أصول الدين" لفخر الدين الرازي (ت604هـ)<sup>9</sup> وكتاب "المحصل أو محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين"<sup>10</sup> و"المطالب العالية في العلم الإلهي"<sup>11</sup>.
- كتاب "العقائد النسفية" لنجم الدين عمر بن محمد النسفي (ت537هـ)<sup>12</sup>.
- كتاب "الهداية والبداية في أصول الدين" لنور الدين الصابوني (ت580هـ)<sup>13</sup>.
- كتاب "بعض فضائح الروافض" لشهاب الدين التواريخي الشافعي (ت555هـ/1160م)<sup>14</sup>.

1- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص281.

2- دراسة وتحقيق محمد السيد البرسيجي، ط1، عمان، دار الفتحة للدراسات والنشر، 1435هـ/2014م.

3- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص473.

3- عرف الكتاب وترجم للمؤلف وخرج أحاديثه وعلق حواشيه العلامة المحدث الكبير صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث.

5- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج2، ص381، عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص434-435.

6- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع نفسه، ص439.

7- عصام الدين الزفتاوي، المرجع السابق، ص439.

8- ابن العماد، المصدر السابق، ج2، ص338.

9- عصام الدين السيد أنس مصطفى الزفتاوي، المرجع السابق، ص452.

10- المرجع نفسه، ص458.

11- المرجع نفسه، ص460.

12- المرجع نفسه، ص473.

13- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

14- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص281.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية" لأبي المعالي الجويني (ت478هـ)<sup>1</sup>.
- كتاب "السلطان المبين في أصول الدين" لأبي بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين ملك العلماء الكاساني (ت587هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "الهداية في أصول الاعتقاد" لأبي حامد محمد بن عبد الرشيد بن الحسن بن الحسين علاء الدين السمرقندي الاسمندي (ت488هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "الرد على الجهمية" لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منددة إبراهيم الحافظ الأصبهاني (ت470هـ)<sup>4</sup>.

- كتاب "قصيدة في الاعتقاد" لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ)<sup>5</sup>.
  - كتاب "السلطان المبين في أصول الدين" لأبي بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين الكساني<sup>6</sup>.
- د- علم الحديث:** هو علم بقوانين أي قواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من صحة وحسن وضعف وعلو ونزول وكيفية التحمل والأداء وصفات الرجال وغير ذلك والسند الإخبار عن طريق المتن من قولهم فلان سند أي معتمد لاعتماد الحفاظ عليه في صحة الحديث وضعفه أو من السند وهو ما ارتفع وعلا عن سفح الجبل لأنَّ المسند يرفعه إلى قائله والمتن ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام من المماننة وهي المباعدة في الغاية لأنه غاية السند<sup>7</sup>.

- لقد صنف العلماء في العصر السلجوقي عددا من المصنفات في علم الحديث:
- كتاب "بحر الأسانيد" لأبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد السمرقندي (ت491هـ)<sup>8</sup>.
  - كتاب "الأربعين في الحديث" لأبي المعالي الجويني (ت478هـ)<sup>9</sup>.

---

1- تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، 1412هـ/1992م.  
2- اللكنوي، المصدر السابق، ص53.  
3- المصدر نفسه، ص176.  
4- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج1، ص517.  
5- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج1، ص522.  
6- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية (تعريفها - تاريخها - أئمتها - علمائها - مصادرها - كتبها)، دمشق، مطبعة الصباح، د.ت، ص391.  
7- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، إتمام الرواية...، المصدر السابق، ص52.  
8- الفارسي، المصدر السابق، ص21-22.  
9- الفارسي، المصدر السابق، ص227.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "بحر الأسانيد في صحاح المسانيد" لأبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندي الكوجميثي<sup>1</sup>.

- كتب: "شرف أصحاب الحديث" - "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" - "الكفاية في معرفة أصول علم الرواية" - "غنية المقتبس في تمييز الملتبس" - "الأسماء المبهمة والأنباء المحكمة" - "رافع الارتباب في المقلوب من الأسماء والألقاب" - "التبيين لأسماء المدلسين" - "تمييز المزيد في متصل الأسانيد" - "من وافق كنيته اسم أبيه" - "من حدث فنسي" - "رواية الآباء عن الأبناء" - "الرحلة" - "الرواة عن مالك" - "التفصيل لمهم المراسيل" - "روايات الصحابة عن التابعين" - "مسند نعيم بن حماد" - "الإجازة للمعدوم والمجهول" - "روايات السنة من التابعين" للخطيب البغدادي (ت 463هـ)<sup>2</sup>.

- كتاب "المفهم في صحيح مسلم" لأبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن محمد بن سعيد الفارسي (ت 529هـ)<sup>3</sup>. وكتاب "معجم الغرائب في غريب الحديث" <sup>4</sup>.

- كتب: "السنن الكبير" - "السنن الصغير" - "معرفة الآثار والسنين" للبيهقي (ت 458هـ)<sup>5</sup>.

- كتاب "الأمالي في الحديث" أبو علي الحسن بن علي الوخشي البلخي (ت 471هـ/1078م)<sup>6</sup>.

- كتاب "المسند في الحديث" و"مسند أبي حنيفة بعنوان: ذكر من روى عنه الإمام أبو حنيفة"، للحسين بن محمد بن خسرو البلخي (ت 520هـ/1126م)<sup>7</sup>.

- كتاب "روضة الشهاب في بيان معاني الألفاظ النبوية" لأحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي (ت 593هـ/1197م)<sup>8</sup>.

- كتب: "أسماء رجال من الضعفاء" - "التذكرة في غرائب الأحاديث المنكرة" - "تراجم الجرح والتعديل للدارقطني" - "موافقات البخاري ومسلم" لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي (ت 507هـ)<sup>9</sup>.

1- النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص 703.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 130.

3- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج 2، ص 1154-1157.

4- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 318.

5- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج 2، ص 381.

6- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 237.

7- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 2، ص 85.

8- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 238.

9- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 229.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "الأجزاء في الحديث" لأبي نصر محمد بن الفضل بن محمود الأصبهاني المشهور بالصباغ (ت 512هـ/1118م)<sup>1</sup>.
- كتب: "مصاييح السنة" - "الجمع بين الصحيحين" - "شرح السنة في الحديث" لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المعروف بالفراء (ت 516هـ/1122م)<sup>2</sup>، وكتاب "الأربعين"<sup>3</sup>.
- كتاب "التجريد" في علم الحديث لأبي الحسن رزين بن معاوية العبدري (ت 520هـ/1126م)<sup>4</sup>.
- كتاب "التحرير في شرح الجامع الكبير للبخاري" لأبي عبد الله محمد بن قوام السنة إسماعيل بن محمد الطلحي البستي الأصبهاني (ت 526هـ/1132م)<sup>5</sup>.
- كتاب "الفائق" في تفسير الحديث للزمخشري (ت 538هـ/1144م)<sup>6</sup>.
- كتاب "الأربعين" في الحديث لأبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي الهمداني (ت 555هـ/1160م)<sup>7</sup>.
- كتب: "أربعين البلدانية" - "سداسيات في الحديث" - "سلفيات من أجزاء الحديث" - "شرط القراءة على الشيوخ" لأبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني (ت 576هـ/1179م)<sup>8</sup>.
- كتب "الترغيب والترهيب" - "سبعيات في الحديث" - "الطوالات في الواهن والموضوع من الحديث" - "مجموع المغيث في علمي القرآن والحديث" لأبي موسى محمد بن عمر بن أحمد المديني الأصبهاني (ت 581هـ/1184م)<sup>9</sup>.
- كتاب "أحاديث أربعين بلدانية" لأبي يعقوب يوسف بن أحمد بن إبراهيم الشيرازي (ت 585هـ/1189م)<sup>10</sup>.

1- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 229.

2- المرجع نفسه، ص 230، ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص 318.

3- ناجي منيرة سالم، المرجع نفسه، ص 320.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، مج 6، ص 87.

6- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 231.

7- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، مج 6، ص 93.

8- المصدر نفسه، مج 5، ص 87.

9- المصدر نفسه، مج 6، ص 100.

10- المصدر نفسه، مج 6، ص 553.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "المستخرج في الحديث" لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة إبراهيم الحافظ الأصبهاني (ت470هـ)<sup>1</sup>.
- كتب: "آفة أصحاب الحديث" - "أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ" - "إعلام العالم بعد رسوخه بحقائق ناسخ الحديث ومنسوخه" - "التحقيق في أحاديث الخلاف" - "جامع المسانيد بالحصى الأسانيد" - "الجمال في أسماء الرجال" - "الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب" - "العلل المتناهية في الأحاديث الواهية" - "علة الحديث المنقول في أبي بكر أم الرسول؟" - "غريب الحديث" - "كشف مشكل حديث الصحيحين" - "مشكل الصحاح" - "منظومة في الحديث" - "منهاج أهل الإصابة في صحة الصحابة" - "الموضوعات في الأحاديث المرفوعات" - "نفس النقل في الحديث" لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت597هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "الأربعين في الحديث" لأبي القاسم القشيري (ت465هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "الأربعين" و "الفوائد العشرة" لأبي عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد رئيس أصفهان (ت489هـ/1096م)<sup>4</sup>.
- كتب: "الطولات" - "ذيل معرفة الصحابة" - "حفظ علوم الحديث للحاكم" لأبي موسى محمد بن عمر بن أحمد بن أبي عيسى المديني الأصبهاني (ت581هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "النجاح في شرح أخبار كتب الصحاح" لنجم الدين عمر النسفي (ت537هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "مئة حديث عن مئة شيخ" لأبي سعد إسماعيل بن أحمد المؤذن النيسابوري (ت532هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "رمح الأرواح" لأبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني (ت534هـ).
- كتاب "قيد الأوابد" لأبي عبد الله محمد بن الحسين البنجدية الزاغولي (ت559هـ).
- كتاب "الأربعين" المنتخبة من جامع أبي عيسى الترمذي، أبو الفضل الليث ابن أحمد المقرئ البغوي (ت548هـ).
- كتاب "الأربعين" لأبي سعيد محمد بن يحيى النيسابوري (ت549هـ)<sup>1</sup>.

1- المصدر نفسه، ج2، ص517.

2- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج1، ص520-523.

3- حاجي خليفة، المصدر السابق، ج1، ص58.

4- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص265.

5- المرجع نفسه، ص266-267.

6- النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص24.

7- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص319.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "أجزاء في الحديث" لأبي القاسم زاهر بن طاهر الشحامي النيسابوري (ت533هـ)<sup>2</sup>.

**هـ- علم الفقه:** هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المتعلقة بأفعال العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الأسرية، وجناياتهم، والعلاقات بين المسلمين بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم في السلم والحرب، وغير ذلك، والحكم على تلك الأفعال بأنها واجبة أو محرمة أو مندوبة أو مكروهة، أو مباحة، أو صحيحة أو فاسدة أو غير ذلك. بناء على الأدلة التفصيلية الواردة في الكتاب والسنة وسائر الأدلة المعتمدة<sup>3</sup>.

لقد شهد علم الفقه في العصر السلجوقي ازدهاراً كبيراً، نظر لكثرة المؤلفات التي ألفها العلماء في المذاهب السنية؛ الشافعي والحنفي والحنبلي، فكان أنصع القرون للحركة الفقهية، وامتاز بالتأليف الموسوعي والفقه المقارن، وبرز فيه أئمة وعلماء وفقهاء ومصنفون في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وترك لنا علماء ومصنفاتهم الضخمة، واثروهم الفقهية الواسعة، وأضحى هذا العصر بحق عصر الموسوعات عامة، والموسوعات الفقهية وعلم الخلاف والفقه المقارن خاصة<sup>4</sup>، وسنقوم بإحصاء هذه المؤلفات كما يلي:

- كتاب "المبسوط" للشمس الأئمة محمد بن أحمد بن أبي سهل، أبي بكر، السرخسي (ت483هـ/1090م) الفقيه الحنفي، الأصولي، القاضي، والمبسوط كتاب في الفقه على المذهب الحنفي، بسط فيه الأحكام والأدلة والمناقشة، مع بقية المذاهب، وخاصة المذهب المالكي والشافعي، وقد يذكر مذهب الإمام أحمد والمذهب الظاهري، والكتاب شرح لكتاب الكافي للحاكم الشهيد محمد بن محمد المروزي (ت334هـ) إمام الحنفية في وقته، الذي جمع فيه كتب ظاهر الرواية للإمام محمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ) عن الإمام أبي حنيفة (ت150هـ)، والمبسوط مطبوع بالقاهرة سنة 1324هـ في ثلاثين جزءاً<sup>5</sup>. وكتب: "شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن" - "شرح مختصر الطحاوي" - "شرح الجامع الكبير للإمام محمد" - "شرح كتاب الكسب لمحمد بن الحسن"<sup>6</sup>.

- كتاب "النافع في فقه أبي حنيفة" لأبي القاسم محمد بن يوسف بن أبي محمد السمرقندي<sup>7</sup>.

1- المرجع نفسه، ص320.

2- المرجع نفسه، ص321.

3- الأشقر عمر سليمان، الواضح في أصول الفقه، ط4، عمان، دار النفائس، 1992م، ص10-11.

1- الزحيلي محمد، الفقه المقارن وضوابطه وارتباطه بتطور العلوم الفقهية خلال القرن الخامس الهجري (التأليف الموسوعي والفقه المقارن)، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية - التأليف الموسوعي والفقه المقارن -، الإشراف العلمي د. عبد الرحمن السلمي وآخرون، مراجعة وتنسيق د. مصطفى بن صالح باجو والحاج سليمان بن إبراهيم بابيز، ط3، مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1433هـ/2012م، ص21.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص390.

7- النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص704.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "شرح مختصر الطحاوي" للقاضي أبي نصر أحمد بن منصور الاسييجاني (ت480هـ)<sup>1</sup>.
- كتاب "شرح تحفة الفقهاء" لأبي بكر بن مسعود بن أحمد علاء الدين ملك العلماء الكاساني (ت587هـ)<sup>2</sup>. وله أيضا كتاب "بدائع الصنائع في ترتيب الصنائع".
- كتب: "شرح الزيادات" - "شرح الجامع الصغير" - "شرح أدب القضاء للخصاف" لحسن بن منصور بن محمود فخر الدين قضيه خان الأوزجندی (ت592هـ)<sup>3</sup>.
- كتب: "الخلاصة أو خلاصة الفتاوى" - "خزانة الوقعات" - "النصاب" لطاهر بن أحمد بن عبد الرشيد بن الحسين افتخار الدين البخاري (ت542هـ)<sup>4</sup>.
- كتاب "المشارع في الفقه" لأبي علي عالي بن إبراهيم بن إسماعيل ناصر الدين الغزنوي (ت581هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "الإيضاح أو التجريد في الفقه" - "شرح الجامع الكبير" لأبي الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أميروه بن محمد الكرمانی (ت543هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "الفتاوى الولوالجية" لأبي الفتح ظهير الدين عبد الرشيد بن أبي حنيفة بن عبد الرزاق الولوالجي (ت540هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "المبسوط" - "النوادر" لعبد العزيز بن أحمد بن نصر بن صالح شمس الأئمة الحلواني البخاري (ت448هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "الفصول في الفتاوى" لعبد العزيز بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر محمد بن الفضل بن جعفر بن رجاء القاضي النسفي (ت533هـ)<sup>9</sup>.
- كتاب "طبقات الحنفية والشافعية" لعبد الملك بن إبراهيم الهمداني<sup>10</sup>.

1- اللكنوي، المصدر السابق، ص42.

2- المصدر نفسه، ص53.

3- المصدر نفسه، ص64-65.

4- المصدر نفسه، ص84.

5- اللكنوي، المصدر السابق، ص85.

6- المصدر نفسه، ص91.

7- المصدر نفسه، ص94.

8- المصدر نفسه، ص95.

9- المصدر نفسه، ص98.

10- المصدر نفسه، ص112.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "النتف في الفتاوى" و"شرح الجامع الكبير" لركن الإسلام أبو الحسين السغدري (ت461هـ).<sup>1</sup>
- كتاب "شرح مختصر الطحاوي" و"المبسوط" لعللي بن محمد بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بشيخ الإسلام السمرقندي (ت535هـ).<sup>2</sup>
- كتب: "المبسوط" - "شرح الجامع الكبير" - "شرح الجامع الصغير" لعللي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي (ت482هـ).<sup>3</sup>
- كتب: "المنتقى" - "نشر المذهب" - "التجنيس" - "المزبد" - "مناسك الحج" - "مختارات النوازل" - "كتاب في الفرائض" لعللي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت593هـ).<sup>4</sup>
- كتاب "شرح الجامع الصغير" لعمر بن عبد الكريم بدر الدين الورسكي البخاري (ت594هـ).<sup>5</sup>
- كتاب "المنظومة في الفقه" - "كتاب المواقيت" لنجم الدين عمر النسفي (ت537هـ).<sup>6</sup>
- كتاب "شرعة الإسلام" لمحمد بن أبي بكر المعروف بإمام زاده الجوغلي (ت573هـ).<sup>7</sup>
- كتب: "الفتاوى وجمع التفاريق" - "الترغيب في العلم" - "أذكار الصلاة" - "آفات الكذب" لمحمد بن أبي القاسم الخوارزمي النحوي المعروف بالبقالي (ت562هـ).<sup>8</sup>
- كتاب "مختصر تقويم الأدلة للدبوسي" لمحمد بن الحسين بن محمد فخر الدين المعروف بفخر القضاة أبو بكر الأرسابندي (ت511هـ).<sup>9</sup>
- كتاب "العون في الفقه" لمحمود بن عبيد الله بن صاعد بن محمد شيخ الإسلام علاء الدين الحارثي المروزي (ت606هـ).<sup>10</sup>
- كتاب "المختصر المسعودي" لمسعود بن الحسين بن الحسن بن محمد بن إبراهيم الكشتاني (ت520هـ).<sup>1</sup>

1- المصدر نفسه، ص121.

2- المصدر نفسه، ص124.

3- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

4- المصدر نفسه، ص141-142.

5- اللكنوي، المصدر السابق، ص149.

6- المصدر نفسه، ص150.

7- المصدر نفسه، ص161.

8- المصدر نفسه، ص162.

9- المصدر نفسه، ص164.

10- المصدر نفسه، ص209.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "المختصر المبارك في الفقه" و"الملقط في الفتاوي" و"خلاصة المفتي" و"كتاب الأخصاف" و"مصابيح السبل" لأبي القاسم ناصر الدين بن يوسف الشهيد الحسيني السمرقندي (ت656هـ)<sup>2</sup>.
- كتب: "الاعتصام" - "الاعتصار" - "الأسولة" لأبي حفص عمر بن محمد بن علي ابن أبي نصر الفقيه السرخسي الشيرازي (ت529هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "المبسوط" و"الهادي إلى مذاهب العلماء" لأبي عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عباد العبّادي الهروي (ت458هـ)<sup>4</sup>.
- كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب" لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبي المعالي، الملقب بضياء الدين وركن الدين، والمعروف بإمام الحرمين (ت478هـ/1085م) الفقيه الشافعي الأصولي المتكلم، وهذا الكتاب أهم كتاب في الفقه على المذهب الشافعي والفقه المقارن، ومن أبرز مصنفات إمام الحرمين وأشهرها وأوسعها، ويتضمن جميع الأبواب الفقهية، وهو شرح لمختصر المزني (ت264هـ) لكنه شرح موسع على منهج الفقهاء بأن يعرض الحكم مع دليله، ثم يقارن مع سائر الآراء في المذهب، ثم يقارن مع أقوال المذاهب الأخرى، ويستدل لهم، ثم يناقش أدلتهم، ويرد على أقوالهم بأسلوب جدلي، معتمدا على مبادئ أصول الفقه، لتخريج الفروع على الأصول، وربطها بها، حتى أطلق العلماء على هذا الكتاب "المذهب الكبير"<sup>5</sup>. وله كتاب "مغيث الخلق في ترجيح القول الحق"<sup>6</sup>.
- كتب: "التبصرة" - "التذكرة" - "الفروق الفقهية" - "السلسلة" لأبي محمد الجويني والد إمام الحرمين (ت438هـ/1047م)<sup>7</sup>.
- كتاب "الحاوي الكبير" و"الإقناع" لأبي الحسن الماوردي (ت450هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "البرهان" لمنصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت489هـ)<sup>9</sup>.

1- المصدر نفسه، ص213.

2- المصدر نفسه، ص220.

9- السمعاني، المنتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج2، ص1187، السمعاني، التحرير في المعجم الكبير، المصدر السابق، ج1، ص535-536.

4- السمعاني، الأنساب، المصدر السابق، ج8، ص336-337.

5- الزحيلي محمد، المرجع السابق، ص23.

6- المطبعة المصرية محمد عبد اللطيف، الطبعة الأولى، 1353هـ/1934م.

7- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص427.

8- المرجع نفسه، ص428.

9- المرجع نفسه، ص264، الزحيلي محمد، الفقه...، المرجع السابق، ص24.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "التقريب" - "الإرشاد" - "المجرد" - "الكافي" لأبي الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي (ت 447هـ)<sup>1</sup>.  
الرازي (ت 447هـ)<sup>1</sup>.

- كتاب "شرح مختصر المزني" لأبي الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري (ت 450هـ)<sup>2</sup>.  
- كتاب "المهذب في فقه الإمام الشافعي" لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الفيروزآبادي الشيرازي (ت 476هـ)، تناول فيه نصوص المذهب الشافعي في المسائل الفقهية، وأمّهات الأحكام الشرعية، وذكر الأحكام، ثم بين الاستدلال عليها من القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، بأسلوب سهل، وعبرة أدبية محكمة، بعيداً عن التعقيد والألغاز، واستقصى الفروع بأدلتها، واعتنى به فقهاء الشافعية بكثرة، فكان مقرراً للتدريس في عصره وبعده، وظهرت عليه الشروح الكثيرة ما بين مطول ومختصر<sup>3</sup>، وله كتاب "التنبيه" في الفقه، وكتاب "النكت" أيضاً<sup>4</sup>.

- كتب: "حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء" - "المعتمد" - "الشافعي" - "الفتاوى" - "العمدة في فروع الشافعية" - "تلخيص القول في مسألة تتعلق بالطلاق" لأبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي (ت 507هـ)<sup>5</sup>.

- كتب: "الفتاوى الكبرى" - "الفتاوى الصغرى" - "شرح أدب القاضي للخصاف" - "شرح الجامع الصغير" - "الواقعات" - "المنتقى" - "عمدة المفتي والمستفتي" لعمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، أبو محمد، المعروف بالصدر الشهيد (ت 536هـ)<sup>6</sup>.

- كتاب "تحفة الفقهاء" و"اللباب" أبي منصور محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي (ت 540هـ)<sup>7</sup>.  
- كتاب "الإفصاح عن معاني الصحاح" لأبي المظفر الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة الحنبلي (ت 560هـ/1165م): وهو كتاب في شرح صحيح البخاري ومسلم، لكن خصص المؤلف رحمه الله تعالى جزأين منه لأحكام الفقه على ترتيب أبواب الفقه، وبحسب المذاهب الأربعة، وهو من أدق كتب الفقه المقارن في نقل الأقوال الصحيحة الراجحة المعتمدة على المذاهب، وبيّن كل مسألة باختصار، فعرض الأقوال المتفق عليها

1- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص 427-428.

2- المرجع نفسه، ص 429.

3- الزحيلي محمد، الفقه...، المرجع السابق، ص 30-31.

4- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص 430.

5- المرجع نفسه، ص 430-431.

6- المرجع نفسه، ص 390.

7- المرجع نفسه، ص 391.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

بين الأئمة الأربعة المشهورين، ثم بيّن الأقوال المختلف فيها بينهم، ويحدد رأي كل مذهب فيها<sup>1</sup>، وله أيضا كتاب "إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم"<sup>2</sup>.

- كتاب "المحيط البرهاني في الفقه النعماني، فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه" البرهان الدين أبي المعالي محمود بن أحمد بن عبد العزيز ابن مازة البخاري الحنفي (ت 616هـ)<sup>3</sup>.

- كتب: "التعليق الكبير في المسائل الخلافية بين الأئمة" - "شرح مختصر الخرقى" - "المجرد في المذهب" - "كتاب الروايتين والوجهين" لأبي يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد (ت 458هـ)<sup>4</sup>.

- كتاب "الانتصار في المسائل الكبار" للفقيه محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوزاني البغدادي الأزجي (ت 510هـ)<sup>5</sup>.

- كتاب "المستوعب" لمحمد بن عبد الله بن الحسين السامري البغدادي المعروف بابن سنيّة (ت 616هـ)<sup>6</sup>.  
- كتاب "التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل" لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي (ت 513هـ)<sup>7</sup>، وله كتب "الفصول في الفقه الحنبلي أو كفاية المفتي" و"الإشارة في اختصار الروايتين والوجهين" و"رؤوس المسائل في الفقه" و"المنثور في الفقه"<sup>8</sup>.

- كتب "مذهب في المذهب أي فروع الحنابلة" - "مسيوك الذهب في المذهب" - "المنفعة في المذاهب الأربعة" لعبد الرحمن ابن الجوزي (ت 597هـ)<sup>9</sup>.

- كتاب "إحياء علوم الدين" و"الوجيز في فقه الإمام الشافعي" لأبي حامد الغزالي (ت 505هـ).  
- كتاب "الفقيه والمتفقه" و"كتاب القنوت" و"كتاب النهي عن صوم يوم الشك" للخطيب البغدادي (ت 463هـ)<sup>10</sup>.

1- الزحيلي محمد، الفقه...، المرجع السابق، ص 17.

2- دراسة وتحقيق محمد حسين الأزهرى، مجلدان، ط 1، دار العلاء للنشر والتوزيع، 1430هـ/2009م.

3- تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، ط 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م.

4- الزحيلي محمد، الفقه...، المرجع السابق، ص 24. التركي عبد الله بن عبد المحسن، المرجع السابق، ج 1، ص 437-434.

5- التركي عبد الله بن عبد المحسن، المرجع نفسه، ج 1، ص 442-443.

6- التركي عبد الله بن عبد المحسن، المرجع السابق، ج 1، ص 446.

7- تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، ط 1، الرياض، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، 1422هـ/2001م.

8- ابن عقيل، المصدر السابق، ص 12-13.

9- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 1، ص 522-523.

10- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 130.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية على مذهب ألفاظ كتب الحنفية" - "مشارع الشارع في فروع الحنفية" - "منهاج الدراية في فروع الحنفية" لنجم الدين عمر النسفي<sup>1</sup>.
- كتاب "المحيط في شرح الوسيط" لمحمد بن يحيى النيسابوري (ت548هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "التهذيب في الفروع" للحسين بن مسعود البغوي (ت516هـ).
- كتاب "شرح الجامع الكبير" في الفروع لأبي بكر الأرسابندي<sup>3</sup>.
- كتاب "التعليقة على كتاب الحاوي للماوردي" لأبي سعيد عثمان بن علي ابن شراف العجلي المرسقي (ت526هـ)<sup>4</sup>.
- كتاب "الفتاوي" لأبي نصر محمد بن عبد الله الأرميني النيسابوري الشافعي (ت528هـ).
- كتاب "المستدرك في فروع الشافعية" لأبي سعد إسماعيل بن عبد الواحد البوشنجي (ت536هـ).
- كتاب "الفروق في فروع الحنفية" لأبي المظفر أسعد بن محمد الكرايسي النيسابوري (ت539هـ).
- كتاب "الطهارة" لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن علي ابن عطاء المروزي (ت536هـ).
- كتاب "المفيد والمزيد" للشمس الأئمة عبد الغفار بن لقمان الكردي الحنفي (ت562هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "الإنصاف في مسائل الخلاف" لأبي سعيد محمد بن يحيى النيسابوري (ت549هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "أجوبة مسائل في الفقه والتصوف" لأبي منصور محمد بن أسعد بن محمد العطاري الطوسي (ت573هـ).
- كتاب "الهادي في الفروع" لقطب الدين أبي المعالي مسعود بن محمد النيسابوري (ت578هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "شرح الوجيز للغزالي في الفقه" لفخر الدين الرازي (ت606هـ)<sup>8</sup>. وكذلك كتاب "البراهين البهائية"<sup>9</sup>.

1- النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص23-24.

2- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص329.

3- المرجع نفسه، ص330.

4- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص330.

5- المرجع نفسه، ص331.

6- المرجع نفسه، ص332.

7- المرجع نفسه، ص333.

8- المرجع نفسه، ص334.

9- المرجع نفسه، ص336.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

و- علم أصول الفقه: يعرف الغزالي علم أصول الفقه قائلاً: "فافهم أنّ أصول الفقه عبارة عن: أدلة هذه الأحكام، وعن معرفة وجوه دلائلها على الأحكام، من حيث الجملة، لا من حيث التفصيل"<sup>1</sup>، وقد ألف العلماء في هذا العلم المهم، نذكرها كما يلي:

- كتاب "الفصول في معرفة الأصول" لأبي الحسين علي بن فضال بن علي بن غالب بن جابر بن عمرو بن الحسن المجاشعي<sup>2</sup>.

- "كتاب في أصول الفقه" لأحمد بن محمد بن محمود بن سعد الغزنوي<sup>3</sup>.

- كتاب "كفاية الفحول في الأصول" لعبد العزيز بن عثمان بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر محمد بن الفضل بن جعفر بن رجاء القاضي النسفي (ت533هـ)<sup>4</sup>.

- "كتاب كبير في أصول الفقه" لعلي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي (ت482هـ)<sup>5</sup>.

- كتاب "بذل النظر في أصول الفقه" لأبي حامد محمد بن عبد الرشيد بن الحسن بن الحسين علاء الدين السمرقندي الاسمندي (ت552هـ)<sup>6</sup>.

- كتاب "القواطع" في أصول الفقه لأبي المظفر السمعاني (ت489هـ)<sup>7</sup>.

- كتاب "العدة في أصول الفقه" للقاضي أبي يعلى الفراء (ت458هـ)<sup>8</sup>.

- كتاب "التبصرة في أصول الفقه" لأبي إسحاق الشيرازي (ت476هـ)<sup>9</sup>.

- كتاب "البرهان في أصول الفقه" لأبي المعالي الجويني (ت478هـ)<sup>10</sup>.

- كتاب "أصول الفقه على الطريقة الحنفية" للشمس الأئمة السرخسي (ت483هـ)<sup>11</sup>.

1- المستصفى...، المصدر السابق، ج1، ص90.

2- الفارسي، المصدر السابق، ص313.

3- اللكنوي، المصدر السابق، ص40.

4- اللكنوي، المصدر السابق، ص98.

5- المصدر نفسه، ص124.

6- المصدر نفسه، ص176.

7- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص37.

8- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص613.

9- المرجع نفسه، ص614.

10- المرجع نفسه، ص615.

11- المرجع نفسه، ص616.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "المستصفى في علم الأصول" - "شفاء الغليل" - "المنحول من تعليقات الأصول" للغزالي (ت505هـ)<sup>1</sup>.
- كتاب "الوصول إلى الأصول" لأبي الفتح شرف الدين أحمد بن علي المعروف بابن برهان البغدادى (ت518هـ/1124م)<sup>2</sup>.
- كتاب "المحصل في علم أصول الفقه" للفخر الدين الرازي (ت606هـ/1210م)<sup>3</sup>، وكتاب "المعالم في أصول الفقه" - "منتخب المحصول في أصول الفقه"<sup>4</sup>.
- كتاب "الواضح في أصول الفقه" لأبي الوفاء ابن عقيل (ت513هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "شرح الأصول" لنجم الدين النسفي<sup>6</sup>.
- كتاب "كنز الوصول في أصول الفقه" لأبي الحسن البزدوي (ت482هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "ميزان الأصول في نتائج العقول" لأبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي (ت539هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "الأصول في الفقه" للفخر الدين أبي بكر الأرسابندي المروزي (ت512هـ)<sup>9</sup>.
- كتاب "التفريح في أصول الفقه" - "التوابع والتوامع في الأصول" لأبي المحاسن مسعود بن علي البيهقي (ت554هـ)<sup>10</sup>.

**ن- علوم اللغة العربية:** انصرفت هم العلماء للتأليف في علوم اللغة العربية، التي تأتي بعد العلوم الدينية، إذ هي ضرورية لفهم واستيعاب أمور الدين واستنباط الأحكام التشريعية وتأصيلها وتقعيدها، ومرد ذلك للصلة الوثيقة بين العلوم اللغوية وعلمي القرآن والحديث، وتسمى كذلك علوم اللسان العربي وهي:

1- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية، المرجع السابق، ص617-618.

2- المرجع نفسه، ص619.

3- المرجع نفسه، ص620.

4- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص334-335.

5- ابن عقيل، المصدر السابق، ص12.

6- النسفي نجم الدين، المصدر السابق، ص23.

7- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص264.

8- المرجع نفسه، ص265.

9- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص330.

10- المرجع نفسه، ص333.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- 1- اللغة<sup>1</sup>. - النحو<sup>2</sup>. - البيان<sup>3</sup>. - الأدب<sup>4</sup>. لذا إن "... معرفتها ضرورية على أهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة..."<sup>5</sup>، فاتضح جليا عناية العلماء بعلوم اللسان العربي واهتمامهم بها، فهي سبيل النبوغ والتفوق للطلبة، ودافع لهم لمواصلة الدراسة وتولي المناصب خاصة الخطابة، فقد أكدوا على هذا المعطى، ولا ننسى بأن التأليف والتصنيف لا يحسنهما إلا من كان ضليعا في اللغة وعلومها. وعليه سنتعرف على ما ألفه العلماء في علوم اللغة العربية كما يلي:
- كتاب "الإعراب في النحو" لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت468هـ)<sup>6</sup>.
- كتب: "إكسير الذهب في صناعة الأدب" - "الإشارة إلى تحسين العبارة" - "شرح عيون الإعراب" - "المقدمة في النحو" - "كتاب العروض" - "شرح معاني الحروف" لأبي الحسين المجاشعي<sup>7</sup>.
- كتاب "عروق الذهب من أشعار العرب" - "قلائد الشرف في المدائح النظامية" لأبي عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني<sup>8</sup>.
- كتب: "الفائق في اللغة" - "أساس البلاغة في اللغة" - "المفصل في النحو" - "الأنموذج" - "المفرد" - "شرح أبيات سيبويه" - "شقائق النعمان" لجار الله الزمخشري (ت538هـ)<sup>9</sup>.

- 7- وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات، وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات، بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهراً، وهيئاتها الجزئية على وجه جزئي وعن معانيها الموضوع لها بالوضع الشخصي، وموضوعه: جواهر المفردات وهيئاتها، من حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية، وغايته: الاحتراز عن الأخطاء في فهم المعاني الوضعية والوقوف على ما يفهم من كلام العرب، ومنفعته: الإحاطة بهذه المعلومات وطلاقة العبارة وجزالتها والتمكن من التفتن في الكلام، وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة للأقوال البليغة، ينظر: طاش كبرى زاده، المصدر السابق، مج1، ص100-101.
- 2- علم باحث عن أحوال المركبات الموضوعية وضعاً نوعياً لنوع من المعاني التركيبية النسبية من حيث دلالتها عليها، ينظر: المصدر نفسه، مج1، ص138.
- 2 نفسه، مج1، ص138.
- 3- وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة، ينظر: المصدر نفسه، مج1، ص186.
- 10- هذا العلم لا موضوع له، ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة، من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجابة ومسائل من النحو واللغة، مبنوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقري منها الناظر في الغلب معظم قوانين العربية، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص545.
- 5- المصدر نفسه، ص537-538.
- 6- الفارسي، المصدر السابق، ص299.
- 7- الفارسي، المصدر السابق، ص313.
- 8- المصدر نفسه، ص339.
- 9- اللكنوي، المصدر السابق، ص209.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "المبتدأ" لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد ابن السراج المقرئ (ت500هـ)<sup>1</sup>.
- كتاب "روضة الأدباء" لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد الحراني (ت560هـ)<sup>2</sup>.
- كتب "مجمع البحرين في اللغة" - "العباب الزاخر واللباب الفاخر" - "التكملة والذيل والصلة في اللغة" - "الشوارد في اللغات" - "كتاب الأضداد" - "أسماء الأسد" - "أسماء الذئب" - "النوادر في اللغة" لأبي الفضائل رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن ابن حيدر بن علي ابن إسماعيل العدوي الصاغاني (ت650هـ)<sup>3</sup>، وله أيضا "كتاب في التصريف"، و"كتاب فعال على وزن حذام" و"كتاب فعالان على على وزن شنان" و"كتاب الانفعال" و"كتاب يفعل" و"كتاب التراكيب"<sup>4</sup>.
- كتاب "شرح ألفاظ عبد الرحمن الهمذاني" لأبي القاسم مهدي بن أحمد الخوافي (ت450هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "البلغة المترجمة في اللغة" - "جونة الند" لأبي يوسف يعقوب بن أحمد بن محمد بن أحمد (ت474هـ)<sup>6</sup>.
- كتب: "خلق الإنسان على حروف المعجم" - "مختصر العين" - "رجم العفريت" لأبي منصور عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي (ت480هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "المصادر" وهو معجم للمصادر في العربية مع شروح بالفارسية، وكتاب "ترجمان القرآن" وهو معجم عربي وفارسي للقرآن، لأبي عبد الله الحسين بن علي بن أحمد الزوزني (ت486هـ)<sup>8</sup>.
- كتب: "مجمع الأمثال" - "السامي في الأسامي في اللغة" - "المصادر في اللغة" - "غريب اللغة" - "مأوى الغريب ومرعى الأديب" - "منية الراضي في رسائل القاضي"<sup>9</sup> - "الأنموذج في النحو" - "النحو الميداني" - "شرح المفضليات" - "نزهة الطرف في علم الصرف" - "الهادي للشادي في النحو" لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت518هـ)<sup>10</sup>.

1- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج17، ص103.

2- المصدر نفسه، ج18، ص165.

3- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص284-285.

4- المرجع نفسه، ص288.

5- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص339.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

7- المرجع نفسه، ص340.

8- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص340.

9- المرجع نفسه، ص341، ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص348.

10- ناجي منيرة سالم، المرجع نفسه، ص362-363.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "مختصر العين" لأبي الحسن علي بن القاسم السنجاني الخراساني<sup>1</sup>.
- كتاب "ضالة الأديب في الجمع بين الصحاح والتهذيب" لمحمود بن أبي المعالي تاج الدين الحواري اللغوي<sup>2</sup>.
- كتب: "شرح الحماسة" - "التذكرة" - "أعلاق الملوين وأخلاق الأخوين" - "نفثة المصدور" لأبي المحاسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس الصوافي البيهقي (ت 544هـ)<sup>3</sup>.
- كتب: "الأسما في الأسما في اللغة" - "غرائب اللغة" - "نحو الفقهاء" لسعيد بن أحمد بن محمد بن أحمد أبو سعد ابن أبي الفضل المتقدم الميداني النيسابوري (ت 539هـ)<sup>4</sup>.
- كتاب "تاج المصادر في اللغة" و"ينابيع اللغة" لأبي جعفر أحمد بن علي بن محمد البيهقي المعروف ببوجعفر (ت 544هـ)<sup>5</sup>.
- كتب: "سمط الثريا في معاني الغرائب للحديث" - "نقض الاصطلام" - "كتاب في اللغة" لأبي القاسم شمس الأئمة إسماعيل بن الحسن بن علي الغازي البيهقي.
- كتاب "الهداية" - "كتاب الغيبة" لأبي سعيد محمد بن إبراهيم بن أحمد البيهقي<sup>6</sup>.
- كتب: "معارج نهج البلاغة" - "ملح البلاغة" - "البلاغة الخفية" - "كتاب العروض" - "شرح مشكلات المقامات الحزبية" - "مجامع الأمثال وبدائع الأقوال" - "غرر الأمثال" - "ذخائر الحكم" - "أسرار الحكم" لعلي بن زيد ابن أبي القاسم أبو الحسن البيهقي المعروف بابن فندق (ت 565هـ)<sup>7</sup>.
- "كتاب في النحو" - "كتاب في التصريف مجدول" لمحمد بن أحمد المعموري البيهقي (ت 485هـ)<sup>8</sup>.
- كتب: "الأنموذج في النحو" - "نزهة الطرف في علم الصرف" - "كتاب النحو الميداني" - "كتاب شرح المفضليات" - "كتاب بناء الجمع والحروف" - "كتاب تفضيل النشأتين" - "رسائل نحوية صغيرة" لأبي الفضل الميداني النيسابوري (ت 518هـ)<sup>9</sup>.

1- ناجي منيرة سالم، المرجع نفسه، ص 349.

2- المرجع نفسه، ص 350.

3- المرجع نفسه، ص 350-351.

4- الفاجالو، المرجع السابق، ص 341.

5- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 341-342.

6- المرجع نفسه، ص 342.

7- المرجع نفسه، ص 342-343.

8- المرجع نفسه، ص 348.

9- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "زينة الكتاب" - "مقامات أبي نصر مشكان" - "أدب الإنشاء" لأبي الفضل محمد بن الحسين البيهقي الكاتب (ت 470هـ)<sup>1</sup>.
- كتاب "تاج الرسائل" - "درة التاج" لأبي إبراهيم أسعد بن مسعود بن علي بن محمد بن الحسن العتيبي (ت 494هـ)<sup>2</sup>.
- كتب: "التعليقات والفوائد" - "غالبه السكاري" - "طبقات فضلاء باخرز" - "رسالة الطرد" لأبي الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخريزي (ت 468هـ)<sup>3</sup>.
- كتب: "التذکر" - "أعلاق الملوك وأخلاق الأخوين" - "نفثة المصنوع" لأبي المحاسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس الصواني البيهقي (ت 544هـ)<sup>4</sup>.
- كتب: "تحفة السادة" - "التحرير في التذكير" - "درر السحاب ودرر السحاب في الرسائل" - "طرائق الوسائل إلى حقائق الرسائل" - "ديوان الرسائل" - "كتاب الرسائل بالفارسي" - "أسرار الاعتذار" - "الانتصار من الأسرار" لابن فندق البيهقي (ت 565هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "الرسالة السعيدية في المآخذ الكندية" - "الغرة في شرح اللمع" لابن الدهان النحوي سعيد بن المبارك (ت 569هـ)<sup>6</sup>. وله أيضا: "شرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي" - "الدروس" - "الفصول" - "الرياضة في النكت النحوية" - "المختصر في القوافي" - "النكت والإشارات على السنة الحيوانات" - "ديوان الشعر" - "الرسائل" - "زهر الرياض"<sup>7</sup>.
- كتاب "المعرب" - "التكملة فيما يلحن فيه العامة" لمهوب بن أحمد الجواليقي (ت 539هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "ما اتفق لفظه واختلف مسماه في الأماكن والبلدان المشتبهة في الخط" لمحمد بن موسى الحازمي (ت 584هـ).
- كتاب "درة الغواص في أوهام الخواص" لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت 516هـ).

1- المرجع نفسه، ص 352.

2- المرجع نفسه، ص 353.

3- المرجع نفسه، ص 353-354.

4- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 359.

5- المرجع نفسه، ص 360.

6- مرزبان سعيد مرزبان عسيري، المرجع السابق، ص 356-357.

7- المرجع نفسه، ص 367.

8- المرجع نفسه، ص 360.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "القانون في اللغة" لسلمان بن عبد الله النهرواني (ت493هـ).
- كتاب "تحقيق البيان في اللغة والحكم" - "أفانين البلاغة" للراغب الأصفهاني<sup>1</sup>.
- كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري (ت637هـ)<sup>2</sup>.
- كتب: "أسرار الصنعة في النحو" - "شرح الحماسة" - "شرح ديوان المتنبي" - "الكافي في علم العروض والقوافي" لأبي زكرياء يحيى بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني ابن الخطيب التبريزي (ت502هـ)<sup>3</sup>.
- كتب: "ما اتفق لفظه واتفق معناه" - "شرح اللمع لابن جني" - "شرح التصريف الملوكي" لأبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد المعروف بابن الشجري البغدادى (ت542هـ)<sup>4</sup>.
- كتب: "المرتجل في شرح الجمل للجرجاني" - "شرح اللمع لابن جني" - "الرد على التبريزي في تهذيب الاصلاح" - "شرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو" - "الرد على الحريري في مقاماته" - "أسئلة في البلاغة" - "غريب اللغة" لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب البغدادى (ت567هـ)<sup>5</sup>.
- كتب: "الحاوي في النحو" - "العمدة في النحو" - "المنتخب في النحو" - "المقتصد في التصريف" - "التذكرة السفرية" - "المسائل العشر المتبعات إلى الحشر" - "المقامات" - "المخاطبات والمعاتبات والمكاتبات مع العماد الأصفهاني" لأبي نزار الحسن بن صافي البغدادى (ت568هـ)<sup>6</sup>.
- كتب: "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" - "أسرار العربية في النحو" - "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" - "لمع الأدلة في أصول النحو" - "الإغراب في جدل الإعراب" - "البيان في غريب إعراب القرآن" لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري الملقب كمال الدين النحوي (ت577هـ).
- كتب: "البديع في النحو" - "الباهر في الفروق في النحو" - "تهذيب فصول ابن الدهان للمبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير الجزري (ت606هـ)<sup>1</sup>.

1- المرجع نفسه، ص361.

2- المرجع نفسه، ص362.

3- المرجع نفسه، ص363.

4- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص364.

5- المرجع نفسه، ص365.

6- المرجع نفسه، ص366.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "إعراب القرآن" - "شرح الإيضاح" - "إعراب الحديث" - "شرح اللمع لابن جني" - "الباب في علل النحو" - "شرح المفصل للزمخشري" - "إعراب شعر الحماسة" - "شرح ديوان المتنبي" "عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء العكبري البغدادي النحوي الضير (ت616هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "فن اللغة" لقطران بن منصور التبريزي (ت465هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "المفتاح في النحو" لحميد الدين أبي بكر بن عمر بن محمود البلخي (ت553هـ)<sup>4</sup>.
- كتب: "لباب التصريف" - "معاني الحروف" - "الهداية في النحو" - "مؤنس الإنسان ومذهب الأحرار" "عبد الجليل بن فيروز بن الحسين الغزنوي<sup>5</sup>.
- كتاب "دستور اللغة المستعملة المعتمدة الماثورة" لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم النظري الأصفهاني الملقب بذي اللسانين (ت499هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "المحيط في اللغة" لعبد الملك بن علي المؤذن الهروي (ت489هـ)<sup>7</sup>.
- "لامية العجم" لأبي إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي بن محمد الطغرائي (ت515هـ)<sup>8</sup>.
- كتب: "تقويم اللسان في سياق درة الغواص" - "المدح في المحاضرات" - "الوجوه والنظائر في اللغة" لابن الجوزي (ت597هـ)<sup>9</sup>.
- كتاب "الإشعار بالمختار من الأشعار" لنجم الدين النسفي (ت537هـ).
- كتاب "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" لفخر الدين الرازي (ت606هـ)<sup>10</sup>.

**ح- التأليف في اللغة الفارسية:** كانت اللغة العربية قبل عهد السلاجقة اللغة الرسمية في دواوين الدولة الإسلامية حيث كانت تصدر بها المراسيم والتوقيعات من قبل خلفاء وسلطان المسلمين. وفي بداية العهد

1- المرجع نفسه، ص368.

2- المرجع نفسه، ص369.

3- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص249.

4- المرجع نفسه، ص251.

5- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص252.

6- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص278.

7- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص173.

8- الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص245.

9- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، مج1، ص523.

10- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص367.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

السلجوقي وجلوس ألب أرسلان على عرش السلطنة أصدر أوامره أن تكون الكتابة في جميع الدواوين باللغة الفارسية ومن ثم قطعت اللغة الفارسية درجة عالية من الازدهار والكمال. وقد راجت اللغة الفارسية في عهد السلاجقة لسببين هما:

-اتخاذ السلاجقة بعض المدن الإيرانية عواصم لهم مما أدى ذلك إلى انتشار الأدب الفارسي عامة والشعر الفارسي خاصة في بيئة لغتها الأصلية الفارسية.

-إصرار سلاطين السلاجقة أن تكون اللغة الفارسية لغة البلاد الرسمية ولغة الكتابة.

وقد أدى رواج اللغة الفارسية إلى رواج الأدب الفارسي رواجاً ملحوظاً وأتاح ذلك إلى ظهور من لديه الاستعداد والموهبة في المجال الأدبي. إضافة إلى أنَّ اللغة الفارسية المستخدمة كانت لغة بسيطة وسهلة الفهم والتداول مما جعل الأدب الفارسي ينتشر انتشاراً كبيراً، كذلك كان للصراع المذهبي دور في ذيوع الكتب العلمية الفارسية. كما امتزجت اللغة الفارسية بكثير من المفردات والمركبات العربية نتيجة لتدريس اللغة العربية والأدب العربي في المدارس، إضافة إلى اطلاع الأدباء الدائم على تركيبات ومفردات اللغة العربية للاستفادة منها، ولم تقتصر الاستفادة من اللغة العربية على هذا الحد، بل امتدت الاستفادة من قواعدها النحوية والصرفية كاستخدام الجمع السالم وجمع التكسير ووضع علامة التأنيث في آخر كثير من الصفات على خلاف اللغة الفارسية. وأدى ذلك إلى وجود لهجة فارسية جديدة كانت ملحوظة في الدراسات الأدبية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري<sup>1</sup>.

لذا سنذكر المؤلفات باللغة الفارسية في اللغة والأدب إبان العصر السلجوقي:

-كتاب "مناقب الشعراء" وهو عبارة عن تراجم شعراء الفرس، لأبي طاهر الخاتوني (ت500هـ)<sup>2</sup>.

- "رباعيات الخيام" لأبي الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري (ت515هـ)<sup>3</sup>.

- "مصباح الأرواح وأسرار الأشباح" في الثنويات الفارسية لأبي حامد أوحده الدين الكرمانلي (ت534هـ)<sup>4</sup>.

- "ديوان سفر" بالفارسي لشهاب الدين أحمد بن عبد الله الترمذي (ت546هـ)<sup>5</sup>.

- "شهریار نامه أو کتاب الملک" - "شهریار بن برزو بن سهراب" لسراج الدين عثمان بن محمد بن مختاري الغزنوي (ت554هـ)<sup>1</sup>.

1-الوزنة يحي حمزة، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص242.

2-المرجع نفسه، ص244.

3-المرجع نفسه، ص245.

4-المرجع نفسه، ص248.

5-المرجع نفسه، ص250.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- "خمسة نظامي أو الكنوز الخمسة" لأبي محمد إلياس ابن المؤيد النظامي المعروف بالنظامي الكنجوي (ت 599هـ).<sup>2</sup>

- "مقامات حميدي" باللغة الفارسية لحמיד الدين البلخي (ت 599هـ).<sup>3</sup>

- كتب: "حدائق السحر في دقائق الشعر" - "تحفة الصديق من كلام أبي بكر الصديق" - "فصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب" - "أنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان" - "مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب" - "عرائس الخواطر ونفائس النوادر" - "عمدة البلغاء وعمدة الفصحاء" - "غرر الأقوال ودرر الأمثال" - "جواهر القلائد وزواهر الفرائد" - "عقود الآلى وسعود الليالي" - "غرائب الكلم" - "الكلمة الناصحة والحكم الصالحة" - "مفاتيح الحكم ومصايح الظلم" لأبي بكر محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك البلخي المعروف برشيد الدين الوطواط (ت 573هـ).<sup>4</sup>

- "منظومة قوس نامة" لقطران بن منصور التبريزي (ت 465هـ).<sup>5</sup>

- "روشنائي نامة" - "سعادت نامة" - "كشايش نامة" - "رهايش نامة" لناصر خسرو القبادياني البلخي (ت 481هـ).<sup>6</sup>

- "عشق نامة" - "كار نامه بلخ" - "عقل نامة" لأبي المجد مجد الدين مجدود بن آدم بن سنائي الغزنوي (ت 545هـ).<sup>7</sup>

- كتاب "جهار مقاله" لنجم الدين أحمد بن علي السمرقندي (ت 560هـ).<sup>8</sup>

- كتاب "سندباد نامه" لبهاء الدين محمد بن علي بن محمد بن الحسن الظهيري الكاتب (ت 556هـ).<sup>9</sup>

- قصيدة "توبة از كناهان" للشمس الدين محمد ابن علي السوزني الملقب بتاج الشعراء (ت 569هـ).<sup>10</sup>

1- المرجع نفسه، ص 251.

2- المرجع نفسه، ص 256.

3- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 178.

4- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 256.

5- المرجع نفسه، ص 261.

6- المرجع نفسه، ص 261-262.

7- المرجع نفسه، ص 263-264.

8- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 294.

9- المرجع نفسه، ص 302-303.

10- المرجع نفسه، ص 316.

## الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

**هـ- السيرة النبوية:** اعتنى العلماء في العصر السلجوقي بعلم السيرة النبوية الشريفة اعتناء كبيراً، ويعرف هذا العلم بعلم السير أو علم المغازي، وقد خصص العلماء كتباً للسير ليضم سير النبي صلى الله عليه وسلم وطرقه في مغازيه وسير أصحابه رضي الله عنهم، وما نقل عنه عليه السلام في ذلك. وفي الأصل تختص السير بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي، ثم ألحق بها سيرة الصحابة في ذلك.

صنف كثير من العلماء السيرة النبوية مع علم التاريخ، لأنها تمثل جزءاً من التاريخ العربي والإسلامي والعالمي، وتضم أخبار غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ حياته وتطور الدولة الإسلامية من البعثة إلى الهجرة، ثم إقامة الدولة الإسلامية وما وقع بينها وبين المشركين، وصلتها مع القبائل العربية ثم مع الدول الأخرى، ولكن السيرة النبوية استقلت عن التاريخ وأفردت بعلم خاص لأهميتها الفريدة<sup>1</sup>.

وقد ألف العلماء عدة مؤلفات في السيرة النبوية الشريفة، نذكرها فيما يلي:

- كتاب "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة" لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت458هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "الوفا بأحوال المصطفى" لابن الجوزي (ت597هـ)<sup>3</sup>، وله كتاب "شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم" وكتاب "الدر الثمين من خصائص النبي الأمين"<sup>4</sup>.

**ي- علم التاريخ:** اهتم العلماء في العصر السلجوقي اهتماماً بالغاً بعلم التاريخ والتراجم، فقد أدركوا بأن الفكر التاريخي يعد أحد أسس ومرتكزات الحضارة العربية الإسلامية، وأنه يسير وفق قوانين وسنن أشار لها القرآن الكريم في محطات كثيرة، مبيناً للمسلمين أن التاريخ ليس مجرد ماضٍ وانتهى. بل هو لكل الأمم الحية جزء من النهر الكبير الذي تتدافع شطآنه، فيكاد الماضي ينسكب في الحاضر، ويكاد الحاضر يذوب بين معبري الماضي والمستقبل. كما أكد العلماء على أن التاريخ هو ذاكرة الأمة ومستودع تجاربها ومعارفها، وهو عقلها الظاهر والباطن، وخزانة قيمها وآثارها، وأساس شخصيتها في القدم والممتدة مع الزمن.

لقد كان العلماء في مقدمة المسلمين الذين هرعوا إلى أحداث تاريخهم، يحفظونها في السطور بعدما حفظوها في الصدور. وقد دعتهم إلى ذلك دوافع كثيرة جعلت من تاريخهم التطبيق العملي للإسلام على مر العصور. ووعي

1- الزحيلي محمد، المرجع السابق، ص642.

2- الزحيلي محمد، المرجع السابق، ص658.

3- المرجع نفسه، ص661.

4- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، مج1، ص521-522.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

المسلمين بهذا التاريخ ورجوعهم إلى تدوين وقائعه وأحداثه، واستلهم العبر منه لا يقل أهمية عن رجوعهم إلى أصول الدين قرآناً وسنة<sup>1</sup>.

التاريخ لغة يعني التعريف بالوقت، واصطلاحاً علم يبحث في وقائع الماضي وأوقاتها<sup>2</sup>، وقد عرفه ابن خلدون بقوله: "...اعلم أنَّ فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر تثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأنَّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل..."<sup>3</sup>.

وجد العديد من فنون الكتابة التاريخية في العصر السلجوقي منها:

**-المصنفات التاريخية الحولية:** بما أنَّ التاريخ يعني الوقت والزمان، لذا فإنَّ المؤرخ الذي عاش في رحاب الدولة الإسلامية كان شديد الحرص على التمسك بالتاريخ ومنه قام بترتيب وتنسيق مواده التاريخية بحسب سنوات حدوثها، وهذا ما أطلق عليه اسم الحوليات (السنوات والأعوام)، تلك الحوليات التي تألفت من سنوات عديدة اختلفت في طولها أو قصرها بحسب المدة التي ابتدأ المؤرخ التأريخ منها وبحسب تاريخ وفاته الذي معه توقف نشاطه التأريخي. وجمعت أحداث السنة سواء أكانت سياسية، أم اقتصادية، أو اجتماعية ضمن نطاق واحد تحت عنوان "وفيها"، وكان يتم الانتقال من سنة إلى سنة أخرى بعبارة "ثم دخلت سنة كذا" أو "جاءت سنة كذا"، حصر فيها المؤرخ معلومات متفرقة كانت تطول أو تقصر بحسب رغبة المؤرخ الذي كان سيد الموقف فقد كانت أحداث بعض السنوات تطول لتعرض على عشرات الصفحات، وأخرى قصيرة لا تتعدى بضعة أسطر<sup>4</sup>، وقد بلغت المصنفات التاريخية الحوليات مكانة عالية في عصر الدراسة، حيث انتشرت على نسق واسع، ولعل أهم هذه المصنفات:

-كتاب "الاستظهار في معرفة الدول والأخبار" لأبي القاسم علي بن محمد بن أحمد المعروف بابن السمناني (ت499هـ)<sup>5</sup>.

1- بن خيرة نجيب، المرجع السابق، ص492.

2- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص329.

3- المصدر السابق، ص19.

1- نسيه محمد، الجهود التاريخية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1432هـ/2011، ص58.

5- المرجع نفسه، ص60.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" - "شذور العقود في تاريخ العهود" - "تلقيح فهوم الأثر في التاريخ والسير" - "درة الإكليل في التاريخ" لابن الجوزي (ت 597هـ).
- كتاب "مرآة الزمان في تواريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ).
- كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت 630هـ).
- كتاب "جامع التواريخ" لأبي بكر البيهقي (ت 458هـ).<sup>1</sup>
- كتاب "ذيل تجارب الأمم" للوزير أبي شجاع الروذراوي (ت 488هـ).<sup>2</sup>
- كتاب "ذيل على ذيل تجارب الأمم لأبي شجاع الروذراوي" لـ محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الفقيه الشافعي (ت 521هـ).<sup>3</sup>

- كتاب "التاريخ" لأبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي (ت 494هـ).<sup>4</sup>
- كتاب "زينة الزمان في التاريخ" لمحمود بن مسعود البلخي (ت 548هـ).<sup>5</sup>
- كتاب "التاريخ" لمحمد بن أحمد بن معروف البخاري (ت 456هـ).<sup>6</sup>
- كتاب "تكملة تاريخ الطبري" - "المعارف المتأخرة في التاريخ" لأبي الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الفرضي الهمداني (ت 521هـ).<sup>7</sup>
- كتاب "التاريخ المجاهدي" لأبي حفص وجيه الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي (ت 532هـ).

**-المصنفات التاريخية المحلية:** لون من ألوان الكتابة التاريخية أفرزته التطورات التي ألت بالمجتمع الإسلامي تلك التطورات الناتجة عن الأحداث السياسية التي عاشتها الخلافة العباسية والمتمثلة بضعف الارتباط بمركز الخلافة في بغداد والارتباط بمراكز جديدة قويت على حساب بغداد وأدت إلى ظهور نوع من النزعة

---

1- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 194.  
 2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 22.  
 3- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 195.  
 4- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 385.  
 5- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 195.  
 6- ذهبية أبو بكر عاشور قري، المرجع السابق، ص 248.  
 7- الوزنة يحي عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 271.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

الإقليمية وبروز أسر حاكمة<sup>1</sup>. كما اهتمت المصنفات التاريخية المحلية بتاريخ البلدان وتاريخ المدن، ومن هذه المؤلفات نذكر:

- كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي (ت 463هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "ذيل تاريخ بغداد للخطيب" لأبي البركات هبة الله بن المبارك بن موسى بن علي السقطي الرحال (ت 509هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "ذيل تاريخ بغداد للخطيب" لأبي سعد عبد الكريم السمعاني (ت 562هـ). وله كتاب "تاريخ مرو".
- كتاب "مناقب بغداد" - "فضائل المدينة" لابن الجوزي (ت 597هـ).
- كتاب "تاريخ أبيورد" لمحمد الأبيوردي (ت 507هـ)<sup>4</sup>.
- كتاب "تاريخ مرو" لأبي محمد عبد الجبار بن عبد الجبار بن محمد بن ثابت بن أحمد الخرقى الثاني (ت 553هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "سياق التاريخ لنيسابور" لعبد الغافر الفارسي (ت 529هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "تواريخ هراة" لأبي روح بن عيسى الهروي (ت 544هـ).
- كتاب "تاريخ بيهق" لعلي بن أبي صالح الخواري البيهقي (ت 526هـ).
- كتاب "تاريخ بيهق" لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي (ت 565هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "تاريخ إستراباذ" لأبي حفص عمر بن أحمد بن محمد بن شبيب الديزكي السمرقندي (ت 511هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "منتخب القند في تاريخ سمرقند" لأبي الفضل محمد ابن عبد الجليل بن عبد الملك بن علي بن حيدر السمرقندي المؤرخ<sup>1</sup>.

---

1- نسييه محمد، المرجع السابق، ص 61.

2- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 130.

3- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص 428.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 17، ص 135.

5- السمعاني، منتخب من معجم الشيوخ، المصدر السابق، مج 2، ص 1032.

6- المصدر نفسه، مج 2، ص 1154.

7- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 195.

8- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 332.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "تاريخ أصفهان" لأبي زكرياء يحيى بن عبد الوهاب بن محمد إسحاق بن منده العبدى الأصفهاني (ت 511هـ).<sup>2</sup>
- كتاب "صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور" في التاريخ السلجوقي، للوزير أنوشروان بن خالد بن محمد الفيني القاشاني الأصفهاني (ت 532هـ).<sup>3</sup>
- كتاب "تاريخ بلخ" لأبي القاسم ناصر الدين محمد بن يوسف بن علي السمرقندي البلخي (ت 556هـ).<sup>4</sup>
- كتاب "تاريخ بلخ" لأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن داود المستملي البلخي.<sup>5</sup>
- كتاب "المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور" لإبراهيم بن محمد بن الأزهر الصيريفيني.
- كتاب "تاريخ هراة" لأبي الحسن الهمذاني (ت 521هـ).<sup>6</sup>
- كتاب "تاريخ هراة" لأبي نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان المعدل الهروي (ت 546هـ).<sup>7</sup>
- كتاب "تاريخ دولة آل سلجوق" - "نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية ووزرائها" لعماد الدين الأصفهاني (ت 597هـ).
- كتاب "دمية القصر وعصرة أهل العصر" لأبي الحسن الباخري.<sup>8</sup>
- كتاب "تاريخ طبرستان" لبهاء الدين محمد بن حسن بن أسفنديار.<sup>9</sup>
- كتاب "تاريخ بخارى" لنجم الدين النسفي (ت 537هـ).
- كتاب "تاريخ بغداد" - "تاريخ واسط" لأبي عبد الله جمال الدين محمد بن سعيد بن الحجاج الواسطي المعروف بابن الديبشي (ت 637هـ).<sup>10</sup>

---

1- المرجع نفسه، ص 333.

2- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 288.

3- المرجع نفسه، ص 288.

4- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص 274.

5- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص 379.

6- الوزنة يحيى عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 271.

7- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص 380.

8- الفارسي، المصدر السابق، ص 298.

9- الوزنة يحيى عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 275.

10- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص 441.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "تاريخ كرمان" - "بدائع الأزمان في وقائع كرمان" - "المضاف إلى بدائع الأزمان في وقائع كرمان" لأبي حامد أفضل الدين أحمد بن حامد الكرمانى<sup>1</sup>.

- كتاب "راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية" لمحمد بن علي بن سليمان الرواندي (ت 607هـ).

- كتاب "زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية" لأبي الحسن صدر الدين علي بن ناصر الحسيني.  
- كتاب "الإنباء في تاريخ الخلفاء" لجمال الدين محمد بن علي بن محمد العمراني (ت 560هـ)<sup>2</sup>.

- **مصنفات التراجم والسير:** تشغل السير والتراجم مكانا مرموقا في مدونات التاريخ، فإذا كان التاريخ هو البحث وراء الحقيقة وتمحيصها وجلاء غموضها في أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية، فإن السيرة هي البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ والكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عايشها والأحداث التي واجهها في محيطه والأثر الذي خلفه في جيله<sup>3</sup>، أما التراجم فهي كل ما يدل على الكتابة عن كل كل من اشتهر بالعلم والمعرفة، أي أنها لون من ألوان الكتابة التاريخية يتناول التعريف بحياة المشهورين في ميادين مختلفة سواء كانت علمية أو سياسية أو دينية أو في أي ميدان آخر، بكلمات تطول أو تقصر، تتعمق أو تبقى بسيطة تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة المؤرخ ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة ودقيقة عن مجموعة المعارف والمعلومات التي تمكن من جمعها عن الشخص المراد الترجمة له. أما إذا طالت الترجمة وتخصصت في شخصية محورية دون غيرها يتم تناولها من كافة جوانبها الشخصية والخلقية والثقافية وأشياء أخرى تتعلق بحياة هذه الشخصية، أطلق على هذه الترجمة اسم السيرة<sup>4</sup>.

خصص العلماء للتراجم والسير حيزا معتبرا من المؤلفات، نوجزها كما يلي:

- كتب: "القند في ذكر علماء سمرقند" - "تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار" - "تعداد الشيوخ لعمر مستطرف على الحروف مستطر" - "معجم شيوخ النسفي" لنجم الدين النسفي (ت 537هـ).

- كتب: "الأنساب" - "المنتخب من معجم الشيوخ" - "التحجير في معجم الشيوخ" لأبي سعد السمعاني (ت 562هـ).

1- الوزنة يحي عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 276.

2- المرجع نفسه، ص 273.

3- النجار حسين فوزي، التاريخ والسير، ص 14، نقلا عن نسيبه محمد، المرجع السابق، ص 65-66.

4- نسيبه محمد، المرجع السابق، ص 66.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "أخبار الأخيار" - "أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ" - "أخبار البرامكة" - "أعمار الأعيان في التاريخ والتراجم" - "الجمال في أسماء الرجال" - "الذهب المسبوك في سير الملوك" - "الذيل على طبقات الحنابلة" - "صفوة الصفوة مختصر حلية الأولياء" - "الفاخر في أيام الإمام الناصر" - "كتاب الأذكياء" - "كتاب الحمقى والمغفلين" - "كتاب الضعفاء والمتروكين" - "لباب في قصص الأنبياء" - "المختار من أخبار الأخيار" - "المصباح المضيء لدعوة الإمام المستضيء" - "مناقب الإمام أحمد بن حنبل" - "مناقب الثوري" - "مناقب الحسين" - "مناقب الشافعي" - "مناقب الصديق" - "مناقب علي بن أبي طالب" - "مناقب معروف الكرخي" - "منهاج أهل الإصابة في صحبة الصحابة" لعبد الرحمن ابن الجوزي (ت 597هـ)<sup>1</sup>. وله أيضا كتاب "أخبار النساء"، وكتاب "مختصر الحلية الأولياء في تراجم الحكماء والأطباء والمتكلمين والصوفية"<sup>2</sup>

- كتاب "طبقات الحنفية والشافعية" لعبد الملك بن إبراهيم الحمداني<sup>3</sup>.  
- كتاب "طبقات الفقهاء" لأبي إسحاق الشيرازي (ت 476هـ)<sup>4</sup>.  
- كتاب "المختلف والمؤتلف في أنساب العرب" لمحمد الأبيوردي (ت 507هـ)<sup>5</sup>. وله أيضا كتاب "قبسة العجلان في نسب آل سفيان" و"المجتبى عن المجتبى في تراجم علماء الحديث" و"طبقات العلماء في كل فن"<sup>6</sup>.

- كتاب "طبقات الحنابلة" لأبي يعلى الفراء (ت 458هـ).  
- كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة" - "اللباب في تهذيب الأنساب" - "التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية" لابن الأثير (ت 630هـ).  
- كتاب "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ).  
- كتاب "أخبار العلماء" لأبي نصر محمد بن محمد المروزي (ت 529هـ)<sup>7</sup>.  
- كتاب "تاريخ القضاة والحكام" للقاضي أبي العباس أحمد بن بختيار الواسطي (ت 554هـ)<sup>1</sup>.

1- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 1، ص 521-523.

2- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص 429.

3- اللكنوي، المصدر السابق، ص 112.

4- ابن الجوزي، المنتظم...، المصدر السابق، ج 16، ص 229.

5- المصدر نفسه، ج 17، ص 135.

6- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص 382.

7- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 195.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "طبقات الشافعية" لأبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي (ت563هـ)<sup>2</sup>.
- كتاب "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" لعبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي (ت577هـ).
- كتاب "مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار" للحسين بن نصر بن أحمد المعروف بابن خميس الموصلي (ت552هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "المختار في مناقب الأبرار" للمبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني (ت606هـ)<sup>4</sup>.
- كتاب "سيرة الوزير ابن هبيرة" لعبيد الله بن علي البغدادي المعروف بابن المارستانية (ت599هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "تاريخ حكماء الإسلام" لأبي الحسن بن فندق (ت565هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "تاريخ الحكماء" لأبي الفتح الشهرستاني (ت548هـ).

**ك- علم الجغرافيا والرحلات:** الجغرافيا كلمة يونانية مركبة من "جيه" أي الأرض، و"غرافيا" أي ارسم، فعربها المسلمون بمعنى علم تقوم البلدان، وهي علم يبحث في أحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى أقاليم وجبال وأنهار، ومعرفة المعتدل من الأقاليم والمنحرف، واختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك في أبدان البشر وأخلاقهم<sup>7</sup>.

أما الرحلات فقد كانت ديدن العلماء في كل العصور، يرحلون لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج أو كسفراء أو للتجارة أو للجهاد، فالرحلات لها دور هام قبل الفتوحات الإسلامية، ودارت الأيام ليعود دورها من جديد فيصبح تالياً للفتوحات الإسلامية، إذ تطلب التوسع توالي إرسال الرسل وموظفي الإدارة والعلماء والفقهاء ومسؤولي الشؤون المالية وعمال البريد والخراج، لذلك كان لابد من أن يواصل رجال الرحلة مهمتهم التاريخية والجغرافية المهمة، فعملوا على اكتشاف البلدان الجديدة بمدنها وقراها، وما يتبعها من عمران، وما يقتضي ذلك من معرفة المسالك المفضية إلى المدن والأقاليم، وكانت تلك الرحلات هي أساس علم الجغرافية العربية<sup>8</sup>.

لقد طرق العلماء باب التأليف في علم الجغرافيا، كما صنفوا في فن الرحلات، كما يلي:

- 
- 1- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص429.
  - 2- المرجع نفسه، ص431.
  - 3- المرجع نفسه، ص432.
  - 4- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص433.
  - 5- المرجع نفسه، ص434.
  - 6- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص382.
  - 7- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص336.
  - 8- فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1423هـ/2002م، ص34-35.
-

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب" لأبي نصر علي بن مأكولا (ت480هـ)<sup>1</sup>.

- كتاب "تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" للرحالة أبي حامد محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع المازني القيسي الأندلسي الغرناطي (ت565هـ) الذي يعد من كبار الجغرافيين ومن علماء تخطيط البلدان، رحل إلى المشرق ودخل بلاد ما وراء النهر وجمع كل ما رآه في أسفار من عجائب البلدان، وقد ذكر في كتابه صفة الدنيا وسكانها وصفة عجائب البلدان، وغرائب البنيان والبحار وعجائب حيواناتها، وجمع فيه ما رآه في أسفار من العجائب<sup>2</sup>.

- كتب: "الإسفار عن حكم الأسفار" - "معجم البلدان" - "فضائل الشام" - "نزوع إلى الأوطان" لأبي سعد السمعاني (ت562هـ)<sup>3</sup>. وله كتاب "فرط الغرام إلى ساكني الشام" و"لفظة المشتاق إلى ساكني العراق".  
- كتب: "القانون المسعودي" - "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن" - "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" للبيروني (ت440هـ)<sup>4</sup>. وله كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" و"كتاب تسطيح الكرة"<sup>5</sup>.

- كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت626هـ).

- كتاب "سفرنامه" - "زاد المسافرين" لأبي المعين ناصر خسرو القبادياني البلخي (ت481هـ)<sup>6</sup>.

- كتاب "تحفة العجائب وطرفة الغرائب" لابن الأثير (ت630هـ)<sup>7</sup>.

- كتاب "منازل الأرض ذات الطول والعرض" لأبي الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي الموصللي (ت612هـ)<sup>8</sup>.

**ل- علم التصوف:** وعرفه ابن خلدون بقوله: "علم التصوف هو رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب، مراقبا خفاياها حريصا بذلك على

1- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص340.

2- المرجع نفسه، ص343.

3- المرجع نفسه، ص344-345.

4- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص196.

5- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص277.

6- المرجع نفسه، ص278.

7- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص448.

8- المرجع نفسه، ص451-452.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- النجاة"<sup>1</sup>، لقد انصرفت همم العلماء للتصنيف في علم التصوف في العصر السلجوقي، حيث تركوا لنا مجموعة معتبرة من المؤلفات الصوفية، نذكرها كما يلي: - كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي (ت505هـ).
- كتب: "الباب الإحياء" - "الذخيرة في علم البصيرة" - "كتاب سوانح بالفارسية" لأبي الفتح أحمد الغزالي (ت520هـ).<sup>2</sup>
- كتاب "زبدة الحقائق" - "البحث عن معنى البعث" لعبد الله بن محمد الميانجي (ت525هـ).
- كتب: "كشف الأسرار على لسان الأخيار" - "بيان القلب" - "بث الأسرار" لأبي الفتح محمد بن الفضل الاسفرايني (ت538هـ).
- كتاب "الغنية لطالبي طريق الحق" - "الفتح الرباني والفيض الرحماني" لعبد القادر الجيلي (ت561هـ).
- كتاب "آداب المريدين" لأبي النجيب عبد القاهر السهروردي (ت563هـ).<sup>3</sup>
- كتاب "النور البادي من كلام العبادي" لأبي المعالي الكتي سعد بن علي (ت568هـ).
- كتاب "جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علوم الصوفية" لعيسى بن عبد القادر الجيلي (ت573هـ).
- كتاب "أصول الفصول" لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي (ت577هـ).
- كتاب "درر الجواهر من كلام الشيخ عبد القادر" لابن الجوزي (ت597هـ).
- كتب: "عوارف المعارف" - "مغاني المعاني" - "أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى" - "كشف الفضائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية" - "حلية الفقير الصادق في التصوف" - "رسالة السير والطير" - "جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب" - "زاد المسافر وأدب الحاضر" لشهاب الدين السهروردي (ت632هـ).<sup>4</sup>
- كتاب "ذم الكلام" - "منازل السائرين" لأبي إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (ت481هـ).
- كتاب "الرسالة القشيرية في التصوف" لأبي القاسم القشيري (ت465هـ).
- كتب: "أنس المستأنسين" - "أنيس التأنيس" - "سراج السائرين" - "كتاب الاعتقادات" - "التذكيرات" - "مفتاح النجاة" لأحمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن جرير الخراساني (ت536هـ).<sup>5</sup>
- كتاب "منازل السالكين" - "زينة الحياة" لأبي يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسن الهمداني (ت535هـ).

1- شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مطيع حافظ، 1996م، ص79.

2- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص245-246.

3- المرجع نفسه، ص246.

4- التل عمر سليم عبد القادر، المرجع السابق، ص247-248.

5- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص171.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "فرق متصوفة" لأبي حفص عمر النسفي (ت537هـ).

- كتاب "شرعة الإسلام إلى دار السلام" لمحمد بن أبي بكر السمرقندي المعروف بإمام زاده (ت573هـ)<sup>1</sup>.

**ل- علم السياسة الشرعية:** ساهم العلماء في الفترة المدروسة بإثراء علم السياسة الشرعية بمؤلفات هامة هي:

- كتب: "الأحكام السلطانية" - "قوانين الوزارة وسياسة الملك" - "نصيحة الملوك" - "تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك" - "درر في سياسة الملوك" - "أدب القاضي" - "الرتبة في طلب الحسبة" لأبي الحسن الماوردي (ت450هـ).

- كتاب "الأحكام السلطانية" - "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لأبي يعلى الفراء (ت450هـ).

- كتاب "الغيائي غياث الأمم في التياث الظلم" لأبي المعالي الجويني (ت478هـ).

- كتاب "سير الملوك أو سياست نامه" للوزير نظام الملك الطوسي (ت485هـ).

- كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ).

**3-3- العلوم العقلية:** تضافرت عدة عوامل في العصر السلجوقي لتأخذ بيد العلوم العقلية إلى طريق

الضعف، ومن هذه العوامل، الاهتمام بالوضع السياسي والاجتماعي، وما كان يلقاه علماء الدين من تأييد، وما كانوا عليه من قوة ونفوذ، وتعصب الفقهاء والعلماء والسلاطين والوزراء بل والخلفاء، وذوي الجاه بشدة لعقائدهم المذهبية.

ومن المعروف أنَّ العلوم العقلية، وعلى رأسها الفلسفة قد قوبلت بتعصب ومقاومة شديدين، وكان علماء السنة والحديث والمعتقدين بظواهر الأحكام والآيات من بين المسلمين يرون في كل ألوان البحث والاستدلال واللجوء إلى العقل لحق بالمعضلات الدينية خسارة كبيرة تزيد عن الحد المألوف، ومن جملة العلوم التي حوربت، العلوم الفلسفية، وقد بدأ ذلك منذ عهد الخليفة العباسي المتوكل (232هـ-247هـ) الذي أصدر أوامره القاسية باضطهادهم، وتسبب ذلك في إلصاق تهمة الكفر والزندقة بالرياضيين، والفلاسفة، والمتكلمين، والمعتزلة ونظائريهم، وكان ذلك فرصة لظهور الأشعري والأشاعرة.

وحل المفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون من الأشاعرة خاصة في العصر السلجوقي، مكان الشخصيات البارزة في الفلسفة والكيمياء والطب والرياضيات، وكان تعلم العلوم العقلية ممنوعاً في المدارس النظامية في خراسان وغيرها، ولم يكن يدرس بها سوى العلوم الدينية والأدبية، إلى جانب ازدياد الصوفية في العصر السلجوقي، التي خالفت كل العلوم واعتبرتها حجاب الحقيقة، كل ذلك أدى إلى أن قل رونق العلوم العقلية ورواجها، وقل اهتمام

1- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص275.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

طلاب العلم بها. وعلى الرغم من ذلك وجدت الكثير من العلوم العقلية، وبرع فيها علماء، إلا أنهم لم يكونوا بعدد وكثرة علماء العلوم النقلية<sup>1</sup>. لذا سنتبع أهم العلوم العقلية التي اعتنى بها العلماء في هذا العصر:

**(أ- علم الطب):** علم الطب هو صناعة تنظر في بدن الإنسان، من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن<sup>2</sup>. لقد تجلّى اهتمام المسلمين بالعمل على نشر الثقافة الطبية من خلال بناء البيمارستانات، وتخصيص المكتبات الطبية، وعقد المؤتمرات الطبية في مواسم الحج، حيث يعرض كل عالم نتائج بحثه. وعلى الرغم من أن علماء العصر السلجوقي لم يتقدموا تقدماً ملحوظاً في الطب، ولم يتجاوزوا ما أحرزه الأطباء السابقون لهذا العهد، إلا أنهم تركوا لنا مؤلفات شهيرة في الطب، كتبوا جانباً منها بالفارسية، وبذلوا خدمات جليلة لهذا العالم، عن طريق ضبط الكثير من المصطلحات الطبية بالفارسية المتداولة في ذلك العصر وإثباتها وتسجيلها، ولعل أهم ما ألفه العلماء في هذا العلم من كتب، نذكر ما يلي:

- كتب: "ذخيرة خوارزمشاهي" - "خفي علائي" - "الطب المملوكي" - "ذخيرة" - "يادكار" - "التذكرة الاشرافية في الصناعة الطبية" - "زبدة الطب" للزين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن بن أحمد الحسيني الجرجاني المروزي (ت 531هـ)<sup>3</sup>.

- كتب: "تفسير منافع الأعضاء لجالينوس" - "شرح المسائل في الطب لحنين" - "شرح فصول أبقرط" لأبي القاسم عبد الرحمن بن علي بن أحمد بن أبي صادق النيسابوري (ت 470هـ)<sup>4</sup>.

- كتب: "الشامل في الطب" - "أعمال الآلات الجراحية" - "مفردات في الطب" لأبي الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب البغدادي (ت 515هـ)<sup>5</sup>.

- كتاب "الفصول الايلامية" - "مختصر القانون لابن سينا" لشرف الزمان محمد الايلاقي (ت 536هـ)<sup>6</sup>.  
- كتب: "الاقرباذين" - "أمين الأرواح في المعاجين" - "اختصار التشريح" - "مقالة في الدواء التي ألفها المسمى برشعنا" لأوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا البلدي (ت 547هـ).

1- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 180.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 464.

3- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 285.

4- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص 181.

5- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص 285.

6- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص 363.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "رسائل في الطب" لعين الزمان أبو علي الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم القطان المروزي (ت548هـ).
- كتب: "أقرا باذينة" - "الموجز البيمارستاني" - "المقالة الأمنية في الأدوية البيمارستانية" - "اختيار كتاب الحاوي للرازي" - "اختيار كتاب مسكويه في الأشربة" - "اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لأبقراط" - "تتمة جوامع الاسكندرانيين لكتاب حيلة البرء لجالينوس" لأبي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميذ (ت560هـ)<sup>1</sup>.
- كتاب "قواعد علوم الطب" - "تفاسير العقاقير في الأدوية ومنافعها" لأبي الحسن بن زيد البيهقي (ت565هـ).
- كتب: "بيان الطب" - "كفاية الطب" - "صحة الأبدان" لحبيش بن إبراهيم<sup>2</sup>.
- كتاب "رسائل في الطب والمعالجات" لعلي بن محمد الحجازي (ت546هـ)<sup>3</sup>.
- كتاب "أمراض البواسير" لأبي سعيد محمد بن علي ابن حكيم الطحان المتطبب (ت536هـ).
- كتب: "أطعمة المرضى" - "المعالجات الاعتبارية" - "السموم" - "أسرار الحكم في الحكمة" - "قوام علوم الطب" لابن فندق البيهقي<sup>4</sup>، وله كتاب "أسماء الأدوية وخواصها ومنافعها" وهو معنون بتفاسير العقاقير<sup>5</sup>.
- كتاب "الصيدنة في الطب" لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني (ت440هـ)<sup>6</sup>.
- كتب: "إبدال الأدوية" - "الإبدال من المعاجين والأقراص" - "الأدوية المفردة" - "أدوية القلب" - "الأدوية المفردة المستعملة وخواصها وأفعالها" - "كتاب اقرباذين السمرقندي" لأبي المحامد نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي (ت619هـ)<sup>7</sup>.
- كتاب "تذكرة الكحالين" لعلي بن عيسى الكحال<sup>8</sup>.

1- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص286.

2- المرجع نفسه، ص287.

3- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص412.

4- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص413.

5- المرجع نفسه، ص415.

6- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص285.

7- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص387.

8- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص484.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "تقويم الأبدان في تدبير الإنسان" - "تقويم الصحة" - "رسالة في مدح الطب" لأبي علي يحيى بن عيسى بن جزلة الطبيب البغدادي (ت492هـ)<sup>1</sup>.

- كتاب "الطب الروحاني" - "لقط المنافع في الطب" لابن الجوزي (ت597هـ)<sup>2</sup>.

- كتب: "المغني في تدبير الأمراض" - "الإقناع في الطب" - "مقالة في صفات تركيب الأدوية" لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن (ت494هـ)<sup>3</sup>.

- كتاب "المختارات في الطب" لأبي الحسن علي بن أحمد بن هبل البغدادي (ت610هـ)<sup>4</sup>.

- كتب: "مقالة تشمل أحد عشر بابا في حقيقة الدواء والغذاء" - "مقالة في البادئ بصناعة الطب" - "مقالة في دبايطس والأدوية النافعة منه" - "اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن واحد" - "مختصر في الحميات" - "الكفاية في التشريح" - "مقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة الكميات" لموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت629هـ)<sup>5</sup>.

- كتب: "التشريح من الرأس إلى الحلق" - "كتاب الأشربة" - "شرح القانون لابن سينا" - "كتاب النبض" - "الطب الكبير أو الجامع الكبير" - "مسائل في الطب" لفخر الدين الرازي (ت606هـ)<sup>6</sup>.

**ب- علم الرياضيات:** عرف العرب علم الرياضيات بأنه علم غرضه إدراك المقادير، وأطلقوه على الحساب والجبر والمقابلة والمثلثات والهندسة<sup>7</sup>، وقد اهتم العلماء في العصر السلجوقي بعلم الرياضيات اهتماما كبيرا، حيث ألفوا عددا من المؤلفات حوله، كما يلي:

- كتاب "أشكال التأسيس في الهندسة" لشمس الدين أشرف الحسيني السمرقندي (ت600هـ)<sup>8</sup>.

- "كتاب في التصريف مجدول" - "كتاب في دقائق المخروطات الهندسية" لمحمد ابن أحمد المعموري (ت485هـ)<sup>9</sup>.

1- المرجع نفسه، ص487-488.

2- البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج1، ص522.

3- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص488-489.

4- المرجع نفسه، ص491.

5- المرجع نفسه، ص493.

6- ناجي منيرة سالم، المرجع السابق، ص436-437.

7- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص373.

8- المرجع نفسه، ص375.

9- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص432.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "شرح ما أشكل من مصادرات كتاب إقليدس" - "كتاب في الجبر والمقابلة" - "كتاب نوروز نامه" - "كتاب في مشكلات الحساب" - "كتاب في صحة الطرق الموصلة لاستخراج الجذر المكعب" لعمر الخيام (ت 515هـ).<sup>1</sup>

- "كتاب الرسالة الشاملة في الحساب" لأبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين المعروف بالخرقي (ت 533هـ).<sup>2</sup>

- "كتاب في الحساب" - "الإراحة عن شذائد المساحة" لابن فندق البيهقي (ت 565هـ).<sup>3</sup>

- كتاب "شرح المقالة العاشرة من كتاب أصول إقليدس" - "رسالة في الجبر والمقابلة" لأبي بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي (ت 535هـ).<sup>4</sup>

- كتاب "المقالات السبع" - "رسالة في تسطيح الكرة" لأبي الفتوح نجم الدين أحمد بن محمد السري البغدادي المعروف بابن الصلاح (ت 548هـ).<sup>5</sup>

- كتب: "إعجاز المهندسين" - "المثلث القائم الزاوية" - "رسالة إلى ابن خلدون في مسائل حسابية" - "كتاب القوامي في الحساب الهندي" - "الباهر في علم الرياضيات" للسموع بن يحيى بن عباس المغربي (ت 570هـ).<sup>6</sup>

- كتاب "الجامع في الحساب" لمحمد بن مرة الأصفهاني الحاسب.<sup>7</sup>

**ج- علم الفلك:** الفلك في اللغة مدار النجوم واستدارة السماء، فدل بذلك على أنه علم يبحث عن النجوم ومدارها في السماء، وقد عرفوه بأنه علم يبحث حالة الكواكب وحركاتها ومواقعها ونواميسها وأسباب تغير مظاهرها وأمكنتها.

سمي علم الفلك أو علم الهيئة في العصور الوسطى بأسماء مختلفة، منها أربعة أعم من الأسماء الباقية، وهي: علم النجوم، صناعة النجوم، وعلم التنجيم وصناعة التنجيم، ومع أن هذه الألفاظ انحصرت اصطلاحاً في أيامنا على العلم الباطل الذي غرضه الاستدلال على الحوادث الدنيوية المستقبلية برصد حركات الكواكب ومواقع

1- المرجع نفسه، ص 433-434.

2- المرجع نفسه، ص 434.

3- المرجع نفسه، ص 436.

4- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص 499.

5- المرجع نفسه، ص 499-500.

6- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص 500.

7- إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 295.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

النجوم، لكن في العصور الماضية كانت تطلق سواء على علم الهيئة أم أحكام النجوم أم هذين العلمين معا<sup>1</sup>. وقد حظي علم الفلك باهتمام العلماء إبان العصر السلجوقي، من خلال المؤلفات التي ألفوها حوله، التي نذكرها كما يلي:

- كتاب "المعتبر السنجري" - "الفجر والشفق" للحكيم الحسين السمرقندي<sup>2</sup>.
- كتاب "رسالة في الأعمال السحرية" لشمس الدين محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي<sup>3</sup>.
- كتاب "التفهيم في صناعة التنجيم" - "مقاليد الهيئة" لأبي الريحان البيروني (ت440هـ). وله أيضا كتاب "تسطيح الكرة" وكتاب "العمل بالاسطرلاب" وكتاب "القانون المسعودي في الهيئة والنجوم"<sup>4</sup>.
- كتاب "بعض الجداول الفلكية في النجوم" - "زيج ملكشاهي في الفلك" لعمر الخيام (ت515هـ)<sup>5</sup>.
- كتاب "الأحكام العلانية في التأثيرات السماوية" لفخر الدين الرازي (ت606هـ)<sup>6</sup>.
- كتاب "تبصرة في الهيئة" - "منتهى الإدراك في تفسير الأفلاك" لمحمد بن أحمد بن بشر المروزي<sup>7</sup>.
- كتب: "قانون التعليم في صناعة التنجيم" - "الكفاية في علم هيئة العالم" - "نافع الثمرة في الهيئة" - "معرفة عناصر وكائنات الجو" لأبي المحامد ظهير الدين محمد بن مسعود الغزنوي (ت550هـ)<sup>8</sup>.
- كتاب "منتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك" لأبي بكر الخرقى (ت533هـ)<sup>9</sup>.
- كتاب "استخراج تقاويم الكواكب" - "طوالع السنين" لعلي بن شاهك القصاري الضرير البيهقي (ت536هـ)<sup>10</sup>.
- كتب: "خلاصة الزيجة في علم الهيئة" - "أمثلة الأعمال النجومية" - "مؤامرات الأعمال النجومية" - "غرر الأقيسة" - "معرفة ذات الحلق والكرة والاسطرلاب" - "أحكام القرانات" - "كتاب في التنجيم" - "كتاب في الاسطرلاب" - "كتاب في الكرة" لأبي الحسن بن فندق البيهقي (ت565هـ)<sup>1</sup>.

1- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص366.

2- المرجع نفسه، ص371-372.

3- المرجع نفسه، ص372.

4- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص292.

5- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص191، الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص434.

6- المرجع السابق، ص192.

7- محمد سعد السيد أحمد عزب، المرجع السابق، ص193.

8- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، المرجع السابق، ص294.

9- الفاجالو محمد، المرجع السابق، ص434.

10- المرجع نفسه، ص435.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتاب "التشويق التعليمي في علم الهيئة" لأبي العلاء صاعد بن الحسن بن صاعد (ت475هـ).<sup>2</sup>
- كتاب "زيج المعرب المحمودي" - "إصلاح الآلة الشاملة للخندي" لأبي القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف البغدادي المشهور بالبديع الأسطرلابي (ت534هـ).<sup>3</sup>
- كتب: "تصحيح عصا الشرف الطوسي" - "رسالة تسبيع الدائرة وكيفية اتخاذ ذلك" - "كتاب الأحكام السلطانية في أحكام النجوم" لأبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة (ت639هـ).<sup>4</sup>
- كتاب "روضة المنجمين" للشهمردان بن أبي الخير.
- كتاب "رسالة آثار علوي أو كائنات جو" لأبي حاتم المظفر بن إسماعيل الأسفزاری (ت515هـ).<sup>5</sup>
- كتاب "كيهان شناخت في علم الهيئة" لأبي علي حسن بن علي قطان المروزي (ت548هـ).<sup>6</sup>
- **د- علم الفلسفة:** صنف العلماء في العصر السلجوقي عدة مصنفات في علم الفلسفة، لعل أهمها:
- كتب: "اللوأحق" - "دوست نامه" - "سلطان نامه" - "إعداد الأوفاق" - "كتاب الحيوان" لشرف الزمان الأيلاقي (ت536هـ).<sup>7</sup>
- كتاب "قسطاس الميزان" للشمس الدين محمد بن شرف الحسيني السمرقندي (ت600هـ).<sup>8</sup>
- كتاب "تهافت الفلاسفة" - "مقاصد الفلاسفة" لأبي حامد الغزالي (ت505هـ).
- كتاب "رسالة الوجود" - "رسالة في اللون والتكليف" لعمر الخيام (ت515هـ).
- كتاب "زبدة الحقائق" لأبي المعالي عبد الله بن محمد الميانجي (ت525هـ).<sup>9</sup>
- "كتاب في الحكمة" لعلي بن محمد الحجازي القاييني (ت546هـ).<sup>10</sup>

1- الفاجالو، المرجع السابق، ص436.

2- مريزن سعيد مريزن عسيري، المرجع السابق، ص498.

3- المرجع نفسه، ص499.

4- المرجع نفسه، ص502.

5- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص288.

6- المرجع نفسه، ص289.

7- ميرفت رضا أحمد حسنين، المرجع السابق، ص363.

8- المرجع نفسه، ص364.

9- الوزنة يحي حمزة عبد القادر، الدولة السلجوقية...، المرجع السابق، ص277.

10- المرجع نفسه، ص278.



## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

- كتب: "تاريخ حكماء الإسلام" - "أسرار الحكم" - "السموم" لأبي الحسن ظهير الدين علي بن زيد البيهقي (ت 565هـ).

- كتاب "حكمة الاشراف" لأبي الفتح شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي (ت 587هـ)<sup>1</sup>.

- كتاب "المعتبر في الحكمة" لأبي البركات هبة الله بن علي بن ملكا البغدادى (ت 560هـ)<sup>2</sup>.

**ه- علم الكيمياء:** عرفه صديق بن حسن القنوجي بقوله: "هو علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصية جديدة إليها وإفادتها خواصا لم تكن لها والاعتماد فيه عن أن الفلزات كلها مشتركة في النوعية والاختلاف الظاهر بينها إنما هو اعتبار أمور عرضية يجوز انتقالها..."<sup>3</sup>، وعلم الكيمياء كغيره من العلوم العقلية شهد في العصر السلجوقي تراجعاً في عدد المؤلفات، حيث لم نجد سوى عشرة مؤلفات، هي:

- كتب: "جامع الأسرار" - "تراكيب الأنوار" - "حقائق الاستشهاد في الدفاع عن الكيمياء ضد ابن سينا" - "الجواهر النظير في صناعة الأكسير" - "قصيدتان في الكيمياء" - "حقائق الاستشهادات" - "ذات الفوائد" - "مصاييح الحكمة" - "مفاتيح الرحمة" لأبي إسماعيل مؤيد الدين الحسين بن علي بن محمد بن عبد الرحمن العميد الوزير الأستاذ المنشئ المعروف بالطغرائي (ت 515هـ)<sup>4</sup>.

- كتاب "العلم المكتسب في زراعة الذهب" لأبي القاسم محمد بن أحمد العراقي<sup>5</sup>.

من خلال تتبعنا لمؤلفات العلماء في العلوم العقلية والعقلية خلال العصر السلجوقي، تم إحصاء 1002 مؤلف ألفه العلماء الذين بلغ عددهم 413، مما يؤكد بلا شك ازدهار حركة التأليف خلال العصر السلجوقي، ورواج سوق العلم وانتشار العلوم والمعارف في الأقاليم الثلاثة محل الدراسة، وبالتالي يعد القرنين الخامس والسادس الهجريين من أهم القرون الإسلامية في مجال الإنتاج العلمي والحركة العلمية والفكرية في المشرق الإسلامي، استناداً إلى الرسمين البيانيين التاليين:

---

1- المرجع نفسه، ص 279.

2- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص 475.

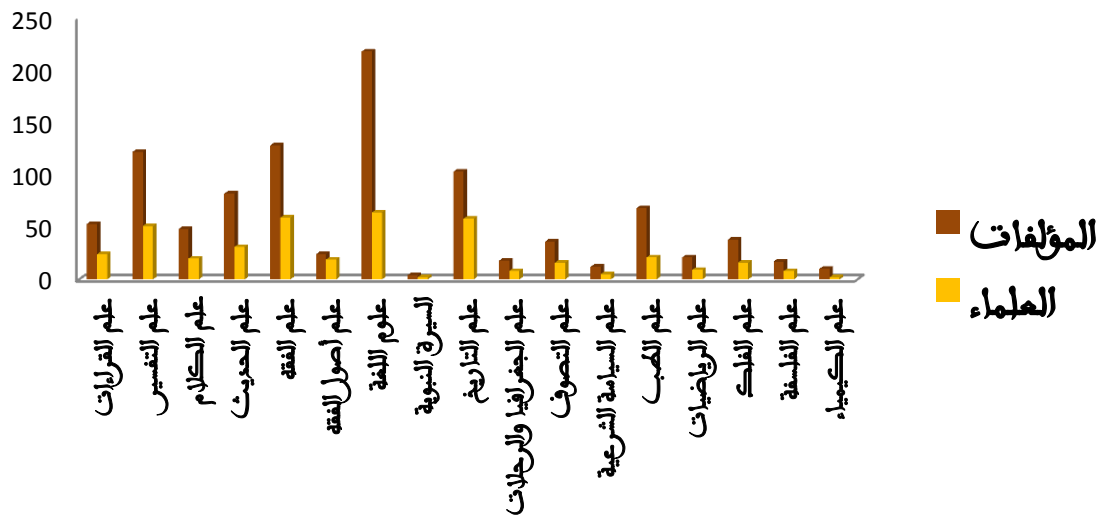
7- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، أعده للطبع ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، الجزء الأول، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1973م، ص 456.

4- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص 502-503، إبراهيم الهادي محمد الهادي، المرجع السابق، ص 293-294.

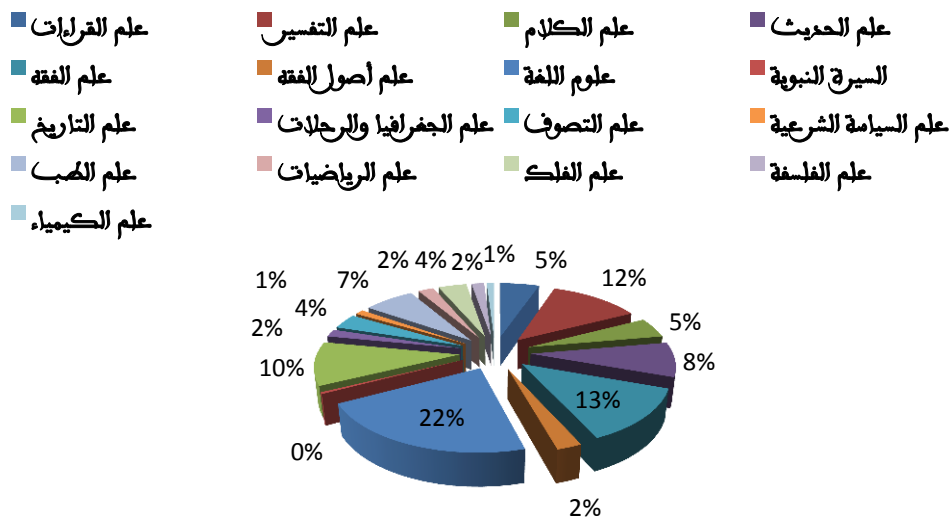
5- مرزبن سعيد مرزبن عسيري، المرجع السابق، ص 503.

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.

### إحصاء مؤلفات العلماء في العصر السلجوقي



### عدد المؤلفات في العصر السلجوقي



إنَّ استقصاء دور العلماء في الحياة العلمية بالعراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر إبان العصر السلجوقي، مر عبر محطات وإنجازات وجهود وأدوار طلائعية اضطلع بها هؤلاء العلماء في إنجاز المطلوب منهم في حق الحياة

## -الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي-

العلمية، حيث بدأوا بلورة دورهم من خلال موافقهم من الخلافات المذهبية التي شهدها العصر السلجوقي، حيث كان لهم حضور بارز ومواقف مؤثرة في الخلاف المذهبي بين أهل السنة وكل من المعتزلة والشيعة، سواء في بغداد والعراق، أو في خراسان، وبالموازاة رأينا موافقهم وتفاعلاتهم مع الخلاف المذهبي بين الحنابلة والشافعية من جهة والحنفية والشافعية من جهة أخرى، ومن تدخل السلطة السياسية في هذا الخلاف المذهبي، فكان من الصعب عليهم الوقوف على الحياد والابتعاد عن التعصب، وبالمقابل لمسنا مواقف ورودود فعل أبدتها العلماء تميزت بضبط النفس والترفع عن التعصب والتمذهب والابتعاد عن الاستقواء بالسلطة السلجوقية لدعم مذهب على حساب الآخر.

أما بخصوص نظام التعليم ومؤسساته، فإن العلماء لم يدخروا وسعا في سبيل تطويره وبناء مؤسساته من مساجد ومدارس وخوانق وزوايا وغيرها، إذ عملوا على التشديد على أهمية التعليم بتبيين آدابه وشروطه وأطواره ومراحلته ومناهجه وطرقه ووسائله ومقرراته وجميع أحواله، وبعدها أقبلوا على مؤسسات التعليم ييثون فيها علمهم ومعارفهم للناشئة وطلبة العلم وعامة المسلمين، كما ساهموا في بناء المساجد والخوانق والربط والزوايا والمدارس، وأبدوا موقفهم من المدارس التي بناها نظام الملك السلجوقي، سواء بالقبول أو بالرفض، كل ذلك حقيقين بالإشراف على نظام التعليم ومؤسساته ولهم المقدرة التامة والكفاءة على تطويره.

أعطى العلماء أهمية كبيرة للتأليف والتصنيف في مختلف العلوم النقلية والعقلية، فقد ازدهرت حركة التأليف العلمي وانتشرت الكتب والمجلدات الضخمة التي ألفها علماء العصر السلجوقي، مراعين في ذلك شروط التأليف وضوابطه ومقاصده وغاياته، فكان الواحد منهم يؤلف في أكثر من علم، دون كلل أو ملل أو ضجر، بل كانت تدفعهم رغبة ملحة لنشر العلم بين المسلمين وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم، وبذلك يمكن القول بأن دور العلماء في الحياة العلمية خلال العصر السلجوقي من الأهمية بمكان، حيث استطاع هؤلاء العلماء القيام بدورهم على أكمل وجه، وبنفس الفاعلية أو أكثر التي أدوا بها الأدوار الأخرى التي تطرقت إليها هذه الأطروحة، وبالتالي أضحت دورهم في الحياة العلمية لبنة أساسية في صرح الحضارة العربية الإسلامية، وأكثرها ثباتا ورسوخا وبقاء واستمرارية وتوصلا.

**-الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.**

-الخلاصة

## -الخلاصة-

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وله الفضل في الأولى والآخرة، أما بعد:

في ختام هذه الأطروحة الموسومة بـ {دور العلماء في الحياة العامة بالشرق الإسلامي (العراق- خراسان-بلاد ما وراء النهر) خلال عصر السلاجقة (429هـ-590هـ/1037م-1194م)}، نخلص إلى النتائج والتوصيات التالية:

1- إنَّ العلماء المسلمين تنوعت تخصصاتهم، وتدرجت مراتبهم على حسب توجه كل منهم، حيث يعتبر المتكلمون أعلى مرتبة نظراً لاشتغالهم بالعتيدة وعلم الكلام، ثم يليهم الفقهاء والمفسرون، والمقرئون، والأصوليون، والمحدثون، وعلماء اللغة والتصوف والفلاسفة والمناطق والأطباء، وعلى ضوء ذلك غلبت عليهم سمة الموسوعية في العلوم، لهذا اشتمل مصطلح العلماء على هذه المراتب والتخصصات خلال العصر السلجوقي.

2- شكلت أقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر وحدة جغرافية وإدارية واجتماعية واقتصادية خلال العصر السلجوقي، قامت عليها الدولة السلجوقية، وتميزت بخصائص جغرافية وتضاريسية ومناخية واقتصادية متشابهة، مما جعلها تضطلع بالقيام بمهمة توحيد المشرق الإسلامي سياسياً ومذهبياً.

3- اضطلع العلماء بدور طلائعي في الحياة السياسية، حيث كان لهم حضور في قيام وتأسيس الدولة السلجوقية، وفي المشروع السلجوقي الموحدوي، وساهموا في نشر الإسلام بالدعوة إليه تارة وبالجهاد تارة حيث شاركوا في معركة ملاذكرد سنة 463هـ، وعملوا على الحث والتحريض على الجهاد ضد الغزاة الصليبيين الذي احتلوا بلاد الشام، كما كان لهم موقف من أساليب تداول السلطة عند السلاجقة ومن الحركة الإسماعيلية الباطنية، وأيضاً شاركوا في وظائف الدولة السلجوقية بشقيها الديني والسلطاني كالقضاء والوزارة والفتيا والحسبة والكتابة.

4- ساهم العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي، بالعمل على بناء النظام المالي من خلال مجموعة من الآراء التي أشاروا إليها في مؤلفاتهم التي تعكس خبرتهم الكبيرة التي اكتسبوها من الاحتكاك بالسلطة والمجتمع، كما بينوا مواقفهم من الموارد والنفقات في العصر السلجوقي بتحديد شروطها وطرق جبايتها ووجوه إنفاقها، وعملوا أيضاً على تطوير النظام الاقتصادي وقطاعاته المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة، مؤكدين في الوقت نفسه على أهمية العمل والكسب في حياة المسلمين، وبالمقابل تصدوا لجميع أشكال الفساد الاقتصادي التي انتشرت خلال العصر السلجوقي.

5- أدى العلماء دوراً مميزاً في الحياة الاجتماعية نظراً للمكانة التي تمتعوا بها في المجتمع الإسلامي خلال العصر السلجوقي، حيث اضطلعوا بمهمة إصلاح المجتمع وفق رؤية وبرنامج هادف وواضح المعالم سطره كل من الغزالي وابن الجوزي، بالإضافة إلى المواقف التي أظهروها وأبدوها في المجتمع والسلطة، كما تعرض الكثير منهم إلى محن

## -الخلاصة-

- قاصية من قتل ونفي وعزل وغيرها، وأدوا أيضا أدوارا اجتماعية مختلفة، وعملوا على التصدي للأزمات والكوارث التي شهدتها العصر السلجوقي من أوبئة وأمراض ومجاعات وفيضانات وزلازل وغيرها.
- 6- عكس دور العلماء في الحياة العلمية خلال العصر السلجوقي، الجهود التي بذلوها في مواجهة وتخفيف الخلافات المذهبية بين أهل السنة والفرق الأخرى، وبين المذاهب السنية نفسها، كما ساهموا في دفع عجلة نظام التعليم إلى التطور وقاموا بإصلاح أحواله وتجهيز مناهجه ووسائله ومراحلها، بالإضافة إلى موقفهم من المدارس التي بناها الوزير السلجوقي نظام الملك في العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وعملوا على دفع حركة التأليف العلمي من خلال تصنيف عدد كبير من المؤلفات في مختلف العلوم النقلية والعقلية.
- 7- إعادة صياغة كتب التاريخ الإسلامي الوسيط مع التركيز حول دور العلماء في بناء الحضارة العربية الإسلامية، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه.
- 8- تزويد المكتبات الجامعية بالكتب التي تتبع تراجم العلماء وسيرهم، وتعنى بإبراز جهودهم في الدفاع عن العقيدة الصحيحة، والدعوة إلى الإسلام.
- 9- البحث عن المخطوطات الضائعة، والإنتاج العلمي المفقود للعلماء المسلمين، والعمل على صيانتها وتحقيقه وبعثه من جديد، ويضطلع بهذه المهمة فريق من الخبراء والباحثين المتخصصين.
- 10- دعوة القائمين على صياغة الكتاب المدرسي والجامعي إلى تصحيح تاريخ العلم وعدم تجاهل جهود العلماء المسلمين في هذا الجانب المهم.
- 11- إعادة توصيف وتصنيف العلوم وفق المنهج الإسلامي والتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.
- 12- فتح مشاريع بحث في الدراسات العليا، تتمحور حول دراسة جهود العلماء، في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، ومواصلة ذلك بعقد ندوات وملتقيات تسلط الضوء على هذه الجهود.
- وأخيرا تبوأ علماء العصر السلجوقي مثل غيرهم من العلماء المسلمين، مكان الصدارة من تاريخ الإنسانية كلها، لما أحرزوه من تقدم في مجال العلوم تقدما رائعا، وحققوا أعظم انتصاراتهم، وبذلوا جهودا مضيئة أثمرت نماءً، وتجييدا وعطاءً، مما يبين حاجة الإنسانية إلى الإسلام، وخسارة البشرية بانحطاط المسلمين، وحاجة الحضارة الحديثة لعودة الإسلام بمنظومته العقدية والقيمية، ومشروعه الإنساني اللاعنصري، وإمكانات البعث الحضاري الموجود لدى المسلمين.
- ونافلة القول: إن الدراسة التي أضعها بين يدي الباحثين والقراء، لا أدعي من خلالها الإحاطة بموضوع {دور العلماء في الحياة العامة بالمشرق الإسلامي (العراق-خراسان-بلاد ما وراء النهر) خلال

## -الخلاصة-

**عصر السلاجقة (429هـ-590هـ/1037م-1194م)** {من جميع مناحيه، وإنما أنشد منه أن أكون قد أضأت مساحات مظلمة من دور العلماء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي وفق رؤية جديدة. وتبقى دراسة من هذا النوع مفتوحة لمزيد من الأبحاث والدراسات التي أرجو من الله تعالى أن أحظى بشرف متابعتها باستمرار، بغية التخصص في فئة العلماء وتعميق البحث في خباياها وعواملها الغامضة. كما أتوخي إثارة فضول باقي التخصصات إلى النباش في المتون المصدريّة والشواهد الأثرية المادية والمعنوية، من أجل توسيع حجم المعارف المرتبطة بهذه الفئة، عن طريق تضافر جهود الباحثين في حقول معرفية متكاملة أو متقاطعة مع مكوناتها.



-الملاحق

## -الملحق-ق-

### -الملحق رقم: 01-

#### -أسماء سلاطين السلجقة وفترات حكمهم:

- 1- السلطان كغزل بك محمد بن ميكائيل (429هـ-455هـ/1037م-1063م).
- 2- السلطان ألب أرسلان محمد بن داود جفري بك (455هـ-465هـ/1063م-1072م).
- 3- السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (465هـ-485هـ/1072م-1092م).
- 4- السلطان محمود بن ملكشاه (485هـ-487هـ/1092م-1094م).
- 5- السلطان بركياروق بن ملكشاه (487هـ-498هـ/1094م-1104م).
- 6- السلطان محمد بن ملكشاه (498هـ-511هـ/1104م-1117م).
- 7- السلطان منجش بن ملكشاه (511هـ/552هـ/1117م-1157م).
- 8- السلطان ملكشاه بن بركياروق (498هـ/1104م).
- 9- السلطان محمود بن محمد (511هـ-525هـ/1117م-1131م).
- 10- السلطان داود بن محمود بن محمد (525هـ-526هـ/1131م-1132م).
- 11- السلطان كغزل الثاني (526هـ-527هـ/1132م-1133م).
- 12- السلطان مسعود بن محمد (527هـ-547هـ/1133م-1152م).
- 13- السلطان ملكشاه بن محمود بن محمد (547هـ-548هـ/1152م-1153م).
- 14- السلطان محمد بن محمود بن محمد (548هـ-554هـ/1153م-1159م).
- 15- السلطان سليمان (554هـ-556هـ/1159م-1161م).
- 16- السلطان أرسلان (556هـ-573هـ/1161م-1177م).
- 17- السلطان كغزل الثالث (573هـ-590هـ/1177م-1194م).

-المرجع: الجالودي عليان عبد الفتاح، ظهور السلطنة...، المرجع السابق، ص251.

## -الملحق-ق.

-الملحق رقم: 02.

-أسماء الخلفاء العباسيين المعاصرين لسلاطين السلاجقة.

1-القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر أبي العباس أحمد بن إسماعيل (422هـ-467هـ/1030م-1074م).

2-المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله بن الذخير بن عبد الله القائم بأمر الله (467هـ-487هـ/1074م-1094م).

3-المستظهر بالله أبو العباس أحمد (487هـ-512هـ/1094م-1118م).

4-المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد (512هـ-529هـ/1118م-1134م).

5-الراشد بالله أبو جعفر منصور بن المسترشد أبي منصور الفضل (529هـ-530هـ/1134م-1135م).

6-المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد (530هـ-555هـ/1135م-1160م).

7-المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد (555هـ-566هـ/1160م-1170م).

8-المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف (566هـ-577هـ/1170م-1179م).

9-الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن (575هـ-622هـ/1179م-1225م).

-المرجع: الجالودي عليان عبد الفتاح، تطور السلطنة...، المرجع السابق، ص 253.

## -الملحق-ق.

### -الملحق رقم: 03.

-مرسوم السلطان ألب أرسلان في تفويض ولده ملكشاه إلى الوزير نضام الملك:

لما اقتضت دواعي همة ملوكيتنا وبواعث شفقة أبوتنا في حق ولدنا الأعز الأكرم الخاقان المعظم ناصر الدنيا والدين السلطان ملكشاه أحسن الله له الاتباع وأدام له الانتفاع، الذي هو حاصل لذة الحياة ومحصل غاية الأمان عنون صحيفة المسرات وجمال الصلحة السعد ومدار العمل وذخيرة الزمن، أن نضيف في كل يوم في عظيم قدره وتنويه ذكره وأن نهين له أسباب استقامة مملكته واستدامة دولته وأن نعد ونهينه لنعمة الملوكية المفوضة من الله تعالى والتي حصلها بواسطة تربيتنا له.

وحيث عرفنا بالقياس وعلمنا بالتجارب أن استقرار قواعد الحكم في الدنيا واستحكام دعائم المقاصد موكول ومفوض إلى منصب وزارة أرباب الأقلام، كما أن تقرير مصالح العالم وتيسير الأعمال العظام منوط بكمال كفاءة هؤلاء ونور عقليتهم وهدايتهم، لأن مصالح المملكة لا تستقر إلا باستمرار جريان أقلامهم ومهمات الدولة لا تتضم إلا باقتباس أنوار رأيهم الواضح واستقامة السيف وقوته يلزمها مساعدة يد القلم ومعاضدته وثبوت قوائم الملك له بثبوت قدم صاحب الرأي السديد وشجاعته في صحيفة العلم وتقرر لدى أرباب العقل أن مركز قاعدة الملك لا يثبت دون وزير صالح يهتدي بأثار عقله الوافي وأن أساس المملكة لا يؤكد ولا يستقيم دون مشير كامل يستضاء بأشعة رأيه الصافية ليفتح الملك خزانة أسرار أممه وينشك قلبه بهداية نصائحه ويضع أبواب مصالح ملوكيته بين كفاءته، فإن إصابة الخلفاء فيما حاولوا مقرونة بكفاءة الوزراء.

ومن هنا علمنا أن لحران العوالم والعون صحيفة العوارف في حق ولدنا الأعز الأسعد بلغه الله ما يرتجيه وأناله غاية ما يريده، هو أن نزين مقامه باختيار وزير تلوم

## -الملاحق-

على محياه كفاءة الولاية وتكهر على ناصيته مزايل الرأفة والحفاوة ومن شاع  
صيت مقامه المشهود في الزمان وانتشر ذكر مناحيه المحمودية بين الخاص  
والعام لأن يقيننا من يعشق هذه المهمة العظيمة ويتقلد زمام هذا المقام الخبير لابد  
وأن يكون رجلاً عظيمًا قد استنارت برأيه المضيء صحيفة الزمن وتعصرت  
بمساعيه النفاحة عرضة لمخالص كما أشار إليه الحديث المصنفون الشريف الذي  
ما قدمه العباد إلا تقدموا وهو قوله: إذا أريد الله بملك خيرًا قيسله وزيرًا صالحًا إن  
نسي خيرًا ذكره وإن عمل خيرًا صالحًا أعانه.

ونحن بموجب سياق هذه الكلمات وبحكم اتساق هذه المقدمات قد ارتأينا  
وانلصنا هذا النصير العظيم إلى حضرة العظيم قسيم الدولة أكمل أهل الزمان وأعقل  
الدوران نصير سري السلطنة ومشير مصالح المملكة ومدير أمور الممالك ونالهم  
عقود الملك ناصر عباد الله وملاذ الفقراء وعون الضعفاء نكصام الملة والدنيا والدين  
أدام الله تمكينه وجعل التوفيق قرينه، واسلحة عقد الأحرار وغرة جبهة الأعصار  
والذي هو نسيم وحده في أنواع الفضائل وأبدع أهل المحاسن فريد العصر ووحيد  
كفاة العالم حاصد بياض الكفاءة وملتقط دهاء العالم من منشور موائد الفوائد وهو  
مع هذه الخلال المختارة والخصال الحميدة كان مراعيًا للحقوق القديمة والعناية  
العظيمة في البيت المملوكي المبارك مخلصًا، توارخ النعم بروابط الشكر.

وقد فتحنا له باب التصرف وقلدناه الوزارة لكفاءته وصدق نصيحته لأنه المستحق  
لها لا عن غرض والمشفق عليهما دون مثيل، وذلك ليشغل في هذا العمل الخبير  
بقوة قلب وفراغ بال، وليستقبل هذه الأمانة العظيمة بانشرائح صدر واتساع خالص  
كما هو المعهود والمألوف من ديانته واحتياضه وأمانته وصدقه ويرتّب مصالح  
الديوان برأيه المنير وعقله الواسع ويحافظ عليه بما هو معروف وموصوف به ويقدم  
أمثال أوامر الخالق ورعاية المخلوق على كل عمل له، وليقضي حق هذه النعمة التي

## -الملاحق-

أنعمنا بما عليه بإكهار الشفقة والحفاوة وإفشاء العدل والإنصاف وليصدق لخصنا فيه بالصرامة والشهامة والرأي الصائب والألمعية الثاقبة عندما يبدى في كفاءته في المهمات الخاصة لولدنا الأعز الأكرم، وفي رعاية مصالح الرعايا عامة في تفويض الأعمال لأهلها وحراسة أموال الدولة، وإنجاح الآمال وترغيب المصلحين وتهذيب المقدمين وسلوك مناهج العدل وهدم مباني الظلم وكسر عادية الأعداء ولطلب الخير لكل مسلم، وأن يحقق آمالنا بكمال كيامته وأن يرى من واجبه في كل أفعاله وأعماله ترفيه حال الرعاية وصلاح دولة ولدنا ورضانا نحن وامتثال أوامر الله تعالى حتى يحصل هو على الحشمة والاحترام وسيادة الدنيا وسعادة الآخرة وكل هاتيك من نتائج تلك المقدمات المذكورة...

وبالجملة فإن مقصودنا من ذلك كله أن يعمل الوزير الخير بما فيه صلاح الديوان وراحة الرعايا حتى يشمل الصلاح جور العباد يعبق نفحات الأمن فتصل لأقسام الدولة... وأن يقوم بشرايط العمل الخير بكل نشاطه وإخلاص لتكون مصالح أمور ولدنا مرعية وحاجات المسلمين مقضية وآثار الخدمة وأعمال الدولة مرضية والله عن اسمه ولي التوفيق.

-المرجم: حسين أمين، المرجع السابق، ص 361-363.

## -الملحق-ق.

-الملحق رقم: 04.

-رسالة السلطان ملكشاه إلى الحسن بن الصباح.

أنت حسن صباح قد أظهرت ديناً وملكة جديدة فأغرقت الناس وخرجت على  
ولي عصرك فجمعت حولك بعض سكان الجبال ثم أغويتهم بكلامك حتى  
حملتهم على قتل الناس وصنعت في الخلفاء العباسيين الذين هم خلفاء الإسلام وبهم  
استحكم قوام الملك والملة ونظام الدين والدولة. فعليك أن ترجع عن هذه  
الضلالة وتكون مسلماً وإلا فقد عينت لك جيوشاً وأرجأت توجعها حتى تجيء  
إلينا أنت وجوابك. وحذار حذار على نفسك ونفوس تابعيك فارحمها ولا تلقيها في  
ورطة الهلاك ولا تغتر باستحكام قلاعك ولتعتقد حقيقة أن  
قلعة (الموت) المستحكمة لو كانت برجاً من بروج السماء لجعلتها أرضاً يباباً  
ولساويتها مع التراب بعناية الله تعالى.

-المرجم: عبد المادي رضا محبوب، المرجم السابق، ص 605.

## -الملحق-ق.

-الملحق رقم: 05.

-نصيحة أبي حامد الغزالي للسُلْطَان السُّلْجُوقِي مُحَمَّد بن مُلْكشَاه:

اعلم أيها السُلْطَان أن كل ما كان في قلب الإنسان من معرفة واعتقاد  
فذلك أصل الإيمان، وما كان جارياً على أعضائه السبعة من الكسالة والعدل  
فذلك فرع الإيمان؛ فإذا كان الفرع ذلواً ذابلاً دل على ضعف الأصل فإنه لا  
يثبت عند الموت، وعمل البدن عنوان إيمان القلب.

والأعمال التي هي فروع الإيمان هي تجنب المحارم وأداء الفرائض، وهما قسمان:  
أحدهما بينك وبين الله تعالى، مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة ولجتناب شرب  
الشراب والعفة عن الحرام.

والآخرى بينك وبين الخلق، وهي العدل في الرعية والكف عن الظلم.  
والأصل في ذلك أن تعمل فيما بينك وبين الخالق تعالى من كسالة  
أمره، والازدجار بنجره، وما تختار أن تعتمد عليه عبيدك في حقك، وأن تعمل فيما  
بينك وبين الناس ما تؤثر أن يعمل معك من مولاك إذا كان غيرك السُلْطَان  
وكنْتَ من رعيته.

واعلم أن ما كان بينك وبين الخالق سبحانه فإن عفوهُ قريب، وأما يتعلق بمصالح  
الناس فإنه لا يتجاوز به عنك على كل حال يوم القيامة، ويخصر عظيم، ولا يسلم  
من هذا الخسر أحد من الملوك إلى ملك عمل بالعدل والإنصاف ليعلم كيف  
يطلب العدل والإنصاف يوم القيامة.

-المرجع: الغزالي، التبيين المسبوك...، المصدر السابق، ص 14.



## -الملاحق-

-الملحق رقم:06.

-نص العهد الصادر عن الإمام المقتدي بأمر الله (467هـ-487هـ/1075م-1094م) للجائليق مكيخا الأول (485هـ-502هـ/1092م-1109م) وهو من إنشاء أبي

نص صاحب الخبن

بسم الله الرحمن الرحيم.

هذا كتاب أمر بكتابته عبد الله أبو القاسم عبد الله المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين  
لـ"مكيخا الجائليق الفصيح" نسخة العلامة الشريفة أجلها الله. القدرية الله. أما بعد:

فالحمد لله الذي لا إله إلا هو القديم بغير ابتداء ولا انتهاء، والواحد لا شريك له في  
إماتة وإحياء، المرشد إلى النجاة، الوعد منه والوعيد، الكاشف للأمة وجه الحق فمنهم  
شقي وسعيد، الذي نزه عن الولد والصاحبة، وحكم بالشقوة على ألفه  
الماضية، الداعي إلى الهدى بأوضح الدلائل والشواهد، المصفي مشاربها لكل طالب  
لها وقاصد، الموجب الجزى الناجل، والعقاب الآجل على كل منكر له  
وجاحد، المحيي علمه بما كان أسوة أحاطته بما سيكون سبحانه وتعالى عما  
يشركون

والحمد لله الذي أيد الإسلام وأظهره ومنحه الاستعلاء على أخراج العى ورسم  
لصفوه، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا  
منيرا، فنقض دواعيم الشرك وعوض بصحة النفس عن عارض الشك، فبلغ الرسالة  
وأدائها، وألهم رأس براهين النبوة وأبداها، ولم يزل في لصاعة الله بائسوا، ويجرح وينتقم  
ويصفم حتى حصدت شوكة الإيمان، وحصنت بالتقوى سكة الإيمان، ونصر الله  
تعالى إلى حيث أعد له من نعيم به أفرح له ولحوض الرضوان والشفاعة أورده بعد  
أن ضرب الحق الخيم وأنطق مقبوض عنانه. فصلى الله عليه وعلى آله الأكرمين  
وأصحابه المنتخبين وخلفائه الأئمة.

## -الملاحق-

والحمد لله الذي صار أمير المؤمنين من ميراث الأمانة المكرمة ما استوجبه واستحقه  
واهب له من سيم علاها أله وأرقه وأناله من شرف الخلافة وأضحى الدهر بأزمة  
أقبلته منقادا وألقت مضايا العوايل داره يتهادى وخص أيام العز من انتصار الشرع  
فيها من أعدائه وأسرع الحق إلى دحض الباطل وحسم دائه ما عدت السير  
بذكرها عرح وخجول وألقت ما أثرها في متونها. وركض بها الدوات في الأرض  
وتحول فما يحل له أو ملاءم إلا عن صلاح من مساعدته فيصيب، ولا سفر إلا عن  
ضوء الإيمان ملاءم نجم الضلال يغيب، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه  
يتوكل وإليه ينيب.

وأمير المؤمنين مع ما يواليه إلى رعاية من ملاحظة تدعوهم صروف العز ونجود  
بينهما يحيا يحار من سطوة الخوف والحذر ويواسيهم إياه مع مراعاة التزام جامعه  
ولسام الضرر عنهم خادعة رأى أن يكون الأولى الاستقامة من أهل ذمة الذين  
يستوجبون الصون باستكانتهم للإسلام واعتمادهم من ذلك ما يعصون به صفقة  
الإسلام واعتمادهم من ذلك ما يعصون به صفقة الإسلام والزامهم الشروخ التي  
حققت وسبب وجرحت فيها صوارم العزم وسلف من الرأفة التي عمت كالشمس  
والعاصفة أوفت في حق الآية اليوم على الأمن.

ولما أتممت كونك ذا ميزة على أبناء جنسك من أضرابك، والاتفاق على  
وصفك، ثم أنت أولى به وهم أولى بك وما عليه أهل نحلته من حاجتهم إلى  
جائليق كامل بمصالح أحوالهم عارف بوجود حلالهم وحرامهم ويقومون بما يكون  
لمثله إلزام وبفرضه فيه أعلم، وأن جماعتهم لما كشفوا عن صورة متقدمهم  
وامتشفوها لم يصادفوا من هو بالرعاية عليهم أوفى وعاية إلى ما يحمدون فيه  
أشرف المولى بالتقدم أحرى وأجدر ولسانهم باستجابة ذاك أعلن وأجهر، وعن  
أموال وقوفهم أعرف وأعف، وللهم فيما فيض بدا وألف سواك فنصوا من بين

## -الملاحق-

أشكالك عليك، وسلموا مقاليدهم في دينهم إليك، وسألوا أيضا توليك أمرهم أسوة من تقدمك بينهم والإذن في رقتك فيما له أن ارتضوك من عمدة الاختيار أنصول أمر أمير المؤمنين بالإجابة إلى ما وجهت الرعية فيه إلى ما بلغ إنعامه واسترل فيه الحصول من صدر غمامه، وأوعن بنصبك جاثليقا لنسكصور النصارى بمدينة السلام سائر البلاد والأصقاع، ومقدما عليهم وعلى اليعاقبة والروم الذين هم في ديار الإسلام مقيمون وإليها وارءون ويقدمون، وجعل قولك في الكل مقبولا وعرب تقصيرهم في حقك مفلولا، لتنفرد الرعاية على هذه الحوائف على سنن من حد لولا مقامك وسبوقه أيامك وتميزل في مجامع ومحافل النصارى ومصلياتهم بالأمية التقدم عليهم الذي لا يشركك فيه نظير بهم، ولا يماثلك في التحلي بها دروسه إذ لا سبيل مع تفويضهم أمرهم إليك أن يمدوا في مجازاتك بلاء، أو يجد أحد من نفسه عمن أفقا بأخذه به امتناعه تقدم بحيالتهك وأهل نحتك في نفوسكم وأموالكم وبيعكم ودياراتكم التي هي قائمة الآن، وحراسة أموالكم بمقتضى ما يضمنه الشرع لكم ما دمتهم في الشروء الموجبة بحفظ الخية فيكم داخلين وبإلزامها غير مخلصين، وأن تقبض الجزية من رجالكم دون النساء ومن بلغ الحلم بموجب الضبقات الثلاث التي أنتم عليها محمولون دفعة واحدة في كل سنة من غير مكروه ولا... وأن يفسم لك في الوساطة بين أهل نحتك فيما يشجر بينهم مماريك حلفا... وتحسم برأعا بتفق إلا ما كان يقتضي حكما وقضا وفصلا فمرجعه للإسلام ليثبت على ما تمضيه الشريعة وتوجهه أوامرها المقفأة المتبوعة، وأن تمضي لأهل مذهبك إذا زلغ منهم زائغ إلا أن يهديه الله ويرشده ويوحده الحق إذا ضل نشده.

وأمر بإنشاء الكتاب حجة يحمل عليها، وجنة يأوي إليها، فيعلم بذلك سائر المصارنة والأساقفة والقسيسين والنصارى أجمع، وليعمل به.

## -الملاحق-

وكتب في صفر من سنة خمس وثمانين وأربعمائة ولله الحمد والمنة.

-المرجم: يحيى أحمد عبد المادي حسين، المرجم السابق، ص 320-324.

## -الملحق-ق-

-الملحق رقم: 07.

-كتاب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي إلى ضياء الملك أحمد بن نظام الملك  
متولي المدرسة النخامية ببغداد، يعتذر فيه عن عدم امتطاعته للعودة للتدريس  
بنخامية ببغداد وذلك في سنة 504هـ

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد  
المرسلين وآله أجمعين. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّ وَجَمَةٍ هُوَ مُؤَلِّمًا فَاَسْتَبْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾.  
الخلق من جملة ما جعلوه قبلتهم ثلاثا لصقات: عوام أهل غفلة، وخواص أولو  
كياسة، وخواص الخواص وهم ذوو البصيرة. أما أهل الغفلة، فقد قصروا نظرهم على  
عاجل الخيرات، وخصول نعيم الدنيا هو الخير الأكبر، وحسبوه أصل المال والجاه، فأقبلوا  
عليها، وعدوها قرعة عين لهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما خُذبان أرملا في  
زينة غنم بأكثر فسادا فيما من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم}. لم  
يفرق أولئك الغافلون بين الذئب والصيد، ولم يميزوا بين القرقة والسخنة، واصطفوا  
لصريقا أعوج، وزعموا أنه رفعه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبئ بنيفهم  
هذا: {تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم}.

وأما الخواص، فقد أسلمتهم الكياسة والموازنة بين الدنيا والآخرة أن آثروا الآخرة  
على الأولى، وهي خير وأبقى، والباقي أفضل من الفاني المنقضي. فمالوا عن  
الحياة الدنيا، وولوا وجوههم شمس الآخرة. ولكن قص هؤلاء أيضا، إذ لم يصلبوا الخير  
المطلق وإن قنعوا بما هو أحسن من الدنيا.

وأما خواص الخواص، وهم أولو البصيرة، فقد عرفوا أن ذلك ليس بالخير المطلق، وأن  
كل ما دونه من الآفلين، والعاقلة لا يحب الآفل، ودرروا أن الدنيا والآخرة مخلوقان،  
وأن أكثرها شهوة استوى فيها البهائم والإناسي، وهذه مرتبة لا تنبغي لهم. والله  
مالك يوم الدين، وله ملكوت الدنيا وهو خالقها، وهو خير وأعلى. وقد كشف عن

## -الملاحق-

هؤلاء غلوا قوله ﴿والله خير وأبقى﴾، واختاروا مقام ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾، وآثروه على مرتبة ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ بل أدركوا حقيقة لا إله إلا الله، وعرفوا أن الآدمي عبد ما قيد به نفسه، وأنه إلهه ومعبوده ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، ومقصود كل نفس معبودها، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {تعبس عبد الدرهم} فمن كان مقصوده غير الله، فتوحيده غير تام، وهو من الشرك الخفي غير بريء. وقد قسم هؤلاء كل ما في الوجود قسمين متقابلين: الله، وما دونه. وهما ككفتي الميزان، جعلوا قلوبهم لسانه. فلما وجدوا لصعهم يميل لصوعا مع الكفة الراجحة، قالوا: قد ثقلت موازين الحسنات، وأيقنوا أن ما لم يوفه هذا القسط من لا يزنه الميزان يوم الحساب.

وحال الصبقة الثانية عند الصبقة الثالثة، هو مثل حال الصبقة الأولى لدى الصبقة الثانية: عوام لا يفهمون قيلهم، ولا يدرون أن من نضر إلى وجه الله تعالى بالحقيقة حسن وجهه.

وقد دعاني صدر الوزارة -بلغه الله أعلى المقامات- من المحل الأدنى إلى المرتبة العلية، فأنا أدعوه من مقام الصبقة الأولى وهو أسفل السافلين، إلى أعلى عليين وهو مقام الصائفة الثالثة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: {من أحسن إليكم فكافئوه}. وأنا لم أصب سبيلا إلى جزائه ومكافأته، فقد عجزت عن إسعافه بالإجابة. فليهيئ لي أمر السفر من حضيض درجة العوام إلى علو درجة الخواص. والصريق إلى الله واحدة من لصوص وبغداد وسائر البلاد، ولكن بعضها أقرب من بعض. ولكن ليست تلك الصرائق الثلاث إلى الله تعالى سوا. ثم ليعرف حق المعرفة أنه لو ترك فرضا من الفروض التي أوجبهما الله تعالى، أو ارتكب ما حصره الشرع، أو لذ له النوم وفي البلاد مظلوم واحد يتململ من السقام، فما درجته إلا حضيض المقام الأول وهو من أهل الغفلة، أولئك هم الغافلون، لا

## -الملاحق-

جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون، أسأل الله تعالى أن يوقضه من نوم الغفلة لينتصر في يومه لغده، قبل أن يخرج الأمر من يده.

عدنا إلى حديث مدرسة بغداد، وعذر التقاعد عن امتثال إشارة صدر الوزارة. أما العذر فإن الخروج من الوطن لا يلتمس إلا ابتغاء زيادة دين، أو طلب زيادة دنيا. أما الدنيا فقد زال طلبها من القلب والحمد لله تعالى. فإذا أتوا ببغداد إلى حصون وهيا وأساب الملك والمملكة للغزالي، وأسلموها إليه، والتفت إليها، كان ذلك من ضعف الإيمان، فالميل من نتائجه. وأما زيادة الدين فإنه يستحق الحركة والصلاب. ولا ريب أن إفاضة العلم هنالك أيسر، وأسبابه أوفر، وطلبه أكثر. ولكن العذر أن السفر يوجب خللاً في الدين لا تسده هذه الزيادة، فإن هاهنا نحو مائة وخمسين محصلاً متورعاً مشغولون بالاستفادة، ونقلهم وإعداد وسائلهم متعذر، وتركهم وكسر قلوبهم والسفر لكثرة نكائهم في مكان آخر لا رخصة فيه، مثل ذلك كمثّل رجل يكفل عشرة أيتام ثم يعدل عنهم ليتعهد عشرين في موضع آخر والموت والآفات في طلبه.

ثم إنني كنت فرداً لما دعاني الصدر الشهيد نصام الملك - قدس الله روحه - إلى بغداد، لا أهل ولا بنون، وقد بليت بالأهل والولد، ولا يجوز إغفالهم وكسر قلوبهم. والعذر الثالث أنني نذرت لما وصلت إلى تربة الخليل عليه السلام سنة 489 هـ أي قبل خمس عشرة سنة تقريباً، ألا أقبل مالاً من سلطان أو ملهاني، وألا أخرج للسلام على سلطان أو ملهاني، وألا أنالخص. فإذا نقضت هذا النذر ضاع الوقت، وانصرف القلب، ولم أستطع شيئاً من أعمال الدنيا والدين. ولا بد من المناصرة في بغداد، ولا مناصر من السلام على دار الخلافة بها، وأنا لم أمثل للسلام على أحمد في بغداد منذ رجعت من الشام، ولم أتصرف في أي شغل، واجتيت الاعتزال. وإذا توليت أمر لم أستطع الحياة سالماً. فالباهن حينئذ ينكر الانزواء.

## -الملاحق-

وأعظم هذه المعاذير أنني لا أقبل مالا من السلطان، وليس عندي في بغداد ملك، وباب المعيشة موصد. وعند هذا الحقيس ضيعة في كوس تكفي هذا الضعيف والأطفال جميعا بعد المبالغة في الاقتصاد والقناعة. وإذا غبت، قصرت عن ذلك. وهذه المعاذير جميعا دينية، وهي لدى جليله وابن خنصا أكثر الناس يسيرة. وقد بلغت غاية العمر. وهذا - على كل حال - وقت الوداع للفراق، لا وقت سفر العراق. أو مل من مكارم أخلاقك قبول هذا الاعتذار. فكن أن الغزالي قدم بغداد. وأتاه أمر الله، ألا يجب إعداد مدرس آخر؟ فاعمل هذا اليوم، والسلام. زين الله تعالى صدر العالم بحقيقة الإيمان التي هي وراء صورة الإيمان، ليعمر العالم به، والحمد لله حق حمده، وصلاته على نبيه وآله وسلم.

-المرجع: مزيرن سعيد مزيرن عسيري، المرجع السابق، ص 526-529.



- قائمة

المصادر

والمرجع

## - ثبت المصادر والمراجع -

### - أول - المصادر -

- 1- القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.
- 2- ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1965م.
- 3- ابن الأثير عن الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، الجزء 1، بيروت، دار صادر.
- 4- (أ. ب.)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الخاق، ج 8، 1هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1407هـ / 1987م.
- 5- ابن الأثير أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملوك، الجزء الأول، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، 1هـ، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ / 2008م.
- 6- ابن الجزري شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن علي، غاية النهاية في طبقات القراء، الجزء الثاني، 1هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1427هـ / 2006م.
- 7- (أ. ب.)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق عبد الحي الفرماوي، 1هـ، دار الفكر للطباعة، 1977م.
- 8- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق الدكتور ناجية عبد الله إبراهيم، 1هـ، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2000م.
- 9- (أ. ب.)، زاد المسير في علم التفسير، الجزء الأول، المكتب الإسلامي، د.ت.
- 10- (أ. ب.)، صيد الخالص، تحقيق عامر بن علي ياسين، 1هـ، الرياض، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، 1418هـ / 1997م.
- 11- (أ. ب.)، تلبيس إبليس، بيروت، دار القلم، د.ت.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 12- (أ-)، منهاج القاصدين ومفيد الصادقين، تحقيق محمد الخراجه، 1هـ، دمشق، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ/2010م.
- 13- ابن الساعي علي بن أنجب تاج الدين، الجامع المختصر في عناوين التواريخ وعيون السنين، تحقيق مصطفى جواد، الجزء 10، بغداد، المطبعة الكاثوليكية، 1934م.
- 14- ابن الصلاح الشهرزوري أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن، لهبقات الفقهاء الشافعية، هذبه ورتبه واستدرك عليه الإمام محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (631هـ-676هـ)، بيض أصوله ونقحه الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني (654هـ-742هـ)، حققه وعلق عليه محي الدين علي نجيب، ج 1، 1هـ، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1413هـ/1992م.
- 15- (أ-)، أدب المفتي والمستفتي، دراسة وتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، 1هـ، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، 1407هـ/1986م.
- 16- (أ-)، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، بيروت، المكتبة العلمية، 1981م.
- 17- ابن الصققي محمد بن علي بن لهبال، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، حققه وضبطه وشرحه عبد القادر محمد مايو، مراجعة أحمد عبد الله فرهود، 1هـ، حلب، دار القلم العربي، 1418هـ/1997م.
- 18- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، الجزء 4، دمشق، دار الفكر، د.ت.
- 19- ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، تحقيق وتعليق محمود الأرنؤوط، الجزء الأول، 1هـ، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، 1410هـ/1989م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 20- ابن الفراء محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحقيق د. عمر أبوالمجد بن حسين قاسم محمد النعيمي، 2، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1434هـ / 2013م.
- 21- ابن الوردي سراج الدين، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق أنور محمود زفاتي، 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1428هـ / 2008م.
- 22- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصنجي، الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق علي المنتصر الكناني، الجزء 1، بيروت، 1975م.
- 23- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة، الجزء الخامس، مصر، طبعة مصورة، دار الكتب، مطابع كونتسا برن 1933م.
- 24- ابن جزري محمد بن أحمد الغرناطي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبية على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق عبد الكريم الفضيلي، 1، صيدا- بيروت، المكتبة العصرية، 1433هـ / 2012م.
- 25- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ليدن، طبعة بريل، 1899م.
- 26- ابن خلدون عبد الرحمن، شفاء السائل لتهذيب المسائل، تحقيق الدكتور محمد مهيم حافظ، 1996م.
- 27- (أ-)، المقدمة، طبعة جديدة منقحة، بيروت، دار الشرق العربي، 1425هـ / 2004م.
- 28- ابن رجب أبي عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ - 1985م.
- 29- الغزير علي، كسفات الحنابلة، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الجزء 1<sup>0</sup>، مكة المكرمة، مكتبة العبيكان.
- 30- ابن رسته، الأعلام النفيسة، ليدن، طبعة بريل، 1892م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 31- ابن سينا علي، القانون، الجزء 1، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1877م.
- 32- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحملته، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، الجزء 2، 1، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، 1415هـ / 1995م.
- 33- ابن عساكر، تبیین كذب المفتری فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تقديم وتعليق محمد زاهد الكوثري وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقا، المكتبة الأنهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، 2010.
- 34- ابن فرحون، العريال، المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين البنان، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ - 1996م.
- 35- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، 3، القاهرة، دار البيان للتراث، 1408هـ / 1988م.
- 36- (أ-)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت، دار المعرفة.
- 37- ابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، بيروت، مكتبة المعارف، 1412هـ - 1991م.
- 38- ابن منصور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري الخرجي المصري الإفريقي، لسان العرب، طبعة خاصة، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الكويت، دار النوادر، 1431هـ / 2010م.
- 39- ابن مازة البخاري الحنفي برهان الدين أبي المعالي محمود بن أحمد بن عبد العزيز المحيكي البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، تحقيق عبد الكريم سامي الجندبي، الجزء الثاني، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ / 2004م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 40- ابن هبيرة البغدادي الحنبلي عون الدين أبي المظفر يحيى بن محمد، إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم، دراسة وتحقيق محمد حسين الأنزهرى، مج 2، 1، دار الخلا للنشر والتوزيع، 1430هـ - 2009م.
- 41- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، ليذن، أبريل 1937م.
- 42- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، دار التربية، بغداد، د.ت.
- 43- أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، اعتنى به محمد مرابي، 1، الجزائر، دار الإمام مالك للكتاب، 1434هـ / 2013م.
- 44- أبو المعالي الجويني، الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، حققه ووضع فهارسه أ.د عبد العظيم محمود الديب، 3، بيروت، دار المنهاج، 1432هـ / 2011م.
- 45- (—)، نهاية المصلب في دراسة المذهب، حققه وصنع فهارسه أ.د عبد العظيم محمود الديب، الجزء 06، 1، جدة، دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1427هـ / 2007م.
- 46- (—)، مغيث الخلق في ترجيم القول الحق، 1، المطبعة المصرية، 1353هـ / 1934م.
- 47- (—)، البرهان في أصول الفقه، حققه وقدمه ووضع فهارسه الدكتور عبد العظيم الديب، الجزء 02، 1، قلص، كلية الشريعة، 1399هـ.
- 48- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخليلي البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل يوسف العزازي، المجلد 1، 1، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1417هـ / 1996م.
- 49- أبو سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمود الكرخي، زين الأخبار، ترجمة عفاف السيد زيدان، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 50- أبو منصور عبد القاهر بن كاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار الهلال للنشر والتوزيع والتصدير، 2005م.
- 51- أبو هلال العسكري الفروق في اللغة.
- 52- الآجري أبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، كتاب أخلاق العلماء، اعتنى به الدكتور أحمد حاج محمد عثمان، 1، الرياض، دار أضواء السلف، 1428هـ - 2007م.
- 53- الأصخري، مسالك الممالك، بيروت، صادر مصور عن نسخة ليدن، مطبعة بريل، 1927م.
- 54- الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد ابن المفضل الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، 1، بيروت، 1400هـ / 1980م.
- 55- الأصفهاني الراغب، مفرجات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، 1، دمشق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ / 1992م.
- 56- (—)، تاريخ دولة آل ملجوق، قرأه وقدم له الدكتور يحيى مراد، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2004م - 1425هـ.
- 57- الإكفاني، إرشاد القاصد
- 58- الأندلسي البكري أبو عبيد الله، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق مصطفى السقا، 1، مكتبة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1949م.
- 59- ابن الخليل لسان الدين، الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر والأوائل، 1، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، 1997م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 60- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الجزء الأول، 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002م.
- 61- البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الجزء الأول، مؤسسة التاريخ العربي.
- 62- البغدادي صفى الدين، مرصد الاصلاص على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، مج 2، بيروت، دار الجيل.
- 63- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادي، فتوح البلدان، القاهرة، 1991م.
- 64- الیهقي أبو الفضل، تاريخ الیهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار الطباعة الحديثة، د.ت.
- 65- بن الحسين إسحاق، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، اعتناء الدكتور فهمي سعد، 1، بيروت، عالم الكتب، 1408هـ / 1988م.
- 66- بن عقيل، التذكرة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق وتعليق الدكتور ناصر بن سعود بن عبد الله السلامة، 1، الرياض، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، 1422هـ / 2001م.
- 67- بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد أحمد، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ / 921م، حققها وعلق عليها وقدم لها الدكتور سامي الدهان، 1، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، 1379هـ / 1959.
- 68- الثعالبي أبو منصور عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق حمدو همام، 1، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ / 2007م.



## - ثبت المصادر والمراجع -

- 69- الثعالبي أبي منصور عبد الملك النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، الجزء 4، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403 هـ / 1983 م.
- 70- (ـ)، الثعالبي أبو منصور عبد الملك، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق حمدو همام، 1، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1428 هـ / 2007 م.
- 71- (ـ) الثعالبي، المصنف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري، حسن كامل الصيرفي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، 1960 م.
- 72- الجويني علاء الدين علاء ملك، تاريخ فائق العالم جمانكشاي (في تاريخ منكوقا آن وهولاكو، والإسماعيلية)، تحقيق وحواشي وتعليقات محمد بن عبد الوهاب القزويني، نقله عن الفارسية وقدم له محمد السعيد جمال الدين، الجزء 03، 1، القاهرة، المركز القومي، 2015..
- 73- الجيلاني، الغنية للمصنف لصريق الحق عز وجل (في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)، وضع حواشيه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الجزء الأول، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417 هـ / 1997 م.
- 74- حاجي خليفة، كشف المكنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء 1، وكالة المعارف، 1360 هـ / 1941 م.
- 75- الحسيني صدر الدين علي بن ناصر، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق الدكتور محمد نور الدين، 1، بيروت، دار إقرأ، 1405 هـ / 1985 م.
- 76- الحسيني علي بن محمد الشريف، التعريفات، بيروت، 1996 م.
- 77- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، المجلد الأول، 1، بيروت، دار صادر، 1397 هـ - 1977 م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 78- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المصلح في خبر الأقطان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، 2، بيروت، مكتبة لبنان، 1984م.
- 79- الخليلي البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قضاةها من العلماء من غير أهلها ووارثيها، تحقيق وضبطه وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، المجلد الأول، 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1422هـ / 2001م.
- 80- (أ-)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق الدكتور محمود الصحان، الجزء 01، 1، الرياض، مكتبة المعارف، 1403هـ / 1983م.
- 81- (أ-)، كتاب الفقيه والمتفقه، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، المجلد 02، 1، الرياض، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1417هـ - 1996م.
- 82- (أ-)، كتاب الكفاية في علم الرواية.
- 83- الخوارزمي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، دراسة وتصدير أ.د. عبد الأمير الأعسم، 1، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ / 2008م.
- 84- الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، المجلد الثاني، بيروت، دار المعرفة، د.ت.
- 85- (أ-)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق الدكتور هيار ألتونقول، المجلد الثاني، استانبول، 1416هـ - 1995م.
- 86- (أ-)، العبر في خبر من غير، 3، تحقيق وضبطه أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ / 1985م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 87- (أ-)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حققه وضبطه نصه وعلق عليه الدكتور عواد معروف، المجلد 10، 1هـ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م.
- 88- (أ-)، سير أعلام النبلاء، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج 18، 1هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1405هـ/1984.
- 89- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق محمود خالص، ج 1، طبعة جديدة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ/1995م.
- 90- (أ-)، تفسير الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج 16، 1هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م.
- 91- (أ-)، مناقب سيدنا الإمام مالك.
- 92- الرواندي محمد بن علي بن سليمان، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرون، مراجعة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم بديع محمد جمعة وشيرين عبد المنعم محمد حسنين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
- 93- الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق إبراهيم الترزي، مراجعة الدكتور محمد سلامة رحمة وآخرون، ج 33، 1هـ، الكويت، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1421هـ-2000م.
- 94- الزركشي محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصحفى المراغي، 4هـ، القاهرة، وزارة الأوقاف، 1416هـ-1996م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 95- الزَّنُّوجِي برهان الدين، تعليم المتعلم في طريق التعلم، حققه وقدم له صلاح محمد الخيمي ونذير حمدان،<sup>3</sup> بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1435هـ - 2014م.
- 96- السمرقندي أبو الليث، خزانة الفقه وعيون المسالك، تحقيق صلاح الدين الناهي، مج 1، بغداد، 1965م.
- 97- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي، الأنساب، حققه وراجعه الأستاذ أكرم البوشي، الجزء 12،<sup>1</sup> القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1404هـ / 1984م.
- 98- (ـ)، أدب الإملاء والإمتلاء، دراسة وتحقيق أحمد محمد عبد الرحمن محمد محمود، الجزء الأول،<sup>1</sup> مطبعة المحمودية، 1413هـ.
- 99- (ـ)، الأنساب، حقق نصوصه وعلق عليه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله تعالى، الجزء الأول،<sup>2</sup> القاهرة، مكتبة ابن تيمية، 1400هـ / 1980م.
- 100- (ـ)، المنتخب من معجم الشيوخ، دراسة وتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، المجلد الثاني،<sup>1</sup> الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ / 1997م.
- 101- (ـ)، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيرة ناجي سالم، الجزء الأول،<sup>1</sup> بغداد، 1395هـ / 1975م.
- 102- السيوطي تاريخ الخلفاء، تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي بإشراف محمد غسان نصوص عزقول الحسيني،<sup>2</sup> الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ / 2013م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 103- (أ-)، تدريب الراوي في شرح تقريب النولوي،<sup>1</sup>هـ، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ / 2009م.
- 104- (أ-)، إتمام الرواية لقرأ النقاية، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
- 105- (أ-)، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق شعيب الأرنؤوط، واعتناء وتعليق مصحف شيخ مصحف،<sup>1</sup>هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1429هـ / 2008م.
- 106- (أ-)، كتاب إتمام الدراية لقرأ النقاية، ضبطه وكتب حواشيه الشيخ إبراهيم العجوز،<sup>1</sup>هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ / 1985م.
- 107- الشاشي أبو بكر، حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق سعيد عبد الفتاح، مقابلة النسخ فتحية علية محمد، الجزء<sup>03</sup>،<sup>2</sup>هـ، الرياض، مكتبة نزار مصحف البان، 1418هـ / 1998م.
- 108- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز الوكيل، الجزء<sup>01</sup>، القاهرة، مؤسسة الحلبي، 1388هـ / 1968م.
- 109- الشيباني محمد بن الحسن، كتاب الكسب، شرحه محمد بن أحمد السرخسي، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله،<sup>1</sup>هـ، بيروت، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، 1417هـ / 1997م.
- 110- الشيرازي، المذهب في فقه الإمام الشافعي، تحقيق وتعليق وشرح وبيان الراجح في المذهب بقلم الدكتور محمد الزحيلي، الجزء الثالث،<sup>1</sup>هـ، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، 1417هـ / 1996م.
- 111- (أ-)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد البان العريني، د.د.م.ت صيد الخالص، تحقيق عامر بن علي ياسين،<sup>1</sup>هـ، الرياض، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، 1418هـ / 1997م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 112- الصيرفيني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المتغلب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ضبطه خالد حيدر، مكة المكرمة، المكتبة التجارية مصحف أحمد الباز، د. ت.
- 113- الحصري أبو جعفر محمد بن جري، تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء الثالث، مصر، دار المعارف، 1960.
- 114- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله، التعريف بالمصطفى الشريف، عن تحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، له 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1408 هـ / 1988 م.
- 115- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد ي، إحياء علوم الدين ومعه المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعلامة زين الدين أبي الفضل العراقي، له 1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1426 هـ / 2005 م.
- 116- (—)، المستقصى من علم الأصول، دراسة وتحقيق الدكتور حمزة بن زهير حافظ، الجزء 01، كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د. ت.
- 117- (—)، الاقتصاد في الاعتقاد، ومعه كتاب السداد في الإرشاد إلى الاقتصاد في الاعتقاد للدكتور مصحف عبد الجواد عمران، له 1، القاهرة، دار البصائر، 1430 هـ / 2009 م.
- 118- (—)، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، له 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1409 هـ / 1988 م.
- 119- (—)، المنقذ من الضلال، تعليق محمد جابر، د. ت.
- 120- (—)، أيها الولد، تحقيق علي محي الدين الغزالي داغري، بدون طبعة، القاهرة، دار الاعتصام، د. ت.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 121- (أ-)، شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق الدكتور حمد الكبيسي، 1، بغداد، مطبعة الإرشاد، 1390هـ / 1971م.
- 122- (أ-)، فضائم الباطنية، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، الكويت، مؤسسة دار الكتب الثقافية.
- 123- الفارسي أبو الحسن، المختصر من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق محمد كاظم المحمودي، طهران، مركز بروهشي ميراث مكتوب، 1382هـ.
- 124- الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، تصحيح وتعليق حامد الفقير رحمه الله، بيروت، دار الكتب العلمية، 1421هـ - 2000م.
- 125- (أ-)، لهبقات الحنابلة، تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ج 2، 2، المملكة العربية السعودية، 1419هـ / 1999م.
- 126- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحي، نسخة منقحة وعليها تعليقات الشيخ أبو الوفا نصر الموريني المصري الشافعي (ت 1291هـ)، راجعه واعتنى به أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث، 1429هـ - 2008م.
- 127- الفيومي أحمد، المصباح المنير
- 128- القرمانلي، كتاب أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، بيروت، منشورات عالم الكتب، 1978م.
- 129- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، (د.ت).
- 130- (أ-)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تحقيق فاروق سعد، 1، بيروت، دار الآفاق، 1973م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 131- القسطلاني أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، **لصائف الإشارات لفنون القراءات**، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المجلد 01، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، د.ت.
- 132- القفصي جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تعليق إبراهيم شمس الدين، 1هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ / 2005م.
- 133- القلقشندي أبو العباس صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1340هـ / 1922.
- 134- القنوجي صديق بن حسن، **أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**، ج 1، أعدده للبعث ووضع فهارسه عبد الجبار زكار، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1978م.
- 135- الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الجزء الثاني، 2هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ / 2003م.
- 136- الكردري، **مناقب أبي حنيفة**، دار الكتاب العربي، 1981م.
- 137- الكرديزي أبو سعيد عبد الحي ابن الضحاك بن محمود، **زين الأخبار**، ترجمة عفاف السيد زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، 2006م.
- 138- اللكنوي المندي أبو الحسنات محمد عبد الحي، **الفوائد البمية في تراجم الحنفية**، عن تصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعاني، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.
- 139- الماوردي أبو الحسن، **أدب الدنيا والعين**، اعتنى به وخرج أحاديثه محمد أبو الخير السيد ومحمد الشرفاوي، 1هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1434هـ / 2013.



## - ثبت المصادر والمراجع -

- 140- (ـ)، أدب العرين والدفيا، تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي،<sup>1</sup> بيروت، دار المنهاج للنشر والتوزيع، 1434هـ / 2013م.
- 141- (ـ)، الرتبة في طلب الحسبة، دراسة وتحقيق مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، الدكتور أحمد جابر بدرن، تحت إشراف الأستاذ الدكتور علي جمعة،<sup>1</sup> القاهرة، دار الرسالة، 1432هـ - 2002م.
- 142- (ـ)، النكت والعيون تفسير الماوردي، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الجزء الرابع، بيروت، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، د.ت.
- 143- (ـ)، تسهيل النصر وتجميل الخضر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق رضوان السيد،<sup>2</sup> بيروت، مركز ابن الأزرق لدراسات التراث السياسي، 1432هـ / 2012م.
- 144- (ـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد جاد،<sup>1</sup> القاهرة، دار الحديث، 1427هـ / 2006م.
- 145- (ـ)، قوانين الوزارة وسياسة الملك، تحقيق ودراسة الدكتور رضوان السيد،<sup>1</sup> بيروت، دار الصليعة للطباعة والنشر، مارس 1979م.
- 146- (ـ)، نصيحة الملوك، تحقيق الشيخ خضر محمد خضر،<sup>1</sup> الكويت، مكتبة الفلاح، 1403هـ / 1983م.
- 147- المقدسي محمد بن أحمد، رحلة المقدسي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حررها وقدم لها شاكر عيسى،<sup>1</sup> أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2003.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 148- المقرئ بن قتي الدين أحمد بن علي، إتحاف الحنفيا بأخبار الأئمة الفاضلين  
الخلفاء، تحقيق محمد حلمي أحمد، الجزء الثاني، القاهرة، 1973.
- 149- (ب-)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطيئة والآثار المعروفة بالخطيئة  
المقرئ بن قتي الدين أحمد، الجزء الأول، بيروت، دار صادر، د.ت.
- 150- المناوي، فيض القدير، ج 1، هـ 2، لبنان، دار المعرفة، 1391هـ / 1972م.
- 151- مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة وتحقيق يوسف  
الهادي، طبعة مبدعة ومنقحة، الدار الثقافية للنشر، 1423هـ / 2002م.
- 152- النسفي نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد، القند في ذكر علماء  
سمرقند، تحقيق يوسف الهادي، هـ 1، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة  
والإرشاد الإسلامي، 1999م.
- 153- النصيبي أبو القاسم بن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة  
للطباعة والنشر، 1992م.
- 154- الهمذاني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق، كتاب البلدان، تحقيق يوسف  
الهادي، هـ 1، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1416هـ / 1996م.
- 155- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، لندن، طبعة  
بريا، 1892م.
- 156- برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، المقصد  
الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن بن  
سليمان العثيمين، الجزء الثاني، الرياض مكتبة الرشد، د.ت.
- 157- حاجي خليفة، كشف الكفون عن أسامي الكتب والفنون، ج 1، وكالة  
المعارف، 1360هـ / 1941م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 158- سبط ابن الجوزي شمس الدين أبي المصطفى يوسف بن قزوغلي بن عبد الله، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق وتعليق محمد أنس الخن وكامل محمد الخراص، الجزء 18، 1هـ، بيروت، الرسالة العالمية، 1434هـ/2013م.
- 159- هاشم كبرى زاده أحمد بن مصطفى، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، المجلد 01، 1هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ/1985م.
- 160- محمد بن محمد بن عبد الله بن النضام الحسيني، **استعراض في تاريخ السلاجقة**، ترجمة وتحقيق الدكتور حسين أمين، راجع الترجمة الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، 1هـ، دمشق، دار المدى للثقافة والنشر، 2011م.
- 161- محمد شمس الحق العظيم آبادي الهندي، **عون المعبون شرح أبي داود**، ج 11، 1هـ، لبنان، دار ابن حزم، 1426هـ/2005م.
- 162- نضام الملك الصوسي، **مير الملوكة أو ميامت نامة**، ترجمه عن الفارسية الدكتور يوسف بكان، 3هـ، عمان، وزارة الثقافة، 2012م.
- ثانياً- المراجع:**
- 163- الأشقر عمر سليمان، **الواضح في أصول الفقه**، 4هـ، عمان، دار النفائس، 1992م.
- 164- الأنصاري محمد، **أحكام ولاية العلم والعلماء تجاه الدولة والمجتمع**، 1هـ، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1433هـ/2012م.
- 165- البدري عبد العزيز، **الإسلام بين العلماء والحكام**، تحقيق وتعليق وتقديم الشيخ صالح العود، 1هـ، بيروت، دار ابن حزم، 1435هـ/2014م.
- 166- البواعنة لؤي، **دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (490هـ-648هـ/1097م-1250م)**، 1هـ، عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2007م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 167- التركي عبد الله بن عبد المحسن، المذهب الحنبلي دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، ج 1، 1هـ، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 1432هـ / 2002م.
- 168- التفنيزاني أبو الوفا الغنيمي، علم الكلام وبعض مشكلاته، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ت.
- 169- التل عمر سليم عبد القادر، متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي دراسة تاريخية، 1هـ، دار المأمون للنشر، 1430هـ / 2009م.
- 170- الثامري إحسان ذنون، الحياة العلمية زمن السامانيين (التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين)، 1هـ، بيروت، دار الحلبة للطباعة والنشر، 2001م.
- 171- الجبوري طارق موسى إسماعيل، المجتمع ودوره في التصدي للاحتلال المغولي (634هـ - 740هـ)، 1هـ، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، بغداد، دار الفجر للطباعة والنشر، 1440هـ - 2019م.
- 172- الجمالهي عبد السلام، النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والحوائف (316هـ - 483هـ)، 1هـ، بيروت، دار ابن حزم، الرباط، منشورات دار الأمان، 1431هـ / 2010م.
- 173- الدليمي محمد حسن سميل، الإقصاء في الدولة العباسية (447هـ - 656هـ)، 1هـ، جمهورية العراق، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، 1431هـ / 2010م.
- 174- الدوري عبد العزيز، العصر العباسي الأول (دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي)، 2هـ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009م.
- 175- (—)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، 3هـ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 176- (أ-)، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع المجري، له<sup>3</sup>، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، يناير 1995م.
- 177- الريسوني أحمد، مؤسسة العلماء في الإسلام من التأصيل إلى التفعيل، دور العلماء في المجتمعات الإسلامية، منشورات كلية الآداب، المحمدية، مطبعة النجاة الجديدة، الدار البيضاء، 2001م.
- 178- الزيداني عمر أنور، السيادة الشرعية عند الجويني قواعدها ومقاصدها، له<sup>1</sup>، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ / 2011م.
- 179- (أ-)، الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الكومري (408هـ - 485هـ) قوام الدين وقامع المتدعين، له<sup>1</sup>، جمهورية مصر العربية، الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ / 2015م.
- 180- الزحيلي محمد، مرجع العلوم الإسلامية (تعريفها - تاريخها - أئمتها - علمائها - مصادرهما - كتبها)، دمشق، مطبعة الصباح، د.ت.
- 181- (أ-)، الوجيز في أصول الفقه، له<sup>1</sup>، دمشق، دار الفكر، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1419هـ / 1999م.
- 182- الزهراني ضيف الله يحيى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية (من سنة 132هـ - 334هـ / 749م - 945م)، له<sup>1</sup>، مكتبة المكرمة، مكتبة الصالحين الجامعي، 1406هـ / 1986م.
- 183- الزهراني محمد مسفر، نظام الوزارة في الدولة العباسية 334هـ - 590هـ (العهودان البويهى والسلجوقي)، له<sup>1</sup>، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1400هـ / 1980م.
- 184- الزبياري محمد صالح، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، له<sup>2</sup>، دار جلة، 2009م.
- 185- السباعي مصطفى، من روائع حضارتنا، له<sup>1</sup>، القاهرة، دار السلام، 1418هـ.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 186- الشريف محمد، إصدارات في تاريخ الغرب الإسلامي (قراءات نقدية)، ج 01، 01هـ، الرياض، 2005م.
- 187- الشبكة مصحف، مناهج التأليف عند العلماء العرب - قسم الأدب -، 6هـ، بيروت، دار العلم للملايين، أبريل 1991م.
- 188- الشنقيطي محمد بن مختار، أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية الشيعية، 1هـ، بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2016م.
- 189- الصباغ محمد بن الحفي، المناهج والأصص التأليفية في تراثنا.
- 190- الصغير عبد المجيد، الفكر الأصولي وإشكالية السلحة العلمية في الإسلام (قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة)، 1هـ، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1415هـ / 1994م.
- 191- الصلابي علي محمد محمد، السيرة النبوية عرض وقائع تحليل أحداث دروس وعبر، ج 1، 7هـ، بيروت، دار ابن كثير للباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ / 2015م.
- 192- (ـ)، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصيته وعصره، 4هـ، بيروت، دار ابن كثير للباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ / 2015م.
- 193- (ـ)، أمم المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه شخصيته وعصره، 4هـ، بيروت، دار ابن كثير للباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ / 2015م.
- 194- (ـ)، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما شخصيته وعصره، 4هـ، بيروت، دار ابن كثير للباعة والنشر والتوزيع، 1436هـ / 2015م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 195- الصويحي أحمد بن عبد الله بن محمد، علم أصول الفقه من التدوين إلى نهاية القرن الرابع الهجري (دراسة تاريخية استقرائية تحليلية)، ج 1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، 1427هـ.
- 196- الضيقة حسن، الدولة العثمانية: الثقافة، المجتمع، والسلطة، ج 1، بيروت، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، 1417هـ - 1997م.
- 197- العبادي أحمد مختار، تاريخ العصر الإسلامي الوسيط، ج 1، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2013.
- 198- العبدلي الغامدي خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين، الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (92هـ) حتى سقوط غرناطة (897هـ) دراسة عقدية، ج 1، الرياض، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، جهاد الأستاذ لخدمات الطباعة، ربيع الآخر 1429هـ.
- 199- العثماني كسفر أحمد، قواعد علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ج 3، بيروت، دار القلم، 1972م.
- 200- العشر يوسف، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية نزار أبالكسة ومحمد صباغ، ج 1، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1411هـ / 1991م.
- 201- العلمي محمد، الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي، ج 1، الرياض، دار الأمان للنشر والتوزيع، 1433هـ / 2012م.
- 202- العمادي محمد حسن، خراسان في العصر الغزنوي، إربد، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، دار الكندي للنشر والتوزيع، 1997م.
- 203- الغفيلي عبد الله بن منصور، نوازل الزكاة (دراسة فقهية تأصيلية لمستجدات الزكاة)، ج 1، الدوحة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1430هـ / 2009م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 204- الكيسي خليل إبراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عهدي الإمارة والخلافة، 1، بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1425هـ / 2004م.
- 205- الكيلاني ماجد عرسان، تصور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية (دراسة منهجية في الأصول التاريخية للتربية الإسلامية)، 2، دمشق- بيروت، دار ابن كثير، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، 1405هـ / 1985م.
- 206- (ب-)، هكذا فهم جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدم، 3، دبي، دار القلم للنشر والتوزيع، 1423هـ / 2002م.
- 207- المعاضدي عبد القادر سلمان، وأمل في العصر العباسي دراسة في تنظيماتها الإدارية وحياتها الاجتماعية والفكرية (324هـ - 656هـ / 953م - 1258م)، 1، بيروت، الدار العربية للموسوعات، 1426هـ / 2006م.
- 208- الندوي أبو الحسن علي الحسني، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، تقديم الدكتور مصطفى السباعي والدكتور مصطفى الخن، ج 2، 3، دمشق، بيروت، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ / 2007م.
- 209- الوزنة يحيى بن حمزة، مدينة مرو والسلاجقة حتى عصر منجر، 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1432هـ / 2007م.
- 210- بن باديس عبد الحميد، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق محمد الصالح رمضان، 2، دار الفكر، د.ت.
- 211- بن بيه محمد محمود عبد الله، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، 1، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ / 2000م.
- 212- بن منصور آمنة، المناهضة في الأندلس (الأشكال والمضامين)، 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012م.



## - ثبت المصادر والمراجع -

- 213- أبو الخيل محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين، جمهور علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عهد المرابطين والموحدين (483هـ/1090م-640هـ/1242م)، 1، السعودية، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، 1422هـ/1998م.
- 214- أبوزهرة محمد، ابن تيمية حياته وعصره - أروق وفقهه، القاهرة، دار الفكر العربي، 1991م.
- 215- أبولحية نور الدين، الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي (دراسة علمية حول فكر الغزالي وأثره الإصلاحية)، 1، 2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 1437هـ/2016م.
- 216- إبراهيم حسين سرون، المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية (الفقه - الأصول - الفلسفة - المنطق)، ج 1، 1، بيروت، دار المادى للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ/2008م.
- 217- إبراهيم عبد الرحيم، السيامية الشرعية (مفهومها - مصادرها - مجالاتها)، 1، القاهرة، دار النصر للتوزيع والنشر، 1427هـ/2006م.
- 218- إبراهيم علي كرخان، النظم الاقتصادية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، 1، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1388هـ/1968م.
- 219- إقبال عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمي، جامعة الكوفة، مطبوعات الجامعة، 1984م.
- 220- إيمان محمد زكي، الأحوال الاقتصادية في خراسان زمن السلاجقة (485هـ-590هـ/1092م-1194م)، 1، القاهرة، دار الآفاق العربية، 2014م.
- 221- أحمد فؤاد باشا، المؤسسات العلمية والتعليمية في عصر الحضارة الإسلامية، مشروع كتاب المؤسسة في الإسلام تاريخاً وتأصيلاً، تحرير أ.د. رفعت السيد

## - ثبت المصادر والمراجع -

- العوضي، هـ<sup>1</sup>، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1433هـ - 2012م.
- 222- بسام نهاد جبران، **مباحة الفكر مقالات في التفسير**، هـ<sup>1</sup>، البيرة، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، 1435هـ / 2013م.
- 223- بنلمهدي يوسف، **أصول الفكر الأخلاقي بالمغرب والأندلس**، هـ<sup>1</sup>، الرباط، الرابطة المحمدية للعلماء، مركز الإمام الجليل للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، 1435هـ / 2014م.
- 224- بولحيف لخضر محمد، **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في المغرب الإسلامي (510هـ - 668هـ / 1116م - 1269م)**، هـ<sup>1</sup>، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1429هـ / 2009م.
- 225- جورج صليب، **العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية**، ترجمة د. محمود حداد، هـ<sup>1</sup>، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2011م.
- 226- حركات إبراهيم، **المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط**، هـ<sup>1</sup>، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1995م.
- 227- خليف صابرة، **فقهاء تلمسان والسلطة الزناتية**، هـ<sup>1</sup>، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، 1432هـ / 2011م.
- 228- خضري بك محمد، **تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)**، اعتنى به الدكتور درويش جويدي، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، 1431هـ / 2010م.
- 229- خير الله سعيد، **وراقو بغداد في العصر العباسي**، هـ<sup>1</sup>، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1420هـ / 2000م.
- 230- سالك أحمد معلوم، **الفكر التربوي عند الخليل البغدادي**، هـ<sup>2</sup>، دمنهور، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، 1413هـ / 1993م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 231- معادة صفية، من تاريخ بغداد الاجتماعي (تصور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية)، 1، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، 1988م.
- 232- مولاف فيض الله حسن، البيوتات العلوية في العصر العباسي، 1، بيروت، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، 2013م.
- 233- صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، 1، إيران، منشورات الشريف الرضي، 1375هـ - 1417هـ.
- 234- لقصوش محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) 489هـ - 690هـ / 1096م - 1291م، 1، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ / 2011م.
- 235- (—)، تاريخ الخلفاء الراشدين (الفتوحات والإنجازات السياسية)، 2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1432هـ / 2011م.
- 236- (—)، تاريخ الدولة الأموية (41هـ - 132هـ / 661م - 750م)، 7، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1431هـ / 2010م.
- 237- (—)، تاريخ الدولة العباسية، 7، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ / 2009م.
- 238- (—)، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، 3، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1430هـ / 2009م.
- 239- (—)، تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق (429هـ - 590هـ / 1038م - 1194م)، 2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1437هـ / 2016م.
- 240- (—)، تاريخ الكولونيين والإخشيديين والحمدانيين، 1، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ / 2008م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 241- (أ.)، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، 3، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1434هـ/2013م.
- 242- (أ.)، تاريخ الفلاحيين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام (296هـ-567هـ/910م-1171م)، 2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1428هـ/2007م.
- 243- (أ.)، تاريخ ملائكة الروم في آسيا الصغرى، 2، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1429هـ-2008م.
- 244- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي (41هـ-132هـ/661م-750م)، 1، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/2008م.
- 245- (أ.)، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، قراءة ورؤية جديدة، 2، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1429هـ/2008م.
- 246- عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2010.
- 247- عبد المجيد أبو الفتوح بدوي، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوطه ببغداد، 2، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 1408هـ/1988م.
- 248- عبد النعيم محمد حسنين، إيران والعراق في العصر السلجوقي، 1، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1402هـ-1982م.
- 249- (أ.)، دولة السلاجقة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1975م.
- 250- عبد الهادي أحمد الحسين، الحديث والمحدثون في العصر المريني (668هـ-869هـ/1269م-1464م)، 1، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1437هـ/2016م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 251- عبد الهادي محمد رضا محبوبية، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الصومسي (408هـ-485هـ) كبير الوزراء في الأمة الإسلامية، دراسة تاريخية في سيرته وأهم أعماله خلال امتيناره، له1، القاهرة، الدار المصرية، رمضان 1419هـ/يناير 1999م.
- 252- علا عبد العزيز أبو زيد، الدولة الأموية... دولة الفتوحات 41هـ-132هـ/661م-750م (من استئناف الدولة الأموية القوي والمؤثر لحركة فتوحات الراشدين إلى بلوغ المد الفتح حدوده الطبيعية في المشرق والمغرب)، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م.
- 253- (ـ)، الدولة العباسية من التخلي عن ميامات الفتم إلى السقوط 132هـ-656هـ/750م-1258م)، له1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م.
- 254- علاوة عمارة، دراسات تاريخية وفكرية، له1، الجزائر، موفم للنشر، 2008م.
- 255- علي شاكر علي، ولاية الموصل العثمانية في القرن السادس عشر دراسة ميامية-إدارية-اقتصادية، تصوير أحمد ياسين، له1، دار غيداء للنشر والتوزيع، 1431هـ-2011م.
- 256- عمارة محمد، في فقه الحضارة الإسلامية، له2، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 1427هـ/2007م.
- 257- غوردو عبد العزيز، الفتم الإسلامي لبلاد المغرب "جدلية التمدين والسلطة"، له2، الكويت، دار ناشرى النشر الإلكتروني، 2011م.
- 258- فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية السقوط والانهيار، الجزء 02، له1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009م.
- 259- (ـ)، تاريخ النظم الإسلامية/دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى)، له1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2010م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 260- فاروق عمر ومرتضى حسن النقيب، تاريخ إيران، دراسة في التاريخ السياسي لبلاذ فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة (21هـ - 906هـ / 641م - 1500م)، بغداد، منشورات بيت الحكمة، 1989م.
- 261- فانيونيل، دولة الفقهاء، بحث في الفكر السياسي الإسلامي،<sup>1</sup> بيروت، منتدى المعارف، 2015م.
- 262- فامبري أرسنيوس، تاريخ بخاري منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد محمود الساداتي، مراجعة وتقديم الدكتور يحيى الخشاب، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، د.ت.
- 263- فولد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي،<sup>2</sup> القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 1423هـ / 2002م.
- 264- فيلالى عبد العزيز، قلمسان في العهد الزياني،<sup>2</sup>،<sup>1</sup> الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2002م.
- 265- قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني،<sup>1</sup>،<sup>1</sup> الجزائر، جسون للنشر والتوزيع، 2011م.
- 266- كاتبى غيداء خزنة، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن الثالث الهجري - الممارسات والنصيرية -،<sup>1</sup> -<sup>2</sup>، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل 1994م / ديسمبر 1997م.
- 267- كلود كاهن، الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية، ترجمة حسين جواد قبيسي، مراجعة على نجيب إبراهيم،<sup>1</sup>، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2010م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 268- كوثراني وجيه، الفقيه والسلطان (جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية- الفاجارية)،<sup>هـ1</sup>، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، نيسان/أبريل 2015م.
- 269- (أ-)، السلطنة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام،<sup>هـ1</sup>، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988م.
- 270- ليسترنج كي، بلدان الخلافة الشرقية، بغداد، مطبعة الرابضة، 1954م.
- 271- محمد بن أحمد كنعان، تاريخ الدولة الأموية خلاصة تاريخ ابن كثير، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، د.ت.
- 272- محمد جمال الدين سرون، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، دار الفكر العربي، د.م، د.ت.
- 273- محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس،<sup>هـ1</sup>، دار الفكر العربي، 1982م.
- 274- مريزن سعيد مريزن عسيري، علم الطب أهميته وشرفه ومعايير الأخلاقية والعلمية عند المسلمين، جامعة أم القرى، سلسلة مركز بحوث الدراسات الإسلامية، 1416هـ.
- 275- مغزاوي مصحف، البعد السياسي في انتشار المذهب الأشعري في المشرق الإسلامي ومغرب،<sup>هـ1</sup>، الجزائر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 1432هـ/2011م.
- 276- ملكاوي فتحي حسن، منهجية التكامل المعرفي (مقدمات في المنهجية الإسلامية)،<sup>هـ2</sup>، فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1437هـ/2016م.
- 277- منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، الرياض، دار المريخ، 1981م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 278- منيرة ناجي سالم، الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري، 1، بيروت، دار العربية للموسوعات، 1435هـ/2014م.
- 279- ميرفت رضا أحمد حسنين، الحياة الثقافية في إقليم الصفد منذ قيام الدولة السلجوقية حتى الغزو المغولي (429هـ-617هـ/1032م-1220م)، مكتبة...
- 280- نادية محمود مصطفی، العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الحملة الصليبية الثانية، 1، القاهرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1417هـ-1996م.
- 281- (ب-)، العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي (منظور حضاري مقارن)، تقديم لمارق البشري، الجزء 01، 1، مصر، دار البشير للثقافة والعلوم، 2015م.
- 282- نور الدين عتر، منهم النقد في علوم الحديث، بيروت، دار الفكر، (ب.ت.).
- 283- نيقولا ريش، تاريخ علم المنطق عند العرب (مراحل، مدارسه وسجل شامل لفلاسفة المنطق ومؤلفاتهم)، ترجمة ودراسة وتعليق الدكتور محمد مهران، تصدير الدكتور زكي نجيب محمود، باريس، منشورات أسمان، 2005م.
- 284- هشام بن سعيد أزهري، مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين وآثارها في التصرفات المالية، 1، الرياض، مكتبة الرشد ناشرون، 1431هـ-2010م.
- 285- همام عبد الرحيم سعيد، الفكر المنهجي عند المحدثين، 1، قصص، مطابع الدوحة الحديثة، 1408هـ.
- 286- هوبدي صالح، المناهج النقدية الحديثة (أمثلة ومقاربات)، 1، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 1436هـ/2015م.

### - ثالثا- المعاجم والموسوعات:

- 287- الحوراني ياسر، مصادر التراث الاقتصادي الإسلامي، موسوعة الاقتصاد الإسلامي في المصارف والنقود والأسواق المالية، المجلد الأول مدخل أساسية في



## - ثبت المصادر والمراجع -

- الاقتصاد الإسلامي، هـ1، هيرنفون، فرجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1430هـ / 2009م.
- 288- خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، المجلد الثالث (ج5-ج6)، هـ1، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، 2011م.
- 289- عبد الرضا حسين الصعان وآخرون، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور، هـ1، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، دار الروافد الثقافية- ناشرون، 2015م.
- 290- نزيه حماد، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، هـ1، دمشق، دار القلم، 1429هـ - 2008م.
- 291- الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية (فدا)، إشراف ومراجعة قاسم عبد الله إبراهيم ومحمد عبد الله صالح، تقديم الدكتور رغب السرجاني، الجزء الأول، هـ7، القاهرة، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، 2007م.

## - رابعا- المجلات والدوريات:

- 292- الأنصاري فريد، التوحيد والوفاة في التربية الدعوية، ج1، سلسلة كتاب الأمة، العدد 47، السنة الخامسة عشرة، جمادى الأولى 1416هـ، قصر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- 293- أولاد ضياف رايح، نشأة المدارس في الإسلام (المدرسة النظامية نموذجا)، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، العدد 15، شعبان 1434هـ / 2013م، إصدارات جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 294- بن حزن الله الهيب، أثر إمام الحرمين الجويني في الفقه الإسلامي (الدستوري، المالي والجنائي)، مجلة البحوث والدراسات، العدد 07، السنة السادسة، محرم 1430 هـ / يناير 2009 م، إصدارات المركز الجامعي بالوادي، الجزائر.
- 295- بن سالم هشام، موقف العلماء من المدارس التعليمية في المشرق الإسلامي في العصر السلجوقي (429 هـ - 590 هـ / 1034 م - 1193 م)، مجلة القرطاس للدراسات التاريخية والحضارية والفكرية، العدد 11، جانفي 2019 م، إصدارات مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان.
- 296- بنعلي محمد بوزيان، لمحات المختصرات في التراث العربي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة عشر، العدد التاسع والأربعون، تصدر عن قسم الدراسات والمجلة بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات، صفر 1426 هـ / أبريل 2005 م.
- 297- بوتشيش إبراهيم القادري، أثر الحروب في المجال الضرائفي، مجلة الاجتماع، العددان 34-35، السنة التاسعة 1417 هـ - 1997 م، بيروت، دار الاجتماع.
- 298- الجالودي عبد الفتاح عليان، سبل عيش العلماء في ضوء كتاب "الأنساب للسماعاني" (ت 562 هـ / 1166 م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 08، العدد 2014، 01 م.
- 299- الجالودي عليان عبد الفتاح، الإقصاء العسكري في عصر ملهين السلاجقة الكبار ودور الوزير نكاه الملك الصومي في نشأته وتصوره (429 هـ / 1037 م - 486 هـ / 1092 م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلد 02، العدد 2008، 01 م.
- 300- الجالودي عليان عبد الفتاح، قواعد الحكم في ملهنة آل سلجوق من خلال كتاب (مياسة نامه) للوزير السلجوقي نكاه الملك الصومي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد 01، 1430 هـ / 2009 م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 301- حميش سالم، عن الغزالي ومرحلة الإقلاء، مجلة الفكر العربي، ملف ج، بحوث ومقالات فلسفية.
- 302- خالد بن عبد الله السعيد، مذاهب العلماء في فتنة الغن بخراسان (548هـ-552هـ / 1153م-1157م)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 42، أفريل 2020م.
- 303- خرماش محمد، نظام التعليم بالقرويين بين القديم والحديث (قراءة في الإصلاحات التربوية)، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1414، 01/1993م، المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، وهران.
- 304- الدجاني بسمة أحمد، كتاب "صيد الخاطر" لابن الجوزي: تفاعل الأديب مع مجتمعه، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 2، 2012م، الجامعة الأردنية.
- 305- السوداني رباب جبار طاهر، نقابة الصالبيين في العصر العباسي (251هـ-656هـ / 865م-1258م)، مجلة آداب البصرة، العدد 38، 2005م.
- 306- مولاف فيض الله حسن، مظاهر البذخ والتراف عند السلاجقة في العصر العباسي، مجلة الأستاذ، ع 221، المجلد الثاني لسنة 1438هـ / 2017م، جامعة بغداد.
- 307- السيد رضوان، الفكر السياسي الإسلامي، دراسة في تطور التفكير بالدولة، مجلة التسامح، العدد الرابع، السنة الثالثة، 1424هـ / 2004م، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
- 308- السيد رضوان محن العلماء مع السلطان، مجلة الاجتهاد، العدد الرابع، السنة الأولى، 1410هـ / 1989م، بيروت، دار الاجتهاد.
- 309- الشايعي حسن علي، الإصلاح الاجتماعي في الإسلام دراسة مقارنة بين مفهوم الإمام أبي حامد الغزالي وابن عاشور، مجلة دراسات إسلامية، العدد

## - ثبت المصادر والمراجع -

- الخامس، إصدارات قسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب، جامعة  
الخرطوم، 1434هـ / 2013م.
- 310- شلق الفضل، الخراج والإقصاء والدولة (دراسة في الاقتصاد السياسي للدولة  
الإسلامية)، مجلة الاجتماع، العدد 01، خريف 1988م، بيروت، دار الاجتماع.
- 311- الفرحان محمد جلوب، الفكر الاقتصادي في كتابات الماوردي، مجلة  
الاجتماع، العدد 34-35، السنة التاسعة 1417هـ - 1997م، بيروت، دار الاجتماع.
- 312- قاسمي عمان، التكامل المعرفي، مقاربة مفاهيمية، مجلة الشباب، العدد 08، ذو  
الحجة 1438هـ / سبتمبر 2017م، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الولدي، الجزائر.
- 313- قتيبة محمد مجيد، الكوارث الطبيعية والمظاهر الفلكية والوبائية في العصور  
العباسية المتأخرة في كتاب المنتظم لابن الجوزي من سنة 334هـ - 511هـ / 945م -  
1117م، كلية الآداب، قسم التاريخ، الجامعة المستنصرية.
- 314- القرنبي، مسؤولية العلماء، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 254.
- 315- القعايدة عبد المادي نايف، الإدارة السلجوقية في بغداد - الشحنة أنموذجاً -  
خلال الفترة (447هـ - 536هـ / 1055م - 1142م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية  
والاجتماعية، المجلد 42، ملحق 2015، 1م، الجامعة الأردنية.
- 316- قنفي عبد الرزاق، علاقة علماء العصر السلجوقي بسلطين ووزراء عصرهم  
ودورها في دعم ازدهار الحركة الفكرية والعلمية بالشرق الإسلامي، مجلة  
المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 20، أبريل 2018م، جامعة الولدي.
- 317- عبد الستار نصيف جاسم، إقليم خراسان دراسة في نشاطه التجاري من خلال  
كتب البلدانيين، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد 7، العدد 01، 2017م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 318- عنب خالد محمد، المدارس في الحضارة الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، العدد 344، السنة 31، سبتمبر 1994م، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت.
- 319- لخرج عبد العزيز، المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وتطورها وانتشارها، مجلة دراسات إنسانية، العدد 01، السنة 1421هـ / 2001م، إصدارات كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر.
- 320- محمد نصر عبد الرحمن، سلاجقة كرمان (442-582هـ / 1050م-1186م) دراسة في مظاهر الحياة السياسية، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد 2004، 04-2005م، يصدرها سنان التاريخ الإسلامي والوسيط، جامعة عين شمس، القاهرة.
- 321- محمود أحمد أبو سمرق وعماد أحمد البرغوثي، منهجية البحث العلمي عند علماء المسلمين، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 2، المجلد 16، يونيو 2008.
- 322- معروف ناجي، مدارس قبل النكصامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني والعشرون، بغداد، 1973م.
- 323- مغزاوي مصطف، الرؤية الحضارية والعلمية في دراسة تاريخ الفرق المذهبية، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 32، سنة 2108م، جامعة نواكش.
- 324- مهدي نافع خطاب المختار، دور العلماء وجهودهم اتجاه الأزمات الاقتصادية في العراق في العصر العباسي (132هـ - 656هـ / 749م - 1258م)، مجلة آداب الرافدين، العدد (68)، 1435هـ / 2013م.
- 325- الودعاني هادي، الدور الاجتماعي للعلماء في إقليم خراسان إبان العصر السلجوقي (429هـ - 552هـ)، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 23، سنة 2017م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نواكش.

## - ثبت المصادر والمراجع -

326- هيئة التحرير، مقدمة في إشكاليات التاريخ الاقتصادي العربي الإسلامي، مجلة الاجتماع، العدد 1، خريف 1988م، بيروت، دار الاجتماع للأبحاث والترجمة والنشر.

### - خامسا- الملتقيات والندوات:

327- أبصوي محمد الأسام الكلامي لمؤسسة الحسبة في الغرب الإسلامي، ندوة الاتجاهات الكلامية في الغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1، الرباط، 2005م.

328- حركات إبراهيم، علماء الإسلام في الماضي قوة حاضرة في جل الأنظمة، ندوة التاريخ والفقه أعمال مهداة إلى المرحوم محمد المنوني، تنسيق محمد حجي، إنجان الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1، الرباط، 1423هـ-2002م.

329- حسني عبد اللطيف، العالم والسلطة في المغرب خلال القرن 19م، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وحدة، 09-10-11، دجنبر، 1993م.

330- خليف صابرة، النخب العينية في العهد الزياني خلال القرن السابع والثامن الهجري، الثالث عشر ميلادي، إشكالية المصادر والتصنيف وآليات المعالجة، أعمال المؤتمر الدولي الأول، النخب والسلطة السياسية في العالم العربي الإسلامي من خلال كتب المصنفات، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، 2012م.

331- خلدون ضياء الدين، منظومة العلوم الإسلامية تاريخيا وعلاقتها بالمشروع العلمي والتربوي العام للأمة، تطبيق عملي اليوم، بحوث الندوة العلمية الدولية الأولى حول تاريخ العلوم في الإسلام، المجلد 2، أيام 09-10-11 ربيع الأول 1430هـ الموافق لـ 24-25 فبراير 2010م، مركز ابن البناء المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية.

## - ثبت المصادر والمراجع -

332- الزحيلي محمد، الفقه المقارن وضوابطه وارتباطه بتطور العلوم الفقهية خلال القرن الخامس الهجري (التأليف الموسوعي والفقه المقارن)، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية- التأليف الموسوعي والفقه المقارن، الإشراف العلمي د. عبد الرحمن السالمي وآخرون، مراجعة وتنسيق د. مصطفى بن صالح باجو والحاج سليمان بن إبراهيم بابزين،<sup>3</sup> مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1433هـ / 2012م.

333- ماهر عبد القادر محمد علي، أثر الإسهام الإسلامي في علوم الطب في أوروبا - كتاب القانون في الطب لابن سينا نموذجاً -، الندوة العلمية الدولية الأولى تاريخ العلوم في الإسلام، المجلد 01، أيام 09-10-11 ربيع الأول 1430هـ الموافق لـ 24-25-26 فبراير 2010م، مركز ابن البناء المراكشي للبحوث والدراسات في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية.

334- مريغة أمينة، فقه النوازل عند علماء القرويين وأثره في الحركة الاجتماعية، بحوث الندوة العلمية الدولية بعنوان جهود علماء القرويين في خدمة المذهب المالكي الأصالة والامتداد، قصر المؤتمرات بفاس، الرابطة المحمدية للعلماء، 17-18-19 جمادى الأولى 1432هـ / 21-22-23 أبريل 2011م.

335- النعسان محمد هشام، خصوصيات تحقيق مخطوطات العلوم الكونية، أعمال الملتقى المغاربي الثالث للمخطوطات العلمية،<sup>1</sup> منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر، 2007م.

### - ملحق - الأبحاث والمؤتمرات الجامعية:

336- الحارثي عبد الله بن علي بن خضران، الرحلة في طلب العلم عند بعض المريين المسلمين في العصر العباسي، وتبصيراتها التربوية، بحث مكمل للحصول على درجة الماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1430هـ - 1431هـ.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 337- الحازمي زيني بن لصال، الحياة العلمية في العراق خلال عصر نفوذ الأتراك (232هـ - 334هـ / 847م - 946م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الحضارة الإسلامية، قسم الدراسات العليا والتاريخية والحضارية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1421هـ - 2000م.
- 338- (أ- ب)، النقد العلمي عند علماء المسلمين في العلوم التجريبية في المشرق الإسلامي من منتصف القرن (2هـ / 8م) إلى نهاية القرن (7هـ / 13م)، بحث مقدم العالمية العالية (الدكتوراه) في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الدراسات العليا والتاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1426هـ / 2006م.
- 339- الحميدي غانم سعد عبد الكريم، فقهاء الأندلس في عصر الخلافة و دورهم السياسي والإداري والثقافي (316هـ - 399هـ / 928م - 1008م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2002م.
- 340- الخالدي إسماعيل عبد العزيز، المغول والدعوة الإسلامية في القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ / 1982م.
- 341- الدوري رفاة تقي الدين عارف، أثر علماء خراسان في الحركة العلمية في بغداد (132هـ - 334هـ / 749م - 945م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب جامعة بغداد، 1425هـ / 2004م.
- 342- الشريعة عودة رافع، القوي الفاعلة في المجتمع الشامي وعلاقتها مع بعضها في العصر المملوكي (648هـ - 923هـ / 1250م - 1517م)، أطروحة للحصول على درجة دكتوراه الفلسفة في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، 26-12-2012م.
- 343- العابد عبد الحميد، علاقة فقهاء السنة بالدولة العباسية في عصرها الأول (132هـ - 232هـ / 750م - 847م)، مشروع مذكرة بحث لنيل شهادة الماجستير في التاريخ



## - ثبت المصادر والمراجع -

الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 1429هـ-  
1430هـ/2008م-2009م.

344- العمري سعود عمر عبد الله، كتاب قسم الفري والغنيمة من كتاب الحاوي  
الكبير لأبي الحسن الماوردي، (دراسة وتحقيق)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير  
في الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بمكة  
المكرمة، 1413هـ.

345- الفاجال محمد، الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة 290هـ-548هـ/901م-  
1153م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، قسم  
الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، مكة  
المكرمة، 1421هـ/2000م.

346- المدخلي محمد ربيع هادي، المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة  
الأوائل (431هـ-485هـ/1040م-1092م) دراسة ميامية، رسالة مقدمة لنيل درجة  
الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم  
القرى مكة المكرمة، 1412هـ/1992م.

347- بن حزن الله الحبيب، منهم النصر المقاصدي ودوره في بناء نصريّة ميامية  
إسلامية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم الإسلامية، تخصص سياسة  
شرعية، قسم الشريعة، جامعة باتنة (01)، 1437هـ-1438هـ/2016م-2017م.

348- بن خيرة نجيب، الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالشرق (خراسان وبلاد  
ما وراء النهر) بين القرنين الثالث والخامس الهجريين 205هـ-432هـ/820م-  
1040م، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي، قسم  
التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1424هـ-1425هـ/2003م-  
2004م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 349- بن سالم هشام، العلماء والسُلطة المرينية (668هـ-759هـ/1269م-1358م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2)، 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م.
- 350- بن عبيد فؤاد، الاجتماع المقاصدي عند الإمام أبي الوليد الباجي وتبصيراته الفقهية من خلال كتاب المتنقي، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الفقه والأصول، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1429هـ-1430هـ/2008م-2009م.
- 351- بن مصحف زواقة بدر الدين، إدارة المؤسسات الدعوية، محاولة لصياغة نظرية إسلامية في: التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، مذكرة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم تخصص دعوة وإعلام، قسم أصول الدين، فرع الدعوة والإعلام، جامعة باتنة 1430، 01هـ-1431هـ/2009م-2010م.
- 352- بلعرج عبد الرحمان، علاقات دول المغرب الإسلامي بدول الممالك مياسيا وثقافيا بين القرنين السابع والتاسع الهجريين (7هـ-9هـ/13م-15م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1433هـ-1434هـ/2012م-2013م.
- 353- بوجحرة سماحي، المعرفة والسلطة في إسلام العصر الوسيط الغزالي بين التزامات العالم والتزامات السلطان، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2015، 2م-2016م.
- 354- بوجلال قدور، مظاهر التقارب والفصمة بين العلماء والسُلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدلايات 1671م-1830م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران (01)، 2016م-2017م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 355- بوزيدي أحمد، العلماء والسلطة والمجتمع بالمغرب المرنبي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله- تلمسان، 1428هـ - 1429هـ / 2007م - 2008م.
- 356- بوشقيف محمد، تطور العلوم بالمغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14م - 15م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، 1431هـ - 1432هـ / 2010م - 2011م.
- 357- بوكراية عامر، الرقابة على اجتماع الحاكم في الفكر السياسي الإسلامي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في السياسة الشرعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة باتنة (01)، 1431هـ - 1432هـ / 2010م - 2011م.
- 358- بونابي الصاهر، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1429هـ - 1430هـ / 2008م - 2009م.
- 359- إبراهيم المادي محمد المادي، الحياة العلمية في أصفهان في العصر السلجوقي (441هـ - 552هـ / 1049م - 1157م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق، 2006م.
- 360- أديل سليمان محمود وهيب، معينة الرب في العصر السلجوقي (434هـ - 590هـ / 1042م - 1193م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2004م.
- 361- أورهان صادق جانبولات، قوانين الدولة العثمانية وصلتها بالمذهب الحنفي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، أيار 2009م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 362- أو سالم محمد نذير، التجديد والاجتهاد في تأويل النص القرآني بين الإصلاحيين والحدائيين (دراسة نقدية مقارنة)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: اللغة والدراسات القرآنية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (01)، 1436هـ - 1437هـ / 2015م - 2016م.
- 363- أولاد ضياف رايح، الجارية في الدولة الإسلامية من صدر الإسلام حتى سقوطه بغداد (1هـ - 656هـ / 622م - 1258م)، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية، فرع التاريخ، جامعة الحاج لخضر باتنة، 1434هـ - 1435هـ / 2013م - 2014م.
- 364- إيمان بنت سعود بن خيشان القرشي، الحياة العلمية في بلخ خلال الفترة (25هـ - 617هـ / 820م - 1220م)، دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، 1434هـ / 2013م.
- 365- باحويرث سماح بنت سعيد عبد القادر، الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر ملوك المماليك (648هـ - 923هـ / 1250م - 1517م) دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1431هـ / 2010م.
- 366- باذيباب نورة عبد الله، قونية عاصمة سلطنة سلجوق الروم (دراسة تاريخية حضارية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى / مكة المكرمة، 1415هـ / 1994م.
- 367- بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين (633هـ - 962هـ / 1233م - 1554م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 1434هـ - 1435هـ / 2013م - 2014م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 368- تهماني بنت محمد بن علي التوبجري، دور العز بن عبد السلام في الحياة السياسية خلال العصرين الأيوبي والملوكي (577هـ-660هـ/1181م-1262م)، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة القصيم، 1438هـ/2017م.
- 369- جيهان بنت سعيد الراجحي، الصحافة وصحة البيئة في مجتمع المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي (132هـ-656هـ/749م-1258م) دراسة حضارية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، جامعة أم القرى، 1433هـ-2012م.
- 370- (أ-)، الحياة الاجتماعية في بغداد من بداية القرن السادس الهجري حتى سقوط بغداد سنة 656هـ/1258م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1427هـ/2006م.
- 371- خضر عيد مفلح السرحان، نظام السلطنة وولاية العهد في العصر الأيوبي (567هـ-658هـ/1172م-1259م)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك، إربد، 2015م-2016م.
- 372- ذهبية عاشور أبوبكر قري، إقليم ما وراء النهر في العصر السلجوقي في الفترة من 429هـ-558هـ/1037م-1162م، أطروحة للحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، فرع التاريخ الإسلامي، جامعة الرقازيق، 1429هـ-1430هـ/2007-2008م.
- 373- رائد فخري خليف كريشان، مؤلفات نضام الملوك في المشرق في القرنين الرابع والخامس الهجريين (نصيحة الملوك للماوردي نموذجاً)، رسالة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الثاني 2004م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 374- رشاد عباس معتوق، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البوهمي (334هـ-447هـ/945م-1055م)، أطروحة دكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضرية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1410هـ/1990م.
- 375- رياض صالح علي حشيش، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية (492هـ-690هـ/1098م-1291م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية بغزة، 1426هـ/2005م.
- 376- زينب خلف علي حراشة، موقف فقهاء العراق من السلطة العباسية من 198هـ-334هـ/813م-945م، رسالة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة آل البيت، 2002م-2003م.
- 377- زينب مهدي رؤوف العزاوي، أقضية خراسان حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1425هـ/2004م.
- 378- سمر قاسم محمد خميس الجبوري، التربية والتعليم في القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة ديالى، 1431هـ/2011م.
- 379- سليمان بن عبد الله بن منصور الحبس، وسائل الدعوة وأماليتها في العصر العباسي الثاني (232هـ/333هـ) دراسة تحليلية تقويمية، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، ج2، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، 1417هـ.
- 380- سمار محمد عواد محسن، دولة الأتراك السلاجقة عصر السلطان منجر (511هـ-555هـ/1117م-1160م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة الزقازيق.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 381- سندس زیدان خلف، البعثات العلمية في العصر العباسي (132هـ-400هـ/749م-1009م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة بغداد، 1425هـ/2004م.
- 382- شادية عبد الله محمد أحمد، مظاهر الحياة الاجتماعية في بغداد وخراسان في عهد البويهيين في القرنين الرابع والخامس الهجريين، في الفترة 334هـ-447هـ/945م-1055م، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، 1427هـ/2006م.
- 383- شحناوي متصر محمود صيتان، التربية والتعليم في بلاد الشام في دولة المماليك البحرية (658هـ-784هـ/1260م-1382م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، 2008م.
- 384- صرموم رايح، منهم النقد في الفقه الإسلامي، المذهب المالكي أنموذجاً- دراسة تحليلية-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، قسم العلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، 1435هـ-1436هـ/2014م-2015م.
- 385- عبد الباسط دردون، التكامل بين الدعوة والتزكية من خلال حكم الشيخ عبد الحفيظ الخنقي وشرحها، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية، تخصص دعوة وإعلام، قسم العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، 1434هـ-1435هـ/2014م-2015م.
- 386- عبد الفتاح عبد الله عاشور أبوجمل، جهود علماء مصر والشام في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية (491هـ-692هـ/1097م-1292م)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، الجامعة الإسلامية بغزة، 1431هـ/2010م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 387- عبد الكريم عبده الحالب، حتملة، العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القديس يوسف، بيروت، 1988م.
- 388- عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف العبد اللطيف، الآراء الاقتصادية لإمام الحرمين الجويني-دراسة تحليلية تقويمية-، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، شعبة الاقتصاد الإسلامي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1416هـ/1996م.
- 389- عبد المنعم حسن محسن بني عواد، أصول الفكر التربوي عند أبي حامد الغزالي، وابن رشد، وابن خلدون: دراسة تحليلية مقارنة مع الفكر التربوي الحديث، أطروحة للحصول على درجة دكتوراه في فلسفة التربية، كلية الدراسات التربوية العليا، تخصص أصول التربية، جامعة عمان العربية، آب 2007.
- 390- عثمان عبد الباقي المجتبى محمد، السلاجقة ودورهم في الخلافة العباسية في الفترة (429هـ-552هـ/1037م-1157م)، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، جامعة النيلين، 2017م.
- 391- عزام عبد الله محمد نور دشا، النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي (432هـ-485هـ/1040م-1092م)، رسالة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ والحضارة، قسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1407هـ/1987م.
- 392- عصام الدين السيد أنس مصحفى الزقناوي، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- 393- عليان عبد الفتاح محمد الجالودي، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (447هـ-590هـ/1055م-1193م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1996م.



## - ثبت المصادر والمراجع -

- 394- عماد عبد الكريم أحمد خلوف، ضعف المجتمع الإسلامي في ظل الخلافة العباسية أيام السلطنة البويهية (334هـ - 447هـ / 945م - 1055م) أسبابه وآثاره، أطروحة لنيل درجة دكتوراه الفلسفة، تخصص التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك إربد الأردن، 12/07/2012م.
- 395- عيساني أحمد، أصول النقد والتجديد في الخطاب الفلسفي العربي الإسلامي (الميكس من خلال رسائل الكندي)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الفلسفة، قسم الفلسفة، جامعة وهران، 2010م / 2011م.
- 396- فريدة حسني كاهن، الرقابة على السلم والأسماء في الفقه الإسلامي، مذكرة للحصول على درجة الماجستير في الفقه والتشريع، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2011.
- 397- فريدة محمد علي جاموس دور العلماء في النظام التعليمي في القدس في أواخر العهد العثماني 1800م - 1917م، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، 2010م.
- 398- فكري إبراهيم أحمد عوض، الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في التربية الإسلامية، الجامعة الأردنية، 3/5/2005م.
- 399- فلاح خير الدين، أثر اختلاف القراءات القرآنية في بيان صور الإعجاز القرآني، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والدراسات القرآنية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1434هـ - 1435هـ / 2013م - 2014م.
- 400- فهد مضر المهيري، التاريخ الاقتصادي للدولة العباسية في العصر العباسي الثاني (247هـ - 334هـ)، أطروحة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، 2015م - 2016م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 401- قرومي حميد، الموازنة العامة لبيت المال (دراسة مقارنة مع الموازنة العامة في الاقتصاد الوضعي)، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الاقتصادية- فرع التحليل الاقتصادي-، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، 2008م-2009م.
- 402- كركالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9هـ-10هـ/15م-16م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران (01)، 1434هـ-1435هـ/2013م-2014م.
- 403- محمد إسماعيل محمد شريف، الحديث والمحدثون في بلخ عبر العصور، رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) من قسم العلوم الإسلامية، جامعة البنجاب، لاهور، 1416هـ/1996م.
- 404- محمد حمدي سعيد مدوخ، واقع حقوق الإنسان في الدولة السلجوقية (447هـ-485هـ/1055م-1092م)، رسالة للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، 1438هـ/2017م.
- 405- محمد سعد السيد أحمد عزب، الحياة الفكرية في إقليم خراسان في العصر السلجوقي (429هـ-558هـ/1031م-1162م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، فرع التاريخ الإسلامي، جامعة الزقازيق، 1427هـ/2006م.
- 406- محمود عبد الله جمعة مراد، إقليم الشاش من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (دراسة تاريخية حضارية)، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الحضارات الآسيوية، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، 2006م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 407- محمود عبد الله جمعه مراد، إقليم الشام من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري دراسة تاريخية حضارية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في الحضارات الآسيوية، معهد الدراسات والبحوث، قسم الحضارات الآسيوية، جامعة الزقازيق، 2006م.
- 408- محمودي محمد الصديق، دور أهل الذمة في الحياة العلمية في المشرق الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، المعهد، المدرسة العليا للأستاذة - بوزريعة، 1439هـ - 1440هـ / 2018م - 2019م.
- 409- مريزن سعيد مريزن عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والتراث الإسلامية، قسم الدراسات العليا الحضارية، جامعة أم القرى، 1404هـ - 1405هـ / 1984م - 1985م.
- 410- مصحف غازي مصحف بدور، التاريخ الاقتصادي للدولة المملوكية (648هـ - 923هـ / 1250م - 1517م)، أطروحة دكتوراه في الاقتصاد والمصارف الإسلامية، قسم الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك 2015م - 2016م.
- 411- مكوي محمد، العلاقات السياسية والفكرية المغاربية للدولة الزيانية منذ قيامها حتى نهاية عهد أبي تاشفين الأول (633هـ - 737هـ / 1236م - 1337م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفنون، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1427هـ - 1428هـ / 2007م - 2008م.
- 412- منصور إحميد سالم الصوفي، الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي (648هـ - 922هـ / 1250م - 1517م)، بحث لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، الجامعة الإسلامية، غزة، 1431هـ / 2010م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 413- نادية بنت عابد أحمد مفتي، تاريخ التعليم في المشرق الإسلامي في القرن الخامس الهجري بحث تاريخي وصفي تحليلي، رسالة لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، 1408هـ.
- 414- نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقلية، دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي (447-590هـ / 1055-1193م) دراسة ميسية وحضارية، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1436هـ / 2014م.
- 415- نسيب محمد، الجهود التاريخية في العراق في العصر السلجوقي، رسالة لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1432هـ / 2011م.
- 416- هيثم عبد الحميد علي خزنة، الاختلافات الأصولية بين مدرستي العراق ومرقند وأثرها في أصول الفقه الحنفي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آذار 2004م.
- 417- وجدان عبد الجبار حمدي النعيمي، الهبات والمدايا في العراق في العصر العباسي (من القرن الرابع للهجرة إلى منتصف القرن السابع للهجرة)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب، جامعة الموصل، 1426هـ / 2005م.
- 418- وكي الصيب، مساهمة آليات الاقتصاد الإسلامي في معالجة الفساد الاقتصادي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم الإسلامية، تخصص الاقتصاد الإسلامي، قسم الشريعة، جامعة الحاج لخضر - باتنة (01)، 1439هـ - 1440هـ / 2018م - 2019م.

## - ثبت المصادر والمراجع -

- 419- ولد خصال سليمان، جمود فقهاء المغرب العربي في بناء النكاح السيامي الإسلامي بين سنة (633هـ-962هـ)، الصروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، قسم الشريعة، جامعة الجزائر، 2007م-2008م.
- 420- يحيى أحمد عبد المادي حسين، أهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي (447هـ-590هـ/1055م-1193م)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، آب 2000م.
- 421- يوسف بن عبد العزيز بن محمد الحميدي، ياقوت الحموي مؤرخا من خلال كتاب معجم البلدان، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة أم القرى، 1418هـ-1998م.

### - مابعا-المراجع الأجنبية-

- 422-Antony Hull and Leonard-6 Harrow, **Islamic Architercture Iran**, vol.1, 1977.
- 423- Claude Cahen, **Kharadj**, in :Encyclopaedia of Islam, 2<sup>nd</sup> ed, vol04,
- 424-David Nicolle, **The Great Islamic Conquests AD632-750**, Oxford:Osprey, 2009.
- 425-Derek Hill and Oleg Grabar, **Islamic Architecture and its Decoration** London, 1967.
- 426-Herbert M.J.Loewe, **The Seljuqs**, in The Eastern Roman Empire 717-1453, vol, 4 of The Cambridge Medieval History, ed, J.R. Tanner, C, W, Previte and Z.N.Brooke. Cambridge: Cambridge University Press, 1923.
- 427- Jonathan Karam Skaff, **The Sogdian Trade Disapora in East Turkestan**, Journal of the Economic and Social History of Orient, vol46, no, 4, 2004.

- 428-Krmer, **the oriant under Caliphate**, London, 1949.
- 429-Michel G.Monory, **Iraq after the Muslim Conquest** (Princeton, N.J: Princeton University. P.105). 1984 Press.
- 430-Mohammad Ther Ya'ghoubi, **The Shi'a of Baghdad at the time of the'Abbasid Caliphs and the Seljuq Sultanate** (447-575ah), Journal of Shi'a Islamic Studies, Winter 2013, Vol 04, No01.
- 431 Ozgor Tokan, **Viziers of the Seljuk Empire during the Reign of Toghrul-Beg ibn Mikail 1040-1063**, International Journal of Science Culture and sport, 4-1-, March 2016.
- 432- SALAH.A.A.SULYMAN, **The expansion of the Seljuk in Asia Minor and the Levant at the expense of the Byzantine Empire**, Global Libyan Journal, number 08, july 2016, University of Benghazi.
- 433-Sanders, J.J. **AM, History of Medieval Islam**, London: Routledge, 1978.
- 434- Setton: **History of Crusades**, vol 01.
- 435- Teachner, **The Turks and The Byzantine Empire**, C.MED.H, VOL0.
- 436- V.M.Zaporozhets, **THE SELJUKS**, Hannover, 2012.
- 437- Vasiliev : **History of the Byzantine Empire**-vol 01.
- 438- Yamin Cheng, **The Islamic Sciences and Question of the Modern Muslim Identity**, the Islamic Quarterly, vol, 47, no.1, 2003.











- فہرست الاعلام

والبلدان

والاماكن.

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                         |                          |
|--------------------------|-------------------------|--------------------------|
| أبن أفلم 259 ,           | أبا يوسف الخازن 314 ,   | -أ-                      |
| أبن الأثين 18, 19, 139 , | -إ-                     | أبا الحسن الماوردي ,     |
| 140, 141, 142, 143,      | إبراهيم المروزي 660 ,   | 417                      |
| 146, 147, 148, 149,      | إبراهيم بن عمر بن أحمد  | أبا العلاء علي بن علي    |
| 177, 181, 182, 184,      | بن إبراهيم بن           | السمعاني 721 ,           |
| 187, 188, 190, 192,      | إسماعيل بن مهران أبو    | أبا الفتح الغزالي 730 ,  |
| 193, 194, 195, 196,      | إسحاق البرمكي 345 ,     | أبا الفضل جعفر بن        |
| 197, 198, 199, 200,      | إبراهيم بن محمد بن      | الحسن الدرزي جاني        |
| 202, 204, 205, 207,      | الأزهر الصيرفييني ,     | 635                      |
| 211, 212, 214, 215,      | 886                     | أبا الوفاء زهير 240 ,    |
| 216, 219, 225, 229,      | إبراهيم بن مسعود بن     | أبا سعد القاشي 644 ,     |
| 230, 231, 233, 234,      | محمود بن                | أبا سعد النصراني 235 ,   |
| 235, 237, 239, 241,      | سبكتكين 384 ,           | أبا سهل محمد بن هبة الله |
| 243, 247, 258, 274,      | إبراهيم بن يحيى الكلبي  | المعروف بابن الموفق      |
| 282, 290, 291, 292,      | 590                     | 245                      |
| 294, 295, 296, 297,      | إبراهيم بن ينال 196 ,   | أبا شجاع أحمد 490 ,      |
| 298, 299, 303, 305,      | 201                     | أبا هالب محمد بن         |
| 307, 308, 309, 310,      | إبراهيم ينال 152, 182 , | ميكائيل 185 ,            |
| 311, 312, 314, 315,      | 195, 200, 205, 240,     | أبا علي الحسن بن عبد     |
| 320, 347, 365, 366,      | 289, 465, 466           | الودود بن الممتدي        |
| 367, 368, 377, 383,      | -أ-                     | بالله 206 ,              |
| 403, 440, 441, 442,      | أبن أبي الشوك 194 ,     | أبا محمد التميمي 245 ,   |
| 443, 447, 454, 455,      | أبن أبي موسى 715 ,      | أبا منصور ابن الرزائي ,  |
| 465, 466, 467, 480,      |                         | 649                      |
| 485, 486, 490, 491,      |                         |                          |
| 492, 499, 509, 536,      |                         |                          |
| 537, 538, 539, 556,      |                         |                          |
| 583, 584, 586, 590,      |                         |                          |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                       |                     |                         |
|-----------------------|---------------------|-------------------------|
| 599, 631, 646, 647,   | 274, 307, 309, 314, | 701, 702, 703, 705,     |
| 648, 649, 650, 651,   | 315, 317, 318, 320, | 706, 707, 708, 714,     |
| 652, 655, 658, 660,   | 322, 323, 324, 331, | 715, 716, 717, 719,     |
| 661, 662, 674, 675,   | 333, 346, 367, 368, | 720, 721, 729, 736,     |
| 676, 677, 678, 679,   | 371, 377, 379, 380, | 737, 738, 739, 763,     |
| 680, 681, 700, 703,   | 381, 382, 383, 384, | 769, 774, 778, 781,     |
| 707, 708, 710, 714,   | 386, 387, 390, 391, | 785, 786, 787, 788,     |
| 716, 718, 728, 729,   | 394, 404, 428, 430, | 796, 801, 808, 810,     |
| 776, 786, 788, 805,   | 440, 449, 456, 457, | 828, 829, 832, 847,     |
| 877, 878, 884, 889,   | 459, 460, 461, 462, | 850, 853, 856, 857,     |
| 890, 891              | 463, 475, 477, 484, | 859, 868, 870, 873,     |
| ابن الأنباري 457,     | 490, 491, 497, 500, | 879, 882, 883, 884,     |
| ابن الباقر حري 648,   | 506, 509, 510, 525, | 885, 888, 889, 892,     |
| ابن البرلم 663,       | 531, 536, 537, 541, | 897                     |
| ابن البيضاوي 649,     | 542, 556, 573, 575, | ابن الدهان النحوي معيد  |
| ابن التلميذ 591,      | 587, 593, 599, 601, | بن المبارك 876,         |
| ابن الجزري 46,        | 611, 612, 613, 614, | ابن الرزاق 649,         |
| ابن الجوزي 16, 17,    | 615, 616, 617, 618, | ابن الرملي 663,         |
| 18, 36, 39, 159, 182, | 619, 620, 621, 622, | ابن الحفصقي 181,        |
| 185, 186, 187, 188,   | 623, 624, 625, 626, | ابن العبادي 634,        |
| 190, 193, 194, 196,   | 627, 628, 629, 630, | ابن الفقيه 90, 96, 104, |
| 198, 199, 200, 202,   | 631, 632, 633, 634, | 105                     |
| 204, 207, 228, 229,   | 637, 638, 643, 644, | ابن الفقيه الممذاني 65, |
| 230, 231, 234, 235,   | 645, 646, 647, 648, | ابن الفوحي 787,         |
| 236, 237, 238, 239,   | 649, 650, 651, 654, | ابن القصاب 664,         |
| 240, 241, 242, 243,   | 655, 662, 663, 664, | ابن الكرجي 377, 649,    |
| 244, 245, 248, 249,   | 667, 668, 669, 670, | ابن المحلبان 786,       |
| 257, 258, 259, 266,   | 673, 674, 675, 676, |                         |
|                       | 677, 678, 679, 680, |                         |
|                       | 681, 685, 686, 700, |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

- ابن هبيرة , 429, 448 ,  
 459, 542, 547, 556,  
 650  
 ابن يعيش 395, 556 ,  
 ابن يوسف 199 ,  
 ابن يونس 664 ,  
 -)-  
 أبو إبراهيم إسحاق بن  
 إسماعيل بن جعفر  
 الزاهد 784 ,  
 أبو إبراهيم إسحاق بن محمد  
 بن إبراهيم بن محمد بن  
 محمد بن نوح بن زيد  
 بن نعمان بن عبد الله  
 ابن الحسن بن زيد بن  
 نوح النوحى الخصب ,  
 339  
 أبو أحمد ذاكربن أبي  
 بكر بن أحمد السنجي  
 الغرابلي 334 ,  
 أبو أحمد صلحة بن علي  
 الزينبي 381, 392 ,  
 أبو أحمد عبد الله بن علي  
 بن الشاه الكندي  
 684  
 ابن زنجوية 435 ,  
 ابن مكره الماشمي ,  
 235  
 ابن سيد الناصر 49 ,  
 ابن مينا 773 ,  
 ابن شافع 649 ,  
 ابن عاش 822 ,  
 ابن عامر 103 ,  
 ابن عساكر 703, 704 ,  
 ابن عكاش 308 ,  
 ابن عمر 449 ,  
 ابن غريبة الحنبلي الورلق  
 527  
 ابن فضل الله العمري ,  
 47, 51  
 ابن فضلان 125 ,  
 ابن فندق البيهقي 876 ,  
 896, 898  
 ابن قاروت 537, 540 ,  
 ابن قيم الجوزية 699 ,  
 ابن كثير 274, 630 ,  
 ابن مسلمة 197 ,  
 ابن منصور 34, 834 ,  
 ابن منيم 204 ,  
 ابن المسلمة 173, 198 ,  
 233, 234, 236, 237,  
 238, 239, 246, 379,  
 462  
 ابن المكون 323 ,  
 ابن النسي 378 ,  
 ابن النسوي 239 ,  
 ابن بلهصة 126 ,  
 ابن بكر بن الميار 539 ,  
 ابن بلدكون 218 ,  
 ابن جردة 249 ,  
 ابن حسان الصافي 213 ,  
 ابن حوقل 65, 66, 67,  
 68, 71, 72, 73, 75, 79,  
 81, 84, 85, 86, 92, 95,  
 96, 97, 98, 99, 100,  
 101, 103, 104, 105,  
 109, 110, 115, 116,  
 118, 119, 120, 123,  
 128, 129, 131  
 ابن خرداذبة 67 ,  
 12893  
 ابن خلدون 37, 138 ,  
 139, 172, 741  
 ابن رسته 93, 96 ,  
 67101  
 ابن رضول 249 ,

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو إسحاق يحيى بن<br>عيسى بن إدريس<br>الأنباري 634 ,<br>أبو البركات يحيى بن<br>محمد بن الحسين بن<br>إسحاق بن برخاق<br>المؤدب البراذقي<br>البغدادي 576 ,<br>أبو البقاء المؤمل بن محمد<br>بن الحسين بن علي بن<br>عبد الواحد ابن عبد الله<br>بن إسحاق بن المنبوزي<br>الماشقي 338 ,<br>أبو الشتاء محمود بن عثمان<br>بن مكارم النّعال<br>الحنبلي 669 ,<br>أبو الحجاج يوسف بن<br>محمد بن فاروق<br>الأندلسي الإشكري<br>337<br>أبو الحسن أحمد بن محمد<br>بن أحمد الضبي<br>المحامي الحصار 531 ,<br>أبو الحسن الأشعري 703 ,<br>أبو الحسن الأنباري 636 , | أبو إسحاق الفقاعي 163 ,<br>أبو إسحاق عيل الحسين بن<br>علي الأصفماني 387 ,<br>أبو إسحاق عيل عبيد الله بن<br>علي الخطبي 374 ,<br>أبو البركات البغدادي<br>839<br>أبو البركات الفراوي<br>661<br>أبو البركات بن مسلمة ,<br>456<br>أبو البركات جعفر بن<br>عبد الواحد الثقفي<br>368<br>أبو البركات عبد الصمد<br>بن عبد الله ابن أبي<br>الحسن ابن أبي سهل<br>العراقي الجصاص 531 ,<br>أبو البركات محمد بن<br>أحمد بن قفرجل<br>المجبر 670 ,<br>أبو البركات هبة الله بن<br>علي ملكا البلدي<br>258895<br>أبو إسحاق الشيرازي 249 ,<br>546, 550, 584, 644,<br>688, 809 | أبو إسحاق 717 ,<br>أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد<br>بن محمد بن علي<br>بن عطاء الفلخاري<br>الممـروف<br>بالمروزي 348 ,<br>أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد<br>بن محمد بن علي<br>بن عطاء الفلخاري<br>الممـروف<br>بالمروزي 659 ,<br>أبو إسحاق إبراهيم بن محمد<br>بن موسى بن هارون<br>بن الفضل بن هارون<br>بن يزيد السروي<br>المهمري 348 ,<br>أبو إسحاق إبراهيم بن<br>يعقوب بن أبي نصر<br>بن عابد بن أبي<br>النصر بن مدونة<br>الكشاني الغنجيري ,<br>338<br>أبو إسحاق الشيرازي 249 ,<br>546, 550, 584, 644,<br>688, 809 |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو الحسن علي بن أبي<br>الحسن ابن أبي هاشم<br>بن محمد الآملي<br>الخبيري ثم الجرجاني<br>340                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           | أبو الحسن بن الممتدي<br>الخصيب 707 ,<br>أبو الحسن بن برغوث<br>العلوي 707 ,<br>أبو الحسن بن علي بن<br>المهوج 385 ,<br>أبو الحسن عبد الرحيم بن<br>أحمد النيسابوري 347 ,<br>أبو الحسن عبد الرحيم بن<br>أحمد بن عروة<br>النيسابوري 782 ,<br>أبو الحسن عبد الغافر بن<br>إسماعيل 336 ,<br>أبو الحسن عبد الله بن<br>الحسن بن منصور<br>المصوعي الفوشنجي<br>335<br>أبو الحسن عبد الواسع بن<br>محمد بن الحسن<br>الفارسي الجرجاني<br>530<br>أبو الحسن علي الآملي<br>336, 639<br>أبو الحسن علي الكيا<br>المراسي الخبيري 590 , | أبو الحسن علي بن أبي<br>الحسن ابن أبي هاشم<br>بن محمد الآملي<br>الخبيري ثم الجرجاني<br>340<br>أبو الحسن علي بن أبي<br>الفنائم المعمر بن محمد<br>بن عبيد الله العلوي ,<br>391<br>أبو الحسن علي بن أبي<br>القاسم بن عبد الله<br>الصباغ المروزي 527 ,<br>أبو الحسن علي بن أبي<br>لهازم المصوعي 775 ,<br>أبو الحسن علي بن أحمد<br>ابن سعيد المعروف<br>بأبن الدباس الواسطي<br>783<br>أبو الحسن علي بن أحمد<br>بن محمد بن علي<br>الدهان المرتب 338 ,<br>أبو الحسن علي بن<br>إسماعيل بن محمد بن<br>أحمد بن علي<br>الهومبي 530 , |
| أبو الحسن البسحامي 786 ,<br>أبو الحسن الدامغاني 647 ,<br>أبو الحسن السلمي 271 ,<br>272<br>أبو الحسن الصندلي 331 ,<br>أبو الحسن الماوردي 23 ,<br>188, 194, 226, 227,<br>229, 231, 238, 266,<br>328, 371, 405, 413,<br>414, 415, 420, 426,<br>431, 452, 457, 471,<br>473, 500, 502, 506,<br>508, 511, 512, 513,<br>514, 515, 518, 520,<br>522, 527, 529, 530,<br>540, 546, 549, 552,<br>553, 557, 597, 687,<br>747, 748, 749, 772<br>أبو الحسن المروزي 497 ,<br>أبو الحسن الهمذاني 345 ,<br>أبو الحسن بن أبي لحة<br>الدودي 320 ,<br>أبو الحسن بن القاضي<br>الحسين بن الفريق<br>الهاشمي الخصيب ,<br>660 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                        |                                                                        |                                                                                          |
|----------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو الحسن علي بن محمد<br>بن علي الصبري ,<br>744                                        | أبو الحسن علي بن عثمان<br>الفولكمي الحلواني<br>556                     | أبو الحسن علي بن<br>الحسن بن علي بن<br>الحسن المستملي , 370 ,<br>763 , 775               |
| أبو الحسن علي بن محمد<br>بن عمرو المؤدب<br>الياركتي 775 ,                              | أبو الحسن علي بن عثمان<br>بن إسماعيل الخرازمي<br>السمرقندي 763 ,       | أبو الحسن علي بن<br>الحسن بن محمد<br>الصومي المقرئ 340 ,                                 |
| أبو الحسن علي بن<br>محمود بن محمد<br>المعروف بغزاليه 638 ,                             | أبو الحسن علي بن محمد<br>الإمامي جابي<br>السمرقندي 347 ,               | أبو الحسن علي بن<br>الحسين الغزنوي 788 ,                                                 |
| أبو الحسن علي بن<br>موجود النخري<br>الكشاني 639 ,                                      | أبو الحسن علي بن محمد<br>الأنباري 666 ,                                | أبو الحسن علي بن<br>الحسين ركن<br>الإسلام السفدي 356 ,                                   |
| أبو الحسن علي بن<br>موجود بن الحسن<br>الكشاني 640 ,                                    | أبو الحسن علي بن محمد<br>الدماغاني 365 ,                               | أبو الحسن علي بن حمد<br>بن علي بن عبد الله<br>بن محمد بن الحسين<br>الصبري الروماني 762 , |
| أبو الحسن علي بن<br>موجود بن الحسن<br>الكشاني 801 ,                                    | أبو الحسن علي بن محمد<br>بن أحمد بن عبد الله<br>الخصيب المشكاني<br>338 | أبو الحسن علي بن عبد<br>الرحيم الرفاعي 394 ,                                             |
| أبو الحسن علي بن نصر<br>بن محمد بن عبد<br>الصمد الفندروجي<br>الإسفريني الكاتب ,<br>387 | أبو الحسن علي بن محمد<br>بن المفتي القسواني<br>345                     | أبو الحسن علي بن عبد<br>الله الخبيبي 356 ,                                               |
|                                                                                        | أبو الحسن علي بن محمد<br>بن عتيق بن أبي<br>منصور 656 ,                 | أبو الحسن علي بن عبيد<br>الله بن نصر الزغواني<br>744                                     |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                  |                                                                                          |                                                               |
|----------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------|
| أبو الصمصام ذو الفقار بن<br>محمد بن مهدي<br>الحسني 761 ,                         | أبو الحسين محمد بن<br>أحمد بن علي<br>الأبردي 807 ,                                       | أبو الحسن عمر بن علي<br>بن الخضر الدمشقي<br>368               |
| أبو الهيب هاهن بن عبد<br>الله بن هاهن بن عمر<br>الطبري الفقيه<br>الشافعي 348 ,   | أبو الحسين محمد بن<br>عبد الله الناصحي ,<br>801 , 356                                    | أبو الحسن محمد الموموي<br>العلوي 394 ,                        |
| أبو الهيب هاهن بن<br>عثمان الزهري العوفي<br>638                                  | أبو الحسين محمد بن<br>محمد بن الحسين بن<br>الفرّاء 744 ,<br>أبو الخصاب 633 ,             | أبو الحسن محمد بن علي<br>الأبردي 668 ,                        |
| أبو العباس ابن الربيعي<br>الكرخي 377 ,                                           | أبو الخصاب محفوظ بن<br>أحمد بن الحسين بن<br>أحمد الكلواني ,<br>348                       | أبو الحسن محمد بن يحيى<br>الزبيدي العلوي 225 ,                |
| أبو العباس أحمد بن أبي<br>غالب الورلق المعروف<br>بابن الخلافة 322 ,              | أبو الخيس إسماعيل القزويني<br>805 , 646                                                  | أبو الحسين أرخشير بن<br>منصور العبّادي 633 ,                  |
| أبو العباس أحمد بن أبي<br>غالب بن أحمد ابن<br>الخلافة البغدادي<br>الحنبلي 526 ,  | أبو الخيس هاهن بن سعيد<br>بن أبي سعيد 786 ,                                              | أبو الحسين المبارك بن<br>محمد بن عبيد الله<br>الواسطي 801 ,   |
| أبو العباس أحمد بن الفرّج<br>بن راشد بن محمد<br>المدني البغدادي<br>الحنبلي 526 , | أبو الرجاء المومل بن<br>مسروور الشاشي<br>الخمركي 785 ,                                   | أبو الحسين بن سماك ,<br>274                                   |
|                                                                                  | أبو الرضا الموفق بن<br>منصور بن أحمد بن<br>عبد العزيز بن أحمد<br>السُّميلي الترمذي 362 , | أبو الحسين عبد الملك<br>بن عبد الله بن أحمد<br>بن رضولن 387 , |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                  |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|----------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو الفتم حيدرة بن أبي<br>الفنائم المعمر بن محمد<br>بن عبيد الله العلوي ،<br>391 | أبو الفنائم محمد بن أحمد<br>بن علي 392 ،<br>أبو الفتم أحمد بن علي<br>نظام الملك 380 ،<br>أبو الفتم أسامة بن أبي<br>عبد الله بن أحمد بن<br>علي بن أبي طالب<br>العلوي 390 ،<br>أبو الفتم أسعد بن أبي<br>نصر الميمني الفقيه<br>الشافعي 583 ،<br>أبو الفتم الحارث<br>الأصبهاني 744 ،<br>أبو الفتم الصاعدي 345 ،<br>أبو الفتم العميد 789 ،<br>أبو الفتم الفضل بن زاهر<br>بن زاهر بن محمد<br>بن محمد بن أحمد<br>بن محمد بن يوسف<br>الشحامي 386 ،<br>أبو الفتم المكفر بن<br>الحسين 241 ،<br>أبو الفتم المنيعي 331 ،<br>636      | أبو الفتم سهل بن أحمد<br>بن علي الأريغاني<br>الحاكم 785 ،<br>أبو الفتم صالح بن محمد<br>الصوفي المقرئ<br>المؤدب الرازي 815 ،<br>أبو الفتم عبد الرزاق بن<br>مسمود بن علي بن<br>أحمد المحتسب<br>الوكيل 358 ،<br>أبو الفتم محمد بن أحمد<br>بن محمد بن معاوية<br>الأزجاعي الخطيب ،<br>336<br>أبو الفتم محمد بن الفضل<br>بن علي المارشكي<br>348<br>أبو الفتم محمد بن الفضل<br>بن علي المارشكي<br>658<br>أبو الفتم محمد بن عبد<br>الرحمن بن أحمد بن |
|                                                                                  | أبو العباس أحمد بن بختيار<br>بن علي المايه أبي<br>الواسطي 367 ،<br>أبو العباس أحمد بن ثابت<br>الهمامي الواسطي 591 ،<br>أبو العباس أحمد بن سلامة<br>بن عبد الله بن مخلص<br>المعروف بابن<br>الرصبي 366 ،<br>أبو العباس السفاح 74 ،<br>أبو العلاء صاعد<br>الأصبهاني 335 ،<br>أبو العلاء صاعد بن أبي<br>محمد النيسابوري<br>الحنفي 315 ،<br>أبو العلاء صاعد بن<br>الحسين بن إسماعيل<br>بن صاعد 366 ،<br>أبو العلاء صاعد بن منصور<br>بن إسماعيل بن<br>صاعد 781 ،<br>أبو الفنائم المعمر بن محمد<br>بن عبيد الله العلوي ،<br>391 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                 |                                                                                                |                                                                                                                            |
|---------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو الفرج قاضي باب<br>الأزج 323 ,                                               | بن ميمون بن مهران<br>الأنصاري 384 ,                                                            | عبد الرحمن الثَّابتي<br>الخمري 657 ,                                                                                       |
| أبو الفضائل عبد الرزاق بن<br>عبد الوهاب 686 ,                                   | أبو الفتوح أحمد بن محمد<br>الغزالي 648 ,                                                       | أبو الفتح محمد بن عمر<br>بن محمد الشيزري ,<br>659                                                                          |
| أبو الفضل أحمد بن<br>الحسن بن أحمد بن<br>خيرون الباقلاوي 556 ,                  | أبو الفتوح الحسن بن<br>محمد بن عمر الحليمي<br>556                                              | أبو الفتح محمد بن محمد<br>بن علي بن إسماعيل<br>بن إبراهيم بن<br>إسماعيل البيه الخياهي ,<br>532                             |
| أحمد المقرئ البغوي ,<br>860                                                     | أبو الفتوح عبد الصمد بن<br>عبد الرحمن بن عبد<br>الكريم بن هوازن<br>القشيري النيسابوري ,<br>332 | أبو الفتح مسعود بن أحمد<br>بن يوسف بن أحمد<br>بن يوسف بن أحمد<br>بن يوسف الخصب<br>البامنجي 340 ,                           |
| أبو الفضل المروزي 63 ,                                                          | أبو الفتوح نصر الله بن<br>عبد الرحمن بن عبد<br>السلام الدامغانبي 744 ,<br>أبو الفداء 96 , 66 , | أبو الفتح مسعود بن محمد<br>بن سعيد بن مسعود بن<br>عبد الله بن مسعود بن<br>أحمد بن محمد بن مسعود<br>المسعودي الخصب ,<br>340 |
| أبو الفضل جعفر بن يحيى<br>بن عبد الله المتممي<br>المعروف بالحكاك<br>المكي 737 , | أبو الفرج النفيس بن محمد<br>بن علي الهاشمي ,<br>378                                            | أبو الفتح ناصر بن سلمان<br>بن ناصر بن عمران بن<br>محمد بن إسماعيل بن<br>إسحاق بن يزيد بن زياد                              |
| أبو الفضل حامد بن محمد<br>بن حامد الحراني ,<br>744                              | أبو الفرج بن السبي ,<br>315 , 632                                                              | أبو الفتح ناصر بن سلمان<br>بن ناصر بن عمران بن<br>محمد بن إسماعيل بن<br>إسحاق بن يزيد بن زياد                              |
| أبو الفضل موري بن<br>المعتز 144 ,                                               | أبو الفرج عبد الواحد بن<br>شنيف 556 ,                                                          | أبو الفتح ناصر بن سلمان<br>بن ناصر بن عمران بن<br>محمد بن إسماعيل بن<br>إسحاق بن يزيد بن زياد                              |
| أبو الفضل عبد الرحيم بن<br>غانم بن عبد الواحد                                   |                                                                                                |                                                                                                                            |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
|--------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو الفوارس منصور بن<br>هبة الله بن محمد<br>الموصلي الفقيه الحنفي<br>378 | أبو الفضل محمد بن عاصم<br>المنشئ المروزي 387 ,<br>أبو الفضل محمد بن عبد<br>الله بن أحمد بن<br>علي 392 ,<br>أبو الفضل محمد بن عبد<br>الله بن القاسم<br>الشمرزوري 668 ,<br>أبو الفضل محمد بن عبد<br>الواحد بن محمد بن<br>عمر بن محمد التاجر<br>المغازلي المعروف<br>بالصائين 531 ,<br>أبو الفضل محمد بن علي<br>بن محمد بن أحمد<br>المرازم الكاخني<br>المروزي 531 ,<br>أبو الفضل محمد بن عمر<br>بن محمد الجنبزي<br>تفقه على الإمام مسعود<br>بن الحسين<br>الكشاني 776 ,<br>أبو الفضل يونس بن محمد<br>ابن منعة الأربلي ,<br>744 | أبو القاسم إسماعيل بن أبي<br>العلاء صاعد بن محمد<br>البخاري المعروف<br>بابن الدانشمنذه 719 ,<br>أبو القاسم الزنجاني 274 ,<br>أبو القاسم الصاعدي 636 ,<br>أبو القاسم الفضل بن يحيى<br>بن صاعد بن ميار<br>بن يحيى بن محمد بن<br>إدريس الكناني<br>الحنيفي 360 ,<br>أبو القاسم القشيري 702 ,<br>703, 704<br>أبو القاسم المصمّر بن<br>محمد بن محمد بن<br>محمد بن محمد بن<br>محمد الصبراني<br>الصوفي 659 ,<br>أبو القاسم المصمّر بن<br>عبد الملك بن عبد<br>الله بن يوسف ابن |
|                                                                          | بن عبد الرحيم المعدل<br>الأصبهاني 335 ,<br>أبو الفضل عبد الله بن عبد<br>الرحمن بن محمد<br>الخرقي 359 ,<br>أبو الفضل عبد الله بن عبد<br>الرحمن بن محمد بن<br>ثابت بن أحمد<br>الخرقي 364 ,<br>أبو الفضل عبد المؤمن بن<br>عبد الغالب بن محمد<br>بن لظاهر بن خليفة بن<br>محمد ابن حمدان<br>الشياني 526 ,<br>أبو الفضل علي العلوي ,<br>393<br>أبو الفضل محمد بن أبي<br>جعفر عبد الله بن<br>أحمد بن المهدي ,<br>708<br>أبو الفضل محمد بن<br>إسماعيل بن الفضيل<br>الأنصاري الفضيلي<br>765                                        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                           |                                                                                                                           |                                                                                                                        |
|---------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو القاسم علي بن أبي تمام الزينبي 391 ,                                  | أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن علي بن جعفر ابن زريق الأسدي المضري الحنفي المعروف بالخصبي 339 ,               | إمام الحرمين أبو المعالي الجويني 654 ,                                                                                 |
| أبو القاسم علي بن أبي يعلى... علي بن أبي كمال العلوي الحسني الدبوسي 805 , | أبو القاسم عبد الواحد بن إسماعيل البوشنجي , 800                                                                           | أبو القاسم المذلي يوسف بن علي بن جبارة المغربي 736 ,                                                                   |
| أبو القاسم علي بن أحمد بن علي المعروف بابن الكوفي 686 ,                   | أبو القاسم عبد الواحد بن عبد الرحمن بن زيد ابن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن حرب النيسابوري المعروف بأبي القاسم الحكيم 332 , | أبو القاسم رجا ابن أبي المصهر حامد بن رجا المعذاني 334 ,                                                               |
| أبو القاسم علي بن أحمد بن علي المعروف بابن الكوفي 395 ,                   | أبو القاسم عبيد الله بن عمر بن محمد بن أحمد الكسافي 762 ,                                                                 | أبو القاسم رستم بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الرحمن بن زياد المدني الثاني الأصبهاني الملقب بشيخ الإسلام 357 , |
| أبو القاسم علي بن أحمد بن يوسف السكبائي السمرقندي 781 ,                   | أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن محمد بن أحمد الكسافي 762 ,                                                                | أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن منده الأصبهاني 635 ,                              |
| أبو القاسم علي بن الحسن العلوي الأبيوردي , 800                            | أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أبي القصر السجستاني القصري 338 ,                                     | أبو القاسم عبد الله بن صاهر بن محمد الأسفرايني 800 ,                                                                   |
| أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الفهم التنوخي 363 ,                        | أبو القاسم علي العلوي , 394                                                                                               | أبو القاسم عبد الله بن محمد المعروف بالخصبي 335 ,                                                                      |
| أبو القاسم علي بن جهم 491                                                 |                                                                                                                           |                                                                                                                        |
| أبو القاسم علي بن كرام 391                                                |                                                                                                                           |                                                                                                                        |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                  |                                                                                                            |                                                                                                     |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو القاسم علي بن عبد<br>الرحمن بن محمد بن<br>عبيد الله المحمدي 666 ،                            | أبو القاسم محمود بن علي<br>بن إسماعيل البخاري<br>المبدلي الصوفي 639 ،                                      | أبو المحاسن يوسف بن<br>عبد الله بن بندان<br>الدمشقي 744 ،                                           |
| أبو القاسم علي بن علي<br>بن جعفر بن شيرازي<br>783                                                | أبو القاسم مسعود بن محمد<br>الخندي 314 ،                                                                   | أبو المخضر إسماعيل بن<br>عدي بن الفضل ابن<br>عبيد الله الأنهري<br>الحالقاني الوري 349 ،             |
| أبو القاسم علي بن يعلى<br>العمري 639 ،                                                           | أبو القاسم ناصر الدين بن<br>يوسف الشهيد الحسني<br>السمرقندي 654 ،                                          | أبو المخضر الأسفزازي ،<br>729                                                                       |
| أبو القاسم فضل الله ابن<br>أبي نصر أحمد ابن<br>أبي سعيد محمد العطار<br>المحمودي 509 ،            | أبو القاسم نصر بن بشر<br>بن علي العراقي<br>الجوشي 363 ،                                                    | أبو المخضر الجرجاني 383 ،<br>أبو المخضر السمعاني 636 ،<br>721                                       |
| أبو القاسم محمد بن أحمد<br>بن بندان اللاجاني<br>640                                              | أبو القاسم يعيش بن صدقة<br>بن علي الفراتي 651 ،<br>أبو المحاسن الجولكي<br>666                              | أبو المخضر القشيري 636 ،<br>أبو المخضر بن الخندي ،<br>660                                           |
| أبو القاسم محمود بن<br>المخضر بن عبد الملك<br>بن أبي توبة المروزي ،<br>380 ، 556                 | أبو المحاسن سعد بن<br>محمد بن منصور ابن<br>أبي سعد الجولكي<br>الجرجاني 654 ،                               | أبو المخضر عبد الكريم<br>بن عبد الوهاب بن<br>إسماعيل بن أحمد بن<br>علي بن محمد<br>الجويني 363 ،     |
| أبو القاسم محمود بن سعد<br>بن محمود بن علي<br>بن محمد بن الحسين<br>الممذاني الإستراباذي ،<br>362 | أبو المحاسن سعد بن<br>محمد بن منصور<br>الجرجاني 384 ،<br>أبو المحاسن سلمان بن<br>علي بن أحمد البلخي<br>368 | أبو المخضر عبد المعز بن<br>علاء بن عبيد الله بن<br>أحمد بن رافع بن<br>أحمد الصيرفي<br>الشروحي 386 ، |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو المعالي قيس بن إسحاق<br>بن محمد بن أميرك<br>المرغيناني 781 ،<br>أبو المعالي محدوح بن<br>محمد بن محمود بن<br>عبد الله بن القاسم<br>الرشيدي الجوهرية<br>المتولي 669 ،<br>أبو المعالي مسعود بن<br>الحسن بن الحسين<br>بن محمد الكشاني<br>338, 806<br>أبو المفضل هبة الله بن<br>محمد بن مخلص<br>الأزدي 782 ،<br>أبو المكارم عبد الكريم<br>بن بدر بن عبد الله<br>بن محمد المشرقي<br>الكوفني 359 ،<br>أبو المكارم محمد بن<br>الحسن بن وهبان<br>الشيبياني 786 ،<br>أبو المكارم محمد بن<br>محمد بن لُهاهر بن سعيد<br>بن فضل الله بن أحمد | الشروحي الصوسي<br>659<br>أبو المعالي برهان الدين<br>الحنفي 429 ،<br>أبو المعالي برهان الدين<br>محمود ابن مازة 428 ،<br>أبو المعالي نصر شاه بن<br>محمد بن الحسين<br>الكاشغري 640 ،<br>أبو المعالي عبد الرزاق بن<br>عبد الله بن إسحاق<br>الصوسي 804 ،<br>أبو المعالي عبد الرزاق بن<br>عبد الله بن إسحاق<br>الصوسي المعروف<br>بالشهاب 731 ،<br>أبو المعالي عبد الكريم<br>بن عبيد الله القشيري<br>638<br>أبو المعالي عبد الله بن<br>أحمد بن محمد بن<br>عبد الله بن حمدويه<br>البرزاني 668 ،<br>أبو المعالي عبد الملك<br>الجويني 331 ، | أبو المصغر محمد بن علي<br>بن الحسن بن أحمد<br>الشمرزوري 531 ،<br>أبو المصغر منصور بن<br>محمد المسعودي 640 ،<br>أبو المصغر يحيى بن محمد<br>ابن هبيرة 380 ،<br>أبو المصغر يحيى بن محمد<br>بن هبيرة 386 ،<br>أبو المعالي الحسن بن<br>محمد بن أبي جعفر<br>البلخي الدزقي 356 ،<br>أبو المعالي الحسن بن<br>محمد بن الحسن<br>الوركاني 815 ،<br>أبو المعالي الصالح 323 ،<br>أبو المعالي الموفق بن<br>محمد بن عمر بن أبي<br>بكر بن لُهاهر<br>الصكاك الصبراني<br>الشروحي 387 ،<br>أبو المعالي الموفق بن<br>محمد بن عمر بن أبي<br>بكر بن لُهاهر<br>الصكاك الصبراني |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو بكر أحمد بن محمد<br>بن أيوب المعروف<br>بابن فورك 382 ,<br>أبو بكر أحمد بن محمد<br>بن أيوب بن فورك ,<br>240<br>أبو بكر البيهقي 704 ,<br>أبو بكر الشاشي 274 ,<br>471, 472, 663<br>أبو بكر الشامي 497 ,<br>أبو بكر بن عبد الواحد<br>بن محمد بن عبد<br>الجبار بن عبد الواحد<br>بن عبد الجبار التوثي<br>المروزي 656 ,<br>أبو بكر بن محمد بن<br>عبد الباقي الأنصاري ,<br>367<br>أبو بكر عبد الخالق بن<br>محمد بن سعيد بن<br>علي الشكافي 761 ,<br>أبو بكر عبد الرحمن بن<br>محمد بن علوه<br>الأنباري 369 , | أبو الوفاء بن عقيل 314 ,<br>315, 542, 633, 645,<br>647, 706<br>أبو الوفاء رستم ابن أبي<br>هاشم سعد بن مسلم<br>الخواري 357 ,<br>أبو الوفاء علي بن عقيل<br>بن محمد بن عقيل ,<br>346<br>أبو الوفاء محمد بن الفضل<br>بن عبد الواحد بن<br>محمد بن جلة القاضي<br>الناينجي 361 ,<br>أبو الوفاء محمد بن رجاء<br>بن محمد المؤذن<br>الأصبهاني 336 ,<br>أبو اليسر محمد بن محمد<br>بن الحسين بن عبد<br>الكريم بن موسى بن<br>مجاهد البزدي 370 ,<br>أبو بكر أحمد بن<br>المبارك بن أحمد<br>يعرف بأبي الرجال<br>البرائي 576 , | بن محمد بن إبراهيم<br>الميمني 658 ,<br>أبو المواهب أحمد بن<br>محمد بن عبد الملك<br>بن ملوك البغدادي ,<br>526<br>أبو المؤيد عيسى بن عبد<br>الله الغزنوي 719 ,<br>أبو المؤيد ميمون ابن أبي<br>الملاء أحمد بن الحسن<br>بن عدي بن حاتم بن<br>صم بن عصمة الحاتمي<br>النفسي 363 ,<br>أبو النجيب عبد القاهر بن<br>عبد الله السمرودي ,<br>807<br>أبو النجيب عبد القاهر بن<br>محمد بن عبد الله بن<br>محمد بن عمويه<br>السمرودي 787 ,<br>أبو الوفا ابن أبي عقيل<br>644<br>أبو الوفا بن عقيل 274 ,<br>633<br>أبو الوفاء ابن عقيل 551 ,<br>713 |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                       |                          |
|------------------------|-----------------------|--------------------------|
| أبو بكر محمد بن أحمد   | بن إبراهيم الميمني    | أبو بكر عبد الرزاق بن    |
| بن الحسين الجيخني      | 656                   | الحسين بن محمد بن        |
| المقرئ خلال 527 ،      | أبو بكر لام بن محمد   | عبد الله بن حمدان        |
| أبو بكر محمد بن أحمد   | بن أحمد بن نضلوليه    | البرغميري الكرمانلي      |
| بن الحسين بن أبي       | الشوكاني المؤذن       | 577                      |
| بشر الخرقسي            | الفضلوي 340 ،         | أبو بكر عبد الغفار بن    |
| النيسابوري 639 ،       | أبو بكر ليث بن الحسن  | محمد بن الحسين بن        |
| أبو بكر محمد بن الحسن  | بن عمر الغرلي 525 ،   | علي بن شيرويه بن علي     |
| ابن أبي جعفر ابن       | أبو بكر محمد بن أحمد  | بن الحسن الشيروي         |
| أبي سهل الأديب         | الشاشي الشافعي 807 ،  | الجنابزي 532 ،           |
| الروزي 657 ،           | أبو بكر محمد بن أحمد  | أبو بكر عتيق الله بن أبي |
| أبو بكر محمد بن الحسن  | بن أبي القاسم بن      | العباس بن أبي بكر        |
| الإسفراري 361 ،        | إسحاق بن أحمد         | الميثمي 640 ،            |
| أبو بكر محمد بن        | اللؤلؤي المعروف       | أبو بكر عتيق بن أحمد     |
| الحسين بن عمر أبو      | بالفقيه السونجي 668 ، | بن محمد بن بابا          |
| بكر الأرموي 814 ،      | أبو بكر محمد بن أحمد  | الأبيوردي المروزي ،      |
| أبو بكر محمد بن القاسم | بن الجنيد بن محمد     | 656                      |
| الأنباري 36 ،          | بن أحمد بن محتاج      | أبو بكر علي بن عمر       |
| أبو بكر محمد بن        | الميمني 336 ،         | بن محمد بن الحسن         |
| المخفر ابن بكر ابن     | أبو بكر محمد بن أحمد  | بن علي بن إبراهيم        |
| بن عبد الصمد بن        | بن الجنيد بن محمد     | الفرغولي الجرجاني        |
| سلمان الحموي           | بن أحمد بن محتاج      | 525                      |
| المعروف بالشامي ،      | الميمني 657 ،         | أبو بكر فضل الله بن      |
| 364                    |                       | المفضل بن فضل الله       |
|                        |                       | بن أحمد بن محمد          |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                         |                                                                                                               |                                                                                                                          |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو بكر محمد بن عبد<br>اللّهيّف بن محمد<br>الخندي 744 ,                                                 | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن إبراهيم بن محمد<br>الأسيدي الفضلي 365 ,                                            | بن علان الخبيب ,<br>340                                                                                                  |
| أبو بكر محمد بن عبد الله<br>بن أحمد بن حبيب<br>العامري المعروف<br>بابن الجنان 667 ,                     | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن إبراهيم بن محمد بن<br>أحمد ابن أبي بكر بن<br>محمد بن الفضل البخاري<br>الفضلي 337 , | أبو بكر مسعود بن أحمد<br>بن نصر الله بن أحمد بن<br>عثمان بن أحمد ابن محمد<br>بن خشان بن باذلن<br>الخشنامي العتّابي 527 , |
| أبو بكر محمد بن عبد الله<br>بن محمد النشكي<br>348                                                       | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن إبراهيم... الأسيدي<br>الفضلي البخاري 361 ,                                         | أبو بكر مسعود بن أحمد<br>بن نصر الله بن أحمد بن<br>عثمان بن أحمد ابن محمد<br>بن خشان بن باذلن<br>الخشنامي العتّابي 659 , |
| أبو بكر محمد بن علي<br>بن عمر بن أبي بكر<br>بن علي بن الحسين بن<br>الحسن بن علي الكاظمي<br>المعلم 776 , | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن إبراهيم بن محمد<br>بن أبي بكر البراني<br>576                                       | أبو بكر مكي ابن محمد<br>بن مكي بن محمد<br>بن مكي بن حرب<br>الأبهرى الحربي 337 ,                                          |
| أبو بكر محمد بن علي<br>بن محمد النوحا بلادي<br>البخاري 639, 765 ,                                       | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن أحمد بن محمد<br>بن يوسف الشامي<br>المقرئ 808 ,                                     | أبو تراب عبد الباقي بن<br>يوسف النريزي<br>المراغبي 339 ,                                                                 |
| أبو بكر محمد بن محمد<br>الفضلي البخاري، وأبو<br>جعفر محمد بن محمد<br>الحاكمي الخروهي<br>الجلبي 337 ,    | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن محمد بن إبراهيم<br>بن محمد بن أحمد<br>بن محمد بن الفضل<br>الفضلي 815 ,             | أبو تراب عبد الباقي بن<br>يوسف بن علي بن<br>صالح بن عبد الملك<br>ابن هارون المرغبي<br>348                                |
|                                                                                                         | أبو بكر محمد بن محمد<br>بن محمد بن الحسن                                                                      |                                                                                                                          |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                   |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو حفص عمر بن محمد<br>بن إبراهيم بن خزيمة<br>بن عبد الله الوائلي<br>370                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              | أبو جعفر محمد بن علي<br>بن محمد المقرئ<br>الضبري المشاهير 337 ،<br>أبو جعفر محمد بن علي<br>بن هارون بن محمد<br>الموسوي 658 ،<br>أبو حفص الفرغاني 789 ،<br>أبو حفص خمارقاش بن عبد<br>الله الكاغذي الرومي<br>531                                                                    | أبو تميم عبد المغيث<br>العبدى 339 ،<br>أبو تميم عبد المغيث بن<br>محمد العبدى<br>الأصبهاني 336 ،<br>أبو جعفر البخاري 246 ،<br>أبو جعفر الشريف 715 ،<br>أبو جعفر الصوسي 239 ،<br>أبو جعفر المنصور 80 ، 69 ،<br>أبو جعفر بن الخرقى<br>377 ، 633                      |
| أبو حفص عمر بن محمد<br>بن لُهاهر الفرغاني<br>الصوفي المقرئ<br>الأندلسي 789 ،<br>أبو حفص عمر بن محمد<br>بن عبد الجليل بن حر<br>بن أحمد بن جعفر بن<br>بلجام بن مجاهد بن<br>حازم بن هرثة بن<br>أعين الخزازي<br>السمرقندي 369 ،<br>أبو حفص عمر بن محمد<br>بن عمر بن أبي بكر<br>بن لُهاهر الصَّكَّاء<br>الصوسي 656 ،<br>أبو حفص عمر بن محمد<br>بن محمد بن أبي<br>بكر بن لُهاهر<br>الصَّكَّاء الصوسي<br>386 | أبو حفص عثمان بن عتيق<br>الله بن يعقوب بن<br>علي السرخسي<br>اليقوي الصوفي 656 ،<br>أبو حفص عمر<br>السمروزي 787 ،<br>أبو حفص عمر بن أحمد<br>بن محمد بن الحسن<br>بن شاهين الفارسي<br>الشاهيني ثم<br>السمرقندي 669 ،<br>أبو حفص عمر بن شعيب<br>بن أبي القاسم الصرام<br>الدينكي 370 ، | أبو جعفر بن الخرقى<br>الشاه 632 ،<br>أبو جعفر عبد الخالق بن<br>أبي موسى الهاشمي<br>715<br>أبو جعفر محمد بن<br>الحسين بن أميركا<br>الضبري الآملي 361 ،<br>أبو جعفر محمد بن عبد الله<br>ابن أبي الحسن<br>الصائفي المروزي<br>340 ، 365<br>أبو جعفر محمد بن علي<br>41 |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| المعروف بالكافي<br>الكرجي 364 ,<br>أبومسعد عبد الرحمن<br>الرازي 335 ,<br>أبومسعد عبد الرحمن بن<br>منصور من رماه من<br>عبد الله بن زيه 800 ,<br>أبومسعد عبد الرحيم بن<br>علي الموفق النعمي<br>الخطيب الباري 335<br>أبومسعد عبد الله بن أبي<br>المختار ابن أبي يعمر<br>النسفي 761 ,<br>أبومسعد عبد الملك بن<br>محمد بن الحسن<br>السامري 394, 395 ,<br>أبومسعد عبد الملك بن<br>محمد بن الحسن<br>السامري 667 ,<br>أبومسعد عثمان بن علي<br>بن شراف العجلي 348<br>أبومسعد عمر بن علي بن<br>الحسين بن أحمد بن | أبومسعد إسماعيل بن علي<br>المنشي الأستراخادي<br>العنبري 808 ,<br>أبومسعد السكري 331 ,<br>أبومسعد الصوفي<br>النيسابوري 583 ,<br>أبومسعد العلاء بن<br>الموصلاني 258 ,<br>أبومسعد المبارك بن علي<br>بن الحسين المخرمي 807<br>أبومسعد المستوفي 490 ,<br>أبومسعد المستوفي الملقب<br>بشرف الملك 643 ,<br>أبومسعد المعمر بن علي<br>بن المعمر البغدادي 744<br>أبومسعد النيسابوري 785 ,<br>أبومسعد بن محمد<br>اليهودي 497 ,<br>أبومسعد بن صاعد 241 ,<br>أبومسعد سليمان بن محمد<br>بن الحسين بن محمد<br>القصاري البلدي | أبو حفص محمد بن<br>المبارك بن عمر بن<br>الخرقي (ت) 494 هـ ,<br>378<br>أبو حكيم إبراهيم بن<br>دينار بن أحمد<br>النمرواني 744 ,<br>أبو حنيفة 447, 448, 547 ,<br>أبو حنيفة القصاب 636 ,<br>أبو حنيفة الكوفي 158 ,<br>أبو خلف عبد الرحمن<br>بن هبة القشيري 335 ,<br>أبو داود 831 ,<br>أبو ذر محمد بن جعفر<br>المستغفري 338 ,<br>أبو زيد صالح بن محمد<br>بن علي بن محمد<br>بن علي بن عبد الله<br>بن المعزم الممذاني 335<br>أبومسعد ابن الحلواني 378<br>أبومسعد إسماعيل بن أحمد 648 |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                       |                           |                         |
|-----------------------|---------------------------|-------------------------|
| أبوسهل محمد ابن أحمد  | أبوسعيد محمد بن إبراهيم   | محمد بن أبي خن          |
| بن عبد الله بن سعد    | بن أحمد بن إبراهيم بن     | المحمودي المروزي        |
| بن حفص بن هاشم        | أحمد بن إبراهيم بن        | الحالقياني البخلي 360 , |
| الحفصي الكشميني       | أحمد بن أيوب الفزري       | أبوسعد محمد بن أسعد     |
| المروزي 805 ,         | العدني 527 ,              | بن محمد بن الخليل       |
| أبوشجاع عمر بن أبي    | أبوسعيد محمد بن أحمد      | النوقاني 360 ,          |
| الحسن البسكلامي ,     | بن محمد بن صاعد بن        | أبوسعد محمد بن محمد     |
| 744                   | محمد ابن أحمد بن عبيد     | بن منصور بن عبد الله    |
| أبوشجاع محمد بن أبي   | الله الصاعدي المعروف      | بن أحمد الفازي          |
| محمد بن أبي المعالي   | بشيخ الإسلام 360 ,        | الغزال 658 ,            |
| بن المقرون البغدادي , | أبوسعيد محمد بن أحمد      | أبوسعد محمد بن منصور    |
| 635                   | بن محمد بن صاعد           | الخورزمي 806 ,          |
| أبوشجاع محمد بن       | بن محمد بن أحمد           | أبوسعد محمد بن نصر بن   |
| الحسين بن محمد بن     | بن عبيد الله              | منصور المروزي 383 ,     |
| عبد الله بن           | الصاعدي 365 ,             | أبوسعد محمد بن نصر بن   |
| إبراهيم، الملقب بضمير | أبوسعيد محمد بن حامد      | منصور المروزي           |
| الدين الروخ روري ,    | بن حمد الأصماني           | البشكاني 527 ,          |
| 380                   | المعروف بسر 639 ,         | أبوسعد محمد بن يحيى     |
| أبوشجاع محمد بن عمر   | أبوسهل ابن الموفق 703 ,   | بن منصور الجنزي ,       |
| بن عبد الله الأرغواني | أبوسهل النعمان بن محمد    | 658                     |
| الراونيري 337 ,       | بن النعمان ابن أبي العباس | أبوسعد يحيى بن علي      |
| أبوشجاع ناصر بن محمد  | أحمد بن منصور الصحان      | الطواني 744 ,           |
| بن أحمد البياع        | الأكار الباجفومتي         | أبوسعيد الطواني 274 ,   |
| النوقاني 362 ,        | الصدق 517 ,               | أبوسعيد القشيري , 331 , |
|                       |                           | 636                     |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                             |                        |
|--------------------------|-----------------------------|------------------------|
| عمر بن يحيى الرواية بن   | أبو صاهر أحمد بن أحمد       | أبو صالح عبد الملك بن  |
| الحسين ذي الدمة بن       | بن علي بن عمر بن            | عبد الواحد بن عبد      |
| الفقيه زيد الشهيد بن زين | علي بن سلمان الدقاق         | الكريم بن هوازن بن     |
| العابدين بن علي بن       | 526                         | عبد الملك بن لعلحة     |
| الحسين بن علي بن أبي     | أبو صاهر الصحراني 705 ,     | القشيري 655 ,          |
| لعلب 388 ,               | أبو صاهر بن علي 645 ,       | أبو صالب إبراهيم بن    |
| أبو عبد الله الحسين بن   | أبو صاهر سعد بن علي         | هبة الله بن علي 744 ,  |
| أحمد بن علي بن           | بن عيسى القمي 379 ,         | أبو صالب الحسين بن     |
| الحسن بن فكيمة           | أبو صاهر عبد الرحمن بن      | محمد بن علي بن         |
| البيهمي 357 ,            | أحمد بن علي 587 ,           | الحسن بن محمد بن       |
| أبو عبد الله الحسين بن   | أبو صاهر عبد الرحمن بن      | عبد الوهاب الزينبي     |
| جعفر بن محمد بن          | محمد بن علي 583 ,           | 391                    |
| جعفر بن داود             | أبو صاهر محمد بن علي        | أبو صالب الزينبي 249 , |
| السلامي 667 ,            | بن محمد بن يوسف             | أبو صالب السمرمي 537 , |
| أبو عبد الله الحسين بن   | الغلاف الحافظ 639 ,         | أبو صالب عبد الله بن   |
| علي بن أحمد بن           | أبو عبد الرحمن محمد بن      | أحمد بن علي 392 ,      |
| عبد الله المقرئ          | إسماعيل بن عمر              | أبو صالب محمد العلوي , |
| الخيال 525 ,             | الصيرفي 775 ,               | 394                    |
| أبو عبد الله الحسين بن   | أبو عبد الله الحسن بن       | أبو صالب محمد بن علي   |
| محمد الكتبي              | هبة الرحمن بن عبد           | بن أحمد الواسطي        |
| المروي 527 ,             | الواحد ابن عبد              | 378                    |
| أبو عبد الله الحسين بن   | الكريم بن                   | أبو صاهر إبراهيم بن    |
| محمد بن عبد الوهاب بن    | هوازن القشيري 334 ,         | شيلان بن محمد بن       |
| أحمد بن محمد بن          | أبو عبد الله الحسين النسابة | شيلان النفيلي 806 ,    |
| الحسين بن عبيد الله بن   | بن أحمد المحدث بن           |                        |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                          |                                                                                 |                                                                   |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------|
| أبو عبد الله محمد بن<br>أميركا بن فيركا<br>الجيلي 359 ,                                                  | أبو عبد الله عبد الكريم<br>بن أحمد بن الحسن<br>بن محمد الشالومي<br>الطبري 347 , | القاسم بن عبيد الله بن<br>سليمان وهب البدري<br>الدباس 576 ,       |
| أبو عبد الله محمد بن<br>عبد الكريم بن<br>إبراهيم بن عبد<br>الكريم بن الأنباري ,<br>386                   | أبو عبد الله عبد المنعم بن<br>أحمد ابن الخذاباني<br>المروزي 347 ,               | أبو عبد الله الدامغاني ,<br>238, 240, 241, 243,<br>244, 249       |
| أبو عبد الله محمد بن<br>عبد الله الصانغ 356 ,                                                            | أبو عبد الله فادشاه ابن<br>أبي منصور ابن أبي<br>كاهن الأصماني 532 ,             | أبو عبد الله الزبيدي 634 ,                                        |
| أبو عبد الله محمد بن علي<br>مهرلن 367 ,                                                                  | أبو عبد الله محمد بن أبي<br>علي النوقاني 745 ,                                  | أبو عبد الله القاسم بن<br>الفضل بن أحمد بن<br>محمود الرئيس 530 ,  |
| أبو عبد الله محمد بن محمد<br>بن محمد بن محمد<br>بن أحمد المديني<br>الأصماني 362 ,                        | أبو عبد الله محمد بن<br>الحسن بن أحمد ابن<br>أبي نصر الزندخاني<br>657           | أبو عبد الله محمد بن<br>عبد الرشيد بن القاسم<br>الجيلي 744 ,      |
| أبو عبد الله محمد بن<br>محمود بن الحسين بن<br>محمد بن حامد بن<br>الحسين ابن يوسف<br>القرقوبي الخصب 338 , | أبو عبد الله محمد بن<br>الحسن بن محمد<br>برهان الدين<br>الكاماني 763 ,          | أبو عبد الله عبد الرحمن<br>بن عبد الرحيم<br>الدارمي المروزي 335 , |
| أبو عبيد 435 ,                                                                                           | أبو عبد الله محمد بن<br>الفضل بن أحمد<br>الصاعدي 744 ,                          | أبو عبد الله عبد الرحمن<br>بن علي المفاقي<br>البارفاباخي 335 ,    |
| أبو عصمة عبد الواحد بن<br>كاهن بن محمد<br>الكريمي 762, 369 ,                                             |                                                                                 | أبو عبد الله عبد الصمد<br>ابن أحمد بن محمد<br>البزيسي 576 ,       |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| المعروف بالحاجي ،<br>782                                                                                                                                                                                                                                   | بن إسحاق بن الفضل<br>الكاساني ، الكشي<br>357                                                                                                                                                                                                                                                                       | أبو عصمة عبد الواحد بن<br>صاهر محمد الكرمني<br>332                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
| أبو علي صاعد بن نصر<br>بن أحمد بن الشاه بن<br>علي بن الحسين بن<br>شبل بن نصير النصيري<br>النسفي 368 ،                                                                                                                                                      | أبو علي الفضل بن محمد<br>الفارزي 670 ،<br>أبو علي الفضل بن محمد<br>بن علي الفارمزي ،<br>639                                                                                                                                                                                                                        | أبو علي أحمد بن محمد<br>بن البرداني 576 ،<br>أبو علي الحسن بن<br>إبراهيم بن فزون<br>الشافعي الفارقي 366 ،                                                                                                                                                                                                                                                                         |
| أبو علي محمد بن أرملان<br>بن محمد الكاتب<br>المعروف بالمتجب ،<br>385                                                                                                                                                                                       | أبو علي بن أبي تمام ،<br>194 ، 239<br>أبو علي بن الملك أبي<br>كاليجار 193 ،<br>أبو علي حسان بن سعيد<br>بن حسان بن محمد بن<br>أحمد بن عبد الله بن<br>محمد بن منيع بن خالد<br>بن عبد الرحمن بن<br>خالد بن الوليد المخزومي<br>المنيعي 531 ،<br>أبو علي حسن بن القاسم<br>بن علي الواسطي<br>المعروف بفلام المراس<br>782 | أبو علي الحسن بن علي<br>الوخشي البلخي 857 ،<br>أبو علي الحسن بن علي<br>بن إسحاق بن العباس<br>الهوماني 380 ،<br>أبو علي الحسن بن علي<br>بن محمد المفتي<br>الحافض القصوراني 348 ،<br>أبو علي الحسن بن علي<br>بن محمد بن إبراهيم<br>القحطان المروزي 895 ،<br>أبو علي الحسن بن<br>موسى 152 ،<br>أبو علي الحسن بن ناصر<br>الكاغزي 525 ،<br>أبو علي الحسن بن نصر<br>بن إبراهيم بن يعقوب |
| أبو علي يحيى بن عيسى<br>بن جلال 739 ، 258 ،<br>أبو عمر أحمد بن محمد<br>بن عثمان السنخواني<br>785<br>أبو عمرو عثمان بن أحمد<br>بن أبي الفضل<br>الشفورقاني الحصري<br>المعروف بنال بلاف ،<br>336<br>أبو عمرو عثمان بن أحمد<br>بن محمد الخليلي<br>الخلعي 336 ، |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو محمد عبد الواحد بن<br>أحمد بن محمد بن<br>سيماء الحمادي الجندي<br>السمرقندي 762 ،<br>أبو محمد عبد الجبار<br>الخوراري البيهقي 336 ،<br>أبو محمد عبد الجبار بن<br>أحمد الداري 762 ،<br>أبو محمد عبد الجبار بن<br>محمد بن أحمد<br>الخوراري البيهقي 525 ،<br>أبو محمد عبد الجبار بن<br>محمد بن علي بن<br>محمد الكسائي<br>البخاري 666 ،<br>أبو محمد عبد الجليل بن<br>عبد الملك بن عطاء<br>النسفي الأفراني 369 ،<br>أبو محمد عبد الرحمن بن<br>عبد الله النيمري<br>المروزي 765 ،<br>أبو محمد عبد الرحمن بن<br>عبد الله بن عبد<br>الرحمن النيمري 349 ، | أبو محمد العباس المصاري<br>الطوسي الصبراني ،<br>639<br>أبو محمد العباس بن محمد<br>بن أبي منصور من<br>أبي القاسم، المصاري<br>الطوسي الصبراني ،<br>656<br>أبو محمد بكر النسفي<br>الكندي 636 ،<br>أبو محمد بن الهيصم 331 ،<br>أبو محمد رزق الله بن<br>عبد الوهاب التميمي<br>241<br>أبو محمد سعد بن محمد<br>ابن أبي عبيد<br>الدمستجرجي المروزي ،<br>638<br>أبو محمد سعد بن محمد<br>ابن أبي عبيد<br>الدمستجرجي<br>المروزي 334 ،<br>أبو محمد لهجة بن<br>الحسين بن محمد بن<br>الحسين بن لهجة<br>الأصفهاني 364 ، | أبو غالب شجاع بن فارس<br>بن الحسين بن<br>غريب الذهلي 509 ،<br>أبو غالب علي العلوي ،<br>393<br>أبو غالب محمد بن<br>الحسن بن علي بن<br>الحسن الماوردي<br>البصري 526 ،<br>أبو كاليجار 182 ،<br>أبو محمد إسماعيل بن<br>محمد بن إبراهيم<br>النوحى 339 ،<br>أبو محمد التميمي 242 ،<br>249<br>أبو محمد الحسن ابن<br>الأقاسمي العلوي ،<br>393<br>أبو محمد الحسن بن<br>الحسين الأندلسي 790 ،<br>أبو محمد الحسن بن محمد<br>بن إسماعيل بن<br>شعيب السنجي 655 ،<br>أبو محمد الخلال 667 ،<br>أبو محمد الدامغاني 274 ، |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                             |                                                                                                                                    |                                                                                                                   |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو محمد عبد الله بن<br>ميمون بن عبد الله<br>المالكاني الكوفي<br>358                                                                        | أبو محمد عبد السيد بن<br>أبي بكر بن أبي<br>الفضل بن ينال 525 ,<br>أبو محمد عبد الصمد<br>البغوي 336 ,                               | أبو محمد عبد الرحمن بن<br>علي بن أبي العباس بن<br>علي بن الحسين ابن<br>الموفق النعمي المعروف<br>بالبارناذني 339 , |
| أبو محمد عبد الهادي بن<br>عبد الله الرومي<br>النيربي 339 ,<br>أبو محمد عبيد الله بن<br>عبد الرحمن بن محمد<br>بن موسى المصري<br>الخرقي 531 , | أبو محمد عبد الصمد بن<br>أحمد بن محمد بن<br>محمد البزيسي<br>المروزي 336 ,<br>أبو محمد عبد القادر بن<br>أبي صالح الجيلي<br>257, 787 | أبو محمد عبد الرحمن بن<br>محمد بن أحمد بن<br>أبي الفضل بن أحمد<br>ابن حفص الماهياني<br>المروزي 516 ,              |
| أبو محمد عبيد الله بن<br>منصور المعروف بابن<br>صليحة قاضي جبلة ,<br>536                                                                     | أبو محمد عبد الله بن أحمد<br>الخرقي 638 ,<br>أبو محمد عبد الله بن محمد<br>بن أحمد الشاشي 744 ,                                     | أبو محمد عبد الرحمن بن<br>محمود بن أحمد بن عبد<br>الله بن أبي بكر ابن أبي<br>ريحان السكري المعروف<br>بالعمي 386 , |
| أبو محمد عمر بن أحمد<br>بن أبي الحسن بن<br>الحسين الغندابي<br>المرغيناني المعروف<br>بالفرغاني 348 ,                                         | أبو محمد عبد الله بن محمد<br>بن المظفر بن علي<br>بن أبي بكر البناء<br>المتولي الهاجري<br>البغوي 358 ,                              | أبو محمد عبد السلام بن<br>محمد بن عبد الله بن<br>محمد بن اللبان التيمي<br>الشروحي الأصماني<br>386                 |
| أبو محمد كامل بن ختلف<br>اللتوري الأصماني<br>532                                                                                            | أبو محمد عبد الله بن محمد<br>بن محمد بن نصر<br>القلامي 636 ,                                                                       |                                                                                                                   |

- فهرس الأعلام والبلدان والأماكن.

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو نصر ابن أبي القاسم<br>القشيري 714 ,<br>أبو نصر ابن القشيري ,<br>715<br>أبو نصر أحمد بن الفضل<br>وزير السلطان منجر ,<br>310<br>أبو نصر أحمد بن عبد الله<br>بن أحمد بن ثابت<br>البخاري الثابتي 347 ,<br>782<br>أبو نصر أحمد بن علي<br>الحنفي الآموي 814 ,<br>أبو نصر الفاشاني 669 ,<br>أبو نصر القشيري 636 ,<br>717<br>أبو نصر الكندري 190 ,<br>193, 237, 379, 574,<br>700, 704, 731<br>أبو نصر بن الصباغ 249 ,<br>أبو نصر زاهر بن محمد<br>بن أبي القاسم<br>المغازلي 638 ,<br>أبو نصر سعد بن محمد<br>النعمي المصرفي<br>الإسمراباذي 358 , | أبو منصور لهاهر بن<br>مهدي بن لهاهر بن<br>علي بن نصر<br>الخبزي 764 ,<br>أبو منصور محمد بن أبي<br>الربيع سليمان بن أحمد<br>بن محمد السرقسقي<br>الأذمي 530 ,<br>أبو منصور محمد بن عبد<br>الصمد بن أحمد بن<br>عبد الله ابن<br>المنصوروري<br>الملقا باذي 657 ,<br>أبو منصور محمد بن<br>محمود المروزي 790 ,<br>أبو منصور محمود الواعظ ,<br>638<br>أبو منصور نصر بن عبد<br>الجبار بن منصور بن<br>عبد الله بن عبد الرحمن<br>ابن إبراهيم بن أحمد بن<br>محمد بن زهير بن أسد<br>التميمي القرآني القزويني<br>639 | أبو محمد ناصر بن محمد<br>بن نصر بن أحمد<br>القلامي 765 ,<br>أبو محمد يحيى بن علي<br>المديني 395 ,<br>أبو مسلم الليثي البخاري ,<br>705<br>أبو معمر عبد الكريم بن<br>شريح بن عبد<br>الكريم بن أحمد بن<br>محمد الروماني<br>الخبزي 359 ,<br>أبو منصور 651 ,<br>أبو منصور أحمد بن محمد<br>بن عبد الواحد بن<br>الصباغ 377 ,<br>أبو منصور المصفر بن أبي<br>الحسين بن أبي<br>منصور العبّادي<br>الواعظ 383 ,<br>أبو منصور بن الصباغ ,<br>632<br>أبو منصور بن تمام 228 ,<br>أبو منصور بن يوسف ,<br>243 |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                        |                                                                                                                 |                                                                                                                        |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو يعقوب يوسف بن<br>بختيار بن محمد<br>الساغرجي 806 ,                                                                                  | أبو نصر منصور بن محمد<br>ابن أبي نصر منصور<br>الملالي الباخري<br>الماليني 659 ,                                 | أبو نصر سعد بن محمد بن<br>إسماعيل النعيم 709 ,                                                                         |
| أبو يعقوب يوسف بن<br>صاهر بن الحسن<br>الخوي الأديب 362 ,                                                                               | أبو نصر منصور بن ناصر<br>بن منصور الشوكاني<br>القاضي 659 ,                                                      | أبو نصر عبد الرحمن بن<br>محمد بن أحمد بن<br>محمد بن منصور ابن<br>جبريل الخرجري<br>الخصيري 655 ,                        |
| أبو يعلى الفراء 227, 24 ,<br>255, 328, 329, 330,<br>418, 419, 434, 435,<br>448, 449, 457, 459,<br>460, 507, 554, 555,<br>556, 597, 832 | أبو نصر ناصر بن أحمد<br>بن محمد بن محمد بن<br>العباس بن مسلم بن عبد<br>الله بن الفضل بن سليمان<br>الهموسي 666 , | أبو نصر عبد الرحيم بن<br>عبد الكريم القشيري ,<br>257                                                                   |
| أبو يعلى الفراء 500 ,                                                                                                                  | أبو نصر هبة الله بن<br>الموصلاني 258 ,                                                                          | أبو نصر علي ابن الوزير<br>أبي القاسم هبة الله بن<br>علي بن جعفر بن<br>علي بن محمد بن<br>دلف بن أبي دلف<br>المجلي 655 , |
| أبو يعلى محمد بن<br>الحسين بن محمد بن<br>خلف بن أحمد بن<br>الفراء 346 ,                                                                | أبو وهب منبه بن محمد<br>بن أحمد بن المخلص<br>الفرواني 639 ,                                                     | أبو نصر محمد بن أحمد<br>بن عبد الله الكبريتي<br>القباني الوزلي 526 ,                                                   |
| أبو يوسف 435, 448, 478, 712                                                                                                            | أبي بكر بن محمد<br>الشاشي البسكتي ,<br>341                                                                      | أبو نصر محمد بن الحسن<br>بن محمد الأديب<br>الكوفي 657 ,                                                                |
| أبو يوسف يعقوب بن<br>سليمان 304 ,                                                                                                      | أبو يعقوب يوسف<br>الهمذاني 638 ,                                                                                | أبو نصر محمد بن عبد<br>الملك البخاري<br>الحنفي 282, 292 ,                                                              |
| أبي إبراهيم أسعد بن<br>مسعود بن علي بن                                                                                                 |                                                                                                                 |                                                                                                                        |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                           |                                                                                                                                |                                                                                    |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------|
| أبي الشتاء محمود بن زيد<br>اللامشي الحنفي<br>المازني 854 ,                                                                                | أبي إسماعيل مؤيد الدين<br>الحسين بن علي بن<br>محمد الكفرازي 879 ,                                                              | محمد بن الحسن<br>العتبي 875 ,                                                      |
| أبي الحسن الأشعري ,<br>700, 702, 703                                                                                                      | أبي إسماعيل مؤيد الدين<br>الحسين بن علي بن<br>محمد بن عبد الرحمن<br>العميد الوزير الأمتاذ<br>المنشئ المعروف<br>بالكفرازي 902 , | أبي إسحاق إبراهيم بن<br>أحمد بن داود<br>المستملح البلخي 886 ,                      |
| أبي الحسن الباخريزي<br>887                                                                                                                | أبي الحسن البزدي<br>871                                                                                                        | أبي إسحاق إبراهيم بن<br>أحمد بن محمد بن<br>علي بن عطاء<br>المروزي 869 ,            |
| أبي الحسن الزيني 228 ,<br>أبي الحسن السلمي 273 ,<br>أبي الحسن المازني<br>239, 255, 419, 421,<br>429, 445, 517, 542,<br>829, 848, 865, 893 | أبي البركات عبد<br>الرحمن بن محمد<br>الأنباري النحوي ,<br>892                                                                  | أبي إسحاق إبراهيم بن<br>علي بن يوسف بن<br>عبد الله الفيروز آبادي<br>الشيرازي 866 , |
| أبي الحسن الهمذاني<br>886                                                                                                                 | أبي البركات عبد<br>الرحمن بن محمد بن<br>عبيد الله بن أبي سعيد<br>الأنباري الملقب كمال<br>الدين النحوي 878 ,                    | أبي إسحاق الشيرازي ,<br>542, 703, 714, 717,<br>743, 814, 854, 870,<br>889          |
| أبي الحسن بن زيد<br>اليهمقي 896 ,                                                                                                         | أبي البركات هبة الله بن<br>المبارك بن موسى<br>بن علي السقضي<br>الرحال 885 ,                                                    | أبي إسحاق الفقاعي 163 ,<br>164                                                     |
| أبي الحسن بن فندق<br>890                                                                                                                  | أبي البركات هبة الله بن<br>علي بن ملكا<br>البغدادي 902 ,                                                                       | أبي إسماعيل الأنصاري<br>المروزي الحنبلي 718 ,                                      |
| أبي الحسن بن فندق<br>اليهمقي 900 ,                                                                                                        |                                                                                                                                | أبي إسماعيل عبد الله بن<br>محمد بن علي<br>الأنصاري المروزي ,<br>893                |
| أبي الحسن رزين بن<br>معاوية العبدي 858 ,                                                                                                  |                                                                                                                                |                                                                                    |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                           |                                                                                                                                |                                                                                               |
|-------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبي الحسن هبة الله بن<br>صاعد بن التلميز ،<br>896                                         | أبي الحسن علي بن<br>الحسن بن علي<br>الصندلي 807 ،                                                                              | أبي الحسن سعيد بن<br>هبة الله بن الحسن ،<br>897                                               |
| أبي الحسين المجاشعي<br>872                                                                | أبي الحسن علي بن<br>الحسن بن علي بن<br>أبي الهيب<br>الباخرزي 876 ،                                                             | أبي الحسن صدر الدين<br>علي بن ناصر<br>الحسيني 887 ،                                           |
| أبي الحسين علي بن<br>فضال بن علي بن<br>غالب بن جابر بن<br>عمرو بن الحسن<br>المجاشعي 869 ، | أبي الحسن علي بن<br>القاسم السنجاني<br>الخراماني 874 ،                                                                         | أبي الحسن محمد بن<br>الغافر بن محمد بن عبد<br>الغافر بن أحمد بن محمد<br>بن سعيد الفارسي 857 ، |
| أبي الخشاب محمد بن<br>محمد بن أبي الخالب<br>البغدادي 895 ،                                | أبي الحسن علي بن زيد<br>البيهقي 885 ،                                                                                          | أبي الحسن علي بن أبي<br>بكر بن علي<br>المروزي الموصللي 891 ،                                  |
| أبي الخير أحمد بن<br>إسماعيل بن يوسف<br>الطالقاني القزويني<br>852                         | أبي الحسن علي بن<br>فضال بن علي<br>المجاشعي القيرواني<br>848                                                                   | أبي الحسن علي بن<br>أحمد بن محمد<br>الولاحدي 872 ،                                            |
| أبي الريحان البيروني 899 ،<br>أبي الريحان محمد بن<br>أحمد البيروني 896 ،                  | أبي الحسن علي بن<br>محمود بن إبراهيم بن<br>ماخرق الزوزني 786 ،                                                                 | أبي الحسن علي بن<br>أحمد بن هبل<br>البغدادي 897 ،                                             |
| أبي السعادات هبة الله بن<br>علي بن محمد<br>المعروف بابن<br>الشجري البغدادي ،<br>877       | أبي الحسن محمد بن<br>عبد الملك بن إبراهيم<br>الفرضي الممذاني 884 ،<br>أبي الحسن محمود بن<br>الحسين النيسابوري<br>الغزنوي 848 ، |                                                                                               |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

- |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن الخف 790 ,<br/>أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني 852<br/>أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منعة 901<br/>أبي الفتح الأسفرائيني 788<br/>أبي الفتح الحسن بن محمد بن أحمد الحلبي 815 ,<br/>أبي الفتح بن هلال 456<br/>أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني 854 ,<br/>أبي الفتح محمد بن محمد بن علي الصائفي الهمداني 858 ,<br/>أبي الفتح نجم الدين أحمد بن محمد السري البغدادي المعروف بابن الصلاح 898 ,</p> | <p>أبي الفتح مهمل بن أحمد بن علي الأرميني الحاكم 667 ,<br/>أبي الفتح شرف الدين أحمد بن علي المعروف بابن برهان البغدادي 871 ,<br/>أبي الفتح شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السمرودي 902<br/>أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري 877 ,<br/>أبي الفتح فهمير الدين عبد الرشيد بن أبي حنيفة بن عبد الرزاق اللؤلؤجي 862 ,<br/>أبي الفتح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابوري 880<br/>أبي الفتح محمد بن الفضل الأسفرائيني 892 ,</p> | <p>أبي الصيب صاهر بن عبد الله بن صاهر بن عمر الصبري 866 ,<br/>أبي العباس أحمد بن بختيار الواسطي 889 ,<br/>أبي العباس القصاب 790 , 791<br/>أبي العباس المشطي 801 ,<br/>أبي الحسن الخبان علي بن سليمان 792 ,<br/>أبي العلاء صاعد بن الحسن بن صاعد 900<br/>أبي الغنائم بن المحلبان 234<br/>أبي الفتح أحمد الغزالي 892<br/>أبي الفتح الشهرستاني 890<br/>أبي الفتح المصفر بن الحسين 440 ,<br/>أبي الفتح بن ورام 205 ,<br/>أبي الفتح سليم بن أيوب بن سليم الرازي 865 ,</p> |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                              |                                                                        |                                                                                                             |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبي القاسم زاهر بن كهاهر<br>الشحامي النيسابوري ،<br>860                                                      | أبي الفضل محمد بن أبي<br>القاسم بن باجوك<br>الخوارزمي البقالي ،<br>852 | أبي الفرج عبد الرحمن<br>بن علي الجوزي ،<br>808                                                              |
| أبي القاسم سليمان بن ناصر<br>بن عمران الأنصاري<br>النيسابوري 851 ،                                           | أبي الفضل محمد بن<br>الحسين البيهقي<br>الكاتب 875 ،                    | أبي الفرج محمد بن<br>جعفر المغربي 203 ،                                                                     |
| أبي القاسم شمس الأئمة<br>إسماعيل بن الحسن<br>بن علي الفازي<br>البيهقي 875 ،                                  | أبي الفضل محمد بن كهاهر<br>بن علي المقدمي ،<br>858                     | أبي الفضائل رضي الدين<br>الحسن بن محمد بن<br>الحسن ابن حيدر بن<br>علي ابن إسماعيل<br>المدوي الصاغانبي 873 ، |
| أبي القاسم عبد الرحمن<br>بن علي بن أحمد<br>بن أبي صادق<br>النيسابوري 895 ،                                   | أبي القاسم أحمد بن<br>منصور السمعاني 860 ،                             | أبي الفضل أحمد بن محمد<br>بن أحمد بن إبراهيم<br>الميداني النيسابوري ،<br>874                                |
| أبي القاسم عبد الرحمن<br>بن محمد بن إسحاق بن<br>محمد بن يحيى بن مندة<br>إبراهيم الحافط الأصبهاني<br>856, 859 | المخزن 485 ،                                                           | أبي الفضل الميداني<br>النيسابوري 875 ،                                                                      |
| أبي القاسم عبد الكريم<br>بن هوارن بن عبد<br>الملك القشيري 849 ،                                              | أبي القاسم الحسين بن<br>محمد بن مفضل<br>الراغب الأصبهاني<br>849        | أبي الفضل عبد الرحمن<br>بن محمد بن أمرويه<br>بن محمد الكرمانبي<br>862                                       |
| أبي القاسم علي بن محمد<br>بن أحمد المعروف<br>بابن السمناني 883 ،                                             | أبي القاسم الزمخشري<br>محمود بن عمر<br>الخوارزمي 847 ،                 | أبي الفضل محمد ابن<br>عبد الجليل بن عبد<br>الملك بن علي بن<br>حيدر السمرقندي 886 ،                          |
|                                                                                                              | أبي القاسم القشيري 859 ،<br>893                                        |                                                                                                             |
|                                                                                                              | أبي القاسم المرتضى 228 ،                                               |                                                                                                             |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                              |                                                                                |                                                                  |
|--------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------|
| أبي المحسن علي بن الحسن بن علي النيسابوري 853 ,              | أبي القاسم محمد بن أحمد العراقي 902 ,                                          | محمد المذلي المغربي 845                                          |
| أبي المصنف أحمد بن محمد الكرايسي النيسابوري 869 ,            | أبي القاسم محمد بن يوسف بن أبي السمرقندي 861 ,                                 | أبي الماوردي 483 , 521 ,                                         |
| أبي المصنف الإسفرائيني 850 , 854                             | أبي القاسم محمود بن أبي الحسن بن الحسين , 849                                  | أبي المجد مجد الدين مجدود بن آدم بن سنائي الغزنوي 881 ,          |
| أبي المصنف السمعاني 850 , 870                                | أبي القاسم مهدي بن أحمد الخوافي 873 ,                                          | أبي المحاسن مسعود بن علي البيهقي 871 ,                           |
| أبي المصنف الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هيرة الحنبلي 866 | أبي القاسم ناصر الدين بن يوسف الشهيد الحسيني السمرقندي 864                     | أبي المحاسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس الصوافي البيهقي 874 , |
| أبي المصنف من السمعاني التميمي 798 ,                         | أبي القاسم ناصر الدين محمد بن يوسف بن علي السمرقندي البلخي 886 ,               | أبي المحاسن مسعود بن علي بن أحمد بن العباس الصوافي البيهقي 876 , |
| أبي المصنف طاهر بن محمد الإسفرائيني 738 ,                    | أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف البغدادي المشهور بالبديع الأسفرائيني 900 | أبي المحامد طهيس الدين محمد بن مسعود الغزنوي 900 ,               |
| أبي المعالي الكتبي سعد بن علي 892 ,                          | أبي القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف البغدادي المشهور بالبديع الأسفرائيني 900 | أبي المحامد نجيب الدين محمد بن علي بن عمر السمرقندي 896 ,        |
| أبي المعالي عبد الله بن محمد الميانجي 901 ,                  | أبي القاسم يوسف بن علي بن جبار بن                                              |                                                                  |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبي بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي 898 ,<br>أبي بكر محمد بن محمد بن عبد الجليل بن عبد الملك البلخي المعروف برشيد الدين الوصالحه 881 ,<br>أبي تميم الصوفي 668 ,<br>أبي تميم معد المصاهر النقيب 394 ,<br>أبي جعفر أحمد بن علي المعروف بجعفر 846 ,<br>أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد البيهقي المعروف ببوجعفر 874 ,<br>أبي جعفر المنصور 74 , 76 ,<br>أبي جعفر بن صقالب 440 ,<br>أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المصفر بن نظام الملك 486 , | أبي بكر أحمد بن علي بن أحمد العليشي 635 ,<br>أبي بكر الأرماني 868 ,<br>أبي بكر البيهقي 884 ,<br>أبي بكر الخرق 900 ,<br>أبي بكر الخصيب البغدادي 462 ,<br>أبي بكر الصديق 880 ,<br>أبي بكر الصومي 169 ,<br>أبي بكر الكرام 785 ,<br>أبي بكر الواسطي 790 ,<br>أبي بكر عبيد الله بن إبراهيم بن أبي بكر التفتازاني النسائي 516 ,<br>أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي 871 ,<br>أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين المعروف بالخرقي 898 ,<br>أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن علي الشاشي 866 , | أبي المعين ناصر خسرو القبادياني البلخي 891 ,<br>أبي النجم المعيني 101 ,<br>أبي النجيب عبد القاهر السمرودي 892 ,<br>أبي النجيب عبد القاهر بن عبد الله السمرودي 889 ,<br>أبي الوفاء ابن عقيل 317 , 850 , 871 ,<br>أبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي 867 ,<br>أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي 882 ,<br>أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي 845 ,<br>أبي بكر أحمد بن الفضل بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر الباصرقاني 844 , |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                     |                                                                                                                                                                                                                                                                                           |                                                                                                                                                                                                             |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| بسلمام الشيباني ابن<br>الخطيب التبريزي ,<br>877                                                                                                                                                     | أبي حفص عمر بن محمد<br>بن علي ابن أبي<br>نصر الفقيه السرخسي<br>الشيرازي 864 ,                                                                                                                                                                                                             | أبي حاتم المخضر بن<br>إسماعيل الإسفزاری ,<br>901                                                                                                                                                            |
| أبي سعد 187, 234 ,<br>أبي سعد إسماعيل بن<br>أحمد المؤذن<br>النيسابوري 860 ,<br>أبي سعد إسماعيل بن عبد<br>الواحد البوشنجي 868 ,<br>أبي سعد السمعاني 851 ,<br>888, 891<br>أبي سعد الصوفي 199 ,<br>715 | أبي حفص نجم الدين عمر<br>بن محمد بن أحمد<br>بن إسماعيل بن محمد<br>بن لقمان النسفي 847 ,<br>أبي حفص وجيه الدين<br>عمر بن محمد بن عبد<br>الله السمروردي 884 ,<br>أبي حنيفة 431, 459 ,<br>461, 462, 472, 476,<br>712, 713, 720, 722,<br>804, 805, 806, 861<br>أبي حنيفة النعمان 643 ,<br>711 | أبي حامد أفضل الدين<br>أحمد بن حامد<br>الكرمانبي 887 ,<br>أبي حامد أوجده الدين<br>الكرمانبي 880 ,<br>أبي حامد محمد بن عبد<br>الرحيم بن سليمان بن<br>أبي الربيع المازني<br>القيسي الأندلسي<br>الغرناطي 891 , |
| أبي سعد المحسن بن<br>محمد بن كرامة<br>الجشمي 884 ,<br>أبي سعد شرف الملك ,<br>803                                                                                                                    | أبي روح بن عيسى<br>المروزي 885 ,<br>أبي زكرياء يحيى بن عبد<br>الوهاب بن محمد<br>إسحاق بن منده<br>العبدري الأصفهاني<br>886                                                                                                                                                                 | أبي حاتم محمد بن عبد<br>الرشيد بن الحسن بن<br>الحسين علاء الدين<br>السمرقندي الاسمدي ,<br>855, 870                                                                                                          |
| أبي سعد عبد الرحمن بن<br>مأمون المتولي<br>النيسابوري 855 ,<br>أبي سعد عبد الكريم<br>السمعاني 885 ,<br>أبي سعد محمد بن أحمد<br>النوقاني 670 ,                                                        | أبي زكرياء يحيى بن<br>علي بن محمد بن                                                                                                                                                                                                                                                      | أبي حسان محمد بن أحمد<br>المنكي 778 ,<br>أبي حفص عمر النسفي<br>893<br>أبي حفص عمر بن أحمد<br>بن محمد بن شبيب<br>الدينكي السمرقندي ,<br>885                                                                  |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                   |                                                                           |                                                           |
|-----------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------|
| أبي عبد الله الحسين بن علي بن أحمد الزوزني 873 ,                                  | أبي كالب محمد بن عبد الملك بن محمد الكرجي 851 ,                           | أبي سعيد أحمد بن إبراهيم بن موسى الشاماني 670 ,           |
| أبي عبد الله الدامغاني 196, 239, 643, 718                                         | أبي كاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني 859 ,                      | أبي سعيد عثمان بن علي ابن شراف العجلي المرتني 868 ,       |
| أبي عبد الله القاسم بن الفضل بن أحمد رئيس أصفهان 860 ,                            | أبي كاهر الخاقوني 880 ,                                                   | أبي سعيد محمد بن إبراهيم بن أحمد البيهقي 875 ,            |
| أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البرازين 239 ,                                         | بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عباد العبّادي المروزي 865                  | أبي سعيد محمد بن أحمد الصاعدي 670 ,                       |
| أبي عبد الله جمال الدين محمد بن سعيد بن الحجاج الواسطي المصروفي بابن الدبشي 887 , | أبي عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني 852, 872 ,                     | أبي سعيد محمد بن علي بن محمد العربي الصوفي السمناني 668 , |
| أبي عبد الله سليمان بن عبد الله بن محمد النهرواني 851 ,                           | أبي عبد الله ابن جرّة 199                                                 | أبي سعيد محمد بن يحيى النيسابوري 860, 869 ,               |
| أبي عبد الله محمد بن الحسين البنجدية الزاغولي 860 ,                               | أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم النخعي الأصفهاني الملقب بذي اللسانين 878 , | أبي سعيد محمد بن يحيى النيسابوري 860, 869 ,               |
| أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الأزدي البنجدية الزاغولي 852 ,                |                                                                           | أبي شجاع الروذرلوي 884                                    |
|                                                                                   |                                                                           | أبي كالب 449 ,                                            |
|                                                                                   |                                                                           | أبي كالب علي بن أحمد السيرمي 309 ,                        |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                               |                                                                             |                                                                                |
|-------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------|
| أبي عبد الله محمد بن حموية الجويني 853 ،                                      | أبي عمر أحمد بن محمد بن عثمان السنخولاني 667                                | أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف باسم الفراء البغوي 851 ،              |
| أبي عبد الله محمد بن هيفور الغزنوي 845 ،                                      | أبي عيسى الترمذي 860 ،                                                      | أبي محمد القاسم بن علي الحريري 876 ،                                           |
| أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد الحراني 873             | أبي غانم 241 ،                                                              | أبي محمد الناصحي 782 ،                                                         |
| أبي عبد الله محمد بن قوام السنة إسماعيل بن محمد الطلحي البستي الأصبهاني 858 ، | أبي كاليجار 182, 229, 231, 465                                              | أبي محمد إلياس ابن المؤيد النكصامي المعروف بالنكصامي الكنجوي 880               |
| أبي علي الصيرمي 853 ،                                                         | أبي محمد التميمي 243 ،                                                      | أبي محمد بن الحسين بن بندار أبو نصر القلانسي 844 ،                             |
| أبي علي بن الوليد 258 ،                                                       | أبي محمد الجويني وإمام الحرمين 865 ،                                        | أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين بن أحمد ابن السراج المقرئ 873                  |
| أبي علي حسن بن علي قحان المروزي 901 ،                                         | أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد السمرقندي 856 ،                              | أبي محمد زوزيمان ابن أبي النصر البقلي الشيرازي الديلي 852 ،                    |
| أبي علي عالي بن إبراهيم بن إسماعيل ناصر الدين الغزنوي 862                     | أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندي الكوجميشني 856 ، | أبي محمد عبد الجبار بن عبد الجبار بن محمد بن ثابت بن أحمد الخرقبي الثابي 885 ، |
| أبي علي يحيى بن عيسى بن جنلة الصيب البغدادي 897 ،                             | أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المعروف بالفراء 858 ،               |                                                                                |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبي نصر أحمد بن منصور<br>الأميحياني 862 ,<br>أبي نصر البخاري 283 ,<br>أبي نصر الكندي ,<br>201, 205, 242, 701,<br>702<br>أبي نصر عبد الرحمن بن<br>عبد الجبار بن عثمان<br>المعدل المروزي 886 ,<br>أبي نصر علي بن<br>ماكول 890 ,<br>أبي نصر لكندي 195 ,<br>أبي نصر محمد بن الفضل<br>بن محمود الأصبهاني<br>المشهور بالصباغ 858 ,<br>أبي نصر محمد بن عبد<br>الله الأريغاني<br>النيسابوري الشافعي<br>868<br>أبي نصر محمد بن عبد<br>الملك البخاري 320 ,<br>أبي نصر محمد بن محمد<br>المروزي 889 ,<br>أبي نصر منصور بن محمد<br>بن إبراهيم بن عبد الله | أبي منصور محمد بن أحمد<br>بن أبي أحمد<br>السمقندي 866 ,<br>أبي منصور محمد بن أحمد<br>بن عبد الرزاق<br>البغدادي الحنيلي ,<br>844<br>أبي منصور محمد بن أسعد<br>بن محمد العطار<br>الطوسي 869 ,<br>أبي موسى محمد بن عمر<br>بن أحمد المديني<br>الأصبهاني 859 ,<br>أبي موسى محمد بن عمر<br>بن أحمد بن أبي<br>عيسى المديني<br>الأصبهاني 860 ,<br>أبي نزار الحسن بن<br>صافي البغدادي 877 ,<br>أبي نصر أحمد بن محمد<br>بن المؤيد القلاص<br>المقرئ 844 ,<br>أبي نصر أحمد بن محمد<br>بن عمر زاهد الدين<br>العتابي 852 , | أبي محمد عبد الله بن<br>أحمد بن عبد الله بن<br>أحمد بن عبد الله بن<br>نصر بن الخشاب<br>البغدادي 877 ,<br>أبي محمد عبد الله بن<br>علي بن أحمد، مبل<br>الشيخ أبي منصور<br>الخيال 846 ,<br>أبي محمد عبد الوهاب بن<br>محمد بن عبد الواحد<br>القامي الشيرازي 851 ,<br>أبي مسلم 99 ,<br>أبي منصور السمعاني 721 ,<br>أبي منصور بن أبي<br>كاليجار 182 ,<br>أبي منصور عبد الله بن<br>معيد بن مهدي<br>الخوانساري 873 ,<br>أبي منصور عبد الملك<br>بن محمد بن يوسف<br>الملقب بالشيخ الأجل<br>667<br>أبي منصور محمد<br>الماتريدي 700 , |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                        |                                                                                                                                                                                                     |                                                                                                                                                                                                                                            |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أحمد بن الحسين<br>الكاتب مبل<br>القشيري 661 ,                                                                          | أبي يوسف يعقوب بن<br>إبراهيم الأنصاري<br>صاحب أبي حنيفة ,<br>351                                                                                                                                    | بن محمد بن بشر بن<br>كامل بن زيد بن سعيد<br>بن الحسن بن أحمد بن<br>محمد بن معتمد بن هبة<br>الله بن زيد بن محمد بن<br>جريس بن عبد الله البجلي<br>المقرئ الممروف<br>بالمراقي 843 ,<br>أبي هريرة 831 ,                                        |
| أحمد بن الحسين بن<br>علي بن عبد الله<br>الخرقي 846 ,<br>أحمد بن حنبل 447, 50 ,<br>448, 449, 460, 472,<br>705, 713, 810 | أبي يوسف يعقوب بن<br>أحمد بن محمد بن<br>أحمد 873 ,<br>-                                                                                                                                             | أبي يعقوب يوسف بن<br>أحمد بن إبراهيم<br>الشيرازي 859 ,                                                                                                                                                                                     |
| أحمد بن عبد الله بن<br>الحسن بن محمد بن<br>صالح اللوذاري 339 ,<br>أحمد بن عبد الملك<br>النيسابوري 807 ,                | أحسن الترمكمان 218 ,<br>219<br>أحسن بن أوق الخوارزمي<br>215<br>أحمد 301, 302, 548 ,<br>أحمد ابن واضع 116 ,<br>أحمد أبو الحارث الهاشمي<br>334<br>أحمد الباخرزي 652 ,<br>أحمد الرفاعي العلوي ,<br>393 | أبي يعقوب يوسف بن<br>أيوب بن الحسن<br>الممذاني 893 ,<br>أبي يعلى الفراء 265 ,<br>419, 421, 426, 429,<br>445, 483, 854, 870,<br>893<br>أبي يعلى الفراء 849 ,<br>889<br>أبي يعلى الفراء محمد بن<br>الحسين بن محمد ,<br>867<br>أبي يوسف 470 , |
| أحمد بن علي بن محمد<br>بن أحمد أبو جعفر<br>اليمني 846 ,                                                                | أحمد بن أبي الحسن<br>علي بن محمد بن<br>جريس الخراساني 893 ,<br>أحمد بن أبي داود 647 ,<br>أحمد بن الحسين البلخي<br>660                                                                               |                                                                                                                                                                                                                                            |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أحمد بن معالي بن<br>بركة العربي 744 ,<br>أحمد بن منصور الضبعي<br>744<br>أحمد بن نظام الملك ,<br>648<br>أحمد خان بن خضر خان<br>646 | أحمد بن محمد بن<br>أحمد، أبو الحسن<br>الضبي المحاملي 509 ,<br>أحمد بن محمد بن ثابت<br>بن الحسن بن علي<br>أبو سعد الفخندي 803 ,<br>أحمد بن محمد بن سعيد<br>الغزنوي 857 ,<br>أحمد بن محمد بن صاعد<br>بن محمد بن<br>أحمد، أبو نصر<br>النيسابوري 763 ,<br>أحمد بن محمد بن عثمان<br>السنخواني 372 ,<br>أحمد بن محمد بن علي<br>المروزي 846 ,<br>أحمد بن محمد بن محمد<br>بن عبد الواحد أبو<br>منصور البغدادي 844 ,<br>أحمد بن محمد بن محمود<br>بن سعد الغزنوي ,<br>870<br>أحمد بن محمد موفق<br>الدين 332 ,<br>أحمد بن محمود 791 , | أحمد بن علي بن<br>محمد، أبو السعدي ابن<br>المحلي البراز 637 ,<br>أحمد بن محمد أبو بكر<br>سبح ابن فورك 637 ,<br>أحمد بن محمد الميمني<br>القليبي 790 ,<br>أحمد بن محمد بن<br>إبراهيم بن علي أبو<br>صاهر القصري<br>الخورزمي 382 ,<br>أحمد بن محمد بن أحمد<br>أبو الحسن السمناني<br>372<br>أحمد بن محمد بن أحمد<br>بن مسلم، أبو العباس بن<br>أبي الفتوح الخراساني<br>637<br>أحمد بن محمد بن أحمد<br>بن محمد بن إبراهيم بن<br>سلفة، أبو صاهر بن أبي<br>أحمد السلفي الأصماني<br>الجرواني 739 , |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                         |                           |
|------------------------|-------------------------|---------------------------|
| إ                      | إسماعيل بن أحمد بن      | آ                         |
| أ                      | عمر بن أبي الأشعث       | آفسر 217 ,                |
| أ                      | أبو القاسم السمرقندي ,  | آفسنقر 220 ,              |
| آ                      | 764                     | آفسنقر البرمقي 310, 443 , |
| إ                      | إسماعيل بن سبكتكين ,    | إ                         |
| إ                      | 146                     | إ                         |
| إ                      | إسماعيل بن محمد بن      | إ                         |
| إسرائيل 142 ,          | أحمد بن ملّة أبو عثمان  | إ                         |
| إسرائيل بن ملحوق 163 , | بن أبي سعيد             | آ                         |
| إ                      | الأصبهاني 763 ,         | آل ملحوق 158, 163 ,       |
| إ                      | إسماعيل بن محمد بن      | 494, 496, 886             |
| أحمد الميهني 648 ,     | الفضل بن علي الصلح ,    | إ                         |
| أحمد بن صاعد بن        | 815                     | إ                         |
| إسماعيل أبو المصالي    | إسماعيل بن محمد بن      | الأتركة 151, 158 ,        |
| الحنفي 334 ,           | الفضل بن علي بن         | 187, 190                  |
|                        | أحمد أبو القاسم         | الآجري 579 ,              |
|                        | الصلحي 764 ,            | الآجل بن يوسف 705 ,       |
| إ                      | إسماعيل بن مسعدة بن     | الآحنف بن قيس 103 ,       |
| إسكاف بني جني 83 ,     | إسماعيل بن أحمد بن      | الآخشيديون 178 ,          |
| إ                      | إبراهيم أبو القاسم      | الآديب أبو عبد الله       |
|                        | الجرجاني الإسماعيلي     | الخلال 815 ,              |
|                        | 346                     | الآديب الشاعر ابن         |
| إ                      | إسماعيل بن ياقوتي 295 , | النصروني عبد المنعم       |
| إسماعيل 301 ,          |                         | بن عبد العزيز 686 ,       |
| إسماعيل الصلحي 851 ,   |                         | الآديب عبيد الله بن       |
|                        |                         | علي 686 ,                 |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                      |                         |
|------------------------|----------------------|-------------------------|
| البروجردى 486 ,        | الأيلغازى 440 ,      | الأرمين 176 ,           |
| البساميرى 7, 11, 166 , | الأيوبيين 157, 179 , | الأشرف المقدونية 280 ,  |
| 181, 184, 185, 186,    | 223, 249             | الإسكندر المقدونى 114 , |
| 187, 188, 189, 190,    |                      | الأصبهنة صباو 442 ,     |
| 194, 195, 196, 197,    |                      | الأصخري 67, 87, 96 ,    |
| 198, 199, 200, 201,    | أب أرسلان 24, 173 ,  | الأصفهاني 169 ,         |
| 202, 203, 204, 205,    | 201, 209, 200 191,   | الأعشى 449 ,            |
| 206, 207, 218, 231,    | 210, 212, 213, 215,  | الأفشين 213 ,           |
| 232, 233, 234, 235,    | 216, 217, 218, 220,  | الأفضل بن بدر الجمالى   |
| 237, 238, 239, 240,    | 221, 244, 245, 246,  | 301, 302, 303           |
| 301, 654, 706          | 247, 248, 280, 281,  | الأكراد 139 ,           |
| البستي 116 ,           | 282, 289, 290, 291,  | الأكل أبو القاسم علي    |
| البسماوى 608 ,         | 292, 293, 299, 313,  | بن أبي طالب             |
| البلاذرى 95, 122 ,     | 320, 380, 406, 440,  | الحسين بن محمد          |
| البلاذرى 87 ,          | 445, 454, 455, 456,  | الزنببى 366 ,           |
| البندارى 193, 449 ,    | 466, 467, 468, 475,  | الإمام الحجاج أبو محمد  |
| البلولان صاحب همزان    | 489, 490, 492, 496,  | بن عبد الجبار بن        |
| 652                    | 498, 499, 515, 704,  | محمد بن علي بن          |
| البوزجان 96 ,          | 716, 718, 719, 728,  | محمد الكسائي            |
| البوهيون 440 ,         | 796, 879             | البخارى 640 ,           |
| البوهيين 7, 29, 80 ,   | أب جفرى بك 775 ,     | الإمام مالك 711 ,       |
| 152, 164, 169, 170,    |                      | الأمويون 76, 92, 277 ,  |
| 173, 174, 177, 180,    | الباكوى 111 ,        | الأمويين 61, 464 ,      |
| 182, 183, 184, 186,    | البرامكة 888 ,       | الأمرى يورى بورى 486 ,  |
| 187, 192, 223, 224,    | البربر 139 ,         | الأورويين 151 ,         |
| 225, 226, 228, 230,    | البرخان 363 ,        |                         |
| 231, 232, 233, 249,    | البرخان 84 ,         |                         |
| 416, 437, 439, 441,    |                      |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 449, 465, 468, 475,<br>571, 694, 753<br>البيروني <sup>891</sup> ,<br>البيزنطيين 157, 162 ,<br>173, 174, 177, 184,<br>191, 210, 216, 260,<br>275, 320, 416, 417,<br>464, 466, 475<br>اليمني <sup>807</sup> , 50, 148,<br>854, 857<br>التركي <sup>139</sup> , 109 ,<br>التركي <sup>139</sup> ,<br>الشعالي <sup>121</sup> , 105 ,<br>الجنيد بن محمد القايني<br>785, 791<br>الجويني <sup>265</sup> , 25, 255,<br>266, 303, 305, 341,<br>343, 345, 380, 395,<br>407, 408, 409, 410,<br>413, 429, 430, 432,<br>452, 453, 478, 479,<br>480, 481, 482, 483,<br>484, 487, 489, 502,<br>515, 525, 540, 541,<br>542, 549, 550, 557,<br>573, 654, 684, 685,<br>688, 689, 690, 696,<br>703, 704, 738, 743, | 777, 781, 797, 800,<br>810, 829, 832, 850,<br>853, 855, 856, 865,<br>870, 893<br>الحافظ عبد الله بن محمد<br>بن عيسى المروزي ,<br>711<br>الحجاج <sup>76</sup> ,<br>الحجاج أبو الفرج رستم<br>بن العباس البغدادي ,<br>384<br>الحجاج بن يوسف <sup>75</sup> ,<br>الحجاج بن يوسف<br>الثقفي <sup>74</sup> ,<br>الحسام عمر بن عبد<br>المعز بن مازق<br>البخاري <sup>662</sup> ,<br>الحسامي <sup>297</sup> ,<br>الحسان القرشي <sup>794</sup> ,<br>الحسن <sup>74</sup> ,<br>الحسن البصري <sup>55</sup> ,<br>الحسن الماوردي <sup>832</sup> ,<br>الحسن بن أبي الميجاء<br>عبد الله <sup>80</sup> ,<br>الحسن بن أحمد بن<br>عبد الله بن البناء أبو | علي المقرئ الفقيه<br>المحدث <sup>346</sup> ,<br>الحسن بن أحمد بن<br>محمد أبو محمد<br>السمرقندي <sup>736</sup> ,<br>الحسن بن إسماعيل بن<br>صاعد بن محمد أبو<br>علي <sup>353</sup> ,<br>الحسن بن الصباح , 19 ,<br>303, 304, 305, 308,<br>309, 310, 313, 314<br>الحسن بن ثواب <sup>459</sup> ,<br>الحسن بن ذبي النون بن<br>أبي القاسم بن الحسن<br>الشغري، أبو المفاز<br>بن أبي بكر <sup>638</sup> ,<br>الحسن بن سلمان بن أبي<br>لهالب <sup>802</sup> ,<br>الحسن بن سلمان بن<br>عبد الله ابن الفتى أبو<br>علي الفقيه <sup>637</sup> ,<br>الحسن بن ممين <sup>310</sup> ,<br>الحسن بن كاهن <sup>220</sup> , |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                        |                         |
|------------------------|------------------------|-------------------------|
| الحكيم الحسين          | الدبام أبو عبد الله    | -الحسن بن علي بن        |
| السمرقندي 899 ,        | البغداد 845 ,          | جعفر أبو علي            |
| الحلاج 608, 706 ,      | الحسين بن محمد بن      | الرامزي النسوي 353 ,    |
| الحلة 441, 443 ,       | علي بن الحسن بن        | الحسن بن علي محمد       |
| الحمادي 174 ,          | محمد بن عبد الوهاب     | بن أحمد بن جعفر         |
| الحمداينيون 178, 279 , | أبو الحالب الزين 803 , | أبو علي الوخشي          |
| الحمدايني 464 ,        | الحسين بن محمد بن      | البلخي الحافظ 736 ,     |
| الحميري 72, 85, 86 ,   | علي بن الحسن بن        | الحسن بن محمد           |
| 89, 102, 124           | محمد بن عبد الوهاب     | الأرماني 661 ,          |
| الحيرة 84 ,            | أبو الحالب الزينبي     | الحسن بن محمد، أبو عبد  |
| الخاقان الأعظم محمد بن | 383                    | الله الولي الغرضي 654 , |
| سليمان 384 ,           | الحسين بن مسعود        | الحسن بن يعقوب          |
| الختل 87, 109, 127 ,   | البغوي 868 ,           | الحدا 790 ,             |
| الخرليخة 109 ,         | الحسين بن مسعود بن     | الحسين الباغي 337 ,     |
| الخصيب أبو بكر أحمد    | محمد المعروف بالفراء   | الحسين بن أحمد بن       |
| بن علي بن ثابت         | أبو محمد البغوي 846 ,  | علي بن أحمد             |
| بن أحمد بن مهدي ,      | الحسين بن نصر بن       | القاضي 353 ,            |
| 667                    | أحمد المعروف بابن      | الحسين بن علي أبو       |
| الخصيب إسماعيل بن      | خميس الموصل 890 ,      | القسم عماد الدين        |
| المحسن الصومي 661 ,    | الحسيني 162, 189 ,     | اللامشي 382 ,           |
| الخصيب البغدادي ,      | 200, 305, 455, 456,    | الحسين بن محمد بن       |
| 732, 737, 739, 765,    | 486                    | خسرو البلخي 857 ,       |
| 766, 767, 768, 769,    | الحسين بن المنذر       | الحسين بن محمد بن       |
| 770, 771, 778, 853,    | الرقاشي 116 ,          | عبد الوهاب البكري       |
| 857, 868, 885          |                        |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         |                                                                                                                                                                           |                                                                                                                                                          |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| السامانيين , 141, 152 ,<br>154, 172, 450                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                | الركن محمد بن عبد<br>المنعم 786 ,                                                                                                                                         | الخليفة القائم بأمر الله ,<br>164, 198                                                                                                                   |
| السبكي 564, 809 ,                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       | الرواندي , 158, 159 ,<br>163, 189, 196, 294,<br>496                                                                                                                       | الخوارزم الأزرقي 74 ,<br>الخوارزمي 65 ,<br>الخوارزمية 123 ,                                                                                              |
| السرخسي 434, 435 ,<br>436, 458, 461, 471,<br>481, 483, 484, 507,<br>508, 511, 512, 513,<br>515, 521, 523, 530,<br>656, 658, 861, 864,<br>870                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الرئيس الحاجي أبو علي<br>حسان بن سعيد بن حسان<br>بن محمد ابن أحمد بن<br>عبد الله بن محمد بن<br>منيع بن خالد بن عبد<br>الرحمن بن خالد بن<br>الوليد المخزومي المنيعي<br>669 | الخوارزمي 744 ,<br>الدافغاني 574 ,<br>الذهبي 159, 26, 38,<br>217, 233, 271, 322,<br>472, 663, 703, 726,<br>789, 845, 846<br>الرازي 403, 459, 581,<br>696 |
| السكري 75 ,                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                             | الرئيس لـ هـ ابن<br>الأصباغي 497 ,<br>الزخشري 858 ,<br>الزكيني 223 ,<br>الزكيني 157, 179 ,<br>249                                                                         | الراشد بالله 381 ,<br>الراشد بالله أبو جعفر<br>المنصور 649 ,<br>الراغب الأصفهاني ,<br>507, 512, 515, 543,<br>877                                         |
| السلامة 1, 5, 6, 7, 11,<br>13, 14, 15, 16, 17, 19,<br>23, 26, 27, 28, 29, 30,<br>36, 38, 61, 88, 132,<br>135, 136, 137, 138,<br>139, 140, 141, 142,<br>143, 144, 145, 146,<br>147, 148, 149, 150,<br>151, 152, 153, 154,<br>155, 157, 158, 159,<br>161, 162, 163, 164,<br>166, 167, 168, 169,<br>170, 171, 172, 173,<br>174, 175, 176, 177,<br>179, 180, 181, 182,<br>183, 184, 185, 186,<br>188, 189, 191, 192,<br>193, 195, 197, 200, | الزهرري 51 ,<br>الزوزني 102 ,<br>الزبيدي 178 ,<br>الزبيدي 174 ,<br>الس 213 ,<br>السامانيون 178 ,                                                                          | الزوزني 305 ,<br>الريب أبو منصور 297 ,<br>الرسول صلى الله عليه<br>وسلم 263 ,                                                                             |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                     |                          |                         |
|---------------------|--------------------------|-------------------------|
| 203, 205, 206, 207, | 584, 585, 588, 589,      | الشافعي, 48, 267, 447,  |
| 208, 209, 210, 212, | 591, 595, 645, 662,      | 448, 459, 461, 462,     |
| 213, 214, 215, 216, | 665, 694, 696, 699,      | 474, 478, 514, 548,     |
| 217, 218, 219, 220, | 706, 707, 708, 710,      | 586, 643, 700, 711,     |
| 221, 222, 223, 232, | 712, 713, 714, 716,      | 713, 823                |
| 233, 236, 237, 238, | 720, 727, 728, 730,      | الشریف أبو الحسين ابن   |
| 245, 247, 249, 250, | 732, 737, 785, 793,      | المعتدي 705,            |
| 251, 255, 256, 260, | 796, 798, 809, 816,      | الشریف أبو الحسين       |
| 264, 267, 269, 270, | 832, 879                 | المعتدي المعروف         |
| 275, 280, 281, 282, | السلاجقة العظام 154,     | بالمفرق الخصب 642,      |
| 283, 284, 285, 286, | السلار القاروني 715,     | الشریف أبو القاسم       |
| 287, 288, 289, 290, | السلطان إبراهيم الغزنوي, | البكري المغربي          |
| 292, 293, 294, 295, | 210                      | الواعظ 718,             |
| 296, 297, 298, 299, | السلطان السلجوقي أرسلان  | الشریف أبو الكرم 539,   |
| 300, 301, 302, 303, | 312                      | الشریف أبو الندى        |
| 304, 305, 307, 309, | السلطان محمود الغزنوي,   | المطلب بن أحمد          |
| 311, 312, 313, 317, | 144, 145                 | ابن الفضل القرشي        |
| 320, 327, 331, 351, | السلطان مسعود 147,       | 340                     |
| 353, 378, 379, 381, | السلطان مسعود الغزنوي,   | الشریف أبو جعفر 705,    |
| 385, 402, 415, 416, | 146, 148, 149            | الشریف أبو جعفر الحنبلي |
| 419, 423, 433, 439, | السمعاني 97, 128, 574,   | 249                     |
| 441, 442, 444, 445, | 755, 756, 757, 788,      | الشریف المرتضى أبو      |
| 449, 450, 453, 454, | 814, 815, 829            | المعالي محمد بن محمد    |
| 455, 464, 467, 468, | السمول من يحيى بن        | بن زيد بن علي           |
| 475, 476, 477, 480, | عباس المغربي 898,        | الحسيني العلوي 587,     |
| 482, 484, 486, 489, | السن 81,                 |                         |
| 490, 491, 493, 495, | السيوطي 50, 477,         |                         |
| 496, 498, 499, 508, |                          |                         |
| 510, 515, 516, 536, |                          |                         |
| 537, 540, 581, 582, |                          |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                         |                         |
|--------------------------|-------------------------|-------------------------|
| العثمانيين , 157, 223 ,  | الصفاريين 154 ,         | الشيخ المرتضى أبو       |
| 249                      | الصفى أما المحامس 297 , | المعالى محمد بن محمد    |
| المجم 158 ,              | الصولي 435 ,            | بن زيد بن علي           |
| العرب 151, 153, 158 ,    | الظاهر مجد الدين أبو    | العلوي 516 ,            |
| العزى بالله 197 ,        | عبد الله أحمد بن        | الشهاب السمروردي ,      |
| المكسيم أبادي 831 ,      | علي 392 ,               | 784                     |
| المقمي 831 ,             | الظاهرين 178 ,          | الشمرستاني 42 ,         |
| العلويون 233 ,           | الضائف 299, 460 ,       | الشياني 482 ,           |
| الغن 177, 185, 192 ,     | الحبراني 50 ,           | الشيخ أبو بكر           |
| 234, 280, 311, 313,      | الحبري 71 ,             | الملقباذي 670 ,         |
| 494                      | الحسين 96, 152, 289 ,   | الشيخ أبي عبد الله      |
| الغزالي 26, 27, 39, 40 , | الحبيب ابن جنة 686 ,    | الخبازي 777 ,           |
| 41, 42, 43, 45, 48, 49,  | الحبيب أبو نعيم بن      | الشيخ الأجل أبو منصور   |
| 57, 256, 259, 265,       | سأوة الواسطي 660 ,      | عبد الملك بن محمد       |
| 273, 294, 300, 314,      | الحولوي 119 ,           | بن يومف 686 ,           |
| 315, 316, 317, 318,      | الحولونيون 178 ,        | الشيخ المرشد أبي إسحاق  |
| 320, 322, 327, 404,      | العباس بن محمد 80 ,     | بن شمريان 791 ,         |
| 426, 428, 429, 430,      | العباسيون 92, 233 ,     | الشيخ عبد القادر الجيلي |
| 453, 460, 462, 463,      | العباسيين 62, 76, 150 , | 669                     |
| 472, 476, 482, 483,      | 153, 156, 171, 178,     | الشيخ محي الدين محمد    |
| 484, 488, 501, 506,      | 182, 184, 195, 196,     | بن يحيى 661 ,           |
| 508, 509, 515, 518,      | 198, 206, 225, 233,     | الشيرازي 319 ,          |
| 521, 524, 527, 528,      | 247, 416, 464, 712,     | الصاحب أبي القاسم بن    |
| 529, 542, 543, 544,      | 714, 729                | عباد 480 ,              |
| 545, 547, 550, 554,      | العثمانيون 179 ,        | الصفاريون 178 ,         |
| 555, 573, 593, 597,      |                         |                         |
| 601, 602, 603, 604,      |                         |                         |
| 605, 606, 607, 608,      |                         |                         |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                         |                             |                          |
|-------------------------|-----------------------------|--------------------------|
| 609, 610, 611, 627,     | الفقيه أبا جعفر محمد بن     | القادر بالله , 186, 226, |
| 630, 633, 646, 648,     | أحمد بن البخاري ,           | 227, 228, 231, 232,      |
| 683, 685, 690, 696,     | 248                         | 705                      |
| 730, 744, 746, 788,     | الفقيه أبو النجيب 650 ,     | القاسم الإسكافي          |
| 790, 797, 799, 803,     | الفقيه أبو جعفر 214 ,       | الإسفرائيني 777 ,        |
| 810, 823, 825, 829,     | الفقيه أبو سعد ابن أبي      | القاضي ابن الرضبي 323 ,  |
| 832, 833, 850, 854,     | عمامة 705 ,                 | القاضي أبو سعد المروزي , |
| 868, 869, 892, 894,     |                             | 274                      |
| 901                     | الفقيه الأشعري أبو يوسف     | القاضي أبو سعد محمد بن   |
| الفزنويين , 145, 147,   | الخانن 313 ,                | نصر بن منصور             |
| 152, 153, 154, 158,     | الفقيه الحافظ البيهقي 703 , | المروزي 315 ,            |
| 162, 169, 172, 174,     | الفقيه الحسن بن أبي         | القاضي أبو علي إسحاق     |
| 181, 183, 416, 439,     | بكر النيسابوري 720 ,        | بن إسماعيل 647 ,         |
| 450, 464, 468, 475      | الفقيه الحنفي أبي الفضل     | القاضي أبو علي الفارقي   |
| الفوز 86, 101 ,         | الكرمان 662 ,               | 323                      |
| الفوز 109 ,             | الفقيه الشافعي جلال الدين   | القاضي أبو عمرو محمد بن  |
| الفاضليون 195 ,         | الموفق 662 ,                | عبد الرحمن 245 ,         |
| الفاضليين , 152, 174,   | الفقيه الشافعي محمد بن      | القاضي أبي صالح 228 ,    |
| 179, 184, 191, 194,     | يحيى 661 ,                  | القاضي الزينبي 395 ,     |
| 199, 203, 205, 210,     | الفقيه صدر الدين محمد       | القاضي الهمذاني 197 ,    |
| 233, 280, 416, 439,     | بن الوزن رئيس               | القاضي الميتي 384 ,      |
| 468, 475                | الشافعية 662 ,              | القاضي صاعد بن عبد       |
| الفتوح حسين بن علي      | الفقيه عبد الوهاب بن        | الملك بن صاعد ,          |
| بن محمد 849 ,           | محمد الفارسي 663 ,          | 661                      |
| الفخر الرازي 426, 847 , | الفقيه ناصم الدولة 800 ,    | القاضي علي بن مسعود ,    |
| الفرأ أبو يعلى 575 ,    |                             | 661                      |
| الفرس 153 ,             |                             |                          |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                           |                         |                              |
|---------------------------|-------------------------|------------------------------|
| المأموني 92 ,             | 474, 476, 763, 855,     | القائم 181, 189 ,            |
| المبارك بن حسن بن         | 862                     | القائم بأمر الله 7, 11, 23 , |
| أحمد بن علي بن            | الكامل أبو الفوارس      | 162, 168, 169, 170,          |
| فيحان أبو المكارم         | الهاشمي العباسي         | 183, 185, 186, 187,          |
| الشمر زوري 846 ,          | الزيني 391 ,            | 188, 192, 193, 194,          |
| المبارك بن محمد بن        | الكردي 712 ,            | 197, 199, 201, 202,          |
| محمد بن عبد الكريم        | الكساني 856 ,           | 203, 207, 208, 213,          |
| الشيواني ابن الأنيس       | أ                       | 216, 227, 229, 230,          |
| الجزري 878 ,              | ألكسيوس 220 ,           | 231, 232, 233, 235,          |
| المتوكل 178, 894 ,        | أ                       | 236, 237, 238, 240,          |
| المتوكل جعفر بن           | الكمال أبو طالب         | 241, 244, 245, 247,          |
| المعتصم 81 ,              | السميري 486 ,           | 249, 291, 379, 382,          |
| المحسن بن محمد بن         | الكمال الأنباري         | 392, 462, 490, 491,          |
| كرامة أبو محمد            | النحوي 787 ,            | 492, 667, 676, 705           |
| البيهقي 849 ,             | الكيا أبو الحسن بن      | القائم بأمر الله العباسي     |
| المرزبان 117 ,            | علي بن محمد             | 193                          |
| المرزبان بن عبيد الله بن  | الطبري المعروف          | القرطاجيين 141, 142 ,        |
| نصر الأصفهاني 486 ,       | بالمراس 729 ,           | 152, 172                     |
| المسترشد 456, 720 ,       | الكيا المراس 297, 646 , | القرماني 116 ,               |
| المسترشد بالله 298, 299 , | الكيا المراسي 300 ,     | القزويني 65, 87, 101 ,       |
| 323, 384, 647, 649,       | 458, 460, 525, 797      | 826                          |
| 788                       | الكيا هراسي 315, 457 ,  | القسطلاني 46 ,               |
| المسترشد بالله أبو منصور  | 832                     | القشيري 696 ,                |
| الفضل بن أبي العباس       | المأمون 89, 101, 215 ,  | القفصي 258 ,                 |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                         |                          |                           |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| المقريني 313 ,          | المعتز أبو عبد الله بن   | أحمد بن المستنصر          |
| الملك اخستان 499 ,      | المتوكل 81 ,             | بالله 647 ,               |
| الملك الرحيم 189, 190 , | المعتصم 82 ,             | المسترشد لأمر الله 380 ,  |
| 191, 192                | المعتصم بالله 80 ,       | المستضيء بأمر الله 810 ,  |
| الملك الرحيم البوهي     | المعتمد أحمد ابن         | المستنصر 663, 633 ,       |
| 186, 187, 191, 231,     | المتوكل 81 ,             | المستنصر بالله 295, 297 , |
| 236, 238, 467           | المعز بن باديس 195 ,     | 316, 385, 387, 492,       |
| الملك داود 182, 486 ,   | المعمر بن علي بن المعمر  | 648, 708                  |
| الملك هفزل بن السلطان   | أبو سعد بن أبي عمارة     | المستعلي بالله 302, 303 , |
| محمود بن السلطان        | 320                      | المستعين أحمد بن محمد     |
| محمد 486 ,              | المفول 70, 109 ,         | بن المعتصم 81 ,           |
| الملك قاووخ 292, 293 ,  | المقتدر 80 ,             | المستعين بالله 388 ,      |
| المماليك 18, 157, 179 , | المقتدي 715 ,            | المستنصر 185, 203 ,       |
| 249, 260, 294, 450,     | المقتدي بالله 293, 295 , | 303, 715                  |
| 493, 741, 798           | 788                      | المستنصر بالله 195, 196 , |
| المنابوي 831 ,          | المقتدي بأمر الله 216 ,  | 199, 203, 206, 218,       |
| المنتصر محمد بن         | 249, 380, 462, 492,      | 239, 301, 792             |
| المتوكل 81 ,            | 584, 645, 647, 685       | المسعودي 67 ,             |
| المهتدي محمد بن الواثق  | المقتفي 456, 556, 649 ,  | المخفر بن أرشدشير أبو     |
| 81                      | المقتفي لأمر الله 381 ,  | منصور العبادي 804 ,       |
| ج                       | 393                      | المخفر بن عبد الملك       |
| ج                       | المقدمي 66, 67, 69 ,     | بن عبد الله بن يوسف       |
| الموحدين 62 ,           | 85, 90, 92, 93, 97, 98,  | الجويني الإمام أبو القاسم |
| المؤرخ الجويني 118 ,    | 102, 104, 107, 111,      | ابن إمام الحرمين أبي      |
|                         | 112, 116, 120, 122,      | المعالي 781 ,             |
|                         | 123, 124, 126            |                           |

- فهرس الأعلام والبلدان والأماكن.

[illegible]

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                          |                         |
|------------------------|--------------------------|-------------------------|
| باب بني سعد 119 ,      | ب                        | ج                       |
| باب حفره 119 ,         | باب إسحاق الشيرازي 715 , | أيتكين السليمانى 201 ,  |
| باب درمشكان 99 ,       | باب أبرن 584 ,           |                         |
| باب منجان 99 ,         | باب الأنجم 192, 198 ,    | أيتكين السليمانى 215 ,  |
| باب كاشغر 456 ,        | 323, 373, 539, 664 ,     | إيخان 126 ,             |
| باب كاش 115, 784 ,     | 669, 675, 679, 787 ,     | إيرلن 28, 85, 89, 143 , |
| باب مهر 119 ,          | 788                      | 147, 154, 167, 169 ,    |
| باب نور 119 ,          | باب الأنجم، بغداد 804 ,  | 171, 173, 176, 180 ,    |
| بابا جعفر 159 ,        | باب البصرى 187, 196 ,    | 181, 182, 187, 206 ,    |
| بابا كاهن 159, 160 ,   | 660, 675, 707, 710       | 209, 269, 296, 403      |
| بابل 83 ,              | باب التبن 393 ,          | إيرانشهر 92 ,           |
| باخرن 95 ,             | باب الحديد 119 ,         | إيرانا 104 ,            |
| باذيين 75 ,            | باب الشعير 498 ,         | إيسكابلاد 104 ,         |
| باذغيس 101, 103, 104 , | باب الشماسية 190 ,       | إيلاق 111 ,             |
| باراب 109 ,            | باب الصا 365 ,           |                         |
| بارتوله 109 ,          | باب الصاق 187, 239 ,     | أيلغازي 443, 491 ,      |
| بارومما 76 ,           | 371, 372, 374            | أيلغازي بن أرتق 646 ,   |
| باسفران 103 ,          | باب الفردوس 198 ,        |                         |
| باسند 127 ,            | باب القهمنز 119 ,        |                         |
| باشان 100, 102 ,       | باب المدينة 119 ,        | إيلنقدي 147 ,           |
| باغون 104 ,            | باب النوهان 115 ,        |                         |
| باغي ميلان 290 ,       | باب النوى 646 ,          |                         |
| باكتريل 104 ,          | باب النوى 715 ,          |                         |
| بالس 660 ,             | باب بالين 99 ,           | أبولنا 81 ,             |
| باورج 149 ,            | باب بخارا 115 ,          |                         |
|                        | باب بني أمه 119 ,        |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                      |                         |                        |
|----------------------|-------------------------|------------------------|
| بشت 95, 96,          | بركياروق, 269, 293,     | باي بن جعفر بن باي     |
| بشتنقان 96,          | 294, 295, 296, 297,     | أبو منصور الجيلي       |
| بشغور 358,           | 300, 305, 306, 307,     | الفقيه 371,            |
| بمقوها 372,          | 309, 313, 323, 383,     | بت رازان 81,           |
| بغدار 7, 11, 17, 19, | 384, 479, 491, 494,     | بتر كمانستان 88,       |
| 22, 24, 26, 28, 29,  | 536, 680, 729, 731      | بجاية 739,             |
| 55, 59, 64, 68, 70,  | برهان الدين أبو القاسم  | بحر آرال 146,          |
| 74, 77, 78, 81, 82,  | منصور من أبي سعد        | بحر فارس 65,           |
| 83, 84, 85, 88, 94,  | محمد بن أبي نصر         | بحر قزوین 182,         |
| 97, 114, 117, 118,   | أحمد الصاعدي 367,       | بحر مرق 283,           |
| 138, 140, 143, 150,  | برهان الدين أبي المعالي | بحيرق خوارزم 109, 221, |
| 157, 159, 162, 164,  | محمود بن أحمد بن        | بخارى 87, 98, 111,     |
| 165, 166, 168, 173,  | عبد العزيز ابن مازة     | 113, 114, 115, 116,    |
| 175, 177, 180, 181,  | البخاري الحنفي 867,     | 118, 119, 120, 121,    |
| 182, 184, 185, 186,  | برهان الدين الزرنوجي    | 139, 352, 356, 361,    |
| 187, 188, 190, 191,  | 772                     | 365, 366, 369, 370,    |
| 192, 193, 194, 195,  | برهان الدين الزرنوجي    | 682, 711, 739, 762,    |
| 196, 197, 198, 199,  | 750                     | 782, 814, 815, 887     |
| 200, 201, 203, 204,  | بروان 106,              | بدخشان 93,             |
| 205, 206, 215, 216,  | بروان 107,              | بدر الجمالي 216, 218,  |
| 219, 223, 224, 226,  | بريقا 81,               | بدرلن 205,             |
| 229, 231, 232, 234,  | بسامية أودمة 75,        | بدخشان 107, 109,       |
| 236, 237, 238, 239,  | بست 103, 152, 289,      | برخان 84,              |
| 240, 241, 242, 244,  | بسكلام 712,             | برمق 220,              |
| 245, 258, 273, 274,  | بسغور فند 107,          | بركوش 131,             |
| 289, 292, 295, 296,  | بسفر 129,               |                        |
| 297, 307, 309, 314,  |                         |                        |
| 321, 323, 339, 351,  |                         |                        |
| 352, 364, 365, 366,  |                         |                        |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                     |                         |                              |
|---------------------|-------------------------|------------------------------|
| 367, 368, 371, 372, | بقية بن الوليد 37 ,     | بلاد المغرب , 260, 276,      |
| 377, 378, 381, 382, | بكر بن محمد بن علي      | 696, 810                     |
| 383, 385, 386, 388, | بن الفضل بن الحسن       | بلاد الميالحلة 108 ,         |
| 392, 393, 395, 438, | شمس الأئمة الزنجري ,    | بلاد توران 108 ,             |
| 440, 441, 467, 475, | 345                     | بلاد فارس 188 ,              |
| 476, 477, 482, 490, | بكر محمود بن محمد       | بلاد ما وراء النهر 1, 5, 7 , |
| 491, 493, 497, 498, | بن محمود بن محمد        | 8, 10, 11, 22, 23,           |
| 509, 536, 538, 539, | بن علي بن محمد          | 27, 29, 59, 60, 61,          |
| 540, 571, 576, 578, | ابن علي بن شجاع         | 88, 108, 109, 111,           |
| 581, 586, 587, 590, | الشجاع السرخسي          | 113, 118, 121, 127,          |
| 591, 612, 632, 633, | 658                     | 130, 131, 140, 141,          |
| 634, 644, 646, 649, | بلاد الأرمن 210 ,       | 144, 150, 155, 156,          |
| 650, 651, 663, 664, | بلاد الترك , 86, 141,   | 159, 167, 169, 172,          |
| 674, 677, 678, 679, | 736                     | 215, 216, 244, 248,          |
| 685, 696, 697, 699, | بلاد التركستان 108 ,    | 251, 280, 296, 300,          |
| 704, 706, 707, 708, | بلاد الجبل 146 ,        | 307, 344, 349, 370,          |
| 709, 710, 711, 713, | بلاد الحرمين 222 ,      | 433, 439, 441, 442,          |
| 714, 716, 717, 718, | بلاد الروم 124, 300 ,   | 445, 454, 495, 505,          |
| 719, 720, 722, 729, | بلاد الشام , 151, 154,  | 510, 515, 517, 535,          |
| 730, 735, 736, 737, | 167, 188, 195           | 564, 573, 579, 589,          |
| 738, 739, 763, 778, | بلاد المعجم , 142, 181, | 598, 640, 645, 672,          |
| 782, 786, 793, 794, | 189                     | 682, 683, 694, 696,          |
| 796, 797, 798, 801, | بلاد الفون 289 ,        | 697, 698, 701, 704,          |
| 802, 803, 804, 805, | بلاد الكرج , 210, 211,  | 711, 713, 714, 730,          |
| 806, 807, 809, 884, | 246, 281, 454, 455,     | 732, 738, 740, 745,          |
| 885, 887, 904       | 467                     | 753, 760, 772, 784,          |
| بغلان السفلى 106 ,  |                         | 789, 813, 842, 891           |
| بغلان العليا 106 ,  |                         | بلاد ماغون 221 ,             |
| بغناكت 131 ,        |                         |                              |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                        |                      |
|------------------------|------------------------|----------------------|
| بيت المقدس, 105, 272   | بني كلاب, 213          | بلخ, 50, 90, 95, 98  |
| 274, 496, 611, 646     | بني مروان, 468         | 102, 104, 105, 106,  |
| بيغوا, 142, 171        | بهاء الدين محمد بن     | 107, 116, 118, 120,  |
| بيغوا, 140, 141        | حسن بن أسفنديار,       | 127, 149, 296, 360,  |
| بيك, 127               | 887                    | 486, 590, 711, 764,  |
| بيكبد, 120             | بهاء الدين محمد بن علي | 793, 800, 810, 886   |
| بيكبد, 114             | بن محمد بن الحسن       | بلخان, 145           |
| بيمق, 86, 95, 310, 357 | الضميري الكاتب,        | بلد الكرج, 364       |
| 885                    | 881                    | بلد بدر, 202         |
| ت                      | بهرام آباد, 304        | بلدة (أسيجاب) 784    |
| تاج الدين السبكي,      | بهرام شاه الغزنوي, 441 | بلدة الجويث, 363     |
| 701, 702               | بهرمن فره, 100         | بلدة بذخشان, 784     |
| تاج الملك, 294         | بهروز الخادم, 497, 788 | بلدة بيكبد, 784      |
| تاج الملك أبو الفنائم, | بوالحسن الأفشيني       | بلكابك, 295          |
| 497                    | البصير, 636            | بن خلدون, 54         |
| تاج الملك أبي الفنائم  | بوريسوس عم بركياروق,   | بن منصور بن مخلص بن  |
| الشيرازي, 293          | 296                    | إسماعيل النوقدي, 348 |
| تاشكند, 130            | بورنمذ, 117            | بناكت, 117           |
| تتش, 219, 220, 269     | بوزن, 220              | بنجكت, 116           |
| 270, 295, 296          | بوزجان, 96             | بنجهيس, 107          |
| قرشين, 96              | بوزماجن, 117           | بنكت, 130, 131       |
| تركان خاتون, 269, 293  | بوشنج, 101, 103, 104,  | بنوزيري, 188         |
| 294, 295, 490, 491     | 289                    | بني برمق, 306        |
| تركستان, 106, 128,     | بوشنك, 148             | بني خفاجة, 204, 234, |
| 140, 496               | بوجكت, 118             | 440                  |
|                        | بيان, 82               | بني فاحمة الزهر, 197 |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                           |                         |                              |
|---------------------------|-------------------------|------------------------------|
| جرجانية الصغرى 126 ,      | ج                       | تركستان الشرقية 110 ,        |
| جرجانيا 85 ,              | جا 106 ,                | تركستان الغربية 110 ,        |
| جزيرة ابن عمر 467 ,       | جاجرم 96 ,              | تركمانستان 110 ,             |
| جزيرة العرب 66, 460 ,     | جاجكند 130 ,            | ترمز 126, 127, 296 ,         |
| جشير 126 ,                | جاذوا 103 ,             | 362                          |
| جعفر بن محمد 556 ,        | جار الله الزمخشري 872 , | تسل ورده 496 ,               |
| جفري بك 146, 147 ,        | جاربايه 107 ,           | تشاغري بيك 173 ,             |
| 149, 152, 171, 193 ,      | جان 126 ,               | تكاب 96 ,                    |
| 464, 465                  | جام 96 ,                | تكال 131 ,                   |
| جفري بك دلاو 143 ,        | جامع السلطان بيفداد 497 | تكرت 65, 81, 84 ,            |
| 289                       |                         | 230, 467                     |
| جكرينه 126 ,              | جاولي 215, 308 ,        | تلمسان 739 ,                 |
| جلال الدولة البوهمي 181 , | جاولي مقاو 306, 442 ,   | تمام بن محمد بن هارون        |
| جلولا 83 ,                | 660                     | بن عيسى، أبو بكر             |
| جمال الدين أبي الحسن      | جبال الديلم 86 ,        | الماشمي 333 ,                |
| علي بن يوسف               | جيفوكت 131 ,            | تمليات 127 ,                 |
| القنضي 889 ,              | جبل 85 ,                | تورلن 711 ,                  |
| جمال الدين أحمد بن        | جبل ورقة 121 ,          | تونس 739 ,                   |
| محمد بن محمود             | جبوزن 131 ,             | تيرانشا بن تورانشاه 306, 660 |
| الغزنوي 853 ,             | جبس 65 ,                |                              |
| جمال الدين محمد بن        | جدغل 128 ,              | ث                            |
| علي بن محمد               | جراري 82 ,              | نقة الدولة ابن الأنباري 788  |
| العمراني 887 ,            | جرجان 86, 88, 152 ,     | 181, 182, 289, 465 ,         |
| جنم 142 ,                 | 712                     | نومان 127 ,                  |
| جورجيا 210 ,              |                         |                              |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

- خامس 126 , حلة الأكرام 674 , جوين 95, 681 ,  
خاصة بنت المبارك , حلة بني مزيع 195 , جيت 126 ,  
787 حلون 65, 68, 83, 201 , جيحون 110, 113, 126 ,  
خاله بن الوليد 487 , 274 128, 153  
خالنجان 303, 308 , حماة 220 , جيحون (أموداريا)  
خان 87 , حماد 205 , (Amoudarya), 108  
خانقين 83 , حماد بن إبراهيم بن  
خانية خوقند 111 , إسماعيل قولام الدين  
خايمند 96 , الصفار أبو المحامد  
خبوشان 96 , البخاري 332 ,  
خجاده 120 , حمام ابن عمر 73 ,  
خجند 114 , حمد بن عبد الغفار 383 ,  
خديجة ابنة أخي لصفار حمشا 159 ,  
بك 491 , حميد الدين أبي بكر  
خديجة بنت أخي السلطان بن عمر بن محمود  
لصفار بك 238 , البلخي 878 ,  
خديجة بنت داود بن حميد الدين البلخي 880 ,  
ميكائيل 193 , حوى 81 ,  
خديمنكن 120 , حيراباذ 363 ,  
خزينكث 131 , خم  
خرابة ابن جرد 679 , خاتون السفريه 248 ,  
خراسان 1, 5, 7, 11, 21 , خاتون زوجة المستنصر  
22, 26, 27, 30, 38, بالله 788 ,  
59, 60, 61, 69, 76, خاتونكث 131 ,  
77, 83, 84, 85, 86,  
87, 88, 89, 90, 91,
- حاجي خليفة 835 ,  
حامد بن محمد بن حامد  
أبو الفضل الحاراني 347 ,  
حبيش بن إبراهيم 896 ,  
حرلن 80, 220 ,  
حرلن 714 ,  
حسن بن سعيد المنيعي  
729, 785  
حسن بن منصور  
محمود فخر الدين  
قضيخان الأوزجندى ,  
862  
حلب 79, 212, 213 ,  
214, 220, 247, 274,  
279, 467

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                     |                     |                           |
|---------------------|---------------------|---------------------------|
| 92, 93, 94, 95, 97, | 652, 668, 672, 675, | خوارزم , 87, 93, 98,      |
| 98, 100, 101, 103,  | 679, 680, 681, 682, | 105, 109, 111, 112,       |
| 104, 105, 106, 107, | 683, 694, 696, 698, | 113, 121, 122, 123,       |
| 108, 109, 114, 116, | 700, 703, 704, 711, | 124, 125, 126, 172,       |
| 119, 122, 124, 125, | 712, 714, 716, 717, | 181, 352, 354, 443,       |
| 129, 137, 141, 142, | 718, 720, 721, 722, | 465, 495, 652, 712        |
| 143, 144, 145, 146, | 728, 730, 732, 735, | خوارزم شاه , 652, 653,    |
| 147, 148, 149, 150, | 737, 740, 745, 760, | 662                       |
| 152, 153, 154, 155, | 772, 785, 789, 793, | خوارزم شاه أئسن بن        |
| 156, 163, 167, 169, | 798, 809, 810, 842, | محمد 443 ,                |
| 172, 173, 175, 176, | 847, 894, 904       | خواف 95 ,                 |
| 177, 178, 182, 185, | خراب 110 ,          | خوجان 96 ,                |
| 188, 191, 192, 193, | خرمكت 131 ,         | خوزمتان , 64, 231, 304,   |
| 197, 201, 203, 205, | خرغانكت 120 ,       | 383, 448, 599, 675        |
| 206, 207, 208, 210, | خرق 100 ,           | خوي 211 ,                 |
| 211, 212, 213, 215, | خركرع 103 ,         | خيبر 460, 462 ,           |
| 216, 218, 219, 221, | خست 106 ,           | خيسار 102 ,               |
| 225, 244, 248, 251, | خسروكرع 96 ,        | خيوة 111 ,                |
| 270, 289, 290, 291, | خشاب 110 ,          | خيوة 126 ,                |
| 292, 293, 295, 296, | خشميش 126 ,         | د                         |
| 297, 298, 299, 300, | خلادخان 304 ,       | دار ختلف أمير الحاج 497 , |
| 302, 303, 305, 307, | خلاله 215 ,         | دارزنج 127 ,              |
| 309, 311, 312, 315, | خمارقكين الصفرائي   | دارمغان , 152, 296, 680,  |
| 344, 349, 351, 365, | 204                 | 712                       |
| 383, 387, 433, 439, | خمارقكين بن         | دارمغان , 149, 153,       |
| 441, 445, 454, 465, | الشراري 440 ,       | 162, 180, 183             |
| 475, 494, 495, 505, | خواب 96 ,           |                           |
| 510, 515, 517, 531, |                     |                           |
| 535, 564, 573, 579, |                     |                           |
| 589, 598, 640, 644, |                     |                           |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                        |                       |
|--------------------------|------------------------|-----------------------|
| الواحد بن أحمد بن        | دمسك خان 126 ,         | داندنقان 464 ,        |
| عبد الرحيم 337 ,         | دمل وردة 211 ,         | دبومية 114, 117 ,     |
|                          | دقاق 140 ,             | دبیس 234 ,            |
| رأس مكة الصفه 790 ,      | دمشق 50, 52, 76, 78 ,  | دبیس ابن مزید 648 ,   |
| رأس مكة حائله حيان ,     | 113, 120, 125, 144 ,   | دبیس بن صدقة 298 ,    |
| 806                      | 214, 215, 218, 219 ,   | 440, 442, 443         |
| راقفروية 81 ,            | 257, 269, 270, 272 ,   | دبیس بن علي بن مزید , |
| رايمر من 306 ,           | 274, 295, 404, 542 ,   | 203                   |
| رياله ذي القرنين 784 ,   | 616, 630, 732, 737 ,   | دبیس بن مزید 188 ,    |
| رياله فلوله 145 ,        | 739, 766, 768, 810 ,   | 199, 205              |
| ريم الكرخ ببغداد 371 ,   | 826, 856, 883, 902     | دبیس بن مزید الأسدي , |
| 372                      | دمما 81, 648 ,         | 195                   |
| ريمي بن عامر 91 ,        | دندانقان 99 ,          | دجلة 67, 76, 78, 82 , |
| رينجان 117 ,             | دنفغا 131 ,            | 673, 788              |
| رحبة مالك بن هوق ,       | دهستان 103 ,           | دريا النعمراني 498 ,  |
| 442                      | دهستان 145, 147, 465 , | دريا اللبان 679 ,     |
| رنق الله بن عبد الوهاب , | ديار الخليم 87 ,       | دريا المصبغ 675 ,     |
| 346, 637                 | ديار بكر 281, 442 ,    | دريا خرمان 675 ,      |
| رنق الله بن عبد الوهاب   | 467                    | دريا زلخي 788 ,       |
| بن عبد العزيز بن         | ديار ريعة 69 ,         | دريا ملیم 192 ,       |
| الحارث بن أسد بن         | دیس العاقول 82, 84 ,   | دريا فراشا 678 ,      |
| الليث بن سليمان بن       | ديواره 96 ,            | دريا يحيى 192 ,       |
| الأسود بن سفيان بن       | ذ                      | دزنجان 363 ,          |
| يزيد بن أكينة بن         | ذوالكنى أبو بكر وأبو   | درغان 126 ,           |
| إبراهيم بن عبد الله      | حامد وأبو جعفر محمد    | درمکان 75 ,           |
|                          | بن هجر بن عبد          | دمتجر 127 ,           |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                            |                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|----------------------------|
| زياد بن صالح 117 ,         | ريود 117 ,                 | بن الميثم بن عبد           |
| زين الدين أبو إسماعيل      | ريون 96 ,                  | الله 382 ,                 |
| إسماعيل بن حسن بن          | ريوند 96 ,                 | رستم بن علي بن             |
| أحمد الحسيني               | رئيس الشافعية بنيسابور أبي | شهر يار 312 ,              |
| الجرجاني المروزي ,         | سمل بن الموفق 702 ,        | رسول الله صلى الله عليه    |
| 895                        |                            | ومسلم 50, 223, 254 ,       |
|                            | ن                          | 267, 274, 319, 399 ,       |
| مس                         | نلم 95 ,                   | 430, 461, 462, 500 ,       |
| مابزوار 96 ,               | زاهر بن لاهر بن            | 512, 565, 689, 718 ,       |
| مابور الأول بن أرخش        | محمد، أبو القاسم بن        | 719, 755, 757, 822 ,       |
| بابكان 92 ,                | أبي عبد الرحمن بن          | 824, 838                   |
| مابور الثاني الساماني 92 , | أبي بكر الشامي             | رسوله صلى الله عليه وسلم , |
| مابور خواست 465 ,          | 764                        | 198                        |
| ماغرج 370 ,                | زلق 96 ,                   | رضول بن تاج الدولة         |
| مالم بن مالك 220 ,         | زله 95 ,                   | تتش 270 ,                  |
| مامر 68, 80 ,              | زبيدة خاتون 295 ,          | مكن الإسلام أبو            |
| مامرة 84 ,                 | زبيدة زوجة هارون الرشيد ,  | الحسين السفدي 863 ,        |
| مبته 739 ,                 | 784                        | رون 106 ,                  |
| مبيخ شهر 211 ,             | زردوخ 126 ,                | رؤيا 106 ,                 |
| ممكن 109 ,                 | زرفامية 76 ,               | روح ابن الحديشي 649 ,      |
| مجستان 86, 87, 88 ,        | زم 127 ,                   | روخان 128 ,                |
| 124, 146, 152, 200 ,       | زخش 126 ,                  | روخان 304 ,                |
| 289                        | زنائة 139 ,                | روسيا الاتحادية 88 ,       |
| مدفن 126 ,                 | زنجان 152, 289, 712 ,      | رومانوس 282, 455, 467 ,    |
| مدون 126 ,                 | زنده 120 ,                 | 499                        |
|                            | زونن 96 ,                  | رومانوس الرابع 213 ,       |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                       |                         |
|--------------------------|-----------------------|-------------------------|
| سليمان بن عبد الملك ,    | معد مرقند 109, 140 ,  | سراج الدين عثمان بن     |
| 277                      |                       | محمد بن مختاري          |
| سليمان بن قتلمش , 217 ,  | مكاوند 107 ,          | الغزنوي 880 ,           |
| 220, 468                 | مسكة خركوش 790 ,      | سراي 106 ,              |
| سليمان شاه 443 ,         | مسكة عجلان 775 ,      | سرخس 88, 98, 101 ,      |
| سليمان شاه ابن أخ منجن   | مسكة فونند 791 ,      | 147, 148, 149, 656,     |
| 441                      | ملاجقة الروم 154 ,    | 658, 790                |
| سمرقند , 113, 114, 115 , | ملاجقة العراق 154 ,   | معاهدة بن عبد الله      |
| 116, 117, 221, 368,      | ملاجقة كرمان 154 ,    | الرومي المستطمر         |
| 369, 370, 384, 516,      | ملان الصرم 466 ,      | الخدام الرماثلي 788 ,   |
| 587, 645, 654, 666,      | ملار كرك 443 ,        | معد الملك 297 ,         |
| 682, 684, 711, 736,      | ملجوق 140, 141, 142 , | معد الملك أبي المحاسن , |
| 761, 762, 763, 776,      | 143                   | 485                     |
| 781, 784, 886, 888       | ملجوق بن دقاق 416 ,   | معد الملك الآوجي 731 ,  |
| سمجان 106 ,              | ملجوق بن دقاق 139 ,   | معد بن أبي وقاص 72 ,    |
| منج 99 ,                 | ملامس 211 ,           | معد بن علي بن الحسن     |
| منجان 195, 274, 443 ,    | ملمان بن عبد الله     | بن القاسم أبو منصور     |
| 467                      | النمرواني 876 ,       | العجلي 346 ,            |
| منجن 13, 21, 116, 162 ,  | ملمانان 83 ,          | معد بن معاذ 463 ,       |
| 270, 296, 298, 299,      | ملوك 96 ,             | معيد بن أحمد بن محمد    |
| 300, 307, 309, 311,      | مليم 106 ,            | بن أحمد أبو معد ابن     |
| 312, 313, 315, 322,      | مليمان بن داود 290 ,  | أبي الفضل المتقدم       |
| 379, 380, 383, 384,      | مليمان بن داود بك ,   | الميداني النيسابوري ,   |
| 385, 441, 443, 444,      | 209                   | 874                     |
| 462, 476, 486, 494,      |                       | معيد بن عصف             |
| 537, 583, 590, 648,      |                       | الممذاني 776 ,          |
| 649, 652, 662, 665,      |                       |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |
|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| شمس الأئمة عبد العزيز بن<br>أحمد بن صالح بن<br>محمد بن علي بن<br>جعفر ابن محمد بن<br>علي بن أبي لهباب<br>هو الحلواني البخاري ،<br>666                                                                                                                                                                                                                            | شاهملك الغزنوي 465 ،<br>شبيب بن وثاب النمري ،<br>195<br>شرف الدين الزينبي 539 ،<br>شرف الدين أنوشروان بن<br>خاله 298 ،<br>شرف الدين علي بن<br>أبي القاسم منصور بن<br>أبي سعد الساعدي ،<br>368<br>شرف الدين يوسف<br>الدمشقي 805 ،<br>شرف الزمان الأيلاقي ،<br>901<br>شرف الزمان محمد<br>الأيلاقي 895 ،<br>شك الرزيق 789 ،<br>شكلي 215 ،<br>شمس الأئمة عبد العزيز بن<br>أحمد بن صالح بن<br>محمد بن علي بن<br>جعفر ابن محمد بن<br>علي بن أبي لهباب<br>الحلواني البخاري ،<br>345 | 668, 720, 728, 730,<br>731<br>منذبة 81 ،<br>منك 100 ،<br>منكان 96 ،<br>مهرورج 65 ،<br>-مهل بن أحمد بن علي<br>بن أحمد بن الحسن<br>الأرغواني أبو الفتم<br>الحاكم 353 ،<br>مورا 73 ،<br>مومقان 100 ،<br>موق السلخان 679 ،<br>موق مغان 121 ،<br>موق يحيى 187 ،<br>ميادة 75 ،<br>ميحون 113, 128 ،<br>ميحون (سيرديرا<br>Siradarya), 108<br>ميف الدولة 279 ،<br>ميف الدين لفرل 653 ،<br>ش<br>شاخداخ 96 ،<br>شارع ابن أبي عوف ،<br>739 |
| شمس الأئمة عبد الغفار بن<br>لقمان الكردي<br>الحنفي 869 ،<br>شمس الدين أشرف<br>الحسيني السمرقندي ،<br>897<br>شمس الدين محمد ابن<br>علي السوزني الملقب<br>بتاج الشعراء 881 ،<br>شمس الدين محمد بن<br>أشرف الحسيني<br>السمرقندي 899 ،<br>شمس الدين محمد بن<br>شرف الحسيني<br>السمرقندي 901 ،<br>شملة التركمان 383 ،<br>شهاب الدين أحمد بن<br>عبد الله الترمذي 880 ، |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                              |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                |

- فهرس الأعلام والبلدان والأماكن.

|                         |                       |                         |
|-------------------------|-----------------------|-------------------------|
| شهاب الدين التوارخي     | صاعد بن محمد بن عبد   | صدقة بن وزير الواسطي    |
| الشافعي 855 ,           | الرحمن أبو العلاء     | 787                     |
| شهاب الدين              | البخاري القاضي 346 ,  | صرص 83 ,                |
| السمروذي 786 ,          | صاعد بن منصور بن      | صريفين 675 ,            |
| 893                     | إسماعيل بن صاعد بن    | صفديانا 111 ,           |
| شهادة بنت الأيربي 814 , | محمد أبو العلاء 354 , | صفي الدين المستوفي      |
| شمر زور 65 ,            | صاعد بن منصور بن      | 486                     |
| شمر دان بن أبي الخيس    | إسماعيل بن صاعد، أبو  | صقلية 272 ,             |
| 901                     | العلاء الخطيب 333 ,   | صلاح الدين الأيوبي      |
| شيخ الإسلام أبي عثمان   | صاوو 297 ,            | 384, 612, 793           |
| الصابوني 808 ,          | صحراء قره قورم 110 ,  | صهبة 100 ,              |
| شيخ الشيوخ أبو محمد     | صدر الدين الخجندي ,   | صور 737 ,               |
| الصوفي النيسابوري       | 652                   | ض                       |
| 786                     | صدر الدين شيخ الشيوخ  | ضياء الدين العلوي 393 , |
| شيخ الشيوخ عبد الرحيم   | عبد الرحيم بن         | له                      |
| بن إسماعيل 384 ,        | إسماعيل 652 ,         | لهابران 96 ,            |
| شيخ شيوخ مدينة لموس     | صدر الدين محمود بن    | لهاجيكستان 110 ,        |
| محمد بن محمد 661 ,      | عبد اللخيف بن محمد    | لهامش 305 ,             |
| شيران 712, 187 ,        | بن ثابت الخجندي ,     | لهاغون 104 ,            |
| شيرن 220 ,              | 662                   | لهاهر 97 ,              |
| ص                       | صدقة بن دريس 709 ,    | لهاهر بن أبي عمر أحمد   |
| -صاعد بن ميار بن يحيى   | صدقة بن مزيع 442 ,    | بن محمد بن أحمد         |
| بن محمد بن إدريس        | صدقة بن منصور بن      | بن صالح السجزي ,        |
| أبو العلاء الهروي 354 , | الحسين الأودي 200 ,   | 354                     |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                         |                         |
|------------------------|-------------------------|-------------------------|
| صهر بن أحمد بن عبد     | صهرستان 86, 312, 887 ,  | 161, 162, 163, 164,     |
| الرشيد بن الحسين       | صهرستان 303, 311, 465 , | 165, 166, 167, 168,     |
| افتخار الدين           | صهرستان 86, 106, 113 ,  | 169, 170, 171, 173,     |
| البخاري 862 ,          | صهر الزينبي 390 ,       | 174, 176, 177, 179,     |
| صهر بن الحسين بن       | صهر بن محمد الزينبي     | 180, 181, 182, 183,     |
| أحمد بن عبد الله أبو   | 241                     | 184, 186, 187, 188,     |
| الوفاء القوام 781 ,    | صهر بن محمد بن علي      | 189, 191, 192, 193,     |
| صهر بن الحسين بن       | بن الحسن بن محمد        | 194, 195, 199, 200,     |
| أحمد بن عبد الله أبو   | بن عبد الوهاب بن        | 201, 204, 205, 206,     |
| الوفاء القوام 346 ,    | سليمان بن عبد الله بن   | 208, 209, 233, 236,     |
| - صهر بن عبد الله بن   | محمد بن إبراهيم         | 237, 238, 239, 240,     |
| صهر أبو الصيب 354 ,    | الإمام بن محمد بن       | 241, 242, 243, 244,     |
| صهر بن عبد الله بن     | علي بن عبد الله بن      | 245, 248, 280, 281,     |
| صهر بن عمر أبو         | عباس أبو الفوارس بن     | 288, 289, 290, 292,     |
| الصيب الصبري           | أبي الحسن بن أبي        | 299, 301, 379, 382,     |
| الشافعي 371 ,          | القاسم بن أبي تمام      | 440, 445, 448, 465,     |
| صهر بن فخر الملك       | 382                     | 466, 468, 477, 491,     |
| 387                    | صهران 221 ,             | 492, 494, 497, 498,     |
| صهر بن محمد بن محمد    | صهرثيث 310, 311 ,       | 499, 515, 582, 700,     |
| بن أحمد بن محمد        | صهرثيث 129 ,            | 702, 716, 728           |
| بن يوسف الشامي         | صهرثيث 491 ,            | صهر بك محمد 143 ,       |
| أبو عبد الرحمن         | صهرثيث 211 ,            | صهر بن محمد 300 ,       |
| المستملح البارع الفاضل | صهر بك 7, 11, 15 ,      | صهر بك 173 ,            |
| الكامل الأديب الفقيه   | 16, 17, 24, 26, 30,     | صهر بك خان 210 ,        |
| الشروحي 760 ,          | 143, 146, 147, 148,     | صهر العلي الحنبلي 791 , |
|                        | 149, 151, 158, 159,     | صهر بن أحمد بن صهر      |
|                        |                         | بن أحمد بن الحسن        |
|                        |                         | بن سليمان بن بادي       |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                       |                        |                         |
|-----------------------|------------------------|-------------------------|
| عبد الرحمن بن إسماعيل | عبد الجبار بن أبي صاهر | بن الحارث بن قيس        |
| بن عبد الرحمن         | بن المفتي ابن علي      | بن الأشعث بن قيس        |
| الصابوني أبو بكر ،    | بن أبي الأشعث بن       | الكندي 782 ،            |
| 355                   | موسى النحوي            | صور 284 ،               |
| عبد الرحمن بن عبد     | السمقندي 332 ، 762 ،   | صور 88 ، 89 ، 95 ، 96 ، |
| الصمد الأكاف          | عبد الجبار بن الحسين   | 97 ، 145 ، 149 ، 353 ،  |
| الزاهد 661 ،          | بن محمد الباهلي 815 ،  | 355 ، 362 ، 371 ، 387 ، |
| عبد الرحمن بن عبد     | عبد الجليل بن عبد      | 590 ، 655 ، 658 ، 661 ، |
| الصمد بن أحمد بن      | الرحمن بن محمد بن      | 709 ، 712 ، 721 ، 722 ، |
| علي أبو القاسم        | الحسين بن عثمان        | 790                     |
| الأكاف النيسابوري ،   | المودوي النسفي 762 ،   | له                      |
| 583                   | عبد الجليل بن فيروز بن | ضمير الدين              |
| عبد الرحمن بن مأمون   | الحسين الغزنوي 878 ،   | الاسترلابي 158 ،        |
| بن علي أبو محمد       | عبد الخالق أبو جعفر بن | ع                       |
| المتولي 801 ،         | أبي موسى الهاشمي       | عاصم 107 ،              |
| عبد الرحمن بن محمد    | 781                    | عبدان 71 ، 83 ،         |
| الأنباري النحوي ،     | عبد الرحمن ابن خلدون   | عبدان 65 ،              |
| 889                   | 733                    | عبدان 100 ،             |
| عبد الرحمن بن محمد    | عبد الرحمن بن أبي      | عبدان 100 ،             |
| بن المصفر بن محمد     | الزاهد 449 ،           | عبدان 100 ،             |
| بن داود أبو الحسن     | عبد الرحمن بن أحمد     | عبدان 100 ،             |
| بن أبي لحية           | بن محمد بن علي         | عبدان 100 ،             |
| الداودي 346 ، 637 ،   | بن متوية الواحدي       | عبدان 100 ،             |
| عبد الرحمن بن منصور   | أبو القاسم 760 ،       | عبدان 100 ،             |
| بن رالمش بن عبد الله  |                        | عبدان 100 ،             |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                           |                          |                          |
|---------------------------|--------------------------|--------------------------|
| عبد الغافر بن محمد بن     | عبد السيد بن محمد بن     | بن زيد أبو سعد ابن       |
| عبد الغافر بن أحمد        | عبد الواحد بن أحمد       | الرئيس السالان منصور     |
| بن محمد بن سعيد           | بن جعفر أبو نصر          | 760                      |
| أبو الحسين الفارسي        | الصباغ 801 ,             | عبد الرحمن خلدون 774 ,   |
| 760                       | عبد الصمد الكلاهيئي      | عبد الرزاق بن عبد الله   |
| عبد الغني بن نقطة 791 ,   | الزنجاني 787 ,           | بن علي بن إسحاق          |
| عبد القادر الجيلاني 597 , | عبد الصمد بن القاضي      | الطوسي 380 ,             |
| عبد القادر الجيلي 892 ,   | محمود بن يونس            | عبد الرزاق حسان بن سعيد  |
| عبد القادر بن أبي صالح    | الغزنوي أبو الفتم        | أبو الفتم المنيعي الإمام |
| أبو محمد الجيلي 638 ,     | الفقيه 848 ,             | الرئيس 780 ,             |
| 804                       | عبد العزيز بن أحمد بن    | عبد الرشيد بن الحسين     |
| عبد القادر بن أبي صالح    | نصر بن صالح شمس          | بن أبي صالح ابن          |
| الجيلاني 428 ,            | الأئمة الحلواني          | الحسن الإمام نكبي        |
| عبد القاهر البغدادي 41 ,  | البخاري 862 ,            | 345                      |
| 42, 43, 49, 52, 53        | عبد العزيز بن عثمان بن   | عبد السلام بن أبي القاسم |
| عبد الكريم السمعاني       | إبراهيم بن محمد          | الصابوني الكسي 666       |
| 721, 754, 760             | الأمدى البخاري 366       | عبد السلام بن عبد        |
| عبد اللطيف بن             | عبد العزيز بن عثمان بن   | الوهاب بن الشيخ          |
| الخجندی رئيس              | إبراهيم بن محمد بن       | عبد القادر 664 ,         |
| الشافعية 315 ,            | أبي بكر محمد بن          | عبد السيد بن محمد بن     |
| عبد الله 301 ,            | الفضل بن جعفر بن         | عبد الملك بن             |
| عبد الله بن أحمد          | رجاء القاضي النسفي       | الحسين بن علي بن         |
| المروزي 785 ,             | 863, 870                 | أبي بكر السمرقندي        |
| عبد الله بن الحسين بن     | عبد الغافر الفارسي 885 , | السكري 781 ,             |
| أبي البقاء العكبري        |                          |                          |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                         |                        |                         |
|-------------------------|------------------------|-------------------------|
| أبو المحاسن الروياني    | عبد الله بن محمد بن    | البغدادي النحوي         |
| الصبري 661 ,            | عبد الله بن علي بن     | الضري 878 ,             |
| عبد الواحد بن رضول      | جعفر أبو القاسم 334 ,  | عبد الله بن كاهن 94 ,   |
| بن عبد الواحد بن        | عبد الله محمد بن كيفور | عبد الله بن عبد الكريم  |
| شيف بن أبي محمد         | الغزنوي 848 ,          | بن هوانن القشيري        |
| بن أبي الفرج الورلق     | عبد المتعال الصعدي     | أبو سعد الإمام 735 ,    |
| 526                     | 832                    | عبد الله بن محمد البستي |
| عبد الوهاب المقاباذي ,  | عبد المجيد بن يونس بن  | 372                     |
| 661                     | يوسف الكسي 345 ,       | عبد الله بن محمد        |
| عبد الوهاب بن محمد بن   | 636                    | الميانجي 892 ,          |
| عبد الوهاب بن عبد       | عبد الملك بن إبراهيم   | عبد الله بن محمد بن     |
| الواحد أبو محمد         | الممذاني 889 , 863 ,   | أحمد بن الحسين أبو      |
| الشيرازي الفارسي ,      | عبد الملك بن أصيد      | محمد بن أبي بكر         |
| 802                     | الخرقاني 345 ,         | الشاشي 347 ,            |
| عبد من 85 , 82 ,        | عبد الملك بن الحسين    | عبد الله بن محمد بن     |
| عبد مني 71 ,            | الورلق 526 ,           | أحمد بن الحسين ، أبو    |
| عبد الله بن صاعد بن     | عبد الملك بن علي       | محمد بن أبي بكر         |
| محمد أبو محمد 354 ,     | المؤذن المروي 879 ,    | الشاشي 637 ,            |
| عبد الله بن علي         | عبد الملك بن مروان ,   | عبد الله بن محمد بن     |
| البغدادي المعروف        | 74 , 75                | عبد الرحمن ، أبو عبد    |
| بابن المارماتانية 890 , | عبد المنعم بن محمد بن  | الله الأصمبماني         |
| عبد الله بن علي         | كاهن 786 ,             | المعروف بابن اللبان     |
| الخطيبي 315 ,           | عبد الواحد بن إسماعيل  | 333                     |
| عتبة بن غزوان 71 ,      | بن أحمد بن محمد        |                         |
| عثمان بن الحكيم 686 ,   |                        |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                    |                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                       |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| عثمان بن سليمان المصرن<br>791                                                                                                                      | علي 73 ،<br>علي ابن أبي لهب ،<br>462                                                                                                              | بن أبي الهيب بن<br>أخرم الصندلي المديني<br>أبو الحسن المؤذن ،<br>761                                                                                                                  |
| عثمان بن عفان ، 73 ،<br>103, 276, 881<br>عدة الدين 248 ،                                                                                           | علي أبي الفرج بن رئيس<br>الرؤساء 485 ،                                                                                                            | علي بن أحمد بن محمد<br>بن علي أبو الحسن<br>الواحد 849 ،                                                                                                                               |
| عذنان بن الرضي<br>الموموي 392 ،<br>عذنان بن الشريف<br>الرضي 194, 239 ،<br>عن الملك 538 ،                                                           | علي الصباغ<br>المتكلم، وأحمد بن<br>محمد بن حامد 661 ،<br>علي النقيب العلوي ،<br>394                                                               | علي بن الحسين<br>الغزنوي 587 ،<br>علي بن الحسين بن<br>الدهقان المروزي أبو<br>الحسن 355 ،                                                                                              |
| عزيز بن عبد الملك<br>بن منصور أبو المعالي<br>القاضي الجيلي الملقب<br>بـ: شيزله 373 ،<br>عسقلان 215 ،<br>عسكر مكرم 590 ،<br>عضد الدين فرامرزي 709 ، | علي بن أبي بكر بن<br>عبد الجليل الفرغاني<br>المرغيناني 863 ،<br>علي بن أبي سالم<br>الخواري اليمقي 885 ،<br>علي بن أبي لهب ، 73 ،<br>228, 276, 881 | علي بن الحسين بن<br>محمد بن علي<br>الزنبلي، أبو القاسم<br>الأكمل بن أبي<br>لهب نور الهدى بن<br>أبي الحسن نظام<br>الحضرتين ابن نقيب<br>النقباء أبي القاسم ابن<br>القاضي أبي تمام 380 ، |
| عصية بن علي بن عصية<br>القرشي 384 ،<br>عكبر 84 ،<br>عكبر 80, 84, 675 ،                                                                             | علي بن أبي يعلى بن<br>زيد أبو القاسم الدومني<br>802<br>علي بن أحمد بن محمد<br>ابن الفرزأل أبو الحسن<br>النيسابوري 845 ،                           | علي بن زيد ابن أبي<br>القاسم أبو الحسن<br>اليمقي المعروف بابن<br>فندق 875 ،                                                                                                           |
| علاء الدين ابن الزنبلي<br>377, 635<br>علاء الدين الكاساني<br>427<br>علي بلاد الروم 210 ،                                                           | علي بن أحمد بن محمد<br>بن أحمد بن عبد الله<br>بن إسماعيل بن العباس                                                                                |                                                                                                                                                                                       |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| علي بن محمد بن علي<br>بن منصور الجوري<br>السقاء أبو الحسن<br>الأديب ابن<br>الأديب أبي بكر<br>السقاء 776 ,                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                         | علي بن محمد الحجازي<br>القائني 901 ,<br>علي بن محمد بن<br>أرميلان 660 ,<br>علي بن محمد بن<br>إسماعيل العراقي أبو<br>الحسن 355 ,<br>علي بن محمد بن<br>إسماعيل بن علي بن<br>أحمد بن محمد بن<br>إسحاق المعروف بشيخ<br>الإسلام السمرقندي ,<br>863<br>علي بن محمد بن عبد<br>الكريم بن موسى<br>البنديوي 853, 863 ,<br>870<br>علي بن محمد بن علي<br>أبو الحسن الصبري<br>المراسي ويعرف<br>بالكيا 802 ,<br>علي بن محمد بن علي<br>أبو منصور الأنباري ,<br>374 | علي بن محمد بن علي<br>بن منصور الجوري<br>السقاء أبو الحسن<br>الأديب ابن<br>الأديب أبي بكر<br>السقاء 776 ,<br>علي بن محمد بن<br>محشاذ بن رنجه أبو<br>القاسم التونسي 654 ,<br>علي بن محمد 687 ,<br>علي بن يعلى بن عوض<br>أبو القاسم العلوي<br>المروي 637 ,<br>عماد الدين أبو الحسن<br>علي بن أحمد<br>الدمغاني 367 ,<br>عماد الدين الأصفهاني<br>886<br>عماد الدين بن محمد<br>الصبري المعروف<br>بالكيا المراسي 850 ,<br>عماد الدين زكي ,<br>384, 393, 443, 537<br>عماد الملك بن نظام<br>الملك 486 , |
| علي بن زيد أبو الحسن<br>بن أبي القاسم البيهقي<br>المعروف بضمير<br>الدين 845 ,<br>علي بن سالم 787 ,<br>علي بن شاهك<br>القصاري الضري<br>البيهقي 900 ,<br>علي بن لهرج 384 ,<br>649<br>علي بن عبد الكافي<br>السبكي 36 ,<br>علي بن عبد الله بن<br>أحمد أبو الحسن<br>النيسابوري المعروف<br>بإبن أبي الهيثم<br>الفقيه 848 ,<br>علي بن عبيد الله بن<br>نصر السراي الزغواني<br>أبو الحسن 637 ,<br>علي بن عيسى الكحال<br>896<br>علي بن محمد البسكامي<br>687<br>علي بن محمد الحجازي ,<br>896 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                         |                       |
|------------------------|-------------------------|-----------------------|
| غرينك 106 ,            | عمرو الصفار 93 ,        | عمان 69, 300 ,        |
| غردمان 126 ,           | عمرو بن العاص 487 ,     | عمر 73 ,              |
| غرمستان 149 ,          | عمود 110 ,              | عمر الخوارزمي 347 ,   |
| غركنده 131 ,           | عميد الدولة ابن جهميس , | عمر الخيام 729, 898 , |
| غرناطة 739 ,           | 633                     | 899, 901              |
| غزة 218 ,              | عميد الدولة أبي منصور , | عمر بن الخطاب 71 ,    |
| غزك 131 ,              | 715                     | 72, 412, 418, 433,    |
| غزنة 86, 145, 146 ,    | عميد الشرف محمد ,       | 435, 436, 445, 448,   |
| 147, 299, 382, 441,    | العلوي 394 ,            | 449, 487, 513, 880    |
| 531, 537, 712          | عهد النبي صلى الله عليه | عمر بن عبد العزيز بن  |
| غناج 131 ,             | وسلم 435 ,              | عمر بن مازن أبو محمد  |
| ف                      | عون الدين ابن هبيرة ,   | حسام الدين المعروف    |
|                        | 447                     | بالصدر الشهيد 654 ,   |
| فارص 71, 84, 86, 87 ,  | عون الدين يحيى ابن      | عمر بن عبد العزيز بن  |
| 88, 95, 100, 154,      | هبيرة البغدادي 267 ,    | عمر بن مازن، أبو      |
| 281, 304, 442, 495,    | عيسى بن عبد القادر      | محمد، المعروف بالصدر  |
| 660, 674               | الجيلي 892 ,            | الشهيد 866 ,          |
| فارغ 127 ,             | عين التمر 73 ,          | عمر بن عبد الكريم بدر |
| فام 739 ,              | غ                       | الدين الورسكي         |
| فاشان 789 ,            | غالي بن إبراهيم بن      | البخاري 863 ,         |
| فالحة بنت الحسين بن    | إسماعيل الغزنوي 848 ,   | عمر بن فرج الرخجي     |
| الحسن بن فضالويه       | غامر 109 ,              | 388                   |
| الرازي 786 ,           | غدار 808 ,              | عمر بن نصر بن حمزة    |
| فخر الدولة ابن جهميس , | غدرانك 131 ,            | الشاشي 762 ,          |
| 715                    | غرب آسيا 150 ,          | عمر رضي الله عنه 40 , |
|                        |                         | عمر اكن 467 ,         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| قتلمش بن إسرائيل , 152 ,<br>209, 289                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     | فريح الأنصاري 36 ,<br>فخن 116 ,<br>فلسهين 215 ,<br>فلم 106 ,<br>فم الصلح 75, 76, 85 ,<br>فناكث 131 ,<br>فولاذ 187 ,                                                                                                                                                                                        | فخر الدين أبي بكر<br>الأنصاري المروزي ,<br>871<br>فخر الدين الرازي , 458,<br>461, 855, 869, 871,<br>879, 897, 899<br>فخر الدين لهغايرك بن<br>اليزن 298 ,<br>فخر الدين محمد الرازي ,<br>850<br>فخر الدين محمد المعروف<br>بابن إدريس الحلبي<br>852<br>فخر الملك أبو المصغر بن<br>نظام الملك 307 ,<br>فرمان من علاء الدولة ,<br>466<br>فراه 101 ,<br>فراوة 147 ,<br>فريس 120 ,<br>فرخشااه بن محمود<br>الكاساني 311 ,<br>فرغانة , 109, 111, 112,<br>115, 128, 129, 712<br>فركر 103 ,<br>فرنكث 131 , |
| قرلم أبي الشحم 776 ,<br>قرلم لهفر 786 ,<br>قراقبة 75 ,<br>قرة المين أم الخليفة<br>العباسي المقتدي بالله ,<br>788<br>قرهبة 739 ,<br>قروبا 75 ,<br>قرلو 215 ,<br>قرميسين 363 ,<br>قرية أرغيان 785 ,<br>قرية الرمل 75 ,<br>قرية براتكين 126 ,<br>قرية بيازكان 659 ,<br>قرية خلاخس 776 ,<br>قرية خرق 359, 364 ,<br>قرية خرقان 784 ,<br>قرية منخول 372, 785 , | ق<br>قارص 282, 496 ,<br>قاريك ملك الأبخاز 466 ,<br>قازاخستان 111 ,<br>قاضي القضاة الحنفي<br>صاعد بن مسعود<br>720<br>قاضي نيسابور صاعد بن<br>محمد بن عبد الرحمن<br>أبو العلاء 315 ,<br>قام عبد الرحمن ابن<br>خلدون 588 ,<br>قاورج 152 ,<br>قاورج بن جفري بك ,<br>289<br>قاين 353, 654 ,<br>قتلمش 217, 245 , | قرلم أبي الشحم 776 ,<br>قرلم لهفر 786 ,<br>قراقبة 75 ,<br>قرة المين أم الخليفة<br>العباسي المقتدي بالله ,<br>788<br>قرهبة 739 ,<br>قروبا 75 ,<br>قرلو 215 ,<br>قرميسين 363 ,<br>قرية أرغيان 785 ,<br>قرية الرمل 75 ,<br>قرية براتكين 126 ,<br>قرية بيازكان 659 ,<br>قرية خلاخس 776 ,<br>قرية خرق 359, 364 ,<br>قرية خرقان 784 ,<br>قرية منخول 372, 785 ,                                                                                                                                        |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                       |                          |                           |
|-----------------------|--------------------------|---------------------------|
| قونية 217 ,           | قلب أرسلان 538 ,         | قرية نوقان 360, 362 ,     |
| قوهستان 87, 96 ,      | قلب أرسلان الأول بن      | قرية ورغس 784 ,           |
| قيرغين 110 ,          | سليمان بن قتلмыш 270 ,   | قريش 198, 204, 464 ,      |
| ك                     | قلب أرسلان بن سليمان ,   | قريش ابن بدر بن 196 ,     |
| كابرون 103 ,          | 307                      | قريش بن بدر بن 190 ,      |
| كابل 87 ,             | قلعة الصخر 187, 499 ,    | 201, 203, 234, 240 ,      |
| كاث 122, 123 ,        | قلعة الحديثة 181, 189 ,  | 241, 382                  |
| كاث درخاش 123 ,       | قلعة الموت 662 ,         | قزوين 290, 303, 304 ,     |
| كارينك 127 ,          | قلعة الموت 303, 308 ,    | 308, 465, 646             |
| كارخار 126 ,          | 309, 310, 312            | قسنطينية 213 ,            |
| كارزون 124 ,          | قلعة الناصر بأرجان 308 , | قسيم الدولة البرمقي 442 , |
| كاشغر 221, 299, 495 , | قلعة جمان كشاي 312 ,     | 443                       |
| كالنجر 163 ,          | قلعة دزكوه 497 ,         | قصبة جوين 86 ,            |
| كالوون 103 ,          | قلعة ديرة 305 ,          | قصر ابن هيرة 83 ,         |
| كامرو 465 ,           | قلعة سماري 211 ,         | قصر الجص 81 ,             |
| كبرنة 131 ,           | قلعة صبرك 189, 191 ,     | قصر بني المأمون 497 ,     |
| كبوزنجكت 117 ,        | 233, 294                 | قلص الدين أبي المعالي     |
| كذاك 131 ,            | قلعة صبرك 308 ,          | مسعود بن محمد             |
| كرنا 85 ,             | قلعة "بيرق" 308 ,        | النيسابوري 869 ,          |
| كردن 126 ,            | قلعة "كردكوه" 310 ,      | قلص الدين قايمان عضد      |
| كردرانخام 126 ,       | قلعة "كلام" 308 ,        | الدين 651 ,               |
| كردمستان 441 ,        | قنق 139 ,                | قصر بن منصور              |
| كردكوه 304 ,          | قنق 140 ,                | التبريزي 878, 881 ,       |
| كركانم 123 ,          | قمستان 193, 289, 304 ,   | قصول 654 ,                |
|                       | قوس 86, 87 ,             | قصولانة 117 ,             |
|                       |                          | قللاع قزوين 312 ,         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                           |                      |                         |
|---------------------------|----------------------|-------------------------|
| لبين فكيون 279 ,          | كمال الدين محمد بن   | كركو 106 ,              |
| لخراپ 107 ,               | عبد الله الشهرزوري , | كرمان 86, 146, 152 ,    |
| لسامانيين 142 ,           | 650                  | 154, 182, 289, 306,     |
| لسان الدين بن الخطيب ,    | كمال الملك الدهستاني | 383, 465, 660, 712,     |
| 54                        | 707                  | 887                     |
| لنا ابن الحققي 189 ,      | كمشكين دواقي 205 ,   | كرمينه 762 ,            |
| لهبان 75 ,                | كندر 96 ,            | كرمينيه 114, 117 ,      |
| لهيكلية 126 ,             | كنكراك 131 ,         | 120                     |
| ليسترنم 88, 90, 109 ,     | كواران 103 ,         | كره 103 ,               |
| 111                       | كولمان 103 ,         | كروخ 102 ,              |
| م                         | كورة قفليس 496 ,     | كس 113, 761 ,           |
| ما ورك النمر 30, 38, 59 , | كورة عسكرم 362       | كش 111 ,                |
| 64, 76, 86, 87, 90,       | كوسره 103 ,          | كش بنسف 806 ,           |
| 100, 108, 109, 111,       | كوش رها 83 ,         | كشاني 117 ,             |
| 112, 113, 118, 120,       | كوشك 103 ,           | كفر لهاپ 220 ,          |
| 129, 131                  | كوغنا باذ 103 ,      | كاشجك 131 ,             |
| مادر لها 83 ,             | كوفن 359 ,           | كمال الدين ابن العمير , |
| مادرين 270 ,              | كوه 103 ,            | 214                     |
| مار لهاذ 102 ,            | كيرنك 100 ,          | كمال الدين أبو الفتوح   |
| مازل 96 ,                 | كيف 270 ,            | حمزة بن علي بن          |
| مازدران 298 ,             | ل                    | صلحة الرازي الشافعي     |
| مالك 459, 461, 472 ,      | لأمويين 79 ,         | 807                     |
| 548                       | لأندلس 272 ,         | كمال الدين حيدر         |
| مالن 96, 102 ,            | لاوكنه 127 ,         | العلوي 393 ,            |
| مايمرغ 116 ,              |                      | كمال الدين محمد بن      |
|                           |                      | الحسين الخازن 539 ,     |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                              |                                                                                                                               |                                                                                                                                                                                  |
|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| بكر الشاشي الفقيه ،<br>803                                                                                                                                   | محمد الأبيوردي ، 885 ،<br>889                                                                                                 | مبارك بن أحمد بن<br>رزوق الواسطي                                                                                                                                                 |
| محمد بن أحمد بن<br>الميثم أبو بكر<br>الروخباري البلخي ،<br>845                                                                                               | محمد بن إبراهيم بن<br>علي بن إبراهيم بن<br>جعفر أبو بكر القطان<br>الأصبهاني 763 ،                                             | المعروف بابن الحداد<br>المقري 846 ،<br>مجاهد الدين بهروز 539 ،<br>مجد الدين أبي<br>السعادات 651 ،<br>محفوف بن أحمد بن<br>الحسن الكلوزاني<br>البغدادي الأنجي ،<br>867             |
| محمد بن أحمد بن بشر<br>المروزي 900 ،<br>محمد بن أحمد بن داود<br>المؤدب 776 ،                                                                                 | محمد بن أبي القاسم<br>الخورزمي النحوي<br>المعروف بالبقالي ،<br>853 ، 864                                                      | محمد بن أحمد بن عبد<br>الباقي بن منصور بن<br>إبراهيم الدقاق، كنيته<br>أبو بكر، ويعرف بابن<br>الخاصبة 527 ،                                                                       |
| محمد بن أحمد بن عبد<br>الجار أبو المظفر<br>الحنفي، محمد بن أسعد<br>بن محمد بن أبي<br>منصور المصاري 347 ،<br>محمد بن أحمد بن عبد<br>الرحمن الريغموني ،<br>332 | محمد بن أبي بكر<br>السمقندي المعروف<br>بإمام زلده 893 ،<br>محمد بن أبي بكر<br>المعروف بإمام زلده<br>الجوغي 636 ، 345 ،<br>864 | الحسين، ويعرف بابن<br>الغريق 333 ،<br>محمد ابن أحمد<br>المعموري 898 ،<br>محمد أبو محمد السملوكي<br>الخصيب 334 ،<br>محمد أبو محمد بن الخضر<br>بن إبراهيم أبو بكر<br>المحولي 334 ، |
| محمد بن أحمد بن عبد<br>الله بن عبد الصمد بن                                                                                                                  | محمد بن أحمد بن<br>الحسين بن عمر أبو                                                                                          |                                                                                                                                                                                  |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                        |                       |                        |
|------------------------|-----------------------|------------------------|
| محمد بن المصفر بن علي  | محمد بن الحسن 861 ,   | المهتدي بالله، أبو     |
| بن المسلمة أبو الحسن   | محمد بن الحسن         | الحسن الهاشمي 333 ,    |
| بن أبي الفتح بن أبي    | الشيواني 470, 711 ,   | محمد بن أحمد بن عمر    |
| القاسم الوزير 788 ,    | 861                   | أبو عمر النماوندي      |
| محمد بن الهيثم بن محمد | محمد بن الحسن بن      | الحنفي 373 ,           |
| بن الهيثم السلمي       | أحمد بن عبد الله ابن  | محمد بن أحمد بن محمد   |
| الأصفهاني 815 ,        | البناء أبو نصر بن أبي | بن عبد الله بن عبد     |
| محمد بن أنس 311 ,      | علي 782 ,             | الصمد بن المهتدي       |
| محمد بن حاتم بن محمد   | محمد بن الحسين        | بالله، أبو الحسن       |
| بن عبد الرحمن          | الرويانجاهي 385 ,     | الهاشمي 333 ,          |
| الطائي أبو الحسن ,     | محمد بن الحسين بن     | محمد بن أحمد بن يحيى   |
| 736                    | محمد فخر الدين        | أبو عبد الله الديباجي  |
| محمد بن هارون 392 ,    | المعروف بفخر القضاة   | 637                    |
| محمد بن عبد الباقي بن  | أبو بكر الأرماني ,    | محمد بن أسعد بن محمد   |
| محمد بن عبد الله بن    | 864                   | الطاهري 744 ,          |
| محمد بن عبد الرحمن     | محمد بن الفضل بن أحمد | محمد بن إسماعيل القفال |
| بن الربيع بن ثابت      | بن محمد بن أبي        | الشامي الكبير 711 ,    |
| بن وهب بن مشجعة        | العباس أبو عبد الله   | محمد بن إسماعيل بن     |
| بن الحارث بن عبد       | الصاعدي الفرولي ,     | أحمد بن عبد            |
| الله بن كعب بن         | 347                   | الملك، أبو عبد الله بن |
| مالك الأنصاري 764 ,    | محمد بن الفضل بن أحمد | أبي سعد بن أبي         |
| محمد بن عبد الرحمن     | بن محمد بن أبي        | صالح المؤذن 383 ,      |
| بن أحمد البخاري        | العباس أبو عبد الله   | محمد بن إسماعيل بن     |
| الريفي موني 851 ,      | الصاعدي الفرولي ,     | محمد أبو علي القاضي    |
|                        | 638                   | 371                    |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                       |                        |                       |
|-----------------------|------------------------|-----------------------|
| محمد بن عثمان بن محمد | محمد بن عبد الله بن    | محمد بن عبد العزيز بن |
| حسام الدين            | أحمد بن حبيب، أبو      | العباس بن محمد بن     |
| العلياء دي 847 ،      | بكر المامري            | المهدي، أبو الفضل     |
| محمد بن عطاء النسفي   | المعروف بابن جنازة ،   | الهاشمي 333 ،         |
| الساكديازوي 776 ،     | 637                    | محمد بن عبد العزيز بن |
| محمد بن علي بن أحمد   | محمد بن عبد الله بن    | إلياس 660 ،           |
| الرواندي 158 ،        | الحسين أبو بكر         | محمد بن عبد الكريم    |
| محمد بن علي بن        | الناصم 373 ،           | بن إبراهيم بن عبد     |
| حيدرة الشونجي         | محمد بن عبد الله بن    | الكريم أبو عبد الله   |
| الكشي 806 ،           | الحسين السامري         | بن الأنباري 383 ،     |
| محمد بن علي بن سليمان | البغداددي المعروف      | محمد بن عبد الكريم    |
| الرواندي 887 ،        | بابن سنيّة 867 ،       | بن عبيد الله بن محمد  |
| محمد بن علي بن عبد    | محمد بن عبد الملك بن   | بن أحمد، أبو بكر      |
| الله بن حمدان 744 ،   | إبراهيم الفقيه الشافعي | الخطيب السجزي ثم      |
| محمد بن علي بن محمد   | 884                    | البليخي 333 ،         |
| بن أحمد بن محمد       | محمد بن عبد الملك بن   | محمد بن عبد اللطيف    |
| بن عيسى بن أبي        | الحسين بن خيرون        | بن محمد بن ثابت       |
| موسى أبو همام بن أبي  | الدباس البغداددي 845 ، | أبو بكر الخجندي ،     |
| القاسم ابن القاضي أبي | محمد بن عبد الواحد     | 586, 804              |
| علي الهاشمي العبدي    | الصباغ 346 ،           | محمد بن عبد الله بن   |
| المقرئ 391 ،          | محمد بن عبيد الله بن   | أحمد بن حبيب أبو      |
| محمد بن علي بن محمد   | أحمد بن محمد بن        | بكر المامري           |
| بن عبيد الله بن عبد   | عمرو بن أبي الفضل      | المعروف بابن          |
| الصمد بن المهدي       | البنان 346 ،           | الجنازة 786 ،         |
| بالله أبو الحسين      |                        |                       |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                         |                                                                                                                                                  |                                                                                    |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------|
| محمد بن منصور بن محمد<br>بن عبد الجبار<br>السمعاني 637 ,                                                | محمد بن محمد بن عبد<br>الله بن أبي سهل أبو<br>كهاهر 334 ,                                                                                        | المعروف بابن الغريق<br>371                                                         |
| محمد بن منصور بن محمد<br>بن عبد الجبار أبو<br>بكر بن أبي المظفر<br>السمعاني 736 ,                       | محمد بن محمد بن محمد<br>أبو بكر الخلمي 764 ,                                                                                                     | محمد بن علي بن ميمون<br>بن محمد أبو الغنائم<br>النرمي المعروف بأبي<br>الكوفي 587 , |
| محمد بن موسى الحازمي<br>876                                                                             | محمد بن محمد بن محمد<br>بن عبد الله أبو عبد الله<br>بن أبي الحسن<br>البيضاوي 372 ,                                                               | محمد بن لمرق الأصفهاني<br>الحامب 898 ,                                             |
| محمد بن نصر بن منصور<br>بن علي بن محمد<br>بن محمد بن الفضل<br>أبو المعالي العامري ,<br>332              | محمد بن محمد بن<br>محمد، أبو المظفر<br>البروي 638 ,                                                                                              | محمد بن محمد أبو الحسن<br>بن أبي الغنائم 334 ,                                     |
| محمد بن هلال بن<br>المحسن بن إبراهيم<br>الصابي 739 ,                                                    | محمد بن محمود 146 ,                                                                                                                              | محمد بن محمد الحسين<br>أبو يعلى ابن الفراء ,<br>347                                |
| محمد بن يحيى<br>النيسابوري 868 ,                                                                        | محمد بن محمود بن محمد<br>علي (ت 556هـ / 1160م<br>(ملك ناصر الدين أبي<br>القاسم السمرقندي ,<br>844                                                | محمد بن محمد المروزي ,<br>861                                                      |
| محمد عبد الحليم بن محمد<br>بن أبي القاسم بن<br>علي ابن أبي الفوارس<br>البراني المعروف<br>بالحليمي 782 , | محمد بن ملكشاه , 296 ,<br>297, 306, 307, 308,<br>309, 313, 323, 383,<br>442, 444, 480, 485,<br>489, 492, 493, 536,<br>648, 680, 709, 730,<br>785 | محمد بن محمد بن أيوب<br>أبو محمد القيصواني ,<br>636                                |
|                                                                                                         |                                                                                                                                                  | محمد بن محمد بن عبد<br>العزيم النحاس أبو 373 ,                                     |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                       |                           |
|--------------------------|-----------------------|---------------------------|
| مدينة كشميرين 99 ,       | محمود بن محمد , 297 , | محمد عبد الله بن          |
| مدينة كنجة 443 ,         | 298, 299, 300, 309,   | المبارك بن الحسن          |
| مدينة نايمين 361 ,       | 443, 444, 485, 494,   | العكبري المقرئ ,          |
| مدينة "أغال لال" 467 ,   | 537, 538, 648, 730    | 668                       |
| مدينة "آني" 467 ,        | محمود بن محمد بن      | محمد معين 85 ,            |
| مرلغة 442 ,              | ملكشاه , 440, 441,    | محمد صلى الله عليه وسلم , |
| مرلكش 739 ,              | 486, 491, 648         | 634                       |
| مرج داندانقان 145 ,      | محمود بن مسعود البلخي | محمود الغزنوي , 97 ,      |
| مرخاويج بن بسو , 181 ,   | 884                   | 145, 172, 183, 384        |
| 465                      | محمود بن ملكشاه ,     | محمود النعال الحنبلي ,    |
| مرغينان 712 ,            | 293, 294, 295, 380,   | 787                       |
| مرغ 127, 211 ,           | 602                   | محمود بن أبي المعالي      |
| مرو 88, 89, 90, 95, 98 , | محمود بن نصر المرداسي | تاج الدين الحواري         |
| 99, 100, 104, 149,       | 213                   | اللغوي 874 ,              |
| 152, 156, 296, 365,      | محمود بن صالح 215 ,   | محمود بن أحمد بن          |
| 394, 462, 486, 652,      | مداميشن 126 ,         | الصابوني 787 ,            |
| 655, 658, 659, 660,      | مدكمينيه 126 ,        | محمود بن الأخرم 199 ,     |
| 661, 662, 668, 711,      | مدينة السلام 201 ,    | محمود بن الأخرم           |
| 721, 730, 738, 790,      | مدينة آني 211 ,       | الخفاجي 440 ,             |
| 793, 798, 801, 885       | مدينة جبل 82 ,        | محمود بن سبكتكين ,        |
| مرو الروخ 99, 355 ,      | مدينة خجندة 370 ,     | 163, 169                  |
| مرو الشاهجان , 88, 98 ,  | مدينة شارستان 662 ,   | محمود بن عبيد الله بن     |
| 99, 100, 356             | مدينة عمورية 213 ,    | صاعد بن محمد شيخ          |
| مرو الشاهجان 359 ,       | مدينة فريس 784 ,      | الإسلام علاء الدين        |
| مروان بن محمد 79 ,       | مدينة كالف 784 ,      | الحارثي المروزي ,         |
| مزار شريف 104 ,          | مدينة كش 357 ,        | 864                       |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                           |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| معمر بن عبد الواحد بن<br>رجاء أبو أحمد<br>الأصفهاني 764 ,                                                                                                                                                                                                                 | مسعود بن ناصر بن<br>الحسن الفريضي أبو<br>معيد 355 ,                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                           | منع أخكان 126 ,<br>منينان 96 ,<br>مساملان 126 ,                                                                                                                                                                                                                                                                                                  |
| معين الملك أبو نصر<br>أحمد بن الفضل 310 ,<br>مفكان 120 ,                                                                                                                                                                                                                  | مشهد علي بن موسى<br>الرضا 709 ,<br>مشهد موسى بن جعفر ,<br>709                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                 | مسعود 163, 183 ,<br>مسعود الغزنوي 146 ,<br>147, 148, 387, 464,<br>582                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| مفازة الغزية 88, 86 ,<br>مفازة كركس كوه 86 ,<br>مفتح 82 ,<br>مكة 299, 460, 497 ,<br>703, 736, 737<br>مكة المكرمة 464 ,<br>مكران 146, 299 ,<br>مكيذا الأول 462 ,<br>ملاذ كرك 455, 515 ,<br>ملاذ كرك 7, 12, 215 ,<br>216, 219, 248, 250,<br>260, 281, 282, 292,<br>320, 475 | مص 18, 35, 61, 66 ,<br>69, 71, 82, 93, 117,<br>151, 173, 174, 175,<br>178, 186, 188, 195,<br>197, 203, 212, 215,<br>217, 218, 219, 227,<br>233, 244, 246, 248,<br>260, 276, 301, 303,<br>496, 499, 516, 547,<br>581, 611, 640, 696,<br>711, 714, 736, 810<br>مصحف بن حمزة 572 ,<br>مصحف مغزلوي 701 ,<br>مصعب ابن الزبير 708 ,<br>مخضر الدين كوكبري ,<br>793<br>معاوية بن أبي سفيان ,<br>276, 463<br>معن الدولة البويهية 389 , | مسعود بن الحسين بن<br>الحسن بن محمد بن<br>إبراهيم الكشتاني ,<br>864<br>مسعود بن الحسين بن<br>مسعد أبو الحسين<br>اليزدي القاضي 347 ,<br>804<br>مسعود بن محمد 300 ,<br>312, 322, 323, 442,<br>443, 444, 456, 457,<br>476, 477, 486, 493,<br>494, 537, 538, 539,<br>634, 649, 650, 720<br>مسعود بن ناصر بن أبي<br>زيد السجزي الركاب<br>الحافظ 666 , |



## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                     |                        |                          |
|---------------------|------------------------|--------------------------|
| 312, 313, 315, 317, | منك 127 ,              | ميمون بن النجيب          |
| 322, 380, 384, 385, | منكبر من 536, 485 ,    | الولامكي 729 ,           |
| 416, 440, 441, 442, | منكوبر من 493 ,        |                          |
| 447, 452, 453, 455, |                        | ن                        |
| 456, 467, 468, 479, | منيمة بنت وثاب         | ناجي معروف 794 ,         |
| 480, 484, 486, 489, | النميري 214 ,          | - ناحية أرغيان 353 ,     |
| 490, 491, 492, 495, | مهارش بن المجلي 199 ,  | ناحية الباميان 107 ,     |
| 497, 498, 499, 515, | مهرجان 96 ,            | ناحية الدزق العليا 356 , |
| 536, 538, 583, 602, | مهلك خاتون 494 ,       | - ناحية زونن 354 ,       |
| 645, 648, 652, 669, | موسى 142 ,             | ناصر الدولة أبو محمد     |
| 709, 716, 719, 720, | موسى بن ملجوق 289 ,    | عبد الله بن الحسين       |
| 722, 729, 730, 731, | موسى بيغو 289 ,        | الناصرحي قاضي            |
| 780, 785, 796       | موفق الدين عبد اللطيف  | القضاة 807 ,             |
| ملك شاه 445, 468 ,  | بن يوسف البغدادي ,     | ناصر الدولة حسين بن      |
| منجم 213, 220 ,     | 897                    | حمدان 248 ,              |
| منن 106 ,           | مولقا باذ 761 ,        | ناصر خسرو القباذيان      |
| منصور 205 ,         | موهوب بن أحمد          | البلخي 881 ,             |
| منصور بن إسماعيل بن | الجواليقي 876 ,        | نجاكث 131 ,              |
| صاعد بن محمد أبو    | مؤيد الملك بن نظام     | نجد 460 ,                |
| القاسم 355 ,        | الملك 731 ,            | نجمكث 131 ,              |
| منصور بن محمد بن    | مياقارقين 443, 468 ,   | نجم الدين النسفي 879 ,   |
| عبد الجبار السمعاني | ميان 128 ,             | 887, 888                 |
| 865                 | ميزوباتا مية 67 ,      | نجم الدين عمر النسفي     |
| منصور بن محمد بن    | ميكائيل 142, 143 ,     | 860, 863, 868            |
| عبد الجبار السمعاني | ميكائيل بن ملجوق 139 , | نجم الدين عمر بن محمد    |
| المروزي الإمام أبو  |                        | النسفي 855 ,             |
| المكفر 761 ,        |                        |                          |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                          |                         |                         |
|--------------------------|-------------------------|-------------------------|
| نمر الماجان 99 ,         | 293, 294, 305, 307,     | نخشب 117 ,              |
| نمر المعلى 675, 786 ,    | 308, 320, 322, 331,     | نزان 301, 302, 303 ,    |
| نمر الملك 83 ,           | 378, 379, 380, 406,     | 471, 737, 877           |
| نمر تيرى 75 ,            | 442, 445, 446, 447,     | نسا 96, 147, 149, 785 , |
| نمر جيحون 86, 87, 88 ,   | 449, 450, 451, 452,     | نسف 111, 113, 368 ,     |
| 93, 98, 100, 104, 108,   | 453, 455, 467, 478,     | 369, 666, 762, 765      |
| 109, 111, 114, 122,      | 479, 486, 489, 490,     | نسف 363 .,              |
| 123, 126, 127, 150,      | 493, 495, 497, 498,     | نسيا السفلى 128 ,       |
| 784                      | 499, 515, 516, 538,     | نسيا العليا 128 ,       |
| نمر مابس 85 ,            | 574, 583, 584, 632,     | نسيا بور 655 ,          |
| نمر ميحون 111 ,          | 644, 645, 646, 648,     | نصر الساماني 120 ,      |
| نمر لمابق 675 ,          | 704, 715, 716, 717,     | نصر بن علي بن خميس      |
| نمر معلى 377 ,           | 718, 719, 720, 721,     | 467                     |
| نمر هرمزفر 99 ,          | 722, 729, 731, 738,     | نصر بن علي بن منقذ ,    |
| نورجكث 131 ,             | 743, 746, 785, 793,     | 220                     |
| نور الدين الصابوني 855 , | 796, 797, 798, 810,     | نصر بن مروان 467 ,      |
| نور الدين زكي 793 ,      | 811, 894, 904           | نصر بن مسعود بن علي     |
| نور المدي أبي لمالب      | نقاد 128 ,              | البديلي أبو الفتم 356 , |
| الحسين بن محمد           | نقجول 211 ,             | نصيبين 200, 367, 668 ,  |
| الزنبلي 647 ,            | نكث 131 ,               | نظام الحضرتين محمد بن   |
| نور بخارى 139, 140 ,     | نمجكث 119 ,             | علي 228 ,               |
| نورة 496 ,               | نمروج بن كنعان 496 ,    | نظام الدين كمال الملك   |
| نورة اللتين 211 ,        | نمر أسروج 113 ,         | السميرمي 298 ,          |
| نوزوان 126 ,             | نمر أمعدي 99 ,          | نظام الملك 8, 16, 25 ,  |
| نوشجان 129 ,             | نمر الرزوق 99 ,         | 29, 209, 211, 245,      |
| نوقان 96 ,               | نمر الزريق 785 ,        | 246, 248, 290, 291,     |
|                          | نمر القصارين 789 ,      |                         |
|                          | نمر القلائين 675, 718 , |                         |

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

|                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                     |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                        |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| هزارسب بن بنكير بن<br>عياض الكردى 194 ,<br>هضبة التبت 129 ,<br>هلب 127 ,<br>همذان 70, 152, 159 ,<br>162, 182, 196, 200,<br>298, 352, 354, 465,<br>485, 652, 674, 736,<br>737<br>هند بن إبراهيم بن<br>محمد بن نصر بن<br>إسماعيل أبو المظفر<br>النسفى 372 ,<br>هنر 110 ,<br>هيت 64, 81 ,<br><br>و<br>و أبو بكر عبد الله بن<br>منصور بن عمر بن<br>الممروف بابن<br>الباقلاني منصور بن<br>عمر بن الممروف بابن<br>الباقلاني 783 ,<br>والحسن بن عبد الحميد<br>الرازي 661 , | هبة الله ابن الشجري<br>العلوى 393 ,<br>هبة الله ابن القاضي محمد<br>بن علي بن الممتدي<br>أبو الحسن الخطيب ,<br>372<br>هبة الله بن محمد بن<br>الحسين بن داود<br>الحسنى السيد الأجل<br>أبو البركات بن<br>السيد الأجل أبي<br>الحسن العلوى 761 ,<br>هبة الله محمد المأمونى<br>164<br>هرا 89, 90, 101, 102,<br>103, 104, 148, 152,<br>289, 304, 354, 360,<br>590, 765, 785, 791,<br>793<br>هريروخ 101 ,<br>هزارسب 126 ,<br>هزارسب 200, 448 ,<br>هزارسب بن بنكير ,<br>199<br>هزارسب بن بنكير بن<br>عياض 440 , | فوكفاغ 126 ,<br>فيسابو 729 ,<br>فيسابو 11, 22, 60, 78 ,<br>89, 90, 91, 92, 93, 94,<br>95, 97, 99, 123, 146,<br>148, 149, 156, 169,<br>296, 304, 310, 315,<br>334, 336, 345, 352,<br>353, 355, 356, 358,<br>360, 365, 366, 367,<br>368, 386, 444, 492,<br>582, 590, 605, 652,<br>656, 658, 662, 669,<br>670, 680, 681, 700,<br>703, 721, 722, 731,<br>736, 737, 738, 739,<br>764, 780, 781, 782,<br>785, 789, 790, 791,<br>793, 797, 798, 800,<br>801, 804, 807, 886<br>نيقية 283 ,<br>نيقيه 270 ,<br>نيمرون 495 ,<br><br>ه<br>هارون الرشيد 351, 448 ,<br>هارون بن إيلك 142 ,<br>هارون بن خان 213 , |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن -

- |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                               |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| <p>ومنصور عبد الخالق بن<br/>زاهر الشحامى 765 ,<br/>وأبو علي محمد بن أحمد<br/>ابن أبي علي الصومى<br/>المعروف بالفقيه البيه ,<br/>531<br/>وأبي الحسن الماورى ,<br/>265, 557<br/>ورى 131 ,<br/>ورى 64, 65, 68, 69,<br/>70, 74, 75, 76, 77, 82,<br/>185, 195, 323, 366,<br/>367, 378, 392, 394,<br/>440, 442, 443, 648,<br/>664, 673, 674, 675,<br/>710, 782, 887<br/>ورى 129 ,<br/>وأعمال الشرح 77 ,<br/>وبلاد الجبال 64 ,<br/>وبهمن أباه 96 ,<br/>وخان روى 96 ,<br/>وخرب الدواب 679 ,<br/>وخار 117 ,<br/>ورخ 95, 96 ,<br/>وروى 131 ,<br/>ورغس 116 ,</p> | <p>وزار منده 126 ,<br/>وموق خجادة 121 ,<br/>وقصر شيرين 83 ,<br/>وكان أبو العباس أحمد بن<br/>أبي غالب 509 ,<br/>ولاية قما 312 ,<br/>ولوالج 106 ,<br/><br/>ي<br/>ياركت 117 ,<br/>ياغى ميان التركى 220 ,<br/>ياقوت الحموى 64, 67,<br/>77, 86, 87, 88, 91,<br/>97, 98, 101, 105,<br/>108, 112, 117, 121,<br/>124, 738, 891<br/>ياقوتى السلجوقى 289 ,<br/>ياقوتى بن نصرل بك<br/>152<br/>يحيى بن آدم 435 ,<br/>يحيى بن المبارك<br/>الزبيدي البغدادى ,<br/>776<br/>يحيى بن ثابت العلوى ,<br/>392</p> | <p>يحيى بن عبد الله بن<br/>الحسين قاضى القضاة<br/>أبو صالح الناصحى<br/>345<br/>يحيى بن عبد الوهاب بن<br/>محمد بن إسحاق بن<br/>محمد بن يحيى بن<br/>إبراهيم بن الوليد<br/>ويعرف بأبن منده<br/>ويكنى أبا زكرياء ,<br/>763<br/>يحيى بن محمد العلوى ,<br/>393<br/>يحيى بن معاذ الرزى ,<br/>105<br/>يعقوب البرزى 632 ,<br/>يعقوب بن عثمان<br/>الغزنوى 848 ,<br/>يلير 295 ,<br/>ينال بن أنوشكين<br/>الحسامى 485 ,<br/>ينم روى 82 ,<br/>يوسف الدمشقى 662 ,<br/>663<br/>يوسف بن عبد الله البندار<br/>الدمشقى الكبير 383 ,</p> |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|

## - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن.

يوسف غوانمة 794 , يوسف بن عمر بن  
يونس 142 , هبيرة 76 ,

# - فهرس الموضوعات.

## - فهرس الموضوعات -

| -الموضوع-                           | - رقم الصفحة- |
|-------------------------------------|---------------|
| - واجهة الأشرطة.                    | ////////      |
| - البسمة والآية القرآنية.           | ////////      |
| - الإهداء.                          | ////////      |
| - الشكر.                            | ////////      |
| - المقدمة.                          | 27-01         |
| - الفصل التمهيدي: مفاهيم وأصطلاحات. | 122-28        |
| 1- مصطلح العلماء: المفهوم والدلالة. | 58-30         |
| 1-1- تعريف العلماء.                 | 34-32         |
| أ- لغة.                             | 33-32         |
| ب- اصطلاحاً.                        | 34-33         |
| 1-2- تصور مصطلح العلماء.            | 40-34         |
| أ- علماء الآخرة.                    | 38-37         |
| ب- علماء الدنيا.                    | 40-38         |
| 1-3- مراتب وأصناف العلماء.          | 58-40         |
| أ- المتكلمون.                       | 42-40         |
| ب- الفقهاء.                         | 44-42         |
| ج- المفسرون.                        | 45-44         |

## - فهرس الموضوعات -

|        |                                                                 |
|--------|-----------------------------------------------------------------|
| 47-45  | د- المقرئون                                                     |
| 48-47  | هـ- الأصوليون                                                   |
| 51-48  | و- المحدثون                                                     |
| 52-51  | ز- علماء اللغة                                                  |
| 54-52  | ح- علماء التصوف                                                 |
| 55-54  | ط- الفلاسفة                                                     |
| 56-55  | ي- المناطقة                                                     |
| 57     | ك- الأطباء                                                      |
| 122-59 | 2- جغرافية المشرق الإسلامي (العراق وخراسان وبلاد ما وراء النهر) |
| 81-63  | 2-1- إقليم العراق                                               |
| 69-67  | أ- بغداد                                                        |
| 70-69  | ب- مدينة البصرة                                                 |
| 72-70  | ج- مدينة الكوفة                                                 |
| 74-72  | د- مدينة واسط                                                   |
| 77-74  | هـ- مدينة الموصل                                                |
| 79-77  | و- مدينة سامراء                                                 |
| 101-81 | 2-2- إقليم خراسان                                               |



## - فهرس الموضوعات -

|         |                                                         |
|---------|---------------------------------------------------------|
| 92-87   | أ- نيسابور.                                             |
| 95-92   | ب- مدينة مرو.                                           |
| 97-95   | ج- هراة.                                                |
| 101-98  | د- مدينة بلخ.                                           |
| 121-101 | 2-3- إقليم بلاد ما وراء النهر.                          |
| 113-105 | أ- إقليم الصفد.                                         |
| 117-113 | ب- إقليم خوارزم.                                        |
| 118-117 | ج- إقليم الصفانيان والختل.                              |
| 119-118 | د- إقليم فرغانة.                                        |
| 121-119 | هـ- إقليم الشاش.                                        |
| 351-123 | - الباب الأول: الدور السياسي للعلماء في العصر السلجوقي. |
| 125     | - استملاان.                                             |
| 151-126 | - الفصل الأول: العلماء وقيام الدولة السلجوقية.          |
| 132-127 | 1- أصل السلاجقة وبعدية دولتهم.                          |
| 137-132 | 2- التمدد السلجوقي في خراسان وقيام الدولة.              |
| 144-137 | 3- قراءة في أبعاد تأسيس الدولة السلجوقية.               |
| 151-144 | 4- جهود العلماء في قيام وتأسيس الدولة السلجوقية.        |
| 226-152 | - الفصل الثاني: العلماء والمشروع السلجوقي الوحدوي.      |

## - فهرس الموضوعات.

|          |                                                                      |
|----------|----------------------------------------------------------------------|
| 162-154. | 1- لصيغة المشروع السلجوقي الوجدوي: الأنساق والأنماط.                 |
| 156-155. | 1-1- النسق الاستشاري.                                                |
| 158-156. | 1-2- النسق السلجوقي التشاركي.                                        |
| 159-158. | 1-3- النسق العصبي التومعي.                                           |
| 160-159. | 1-4- النمط المؤسسي.                                                  |
| 162-161. | 1-5- النمط المركزي العالمي.                                          |
| 162.     | 1-6- النمط الجماهيري.                                                |
| 189-162. | 2- صيرورة المشروع الوجدوي السلجوقي.                                  |
| 171.     | 2-1- دخول السلاجقة إلى بغداد.                                        |
| 172-171. | أ- مقدمات الدخول السلجوقي إلى بغداد.                                 |
| 174-172. | ب- دخول السلطان كغزل بك إلى بغداد سنة 447هـ / 1055م.                 |
| 187-174. | ج- استكمال المشروع الوجدوي السلجوقي.                                 |
| 189-187. | د- ذبول القضاء على فتنة الباسميري.                                   |
| 201-189. | 3- تطور المشروع السلجوقي الوجدوي بعد وفاة السلطان كغزل بك سنة 455هـ. |
| 226-201. | 4- دعم العلماء للمشروع السلجوقي الوجدوي وتوجيهه.                     |
| 211-202. | 4-1- موقف العلماء من الدولة البويهية.                                |
| 215-211. | 4-2- موقف العلماء من فتنة الباسميري.                                 |

## - فهرس الموضوعات.

|         |                                                                |
|---------|----------------------------------------------------------------|
| 216-215 | 4-3- موقف العلماء من دخول السلاجقة إلى بغداد سنة 447هـ.        |
| 226-216 | 4-4- أثر العلماء في استكمال المشروع السلجوقي الوجدوي.          |
| 259-227 | - الفصل الثالث: الدور الدعوي والجهادي للعلماء في عصر السلاجقة. |
| 229-228 | - تعريف الدعوة.                                                |
| 229-228 | أ- لغة.                                                        |
| 229     | ب- اصطلاحاً.                                                   |
| 232-229 | 2- نظرة العلماء إلى الدعوة.                                    |
| 236-232 | 3- جهود العلماء في الدعوة إلى الإسلام في العصر السلجوقي        |
| 240-236 | 4- تعريف الجهاد.                                               |
| 244-240 | 5- نظرة العلماء إلى الجهاد في سبيل الله.                       |
| 250-244 | 6- جهود العلماء في الحث والتخريض على الجهاد في سبيل الله       |
| 259-250 | 7- مشاركة العلماء في المعارك الحربية خلال العصر السلجوقي       |
| 255-251 | 7-1- أهمية الفتوحات السلجوقية.                                 |
| 256-255 | 7-2- دوافع الفتوح السلجوقية بين الجهاد والمصالح.               |

## - فهرس الموضوعات.

|         |                                                                                 |
|---------|---------------------------------------------------------------------------------|
| 259-256 | 7-3- حضور العلماء في معركة مانزيكرت- ملاذكرد-<br>سنة 463هـ                      |
| 294-260 | - الفصل الرابع: موقف العلماء من الأحداث والقضايا السياسية<br>في العصر السلجوقي. |
| 273-262 | 1- موقف العلماء من أساليب تداول السلطة عند<br>السلجقة (ولاية العهد).            |
| 289-273 | 2- أثر العلماء في التصدي للحركة الإسماعيلية الباطنية خلال<br>العصر السلجوقي.    |
| 284-277 | 2-1- الصراع بين السلجقة والحركة النزارية الحشيشية.                              |
| 289-284 | 2-2- جهود العلماء في مقاومة الحركة النزارية الحشيشية.                           |
| 295-289 | 3- جهود العلماء في وضع نصم سلاطين ووزراء ورجال<br>الدولة السلجوقية.             |
| 351-296 | - الفصل الخامس: مشاركة العلماء في وظائف الدولة السلجوقية                        |
| 308-298 | 1- الخلباء وأئمة الصلوات.                                                       |
| 315-308 | 2- الإفتاء والمفتين.                                                            |
| 333-315 | 3- النظم القضائي.                                                               |
| 336-333 | 4- الحسبة.                                                                      |

## - فهرس الموضوعات -

|         |                                                                       |
|---------|-----------------------------------------------------------------------|
| 338-336 | 5- الوزارة.                                                           |
| 341-339 | 6- السفارة.                                                           |
| 343-341 | 7- الكتابة.                                                           |
| 349-344 | 8- نقابة الصالبيين والعباسيين.                                        |
| 351-349 | 9- ومنايف أخرى.                                                       |
| 506-352 | - الباب الثاني: دور العلماء في الحياة الاقتصادية خلال العصر السلجوقي. |
| 377-355 | - الفصل الأول: جهود العلماء في بناء النظام المالي في العصر السلجوقي.  |
| 360-357 | 1- رؤية العلماء ونصرتهم إلى الخصيعة المال في العصر السلجوقي.          |
| 370-361 | 2- آراء العلماء حول النظام المالي في العصر السلجوقي.                  |
| 377-371 | 3- دور العلماء في تنظيم الإدارة المالية إبان العصر السلجوقي.          |
| 453-378 | - الفصل الثاني: موقف العلماء من الموارد والنفقات في العصر السلجوقي.   |
| 389-382 | 1- أساليب تحصيل الزكاة وصرفها عند العلماء.                            |
| 385-382 | أ- نصرة العلماء إلى الزكاة وأهميتها.                                  |
| 387-385 | ب- تحديد العلماء أنواع الزكاة ومستحقيها.                              |
| 389-387 | ج- شروط عامل الزكاة.                                                  |

## - فهرس الموضوعات -

|         |                                                               |
|---------|---------------------------------------------------------------|
| 408-389 | 2- جهود العلماء في تنكيم الخراج.                              |
| 395-389 | 2-1- تصور نظام الخراج وموقف العلماء منه.                      |
| 400-395 | 2-2- واقع نظام الخراج في العصر السلجوقي.                      |
| 408-400 | 2-3- مساعي العلماء لتنكيم الخراج.                             |
| 417-408 | 3- موقف العلماء من الجزية إبان العصر السلجوقي.                |
| 411-409 | 3-1- واقع الجزية في الفترة السلجوقية.                         |
| 417-411 | 3-2- جهود العلماء في ضبط مقادير الجزية خلال العصر السلجوقي.   |
| 428-417 | 4- تعامل العلماء مع أموال الفري والغنائم خلال العصر السلجوقي. |
| 421-418 | 4-1- تصور وضع أموال الفري والغنائم في العصر السلجوقي.         |
| 428-421 | 4-2- نكسة العلماء لأموال الغنائم والفري خلال العصر السلجوقي.  |
| 436-428 | 5- موقف العلماء من الضرائب خلال العصر السلجوقي.               |
| 429-428 | أ- ضريبة العقار.                                              |
| 429     | ب- ضريبة الدور.                                               |
| 429     | ج- ضريبة التركات.                                             |
| 430     | د- ضريبة الخفارة.                                             |
| 440-436 | 6- موقف العلماء من المصادرات في العصر السلجوقي.               |
| 453-441 | 7- نكسة العلماء للنفقات في العصر السلجوقي.                    |

## - فهرس الموضوعات -

|          |                                                                   |
|----------|-------------------------------------------------------------------|
| 443-441. | أ- نفقات البيعة بالسلمنة وولاية العهد.                            |
| 444-443. | ب- نفقات المصاهرات بين السلاجقة والخلافة العباسية.                |
| 445-444. | ج- النفقات الخاصة بالسلاطين والوزراء ورجال الدولة.                |
| 447-446. | د- النفقات العسكرية.                                              |
| 449-447. | هـ- النفقات على العمران.                                          |
| 450-449. | و- المبات والصدقات والمدايا.                                      |
| 453-450. | ز- ضوابط النفقات عند العلماء.                                     |
| 481-454. | - الفصل الثالث: جهود العلماء في تنمية الاقتصاد وتصور قضاياه.      |
| 460-455. | 1- جهود العلماء في إيران قيمة العمل خلال العصر السلجوقي.          |
| 481-460. | 2- ممارسة العلماء للأنشطة الاقتصادية.                             |
| 466-461. | 2-1- ممارسة العلماء للنشأه الزراعي.                               |
| 476-466. | 2-2- ممارسة العلماء للنشأه الصناعي.                               |
| 481-476. | 2-3- ممارسة العلماء للنشأه التجاري.                               |
| 506-482. | - الفصل الرابع: موجهة العلماء للفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي. |
| 485-484. | 1- مظاهر الفساد الاقتصادي في العصر السلجوقي.                      |
| 504-485. | 2- تصدي العلماء لمظاهر الفساد الاقتصادي إبان العصر                |

## - فهرس الموضوعات -

|          |                                                                            |
|----------|----------------------------------------------------------------------------|
|          | السلجوقي.                                                                  |
| 490-488. | أ- موقفهم من البغاة والمفسدين واللصوص وقضاء الصرق.                         |
| 501-490. | ب- تنكيم العلماء للأسواق.                                                  |
| 493-490. | 1- شروط المنافسة بين التجار في الأسواق.                                    |
| 496-493. | 2- محاربة الاحتكار.                                                        |
| 501-496. | 3- محاربة التعاملات المالية المحرمة.                                       |
| 504-501. | ج- مواجهة العلماء لتزييف النقود والعبث بها.                                |
| 504.     | د- تولي العلماء للمناصب المالية.                                           |
| 628-507. | - الباب الثالث: دور العلماء في الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي.        |
| 515-509. | - توكيئة.                                                                  |
| 537-516. | - الفصل الأول: مكانة ومنزلة العلماء في المجتمع الإسلامي في العصر السلجوقي. |
| 519-517. | 1- المكانة العلمية.                                                        |
| 523-520. | 2- المكانة الأخلاقية.                                                      |
| 531-524. | 3- المكانة الاجتماعية للعلماء في العصر السلجوقي.                           |
| 529-527. | 3-1- مكانة العلماء عند طبقة الخاصة.                                        |
| 531-529. | 3-2- مكانة العلماء عند طبقة العامة.                                        |



## - فهرس الموضوعات -

|          |                                                                             |
|----------|-----------------------------------------------------------------------------|
| 531-535. | 4- الأحوال المعيشية للعلماء في العصر السلجوقي.                              |
| 535-537. | 5- الخدمات الخاصة للعلماء.                                                  |
| 538-583. | - الفصل الثاني: جهود العلماء في إصلاح المجتمع الإسلامي.                     |
| 540-543. | 1- مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند العلماء خلال العصر السلجوقي.                 |
| 543-546. | 2- مظاهر الفساد الاجتماعي خلال العصر السلجوقي.                              |
| 546-576. | 3- خصوات الإصلاح الاجتماعي عند العلماء.                                     |
| 546-556. | 3-1- خصوات الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي.                          |
| 556-576. | 3-2- خصوات الإصلاح الاجتماعي عند أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.            |
| 576-583. | 4- جهود العلماء ومواقفهم في التصدي للفساد الاجتماعي.                        |
| 584-608. | - الفصل الثالث: العلماء بين المجتمع والسلطة.                                |
| 585-594. | 1- أماليب العلماء في إيران وموقفهم في المجتمع والسلطة.                      |
| 595-604. | 2- مخنُ العلماء في العصر السلجوقي.                                          |
| 605-608. | 3- أدوار اجتماعية أخرى للعلماء في العصر السلجوقي.                           |
| 609-628. | - الفصل الرابع: دور العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث خلال العصر السلجوقي. |
| 611-620. | 1- الأزمات والكوارث بأقاليم العراق وخراسان وبلاد ما وراء                    |

## - فهرس الموضوعات -

|          |                                                                     |
|----------|---------------------------------------------------------------------|
|          | النهر خلال العصر السلجوقي.                                          |
| 628-620. | 2- جهود العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث في العصر السلجوقي.       |
| 621-620. | أ- صلاة الاستسقاء.                                                  |
| 622-621. | ب- تشييم الجنائن.                                                   |
| 623-622. | ج- إجرأتهم للتخفيف من آثار الكوارث الطبيعية.                        |
| 627-624. | د- محاربة غلاء الأسعار والمجاعات والفقن.                            |
| 818-631. | - الباب الرابع: دور العلماء في الحياة العلمية في العصر السلجوقي.    |
| 656-632. | - الفصل الأول: موقف العلماء من الخلافات المذهبية في العصر السلجوقي. |
| 646-635. | 1- موقف العلماء من الخلاف المذهبي بين أهل السنة والمعتزلة والشيعة.  |
| 656-646. | 2- موقف العلماء من الخلاف المذهبي بين المذاهب السنية.               |
| 741-657. | - الفصل الثاني: جهود العلماء في تطوير نظام التعليم ومؤسسته.         |
| 677-661. | 1- العوامل المؤثرة في الحياة العلمية خلال العصر السلجوقي.           |
| 665-661. | 1-1- عناية سلاطين ووزراء الدولة السلجوقية بالعلم والعلماء.          |
| 670-665. | 1-2- الرحلة في طلب العلم.                                           |

## - فهرس الموضوعات.

|          |                                                              |
|----------|--------------------------------------------------------------|
| 670.     | 1-3-المؤسسات التعليمية.                                      |
| 670-672. | 1-4-المكتبات الخاصة والعامة.                                 |
| 672-677. | 1-5-حوانيت الوراقين.                                         |
| 677-708. | 2-نظام التعليم خلال العصر السلجوقي.                          |
| 678-708. | 2-1-منهج التعليم وأصوله.                                     |
| 679-681. | أ-آداب وشروط العلماء المدرسين.                               |
| 682-685. | ب-آداب وشروط الطلبة المتعلمين.                               |
| 685-703. | ج-كيفية التعليم (التدريس) وأساليبه.                          |
| 686-688. | أول-المعلم.                                                  |
| 688-689. | -ثانيا:المستلمين.                                            |
| 689-692. | -ثالثا-الكاتب.                                               |
| 704-708. | د-أصول (مراحل) التعليم.                                      |
| 704-707. | أول-أصول الابتدائي.                                          |
| 707-708. | -ثانيا-أصول العالي.                                          |
| 708-741. | 3-المؤسسات التعليمية وموقف العلماء منها خلال العصر السلجوقي. |
| 709-712. | 3-1-المساجد والجوامع.                                        |
| 713-717. | 3-2-الربيع أو الأريكة.                                       |

## - فهرس الموضوعات -

|         |                                                                                           |
|---------|-------------------------------------------------------------------------------------------|
| 719-717 | 1-3- الخانقاهات أو الخوانق                                                                |
| 720-719 | 1-4- الزوايا                                                                              |
| 739-720 | 1-5- موقف العلماء من المدارس التعليمية خلال العصر السلجوقي                                |
| 723-721 | أ- بناء المدارس التعليمية قبل العصر السلجوقي                                              |
| 724-723 | ب- أسباب تأسيس المدارس التعليمية في العصر السلجوقي                                        |
| 732-724 | ج- أهم المدارس التعليمية في العصر السلجوقي                                                |
| 734-732 | د- دور العلماء في تأسيس المدارس في العصر السلجوقي                                         |
| 736-734 | هـ- العلماء المؤيدون للمدارس التعليمية في العصر السلجوقي                                  |
| 739-736 | و- العلماء المعارضون للمدارس التعليمية في العصر السلجوقي                                  |
| 741-739 | 1-6- بيوت وحمور ومنازل العلماء                                                            |
| 818-742 | - الفصل الثالث: إسهامات العلماء في التأليف في العلوم النقلية والعقلية خلال العصر السلجوقي |
| 757-747 | 1- أبعاد التكوين العلمي للعلماء المسلمين                                                  |
| 750-747 | 1-1- البعد الموسوعي                                                                       |
| 752-750 | 1-2- البعد النقدي                                                                         |
| 753-752 | 1-3- العقيدة العلمية                                                                      |
| 755-754 | 2-4- الفاعلية والإتقان                                                                    |
| 757-755 | 2-5- التجديد                                                                              |

## - فهرس الموضوعات -

|         |                                                        |
|---------|--------------------------------------------------------|
| 757-758 | 2-6- الاجتماع.                                         |
| 758-767 | 2- أثر العلماء في ازدهار حركة التأليف العلمي.          |
| 758-760 | 2-1- تعريف التأليف ومقاصده.                            |
| 760-761 | 2-2- دواعي العلماء لتأليف وتصنيف الكتب.                |
| 761-767 | 2-3- خصيعة التأليف العلمي ومناهجه خلال العصر السلجوقي. |
| 767-818 | 3- الإنتاج العلمي للعلماء في العلوم النقلية والعقلية.  |
| 767-808 | 3-1- مؤلفات العلماء في العلوم النقلية.                 |
| 767-770 | أ- علم القراءات.                                       |
| 770-775 | ب- علم التفسير.                                        |
| 775-778 | ج- علم الكلام.                                         |
| 778-781 | د- علم الحديث.                                         |
| 781-788 | هـ- علم الفقه.                                         |
| 788-790 | و- علم أصول الفقه.                                     |
| 790-796 | ز- علوم اللغة العربية.                                 |
| 796-798 | ح- التأليف في اللغة الفارسية.                          |
| 798-799 | هـ- السيرة النبوية.                                    |
| 799-805 | ي- علم التاريخ.                                        |
| 806-807 | ك- علم الجغرافيا والرحلات.                             |

## - فهرس الموضوعات.

|         |                                   |
|---------|-----------------------------------|
| 808-807 | ل- علم التصوف.                    |
| 808     | م- علم السيامة الشرعية.           |
| 818-809 | 3-3- العلوم العقلية.              |
| 812-809 | أ- علم الطب.                      |
| 813-812 | ب- علم الرياضيات.                 |
| 814-813 | ج- علم الفلك.                     |
| 815-814 | د- علم الفلسفة.                   |
| 816-815 | هـ- علم الكيمياء.                 |
| 822-819 | - الخاتمة.                        |
| 838-223 | - الملاحق.                        |
| 892-839 | - ثبت المصادر والمراجع.           |
| 975-893 | - فهرس الأعلام والبلدان والأماكن. |
| 992-976 | فهرس الموضوعات.                   |

